الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

مجلة الواحات للبحوث والدراسات

تصدر عن جامعة غرداية - الجزائر

ردمد: 1112-7163-P
ردمد: 2588-1892-E



المجلد: 14 العدد: 02، نوفمبر 2021

عدد خاص

مجلة الواحات للبحوث والدراسات
المجلد: 14 العدد: 02، نوفمبر 2021
ELWAHAT

République Algérienne Démocratique et Populaire

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique

Université de Ghardaïa

Revue « ELWAHAT » pour les Recherches et les Etudes

EISSN: 2588-1892
PISSN: 1112-7163

Editée par l'Université de Ghardaïa - Algérie



Volume 14 N° 02, Novembre 2021

Numéro spécial

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة غرداية

مجلة الواحات
للبحوث والدراسات

مجلـة أكاديمية فكرية محكمة
تصدر عن جامعة
غرداية ـ الجزائر

المجلد 14 العدد 2
عدد خاص

ربيع الأول 1443 هـ / نوفمبر2021م

مجلة الواحات
للبحوث والدراسات

الإيداع القانوني رقم: 2006/2763
ردمد P-ISSN:1112 – 7163
ردمد E-ISSN: 2588 – 1892

كل الحقوق محفوظة

ISSN: 1112- 7163
E-ISSN: 2588 – 1892

مجلة الواحـــــات للبحوث والدراسات

https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2
ردمد-P 1112 – 7163
ردمد-E 1892 – 2588

هي مجلة علمية ذات لجنة قراءة متعددة الاختصاصات من جامعيين وخبراء دوليين. تنشر مجلة الواحات للبحوث والدراسات أبحاث في جميع الميادين. تعنى بنشر البحوث والدراسات الأصيلة والتي لم تنشر بأي شكل، و ذلك باللغات: العربية، الانجليزية و الفرنسية.

النـــــــاشر

جامعـــــة غردايـــــــة
مدير المجلـة: أ.د.إليـاس بن الساسي
مدير النشـر: أ.د. عمـر حجـاج
رئيس التحرير: أ.د.أحـلام بوعبـدلـي
امانـة المجلـة: قربـوز عمـورة
guerbouz.am@gmail.com

حقـوق النشـــر محفوظـــة

عند قبول مقال للنشر في مجلة الواحات للبحوث والدراسات، يصرح المؤلفون بنقل حقوق النشر للناشر.

للإتصـــــــال

ترسل جميع المراسلات عن طريق البريد إلى رئيسة التحرير:
العنوان: مجلة الواحات للبحوث والدراسات– جامعة غرداية ص ب 455
طريق المطار غرداية 47000 الجزائر.
أو عن طريق البريد الإلكتروني: pr.bouabdelli@gmail.com

الهاتف: 14 81 25 029 213+ **الفاكس:** 12 81 25 029 213+

مجلة الواحـات للبحوث والدراسات
جامعة غردايـة

ISSN: 1112- 7163
E-ISSN: 2588 – 1892

أعضـاء هيـئـة التـحـريـر

رئيسة التحريـر

أ.د.أحـلام بوعبـدلـي

مسـاعـدو التحريـر

همام القوصي	سوريا	Ragulin Andrey Viktorovich	روسيا	يحيى بن أفلح بن سالم الحضرمي	عمان
عمر مونة	الجزائر	danylova tatina	أكرانيا	معن أبوبكر	الإمارات
معراج هواري	الجزائر	مضحي احمد السامرائي فليح	ماليزيا	عبد الله سيدي محمد أبنو	السعودية
أولادحيمودة جمعة	الجزائر	يوسف ناصر	ماليزيا	الدلجاوي أحمد عبد الصبور	مصر
بن صغير حضري يمينة	الجزائر	Korkusuz Mehmet Refik	تركيا	الرقاد عبدالله	الاردن
سي محمد جمال	الجزائر	بن عبد اللطيف نبيل	بتونس	العربي مصطفى	ليبيا
صفاء أولاد الهدار	الجزائر	المساعيد فرحان	الأردن	الكاكاني وحيد انعام غلام	العراق
مليكة كوطي	الجزائر	عمر أوكيل	عمان	حميد بن عامر الحجري	عمان
قدوري يوسف	الجزائر	حميش عبد الحق	قطر	عبد القادر محمد الداه	موريتانيا
نذير شوقي	الجزائر	الدحيات عماد	الامارات	عبدالحكيم خليل سيد أحمد	مصر
مصطفى حمودة	الجزائر	يحضيه سملالي	السعودية	عبو عبد الصمد	المغرب
حجاج عمر	الجزائر	فرحي فيصل	كندا	محروس السيد بريك	قطر
حمزة عمي سعيد	الجزائر	فريق وجدان	العراق	مشاهرة مشهور	فلسطين
لجلط ابراهيم	الجزائر	هشام عبد السيد الصافي	مصر	سرداوي طارق	تونس

مجلة الواحـات للبحوث والدراسات
جامعة غردايــة
ISSN: 1112- 7163
E-ISSN: 2588 – 1892

أعضاء اللجنة العلمية الاستشارية للمجلة

إلياس بن ساسي (الجزائر)	براندت ستيفاني (فرنسا)	عجيلة محمد (الجزائر)
سايدو توري أبو بكر (النيجر)	جيلي فيرونيك (فرنسا)	قوي بوحنية(الجزائر)
قندوز بن ريمة عتيقة (الجزائر)	أودابر جين ماري (فرنسا)	بوساليم صالح (الجزائر)
ولد الحاج محمد ديدي(الجزائر)	بن يحي يحي(الجزائر)	قرليفة حميد (الجزائر)
بيساطيبوعافية سامية (الجزائر)	هادية مشيخي (تونس)	أولاد سعيد أحمد (الجزائر)
شحمة عبد المجيد (الجزائر)	بوعبدلي أحلام (الجزائر)	كيحول بوزيد (الجزائر)
بدراوي محمد (المغرب)	توبي مصطفى (المغرب)	حاج محمد قاسم (الجزائر)
بن رحيم حفصية (تونس)	درابسا محمد (الأردن)	قدي عبد المجيد (الجزائر)
تيسي دانيال (فرنسا)	إنيجوإنيجوأدولفو (إسبانيا)	غزو محمد أكلي (الجزائر)
تومبسون ميشال (الولايات م أ)	روزان منير (الأردن)	خنور صالح (الجزائر)
خلفاوي فتحي (الجزائر)	باجو مصطفى (الجزائر)	الكاكاني وحيد انعام غلام (العراق)
بحاز إبراهيم (الجزائر)	عبادلي محمد (الجزائر)	شايب ساسي (الجزائر)
جبلي نور الدين (الجزائر)	بن سعد محمد سعد (الجزائر)	حجاج عمر (الجزائر)
مصيطفى عمار (الجزائر)	جوادات محمد (المغرب)	حمودة عائشة (الجزائر)
بن سلامة محمد (الجزائر)	الشمري عماد (الأردن)	المجاري عبد الكريم (تونس)
حسيني مسعود (الجزائر)	محفوظ عبد اللطيف (المغرب)	حمادي أحمد (الجزائر)
سنوسي عبد الحكيم (الجزائر)	ماجد عيساني عبدول (الجزائر)	وولف جونج كايزر (فرنسا)
صانون سليمان (بوكينافاسو)	عبد الخالق عيسى (فلسطين)	خليل عبد الرزاق (الجزائر)
غانمي محمد (تونس)	درماكي عائشة (سلطنة عمان)	خواجة عبد العزيز (الجزائر)
ناتالي موندي (فرنسا)	حسن زيدان سليمان (ليبيا)	بن سانية عبد الرحمان (الجزائر)
وقيد محمد العيد (الجزائر)	موسوي أحمد (الجزائر)	بوعرعور كمال (الجزائر)
شريطي عبد الكريم (الجزائر)	سلامي مختار (الجزائر)	مرزوقي أمجد (تونس)
بلبوخاري الناصر (الجزائر)	معراج هواري (الجزائر)	شول بن شهرة (الجزائر)
يوسفي محمد (الجزائر)	مصيطفى عبد اللطيف (الجزائر)	أولاد حيمودة جمعة (الجزائر)
حاج سعيد عبد القادر (الجزائر)	الصمدي مصطفى (المغرب)	بجاح يسين (العربية السعودية)
حاج عيسى محمد (الجزائر)	غزيل مولود (الجزائر)	بلعور سليمان (الجزائر)
وينتن مصطفى (الجزائر)	هيبة سيف الدين (الجزائر)	كواتي مسعود (الجزائر)

مجلة الواحـات للبحوث والدراسات
جامعة غردايــة
ISSN: 1112- 7163
E-ISSN: 2588 – 1892



مجلة الواحـات للبحوث والدراسات
جامعة غردايــة
ISSN: 1112- 7163
E-ISSN: 2588 – 1892

الفهـــــرس

الرقم	العنـــوان	الصفحة
01	تأثير المستجدات في توازن الاقتصاد العالمي - فيروس كورونا نموذجا - معـروف جيـلالي	23- 01
02	قياس العلاقة بين التجارة الخارجية والنمو الاقتصادي في الجزائر خلال الفترة 1970-2019 بن البار امحمد	49- 24
03	اثر النشاط السياحي على النمو الاقتصادي في الجزائر دراسة تحليلية قياسية للفترة 1997 - 2018. طرفاية كمال، توات عثمان	72- 50
04	استخدام طريقة المربعات الصغرى الجزئية PLS لتقييم الدور الوسيط للحملات التسويقية في تأثير عناصر المزيج التسويقي على قرار الشراء لدى عينة من السياح. عيسى قادة ، وزاني محمد	107- 73
05	مساهمة نظم معلومات الموارد البشرية في تحسين الأداء الوظيفي بالمؤسسات الصحية، دراسة ميدانية لمؤسسات القطاع الصحي العمومي بولاية ميلة. صبري مقيمح، مروة شنتي	135- 108
06	استراتيجية الشراكة بين القطاعين العام والخاص لاستغلال الأماكن السياحية –مشروع تطوير الواجهة البحرية للميناء السياحي السلطان قابوس - حديدي أمنة، بربري محمد أمين	161- 136
07	أثر تغيرات سعر الصرف وسعر البترول على الميزان التجاري الجزائري خلال الفترة 1989 -2018 (مقاربة قياسية) ميموني نسرين ، فريد بن طالبي	183- 162
08	دور إدارة المعرفة في تحسين الرضا الوظيفي دراسة حالة : مديرية توزيع الكهرباء والغاز "سونلغاز" - بسكرة بعيسى حليمة ، أقطي جوهرة	206- 184
09	أثر التزام محافظي الحسابات بالمعايير الجزائرية للتدقيق على موثوقية المعلومات المالية طواف فاتح ، رقايقية فاطمة الزهراء	230- 207

10	سياسات الدولة الجزائرية في تمويل مؤسساتها الاقتصادية جبائيا – عرض وتحليل لآليات التمويل الجبائي للمؤسسات الصغيرة و المتوسطة – أحمد بساس، محمد دوة	258- 231
11	التمويل بصيغة المشاركة في المصارف الإسلامية، بين المزايا النظرية، والعقبات في التطبيق سمير جعوتي، فاضل عبد القادر	283- 259
12	تدقيق العمليات الجبائية كآلية للحد من الخطر الجبائي (دراسة حالة) بلوطار طارق،عجيلة محمد	302- 284
13	مساهمة حقوق الملكية الصناعية في التنمية الاقتصادية . سعد لقليب	324- 303
14	الإطار القانوني لتطبيق مقاربة الديمقراطية التشاركية المحلية في الدول المغاربية دراسة مقارنة بين الجزائر، تونس، والمغرب سويلم محمد	352- 325
15	حماية الأطفال من الجرائم الالكترونية على ضوء أحكام الاتفاقيات الدولية والتدابير الإقليمية أمحمدي بوزينة أمنة	374- 353
16	الحق في الحصول على المعلومات الانتخابية كضمانة لنزاهة العملية الانتخابية أحسن غربي	405- 375
17	الرقم الأسود في جرائم الفساد نوري أحمد ، حوة سالم	427- 406
18	تحقيق مقومات الأمن القضائي بقيام مسؤولية الدولة عن أعمال السلطة القضائية خلود كلاش ، سامية بلجراف	452- 428
19	الاستحقاقات المالية لزوجة المهاجر غير الشرعي المفقود وأثر التخلي – النفقة أنموذج – دراسة مقارنة بين الفقه الإسلامي وقانون عنها الأسرة الجزائري. بلحبيب سامية ، حبار أمال	474- 453

20	تعليل الحكم الشرعي بالحكمة في القياس عند الأصوليين يوسف مواتسي، عبد الباقي بدوي	491- 475
21	الاجتهاد المقاصدي عند الخلفاء الراشدين عباس حفصي	513- 492
22	مذاهب العلماء في تفسير ظواهر الرسم العثماني عرض وتقييم محمد السعيد مصيطفى	549- 514
23	الشيخ إبراهيم أبو اليقظان – رائد البعثات العلمية في منطقة وادي مزاب طاعة مصطفى، سعيود إبراهيم	569- 550
24	"الفرقد" سليمان بوجناح (1905 - 1988) ونضاله الوطني بالحاج ناصر	588- 570
25	القاعدة البشرية المؤسّسة لحاضرة تيهرت الرّستمية ودورها السياسي والمذهبي في المغرب الأوسط. فطيمة مطهري ، ابراهيم مشراوي	616- 589
26	التوجه التركي نحو إفريقيا؛ المحددات والتحديات دريسي حنان	641- 617
27	ظاهرة فرار المجنّدين الجزائريين في الجيش الفرنسي بين العوامل الذاتية - الموضوعية وتأثير دعاية الثورة(1954 -1962) قراءة في الأسباب والنتائج. بوزيدي وحيد ، رشيد زبير	670- 642
28	نشاط حزب الشعب الجزائري أثناء الحرب العالمية الثانية (1939 -1945) صلاح نوي ، ليلى حمري	692- 671
29	زاوية الشيخ سيدي أبي نعامة الكنتي بمنطقة تيديكلت جنوب الجزائر ودورها الثقافي والاجتماعي خلال القرنين 13 - 14هـ/19 - 20م عباس بن شيخ ، بولخراص كريمة	717- 693
30	الأوقاف الإباضية بوادي مزاب ودورها الاجتماعي خلال القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين بالحاج أوزايد، بوسليم صالح	752- 718

31	الأنساق الثقافية المضمرة في رواية " الجازية والدراويش " لعبد الحميد بن هدوقة - قراءة في خطاب الأقوال المضمرة – إبراهيم براهمي	772- 753
32	البعد الحجاجي للبديع في ضوء البلاغة الجديدة - دراسة في خطاب الرسائل العباسية – عاشوري يمينة ، عبد العليم بوفاتح	797- 773
33	تداولية الحوار في الخطاب المسرحي في مسردية الأقنعة المثقوبة لعز الدين جلاوجي أنموذجا رابح نجيبة،محجوبي عقيلة	818- 798
34	جماليات التناص الموسيقي في "سينية المعلم" للشاعر بوعلام بوعامر بن ستالة الميلود ، سويلم مختار بن موسى	843- 819
35	رمزية الشّخصيّة التّراثية في الرواية الجزائرية المعاصرة "ثائر من الجزائر" لعبد القادر قسمية مقاربة سوسيو أدبية محمد رضا مغربي	862- 844
36	دراسة صوتية دلالية لديوان "تعرجات خلف خطى الشمس " لدليلة مكسح ناصر بعداش	878- 863
37	مفهوم الجنس الأدبي: بين الغنى والنقائص صاولو نييفا عبد الرحمن بوعلي	891- 879
38	نقاط التماس بين النقد الثقافي وما بعد الكولونيالية ذباح جمال	903- 892
39	المدينة العربية في المدونات النقدية الروائية العربية سعيدة حمداوي	923- 904
40	الموروث الشعبي في رواية كامارد رفيق الحيف والضياع لـ الصديق حاج أحمد فاطمي عبد الرحمان	946- 924
41	بلاغة الذكر والحذف في المفردة القرآنية من خلال كتاب ملاك التأويل للغرناطي. بن زهرير بلال، لخضر حداد	969- 947

42	فعالية المثقف المُصلح في ظل التحولات المعاصرة نجمة عليوش	984- 970
43	الفلسفة و علاقتها الجدلية بالايديولوجية و التاريخ ومفهوم النهاية التلازمية بيدة عبد المالك	1015- 985
44	نظريّة التّعريف المنطقي بين أرسطوطالس وابن سينا عبد القادر بن عامر ، سليمان بن سمعون	1058- 1016
45	الكفاءة الذاتية و علاقتها بآليات التعامل لدى مرضى السكري حمادي خولة، مزاور نسيمة	1078- 1059
46	اللعب وتأثيره على السمات الابتكارية لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية بولاية تلمسان. مسعد محمد، عمومن رمضان	1097- 1079
47	بناء إختبار تحصيلي محكي المرجع في مادة الرياضيات وفق نموذج راش الورعادي فاتح، بن نابي نصيرة	1122- 1098
48	تأثير الضغوط النفسية على الأداء الوظيفي للعاملين بديوان الترقية والتسيير العقاري بسكيكدة أمـال يـوب ،إكرام بودبزة	1149- 1123
49	أنشطة منهاج التربية الإيمانية وانعكاساتها على القيم الروحية والنظرية للمتعلم دراسة على عينة من متعلمي السنة الأولى متوسط إبراهيم تامتلت	1186- 1150
50	أهمية ممارسة النشاط الرياضي الترويحي لدى الطلاب الجامعيين خلال أوقات الفراغ –دراسة نظرية. زموري بلقاسم	1204- 1187
51	التغير الثقافي وعلاقته بمنهاج التربية البدنية والرياضية في الطور الثانوي بن شاعة سعد ، شريط محمد الحسن المأمون	1224- 1205
52	التكفل بذوي صعوبات التعلم: بين التنظير و الواقع سميّة حريوش	1246- 1225

53	التفكير الايجابي وعلاقته بمهارة حل المشكلات لدى المقبلين على امتحان شهادة البكالوريا الحطاح زبيدة ، باشن سلمى	1266- 1247
54	تحليل مستوى الانغماس الوظيفي لدى أساتذة التعليم الثانوي – دراسة ميدانية ببلدية الرويسات بولاية ورقلة - بالفار علي، بقادير عبد الرحمان	1287- 1267
55	أثر التدريب الميداني بأقسام علوم المكتبات في تقليص الفجوة بين الفصول الدراسية والممارسات الوظيفية سليمة سعيدي ، بلال حجاز	1307- 1288
56	المعوقات الإعلامية و الإدارية لتجربة المرافقة البيداغوجية في الجامعة الجزائرية _ دراسة ميدانية على عينة من طلبة السنة الأولى جامعي بجامعة قاصدي مرباح ورقلة_ أسماء جعني ، عاشورة نفنوف	1326- 1308
57	دولة القانون بين الوظيفة والشرعية هدى بلقماري، نادية بن ورقلة	1345- 1327
58	مستوى مرونة الأنا لدى الطالب الجامعي (دراسة ميدانية على عينة من طلبة السنة الثانية علوم التربية بجامعة سعيدة) سنوسي بومدين ، ضراب فتيحة، جلولي زينب ،ورغي سيد أحمد	1366- 1346
59	المجتمع الشبكي كآلية لإرساء مجتمع المعرفة بلحميتي أمال ، بوحادة سارة	1390- 1367
60	A System of the Division of Social Work in the Maghreb Mountain Society: A Sociological Approach. Noureddine Boulares	1391-1412
61	The determinants of subjective well-being in rural Algeria Elagag Mustapha ، Mokhtari Fayçal	1413-1436
62	Role Of Regional Minimum Wages, Salary Per Session Teaching, Bpjs Programs On Improving Performance Of Private Lecturers In The East Bandung Area Ahmed Benyahia Rabia and Drajat Sulistiyono, M and Ela Elliyana,	1437-1450
63	The role of information technology in electronic commerce: case study AMAZON KOUACHE SARA ، CHICHA NAWEL	1451-1467
64	Prosecuting Crime Of Genocide And Crimes Against Humanity by The Ad Hoc Tribunals Salem Haoua	1468-1485

1486-1499	**L'espace Et L'exil Dans Si Diable Veut De Mohammed Dib** **Mériem Benrahal**	**65**
1500-1524	**L'entreprise industrielle face aux enjeux de la responsabilité sociétale en Algérie. Comment communiqué l'environnement?** **Tighedine Hassina**	**66**
1525-1549	**Les antécédents de la vraie fidélité à la marque : étude empirique sur l'effet des variables relationnelles** **Akkarene Rim, Bouda Nabil ، Chitti Mohand**	**67**
1550-1574	**La stratégie de libération du pétrole en Algérie, de l'indépendance à la nationalisation 1962-1971** **HIMED Messaoud, BELIL Mohamed**	**68**

مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ر ت م د: 7163 -1112 ر ت م د إ :2588-1892
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2

تأثير المستجدات في توازن الاقتصاد العالمي – فيروس كورونا نموذجا –

The impact of developments on the balance of the global economy - Coronavirus as a model-

معـروف جيـلالي

1- معهد العلوم الاقتصادية التجارية و علوم التسيير، المركز الجامعي -البيض -

تاريخ الاستلام: 2020/05/10 تاريخ القبول: 2021/04/18

التلخيص:

الملاحظ اليوم على تعاطي مختلف دول العالم مع الانتشار المتصاعد لجائحة كوفيد 19هو ضعف أداء الأنظمة السياسية و الاقتصادية -على اختلاف إمكانياتها وتنوع طبيعتها - وعجزها في الحد من انتشار وخطورة هذه الجائحة، وهو ما سبّب أزمات متعددة تجاوزت البعد الصحي، لتكشف عن اختلالات هيكلية وقيمية مرتبطة بالفلسفة التي تقوم عليها الأنظمة السياسية اليوم، ومكانة الاقتصاد منها، وهو ما سيطرح الكثير من المراجعات التي سيرافقها بكل تأكيد تغيّرات كثيرة، أقلها إعادة ترتيب أولويات عمل الأنظمة الاقتصادية العالمية وأجنداتها.

على ضوء ما سبق، تهدف الدراسة إلى الوقوف على الأثر الاقتصادي لفيروس كورونا على مختلف دول العالم. كما تسعى إلى إبراز الجهود الدولية المبذولة للقضاء على الوباء مع تسليط الضوء على أهم المتغيرات الاقتصادية العالمية على غرار مستويات النمو الاقتصادي العالمي و سبل التجارة الدولية للسلع و الخدمات وتغيرات الطلب العالمي على سوق النفط و العمل بالاستناد إلى بعض

المؤلف المرسل: معروف جيلالي: djillouper@gmail.com

الاحصائيات المتاحة حتى لحظة إعداد الدراسة. ونتائج التداعيات الاقتصادية للفيروس تبين أن العالم يتوجه نحو سياسات اقتصادية تحفيزية في مختلف المجالات غير مدروسة العواقب وهذا نظرا لحالة عدم التأكد التي يعيشها العالم.

الكلمات الدالة: النمو الاقتصادي، التجارة الدولية للسلع و الخدمات، الطلب العالمي، سوق العمل، سوق النفط

Abstract:
Today's observation of the different countries of the world dealing with the escalating spread of the Covid 19 pandemic is the poor performance of political and economic systems
in light of the above, the study aims to determine the economic impact of the corona virus on various countries of the world. it also seeks to highlight the international efforts made to eradicate the epidemic while highlighting the most important global economic changes such as levels of global economic growth and ways of international trade in goods and services and changes in global demand for the oil market and work based on some statistics available until the moment of preparing the study. and the results of the economic repercussions of the virus show that the world is heading towards stimulus economic policies in various areas unexplored consequences, and this is due to the uncertainty experienced by the world.

Key words: Economic Growth, International Trade In Goods And Services, Global Demand, Labour Market, Oil Market.

1. - مقدمة

لم يشهد العالم مثيلاً للتطورات الراهنة منذ تاريخ طويل، في ظل الانتشار العالمي السريع لفيروس كورونا المستجد COVID-19 ، والوباء المترتب عليه، الذي أصبح قاب قوسين أو أدنى من الخروج عن السيطرة، برغم كل ما تتخذه الحكومات من إجراءات لمنع انتشاره في الجانب الصحي، وكذلك للحد من تبعاته على الاقتصاد العالمي بكل قطاعاته،وعناصره التي تميز الجانب الكلي منه على غرار تغيرات درجات النمو الاقتصادي لمختلف دول العالم ناهيك عن تغيرات الطلب العالمي على مختلف السلع و الخدمات التي تؤدي بدورها الى تبعات متلاحقة على مختلف الأسواق بما فيها سوق الطاقة العالمي وسوق العمل الذي نتج عنه تعطل عجلة الانتاخ و تسريح اليد العاملة، وغيرها من التبعات الأخرى التي لا تزال تجر وراءها قطاعات ومتغيرات اقتصادية عالمية مختلفة.

إشكالية الدراسة: أكّدت عديد الاحصائيات في مختلف دول العالم اليوم وكذا التصريحات المتوالية لمختلف الحكومات عجزها عن التحكم في تأثيرات النتائج السلبية التي تراكمت جراء فيروس كوفيد 19 على جميع المستويات والقطاعات باختلافها، هذا ما يقودنا الى التساؤل عن مدى التداعيات و الآثار على متغيرات القطاع الاقتصادي و المالي بصفة خاصة؛ مباشرة أو غير مباشرة من جراء هذا الوباء؟ وماهي التغيرات المترتبة عليها؟ وماهي الجوانب الأكثر تضرّرا منها؟ ولابد في افتراضاتنا؛ أن هذا الوباء مس القطاعات الحساسة في أكبر الاقتصاديات العالمية كالولايات المتحدة الأمريكية و الصين التي تعتبر مقر ظهوره على غرار التجارة الدولية والنمو الاقتصادي و سوق العمل الدولي،وأدى الى تعطيل النشاط الاقتصادي وبالتالي كبح عجلة النمو و التنمية الاقتصادية.

أهداف الدراسة: يتمثل الهدف الرئيسي من هذه الدراسة في معرفة التأثيرات المباشرة لجائحة الكورونا على الاقتصاد العالمي الحقيقي، وذلك من خلال التتبع والتحليل الرقمي لأهم القطاعات الإستراتيجية التي تعتبر مصدر خلق الثروة و بالتالي التنمية العالمية؛ على غرار قطاع التجارة الدولية وسوق النفط العالمي المحدّد لاستهلاك الطاقات، و التي عرفت صدمات عنيفة أدت للتأثير عليها بنسب كبيرة و متفاوتة، الى جانب دراسة التغيرات الحاصلة في هيكل الطلب العالمي وسوق العمل وما ينجرّ عنه من تغيرات في نسب النمو الاقتصادي العالمي.

أهمية الدراسة: تتجسّد أهمية هذه الدراسة في أن هذه الأزمة تقود العالم إلى إعادة النظر في الكثير من المفاهيم الاقتصادية، ولا سيما المرتبطة بدور الدولة في الاقتصاد، وطبيعة الأنشطة الاقتصادية وأساليب أداء العمل والإنتاخ بها، ناهيك عن العلاقة بين المنتج والمستهلك، هذا بجانب إعادة صياغة مفهوم العولمة، ليناسب مرحلة ما بعد كورونا، التي ستترك الاقتصاد العالمي بشكل وهيئة وطبيعة مختلفة عما كان عليه قبلها. أو بمعنى آخر، فإن هذه الأزمة ستفرض على الاقتصاد العالمي مفاهيمها، قبل أن تتركه وترحل.

2. - تصاعد الأعباء الاقتصادية في العالم

لدى مقارنة الأزمة الاقتصادية المترتبة على فيروس كورونا COVID-19 وعمقها وتأثرها مع باقي الأزمات الاقتصادية التي شهدها العالم في التاريخ الحديث؛ فإن ما يقفز إلى الأذهان للوهلة الأولى هو مقارنتها بآخر أزمتن اقتصاديتين كبرتين شهدهما العالم خلال المائة عام الماضية، وهما الأزمة المالية العالمية في عام 2008، وأزمة الكساد الكبر التي اندلعت عام 1929،واستمرت حتى بداية الحرب العالمية الثانية عام 1939.

وفيما يتعلق بحجم الخسائر الاقتصادية الناتجة عن كل أزمة، فإن الأزمة الراهنة، ووفق العديد من التقديرات، يُتوقع أن تتسبب في خسائر

اقتصادية عالمية تقارب نحو 2.7 تريليون دولار كحد أدنى (Tom Orlik, 2020) .

وهناك تقديرات تشير إلى أن الخسائر ستتعدى ذلك بكثير، حيث يرجّح أن تبلغ خسائر الاقتصاد العالمي جراء هذه الأزمة خلال النصف الأول من عام 2020 نحو 6 تريليونات دولار، وسينكمش الاقتصاد العالمي 11%مقارنة بالفترة نفسها من عام 2019 (روك، 2020)

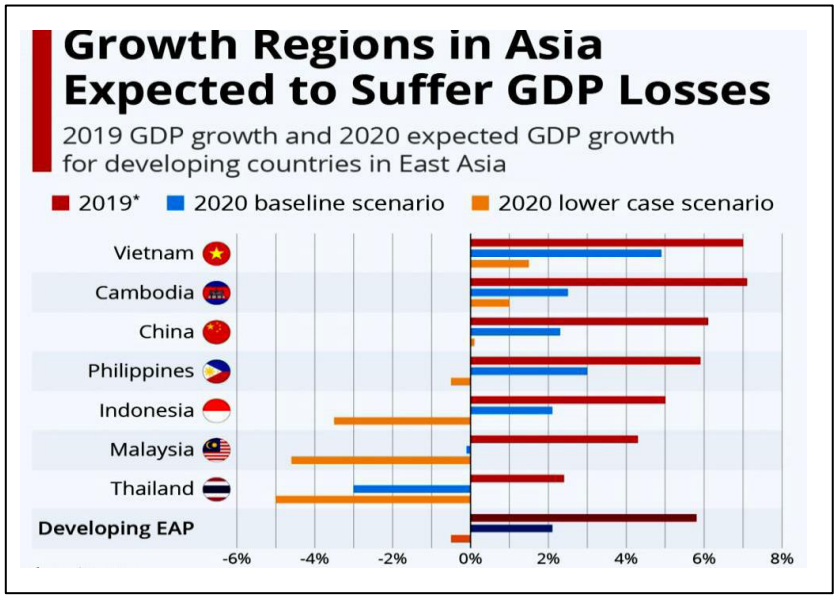
وفي هذا السياق، توقع صندوق النقد الدولي أن يتخطى حجم الأزمة الاقتصادية الناتجة عن فيروس كورونا حجم الأزمة المالية العالمية عام 2008. وقد صرحت المديرة العامة للصندوق "كريستينا جورجيفا" بأنه 'لم يحدث في تاريخ الصندوق أن رأينا الاقتصاد العالمي يُصاب بمثل هذه الحالة من الشلل، ونحن الآن في حالة ركود. إنه طريق أسوأ من الأزمة المالية العالمية' (جورجيفا، 2020)

وفيما يتعلق بالخسائر التي تعرض لها الاقتصاد العالمي جراء الأزمة المالية العالمية لعام2008،فإنها بلغت نحو4 تريليونات دولار، وفق تقديرات صندوق النقد الدولي، وبنسبة بلغت 5% من الناتج المحلي الإجمالي العالمي في حينه (FMI, 2009) وبالتالي، إذا توقفت أزمة كورونا عند مدها الحالي، وعاد النشاط الاقتصادي العالمي إلى طبيعته في الأجل القصر، فإن الخسائر الناجمة عنها ستكون مساوية تقريباً لخسائر الأزمة المالية العالمية.

ويؤدي استمرار الأزمة في الأجل المتوسط والطويل، وبقاء حالة الإغلاق شبه التام للأنشطة الاقتصادية؛ إلى وصول الأزمة الراهنة إلى آفاق أخرى، لتفوق في آثارها الأزمة المالية العالمية،وتقترب من أزمة "الكساد الكبر" ِ التي عاشها العالم في أخريات العقد الثالث من القرن العشرين وطوال العقد الرابع منه. لكن تجب الإشارة إلى أن هذا الترتيب مرهون بالفترة التي ستستغرقها الأزمة الراهنة، والمعتمدة في الأساس على عملية استيعاب الفيروس. فإذا تمكن العالم من التغلب على التحدي القائم، وطي صفحة جائحة كورونا؛ فإن معاناة الاقتصاد العالمي لن تطول، وستظل خسائره محدودة مقارنة بما تكبده إبان "الكساد الكبير" (صلاح، 2020).

والشكل الموالي يبين تغيرات نمو الناتج المحلي الإجمالي لمجموعة الاقتصاديات التي كانت تشهد نموا كبيرا في أواخر سنة 2019 و الهزات التي طرأت عليها بعد ظهور جائحة كورونا في الربع الأول من سنة 2020

شكل1. تغيرات نسب نمو الناتج الإجمالي في بعض دول آسيا بعد ظهور فيروس كورونا



المصدر: تقرير البنك العالمي (2020)، تغيرات الناتج المحلي لاقتصاديات دول شرق آسيا.

3. - تغيرات الميزانية العامة للدول

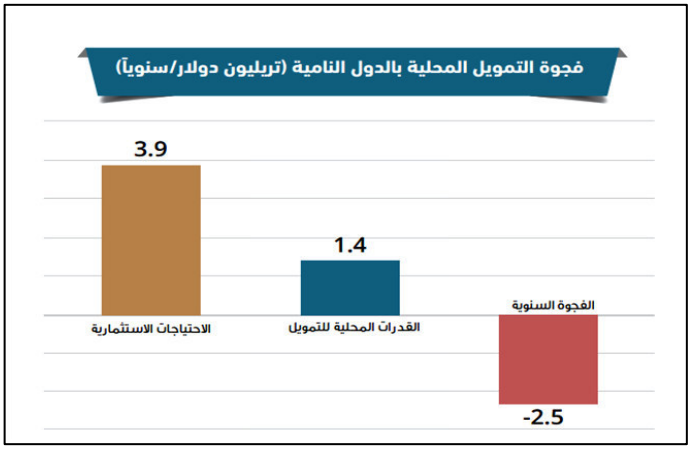
تضغط الأزمة الراهنة بشكل متزامن على الموازنات العامة لجميع الدول حول العالم، ففيروس كورونا قد وصل -وفق منظمة الصحة العالمية - إلى معظم الدول،موزعة على جميع قارات العالم؛ وبذلك فإن فيروس كورونا أصبح تحديا عالميا (صلاح، 2020)، ما يعني أن جميع الدول مطالبة باتخاذ

تدابير اقتصادية صارمة لتخفيف وطأته؛ حيث تجد نفسها مطالبة بإغلاق الكثير من الأنشطة الاقتصادية، والحد من حركة السكان؛ فهي مطالبة بمزيد من الإنفاق لمعالجة الخلل العميق في الدورة الاقتصادية الناتج عن ذلك الإغلاق،وتأمين احتياجات قطاع الرعاية الصحية، وفي الوقت ذاته فهي تواجه تراجعاً غير مسبوق في الإيرادات.

فتوقف أنشطة القطاع الخاص يحرم الحكومات من معظم إيراداتها من الضرائب على الأرباح، كما أن تسريح العمال، أو حتى منحهم إجازات غير مدفوعة الأجر، يحرمها من معظم إيراداتها من الضرائب على الدخل. وبالنسبة للدول التي تعتبر تحويلات عامليها في الخارخ مصدرا مهما للإيرادات بالنسبة لموازناتها، فإنها تواجه تراجعاً كبيراً في تلك التحويلات. كما أن الدول التي تبني ميزانياتها بنسبة كبيرة على المورد الواحد كالنفط مثلا أو مداخيل السياحة، فإنها تتأثر بصفة كبيرة مما يؤدي الى عجز موازناتها، كذلك تأثرات التجارة العالمية تعكس ضعف التحصيل الضريبي المفروض على الصادرات و الواردات من والى الخارخ.

وما يزيد الأمر تعقيدا؛ هو أن معظم الدول النامية في طبيعتها العادية تعاني عجوزات كبيرة في الميزانية من خلال ضعف توفير الموارد المالية لتسيير احتياجاتها الاستثمارية بالمقارنة بقدراتها المحلية للتمويل؛ كما يوضحه الشكل -2 أدناه.

شكل2. فجوة التمويل المحلية للدول النامية (تريليون دولار)



المصدر: تقرير مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة و التنمية (الاونكتاد).

مما يجعل ذلك معظمها - إن لم نقل كلها - مجبرة للاقتراض من أجل مواجهة تبعات كورونا،حيث أعلن صندوق النقد الدولي في مطلع أفريل 2020 أن 85 دولة تقدمت فعليا بطلب مساعدة (رنا، 2020)، وهذا العدد يصل الى ضعف تلك التي تقدمت بطلب مساعدة في أزمة 2008، إلا أنه مرشح للارتفاع كلّما استمر الوضع؛ ويتجلى ذلك من خلال إعلان الصندوق على لسان مديرته بلوغ عدد الطلبات 90 وذلك بعد مرور أربعة أيام فقط من إعلانه الأول (جورجيفا، 2020)، وزيادة على ذلك صرح البنك العالمي هو الآخر تسجيله 65 طلبا إضافيا (رويترز، 2020)

4. - التداعيات على أهم القطاعات

رغم أن الاقتصاد الصيني واجه في إطار عملية التصحيح الاقتصادي الهيكلي التي يتبناها،تراجعا في معدل نموه خلال العامين الأخيرين (2017- 2018) وانخفضت إنتاجيته بحوالي 2 % عام 2019،إلا أنه لا يزال يلعب دوراً محورياً في الاقتصاد العالمي كثاني أكبر اقتصاد بعد الاقتصاد الأمريكي، وكأكبر الاقتصاديات المصدرة لسلع الصناعات التحويلية التي

وطدت من خلالها الصين علاقتها كشريك تجاري رئيس لدول العالم. إلا أنه سرعان ما عاد ليتأثر وبدرجات متفاوتة بانتشار عدوى كوفيد 19 وعلى جميع الأصعدة كغيره من دول العالم الصناعية الكبرى، حيث تغيّرت المعطيات المتوقعة من حلة التفاؤل الى التشاؤم،وأصبحت النتائج السلبية تظهر في عديد الجوانب.

1.4 - تأثر مستويات النمو الاقتصادي العالمي

شهد نمو الاقتصاد العالمي تباطؤاً في حد ذاته حتى قبل ظهور فيروس كورونا نتيجة للتحديات التي تواجهه والمتمثلة في التوترات التجارية بين الصين والولايات المتحدة الأمريكية، والمخاطر الجيوسياسية، فضلاً عن تقلب الأوضاع في بعض دول العالم.

كانت المنظمات الدولية قد خفضت توقعاتها بشأن النمو الاقتصادي العالمي قبل تفشي وباء كورونا حيث عدل صندوق النقد الدولي توقعاته من 3.3 في المائة إلى 3.2 في المائة في عام 2020 في أعقاب ظهور الفيروس فيما يتجه حالياً إلى تعديل هذه التوقعات بعد انتشار فيروس كورونا أخذاً بالاعتبار تأثيره السلبي على جانبي العرض والطلب العالميين، خصوصاً بعد تباطؤ محددات الطلب العالمي المتمثلة في الاستهلاك والاستثمار العالميين، بالإضافة إلى حركة التجارة الدولية التي أُصيبت بحالة من الشلل عقب إغلاق الدول حدودها، وتقييد انتقالات السلع والأفراد، حيث أشار في هذا الصدد إلى دخول الاقتصاد العالمي في مرحلة ركود أعمق من تلك التي شهدها خلال الأزمة المالية العالمية في عام 2008(FMI, 2020) .

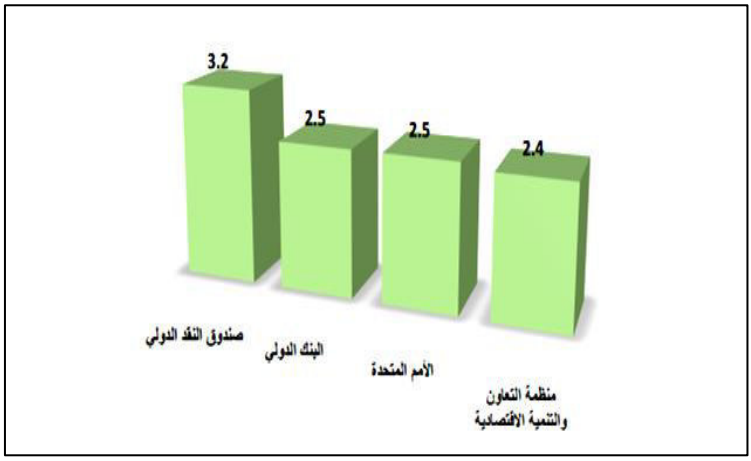
في نفس السياق، توقع البنك الدولي بأن ينمو الاقتصاد العالمي بحوالي 2.4 في المائة في عام 2020،إلا أنه أشار إلى أن حالة عدم اليقين التي تحيط بالاقتصاد العالمي مازالت قائمة،بالتالي فإن توجهات البنك الدولي(WB, 2020) تشير إلى إمكانية تعديل هذه التوقعات بما يتماشى مع الظروف الحالية والتهديدات المحتملة التي يسببها تفشي الوباء رغم الجهود الدولية والحزم التحفيزية التي أطلقتها المنظمات الدولية والحكومات والمصارف المركزية العالمية. من ناحية أخرى، أشارت منظمة الأمم المتحدة (UN, 2020) إلى أن الاقتصاد العالمي في ظل تفشي كورونا من المتوقع أن ينمو

بأقل من 2% عام 2020 مقارنة بتوقعاتها قبل ظهور الفيروس التي بلغت2.5 % مع احتمال قيام المنظمة بمزيد من التعديلات

في ظل حالة عدم اليقين الحالية (أحمد، 2020).

و كردّة فعل على تداعيات تفشي فيروس كورونا على الاقتصاد العالمي الذي يواجه حالة من عدم اليقين،وعدم الوصول حتى الآن لاكتشاف أمصال لعلاجه، اتجهت المنظمات الدولية والإقليمية لمراجعة توقعات النمو الاقتصادي لعام 2020،وتبني سيناريوهات أكثر واقعية في الآونة الأخيرة لتقييم تهديد تفشي الوباء على الاقتصاد العالمي، بناء على ذلك خفضت منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية توقعاتها للنمو العالمي الى 2.4% و الشكل الموالي يبين أهم التوقعات في ظل هذه الجائحة.

شكل3. توقعات المنظمات الدولية حول نمو الاقتصاد العالمي لعام 2020 بالنسبة المئوية

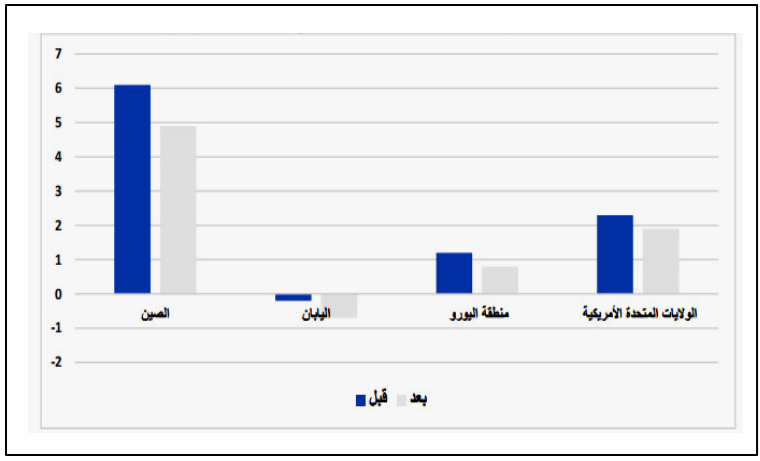


المصدر: التقارير المختلفة للمنظمات و الهيئات الدولية 2020.

و وفق تقديرات منظمة التعاون الاقتصادي لمعدل النمو الاقتصادي العالمي في إطار تقرير آفاق الاقتصاد العالمي الذي تصدره،يُعزى انخفاض النمو الاقتصادي العالمي إلى تعديل نمو الاقتصاد الأمريكي في عام 2020 نتيجة لتفشي الفيروس من2.3 % إلى 1.9 %بسبب تراجع الاستهلاك العام

الخاص، وعدم اليقين حول أسعار الأصول(OECD, 2020) ،أما في منطقة اليورو فمن المتوقع تسجيل نسبة نمو تبلغ 0.8 % عوضاً عن 1.2 % بسبب انخفاض الصادرات وتباطؤ الاستهلاك،كذلك تم تعديل معدلات نمو الاقتصاد الياباني من-0.7 % إلى 0.2- % عام 2020.كما تم تعديل معدلات نمو الاقتصاد الصيني من 6.1 % إلى 4.9 %،ولا تزال هناك مخاطر سلبية أخرى على الاقتصاد العالمي بالنظر إلى استمرار حالة عدم اليقين التي تسود العالم في هذه الفترة(OECD, 2020) وهذا ما يوضحه الشكل أدناه.

شكل4. تعديل نمو اقتصاديات الدول الكبرى قبل وبعد تفشي وباء كورونا لعام 2020 بالنسبة المئوية



المصدر: تقرير منظمة التعاون الاقتصادي و التنمية 2020.

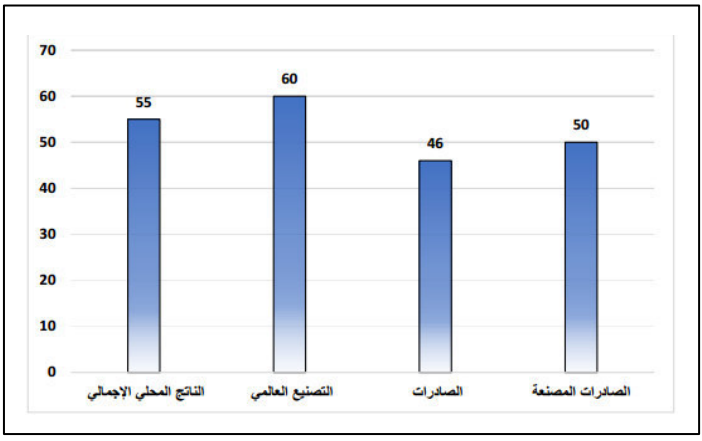
2.4 - تأثر مستويات الطلب العالمي

انتشر الفيروس في أكثر الدول العالمية مساهمة وتأثيرا في النمو الاقتصادي بداية من الصين التي تحتل مكانة اقتصادية مرموقة باعتبارها ثاني قوة اقتصادية عالميا و المهيمنة على التجارة العالمية، ثم انتشر في كل من الولايات المتحدة الأمريكية و اليابان و الاتحاد الأوربي، حيث تبلغ مساهمتهم مجتمعة

ما نسبته 55% من الناتج الإجمالي العالمي، وأكثر من 60% من إجمالي التصنيع العالمي؛ و ما يقارب 50% من صادرات المواد المصنعة حول العالم (أحمد، 2020) و بالتالي فإن أية صدمات خارجية تؤثر على الدول آنفة الذكر، تنعكس تداعياتها على سلاسل العرض في باقي دول العالم. حيث أن موجة الذّعر المرافقة للوباء و روابط انتشار العدوى داخل الدولة الواحدة؛ وبين مختلف دول العالم التي تصيب القطاع العائلي – القطاع الاستهلاكي - وقطاع الأعمال و الاستثمار تؤدي الى تباطؤ الطلب العالمي على مختلف السلع و المنتجات و الخدمات؛ مثل النفط وخدمات السياحة و النقل الجوي؛ باستثناء الطلب على المستلزمات الطبية و وسائل الكشف و الأدوية التي زاد الطلب عليها، كما تعتبر منتجات الدول الكبرى صناعيا؛ مدخلات العملية الإنتاجية لمجموعة هذه الدول في حدّ ذاتها و مدخلات لعمليات تصنيع دول أخرى،و بالتالي فإن أي صدمة عرض تنتج عن الوباء سوف تصيب العالم ككل، من خلال العدوى عبر سلاسل القيمة الدولية وبالأخص السلع الوسيطة.

في نفس السياق، يعتبر قطاع تصنيع السلع المعمرة كالسيارات، الأدوات الإلكترونية والكهربائية... الخ،من القطاعات الرئيسة في العالم، بالأخص في الاقتصاديات الناشئة التي يتمركز أغلبها في شرق آسيا مثل الصين، واليابان، وكوريا الجنوبية التي في الأساس من أوائل الدول التي أصابها الوباء، بالإضافة إلى الشركات الصناعية الكبرى في الدول الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية. عليه فإن انقطاع الإمدادات نتيجة لتفشي الفيروس، أدى إلى تباطؤ العملية الإنتاجية، وخلق صدمات عرض أكبر في دول العالم، ويوضح الشكل أدناه مساهمة مجموعة الدول الكبرى في نشاط التصنيع العالمي و الصادرات.

شكل5. مساهمة الاقتصاديات الكبرى في الاقتصاد العالمي لعام 2020 بالنسبة المئوية



المصدر: قاعدة بيانات البنك العالمي 2020.

3.4 - تأثر التجارة الدولية للسلع و الخدمات

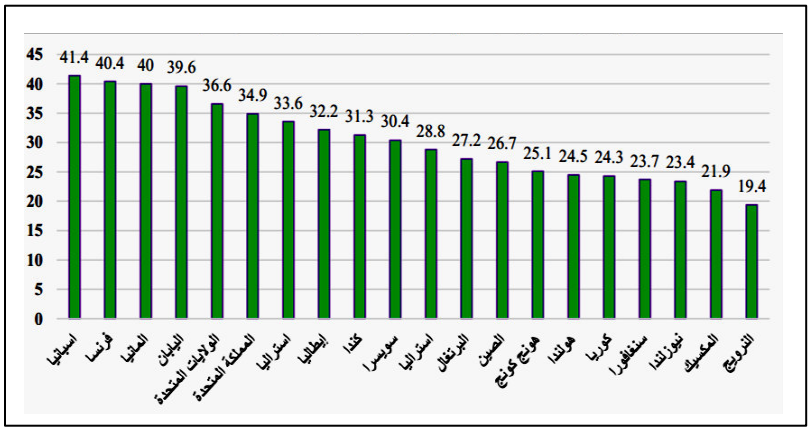
أصيبت حركة التجارة الدولية بالشلل التام بعد فترة وجيزة من تفشي فيروس كورونا مما أثر على حجم الصادرات والواردات، حيث توقعت منظمة التجارة العالمية تباطؤ حركة التجارة السلعية حول العالم في الأجل القصير نتيجة للاضطرابات الناتجة عن تداعيات الفيروس لظروف عدم اليقين وإغلاق الحدود بين الدول، بما في ذلك دول الإتحاد الأوروبي؛ لا سيما أن تفشي فيروس كورونا أثر سلباً في الأجل القصير على عدد من الخدمات المهمة التي تمثل أساساً لميزان مدفوعات الدول مثل خدمات النقل الجوي، وخدمات السياحة اللتان تعتبران من أكثر القطاعات تأثراً بتفشي الفيروس على سبيل المثال، سجل مقياس تجارة خدمات النقل الجوي للركاب ومقياس تجارة خدمات نقل السلع 93.5 و

94.3 نقطة على التوالي(WTO, 2020) ، حيث يغطي المؤشران التطورات حتى يناير 2020 ويعكسان إلى حد ما الجهود التي بُذلت في ذلك الوقت للحد من انتشار المرض، خصوصاً في الصين والدول المجاورة كاليابان وكوريا الجنوبية.

بالنسبة لقطاع السياحة، يعتبر السائحون الصينيون من أهم جنسيات السائحين في عدد من دول العالم وبالتالي فإن انتشار الفيروس من المؤكد أن يخفض الإيرادات المتوقعة لشركات السياحة حول العالم التي تُعد أسواقاً سياحية للصين من أهمها اليابان، وكوريا الجنوبية، وعدد من الدول العربية. و بالتالي التأثير على ميزان المدفوعات الذي لن ينحصر فقط في الأثر السلبي على قطاع السياحة بل سيطال كذلك قطاع الفنادق الذي سجل خسائر في الصين، حيث تم إلغاء غالبية حجوزات الفنادق بعد الإعلان عن تفشي الفيروس مما كبد القطاع السياحي في الصين خسائر فادحة (أحمد، 2020).

في هذا الصدد، من المتوقع أن يتغير ترتيب دول العالم في مؤشر تنافسية السفر والسياحة(WEF, 2020) الذي يصدره المنتدى الاقتصادي العالمي فالصين التي تحتل المركز رقم 13 بنحو 26.7 نقطة في المؤشر من المتوقع أن تتراجع في عام 2020، وكذلك الحال بالنسبة للدول التي تشهد معدلات إصابة مرتفعة بالفيروس وبالأخص دول الاتحاد الأوروبي،والولايات المتحدة الأمريكية نتيجة للضوابط والقيود التي فرضتها الدول القاضية بمنع الدخول والخروج بالإضافة إلى إغلاق المناطق السياحية والترفيهية إلى حين إشعار آخر، ووفقاً لمقياس تجارة الخدمات الصادر عن منظمة التجارة العالمية في 11مارس ،2020 من المتوقع أن يستمر ضعف معدل نمو تجارة الخدمات العالمية بسبب الفيروس، حيث من المرجح أن ينخفض أكثر في الأشهر المقبلة(WTO, 2020)

شكل6. ترتيب أكبر عشرون دولة في مؤشر تنافسية السياحة و السفر لعام 2019 (بالنقطة)



المصدر: تقرير المنتدى الاقتصادي العالمي 2020.

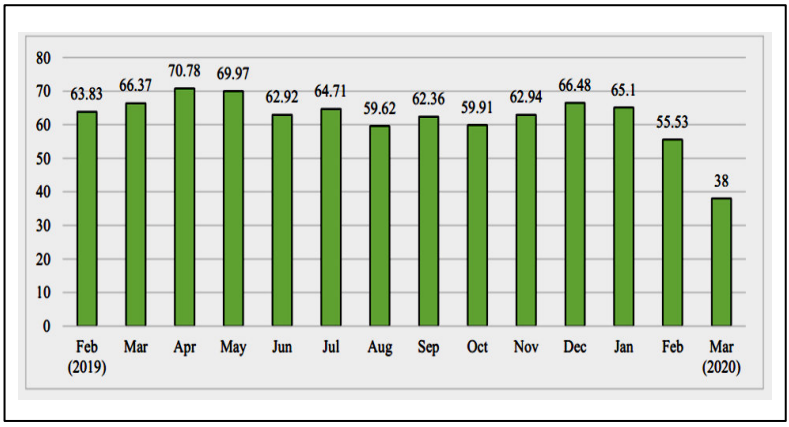
4.4 - تأثر سوق النفط والطاقة العالمي

قبل تفشي كورونا سجل الطلب العالمي على النفط انخفاضاً في عام 2019 ليصل إلى حوالي 0.083 مليون برميل يومياً بما يعكس تباطؤ النشاط الاقتصادي العالمي، وفي أعقاب انتشار فيروس كورونا، قامت منظمة الأوبك بمراجعة تقديراتها لمعدل نمو الطلب العالمي على النفط بالخفض في شهر مارس بنحو 0.06 مليون برميل في اليوم، مما يعكس تباطؤ النمو الاقتصادي العالمي المرتبط بانتشار فيروس كورونا خارج الصين.

كان لانتشار الفيروس تأثيرات سلبية على حركة النقل والطلب على الوقود في عدد من القطاعات الاقتصادية ومن أهمها الصناعة في مختلف البلدان والمناطق الأخرى خارج الصين، مثل اليابان وكوريا الجنوبية ودول منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية في أوروبا والشرق الأوسط. بناء عليه، من المتوقع أن يبلغ الطلب الإجمالي على النفط 99.73 مليون برميل في اليوم في عام 2020 من جانب آخر، تم تعديل توقعات الزيادة في مستويات المعروض النفطي العالمي في عام 2020 بمقدار 0.09 مليون برميل يومياً ليصل إلى حوالي 1.99مليون برميل يوميا(OPEC, 2020)

كما أدت الاضطرابات الناجمة عن التدابير الرامية إلى وقف تفشي الوباء في الصين إلى انخفاض حاد في الأنشطة الاقتصادية، بما في ذلك تشغيل المصافي، مما أثر على واردات النفط الخام وأسعار الشحن، و الشكل التالي يعكس هذه التغيرات.

شكل7. الأسعار العالمية للنفط (دولار)

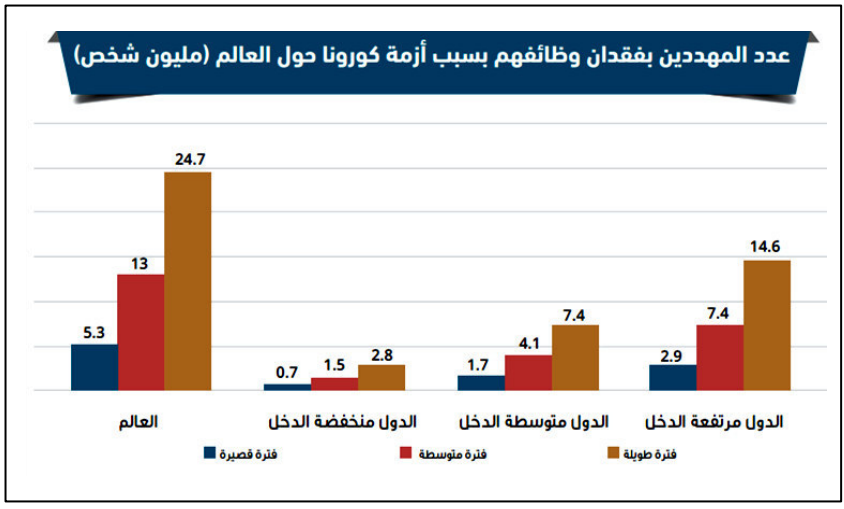


المصدر: تقرير منظمة الدول المصدرة للبترول 2020.

5.4 - تأثر سوق العمل العالمي

في هذا السياق، أشارت منظمة العمل الدولية إلى أن التداعيات الاقتصادية للفيروس قد تتسبب في فقدان ما يصل إلى 25 مليون وظيفة في العالم كون أن القوى العاملة تأثرت أولا في قطاعات السياحة و النقل، ثم جاءت القطاعات الأخرى لتتأثر لاحقا بالتدابير الاحترازية التي أعلنتها مختلف حكومات الدول عبر العالم، و التي قضت بغلق المحلات التجارية و الفضاءات التسويقية؛ علما بأن العاملين في هذه القطاعات غالبيتهم من العمالة المؤقتة و الحرّة، و استندت توقعات المنظمة على ثلاث فرضيات، الأولى متفائلة تشير إلى أن عدد العاطلين عن العمل بسبب تفشي الفيروس سيصل إلى 5.3 مليون عاطل،في حين تشير الفرضية الثانية غير المتفائلة إلى فقدان 24.7 مليون شخص وظائفهم في الفترة القادمة، أما الفرضية المعتدلة فتتوقع أن يصل عدد الوظائف المفقودة إلى 13مليون وظيفة، والشكل رقم:8 يوضح ذلك

شكل8. فرضيات عدد العاطلين عن العمل بسبب كورونا (مليون عاطل)



المصدر: تقرير منظمة العمل الدولية 2020.

5. - الطفرة النوعية للاقتصاد الافتراضي

أدت حالة العزلة الجبرية التي اضطرت العديد من الحكومات إلى فرضها على سكانها، إلى تقييد حركة العمالة،ومنع العمل والإنتاخ بالأساليب التقليدية، وتقييد حركة المستهلكين، والحد من قدرتهم على الوصول إلى الأسواق، ومن ثم ظهرت الحاجة إلى تغير طرق العمل، وكذلك طرق توصيل المنتج إلى المستهلك، ويفي ذلك باختفاء أنشطة اقتصادية وظهور أنشطة أخرى بديلة لها؛ وسيكون الاعتماد في الأساس على الأنشطة التي تعتمد على التواصل عن بعد عبر الإنترنت، ومن هنا فمن المتوقع أن تؤدي الأزمة الراهنة إلى تخفيف القيود على الأنشطة التجارية والاقتصادية من خلال تلك الوسائط، بما يساعد على تحول حياة البشر شيئاً فشيئاً إلى الافتراضية(Katherine, 2020) .

وتتيح هذه الظروف الفرصة لظهور وتطور الأنشطة الاقتصادية التي تعتمد في الأساس على شبكة الإنترنت كوسيلة للوصول إلى المستهلك (Elizabeth, 2020).

1.5 - العمل و التعليم عن بعد

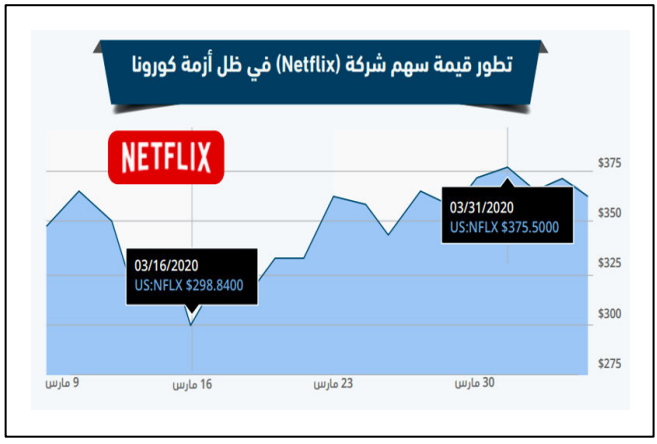
دفعت أزمة كورونا إلى تغير الكثير من أساليب العمل وأصبح العمل عن بعد الخيار الرئيسي للمؤسسات الحكومية والشركات الخاصة على مستوى العالم كما فرضت الأزمة على الحكومات إغلاقا كاملا لمعظم المدارس والجامعات على المستوى العالمي، فأصبح الاعتماد الأساسي منصباً على آليات التعليم عن بعد، كوسيلة لاستكمال الأنشطة التعليمية منذ بداية الأزمة، وهذه الظروف أدت إلى زيادة كبيرة وغير مسبوقة في الطلب على برامج وتكنولوجيا العمل والتعليم عن بعد، ما منح الشركات المنتجة لتلك التكنولوجيا فرصة لتحقيق مكاسب استثنائية؛ وقد انعكس ذلك بالفعل على أسعار أسهم هذه الشركات في البورصات العالمية، كما حدث بالنسبة لشركة – Zoom vidéo communications– الأمريكية المنتجة لبرنامج Zoom الذي يستخدم في إجراء المؤتمرات عن بعد والذي شهد أيضاً اتجاه العديد من المؤسسات التعليمية حول العالم إلى الاعتماد عليه في تقديم خدماتها عن بعد، لما يوفره من مرونة وسهولة كبيرة في التعامل. وقد أدى ذلك إلى ارتفاع سهم الشركة الأمريكية في بورصة ناسداك من نحو 70 دولاراً في بداية العام إلى 150 دولاراً في 23 مارس 2020 ،وبنسبة ارتفاع بلغت 114.3% (Zoom, 2020)

شهد ذلك اليوم 2.3 مليون عملية تنزيل وتثبيت لبرنامج حول العالم،بعد أن كان معدل التنزيل اليومي له يقدر بنحو 56 ألف عملية خلال شهر جانفي من نفس السنة. ونتيجة لهذه التطورات قفزت قيمة الشركة آنذاك بنحو 42 مليار دولار، بما يمثل نحو ثمانية أضعاف قيمة شركة الخطوط الجوية البريطانية، وقد ازداد الطلب على أسهم تلك الشركة في بورصة ناسداك بنسبة تصل إلى (Rupert, 2020)1500%

2.5 - طلب متزايد على الترفيه الالكتروني

شهدت منصات الترفيه الإلكتروني في العالم، زيادة في الاستخدام بنسبة 20%، وعلى وجه الخصوص خلال عطلات نهاية الأسبوع، حيث بعثت جائحة كورونا نشاط شركة Netflix على سبيل المثال وبوتيرة كبيرة، وكان سهم الشركة من الأسهم الأمريكية القليلة التي تم رفع تقييمها بالفعل هذا العام. وتظهر البيانات التفصيلية لأداء السهم أنه شهد تطورا كبيرا بداية من تطبيق التباعد الاجتماعي حول العالم، فارتفعت قيمته من 295.84 دولار للسهم يوم 16 مارس الماضي،إلى 375.5 دولار للسهم في نهاية الشهر نفسه،بزيادة تبلغ نحو 80 دولار في قيمة السهم الواحد، وبنسبة ارتفاع بلغت 25.7% والشكل التالي يبين ذلك.

شكل9. تطور سهم Netflix في ظل أزمة كورونا



Source: NASDAQ Market Watch

3.5 - طفرة التجارة الالكترونية

حققت أسهم شركات تجارة التجزئة ارتفاعات كبيرة في البورصات العالمية، وتعتر شركة أمازون الأمريكية من أهمها، فقد ارتفعت أسهم الشركة من 1676 دولار في 12 مارس إلى 1963 دولارا في 30

مارس، بمكاسب تبلغ287دولار للسهم الواحد،وبنسبة ارتفاع تبلغ 17.2% ونتيجة للطلب الكبر على خدماتها فقد قالت الشركة"نلاحظ زيادة في المشتريات عبر الإنترنت، مما أدى إلى نفاد مخزون بعض المواد المنزلية الأساسية والمستلزمات الطبية" كما أعلنت الشركة أيضا عن تعين موظفين جدد من أجل التمكن من تلبية طلبات الناس المتزايدة على خدماتها(Amazon, 2020) .

6. - خاتمة:

من خلال التحليل السابق و الاحصائيات الناجمة عن التداعيات الحاصلة على الاقتصاديات العالمية والعربية على عدد من الجوانب والقطاعات الاقتصادية التي تأثرت جراء تفشي فيروس كورونا، وعلى خلاف الصدمات الأخرى على مر التاريخ والتي كانت تؤثر على أحد جانبي الاقتصاد الكلي سواء العرض أو الطلب؛ يتبين أن فيروس كورونا قد أثر بصورة مباشرة على جانبي الطلب والعرض معاً.

مما يستدعي استجابة واسعة على صعيد السياسات النقدية والمالية لدعم الطلب وتوفير التمويل اللازم للقطاعات المختلفة والأكثر تضررا من تفشي الفيروس، بالتالي تعتبر الاستجابة المالية الفورية ضرورية جدا وذلك من خلال تعزيز الإنفاق على قطاع الخدمات الصحية، ورعاية المرضى، والحد من انتشار الوباء، حيث أعلنت الحكومات في هذا الصدد، سياسات وإجراءات مشددة في مواجهة فيروس كورونا والحد من انتشاره مثل فرض حظر التجوال في بعد الدول، وإغلاق الأماكن الترفيهية ودور العبادة، فضلا عن العمل عن بعد في الدوائر الحكومية بما نسميه مبدأ الإدارة الالكترونية وغيرها من السبل.

أما على المستوى الاقتصادي، فقد جاءت السياسات التي أطلقتها دول العالم تحفيزية من خلال حزم الدعم المالي عن طريق مصارفها المركزية أو من خلال إنشاء صناديق تمويلية وحسابات، وكذلك الاعتماد على التكنولوجيات الحديثة في توزيع السلع و الخدمات على غرار التجارة الالكترونية عبر مواقع و فضاءات الانترنيت.

حيث فرضت جائحة الكورونا نمط عمل جديد و أرست بوادر نظام اقتصادي عالمي جديد بعيد عن مبادئ الأنشطة التقليدية، كما عزّزت استعمال التكنولوجيا في جميع قطاعات النشاط الاقتصادي و التجاري و الإداري، فهي بذلك تفتح آفاقا للعالم الجديد عالم ما بعد كورونا، عالم أكثر قوة واستقرار في مواجهة الأزمات مهما كانت طبيعتها.

قائمة المراجع:

- أحمد طلحة الوليد (2020)، التداعيات الاقتصادية لفيروس كورونا المستجد على الدول العربية، صندوق النقد العربي، أفريل 2020،ص 11 .

- بلاك روك(2020)، تريليون دولار انخفاض متوقع بالناتج العالمي خلال النصف الأول من 2020،مجلة أموال الغد، 1أبريل 2020،العدد 15، ص 49.

- رنا عبد الحكيم (2020)، 85 دولة تطلب مساعدات عاجلة من صندوق النقد، صحيفة الرؤية، 1أبريل 2020، موجود على الرابط التالي:

https://bit.ly/2UD-Fxor

- علي صلاح (2020)، ملامح جديدة للاقتصاد العالمي في مرحلة ما بعد كورونا، مجلة دراسات خاصة،الإمارات العربية المتحدة،العدد 4، 13 أفريل 2020، ص 37.

- كريستينا جورجيفا (2020)، جائحة كورونا أسوأ بكثير من الأزمة المالية العالمية، صندوق النقد الدولي، 3أبريل 2020،ص 12.

- تقرير وكالة رويترز (2020)، البنك الدولي يوافق على 1.9 مليار دولار كأول تمويل طارئ لمواجهة جائحة كورونا،2 أفريل 2020، متوفر على الرابط: https://bit.ly/3462W4N

- صندوق النقد الدولي (2009)، تقرير الاستقرار المالي العالمي، واشنطن، أبريل 2009، ص 1.

-Elizabeth Bradley (2020), A boon to virtual reality, Politico Magazine, March 19, 2020, Available at: https://politi.co/2x5srqW

-IMF (2020), "IMF Makes Available $50 Billion to Help Address Coronavirus", March 2020. Available at:

https://www.imf.org/en/News/Articles/2020/03/04/sp030420-imf-makes-available-50-billion-tohelp-address-coronavirus.

-ILO (2020), How will COVID-19 affect the world of work, March., Available at: https://ilo.org

-Katherine Mangu-Ward (2020), Regulatory barriers to online tools will fall, Politico Magazine, March 19, 2020, Available at: https://politi.co/2x5srqW

-NASDAQ Market Watch (2020), Amazon.com Inc April 6, 2020, Available at: https://on.mktw.net/2RdRA9w

-OECD (2020), Coronavirus: The world economy at risk, OECD Interim Economic Assessment, March.

-OPEC (2020), Monthly Oil Report, March 2020, Available at: https:// www.OPEC.org/en/news/press-release

Rupert Neate (2020), Zoom booms as demand for video-conferencing tech grows, The Guardian, March 21, 2020, Available at: https://bit.ly/2UIEqDU

-Tom Orlik, Jamie Rush, Maeva Cousin and Jinshan (2020), Hong Coronavirus Could Cost the Global Economy 2.7 Trillion$. Here's How, Bloomberg, March 6, 2020, p:25-37

-UN (2020) , World Economic Situation and Prospects 2020, Jan, April 2020, p: 55-57.

-UNWTO (2020), UNWTO Statement on The Novel Coronavirus Outbreak, World Tourism Organization, Jan 2020.

-World Economic Forum (2020), The Travel & Tourism Competitiveness Report, 2019.

-World Bank (2020), Global Economic Prospects: Slow Growth and Policy Challenges, Janury, Available at:

https://www.worldbank.org/en/news/press-release

-World Bank (2020), World Bank Group Increases COVID-19 Response to $14 Billion To Help Sustain Economies, Protect Jobs, Available at: https://bloom.bg/38CLyVP

-WTO (2020), New WTO indicator finds services trade weakening into second half of 2019, Services Trade Barometer, Sep 2019, p: 10

-Zoom Technologies Inc(2020), NASDAQ Market Watch, April 6, 2020, Available at: https://on.mktw.net/2V3JLEK

مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ر ت م د: 7163 -1112 ر ت م د إ:1892-2588
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2

قياس العلاقة بين التجارة الخارجية والنمو الاقتصادي في الجزائر خلال الفترة 1970-2019

Measuring the relationship between foreign trade and economic growth in Algeria during the period 1970 - 2019

بن البار امحمد

1- كلية العلوم الاقتصادية والعلوم التجارية وعلوم التسيير جامعة محمد بوضياف - المسيلة - (الجزائر)، m'hamed.benelbar@univ-msila.dz

تاريخ الاستلام: 2020/05/04 تاريخ القبول: 2021/10/21

ملخص -

هدفت هذه الدراسة إلى قياس العلاقة بين التجارة الخارجية والنمو الاقتصادي في الجزائر خلال الفترة 1970– 1920، وتم إستخدام الطرق الإحصائية الحديثة في السلاسل الزمنية والمتمثلة في تقدير نموذج تصحيح الخطأ غير المقيد للانحدار الذاتي ذو الإبطاء الموزع((ARDL)، ومن أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة:

- أشار اختبار الحدود للتكامل المشترك(Bound Test Approach) من خلال F-statistic، إلى وجود تكامل مشترك بين التجارة الخارجية والنمو الاقتصادي، من خلال قيمة إحصاءة F- المحسوبة أكبر من القيمة الحرجة العليا عند مستوى معنوية، 1%،2.5%و5% و10% ؛ وجود أثر ايجابي للواردات والصادرات على النمو الاقتصادي في الأجل القصير والطويل، وذا دلالة إحصائية، هذا يدل أنه كلما ارتفعت الواردات والصادرات، سيؤديان إلى إرتفاع النمو الاقتصادي.

المؤلف المرسل: بن البار امحمد : m'hamed.benelbar@univ-msila.dz

الكلمات الدالة: النمو الاقتصادي، الواردات، الصادرات، التكامل المشترك، منهج الانحدار الذاتي لفترات الإبطاء الموزعة (ARDL).

Abstract:

This study aimed Measuring the relationship between foreign trade and economic growth in Algeria during the period1970-2019, we used the latest statistical methods have been modern in time series of estimation of the unrestricted regression error correction model (autoregressive Distribution lag (ARDL), The Most Important Findings of this study:

- The Bound test approach of cointegration through the F Statistic indicates that there is a cointegration between the foreign trade and economic growth independent variables. The calculated F Statistic was greater than the critical value at the levels of 1%, 5% and 10% respectively ;there is a positive effect imports and exports on GDP, and a statistical significance, this indicates that the imports and exports increase will lead to economic growth.

-

Key words:

Economic growth, Imports, exports, co-integration, ARDL.

1. - مقدمة -

تحتل التجارة الخارجية والعلاقات الإقتصادية الدولية أهمية كبيرة في الإقتصاد العالمي وحركته في الوقت الحاضر، حيث يلاحظ أن التجارة الخارجية تحتل أهمية كبيرة في اقتصاديات الدول المتقدمة من خلال إرتفاع نسبة التجارة الخارجية(إستيرادا وتصديرا) إلى الدخل والناتج الوطني، وكذلك من خلال إعتماد جزء هام وأساس من نشاطاتها على هذه التجارة سواء إتصل الأمر بحصولها على بعض السلع والخدمات التي تحتاجها، وتوفير المستلزمات المطلوبة للقيام بنشاطاتها الإنتاجية، أو تصريف إنتاج من السلع والخدمات، والتحفيز من خلال ذلك على التوسع في إنتاجها.

كما أن هناك رأى لبعض من الإقتصاديين أن التجارة الخارجية تسهم في تحقيق النمو الإقتصادي بالنسبة للدول النامية من خلال نقل التقدم التقني

فضلا عن تعزيز الطاقة الإستيرادية لها بتوفير احتياجات التنمية الإقتصادية والإرتفاع بمستوى المعرفة الفنية والمهارات البشرية وكذلك تشجع إستيراد رأس المال الأجنبي. وتعتمد الدول في تطبيق سياساتها في مجال توطيد علاقاتها الإقتصادية الدولية خاصة في مجال التجارة الخارجية على السياسات التجارية، والتي تتراوح دوما بين أوضاع تتميز بدرجة أكبر من الحرية وأخرى بدرجة أكبر من الحماية، حسب طبيعة توجه الدول الإقتصادي.

والجزائر كغيرها من الدول أولت أهمية معتبرة للتجارة الخارجية من خلال القيام بجملة من الإصلاحات، وقد إعتمدت إستراتجيات تنموية لعبت فيها التجارة الخارجية دورا مهما سواء من ناحية الواردات أو من ناحية الصادرات، وباعتبار أن قوة النشاط الإقتصادي يمثل جزءا هاما منه في تحديد نوعية ونسبة الواردات والصادرات، لما لذلك من تأثير كبير على مسار التنمية الإقتصادية. كما أنها تساهم في نمو مكونات الناتج المحلي الإجمالي، وتعزز المستوى المعيشي للأفراد من خلال إنفاقهم الإستهلاكي على السلع والخدمات المستوردة، إضافة إلى أنها ترفع مستوى الإستثمار المحلي وزيادة المقدرة الإنتاجية للقطاعات الإقتصادية من خلال السلع الرأسمالية الأجنبية .وانطلاقا من العرض السابق تبرز لنا معالم إشكالية هذه الدراسة والتي يمكن صياغتها في التساؤل التالي:

ما طبيعة العلاقة بين التجارة الخارجية والنمو الإقتصادي في الجزائر خلال الفترة (1970 -2019)؟

وللإجابة على الإشكالية قمنا بطرح مجموعة من الأسئلة الفرعية والتي تتمثل فيما يلي:

- ماذا نعني بالتجارة الخارجية والنمو الإقتصادي؟
- هل هناك علاقة تكامل مشترك بين التجارة الخارجية والنمو الإقتصادي؟
- هل توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين التجارة الخارجية والنمو الاقتصادي؟

فرضيات الدراسة

لدراسة إشكالية الموضوع طرحت جملة من الفرضيات على النحو التالي:

- قد تكون هناك علاقة تكامل مشترك بين التجارة الخارجية والنمو الإقتصادي في الجزائر، خلال فترة الدراسة.

- قد تكون هناك علاقة ذات دلالة إحصائية بين التجارة الخارجية والنمو الإقتصادي في الجزائر، خلال فترة الدراسة.

أهداف الدراسة

تهدف الدراسة إلى إبراز العلاقة بين التجارة الخارجية والنمو الإقتصادي في الجزائر، بإتباع أسلوب التحليل الوصفي وأسلوب التحليل الكمي القياسي لتبيان العلاقة، وذلك على ضوء بيانات سنوية بهدف الوقوف على الجوانب التالية:

- تحليل العلاقة بين التجارة الخارجية والنمو الإقتصادي في الجزائر، خلال فترة الدراسة.
- إبراز دور الأساليب الكمية في قياس العلاقة بين التجارة الخارجية والنمو الإقتصادي في الجزائر، خلال فترة الدراسة.

حدود الدراسة

- الإطار المكاني: تم إجراء هذه الدراسة على مستوى الإقتصاد الجزائري.

- الإطار الزماني: لقد تم تحديد فترة الدراسة (1970 -2019).

منهج الدراسة

لمعالجة هذا الموضوع نستخدم الطرق القياسية والإحصائية الضرورية لدراسة العلاقة بين التجارة الخارجية والنمو الإقتصادي في الجزائر، وللوصول إلى نتائج من خلال تطبيق خطوات النماذج القياسية، وسيتم الاستعانة ببرنامج E-views.10 لاستخراج النتائج والقيام بالاختبارات اللازمة.

الدراسات السابقة

هناك العديد من الدراسات السابقة التي تناولت العلاقة بين التجارة الخارجية والنمو الإقتصادي، ومن أهم هذه الدراسات سواء باللغة العربية أو اللغة الأجنبية والتي تناولت موضوع الدراسة من زوايا مختلفة نذكر ما يلي:

1 - دراسة(جابر أبو جامع،2016) بعنوان" أثر التجارة الخارجية على النمو الإقتصادي والتنمية في فلسطين ": هدفت هذه الورقة البحثية إلى دراسة أثر التجارة الخارجية على النمو الإقتصادي والتنمية في فلسطين خلال الفترة 1995 - 2014 ، باستخدام طريقة المربعات الصغرى العاديةOLS، واختبار جرانجر للعلاقة السببية لتحديد اتجاه العلاقة بين المتغيرات محل الدراسة. وتوصلت نتائج الدراسة إلى وجود أثر معنوي وإيجابي للواردات والصادرات على النمو الاقتصادي، كما أنه توجد علاقة سببية في إتجاه واحد من النمو الاقتصادي إلى الصادرات، وعلاقة سببية في إتجاه واحد من الواردات إلى الصادرات.

2 -دراسة(كامل علاوي كاظم الفتلاوي، أسعد رحيم شاكر،2016) بعنوان" العلاقة السببية بين التجارة الخارجية والنمو الإقتصادي في العراق ": هدفت هذه الورقة البحثية إلى دراسة العلاقة السببية بين التجارة الخارجية والنمو الإقتصادي في العراق خلال الفترة 1980 - 2013 ، باستخدام اختبار انجل - جرانجر للتكامل المشترك لوجود العلاقة طويلة الأجل بين متغيرات الدراسة، واختبار سببية جرانجر من أجل تحديد إتجاه السببية بين المتغيرات، حيث يظهر هذا الاختبار اتجاه العلاقة السببية فيما إذا كانت بإتجاه واحد أو بإتجاهين متبادلين. وتوصلت نتائج الدراسة إلى وجود العلاقة بين النمو الناتج المحلي الإجمالي والصادرات، والنمو الناتج المحلي الإجمالي وصافي التجارة الخارجية علاقة سببية تبادلية.

3 – دراسة(Justyna Kogut,2016) بعنوان" The impact of foreign trade on Poland's economic growth ": هدفت هذه الورقة البحثية إلى دراسة تأثير التجارة الخارجية على النمو الإقتصادي لبولندا خلال الفترة 2006 -2015، باستخدام متجه نموذج شعاع الانحدار الذاتي Vector Autoregressive(VAR)، وتوصلت نتائج الدراسة إلى أن تأثير الصادرات والواردات ذات دالة إحصائية على الناتج المحلي الإجمالي ؛ كما أن تأثير الصادرات بدرجة أكبر من تأثير الواردات على الناتج المحلي الإجمالي.

4 -دراسة (طالب دليلة، 2018) بعنوان" أثر الصادرات والواردات على النمو الإقتصادي في الجزائر في ظل التطورات العالمية الراهنة ": هدفت هذه الورقة البحثية إلى دراسة قياس تأثير الانفتاح التجاري على النمو الإقتصادي في الجزائر خلال الفترة 1990 -2016، باستخدام طريقة المربعات الصغرى المصححة كليا(Fully-Modified OLS)، وهي إحدى طرق التكامل المشترك، وتوصلت نتائج الدراسة أن مؤشرات الانفتاح التجاري كان لها أثر سلبي ومعنوي على النمو الإقتصادي في الجزائر.

5 -دراسة (SYZDYKOVA A. and all,2019) بعنوان" The Effect of Export and Imports on National Income In Kazakhstan: Econometric Analysis " هدفت هذه الورقة البحثية إلى دراسة أثر الصادرات والواردات على الدخل الوطني في كازاخيستان خلال الفترة Q1-2017Q42000، باستخدام نموذج الانحدار الذاتي للفجوات الزمنية الموزعة المتباطئة (ARDL) للتكامل المشترك لدراسة العلاقة قصيرة وطويلة الأجل بين المتغيرات، وتوصلت نتائج الدراسة إلى أن الزيادة في كل من الصادرات والواردات من الناتج المحلي الإجمالي، أي التجارة الخارجية تساهم بشكل كبير في نمو اقتصاد، أي زيادة الصادرات والواردات في الأجل الطويل تؤدي إلى زيادة الناتج المحلي الإجمالي. في حين أن تأثير الصادرات على الأجل الطويل أقوى من التأثير قصير الأجل. كما أن الواردات لها تأثير سلبي على النمو الإقتصادي في

المدى القصير ولها تأثير إيجابي على الأجل الطويل. وبالمثل ، كانت مرونة الدخل للواردات إحصائيا كبير وإيجابي.

6 – دراسة(Nancy Cynthia Chibaya,2020) بعنوان" The Impact of Foreign Trade on Malawi Economic Growth": هدفت هذه الورقة البحثية إلى دراسة أثر التجارة الخارجية على النمو الإقتصادي في ملاوي خلال الفترة 1961 – 2016، باستخدام طريقة المربعات الصغرى العاديةOLS، واختبار واختبار التكامل المشترك لجوهانسن. وتوصلت نتائج الدراسة إلى وجود علاقة تكامل مشترك بين الصادرات والواردات والناتج المحلي الإجمالي، كما وجد أن الواردات والصادرات على لهما تأثير إيجابي على النمو الاقتصادي.

ما تميزت به هذه الدراسة عن الدراسات السابقة: من خلال الاطلاع على الدراسات السابقة، في كونها تشترك مع الدراسة الحالية في إشكالية وهدف الدراسة، ومن حيث البيئة مع إختلاف الحيز الزماني لهذه الدراسات، أما بقيت الدراسات تتشابه معها من حيث الهدف، والتي تمحورت حول قياس العلاقة بين التجارة الخارجية والنمو الاقتصادي، باستخدام أدوات تحليلية وقياسية مختلفة، وذلك لقياس العلاقة بين التجارة الخارجية والنمو الاقتصادي، رغم إختلاف الحدود المكانية والزمانية وأدوات القياس المستعملة، فأغلب هذه الدراسات توصلت إلى وجود أثر إيجابي للصادرات والواردات على النمو الاقتصادي، وبعض الدراسات توصلت إلى أثر سلبي. وقد إستفاد الباحث من تلك الدراسات السابقة في تحديد محاور الدراسة ومعرفة طبيعة العلاقة بين التجارة الخارجية والنمو الاقتصادي. ورغم الإختلاف الموجود بين هذه الدراسات التي تم عرضها إلا أن معظمها أجمعت على وجود علاقة بين التجارة الخارجية (الصادرات والواردات) والنمو الاقتصادي.

2. - الإطارى النظري

1.2. - مفهوم التجارة الخارجية

تعددت تعار يف التجارة الخارجية إلا أننا سنكتفي بإعطاء أبرز المفاهيم فيما يلي:

- تتمثل في المبادلات التجارية الدولية في صورها الثلاثة المتمثلة في انتقال السلع والأفراد ورؤوس الأموال، تنشأ بين أفراد يقيمون في وحدات سياسية مختلفة أو بين حكومات ومنظمات اقتصادية تقطن بدول مختلفة(رشاد وآخرون، 2001).

- تتمثل في عملة التبادل التجاري للسلع والخدمات وغيرها من عناصر الإنتاج المختلفة بين عدة دول، بهدف تحقيق منافع متبادلة لأطراف التبادل(شعيب وزهرة، 2010).

- يمكن إعطاء تعريف شامل للتجارة الخارجية بأنها: أحد فروع علم الاقتصاد يختص بدارسة الصفقات الاقتصادية الجارية عبر الحدود الوطنية.

2.2. -مفهوم النمو الاقتصادي

هناك عدة تعاريف للنمو الاقتصادي، وبالتالي يمكن أن نعرفه على أنه "عبارة عن معدل زيادة الإنتاج أو الدخل الحقيقي في دولة ما خلال فترة زمنية معينة"(محمد موسى،2006). ويعكس النمو الاقتصادي التغيرات الكمية في الطاقة الإنتاجية ومدى إستغلال هذه الطاقة، فكلما إرتفعت نسبة إستغلال الطاقة الإنتاجية المتاحة في جميع الطاقات الإقتصادية إزدادت معدلات النمو في الدخل الوطني. كما أن النمو الاقتصادي"يعني حدوث زيادة في متوسط نصيب الفرد من الدخل الوطني الحقيقي وليس النقدي"(محمد احمد، 2008).

الدخل الحقيقي= الدخل النقدي على المستوى العام للأسعار

كما يعرف النمو الاقتصادي بأنه" الزيادة المستمرة في كمية السلع والخدمات المنتجة من طرف الفرد في محيط اقتصادي معين "(Jean, 1999)، كما يقصد به كذلك"حدوث زيادة في إجمالي الناتج المحلي أو إجمالي

الدخل القومي بما يحقق زيادة في متوسط نصيب الفرد من الدخل الحقيقي "(محمد وايمان،2003).

2.4. -العلاقة بين التجارة الخارجية والنمو الاقتصادي

تعتبر التجارة الخارجية أداة هامة لتحقيق النمو الاقتصادي، ومن ثم فإنه يتعين على الدول المتخلفة أن تعمل للإستفادة من هذا الدور التي تقوم به التجارة الخارجية، عن طريق إتباع سياسات تجارية متحررة تمكنها من الإستفادة من التجارة كقطاع قائد للتنمية. وتعمل التجارة الخارجية في هذه الحالة على المساهمة في زيادة تنمية قطاعات الإنتاج المختلفة، عن طريق تنمية قطاعات التصدير أولا ثم إنتقال آثار ذلك لبقية قطاعات الاقتصاد الوطني.

للصادرات دور كبير في النمو الاقتصادي، فمن ناحية تساهم في زيادة الدخل الوطني من خلال الموارد المعطلة، وعلاقات المدخلات والمخرجات والتقدم التكنولوجي. ومن ناحية أخرى، يؤدي نمو الصادرات بمعدلات متزايدة إلى التوازن في ميزان المدفوعات في مراحل التنمية الاقتصادية. كما أن الواردات تساهم في توفير متطلبات النمو الاقتصادي، وهي بمثابة عملية تسرب، إلا أنها تساهم في نمو الدخل الوطني بشكل غير مباشر عن طريق تمكين الاقتصاد الوطني من مواجهة أعباء التنمية، من حيث التموين بالمواد والسلع الصناعية، وكذلك السلع الاستهلاكية، وهذا بهدف زيادة وتوسيع الإنتاج وتوزيعه.

فمن المعروف أن قطاعات الاقتصاد الوطني لا تنمو كلها في نفس الوقت وبنفس السرعة، بل على العكس من ذلك فإن بعض القطاعات الرائدة قد تحرك الاقتصاد القومي وتقوده، وقد يؤدي توسع قطاع ما إلى نمو قطاع آخر، مما يحفز بدوره قطاعا ثالثا على النمو، وهكذا(عبد السلام،1997/1996). كما أن أهم ميزة تضيفها التجارة الخارجية لدولة ما مع العالم الخارجي، هي أن قيام هذه التجارة يسمح لها بسد العجز الذي تعاني منه محدودية مواردها خاصة، الطبيعية و البشرية. وتركيز جهدها الإنمائي في المجالات التي تكون لها فيها ميزة، وهذا يتضح أن التجارة الخارجية عصب التنمية الاقتصادية،

خاصة في الدول النامية نظرا لإعتمادها الكبير على السوق العالمي، وطبيعة تركيب اقتصادها.

3. - قياس العلاقة بين التجارة الخارجية والنمو الاقتصادي في الجزائر خلال الفترة(1970 -2019)

1.3. - عرض المتغيرات والبيانات ودراسة إستقرارية السلاسل

1.1.3. - نموذج الدراسة

للقيام بالدراسة التطبيقية يحتاج البحث إلى معطيات، فلقد تحصلنا على المعطيات السنوية(1970 -2019) من البنك الدولي.

ويمكن صياغة نموذج الدراسة في شكله القياسي على النحو التالي:

$$Gdp_i = \alpha_0 + \alpha_1 Xp_{1i} + \alpha_2 Mp_{2i} + u_i .....(1)$$

حيث أن:

i: يمثل رقم المشاهدات وهو يعبر عن سنوات الفترة 19702019-.

Gdp : النمو في نصيب الفرد من إجمالي الناتج المحلي (٪).

Mp : واردات السلع والخدمات (نسبة النمو).

Xp: صادرات السلع والخدمات (نسبة النمو).

u_i :الخطأ العشوائي.

α_0: تمثل الحد الثابت، α_1، α_2: تمثل معاملات استجابة المتغير التابع للمتغيرات التفسيرية على التوالي.

بوضع المعادلة المستهدفة (1) في صيغة نموذج تصحيح الخطأ غير المقيد للانحدار الذاتي ذو الإبطاء الموزع *Autoregressive Distribution Lag* (*Bounds Test (ARDL*) الذي يتضمن لوغاريتم الناتج المحلي الإجمالي كمتغير تابع، والذي يكون دالة في : الفرق الأول للقيمة المبطأة للمتغير التابع والفرق الأول للقيم المبطأة والحالية للمتغيرات التفسيرية، وتركيبة خطية من المستويات المبطأة للمتغير التابع والمتغيرات المستقلة نحصل على المعادلة التالية:

$$\Delta Gdp_t = c_0 + B_0 Gdpr_{t-1} + B_1 Xp_{t-1} + B_2 Mp_{t-1} + \sum_{i=1}^{p-1} \varphi_i \Delta Gdp_{t-i} + \sum_{j=0}^{q-1} \delta_j \Delta Xp_{t-j} + \sum_{j=0}^{q-1} \delta_j \Delta Mp_{t-j} + \mu_t \ldots\ldots\ldots\ldots\ldots\ldots\ldots (2)$$

حيث أن: c_0: الحد الثابت، t: الاتجاه الزمني.

الهيكل الديناميكي للأجل القصير لفروق المتغير التابع والمتغيرات المستقلة المبطأة وضعت لتضمن أن البواقي u_t متغير عشوائي بمتوسط صفر وتباين ثابت.

ومن أجل اختبار علاقة توازنية طويلة الأجل بين المتغير التابع والمتغيرين المفسرين في المعادلة (2)، نحسب احصاءة $F-$ لفرض العدم المشترك القائل بأن:

$$H_0 : \beta_0 = 0,..\beta_1 = 0,..\beta_2 = 0.$$

نختبر فرض العدم من خلال استبعاد متغيرات المستوى المبطأ في المعادلة(2) مقابل الفرض البديل بأن:

$$H_1 : \beta_0 \neq 0,..\beta_1 \neq 0,..\beta_2 \neq 0.$$

إذا كانت قيمة احصاءة F- اكبر من الحد الأعلى للقيمة الحرجة، نرفض فرض العدم(أي توجد علاقة تكامل مشترك)، وإذا كانت أقل من الحد الأدنى يقبل فرض العدم. بالإضافة إلى ذلك، إذا كانت قيمة احصاءة t- المحسوبة لمستوى المتغير التابع المبطأ معنوية فهذا يدعم فرضية وجود علاقة تكامل مشترك.

في حالة وجود علاقة تكامل مشترك بين المتغيرات، نستخدم أسلوب($ARDL$) لتقدير نموذج تصحيح الخطأ (ECM). معاملات علاقة الأجل الطويل المشتقة من المعادلة(2) يمكن الحصول عليها كما يلي:

$$GDP_t = \theta_0 + \theta_1 XP_t + \theta_2 MP_t + V_t \ldots\ldots\ldots (3)$$

حيث أن: $\theta_1 = -\beta_1 / \beta_0 , \theta_2 = -\beta_2 / \beta_0$,

$$\theta_0 = -c_0 / \beta_0$$

المعاملات المقدرة لمتغيرات الفرق الأول في نموذج تصحيح الخطأ غير المقيد تمثل معاملات الأجل القصير.

2.1.3. -دراسة إستقرارية السلاسل محل الدراسة

قبل الشروع في تقدير نموذج الانحدار الذاتي، لابد من دراسة ما إذا كانت السلاسل المذكورة سابقا مستقرة أم لا، تجنبا لظهور مشكلة الانحدار الزائف (*Regressions Spurious*) (Cadoret.I, et autres, 2004)، حيث يشير هذا المصطلح إلى الانحدار ذي النتائج الجيدة من حيث اختبار (t,F)، *وقيمة* R^2 ، لكنها لا تعطي معنى حقيقي للنتائج، ولا تقدم تفسيرا اقتصاديا ذا معنى، أي أن اللجوء إلى طريقة المربعات الصغرى العادية OLS تعطي نتائج زائفة في حالة عدم استقرار السلاسل.

ولاختبار استقرارية (*Stationarity*) السلاسل الزمنية لمتغيرات نموذج الدراسة وذلك من ناحية (الجذر الأحادي) فإن ذلك يتطلب إختبار جذر الوحدة (*unit root test*) ، لديكي فولر (Bourbonnais .R ,et Terraza. M,2004) (*DF*) (*Dickey and Fuller.1979*) وديكي فوللر الموسع (*ADF*) (*Augmented Dickey*–Fuller test)، حيث تثبت هذه الاختبارات طبيعة وخصائص السلاسل الزمنية للمتغيرات محل الدراسة، والجدول التالي يوضح ذلك:

UNIT ROOT TEST RESULTS TABLE (ADF)				
Null Hypothesis: the variable has a unit root				
At Level				
		GDP	XP	MP
With Constant	t-Statistic	-8.9669	-8.5237	-4.8860
	Prob.	0.0000	0.0000	0.0002
		***	***	***
With Constant & Trend	t-Statistic	-9.0011	-8.8572	-4.8713
	Prob.	0.0000	0.0000	0.0013
		***	***	***
Without Constant & Trend	t-Statistic	-8.2712	-8.2530	-4.5798
	Prob.	0.0000	0.0000	0.0000
		***	***	***

جدول 1: نتائج اختبار جذر الوحدة (*Unit Root Test*) **لمتغيرات الدراسة**

At First Difference				
		d(GDPR)	d(XP)	d(MP)
With Constant	t-Statistic	-12.8238	-13.3777	-9.0951
	Prob.	0.0000	0.0000	0.0000
		***	***	***
With Constant & Trend	t-Statistic	-12.6364	-13.0856	-8.9866
	Prob.	0.0000	0.0000	0.0000
		***	***	***
Without Constant & Trend	t-Statistic	-12.8531	-13.4373	-9.1777
	Prob.	0.0000	0.0000	0.0000
		***	***	***

Notes:
a: (*)Significant at the 10%; (**)Significant at the 5%; (***) Significant at the 1% and (no) Not Significant
b: Lag Length based on SIC
c: Probability based on MacKinnon (1996) one-sided p-values.

المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على مخرجات (E-views.10).

من الجدول رقم (01)، يتضح أن متغيرات الدراسة ساكنة في المستوى *Stationary in the level* عند مستوى معنوية**1**% و**5**% و**10**%، ونستنتج

من ذلك أن السلاسل الزمنية متكاملة من الدرجة الصفر$(0)CI\sim$، وهذا ما يسمح لنا بإجراء اختبارات التكامل المشترك.

2.3. -تقدير النموذج

على الرغم من أن طريقة اختبار الحدود قابلة للتطبيق بغض النظر عما إذا كانت المتغيرات الأساسية متكاملة من الدرجة صفر أي$(0)CI\sim$ أو من الدرجة الأولى أي$(1)CI\sim$ ، أو متكاملة بشكل مشترك، فإنه يظل من الضروري التأكد من عدم وجود أي متغير متكامل من الدرجة الثانية$(2)CI\sim$. وتم التوصل إلى أن المتغيرات متكاملة من الدرجة $(0)CI\sim$. وهذا ما يسمح بإمكانية تطبيق طريقة اختبارات الحدود الحديثة في البحث عن مدى وجود علاقة توازنية طويلة الأجل بين متغيرات النموذج.

1.2.3. -تحديد فترة الإبطاء المثلي لنموذج تصحيح الخطأ غير المقيدة$UECM$) لتحديد فترة الإبطاء لنموذج تصحيح الخطأ غير المقيد، نستخدم ثلاثة من معايير اختيار طول الإبطاء، وهذه المعايير هي: (FPE)، (LR) ($LogL$)،(AIC) (HQC) ،(SBC)، (HQC) بحيث يتم اختيار فترة الإبطاء الذي يعطي أقل قيمة لهذه المعايير، علما أن الانحدار يحتوي على مقدار

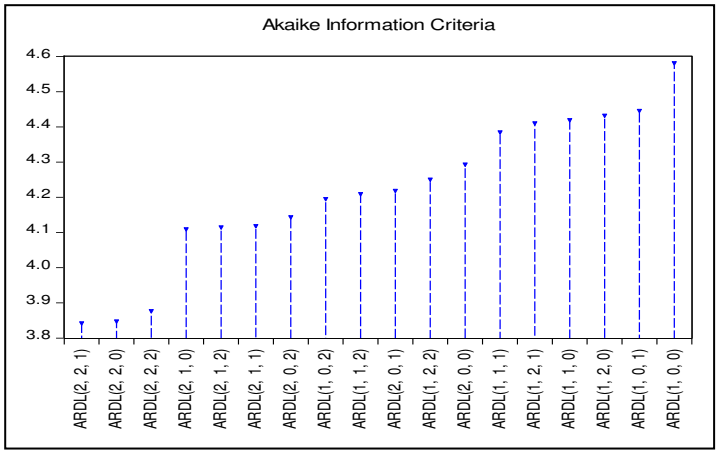
ثابت فقط. والجدول التالي يوضح ذلك:

جدول 2: نتائج اختبار فترة الإبطاء المثلى

VAR Lag Order Selection Criteria						
Endogenous variables: GDP XP MP						
Exogenous variables: C						
Date: 03/28/20 Time: 17:41						
Sample: 1970 2019						
Included observations: 46						
Lag	LogL	LR	FPE	AIC	SC	HQ
0	-411.0618	NA	.5713214	.0026918	.1219518	.0473618
1	-391.9333	.9302234	.6088518	.5623217	.0393618	.7410217
2	**-371.5329**	**.59205*34**	**.533*5219**	**.06665*17**	**.90146*17**	**.37937*17**
3	-365.3965	.6048439	.9305994	.1911517	.3837418	.6379017
4	-362.4820	.1816114	.8108018	.4557417	.0061119	.0365218
* indicates lag order selected by the criterion						

المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على مخرجات (**E–views.10**).

من خلال الجدول رقم(02)، نلاحظ أن فترة الإبطاء المثلى لمتغيرات الفرق الأول هي P=2 حسب المعايير المشار إليها، وبإجراء هذا الإبطاء، تم إجراء عدة محاولات لتقدير النموذج المقدم في المعادلة(2)، وقد كان أفضل نموذج تم الحصول عليه وفقا للمعايير الاقتصادية والإحصائية، والشكل التالي يوضح ذلك: **شكل1: نتائج أفضل نموذج حسب معيار *AIC***



المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على مخرجات (**E-views.10**).

من خلال الشكل رقم(01) يتبين أن فترات الإبطاء المثلى من خلال معيار AIC لنموذج $ARDL(p,q_1,q_2)$ ، هي : (2, 2, 1).

2.2.3. - اختبار التكامل المشترك باستخدام منهج $ARDL$

بعد التأكد من سلامة النموذج من مشكلة الارتباط الذاتي وعدم ثبات التباين، ننتقل إلى الخطوة التالية والتي تتمثل في اختبار مدى وجود علاقة توازنية طويلة الأجل بين النمو الاقتصادي من جهة، والمتغيرين المستقلين من جهة ثانية، والجدول التالي ذلك:

جدول 3: نتائج اختبار التكامل المشترك لإحصائية F

F-Bounds Test		Null Hypothesis: No levels relationship		
Test Statistic	Value	Signif.	I(0)	I(1)
Asymptotic: n=1000				
F-statistic	.0868385	%10	.632	.353
k	2	%5	.13	.873
		.5%2	.553	.384
		%1	.134	5

المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على مخرجات (**E-views.10**).

من خلال الجدول رقم(03)، نلاحظ أن قيمة إحصاءة F المحسوبة أكبر من القيمة الحرجة العليا عند مستوى معنوية1%و2.5%،5%و10%، مما يعني وجود علاقة تكامل مشترك بين النمو الاقتصادي والمتغيرين المستقلين الواردين في النموذج، وبالتالي وجود علاقة توازنية طويلة الأجل بين متغيرات النموذج.

3.2.3. - تقدير نموذج الأجل الطويل باستخدام نموذج $ARDL$

بما أن النتائج أكدت على وجود تكامل مشترك بين المتغيرات في المعادلة (2)، فإن ذلك يستلزم تقدير العلاقة التوازنية طويلة الأجل لهذه المعادلة. ويتم تقدير نموذج الأجل الطويل بواسطة نموذج $ARDL(p,q_1,q_2)$ ، ويمكن الحصول على معاملات الأجل الطويل من النموذج السابق بالطريقة المبينة سابقا، والجدول التالي يوضح ذلك:

جدول رقم (04): نتائج تقدير نموذج طويل الأجل باستخدام نموذج *ARDL*

Dependent Variable: GDP Selected Model: ARDL(2, 2, 1) Sample: 1970 2019				
Variable	Coefficient	Std. Error	t-Statistic	Prob.
MP	.3030060	.1298510	.3334962	.0247**0
XP	.2576980	.0572650	.5001324	.0001*0
C	-0.235895	.5637820	-0.418415	.67790

المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على مخرجات (**E-views.10**).

*معنوي عند مستوي1٪و**معنوي عند مستوي 5٪.

❖ **تقييم نموذج الأجل الطويل:** من خلال الجدول رقم(04)، نلاحظ ما يلي:

- قيمة المعلمة المقدرة للحد الثابت تشير إلى أنه عندما تكون قيم المتغيرات المستقلة منعدمة فإن النمو الاقتصادي عند حدود -0.235 وهي غير معنوية.

- وجود أثر ايجابي للواردات على النمو الاقتصادي، وذا دلالة إحصائية عند مستوى معنوية5% وذلك لأن ($P=0.0247<0.05$)، هذا يدل أنه كلما ارتفعت الواردات ب1% سيؤدي إلى ارتفاع النمو الاقتصادي بنسبة 0.303%.

- وجود أثر ايجابي للصادرات على النمو الاقتصادي، وذا دلالة إحصائية عند مستوى معنوية1% وذلك لأن ($P=0.0001<0.01$)، هذا يدل أنه كلما ارتفعت الصادرات 1% سيؤدي إلى ارتفاع النمو الاقتصادي بنسبة 0.257%.

❖**التفسير الاقتصادي:** يعتمد الإقتصاد الجزائري بشكل كبير على قطاع المحروقات، أي البترول كمادة أولية وحيدة تتمثل في المحروقات، والذي يجعله عرضة للصدمات الخارجية، فأي خلل أو أزمة في سوق النفط على المستوى العالمي سيؤثر على معدلات النمو الاقتصادي، ومن خلال الدراسة القياسية وجود أثر إيجابي للصادرات والواردات على النمو الاقتصادي، فيمكن تفسير ذلك أن معظم الصادرات هي من المحروقات والمواد الأولية، تلعب دورا مهما في تحديد مستويات الناتج والدخل الوطني، كما أن الصادرات خارج المحروقات ضئيلة جدا، وبالتالي الأمر الذي يؤدي بالسلطات إلى تنويع صادراتها خارج قطاع

المحروقات لتحقيق معدلات نمو اقتصادي مرتفعة، كما يمكن تفسير الاثر الايجابي للواردات على النمو الاقتصادي بإعتبارها توفر المواد الأولية والنصف المصنعة والآلات.....الخ اللازمة لزيادة الإنتاج، وبالتالي الرفع من وتيرة النمو الاقتصادي.

4.2.3. - تقدير نموذج تصحيح الخطأ (*ARDL-ECM*)

والجدول التالي يوضح نتائج التقدير:

جدول 5: نتائج تقدير نموذج تصحيح الخطأ المقيد لنموذج(*ARDL (2,2,1*)

ARDL Error Correction Regression				
Dependent Variable: D(GDP)				
Selected Model: ARDL(2, 2, 1)				
Date: 03/28/20 Time: 17:52				
Sample: 1970 2019				
Included observations: 48				
Variable	Coefficient	Std. Error	t-Statistic	Prob.
D(GDP (-1))	-0.511821	0.075526	-6.776751	0.0000
D(XP)	0.412552	0.021507	19.18192	0.0000
D(XP(-1))	0.201627	0.041942	4.807257	0.0000
D(MP)	0.093036	0.018975	4.903092	0.0000
CointEq(-1)*	-0.490586	0.104895	-4.676901	0.0000
R-squared	0.958224	Mean dependent var		0.271819
Adjusted R-squared	0.954338	S.D. dependent var		6.915181
S.E. of regression	1.477686	Akaike info criterion		3.717164
Sum squared resid	93.89286	Schwarz criterion		3.912081
Log likelihood	-84.21193	Hannan-Quinn criter.		3.790823
Durbin-Watson stat	1.850365			

المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على مخرجات (**E-views.10**). ❖ عند مستوي 1٪.

***تقييم الجودة الإحصائية والقياسية لنموذج المقدر قصير الأجل:** إن نموذج تصحيح الخطأ يعمل على تحديد الدالة في المدى القصير ويضع في الإعتبار إلى حالة التوازن في المدى الطويل. بعبارة أخرى يعمل النموذج على إفتراض حالة توازن للدالة في المدى الطويل (يحددها شكل المتغيرات)، وأن الدالة في المدى القصير غير متوازنة، فيعمل على تكييفها ويقيس سرعة العودة إلى التوازن. ويستخلص من نتائج التقدير لقيم المعلمات المقدرة ما يلي:

- إشارة معامل إحصائية ECM_{t-1} سالبة، وهي ذات دلالة إحصائية(عند مستوى1%) وذلك لأن (P=0.0000 < 0.01). ويؤكد هذا على وجود تكامل مشترك بين المتغيرات محل الدراسة، حيث بلغت القيمة المقدرة لمعامل حد تصحيح الخطأ في العام السابق 0.4905-. وهذا يعني أن حوالي 49.05% من انحراف قيمة النمو الاقتصادي في السنة السابقة عن قيمه التوازنية في الأجل الطويل يتم تصحيحه في السنة الحالية، ومن ثم يتطلب ذلك حوالي (2.0381=0.4905/)، أي ما يقارب0382.سنة من أجل الوصول إلي قيمه التوازنية في الأجل الطويل.
- إشارة معامل الواردات موجبة، وتدل على وجود علاقة طردية بين الواردات والنمو الاقتصادي، وهي ذات دلالة إحصائية وذلك لأن (P=0.0000< 0.01)، حيث بلغت قيمة هذا المعامل 0930.، وتشير هذه القيمة إلى أن زيادة الصادرات الحقيقية بمقدار1% سيؤدي إلى النمو الاقتصادي، بمقدار0.093%.
- إشارة معامل الصادرات موجبة، وتدل على وجود علاقة طردية بين الصادرات والنمو الاقتصادي، وهي ذات دلالة إحصائية وذلك لأن (P=0.0000< 0.01)، حيث بلغت قيمة هذا المعامل 4120.، وتشير هذه القيمة إلى أن زيادة الصادرات ب1% سيؤدي إلى ارتفاع النمو الاقتصادي، ب0.412%.
- إشارة معامل الصادرات بفترة إبطاء واحدة موجبة، وتدل على وجود علاقة طردية بين الصادرات بفترة إبطاء واحدة والنمو الاقتصادي، وهي ذات دلالة إحصائية(عند مستوى1%) وذلك لأن (P=0.0000 < 0.01)، حيث بلغت قيمة هذا المعامل 0.201، وتشير هذه القيمة إلى أن الصادرات بفترة إبطاء واحدة ب1% سيؤدي إلى ارتفاع النمو الاقتصادي ب0.201%.

إن ما يعزز الثقة في هذه النتائج هو أن:

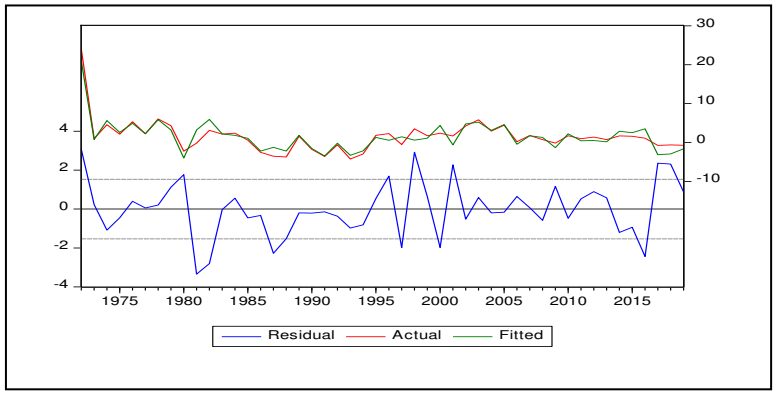
- **معامل التحديد المصحح**: بلغت قيمته $Adj.R^2 = .9540$، حيث تعكس هذه النسبة القدرة التفسيرية للنموذج، وتبين أثر المتغيرين المستقلين ومساهمتهما في تحديد وتفسير التغيرات الحاصلة في النمو الاقتصادي، أي أن هذا النموذج

يمتلك القدرة على تفسير95.4% يعود سببها إلى المتغيرين المستقلين، والباقي 4.6% يعود إلى عوامل أخرى أو إلى متغيرات أخرى لم تدرج في النموذج وترجع إلى المتغير العشوائي(u_i).

5.2.3. - تشخيص النموذج

1.5.2.3. - مقارنة القيم الحقيقة بالقيم المقدرة: مقارنة القيم الحقيقة بالقيم المقدرة باستخدام النموذج من خلال الشكل البياني التالي:

شكل 2:القيم الحقيقة والمقدرة وبواقي نموذج تصحيح الخطأ

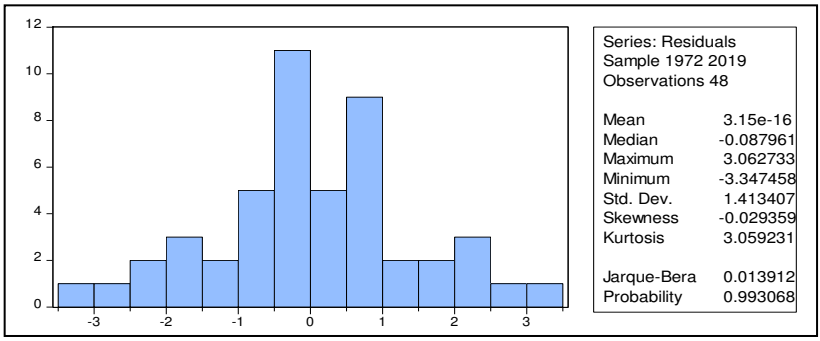


المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على مخرجات (**E-views.10**).

من خلال الشكل رقم(02)، يلاحظ تقارب القيم المقدرة من القيم الحقيقية مما يشير لجودة النموذج المقدر، لذا يمكن الإعتماد عليه في تفسير وتحليل النتائج.

2.5.2.3. -اختبار شرط التوزيع الطبيعي لبواقي النموذج: للتحقق من شرط إتباع بواقي النموذج المقدر للتوزيع الطبيعي تم إستخدام اختبار (*Jurque-Bera*) فكانت النتيجة تشير أن قيمة الإختبار تساوي($J\text{-}B$=0.01)، باحتمال أكبر من 5% ($P\text{-}Value$= 0.993>0.05) ، وهي نتيجة غير معنوية وقيمة الإختبار أقل من $X^2_{0.95}$=5.99، ويتضح من ذلك قبول الفرض البديل الذي ينص على أن بواقي النموذج المقدر تتبع التوزيع الطبيعي، والشكل التالي يوضح ذلك:

شكل 3: نتائج اختبار شرط التوزيع الطبيعي لبواقي النموذج



المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على مخرجات (**E-views.10**).

3.5.2.3. -إختبار شرط إستقلال حدود الخطأ للنموذج: من أجل دراسة فرضية عدم إرتباط الأخطاء، لذلك نلجأ إلى إختبار: Breusch-Godfrey Serial Correlation LM Test للإرتباط الذاتي، حيث بلغت قيمة الاختبار (N*R-squared=2.558) باحتمال أكبر من 5% (P-value=0.2782>0.05)، وهذا يشير إلى قبول الفرضية الصفرية التي تفترض عدم وجود إرتباط ذاتي لبواقي النموذج المقدر، والجدول التالي يوضح ذلك:

جدول 6: نتائج اختبار شرط إستقلال حدود الخطأ لنموذج تصحيح الخطأ

Breusch-Godfrey Serial Correlation LM Test:			
F-statistic	.0698181	Prob. F(2,38)	.35320
Obs*R-squared	.5586302	Prob. Chi-Square(2)	.27820

المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على مخرجات (**E-views.10**).

4.5.2.3. -تجانس(ثبات) تباين البواقي(الأخطاء) النموذج: هناك عدة إختبارات للكشف على أن تباين البواقي متجانس أم لا، ومن بينها اختبار($ARCH$)، يعتمد على مضاعف لاغرانج LM، وللتحقق من شرط تجانس حدود الخطأ، فكانت النتائج تشير إلى أن قيمة الإختبار بلغت ($N^*R-squared$=2.195) باحتمال ($P-value$=0.2454>0.05)، وهذا يدعم قبول الفرضية الصفرية التي تنص على تجانس تباين حدود الخطأ، والجدول التالي يوضح ذلك:

جدول 7: نتائج شرط ثبات تباين حدود الخطأ (تجانس التباين) النموذج

Heteroskedasticity Test: ARCH			
F-statistic	.8656700	Prob. F(2,43)	.32150
Obs*R-squared	.1957482	Prob. Chi-Square(2)	.24540

المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على مخرجات (**E-views.10**).

5.5.2.3. -إختبار شرط إستقلال المتغيرات المستقلة(عدم وجود تداخل خطي متعدد): للكشف عن وجود مشكلة التعدد الخطي بين المتغيرات المستقلة نستخدم اختبار كلاينKline ويقوم هذا الإختبار بمقارنة قيمة معامل التحديد R^2 مع مربع الإرتباط البسيط بين أي متغيرين مستقلين في النموذج المقدر، والجدول التالي يوضح مصفوفة الإرتباط البسيط بين المتغيرات المستقلة:

جدول 08: نتائج التحقق من عدم وجود مشكلة الإزدواج الخطي

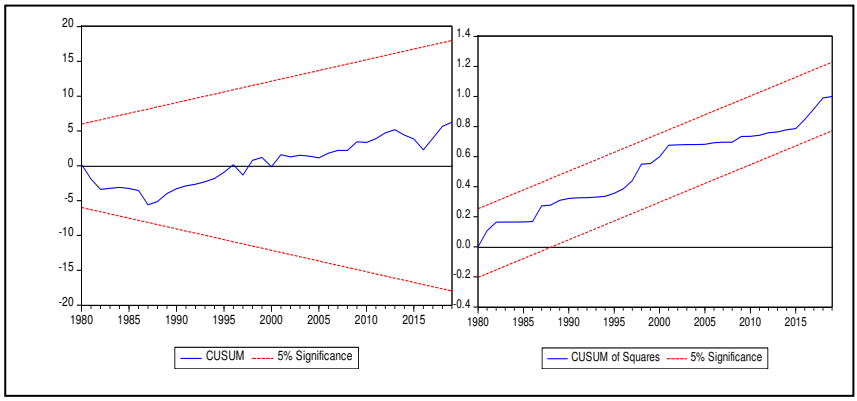
GDP	1	.80380	.41470
MP	.80380	1	.08730
XP	.41470	.08730	1

المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على مخرجات (**E-views.10**).

من خلال الجدول رقم (08)، يتضح من خلال مصفوفة الإرتباط بين المتغيرات المستقلة فإن إختبار كلاين يؤكد خلو النموذج من مشكلة التعدد الخطي، حيث كانت قيمة معامل التحديد R^2=0.985 أكبر من مربع معامل الإرتباط البسيط بين أي متغيرين مستقلين من المتغيرات المستخدمة في النموذج.

6.5.2.3. -اختبار الاستقرار الهيكلي لنموذج(*ARDL-ECM*): لإختبار مدى ثبات النموذج تم استخدام إختبارين هما: اختبار المجموع التراكمي للبواقي المعاودة *Cumulative Sum of Recursive Residual TEST)* (*CUSUM*) وإختبار المجموع التراكمي لمربعات البواقي المعاودة *Cumulative Sum of Squares of Recursive Residuals (CUSUM OF SQUARES TEST)*، وإتضح أن النموذج يتصف بالثبات في معظم فترات الدراسة كما يوضح الشكل التالي:

شكل 4: اختبار ثبات أو استقرار نموذج($ARDL-ECM$)



المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على مخرجات(**E-views.10**).

4. - خاتمة:

يؤدي قطاع التجارة الخارجية في الجزائر دورا نشطا على صعيد الاقتصاد الوطني من حيث مساهمته في الناتج الداخلي الخام وتلبية حاجات الاقتصاد الأساسية من سلع متعددة، حيث عرف تسيير هذا القطاع منذ الاستقلال إنتهاج إستراتيجية التخطيط التنموي الهادفة إلى تحقيق معدلات نمو مرتفعة، لكن تبني مثل هذه الإستراتيجية يقتضى إتباع سياسات تجارية كالحماية الجمركية ونظام حصص الإستيراد بالإضافة إلى الرقابة على الصرف التي تسمح بالملاءمة بين التدفقات المالية وتدفقات السلع والخدمات بين الجزائر وبقية دول العالم. ومن خلال ذلك تم تسليط الضوء على قياس التجارة الخارجية والنمو الاقتصادي، في الجزائر خلال الفترة(1970-2019)، وتماشيا مع طبيعة الموضوع تم بناء نموذج لقياس العلاقة، باستخدام تقنيات قياسية حديثة في تحليل التكامل المشترك ونماذج الانحدار الذاتي ذو الإبطاء الموزع (*Autoregressive Distribution Lag Bounds Test (ARDL)*)، وخلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج نوجزها فيما يلى:

- **اللجوء إلى طريقة المربعات الصغرى العادية *OLS* تعطي نتائج زائفة في حالة عدم إستقرار السلاسل، حيث نتائج التقدير جيدة من حيث اختبار *(t,F)*، وقيمة R^2 ، لكنها لا تعطي معنى حقيقي للنتائج، ولا تقدم تفسيرا إقتصاديا ذا معنى ويسمى هذا الإنحدار الزائف (*Regressions Spurious*)؛**
- **أظهرت جميع نتائج إختبارات جذر الوحدة إحتواء متغيرات الدراسة على جذر الوحدة، أي أنها مستقرة عند المستوى *Stationary in the level* ، مما يعني أنهما متكاملة من الدرجة الصفر(*I~0*) . وهذا ما سمح لنا بإجراء اختبار التكامل المشترك بواسطة إختبار منهج الانحدار الذاتي لفترات الإبطاء الموزعة *(ARDL)*؛**
- **أشار إختبار الحدود للتكامل المشترك (*Bound Test Approach*) من خلال *F-statistic*، *t-statistic* إلى وجود تكامل مشترك بين النمو الاقتصادي**

والمتغيرين المستقلين الواردين في النموذج، لذلك فإن النموذج المستخدم هو نموذج ($ARDL$) والذي يمكن من خلاله قياس العلاقة قصيرة الأجل وطويلة الأجل بين متغيرات الدراسة؛

- إشارة معامل إحصائية ECM_{t-1} سالبة، وهي ذات دلالة إحصائية(عند مستوى1%) وذلك لأن ($P=0.0000 < 0.01$). ويؤكد هذا على وجود تكامل مشترك بين المتغيرات محل الدراسة، حيث بلغت القيمة المقدرة لمعامل حد تصحيح الخطأ في العام السابق 0.4905-. ويعني هذا إن حوالي 49.05% من إنحراف قيمة النمو الإقتصادي في السنة السابقة عن قيمه التوازنية في الأجل الطويل يتم تصحيحه في السنة الحالية، ومن ثم يتطلب ذلك حوالي (2.0381=0.4905/) أي ما يقارب0382. سنة من أجل الوصول إلي قيمه التوازنية في الأجل الطويل؛
- وجود أثر ايجابي للواردات على النمو الإقتصادي، وذا دلالة إحصائية، هذا يدل أنه كلما إرتفعت الواردات سيؤدي إلى إرتفاع النمو الإقتصادي، كذلك وجود أثر ايجابي للصادرات على النمو الاقتصادي، وذا دلالة إحصائية، هذا يدل أنه كلما إرتفعت الصادرات سيؤدي إلى إرتفاع النمو الإقتصادي.

المراجع

المراجع باللغة العربية

جابر أبو جامع(2016)، أثر التجارة الخارجية على النمو الإقتصادي والتنمية في فلسطين: 1995 - 2014، مجلة جامعة النجاح لأبحاث (العلوم الإنسانية)،جامعة الأزهر، غزة، فلسطين، 30(9)، ص ص 1848 -1876.

كامل علاوي كاظم الفتلاوي، اسعد رحيم شاكر(2016)، العلاقة السببية بين التجارة الخارجية والنمو الاقتصادي في العراق للمدة1980 -2013، مجلة الغري للعلوم الاقتصادية والإدارية، جامعة الكوفة،13(40)، ص ص 1 -23.

طالب دليلة(2018)، أثر الصادرات والواردات على النمو الاقتصادي في الجزائر في ظل التطورات العالمية الراهنة، مجلة نماء الإقتصاد والتجارة، جامعة عبد الحق بن حمودة جيجل،2(3)، ص ص 233 -246.

رشاد العصار وآخرون(2000)، التجارة الخارجية،(الطبعة الأولى)، عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ص12.

شعيب بونوة وزهرة بن يخلف(2010)، مدخل إلى التحليل الاقتصادي الكلي، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، ص 103.

السيد محمد احمد السريتي(2008)، مبادئ الاقتصاد الكلي،(الطبعة الأولى)، ، جامعة الإسكندرية: مؤسسة رؤية للنشر والتوزيع، ص 361.

محمد عبد العزيز عجمية، إيمان عطية ناصف(2003)، التنمية الاقتصادية، الإسكندرية(مصر): الناشر قسم الاقتصاد، ص71.

صفوت عبد السلام عوض الله(1996/1997)، التجارة الدولية والتنمية الاقتصادية، القاهرة: دار النهضة العربية، ص349،350.

حربي محمد موسى عريقات(2006)، مبادئ الاقتصاد(التحليل الكلي)، (الطبعة الأولى)، عمان، الأردن: دار وائل للنشر، ص268.

المراجع باللغة الاجنبية

Justyna Kogut(2016), The impact of foreign trade on the economic growth rate in Poland in the years 2006-2015,World Scientific News 57 ,483-492.

SYZDYKOVA A. and all (2019), The Effect of Export and Imports on National Income In Kazakhstan: Econometric Analysis, Revista ESPACIOS,40(35),p22.

Nancy Cynthia Chibaya (2020), The Impact of Foreign Trade on Malawi Economic Growth ,
https://papers.ssrn.com/sol3/papers.cfm?abstract_id=3510501.

Jean Arrous(1999), Les Théories de la Croissance, éditions du seuil, Paris, p9.

Cadoret.I, et autres(2004), Econométrie appliquée, Bruxelles (Belgique): éditions De Boeck, p319.

Bourbonnais .R ,et Terraza. M(2004), L'analyse des séries temporelles en économies, 1ère édition, Paris : PUF, p150,152.

مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ر ت م د: 7163 -1112 ر ت م د إ :1892-2588
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2

اثر النشاط السياحي على النمو الاقتصادي في الجزائر
دراسة تحليلية قياسية للفترة 1997 – 2018.

The impact of tourism activity on economic growth in Algeria; Econometric and analytical study for the period 1997-2018.

طرفاية كمال[1]، توات عثمان[2]

[1] طالب دكتوراه، مخبر العولمة والسياسات الاقتصادية، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، جامعة الجزائر 3.terfaia.kamel@univ-alger3.dz

[2] أستاذ التعليم العالي، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، جامعة الجزائر 3.touatabdou@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2020/04/27 تاريخ القبول: 2021/03/08

الملخص-

تهدف هذه الدراسة إلى معرفة أثر النشاط السياحي على النمو الاقتصادي في الجزائر للفترة الممتدة من 1997 إلى 2018، وذلك باستخدام البرنامج القياسي EViews9، ولبلوغ هدف الدراسة اعتمدنا سلسلة من المتغيرات المستقلة المرتبطة بالقيمة المضافة لقطاع السياحة.

توصلت الدراسة إلى وجود علاقة طردية موجبة بين المتغيرين المدروسين، حيث أن ارتفاع القيمة المضافة لقطاع السياحة الذي يضم عدد السياح الوافدين، الاستثمارات السياحية، صادرات السياحة (الإنفاق الخارجي)، العمالة السياحية، يؤدي إلى زيادة معدلات النمو الاقتصادي، وهو ما يؤكد صحة فرضية أن النشاط السياحي يؤثر إيجابا على النمو الاقتصادي، لذا وجب على السلطات العمومية إيلاء أهمية اكبر لترقية القطاع السياحي كبديل تنموي استراتيجي خارج قطاع للمحروقات.

الكلمات الدالة: سياحة، نمو الاقتصادي، استثمار سياحي، نموذج قياسي.

المؤلف المرسل: طرفاية كمال : kamelterfaia@gmail.com

Abstract:

This study aims at identifying the impact of tourism activity on economic growth in Algeria for the period from 1997 to 2018, using the standard program EViews9, and to achieve the objective of the analysis, we adopted a selection of independent variables related to value Additives for the tourism sector.

The research found a positive correlation between the two variables evaluated, as the increase in the added value of the tourism sector, which includes tourism investments, tourism employment, tourism exports (external spending), and the number of tourist arrivals, leads to increased economic growth rates, which confirms the validity of the hypothesis that activity Tourism has a positive impact on economic growth, so the public authorities must give greater importance to the promotion of the tourism sector as a strategic development alternative outside the hydrocarbon sector.

Key words:

tourism; economic growth; tourism investment; econometric model.

1. -مقدمة

يعد النشاط السياحي من أهم النشاطات الاقتصادية في العالم المعاصر، كما يعد أحد مصادر الدخل ومحركا قويا للأبعاد الاقتصادية المرتبطة بالسياحة باعتباره نشاطا خدميا يساهم في التنمية الاقتصادية وإرساء قواعدها من خلال تشجيع السياحة الخارجية التي تحقق فائضا من العملة الصعبة لتمويل عملية التنمية، ونظرا للمزايا التي يحققها النشاط السياحي سعت العديد من البلدان النامية للنهوض بهذا القطاع وجعلت منه إحدى الاستراتيجيات الهامة لإخراج شعوبها من التخلف وتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية باعتباره احد مصادر الدخل في اقتصادياتها.

والجزائر كغيرها من هذه البلدان عرفت السياحة بها عدة اهتمامات لتنميتها وتطويرها، وذلك من خلال ضبط وحماية كل المقومات والإمكانات التي من شانها النهوض بالقطاع السياحي، وقد تمثلت هذه الاهتمامات أساسا في بعث مشاريع تنموية هيكلية تتضح في وضع المخطط التوجيهي للتهيئة السياحية، التي تسعى من خلاله أن تحتل مكانة في السوق العالمية بحكم قدراتها

البشرية الطبيعية والتراثية، ورغم الإمكانيات السياحية الهائلة التي تمتلكها الجزائر إلا أن القطاع السياحي لم يرق إلى المستوى المطلوب، فترقية وتطوير السياحة لا يقتصر على توفير الموارد السياحية ومختلف عناصر الجذب فقط، بل إن الأمر يتطلب تحديد أولويات السياحة في الأجندة الوطنية وبناء القدرة على الصمود والاستدامة.

1.1 -إشكالية الدراسة

تتباين الآثار الاقتصادية والاجتماعية المترتبة على النشاط السياحي من بلد لآخر تبعا لتباين الأنشطة والمقومات والأنماط السياحية، وتبعا للمكانة التي تحظى بها السياحة في اقتصاديات هذه الدول، من هذا المنطلق تبرز لنا ملامح الإشكالية المطروحة في هذه الورقة البحثية في السؤال الرئيسي التالي:

ما هو أثر النشاط السياحي على معدلات النمو الاقتصادي في الجزائر خلال الفترة (1997 -2018) ؟

2.1 - فرضيات الدراسة

للإجابة على إشكالية الدراسة سيتم الاعتماد على الفرضيات التالية:

- يوجد اثر ايجابي للنشاط السياحي في النمو الاقتصادي.
- للاستثمار السياحي اثر معنوي على النمو الاقتصادي.
- القطاع السياحي في الجزائر يسهم بنسب ضئيلة في دعم النمو الاقتصادي.

3.1 - أهداف الدراسة

انطلاقا من أهمية هذه الدراسة، فإنها تهدف بشكل أساسي إلى إبراز مدى أهمية النشاط السياحي في تحقيق النمو الاقتصادي، وذلك من خلال تحليل بعض المؤشرات السياحية المتعلقة بالإيرادات السياحية والتشغيل وتدفقات السياح والمساهمة في الناتج المحلي الخام ، كما تهدف كذلك لتقدير حجم تأثير النشاط السياحي في الجزائر على معدلات النمو الاقتصادي في الفترة قيد الدراسة.

4.1 - منهجية وفترة الدراسة

لمعالجة موضوع البحث بطريقة جيدة تم إتباع أسلوبين متكاملين ومتناسقين: الأسلوب الوصفي التحليلي والأسلوب الكمي، فالأسلوب الوصفي التحليلي من خلال تحليل لبعض المؤشرات المرتبطة بالنشاط السياحي، أما الأسلوب الكمي فمن خلال استخدام بعض النماذج الاقتصادية التي تمكننا من قياس مدى تأثير النشاط السياحي على النمو الاقتصادي في الجزائر للفترة 1997 -2018.

5.1 -الدراسات السابقة

هناك العديد من الدراسات التي تناولت موضوع النشاط السياحي وعلاقتها بالنمو الاقتصادي، نذكر منها على سبيل ما يلي:

- دراسة **محمد الناصر حميداتو ونصر حميداتو (2015)** " أثر النشاط السياحي على النمو الاقتصادي دراسة قياسية للفترة 1997 -2013 " هدفت الدراسة إلى تحليل وتقييم لأثر النشاط السياحي في الجزائر على النمو الاقتصادي للفترة الزمنية من سنة 1997 إلى 2013 ومدى إسهام القطاع في الناتج المحلي الإجمالي كمؤشر للنمو الاقتصادي ، واستخدم المنهج التحليلي المستند مع القياس الكمي لدراسة اثر النشاط السياحي في بعض المتغيرات الاقتصادية الكلية، وتوصلت الدراسة إلي وجود تأثير ايجابي بين الناتج المحلي الإجمالي وإجمالي الاستثمارات وصافي الميزان التجاري.
- دراسة **بن زعرور شكري وساطور رشيد (2016)** " السياحة والنمو الاقتصادي في الجزائر الأدلة من التكامل المشترك و تحليل السببية" والتي تمحورت في إبراز العلاقة بين السياحة و النمو الاقتصادي كونها نابعة من السياق الاقتصادي والسياسة المتبعة في كل وجهة سياحية حسب الفترات المدروسة، و قد خلصت الدراسة في جانبها التطبيقي من خلال بناء نموذج اقتصادي قياسي باستخدام منهجية التكامل المشترك لتأكيد فرضية النمو الذي تقوده السياحة خلال الفترة 1995 -2014 ، كما توصلت الدراسة التطبيقية باستعمال اختبارات السببية لأنجل قرانجر بإثبات الاتجاه الأحادي للعلاقة التي تمر من الاقتصاد السياحي إلى النمو الاقتصادي .

❖ دراسة **سعيداني رشيد (2017)** " أهمية الاستثمار السياحي في التنمية الاقتصادية –دراسة حالة الجزائر" ، أين عالج الباحث إشكالية كيفية مساهمة الاستثمار السياحي في التنمية الاقتصادية في الجزائر ، مستخدما في ذلك المنهج الوصفي التحليلي من خلال وصف وتحليل واقع الاستثمار السياحي في الجزائر، ومدى مساهمة السياحة في الدخل الإجمالي الخام، بالإضافة لمدى مساهمة السياحة في توفير فرص العمل بصفة مباشرة أو بصفة إجمالية، وتوصلت الدراسة إلا أنه على الرغم من المقومات الهائلة التي تملكها الجزائر، فإن الإمكانيات السياحية المتوفرة لم تحقق الكفاءة المتوقعة لهذا القطاع من حيث العائدات السياحية وفرص التشغيل والمساهمة في الناتج.

2. -الإطار النظري للنشاط السياحي

لم تعد السياحة مجرد نزهة وفقط بل أصبحت دخل وتشغيل واستثمار ووعاء ضريبي، وهذا ما أدركته الحكومات من خلال معرفتهم بالأهمية الاقتصادية للسياحة، حيث اتجهت الدول إلى التخطيط السياحي، ومن هنا أصبحت السياحة علما يخضع للدراسة والتحليل، فقد ظهر الخبراء في شتى مجالاتها من بينهم خبراء التخطيط العمراني والدعاية والإحصاء السياحي (هارون، 2006، صفحة 123).

1.2 -مفهوم السياحة

لقد ظهرت تعاريف مختلفة للسياحة وضعت من قبل باحثين و قائمين على مؤسسات دولية ، من بين هذه التعاريف نذكر:

عرفتها منظمة الصحة العالمية (W.T.O) بأنها: "هي أنشطة المسافر إلى مكان خارج بيئته المألوفة لفترة معينة من الوقت لا تزيد عن سنة بغية انقطاع للراحة أو لأغراض أخرى" (دعبس، 2002، صفحة 14).

كما عرفها كل من "جوبير **Guyer**" و "فرويلر **Freuller**"وذلك عام 1905 بأنها: "ظاهرة من الظواهر العصرية التي تنشأ عن الحاجة المتزايدة للحصول على الراحة و الاستجمام، و تغيير الجو و الإحساس بجمال الطبيعة وتذوقها، والشعور بالبهجة و المتعة من الإقامة في المناطق ذات طبيعة خاصة" (كمال و الحمامي، 1997، صفحة 29).

2.2 -مفهوم النشاط السياحي

هو ذلك النشاط الفني والإداري الذي تقوم به مختلف الهيئات والأجهزة والمنشات السياحية في الدول الحكومية والعامة والخاصة المرتبطة بالسائحين لتحقيق أقصى إشباع ممكن لهم والذي يهدف إلى (السيسي، 2016، صفحة 19):

- تحقيق أقصى ربحية ممكنة.
- الوصول إلى مستوى عال لإشباع السائحين معنويا وماديا.
- تقليل درجات القلق والتوتر التي يشعر بها السائحون عند زياراتهم لدول أخرى غير دولتهم.

3.2 -خصائص النشاط السياحي

يعد قطاع السياحة من أهم قطاعات النشاط الإنساني في الدولة الحديثة، وهو يتميز بعديد الخصائص الرئيسية والتي نتناول منها (لطيف، 1994 ، صفحة 44):

- هو قطاع خدماتي يتميز بكونه مصدرا رئيسيا للدخل القومي في الاقتصاديات الحديثة.
- مقومات العرض السياحي تتميز بالندرة والحساسية الشديدتين للمتغيرات التي تطرأ على قطاع النشاط الإنساني.
- نطاق المنافسة في هذا القطاع يمتد إلى خارج النطاق الإقليمي للدولة الواحدة، فالمنافسة هنا عالمية.
- تعتبر السياحة صادرات غير منظورة، فهي لا تتمثل في ناتج مادي يمكن نقله من مكان إلى آخر، وهي تعتبر من الصناعات القليلة التي يقوم فيها المستهلك بالحصول على المنتج بنفسه من مكان إنتاجه، فالدولة المصدرة للمنتج السياحي "الدولة المضيفة "لا تتحمل نفقات النقل خارج حدودها، كما هو الحال بالنسبة للمنتجات الأخرى، التي تتطلب بالإضافة إلى تكاليف إنتاجها، تكاليف نقلها.

4.2 -مقومات النشاط السياحي في الجزائر

تتوفر الجزائر على إمكانيات سياحية هائلة ما يؤهلها لإنشاء صناعة سياحية كبيرة ومزدهرة، وتنقسم هذه الإمكانيات إلى مقومات طبيعة وتاريخية وبشرية...الخ.

الجدول (01): مقومات النشاط السياحي في الجزائر

المقومات	الإمكانيات
طبيعية	مساحة شاسعة تقدر ب 1238174 كم2 - شريط ساحلي بطول 1200 كم -حظائر وطنية -تنوع في التضاريس والمناخ – 202 حمام معدني.
حضارية وتاريخية	06 مصنفات تاريخية -العديد من المعالم التاريخية 07 متاحف وطنية -تنوع الصناعات التقليدية.
الاستغلال	شبكة نقل بري بطول 118306 كم وشبكة نقل بالسكة الحديدية بطول 4500 كم – 53 مطار جوي و 13 ميناء بحري – 1184 فندق بطاقة استيعابية 92737 سرير – 29 فروع بنكية ومؤسسة مالية موزعة في شكل فروع على المستوى الوطني.

المصدر: عبد الرزاق مولاي لخضر، خالد بورحلي (2016)، "متطلبات تنمية القطاع السياحي في الاقتصاد الجزائري"، المجلة الجزائرية للتنمية الاقتصادية، العدد: 04 ، ص 72.

3. -الإسهام الاقتصادي للنشاط السياحي في الجزائر

من الطبيعي أن يفرز أداء النشاط السياحي آثارا اقتصادية على مستوى اقتصاديات البلدان والتي تتوقف بدورها على إمكانات هذه القطاع، وعلى أهميته في السياسات الاقتصادية المنتهجة، وأيضا على مدى تطوره في هذه الدول (عشي، 2011، صفحة 157) ، وفيما يلي بعض الآثار الاقتصادية للنشاط السياحي في الجزائر:

1.3 -مساهمة النشاط السياحي في تحقيق النمو الاقتصادي بالجزائر

يشير تقرير صادر عن عدد كبير من الخبراء، أن القطاع السياحي يعتبر من القطاعات المكونة للناتج المحلي الإجمالي وبشكل ملحوظ، فهو يمثل في المتوسط 10 ٪ من الناتج المحلي الإجمالي، إلا أنه يظل تحت المستوى في عدد كبير من الدول من بينها الجزائر التي يبقى فيها القطاع غير مستغل بصورة كبيرة مقارنة بالقدرات والفرص المتاحة.

الجدول (02): المساهمة الكلية والمباشرة للنشاط السياحي في الناتج الداخلي الخام في الفترة 1997 -2018

السنة	المساهمة الكلية في الناتج الداخلي الخام (٪)	معدل نمو المساهمة الكلية(٪)	المساهمة المباشرة في الناتج الداخلي الخام(٪)	معدل نمو المساهمة المباشرة الكلية(٪)
1997	6.3	- 5.56	2.70	12.34
1999	6.8	4.41	2.93	5.67
2003	7,3	8,96	3,40	2,10
2007	7,6	- 1.30	3,23	- 14,95
2010	6,9	- 10,39	3,39	- 7,38
2013	7.2	5.88	3.54	8.26
2016	6.9	- 2.82	3.35	- 4.29
2017	6.8	- 1.45	3.30	- 1.49
2018	6.8	0.00	3.34	1.21

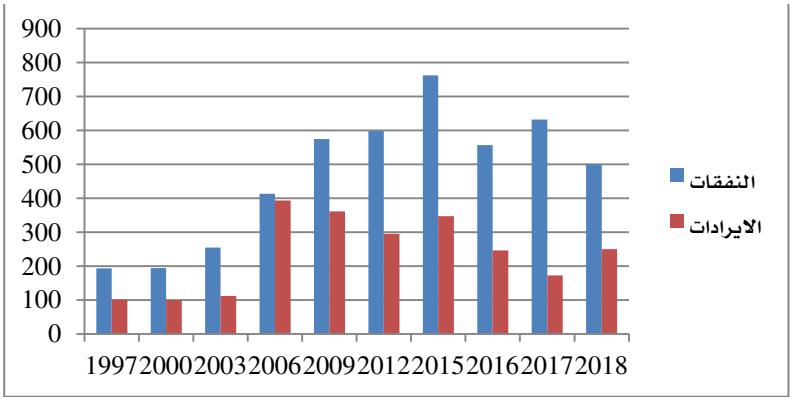
المصدر: من إعداد الباحثين اعتمادا على إحصائيات المجلس العالمي للسياحة والسفر.
https://tool.wttc.org

- من خلال الجدول (02) نلاحظ أن القطاع السياحي يسهم بنسبة ضئيلة جدا في الناتج المحلي الإجمالي في الجزائر، فمساهمته لم تتعد 4٪ خلال الفترة الممتدة بين سنتي 1997 و2018 حيث تبين هذه النسب والمتدنية جدا المكانة الضعيفة التي يحتلها القطاع السياحي في الجزائر ضمن خارطة القطاعات الإنتاجية بالنسبة لمساهمته في الناتج الداخلي الخام وبالتالي ضعف مساهمته في النمو الاقتصادي.

2.3 - مساهمة النشاط السياحي في ميزان المدفوعات

إن ناتج النشاط السياحي هو قيمة بيع المنتج السياحي إلى أعداد السائحين المنتمين عادة لدول أخرى، والذين يدفعون بالعملات الصعبة، نظير إشباع رغباتهم السياحية سواء كانت ثقافية أو ترفيهية أو علمية أو بيئية، لذا فإن السياحة تعتبر مصدرا من مصادر الدخل الأجنبي فتقاس أهميتها الاقتصادية بحجم تأثيرها على ميزان مدفوعات الدولة، ويتحدد هذا التأثير بالقيمة الصافية للميزان السياحي ونسبتها إلى النتيجة الصافية للميزان التجاري سواء أكانت سلبية أم إيجابية (بودربالة، 2017، صفحة 218).

الشكل (01) : الإيرادات والنفقات السياحية للجزائر (1997 -2018)



المصدر: من إعداد الباحثين اعتمادا على إحصائيات وزارة السياحة والصناعة التقليدية

- يتضح من الشكل (01) أن النفقات السياحية خلال كامل الفترة كانت أكبر من الإيرادات السياحية، ويعود هذا العجز إلى ما ينفقه الجزائريون خارج الوطن في مجال السياحة أكبر مما ينفقه الأجانب في الجزائر، حيث سجل أكبر عجز لهذه الفترة سنة 2015 بنحو 408 مليون دولار.
- والملاحظ هو أن رصيد الميزان السياحي في الجزائر لا يساهم بالشكل المطلوب في تخفيض العجز في الميزان التجاري الإجمالي من خلال مساهمته الضئيلة في الصادرات غير المنظورة، حيث يحقق ميزان المدفوعات السياحي في الجزائر خسائر متنامية في ميزان المدفوعات القومي التي تبلغ نسبته 0.5٪.

3.3 - مساهمة النشاط السياحي في العمالة

يساهم قطاع السياحة في توفير مناصب شغل في الدولة، حتى وان كانت موسمية، من خلال تنشيط السياحات الفندقية ومراكز الإطعام والترفيه ووكالات السفر، إلى جانب توفير مناصب شغل غير مباشرة يمس القطاعات الموازية للسياحة كقطاع النقل الحضري ، الصناعات التقليدية، فتنمية هذا القطاع تؤدي دورا هاما في الحد من تنامي نسبة البطالة (Seffari, 2018).

الجدول (03): المساهمة الكلية والمباشرة للنشاط السياحي في التشغيل

السنة	القوة العاملة الكلية للسياحة	معدل نمو القوة العمالة الكلية (%)	المساهمة الكلية في التشغيل (%)	القوة العاملة المباشرة للسياحة	معدل نمو العمالة المباشرة (%)	المساهمة المباشرة في التشغيل (%)
1997	301.3	,0612	4.9	138.3	20.7	,802
1999	314.8	,7526	5.0	,5227	- 1.9	2.43
2003	,4412	,538	,176	,4180	-0,06	,702
2007	,7552	-4,39	,436	,4225	-5,69	,622
2010	,2543	-9,04	,585	,0254	-5,61	,612
2013	.3678	9.78	.296	.9321	.3111	.982
2016	677.6	0.78	6.25	.5318	-1.94	.932
2017	678.7	- 0.16	6.25	.1320	.570	.952
2018	685.0	.930	6.20	.5329	.942	.982

المصدر: من إعداد الباحثين اعتمادا على إحصائيات المجلس العالمي للسياحة والسفر.
https://tool.wttc.org

- الملاحظ من الجدول (03) أن نسبة المساهمة المباشرة للقطاع السياحي في مستوى التشغيل الكلي بالجزائر تراوحت ما بين 2.49 ٪ و 3.22 ٪ خلال الفترة 1997 -2018، كما بلغ متوسطها خلال نفس الفترة 2.82 ٪، حيث

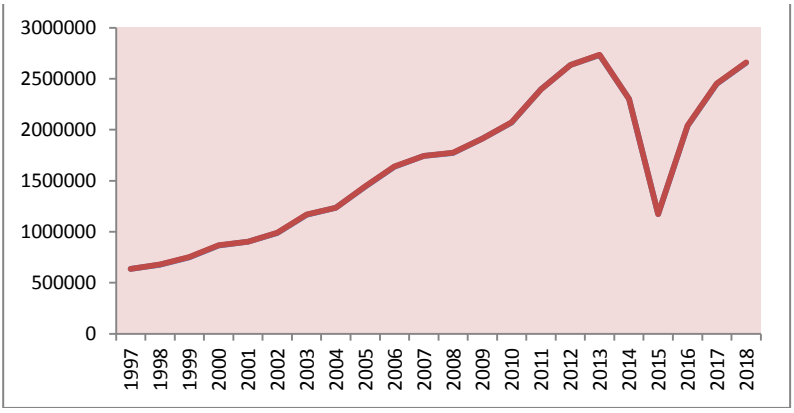
انتقلت القوة العاملة المباشرة في القطاع السياحي من 138.3 ألف في سنة 1997 إلى 329.5 ألف سنة 2018.

- كما أن نسبة المساهمة الكلية للقطاع السياحي في مستوى التشغيل الكلي بالجزائر تراوحت ما بين 4.74 ٪ و6.7 ٪ خلال فترة الدراسة 1997 – 2018، وبلغ متوسطها خلال نفس الفترة 6.08 ٪.
- تبين هذه النسب والمتدنية جدا ضعف مساهمة قطاع السياحة في التشغيل، والمكانة الضعيفة التي يحتلها ضمن خارطة القطاعات الإنتاجية بالنسبة لمساهمته في مستوى التشغيل، وبالتالي ضعف مساهمته في محاربة البطالة، ويعود هذا إلى نقص المشاريع السياحية المباشرة أو المساعدة لها بمختلف أنواعها، التي لم تتعد 2.5 ٪من إجمالي حجم الاستثمارات منذ 2014.

4.3 – مساهمة النشاط السياحي في تدفق السياح

عرف عدد السياح الوافدين إلى الجزائر خلال العقد الماضي تزايدا واضحا بما يعكس الجهود المبذولة على المستويين الجزئي و الكلي في الجزائر.

الشكل 02: تطور عدد السياح الوافدين إلى الجزائر للفترة 1997 –2018



المصدر: من إعداد الباحثين اعتمادا على إحصائيات المجلس العالمي للسياحة والسفر. https://tool.wttc.org.

يبرز من خلال الشكل (02) أن عدد السياح الوافدين إلى الجزائر قد عرف نموا بارزا خلال الفترة 1997 –2018 حيث تزايد عدد السياح من 835000 خلال سنة 1997 إلى حوالي 2.638.360 سنة 2018 وقد عكس هذا النمو الجهود المبذولة من طرف السلطات الجزائرية للنهوض بهذا القطاع إلى جانب التقدم

الأمني الذي حققته بعد العشرية السوداء، بينما شهدت سنتي 2014 ، 2015 انخفاضا محسوسا نتيجة لأحداث ما سمي بالربيع العربي في بعض الدول المجاورة للجزائر .

4. -الدراسة القياسية لأثر النشاط السياحي على النمو الاقتصادي في الجزائر

إن تأثير الإيرادات السياحية في الدخل القومي ايجابي على وفق نظرية هكشر اوهلين في التجارة الدولية، إذ تبين النظرية أن الدولة التي تمتلك عناصر جذب سياحي وذات كثافة لعنصر العمل يمكن أن تتخصص في إنتاج السلع السياحية ومبادلتها بإنتاج السلع الرأسمالية لذا فعملية التبادل تسجل في ميزان المدفوعات، وتعد الإيرادات السياحية هي المحصلة من السائحين الأجانب فكلما زادت الإيرادات عن النفقات السياحية زاد الأثر الايجابي في ميزان المدفوعات وبالتالي زيادة الدخل القومي (عبد الله و رشيج، 2016، صفحة 15) .

1.4 -مصادر البيانات

تعتمد هذه الدراسة على جمع البيانات الممثلة في متغيرات الدراسة والمستخرجة من المجلس العالمي للسياحة والسفر، والمؤشرات التي يصدرها البنك العالمي، وهي قابلة للتحميل على الموقعين:(https://tool.Wttc.org) (www.worldbank.org)

2.4 -مجتمع الدراسة

يتكون مجتمع الدراسة من بعض السلاسل الزمنية والتي تضم 22 مشاهدة في الفترة الممتدة من 1997 - 2018، أما فيما يخص إدخال اللوغاريتم لمتغيرات الدراسة فقد أجري لغرض التحويل أي تصحيح "اللاتجانس" الممكن تواجده بين المتغيرات، ولتحقيق أهداف الدراسة لابد مراعاة ما يلي (قريريج بن علي، 2019 ، صفحة 457):

- يجب أن تكون السلسلة الزمنية المدروسة والممثلة لمتغيرات مؤشرات النشاط السياحي في الجزائر مستمرة خلال فترة الدراسة.
- توفر جميع البيانات والمعلومات المبينة للمتغيرات المدروسة خلال فترة الدراسة.

3.4 -متغيرات ونموذج الدراسة

تم اختيار متغيرات الدراسة بما يتوافق مع فرضيات الدراسة والدراسات السابقة، تشمل الدراسة على بيانات سلسلة زمنية تغطي الفترة (1997 - 2018)،

الجدول 04: متغيرات الدراسة

رمز المتغير	اسم المتغير	نوع المتغير
Pib	النمو الاقتصادي	متغير تابع
Invt	الاستثمار السياحي	متغير مستقل
Vexp	صادرات السياح (الإنفاق الخارجي)	متغير مستقل
Nt	عدد السياح	متغير مستقل
Mt	التوظيف السياحي	متغير مستقل

المصدر : من إعداد الباحثين بناءا على متغيرات محل الدراسة

4.4 -توصيف نموذج الدراسة

يكتب نموذج الدراسة وفق المعادلة الرياضية التالية:

$$LPib = C_0+C_1. LInvt +C_2. LNt + C_3. LVexp+ C_4. LMt +\varepsilon$$

حيث أن: C_1, C_2, C_3, C_4 معلمات النموذج المقدر. C_0: الثابت

ε: يعبر عن قيمة الخطأ العشوائي والناتج عن أخطاء في القياس، أو عن سوء تقدير النموذج القياسي بإهمال بعض المتغيرات الخارجية والتي لا نستطيع قياسها في بعض الأحيان خاصة ما يتعلق بالمتغيرات الكيفية.

أولا: دراسة إستقرارية السلاسل الزمنية

يتم إجراء هذا الاختبار للسلاسل الزمنية الأصلية عند المستوى أولا، وإذا لم تستقر عند المستوى، يتم أخذ الفرق الأول، وهكذا إلى أن تستقر، ويتم رفض فرضية العدم القائلة بوجود مشكلة جذر الوحدة (Gujarati, 2003, p. 19)، إذا كانت القيمة المطلقة المحسوبة لاختبار (ADF) أكبر من القيم المطلقة للقيمة الحرجة عند مستوى دلالة 5٪، ونقبل الفرضية إذا كانت القيمة الاحتمالية أقل من 5٪، ويشار إلى أن اختبار (ADF) لمعادلة الانحدار يتم بثلاثة صيغ هي (حد ثابت أو حد ثابت واتجاه أو بدون حد ثابت واتجاه) (النيف والحنطي، 2018، صفحة 26)، كما هو موضح في الجدول التالي:

الجدول 05 : اختبارات الاستقرارية باستعمال اختبار (ADF) عند مستوى معنوية 5٪

السلسلة الزمنية	المستوى Level			الفرق الأول st difference1			القرار (الرتبة)
	بدون ثابت ومتجه	ثابت ومتجه	ثابت فقط	بدون ثابت ومتجه	ثابت ومتجه	ثابت فقط	
LPib	-0.70 (0.95)	-2.54 (0.11)	-1.99 (0.10)	-4.59 (0.00)	-3.42 (0.02)	-4.29 (0.04)	I(1)
LInvt	-2.13 (0.49)	-2.21 (0.20)	.820 (0.88)	-4.68 (0.00)	-4.60 (0.00)	-4.72 (0.00)	I(1)
LMt	-1.86 (0.63)	-1.70 (0.41)	.042 (0.98)	-4.49 (0.01)	-4.39 (0.00)	-3.87 (0.00)	I(1)
LVexp	-3.15 (0.12)	-3.91 (0.00)	-0.60 (0.83)	-4.45 (0.01)	-4.12 (0.00)	-4.18 (0.00)	I(1)
LNt	-2.27 (0.42)	-1.52 (0.50)	-1.41 (0.95)	-4.75 (0.00)	-4.80 (0.00)	-4.43 (0.00)	I(1)

المصدر :من إعداد الباحثين بالاعتماد على برنامج EViews 9 .

يتبين من الجدول أن احتمال الخطأ لجميع السلاسل الزمنية المدروسة عند المستوى أكبر من القيم الحرجة 1٪و 5٪ و 10 ٪ في جميع الصيغ الثلاثة المدروسة، وهذا ما يجعلها غير مستقرة عند المستوى حسب اختبار ديكي فولار المطور، لكن عن إجراء الفرق الأول لهذه السلاسل الزمنية لوحظ أن الاحتمال المرافق أقل من القيم الحرجة عند مستوى 5 ٪، الأمر الذي يجعلها مستقرة عند نفس الدرجة وهي الدرجة الأولى I(1).

ثانيا: تقدير معلمات النموذج

نستعمل طريقة المربعات الصغرى لتقدير العلاقة الخطية بين النمو الاقتصادي والمتغيرات المستقلة الأخرى، ومن خلال البرنامج القياسي المستعمل، توصلنا إلى التقديرات المبينة في الجدول أسفله .

جدول 06 : تقدير العلاقة الخطية

Dependent Variable: LPib
Method: least squars
Date: 04/18/20 Time 03:51
Sample: 1997 2018
Included observations: 22

Variable	Coefficient	Std. Error	t-Statistic	Prob.
C	-6.752472	1.938549	-3.483261	.00280
LInvt	0.091945	0.045032	2.041785	.05700
LMt	0.650437	0.172732	3.765583	.00150
LVexp	0.666469	0.067290	9.904421	.00000
LNt	0.065624	0.061782	1.062190	.30300

R-squared	0.995957	Mean dependent var	5.645494
Adjusted R-squared	0.995006	S.D. dependent var	0.708167
S.E. of regression	0.050045	Akaike info criterion	-2.955055
Sum squared resid	0.042577	Schwarz criterion	-2.707090
Log likelihood	37.50560	Hannan-Quinn criter.	-2.896642
F-statistic	1046.898	Durbin-Watson stat	1.746664
Prob(F-statistic)	0.000000		

المصدر:من إعداد الباحثين اعتمادا على مخرجات البرنامج القياسيEViews9.

من خلال الجدول يمكن كتابة العلاقة الخطية التي تربط المتغير التابع الممثل بالنمو الاقتصادي ومختلف المتغيرات المستقلة للنشاط السياحي:

$$LPib = -6.752472 + 0.091945\ LInvt + 0.666469^{*}\ LVexp$$
$$0.650437^{*}LMt + 0.065624^{*}\ LNt + \varepsilon$$

$R^2 = 0.99$ F-st =1046.989 Prob (F-st)=0.000

n=22 Dw=1.746664

ثالثا: الدراسة الإحصائية والاقتصادية للنموذج

أ-الدراسة الإحصائية

- **معنوية النموذج: تدرس معنوية النموذج من خلال معامل التحديد R^2 و كذا معامل فيشر، فمن خلال معامل التحديد الذي يساوي 990. أي أن المتغيرات المفسرة والمرتبطة بالاستثمار السياحي، الصادرات السياحية، وعدد السياح والتوظيف السياحي تشرح ما نسبته 99.59 ٪ من الناتج الداخلي الخام السياحي في فترة الدراسة، وكذا فإن الاحتمال المرافق لإحصائية فيشر اقل من القيم الحرجة عند 5 ٪، وهذا يعني أن المتغيرات المستقلة معنوية وتشرح جيدا المتغير التابع.**
- **معنوية المعالم : نستعمل إحصائية ستيودنت لدراسة معنوية المعالم، فمن خلال مخرجات البرنامج يتبين بأن الاحتمال المرافق لستودنت أقل من القيم الحرجة عند 1٪ و 5 ٪ و10٪، وهذا بالنسبة لمعلمات الاستثمار السياحي، صادرات السياحة، والتوظيف السياحي ، وهنا نستطيع القول بأن هذه المتغيرات المستقلة الثلاثة لها معنوية إحصائية وتساهم في شرح النموذج المقدر، وحتى الثابت له معنوية إحصائية في النموذج المدروس، في حين جاءت معلمة عدد السياح غير معنوية لأن احتمال الخطأ لإحصائية ستودنت المرافقة اكبر من القيمة الحرجة أي اكبر من 5٪.**

ب-الدراسة الاقتصادية

يتضح من خلال النموذج أعلاه أن المتغير التابع النمو الاقتصادي (Pib) يرتبط بعلاقة طردية مع المتغيرات المستقلة (Mt ، Vexp ،Nt ، Invt) وهذا ما يتفق مع النظرية الاقتصادية، وقد أظهرت النتائج ما يلي:

- توجد علاقة طردية موجبة بين الاستثمار السياحي والنمو الاقتصادي في الفترة الممتدة من 1997 إلى 2018 ، فكلما ارتفع حجم الاستثمار السياحي بوحدة واحدة، فإن ذلك يؤدي إلى زيادة النمو الاقتصادي ب 0.091 وحدة، وهذا ما يتوافق مع النظرية الاقتصادية، لان زيادة الإيرادات السياحية تتولد من الاستثمار السياحي الذي بدوره سيؤثر بشكل ايجابي على النمو الاقتصادي.
- هناك علاقة طردية موجبة بين التوظيف السياحي والنمو الاقتصادي، حيث أن زيادة نسبة التوظيف السياحي بوحدة واحدة يؤدي إلى زيادة النمو الاقتصادي ب 0.65 وحدة محسوبة، وهو ما يتوافق مع النظرية الاقتصادية، لأن التوظيف السياحي ذو آثار إيجابية على مستويات النمو الاقتصادي.
- كما بين النموذج القياسي العلاقة الطردية الموجبة بين حجم صادرات السياحة (الإنفاق الخارجي) والنمو الاقتصادي، حيث أن ارتفاع صادرات السياحة بوحدة واحدة يؤدي إلى زيادة النمو الاقتصادي ب 0.66، وهو ما يتوافق مع النظرية الاقتصادية، لأن زيادة صادرات السياحة هو ناتج لزيادة الإنفاق الخارجي على مختلف الخدمات والسلع وهو ما يؤثر بالإيجاب على مستويات النمو الاقتصادي.
- وقد أوضحت نتائج الدراسة أن عدد السياح الوافدين يؤثر بشكل ايجابي على النمو الاقتصادي ما تدل عليه الإشارة الموجبة، ولكنه غير دال إحصائيا قد يكون ذلك لانخفاض عدد السياح الوافدين إلى الجزائر بالرغم من أن أسعار السلع تتلاءم وقدرات السياح، وهذا ما يدل على انه توجد عوامل أخرى أكثر أهمية لجذب السياحة إلى الجزائر.

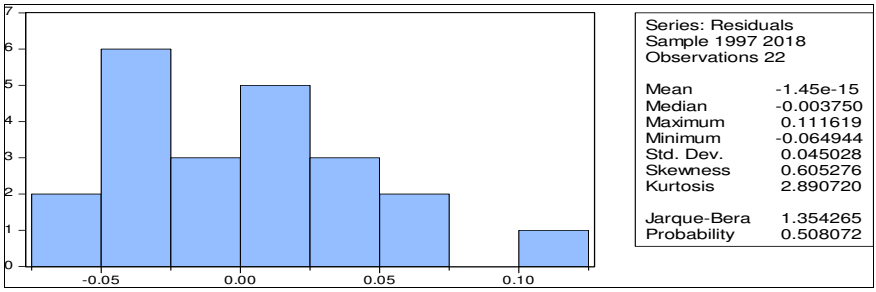
رابعا : إختبار جودة النموذج

معنوية النموذج المقدر ومعنوية المعلمات (مؤشرات) تعكس جودة النموذج، ولكن قبول النموذج والاعتماد عليه في عملية التقدير يعتمد على خلوه

من المشاكل القياسية وتتمثل في إجراء ثلاثة اختبارات: اختبار التوزيع الطبيعي، اختبار عدم وجود ارتباط ذاتي، واختبار عدم تجانس التباين.

أ - إختبار التوزيع الطبيعي للأخطاء: من خلال الرسم أسفله يتبين بأن سلسلة الأخطاء المرتبطة بالنموذج المقدر، تأخذ شكل التوزيع الطبيعي.

شكل 03: اختبار التوزيع الطبيعي للبواقي



المصدر:من إعداد الباحثين اعتمادا على مخرجات البرنامج القياسيEViews9.

يتبين من الشكل أعلاه بأن احتمال توزيع الأخطاء يساوي 0.50 وهو أكبر من القيمة الحرجة عند مستوى 5٪، وذلك ما يؤكد بأن الأخطاء تتبع قانون التوزيع الطبيعي.

ب - إختبار عدم وجود إرتباط ذاتي للأخطاء: حيث يوجد العديد من الاختبارات لاكتشاف مشكلة تجانس التباين، الذي يعتمد على العلاقة بين مربعات البواقي وجميع المتغيرات المستقلة وكذلك مربعاتها (شيخة، 2011، صفحة 115).

جدول 07 : اختبار الارتباط الخطي للبواقي

Breusch-Godfrey Serial Correlation LM Test:			
F-statistic	.5915432	Prob. F(4,17)	0.0738
Obs*R-squared	.3334928	Prob. Chi-Square(4)	0.0801
Scaled explained SS	.7041014	Prob. Chi-Square(4)	0.3190

المصدر:من إعداد الباحثين اعتمادا على مخرجات البرنامج القياسيEViews9 .

ج -إختبار عدم تجانس الأخطاء: من خلال إختبار ARCH المبين في الجدول أسفله، يتبن بأن الاحتمال المرافقة لفيشر وكذا معامل التحديد أكبر من القيمة الحرجة عند 5٪ ، مما يجعل الأخطاء غير متباينة.

جدول 08 : إختبار تجانس الأخطاء

Heteroskedasticity Test: ARCH:			
F-statistic	.4852380	Prob. F(1,19)	0 .4945
Obs*R-squared	.5229600	Prob. Chi-Square(1)	0 .4696

المصدر:من إعداد الباحثين اعتمادا على مخرجات البرنامج القياسيEViews9 .

يلاحظ من الجدول رقم (08) أن احتمالية اختبار عدم تجانس تباينات الخطاء Prob F(1,19) تساوي 490. وهي أكبر من 5٪، وعليه فإننا نرفض الفرض البديل H_1 ونقبل فرض العدم H_0، وهذا ما يعني أن النموذج المقدر خالي من مشكلة عدم التجانس، أي أن البواقي لها تباين متجانس والفروقات بين تبايناتها غير معنوية.

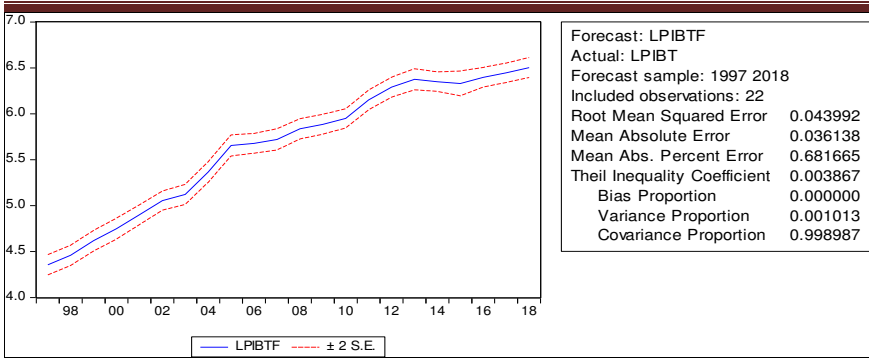
من خلال الاختبارات الإحصائية و القياسية التي اجتاز عليها النموذج لوحظ أن:

البواقي تتبع التوزيع الطبيعي ولا يوجد ارتباط بين الأخطاء ، كما لا يوجد تجانس التباين ،فإن هذا النموذج يعتبر نموذجا مقبولا إحصائيا، و يمكن الاعتماد عليه في تفسير متغير الناتج السياحي الذي يساهم في النمو الاقتصادي بشتى أنواع المتغيرات التي تفسره والمتمثلة في المتغيرات المستقلة المذكورة سابقا .

خامسا: إختبار مقدرة النموذج على التنبؤ

يمكن إختبار مدى مقدرة النموذج على التنبؤ باستخدام معيار معامل عدم التساوي لثايل (Theil) كما يوضحه الشكل التالي :

الشكل 04 : منحنى إختبار ثايل (Theil)



المصدر:من إعداد الباحثين اعتمادا على مخرجات البرنامج القياسيEViews9.

من خلال الشكل نلاحظ أن النموذج المقدر له مقدرة تنبؤية مقبولة وهذا من خلال معامل ثايل حيث أنه يقترب من الصفر 00380. = Ut ، ما يفسر على أن النموذج له مقدرة تنبؤية بقطاع السياحة تكون مقبولة.

5. -خاتمة

من خلال هذه الدراسة حاولنا تسليط الضوء على النشاط السياحي وأثره على النمو الاقتصادي في الجزائر خلال الفترة 1997 -2018، وتماشيا مع طبيعة الموضوع تم التطرق إلى تحليل وصفي للمؤشرات الأساسية للنشاط السياحي، ليتم بعد ذلك بناء نموذج قياسي اقتصادي لتبيان الأثر، وخلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج نوجزها فيما يلي:

- صحة الفرضية الأولى، والمرتبطة بضرورة تنمية القطاع السياحي الذي يؤدي حتما إلى الرفع من مستويات الإيرادات الكلية، الأمر الذي يساهم في تحقيق النمو الاقتصادي و التنمية الاقتصادية على حد سواء.
- صحة الفرضية الثانية، أين بينت الدراسة القياسية أن ارتفاع حجم الاستثمار السياحي بوحدة واحدة يؤدي حتما إلى الرفع من مساهمة السياحة في الناتج المحلي الإجمالي بما يفوق 0.091 وحدة محسوبة، وذلك من خلال تشجيع الاستثمار السياحي وتحفيز الشباب على خلق المؤسسات الصغيرة والمتوسطة الناشطة في الميدان السياحي.
- كما توصلت الدراسة أيضا إلى وجود أثر بسيط جدا للنشاط السياحي في الجزائر على النمو الاقتصادي وهذا راجع لاعتماد الاقتصاد الوطني على المحروقات كمورد أساسي للعملة الصعبة دون الاعتماد على القطاعات الأخرى.

في الأخير، ومما تقدم يبدو جليًا أن اثر النشاط السياحي على النمو الاقتصادي في الجزائر لا يزال محدود جدا، كاشفا بذلك عدم وجود صناعة سياحية فعلية ومتطورة ، تستطيع أن تستثمر في الطلب السياحي وتتعرف على توجهاته، ومن ثم توفر له ما يحتاجه من خدمات سياحية مرضية ، لذلك فان جزء من هذا الطلب يتوجه إلى الدول العربية المجاورة أو الدول الأوربية، التي تتوفر بها خدمات سياحية متطورة.

التوصيات والاقتراحات:

على ضوء النتائج المستخلصة من هذه الدراسة، ارتأينا أن نقدم أهم المقترحات التي نعتقد أن ترجمتها على ارض الواقع سيعطي دون شك دفعا قويا للنهوض السريع بهذا النشاط الاقتصادي الهام، والتي يمكن حصرها فيما يلي :

- ترسيخ إرادة حقيقية لتطوير قطاع السياحة، في إطار تشاوري مع مختلف القطاعات والقوى الفاعلة بالاعتماد على تشخيص واقعي للوضعية الحالية للقطاع.
- وضع إستراتيجية لاستثمار كل المقومات السياحية المتوفرة في الجزائر انطلاقا من المخزون الطبيعي وصولا إلى الثقافي والحضاري، وذلك في إطار خطة محكمة تهدف إلى مزيد من إدماج السياحة الجزائرية في فضاءها الإقليمي والدولي، وتوفير الشروط الكفيلة بتدعيم قدرتها التنافسية.
- دعم النشاطات السياحية من خلال وضع تحفيزات جبائية ومالية نوعية ومعتبرة يتم إصدارها في شكل قانون استثمار قطاعي خاص بالسياحة كما هو موجود في العديد من الدول.
- تبنى السياحة المستدامة كمقاربة تنموية بديلة للنشاط السياحي من خلال تركيبة من العلاقات المتوازنة بين الأطراف المعنية و التي تتمثل بشكل عام في الجماعات المحلية، السكان المحليين، مقاولي القطاع السياحي و السياح نفسهم بهدف توظيف أمثل و مستدام لموارد الإقليم المحلي بما يحق منفعة لكل الأطراف.

6. - المراجع:

الكتب

- ماهر عبد الخالق السيسي (2016)، مبادئ السياحة، مجموعة النيل العربية الطبعة الثانية، القاهرة ص 19.
- محمد شيخة (2011)، طرق الاقتصاد القياسي محاضرات وتطبيقات، الطبعة الأولى، دار الحامد. ص 115.
- محمد الحمامي و كمال درويش (1997)، رؤية عصرية للترويج وأوقات الفراغ ،مركز الكتاب للنشر، دون طبعة ، القاهرة ، ص294.
- عثمان محمد غنيم ونبيل سعد بنيتا(1999) ، التخطيط السياحي ، دار الصفاء للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ،عمان ص 54.
- هارون، علي أحمد، (2006) أسس الجغرافية الاقتصادية. دار الفكر العربي، القاهرة. مصر، ص 123.
- هدى سيد لطيف (1994)، السياحة بين النظرية والتطبيق، الطبعة الأولى، القاهرة، الشركة العربية للنشر والتوزيع، ص 44.
- يسرى دعبس (2002)، السلوك الاستهلاكي للسائح في ضوء واقع الدول المتقدمة والنامية، البيطاش للنشر و التوزيع، مصر ص14.

مقال في مجلة:

- خالد لافي ومحمد الحنيطي (2017)، اختبار فرضية كالدور للنمو في الاقتصاد الأردني، المجلد5 العدد 1، المجلة الأردنية للعلوم الاقتصادية. ص 12.
- رجاء عبد الله عيسى وخولة رجيش حسن (2016)، اثر الاستثمار السياحي على تنويع مصادر الدخل في العراق للسنوات 2000 -2015، مجلة العلوم الاقتصادية ص 15.
- عبد الرزاق مولاي لخضر، خالد بورحلي (2016)، "متطلبات تنمية القطاع السياحي في الاقتصاد الجزائري"، المجلة الجزائرية للتنمية الاقتصادية، المجلد 3 ، العدد: 04 ، ص 72.
- قريريج بن علي و عبد الرحمان عبد القادر (2019) ، الناتج الزراعي والنمو الاقتصادي في الجزائر دراسة قياسية للفترة من 1989 إلى 2018، مجلة الباحث الاقتصادي، المجلد 07، العدد 12. ص 457.

رسائل واطروحات:

- بودربالة توفيق (2017)، دور القطاع السياحي في التنمية الاقتصادية دراسة تحليلية مقارنة بين الجزائر والأردن، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في العلوم الاقتصادية، تخصص اقتصاد التنمية، جامعة العربي بن مهيدي ام البواقي، ص 218.
- صليحة عشي (2011) ، الأداء والأثر الاقتصادي والاجتماعي للسياحة في الجزائر وتونس والمغرب ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في العلوم الاقتصادية، تخصص اقتصاد التنمية، جامعة الحاج لخضر باتنة، ص 157.

المراجع باللغة الاجنبية:

- Asma Seffari (2018). Constraints and challenges facing the sustainable development of Algerian tourism sector. Article prepared for International Scientific Conference. "Tourism is ideal for economic diversification "organized by University of Mila on 11 and 12 December 2018, P 165.
- Gujarati, D. (2003). Basic Econometrics. McGraw-Hill. New York .p19.

مواقع الانترنيت:

- https://www.mta.gov.dz/wp-content/uploads/2018/09/Tableau-de-bord-.pdf
- ONS, O. N. (2017), Algérie en chiffres, Consulté le 04 15, 2020, sur http://www.ons.dz/: http://www.ons.dz/
- the World Travel & Tourism Council, (2018), Alegria 2018, Consulté le 04 21, 2020, sur TRAVEL & TOURISM ECONOMIC IMPACT: https://www.wttc.org/-/media/files/reports/economic-impact-research/archived/countries-2018/algeria2018.pdf
- world tourism organization, (2020), understanding tourism: basic glossary, Consulté le 04 13, 2020, sur http://www2.unwto.org/: http://cf.cdn.unwto.org/sites/all/files/docpdf/glossaryenrev.pdf.

مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ر ت م د: 7163 -1112 ر ت م د إ :2588-1892
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2

استخدام طريقة المربعات الصغرى الجزئية PLS لتقييم الدور الوسيط للحملات التسويقية في تأثير عناصر المزيج التسويقي على قرار الشراء لدى عينة من السياح.

Use the PLS micro-squares method to assess the intermediate role of marketing campaigns in the impact of marketing mix elements on the purchasing decision of a sample of tourists.

عيسى قادة[1] ، وزاني محمد[2]

1 -جامعة د مولاي الطاهر سعيدة، aissakadda@yahoo.fr

2 - جامعة د مولاي الطاهر سعيدة، ouazamed@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2020/05/01 . تاريخ القبول: 2021/01/31

الملخص -

تهدف الدراسة إلى توضيح مدى تأثير عناصر المزيج التسويقي السياحي (المنتج، السعر، التوزيع، الترويج، الشواهد المادية، العمليات، و المشاركون) على القرار الشرائي للسائح من خلال التجربة السياحية المقدمة في الحملات التسويقية للوجهة السياحية و التي تسند على مقومات و هي جودة الرسائل الاتصالية, التخطيط و الحجز المبكر و تحديد الشرائح المستهدفة , لذلك تم توزيع استمارة على عينة تتكون من 120 سائح ، بحيث تمت معالجة البيانات باستخدام نماذج المعادلات الهيكلية (طريقة المربعات الصغرى الجزئية PLS) وقد توصلت نتائج الدراسة بعد المعالجة الإحصائية باستخدام برنامج SMART PLS 3 .2.8 إلى وجود أثر ايجابي غير مباشر لعناصر المزيج التسويقي السياحي على القرار الشرائي بالاعتماد على مكونات الحملات التسويقية كمتغير وسيط.

الكلمات الدالة:

المزيج التسويقي السياحي، الحملات التسويقية السياحية، القرار الشرائي، السائح، المعادلات الهيكلية بمنهج PLS.

المؤلف المرسل: وزاني محمد: mohammed.ouazani@univ-saida.dz

Abstract:

The purpose of this paper is to assess the impact of the elements of the tourism marketing mix (product, price, distribution, promotion, physical evidence, operations and peoples) on the purchasing decision of the tourist through the tourism experience presented in the marketing campaigns of the tourist destination. We propose and test a model demonstrating that the relationship between Marketing Mix and purchasing decision is fully mediated by the depth of marketing campaigns knowledge absorbed by the quality of communication messages, Planning, early reservation and identification of the target segments. So a form was distributed to a sample consisting of 120 tourists. so that the data were processed using the structural equation models (the method of Partial Least Square PLS) and the results of the study after statistical treatment using the **SMART PLS 3. 2.8** program have found an effect indirectly positive for the elements of the tourism marketing mix on the purchasing decision relying on the components of the marketing campaigns as an intermediate variable.

Key words:
Tourism Marketing Mix, Tourism Marketing Campaigns, Purchasing Decision, Tourist, Structural Equation **PLS**.

1. - مقدمة:

تعد السياحة أحد الأنشطة الحيوية على المستوى العالمي، وصناعة السياحة من أهم الصناعات العالمية إذ أصبحت صناعة العصر والمستقبل ويحتل هذا النشاط مكانة مهمة في اقتصاديات الدول التي تدرك أهميته وتوليه الاهتمام المناسب لكونه أحد ركائز التنمية الاقتصادية لمساهمته في خلق مناصب الشغل و تنويع مصادر الدخل، و الجزائر دولة تمتلك الكثير من مقومات الجذب السياحي كالظواهر الجغرافية الطبيعية والموروث الحضاري الثقافي حيث بدأت تلِق الاهتمام المطلوب والمناسب لها كبديل للاقتصاديات المعتمدة على الريع النفطي لذا ينبغي التعامل مع النشاطات السياحية كمورد اقتصادي هام من موارد الدولة، وتحقيق الآليات العلمية والمادية لتطوير أدائه وتفعيل وتطوير المرافق السياحية وتحسين الخدمات السياحية, لا يتم ذلك إلا عبر تحسين مستوى الخدمات السياحية المقدمة للسائح عبر الوكالات السياحية من خلال تحسين كفاءة المزيج التسويقي لتفعيل أفضل للقرار الشرائي و تلعب الحملات

التسويقية دورا جليا في زيادة قوة التأثير على القرار الشرائي من خلال تحديد الشرائح المستهدفة و تحسين جودة الرسائل الاتصالية و تمكين السائح من التخطيط المبكر للرحلة السياحية كل ذلك يجعل الحملة التسويقية السياحية ناجحة و بالتالي خلق الرضا المتزايد للسائح.

1.1. - مشكلة البحث: تكمن مشكلة البحث في تحديد مدى تأثير الحملات التسويقية السياحية على القرار الشرائي، وتعتمد أساسا في التعرف على التأثيرات الوسيطة للحملات التسويقية السياحية في العلاقة بين المزيج التسويقي والقرار الشرائي، وبالتالي يمكن القول بأنّ المشكلة تكمن بالإجابة على الإشكالية التالية:

هل تساهم مكونات الحملات التسويقية السياحية كمتغير وسيط في زيادة قوة العلاقة بين المزيج التسويقي والقرار الشرائي؟

للتوصل للإجابة على هذه الإشكالية نقترح الفرضية الرئيسية التالية:

تؤثر مكونات الحملات التسويقية السياحية ايجابيا على السلوك الشرائي للعميل الجزائري عبر جودة الرسائل الاتصالية، تحديد الشرائح المستهدفة والتخطيط والحجز المبكر للموسم السياحي؟

2.1. - أهمية البحث: تبرز أهمية هذا البحث في التعرف على سلوك السائح الجزائري من خلال معالجة مكونات الحملات التسويقية السياحية، جرى التحليل الأساسي لهذه المكونات المؤثرة في اتخاذ القرار الشرائي من خلال العوامل الأساسية المتمثلة في: جودة الرسائل الاتصالية، تحديد الشرائح المستهدفة والتخطيط والحجز المبكر للموسم السياحي حيث ساهمت هذه العوامل في نجاح الحملات التسويقية السياحية والتأثير الايجابي على سلوك السائح مما مكن المنظمات السياحية من زيادة كفاءة وفاعلية المزيج التسويقي.

3.1. - أهداف البحث: تفسير العلاقة بين عناصر المزيج التسويقي وبين مكونات الحملات التسويقية؛

- توصيف استخدام الحملات التسويقية السياحية كعامل أساسي في تقوية تأثير المزيج التسويقي على مستوى المنظمات السياحية؛
- تحديد تأثير الحملات التسويقية السياحية كمتغير وسيط في العلاقة بين المزيج التسويقي والقرار الشرائي.

2. -الإطار النظري:

1.2. - التسويق السياحي:

في العصر الحديث شهد التسويق السياحي تطوراً كبيراً لتطوير القطاع السياحي من خلال الخدمات والمنتجات والبرامج التي يقدمها و يمثل التسويق مرحلة مهمة في السياحة لما له من فضل في عملية البحث، واكتشاف و جذب السياح المحتملين في الأسواق السياحية، و هو ما ينعكس على مستويات الطلب (صحراوي، 2012) وعلى الرغم من وجود المقومات الحضارية والأثرية والدينية ومقومات الجذب السياحي الأخرى التي تتمتع بها كل دولة، فإن الأمر في حاجة إلى سياسات وإجراءات سياحية تسويقية كفيلة بدعمها ونجاحها، وأداء الدور المطلوب منها، وتحقيق أهدافها، خصوصاً فيما يتعلق بالجانب الاجتماعي الذي لا يقل أهمية عن الجانب الاقتصادي، لدعم وتطوير هذا القطاع الحيوي المهم .

وعرفت منظمة السياحة العالمية (W.T.O) السياحة بأنّها مجموع العلاقات والخدمات الناتجة من السفر والإقامة إلى ذلك الحد الذي لا يحتاج السائح فيه إلى إقامة دائمة، ولا يترتب على سياحته أي نشاط بأجر مدفوع (السياحي، 2015). أما الأكاديمية الدولية للسياحة فقالت السياحة هي مجموع التنقلات البشرية والأنشطة المترتبة عليها والناجمة عن ابتعاد الإنسان عن موطنه؛ تحقيقاً لرغبة الانطلاق والتغير، وكل ما يتعلق بها من أنشطة وإشباع حاجات السائح. ويُعرف التسويق السياحي بأنه ذلك النشاط الإداري والفني الذي تقوم به المنظمات والمنشآت السياحية داخل الدولة وخارجها؛ لتحديد الأسواق السياحية المرتقبة، والتعرف عليها، والتأثير فيها، بهدف تنمية الحركة السياحية القادمة منها، وتحقيق أكبر قدر من الإيرادات السياحية. والتسويق السياحي نشاط إداري يشمل كل وظائف الإدارة من :تخطيط، وتنظيم، وتوجيه ورقابة (السياحي، 2015)، وتحقق الإدارة العلمية للتسويق فوائد عدة، منها:

- تخطيط وتنظيم الجهود التسويقية بشكل علمي منظم.
- تقييم وتطوير الأداء التسويقي بشكل مستمر.
- استخدام الموارد التسويقية المختلفة بكفاءة عالية.

- تحقيق التنسيق بين الأنشطة التسويقية والأنشطة الأخرى داخل المنشآت التسويقية المختلفة.
- تحقيق الأهداف التسويقية للمنشأة.

2.2. - المزيج التسويقي السياحي:

يسهل التسويق عملية التبادل، وتطوير العلاقات بين المنظمة والمستهلك، ويدرس حاجات المستهلكين، ويطور المنتجات والخدمات لتلبي طلبهم، وكل هذا يعرض على العملاء بسعر مدروس، عن طريق قنوات توزيع يسهل على المستهلك الوصول إليها .ويدرس أيضا برنامج الترويج والاتصال مع العملاء بهدف خلق وعي واهتمام من قبلهم بالمنظمة وبمنتجاتها. (احسان و السيد، 2017)

أولا -المنتج: يمثل مزيج من الظروف الطبيعية (الجغرافية، البيئية، المناخية)والمقومات البشرية، الدينية، الأثرية والحضارية تشكل مجموعة متكاملة من عناصر الجذب السياحي بالإضافة إلى الخدمات والتسهيلات السياحية مثل المرافق العامة والتي تتوفر لدى الدولة المضيفة، وهي تمثل مزيج متكامل ذو قوة وجذب سياحي تعتمد عليها المنطقة من اجل إثارة الطلب السياحي الخارجي فالمنتج السياحي هو الشريان الرئيسي للنشاط السياحي. وان مصطلح المنتج يشمل في معناه الخدمة للصعوبة في التمييز بين السلعة والخدمة، فالمنتج السياحي لا يقصد أنه منتج سلعي بل يرتبط بخدمات مكملة له,فهو يشمل مجموعة مترابطة من الخدمات الملموسة كخدمات النقل إضافة إلى جوانب غير ملموسة المتكاملة فيما بينها.

ثانيا -السعر: هو مقدار ما يدفعه الزبون مقابل السلعة أو الخدمة، وعمليه تحديد السعر تسمي التسعير وهي عمليه دقيقه، وتعتمد على العديد من العوامل مثل المواد الخام، وقيمه المنتج نفسه، ومن الطرق التي تتبعها المنظمات عاده التسعير على أساس التكلفة أو سعر السوق .تعتبر السياسة السعرية أهم الآليات المؤثرة على قوى الطلب والعرض وعنصر أساسي في قدرة المنظمة على بيع منتجاتها .فالتسويق السياحي مرتبط بمرونة تحديد الأسعار لجعلها ذات مصداقية، وليس تحديد الأسعار بالأمر الهين في القطاع السياحي إذ أنه معقد يعتمد على دراسة مسبقة لعملية التسعير ومراجعة

لسياسات التسعير المنافسة، إضافة إلى دراسة تغير السوق .إن الفعالية في زيادة الطلب السياحي ترتبط بالأسعار المتاحة لأغلب شرائح السوق السياحي، إضافة إلى وجود صعوبة بالنسبة للمنظمات السياحية في تحديد أسعار منتجاتها المعروضة دون غض النظر عن الاعتبارات الخارجية المؤثرة على الأسعار كالسياسات التسعيرية المنافسة، المستوى الاقتصادي والاجتماعي السائد في الدول المتواجدة ضمن السوق السياحي، الحركة السياحية موسمية (سامية وباشا، 2014).

ثالثا -الترويج: هو جميع أشكال الاتصال بين المنظمة والعملاء مثل الإعلانات والعلاقات العامة وترويج المبيعات والبريد المباشر وغيرها من أساليب الترويج والاتصال بالعملاء، كما أن الترويج يتدخل في تحديد شكل المنتج، حيث أنه يؤثر بشكل واضح على انتباه العملاء ومدى اهتمامهم بالمنتج.

ويقصد به كل الجهود المباشرة وغير المباشرة التي تعتمد على وسائل الإعلام والاتصال المختلفة الموجهة إلى مختلف الأسواق ترتكز فيها على حملات منظمة بإمكانيات متميزة، لتعزيز العلاقات مع هذه الأسواق المصدرة للسياح وتحسين الصورة الذهنية للمنطقة والمنظمات السياحية من خلال المغريات والتسهيلات المقدمة الإيواء والخدمات المرافقة للعملية السياحية

رابعا -التوزيع :هو المكان الذي يتم فيه بيع المنتج والقنوات التي يتم خلالها توزيع المنتج وإيصاله إلى المستهلك النهائي، والتعرف على كيفية توزيع المنتج بالطريقة المثلى، وضمان سد احتياجات السوق من المنتج، ومع تطور التجارة الإلكترونية سهلت توزيع العديد من المنتجات بعرضها في المواقع الإلكترونية، ويمكن الحصول عليها بمجرد طلبها.

والتوزيع هو مجموع الأنشطة الممارسة ذات الصلة بانسياب السلع والخدمات من المنتج إلى المستهلك المرتقب وتحقيق المنفعة المكانية والزمنية، فهو حلقة الوصل بين الطلب والعرض السياحي فسياسة التوزيع المناسبة في مناطق الجذب تمكن من تحقيق الرضا لدى السائح، وتوزيع المنتج السياحي يعتمد على طريقتين هما :

-التوزيع المباشر :وتتم دون الاعتماد على الوسطاء وذلك من خلال الاتصال المباشر مع المستهلكين النهائيين، حيث تخفض تكاليف التوزيع وبالتالي تخفيض الأسعار.

-التوزيع الغير مباشر: تعتمد على تقاسم الأعباء من طرف مجموعة من المتعاملين والوسطاء ومن أهم الوسائل أو الوسطاء المعتمدين :المتعاملين السياحيين، وكالات السفر والسياحة، الدواوين السياحية، الدليل السياحي ...الخ.

خامسا -المشاركون (الناس): و يتضمن كافة الأفراد المشاركين في تقديم الخدمة و تسهيلها للعميل و من ثم تأثير ذلك على درجة رضا العميل عما يتلقاه من خدمة، والمشاركون هم كافة العاملين في المنظمة و المؤيدين للخدمة بشكل أو بآخر و كذلك المستهلكين الأخرين الموجودين في البيئة و المحيط الذي تقدم فيه الخدمة .

مجموع الموارد البشرية المسئولة عن تقديم الخدمات السياحية بكافة أشكالها للسياح عبر مختلف المنظمات السياحية من حجز وإيواء وخدمات الدليل السياحي وغيرها .فأي تقصير منهم في تقديم الخدمة يؤثر سلبا على عناصر المزيج التسويقي . حيث يتلقون تدريبا وتأهيلا يمكنهم من تحسين الأداء في مجال التنشيط، الاستقبال الجيد، التدريب والخدمات المتطورة ويعتبر مفتاح لتقييم أي عرض سياحي(MANTEI, 2010) مما يقوي درجات الرضا لدى المنتفع من الخدمة .ويعبر عن شكل من أشكال التسويق الداخلي ويعبر عنه بالعلاقات التفاعلية القائمة بين مقدم الخدمة والمستفيد. (يخلف و سعودي، 2017).

سادسا -عملية تقديم الخدمة السياحية: وتشمل على كافة الأنشطة و العمليات التي تؤدى أثناء تقديم الخدمة و إدارة التفاعل بين مقدم الخدمة و متلقيها وهي الكيفية التي تقدم بها الخدمة السياحية وتركز عليها المنظمة السياحية عند وضع استراتيجيتها التسويقية، كما تساهم في تفعيل الأداء الجيد في تقديم الخدمة، وبالتالي كسب رضا وولاء الزبون. تتمحور حول سلوك الموظفين، بنية المنظمة، السياسات والإجراءات المعمول بها، الترحيب الاستقبال الحسن، إدارة شكاوى العملاء، والسيرة الحسنة لمقدمي الخدمة .

وتشمل نشاطات أو بروتوكولات أخرى مثل المكننة، وتدفق النشاطات، وحرية التصرف أو الاختيار الممنوحة للقائمين على تقديم الخدمة (يخلف و سعودي، 2017). إن نجاح التسويق السياحي يتأثر أساسا بالإجراءات التي تتبعها المنظمة السياحية في تقديم خدماتها، بالإضافة إلى تطوير جانب العلاقة مع الزبون الذي يؤثر حتما على الرضا والولاء لدى الزبون.

سابعا –الشواهد المادية: و التي تتضمن كافة الجوانب الملموسة و التي تؤثر على البيئة التي تقدم فيها الخدمة و أيضا أي معدات تستخدم في تقديم الخدمة و تحقيق لها التميز و تؤثر على حكم الزبائن والمستخدمين على المنظمة التي نقدم الخدمة المعنية (يخلف و سعودي، 2017).إن قصد السياح مناطق الجذب بهدف الاطلاع عليها والتمتع بها من خلال التمييز الذي يتجسد في البدائل المادية الملموسة كالأثاث ،المباني ،الديكور، التجهيزات والواجهات والتي تؤثر على مواقف ومزاج السياح. بترسيخ صورة ذهنية جيدة عبر الدليل المادي المجسد لذلك(Pratt, McCabe, Cortes-Jimenez, & Blake, 2009) , مهما كانت الخدمات جيدة فهي عديمة الفائدة من غير وجود بيئة مادية يلمسها و يتفاعل معها السائح (صحراوي و شريف، 2012), فالعامل المادي هو عنصر في المزيج التسويقي للخدمات السياحية يرسخ الصورة الذهنية الجيدة للمنظمة السياحية بخلق انطباع جيد عن نوعية الخدمات السياحية المقدمة .

3.2. – الحملات التسويقية وبناء الصورة الذهنية:

هي مجموع الأنشطة والمهام الواجب القيام بها لتحقيق هدف أو مجموعة أهداف تسويقية عن طريق تقديم سلسلة من الخدمات في توقيت معين وبأسعار محددة في أسواق معينة عن طريق شبكات توزيع وأنشطة ترويجية خاصة. (شبير و وادي، 2015)، وتأخذ الحملات التسويقية شكلان هما الإعلانات أو الرسائل، الأولى رسائل اتصالية عقلانية، والأخرى رسائل اتصالية عاطفية .والإعلان العقلاني هو الذي يقنع السائح بطريقة منطقية ومبرمجة عبر المعلومات . وعادةً ما تكون الرسالة العقلانية وصفية للمنتجات والخدمات، وتقدم معلومات .أما الإعلان العاطفي فيحاول أن يوفر داخل الفرد شعوراً وارتباطاً بالعاطفة مع الوجهة أو المنتج السياحي.وقد حققت الرسائل العاطفية نجاحاً

كبيراً وتوجهاً متزايداً من قبل المقاصد السياحية الكبرى في العالم خلال السنوات الأخيرةّ، وتركز الحملات التسويقية والإعلانية التي تعتمد الرسائل العاطفية على التجارب الإنسانية مع عدم إغفال عنصر الجودة؛ إذ تحرص توضيح ذلك بوضع نظام صارم لجودة المنتج والبرنامج السياحي والوجهة السياحية؛ سعياً إلى توفير المناخ الملائم للجودة.

تدرك المنظمات أهمية أبحاث السوق قبل وضع الخطة التسويقية والحملات؛ باعتبار أن التسويق الفعال يستند إلى استراتيجيات واضحة مبنية على دراسات للأسواق؛ لذلك تحرص على أن يكون فريق عمل الإدارة العامة للتسويق والقائمون على الحملات والتسويق من المتخصصين وأصحاب الدراسات والخبرة في مجالات التسويق والإعلام.

يقوم الفكر التسويقي في المنظمة السياحية على التسويق النوعي أو القطاعي، وتقسيم السوق إلى شرائح مختلفة بحيث تكون لهم خصائص متشابهة مما يساعد في إيجاد وتطوير نوعيات جديدة ومختلفة من الأنماط السياحية فتصويب الاستهداف للشرائح يوفر الجهود و الوقت (Kasewurm, 2007)، بعد أن أصبحت السياحة من أهم الصناعات التي تهم العنصر البشري، وتساعد في تحسين اقتصاديات الدول وتغير من صورتها الذهنية؛ لذلك تعتمد المنظمات على حملات متنوعة للأنماط السياحية المختلفة، حيث تختلف خطط وأدوات التسويق لكل نمط باختلاف الشرائح المستهدفة. يركز الفكر التسويقي فيها على الاهتمام بالتعامل مع الإنترنت ووسائل التسويق الجديدة؛ إدراكاً لأهميتها الكبرى في التسويق السياحي والتحديث المستمر للتعامل مع البوابات والمواقع، بتوفير فرق عمل محترفة تعمل على تحسين الصورة الذهنية بصفة مستمرة.

وتركز الحملات التسويقية التي تقوم بها المنظمات على جودة البناء ألمعلوماتي بما يشمله من معلومات، وصياغات، ومصطلحات، بحيث تتسم المنتجات والبرامج السياحية ببناء عام قوي يعتمد على دقة المعلومات في الرسالة الإعلانية، وعدم المبالغة في تقديم المقومات والمرافق والخدمات السياحية في الوجهات السياحية، فضلاً عن المعالجة الفنية المحترفة لتصميم الرسالة الإعلانية لتتناسب مع المقومات السياحية ،عن طريق جوانب عدة،

منها : تحديد الوسائل والأدوات التسويقية والإعلامية الأكثر ملائمة للاستخدام، واختيار الأشكال والأساليب الملائمة، وتحديد أولويات الرسالة الإعلانية واتجاهاتها وتوقيتها. تتنوع رسائل الحملات الإعلامية والتسويقية التي تقوم بها المنظمات ما بين رسائل التوعية، وتلك التي تهدف إلى تغيير السلوك، إلى جانب العمل على تغيير الثقافة والقناعات، وتقديم الخيارات وإبراز المقومات السياحية التي تتمتع بها المناطق والجهات التي لا يعرف عنها السائح الكثير من المعلومات و يصاحَبَ ذلك تنفيذ وبث الرسائل الإعلانية وتوظيفها من خلال الوسائل التي لها نسبة وصول عالية، واختيار مواقع إعلانات الحملات التسويقية وتوقيتها؛ تزامناً مع تعزيز المنظمة لثقافة التخطيط المبكر من خلال الحملات المبكرة ، وربط السائح بوسائل اتصال تقنية تقدم له معلومات ونصائح، بما تتيح التخطيط لرحلته وبرنامجه السياحي. وتبعاً لتنوع الشرائح العمرية والفئات؛ يتم اختيار الوسائل التسويقية والأدوات الإعلامية التي تناسب كل شريحة من كبار السن والشباب والعائلة، واستخدام أسلوب **Focus group** لضمان الوصول إلى الجمهور المستهدف، واختيار التصاميم المناسبة لهم واختبارها قبل نشرها.

تركز المنظمات للتسويق في حملاتها على عدة نقاط، من بينها :بناء التجربة السياحية الناجحة، ونقل السائح من مكان إلى آخر، وأن تكون الرسالة واضحة وواقعية وذات مصداقية بحيث تبرز التنوع السياحي في المقصد السياحي، وتسعى إلى زيادة الوعي وإقناع السائح بجانب التراث والآثار، وتقديم برنامج سياحي متكامل من خلال هذه الحملات التسويقية. كما تحرص المنظمة في رسائلها الإعلانية على إعطاء هوية سياحية للمناطق المستهدفة، من خلال احتواء الرسالة على ما يبرز التنوع في هذه المناطق وتفرد كل جهة سياحية بمميزات خاصة. توضح الهوية الخاصة لكل منطقة عوامل تميزها، ومقوماتها، وتعزز ثقافة السياحية، وعلى سبيل المثال تم إطلاق حملة لتغيير الصورة الذهنية، الفكرة الرئيسية في ذلك هي :استمتع من خلال عدة خيارات، منها :التسوق والشواطئ والرحلات ، مع التركيز على نقل السائح للتجربة الفعلية؛ حتى يتم تغيير وتكوين صورة ذهنية إيجابية من خلال الخبرة المباشرة.أسهمت هذه الاستراتيجية التسويقية في تفعيل شركاء

المنظمة من مشغلي دور الإيواء ومنظمي الرحلات، وشركات الطيران، وغيرها من المنشآت السياحية، وتغيير الصورة الذهنية التي تكونت لديهم عن السياحة ، وأهميتها، وانتشارها، وعوائدها الاقتصادية عليهم. وأدت الحملات التسويقية، وما صاحبها من عروض خاصة، ورسائل إعلانية للشرائح المستهدفة إلى نمو ملحوظ في الحركة السياحية. (السياحي، 2015)

- حملة التخطيط والحجز المبكر لموسم سياحي:

تركز أفكار الحملة على تشجيع السائح على التخطيط والحجز المبكر للموسم وذلك قبل (**Gary Gerber, 2006**) أشهر والاستفادة من العروض والفعاليات السياحية في مختلف المناطق السياحية، حيث يتم دعمها بعدد كبير من العروض من الفنادق والشقق ومنظمي الرحلات؛ لتعزيز العدد الكبير من الفعاليات المتاحة، إلى جانب التنسيق بين الأنشطة التسويقية والإعلامية في المنظمة لتحقيق أكبر تأثير ممكن، وتوفير الأدوات التي تسهل على السائح الاستمتاع برحلاته مثل خدمات مركز الاتصال السياحي. اعداد بروشورات تحتوي على عروض وفعاليات، وتوزيعها من خلال الصحف الرئيسية وفروع المنظمة ومنافذ التوزيع المختلفة من مكاتب سفر ومنظمي رحلات سياحية، ونشر رسائل SMS عن العروض والفعاليات السياحية.

- خطوات الحملة التسويقية: (شبير و وادي، 2015) تنقسم إلى الخطوات التالية:

- تحديد الجمهور المستهدف وفهمه من خلال تحليل حاجات الجمهور وفهمها وتبنى عليه قرارات مهمة كاختيار وسيلة الاتصال المناسبة وتكييف العرض (خليل و بن يعقوب، 2017)، ويهتم بتقسيم الجمهور الحالي إلى فئات ديمغرافية وتحليل أنشطة المنافسين للاستفادة منها في تكييف رسائل التسويق المباشر.
- تحديد أهداف الحملة بالتركيز على زيادة المبيعات أو عوائد مادية أو أهداف غير مادية أي اتصالية كخلق الوعي، أو تغيير معتقدات، لكسب زبائن جدد أو الاحتفاظ بهم شريطة أن تكون هذه الأهداف قابلة للقياس يمكن

الحكم على مدى نجاحها والاستفادة من النتائج للحكم على حملات تسويقية أخرى.

- وضع الاستراتيجيات الإبداعية لبدء إعلانات التسويق المباشر والحرص على تبسيطها.
- اختيار الوسائل الإعلانية المناسبة لأهداف الحملة التسويقية وطبيعتها كالبيع وجهاً لوجه، البريد المباشر، الكتالوج ,التسويق عبر الهاتف أو التلفزيون أو التسويق الالكتروني (خليل و بن يعقوب، 2017) .
- تنفيذ وتقييم الحملات بواسطة موظفين مدربين حيث يمكن قياس وتقييم فعالية الحملة من عدة جوانب كمعدل الاستجابة، كمية المبيعات، حجم الاستفسارات عن المنتجات، معدل التحول من الاستفسار إلى الشراء الذي يعد مؤشر أساسي لنجاح الحملة التسويقية.

-آلية إعداد حملة تسويقية سياحية ناجحة: (شبير و وادي، 2015)

- وضع توقعات واقعية من خلال التنبؤ وإعداد الجداول الزمني الخاصة بالحملة التسويقية.

- تطبيق منهجية **SMART (Specific, Measurable, Achievable, Realistic and Timely)** أهداف محددة قابلة للقياس، وقابلة لتحقيق حقيقية، وموقوتة، وما دامت واضحة يمكن لمركز التسويق تقديم دور أكبر.

- تحديد الفئة المستهدفة عبر الخاصيات الأساسية كالجنس العمر، المنطقة ...الخ.

- تجهيز العرض يجب أن يكون العرض مقنع وشاملا وقابلا لمعالجة الاحتياجات والمتطلبات الزبائن.

- تحديد صاحب القرار الأشخاص المسئولين عن آليات التحاور مباشرة مع الزبائن.

- توجيه المنتجات أو الخدمات عبر تحديد غرض المنتج أو الخدمة مما يخلق منافسة مع الآخرين ويزيد من الإنتاجية.

- جمع البيانات تطوير قاعدة بيانات خاصة بالحملة التسويقية وبالتالي يمكن استغلال هذه البيانات في آليات تقوية العلاقة مع الزبون.

- إدراج خطة زمنية تمكن فرق العمل من الدراية التامة ببداية ونهاية الحملة التسويقية وبالتالي جدولتها للتمكن من إتاحة الوقت الكافي لضبط الرسائل وتصحيحها.

-أهداف الحملة التسويقية السياحية: وتتمثل في:

- تسويق المناطق ذات الجذب السياحي خلال موسم السياحي.
- تسويق العروض السياحية التي تقدمها منشآت الإيواء السياحي بالتنسيق مع فروع المنظمة في المناطق.
- تسويق الفعاليات السياحية التي ينظمها شركاء المنظمة الجمهور والأسواق المستهدفة والشرائح المستهدفة.
- تعزيز ثقافة التخطيط المبكر للإجازة لدى السائح.

- الوسائل المستخدمة في الحملة التسويقية السياحية: تعتمد الحملة من خلال الوسائل الأكثر انتشاراً ومشاهدةً من قبل الجمهور المستهدف، بهدف ضمان وصول رسائل الحملة .وتضمنت هذه الوسائل:

- الصحف الرئيسية؛
- إعلانات لوحات الطرق الرئيسية ولوحات في الأسواق التجارية؛
- إعلانات الإنترنت المختلفة بالتركيز على مستوى مواقع البحث؛
- إعلانات من خلال صفحات التواصل الاجتماعي (تويتر، فيسبوك، يوتيوب ... الخ)؛
- إرسال عدة نشرات إلكترونية إلى العناوين البريدية تحتوي على عروض وفعاليات.

4.2. -اتخاذ قرار الشراء:

هو الاختيار القائم على بعض المعايير والأسس لبدائل واحد من بين بدائلين أو أكثر من خلال المفاضلة بين المنافع والتكلفة هو ونتاج مجموعة من القرارات الجزئية المتشابكة لشراء سلعة معينة في وقت معين ومكان معين (الدليمي، 2014، صفحة 228) لتحقيق رغبة أو حاجة تستحق التفكير فيها مسبقا وبذل الجهود لتحقيقها. القرار الشرائي يبدأ مبكرا قبل القرار ذاته وينتهي أيضا بعد التقييم (حيدر، 2015). قرار الشراء يتعلق بالاتجاهات أو

المواقف اتجاه الخدمات المقدمة سواء كان ايجابيا أو سلبيا ما دام ايجابيا ترتفع عملية الإقبال على شراء السلع و الخدمات .

-مراحل اتخاذ القرار الشرائي: (الجنابي، 2014)

أ -مرحلة إدراك الحاجة: تبدأ المحفزات لتعزيز الشعور لدى الزبون لتحقيق عملية الشراء وإشباع الحاجة فمثلا شخص يرى محل المثلجات فيشعر بالحر و العطش فهما خلق الحافز لدى الفرد باتجاه سلوك معين يدفعه لاتخاذ قرار إشباع حاجته, تبدأ المرحلة عند إدراك السائح لوجود حاجة معينة يسعى لإشباعها تـنـبع من الاختلاف الحاصل بين أوضاعه الحالية و ما يطمح للوصول إليه من خلال مؤثرات داخلية و خارجية يتعرض لها تلعب دورا هاما في تكوين عملية الإدراك و يتوجب على إدارة التسويق الأخذ بعين الاعتبار هذه العوامل و تحفيزها مجسدة في الخطط الاستراتيجية التسويقية (دايخ عبد العلي و محمد ميدي، 2016) .

ب -مرحلة جمع البيانات: بعد الشعور بالحاجة يبدأ السائح بالبحث عن المعلومات عن هذه الخدمة من مختلف المصادر كالجودة، السعر، المواصفات والاستعمالات، قد تكون هذه المصادر شخصية تتعلق بالعائلة أو الأصدقاء أو تجارية كالحملات الإعلانية أو عامة كوسائل الإعلام أو الانترنت أو الخبرة الشخصية.

جـ -مرحلة تقييم البدائل: فهي أهم المراحل في اتخاذ قرار الشراء يقوم السائح فيها بتقييم وفحص البدائل المتاحة أمامه بهدف اختيار البديل الأفضل وتختلف عملية التقييم حسب شخصيته وماهية المنافع التي يتطلع إليها سواء الجودة، الأمان وسهولة الوصول للخدمة تتغير عملية التقييم من شخص إلى آخر ومن موقف إلى أخر بالنسبة لنفس الشخص.

د -مرحلة قرار الشراء: يختار فيها السائح البديل الأنسب الذي يعتقد أنه سيحقق له أقصى درجات الإشباع لحاجاته وتعتبر بمثابة مفترق الطرق الذي يتحدد فيه قرار الشراء من عدمه يتعلق هذا القرار بتشكيلة من قرارات فرعية كاختيار العلامة التجارية، التاجر، الكميات، الوقت طريقة الدفع، اللون، السعر، صفات الخدمة.

هـ -مرحلة سلوك ما بعد الشراء: تتحدد فيها درجة الرضا أو عدم الرضا عن القرار الذي اتخذه السائح هل الخدمة التي تلقاها توافق حاجاته ورغباته وتوقعاته أم لا ؟ فإذا وافقت التوقعات رغبات السائح فسيشعر بالرضا أما إذا كان العكس فسيشعر بعدم الرضا.

5.2. - الدراسات السابقة:

-دراسة yongyi K. Fogel & Lorinda F. Lewi *Gs* 2010: الحملات التسويقية و ترويج العلامة التجارية هدفت إلى تبيين قوة و أهمية الاهتمام باستهداف شرائح الشباب و النساء كميزة تنافسية للمنظمات السياحية لمساهمة هذه الشرائح في القرار الشرائي و كذا ممارسات الترويج السياحي و آلياته بالنسبة للأقليات الفئوية تمت الدراسة بالاعتماد على 45 استبيان .وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها: خلق توازن بين مختلف الشرائح

و تطبيق التسويق المتميز كتحدي لتحقيق الأهداف التسويقية العامة و تحديد أثر الترويج على العملاء و قياس اتجاهات العملاء .

-دراسة S.Pratt I. & C.Jimenez & A.Blake & Cabe S.Mc 2014: قياس فعالية الحملة التسويقية للوجهة السياحية قامت هذه الدراسة بمقارنة مقومات تسويق الوجهة السياحية في المملكة المتحدة و تحديد عوامل النجاح عبر رفع الميزانية التسويقية ولم تقتصر عوامل النجاح على الجذب السياحي بل الإنفاق السياحي و قيمة العائد على الاستثمار المحققة عبر 18 حملة تسويقية وتوصلت إلى النتائج التالية: قياس أثر الإنفاق السياحي على العائد على الاستثمار و الارتباط بين ترشيد التكاليف و العائد على الاستثمار السياحي .

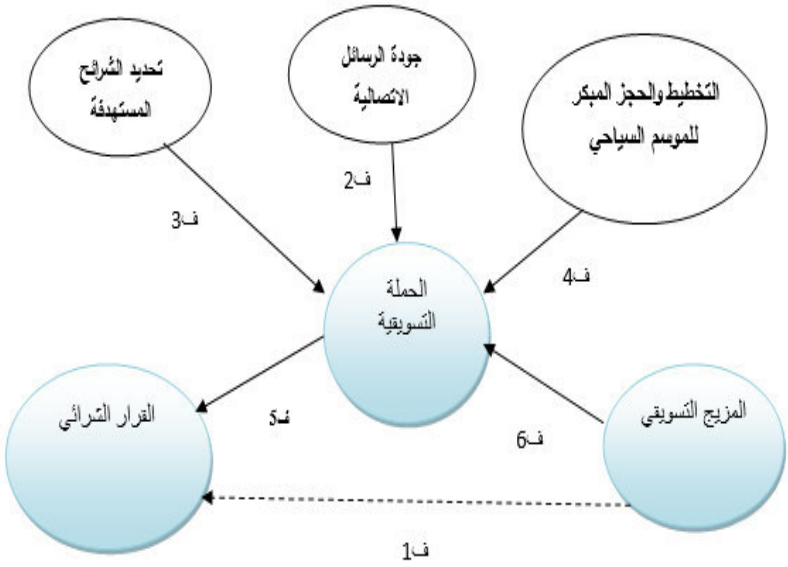
-دراسة Abiola Elizabeth Oke 2016: العلامة التجارية للوجهة السياحية – هدفت الدراسة إلى إبراز عوامل الاختلاف في الصورة للوجهة السياحية عبر قياس تأثير العلامة التجارية للفندق لاختيار الوجهة السياحية المراد الاتجاه إليها تمت الدراسة باستخدام 95 استبيان الكتروني. وحددت الدراسة مجموعة من النتائج أهمها :أن مصداقية العلامة التجارية للفندق تمكن من خلق صورة للوجهة السياحية وليست العامل الوحيد بل يرتبط بالجذب السياحي للمنطقة وتسهيلات النقل والخدمات الداعمة.

-دراسة زيدان خليفة حمادي 2017 : بعض الخصائص الشخصية الخاصة واثرها في اتخاذ قرار الشراء - هدفت الدراسة إلى تحديد العلاقة والأثر بين بعض الخصائص الشخصية الخاصة للزبون كمتغيرات مستقلة وبين اتخاذ قرار شراء كمتغير تابع, وتم جمع بيانات بطريقة الاستبيان وزع على عينة طبقية عشوائية 280 في مدينة بغداد وتوصلت إلى النتائج التالية : وجود علاقة ارتباط ايجابية معنوية بدرجة متباينة بين المتغيرات ووجود اثر معنوي ذات دلالة للمتغيرين المستقلين(لون بشرة الوجه ، لون العينين) واثر غير معنوي للمتغير (لون شعر فروه الرأس) في المتغير التابع باستعمال طريقة تحليل التباين اختبار Fisher.

-دراسة Eran Ketter 2018: الحملات التسويقية للوجهة السياحية خلصت الدراسة إلى توضيح دور التجربة السياحية في الحملات التسويقية للوجهة السياحية من خلال استخدام أسلوب نوعي لتحليل حملات التسويقية في ست وجهات دولية سياحية وتقييم التجارب السياحية في الحملات التسويقية للوجهة السياحية وتوصلت إلى النتائج التالية: تأثير حسي، فكري، سلوكي وعلائقي واضح للتجربة السياحية في الحملات التسويقية للوجهة السياحية.

6.2. -نموذج الدراسة الحالية وفرضياته: بعد التعرض للأطر النظرية وأهم الدراسات السابقة التي تناولت الموضوع تم اقتراح النموذج والفرضيات التالية:

شكل1. نموذج الدراسة الحالية.



المصدر :من إعداد الباحثين بناء على مختلف الدراسات السابقة.

ف1: تؤثر عناصر المزيج التسويقي السياحي على قرار الشراء؟

ف2: تؤثر جودة الرسائل الاتصالية على نجاح الحملة التسويقية السياحية؟

ف3: يؤثر تحديد الشرائح المستهدفة على نجاح الحملة التسويقية السياحية؟

ف4: يؤثر التخطيط والحجز المبكر للموسم السياحي على نجاح الحملة التسويقية السياحية؟

ف5: تؤثر مكونات الحملة التسويقية السياحية على قرار الشراء؟

ف6: تؤثر عناصر المزيج التسويقي على مكونات الحملة التسويقية السياحية؟

3. -الإطار التطبيقي للدراسة:

1.3 – مجتمع وعينة الدراسة :تم اختيار عملاء الوكالات السياحية بسعيدة وذلك لنشاطها المتميز، الذي تقدمه للعملاء وحتى في الولايات المجاورة الذي أدى إلى تزايد عدد عملائها، وقد تم توزيع الاستبيان على عينه عشوائية من الزبائن الذين بلغ عددهم 120 زبون.

2.3 – الأساليب الإحصائية المستخدمة :تم الاعتماد على برنامج الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية **SPSSV24** في إدخال ومعالجة البيانات المحصلة من الاستبيان، وللقياس قد تم استخدام الأساليب الإحصائية في ضوء أهداف الدراسة وفروضها وطبيعة المتغيرات وقد تم استخدام الأساليب الإحصائية التالية:

-معامل الصدق وألفا كرونباخ للتحقق من درجة ثبات وصدق الاستمارة.

-استخدام برنامج **Smart PLS** لتحديد العلاقة بين المتغيرات.

3.3 – **أداة الدراسة** :تم استعمال الاستبيان كأداة رئيسية في جمع البيانات اللازمة لموضوع قيد الدراسة، يحتوي على قسمين:

-**القسم الأول**: يتكون من ثلاث محاور أساسية:

-المحور الأول وهو المزيج التسويقي الذي يضم سبع محاور جزئية كالتالي: المنتج، السعر، الترويج، التوزيع، الشواهد المادية، المشاركون والعمليات.

-أما المحور الثاني مكونات الحملة التسويقية السياحية ضم ثلاث محاور جزئية كالتالي: جودة الرسائل الاتصالية، تحديد الشرائح المستهدفة والتخطيط والحجز المبكر للموسم السياحي.

-والمحور الثالث خص القرار الشرائي.

وقمنا باستخدام مقياس ليكرت الخماسي كما هو موضح في الجدول التالي:

جدول1. سلم ليكرت الخماسي

موافق بشدة	موافق	محايد	غير موافق	غير موافق بشدة
1	2	3	4	5

المصدر: من اعداد الباحثين.

-القسم الثاني: يتكون من العبارات المتعلقة بالمعلومات الديمغرافية عن العينة المستقصاة.

4.3. – الدراسة الإحصائية متعددة المتغيرات:

للإجابة على الإشكالية الرئيسية تم استخدام التحليل الإحصائي البسيط والمتعدد للاستمارات الموزعة على العينة محل الدراسة.وكانت النتائج على النحو التالي:

أ–دراسة صدق وثبات الاستمارة :للتأكد من صدق وثبات الاستمارة اعتمدنا على معامل ألفا كرونباخ فوجدناه يساوي9390.، وهذا يعني أن معامل الثبات جيد، والجدول التالي يوضح ذلك:

جدول2. صدق وثبات الاستمارة

معامل الفا كرومباخ	عدد المتغيرات	عدد المشاهدات
0,939	41	120

المصدر: من اعداد الباحثين بالاعتماد على مخرجات**SPSS 24**

ب–تحليل خصائص العينة :تم تحليل خصائص العينة بهدف التعرف على المتغيرات الديمغرافية، وكيفية توزع أفرادها وفقا لكل متغير.

جدول 03. كيفية توزع أفراد العينة حسب كل متغير.

المتغيرات	البيان	النسبة
الجنس	ذكر	**42,9**
	أنثى	**57,1**
المستوى	دون الثانوي	**13,5**

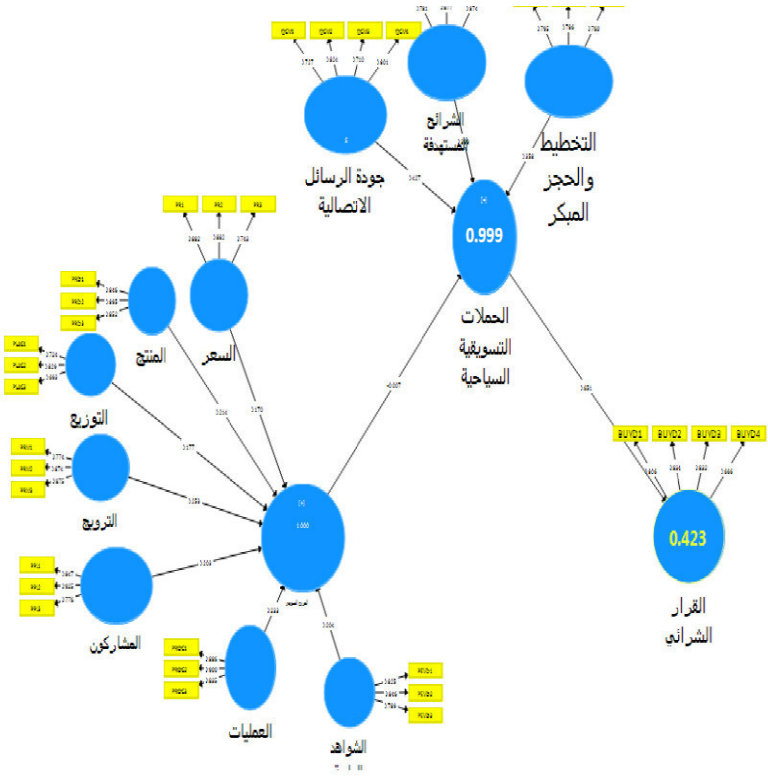
التعليمي	ثانوي	46,2
	جامعي	27,3
	دراسات عليا	13,0
مستوى الدخل	أقل من18000دج	27,7
	من18000دج إلى 30000 دج	39,3
	من30000 دج الى60000دج	22,2
	ما فوق 60000دج	10,8
المهنة	بدون	3,9
	عامل غير مؤهل	23,4
	عامل مؤهل	,135
	إطار	,327
	إطار سامي	,410

المصدر :من إعداد الباحثين بالاعتماد على مخرجات24 SPSS

جـ -اختبار نموذج الدراسة: اعتمدنا في دراسة النموذج على تقنية المستوى الأعلى **Hight Order** في برنامج **Smart PLS** في تقسيم المتغيرات إلى:

-المستوى الأول First Order: يضم المتغيرات الكامنة الرئيسية: المزيج التسويقي، الحملة التسويقية السياحية والقرار الشرائي.

الشكل 2: نموذج الدراسة حسب برنامج **Smart Pls**



المصدر :من إعداد الباحثين بالاعتماد على مخرجات SmartPLS 3.2.8

-المستوى الثاني Second Order :

-المتغيرات الكامنة الفرعية للمزيج التسويقي: المنتج، السعر، الترويج، التوزيع، الشواهد المادية، المشاركون والعمليات.

- المتغيرات الكامنة الفرعية للحملة التسويقية السياحية: جودة الرسائل الاتصالية، تحديد الشرائح المستهدفة والتخطيط والحجز المبكر للموسم السياحي.

وقد تم تقسيم دراسة النموذج إلى جزئيين أساسين هما: تقييم النموذج القياسي(الخارجي) وتقييم النموذج الهيكلي (الداخلي).

- تقييم النموذج القياسي: يهدف تقييم النموذج القياسي إلى تحديد جودة قياس المؤشرات أي أسئلة الاستبيان والتي تمثل النموذج الخارجي Outter Model ويركز على تقييم المصداقية التقاربية التي تحدد مدى موثوقية ومصداقية المؤشرات من ناحية تقارب الأسئلة مع بعضها البعض في تفسير المتغيرات الكامنة أما المصداقية التمايزية فتحدد مدى تمييز كل متغير كامن عن الأخر أي استقلالية المؤشرات وعدم تداخل كل مؤشر في تفسير متغير أخر.

. المصداقية التقاربية Convergent Validity : يمثل المرحلة الأولى في التحليل بحيث لابد أن نتأكد من الشروط التالية :

- **التحميل الخارجي FACTOR LOADING للمؤشرات أكبر من 0,7 و يمثل INTERNAL REABILITY موثوقية الاتصال الداخلي.**
- **متوسط التباين المستخلص AVE أكبر من 0,50 .**
- **الموثوقية المركبة أكبر من 0,70, وما يؤكد ذلك تطابق الدراسة مع الشروط السابقة في الجدول الاتي:**

جدول 4. المصداقية التقاربية للمؤشرات

المتغيرات الكامنة	المؤشرات (الأسئلة)	التحميل الخارجي	متوسط التباين المستخلص AVE	الموثوقية المركبة Composite Reliability
المنتج	PROD 1	0.879	.7470	.8980
	PROD 2	0.883		
	PROD 3	0.744		
السعر	PRICE 1	0.839	.7020	.8750
	PRICE 2	0.898		
	PRICE 3	0.855		
التوزيع	PLACE1	0.723	.5620	.7940
	PLACE2	0.794		
	PLACE3	0.731		
الترويج	PROM 1	0.777	.7090	.8800
	PROM 2	0.872		
	PROM 3	0.875		
المشاركون	PEOPLE1	0.840	.7240	.8870
	PEOPLE2	0.917		
	PEOPLE3	0.791		
الشواهد المادية	PEVD1	0.828	.6740	.8620
	PEVD2	0.850		
	PEVD3	0.783		

العمليات	PROC1	0.887	.7640	.9070
	PROC2	0.900		
	PROC3	0.833		
جودة الرسائل الاتصالية	QCM1	0.727	.5880	.8510
	QCM2	0.824		
	QCM3	0.710		
	QCM4	0.801		
تحديد الشرائح المستهدفة	TRSG1	0.788	.7140	.8820
	TRSG2	0.883		
	TRSG3	0.861		
التخطيط والحجز المبكر	ERPR1	0.801	.6080	.8230
	ERPR2	0.782		
	ERPR3	0.751		
القرار الشرائي	BUYD1	0.770	.6200	.8670
	BUYD2	0.784		
	BUYD3	0.856		
	BUYD4	0.735		

المصدر :من إعداد الباحثين بالاعتماد على مخرجات SmartPLS 3.2.8

.المصداقية التمايزية Discriminante Validity :

أ -الارتباط ما بين المتغيرات الكامنة Latent Variable Corrélations:

يعتبر الارتباط للمتغير الكامن مع نفسه أكبر ارتباط بالمقارنة مع المتغيرات المتبقية في نفس العمود و السطر مما يدل على أن المتغير مستقل بحد

ذاته و يختلف كليا عن باقي المتغيرات الأخرى و لا يوجد تداخل بين المتغيرات مما يتأكد في دراستنا عبر الجدول التالي:

جدول 5. الارتباط ما بين المتغيرات الكامنة LATENT VARIABLE CORRELATION

المتغيرات	المزيج التسويقي	الحملة التسويقية	القرار الشرائي
المزيج التسويقي	**.6820**		
الحملة التسويقية	.6010	**,6470**	
القرار الشرائي	.6710	.5140	**.7870**

المصدر :من إعداد الباحثين بالاعتماد على مخرجات SmartPLS 3.2.8

ب -التباين بين المؤشرات CROSS-LOADING : يدرس مؤشر **Fornell-Larcker criterion** الارتباط لمؤشرات المتغير الكامن التي تمثل أكبر وأقوى ارتباط مع نفسها بالمقارنة مع مؤشرات المتغيرات المتبقية أي مؤشرات المتغير مستقلة بحد ذاتها و تختلف كليا عن باقي المتغيرات الأخرى و لا يوجد تداخل بين المؤشرات في تفسير المتغيرات الأخرى ما يؤكده الجدول التالي:

جدول 6. المصداقية التقاربية للمؤشرات

المتغيرات الكامنة	المؤشرات	المزيج التسويقي	الحملة التسويقية	القرار الشرائي
المنتج	PROD 1	.5480	.2490	.2640
	PROD 2	.6280	.3100	.4440
	PROD 3	.6000	.4590	.4040
السعر	PRICE 1	.5240	.2230	.3990
	PRICE 2	.5720	.2360	.3810
	PRICE 3	.4960	.2660	.2760

التوزيع	PLACE1	.4350	.2570	.2380
	PLACE2	.6190	.4670	.4920
	PLACE3	.5310	.4460	.3940
الترويج	PROM1	.5640	.5220	.3770
	PROM2	.6630	.4850	.5370
	PROM3	.6570	.5780	.5410
المشاركون	PEOPLE1	.4940	.4420	.4270
	PEOPLE2	.5500	.4940	.3580
	PEOPLE3	.4640	.4360	.2730
الشواهد المادية	PEVD1	.5490	0 . 315	.4050
	PEVD2	.6180	.3960	.4330
	PEVD3	.6100	.3290	.3960
العمليات	PROC1	.6560	.4880	.3500
	PROC2	.6220	.4850	.3670
	PROC3	.5310	.3210	.3550
جودة الرسائل الاتصالية	QCM1	.5410	.5510	.3080
	QCM2	.5590	.6880	.4010
	QCM3	.4150	.6900	.4970
	QCM4	.4050	.6800	.3670
تحديد الشرائح المستهدفة	TRSG1	.4000	.5640	.3510
	TRSG2	.4520	.8160	.4550
	TRSG3	.5680	.7880	.4710
التخطيط والحجز	ERPR1	.5050	.7250	.6520
	ERPR2	.5450	.7250	.6520
	ERPR3	.3660	.5740	.4050

المبكر				
القرار الشرائي	BUYD 1	.4690	.5280	.8060
	BUYD 2	.5060	.5960	.8340
	BUYD 3	.6100	.5100	.8320
	BUYD 4	.6230	.3880	.6660

المصدر :من إعداد الباحثين بالاعتماد على مخرجات SmartPLS 3.2.8

- تقييم النموذج الهيكلي: يعتمد أولا على التأكد من الفرضيات عبر تقييم المسارات فإذا تحققت الدلالة المعنوية فيمكن قبول الفرضيات ثم تحديد مدى تفسير المتغيرات المستقلة للمتغير التابع عبر معامل التحديد R^2 ,و من ثم تحديد مدى قوة تأثير كل متغير مستقل بمفرده في تفسير المتغير التابع عبر F^2 أما Q^2 فتمثل قدرة المتغيرات المستقلة على التنبؤ بالمتغير التابع و أخيرا Gof يمكن من قياس مدى و قوة الاعتماد على النموذج القياسي و الهيكلي في الدراسة.

أ -تقييم المسارات Path-Coeficient : من خلالها يتم التأكد من الفرضيات عبر البسترة BootStraping يتم دراسة العلاقة بين المتغيرات من خلال P-Value و التي تحدد احتمالية الخطأ في العلاقة بين المتغيرين إذا وجدت العلاقة لابد أن تكون معنوية بنسبة أقل من 5٪ كما أن معامل Beta يستخلص من قيمة Original Sample فإذا كان موجب أو سالب فالعلاقة طردية أو عكسية ,يتضح في الجدول الاتي أن كل الفرضيات مقبولة و ذات دلالة معنوية ما توضح في الجدول التالي:

جدول 7. تقييم المسارات

الفرضية	العلاقة	Std Beta	Std Eror	T-Value	P-Value	القرار
ف1	عناصر المزيج التسويقي السياحي ← قرار الشراء	0.567	0.100	5.768	0.000	قبول الفرضية
ف2	جودة الرسائل الاتصالية ← الحملة التسويقية السياحية	0.452	0.070	6.446	0.000	قبول الفرضية
ف3	تحديد الشرائح المستهدفة ← الحملة التسويقية السياحية	0.451	0.074	6.101	0.000	قبول الفرضية
ف4	التخطيط والحجز المبكر للموسم السياحي ← الحملة التسويقية السياحية	0.193	0.076	2.551	0.011	قبول الفرضية
ف	مكونات	0.653	0.104	6.289	0.000	قبول

5	الحملة التسويقية السياحية قرار الشراء					الفرضية
ف 6	مكونات المزيج التسويقي الحملة التسويقية السياحية	0 .725	0 .058	12 .594	0 .000	قبول الفرضية

المصدر :من إعداد الباحثين بالاعتماد على مخرجات **SmartPLS 3.2.8**

ب -معامل التحديد R^2 : يمثل قدرة المتغيرات المستقلة معا على تفسير المتغير التابع و توضح ذلك في الجدول التالي:

جدول 8. معامل التحديد R^2

المتغير	معامل التحديد	الملاحظة
الحملة التسويقية	.4700	جيد
عناصر المزيج التسويقي	.8410	جيد

المصدر :من إعداد الباحثين بالاعتماد على مخرجات **SmartPLS 3.2.8**

وكان التفسير كالتالي:

- المتغير المستقل الحملة التسويقية الممثلة في المحاور التالية: التخطيط والحجز المبكر للموسم السياحي، تحديد الشرائح المستهدفة وجودة الرسائل الاتصالية للحملة التسويقية تشارك في تفسير القرار الشرائي بقيمة 4700. وهي نسبة معتدلة.
- عناصر المزيج التسويقي التي تمثل المحاور التالية: المنتج، السعر، التوزيع، الترويج ,الشواهد المادية ,العمليات و المشاركون فهي تفسره بمقدار القيمة 8410. من و هو أيضا معدل جيد .

جـ -قوة التأثير Effect Size F^2: بعد تطبيق البسترة يمكن قياس حجم تأثير كل متغير مستقل بمفرده على تفسير المتغير التابع من خلال F^2 و يتضح ذلك في الجدول التالي :

جدول 9. قوة التأثير F^2

المتغيرات المستقل <-التابع	قوة التأثير	الملاحظة
المزيج التسويقي <- الحملة التسويقية	.0470	ضعيف
الحملة التسويقية <- القرار الشرائي	.7340	جـيـد

المصدر :من إعداد الباحثين بالاعتماد على **مخرجات SmartPLS 3.2.8**

- المتغير المستقل المزيج التسويقي بمفرده يفسر المتغير التابع الحملة التسويقية بقيمة 0470. وهي قيمة ضعيفة لأن عناصر المزيج التسويقي لا تفسر مكونات الحملة التسويقية بل تهتم بتفسير القرار الشرائي.
- المتغير المستقل بمفرده الحملة التسويقية بالنسبة للمتغير التابع القرار الشرائي يفسر بقيمة 7340. و هي قيمة جيدة باعتبار أن الحملة التسويقية هي متغير وسيط لتفسير تأثير المزيج التسويقي على القرار الشرائي.

د -القدرة التنبؤية للنموذج Predictive Relvance Q^2: تمثل قدرة المتغيرات المستقلة على التنبؤ بالمتغير التابع , يشترط أن قيم Q^2 نكون أكبر من الصفر فهي مقبولة .مما توضح في الجدول الاتي :

جدول 10: القدرة التنبؤية للنموذج

المتغير	غSSO	SSE	Q2 (1- SSE /SSO)
المزيج التسويقي	.0077	.09615	.8040
الحملة التسويقية	.0077	.54915	.7980
القرار الشرائي	308	.458242	.2130

المصدر :من إعداد الباحثين بالاعتماد على مخرجات **SmartPLS 3.2.8**

يتبين لنا أن أبعاد المزيج التسويقي لها القدرة التنبؤية وتفسير بينما قيمة البواقي 8040. وهي أكبر من الصفر، بينما أبعاد الحملة التسويقية لها قدرة التنبؤ وتفسير أما قيمة البواقي 7980. وهي أكبر من الصفر كما أن كلا المتغيرتين المستقلتين المزيج التسويقي والحملة التسويقية لهما قدرة التنبؤ وتفسير أما قيمة البواقي 2130. وهي أكبر من الصفر كذلك.

ه -**جودة المطابقة للنموذج Goodness Of Fit GOF**: يعمل على قياس مدى الاعتماد على النموذج القياسي و الهيكلي للدراسة و يمكن حسابه كالتالي :

$$GoF = \sqrt{(\overline{R^2} \times \overline{AVE})}$$

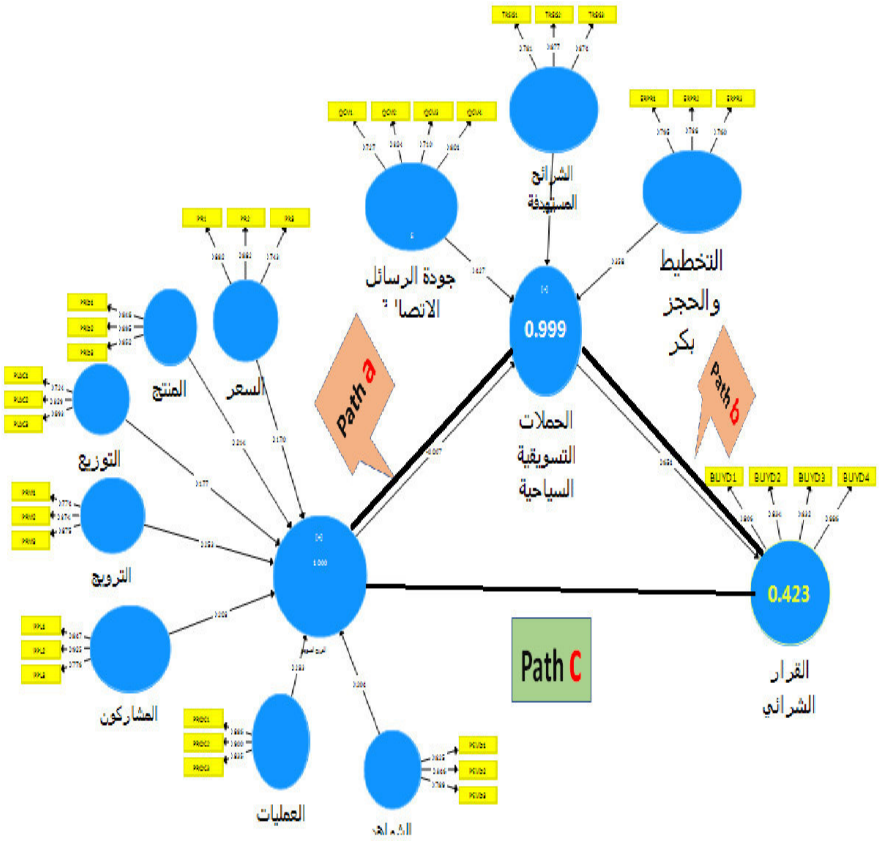
GoF=0 ,433 و هو مقياس جيد لأنه يفوق معدل 0,36 (Joseph, G.Tomas, Christian, & Marko, 2017)

- -**تحليل المتغير الوسيط**: يمثل المتغير الوسيط **المتغير** الذي يفسر سبب العلاقة بين المتغير المستقل والتابع في حالة دراستنا المتغير الوسيط **هو**: الحملة التسويقية بين المتغير المستقل المزيج التسويقي والتابع القرار الشرائي ويمكن تحليل أثر المتغير الوسيط وفقا لـ:

-قياس الأثر الكلي Total Effect:

نهتم بقياس العلاقة بين المتغير المستقل و التابع عبر الوسيط و التي يجب أن تكون ذات دلالة عند مستوى معنوية 050, يمثل الأثر الكلي حسب الشكل التالي: Path a + Path b من خلال البسترة نستخرج التأثير الغير مباشر Indirect Effect وجدت قيمة 0,000 مما يبين أن العلاقة بين لمتغير المستقل : المزيج التسويقي و التابع القرار الشرائي عبر الوسيط الحملات التسويقية تعتبر ذات دلالة و مقبولة . والشكل التالي يوضح ذلك:

الشكل 3: نموذج تأثير المتغير الوسيط



المصدر :من إعداد الباحثين بالاعتماد على مخرجات SmartPLS 3.2.8

-تحديد مجال الثقة: إذا وجدت قيمة الصفر بين الحد الأدنى و الحد الأعلى لمجال الثقة فلا يوجد تأثير للمتغير الوسيط و في حالة دراستنا الصفر لا ينتمي لمجال الثقة {2852650, - 6615850, } لذلك الحملة التسويقية تعتبر مقبولة كمتغير وسيط بين المزيج التسويقي و القرار الشرائي مما يحقق الفرضية01 أن المزيج التسويقي يؤثر في القرار الشرائي عبر المتغير الوسيط الحملة التسويقية السياحية , مما يتبين في الجدول التالي:

جدول 11. اختبار المتغير الوسيط.

Paht a المزيج التسويقي - >الحملة التسويقية	Paht b الحملة التسويقية ->القرار الشرائي	*التأثير.* غ.م	*SE*	*T-value*	95٪الحد الأدنى لمجال الثقة	95٪الحد الأعلى لمجال الثقة
,7250	,6530	,4730	,096	4 ,93151042	,285265	,661585

4. الخاتمة:

بعد استعراض أهم نتائج الاستبيان مروراً بالتحليل الوصفي وصولا إلى تحليل منهجية PLS تمكنا من الوصول إلى النتائج المتعلقة بإشكالية البحث وفرضيته يمكن سردها كالتالي:

- ❖ وجود أثر أيحابي معنوي لعناصر المزيج التسويقي على مكونات الحملة التسويقية السياحية يظهر أنه بنسبة أقل لعدم التأثير المباشر للمزيج التسويقي على الحملة السياحية.
- ❖ وجود أثر أيحابي معنوي لمكونات الحملة التسويقية السياحية على قرار الشراء بنسبة قوية لتفاعل العنصرين مع بعض.
- ❖ وجود متغير وسيط هو مكونات الحملة التسويقية السياحية بين العلاقة المؤثرة لعناصر المزيج التسويقي على قرار الشراء ذو دلالة ومعنوية يمكن من تفعيل وتقوية العلاقة بين العنصرين.

-التوصيات:

من بين أهم التوصيات المقدمة بالأخص للمنظمات السياحية:

- **تحسين جودة الرسائل الاتصالية المقدمة عبر الحملات التسويقية مما يقوي أثر الحملات في تفعيل القرار الشرائي للسائح.**
- **الدراسة المسبقة للسوق وتحديد الشرائح المستهدفة مسبقا من قبل المنظمات السياحية وتخصيص الموارد المالية والبشرية المتصلة بذلك.**
- **إعلام ونشر مسبق لبرامج الحملات التسويقية مما يمكن السائح من برمجة رحلته السياحية في ظروف ملائمة له.**
- **وضع الاستراتيجيات الإبداعية لبدء إعلانات التسويق المباشر والحرص على تبسيطها وموائمتها لأهداف الحملات التسويقية.**
- **تدريب الموظفين على أساليب التسويق عبر الحملات التسويقية.**

المراجع

1. احسان ,أ & .,السيد ,ح .(2017) .التسويق السياحي وأثره في أداء شركات ووكالات السياحة والسفر .السودان :ص27.
2. التسويق السياحي. (2015). الهيئة العامة للسياحة و التراث الوطني. السعودية: الهيئة العامة للسياحة و التراث الوطني.
3. الجنابي ,ث .ه .(2014) .أثر بعضع عوامل البيئة العامة في اتخاذ قرار شراء المستلزمات المختلفة للأسرة .مركز محافظة بابل ,ص 7.
4. الشيخ الداوي، و نوال قمراوي. (2010). الترويج السياحي كأسلوب لترقية القطاع السياحي في الجزائر. جامعة الجزائر 3 ، ص 128 -132.
5. حمادي زيدان خليفة. (2017). بعض الخصائص الشخصية الخاصة واثرها في اتخاذ قرار الشراء. مجلة الفتح العددسبعون ، ص 375 -394.
6. حمزة صالح حيدر. (2015). دراسة عملية لآراء عينة من المستهلكين لمنتجات البيبسي(Pepsi) في مدينة الديوانية. جامعة القادسية ، 188.
7. صحراوي ,م & .,شريف ,ن .ا .(2012) .التسويق السياحي و أثره على الطلب السياحي . الجزائر تلمسان :جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان.
8. عمر الدليمي. (2014). أثر الكلمة المنطوقة في اتخاذ قرارات الشراء. تنمية الرافدين ، 228.

9. لحول سامية، و ريما باشا. (2014). تأثير التسويق السياحي على الصورة السياحية للمدينة. مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية العدد جامعة الحاج لخضر باتنة ، ص18 -46.

10. محمد صلا ح شبير، و رشدي عبد المطيف وادي. (2015). العوامل المؤثرة على قبول الزبائن للحملات التسويقية المقدمة عبر الهاتف. غزة: الجامعة الاسلامية بغزة.

11. مروان صحراوي. (2012). التسويق السياحي و أثره على الطلب السياحي. الجزائر: جامعة ابو بكر بلقايد تلمسان.

12. نجاح يخلف، و محمد الطاهر سعودي. (2017). أثر المزيج التسويقي على ولاء الزبون. مجلة الاقتصاد الصناعي ، ص 333 -334.

13. نغم دايخ عبد العلي، و عبير محمد ميدي. (2016). تصميم الغلاف واثره في اتخاذ قرار الشراء لدى المستمك. المجلة العراقية للعلوم الإدارية ، ص259 -263.

14. وليد خليل، و الطاهر بن يعقوب. (2017). دور التسويق المباشر في تحقيق ولاء الزبون. سطيف الجزائر: جامعة فرحات عباس سطيف 1.

15. Eran, K. (2018). It's all about you: destination marketing campaigns in the experience economy era. *E merald Publishing Limited, ISSN 1660-5373 j TOURISM REVIW* , P2-11.

16. Gary Gerber, O. (2006). Marketing campaigns must be well planned. *THE PRACTICE MANAGEMENT CONSULTANT USA* , p 518-519.

17. Gyongyi, K. F., & Lorinda F, L. (2010). Brand Advertising and Marketing Campaigns. *international Journal of Social Ecology and Sustainable Development, 1(4), 10-25* , P12-22.

18. Joseph, F. H., G.Tomas, M. H., Christian, M. R., & Marko, S. (2017). A Primer on Partial Least Squares Structural Equation Modeling. *SAGE Publications* , P207.

19. Kasewurm, G. A. (2007). Create a remarkable marketing campaign. *The Hearing Journal Vol. 60 No. 1* , p47 49.

20. MANTEI, C. (2010). *Stratégie Destination France 2010-2020.* France Paris: Atout France .

21. Pratt, S., McCabe, S., Cortes-Jimenez, I., & Blake, A. (2009). Measuring the Effectiveness of Destination Marketing Campaigns: Comparative Analysis of Conversion Studies. *Journal of Travel Research* , P 184-192.

مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ر ت م د: 7163 -1112 ر ت م د إ :2588-1892
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2

مساهمة نظم معلومات الموارد البشرية في تحسين الأداء الوظيفي بالمؤسسات الصحية، دراسة ميدانية لمؤسسات القطاع الصحي العمومي بولاية ميلة.

The Contribution of Human Resources Information Systems to Improving Job Performance in Health Institutions, A case Study of Public Health Sector Institutions in the State of Mila.

صبري مقيمح[1]، مروة شنتي[2]
1- جامعة 20أوت 1955 سكيكدة، كلية العلوم الاقتصادية ، مخبر الاقتصاد المالية و إدارة الاعمال، sab88mek@gmail.com
2- جامعة 20أوت 1955 سكيكدة، كلية العلوم الاقتصادية ، مخبر الاقتصاد المالية و إدارة الاعمال، chenmar2119@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/04/28. تاريخ القبول: 2021/08/23

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على مدى تأثير نظم معلومات الموارد البشرية في تحسين الأداء الوظيفي بمؤسسات القطاع الصحي العمومي بولاية ميلة، حيث تم الاعتماد على المنهج الوصفي والتحليلي وأسلوب دراسة حالة لقياس الأثر بين متغيرات الدراسة، بحيث تم تصميم استبيان لجمع البيانات، وباستخدام الحصر الشامل، وزع على أفراد مجتمع الدراسة الذي يقدر ب 11 مؤسسة استشفائية، ولاختبار الفرضيات تم الاعتماد على برنامج spss لتحليل النتائج وتفسيرها. توصلت الدراسة إلى وجود أثر ذو دلالة إحصائية لنظم معلومات الموارد البشرية على تحسين الأداء الوظيفي مؤسسات القطاع الصحي العمومي بولاية ميلة بنسبة 42.9 % و هي نسبة تأثير ضعيفة.

الكلمات الدالة:

نظم المعلومات، موارد بشرية، أداء وظيفي، مؤسسات الصحية العمومية.

المؤلف المرسل: صبري مقيمح: sab88mek@gmail.com

Abstract:

This study aims to identify the impact of human resources information's systems on improving job performance public health sector institutions in the state of Mila, where a descriptive analytical method was used to collect data on the subject, and a case study method to clarify the effect between the study variables, where a questionnaire was designed to collect data, using a complete census, distributed to the members of the study community, which is estimated at 11 public health institutions, and to test the hypotheses they take SPSS to analyses and clarify results.

The study found that there is a statistically significant effect of human resources information's systems on improving job performance of public health sector in the state of Mila by 42.9 %, the vulnerability rate is weak.

Key words:

Human Resources, Information Systems, Job Performance, public health institutions.

1.مقدمة:

يشهد العالم في ظل العولمة تطورا عميقا وسريعا في إدارة الموارد البشرية على المستوى الاقتصادي والسياسي والاجتماعي والتكنولوجي، ونتيجة لعمق هذا التطور وسرعته في مجال تكنولوجيا المعلومات دخل العالم عصر المعلومات ونظم معلومات الموارد البشرية، لذلك فإن الوظيفة الجوهرية لنظام معلومات الموارد البشرية هي تلبية احتياجات إدارة الموارد البشرية من المعلومات التي تحتاجها حول جميع الأفراد العاملين ولتخطيط وتنظيم وتوجيه الأنشطة والعمليات الخاصة بهذه الإدارة، فضلا عن ذلك، يتولى هذا النظام تزويد الإدارة بمعلومات شاملة ودقيقة عن إدارة الموارد البشرية بما في ذلك تقديم تقارير ومعلومات تتضمن مؤشرات تحليلية لأداء العاملين في المنظمة، فإن نظم معلومات الموارد البشرية يتضمن حزمة من النظم الفرعية أهمها: التخطيط، التوظيف، تقييم الأداء، التدريب والتطوير، الأجور.

تمتلك المنظمة العديد من الموارد التي تستخدمها لتحسين مستويات الأداء ومن ثم تحقيق أهدافها، لكن الموارد الأكثر أهمية والأكثر تأثيرا، هي الموارد البشرية، والتي تعتبر الثروة الأولى والجوهرية للمؤسسة وأحد العوامل الأساسية للأداء، حيث تسمح للمنظمة بالبقاء والاستمرار والنمو.

وهذا ما دفع المنظمة إلى الاهتمام أكثر بشؤون المورد البشري كون هذا العنصر يملك خصائص ومزايا لا تمتلكها الموارد الأخرى، تشكل مصدرا أساسيا

لتحسين الأداء وتحقيق النجاح، وذلك بفضل اعتمادها على طرق وأدوات حديثة من ضمنها نظام معلومات الموارد البشرية، مما يؤثر بشكل مباشر وغير مباشر على أداء العاملين الذي يساهم في تحقيق أهداف المنظمة.

11.إشكالية الدراسة:

نظرا لأهمية الموضوع بالنسبة للمؤسسات الصحية الجزائرية جاءت الدراسة الحالية لتدرس أثر نظم معلومات الموارد البشرية في تحسين الأداء الوظيفي من خلال التطبيق على المؤسسات الصحية بولاية ميلة، و بناءا على ما سبق فإن البحث سيجيب عن الإشكالية التي يمكن صياغتها في السؤال التالي: ما مدى مساهمة نظم معلومات الموارد البشرية في تحسين الأداء الوظيفي بمؤسسات الصحية بولاية ميلة؟

12.الأسئلة الفرعية:

وبغرض الإجابة عن هذا السؤال سيقوم البحث بالإجابة عن خمسة أسئلة متفرعة عنه هي:

- هل يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) لنظم معلومات لتخطيط الموارد البشرية على تحسين الأداء الوظيفي في المؤسسات الصحية بولاية ميلة؟

- هل يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) لنظم معلومات التوظيف على تحسين الأداء الوظيفي في المؤسسات الصحية بولاية ميلة؟

- هل يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) لنظم معلومات تقييم الأداء على تحسين الأداء الوظيفي في المؤسسات الصحية بولاية ميلة؟

- هل يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) لنظم معلومات التدريب والتطوير على تحسين الأداء الوظيفي في المؤسسات الصحية بولاية ميلة؟

- هل يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) لنظم معلومات الأجور على تحسين الأداء الوظيفي في المؤسسات الصحية بولاية ميلة؟

13.الفرضيات:

وللإجابة على الإشكالية المطروحة تم صياغة فرضية رئيسية، وهي كالآتي:

- لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) لنظم معلومات الموارد البشرية على تحسين الأداء الوظيفي في المؤسسات الصحية بولاية ميلة.

وتتفرع هذه الفرضية الرئيسية إلى خمسة فرضيات فرعية، وهي:

- الفرضية الفرعية الأولى: لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) لنظم معلومات لتخطيط الموارد البشرية على تحسين الأداء الوظيفي في المؤسسات الصحية بولاية ميلة.

- الفرضية الفرعية الثانية: لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) لنظم معلومات التوظيف على تحسين الأداء الوظيفي في المؤسسات الصحية بولاية ميلة.

- الفرضية الفرعية الثالثة: لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) لنظم معلومات تقييم الأداء على تحسين الأداء الوظيفي في المؤسسات الصحية بولاية ميلة.

- الفرضية الفرعية الرابعة: لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) لنظم معلومات التدريب والتطوير على تحسين الأداء الوظيفي في المؤسسات الصحية بولاية ميلة.

- الفرضية الفرعية الخامسة: لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) لنظم معلومات الأجور على تحسين الأداء الوظيفي في المؤسسات الصحية بولاية ميلة.

14.أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة من الناحية العلمية إلى المساهمة في بناء النموذج الذي يصف طبيعة العلاقة بين نظم معلومات الموارد البشرية بمختلف فروعه ومداخل تحسين الأداء الوظيفي بالمؤسسات الصحية المتمثلة في الموظف والوظيفة والموقف، أما من الناحية العملية، فتكمن أهمية البحث في تقديم إمكانية التنبؤ

بالأداء الوظيفي وتحسينه انطلاقا من تفعيل نظم معلومات الموارد البشرية بمختلف فروعها.

15.أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في:

- يشكل إضافة إلى الأبحاث والدراسات العلمية في موضوع مهم وجديد.

- يوضح هذا البحث أهمية تحسين الأداء الوظيفي من خلال الاستغلال الأمثل لنظم معلومات الموارد البشرية في المؤسسات المدروسة وانعكاساته الايجابية في الحصول على مستويات أفضل.

- لفت انتباه مسيري الموارد البشرية لأهمية استخدام نظم معلومات الموارد البشرية خاصة في ظل التطورات المتسارعة في مجال التكنولوجيا.

16.منهجية الدراسة وطرق جمع البيانات:

بهدف معالجة موضوع البحث واختبار صحة الفرضيات تم الاعتماد على المنهج الوصفي، حيث قمنا بجمع المعلومات حول موضوع البحث وتحليله للخروج بنتائج عن إشكالية البحث من الجانب النظري، كما تم الاعتماد على أسلوب دراسة حالة الذي يتماشى مع الدراسات التطبيقية لتوضيح الأثر بين متغيري البحث، حيث تمت معالجته باستخدام أداة الاستبيان، وقد تم الاعتماد في التحليل برنامج الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية SPSS.

17.نموذج الدراسة:

لمعالجة مشكلة الدراسة وتحقيق أهدافها، تم بناء نموذج افتراضي لها، تضمن متغير مستقل وهو نظم معلومات الموارد البشرية حيث كانت أبعاده مكونة من الوظائف الرئيسية لإدارة الموارد البشرية تتمثل في: التخطيط، التوظيف، تقييم الأداء، التدريب والتطوير، الأجور والتي لا بد أن يتضمنها نظم معلومات الموارد البشرية، ومتغير تابع يتمثل في تحسين الأداء الوظيفي،

2.الإطار النظري والدراسات السابقة:

21.المفاهيم المتعلقة بنظم معلومات الموارد البشرية:

1.1.2تعريف نظام معلومات الموارد البشرية:

يعرف نظام معلومات الموارد البشرية من خلال عدت تعاريف منها: "هو نظام معلومات ينتج المعلومات المرتبطة بأنشطة الموارد البشرية، فهو مجموعة من

الطرق والإجراءات تعمل على إدامة سجلات الموظفين والإشراف على مهاراتهم، الأداء الوظيفي، تدريب ودعم تعويضات العمال، وتطوير المسار الوظيفي، إذ أن غاية إدارة الموارد البشرية هي تحقيق الفاعلية والكفاءة في استغلال الموارد البشرية". (جمعة النجار، 2010، صفحة 128)

كما يعرف: "يقصد به النظام المركب من شبكة قواعد البيانات، وتطبيقات الكمبيوتر، والمكونات المادية، والبر مجيات الضرورية لجمع وتسجيل، وخزن وإدارة، وتسليم، وتقديم، ومعالجة بيانات الموارد البشرية". (طه، 2014، صفحة 85)

بناءا على ما سبق، يمكن تعريف نظم المعلومات الموارد البشرية على أنه: نظام مصمم لتوفير المعلومات للمديرين لاتخاذ القرارات الصائبة ذات العلاقة بفعالية وكفاءة استخدام العنصر البشري ورفع مستوى أدائه لتحقيق أهداف المنظمة.

2.1.2النظم الفرعية لنظام معلومات الموارد البشرية:

تتمثل النظم الفرعية لنظام معلومات الموارد البشرية فيما يلي:

- **النظام الفرعي لتخطيط الموارد البشرية:**

هناك استخدامان أساسيان للمعلومات في مجال تخطيط الموارد البشرية هما: تخطيط التوظيف والتنبؤ بالعمالة (Sutanto, 2000, p. 4)، حيث يتمثل الهدف من تخطيط التوظيف في ضمان توفر العاملين الذين يمكنهم شغل المراكز الخالية، أما التنبؤ فيتضمن تقدير عدد العاملين الذين قد تحتاج إليهم المؤسسة لشغل الوظائف الشاغرة بها مستقبلا.

ولأن عملية تخطيط الموارد البشرية تتطلب عمليات حسابية كمعدلات دوران العمل، وسياسات الترقية، فإن تطبيقات تخطيط الموارد البشرية تتطلب تصميم برامج خاصة، وتستلزم استخدام العديد من الملفات مثل ملف التوظيف، وملف دوران العمل، وملف أنواع الترقيات.....إلخ. (تومي و زاوي، 2010، الصفحات 374 -375)

- **النظام الفرعي للتوظيف:**

إن التنظيمات تستقبل حاليا أعداد كبيرة من طلبات العمل، يصعب معالجتها بالطرق التقليدية، وهذا من شأنه أن يخلق صعوبة في الاختيار خاصة مع ما أتاحته الشبكة المعلوماتية من فرص دولية للتوظيف (Van Hoye, 2009, p. 670)، فنظم المعلومات اليوم تسمح بمعالجة ومتابعة هذه الطلبات

بشكل منتظم مع احترام المعايير المتعلقة بالتوظيف، كما تسمح هذه النظم بإحصاء وجرد كل الكفاءات والمناصب المتوفرة في التنظيم.

أما فيما يخص عملية الاختيار فهناك تطبيقات عديدة في مجال المعلوماتية لاختيار الأفراد العاملين الذين تتوفر فيهم الشروط اللازمة للعمل، وهذا سبب يؤدي للقضاء على المحاباة والتمييز بين المترشحين للعمل، إذ من شأنه أن يعطي لعملية الاختيار مصداقية أكبر كما تقلل من الوقت والتكلفة.

إن استخدام نظم معلومات المعتمدة على تكنولوجيا المعلومات سهلت من هذه العملية، فأغلب الطرق المستعملة في التوظيف هي متصلة بقاعدة بيانات بما يسمح بتعديل المعلومات بصفة مستمرة وهذا ما يؤدي إلى توفير معلومات دورية وحديثة عن الأداء البشري. (بوحسان، 2012، الصفحات 72 -73)

- **النظام الفرعي لتقييم الأداء:**

من الممكن خزن معلومات تقويم أداء العاملين في قاعدة بيانات إلكترونية، إضافة إلى أن الحاسوب الشخصي ممكن استخدامه لهذا الغرض، إن تطبيقات إدارة الأداء تساعد المنظمة في ربط أنظمة التقويم بخصائص ومواصفات كل وظيفة وتساهم في تحديد ووضع الحلول لمشاكل الأداء. (Johanim, 2016, p. 560)

تحدد البرمجيات الخاصة بتقويم الأداء نوع الطريقة المناسبة للتقويم، وبعد الانتهاء من عملية التقويم يمكن توفير معلومات تشير إلى الفروقات في الأداء الفعلي قياسا بالمعايير المحددة.

إن تطبيقات تقويم الأداء تتطلب من إدارة الموارد البشرية تحديد مشاكل الأداء وبيئة العمل ليتسنى لها تصحيح الانحرافات ومعالجة مشاكل انخفاض الأداء. (محمد عباس، 2006 ، صفحة 332)

- **النظام الفرعي للتدريب والتطوير:**

يستخدم نظام المعلومات بصفة أساسية في مجال التدريب للمساعدة في إدارته من خلال المعلومات التي تتضمنها قاعدة البيانات، كعدد المشاركين في التدريب، محتوى البرامج التدريبية، إعداد ميزانية العملية التدريبية...الخ، ويمكن استخدام قاعدة بيانات التدريب في اتخاذ قرارات رئيسية منها: تحديد الاحتياجات التدريبية، تقييم فعالية العملية التدريبية، تحديد الأفراد المؤهلين

للترقية أو النقل، تحديد نوع البرامج التدريبية، تحديد فرق العمل المؤهلة لتحقيق الاستجابة لأهداف التدريب. (رجم، 2017، صفحة 65)

- **النظام الفرعي للأجور:**

يشتمل هذا النظام على عدد من التطبيقات المتعلقة بحساب رواتب العاملين والعلاوات والأجور الإضافية كما يساعد هذا النظام على توفير معلومات عن الزيادات والاستحقاقات والرواتب والعلاوات، تشمل أهم تطبيقات نظام معلومات الموارد البشرية في مجال التعويضات الجوانب التالية: (Horgan, 2006, p. 420) إعداد قوائم الأجور والمرتبات، تقييم الوظائف وتحديد الأجور التي تناسبها، مسح الأجور للتعرف على الأجور والمكافآت بالمقارنة مع المنافسين لنفس الوظيفة في مؤسسات أخرى، تحديد التغيرات المتوقعة في الرواتب نتيجة للترقية أو التميز في الأداء.

إن هذه التطبيقات تساعد الإدارة في التعرف على مدى قدرة المؤسسة على استقطاب العاملين للعمل بها، ومدى عدالة سياسة الأجور وكذلك مدى تأثير سياسات الأجور والتعويضات على الأداء....الخ.

(رجم، 2017، الصفحات 64 -65)

2.2 المفاهيم المتعلقة بتحسين الأداء الوظيفي:

1.2.2 مفهوم تحسين الأداء الوظيفي:

هناك عدة تعاريف لتحسين الأداء الوظيفي نذكر منها ما يلي:

استخدام جميع الموارد المتاحة لتحسين المخرجات وإنتاجية العمليات، وتحقيق التكامل بين التكنولوجيا الصحيحة التي توظف رأس المال، بالطريقة المثلي. (اسماعيل و الفقعاوي، 2017، صفحة 34)

استخدام المؤسسة لجميع مواردها المتاحة وتوظيفها بطريقة منهجية لتحسين المخرجات وإنتاجية العمليات وتحقيق التكامل باستخدام الطرائق المثلى. (زرقوط، 2014، صفحة 94)

يعرف على أنه علاج القصور أو الانحراف، إن وجد، في الأداء الفعلي عن الأداء المستهدف والتي قد تعود إلى أي عنصر من العناصر المحددة لمستوى الأداء الوظيفي. (هروم، 2008، صفحة 132)

ومما سبق يمكن استنتاج تعريف شامل لتحسين الأداء الوظيفي فهو عبارة عن مجموعة عمليات مختلفة تتجه إلى إيجاد أسباب فجوة الأداء، سواء كان مصدرها عيوب في مهارات ومعارف القائمين بالأداء، أو تغير في ظروف الأداء، أو خلل في تصميم الأداء، ففي كل حالة سيتجه جهد تحسين الأداء لإتباع العلاج المناسب، مثل تدريب القائمين، أو استبدال التقنيات، أو تعديل في تصميم الأداء.

2.2.2 مداخل تحسين الأداء الوظيفي:

يحدد هاينز ثلاثة مداخل أو طرق رئيسة لتحسين الأداء وهي: (اسماعيل و الفقعاوي، 2017، الصفحات 49 -50)

- **تحسين الموظف:**

يرى هاينز أن تحسين الموظف أكثر العوامل صعوبة في التغيير من بين المداخل الثلاث، فهناك عدة وسائل لإحداث التحسين في أداء الموظف وهي:

الوسيلة الأولى: التركيز على نواحي القوة لدى الموظف واتخاذ اتجاه إيجابي عن الموظف بما في ذلك مشاكل الأداء التي يعاني منها، والاعتراف بأنه ليس هناك فرد كامل، وإدراك حقيقة بأنه لا يمكن القضاء على جميع نواحي القصور والضعف لدى الموظف، وتركيز جهود التحسين في الأداء من خلال الاستفادة مما لدى الموظف من مواهب والعمل على تنميتها. (مقيمح و زيغد، 2020، الصفحات 48 -49)

الوسيلة الثانية: التركيز على التوازن بين ما يرغب الفرد في عمله وبين ما يؤديه الفرد بامتياز، وأن وجود العلاقة السببية بين الرغبة والأداء تؤدي إلى احتمال حدوث الأداء الممتاز من خلال السماح للأفراد بأداء الأعمال التي يرغبون أو يبحثون عن أدائها، وهذا يعني توفير الانسجام بين الأفراد واهتماماتهم والعمل الذي يؤدى في المنظمة. (Wood, 2003, p. 369)

الوسيلة الثالثة: الربط بالأهداف الشخصية، حيث يجب أن تكون مجهودات تحسين الأداء مرتبطة ومنسجمة مع اهتمامات الموظف وأهدافه والاستفادة منها من خلال إظهار أن التحسين المرغوب في الأداء سوف يساهم في تحقيق هذه الاهتمامات مما يزيد من تحقيق التحسينات المرغوبة من قبل الموظف. (Houger, 2006, p. 27)

- **تحسين الوظيفة :**

إن التغيير في مهام الوظيفة يوفر فرصا لتحسين الأداء، حيث تساهم واجبات الوظيفة في تدني مستوى الأداء إذا كانت مملة أو تفوق قدرات الموظف ومهاراته، ونقطة البداية في دراسة وسائل تحسين الأداء في وظيفة معينة هي معرفة مدى ضرورة كل مهمة من مهام الوظيفة، خصوصا مع إمكانية الاستمرار في أداء بعض المهام حتى بعد زوال منفعتها. ومن وسائل تحسين الوظيفة أيضا إتاحة الفرصة للموظفين بالمشاركة في فرق العمل، أو مجموعات مهام، أو لجان، وإتاحة المجال لهم بأن يسهموا في حل مشاكل المنظمة المختلفة، ويتم تحسينها أيضا من خلال توسيع نطاق الوظيفة وإثراء الوظيفة، ويتضمن توسيعها تجميع مزيد من المهام التي تتطلب نفس المستوى من المهارة بهدف زيادة الارتباط الموظف والمنتج النهائي، أما إثرائها فيتضمن زيادة مستويات المسؤولية المعطاة للموظف. (Arifin, 2019, p. 2)

- **تحسين الموقف:**

لا يتأثر سلوك الفرد في موقف معين بما يملكه من معارف ومهارات وقدرات وسمات شخصية فقط، بل يتأثر أيضا بطبيعة الموقف الذي يواجهه الفرد، والمواقف التي تؤدي فيها الوظيفة تعطي فرصا للتغيير، والذي يؤدي بدوره إلى تحسين الأداء من خلال معرفة مدى مناسبة عدد المستويات التنظيمية، والطريقة التي يتم بها تنظيم الجماعة، ومدى مناسبة خطوط الاتصال ووضوحها، والمسؤولية وفعالية التفاعل المتبادل مع الإدارات الأخرى مع الجمهور المستفيد من الخدمة.

يمكن القول أن قرارات إدارة الموارد البشرية المتعلقة بكل من عملية تقييم أداء العاملين، التدريب، ووضع الحوافز، سياسة الأجور، تؤثر تأثير مباشر على أداء العامل إما سلبا إذا كانت غير فعالة أو مجحفة في حين تساهم في تحسين أدائهم وخلق الشعور بالرضا والرغبة في تحسين الأداء وتحقيق الأهداف إن كانت هذه القرارات ذات كفاءة ومبنية على أسس علمية، وبناءا على معلومات هنا يظهر أثر نظام معلومات الموارد البشرية الذي يساهم بشكل أو بآخر في تفعيل عملية صنع القرارات المتعلقة بشؤون الموارد البشرية التي تساهم في تحسن أدائهم من خلال زيادة رغبتهم للقيام بالعمل نظرا لإشباع حاجاتهم المادية والمعنوية التي

يحققها التحفيز ورضاهم على وظيفتهم وكل ما يحيط بها، إلى جانب قدرتهم على القيام به نظرا لاكتسابهم المعارف والمهارات التي حققها التدريب باعتبار أن الأداء المطلوب يساوي حاصل ضرب القدرة على الأداء والرغبة في الأداء.

لا تهتم المنظمات برفع أداء الأفراد بها فقط، لما لذلك من دور في تحقيق أهدافها، وإنما تعمل كذلك على رفع روحهم المعنوية وتوفير أسباب الارتياح والسعادة لهم في العمل بهدف تحقيق الرضا الوظيفي لديهم (Fisher, 2010, p. 385)، وهذا يعود لدور الرضا في زيادة إنتاجيتهم وزيادة ولائهم للمنظمة وإخلاصهم في عملهم، لهذه الأسباب حظي موضوع الرضا الوظيفي باهتمام كبير من قبل الباحثين والممارسين في الإدارة، لأنه يتناول مشاعر الفرد سواء كان مديرا أو موظفا أو عاملا إزاء العمل الذي يقوم به والبيئة المحيطة به، وبما أن لهذه المشاعر تأثير كبير على أداء الفرد لعمله، لذلك يشغل الرضا الوظيفي اهتمام القادة الإداريين والمرؤوسين على حد سواء.

2 .3.2 الدراسات السابقة:

- دراسة (زاوي، أثر نظام معلومات الموارد البشرية على تسيير الموارد البشرية (أطروحة دكتوراه)، 2016) هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على فعالية نظام معلومات الموارد البشرية المستخدم، حيث اعتمدت في ذلك على منهج الدراسة الميدانية الذي تم الاستعانة فيه بعدة أدوات منها المقابلة مع عاملي وظيفة الموارد البشرية بالمؤسسات المدروسة، إلى جانب الملاحظة، حيث توصلت الباحثة إلى أن نظام معلومات الموارد البشرية يسمح بالحصول على معلومات تساعد المؤسسة على تسيير مواردها البشرية من خلال مساعدتها على اتخاذ القرارات سواء المتعلقة بوظائف تخطيط وتوظيف وتدريب وتحفيز وتقييم أداء الموارد البشرية، أو المتعلقة بالتوجهات الحديثة لتسيير الموارد البشرية كتسيير المعارف والمهارات والتمكين إلى جانب مساعدتها في تحسين كفاءة هذا التسيير.
- دراسة (بن شويحة، 2016) سعت هذه الدراسة إلى التعرف على واقع تطبيق نظم معلومات الموارد البشرية، حيث اعتمد الباحث على المنهج الوصفي التحليلي وكذلك استخدم برنامج SPSS لمعالجة بيانات الدراسة، حيث يتكون مجتمع الدراسة من جميع المدراء ونوابهم وأهم موظفي إدارة الموارد

البشرية في 10 مؤسسات اقتصادية في مدينة ورقلة وكان حجم عينة الدراسة65، وتوصلت هذه الدراسة إلى أن المؤسسات الاقتصادية تستخدم نظم معلومات الموارد البشرية في مجالات محدودة، وتتمثل في مجال التخطيط والتوظيف بدرجة متوسطة، وفي مجال تدريب وتقييم أداء الفرد بدرجة ضعيفة وهذا راجع للصعوبات التي تواجهها هذه النظم في تطبيقها في إدارة الموارد البشرية، وكذلك صعوبة تطويرها وتحديثها بما يتوافق مع متطلبات دائرة الموارد البشرية مما يؤثر سلبا على إدارة الموارد البشرية.

- دراسة (محمد و علي، 2013) هدفت هذه الدراسة إلى الوقوف على أداء نظام معلومات الموارد البشرية بمكوناته (تخطيط الموارد البشرية، التوظيف، التدريب، التعويض، وتقويم الأداء) حيث اعتمد الباحث على اتجاهين للحصول على البيانات، الاتجاه الأول الاطلاع على ما توفر من أدب إداري، أما الاتجاه الثاني فقد تم فيه استخدام استمارة استبانة، حيث يتكون مجتمع الدراسة من القائمين على إدارة الموارد البشرية (مدير، نائب مدير، مساعد مدير) وكان حجم عينة الدراسة 77، وتوصل الباحث من خلال هذه الدراسة إلى أن مستوى أداء هذا النظام بحدود متوسطة، أما الولاء التنظيمي كمتغير تابع فقد كان بحدود متوسطة بمجالاته المختلفة، وتبين أن هناك علاقة ذات دلالة إحصائية وأثر بين نظام معلومات الموارد البشرية والولاء التنظيمي.
- دراسة (Mohammad Ali Khashman, 2016) سعت هذه الدراسة إلى دراسة تأثير نظام معلومات الموارد البشرية على الأداء التنظيمي في المستشفيات الخاصة الأردنية، من خلال فحص ما إذا كانت مكونات نظم معلومات الموارد البشرية لها تأثير كبير على الأداء التنظيمي، تم جمع البيانات باستخدام أداة استبيان، شمل سكان البحث جميع المستشفيات الخاصة الموجودة في مدينة عمان، وبلغ عدد المستشفيات الخاصة الموجودة في عمان 39 مستشفى، بينما تضمنت عينة البحث (170) موظفاً يعملون في أقسام الموارد البشرية من المستشفيات الخاصة، أظهرت نتائج هذه الدراسة أن هناك تأثيرا إيجابيا لتطبيقات إدارة الموارد البشرية على الأداء التنظيمي، ووجود اتجاهات إيجابية من الموظفين العاملين في أقسام الموارد البشرية في المستشفيات الخاصة تجاه جميع تطبيقات نظام معلومات الموارد البشرية.

ما تتميز به الدراسة عن الدراسات السابقة

تناولت هذه الدراسة الجانب النظري والتطبيقي لأثر نظم معلومات الموارد البشرية في تحسين الأداء الوظيفي وتعتبر مكملة للدراسات السابقة من خلال إبراز أهمية نظم معلومات الموارد البشرية ومدى تأثيره والدور الذي يلعبه في المؤسسة وفي كل مجالات أدائها ، غير أن ما يميز هذه الدراسة عن غيرها هو تركيزها على متغير مستقل وهو نظم معلومات الموارد البشرية حيث كانت أبعاده مكونة من الوظائف الرئيسية لإدارة الموارد البشرية تتمثل في: التخطيط، التوظيف، تقييم الأداء، التدريب والتطوير، الأجور والتي لا بد أن يتضمنها نظم معلومات الموارد البشرية، وتتضمن متغير تحسين الأداء الوظيفي كمتغير تابع و الذي يركز على تحسين الموظف والوظيفة وبيئة العمل.

3. دراسة تطبيقية على مؤسسات القطاع الصحي العمومي بولاية ميلة:

يتضمن هذا الجزء من الدراسة وصفا لخصائص عينة الدراسة الشخصية والوظيفية، ثم عرضا لنتائج الدراسة وتحليلها ومناقشتها في إطار الأسئلة والفرضيات المطروحة.

1.3مجتمع وعينة الدراسة:

يشتمل مجتمع الدراسة المؤسسات الصحية بولاية ميلة، وهي 11 مؤسسة صحية منها: 5 مؤسسات عمومية استشفائية، و5 مؤسسات عمومية للصحة الجوارية، ومؤسسة استشفائية متخصصة في الأمراض العقلية. ونظرا لكون طبيعة الموضوع له علاقة بإدارة الموارد البشرية وبغية الحصول على نتائج حقيقية وإمكانية تعميم نتائج موضوع الدراسة لجأنا إلى استخدام مجتمع الدراسة الاستقصائي، حيث يتكون من مدراء المؤسسات ومدراء الموارد البشرية ورؤساء مصلحة الموارد البشرية وأهم الموظفين بهذه المصلحة، والبالغ عددهم 65 موظفا. تم استخدام اسلوب الحصر الشامل نظرا لصغر مجتمع الدراسة، اي توزيع الاستبيان على كل مفردات مجتمع الدراسة، فكان عدد الاستبيانات الموزعة هو 65 استبيان، أسترد منها 54 استبيان وقد تبين أن كلها صالحة للتحليل الإحصائي، وبالتالي فإن نسبة الاستجابة بلغت 83.07 % وهي نسبة مقبولة لتعميم نتائج الدراسة.

2.3 أداة الدراسة:

لمناقشة إشكالية الدراسة ومحاولة معرفة مدى توافق الجانب النظري مع ما هو مطبق في الواقع، فقد تم الاعتماد على الاستبيان، حيث شمل الاستبيان على 40 سؤالا حيث تم تقسيمه إلى 3 محاور رئيسية، المحور الأول: تتمثل في البيانات الشخصية المتعلقة بالمستجوب، المحور الثاني: يتعلق بنظم معلومات الموارد البشرية ويتكون من 25 عبارة بأبعاده، البعد الأول: بعد نظم معلومات لتخطيط الموارد البشرية، البعد الثاني: بعد نظم معلومات التوظيف، البعد الثالث: بعد نظم معلومات تقييم، البعد الرابع: بعد نظم معلومات التدريب والتطوير، البعد الخامس: بعد نظم معلومات الأجور، المحور الثالث: يتعلق بتحسين الأداء الوظيفي.

وقد تم وضع العبارات على أساس سلم ليكارت الخماسي وذلك لقياس وتحديد الأهمية النسبية لكل عبارة، كما تم الاستعانة ببرنامج الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية SPSS لأجل تحليل البيانات والمعلومات التي تم جمعها من خلال استبيان الدراسة.

3.3 قياس ثبات وصدق الاتساق الداخلي لأداة الدراسة:

من أجل التأكد من صدق الاتساق الداخلي للاستبيان تم توزيعها على عينة الدراسة ومن أجل الوقوف على مدى ثبات هذه الأداة تم القيام بالاختبارات التالية:

يقيس مدى صدق بناء الاستبيان حسب محاورها، وذلك من خلال حساب معاملات الارتباط بين كل محور من محاور الاستبيان والدرجة الكلية لها باستعمال معامل الارتباط بيرسون حيث كانت النتائج كما يبينها الجدول الموالي:

جدول 1. معاملات الارتباط بيرسون

المحور	معامل الارتباط بالمحور	مستوى الدلالة Sig
نظم معلومات الموارد البشرية	0.824	0.000
تحسين الأداء الوظيفي	0.865	0.000

المصدر: من إعداد الباحثان بالاعتماد على مخرجات spss.

يتضح من الجدول رقم (03) أن قيم معاملات معاملات الارتباط بيرسون بين كل محور من محاور الاستبيان والدرجة الكلية لها تتراوح ما بين (0.824) و(0.865) وهي دالة إحصائيا عند مستوى معنوية (0.01)، ما يشير أن جميعها تتمتع بدرجة صدق مرتفعة، ما يعبر على قوة الارتباط بين محوريها، وعليه تعتبر أداة الدراسة صالحة للتحليل الإحصائي وبالتالي يمكن الاعتماد عليها في الوصول إلى النتائج المرغوبة.

وقد تم التحقق من ثبات استبيان الدراسة من خلال حساب معامل ألفا كرومباخ، وكانت النتائج كما هي موضحة في الجدول التالي:

جدول 2. معامل الثبات ألفا كرومباخ

المحاور	عدد العبارات	معامل الثبات ألفا كرومباخ
نظم معلومات لتخطيط الموارد البشرية	5	0.614
نظم معلومات التوظيف	5	0.761
نظم معلومات تقييم الأداء	5	0.805
نظم معلومات التدريب والتطوير	5	0.857
نظم معلومات الأجور	5	0.840
نظم معلومات الموارد البشرية	25	0.891
تحسين الأداء الوظيفي	15	0.880
المجموع	40	0.912

المصدر: من إعداد الباحثان بالاعتماد على مخرجات spss.

يلاحظ أن قيمة معامل ألفا كرومباخ تراوحت بين (0.614) و(0.880) لكل متغير من متغيرات الاستبيان، وهي معاملات مرتفعة، وبلغت قيمة معامل ألفا كرومباخ لجميع فقراتها (0.912) وهذا يعني أن معامل الثبات مقبول وقوي، وبذلك تم التأكيد على أنها على درجة عالية جدا من الثبات، مما يدل على صلاحيتها لتحليل النتائج والإجابة على أسئلة الدراسة واختبار فرضياتها.

4.3 تحليل نتائج إجابات أفراد العينة:

للتعرف على مدى تطبيق المؤسسة لمختلف أبعاد نظم معلومات الموارد البشرية، وعلى مدى تطبيق المؤسسة لمختلف عبارات محور تحسين الأداء الوظيفي. نحلل عبارات كل محور، وسيتم الوقوف على مدى اهتمام المؤسسات الصحية بولاية ميلة بنظم معلومات الموارد البشرية ومدى تطبيقها لمختلف الأنظمة الفرعية المكونة له ومدى اهتمامها بتحسين الأداء الوظيفي ومدى تطبيقها له، حيث تظهر النتائج موضحة في الجدول الموالي:

جدول 3. المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لأبعاد نظم معلومات الموارد البشرية و الأداء الوظيفي.

أبعاد نظم معلومات الموارد البشرية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الرتبة	درجة التقدير
نظم معلومات لتخطيط الموارد البشرية	3.52	0.64	2	مرتفعة
نظم معلومات التوظيف	3.11	0.80	4	متوسطة
نظم معلومات تقييم الأداء	2.76	0.87	5	متوسطة
نظم معلومات التدريب والتطوير	3.20	0.87	3	متوسطة
نظم معلومات الأجور	3.93	0.77	1	مرتفعة
نظم معلومات الموارد البشرية	3.30	0.56	-	متوسطة
تحسين الأداء الوظيفي	3.63	0.64	-	مرتفع

المصدر: من إعداد الباحثان بالاعتماد على مخرجات spss.

يتضح من الجدول أعلاه أن:

- درجة تطبيق نظم معلومات الموارد البشرية متوسطة حيث قدر المتوسط الحسابي العام ب (3.30)، وبانحراف معياري بلغ (0.56) وهي قيمة انحراف مقبولة تدل على عدم تشتت اجابات افراد العينة، أي أن المؤسسات محل الدراسة تطبق نظم معلومات الموارد البشرية ولكن غير مطبقة على أكمل وجه وهذا ما يفسره وجود نقص في الكفاءة والفعالية على مستوى الأنظمة الفرعية المكونة له.

- ويتضح أيضا أن تطبيق نظم معلومات الأجور احتلت الرتبة الأولى بمتوسط حسابي قدر ب (3.93) وبانحراف معياري بلغ (0.77) وهي قيمة انحراف مقبولة تدل على عدم تشتت اجابات افراد العينة، مما يدل على أن

المؤسسات محل الدراسة تمتلك نظام معلومات الأجور يتميز بالفعالية والكفاءة وخاصة كونه نظام معلومات محوسب حيث يتميز بقاعدة بيانات إلكترونية تزود بمعلومات عن عدد العاملين ومراكزهم الوظيفية وسنوات خدمتهم لغرض تحديد الأجر المناسب.

– يليها تطبيق نظم معلومات لتخطيط الموارد البشرية بمتوسط حسابي قدر ب (3.52) وبانحراف معياري بلغ (0.64) وهي قيمة انحراف مقبولة تدل على عدم تشتت اجابات افراد العينة، مما يفسر أن المؤسسات محل الدراسة تمتلك نظم معلومات تساعدها في عملية التخطيط حيث يوفر لها معلومات عن احتياجات المؤسسة من الموارد البشرية كما ونوعا، إلا أن المعلومات الخاصة بالخطط الإستراتيجية وسد الاحتياجات الطارئة من العمالة مستغلة استغلال جزئي فقط لأن مخططات تسيير الموارد البشرية (تخطيط قصير الأجل مدته سنة) تخضع إلى قوانين مثل القانون الأساسي العام للوظيفة العمومية، سياسة وأوضاع البلاد، قوانين المالية، مناشير وتعليمات.

– يليها تطبيق نظم معلومات التدريب والتطوير بمتوسط حسابي قدر ب (3.20) وبانحراف معياري بلغ (0.87) وهي قيمة انحراف مقبولة تدل على عدم تشتت اجابات افراد العينة، مما يفسر أن المؤسسات محل الدراسة تمتلك نظم معلومات التدريب والتطوير الذي يوفر معلومات عن العمليات والدورات التدريبية وأماكنها وأوقاتها، وكذلك يوفر هذا النظام المعلومات عن ما لدى العاملين من المؤهلات والقدرات السابقة، إلا أن تطبيق نظم معلومات التدريب والتطوير يبقى تطبيق جزئي لاعتماده على طرق تقليدية، ولأجل جعل هذا النظام فعالا وجب على هذه المؤسسات الاعتماد على نظام معلومات الكتروني من أجل تحديد الاحتياجات التدريبية والأفراد المؤهلين للتدريب.

– ثم يليها تطبيق نظم معلومات التوظيف بمتوسط حسابي قدر ب (3.11) وبانحراف معياري بلغ (0.80) وهي قيمة انحراف مقبولة تدل على عدم تشتت اجابات افراد العينة، مما يفسر أن المؤسسات محل الدراسة تمتلك نظم معلومات التوظيف إلا أن تطبيقه جزئي، ففي ما يخص معلومات مصادر التوظيف تتوفر لديها فقط معلومات عن المصادر الداخلية للمرشحين، أما المصادر الخارجية تبقى معلومات غير معروفة عن المرشحين، وكذلك فيما

يخص معلومات عملية الاختبار ومعلومات عن التقديرات المستقبلية لاستقطاب الموظفين تكون مقيدة بالقانون الأساسي العام للوظيفة العمومية لا يمكن الخروج عنه، إلا أن تطبيق لنظام معلومات معتمد للإعلان عن حاجة المؤسسة جاء بنسبة مرتفعة وهذا ما يفسره لامتلاك المؤسسة طرق تقليدية مثل الإعلان في الجرائد أو على لوائح داخل المؤسسات أوفي الموقع الالكتروني الخاص بالمديرية العامة للوظيفة العمومية.

– وفي الرتبة الأخيرة جاء تطبيق نظم معلومات تقييم الأداء بمتوسط حسابي قدر ب (2.76) وبانحراف معياري بلغ (0.87) وهي قيمة انحراف مقبولة تدل على عدم تشتت اجابات افراد العينة، مما يدل على أن المؤسسات محل الدراسة تعتمد على نظام معلومات لتقييم الأداء إلا أنه ضعيف حيث المؤسسات ليس لديها المعلومات الكافية عن مستوى الأداء ولا يتم التقييم بشكل دوري ففترة تقييم الأداء تكون مرة كل سنة مما ينعكس سلبا على كفاءته وفعاليته لأن من خلال مخرجات هذا النظام يمكن تحديد الاحتياجات التدريبية ومستوى أداء الموظفين والمساعدة في اتخاذ قرارات الصائبة وفي الوقت المناسب. .

– التعرف على مدى تطبيق المؤسسة لمختلف عبارات محور تحسين الأداء الوظيفي، حيث يشير الجدول أعلاه إلى أن مستوى تحسين الأداء الوظيفي في المؤسسات محل الدراسة مرتفع إذ قدر المتوسط الحسابي العام له ب (3.63) وبانحراف معياري بلغ (0.64) وهي قيمة انحراف مقبولة تدل على عدم تشتت اجابات افراد العينة، أما على مستوى العبارات فقد كانت معظمها مرتفعة وبعضها الآخر منخفضة، محصورة بين (4.22) و(2.70) مما يفسر أن المؤسسات محل الدراسة تقوم بتوفير متطلبات ووسائل لتحسين أدائها الوظيفي، وذلك عن طريق تحسين بيئة العمل من خلال إيجاد طريقة في تنسيق إنجاز الأعمال وخلق قنوات اتصال سواء على المستوى التنظيمي أو بين الأفراد، وكذلك التشجيع لانجاز العمل بكفاءة، وأيضا تعمل المؤسسات محل الدراسة على تحسين الوظيفة من خلال الاعتماد على نظم معلومات الذي ينتج عنه توفير المعلومات في الوقت المناسب لاتخاذ القرارات الصحيحة، وكذلك استخدام أساليب وأنظمة حديثة، وهناك تحسين من طرف الموظف من خلال رغبته في تحقيق الأهداف الموضوعة، وقدرته على تقليل الأخطاء والمشاكل في أداء العمل،

مما يجعل هذه العوامل تنعكس إيجابا في تحسين الأداء الوظيفي، إلا أنه توجد عبارات ذات متوسط حسابي متوسط حيث تفسر هذه النتائج بعدم قيام المؤسسة بتحسين الموظف من خلال تنمية قدراته وتحسين ظروف عمله، وتوكيل له وظائف لا تتناسب مع قدراته ومؤهلاته مما ينعكس على أدائهم سلبا.

35. اختبار الفرضيات:

نتطرق فيما يلي إلى اختبار فرضيات الدراسة، وذلك لتحديد أثر نظم معلومات الموارد البشرية والأبعاد المكونة له على تحسين الأداء الوظيفي، حيث تم استخدام الانحدار البسيط ومعامل التحديد، والخروج بمجموعة من النتائج التي تستدعي قبول أو رفض الفرضيات المطروحة.

- الفرضية الفرعية الأولى:

الفرضية العدمية H0: لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) لنظم معلومات لتخطيط الموارد البشرية على تحسين الأداء الوظيفي في المؤسسات الصحية بولاية ميلة.

الفرضية البديلة H1: يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) لنظم معلومات لتخطيط الموارد البشرية على تحسين الأداء الوظيفي في المؤسسات الصحية بولاية ميلة.

جدول 4. نتائج تحليل الانحدار الخطي البسيط لاختبار الفرضية الفرعية الأولى

النموذج	معامل الارتباط R	معامل التحديد R2	قيمة T	مستوى الدلالة Sig
	0.084	0.007	0.369	0.546

المصدر: من إعداد الباحثان بالاعتماد على مخرجات spss.

من خلال الجدول أعلاه يتضح أن معامل ارتباط بيرسون يساوي 0.084 أي توجد علاقة ارتباط ضعيفة وطردية بنسبة 8.4% بين نظم معلومات لتخطيط الموارد البشرية كمتغيّر مستقل وتحسين الأداء الوظيفي، مع تسجيل معامل التحديد يقدرب0.007 وهي تعني أن نظم معلومات لتخطيط الموارد البشرية يفسر ما نسبته 0.7 ٪ من التغيرات الحاصلة في مستوى تحسين الأداء الوظيفي، نلاحظ أن قيمة T قدرت بـ (0.369) ومستوى دلالتها (0.546) وهو

أكثر من مستوى الدلالة المفروض (0.05) وبالتالي فهو غير دال إحصائيا، ومنه نقبل الفرضية العدمية ونرفض الفرضية البديلة، أي: لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) لنظم معلومات لتخطيط الموارد البشرية على تحسين الأداء الوظيفي في المؤسسات الصحية بولاية ميلة.

- الفرضية الفرعية الثانية:

الفرضية العدمية H0:لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) لنظم معلومات التوظيف على تحسين الأداء الوظيفي في المؤسسات الصحية بولاية ميلة.

الفرضية البديلة H1: يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) لنظم معلومات التوظيف على تحسين الأداء الوظيفي في المؤسسات الصحية بولاية ميلة.

جدول 5. نتائج تحليل الانحدار الخطي البسيط لاختبار الفرضية الفرعية الثانية

النموذج	معامل الارتباط R	معامل التحديد R2	قيمة T	مستوى الدلالة Sig
	0.150	0.023	1.202	0.278

المصدر: من إعداد الباحثان بالاعتماد على مخرجات spss.

من خلال الجدول أعلاه يتضح أن معامل ارتباط بيرسون يساوي 0.150 أي توجد علاقة ارتباط ضعيفة وطردية بنسبة 15% بين نظم معلومات التوظيف وتحسين الأداء الوظيفي، مع تسجيل معامل التحديد يقدر ب 0.023 وهي تعني أنّ نظم معلومات التوظيف يفسر ما نسبته 2.3 ٪ من التغيرات الحاصلة في مستوى تحسين الأداء الوظيفي، نلاحظ أن قيمة T قدرت بـ (1.202) ومستوى دلالتها (0.278) وهو أكثر من مستوى الدلالة المفروض (0.05) وبالتالي فهو غير دال إحصائيا، ومنه نقبل الفرضية العدمية ونرفض الفرضية البديلة، أي: لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) لنظم معلومات التوظيف على تحسين الأداء الوظيفي في المؤسسات الصحية بولاية ميلة.

- **الفرضية الفرعية الثالثة:**

الفرضية العدمية H0: لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) لنظم معلومات تقييم الأداء على تحسين الأداء الوظيفي في المؤسسات الصحية بولاية ميلة.

الفرضية البديلة H1:يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) لنظم معلومات تقييم الأداء على تحسين الأداء الوظيفي في المؤسسات الصحية بولاية ميلة.

جدول 6. نتائج تحليل الانحدار الخطي البسيط لاختبار الفرضية الفرعية الثالثة

النموذج	معامل الارتباط R	معامل التحديد R2	قيمة T	مستوى الدلالة Sig
	0.378	0.150	9.151	0.004

المصدر: من إعداد الباحثان بالاعتماد على مخرجات spss.

من خلال الجدول أعلاه يتضح أن معامل ارتباط بيرسون يساوي 0.378 أي توجد علاقة ارتباط ضعيفة وطردية بنسبة 37.8% بين نظم معلومات تقييم الأداء وتحسين الأداء الوظيفي، مع تسجيل معامل التحديد يقدر ب 0.150 وهي تعني أن نظم معلومات تقييم الأداء يفسر ما نسبته 15٪ من التغيرات الحاصلة في مستوى تحسين الأداء الوظيفي، نلاحظ أن قيمة T قدرت بـ (1519.) ومستوى دلالتها (0040.) وهو أقل من مستوى الدلالة المفروض (0.05) وبالتالي فهو دال إحصائيا، ومنه نرفض الفرضية العدمية ونقبل الفرضية البديلة، أي: يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) لنظم معلومات تقييم الأداء على تحسين الأداء الوظيفي في المؤسسات الصحية بولاية ميلة.

- **الفرضية الفرعية الرابعة:**

الفرضية العدمية H0: لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) لنظم معلومات التدريب والتطوير على تحسين الأداء الوظيفي في المؤسسات الصحية بولاية ميلة.

الفرضية البديلة H1: يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.05 ≥α) لنظم معلومات التدريب والتطوير على تحسين الأداء الوظيفي في المؤسسات الصحية بولاية ميلة.

جدول 7. نتائج تحليل الانحدار الخطي البسيط لاختبار الفرضية الفرعية الرابعة

النموذج	معامل الارتباط R	معامل التحديد R2	قيمة T	مستوى الدلالة Sig
	0.346	0.119	7.055	0.010

المصدر: من إعداد الباحثان بالاعتماد على مخرجات spss.

من خلال الجدول أعلاه يتضح أن معامل ارتباط بيرسون يساوي 0.346 أي توجد علاقة ارتباط ضعيفة وطردية بنسبة 634. % بين نظم معلومات التدريب والتطوير وتحسين الأداء الوظيفي، مع تسجيل معامل التحديد يقدر ب 0.119وهي تعني أن نظم معلومات التدريب والتطوير يفسر ما نسبته 911.٪ من التغيرات الحاصلة في مستوى تحسين الأداء الوظيفي، نلاحظ أن قيمة T قدرت بـ (0557.) ومستوى دلالتها (0100.) وهو أقل من مستوى الدلالة المفروض (0.05) وبالتالي فهو دال إحصائيا، ومنه نرفض الفرضية العدمية ونقبل الفرضية البديلة، أي: يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.05 ≥ α) لنظم معلومات التدريب والتطوير على تحسين الأداء الوظيفي في المؤسسات الصحية بولاية ميلة.

- **الفرضية الفرعية الخامسة:**

الفرضية العدمية H0: لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.05 ≥α) لنظم معلومات الأجور على تحسين الأداء الوظيفي في المؤسسات الصحية بولاية ميلة.

الفرضية البديلة H1: يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.05 ≥α) لنظم معلومات الأجور على تحسين الأداء الوظيفي في المؤسسات الصحية بولاية ميلة.

جدول 8. نتائج تحليل الانحدار الخطي البسيط لاختبار الفرضية الفرعية الخامسة

النموذج	معامل الارتباط R	معامل التحديد R2	قيمة T	مستوى الدلالة Sig
	0.522	0.272	19.439	0.000

المصدر: من إعداد الباحثان بالاعتماد على مخرجات spss.

من خلال الجدول أعلاه يتضح أن معامل ارتباط بيرسون يساوي 0.522 أي توجد علاقة ارتباط متوسطة وطردية بنسبة 252. % بين نظم معلومات الأجور وتحسين الأداء الوظيفي، مع تسجيل معامل التحديد يقدر ب0.272 وهي تعني أنّ نظم معلومات الأجور يفسر ما نسبته 27.2 ٪ من التغيرات الحاصلة في مستوى تحسين الأداء الوظيفي، نلاحظ أن قيمة Tقدرت بـ (19.439) ومستوى دلالتها (0.000) وهو أقل من مستوى الدلالة المفروض (0.05) وبالتالي فهو دال إحصائيا، ومنه نرفض الفرضية العدمية ونقبل الفرضية البديلة، أي: يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) لنظم معلومات الأجور على تحسين الأداء الوظيفي في المؤسسات الصحية بولاية ميلة.

- الفرضية الرئيسية:

الفرضية العدمية H0: لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) لنظم معلومات الموارد البشرية على تحسين الأداء الوظيفي في المؤسسات الصحية بولاية ميلة.

الفرضية البديلة H1: يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) لنظم معلومات الموارد البشرية على تحسين الأداء الوظيفي في المؤسسات الصحية بولاية ميلة.

جدول 8. نتائج تحليل الانحدار الخطي البسيط لاختبار الفرضية الرئيسية

النموذج	معامل الارتباط R	معامل التحديد R2	قيمة F	مستوى الدلالة Sig
	0.429	0.184	11.743	0.001

المصدر: من إعداد الباحثان بالاعتماد على مخرجات spss.

من خلال الجدول أعلاه يتضح أن معامل ارتباط بيرسون يساوي 0.429 أي توجد علاقة ارتباط ضعيفة وطردية بنسبة 42.9% بين ننظم معلومات الموارد البشرية وتحسين الأداء الوظيفي، مع تسجيل معامل التحديديقدرب0.184 وهي تعني أن نظم معلومات الموارد البشرية يفسر ما نسبته 18.4 ٪ التغيرات الحاصلة في مستوى تحسين الأداء الوظيفي، نلاحظ أن قيمة F قدرت بـ (11.743) ومستوى دلالتها (0.001) وهو أقل من مستوى الدلالة المفروض (0.05) وبالتالي فهو دال إحصائيا، ومنه نرفض الفرضية العدمية ونقبل الفرضية البديلة، أي: يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) لنظم معلومات الموارد البشرية على تحسين الأداء الوظيفي في المؤسسات الصحية بولاية ميلة.

4.خاتمة:

يعتبر الاهتمام بنظم معلومات الموارد البشرية في ظل التغيرات المتسارعة الحالية نتيجة لأهمية هذا الأخير بالنسبة للمؤسسة والتي لها أثر واضح على أدائها وذلك من خلال ان مساهمه في تحسين الأداء من خلال طبيعة وفعالية المعلومات المنتجة من حيث النوعية والوقت المناسب والكمية وتوظيفها الصحيح الحصول على المعلومات والتقارير التي تمكن من اتخاذ القرار، فتطبيق نظم معلومات الموارد البشرية في المؤسسات يؤثر إيجابيا عليها بحيث يزيد من كفاءتها وفعاليتها، وكذلك يحسن من آداها الوظيفي مما يؤدي إلى زيادة الأداء الكلي للمؤسسة.

و قد توصلت هذه الدراسة إلى النتائج التالية:

-تطبيق نظم معلومات لتخطيط الموارد البشرية ونظم معلومات التوظيف ليس لها دورا في تحسين الأداء الوظيفي، حيث قد تفسر هذه النتيجة بأن المعلومات التي يوفرها نظام معلومات التخطيط تعتبر معلومات مقيدة خاضعة لقرارات وزارية (الوزارة الوصية لهذه المؤسسات الصحية، وكذلك وزارة المالية) وقوانين أساسية وتعليمات مما قد يجعلها لا تؤثر في تحسين الأداء الوظيفي.

-تطبيق نظم معلومات تقييم الأداء له دورا في تحسين الأداء الوظيفي، حيث يقوم هذا النظام بتوفير البيانات والمعلومات عن مستوى أداء العاملين مما يسمح

بمعرفة الاحتياجات التدريبية مما يساعد على اتخاذ قرارات صائبة وفي الوقت المناسب بحيث ينعكس إيجابا في تحسين الأداء الوظيفي.

-تطبيق نظم معلومات التدريب والتطوير له دورا في تحسين الأداء الوظيفي، حيث يقوم هذا النظام بتوفير المعلومات اللازمة عن الاحتياجات التدريبية والأفراد المؤهلين مما ينعكس إيجابا على كفاءة وفعالية التدريب، وبالتالي يساهم في تحسين الأداء الوظيفي.

-تطبيق نظم معلومات الأجور له دورا في تحسين الأداء الوظيفي، حيث يقوم هذا النظام بتوفير المعلومات التي تساعد على إعداد الأجور والتعويضات والمكافآت بطريقة سريعة وفي الوقت المناسب مما تنعكس على كفاءة وفعالية إدارة الأجور فهي تعتبر محفز ومشجع للعامل لزيادة رضاهم مما تساهم في تحسين الأداء الوظيفي.

-تطبيق نظم معلومات الموارد البشرية له دورا في تحسين الأداء الوظيفي، حيث يقوم هذا النظام بتوفير البيانات والمعلومات لإدارة الموارد البشرية مما تضمن لها تحقيق الفعالية والكفاءة وخاصة تحقيق التكامل والترابط بين وظائفها الفرعية، وهذا ما يساهم في اتخاذ القرارات الصائبة وبالتالي تنعكس إيجابا على تحسين الأداء الوظيفي.

من خلال النتائج السابقة، نقدم جملة من الاقتراحات بهدف المساهمة في زيادة استخدام نظم معلومات الموارد البشرية في المؤسسات محل الدراسة وكذا الأداء الوظيفي، وتتلخص هذه التوصيات في:

-ضرورة الاهتمام بتطبيق كافة النظم الفرعية لنظام معلومات الموارد البشرية وخاصة النظام المتعلق بعملية تقييم أداء الموظفين لأنه يساعدها في تحديد مستوى كفاءة موظفيها التي قد تكون عامل حاسم في نجاحها.

-إنشاء وتطوير نظام معلومات الموارد البشرية الإلكتروني وذلك عن طريق حوسبة جميع وظائف ونشاطات إدارة الموارد البشرية.

-بهدف تفعيل وتطوير نظم معلومات الموارد البشرية وجب على الوزارة الوصية الموضوعة تحت وصايتها المؤسسات محل الدراسة تعديل القوانين وإصدار تعليمات ومناشير الخاصة بتسيير وظائف إدارة الموارد البشرية وخاصة فيما يخص نظم معلومات عن الخطط الإستراتيجية.

-تشجع ثقافة استخدام نظام معلومات الموارد البشرية بالمؤسسات محل الدراسة والاستفادة من الخدمات التي ىقدمها من أجل الارتقاء بتحسين الأداء الوظيفي.

-إنشاء مواقع على الانترنت يساعد المؤسسات الصحية على نشر المعلومات المتعلقة بالموارد البشرية.

-الاهتمام بتحسين الأداء الوظيفي وخاصة التركيز على الموظف من خلال توفير له متطلبات ووسائل تساهم في زيادة فعالية أدائه كتنمية القدرات والمهارات، التدريب والتطوير، وكذلك زيادة كفاءتهم في التعامل مع التكنولوجيا ونظم المعلومات وخصوصا المصممة حاسوبيا.

وتتيح لنا هذه الدراسة أفاق بحثية أخرى كتوسع في نفس الموضوع و دراسة أثر نظم معلومات الموارد البشرية في تحسين الاداء الوظيفي على مؤسسات القطاع الصحي بالجزائر، او اجراء دراسة مقارنة بين القطاع الصحي العام و الخاص في الجزائر.

المراجع باللغة العربية

1 -بشير بن شويحة. (2016). واقع تطبيق نظم معلومات الموارد البشرية في المؤسسة الاقتصادية الجزائرية. المجلة الجزائرية للدراسات المحاسبية (العدد 02) . كلية علوم الاقتصادية و التجارية و علوم التسيير،: جامعة حمه لخضر - الوادي.

2 -حميدة زرقوط. (2014). دور الحوافز المادية والمعنوية في تحسين الأداء الوظيفي للعاملين (مذكرة ماجستير). كلية علوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، جامعة 20 أوت 1955 - سكيكدة.

3 -خالد رجم. (2017). تقييم أثر نظم معلومات الموارد البشرية على استراتيجيات إدارة الموارد البشرية (أطروحة دكتوراه). كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، جامعة قاصدي مرباح - ورقلة.

4 -سارة كنزة بوحسان. (2012). الآثار الفعلية لتكنولوجيا المعلومات والاتصال على تطبيقات تسيير الموارد البشرية في المؤسسة (مذكرة ماجستر). كلية علوم الاقتصادية وعلوم التسيير، جامعة منتوري - قسنطينة.

5 -سهيلة محمد عباس. (2006). إدارة الموارد البشرية مدخل استراتيجي (الإصدار الطبعة الثانية). دار وائل للنشر، عمان، الأردن.

6 -صبري مقيمح، و رحمة زيغد. (2020). أثر ادارة الوقت على أداء العاملين في المؤسسات الاقتصادية، دراسة حالة المؤسسة المينائية بسكيكدة. مجلة الاقتصاد الجديد، المجلد 11 العدد 2.

7 -صورية زاوي. (2016). أثر نظام معلومات الموارد البشرية على تسيير الموارد البشرية (أطروحة دكتوراه). تخصص علوم التسيير، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، محمد خيضر - بسكرة.

8 -صورية زاوي، و ميلود تومي. (جوان 2010). دور نظام معلومات الموارد البشرية في تقييم أداء الموارد البشرية في المؤسسة. مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية (العدد 07) . كلية الآداب واللغات: جامعة محمد خيضر بسكرة.

9 -عاطف جابر طه. (2014). نظم المعلومات للموارد البشرية (الإصدار الطبعة الأولى). الدار الأكاديمية للعلوم، القاهرة، مصر.

10 - عز الدين هروم. (2008). واقع تسيير الأداء الوظيفي للمورد البشري في المؤسسة الاقتصادية (مذكرة ماجستير). كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، جامعة منتوري - قسنطينة.

11 - فايز جمعة النجار. (2010). نظم المعلومات الإدارية منظور إداري (الإصدار الطبعة الثانية). دار الحامد، عمان، الأردن.

12 - مثنى محمد، و محمود علي. (2013). دور نظام معلومات الموارد البشرية في الولاء التنظيمي. مجلة كلية بغداد للعلوم الاقتصادية الجامعة (العدد 37) . كلية بغداد للعلوم الاقتصادية الجامعة.

13 - ميسون اسماعيل، و محمود الفقعاوي. (2017). استراتيجيات إدارة الصراع التنظيمي وأثرها على الأداء الوظيفي لدى العاملين في المنظمات الأهلية الفلسطينية في قطاع غزة (مذكرة ماجستير). كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية، جامعة الأزهر -غزة.

المراجع باللغة الأجنبية

14- Arifin, Zainal & Nirwanto, Nazief & Manan, Abdul. (2019). Improving the Effect of Work Satisfaction on Job Performance through Employee Engagement. International Journal of Multi Discipline Science (IJ-MDS). 2. 1. DOI.10.26737/ij-mds.v2i1.948.

15- Fisher, Cynthia. (2010). Happiness at Work. International Journal of Management Reviews. 12. 384 - 412. DOI .10.1111/j.1468-2370.2009.00270.x.

16- Horgan, Justine & Mühlau, Peter. (2006). Human resource systems and employee performance in Ireland and the Netherlands. The International Journal of Human Resource Management. 17. DOI.10.1080/09585190500521409.

17- Houger, Vaughan. (2006). Trends of employee performance. Collaborative effort between managers and employees. Performance Improvement. 45. 26 - 31. DOI. 10.1002/pfi.2006.4930450508.

18- Johanim, Johari & Yahya, Khulida. (2016). Job characteristics, work involvement, and job performance of public servants. European Journal of Training and Development. 40. 554-575. DOI.10.1108/EJTD-07-2015-0051.

19- Mohammad Ali Khashman, I. (2016). The Impact of Human Resource Information System (HRIS)Applications on Organizational Performance (Efficiency and Effectiveness). Journal of Management Research, Macrothink Institute, Volume 8 Issue 3.

20- Sutanto, Eddy. (2000). FORECASTING: THE KEY TO SUCCESSFUL HUMAN RESOURCE MANAGEMENT. Jurnal Manajemen dan Kewirausahaan. Volume 2 Issue 1.

21- Van Hoye, Greet & Hooft, Edwin & Lievens, Filip. (2009). Networking as a job search behaviour: A social network perspective. JOURNAL OF OCCUPATIONAL AND ORGANIZATIONAL PSYCHOLOGY. 82. 661-682.DOI.10.1348/096317908X360675.

22- Wood, Stephen. (2003). Human Resource Management and Performance. International Journal of Management Reviews. 1. 367 - 413. DOI .10.1111/1468-2370.00020.

مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ر ت م د: 7163 -1112 ر ت م د إ :1892-2588
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2

استراتيجية الشراكة بين القطاعين العام والخاص لاستغلال الأماكن السياحية –مشروع تطوير الواجهة البحرية للميناء السياحي السلطان قابوس –

Public-private partnership strategy for the exploitation of tourist places - the waterfront development project of sultan Qaboos tourist port-

حديدي أمنة[1] ، بربري محمد أمين[2]

1-جامعة حسيبة بن بوعلي -الشلف -، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، قسم علوم التسيير، مخبر الأنظمة المالية والمصرفية والسياسات الاقتصادية الكلية في ظل التحولات العالمية، طالبة دكتوراه، hedidiamina@yahoo.com

2 -جامعة حسيبة بن بوعلي -الشلف -، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، قسم علوم التسيير، مخبر الأنظمة المالية والمصرفية والسياسات الاقتصادية الكلية في ظل التحولات العالمية، أستاذ، berberimoh@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2020/05/09 تاريخ القبول: 2021/01/31

ملخص

ان الشراكة بين القطاع الخاص والعام في استغلال الأماكن السياحية عبر التراب الوطني هي عبارة عن مفهوم منصب على عمل تعاوني مشترك بينهما، وهذا الامر راجع نتيجة لعدم كفاية الاستثمارات العامة والضغوط المتزايدة على الميزانيات الحكومية، بالإضافة إلى القلق العام تجاه عدم كفاءة الخدمات التي تقدمها المؤسسات الحكومية. أصبحت الشراكة بين القطاع العام والخاص ظاهرة موجودة ومستغلة بطريقة جيدة في سلطنة عمان. كما أنها طغت على مفهوم الخوصصة الذي أدى إلى الحد من سيطرت القطاع العام وتملكه لعوامل الإنتاج، في حين أن هذه الشراكة تبين أن لكلا الطرفين مزايا ومقومات خاصة

المؤلف المرسل: حديدي أمنة، hedidiamina@yahoo.com

بهما تجعلهما قادرين على النهوض بقطاع السياحة وبالتالي تحقيق قيمة مضافة في الاقتصاد، فمن خلال تكاتف الجهود والتوليف بين القطاعين في استغلال الأماكن السياحية بشكل جيد وباستراتيجية ناجعة، حتما سيؤدي إلى تحقيق أهداف التنمية السياحة المستدامة. في هذه المقالة سنحاول تسليط الضوء على الشراكة بين القطاع العام والخاص في مجال السياحة بصفة عامة، والتطرق الى نموذج للشراكة بين القطاعين لتطوير الواجهة البحرية السياحية لميناء السلطان قابوس بسلطنة عمان.

الكلمات المفتاحية:

القطاع العام، القطاع الخاص، السياحة، الشراكة

Abstract:

The partnership between the private and public sectors in the exploitation of tourist places across the national territory is a concept based on joint cooperative work between them. This is due to insufficient public investment and increasing pressure on government budgets, as well as public concern about the inefficiency of services provided by government institutions. Public-private partnership has become an existing and well-exploited phenomenon in the Sultanate of Oman. It also overshadowed the concept of privatization, which led to the reduction of public sector control and ownership of the factors of production, While this partnership shows that both parties have their own advantages and constituents that enable them to promote the tourism sector and thus achieve added value in the economy, by joining efforts and synthesis between the two sectors in the exploitation of tourist places well and efficient strategy,

will inevitably lead to achieving the objectives of sustainable tourism development.In this article we will try to highlight the partnership between the public and private sector in the field of tourism in general, and ,to parade the model of partnership between the two sectors to development of the Sultan Qaboos Tourist Port in sultanate of Oman.

Key words:
Public Sector, Private Sector, tourism, Partnership

1. - مقدمة

يعتبر المركز الوطني للاحصاء والمعلومات لسلطنة عمان بان قطاع السياحة من القطاعات المهمة والواعدة حيث يعد رافدا مهما للاقتصاد الوطني ومصدر دخل للعديد من دول العالم، ومن هذا المنطلق جاء اهتمام حكومة سلطنة عمان بهذا القطاع الحيوي والعمل على تطويره بغية الارتقاء به للأفضل، حيث تم اعتماده كأحد القطاعات الاقتصادية الواعدة ضمن خطة(2016 -2020) والتي تهدف إلى تنويع القاعدة الاقتصادية ومصادر الدخل الوطني للسلطنة. وفي نفس السياق عملت سلطنة عمان على ابرام اتفاقية بين الشركة العمانية للتنمية السياحية 'عمران' ممثلة في القطاع العام ومؤسسات القطاع الخاص بهدف تطوير مشروع الواجهة البحرية لميناء السلطان قابوس وذلك من اجل تطوير قطاع السفن السياحية والذي كان له أثر كبير على السياحة، كما تعد هذه الشراكة استراتيجية مهمة في تنمية هذا المشروع السياحي الحيوي، ومن خلال هذه الشراكة يساهم القطاع العام بقطعة الأرض والطرف الخاص تقع عليه مسؤولية تمويل المشروع. حيث تعمل المؤسسة المطورة على انشاء فنادق ووحدات سكنية الى جانب المطاعم والمرافق الترفيهية وغيرها من المرافق التي تخدم السياحة والمجتمع المحلي. وباعتبار ان ميناء السلطان قابوس من أكثر الموانئ استقطابا للسياح، ستساهم عملية إعادة تطويره الى تعزيز وتحفيز الفرص الاستثمارية والسياحية والعقارية والترفيهية بالإضافة الى توفير فرص عمل.

الإشكالية الرئيسية التي نود معالجتها تتمحور حول السؤال الرئيسي التالي: ما واقع استراتيجية الشراكة بين القطاعين العام والخاص لاستغلال الأماكن السياحية في سلطنة عمان؟

الفرضيات

للإجابة على الإشكالية السابقة تم الانطلاق من الفرضية التالية:

- تساهم الشراكة بين القطاعين العام والخاص في نجاح عمليات التنمية السياحية في سلطنة عمان، حيث انها تعتبر استراتيجية هامة لتطوير المشاريع التي تخدم السياحة.

أهمية الدراسة

أصبح اشراك القطاع الخاص في المشاريع التنموية يعتبر حلا ومصدرا مهما في تمويل المشاريع السياحية في سلطنة عمان، وذلك بهدف تطوير الوجهة السياحية للبلد واستقطاب أكبر عدد من السياح وجاء هذا تزامنا مع الاهتمام الدولي والعالمي بالسياحة باعتبارها موردا هاما ولها أثر إيجابي في تحقيق التنمية الاقتصادية.

تقسيمات الدراسة وهي كالتالي:

2. -الشراكة بين القطاعين العام والخاص في مجال السياحة
3. -استراتيجية الشراكة بين القطاعين العام والخاص في مجال تطوير مشروع الواجهة البحرية لميناء السلطان قابوس

2. - الشراكة بين القطاعين العام والخاص في مجال السياحة

تعد الشراكة بين القطاعين العام والخاص في مجال السياحة من المواضيع التي لاقت اهتمام الكثير من الدول بهدف تمويل المشاريع السياحية وبالتالي تطوير القطاع السياحي.

1.2. - تعريف القطاعين العام والخاص

أ- تعريف القطاع العام

- يقصد بالقطاع العام وحدات قطاع الاعمال التي تدار من قبل الحكومة، والتي لا يمكن ان تدار من قبل القطاع الخاص، وتقوم المؤسسات العامة بإنتاج السلع والخدمات وتقديمها الى الجمهور بالأسعار الإدارية؛ (ضياء مجيد،2008)
- ويستخدم مصطلح القطاع العام للإشارة إلى الوحدات الاقتصادية المملوكة للدولة التي تقوم بإنتاج السلع والخدمات وبيعها للمستهلكين مقابل سعر محدد، وذلك بغض النظر عن شكل ملكية الدولة او الحالة التنظيمية للوحدات الاقتصادية أي سواء اتخذت شكل المصالح الحكومية او الهيئات او المؤسسات او الشركات العامة. (عبد الرحيم شاذلي يحي عبد الله،2016)

ب- تعريف القطاع الخاص

- يقصد بالقطاع الخاص هو تحقيق الربح على مستوى المشروع، وان قواعد الربح تتغلب على الاعتبارات الاجتماعية التي يتحملها عادة القطاع العام. (ضياء مجيد، مرجع سبق ذكره،)
- كما نشير في هذا الصدد إلى انه يطلق أيضا مصطلح الاقتصاد الحر على الاقتصاد الخاص، والذي يشترط عدم تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي، والذي يرتكز على المنافسة الحادة كنتاج لعدم تدخل الدولة في تحقيق أقصى الأرباح. (محمد صلاح، 2014 -2015)

2.2. -.تعريف الشراكة بين القطاعين العام والخاص

أ -يعرف'FRANZ' الشراكة بين القطاعين العام والخاص بانها "تعاون هادف بين كيانات عامة وخاصة من اجل الوصول الى الفوائد المتبادلة المطلوبة، استنادا الى إطار مرجعي مشترك، وبانها مفهوم تنموي بعيد

المدى يحتاج تحقيق التعاون فيه تجاوز المصالح المتداخلة والمتضاربة أحيانا بين الأطراف المعنية" ؛ (عادل محمود الرشيد، 2006)

ب - حسب اللجنة البريطانية للشراكة بين القطاعين: هي علاقة مشاركة بالمخاطرة بين القطاعين العام والخاص بناء على طموح مشترك من أجل تحقيق هدف مأمول للسياسة العامة للبلد. (محمد صلاح، مرجع سبق ذكره،)

ج - عقد اداري، يعهد بمقتضاه أحد اشخاص القطاع العام الى أحد اشخاص القطاع الخاص، القيام بتمويل الاستثمار المتعلق بالأعمال، والتجهيزات الضرورية للمرفق العام وادارتها واستقلالها وصيانتها طوال مدة العقد المحددة، في مقابل مبالغ مالية تلتزم الإدارة المتعاقدة بدفعها اليه بشكل مجزأ طوال مدة الفترة التعاقدية، وتتولى مؤسسات من القطاعين العام والخاص العمل معا لتحقيق مشاريع او تقديم خدمات للمواطنين، وخصوصا في المشاريع المتعلقة بالبنية التحتية. (بربري محمد امين واخرون،2017)

3.2. - اشكال الشراكة بين القطاعين العام والخاص في مجال السياحة

ان الهدف من اللجوء الى الشراكة بين القطاعين العام والخاص وهو لعدم إمكانية الاعتماد عل الانفاق الحكومي وحده في إقامة مشروعات الخدمات العامة والبنية التحتية فقد شهد العقد الأخير دعما وتشجيعا من الدول لمشاركة الاستثمار الخاص في تمويل وإقامة وتشغيل المشاريع الترويجية والسياحية من خلال تنمية وتطوير مرافق وخدمات البنية التحتية بكفاءة أكبر وتكلفة اقل، كما ان نظام الشراكة بين القطاعين يحتوي على عدة اشكال من عقود وهي كالتالي:(إسماعيل محمد علي الدباغ واخرون، 2015)

أ -عقود الخدمة:

حيث تحتفظ الجهة الحكومية بمسؤولياتها الكاملة عن تشغيل وإدارة المحمية الطبيعية او المنتزه الوطني ولكنها تتعاقد مع القطاع الخاص لتقديم بعض الخدمات الأخرى مثل تقديم خدمات الطعام والشراب او توفير النقل والصيانة وتتراوح مدة هذه العقود بين 2 -3سنوات؛

ب - عقود الإدارة:

تقوم الجهة الحكومية بنقل مسؤولية إدارة مجموعة من الأنشطة في المشروع السياحي (موقع أثرى او قرية سياحية ...الخ) الى القطاع الخاص عن طريق ابرام عقود تسمى بعقود الإدارة. وفي الحالة هذه الحالة تقوم الجهة الحكومية بتمويل راس المال العامل الاستثماري كما تقوم بتحديد سياسة رد التكاليف وتتراوح مدة هذه العقود بين 3 -5 سنوات؛

ج - عقود التأجير:

تقوم الشركات الخاصة بتأجير الشركة السياحية بالكامل من الجهة الحكومية وتتحمل مسؤولية تشغيلها وإدارة الشركة. وسيقوم المستأجر بشراء الحق في الإيرادات وبالتالي سيتحمل قدرا كبيرا من المخاطر التجارية وتتراوح مدة هذه العقود بين 5 -15سنة يمكن تمديدها؛

د - عقود الانتفاع طويلة الاجل:

تستخدم عقود الانتفاع طويلة الاجل لشراء أراض تقع في مناطق متطورة ولها بنية تحتية ضخمة مثل السواحل والبلاجات، ويطلب من الشركة الخاصة تمويل وبناء وتشغيل المشروع السياحي لمدة 20 -30 سنة ينتقل بعدها المشروع الى القطاع العام.

4.2. -فوائد ومخاطر الشراكة بين القطاعين العام والخاص في مجال السياحة

وتتمثل فوائد ومخاطر الشراكة بين القطاعين العام والخاص في مجال السياحة في النقاط التالية:

أ -تقاسم المخاطر:

من خلال الشراكات بين القطاعين العام والخاص، قد تقاسم الحكومة المخاطر مع شريك من القطاع الخاص .ويمكن أن تشمل المخاطر التكاليف الزائدة وتجاوز المهلة المحددة لتقديم الخدمة وصعوبات في الامتثال للقوانين البيئية وغيرها أوخطر أن تكون الأرباح غير كافية لدفع تكاليف التشغيل ورأس المال؛

ب - تحسين مستويات الخدمة أو الحفاظ على مستويات الخدمة الحالية :

قد تلجأ الشراكات بين القطاعين العام والخاص إلى ابتكار طرق في كيفية تنظيم وتقديم الخدمات وتنفيذها؛

ج - تحسين الأرباح:

قد تحدد الشراكات بين القطاعين العام والخاص أسعار المستعمل التي تعكس التكاليف الحقيقية لخدمة معينة .كما أنها قد تقدم أيضا فرصة لعرض أصول دخل مبتكرة، والتي لن تكون، خلاف ذلك، متاحة من خلال أساليب خدمة التزويد التقليدية؛

د - زيادة الإنفاق:

عند وضع سياسات الأسعار والرسوم لمستخدمي الخدمة، لا تعتبر جميع الحكومات تكاليف تقديم الخدمات "الحقيقية". وتتطلب الخدمة المقدمة من خلال الشراكات بين القطاعين العام والخاص سياسات سعرية وضريبية تعكس التكلفة الكاملة؛

ه -غياب المنافسة:

المنافسة تؤدي إلى الابتكار والكفاءة وخفض التكاليف. وقد لا تكون الحكومات قادرة على الاستفادة من الشراكات بين القطاعين العام والخاص إذا كان هناك عدد محدود من الشركاء المحتملين في القطاع الخاص ذوي الدراية أو القدرة على الاستجابة لاقتراح معين؛

و - انخفاض الجودة أو كفاءة الخدمة:

إذا لم يتم تنظيمها وإدارتها بشكل صحيح، قد تؤدي عقود الشراكات بين القطاعين العام والخاص إلى انخفاض جودة الخدمة وعدم كفاءة أو نقص في المحافظة المناسبة على التأسيسات. (السياحة الدولية في البلدان الأعضاء في منظمة التعاون الإسلامي: الافاق والتحديات، 2015،)

3. - استراتيجية الشراكة بين القطاعين العام والخاص في مجال السياحة (تطوير مشروع الواجهة البحرية لميناء السلطان قابوس)

تعتمد استراتيجية الحكومة في التطوير السياحي على الشراكة بين القطاعين العام والخاص، حيث يعمل كل منهما جنبا إلى جنب للمساهمة في تنمية وتنفيذ المشاريع السياحية بما يحقق عوائد مستقبلية مشتركة ويكفل تحقيق النمو لقطاع السياحة في سلطنة عمان.

1.3. - انواع السياحة في سلطنة عمان

تصنف السياحة في السلطنة إلى عدة انواع، وهي: (قاسم الربداوي،2014)

أ -السياحة الشعبية:

يعد هذا النوع من أكثر أنواع السياحة انتشارا، إذ يذهب السياح إلى أماكن الراحة والاستجمام في مختلف المحافظات والمناطق والولايات في أثناء العطل الأسبوعية وخاصة إلى أماكن وجود الينابيع والأودية والحدائق العامة وقرب

السدود، وإلى عدة أماكن على طول الساحل، وإلى بعض السفوح الجبلية والمناطق، كما هو الحال في سفوح الجبل الأخضر وجبال ظفار؛

ب - السياحة العلاجية

يذهب السياح في هذا النوع من السياحة لتلقي العلاج في المصحات أو إلى مناطق وجود الينابيع الكبريتية، كما هو الحال في نبع عين الكسفة في ولاية الرستاق، أوعين الثوارة في ولاية نخل، إذ توصف تلك المياه بأنها علاج للأمراض الجلدية؛

ج -السياحة الثقافية:

يشمل هذا الصنف السياح الذين يذهبون لمشاهدة معارض الكتب التي تقام في أنحاء السلطنة للاطلاع على ما هو جديد في الثقافة والفكر، وشراء ما يحتاجون إليه من الكتب والمؤلفات التي تعرض هناك، خاصة في معرض مسقط السنوي للكتاب إذ تشارك فيه مئات دور النشر المحلية والعربية والدولية والوزارات والمديريات المختصة بالتأليف والنشر والتوزيع؛

د -السياحة الترفيهية:

يمثل هذا النوع من السياحة في قيام الأسابيع الثقافية والفنية في انحاء السلطنة، اذ يشارك فيها الالاف من المواطنين، كما هو الحال بالنسبة الى مهرجان الاغنية السنوي في مسقط؛

ه -السياحة التسويقية:

تشمل هذه السياحة رحلة التسوق اليومية الى مراكز الولايات والمناطق، لشراء الحاجيات المختلفة وخاصة الى العاصمة مسقط، حيث توجد عشرات المجمعات التجارية الكبرى التي تستقطب الاف المتسوقين يوميا. وكذلك الذهاب الى الأسواق الشعبية في انحاء سلطنة عمان.

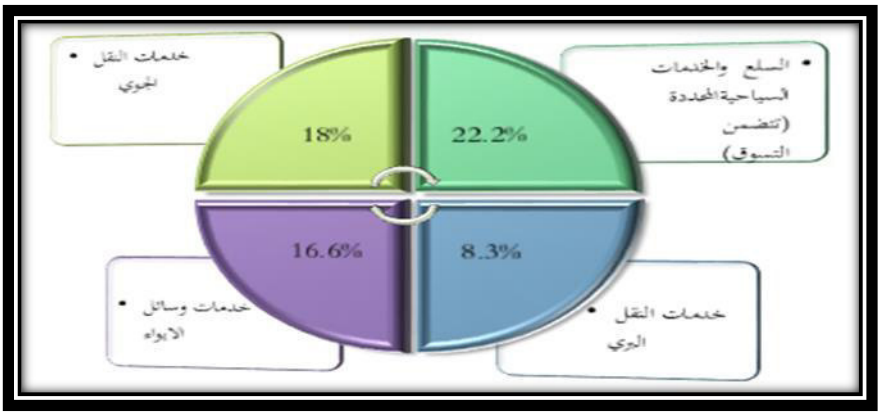
2.3 . - السياحة في سلطنة عمان

أ -واقع السياحة في سلطنة عمان (نشرة إحصاءات السياحة 2016، نوفمبر 2017)

- السياحة المحلية:

تساهم السياحة المحلية بنسبة 73.5٪من إجمالي الإنفاق السياحي بما يعادل 882.5 مليون ريال عماني، مقارنة بـ 26.5 % أي 319 مليون ريال عماني من إنفاق السياحة الوافدة، وبلغت قيمة عوائد القطاع السياحي 1.2 مليار ريال عماني في عام 2016 مسجلة انخفاض بنسبة 6 ٪ أوبمعدل 1.3 مليار ريال عماني خلال عام 2015 وارتفاعا بنسبة 4.7 ٪على 1.2مليار ريال عماني خلال عام 2014 . وفيما يتعلق بالإنفاق على السياحة المحلية، فقد تصدرت الخدمات السياحية والمتضمنة التسوق قائمة الأنشطة المساهمة بنسبة 26.2٪، وحلت خدمات النقل الجوي بنسبة 15.1٪ في المرتبة الثانية، تليها خدمات الإقامة بنسبة ٪2.9، ثم خدمات النقل البري 9 ٪ وارتفع إنفاق السياحة المغادرة بمعدل 11.5٪ بين عام 2009 و2016. وفي عام 2016 تصدرت المنتجات السياحية المحددة والمتضمنة التسوق، قائمة إنفاق السياحة الداخلية بنسبة 22.2٪ في حين بلغت نسبة الإنفاق على خدمات النقل الجوي وخدمات الإقامة 18٪و16.6٪على التوالي. وبلغ إجمالي عوائد الإنفاق على خدمات النقل الجوي 216 مليون ريال عماني، تبعه عوائد خدمات الإقامة 200مليون ريال عماني.

الشكل رقم01: إنفاق السياحة الداخلية لسنة 2016



المصدر: من اعداد الباحثين اعتمادا على نشرة إحصاءات السياحة 2016، المركز الوطني للإحصاء والمعلومات، نوفمبر 2017، ص:66.

- **السياحة الوافدة:**

➢ **حركة السائحين الوافدين**

أشارت نشرة الإحصاءات السياحية إلى أن عدد الزوار الوافدين للسلطنة تضاعف خلال العقد الأخير 2005 -2016 مرتين، مقابل زيادة أعداد السياح المحليين ثلاثة أضعاف، كما شهدت أعداد السياحة الوافدة للسلطنة ارتفاعا بما يقارب 40 ٪ كل خمس سنوات، حيث بلغ عدد السياح الوافدين 1.1 مليون سائح في عام 2005، وارتفع إلى 1.5 مليون سائح في عام 2010، ثم إلى 3.2 مليون سائح في عام 2016.

وتتصدر زيارة الأهل والأصدقاء قائمة الغرض الرئيسي للسياحة، بنسبة 41.9٪، ثم غرض الترفيه والترويح بنسبة 33.5 ٪ ثم غرض رحلة العمل بنسبة 17.7.% وارتفعت نسبة زوار اليوم الواحد 18.5٪ ليصل إلى 858.841 مليون زائر في عام 2016 مقارنة بعام 2015، وهو ارتفاع قريب من الذي سجل في 2015 حيث بلغ عدد الزوار 724.736 زائر مقارنة بـ 614.065 زائر في 2014 بنسبة ارتفاع بلغت 18٪، كما أن عام 2013 شهد نسبة ارتفاع بلغت 12.3٪من 472.805 زائر في

2012 إلى 531.096 زائر في 2013. ومنذ عام 2005 بلغ المعدل السنوي لعدد الزوار الوافدين نسبة 10.03٪.

الشكل رقم 02: حركة السياح الوافدين الى السلطنة



المصدر: من اعداد الباحثين اعتمادا على نشرة إحصاءات السياحة 2016، قسم السياحة الوافدة، مرجع سابق، ص:26.

- إنفاق السياحة الوافدة والمغادرة
- انفاق السياحة الوافدة

بلغ إجمالي إنفاق السياحة الوافدة 319 مليون ريال عماني، حيث أن نسبة 25.9 ٪منها أو ما يعادل 82.8 مليون ريال عماني يأتي من الإنفاق على تذاكر السفر، و118.8 مليون ريال عماني أي نسبة 37.3 ٪من الإنفاق على السكن، و47.4 مليون ريال عماني أو ما نسبته 14.9 ٪من الإنفاق على الطعام والشراب، 20.7 مليون ريال عماني أو 6.5٪ من الإنفاق على التنقل الداخلي، و43.7 مليون ريال عماني أو 11.1٪ من الإنفاق على التسوق. وفي حين تضاعف الإنفاق العام من 127.7 مليون ريال عماني الى 319 مليون ريال عماني خلال الفترة بين 2005 الى 2016، ارتفع الإنفاق على تذاكر الطيران ثلاثة أضعاف من 20.7 مليون ريال عماني إلى 82.8 مليون ريال عماني خلال الفترة ذاتها، كما سجل الإنفاق

على كل من السكن والطعام والشراب منها مضاعفا خلال الفترة ذاتها، ومن إجمالي 16.5 مليون ليلة قضاها السياح الزائرين في عام 2016، تم قضاء 43.7 %منها في زيارة الأقارب والأصدقاء، في حين تم قضاء 29.8 ٪منها في أنشطة الترفيه والترويح، وشهدت مساهمة عدد الليالي التي قضاها السياح من أوروبا وأمريكا واستراليا منذ عام 2009 انخفاضا بنسبة 23 ٪، كما وصل المعدل السنوي لليالي إقامة السياح من دول مجلس التعاون الخليجي بنسبة 12 ٪خلال الفترة ذاتها، وفي المقابل ارتفعت نسبة ليالي إقامة السياح من الدول الآسيوية بمعدل سنوي 24% .

وسجل إجمالي إنفاق السياحة الوافدة بنهاية عام 2017 ارتفاعا بنسبة 6.1٪ ليبلغ 342.3 مليون ريال عماني مقارنة بـ322.5 مليون ريال عماني بنهاية عام 2016 حيث بلغ متوسط إنفاق السائح خلال عام 2017 ما قيمته 105.1 ريال عماني مسجلا زيادة بنسبة 4.5٪ مقارنة بعام 2016 حيث بلغ 100.6 ريال لكل زائر. وبلغت نسبة السياح الذين مكثوا لأكثر من ليلة واحدة 72.8 ٪ في حين أن نسبة 27.2 ٪ كانوا من زوار اليوم الواحد.(https://alroya.om/post/222954/6-1-ارتفاعا-بإنفاق-السياحة-الوافدة-للسلطنة-و462-7-مليون-ريال-إنفاق-المغادرة،)

الشكل رقم03: إنفاق السياحة الوافدة خلال الفترة 2015 - 2016 (مليون ريال عماني)



المصدر: من اعداد الباحثين اعتمادا على نشرة إحصاءات السياحة 2016، قسم السياحة الوافدة، مرجع سابق، ص:30.

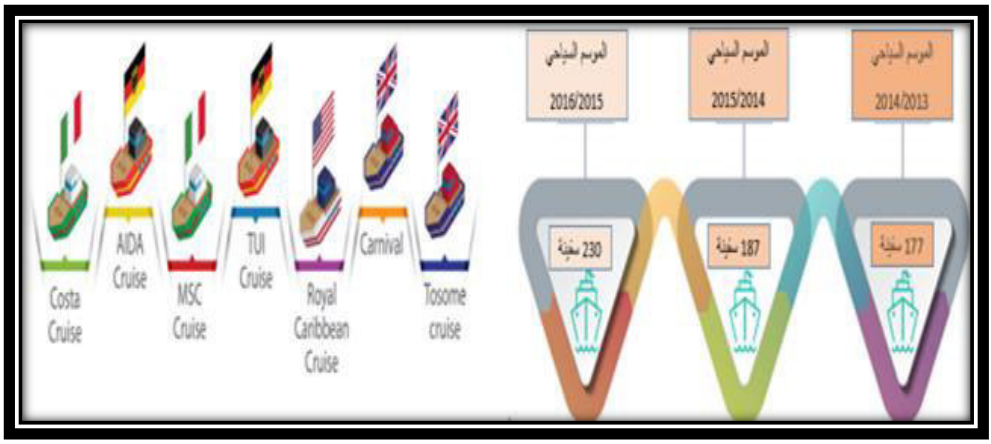
- **إنفاق السياحة المغادرة**

انخفض إنفاق السياحة المغادرة بنهاية عام 2017 بنسبة 5.6٪ ليبلغ 462.7 مليون ريال عماني مقارنة بـ 490.3 مليون ريال عماني بنهاية 2016. وارتفع عدد الزوار المغادرين ليبلغ 6.4 مليون زائر ومكث ما نسبته 70.2 ٪ من السياح أكثر من ليلة واحدة في وجهاتهم، أي ما يعادل 4.5 مليون سائح، مقابل 1.9 مليون زائر عادوا في نفس اليوم مشكلين نسبة 29.8 ٪ من الزوار. وتصدر العمانيون أعلى نسبة من السياحة المغادرة، حيث بلغ عددهم 4.3 مليون زائر تلاهم الزوار الاسيويون بـ 1.8 مليون زائر.

ب - واقع سياحة السفن السياحية

قامت وزارة السياحة بجهود كبيرة في تنمية وتطوير قطاع السفن السياحية في السلطنة وهو ما نتج عنه زيادة أعداد السفن والأفواج السياحية القادمة للسلطنة حيث يوضح الشكل أدناه عدد السفن السياحية الزائرة لميناء السلطان قابوس، ميناء صلالة وميناء خصب على التوالي177 سفينة، 187 سفينة، 230 سفينة خلال المواسم السياحية الموجودة في الشكل. كما يشهد موسم (2016/ 2017) بدء شركة Cruise Celebrity بالإضافة الى شركة Cruise Thomsonالبريطانية بتسيير رحلاتها لموانئ السلطنة، وهو ما يعد إضافة كبيرة لأعداد السفن السياحية القادمة للسلطنة.

الشكل رقم4: أبرز الشركات وعدد السفن السياحية الزائرة لميناء السلطان قابوس وميناء صلالة وخصب



المصدر: التقرير السنوي 2016، وزارة السياحة سلطنة عمان، الموقع الالكتروني https://omantourism.gov.om ،تاريخ الاطلاع2018/10/22، ص:59.

يمثل سوق السفن السياحية ركيزة مهمة لنمو حركة السياحة الذي من شأنه أن يساهم بفاعلية في تعظيم مردودها الاقتصادي وتعزيز مساهمتها في زيادة الدخل وتنويع مصادره خاصة وأن أبرز السفن السياحية التي تزور السلطنة هي من فئة الكروز التي تحمل عددا كبيرا من السياح على متن كل سفينة يصل إلى أكثر من 2500 سائح.

وتقوم السفن السياحية التي تزور السلطنة بزيارة ثلاثة موانئ وهي ميناء السلطان قابوس وميناء صلالة وميناء خصب، ذلك بالإضافة إلى أن هناك خطة مستقبلية للعمل على تطوير بعض الموانئ ليتم استغلالها لاستقبال السفن السياحية وهي ميناء صحار وميناء صور وميناء الدقم وميناء السويق.

في حين شهد قطاع السفن السياحية بالسلطنة تطورا ملحوظا في السنوات الأخيرة ويعتبر من أسرع القطاعات السياحية نموا حيث بلغ عدد زيارات السفن السياحية في الموسم 2015 -2016 حوالي 230 زيارة وفي 2016 -2017 بلغ

252 زيارة ويصل عددها خلال موسم السفن السياحية 2018 -2019 إلى 260 سفينة. وعدد الزوار القادمين لكل من ميناء السلطان قابوس وميناء صلالة وميناء خصب بنهاية 2017 بلغ حوالي2218 ألف زائر مقارنة بـ 1 217 ألف زائر في عام 2016 بنسبة نمو قدرها 2.2 بالمائة، بالإضافة إلى أن عدد الزوار قد بلغ خلال الأشهر الأولى من عام 2018 حوالي1108ألف زائر.(22/10/2018) http://www.omandaily.om/624840 ,consulte le

3.3. - تطوير مشروع الواجهة البحرية لميناء السلطان قابوس وفقا لعقد الشراكة بين القطاعين العام والخاص

كلفت الشركة العمانية للتنمية السياحية (عمران) بتمثيل الحكومة والإشراف على مشروع تطوير الواجهة البحرية لميناء السلطان قابوس السياحي، والتي ستجعل منه بوابة سياحية واقتصادية وثقافية فريدة من نوعها للسلطنة. ويتوقع أن تكون الواجهة البحرية متعددة الاستخدامات وإحدى أبرز الوجهات السياحية المتميزة والفريدة من نوعها في السلطنة، نظرا للطبيعة الخلابة ومعالم مطرح القديمة التي لا زالت راسخة في جذور التاريخ العماني، كما سيقدم المشروع فرصا جيدة لتعزيز تواجد المؤسسات الصغيرة والمتوسطة فضلا عن توفير آلاف فرص العمل المستدامة عند اكتمال المشروع. (الكشف عن مشروع الواجهة البحرية لميناء السلطان قابوس، تاريخ النشر 4جانفي2016 (http://omran.om/ar,consulte le19/10/2018, a 2 :00

أ -تعريف بمشروع الواجهة البحرية لميناء السلطان قابوس

- موقع ميناء السلطان قابوس

يعتبر ميناء السلطان قابوس بوابة عمان المفتوحة على العالم و يحتل هذا الميناء موقع استراتيجي مميز بمدخل الخليج العربي كما يقع هذا الميناء في ملتقى الطرق التجارية المختلفة من ناحيتي الشرق و الغرب و هذا ما يجعل الميناء يحتل مكانة مميزة بين الموانئ الأوربية و الأفريقية و مع تحديات العصر و

حاجة عمان لمواكبة التنمية الشاملة واحتياجاتها أصبح الميناء لا يكفي لسد هذه الحاجات وبدأ التفكير في توسيع ميناء السلطان قابوس والاهتمام ببناء موانٍ في صحار وصور والحرص على توسيع عملية الاستيراد و التصدير و ذلك عبر الاهتمام بتطوير كل من ميناء ريسوت و ميناء الدقم .

- الاهمية السياحية للميناء

يسهم ميناء السلطان قابوس في تقديم خدمات للسياح إلى أن أصبح وجهة سياحية حيث يشتمل الميناء على مبنى خاص لاستقبال السياح و به صالة مجهزة بأحدث التجهيزات بالإضافة لمنطقة يوجد بها سوق يضم عدد من المطاعم وأماكن للترفيه مثل المقهى الخاص بالأنترنت و أماكن أخرى للاتصالات بالإضافة لا مكانية صرافة و تحويل الأموال و استئجار السيارات ويحتوي الميناء على مكاتب لإدارة الحجوزات و الجمارك و تتجه الحكومة إلى استغلال الميناء كميناء سياحي (https://www.almrsal.com/post/333939، تاريخ الاطلاع2018/10/19) وتطويره من خلال ابرام عقد شراكة بين القطاعين العام والخاص بتأسيس الشركة المطورة للميناء ممثلة بالشركة العمانية للتنمية السياحية عمران ونسبة تملكها تبلغ 51 بالمائة برأسمال يمثل الارض في حين ستخصص نسبة 49 بالمائة الباقية للمستثمرين من صناديق التقاعد الاستثمارية والقطاع الخاص، كما سيساهم هذا المشروع في رفع نسبة مساهمة السياحة في دخل السلطنة العمانية و يساعد على الاهتمام بتطوير مختلف القطاعات خاصة مثل المناطق القريبة من الميناء وهذا كله يعود بالفائدة على المجتمع المدني لسلطنة عمان. بالإضافة الى ان مشروع الواجهة البحرية للميناء يعد ثاني أكبر مشروع في محافظة مسقط بعد مطار مسقط الدولي.

جدول رقم1: ملخص تقديم مشروع ميناء السلطان قابوس

البيان	المعلومة
تكلفة المشروع	500 مليار ريال عماني (1.3مليار دولار)
شركاءالشركةالمطورةللمشروع % 51 غ%49	- الشركة العمانية للتنمية السياحية(عمران) - صناديق التقاعد الاستثمارية - شركات القطاع الخاص
انتهاء اعمال المشروع	2027

المصدر: من اعداد الباحثين اعتمادا على المعلومات السابقة

ج - تعريف بالشريك العام للشركة المطورة للمشروع

- تعريف الشركة العمانية للتنمية السياحية (عمران)

تعمل الشركة العمانية للتنمية السياحية (عمران) على دفع عجلة الاستثمار والتطوير في القطاع السياحي المتنامي بوتيرة متسارعة في سلطنة عمان. وتعد المطور الرئيسي لأكبر المشاريع السياحية والتراثية والحضرية، حيث أنجزت عددا من أبرز المشاريع الوطنية. وتفخر الشركة بوضع بصمتها لإنشاء وجهات سياحية جديدة وتجارب فريدة من نوعها تعود بالفائدة على مسيرة التنمية الاجتماعية والاقتصادية في مختلف مناطق السلطنة، من محافظة مسندم في أقصى الشمال إلى محافظة ظفار في أقصى الجنوب. تأسست عمران في عام 2005 وكان الهدف منها هو تعزيز وتنويع الاقتصاد الوطني عبر القطاع السياحي، ونجحت الشركة في تحقيق ذلك عبر تعظيم إمكانيات القطاع السياحي والعقاري في السلطنة وتعزيز بنيته التحتية.

وبتمثل الشريك الخاص في كل من صناديق التقاعد الاستثمارية ومستثمرين من القطاع الخاص والذين أبدوا رغبتهم الكبيرة بالاستثمار في المشروع.

- التعريف بالشريك الخاص

تم تأسيس داماك العقارية سنة 2002 من طرف رجل الأعمال حسين سجواني كما أن له عدد من المناصب في عدة شركات في بلدان مختلفة ضمنها، سلطنة عمان الأنوار للسيراميك، مسقط، عمان -سلطنة عمان الجزيرة للخدمات، مسقط، عمان -سلطنة عمان الأمانة المحدودة لمواد البناء، مسقط، عمان -البحرين الشركة الأهلية للتأمين، المنامة، البحرين. انشات الشركة أفضل الوحدات السكنية في دبي والشرق الأوسط وتوسعت سريعاً في مصر وشمال أفريقيا والأردن ولبنان وقطر والمملكة العربية السعودية، تبلغ مشاريعها السكنية أكثر من 670 مليون قدم مربع وتتجاوز تكلفتها 45 مليار دولار أمريكي وبشراكة مع أشهر المهندسين المعماريين والمصممين ركزت الشركة على تطوير المخططات السكنية والتجارية ومرافق الترفيه التي من شأنها تهيئة مجتمع متكامل وقد قدمت 7100 وحدة لعملائها عام 2010، تدير شركة داماك جميع ممتلكاتها من البداية للنهاية مع تقديم برنامج شامل لخدمة العملاء يوفر حلولا من خلال شبكة واسعة من المكاتب الإقليمية في المملكة المتحدة . (https://ar.wikipedia.org/wiki/داماك)

ج -مراحل مشروع ميناء السلطان قابوس

في عام 2015 كانت خطة التطوير الرئيسية للمشروع مكتملة، وحصدت اهتمام العديد من المستثمرين في القطاع الخاص الذين أبدوا رغبتهم بالاستثمار في مشروع الواجهة البحرية، ومن المتوقع أن يلعب القطاع الخاص دوراً رئيسياً في المشروع سواء عبر التمويل المشترك أو من خلال ايجاد المزيد من الفرص الاستثمارية، كما سيلعب القطاع دوراً رئيسياً في رسم ملامح الواجهة البحرية الجديدة من خلال المشاركة في تأسيس مرافق للضيافة ومنافذ للتجزئة وغيرها. كما انه تم تقسيم المشروع الى أربعة مراحل وهي كالتالي: (Ibid.)

- تتضمن المرحلة الأولى للمشروع تدشين السلطنة لمشروع الواجهة البحرية لميناء السلطان قابوس (إبراهيم البدوي، نشريوم21 جانفي2017)، والتي تبلغ تكلفتها 390 مليون دولار اميركي والواقعة في قلب الميناء والمواجهة لمنطقة مطرح مرفأ للصيادين مكملا لسوق الأسماك الذي انشاته بلدية مسقط ، وفندق فئة (خمس نجوم) مقابل مرفأ الميناء وفندق فئة (أربع نجوم) للعائلات وشقق فندقية ومجمع تجاري يضم مجموعة من المطاعم والمقاهي والمحلات التجارية المتنوعة، ومعرض الأحياء البحرية ومرفأ للسفن واليخوت السياحية، ومن المتوقع الانتهاء من المرحلة الأولى بحلول عام 2020 مواكبا بذلك الاحداث العالمية بالمنطقة كمعرض اكسبو 2020 الذي ستحتضنه امارة دبي بدولة الامارات العربية المتحدة وكأس العالم لكرة القدم 2022 بالدوحة؛
- المرحلة الثانية من المشروع تبدأ في عام 2020، حيث سيتم خلالها إنشاء عدد من الفنادق الإضافية ذات المستويات المختلفة ومنها فنادق فئة (خمس نجوم)، وعدد من القاعات الخاصة للمناسبات المختلفة، بالإضافة إلى مراكز صحية متخصصة تقدم أرقى الخدمات، ونادي رياضي، ومرافق خاصة للأسرة وعدد من الشقق السكنية.
- المرحلة الثالثة والواقعة بمدخل الميناء البحري، مكملة لهذا المشروع السياحي المهم في محافظة مسقط، لتشمل أرصفة للسفن السياحية العملاقة، وفندق وعدد من الوحدات السكنية مع المحلات التجارية والمطاعم والمقاهي، كما سيتم بناء أرصفة لاستيعاب العبارات السريعة وقوارب خفر السواحل والسفن المساندة بموقع الانشراح في الجهة المقابلة لمدخل الميناء، وتنته هذه المرحلة في عام 2025.
- المرحلة الرابعة ويختتم المشروع بتنفيذ أعمال والتي ستتضمن إنشاء فندق وخدمات لوجستية وعيادة طبية متكاملة ونادي رياضي ومجمع سكني للعاملين في الواجهة البحرية.

من المتوقع أن تنتهي أعمال البناء لجميع مراحل المشروع في عام 2027، ومن أجل استيعاب الأعداد المتزايدة من الزوار للواجهة البحرية الجديدة سيتم تجهيز مواقف السيارات لتتسع إلى 6000 مركبة على مساحة 197000 متر مربع، كما تقدر المساحة التي سيتم تطويرها بـ 451000 متر مربع أي 70 بالمائة من المساحة الكلية لمخطط المشروع. وتم انشاء سوق الميناء في الربع الثاني من العام 2017، ويكون موقعه بجانب مرفأ اليخوت والسفن السياحية الكبيرة. وسترسو أكثر من 150 سفينة سياحية في مطرح في الموسم السياحي 2018، ليستمتع السياح فيها بالإقامة في السلطنة.

د -النتائج المتوقعة من مشروع الواجهة البحرية لميناء السلطان قابوس

وتتمثل النتائج المتوقعة من مشروع الواجهة البحرية لميناء السلطان قابوس في النقاط التالية:

- الهدف الرئيسي والأول لمشروع الواجهة البحرية لميناء السلطان وهو تنمية وتطوير قطاع السفن السياحية بهدف الترويج للسلطنة كوجهة للسفن السياحية، وذلك بالتنسيق مع القطاع الحكومي وشركات القطاع الخاص عن طريق توفير بعض التسهيلات والتصاريح والحملات الترويجية المشتركة؛
- توفير 12 ألف فرصة عمل مباشرة و7 الاف فرصة عمل غير مباشرة كما يستقطب 70 بالمائة من السياح من داخل السلطنة؛
- اقامة 6 فنادق من فئات الخمس والأربع والثلاث نجوم وستوفر 1500 غرفة و65 شقة للتمليك و219 مساكن للعائلات ومساكن أخرى الى جانب اقامة 13 رصيفا بحريا وتخصيص أكثر من 6 آلاف موقف للمركبات وذلك على مساحة تتجاوز 197 ألف متر مربع؛
- عدم وجود تمويل حكومي وإنما سيتم تمويل المشروع من قبل المستثمرين من صناديق التقاعد الاستثمارية والقطاع الخاص؛

- سيكون للمؤسسات الصغيرة والمتوسطة نصيب جيد في المشروع عبر تواجد 100 شركة بالمشروع والتي ستستفيد من خلال محلات البوتيك الكشكات والاسواق الحرفية والمطاعم للمأكولات البحرية؛
- تعزيز عملية اشراك القطاع الخاص من خلال تمويله لمشاريع القطاع السياحي وتطويرها.

4. - خاتمة:

إن الشراكة بين القطاعين العام والخاص في مجال السياحة يمكن أن تحقق أهداف التنمية السياحية واستدامتها من خلال إنشاء البنية التحتية وتطويرها لاسيما في المناطق السياحية الغير مستغلة وكذلك تشجيع تطوير المشاريع المتعلقة بخدمة السياحة إذ تساعد الأرباح المتحققة على إعادة الاستثمار واستدامة المشاريع السياحية والمحافظة على البيئة و تحسين نوعية الحياة وكذا الاهتمام بمستوى ابعد من مجرد الحدود الوطنية للبلد ومراعاة التنمية الإقليمية وهذا ما تسعى حكومة سلطنة عمان لتحقيقه من خلال ابرامها لشراكات في تطوير مشروع الواجهة البحرية لميناء السلطان قابوس وابرازها كواجهة بحرية سياحية بامتياز متكاملة ومتعددة الاستخدامات وبالتالي تطوير وتنمية قطاعها السياحي.

النتائج والتوصيات

- تعمل الحكومة العمانية على تنمية قطاع السفن السياحية من خلال تطوير مشروع الواجهة البحرية لميناء السلطان قابوس، وذلك بالتنسيق مع القطاع الحكومي وشركات القطاع الخاص وأيضا بالتنسيق مع السفن السياحية عن طريق توفير بعض التسهيلات والتصاريح والحملات الترويجية المشتركة؛
- تعتبر سلطنة عمان منطقة جذب سياحية بامتياز، وذلك نظرا لموقعها الاستراتيجي المطل على أربعة منافذ بحرية، كما يدفعها هذا الامر في التفكير للاستثمار في تطوير موانئها بهدف تنمية قطاع السفن السياحية

والذي حقق ارتفاع في حصيلة نشاطه بسبب تدافع السياح للتنقل عبر السفن للاستمتاع بالسياحة في المنطقة، فهو يساهم بفاعلية في تعظيم مردودها الاقتصادي وتعزيز مساهمتها في زيادة الدخل وتنويع مصادره؛

- يجب وضع اللوائح التنظيمية التي تبين حدود الشراكة بين القطاعين العام والخاص فيما يخص استغلال الأماكن السياحية من اجل تحقيق التنمية المستدامة في مجال السياحة؛
- التكثيف من اللقاءات بين مستثمري القطاع الخاص ووزارة السياحة لسلطنة عمان من اجل توضيح المنافع التي يتم التوصل اليها من خلال عقد الشراكة بين الجهات المحلية والقطاع الخاص في مجال السياحة بصفة عامة من اجل تحقيق التنمية المحلية؛
- وضع الخطوط العريضة والأهداف التنموية المرجوة من عملية الشراكة بين القطاع الخاص وإحدى جهات القطاع العام في مجال السياحة من اجل تحسين أداء تقديم الخدمات السياحية.

المراجع

قائمة المراجع

الكتب:

- ضياء مجيد(2008)، **الخصخصة والتصحيحات الهيكلية (اراء واتجاهات)**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ص:9،18
- عادل محمود الرشيد(2006)، **إدارة الشراكة بين القطاعين العام والخاص(المفاهيم -النماذج -التطبيقات)**، المنظمة العربية للتنمية الإدارية بحوث ودراسات، مصر، ص:3.

مقال في مجلة:

- إسماعيل محمد علي الدباغ، منهد جميل كاظم العامري،(2015) **الشراكة السياحية مع القطاع الخاص مع الإشارة الى تجربة العراق**، مجلة الإدارة والاقتصاد، العدد 105، ص:335.

- عبد الرحيم الشاذلي يحي عبد الله(2016)، **اصلاح القطاع العام وتفعيل الدور التنموي للقطاع الخاص: دراسة تحليلية لتقييم تجربة الخصخصة في السودان**، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الاقتصادية والادارية، العدد الثاني، ص:7.
- قاسم الربداوي، (2014) **السياحة وافاقها المستقبلية في سلطنة عمان**، مجلة جامعة دمشق، المجلد 30، العدد 1 و2، ص: 861،862،863

تقارير واوراق عمل

- السياحة الدولية في البلدان الأعضاء في منظمة التعاون الإسلامي: الافاق والتحديات، مركز الأبحاث الإحصائية والاقتصادية والاجتماعية والتدريب للدول الإسلامية (سيسريك -مركز انقرة)، 2015، ص:45،46.
- بربري محمد امين(2017)، معزوز لقمان، غرايه زهير، **الشراكة بين القطاع الحكومي والخاص ودورها في تحقيق التميز في تقديم الخدمات العامة**، مداخلة مقدمة للملتقى الدولي: استراتيجيات تمويل الاستثمار في البنى التحتية في ظل التحديات الاقتصادية الراهنة، يومي6 -7 نوفمبر 2017، جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف، ص:3.

اطروحات دكتوراه

- محمد صلاح،(2014 -2015) **دور الشراكة بين القطاعين العام والخاص فيرفع عوائد الاستثمار في البنى التحتية للاقتصاد وفق نظام البناء والتشغيل ونقل الملكية -حالة بعض اقتصاديات الدول العربية -**، أطروحة مقدمة للحصول على شهادة الدكتوراه علوم في العلوم الاقتصادية، تخصص نقود وبنوك، ص: 39،20.

مواقع الانترنيت:

- الكشف عن مشروع الواجهة البحرية لميناء السلطان قابوس، تاريخ النشر(4 جانفي2016)، الموقع الالكتروني http://omran.om/ar/ ، تاريخ الاطلاع2018/10/19.
- إبراهيم البدوي(2017/01/21)، السياحة... مستقبل التنويع الاقتصادي ام صناعة المستقبل، جريدة الوطن، الموقع الالكتروني http://alwatan.com/details/168048، تاريخ الاطلاع 2018/10/19.
- ميناء السلطان قابوس أشهر موانئ سلطنة عمان، الموقع الالكتروني https://www.almrsal.com/post/333939، تاريخ الاطلاع2018 /10/19.

- نشرة إحصاءات السياحة 2016، المركز الوطني للإحصاء والمعلومات، نوفمبر 2017، الموقع الالكتروني
https://www.ncsi.gov.om/Elibrary/LibraryContentDoc/bar_Tourism%20Statistics%20Bulletin%، تاريخ الاطلاع 2018/10/22، ص: 25،26،29،30،65،66.

61%ارتفاعا بانفاق السياحة الوافدة للسلطنة و462.7 مليون ريال انفاق المغادرة، جريدة الالكترونية الرؤية، الموقع الالكتروني:https://alroya.om/post/222954/6-1-ارتفاعا -بإنفاق -السياحة -الوافدة -للسلطنة -و462 -7 -مليون -ريال - انفاق -المغادرة، تاريخ الاطلاع 2019/10/03.

- http://www.omandaily.om/624840/, consulte le22/10/2018 à 2:15

- https://ar.wikipedia.org/wiki/ , Consulté le 02/10/2019 à1 :02.داماك

مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ر ت م د: 7163 -1112 ر ت م د إ:1892-2588
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2

أثر تغيرات سعر الصرف وسعر البترول على الميزان التجاري الجزائري خلال الفترة 1989 -2018 (مقاربة قياسية)

The effect of changes in the exchange rate and oil price on the Algerian trade balance during the period 1989-2018 (Econometric approach)

ميموني نسرين[1] ، فريد بن طالبي[2]

1- جامعة امحمد بوقرة، بومرداس ، n.mimouni@univ-boumerdes.dz
قسم العلوم التجارية، كلية العلوم الاقتصادية، التجارية وعلوم التسيير،
مخبر مستقبل الاقتصاد الجزائري خارج قطاع المحروقات.

2- جامعة امحمد بوقرة، بومرداس(الجزائر) ، bentalbi2009@yahoo.fr
قسم العلوم التجارية، كلية العلوم الاقتصادية، التجارية وعلوم التسيير،
مخبر مستقبل الاقتصاد الجزائري خارج قطاع المحروقات.

تاريخ الاستلام: 2020/05/07 تاريخ القبول: 2021/02/16

الملخص:

نهدف من خلال هذه الورقة البحثية إلى تحليل وقياس أثر التغير في سعر الصرف الاسمي للدينار الجزائري و سعر البترول على الميزان التجاري خلال الفترة (1989 -2018)، وذلك بتطبيق نموذج شعاع الانحدار الذاتي. وخلصت الدراسة إلى عدم وجود علاقة سببية بين متغيرات الدراسة وعدم وجود علاقة توازنية طويلة الأجل بينها، ومن خلال نتائج تحليل دوال الاستجابة وتحليل التباين تم التوصل إلى أنه على عكس أسعار الصرف فإن أسعار البترول تؤدي دورا هاما في تحديد العلاقة قصيرة المدى، وعليه فإن رصيد الميزان التجاري غير خاضع لتقلبات سعر الصرف، وإنما هو رهين لتغيرات أسعار البترول .

المؤلف المرسل: ميموني نسرين: n.mimouni@univ-boumerdes.dz

الكلمات المفتاحية: سعر صرف اسمي، سعر بترول، ميزان تجاري، منهجية جوهانسن، نموذج شعاع انحدار ذاتي.

تصنيفات JEL: B23، C50، F31، F40.

Abstract:

This study aims to analyze and measure the effect of the change in the nominal exchange rate of the Algerian dinar and the oil price on the trade balance during the period (1989-2018), by applying the VAR. The results concluded that there is no causal relationship and no long-term balance relationship between the variables, and through the results of the Impulse Response Functions and the Variance Decomposition it was concluded that unlike exchange rates, oil prices has an important role in determining the short-term relationship, and therefore the trade balance is not subject to fluctuations in the exchange rate, but rather is subject to changes in oil prices.

Keywords:
Nominal exchange rate, oil price, trade balance, Johansen methodology, Vector Auto Regressive models.
JEL Classification : B23, C50, F31, F40.

مقدمة:

لقد أدى التطور الاقتصادي الذي تعرفه الاقتصاديات العالمية إلى اتساع المبادلات التجارية، وتعدد العملات المتداولة حيث صار من الضروري إيجاد آلية واضحة يتم من خلالها تقييم كل عملة من العملات المتداولة مقابل باقي العملات، حيث يطلق على هذه الآلية تسمية سعر الصرف، إذ أن لسعر الصرف أهمية بالغة نظرا لمدى مساهمته في تحقيق الأهداف الاقتصادية الكلية المتمثلة في استقرار المستوى العام للأسعار وقدر معين من النمو الاقتصادي وتخفيض مستوى البطالة وتحقيق التوازن الخارجي على مستوى ميزان المدفوعات، و الميزان التجاري يعد من أهم بنود ميزان المدفوعات، ومن المؤشرات الاقتصادية الهامة للبلد لذا فإن توازن الميزان التجاري يعد أمرا لا بد منه للمحافظة على سلامة الاقتصاد المحلي من الأزمات الاقتصادية .

في هذا السياق وفي بلد مثل الجزائر يعاني اقتصادها من التبعية المفرطة للخارج نظرا للاعتماد الشبه كلي على قطاع المحروقات، ما يجعلها عرضة للتقلبات التي تطرأ على أسعار النفط في الأسواق العالمية والتي تؤثر وبشكل مباشر على أسعار الصرف، الأمر الذي ينعكس سلبا على ميزانها التجاري، وبناءا على ما تقدم يمكن طرح التساؤل التالي:

الإشكالية: ما هو أثر تغير سعر صرف الدينار وسعر البترول على رصيد الميزان التجاري الجزائري؟

فرضيات الدراسة:

- هنالك علاقة سببية بين سعر الصرف ورصيد الميزان التجاري الجزائري وبين أسعار البترول ورصيد الميزان التجاري الجزائري.
- توجد علاقة تكاملية طويلة الأجل بين سعر الصرف ورصيد الميزان التجاري وبين أسعار البترول ورصيد الميزان التجاري.

أهداف الدراسة: يمكن تلخيص أهداف الدراسة فيما يلي:

- تأصيل المفاهيم النظرية لكل من سعر الصرف، سعر البترول والميزان التجاري.
- تقييم أداء متغيرات الدراسة خلال فترة الدراسة .
- تحليل قياسي لأثر تغيرات سعر الصرف وسعر البترول على رصيد الميزان التجاري من خلال دراسة دوال الاستجابة وتحليل التباين.

المنهج المتبع: تم الاعتماد على المنهج الوصفي للإحاطة بالجانب النظري للموضوع والمنهج التحليلي لتحليل وتقييم البيانات السنوية واستخدام المنهج القياسي لقياس أثر تغيرات سعر صرف الدينار وأسعار البترول على الميزان التجاري الجزائري، بالاستعانة برنامج Eviews 09.

1 - الأدبيات النظرية والتطبيقية:

1.1 - الأدبيات النظرية لسعر الصرف، سعر البترول والميزان التجاري:

1.1.1 -مفهوم سعر الصرف: يقصد بسعر الصرف: "سعر عملة ما بدلالة عملة ثانية، ويمكن التعبير عن سعر الصرف بطريقتين، حيث يمثل وحدات من العملة المحلية بدلالة وحدة من العملة الأجنبية أو العكس"،(GERBER, 2017) ، ويمكن التمييز بين عدة أشكال لسعر الصرف فنجد سعر الصرف الرسمي، سعر الصرف الحقيقي، سعر الصرف الفعلي، سعر الصرف الحقيقي الفعلي وسعر الصرف التوازني.

2.1.1 -مفهوم سعر البترول: السعر هو عبارة عن قيمة الشيء معبر عنها بالنقود، والسعر قد يعادل قيمة الشيء أو قد لا يتعادل معها أو يتساوى معها، ومن خلال هذا التعريف فإن السعر البترولي يعني قيمة المادة أو السلعة البترولية معبر عنها بالنقود (لطرش، 2020)، ويمكن ذكر عدة أنواع لسعر البترول: السعر المعلن، السعر المتحقق، سعر الإشارة، السعر الفوري، السعر الضريبي، السعر الاسمي. (يوب، 2020)

3.1.1 -مفهوم الميزان التجاري: يتعلق بتجارة السلع أي صادرات السلع وارداتها خلال الفترة محل الحساب، أي أنه تسجل فيه التجارة المنظورة ، أي صادرات وواردات السلع، وتسجل فيه الصادرات السلعية دائنة في الميزان التجاري أما الواردات السلعية فتسجل في الجانب المدين حيث يترتب عليها خروج نقد أجنبي، ويحقق الميزان التجاري فائضا إذا كانت صادرات السلع أكبر من وارداتها، كما يحقق الميزان التجاري عجزا إذا كانت صادرات السلع أقل من وارداتها، ويحقق وازنا في حالة التساوي بينهما (السريتي و الخضراوي، 2017).

2.1 - الدراسات السابقة:

-دراسة (عبادة و حميدات، 2020) بعنوان: " أثر تقلبات سعر الصرف على النمو الاقتصادي لدول شمال إفريقيا: دراسة حالة الجزائر، تونس والمغرب للفترة:1990 -2018"، وتهدف هذه الدراسة لاختبار أثر تقلبات سعر الصرف

على النمو الاقتصادي لدول شمال إفريقيا باستخدام بيانات سنوية لدول الجزائر، تونس والمغرب ، وقد لجأ الباحثان إلى دراسة قياسية باستخدام سلاسل البيانات المقطعية الزمنية PANEL وقد توصل الباحثان إلى أن لسعر الصرف تأثير معنوي طردي على النمو الاقتصادي لدول شمال إفريقيا لكن بنسبة ضعيفة نظرا لوجود متغيرات أخرى تؤثر عليه.

-دراسة (الديلمي علي و الديلمي فيصل، 2019) بعنوان:" العلاقة الديناميكية بين سعر الصرف والميزان التجاري العراقي: دراسة قياسية": والهدف من هذه الدراسة هو إظهار العلاقة الديناميكية بين سعر صرف الدينار العراقي والميزان التجاري العراقي؛ حيث تم إخضاع المتغيرات إلى اختبار التكامل المشترك باستعمال منهجية جوهانسن، وبينت النتائج وجود علاقتي تكامل مشترك، كما أظهرت نتائج اختبار جرانجر للسببية وجود علاقة سببية باتجاهين، بين سعر الصرف إلى الميزان التجاري، وقد أثبت البحث بأن هنالك علاقة سببية توازنية في الأجل الطويل تتجه من سعر الصرف إلى الميزان التجاري العراقي خلال مدة البحث.

-دراسة (المومن و عبد الرحمان، 2018)بعنوان: "تأثير تقلبات أسعار البترول على الميزان التجاري الجزائري دراسة قياسية للفترة 1990 -2016": وتهدف هذه الدراسة إلى البحث في العلاقة بين أسعار البترول ورصيد الميزان التجاري باستخدام منهجية التكامل المشترك واختبار السببية ونموذج تصحيح الخطأ، وقد توصلت الدراسة إلى وجود علاقة توازنية طويلة الأجل بين أسعار البترول ورصيد الميزان التجاري، ووجود علاقة سببية تتجه من أسعار البترول إلى الميزان التجاري، وتبين من خلال نموذج VECM وجود علاقة موجبة بين المتغيرين.

-دراسة: (AKAN & ARSLAN, 2008) بعنوان: THE IMPACTS OF EXCHANGE-RATE POLICIES ON THE FOREIGN TRADE: THE CASE OF TURKEY

تهدف الدراسة إلى تبيان أثر سياسات سعر الصرف على التجارة الخارجية في تركيا للفترة 1980 -2006؛ حيث تم من خلالها دراسة العلاقة السببية

واتجاهها بين سعر الصرف والتجارة الخارجية باستعمال اختبار السببية Granger، واستعمال نماذج أشعة الانحدار الذاتي؛ حيث تبين أن لأسعار صرف العملات الأجنبية أثر على المدى القصير ولا يوجد على المدى الطويل، وكما توصلت إلى وجود علاقة عكسية بين أسعار الصرف والتجارة الخارجية.

2 -الدراسة التطبيقية لأثر سعر الصرف وسعر البترول على الميزان التجاري:

1.2 -التعريف بمتغيرات الدراسة: المتغيرات عبارة عن مشاهدات سنوية للفترة الممتدة من 1990 إلى غاية 2018، أي أن حجم العينة المستعملة 29 مشاهدة وذلك بالنسبة إلى الجزائر أي أن مجتمع الدراسة هي الدولة الجزائرية ككل وقد تم الحصول على البيانات من الموقع الرسمي للبنك الدولي والموقع الرسمي للمديرية العامة للجمارك لكل من المتغيرات التالية، حيث:

TCN : متغير مستقل يمثل سعر الصرف الاسمي للدينار الجزائري مقابل الدولار الأمريكي.

PP: متغير مستقل يمثل أسعار البترول بالدولار الأمريكي للبرميل.

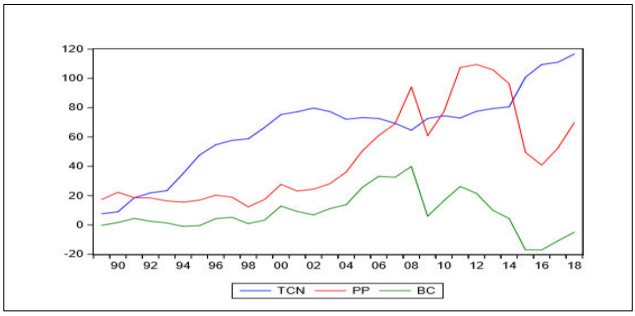
BC: متغير تابع يمثل رصيد الميزان التجاري الجزائري بالمليار دولار أمريكي.

وبغرض القيام بهذه الدراسة نقوم بصياغة نموذج لتفسير أثر تغير سعر الصرف وسعر البترول على رصيد الميزان التجاري حيث:

$$BC = f(TCN, PP)$$

2.2 -تطور متغيرات الدراسة: يظهر لنا من خلال الشكل رقم(1) تطورات كل من سعر الصرف الاسمي وأسعار البترول ورصيد الميزان التجاري للفترة (1990 -2018).

الشكل رقم(01): التمثيل البياني للسلاسل الزمنية



المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد على مخرجات برنامج Eviews09

1.2.2 - تطور سعر الصرف الاسمي خلال الفترة (1989 -2018):

نتيجة للأزمة البترولية سنة 1986 دخل الاقتصاد الوطني في أزمة اقتصادية حادة، أدت إلى ضرورة إجراء إصلاحات مالية ونقدية واسعة من خلال تخفيض قيمة الدينار، حيث وصلت قيمة الدينار سنة 1993 حوالي 23 دج بعد أن كان حوالي 8 دينار سنة 1990.

وفي سنة 1994 تم تخفيض الدينار بحوالي 50٪ حيث انتقل من الدينار 23 دينار إلى حوالي 35 دينار، ثم استمر في الانخفاض حيث سجل قيمة 54.74 دينار سنة 1996، وهي الفترة التي رافقت إنشاء سوق ما بين البنوك للعملة الصعبة كخطوة أولى نحو تبني نظام التعويم المدار، وفي سنة 2002 ومع تحسن أسعار البترول، ارتفع مستوى احتياطي الصرف الذي ساهم في حماية سعر الصرف، حيث أظهر استقرارا واضحا إلى غاية سنة 2014 ونتيجة لتراجع أسعار البترول قامت السلطات النقدية بتخفيض الدينار بحوالي 25٪ بين سنتي 2014 و2015، وقد استمر الدينار في الانخفاض بنسب متفاوتة حيث سجل سنة 2016، 2017، 2018 انخفاضا بنسبة 8.69٪، 1.39٪، 5.06٪ على التوالي، وهذا نظرا للانتعاشة التي عرفها الدولار الأمريكي أمام اليورو.

2.2.2 - تطور أسعار البترول في الجزائر خلال الفترة (1989 -2018):

عرفت سنوات التسعينيات انخفاضا في أسعار البترول سنة 1990 مقارنة بسنة 1989 حيث وصل سعر البرميل 16,86 دولار بعدما كان 22 دولار سنة 1995، ويرجع هذا الانخفاض إلى فرض منظمة الأوبك لنظام الحصص على أعضائها بما فيهم الجزائر، (المومن و عبد الرحمان، 2018)، واستمرت الأسعار في الانخفاض إلى غاية 1999، وفي سنة 2000 سجلت أسعار البترول انتعاشة حيث وصل سعر البرميل إلى ما يقارب 27.6 دولار، ليسجل انخفاضا لسنتين متتاليتين حيث انخفض إلى 24.36 دولار سنة 2002، ومنذ سنة 2003 عرفت الأسعار صعودا متواصلا بلغت 94.1 دولار للبرميل سنة 2008، بسبب انخفاض المخزونات الأمريكية بسبب تداعيات الأزمة العالمية، أما سنة 2009 فقد سجلت أدنى انخفاض ليصل سعر البرميل إلى 60 دولار نظرا لانخفاض الطلب على البترول الذي صاحب الأزمة، وقد ارتفعت الأسعار سنة 2010 إلى غاية سنة 2014 حيث شهدت أسعار البترول منذ ذلك انخفاضا شديدا استمر إلى سنة 2018.

3.2.2 -أداء الميزان التجاري في الجزائر خلال الفترة 1989 -2018:

عرف الميزان التجاري تذبذبا مستمرا منذ سنة 1989 وهذا راجع إلى أسعار البترول التي تتراوح بين الارتفاع والانخفاض، حيث سجل الميزان التجاري عجزا خلال سنتي 1994 و1995 ب (-1.025) و(-0.521) مليار دولار على التوالي، ليعرف بعد ذلك تحسنا سنتي 1996 و1997 برصيد موجب قدر ب 4.277 و5,202 مليار دولار على التوالي، لكن سرعان ما سجل تدهورا سنة 1998 نظرا لانخفاض أسعار البترول التي أدت إلى انخفاض الصادرات الجزائرية التي تعتمد بشكل شبه كلي على قطاع المحروقات، وفي سنة 2000 حقق رصيد الميزان التجاري فائضا معتبرا حيث انتقل من 0.81 مليار دولار سنة 1998 إلى 12.858 مليار دولار سنة 2000 نظرا للقفزة التي عرفتها أسعار البترول، ليعود ويسجل انخفاضا ب 6.816 مليار دولار في 2002 وهذا راجع إلى انخفاض أسعار البترول في تلك الفترة، وقد عرفت سنة 2003 تحسنا لرصيد الميزان التجاري إلى غاية

سنة 2008 حيث بلغ في تلك السنة ما يقارب 40 مليار دولار بسبب ارتفاع الصادرات النفطية الجزائرية، وخلال سنة 2009 فقد عرف رصيد الميزان التجاري تهاويا شديدا حيث وصل إلى 5.9 مليار دولار، بسبب تداعيات الأزمة العالمية وما صاحبها من انخفاض في الطلب العالمي على النفط، ليعود ويسجل ارتفاعا في السنة الموالية إلى غاية سنة 2012، وتراجع الميزان التجاري منذ سنة 2014حتى سنة 2018 صاحب التدهور الذي شهدته أسعار البترول، حيث سجل رصيدا سالبا منذ سنة 2015 بعد أكثر من 18 سنة من الفوائض المتتالية.

ومن خلال هذا التحليل يمكن الحكم على مدى ارتباط رصيد الميزان التجاري بتقلبات أسعار البترول، ما يدل على هشاشة وضعيته حيث أن أي خلل أو أزمة في سوق النفط العالمي ستؤثر حتما على الاقتصاد الجزائري.

3.2 -اختبار استقرارية السلاسل الزمنية:

لكي نتمكن من تقدير النموذج المقترح يجب أن تكون السلاسل الزمنية المختارة مستقرة عند نفس المستوى، لأجل ذلك سنعتمد على اختبار ديكي فولر المطور Augmented Dickey-Fuller لاختبار استقرارية السلاسل.

الجدول رقم (02): اختبار جذر الوحدة ل ADF لكل سلسلة زمنية

اختبار Dickey-Fuller							
القيم الحرجة	عند المستوى			عند الفرق الأول			القرار
	-3.679 -2.967 -2.622	-4.309 -3.574 -3.221	-2.647 -1.952 -1.611	-3.689 -2.971 -2.625	-4.323 -3.581 -3.225	-2.651 -1.953 -1.609	
BC	-1.825	-1.724	-1.603	-5.426	-5.431	-5.526	كنة عند I(1)
TCN	-0.988	-2.077	.4291	-3.825	-3.783	-2.906	كنة عند I(1)
PP	-1.305	-1.933	-0.207	-4.496	-4.391	-4.528	كنة عند I(1)

المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد على مخرجات برنامج Eviews09

من خلال النتائج المحصل عليها من اختبار ADF أن متغيرات الدراسة تعاني من مشكلة عدم الاستقرار عند المستوى، ما يعني أنها تحتوى على جذر الوحدة، باعتبار أن القيم المحسوبة أكبر تماما من القيم الحرجة ل Mackinnon حيث نلجأ إلى تحويل السلسلتين إلى فروق من الدرجة الأولى .

ويتضح من الجدول أن السلاسل مستقرة عند الفرق الأول، أي أن المتغيرات متكاملة من الدرجة الأولى، ومنه ننتقل إلى الخطوة الموالية بإجراء اختبار التكامل الذي يختبر وجود علاقة تكاملية طويلة الأجل بين المتغيرات من عدمه.

4.2 - اختبار التكامل المشترك باستعمال منهجية جوهانسن:

تختبر طريقة جوهانسن للتكامل المشترك فرضية العدم (H_0) التي تنص على عدم وجود علاقة تكامل مشترك مقابل الفرضية البديلة(H_1) التي تنص على وجود تكامل مشترك واحد أو أكثر بين المتغيرات، وذلك باستخدام اختبارين إحصائيين مبنيين على دالة الإمكانات العظمى Linkelihood Ratio test، هما اختبار الأثر Trace test (λ_{trace}) واختبار القيمة العظمى Maximum Eigenvalue test $(\lambda_{\max})$، وقبل الشروع في اختبار جوهانسن يجب تحديد درجات التأخير في نموذج VAR وهذا بالاعتماد على المعيارين AIC وSC.

الجدول رقم(03):نتائج اختبار فترات الإبطاء المثلى

VAR Lag Order Selection Criteria
Endogenous variables: BC TCN PP
Exogenous variables: C
Date: 04/30/20 Time: 23:29
Sample: 1989 2018
Included observations: 26

Lag	LogL	LR	FPE	AIC	SC	HQ
0	-339.3871	NA	55061052	26.33747	26.48264	26.37927
1	-244.3058	160.9069*	73834.71*	19.71583*	20.29649*	19.88304*
2	-240.8833	5.002124	117249.0	20.14487	21.16102	20.43748
3	-233.8421	8.665985	148303.5	20.29555	21.74720	20.71357
4	-225.6489	8.193263	187177.3	20.35761	22.24475	20.90104

* indicates lag order selected by the criterion
LR: sequential modified LR test statistic (each test at 5% level)
FPE: Final prediction error
AIC: Akaike information criterion
SC: Schwarz information criterion
HQ: Hannan-Quinn information criterion

المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد على مخرجات برنامج Eviews09

يبدو لنا جليا من خلال النتائج المعروضة في الجدول السابق بأن درجات التأخر التي تعطي أقل قيم هي الدرجة الأولى، وبالتالي Lag(1) هي القيمة الأمثل، وسنقوم باختبار جوهانسن على هذا الأساس.

الجدول رقم(04): نتائج اختبار جوهانسن

(H_1)	(H_0)	القيم المقدرة لاختبارات Trace		
		Prob القيمة الاحتمالية	Critical Value القيمة الجدولية عند مستوى 5٪	Trace القيمة المقدرة
r=1	r=0	0.0552	29.797	29.422
r=2	r=1	0.4594	15.494	8.056
r=3	r=2	0,9996	3.841	E-075.44
(H_1)	(H_0)	Maximum Eigenvalue القيم المقدرة لاختبارات		
		Prob القيمة الاحتمالية	Critical Value القيمة الجدولية عند مستوى 5٪	Max-Eigen القيمة المقدرة
r=1	r=0	0.0464	.13121	.36521
r=2	r=1	0.3730	.26414	8.056
r=3	r=2	0,9996	3.841	E-075.44

المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد على مخرجات برنامج Eviews09

بالاعتماد على نتائج اختبار الأثر(λ_{trace})والقيمة العظمى($\lambda_{\max}$)، فإن (λ_{trace})<critical value 2 ومنه قبول فرضية العدم (H_0) بأنه لا يوجد تكامل

مشترك أي لا توجد علاقة في المدى الطويل بين سعر الصرف وأسعار البترول ورصيد الميزان التجاري وبالتالي لا يمكن تقدير نموذج تصحيح الخطأ (VECM)، بالمقابل يمكن دراسة العلاقة في المدى القصير عن طريق مقاربتين: نموذج متجه الانحدار الذاتي (VAR) أو عن طريق نموذج الانحدار الذاتي للفجوات الزمنية الموزعة (ARDL)، ومن خلال دراستنا سيتم الاعتماد على نموذج (VAR) نظرا لأن الهدف من هذه الدراسة هو دراسة دوال الاستجابة وتحليل التباين.

5.2 - اختبار السببية لجرانجر (Test of Granger Causality) :

اقترح جرانجر 1969 معايير لتحديد العلاقة السببية التي ترتكز على العلاقة الديناميكية الموجودة بين السلاسل الزمنية، فإذا كان Y_{1t} وY_{2t} سلسلتان زمنيتان تعبران عن تطور ظاهرتين اقتصاديتين مختلفتين عبر الزمن t، وكانت السلسلة Y_{1t} تحتوي على معلومات يمكن من خلالها تحسين توقعات السلسلة Y_{2t}، في هذه الحالة يمكن القول أن Y_{1t} تسببY_{2t}، لذلك فإن أي متغيرة تعتبر سببية إذا كانت تحتوي معلومات تساعد على تحسين التوقع لمتغيرة أخرى (BOURBONNAIS, 2015)، ويتم مقارنة احتمالية كل علاقة سببية مع مستوى المعنوية $\alpha = 5\%$، فإذا كانت الاحتمالية أكبر من مستوى المعنوية فإن الفرضية الصفرية محققة أي Y_{2t} لا تسبب Y_{1t}، وإذا العكس فإن الفرضية البديلة محققة أيY_{2t} تسبب Y_{1t}.

الجدول رقم(05): اختبار جرانجر للسببية

Pairwise Granger Causality Tests
Date: 04/28/20 Time: 08:08
Sample: 1989 2018
Lags: 1

Null Hypothesis:	Obs	F-Statistic	Prob.
DPP does not Granger Cause DBC	28	1.20988	0.2818
DBC does not Granger Cause DPP		0.01816	0.8939
DTCN does not Granger Cause DBC	28	0.74427	0.3965
DBC does not Granger Cause DTCN		0.12107	0.7308
DTCN does not Granger Cause DPP	28	0.05664	0.8138
DPP does not Granger Cause DTCN		0.05881	0.8104

المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد على مخرجات برنامج Eviews09

يظهر من خلال الجدول عدم وجود علاقة سببية متجهة من سعر الصرف إلى رصيد الميزان التجاري، وأيضا لم يظهر في الاختبار وجود تأثير بالاتجاه المعاكس ، كما لم تظهر علاقة سببية متجهة من أسعار البترول إلى رصيد الميزان التجاري ولم يظهر أيضا وجود تأثير بالاتجاه المعاكس ، مما تقدم يبدو أن نتائج اختبار السببية قد لا تتفق مع النظرية الاقتصادية ويمكن تفسير السبب في ذلك إلى الانهيار الكبير الذي عرفته العملة الوطنية و العجز الذي عرفه الميزان التجاري في السنوات الأخيرة.

6.2 - تقدير نموذج شعاع الانحدار الذاتي VAR(1):

وفقا لفترة التباطؤ الزمني المحددة سنقوم بتقدير نموذج VAR(1):

$$BC = C(1,1)*BC(-1) + C(1,2)*TCN(-1) + C(1,3)*PP(-1) + C(1,4)$$

$$BC = 0.975*BC(-1) + 0.106*TCN(-1) - 0.172*PP(-1) + 1.056$$

(6.841) (1.515) (-2.50)

$R^2 = 0.666$, $\bar{R}^2$=0.626, F-statistic= 16.649, DW=2.181

التحليل الإحصائي والاقتصادي: تشير نتائج التقدير إلى ما يلي:

- قيمة t المحسوبة بالنسبة لمتغير الميزان التجاري أكبر من القيمة المجدولة عند مستوى معنوية 5٪ وبالتالي فإن الميزان التجاري مفسر بقيمه الماضية بفترة واحدة مما يعني وجود تزايد مطرد للميزان التجاري بمرور الزمن.
- معامل متغير سعر الصرف ليس له مدلولية في النموذج (لأن قيمة t المحسوبة 1.515= t_c أقل من القيمة المجدولة 2.06= t_t) أي سعر الصرف لا يفسر رصيد الميزان التجاري.
- قيمة t المحسوبة لمتغير أسعار البترول أكبر من القيمة المجدولة عند مستوى معنوية 5٪ وبالتالي فإن الميزان التجاري مفسر بأسعار البترول، حيث تظهر علاقة عكسية بين المتغيرين ويمكن تفسير ذلك بأن ارتفاع

أسعار البترول يؤدي إلى زيادة حجم الناتج الداخلي الخام هذا ما يدفع بالمقيمين إلى زيادة وارداتهم من السلع والخدمات أي زيادة حجم الواردات الشيء الذي يؤثر سلبا على رصيد الميزان التجاري.

- بلغت قيمة معامل التحديد $R^2 = 0.666$ وهي مقبولة وهذا دليل على الارتباط القوي بين المتغيرات، بمعنى أن رصيد الميزان التجاري يتم تفسيره بنسبة 66.6٪ من التغيرات التي تحدث في أسعار الصرف وأسعار البترول، أما النسبة المتبقية والمقدرة ب 33.4٪ تفسرها متغيرات أخرى لم يتم إدراجها في النموذج .
- نلاحظ كذلك بأن قيمة فيشر المحسوبة أكبر من المجدولة أي وجود علاقة خطية معنوية بين المتغير التابع والمتغيرات المفسرة، إذن النموذج ككل له معنوية إحصائية ($F_c = 16.649 > F_{tab} = 2.99$).

التحليل القياسي: من الناحية القياسية نلاحظ أن قيمة داربين واتسن DW=2.181 وهي قريبة من القيمة المرجعية 2، ومنه لا توجد هنالك مشكلة الارتباط الذاتي بين الأخطاء، بالتالي النموذج مقبول قياسيا.

7.2 - دراسة استقرار نموذج شعاع الانحدار الذاتي VAR (1):

بعد تقدير نموذج شعاع الانحدار الذاتي نقوم باختبار جودة النموذج وهذا للتأكد من أنه يحقق شرط الاستقرارية، وبالاعتماد على اختبار الجذور متعددة الحدود فإن نتائج شعاع الانحدار الذاتي تعتبر مستقرة إذا لم يكن هناك جذور تساوي الواحد، ويوضح الجدول التالي نتائج هذا الاختبار:

الجدول رقم(06): نتائج اختبار استقرار نموذج VAR (1)

Roots of Characteristic Polynomial
Endogenous variables: BC TCN PP
Exogenous variables: C
Lag specification: 1 1
Date: 04/30/20 Time: 23:32

Root	Modulus
0.999981	0.999981
0.821547 - 0.232565i	0.853830
0.821547 + 0.232565i	0.853830

No root lies outside the unit circle.
VAR satisfies the stability condition.

المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد على مخرجات برنامج Eviews09

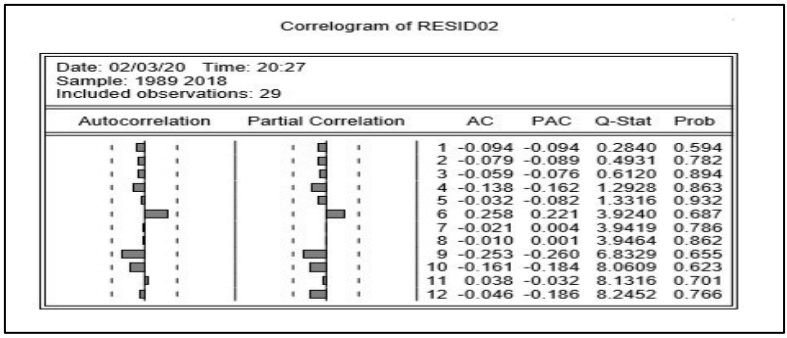
نلاحظ من خلال الجدول أعلاه أن كل الجذور أقل تماما من الواحد، وبالتالي يعتبر شعاع الانحدار الذاتي مستقر.

8.2 - اختبار صلاحية نموذج أشعة الانحدار الذاتي VAR(1):

سنقوم في هذه المرحلة بعدة اختبارات إحصائية لتقييم نموذج VAR(1) والهدف من ذلك التأكد من جودة وكفاءة النموذج :

1.8.2 - اختبار Ljung-Box :

الشكل رقم(02): دالة الارتباط الذاتي والجزئي لسلسلة البواقي



المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد على مخرجات برنامج Eviews09

من أجل التأكد من استقرار سلسلة البواقي نستعمل اختبار Ljung-Box لدراسة المعنوية الكلية لمعاملات دالة الارتباط الذاتي ذات الفجوات $K \leq 12$ ، حيث يظهر أن الاحتمالات الحرجة كلها أكبر من 050.، وبالتالي سلسلة البواقي مستقرة.

2.8.2 - اختبار عدم تجانس التباين White Heteroskedasticity

نقوم باختبار عدم تجانس التباين عن طريق اختبار White كالآتي:

الجدول رقم(07): اختبار عدم تجانس التباين

VAR Residual Heteroskedasticity Tests: No Cross Terms (only levels and squares)
Date: 04/30/20 Time: 23:36
Sample: 1989 2018
Included observations: 29

Joint test:

Chi-sq	df	Prob.
46.15120	36	0.1197

المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد على مخرجات برنامج Eviews09

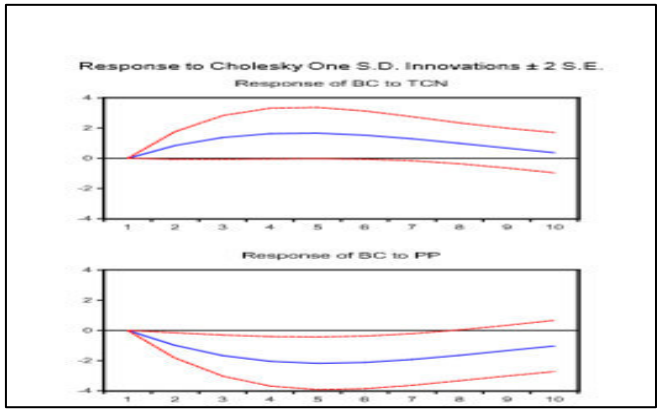
من الجدول السابق لدينا: (prob F=0.1197>0.05)، وبالتالي نقبل الفرضية العدمية أي ليس هنالك مشكلة عدم تجانس التباين للأخطاء (ثبات التباين لحدود الخطأ في النموذج المقدر).

انطلاقا من الاختبارات السابقة نستنتج أن سلسلة البواقي مستقرة، وعليه يمكن القول أن نموذج VAR(1) المقدر ذو جودة إحصائية مقبولة.

9.2 -تحليل دوال الاستجابة Impulse Response:

إن تحليل الصدمات ودوال الاستجابة يسمح بدراسة أثر صدمة معينة على متغيرات النظام (شيخي، 2011)، للتعرف على طبيعة تأثير المتغيرات المستقلة على المتغير التابع في إطار النموذج المقدر، يتم تحليل الصدمات العشوائية وهذا من خلال قياس أثر التغير المفاجئ (الصدمة) في متغير ما على باقي المتغيرات ومن خلال دراستنا سنحاول تحليل نتائج حدوث صدمة في سعر الصرف وأسعار البترول بمقدار انحراف معياري واحد على رصيد الميزان التجاري ومدى استجابته لهذه الصدمات خلال فترة تنبؤية لعشر سنوات.

الشكل رقم(03):نتائج دوال الاستجابة الدفعية



المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد على مخرجات برنامج Eviews09

- **أثر صدمة في أسعار البترول:** إن الصدمة الهيكلية بمقدار انحراف معياري واحد في أسعار البترول، تقابلها استجابة سالبة ابتداء من الفترة الثانية التي تلي الصدمة، حيث تؤدي إلى انخفاض رصيد الميزان التجاري ب 990.٪ و تتوالى الاستجابة السلبية في الانخفاض إلى غاية الفترة الخامسة التي يسجل فيها الحضيض ب 172.٪ ثم يبدأ الانخفاض بالتراجع حتى الفترة العاشرة بانخفاض في الميزان التجاري قدره031.٪.

- **أثر صدمة في سعر الصرف:** عند إحداث صدمة هيكلية بمقدار انحراف معياري واحد في سعر الصرف تقابلها استجابة معنوية موجبة ابتداء من الفترة الثانية التي تلي الصدمة، حيث تؤدي إلى ارتفاع الميزان التجاري ب 840.٪، وتستمر في الارتفاع إلى غاية الفترة الخامسة 0,73٪ ، حيث تبدأ بالاتجاه نحو الانخفاض ابتداء من الفترة السادسة 1,53٪، لتصل في الفترة العاشرة إلى انخفاض قدره 0,37٪.

10.2 - تحليل التباين Variance Decomposition:

يهدف تحليل التباين إلى اختبار أهمية المتغيرات المختلفة في تأثيرها على سلوك الظواهر الاقتصادية (عطيه، 2005)، وسنحاول من خلال تحليل تباين

خطأ التنبؤ معرفة مدى مساهمة كل متغيرة في تباين خطأ التنبؤ، أو تحديد نسبة التباين التي يسببها متغير ما في نفسه وفي باقي المتغيرات.

الجدول رقم(08): نتائج تحليل التباين لنموذج رصيد الميزان التجاري

Period	S.E.	BC	TCN	PP
1	8.483456	100.0000	0.000000	0.000000
2	10.31050	98.39320	0.675873	0.930931
3	11.00580	94.72637	2.164016	3.109618
4	11.36171	89.74158	4.101812	6.156605
5	11.70383	84.84326	5.896018	9.260721
6	12.12466	81.22416	7.096280	11.67956
7	12.59598	79.21529	7.628370	13.15634
8	13.05304	78.46981	7.680722	13.84946
9	13.44284	78.45505	7.492916	14.05203
10	13.73996	78.74089	7.245122	14.01398

Cholesky Ordering: BC TCN PP

المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد على مخرجات برنامج Eviews09

يتبين من خلال نتائج تحليل مكونات التباين لرصيد الميزان التجاري أن 100٪ من التنبؤ في تباين الرصيد خلال الفترة الأولى تنسب للمتغير نفسه، أما الفترة الثانية فإن 98.39٪ من خطأ التنبؤ ترجع للمتغير نفسه في حين يساهم متغير سعر الصرف ب 670.٪ وأسعار البترول ب 930.٪، ومن خلال هذا التحليل نجد أن نسب مساهمة المتغيرين في تفسير خطأ التنبؤ لرصيد الميزان التجاري لفترة مستقبلية بعشرة فترات كانت منخفضة ففي كل فترة التنبؤ لم تتعدى مساهمة تغيرات سعر الصرف في التأثير على الميزان التجاري نسبة 247.٪، كذلك بالنسبة لمتغير أسعار البترول الذي لم يتعدى 0114.٪ لكن ما يلاحظ أن متغير أسعار البترول له قدرة تنبؤية أعلى في تفسير خطأ التنبؤ لرصيد الميزان التجاري، وهذا متوقع لما تحتله الصادرات النفطية من مكانة في الميزان التجاري الجزائري.

الخاتمة:

لقد تطرقنا من خلال هذه الدراسة إلى تحديد أثر تقلبات أسعار الصرف وأسعار البترول على رصيد الميزان التجاري الجزائري خلال الفترة (1989 - 2018) وبعد إجراء الاختبارات الضرورية توصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

- تشير نتائج اختبار جذر الوحدة لمتغيرات الدراسة أنها غير مستقرة عند المستوى، لكنها تستقر عند أخذ الفرق الأول أي أنها متكاملة من الدرجة الأولى.

- توضح نتائج اختبار السببية لجرانجر في المدى القصير إلى عدم وجود تأثير متجه من سعر الصرف إلى رصيد الميزان التجاري، وكذلك عدم وجود تأثير بالاتجاه المعاكس ، كما تشير إلى عدم وجود علاقة سببية متجهة من أسعار البترول إلى رصيد الميزان التجاري و عدم وجود تأثير بالاتجاه المعاكس وهذا ما ينفي صحة الفرضية الأولى.

- بينت نتائج اختبار التكامل المشترك لجوهانسن عدم وجود علاقة تكامل مشترك بين متغيرات الدراسة ومنه عدم وجود علاقة توازنية طويلة الأجل، وإنما توجد علاقة قصيرة الأجل، وهذا ينفي صحة الفرضية الثانية المطروحة.

- تشير نتائج تحليل دوال الاستجابة لردود الأفعال أن حدوث صدمة عشوائية بمقدار انحراف معياري واحد في أسعار الصرف سيكون لها أثر معنوي موجب على رصيد الميزان التجاري، في حين وقوع صدمة غير متوقعة بمقدار انحراف معياري واحد في أسعار البترول يؤدي إلى أثر سلبي دائما على الميزان التجاري.

- تدل نتائج تحليل التباين لرصيد الميزان التجاري أن مساهمة المتغيرين في تفسير خطأ التنبؤ لرصيد الميزان التجاري لفترة مستقبلية بعشرة فترات كانت منخفضة ففي كل فترة التنبؤ لم تتعدى مساهمة تغيرات سعر الصرف في التأثير على الميزان التجاري نسبة 1.29٪، كذلك بالنسبة لمتغير أسعار البترول الذي لم يتعدى 19.96٪ لكن ما يلاحظ أن متغير أسعار البترول له قدرة تنبؤية أعلى في تفسير خطأ التنبؤ بالرصيد الميزان التجاري نظرا لطبيعة الاقتصاد الجزائري.

مما سبق تم التوصل إلى أنه على عكس أسعار الصرف فإن أسعار البترول تؤدي دورا هاما في تحديد العلاقة قصيرة المدى، حيث أن لها تأثيرا قويا على سلوك رصيد الميزان التجاري، بعكس سعر الصرف الذي يبقى تأثيره ضعيفا وعليه نستنتج عدم تبعية رصيد الميزان التجاري لأسعار الصرف، وإنما هو رهين لتقلبات أسعار البترول وبالتالي فإن الميزان التجاري غير خاضع لتغيرات أسعار الصرف وإنما هنالك متغيرات أخرى تؤثر فيه (كأسعار الواردات وأسعار البترول،..).

وفي الأخير نوصي بالقيام بإصلاحات هيكلية على مستوى كل القطاعات بغرض تطوير القدرات الإنتاجية للبلد، عن طريق ترقية مناخ الاستثمار وتوجيهه نحو القطاعات الإنتاجية، تنويع الصادرات الوطنية والتقليل من الواردات خاصة التي لها بدائل محلية ، كما نوصي بإعادة الاعتبار للقطاع الزراعي من خلال سياسة استثمارية جادة، وتفعيل دور القطاع الخاص إلى جانب القطاع العمومي من أجل المساهمة في إنشاء المؤسسات الصغيرة والمتوسطة لما لها من أهمية في عملية التنمية الاقتصادية وامتصاص البطالة .

قائمة المراجع:

المراجع باللغة العربية:

أحمد درج الديلمي علي، و غازي فيصل الديلمي فيصل. (2019). العلاقة الديناميكية بين سعر الصرف والميزان التجاري العراقي: دراسة قياسية. *مجلة جامعة الأنبار للعلوم الاقتصادية والإدارية ، 11* (24)، 62.

السيد محمد أحمد السريتي، و أحمد فتحي خليل الخضراوي. (2017). *الاقتصاد الدولي* (الإصدار الطبعة الأولى). مكة المكرمة: دار فاروس العلمية.

سليم مجلخ، و وليد بشيشي. (ديسمبر 2016). دراسة تحليلية وقياسية باستخدام منهج تصحيح الخطأ لأثر تقلبات أسعار البترول على أسعار الصرف في الجزائر خلال الفترة جانفي 2013 -سبتمبر 2015. *مجلة البشائر الاقتصادية* ، 53.

عبد الرؤوف عبادة، و عمر حميدات. (2020). أثر تقلبات سعر الصرف على النمو الاقتصادي لدول شمال إفريقيا: دراسة حالة الجزائر، تونس والمغرب خلال الفترة 1990إلى غاية 2018. *مجلة الواحات للبحوث والدراسات ، 13* (01).

عبد القادر محمد عبد القادر عطيه. (2005). *الحديث في الاقتصاد القياسي*. الاسكندرية: الدار الجامعية.

عبد الكريم المومن، و عبد القادر عبد الرحمان. (2018). تأثير تقلبات أسعار البترول على الميزان التجاري بالجزائر دراسة قياسية للفترة 1990 -2016. *مجلة الحقوق والعلوم الانسانية - دراسات اقتصادية* ، 258.

فايزة يوب. (2020). أثر تغيرات أسعار البترول علي الميزان التجاري الجزائري دراسة قياسية للفترة 1990 -2018. *مجلة أبحاث إقتصادية معاصرة* (02)، 170 -171.

مباركة أمة الله لطرش. (2020). تحليل أثر أسعار الترول على الجباية البترولية في الجزائر دراسة قياسية للفترة 1980 -2016. *مجلة دراسات وأبحاث ، 12* (04)، 393.

محمد شيخي. (2011). *طرق الاقتصاد القياسي محاضرات وتطبيقات* (الإصدار الطبعة الأولى). الجزائر: الحامد.

المراجع باللغة الأجنبية:

AKAN, Y., & ARSLAN, I. (2008). The impact of exchange-rate policies on the foreign trade:the case of TURKEY. *International Journal of Emerging and Transition Economies , 01* (02), 247,256.

BOURBONNAIS, R. (2015). *Econométrie.* (éd. 9éme édition). Paris: Dunod.

GERBER, J. (2017). *International Economics* (éd. 7th edition). San Diego State University: Pearson education.

الملاحق:

الملحق رقم (01): تقدير نموذج أشعة الانحدار الذاتي VAR(1) :

Vector Autoregression Estimates
Date: 04/30/20 Time: 23:32
Sample (adjusted): 1990 2018
Included observations: 29 after adjustments
Standard errors in ( ) & t-statistics in [ ]

	BC	TCN	PP
BC(-1)	0.975699	-0.254314	0.266981
	(0.14261)	(0.08328)	(0.24609)
	[6.84184]	[-3.05361]	[1.08489]
TCN(-1)	0.106511	0.914098	0.188697
	(0.07027)	(0.04104)	(0.12126)
	[1.51578]	[22.2752]	[1.55616]
PP(-1)	-0.172369	0.087150	0.753277
	(0.06893)	(0.04025)	(0.11894)
	[-2.50078]	[2.16505]	[6.33310]
C	1.056503	7.436258	-1.302253
	(4.18687)	(2.44514)	(7.22509)
	[0.25234]	[3.04124]	[-0.18024]
R-squared	0.666438	0.969033	0.813095
Adj. R-squared	0.626410	0.965317	0.790667
Sum sq. resids	1799.226	613.6422	5357.885
S.E. equation	8.483456	4.954361	14.63951
F-statistic	16.64949	260.7710	36.25266
Log likelihood	-101.0025	-85.40490	-116.8251
Akaike AIC	7.241555	6.165855	8.332768
Schwarz SC	7.430147	6.354448	8.521360
Mean dependent	8.317793	67.22995	46.92138
S.D. dependent	13.87954	26.60294	31.99687
Determinant resid covariance (dof adj.)		42155.82	
Determinant resid covariance		27007.45	
Log likelihood		-271.4037	
Akaike information criterion		19.54509	
Schwarz criterion		20.11086	

المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد على مخرجات برنامج Eviews09

مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ر ت م د: 7163 -1112 ر ت م د إ :2588-1892
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2

دور إدارة المعرفة في تحسين الرضا الوظيفي

دراسة حالة : مديرية توزيع الكهرباء والغاز "سونلغاز" - بسكرة –

the role of knowledge management in improving job satisfaction

a case study : directorate of electricity and Gas distribution « sonelgaz » biskra

بعيسى حليمة[1] ، أقطي جوهرة [2]

1 – جامعة عبد الله مرسلي تيبازة ، baaissah178@gmail.com

2 - جامعة محمد خيضر بسكرة ، djouhara.agti@univ-biskra.dz

تاريخ الاستلام: 2020/05/10 تاريخ القبول: 2020/11/10

الملخص:

هدفت هذه الدراسة إلى اختبار دور إدارة المعرفة والتي تم قياسها من خلال (توليد المعرفة ، التشارك في المعرفة ، خزن المعرفة و تطبيقها) في تحسين الرضا الوظيفي و الذي تم قياسه من خلال (خصائص الوظيفة ، العلاقات المهنية والمستوى المادي والاجتماعي) و تم اختيار عينة ميسرة لمجموعة من موظفي مديرية التوزيع سونلغاز بسكرة حيث بلغ حجمها 50 موظف جمعت منها البيانات الأولية من خلال الاستبيان ، وبعد تحليل بيانات الدراسة باستخدام برنامج التحليل الإحصائي توصلت الدراسة إلى أن مستويات عمليات إدارة المعرفة التي تم قياسها تباينت بين المتوسطة والمنخفضة ، كما أن مستوى الرضا الوظيفي كان متوسط ، وأكدت النتائج أن كل من توليد المعرفة و خزنها لهما أثر مباشر في تحسين الرضا الوظيفي على عكس التشارك وتطبيق المعرفة اللذان لا يوجد لهما أثر مباشر في

المؤلف المرسل: بعيسى حليمة: baaissah178@gmail.com

تحسين الرضا الوظيفي وقد قدمت الدراسة مجموعة من التفسيرات و التوصيات ذات الصلة بالموضوع .

الكلمات الدالة:

إدارة المعرفة، عمليات إدارة المعرفة، رضا الوظيفي،أداء.

Abstract:

The aim of this study was to test the role of knowledge management, which was measured by (knowledge generation, knowledge sharing, knowledge storage and application) in improving job satisfaction, which was measured by (job characteristics, professional relationships, material and social level) A soft sample was selected for a group of distribution staff of Sonalgaz Biskra, where 50 employees were collected from the initial data through the questionnaire.

After analysing the data study using the statistical analysis program, Their measurement varied The results confirmed that both knowledge generation and storage have a direct impact on improving job satisfaction rather than sharing and applying knowledge, which have no direct impact on improving job satisfaction. The study presented a range of interpretations and relevant recommendations.

Key words:

knowledge, knowledge management, knowledge processes, job satisfaction, performance.

1. مقدمة

في ظل التحول نحو اقتصاد المعرفة ومجتمع المعرفة أصبحت المنظمات المعاصرة على اختلاف نشاطاتها تواجه موجة من التحولات و التغيرات المتسارعة التي تجتاح العالم اليوم ، مجسدة في ثورة المعلوماتية التقنية والتي تعتمد على المعرفة العلمية و الاستعمال المتنامي للمعلومات المتدفقة الناتجة عن التطور السريع في تقنيات الحاسوب و الإنترنت التي تعد الآن شبكة الاتصال العالمية ،كما أصبح لإدارة المعرفة تطبيقات في مختلف المنظمات لأنها تساهم في تمكين المنظمة من بناء رأس مال فكري متميز قادر على مواجهة التحديات المستقبلية، و الملاحظ الآن أن معظم المنظمات أصبحت تولي اهتماما كبيرا وملحوظا لمواردها البشرية لأنها أصبحت تشكل موردا لخلق قيمة مضافة للمنظمة، وتحقيق ميزة تنافسية تضاهي بها المنظمات الأخرى ، لذلك أضحى يحتاج لعناية فائقة ورعاية خاصة به وبالمناخ الذي يعمل فيه ، فالبيئة الملائمة والمعاملة الجيدة من أقرانه ورؤسائه ،كالاحترام والتقدير ، الإنصاف والعدالة ،المساواة ،وإشراكه في اتخاذ القرارات المتعلقة بمصير المنظمة ، كلها متغيرات تلعب دور مهم في إحداث ما يعرف بالرضا الوظيفي ، وهذا المفهوم ارتبط بشكل واسع بالعنصر البشري و احتل مكانة بالغة الأهمية في ميدان السلوك التنظيمي و المؤسسي .

الشركة الوطنية للكهرباء و الغاز أو سونلغاز (Sonelgaz) من المؤسسات الرائدة في الجزائر، وهي شركة عمومية جزائرية يتمثل مجال نشاطها في إنتاج ونقل وتوزيع الطاقة ، وقانونها الأساسي الجديد يسمح لها إمكانية التدخل في قطاعات أخرى من قطاعات الأنشطة ذات الأهمية بالنسبة إلى المؤسسة و لا سيما في ميدان تسويق الكهرباء و الغاز نحو الخارج ، وهذا ما جعلها تولي اهتمام كبير بالكفاءات وتنمية مهارات موظفيها بالشكل الذي يترك لها مجال للمنافسة وتخطي حدود الوطن ،وهذا لا يتأتى إلا بالاهتمام بالجانب المعرفي للموظف وكذا توفير كل

احتياجاته الاجتماعية والنفسية التي تساعده على أداء عمله بجودة عالية .

1.1 - مشكلة الدراسة :

تؤكد العديد من الدراسات نتائج الاهتمام بمعارف الفرد والمعارف التنظيمية على المنظمة، وبهذا الصدد سنحاول في هذه الدراسة تحديد أثرها على الفرد من خلال رضاه الوظيفي ، وهذا يدفعنا لصياغة التساؤل الرئيسي للدراسة كما يلي :

ما مستوى مساهمة إدارة المعرفة في تحسين الرضا الوظيفي لدى موظفي مديرية التوزيع سونلغاز بولاية بسكرة ؟

وتسعى الدراسة إلى تكوين رؤية واضحة والوصول إلى إجابات حول التساؤلات الفرعية التالية :

- ما هو مفهوم إدارة المعرفة؟

- فيما تتمثل عمليات إدارة المعرفة ؟وما هي العملية التي تركز عليها مؤسسة سونلغاز بولاية بسكرة في تفعيل إدارة المعرفة؟

- ما ذا نعني بالرضا الوظيفي ؟ وهل موظفي مديرية التوزيع سونلغاز يحسون فعلا بالرضا الوظيفي؟

2.1 - فرضيات الدراسة :

تنقسم إلى فرضية رئيسية وفرضيات فرعية

❖ **الفرضية الرئيسية** : يوجد أثر مباشر لإدارة المعرفة في الرضا الوظيفي .

❖ **الفرضيات الفرعية** :

H1 - يوجد أثر مباشر لتوليد المعرفة في الرضا الوظيفي في مديرية التوزيع للكهرباء والغاز سونلغاز بسكرة .

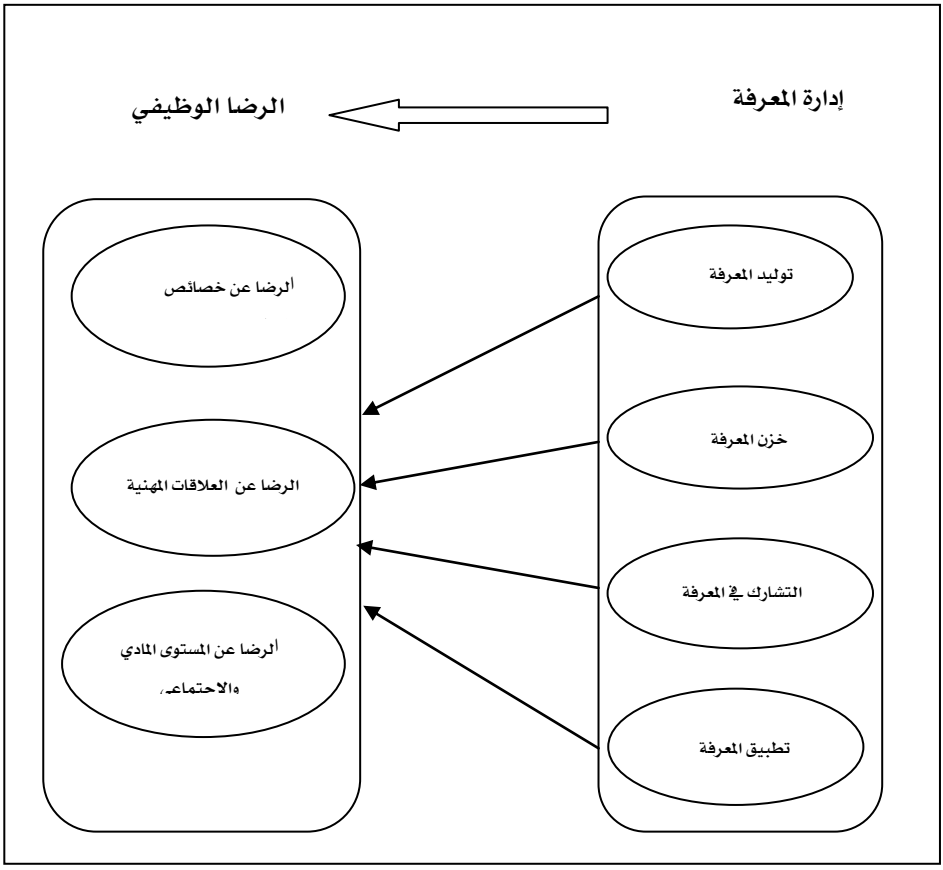
H2 - يوجد أثر مباشر لخزن المعرفة في الرضا الوظيفي في مديرية التوزيع للكهرباء والغاز سونلغاز بسكرة .

H3 - يوجد أثر مباشر للتشارك في المعرفة في الرضا الوظيفي في مديرية التوزيع للكهرباء والغاز سونلغاز بسكرة .

H4 - يوجد أثر مباشر لتطبيق المعرفة في الرضا الوظيفي في مديرية التوزيع للكهرباء والغاز سونلغاز بسكرة .

3.1- نموذج الدراسة: اعتمادا على فرضيات الدراسة يكن صياغة نموذج الدراسة كما يلي :

شكل1 . نموذج الدراسة المقترح



المصدر :إعداد الباحثتان اعتمادا على الدراسات السابقة .

4.1 -أهمية الدراسة :

تكمن أهمية هذه الدراسة في كونها تتناول جانب من العلاقة التي أهملتها الكثير من الدراسات والمتمثلة في علاقة إدارة المعرفة في الرضا الوظيفي بينما ربطت معظم الدراسات التي ركزت على أثار إدارة المعرفة وعلى النواتج المرتبطة بالمنظمة كما تلمس أهمية الدراسة في استهدافها مديرية التوزيع سونلغاز التي تعد من المؤسسات الرائدة في الجزائر والتي تحاول جاهدة الاهتمام بموظفيها والاحتفاظ بهم ، واستقطاب أكفأ المهارات إليها وتحفيزهم و محاولة تحقيق رضاهم عن العمل ،و كذا انتشار ظاهرة عدم الرضا أو عدم القناعة بجهود المنظمات من أجل إرضاء الأفراد وكثرة الشكاوي وارتفاع معدل الغياب والتمارض و ظهور الإضراب الذي أصبح من السبل الفعالة في تحقيق الموظفين لمطالبهم .

5.1 -أهداف الدراسة : يمكن تلخيص أهداف الدراسة في الأتي:

- التعرف على مفهوم إدارة المعرفة باعتبارها أحد الأساليب الحديثة في ترقية النظام الإداري.
- التعرف على مفهوم الرضا الوظيفي باعتباره رد فعل سلوكي على مدى اهتمام الإدارة العليا بالموظفين .
- تشخيص مدى اعتماد مديرية توزيع الكهرباء والغاز " سونلغاز " بسكرة على إدارة المعرفة .
- تشخيص الرضا لدى موظفي مديرية توزيع الكهرباء والغاز "سونلغاز " بسكرة .
- تبني مقترحات وتوصيات مهمة في ضوء نتائج الواقع الميداني.

2. الإطار النظري للدراسة:

1.2 – إدارة المعرفة:

تبرز أهمية إدارة المعرفة من خلال مساهمتها في ازدياد الابتكارات و الاكتشافات الجديدة، في ظل التراكم المعرفي و انتشار نظم الاتصالات الحديثة واتساع شبكات المعلوماتية التي سهلت انتشار المعرفة ونقلها وتبادلها بين الأفراد مما تسهم في رفع مستوى الأداء والذي يوصل المنظمات إلى تحقيق الأهداف المنشودة.

1.1.2 - مفهوم إدارة المعرفة

عرفها Koeni بأنها الفهم الواعي والذكي لثقافة المنضمة والقدرة على اكتساب ومشاركة الخبرة الجماعية للمجتمعات في تحقيق و إنجاز رسالتها. (الدوري، 2004)

وتعرف أيضا: المصطلح المعبر عن العمليات و الأدوات و السلوكيات التي يشترك في صياغتها وأدائها المستفيدون من المنظمة لاكتساب المعرفة،خزنها، توزيعها و تطبيقها في عمليات الأعمال للوصول إلى أفضل التطبيقات بقصد المنافسة طويلة الأمد و التكيف . (الكبيسي،2004).

كما تعرف بأنها مجموعة من العمليات طورت في المنظمات لتوليد وخزن ونقل وتطبيق المعرفة ،وهي تزيد من قابلية المنظمة للتعلم من بيئتها الخارجية والداخلية لأجل صنع القرار. (Laudon & Laudon.2011).

في حين يرى آخرون بأنها : مفهوم يرتكز على الجهود الخاصة بتنظيم المداخل إلى المصادر المعلومات المتاحة،عبر الشبكات وهذا ما يجعلها محور اهتمام المعلوماتيون في وقتنا الحاضر .(انتصار عريوات.2019/2018)

ونظرا لعدم وجود تعريف محدد ومتعارف عليه لإدارة المعرفة فإن ذلك يرجع إلى تعدد المناهج والمداخل لإدارة المعرفة،بعضها جاء من منظور المصدر البشري و البعض الأخر عرفها من منظور أنظمة المعلومات وتعريفات أخرى تعكس وجهة نظر الإدارة الإستراتيجية، وذلك بسبب إدراك المنظمات أن تطبيقات إدارة المعرفة أصبحت مهمة لتحقيق الميزة التنافسية.

من خلال ما سبق يمكننا تلخيص تعريف شامل لإدارة المعرفة كما يلي: إدارة المعرفة هي تلك العمليات التي تساعد المنظمات على اكتساب المعرفة والحصول

عليها من مصادر داخلية كانت أو خارجية ، ونقلها ، التشارك فيها ،تطبيقها وتوظيفها في اتخاذ القرارات الصائبة لحل المشكلات وكذا التعلم والتخطيط الاستراتيجي بقصد تحقيق الأهداف المرجوة .

2.1.2 – عمليات إدارة المعرفة:

يشير (Kucza.2001)إلى أن المهمة العامة لإدارة المعرفة هي إدارة عملية خلق وخزن والمشاركة بالمعرفة بالإضافة إلى المهام الأخرى ذات العلاقة بهذه العمليات ,ويرى(King.2009) أن عمليات إدارة المعرفة والمتمثلة في (خلق ،اكتساب ، خزن ، نقل،مشاركة ،و إعادة استخدام) تؤدي إلى تحسين عمليات الأعمال والمتضمنة (الإبداع ،التعلم الفردي ، التعلم الجماعي ،وصنع القرار) و هذه بدورها تؤدي إلى تحسين العمليات الوسيطة المتمثلة في (السلوك التنظيمي ، القرارات ، العمليات ،المنتجات ، الخدمات ، العلاقات مع الزبائن و المجهزين) و بالتالي تحسين الأداء الاستراتيجي .

أ – توليد المعرفة : وتندرج تحت هذه العملية جذب ،أو شراء ،أو خلق ،أو اكتشاف ،أو امتصاص ، و اكتساب أو الاستحواذ ،وتعدمن أهم عمليات إدارة المعرفة لأنها تضمن للمنظمة من خلال امتلاك المعرفة اللازمة لتحقيق أهدافها حيث يتم ذلك بخلق المعرفة و اشتقاقها و تكوينها داخل المنظمة من المصادر الداخلية (الوثائق ،السجلات ، قواعد البيانات ،الخرائط و العاملين)أو مصادر خارجية (الشراء ، الاستئجار ، الاندماج و الإنترنت)

ب – خزن المعرفة : وتشمل الاحتفاظ ،الإدامة ،البحث ،الوصول ،الاسترجاع و التخزين ، ويعتبر خزن المعرفة والاحتفاظ بها من الأمور المهمة لا سيما للمنظمات التي تعاني من معدلات عالية لدوران العمل والتي تعتمد على التوظيف بصيغة العقود المؤقتة، لأن الأفراد يأخذون معرفتهم الضمنية غير الموثقة معهم أما الموثقة فتبقى مخزونة في قواعدها.

ج – التشارك في المعرفة : وتنطوي تحتها العمليات التالية : النقل ، التوزيع ، النشر ،التحريك و التدفق ،وهي تبادل الأفكار و الخبرات والمهارات بين العاملين.(الكبيسي،2004) ،وتتطلب أن يقوم العاملون بالاتصال ببعضهم البعض واستعمال ما يعرفونه لحل المشكلات بشكل مبدع ويتم هذا الاتصال من خلال البرامج التدريبية الناجحة وحلقات النقاش ، فالمعرفة حقيقة تنمو عندما

يتم تقاسمها واستعمالها وأصبح توزيعها أكثر سهولة باستخدام التقنيات المتطورة كالانترنت وشبكات الاتصال المتطورة ، ويرى (Coakes.2003) أن عملية نقل المعرفة تعني إيصال المعرفة المناسبة إلى الشخص المناسب في الوقت المناسب وضمن شكل مناسب وبتكلفة مناسبة . (الياسري ،2013)

د - تطبيق المعرفة :

تشير هذه العملية إلى المصطلحات التالية : الاستعمال، إعادة استعمال، الاستخدام، والتطبيق وتسمح هذه العملية بعمليات التعلم الفردي والجماعي الجديدة و التي تؤدي إلى ابتكار معرفة جديدة تبنى داخل عمليات المنظمة ،ويجب أن تقوم الإدارة بدعمها من خلال تطبيقات عمل جديدة و إيجاد منتجات و خدمات و أسواق جديدة في المنظمة ، وهذا يتطلب تفويض للعاملين صلاحيات واسعة وإعطائهم الحرية الكافية لتطبيق معارفهم .(الكبيسي،2004)

2.2 - الرضا الوظيفي :

مع أن مفهوم الرضا مفهوم قديم إلا أنه لا يوجد اتفاق بين الكتاب والباحثين حول تعريف محدد ودقيق لمعنى الرضا الوظيفي، وهذا يرجع إلى اختلاف الأبحاث و الدراسات وتعدد المجالات العلمية التي تناولته بالدراسة كما أنه يختلف من شخص لأخر حيث يمكن أن يكون رضا لفرد، قد يكون عدم رضا لفرد أخر.

1.2.2 - مفهوم الرضا الوظيفي:

ويرى **ستون** الرضا الوظيفي على أنه " الحالة التي يتكامل فيها الفرد مع وظيفته وعمله ، أو يصبح إنسانا تستغرقه الوظيفة ، ويتفاعل معها من خلال طموحه الوظيفي، ورغبته في النمو و التقدم، وتحقيق أهدافه الاجتماعية من خلالها ". (سلطان 2004)

كما يعرف **لوك** الرضا الوظيفي على أنه " حالة عاطفية انفعالية ايجابية أو سارة ناشئة عن عمل الفرد أو تجربته العملية ،وينتج الرضا الوظيفي عن إدراك الفرد إلى أي مدى يوفر العمل الأشياء التي يعتبرها هامة ".(حريم ،2013).

ويعرف **روبن** الرضا الوظيفي على أنه " مجموعة المشاعر الوجدانية لدى الفرد تجاه عمله ، فالشخص الذي لديه مستوى عالي من الرضا الوظيفي

سيحمل مشاعر إيجابية اتجاه عمله في حين يحمل الشخص غير الراضي مشاعر سلبية تجاه عمله ".(Beverly , Ann Josias,2005).

من خلال ما سبق يمكن تعريف الرضا الوظيفي بأنه : شعور الفرد بالارتياح و السعادة اتجاه مختلف الإشباعات المادية و المعنوية (النفسية والاجتماعية) التي يحصل عليها من المصادر المختلفة التي ترتبط في تصوره بالوظيفة التي يشغلها، وتجاه وظائفهم بالمؤسسة التي يعملون بها و التي تحول إلى متعة حقيقية في العمل و في حياتهم اليومية .

2.2.2 – آثار ونتائج الرضا الوظيفي

و تتمثل في الأداء الجيد، تعزيز الولاء التنظيمي، السلامة و الصحة المهنية.

أ – الأداء: هو ناتج جهد معين قام ببذله فرد أو مجموعة ما لانجاز عمل معين وقد يتم من خلال آلة أو أكثر وفقا لطريقة محددة .كما يعبر عنه بدرجة تحقيق وإتمام المهام المكونة لوظيفة الفرد ،والمقياس الحقيقي والوحيد لفعالية الفرد ورضاه عن العمل هو وظيفته ومستوى أدائه. (يونسي،2005)

لقد كانت العلاقة بين الرضا الوظيفي والأداء موضوعا لكثير من الأبحاث على مر السنين حيث يعتقد بعض الباحثين أن الرضا الوظيفي يفضي إلى الأداء في حين يرى آخرون أن الأداء هو من يسبب الرضا ، لكن يرى آخرون أن الرضا الوظيفي والأداء يسببان بعضهما البعض ،لذلك يصعب تحديد العلاقة الحقيقية بينهما ،ومع ذلك يبقى السائد والمتعارف عليه بين الباحثين أن الأداء والرضا الوظيفي يتمازجان ،أي أن ارتفاع درجة الرضا الوظيفي إما أن يكون ناتج عن أداء مرتفع أو أنه يؤدي إلى أداء مرتفع. (نجم وعباس، 2010).

ب – تعزيز الولاء التنظيمي : إن فعالية الأفراد تعتمد أساسا على مستوى ودرجة ولاء هم و رضاهم للمنظمات التي يعملون بها، حيث تعمل المنظمات الحديثة والمعاصرة على رفع مستوى الرضا الوظيفي و تحرص على تنمية الولاء التنظيمي لدى أفرادها ،وأكدت بعض الدراسات أن الشعور بالارتياح في العمل أو الوظيفة لدى الأفراد يعزز لديهم الإحساس بالرضا والولاء الذي ينعكس إيجابا على الأداء الفعال والجيد و النوعية المثلى والجودة العالية في الإنتاج ، وكلها عوامل تتيح للمنظمة فرص النجاح وتحقيق أهدافها المرجوة .(يونسي ،2005).

ج - السلامة والصحة المهنية : تعرف على أنها مجموعة الأنظمة والإجراءات التي توفر الحماية المهنية للعمال والحد من خطورة المعدات والآلات على العمال من حدوث الإصابات والحوادث أو تقليلها و توفير الجو المهني السليم ،(المركز الوطني اليمني للمعلومات ،2009)،فكلما توفرت بيئة آمنة وصحية للفرد في مكان عمله تولد لديه شعور بالرضا الوظيفي الذي يساعده على أداء عمله بأريحية . (يونسي ،2005).

لقد أصبح للرضا الوظيفي أهمية بالغة في المنظمات الحديثة ، فهو يعبر عن الحالة النفسية السارة التي يصل إليها الموظف عند درجة إشباع معينة تحدث له جراء تعرضه لمجموعة من العوامل النفسية والاجتماعية ،المهنية والمادية ، ولأنه يتكون من عدة عناصر وتؤثر فيه عدة عوامل تساهم في إظهاره والتعبير عنه يبقى ما يهم المنظمة هو أن يحقق الرضا الوظيفي أهدافها و أهداف العاملين معا ،ويقلل من الشكاوى و الحوادث و معدلات الغياب في المنظمة

3. دراسات سابقة:

أوضحت دراسة (إسلام أحمد حسن 2010) أن المنظمات كثيرة المعرفة لذلك فهي تضع أثر إدارة المعرفة على الرضا الوظيفي ضمن الرؤية الإستراتيجية للمنظمات ، كما أن لها ثقافة تنظيمية قائمة على تشارك وتقاسم ونقل المعارف بين الموظفين ،وأنها تعتمد على وسائل التمكين في إدارة المعرفة من تدريب الموظفين على التكنولوجيا الجديدة وهذا بدوره يؤدي إلى رضاهم .وعندما تهتم المنظمة بتطوير المسارات المهنية للأفراد يجعلهم لا يفكرون في الفرار من المنظمة إلى منظمات أخرى حتى وإن كانت هناك مغريات في التعويضات سواء في الأجور أو التحفيزات المادية والمعنوية، وهذا ما يحسن الرضا و ولاء الموظفين .

كما أكدت دراسة (kulkarni,et al 2007) أن العوامل التنظيمية التي تشرك التزام القيادة و المشرف و دعم الزملاء في العمل تساهم في تقوية مبادرات إدارة المعرفة و هي تحضى بنفس الأهمية التي تساهم بها التكنولوجيا في نجاح هذه المبادرات ،كما أن التزام القيادة من شأنه التأثير في نوعية المعرفة التي يتم التشارك بها و المدى الذي يتم فيه استخدام المعرفة و إعادة استخدامها و من ثم رضا الأفراد على هذا التشارك و الاستخدام للمعرفة ،وكشفت الدراسة أن المستوى العالي للحوافز من شأنه تقديم الدعم المباشر وغير المباشر لعمليتي

المشاركة في المعرفة و استخدامها من طرف الأفراد و الذي يساهم في رضاهم الوظيفي .

4. منهجية الدراسة :

1.4-منهج الدراسة :

تم الاعتماد في هذه الدراسة على المنهج الوصفي، وفي إطار الاعتماد على هذه المنهج تم تقديم شرح نظري لمتغيرات الدراسة إدارة المعرفة والرضا الوظيفي، واعتمادا على الدراسات السابقة تم بناء مجموعة فرضيات من نظريات موجودة سابقا ومن ثم اختبار هذه الفرضيات من أجل الخروج بمجموعة نتائج يمكن تعميمها على مجتمع الدراسة، وفي الجانب التطبيقي تم الاعتماد على أسلوب دراسة حالة مؤسسة توزيع الكهرباء والغاز سونلغاز بسكرة والاعتماد على المنهج الكمي، على اعتبارتحليل البيانات الأولية للدراسة إحصائيا.

2.4 – أداة الدراسة :

اعتمدت الباحثتان في دراستهما هذه على الاستبيان كأداة لجمع البيانات الأولية ، حيث صم الاستبيان بالاعتماد على دراسات سابقة ، وقد استخدم مقياس Likert بحيث يتراوح المقياس من 1 إلى 5 أي من راض بشدة إلى غير راض بشدة ، وشمل الاستبيان على على جزئين من الأسئلة : المجموعة الأولى تتضمن المتغيرات الديمغرافية وهي (الجنس، العمر، المستوى التعليمي، والخبرة العلمية)، بينما المجموعة الثانية فقد تضمنت (20)فقرة لقياس إدارة المعرفة و(17) فقرة لقياس الرضا الوظيفي .

3.4 – مجتمع الدراسة وعينتها :

يتمثل مجتمع الدراسة الحالية في جميع موظفي مديرية توزيع الكهرباء والغاز "سونلغاز" لولاية بسكرة والمتمثل في (712)موظف ، ولاعتبارات تكاليف الجهد والوقت تم اختيار عينة ميسرة (من أنواع العينات غير الاحتمالية)بلغ حجمها (50) موظف بنسبة 7.02%ولقد تم توزيع الاستبيان على موظفي المديرية استرجعت منها (45)استبيان أي بنسبة استرجاع بلغت (90 ٪).واستبعدنا (2) وبقي (43) بنسبة (86 %).

5. نتائج الدراسة :

1.5 – صدق وثبات الأداة : للتحقق من ثبات أداة الدراسة تم حساب معامل الثبات كرونباخ ألفا (Cronbach Alpha) للاتساق الداخلي بصيغته النهائية الكلية، ولكل متغير بجميع أبعاده، وتم قبول الفقرات التي يكون معامل ثباتها يفوق 50% وقد كانت النتائج كما هي موضحة في الجدول التالي:

الجدول 01 : "ثبات أداة الدراسة "

المتغير	الفقرات	Cronbach's Alpha	المتغير	الفقرات	Cronbach's Alpha
توليد المعرفة	05	0.602	خصائص الوظيفة	05	0.724
التشارك في المعرفة	05	0.604	العلاقات المهنية	05	0.674
خزن المعرفة	04	0.629	المستوى المادي والاجتماعي	07	0.850
تطبيق المعرفة	04	0.607	/	/	/
إدارة المعرفة	18	0.642	الرضا الوظيفي	17	0.795

المصدر: إعداد الباحثتان اعتمادا على تحليل الاستبيان من خلال برنامج Spss.

من خلال الجدول يتضح أن كل الفقرات مقبولة لأنها تفوق 50%،حيث أن فقرات إدارة المعرفة كانت على التوالي :60.2%، 60.4%، 62.9%،60.7%أما فقرات الرضا الوظيفي فكانت هي الأخرى كما يلي: 72.4%، 67.4%، 85%.

2.5. تشخيص مدى تأثير إدارة المعرفة في مديرية توزيع الكهرباء والغاز "سونلغاز"بسكرة على الرضا الوظيفي:

يعرض الجدول الموالي المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لكل بعد من أبعاد متغيرات الدراسة .

الجدول (02) المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لمتغيرات الدراسة

المتغير	المتوسط	الانحراف	الأهمية	المتغير	المتوسط	الانحراف	الأهمية
توليد المعرفة	2.6093	0.6293	متوسط	خصائص الوظيفة	2.8930	0.8180	متوسط
التشارك في المعرفة	2.3581	0.3989	منخفض	العلاقات المهنية	2.0233	0.5349	منخفض
خزن المعرفة	2.3430	0.5537	منخفض	المستوى المادي والاجتماعي	3.5382	0.9007	عال
تطبيق المعرفة	2.8023	0.7371	متوسط	/	/	/	/
إدارة المعرفة	3.2896	0.5624	متوسط	الرضا الوظيفي	2.9029	0.5391	متوسط

المصدر: إعداد الباحثتان اعتمادا على تحليل الاستبيان من خلال برنامج Spss.

يعرض الجدول (02) تشخيص لمتغيرات الدراسة، إذ أن قيمة المتوسط الحسابي لأبعاد إدارة المعرفة تراوحت بين 3.95 -3.11 فهي بالتالي متوسطة أما مستوى الرضا الوظيفي فهو أيضا كان متوسط حيث بلغ متوسطه الحسابي 2.90، كما فاقت معظم قيم الانحراف المعياري لكلا المتغيرين 0.5 وهو ما يعني التشتت نسبي في إجابات المبحوثين.

3.5. اختبار الفرضيات:

سيتم اختبار فرضيات الدراسة من خلال اختبار الانحدار المتعدد، ولذلك سيتم اختبار مدى توفر شروطه الإحصائية والمتمثلة في كل مما يلي:

1 - المعنوية الكلية لنموذج الانحدار: وتتمثل في قيمة معنوية النموذج من خلال قيمة F والتي بلغت 0.001 وهي أقل من 0.05 كما يوضحها الجدول (04).

2 - المعنوية الجزئية للنموذج: وتتمثل في قيمة معنوية t للثابت والتي بلغت 0.008 وهي أقل من 0.05 كما يوضحها الجدول (05).

3 - مدى توفر شروط الطريقة المستخدمة في تقدير معالم نموذج الانحدار (طريقة المربعات الصغرى):

أ -التوزيع الطبيعي (إعتدالية التوزيع الاحتمالي للبواقي Normality test**): وهو ما يوضحه الجدول (03).**

وللتأكد حسابيا من التوظيع الطبيعي للبواقي نعتمد على معاملي Kolmogorov-Smirnov **و** Shapiro-Wilk**، إذ فاقت مستوى الدلالة لكل منهما 0.05، وهو ما يؤكد التوزيع الطبيعي للبواقي في نموذج الإنحدار المتعدد.**

الجدول (03):" التوزيع الطبيعي للبواقي"

	Kolmogorov-Smirnov			Shapiro-Wilk		
البواقي المعيارية	الاحصاء	حجم العينة	مستوى الدلالة	الاحصاء	حجم العينة	مستوى الدلالة
	0,109	43	,200*0	0, 980	43	0,642

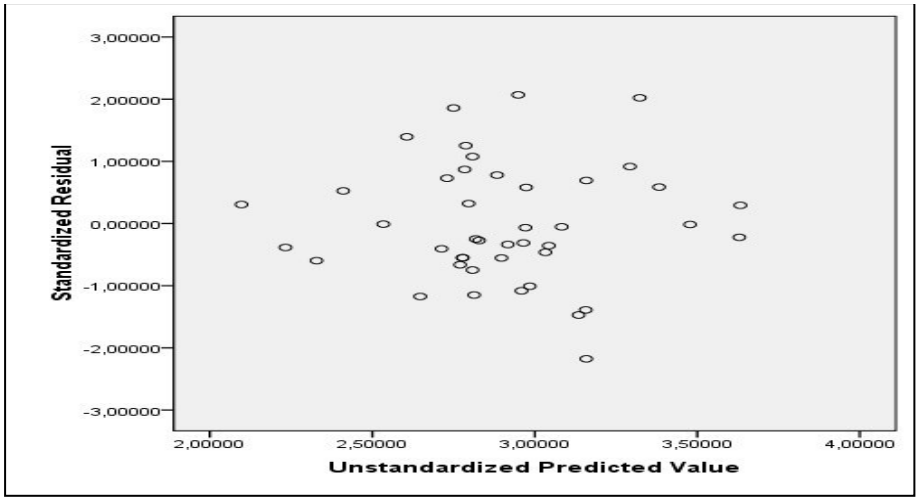
المصدر: إعداد الباحثتان اعتمادا على تحليل الاستبيان من خلال برنامج Spss

ب- الاستقلال الذاتي للبواقي: وتم اختبارهما من خلال إحصائية Durbin-watson **(وهو عبارة عن إحصائي الاختبار الذي سيتم استخدامه في**

اختبار الفروض الإحصائية حول الارتباط الذاتي للبواقي Residuals، وتؤكد قيمته التي بلغت 1,157 كما يوضحه الجدول (04)وبمقارنتها في الجداول الإحصائية لدرجة حرية البواقي 38 وعدد المتغيرات المستقلة 4 نجد dl = 1.261 و du = 1.722 فيتم الحكم على استقلالية البواقي في حالتين هما: إذا كان (4-dL<DW<4)، وإذا كان (0<DW<dL). وبالتالي فإن DW محصور بين محصور بين 0 و 1.261 ، وهو ما يؤكد الاستقلال الذاتي للبواقي.

ج- إختبار تجانس البواقي (اختبار ثبات التباين) Homoscedasticity

الشكل رقم 02: تجانس البواقي (الفرضيات)



المصدر: إعداد الباحثتان اعتمادا على تحليل الاستبيان من خلال برنامج SPSS

يلاحظ أن انتشار وتوزيع البواقي يأخذ شكل عشوائي على جانبي الخط الذي يمثل الصفر (وهو الخط الذي يفصل بين البواقي السالبة والبواقي الموجبة)، حيث أنه لا يمكننا رصد نمط أو شكل معين لتباين هذه البواقي، وهو ما يعني أن هناك تجانس أو ثبات في تباين الأخطاء.

د - عدم وجود ازدواج خطي بين المتغيرات المستقلة Multicollinearity (في حالة الإنحدار المتعدد). وهو ما توضحه قيمتي معامل التضخم FIV و Tolerance في الجدول (5)، حيث بلغت قيم معامل التضخم بين 1.193 و1.394 وهي أقل من 10 أما Tolerance فتراوحت قيمه بين 0.718 و0.838 وهي أكبر

من 0.1 وهذا اعتمادا على (Nystrom et al, 2002) ما يؤكد عدم وجود مشاكل الازدواج الخطي (Multicolinearity) بين أبعاد المتغير المستقل.

الجدول (04) "نتائج تحليل التباين للانحدار

النموذج		مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمةF المحسوبة	مستوى دلالة F	معامل التحديد المعدل R^2	معامل الارتباط (R)	Durbin-Watson
1	الانحدار	4,469	4	1,117	,4875	0,001	0,366	0,605	1.957
	الخطأ المتبقي	7,737	38	0,204					
	المجموع	12,207	42						

المصدر: إعداد الباحثتان اعتمادا على تحليل الاستبيان من خلال برنامج SPSS

يوضح الجدول (04) أن معامل التحديد يساوي 3660. هذا يعني أن 636.٪ من التباين في الرضا الوظيفي مفسر بعمليات إدارة المعرفة (توليد، خزن، التشارك، وتطبيق المعرفة) في مديرية التوزيع للكهرباء والغاز عند مستوى دلالة F الذي يساوي 0.001 وهي <0.05.

الجدول(05) :نتائج تحليل الانحدار المتعدد لاختبار أثر أبعاد إدارة المعرفة على الرضا الوظيفي

النموذج		المعاملات غير النمطية		المعاملات النمطية	قيمة T المحسوبة	مستوى دلالة T	إحصائيات التباين	
		B	الخطأ المعياري	Beta			Tolerance	VIF
1	ثابت Constant	1.580	0.564		2.799	0.008		
	توليد المعرفة	0.376	0.131	0.440	2.883	0.006	0.718	1.394
	التشارك في المعرفة	0.016	0.191	0.012	0.083	**0.934**	0.838	1.193
	خزن المعرفة	0.358	0.143	0.368	2.507	0.017	0.776	1.289
	تطبيق المعرفة	0.191 -	0.109	0.261 -	1.758 -	**0.087**	0.757	1.322

المصدر: إعداد الباحثتان اعتمادا على تحليل الاستبيان من خلال برنامج SPSS

طبقا للنتائج الموضحة بالجدول (05)، فإن كلّ من التشارك في المعرفة وتطبيق المعرفة ليس لها أثر دال إحصائيا على الرضا الوظيفي للعاملين في مؤسسة سونلغاز حيث فاقت مستويات دلالتها 0.05 وبلغت على التوالي 0.934 و 0.087 وعليه فإن الفرضيتين الثانية والرابعة مرفوضة. بينما يوجد أثر دال إحصائيا لكل من توليد المعرفة وخزن المعرفة على الرضا الوظيفي حيث بلغت

مستويات دلالتها على التوالي 0.006، و 0.017 وهي أقل من 0.05، حيث يفسر توليد المعرفة بنسبة 37.6٪ من الرضا الوظيفي، بينما يفسر خزن المعرفة بنسبة 35.8٪ من الرضا الوظيفي، وعليه فإن الفرضيات الأولى والثالثة مقبولة.

4.5. مناقشة نتائج الدراسة :

أكدت الدارسة أن مستوى توليد المعرفة في مديرية التوزيع للكهرباء والغاز - بسكرة – متوسط وهذا ما يفسر اهتمام المديرية باكتساب المعرفة،والبحث عن كل ما هو جديد ، من خلال الثقافة الداعمة للتعلم وتطوير الكفاءات من خلال توفير التكوين والتدريب لكل موظف يحتاج التكوين وكذا تقديم تسهيلات للموظفين الطامحين بتطوير مستوياتهم التعليمية لزيادة مؤهلهم العلمي من خلال التعلم الذاتي

أما مستوى التشارك في المعرفة فقد أكدت نتائج الدراسة أنه منخفض إذ تقل الأعمال الجماعية على مستوى المديرية ككل إضافة إلى صعوبة بناء فريق متكامل ملم لجميع المهارات ،وأكثر أنواع التشارك شيوعا في المنظمات هو التشارك الهرمي في المعرفة ،مقارنة بالتشارك بين الأقسام أو الوظائف والتشارك الشبكي ، وهذا النوع موجود لكنه على مستوى الأقسام والمصالح و هذا ناتج عن افتقاد الموظفين لمهارات الاتصال الكافية،كما يظهر مستوى خزن المعرفة منخفض نسبيا وهذا راجع لعدم استغناء المديرية ككل على التخزين الورقي أي التقليدي واعتمادها على التخزين الالكتروني ليس ببعيد،أما فيما يخص مستوى تطبيق المعرفة فقد أكدت نتائج الدراسة أنه متوسط وهذا يفسر دعم المديرية بتطبيق المعارف المتحصل عليها واتخاذ الإجراءات و القواعد الضرورية لأجل تطبيق تلك المعارف.

وكما تظهر نتائج الدراسة أن مستوى الرضا متوسط في مديرية التوزيع للكهرباء والغاز بسكرة نظرا لمحاولة المديرية الغوص نوعا ما في الحياة الشخصية للموظف من خلال بعض الحوافز،أما عن أبعاد الرضا الوظيفي فنلاحظ أن مستوى بعد خصائص الوظيفة متوسط وهذا راجع لعدم وجود وصف وظيفي واضح لكل وظيفة،أما مستوى العلاقات المهنية فقد أظهرت نتائج الدراسة أنه منخفض وهذا راجع لأن معظم الوظائف ميدانية ناهيك عن الوظائف الإدارية ، كما تظهر نتائج الدراسة أن مستوى بعد المستوى المادي والاجتماعي عال و هذا

يفسر بالخدمات الاجتماعية التي توفرها المديرية و شعور الموظف بالاستقرار النفسي بالوظيفة التي يشغلها وكذا تثمين لمساهمة الموظف في حل مشاكل المديرية رغم وجود بعض النقائص التي تخص شروط العمل و ظروفه.

من خلال نتائج الدراسة يظهر أن المديرية هي منظمة فتية حيث أن معظم موظفيها بين 30و 40 سنة وهذا ما يدعم البرامج والأنظمة المتطورة التي تسهل العمل بعكس كبار السن الذين يرفضون التغيير .كما أن معظم موظفيها رجال و هذا راجع لمتطلبات العمل الذي يعتمد بدرجة كبيرة على العمل الميداني

6.الخاتمة :

من خلال هذه الدراسة توصلنا إلى أن كل بعد توليد المعرفة ،وخزن المعرفة لهما أثر مباشر في تحسين الرضا الوظيفي وهذا يرجع للبرامج التدريبية المعتمدة من طرف المديرية ،وكذا المساهمة بشكل فعال في تطوير مهارات الأفراد في كل المستويات المهنية ، نظرا لطبيعة الخطر الذي يتسم به العمل في المديرية ،خاصة الجانب التقني منه ،مع مراعاة الأنظمة والبرامج الجديدة المعتمدة في الجانب الإداري محاولة منها مواكبة التطور على جميع الأصعدة .

واعتمادها على الإدارة الالكترونية والتخزين الالكتروني بالتحديد ،الذي يساهم بشكل كبير في تسهيل عملية الإدارية وخصوصا خزن المعلومات وحفظها والبحث عنها بشكل أسرع فهو يبسط العمل ويقلص الوقت والجهد معا ، ومن هذا المنطلق يصبح الفرد يحب عمله ويشعر بالسعادة وهو يقوم به ،دون تذمر وملل وتجده يبذل قصارى جهده دون تعب ، فهو راضي عن العمل وعن حياته المهنية ، حيث يحاول باستمرار استخدام كل ما هو جديد ومتطور في عمله ، والبحث عن الطرق والبرامج الجديدة والمتطورة المساعدة في العمل ،وكذا تعلمها واستخدامها في عمله وتعليم زملائه إن استدعى الأمر .

ولا يتأتى كل هذا إلا إذا كانت الظروف مواتية لذلك ،مادية كانت أو اجتماعية ، وبما أن المديرية هي منظمة فتية أي أن معظم موظفيها تتراوح أعمارهم بين 30و 40 سنة ،صار من السهل على موظفيها تقبل التغيير ،والمضي فيه ،حيث أنك لا تجدها تطرح مشكل مقاومة التغيير، فالمعظم يدعم هذا التغير ، ويساهم في تنفيذه ،كما أن الكل يتنافس على التعليم الذاتي والتدريب

المهني المتخصص ، حيث أن معظم موظفيها أصحاب كفاءات عالية و ذوي مؤهل علمي جامعي يصل حتى للدكتوراه. ناهيك عن التقنيين السامين والتقنيين .

وبالمقابل لا يوجد أثر مباشر لكل من بعد التشارك في المعرفة و تطبيق المعرفة ، كما توصلت الدراسة إلى أن الفرضية الرئيسية والتي تنص على أنه يوجد أثر مباشر لإدارة المعرفة في تحسين الرضا الوظيفي مع قبول كل من الفرضيتين الأولى و الثالثة و رفض كل من الفرضيتين الثانية والرابعة . ومما سبق يجدر بنا الإشارة إلى ضرورة استخدام إدارة المعرفة في العملية الإدارية على كل الأصعدة و بكل البرامج والأنظمة المتطورة المتواجدة حاليا ،مسايرة لما يحدث في العالم، بالتوازي مع الاهتمام بالمورد البشري والاستثمار في طاقاته تطوير قدراته ومهاراته وتوفير له كل سبل الرفاهية مع تلبية احتياجاته قدر المستطاع مادية كانت أو معنوية ،حتى يحس بالرضا ويشعر بالراحة والاستقرار في العمل ، وهذا يساهم بشكل كبير في تحسين الأداء .

1.6 - التوصيات:

- ✓ يجب على مديرية توزيع الكهرباء والغاز الاهتمام الأكثر بالموظفين وتشجيعهم على البقاء في المنظمة من خلال توفير الجو المناسب للعمل لاستثارة الجانب الإبداعي و الابتكاري لديهم .
- ✓ ويجب عليها تحفيز الموظفين الموهوبين وبث روح التنافس بينهم لأجل البحث عن المعارف الكامنة لديهم ومحاولة تطويرها و تقديم الدعم الكافي للموظفين الذين يملكونها .
- ✓ وجب على المديرية وضع نظام أجور وحوافزعادل يتسم بالموضوعية والشفافية ويخص كل الموظفين على حد سواء، وتثمين مساهمات الموظفين في حل مشاكل المنظمة عن طريق المكافآت والحوافز الإضافية.
- ✓ يجب عليها تطوير مهارات الاتصال لدى الموظفين حتى تساعدهم على التواصل والتكامل في العمل، وكذا تشجيع العمل الجماعي، التعاون ومشاركة المعارف مع الجميع .
- ✓ إن الاعتراف بجهود الموظف والنقاش معه حول كيفية تطوير ذاته، لها أثر قوي على مخرجاته وسلوكياته ومستوى ولائه للجهة التي يعمل بها وبالتالي تطور نسبة الرضا الوظيفي لديه .

- ✓ وجب على المديرية الغوص أكثر في حياة الموظف ومحاولة مساعدته في تلبية احتياجاته كي يستطيع العمل بأريحية وبذل جهد أكبر، والبعد عن المحسوبية خاصة في هذه الأمور .
- ✓ يجب توفير الدعم الكافي للموظفين من أجل تطبيق أفكارهم المميزة .
- ✓ يجب العمل على توليد درجة من الانسجام داخل المديرية بين الرؤساء والمرؤوسين ومحاولة حل النزاعات بين الموظفين إن وجدت .

7. المراجع

1.7. المراجع باللغة العربية

أ - الكتب:

- حسين حريم , ادارة الموارد البشرية (اطار متكامل) ,دار الحامد للنشر والتوزيع , عمان الأردن , 2013، ص 387،388.
- عامر خضر الكبيسي ، إدارة المعرفة و تطور المنظمات ، المكتب الجامعي الحديث ، الاسكندرية ، 2004،ص:48،74،78،79.
- محمد سعيد سلطان، السلوك الإنساني في المنظمات، دارالجامعة الجديدة ، الاسكندرية ، مصر ، 2004، ص 196.
- نجم عبد الله العزاوي ،عباس حسين جواد ، الوظائف الاستراتيجية في ادارة الموارد البشرية، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع ،عمان 2010 ،ص354.

ب - مقال في مجلة:

- أكرم محسن الياسري ، ظفر ناصر حسين، أثر عمليات إدارة المعرفة والتعلم التنظيمي في الأداء الإستراتيجي،دراسة إستطلاعية لأراء عينة من القيادات الإدارية في الجامعات الفرات الاوسط،مجلة القادسية للعلوم الإدارية و الإقتصادية ،المجلد15العدد 3،2013،ص:245.
- المركز الوطني اليمني للمعلومات ،السلامة المهنية ،اليمن،2009،ص 5.

ج - الأطروحات:

- انتصار عريوات ،متطلبات تطبيق ادارة المعرفة في الجامعة الجزائرية،دراسة ميدانية جامعة باتنة -1 - مذكرة مكملة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم السياسية تخصص تنمية موارد بشرية ، جامعة باتنة - 1 -،2019/2018،ص 33.

- معتز سلمان عبد الرزاق الدوري ،تحليل بعض العوامل المؤثرة في مستور صناعة الضيافة في ظل عالم إدارة المعرفة ورقة بحثية، غير منشورة، الجامعة المستحضرية، بغداد، 2004،ص:09.
- يونسي مختار، الثقافة التنظيمية ودورها في الرضا الوظيفي ،دراسة ميدانية بمؤسسة ديوان الترقية والتسيير العقاري بمدينة الجلفة، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع تخصص تنظيم وعمل، جامعة محمد خيضر بسكرة ، 2005،ص63،ص 80.

2.7 – المرجع باللغة الأجنبية:

أ – المجلات:

- Brayman, A., (1984), « The Debate About Quantitative and Qualitative Research : A Question of Method or Epistemology? », The British Journal of Sociology, Vol. 35, No. 1, 1984.
- DOROTHY LEONARD-BARTON , " core capabilities and core rigidities : a paradox in product development" ,strategic management journal, vol 13.
- Duffy jal. "kowledge Management :To Be or not To Be ? ";Informatien Management journal ; january2001
- Marquardt ;Michael J,"Building the learning Organization " ,Davis – Black Publishing Company ,USA,2002.
- Wiig Karl M (Knowledge Management Foundations : thinking about thinking /How people and organizations Creat , Represent and use Knowledge), USA , Sehema Press, 1993.

ب- الرسائل والاطروحات

- Beverly , Ann Josias, (2005) , The Relationship between job satisfaction and absenteesm in a selected field sevices .26 within an electricity utility . (online).master thesis , university of westerncape .Available ar : verfroller.nl/rio.pdf (consulted at 02/10/2011).
- Farzad, A., "The Effect of Internal Marketing on Organizational Commitment: An Investigation among State-Owned Banks in Isfahan, Iran", Unpublished Master's Thesis, Lulea University of Technology.2007.

مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ر ت م د: 7163 -1112 ر ت م د إ :2588-1892
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2

أثر التزام محافظي الحسابات بالمعايير الجزائرية للتدقيق على موثوقية المعلومات المالية

The effect of the auditors adherence to the Algerian auditing standards on the reliability of the financial information

طواف فاتح [1] ، رقايقية فاطمة الزهراء [2]

1- جامعة محمد الشريف مساعدية، قسم علوم التسيير، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، مخبر المالية والمحاسبة، جباية وتأمينات، taouaffateh92@gmail.com

2- جامعة محمد الشريف مساعدية، قسم علوم التسيير، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، مخبر البحوث والدراسات الاقتصادية، zorafinance@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2020/05/10 تاريخ القبول: 2021/06/14.

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى الوقوف على الدور الذي يلعبه محافظ الحسابات في بث خاصية الموثوقية في المعلومات المالية المعروضة بالقوائم المالية للمؤسسات الاقتصادية، وذلك بتقيده بمعايير التدقيق الوطنية. ولتحقيق هذا الغرض تم استخدام المنهج الوصفي التحليلي لدراسة الجوانب النظرية للموضوع محل الدراسة، كما تم الاستعانة باستبيان إحصائي موجه إلى عينة من محافظي الحسابات.

وقد خلصت الدراسة إلى أن محافظ الحسابات له دور كبير في إضفاء المصداقية والثقة حول مدى عدالة القوائم المالية، حيث يحقق ذلك من خلال إتباعه للخطوات وقيامه بالإجراءات التي تنص عليها اللوائح التشريعية والقانونية للقيام بمهنته، وكذا خضوعه للشروط المصاغة لإعداد تقريره في

المؤلف المرسل: رقايقية فاطمة الزهراء، zorafinance@yahoo.fr

نهاية عمله، الأمر الذي يضبط عمله ويمكنه من زرع الموثوقية في النتائج المتوصل إليها، وبالتالي في المعلومات التي تضمنتها القوائم المالية.

الكلمات الدالة: محافظي الحسابات، معايير التدقيق الجزائرية، موثوقية المعلومات المالية.

Abstract:

This study aims to identify the role auditor's play in achieving reliability property in the financial information included in the financial statements of economic institutions, by adhering to the national auditing standards.To achieve this purpose; an analytical descriptive approach was used to analyze the theoretical aspects of the subject under study. Further, a statistical questionnaire was directed to the sample of the Account governors.

Finally, this study concluded that the accounts governor has a great role in adding credibility and confidence about the fairness of the financial statements, as he accomplishes this by following the steps and performing the procedures stipulated in the legislative and legal regulations to carry out his profession. As well as taking into account the terms of the formulation and preparation of his report.

Key words: Account governor; Algerian auditing standards; Reliability of financial information.

1. - مقدمة

تعتبر معايير التدقيق بمثابة المبادئ العامة التي تحكم مهنة تدقيق الحسابات، والتي يسترشد بها المدقق لأداء مهامه ويتأكد من خلالها من قيامه باستخدام الإجراءات المناسبة والتي يراها ضرورية في جميع مراحل عمله بدأ من الاتفاق مع الإدارة أو مع الأشخاص القائمين على الحكم في المؤسسة حول مهام تدقيق الكشوف المالية إلى غاية إعداد تقريره.

وتظهر أهمية المعايير الجزائرية للتدقيق من خلال الهدف الأساسي لمهنة التدقيق والمتمثلة في إضفاء المزيد من الثقة على القوائم المالية، مستهدفة بالدرجة الأولى المستثمرين المحتملين ناهيك عن الأطراف الأخرى المستفيدة من هذه المعلومات، لذلك تحظى هذه المعايير بجانب كبير من الأهمية

بالنسبة لمستخدمي التقارير المالية، لأنها توضح لهم الكيفية التي تم بها الفحص الذي قام به المدقق والمسؤولية المهنية التي يتحملها.

1.1. -إشكالية الدراسة: بعد الإصدارات الحديثة للمعايير الجزائرية للتدقيق وما كان لها من أثر على مختلف منظمات الأعمال، أصبح لزاما على محافظي الحسابات التكيف مع هذه المعايير واعتمادها كمرجع أساسي لأداء مهامهم، وذلك للرفع من قيمة المعلومات المالية والاعتماد عليها والوثوق فيها لمعقوليتها وخلوها من الأخطاء و التحيز.

وعلى ضوء ذلك يمكن طرح الإشكالية التالية:

ما أثر التزام محافظ الحسابات بالمعايير الجزائرية للتدقيق على موثوقية المعلومات المالية؟

حيث يندرج ضمن ذلك مجموعة من التساؤلات الفرعية التالية:

- ما المقصود بمحافظ الحسابات ومهنة التدقيق الخارجي؟؛
- ما هي المعايير الجزائرية للتدقيق التي يعتمدها محافظ الحسابات للقيام بمهنة التدقيق الخارجي؟؛
- كيف يتم تجسيد عناصر الموثوقية في المعلومات المالية من خلال التزام محافظي الحسابات بالمعايير الجزائرية للتدقيق؟.

2.1. -فرضيات الدراسة: يمكن صياغة فرضية رئيسية لهذا البحث على النحو التالي:

لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية لالتزام محافظ الحسابات بالمعايير الجزائرية للتدقيق على موثوقية المعلومات المالية.

من هذه الفرضية يمكن صياغة مجموعة من الفرضيات الفرعية كما يلي:

- لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية لالتزام محافظ الحسابات بالمعايير الجزائرية للتدقيق في تحقيق خاصية التمثيل الصادق للمعلومات المالية؛
- لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية لالتزام محافظ الحسابات بالمعايير الجزائرية للتدقيق في تحقيق خاصية الحياد للمعلومات المالية؛

- **لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية لالتزام محافظ الحسابات بالمعايير الجزائرية للتدقيق في تحقيق خاصية القابلية للإثبات للمعلومات المالية؛**
- **لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية لتقرير محافظ الحسابات وفق المعيار الجزائري للتدقيق رقم _700_ على موثوقية المعلومات المالية.**

3.1. -أهمية الدراسة: تكمن أهمية هذه الدراسة في كونها تعالج موضوع مهنة التدقيق الخارجي في البيئة الاقتصادية الجزائرية، والذي يعتبر موضوعا حديث النشأة، وكذا في كونها تحاول الوصول إلى معرفة العلاقة التي تربط بين مهنة محافظ الحسابات وموثوقية المعلومات المالية، باعتبار أن هذه المهنة أصبحت المرآة العاكسة لمدى مصداقية وموثوقية القوائم المالية، ومدى انضباط عمليات المؤسسة ومتانة هيكلها الإداري والمالي.

4.1. -الدراســـات السابقــة: بعد الإطلاع على الدراسات السابقة التي تناولت جزئيا الموضوع محل الدراسة، تم الأخذ بعين الاعتبار الدراسات التالية:

- **دراسة (لبوز، بوعلاق، 2019)، تأثر تطبيق المعايير الجزائرية للتدقيق في جودة تقارير محافظ الحسابات، حيث هدفت هذه الدراسة إلى معرفة أثر تطبيق المعايير الجزائرية للتدقيق على جودة تقارير محافظ الحسابات، من خلال أسئلة مقابلة على مجموعة من محافظي الحسابات وهيئات لها علاقة بإعداد واستخدام المعايير الجزائرية للتدقيق، وأبرزت هذه الدراسة أن الالتزام بتطبيق المعايير الجزائرية للتدقيق في البيئة المحاسبية الجزائرية مازالت تحتاج إلى تطوير لتتوافق بشكل كامل مع واقع بيئة الأعمال الجزائرية؛**
- **دراسة (عوماري، حميمش، 2017)، أثر التدقيق الخارجي على جودة المعلومة المالية، حيث هدفت هذه الدراسة إلى معرفة مدى استفادة مستخدمي التقارير المالية من التدقيق الخارجي وتأثير هذا الأخير على جودة المعلومات المالية، من خلال استقصاء 37 عاملا ببنك الفلاحة والتنمية الريفية بأدرار، وأبرزت هذه الدراسة أن أهمية التدقيق الخارجي تكمن في خلق قيمة مضافة للمؤسسة من**

خلال زيادة فعالية المعلومات المالية الصادرة عنها، وكذلك زيادة قيمتها الاستعمالية.

- دراسة (بن الدين، عوماري، وعوماري، 2017)، **أثر تطبيق التدقيق وفق معايير التدقيق الدولية في تحسين جودة المعلومة المالية في المؤسسات البنكية**، حيث هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على أثر التدقيق البنكي وفق معايير التدقيق الدولية على تحسين جودة المعلومة المالية في البنوك الجزائرية من وجهة نظر القائمين عليها، من خلال استخدام استبانه استهدفت وكالات بنوك (BADR . BDL. BNA. CPA) بولاية أدرار، حيث توصلت هذه الدراسة إلى وجود علاقة طردية متوسطة نوعا ما، بين دور المدقق الخارجي وجودة المعلومة المالية، بالإضافة إلى وجود علاقة طردية قوية نسبيا بين تقرير المدقق الخارجي وجودة المعلومة المالية.

2. - مفهوم التدقيق الخارجي

يقصد بتدقيق الحسابات فحص أنظمة الرقابة الداخلية والبيانات والمستندات والحسابات والدفاتر الخاصة بالمشروع محل التدقيق فحصا انتقاديا منظما، بقصد الخروج برأي فني محايد عن مدى دلالة الوضع المالي لذلك المشروع في نهاية فترة زمنية معلومة، ومدى تصويرها لنتائج أعماله من ربح أو خسارة عن تلك الفترة (خالد أمين، 2007)، وينقسم التدقيق من حيث استقلاليته وحياده إلى نوعين أحدهما التدقيق الداخلي والآخر التدقيق الخارجي (الجيار، 2017)، حيث يمكن تعريف هذا الأخير على أنه: "الذي يتم بواسطة طرف من خارج المؤسسة بغية فحص البيانات والسجلات المحاسبية والوقوف على تقييم نظام الرقابة الداخلية من أجل إبداء رأي فني محايد حول صحة وصدق المعلومات المحاسبية الناتجة عن نظام المعلومات المحاسبية المولد لها، وذلك لإعطائها المصداقية حتى تنال القبول والرضا لدى مستعملي هذه المعلومات من الأطراف الخارجية خاصة (المساهمون، المستثمرين، البنوك)" (طواهر، صديقي، 2005).

1.2. - تعريف محافظ الحسابات في الجزائر:

حسب المادة 22 من القانون 01/10 يعد محافظا للحسابات حسب مفهوم هذا القانون: "كل شخص يمارس بصفة عادية، باسمه الخاص وتحت مسؤوليته، مهمة المصادقة على صحة حسابات الشركة والهيئات وانتظامها ومطابقتها لأحكام التشريع المعمول به". (القانون رقم 01/10، 2010)

3. - المعايير الجزائرية للتدقيق:

انطلاقا من 04 فيفري 2016 بدأت الجزائر في إصدار المعايير المنظمة لمهنة التدقيق إلى غاية 24 سبتمبر 2018، والتي شملت ستة عشرة معيارا، وكطبيعة أي معيار فإنها وضعت لتتماشى مع البيئة الاقتصادية الجزائرية، وكذلك مع القوانين والتشريعات المتعلقة بتنظيم مهنة التدقيق.

1.3. - الإصدار الأول لمعايير التدقيق الوطنية: حسب المقرر 002 المؤرخ في 04 فيفري 2016 الصادر عن وزارة المالية، تم وضع أربعة معايير جزائرية للتدقيق حيز التنفيذ كما يلي: (وزارة المالية، المقرر رقم 002، 2016)

- المعيار الجزائري للتدقيق 210 "اتفاق حول أحكام مهام التدقيق"؛
- المعيار الجزائري للتدقيق 505 "التأكيدات الخارجية"؛
- المعيار الجزائري للتدقيق 560 "الأحداث اللاحقة"؛
- المعيار الجزائري للتدقيق 580 "التصريحات الكتابية".

2.3. -الإصدار الثاني لمعايير التدقيق الوطنية: حسب المقرر 150 المؤرخ في 11 أكتوبر 2016 الصادر عن وزارة المالية، تم وضع أربعة معايير جزائرية للتدقيق حيز التنفيذ كما يلي: (وزارة المالية، المقرر رقم 150، 2016)

- المعيار الجزائري للتدقيق 300 "تخطيط تدقيق الكشوفات المالية"؛
- المعيار الجزائري للتدقيق 500 "العناصر المقنعة"؛
- المعيار الجزائري للتدقيق 510 "مهام التدقيق الأولية الأرصدة الافتتاحية"؛
- المعيار الجزائري للتدقيق 700 "تأسيس الرأي وتقرير التدقيق للكشوف المالية".

3.3. -**الإصدار الثالث لمعايير التدقيق الوطنية: حسب المقرر 23 المؤرخ في 15 مارس 2017 الصادر عن وزارة المالية، تم وضع أربعة معايير جزائرية للتدقيق حيز التنفيذ كما يلي: (وزارة المالية، المقرر رقم 23، 2017)**

- **المعيار الجزائري للتدقيق 510 "الإجراءات التحليلية"؛**
- **المعيار الجزائري للتدقيق 570 "استمرارية الاستغلال"؛**
- **المعيار الجزائري للتدقيق 610 "استخدام أعمال المدققين الداخليين"؛**
- **المعيار الجزائري للتدقيق 620"استخدام أعمال خبير معين من طرف المدقق".**

4.3. -**الإصدار الرابع لمعايير التدقيق الوطنية: حسب المقرر 77 المؤرخ في 24 سبتمبر 2018 الصادر عن وزارة المالية، تم وضع أربعة معايير جزائرية للتدقيق حيز التنفيذ كما يلي: (وزارة المالية، المقرر رقم 77، 2018)**

- **المعيار الجزائري للتدقيق 230 "وثائق التدقيق"؛**
- **المعيار الجزائري للتدقيق 501 "العناصر المقنعة_اعتبارات خاصة"؛**
- **المعيار الجزائري للتدقيق 530 "السّبر في التدقيق"؛**
- **المعيار الجزائري للتدقيق 540 "تدقيق التقديرات المحاسبية بما فيها التقديرات المحاسبية للقيمة الحقيقية والمعلومات الواردة المتعلقة به".**

4. -موثوقية المعلومات المالية (التمثيل الصادق):

تعتبر الموثوقية خاصية أساسية يجب توفرها في المعلومات المالية، حيث عرفها مجلس معايير المحاسبة المالية (FASB) من خلال بيانه الثامن الصادر سنة 2010 من خلال الفقرة BC3.22 على أنها: "تلك المعلومات الخالية من الأخطاء المادية والتحيز بدرجة معقولة، والتي يمكن الاعتماد عليها من قبل المستخدمين لتمثيلها الصادق لما تعبر عنه"، ومن ثم قام المجلس باستبدال مصطلح الموثوقية بالتمثيل الصادق من خلال الفقرة BC3.25، وذلك لكون مصطلح التمثيل الصادق أكثر دقة ووضوح للمعنى المقصود من الموثوقية، وقام بالإشارة كذلك إلى أن هذا التغيير لا يمس بالمعنى وإنما يبقى متشابها، وعند

تحديد الخصائص الفرعية التي يجب أن تتصف بها المعلومات لكي يكون تمثيلها صادقا تماما، اعتبر خاصية إمكانية الإثبات من الخصائص النوعية المعززة لهذه الخاصية الرئيسية، وبشكل عام تتمثل هذه الخصائص النوعية فيما يلي: (FASB, sfac No.8, 2010)

- الاكتمال: بمعنى أنه يجب أن تكون جميع المعلومات اللازمة في القوائم المالية كاملة لفهم الظاهرة التي يتم تصويرها، بما في ذلك جميع الأوصاف والتفسيرات اللازمة؛
- الحياد: ويعني البعد عن التحيز في اختيار أو عرض المعلومات المالية التي تتضمنها القوائم المالية،
- الخلو من الأخطاء: وهنا لا يعني التمثيل الصادق ضرورة دقة المعلومات في جميع النواحي، بل تعني عدم وجود أخطاء سهو في وصف الظاهرة، وأن العمليات المستخدمة لإنتاج المعلومات قد تم اختيارها وتطبيقها مع عدم وجود أخطاء في أي عملية.

6. -دراسة ميدانية استقصائية على عينة من محافظي الحسابات في ولايات الشرق الجزائري

1.6. -منهجية البحث الميداني وأداة الدراسة:

- منهجية البحث الميداني: قصد الإجابة على إشكالية الدراسة وجب القيام بدراسة ميدانية استقصائية على عينة من محافظي الحسابات في الشرق الجزائري خلال سنة 2019، بحيث صممت استمارة بالاعتماد على بعض المراجع وبالرجوع إلى بعض أهل الاختصاص في ذلك، قصد القيام بتوزيعها على عينة الدراسة، حيث وبعد توزيع 70 استمارة واستلام الإجابات تم بناء الدراسة على 63 إجابة تم انتقاؤها من أصل 66 رد مستلم.
- أداة الدراسة: تم الاعتماد في جمع البيانات الميدانية على استمارة صممت بناء على خصوصية موضوع البحث ، حيث اشتملت على ثلاث محاور رئيسية، المحور الأول به أربع أسئلة متعلقة بالبيانات الشخصية لعينة الدراسة (الجنس،

المؤهل العلمي، الخبرة، عدد العاملين بالمكتب)، أما المحور الثاني **(R1)** به 16 عبارة متعلقة بالمتغير المستقل الذي يقيس مدى التزام محافظي الحسابات بالمعايير الجزائرية للتدقيق، أما المحور الثالث **(R2)** به 21 عبارة متعلقة بالمتغير التابع المتمثل في موثوقية المعلومات المالية.

وتم الاعتماد على سلم ليكارت الخماسي في إعداد اختيارات الإجابة كما يلي:

جدول1. أوزان سلم ليكارت الخماسي

الاختيار	غير موافق بشدة	غير موافق	محايد	موافق	موافق بشدة
الوزن	1	2	3	4	5
القيمة	1.79-1.00	2.59-1.80	3.39 -2.60	4.19-3.40	5.00 -4.20

المصدر: من إعداد الباحثين

2.6. - اختبار ثبات وصدق الاستمارة:

تم الاعتماد في هذا الاختبار على أشهر الاختبارات التي يقدمها برنامج (SPSS) وهو اختبار معامل ألفا كرومباخ، وبعد إدخال البيانات في البرنامج كانت نتائج الاختبار كما يلي:

جدول2. اختبار الثبات وفق معامل ألفا كرومباخ

المحور	عدد العبارات	معامل الثبات	معامل صدق المحك
مدى الالتزام بالمعايير	16	0.864	0.929
موثوقية المعلومات المالية	21	0.708	0.841
الاستبيان ككل	37	0.894	0.945

المصدر: من إعداد الباحثين بناءً على مخرجات برنامج (SPSS)

بما أن قيمة معامل ألفا كرومباخ للاستبيان ككل هي 0,894 وهي قيمة أكبر من 0,6، وبالتالي يمكن القول أنه لو تم توزيع نفس عدد الاستمارات على نفس العينة أو على عينة مماثلة من نفس المجتمع لكانت نسبة التطابق في الإجابات 89,40٪، إذا يمكن القول أن الاستمارة تمتاز بالثبات، كما يمكن قياس صدق الاستمارة بجذر قيمة معامل ألفا كرومباخ وفي هذه الحالة تكون قيمة

معامل صدق المحك الإجمالي هي 94,50٪، بمعنى أن الاستمارة قادرة على تحقيق أهداف البحث بدرجة كبيرة.

3.6. - تحليل البيانات المتعلقة بالخصائص الوصفية للعينة

في هذه النقطة من التحليل نقوم بعرض كل الخصائص الديمغرافية للعينة المدروسة في شكل الجدول النسبي التالي:

جدول3. توزيع أفراد عينة البحث حسب المتغيرات النوعية و الترتيبية

الجنس		المؤهل العلمي		الخبرة(السنوات)		عدد العاملين في المكتب	
ذكر	52 % 82,5	ليسانس	19 %30,1	أقل من 10	23 %36,5	أقل من 5	49 %8,77
أنثى	11 % 17,5	ماستر	35 %55,6	من 10 إلى 15	26 %41,3	من 5 إلى 10	10 %15,8
		دراسات عليا	09 %14,3	أكثر من 20	14 %22,2	أكثر من 10	04 %06,4
مجموع	63	مجموع	63	مجموع	63	مجموع	63

المصدر: من إعداد الباحثين بناءً على مخرجات برنامج (SPSS)

نلاحظ من خلال هذا الجدول أن وحدات الدراسة تتكون من نسبة 82,5 ٪ ذكور كأكبر نسبة، بينما الباقي والمقدرة بـ 11,4٪ إناث، ويعود ذلك إلى أن القوى العاملة في مجال التدقيق في الجزائر معظمهم ذكور، أما بالنسبة لمتغير المؤهل العلمي يتضح أن نسبة 55,6 ٪ من عينة الدراسة يحملون شهادة ماستر، في حين 30,1 ٪ منهم يحملون شهادة ليسانس، بينما تمثلت نسبة الأفراد المستجوبون و الذين يحملون شهادات من الدراسات العليا 14,3 ٪، وبذلك يتضح أن هناك تنوع في الشهادات المهنية للأشخاص المبحوثين مما يعزز الإجابات المتحصل عليها.

كما نلاحظ بالنسبة لمتغير الخبرة فتمثل نسبة 36,5 ٪ من لديهم خبرة أقل من 10 سنوات، وكانت نسبة 41,3 ٪ للذين يتمتعون بخبرة من 10 إلى 15 سنة، وتمثل نسبة 22,2٪ من يتمتعون بخبرة مهنية تفوق 20 سنة، ويشير هذا إلى أن الدراسة اشتملت على أفراد لهم الخبرة الكافية والقدرة العلمية على ممارسة

أعمال التدقيق وهذا ما يعزز مصداقية إجابات أفراد العينة كونهم على دراية كافية بكل جوانب المهنة.

أما بالنسبة لمتغير عدد العاملين بالمكتب فمثلت نسبة 77,77 ٪ للمكاتب التي تحتوي على أقل من 5 عاملين، ونسبة 15,87٪ للمكاتب التي تحتوي على 5 إلى 10 عاملين، وبالنسبة للمكاتب التي يكون فيها أكثر من 10عاملين فكانت نسبتها 06,4 ٪، وهذا يعتبر عاملا مؤثرا على جودة مهنة التدقيق الخارجي.

4.6. - الاتجاه العام لإجابات العينة على محاور الدراسة:

قصد معرفة الاتجاه العام (المتوسط الحسابي، الانحراف المعياري وأهمية كل عبارة في المحور) لإجابات العينة لكل عبارة في المحور أو للمحور ككل، تم تحليل البيانات الميدانية الممثلة لاختيارات العينة حول عبارات المحور الثاني (R1) والمحور الثالث (R2) باستخدام برنامج (SPSS).

أولا: تحليل محور مدى الالتزام بالمعايير الجزائرية للتدقيق: في هذا المحور سوف نقوم بتسليط الضوء حول مدى التزام محافظي الحسابات بالمعايير الجزائرية للتدقيق، وكذلك مدى كفاية هذه المعايير لأداء مهامهم على أكمل وجه، من خلال صياغة 16 عبارة موجهة إلى عينة الدراسة، وتم التوصل إلى المخرجات التي يصفها الجدول الموالي:

جدول4. الاتجاه العام لإجابات أفراد العينة حول المحور الأول

الرقم	العبارات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الاختيار	أهمية
1	يعالج م.ج.ت رقم 210 كامل الواجبات اللازمة للاتفاق مع الإدارة حول أحكام مهمته.	3,56	0,79	موافق	15
2	يبين م.ج.ت رقم 505 الإجراءات اللازمة التي تساعده على التعامل مع التأكيدات الخارجية كدليل مثبت ومقنع.	4,66	0,54	موافق بشدة	2
3	يلبي م.ج.ت رقم 560 احتياجات المراجع في الجزائر المتعلقة بالأحداث اللاحقة.	4,08	0,59	موافق	8
4	يوضح م.ج.ت رقم 580 بشكل تام كل ما يخص التصريحات الكتابية المحصلة من طرف الإدارة.	3,87	0,72	موافق	12

5	يساعد م.ج.ت رقم 300 المراجع على بناء إستراتيجية عامة و برنامج عمل متناسبين مع أهداف مهامه.	3,63	0,75	موافق	14
6	يعطي م.ج.ت رقم 500 مفهوما واضحا للعناصر المقنعة وكذلك الإجراءات الكافية التي تمكن المراجع من الحصول عليها على أكمل وجه.	4,19	0,61	موافق	7
7	يمكن م.ج.ت رقم 510 المراجع من التعامل مع الأرصدة الافتتاحية في إطار مهمة التدقيق الأولية في البيئة الاقتصادية الجزائرية.	2,98	0,83	محايد	16
8	تبني م.ج.ت رقم 700 يؤدي إلى إعداد تقرير سليم و موحد في الجزائر.	3,92	0,7	موافق	10
9	يقدم م.ج.ت رقم 520 للمراجع شرحا كافيا للإجراءات التحليلية لجمع العناصر المقنعة لتأسيس رأيه.	4,29	0,6	موافق بشدة	5
10	يبين م.ج.ت رقم 570 جميع الإجراءات الواجب اتخاذها حول الأحداث أو الظروف التي من شأنها أن تبعث بشك كبير حول قدرة الكيان على مواصلة استغلاله.	4,33	0,57	موافق بشدة	4
11	يعطي م.ج.ت رقم 610 للمراجع حق الانتفاع بأعمال المدقق الداخلي دون أية حدود.	4,67	0,51	موافق بشدة	1
12	يساعد م.ج.ت رقم 620 المراجع للاستغلال الأمثل لأعمال الخبير دون أية قيود.	4,22	0,61	موافق بشدة	6
13	يعطي م.ج.ت رقم 230 منهجا واضحا للتعامل مع وثائق التدقيق بشكل يتوافق مع القيود القانونية المتعلقة بها.	3,88	0,72	موافق	11
14	يضع م.ج.ت رقم 501 حيز التنفيذ الإجراءات الكافية التي تمكن المراجع من الحصول على العناصر المقنعة الكافية والملائمة حول المخزونات.	4,01	0,58	موافق	9
15	يعطي م.ج.ت رقم 530 الإجراءات المناسبة و الكافية للحصول على قاعدة معقولة يستخرج منها استنتاجات مثالية حول المجتمع الإحصائي.	4,44	0,55	موافق بشدة	3
16	يغطي م.ج.ت رقم 540 جميع الواجبات المرتبطة بالتقديرات المحاسبية للحصول على الأدلة الكافية و الملائمة حول معقوليتها و دلالتها.	3,76	0,73	موافق	13
	المتوسط العام	**4,03**	**0,65**	**موافق**	

المصدر: من إعداد الباحثين بناءً على مخرجات برنامج (SPSS)

بعد ملاحظة اتجاه إجابات العينة على عبارات المحور الثاني (R1) ككل نجد أن قيمة المتوسط الحسابي 4,03 بانحراف معياري 0,65، وبما أن قيمة المتوسط الحسابي تقع ضمن مجال الاختيار موافق (3,40 – 4,19)، ومنه يمكن القول أن الاتجاه العام لإجابات العينة حول المحور الثاني (R1) المتعلق بمدى الالتزام وكفاية المعايير الجزائرية للتدقيق لأداء مهام محافظي الحسابات على أكمل وجه، تمركزت حول الاختيار موافق وبانحراف معياري ضعيف.

ثانيا: تحليل محور موثوقية (التمثيل الصادق) المعلومات المالية: تتطرق الدراسة في هذا العنصر إلى دراسة أراء أفراد العينة فيما يخص دور التزام محافظي الحسابات بالمعايير الجزائرية للتدقيق في تحقيق خواص الموثوقية للمعلومات المالية، وللقيام بذلك سوف نقوم بالتحليل الإحصائي الوصفي من خلال استخدام المتوسط الحسابي، الانحراف المعياري والرتبة لكل عبارة وأهميته، حيث تم تقسيم هذا المحور إلى أربعة محاور فرعية كالتالي:

- **تحليل مدى التزام محافظ الحسابات بالمعايير الجزائرية للتدقيق ودوره في تحقيق خاصية التمثيل الصادق للمعلومات المالية:** وبعد تحليل البيانات الميدانية تم التوصل للمخرجات التالية:

جدول5. الاتجاه العام لإجابات أفراد العينة حول المحور الفرعي الأول

الرقم	العبارات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الاختيار	أهمية
1	هناك حرص على وجود درجة عالية من التطابق بين المعلومات والأحداث المراد التقرير عنها.	4.71	0.45	موافق بشدة	2
2	يتم الإهتمام بصدق تمثيل جوهر المعلومات أكثر من الجانب الشكلي.	4.61	0.72	موافق بشدة	3
3	يتم التأكد من عدم وجود أي تحيز في عملية القياس سواء أكانت مقصودة او غير مقصودة.	4.82	0.38	موافق بشدة	1
4	يتم التأكد من إعتبارات الأهمية النسبية وما تستلزمه من وجوب دراسة جدوى المعلومة قبل قياسها والإفصاح عنها.	3.93	0.59	موافق	5

5	تساهم المعايير الجزائرية للتدقيق في الكشف عن عدم الصدق في التمثيل عن المعلومات المالية.	4.42	0.38	موافق بشدة	4
	المتوسط العام	**4.49**	**0.50**	**موافق بشدة**	

المصدر: من إعداد الباحثين بناءً على مخرجات برنامج (SPSS)

بعد ملاحظة اتجاه إجابات العينة على عبارات المحور الفرعي الأول نجد أن قيمة المتوسط الحسابي 4.49 بانحراف معياري 0.50، وبما أن قيمة المتوسط الحسابي تقع ضمن مجال الاختيار موافق بشدة (4,20 – 5,00)، ومنه يمكن القول أن الاتجاه العام لإجابات العينة حول المحور المتعلق بأثر التزام محافظ الحسابات بالمعايير الجزائرية للتدقيق في تحقيق خاصية الصدق في التمثيل، تمركزت حول الاختيار موافق بشدة وبانحراف معياري ضعيف.

• تحليل مدى التزام محافظ الحسابات بالمعايير الجزائرية للتدقيق ودوره في تحقيق خاصية الحياد للمعلومات المالية: وبعد تحليل البيانات الميدانية تم التوصل للمخرجات التالية:

جدول6. الاتجاه العام لإجابات أفراد العينة حول المحور الفرعي الثاني

الرقم	العبارات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الاختيار	أهمية
1	يتم التأكد من أن المعلومات تقدم حقائق صادقة دون حذف، أو انتقاء للمعلومات لمصلحة فئة أو قرار معين.	4.49	0.39	موافق بشدة	3
2	يتم التحقق من توصيل البيانات والمعلومات التي تحتويها التقارير و القوائم المالية إلى كافة المستخدمين بعدد غير محدود وغير معروف من المستخدمين.	1.13	0.82	غير موافق بشدة	5
3	يمكن الكشف عن إخفاء المعلومات المحاسبية عن دائرة ضريبة الدخل لخدمة مصالح أصحاب المنشأة.	4.76	0.56	موافق بشدة	2
4	يتم الكشف عن إستخدام المعالجات المحاسبية التي تضخم الأرباح بشكل مقصود لخدمة الإدارة.	4.88	0.61	موافق	1
5	تساهم المعايير الجزائرية للتدقيق في الكشف عن عدم توفر خاصية الحياد للمعلومات المالية	3.52	0.40	موافق	4
	المتوسط العام	**3.76**	**0.55**	**موافق**	

المصدر: من إعداد الباحثين بناءً على مخرجات برنامج (SPSS)

بعد ملاحظة اتجاه إجابات العينة على عبارات المحور الفرعي الثاني نجد أن قيمة المتوسط الحسابي 3.76 بانحراف معياري 0.55، وبما أن قيمة المتوسط الحسابي تقع ضمن مجال الاختيار موافق بشدة (3,40 – 4,19)، ومنه يمكن القول أن الاتجاه العام لإجابات العينة حول المحور المتعلق بأثر التزام محافظ الحسابات بالمعايير الجزائرية للتدقيق في تحقيق خاصية الحياد للمعلومات المالية، تمركزت حول الاختيار موافق وبانحراف معياري ضعيف.

• تحليل مدى التزام محافظ الحسابات بالمعايير الجزائرية للتدقيق ودوره في تحقيق خاصية القابلية للإثبات للمعلومات المالية: وبعد تحليل البيانات الميدانية تم التوصل للمخرجات التالية:

جدول7. الاتجاه العام لإجابات أفراد العينة حول المحور الفرعي الثالث

الرقم	العبارات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الاختيار	أهمية
1	يتم التحقق من أن المعلومات المالية المفصح عنها في القوائم المالية تتسم بالموضوعية، ويمكن التحقق من صحتها.	4.49	0.39	موافق بشدة	3
2	هناك قابلية للتحقق المباشر من القيمة أو من أي بند معين بالمشاهدة المباشرة.	1.13	0.82	موافق بشدة	5
3	يتم التأكد من مدخلات نماذج القياس المحاسبي، واعادة إحتساب المخرجات باستخدام نفس الأساليب والمنهجية في الإحتساب.	4.76	0.56	موافق بشدة	2
4	يتم التثبيت من المقاييس ذاتها والتثبت من صحة التطبيق لطريقة القياس.	4.88	0.61	موافق	1
5	تلعب المعايير الجزائرية للتدقيق دورا متميزا في الكشف عن عدم توفر خاصية القابلية للإثبات للمعلومات المالية.	3.52	0.40	موافق	4
	المتوسط العام	**4.61**	**0.46**	**موافق بشدة**	

المصدر: من إعداد الباحثين بناءً على مخرجات برنامج (SPSS)

بعد ملاحظة اتجاه إجابات العينة على عبارات المحور الفرعي الثالث نجد أن قيمة المتوسط الحسابي 4.61 بانحراف معياري 0.46، وبما أن قيمة المتوسط الحسابي تقع ضمن مجال الاختيار موافق بشدة (4,20 – 5,00)، ومنه يمكن

القول أن الاتجاه العام لإجابات العينة حول المحور المتعلق بأثر التزام محافظ الحسابات بالمعايير الجزائرية للتدقيق في تحقيق خاصية القابلية للإثبات للمعلومات المالية، تمركزت حول الاختيار موافق بشدة وبانحراف معياري ضعيف.

- **تحليل مدى تأثير إعداد تقرير محافظ الحسابات وفق المعيار الجزائري للتدقيق رقم _700_ على موثوقية المعلومات المالية:** وبعد تحليل البيانات الميدانية تم التوصل للمخرجات التالية:

جدول8. الاتجاه العام لإجابات أفراد العينة حول المحور الفرعي الرابع

الرقم	العبارات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الاختيار	أهمية
1	تقرير محافظ الحسابات يبين أن المعلومات المالية تمثل بصدق الظراهر والأحداث دون أي تحيز أو العكس.	4.83	0.52	موافق بشدة	2
2	رأي محافظ الحسابات غير المعدل يعني أن المعلومات المالية تقدم حقائق صادقة دون حذف أو انتقاء للمصلحة.	4.75	0.70	موافق بشدة	3
3	رأي محافظ الحسابات المعدل معناه أن المعلومات المالية لا تتسم بالموضوعية.	4.26	0.39	موافق بشدة	6
4	تقرير محافظ الحسابات يقلل من فرص والغش في المعلومة المالية.	4.51	0.66	موافق بشدة	4
5	يسمح تقرير محافظ الحسابات بزيادة درجة الثقة للمعلومات المالية المفصح عنها في القوائم المالية.	4,44	0.41	موافق بشدة	5
6	يؤثر اعداد تقرير محافظ الحسابات حسب م.ج.ت رقم 700 على جودة هذا التقرير ومنه على موثوقية المعلومات المالية.	4.93	0.23	موافق بشدة	1
المتوسط العام		**4.62**	**0.48**	**موافق بشدة**	

المصدر: من إعداد الباحثين بناءً على مخرجات برنامج (SPSS)

بعد ملاحظة اتجاه إجابات العينة على عبارات المحور الفرعي الرابع ككل نجد أن قيمة المتوسط الحسابي 4.62 بانحراف معياري 0.48، وبما أن قيمة المتوسط الحسابي تقع ضمن مجال الاختيار موافق بشدة (4,20 – 5,00)، يمكن

القول أن الاتجاه العام لإجابات العينة حول المحور المتعلق بمدى تأثير إعداد تقرير محافظ الحسابات وفق المعيار الجزائري للتدقيق رقم _700_ على موثوقية المعلومات المالية، تمركزت حول الاختيار موافق بشدة وبانحراف معياري ضعيف.

خامسا: حساب معامل الارتباط (Pearson) بين محوري الدراسة R1 وR2:

وذلك لدراسة الارتباط بين محور الدراسة (R1) والمحاور الفرعية الأربعة للمتغير التابع من جهة، وبين المتغير المستقل (R1) والمتغير التابع (R2) من جهة أخرى، فكانت النتائج كما يلي:

جدول9. معامل الارتباط بين متغيرات الدراسة (Pearson)

	معامل بيرسون (r)	مستوى المعنوية (sig)
الارتباط الجزئي بين الالتزام بالمعايير الجزائرية للتدقيق والصدق في التمثيل(r1).	0,874	0.00
الارتباط الجزئي بين الالتزام بالمعايير الجزائرية للتدقيق والحياد (r2).	0,876	0.00
الارتباط الجزئي بين الالتزام بالمعايير الجزائرية للتدقيق والقابلية للاثبات (r3).	0,798	0.00
الارتباط الجزئي بين الالتزام بالمعيار الجزائري للتدقيق رقم 700 وموثوقية المعلومة المالية(r4)	0,945	0.00
الارتباط الكلي بين الالتزام بالمعايير الجزائرية للتدقيق وموثوقية المعلومات المالية (r).	**0.877**	**0.00**

المصدر: من إعداد الباحثين بناءً على مخرجات برنامج (SPSS)

من خلال الجدول نلاحظ أن قيم معاملات الارتباط الجزئية بين محور الدراسة (R1) والمحاور الفرعية للمتغير التابع (R2) كلها أكبر من القيمة 0.5 وبمستوى معنوية أقل من0.05، بمعنى أن هناك علاقة طردية بين المتغير المستقل وباقي المتغيرات الفرعية للمتغير التابع.

كما نلاحظ أيضا من خلال الجدول أن مستوى المعنوية يكاد يقترب من الصفر بمعنى أنه أقل من 0.05، وبالتالي نرفض فرضية العدم ونقبل الفرضية البديلة أي يوجد ارتباط ذو معنوية إحصائية بين محوري الدراسة (R1) و(R2)،

وكذلك نجد أن معامل الارتباط (Pearson) بين محوري الدراسة (R1) و(R2) مساوي للقيمة 0.877، وهي تقع في المجال الأكبر من 0,5 بالموجب، وبالتالي يمكن القول أن العلاقة بين متغيري الدراسة (R1) و(R2) علاقة طردية قوية، بمعنى أنه كلما زاد الالتزام بالمعايير الجزائرية للتدقيق زاد مستوى الثقة للمعلومات المالية الموجودة في القوائم المالية.

إذا بالنسبة للفرضية الرئيسية التي تفيد بأنه: "**لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية لالتزام محافظ الحسابات بالمعايير الجزائرية للتدقيق على موثوقية المعلومات المالية**"، فنرفض فرضية العدم H0 ونقبل الفرضية البديلة H1 التي تقضي بوجود علاقة ارتباط طردية قوية بين الالتزام بالمعايير الجزائرية للتدقيق من قبل محافظي الحسابات وموثوقية المعلومات المالية.

سابعا: اختبار فرق المتوسطين (t. Student)

بما أن حجم العينة 63 أي أنه أكبر من القيمة 30 فإنه حسب العديد من المراجع العلمية المتخصصة في هذا المجال يمكن اعتبار أن بيانات محوري الدراسة (R1) و(R2) تتبع التوزيع الطبيعي تلقائيا، إذا قصد معرفة مدى تأثير خصائص عينة الدراسة التي تحتمل اختيارين على إجابات العينة حول محوري الدراسة (R1) و(R2)، نستخدم اختبار فرق المتوسطين (t. Student) المتوفر في برنامج spss بحيث نضع الفرضيتين:

- فرضية العدم (H_0): لا يوجد تأثير للمتغيرات الوصفية (الجنس) على إجابات العينة حول عبارات محوري الدراسة (R1) و(R2)، وتقبل هذه الفرضية لما يكون مستوى المعنوية (sig) أكبر من 0,05.
- فرضية البديل (H_1): يوجد تأثير للمتغيرات الوصفية (الجنس) على إجابات العينة حول عبارات محوري الدراسة (R1) و(R2)، وتقبل هذه الفرضية لما يكون مستوى المعنوية (sig) أقل من 0,05.

بالاعتماد على برنامج (SPSS) كانت نتائج لهذا الاختبار كما يلي:

جدول10. نتائج اختبار (t. Student)

المحور	قيمة t المحسوبة	درجة الحرية	مستوى المعنوية
R1	2.04	62	0.421
R2	2.14	62	0.316

المصدر: من إعداد الباحثين بناءً على مخرجات برنامج (SPSS)

من خلال الجدول السابق نلاحظ أن قيم مستوى المعنوية المتعلقة بتأثير متغير الجنس على إجابات العينة حول عبارات المحورين (R1، R2) أكبر من القيمة 0,05، وبالتالي نقبل الفرضية (H_0)، بمعنى لا يوجد تأثير لمتغير الجنس على إجابات العينة حول عبارات المحورين (R1، R2).

ثامنا: اختبار فرق المتوسطات (ANOVA one way)

بما أن حجم العينة المساوي للقيمة 63 أكبر من القيمة 30 فإنه حسب العديد من المراجع العلمية المتخصصة في هذا المجال يمكن اعتبار أن بيانات محوري الدراسة (R1) و(R2) تتبع التوزيع الطبيعي تلقائيا، إذا قصد معرفة مدى تأثير خصائص عينة الدراسة التي تحتمل أكثر من اختيارين (المؤهل العلمي، الخبرة، عدد العاملين في المكتب) على إجابات العينة حول محوري الدراسة (R1) و(R2) نضع الفرضيتين:

- فرضية العدم (H_0): لا يوجد تأثير للمتغيرات الوصفية (المؤهل العلمي، الخبرة، عدد العاملين في المكتب) على إجابات العينة حول محوري الدراسة (R1) و(R2)، وتقبل هذه الفرضية لما يكون مستوى المعنوية (sig) أكبر من 0,05.
- فرضية البديل (H_1): يوجد تأثير للمتغيرات الوصفية (المؤهل العلمي، الخبرة، عدد العاملين في المكتب) على إجابات العينة حول محوري الدراسة (R1) و(R2)، وتقبل هذه الفرضية لما يكون مستوى المعنوية (sig) أقل من 0,05.

بالاعتماد على برنامج (SPSS) كانت النتائج لهذا الاختبار بخصوص متغير المؤهل العلمي كما يلي:

جدول11. نتائج اختبار (ANOVA one way)لمتغير المؤهل العلمي

المحور	قيمة F المحسوبة	مستوى المعنوية
R1	1.81	0.614
R2	1.61	0.511

المصدر: من إعداد الباحثين بناءً على مخرجات برنامج (SPSS)

من خلال الجدول السابق نلاحظ أن قيم مستوى المعنوية المتعلقة بتأثير متغير المؤهل العلمي على إجابات العينة حول عبارات المحورين (R1، R2) أكبر من القيمة 0,05، وبالتالي نقبل الفرضية (H_0)، بمعنى لا يوجد تأثير لمتغير المؤهل العلمي على إجابات العينة حول عبارات المحورين (R1، R2).

وبالاعتماد على برنامج (SPSS) كانت النتائج لهذا الاختبار بخصوص متغير الخبرة كما يلي:

جدول12. نتائج اختبار (ANOVA one way)لمتغير الخبرة

المحور	قيمة F المحسوبة	مستوى المعنوية
R1	2,13	0.227
R2	1.95	0.298

المصدر: من إعداد الباحثين بناءً على مخرجات برنامج (SPSS)

من خلال الجدول السابق نلاحظ أن قيم مستوى المعنوية المتعلقة بتأثير متغير الخبرة على إجابات العينة حول عبارات المحورين (R1، R2) أكبر من القيمة 0,05، وبالتالي نقبل الفرضية (H_0)، بمعنى لا يوجد تأثير لمتغير الخبرة على إجابات العينة حول عبارات المحورين (R1، R2).

وبالاعتماد على برنامج (SPSS) كانت النتائج لهذا الاختبار بخصوص متغير عدد العاملين بالمكتب كما يلي:

جدول13. نتائج اختبار (ANOVA one way) لمتغير عدد العاملين بالمكتب

المحور	قيمة F المحسوبة	مستوى المعنوية
R1	2.40	0.712
R2	2.01	0.340

المصدر: من إعداد الباحثين بناءً على مخرجات برنامج (SPSS)

من خلال الجدول السابق نلاحظ أن قيم مستوى المعنوية المتعلقة بتأثير متغير عدد العاملين بالمكتب على إجابات العينة حول عبارات المحورين (R1، R2) أكبر من القيمة 0,05، وبالتالي نقبل الفرضية (H_0)، بمعنى لا يوجد تأثير لمتغير عدد العاملين بالمكتب على إجابات العينة حول عبارات المحورين (R1، R2).

الخاتمة:

بعد القيام بهذه الدراسة بجانبيها النظري والميداني بالتطبيق على عينة من محافظي الحسابات في الشرق الجزائري، تم التوصل إلى مجموعة من النتائج نوجزها فيما يلي:

- إن التزام محافظ الحسابات بالمعايير الجزائرية للتدقيق سوف يساهم بشكل كبير في تحقيق ميزة الموثوقية للمعلومات المالية المعروضة في القوائم المالية، وهذا حسب الأدوات الإحصائية التي أثبتت وجود علاقة ارتباط طردية قوية بين هذين المتغيرين، فبعد تشخيص الخصائص النوعية التي تمكن من الوصول بالمعلومة المالية إلى درجة الموثوقية، تم إدراك أنه يمكن تحقيق جزء كبير منها بالتزام محافظ الحسابات بالمعايير الجزائرية للتدقيق، **وهذه إجابة على إشكالية الدراسة**؛
- توصلت الدراسة إلى أن لدى محافظي الحسابات القدرة على تحقيق خاصية التمثيل الصادق للمعلومة المالية بالتزامهم بالمعايير الجزائرية للتدقيق باعتبارها خطط استرشادية لأداء مهامهم على أكمل وجه، واعتبروا ذلك مرتبط بإمكانية التأكد من عدم وجود أي تحيز في عملية القياس سواء أكانت مقصودة أو غير مقصودة بالدرجة الأولى، بالإضافة إلى الحرص على التطابق الفعلي بين المعلومات والأحداث، وصدق تمثيل جوهر هذه الأخيرة للواقع، **وهنا تجيب الدراسة على السؤال الفرعي الأول**؛
- بالنسبة لدور محافظ الحسابات في تحقيق خاصية الحياد للمعلومة المالية، توصلت الدراسة إلى أن العينة المبحوثة على استطاعة لتحقيق ذلك من خلال الكشف عن استخدام المعالجات المحاسبية التي تضخم الأرباح مثلا بشكل

مقصود لخدمة الإدارة بالدرجة الأولى، بالإضافة إلى الكشف عن كل ما يحول دون تحقيق هذه الخاصية من حذف أو انتقاء أو إخفاء للمعلومات، وهذا ما يثبت مساهمة المعايير الجزائرية للتدقيق في تحقيق أحد خصائص الموثوقية للمعلومة المالية، **وفي هذه النتيجة إجابة على السؤال الفرعي الثاني للدراسة**؛

- بالنسبة لدور محافظ الحسابات في تحقيق خاصية القابلية للإثبات للمعلومة المالية، تبين جليا أن المدققين على استعداد تام لتحقيق هذه الميزة، من خلال التحقق من موضوعية المعلومات بالدرجة الأولى، بالإضافة إلى التأكد من مدخلات ومخرجات نماذج القياس المحاسبي، وثبات الطرق والأساليب عند عمليات القياس، **وفي هذه النتيجة إجابة على السؤال الفرعي الثالث للدراسة**؛
- بالنسبة تأثير إعداد تقرير محافظ الحسابات وفق المعيار الجزائري للتدقيق رقم _700_ على موثوقية المعلومات المالية، تبين أن تقرير التدقيق له دور جد كبير في مدى موثوقية المعلومات المالية المعروضة في القوائم المالية، فالتقرير الغير معدل دليل كاف حول نزاهة وصدق هذه المعلومات، ويمكن القول أن الاعتماد عليها متوقف في الأخير على التقرير الصادر حولها، **وفي هذه النتيجة إجابة على السؤال الفرعي الرابع للدراسة**؛

التوصيات: على ضوء النتائج السابقة نقدم مجموعة من التوصيات للمؤسسة كما يلي:

- لابد أن تولى أهمية بالغة عند التوظيف، وكذلك مراعاة التخصص العلمي والمستوى التعليمي، حتى يتسنى لمحافظي الحسابات فهم المعايير ومن ثم تطبيقها بشكل مناسب؛
- يجب إتمام إصدار بقية المعايير الجزائرية للتدقيق ليتسنى لمحافظي الحسابات الحصول على مرشدا موحدا، الذي يمكنهم من الاستغلال الأمثل لتلك التي نصت عليها معايير التدقيق الدولية ولم تنص عليها المعايير الجزائرية للتدقيق؛

- **وضع القوانين والتشريعات المنظمة للمهنة بالشكل الذي يتناسب مع المعايير وأن يتم مراجعتها للتأكد من مواكبتها للتغيرات في احتياجات التدقيق الخارجي؛**
- **القيام بتخصيص دورات تكوينية لمحافظي الحسابات لتوضيح المعايير الجزائرية للتدقيق، مع الأخذ بعين الاعتبار المناهج التكوينية الدولية وكذلك مناهج التكوين المعتمدة لدى الدول المتقدمة في المهنة.**

قائمة المراجع:

المراجع باللغة العربية:

- بن الدين أمحمد، عوماري عائشة، وعوماري فاطمة (2017)، **أثر تطبيق التدقيق وفق معايير التدقيق الدولية في تحسين جودة المعلومة المالية في المؤسسات البنكية _دراسة لمجموعة من البنوك في الجزائر_** ، مجلة الدراسات الاقتصادية المعاصرة، المسيلة -الجزائر، المجلد 02، العدد 04، ص ص 97 -110.
- الجيار أحمد عبد الهادي (2017)، **المراجعة الداخلية للبنوك والمؤسسات الاقتصادية، مكتبة الوفاء القانونية، الإسكندرية**، الطبعة الأولى، ص 27.
- خالد أمين عبد الله (2007)، **علم تدقيق الحسابات_الناحية النظرية والعملية_**، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الرابعة، ص 13.
- طواهر محمد التهامي، صديقي مسعود (2005)، **المراجعة وتدقيق الحسابات الإطار النظري والممارسة التطبيقية**، ديوان المطبوعات الجامعية الطبعة الثانية، الجزائر، ص30.
- عوماري عائشة، حميميش نرجس (2017)، **أثر التدقيق الخارجي على جودة المعلومة المالية _دراسة ميدانية ببنك الفلاحة والتنمية الريفية BADR بأدرار_**، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، غرداية -الجزائر، المجلد 10، العدد 2، ص ص 639 -660.
- القانون رقم 01/10 (29 يونيو 2010)، المتعلق بمهن الخبير المحاسبي و محافظ الحسابات و المحاسب المعتمد، الجريدة الرسمية الجزائرية، العدد 11/42 يوليو 2010، المادة 22، ص 07.
- لبوز نوح ، بوعلاق مبارك (2019)، **تأثر تطبيق المعايير الجزائرية للتدقيق في جودة تقارير محافظ الحسابات _دراسة ميدانية لعينة من المهنيين لسنة 2018_**، مجلة إضافات اقتصادية، غرداية -الجزائر، المجلد 03، العدد 02، ص ص 08 -25.
- وزارة المالية، المقرر رقم 002 المؤرخ في 04 فيفري 2016، المتضمن المعايير الجزائرية للتدقيق (210 -505 -560 -580).

• وزارة المالية، المقرر رقم 150 المؤرخ في 11 أكتوبر 2016، المتضمن المعايير الجزائرية للتدقيق(300 -500 -510 -700).

• وزارة المالية، المقرر رقم 23 المؤرخ في 15 مارس 2017، المتضمن المعايير الجزائرية للتدقيق (520 -570 -610 -620).

• وزارة المالية، المقرر رقم 77 المؤرخ في 24 سبتمبر 2018، المتضمن المعايير الجزائرية للتدقيق (230 -501 -530 -540).

المراجع باللغة الأجنبية:

• International Accounting Standards Board (2010), **Conceptual Framework for Financial Reporting**, Statement of Financial Accounting Concepts No.8, Document available on the link: https://www.fasb.org/jsp/FASB/Document_C/DocumentPage?cid=1176157498129&acceptedDisclaimer=true. Date of view 03/05/2021.

مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ر ت م د: 7163 -1112 ر ت م د إ:2588-1892
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2

سياسات الدولة الجزائرية في تمويل مؤسساتها الاقتصادية جبائيا – عرض وتحليل لآليات التمويل الجبائي للمؤسسات الصغيرة و المتوسطة –

The Algerian state's policies in fiscally financing its economic institutions -Presentation and analysis of tax financing mechanisms for small and medium enterprises

أحمد بساس[1]، محمد دوة[2]

1- جامعة عمار ثليجي الأغواط bessasahmed2015@gmail.com

2- جامعة عمار ثليجي الأغواط lagnet.19@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/04/18 تاريخ القبول: 2020/12/09

الملخص –

في إطار مخطط دعم التنمية الاقتصادية وتطبيق برنامج الحكومة الرامي لمكافحة البطالة و اللاستقرار الاقتصادي ، وضعت الدولة أجهزة تدعم خلق الأنشطة ، تتجسد هذه الديناميكية في تعزيز إجراءات تأطير المؤسسات من خلال أجهزة المساعدة على إنشاء مناصب الشغل كالوكالة الوطنية لتطوير الاستثمار والصندوق الوطني لدعم تشغيل الشباب ، كما ترجمت جهود الدولة لتمويل مشاريع الاستثمار من خلال تخصيص موارد ميزانية ضخمة و هذا بمنح مجموعة من المزايا الضريبية لفائدة المستثمرين متمثلة في العديد من الإعفاءات الجبائية و الجمركية ، و أخذا بعين الاعتبار لأهمية هذا الموضوع الذي يمس آلاف المشاريع ، اعتبرنا أنه من المناسب أن نخصص هذا المقال لتحديد سياسات الدولة الجزائرية في تمويل مؤسساتها الاقتصادية الصغيرة و المتوسطة من المنظور الجبائي.

المؤلف المرسل: أحمد بساس: bessasahmed2015@gmail.com

الكلمات المفتاحية : آليات تمويل جبائية ، مؤسسات صغيرة و متوسطة ، تحفيزات جبائية ، تكاليف جبائية ، مشاريع الاستثمار.

Abstract-

Within the framework of the plan to support economic development and the implementation of the government's program aimed at combating unemployment and economic instability, the state has put in place devices that support the creation of activities. This dynamic is embodied in strengthening procedures for framing institutions through agencies to help create jobs such as the National Agency for Investment Development and the National Fund to Support Youth Employment, as well as The efforts of the state to finance investment projects have been translated by allocating huge budgetary resources by granting a set of tax benefits for the benefit of investors represented in many tax and customs exemptions, and taking into account the importance of this topic, which affects thousands of projects, we considered it appropriate to devote this article To define the Algerian state's policies in financing its small and medium economic institutions from a tax perspective.

Keywords-

Fiscal Financing Mechanisms, Small And Medium Enterprises, Tax incentives, Tax costs, Investment Projects.

1-المقدمة

أصبحت الضرائب تُشكل حيزا مهما و كبيرا في الحياة الاقتصادية ، فهي تؤثر بشكل مباشر في النشاط الاقتصادي و تتدخل كعامل أساسي في الاستثمار و ذلك من خلال دور الدولة في استعمال هذه الأداة بما يتماشى و سياستها الاقتصادية ، ففي الجزائر تعتبر المؤسسات الصغيرة و المتوسطة من أكبر المستفيدين في هذا الجانب باعتبارها تلعب دورا رائدا في تنمية الاقتصاد الوطني ، و بذلك فقد استفادت من جملة من الحوافز الضريبية تضمنها التشريع الضريبي منحت الدولة من خلاله دعم كامل لمجموعة من المؤسسات و الوكالات المختصة في دعم المؤسسات الصغيرة و المتوسطة كالوكالة الوطنية

لتطوير الاستثمار (ANDI) ، الصندوق الوطني لدعم تشغيل الشباب (FNSEJ) ، الصندوق الوطني لدعم القرض المصغر(FNSMC) و الصندوق الوطني للتأمين على البطالة(CNAC) و هو ما ساهم و يساهم في دعم و ترقية هذه المؤسسات و نموها و تطورها من سنة لأخرى.

و بما أن الاهتمام بالاستثمار من شأنه الوصول بالاقتصاد الوطني إلى تنمية شاملة ومتكاملة لذلك تعمل الجزائر على تعزيز موقع الاستثمار في سلم الاقتصاد الوطني وجعله من الأولويات، حيث أصدرت عدة قوانين للاستثمار تهدف من خلالها إلى تشجيع هذا الأخير والنهوض به ، لذا يُشكل التحفيز الجبائي إحدى الأساليب المستخدمة من طرف الدولة من أجل تحقيق مساعيها ، وذلك من خلال المزايا الضريبية والتسهيلات والضمانات التي تعمل على حث المؤسسات بما في ذلك المؤسسات الصغيرة و المتوسطة على المبادرة بالاستثمار و تشجيعه .

و قد اعتمدت الجزائر على سياسة التحفيز الجبائي من خلال مختلف قوانين الاستثمار الصادرة منذ الاستقلال وذلك من أجل التأثير على نشاط المؤسسة و حثها على الاستثمار في القطاعات و المناطق المرغوب فيها وفق السياسة العامة للدولة ، فرغم أن الاستثمار يتطلب دراسة المشروع ماليا ثم اقتصاديا واجتماعيا ودراسة المحيط الخاص به ، ودراسة المخاطر، إلا أن إجراءات التحفيز الضريبي يبقى له الدور الأهم في قدرته على تحقيق الربحية وتوفير المحيط الملائم والحد من المخاطر وبالنهاية دعم التنمية الاقتصادية والاقتصاد الوطني ككل.

و من أجل ذلك نسعى من خلال هذا المقال إلى التعرض لأهمية الأدوات الضريبية كإحدى الإستراتيجيات الفعالة بيد الدولة الجزائرية من أجل تمويل مؤسساتها الصغيرة و المتوسطة ، و هذا بالإجابة على الإشكالية التالية:

كيف تساهم السياسة الجبائية في الجزائر في تمويل المؤسسات الصغيرة و المتوسطة؟

أ - فرضيات البحث

- وجود تأثير للعامل الجبائي في صناعة قرار التمويل بالمؤسسات الصغيرة و المتوسطة؛
- وجود تأثير للتحفيز الجبائي على نشاط المؤسسة و حثها على الاستثمار؛
- المزايا الجبائية الممنوحة ذات أهداف محددة و تخضع لمنطق الرشادة.

ب - أهـداف البحـث

تتجلى الأهداف المرجوة من هذا البحث في الآتي:

- التعريف بمصطلح التكاليف الجبائية و أهم مكوناتها ؛
- إبراز أهمية التحفيزات الجبائية لكل من الدولة و المستثمرين؛
- إبراز آثار و مكاسب المؤسسة من توظيف العامل الجبائي في صناعة قرار التمويل؛
- معرفة آليات التمويل الجبائية غير الذاتية للمؤسسات الصغيرة و المتوسطة؛
- معرفة آليات التمويل الجبائية الذاتية للمؤسسات الصغيرة و المتوسطة؛
- إبراز سياسة إعادة جدولة الديون الجبائية للمؤسسات كتمويل إضافي لها.

ومن اجل الإجابة على هذه الإشكالية قمنا بتقسيم هذا المقال للعناصر التالية

- ❖ أثار و مكاسب المؤسسة من توظيف العامل الجبائي في صناعة قرار التمويل.
- ❖ عرض آليات التمويل الجبائية غير الذاتية للمؤسسات الصغيرة و المتوسطة.
- ❖ عرض آليات التمويل الجبائية الذاتية للمؤسسات الصغيرة و المتوسطة.
- ❖ إعادة جدولة الديون الجبائية للمؤسسات كتمويل إضافي لها.
- ❖ دراسة تكاليف التحفيزات الجبائية خلال الفترة 2007-2014

2- أثار و مكاسب المؤسسة من توظيف العامل الجبائي في صناعة قرار التمويل

2-1- أثار العامل الجبائى على صناعة قرار تمويل المؤسسات الصغيرة و المتوسطة

إن إلمام المسير بالتشريعات الجبائية و توظيف ذلك في العملية التسييرية يمكنه من أخذ صورة واضحة على مصادر التمويل المختلفة و المزايا الضريبية التي تحققها المؤسسة من اختيارها لأي منها ، و التي على أساسها تتم المفاضلة بينها أو اختيار مزيج منها.

2-1-1- الأرباح الصافية غير الموزعة : و هي الأرباح المتبقية بعد اقتطاع الضريبة و يمكن للمسير أن يساهم في رفع نصيب المؤسسة منها من استغلال :

- الإعفاءات الجبائية الممنوحة للضريبة على المداخيل و الأرباح من خلال استيفاء شروط الاستفادة منها؛

- فرصة الاحتفاظ بالربح و عدم توزيعه ؛

- يمكن (مبروكة حجار، 2006، ص 97) [1] تفادي توزيع الأرباح كلما كانت معدلات الضريبة مرتفعة و بالتالي زيادة فرص التمويل الذاتي.

2-1-2-الأسهم : إن ما يغري المسير على اختيار هذا المصدر التمويلي هو علمه بأن التشريع الجبائي لا يُخضع الأرباح للضريبة إلا بعد توزيعها على المساهمين ، و أثناء الفترة التي تكون فيها المؤسسة غير ملزمة بتوزيع الأرباح ، فإن الأرباح غير الموزعة تتحول إلي مصدر للتمويل الذاتي و لو مؤقتا من خلال تدعيم خزينتها بهامش سيولة يمكنها من الوفاء بالتزاماتها و يقلل من الضغوط التي قد تتعرض لها ، كما تعفى فوائض (المديرية العامة للضرائب ، 2020 ، المادة 104 ، ص 25) * القيم الناتجة عن التنازل عن الأسهم من الضريبة عندما يُعاد استثمار مبالغها و هذا ما يمكن المؤسسة من زيادة القدرة التمويلية لها.

2-1-3-الإهتلاكات : إن أهمية العامل الضريبي لا تقتصر فقط على سماح التشريعات بخصم أقساط الإهتلاك من نتيجة الاستغلال و ما ينجم عن ذلك من موارد مالية تسمح بالتمويل الذاتي لعملية تجديد الاستثمارات ، و إنما تمتد

الأهمية إلي أنظمة الإهتلاك التي يتبناها النظام الضريبي ، فوجود العديد من أنظمة الإهتلاك يتيح للمسير اختيار النظام الأكثر ملائمة لظروف المؤسسة.

2-1-4-القروض : إن لجوء المؤسسة إلى القروض المختلفة كمصدر للتمويل قد يحقق لها بعض الوفرات الضريبية نتيجة سماح التشريعات بخصم فوائد القروض عند تحديد الأوعية الضريبية مما يُقلص هذه الأخيرة و ينجم عن ذلك التقليل في حجم الضريبة ، و هذا ما يُميزه عن الأموال الخاصة ، كما أن هذا المصدر قد يحقق للمؤسسة المزايا التالية:

- الاقتراض أقل مصادر التمويل تكلفة بالمفهوم الجبائي نتيجة ما ينجم عنه من وفرات ضريبية؛
- عدم تغير معدلات الفائدة تبعا لمستويات الأرباح ؛
- انخفاض تكاليف التعاقد مقارنة بتكاليف إصدار الأسهم ؛

غير أنه عند اختيار هذا المصدر التمويلي لا بد من أخذ بعين الاعتبار المخاطر التي قد تترتب عليه مثل :

- ❖ - تعرض المؤسسة إلى خطر الإفلاس في حالة عجزها عن الوفاء بديونها ؛
- ❖ - الاعتماد على القروض يتطلب قدر كاف من السيولة للوفاء بها في تواريخ استحقاقها ؛
- ❖ - القروض الطويلة غير متاحة لجميع المؤسسات.

2-1-5-المؤونات : إن المؤونة غير المحققة (مبروكة حجار، 2006، ص 95) [3] هي التي تساهم في التمويل الذاتي للمؤسسة ، أما المؤونة المحققة فإضافة إلى تغطيتها للخسائر فإنها تساهم في تحقيق وفرات ضريبية نتيجة معاملتها كعبء قابل للخصم عند تحديد أساس الضريبة على المداخيل والأرباح.

2-2- مكاسب المؤسسة من توظيف العامل الجبائي في صناعة قرار التمويل

إن اهتمام المؤسسة بتسيير جبايتها و أخذ المسير للعامل الجبائي بعين الاعتبار في قراراته الهادفة إلى توفير الأموال اللازمة لتمويل المؤسسة و من مصادرها المختلفة يحقق للمؤسسة المكاسب التالية :

2-2-1- تنويع مصادر التمويل : حتى يكون اختيار مصدر التمويل سليما ، يجب أن يكون المسير على دراية بكل مصادر التمويل المتاحة و تكاليف الحصول عليها لتأتي بعد ذلك مرحلة المفاضلة بينها ، و بما أن الضريبة تؤثر في مختلف مصادر التمويل ، مما يُتيح للمسير إمكانية اختيار توليفة من مصادر التمويل المختلفة تُحقق للمؤسسة وُفرات ضريبية و تدعم قدرتها التمويلية.

2-2-2- تدنية تكاليف التمويل : إن استعمال الأموال من طرف المؤسسة سواء كان مصدرها داخليا أم خارجيا لا يكون مجانيا ، و إنما تتحمل المؤسسة مقابل ذلك تكلفة يطلق عليها تكلفة رأس المال تتمثل في تكلفة المزيج الذي يتكون منه الهيكل المالي ، و العامل الجبائي من العوامل التي يُمكن توظيفه من طرف المسير في قراراته لتدنية تكاليف مصادر التمويل المختلفة على النحو التالي :

2-2-2-1- تكلفة الديون : تتمثل في المعدل الفعلي للفائدة الذي تدفعه المؤسسة للمقرض ، و بما أن الفوائد تُعتبر من الأعباء القابلة للخصم فان المؤسسة تُحقق من وراء ذلك وُفرات ضريبية وتجعل الديون تستفيد من امتياز جبائي وتصبح تكلفتها اقل ، ويتم حساب تكلفة الديون بإدخال العامل الضريبي كما يلي:

تكلفة الديون = معدل الفائدة (1- معدل الضريبة)

فإذا حصلت المؤسسة على القروض بمعدل 10 % وكان معدل الضريبة على الأرباح 26 % فان التكلفة الفعلية لهذه القروض هي 0.1 (1- 0.26) = 7.4 % بدلا من 10 % ، وبالتالي فان العامل الضريبي قد يُخفف من تكلفة الديون ويُحقق للمؤسسات وُفرات ضريبية أو اقتصاد في الضريبة ، وتحقيق هذه الوُفرات مرتبط بتحقيق المؤسسة للأرباح غير أن قرار المسير باللجوء إلى القروض يجب أن يتوقف عند الحد الذي تُصبح فيه الوُفرات الضريبية لا تُغطي المخاطر المترتبة عن الديون.

2-2-2-2- الأسهم : إن حصص الأرباح الموزعة على حملة الأسهم لا تعاملها التشريعات الجبائية كأعباء قابلة للخصم وبالتالي لا تُحقق المؤسسة وُفرات

ضريبية ولكن فيما يتعلق بالتكلفة فقط ، وهذا ما يجعل تكلفتها حقيقية لكنها تستفيد من مزايا عدم إلزامها بتوزيع الأرباح ولو مؤقتا .

2-2-2-3- التمويل الذاتي :هو (نظير رياض محمد الشحات و آخرون، 2001 ، ص 221) [4] تلك الأموال المتولدة من العمليات الجارية للمؤسسة أو من مصادر عرضية دون اللجوء إلى مصادر خارجية للتمويل ، و رغم التصور السائد بان التمويل الذاتي يُعتبر مورد بدون تكلفة لعدم ارتباطه بأعباء مالية فان إعادة استثمار موارد التمويل تحرم المؤسسة من فرص التوظيف في السوق المالي أو في استثمارات بديلة أخرى.

وعليه تتمثل تكلفة التمويل الذاتي في تكلفة الفرص الضائعة ، لكن يميز التمويل الذاتي عن المصادر الخاصة الأخرى أن معظم مكوناته معفاة من تكلفة تمويلها من الناحية الضريبية ، كما أن مكوناته أكثر العناصر استهدافا من قبل سياسات التحفيز الضريبية التي تتبناها الدول لتحسين الأداء المالي لمؤسساتها.

2-2-3- تحقيق هيكل التمويل الأمثل : تتمثل الفكرة الأساسية لهيكل التمويل الأمثل في التركيبة أو المزيج الذي يتكون منه الهيكل التمويلي للمؤسسة والذي تحصل عليه بأدنى تكلفة ممكنة ويُحقق لها مردودية مقبولة ، و اهمية العامل الضريبي واضحة في هذا المجال من خلال دوره في تنويع مصادر التمويل من جهة و تدنية تكاليف التمويل من جهة أخرى ، وما على المسير إلا توظيف هذا الدور في اختياراته.

2-2-4- تحسين الأداء المالي : إن إلمام المسير بعناصر الضريبة المطبقة ثم دراستها بتمعن و إدراجها في إقراراته ، كلها عوامل تمكن المؤسسة من تحقيق أهدافها في ظل خضوع ضريبي اقل وبصفة قانونية ، وهو ما يبرز فعالية التسيير الجبائي والتي تتجلى مظاهره في :

2-2-4-1- تحسين الأداء الجبائي : فالمسير مطالب بترقب وتقدير العبء الجبائي ثم تقييم الاختيارات الجبائية التي تمنحها الأنظمة الجبائية ومحاولة

الاستفادة منها قدر الإمكان في تعزيز قدرة التمويل للمؤسسة لأن عدم تمكين المؤسسة من الاستفادة من حرية جبائية ممنوحة يعتبر خطأ تسييريا ، كما يتوجب على المسير استيعاب أن الضريبة هي تكلفة وعليه أن لا يكتفي بالبحث عن أحسن حل جبائي فقط و انما يمتد بحثه إلى كيفية تعظيم نتائج الاختيار الجبائي بانتقاء الاختيار الذي يضاعف الامتيازات المالية و يخفف العبء على المؤسسة ، و من القرارات التي قد يتخذها المسير لتحقيق ذلك نذكر منها :

- تجنب أو تخفيض النشاط الذي يخضع لمعدل ضريبي مرتفع؛
- اختيار الطبيعة القانونية للمؤسسة التي تتميز بأقل إخضاع ممكن.

و هكذا يمكن إدراج العامل الجبائي في صناعة القرار للحصول على الامتيازات الجبائية لتدعيم القدرة التمويلية للمؤسسة.

2-2-4-2- تجنب المخطر الجبائي: و هو ما يصطلح عليه الأمن الجبائي ، فإجبارية الضريبة تجعل المؤسسة في وضعية عدم التوقع الجبائي مما قد يضعها في موضع صعب يتمثل في تحملها تكاليف إضافية نتيجة عدم التزامها بالقواعد الجبائية أو عدم استيفائها لشروط الاستفادة من الامتيازات الجبائية و أهم هذه المخاطر نذكر الآتي :

- الامتناع أو التأخير في إيداع التصريحات ، حيث تلجأ المصالح الجبائية إلي استخدام التقييم التلقائي مع تطبيق العقوبات المنصوص عليها في التشريع الضريبي.

- التصريحات غير الصحيحة ، حيث يتم تعديل الأسس الجبائية مع تطبيق العقوبات.

- الاختيار السيئ للبدائل الجبائية ، حيث أن انتقاء المؤسسة لاختيار جبائي ما بهدف الحصول على مزاياه قد يتحول إلي مصدر لمخطر جبائي عند عدم توفر شروط الاستفادة منه أو توقف المؤسسة في مرحلة ما عن تحقيق الشروط الضرورية للحصول عليه مما يترتب عليه إسقاط حق المؤسسة في الاستفادة من الامتياز و إخضاعها للضريبة مع تعرضها لعقوبات جبائية.

و عليه فإن إدراج العامل الجبائي في صناعة القرار أو ما يصطلح عليه التسيير الجبائي يقدم إسهامات كبيرة في ترشيد القرارات للمسير من خلال تنويع مصادر التمويل و تدنية تكاليف استخدامها ، كما أنه يُجنب المؤسسة تحمل التكاليف الجبائية الإضافية الناجمة عن عدم احترام أو جهل للتشريعات الضريبية التي عادة ما تسمح للمؤسسة بالمساهمة في تشكيل وضعيتها الجبائية و التحكم في القرارات التي لها تأثير مباشر على وضعيتها المالية .

3- عرض آليات التمويل غير الذاتية الجبائية للمؤسسات الصغيرة و المتوسطة

تتمثل أهم آليات التمويل غير الذاتية الجبائية للمؤسسات الصغيرة و المتوسطة في التحفيزات الجبائية من خلال دعم كامل لمجموعة من المؤسسات و الوكالات المختصة في دعم المؤسسات الصغيرة و المتوسطة كالوكالة الوطنية لتطوير الاستثمار (ANDI) ، الصندوق الوطني لدعم تشغيل الشباب (FNSEJ) ، الصندوق الوطني لدعم القرض المصغر(FNSMC) و الصندوق الوطني للتأمين على البطالة(CNAC) ، حيث منح المشرع الجزائري عدة تحفيزات جبائية للاستثمار في الجزائر أجنبي كان أو محلي بقصد دعم تنمية الاقتصاد الوطني ، لذلك أنشأ المشرع عدة إجراءات و أحكام تدعيمية لصالح الاستثمار ، بحيث يستطيع كل شخص طبيعي أو معنوي الاستثمار في الجزائر ، مقيم أو غير مقيم ، و يستفيد المستثمر من الامتيازات بعد استفاء جميع الإجراءات والشروط القانونية المطلوبة ، و في هذا الصدد نصت مختلف أحكام قوانين التشريع الضريبي و التعليمات الخاصة بترقية الاستثمار على عدة امتيازات و إعفاءات جبائية نذكر منها على الخصوص الآتي :

3-1- الإعفاءات الدائمة

يعفى من الضريبة الجزافية الوحيدة بصفة دائمة (DGI,2017, P02) [5] :

- الحرفيون التقليديون و كذا الأشخاص الذين يمارسون نشاطا حرفيا فنيا ؛
- المؤسسات التابعة لجمعيات الأشخاص المعوقين المعتمدة ؛
- مبالغ الإيرادات المحققة من طرف الفرق المسرحية.

3-2- الإعفاءات المؤقتة

تتمثل الاعفاءات المؤقتة فيما يلي :

- تستفيد الأنشطة التي يمارسها الشباب ذوو المشاريع الاستثمارية أو الأنشطة أو المشاريع ، المؤهلون للاستفادة من دعم "الصندوق الوطني لدعم تشغيل الشباب" أو "الصندوق الوطني لدعم القرض المصغر" أو "الصندوق الوطني للتأمين على البطالة" من إعفاء كامل من الضريبة الجزافية الوحيدة لمدة ثلاث (3) سنوات ابتداء من تاريخ استغلالها ، تُمدد هذه المدة إلى ستة(06) سنوات ابتداء من تاريخ الاستغلال ، عندما تتواجد هذه الأنشطة في مناطق يراد ترقيتها ، كما تمدد هذه المدة بسنتين(02) عندما يتعهد المستثمرون بتوظيف ثلاث(03) مستخدمين على الأقل لمدة غير محدودة ، ويترتب على عدم احترام الالتزامات المرتبطة بعدد الوظائف المحدثة ، سحب الاعتماد واسترداد الحقوق والرسوم التي كان من المفروض تسديدها (المديرية العامة للضرائب ، 2020، المادة 282 مكرر 6 ، ص 66) .[6]

وتجدر الإشارة إلى أنه إذا تواجدت الأنشطة المذكورة أعلاه في منطقة تستفيد من إعانة الصندوق الخاص لتطوير مناطق الجنوب ، تُمدد مدة الإعفاء من الضريبة على الدخل الإجمالي إلى عشر (10) سنوات ابتداء من تاريخ الشروع في الاستغلال كما يستفيد من إعفاء كلي من الضريبة على الدخل الإجمالي لمدة عشر (10) الحرفيون التقليديون و كذلك أولئك الممارسون لنشاط حرفي فني.

3-3- نشاطات تستفيد من إعفاءات مؤقتة تتبعها تخفيضات

النشاطات التجارية الصغيرة المقامة حديثا (DGI, 2017, PP :6-7) [7] في أماكن مهيأة من طرف الجماعات المحلية خلال السنتين الأوليتين من النشاط وتستفيد هذه النشاطات عند نهاية مرحلة الإعفاء من تخفيض من الضريبة الجزافية الوحيدة المستحقة ، و ذلك خلال الثلاث(3) سنوات الأولى من الإخضاع الضريبي ، ويكون هذا التخفيض كما يأتي :

- السنة الأولى من الإخضاع الضريبي : تخفيض قدره 70 % ؛
- السنة الثانية من الإخضاع الضريبي : تخفيض قدره 50 % ؛
- السنة الثالثة من الإخضاع الضريبي : تخفيض قدره 25 % .

3-4- المزايا الجبائية الأخرى

هناك ثلاثة أنواع من المزايا منحها المشرع الجزائري للمستثمرين ، و تتمثل هذه الأنواع من المزايا فيما يلي:

3-4-1- المزايا المشتركة لكل الاستثمارات القابلة للاستفادة : زيادة على التحفيزات الجبائية وشبه الجبائية والجمركية المنصوص عليها في القانون العام ، تستفيد الاستثمارات المعنية بالمزايا التالية :

3-4-1-1- بعنوان مرحلة الانجاز : من المزايا الجبائية المستفاد منها في مرحلة إنجاز المشروع نذكر الآتي (قانون رقم 16-09 ، 2016 ، ص 19) :[8]

- الإعفاء من الحقوق الجمركية ، فيما يخص السلع المستوردة التي تدخل مباشرة في إنجاز الاستثمار؛
- الإعفاء من الرسم على القيمة المضافة ، فيما يخص السلع و الخدمات المستوردة أو المقتناة محليا التي تدخل مباشرة في إنجاز الاستثمار؛
- الإعفاء من دفع حقوق نقل الملكية بعوض والرسم على الإشهار العقاري عن كل المقتنيات العقارية التي تتم في إطار الاستثمار المعني؛
- الإعفاء من حقوق التسجيل و الرسم على الإشهار العقاري ومبالغ الأملاك الوطنية المتضمن حق الامتياز على الأملاك العقارية المبنية وغير المبنية الموجهة لإنجاز المشاريع الاستثمارية ، وتُطبق هذه المزايا على المدة الدنيا لحق الامتياز الممنوح ؛
- تخفيض نسبة 90% من مبلغ الإتاوة الإيجارية السنوية المحددة من قبل مصالح أملاك الدولة خلال فترة إنجاز المستثمر ؛
- الإعفاء لمدة عشر (10) سنوات من الرسم العقاري على الملكيات العقارية التي تدخل في إطار الاستثمار ابتداء من تاريخ الاقتناء ؛

- الإعفاء من حقوق التسجيل فيما يخص العقود التأسيسية للشركات والزيادات في رأس المال.

3-4-1-2- بعنوان مرحلة الاستغلال : بعد معاينة الشروع في مرحلة الاستغلال بناء على محضر تعده المصالح الجبائية بطلب من المستثمر ، لمدة ثلاث (03) سنوات تمنح له المزايا الآتية:

- الإعفاء من الضريبة على أرباح الشركات لمدة عشرة (10) سنوات المؤسسات السياحية المحدثة من قبل مستثمرين وطنيين أو أجانب باستثناء الوكالات السياحية و الأسفار و كذا شركات الاقتصاد المختلط الناشطة في القطاع السياحي ، كذلك تستفيد من الإعفاء لمدة ثلاث (03) سنوات ابتداء من تاريخ بداية ممارسة النشاط وكالات السياحة و الأسفار و كذا المؤسسات الفندقية حسب حصة رقم أعمالها المحقق بالعملة الصعبة (المديرية العامة للضرائب ، 2020 ، ص 31)[9] ؛

- الإعفاء من الرسم على النشاط المهني المبلغ المحقق بالعملة الصعبة في النشاطات السياحية والفندقية والحمامات والإطعام المصنف والأسفار (أمر رقم 09 /01 ، 2009 ،المواد 7-11 ، ص 6) [10] ؛

- تخفيض بنسبة 50% من مبلغ الإتاوة الإيجارية السنوية المحددة من قبل مصالح أملاك الدولة.

و هناك مزايا مشتركة أخرى للمشاريع المنجزة في الجنوب و الهضاب العليا و في المناطق التي تستدعي تنميتها مساهمة خاصة من قبل الدولة و تتمثل هذه المزايا في ما يلي (قانون رقم 16-09 ، 2016 ، المادة 13 ، ص 21):[11]

- تتكفل الدولة كليا أو جزئيا بنفقات الأشغال المتعلقة بالمنشآت الأساسية الضرورية لإنجاز الاستثمار وذلك بعد تقييمها من قبل الوكالة ؛

- التخفيض من مبلغ الإتاوة الايجارية السنوية المحددة من قبل مصالح أملاك الدولة بعنوان منح الأراضي عن طريق الامتياز من اجل إنجاز مشاريع استثمارية:

- بالدينار الرمزي للمتر المربع (م2) خلال فترة عشر (10) سنوات ، وترتفع بعد هذه الفترة إلى 50 % من مبلغ إتاوة أملاك الدولة بالنسبة للمشاريع الاستثمارية المقامة في المناطق التابعة للهضاب العليا ، وكذا المناطق الأخرى التي تتطلب تنميتها مساهمة خاصة من قبل الدولة .

- بالدينار الرمزي للمتر المربع (م2) لفترة خمس عشرة (15) سنة وترتفع بعد هذه الفترة إلى 50 % من مبلغ الإتاوة أملاك الدولة بالنسبة للمشاريع الاستثمارية المقامة في ولايات الجنوب الكبير.

3-4-2- المزايا الإضافية لفائدة النشاطات ذات الامتياز و/أو المنشئة لمناصب الشغل: يستفيد المستثمر بالإضافة إلى المزايا السابقة ، من مزايا إضافية أخرى أهمها أنها تُرفع مدة مزايا الاستغلال الممنوحة لفائدة الاستثمارات المنجزة خارج مناطق الجنوب و الهضاب العليا و في المناطق التي تستدعي تنميتها مساهمة خاصة من قبل الدولة من ثلاث (3) سنوات إلى خمس (5) سنوات عندما تُنشئ أكثر من مائة (100) منصب شغل دائم ، خلال الفترة الممتدة من تاريخ تسجيل الاستثمار إلى غاية نهاية السنة الأولى من مرحلة الاستغلال ، على الأكثر ((قانون رقم 16-09 ، 2016 ، المادة 16 ، ص 21))[12] .

3-4-3- المزايا الاستثنائية: إن المزايا الاستثنائية تكون لفائدة الاستثمارات ذات الأهمية الخاصة للاقتصاد الوطني والمعدة على أساس اتفاقية متفاوض عليها بين المستثمر والوكالة الوطنية لتطوير الاستثمار التي تتصرف باسم الدولة ، و عموما فإن أهم المزايا الاستثنائية تتمثل فيما يلي:[13]

- تمديد مدة مزايا الاستغلال الخاصة بالنظام المشترك لفترة يمكن أن تصل إلى عشر (10) سنوات؛

- منح إعفاء أو تخفيض طبقا للتشريع المعمول به للحقوق الجمركية والجبائية والرسوم وغيرها من الاقتطاعات الأخرى ذات الطابع الجبائي والإعانات أو المساعدات أو الدعم المالي ، وكذا كل التسهيلات التي قد تمنح بعنوان مرحلة الإنجاز ، للمدة المتفق عليها مع الوكالة.

- تستفيد من نظام الشراء بالإعفاء من الرسوم المواد والمكونات التي تدخل في إنتاج السلع المستفيدة من الإعفاء من الرسم على القيمة المضافة.

4- عرض آليات التمويل الذاتي الجبائية للمؤسسات الصغيرة و المتوسطة

تتمثل آليات التمويل الذاتي الجبائية للمؤسسات الاقتصادية الجزائرية في أشكال التحفيز الضريبي التي يمكن لمختلف المؤسسات الاستفادة منها ، حيث يأخذ التحفيز الضريبي عدة أشكال نذكر منها على الخصوص الآتي :

4-1- الإعفاء الضريبي : ويُقصد به (محمد حمو و منور أوسرير، 2009، ص 223)[14] إسقاط دفع الضرائب على المكلف سواء تم ذلك بشكل كلي أو جزئي وتتبني السلطات العمومية أسلوب الإعفاء الضريبي بالرغم من انه يُقلل إيرادات الخزينة العامة لتشجيع قرار الاستثمار ، وتختلف فترة الإعفاءات الضريبية من نظام ضريبي إلى آخر ، بل ومن نشاط إلى آخر داخل نفس النظام ويعود ذلك لاختلاف الظروف الاقتصادية ، السياسية و الاجتماعية لكل دولة ففي الجزائر تتراوح مثلا مدة الإعفاء فيما يخص الضريبة على أرباح الشركات (IBS) من ثلاثة (03) سنوات بالنسبة للأنشطة الممارسة من طرف الشباب المستثمر المستفيد من إعانة الصندوق الوطني لدعم تشغيل الشباب (ANSEJ) ، إلى إعفاء دائم بالنسبة للعمليات المدرة للعملة الصعبة و لا سيما عمليات البيع الموجهة للتصدير .

4-2- التخفيف الضريبي : يُقصد به إخضاع المتعامل الاقتصادي لمعدلات ضريبية أقل أو تقليص من الوعاء الضريبي مقابل التزامه ببعض الشروط والمقاييس المحددة سواء عن طريق التشريعات الضريبية المنظمة في قوانين المالية، أو في إطار قوانين الاستثمار ، ويُعتبر التخفيف الضريبي الأسلوب الأكثر انتشارا في الدول المتخلفة لتشجيع الاستثمار الخاص .

4-3- الاعتماد الضريبي (الشراء بالإعفاء) : يعُتبر نظام (المديرية العامة للضرائب ، 2019، ص 26) [15] الشراء بالإعفاء ، النظام الذي يمنح للخاضعين بالضريبة الذين ليس بإمكانهم إدراج الرسم المدفوع على الشراء الحق في

الاقتناء بإعفاء من الرسم على القيمة المضافة (TVA) ، كل الأملاك السلع والخدمات المخصصة إما للتصدير أو إنتاج مواد معفاة قانونا وبصفة قطعية .

4-4- نظام الإهتلاك : يُعرف الإهتلاك على أنه (لخضر علاوي، 2011 ، ص 34) [16] استهلاك المنافع الاقتصادية المرتبطة بملك ما ، وبمفهوم آخر الإهتلاك هو تسجيل التقادم العادي لملك بسبب استخدامه ، حيث يتم احتسابه كعبء من أعباء الدورة ، كما يُعرف على أنه التسجيل المحاسبي للخسارة التي تتعرض لها الاستثمارات التي تتدهور قيمتها مع الزمن بهدف إظهارها بالميزانية بقيمتها الصافية ، فالتشريع الجبائي يعتبر الإهتلاك تكلفة يجب أن تخصم ، وعليه فقسط الإهتلاك قابل للخصم عند تحديد الربح الخاضع ، وطبقا لنص المادة 174 من قانون الضرائب المباشرة لسنة 2020 أنه يطبق (DGI,2020, P42)[17] بقوة القانون نظام الإهتلاك المالي الخطي على كل التثبيتات ، كما يمكن تطبيق الإهتلاك المالي التنازلي و الإهتلاك المالي التصاعدي في حالة خاصة وبموجب طلب محرر للإدارة الجبائية من طرف المكلف .

4-5- إمكانية نقل الخسائر : إن التشريع الضريبي يتضمن نصوصا تسمح للمؤسسة بالخصم الكامل للخسائر المحققة من الأرباح التي تحققها في السنوات اللاحقة ، باعتبار أن هته الخسارة تدخل ضمن تكاليف المؤسسة عن السنوات السابقة أو اللاحقة ، و قد نصت المادة 147 من قانون الضرائب المباشرة و الرسوم المماثلة ، على أنه " في حالة تسجيل عجز (المديرية العامة للضرائب ، 2020 ، المادة 147 ، ص 36)[18] في سنة مالية ما ، فإن هذا العجز يُعتبر عبئا يُدرج في السنة المالية الموالية و يُخفض من الربح المحقق خلال نفس السنة المالية وإذا كان هذا الربح غير كاف لتخفيض كل العجز ، فإن العجز الزائد يُنقل بالترتيب إلى السنوات المالية التالية إلى غاية السنة المالية الرابعة الموالية لسنة تسجيل العجز " ، وبالتالي فإن نقل الخسائر يُعتبر تحفيزا ضريبيا لقرار الاستثمار الخاص ، وذلك من خلال تخفيض العبء الضريبي على المؤسسات و

لا شك أنه في زيادة هذه المدة مصلحة المكلف بالضريبة (مسير المؤسسة) على حساب الخزينة العامة.

4-6- إعادة استثمار الأرباح : نصت المادة 142 من قانون الضرائب المباشرة والرسوم المماثلة ، على أنه " يتعين على المكلفين بالضريبة (المديرية العامة للضرائب ، 2020 ، المادة 142 ، ص 35) [19] الذين يستفيدون من الإعفاء أو التخفيض في الضريبة على أرباح الشركات (IBS) و الرسم على النشاط المهني (TAP) الممنوح خلال مرحلة الاستغلال في إطار أجهزة دعم الاستثمار ، إعادة استثمار 30 % من حصة الامتيازات الموافقة لهذه الإعفاءات أو التخفيضات في أجل أربع (4) سنوات ابتداء من تاريخ اختتام السنة المالية والتي تخضع نتائجها لنظام تفضيلي ، ويجب أن تتم عملية إعادة الاستثمار بعنوان كل سنة عدة سنوات مالية متتالية ، وفي حالة تراكما للسنوات المالية ، يحسب الأجل المذكور أعلاه ابتداء من تاريخ اختتام السنة المالية الأولى " ، كما يترتب على عدم احترام هذه الأحكام إعادة استرداد التحفيز الجبائي مع تطبيق غرامات جبائية منصوص عليها في مثل هذه الحالة.

أما فيما يخص الضريبة على الدخل الإجمالي (IRG) فقد نصت المادة 21 الفقرة 3 من نفس القانون المذكور أعلاه على أنه يُطبق (المديرية العامة للضرائب ، 2020 ، المادة 21 ، ص 21) [20] على الأرباح المعاد استثمارها تخفيض نسبته 30% فيما يخص تحديد الدخل الواجب إدراجه في أسس الضريبة على الدخل الإجمالي وفقا لشروط خاصة ، وعليه فإن خضوع المستثمر لمعدلات مخفضة أو معدومة للضريبة على الأرباح المعاد استثمارها تسمح (سعيد عبد العزيز عثمان ، 2000 ، ص 79)[21] بتكوين رأس مال من شأنه تحفيز وتشجيع وزيادة قدرة المستثمر على إنشاء طاقات إنتاجية جديدة أو التوسع في حجم الطاقات القائمة أو المحافظة عليها .

4-7- إعادة استثمار فائض القيمة : تتحصل المؤسسة (حليم بوحادي، 2003 ، ص 62)[22] على فائض القيمة عندما تتنازل عن عنصر من عناصر أصولها

الثابتة بسعر أعلى من سعره المحاسبي ، و قد نصت المادة 173 من قانون الضرائب المباشرة و الرسوم المماثلة لسنة 2020 على أنه "يحدد مبلغ فوائض القيم الناتجة عن التنازل الجزئي أو الكلي عن عناصر أصول مثبتة في إطار نشاط صناعي أو تجاري أو حرفي أو في إطار ممارسة نشاط مهني يُربط بالربح الخاضع للضريبة حسب طبيعة فوائض القيم ، حيث إذا تعلق الأمر بفوائض قيم قصيرة الأجل ، يُحسب مبلغها في حدود 70% من الربح الخاضع أما إذا تعلق الأمر بفوائض قيم طويلة الأجل فيُحسب مبلغها في حدود 35% من الربح الخاضع للضريبة ، و لا تدخل فوائض القيم الناتجة عن التنازل أثناء استغلال عناصر الأصول المثبتة ضمن الربح الخاضع للضريبة بالنسبة للسنة المالية التي تحققت فيها إن التزم المكلف بالضريبة بأن يُعيد استثمار مبلغ يساوي مبلغ فوائض هذه القيم في شكل تثبيتات في مؤسسة قبل انقضاء ثلاث (3) سنوات ، ابتداء من اختتام هذه السنة المالية .

5- إعادة جدولة الديون الجبائية للمؤسسات كتمويل إضافي لها.

بهدف إضفاء طابع الفعالية على إجراء منح التسهيلات الجبائية لفائدة المكلفين بالضريبة (المؤسسات بما في ذلك المؤسسات الصغيرة و المتوسطة) ، أسس قانوني المالية لسنتي 2015 و 2017 على تدابير تتضمن إعادة جدولة الديون الجبائية للمؤسسات التي تواجه صعوبات قصد احترام استحقاقاتها المالية ، لا سيما تلك التي لم تستطع تسديد مجمل الضرائب التي على عاتقها ، كما يُرافق هذه الإجراءات التسهيلية بشكل تلقائي مسح كلي لغرامات الوعاء و التحصيل.

و عليه فإن سياسة الدولة هذه تهدف من ورائها من دون أدنى شك تحسين ظروف و مناخ الأعمال و تعزيز الأداء الاقتصادي و المالي للمؤسسات المستدامة التي تواجه صعوبات ظرفية و تمكينها أيضا من انطلاقة جديدة من أجل تنشيط انتاجياتها و مردوديتها .

5-1- المؤسسات الاقتصادية التي تستفيد من إجراءات إعادة الجدولة : يعتبر[23] إجراء إعادة الجدولة للديون الجبائية مفتوحا أمام جميع المؤسسات مهما كان شكلها القانوني و مهما كان نظامها الجبائي و نشاطها ، التي لها ديون جبائية بالإضافة إلى غرامات و تواجه صعوبات مالية ، حيث يتم تقدير طلبات المؤسسات تماشيا مع وضعياته و حسب دراسة فردية تأخذ بعين الاعتبار جميع خصوصيات الملفات و السلوك المعتاد للمؤسسة فيما يخص دفع الضريبة.

5-2- الديون الجبائية المعنية بإجراء إعادة الجدولة : الديون الجبائية المعنية بإجراء إعادة الجدولة هي تلك المتعلقة بضرائب مفروضة و لها طابع نهائي بمعنى أنها ليست موضوع طعن أو تلك التي استنفذت جميع الطعون النزاعية و منه يُستثنى من الاستفادة من هذا الإجراء :

- الديون الجبائية المتعلقة بفرض ضرائب محل طعن نزاعي بعنوان مرحلة الطعن الأولى أو باقي المراحل؛

- الديون الجبائية المتعلقة بفرض الضرائب نتج عنها غرامات بسبب ممارسة طرق تدليسية ؛

- الديون الجبائية التي تخص المؤسسات التي تتمتع بأريحية مالية ؛

- المؤسسات التي اكتتبت التزام بإعادة جدولة ديونها في اطار الإجراء الاول لإعادة الجدولة (2012-2016) و التي لم تحترم جدول الدفع ؛

غير أنه إذا طلبت هذه المؤسسات الاستفادة من هذا الإجراء من جديد ، يمكن قبول طلبها شريطة أن لا يتجاوز جدول دفعها فترة اثنتي عشر (12) شهرا .

5-3- مدة إعادة جدولة الديون الجبائية : إن جدول الدفع الشهري يمتد على فترة أقصاها ستة و ثلاثون (36) شهرا ، حيث تُحدد مدة الجدول من طرف قابض الضرائب بعد استشارة المؤسسة المعنية و ذلك حسب حجم مبلغ الدين الجبائي و كذا طبيعة الصعوبة المالية و درجتها ، كما يجب أن تُوافق الدفعة الأولى القسط الشهري الأول الواجب دفعه خلال امضاء الالتزام.

5-4- إجراءات الاستفادة من إعادة جدولة الديون الجبائية : ينبغي على المؤسسات التي تنخرط في إجراءات الاستفادة من إعادة جدولة الديون الجبائية أن تقدم طلب لقابض الضرائب المختص اقليميا ، حيث يقدم الطلب سواء من خلال رسالة عادية دون شرط الأجل أو الشكل ، او باستعمال مطبوعة تقدمها قباضة الضرائب المختصة إقليميا ، كما يمكن تحميل المطبوعة من الموقع الإلكتروني للمديرية العامة للضرائب ، و يجب إرفاق المطبوعة بالعناصر و التبريرات التي تُبين بشكل صريح الصعوبة المالية التي تواجهها المؤسسة.

5-5- الشرط المطلوب للاستمرار في الاستفادة من إجراء إعادة جدولة الديون الجبائية : للاستمرار في الاستفادة من إجراء إعادة جدولة الديون الجبائية ، يتعين (mfdgi.gov.dz, 2020) **على المؤسسات احترام جدول استحقاق الدفع الخاص بديونها الجبائية التي أُعيدت جدولتها ، كما ينجر عن عدم احترام هذا الالتزام فسخ جدول استحقاق الدفع و يتم استئناف عملية التحصيل.

6- دراسة تكاليف التحفيزات الجبائية خلال الفترة (2007-2014)

إن سياسة التحفيز الضريبي عبارة عن مجموعة من الإجراءات و الامتيازات ذات صبغة ضريبية تتخذها الدولة لصالح فئة معينة من الأعوان الاقتصاديين قصد ترقية الاستثمار الخاص وتوجيهه نحو المناطق والقطاعات الاقتصادية المراد ترقيتها وتنميتها وفقا للسياسة العامة للدولة ، كما يُعرف على أنه (حليم بوحادي، 2003 ، ص 53)[25] تخفيض في معدل الضرائب ، القاعدة الضريبية أو الالتزامات الضريبية التي تُمنح للمستفيد بشرط تقييده بجملة من المقاييس، بالإضافة إلى أنه إجراء خاص غير إجباري (أحمد وشان، 2006 ، ص 71) [26] لسياسة اقتصادية تستهدف الحصول من الأعوان الاقتصاديين على سلوك معين يوجه اهتمامهم إلى الاستثمار في ميادين أو مناطق لم يفكروا في إقامة استثماراتهم فيها من قبل مقابل الاستفادة من امتياز أو عدة امتيازات ، وعليه فسياسة التحريض الضريبي تُعتبر أسلوبا من أساليب الإغراء التي تلجأ إليها

الدولة من خلال الحوافز و المزايا الضريبية التي تُمنح للمتعاملين الاقتصاديين الذين يلتزمون بشروط معينة تحددها قوانين الاستثمار ، كما أن حجم الامتيازات الضريبية تختلف من قطاع إلى آخر ومن نشاط إلى آخر ومن منطقة إلى أخرى حسب أهمية الاستثمار وأولويته ضمن برامج الحكومة المسطر ، و من خصائص التحفيزات الضريبية أنه (عبد الحق بوقفة، 2009، ص 19)[27] :

6-1- إجراء اختياري : حيث يترك الحرية للمؤسسات و الأعوان الاقتصاديين حرية الاختيار بين الخضوع أو عدم الخضوع للشروط والمقاييس المحددة من قبل الدولة وهذا مقابل الاستفادة من هذه الحوافز.

6-2- إجراء هادف : إن هدف أي دولة من خلال منح هذا التحفيز الضريبي للأعوان الاقتصاديين و المستثمرين يكون في إطار سياسة اقتصادية لتنمية وتطوير وإنعاش مناطق معزولة أو قطاعات محددة لأهميتها في مخطط التنمية.

6-3- إجراء له مقاييس : باعتبار التحفيز موجه إلى فئة معينة من المكلفين بالضريبة والتي عليهم احترام بعض المقاييس التي يحددها المشرع كتحديد نوعية النشاط ، مكان إقامته ، الإطار القانوني والتنظيمي للمستفيد ويعتبر شرط ضروري للاستفادة من التحفيزات الجبائية .

6-4- وجود الثنائية (فائدة – مقابل) : إن الأعوان الاقتصاديين يحصلون على التحفيز الجبائي من طرف الدولة وذلك مقابل توجيههم إلى الاستثمار في القطاعات الاقتصادية التي تتماشى مع الأهداف التنموية المسطرة من طرف الدولة .

6-5- الوسيلة : أي الوسيلة التي تستخدمها سياسة التحفيز الجبائي لتشجيع وتوجيه المستثمرين حيث تكون في شكل تسهيلات و تحفيزات جبائية مختلفة .

و عليه فإن منح التحفيزات الجبائية للمؤسسات لغرض تطويرها و المحافظة عليها قد يكلف الدولة مبالغ مالية ضخمة من دون أن تتمكن من الحصول على المقابل المنتظر من هذه التحفيزات ، و الجدول التالي يوضح كلفة التحفيزات

الجبائية التي منحتها الدولة خلال الفترة (2007-2014) على مستوي كل من الوكالة الوطنية لتطوير الاستثمار (ANDI) و الصندوق الوطني لدعم تشغيل الشباب (FNSEJ) فيما يتعلق بالرسم على القيمة المضافة (TVA) ، الرسم على النشاط المهني (TAP) و الضريبة على أرباح الشركات (IBS) .

الجدول يوضح: كلفة التحفيزات الجبائية التي منحتها الدولة (2007-2014)

	الرسم على القيمة المضافة (TVA) (مليون دج)		الرسم على النشاط المهني (TAP) (مليون دج)		الضريبة على أرباح الشركات (IBS) (مليون دج)		المجموع (مليون دج)
	ANDI	FNSEJ	ANDI	FNSEJ	ANDI	FNSEJ	ANDI و FNSEJ
2007	25.491	7.764	4.002	419	1.427	453	39.556
2008	66.326	6.666	3.562	416	6.387	318	83.675
2009	53.868	11.451	791	367	678	164	67.319
2010	58.936	20.006	1.087	258	13.459	222	93.968
2011	49.144	30.505	3.805	351	3.313	309	87.427
2012	83.836	47.502	2.131	734	1.519	353	136.075
2013	42.689	42.889	2.765	598	2.928	504	92.373
2014	49.984	37.652	3.146	520	7.027	497	98.826
المجموع	**430.274**	**204.435**	**21.289**	**3.663**	**36.738**	**2.820**	**699.219**

المصدر : 1- أسماء زينات (2017) ، دور التحفيزات الجبائية في تعزيز فرص الاستثمار في الجزائر ، مجلة اقتصاديات شمال افريقيا ، العدد 17 ، ص ص 124-125 .

2- مليكاوي مولود (2015) ، الإنفاق الضريبي في الجزائر و اشكالية التهرب الضريبي، مجلة دراسات جبائية ، المجلد 4 ، العدد 2 ، ص 228 .

من خلال بيانات الجدول أعلاه يمكن عرض الآتي :

- إن الهدف الذي مازالت الدولة الجزائرية تسعى لتحقيقه منذ بداية الإصلاح الضريبي سنة 1992 ، بغرض تحقيق العديد من الأهداف المالية ، الاقتصادية و حتى السياسية حملها خسائر مالية ضخمة على شكل إعفاء ضريبي ممنوح في إطار تشجيع الاستثمار لكل من الوكالة الوطنية لتطوير الاستثمار (ANDI) و الصندوق الوطني لدعم تشغيل الشباب (FNSEJ) قدرت خلال فترة الدراسة

(2007-2014) بـ 699.219 مليون دج ، مع الإشارة إلى أن سنة 2012 شهدت أكبر تضحية من طرف الدولة قُدرت بـ 136.075 مليون دج أي بنسبة 19.46 % من إجمالي التضحية ، حيث خلقت (www.ennaharonline.com)[28] الجزائر سنة 2012 حالة من الاستثناء غير مسبوقة في تاريخ البحبوحة المالية ، بإقراضها صندوق النقد الدولي مبلغا ماليا قدر بـ5 ملايير دولار، وهو قرض يفسر التسيير الجيد والتحكم الكبير في وضعها المالي ، فبعدما كانت البلاد مثقلة بالديون الخارجية ، أصبحت اليوم محل أطماع كبرى الهيئات النقدية الدولية من أجل الاقتراض ، وأصبحت اليوم تحتل مكانة هامة ضمن قائمة الدول خاصة العربية منها التي تتوفر على احتياطات مالية فاقت كل التصورات وتبلغ عتبة 200 مليار دولار، وتتمكن في ذات الوقت من تحقيق فائض تجاري بـ26 مليار دولار، كما كانت سنة 2012 سنة خضراء للجزائر على كل الأصعدة ، من إصلاحات سياسية إلى إصلاحات اقتصادية ، مكنت من تخفيض نسبة المديونية إلى 410 مليون دولار ونسبة البطالة إلى 10 من المائة ، بعدما كانت تزيد عن 35 من المائة في العشرية السوداء ، بفضل شراكة اقتصادية مزجت بين العام والخاص ؛

- تكاليف التحفيزات الجبائية للوكالة الوطنية لتطوير الاستثمار (ANDI) اكبر من تكاليف التحفيزات الجبائية للصندوق الوطني لدعم تشغيل الشباب (FNSEJ) و هذا لأن اكثر و أهم المؤسسات بما في ذلك المؤسسات الأجنبية تلجأ للوكالة الوطنية لتطوير الاستثمار من أجل الاستفادة أكثر من التحفيزات الجبائية ؛

- تكاليف التحفيزات الجبائية للرسم على القيمة المضافة (TVA) تأتي في المرتبة الأولى من ناحية الأهمية تليها تكاليف الضريبة على أرباح الشركات (IBS) ثم الرسم على النشاط المهني (TAP) و هذا لكون الرسم على القيمة المضافة يمس جميع السلع و الخدمات المحلية و الأجنبية و هي مستهدفة من جميع المؤسسات ، كما أن ارتفاع حجم الإعفاء الضريبي لهذا الرسم مقارنة بهيكل الإعفاء الإجمالي يُفسر كذلك إلى استخدام نظام الشراء بالإعفاء و

توسيع مجال خصمه ، بالإضافة إلى اتساع مجال تطبيقه و حيادته اتجاه نتائج المؤسسات و هذا ما يُشجع هذه الأخيرة على الاستثمار.

- تكاليف التحفيزات الجبائية التي يوضحها الجدول أعلاه هي الحد الأدنى من التضحية التي تقدمها الدولة لأنه ما زال هناك تكاليف أخرى لم يتضمنها الجدول كتكاليف التحفيزات الجبائية المتعلقة بالضريبة على الدخل الإجمالي (IRG) ، تكاليف التحفيزات الجبائية المتعلقة بالصندوق الوطني لدعم القرض المصغر(FNSMC والصندوق الوطني للتأمين على البطالة(CNAC)،..إلخ.

7- الخاتمة :

إن الجزائر عملت على توفير كل الظروف الملائمة للاستثمار، حيث وضعت إطار تنظيمي وقانوني يخول للمستثمرين صلاحيات القيام بتنشيط الحركة الاقتصادية ، و من أجل ذلك قام المشرع بإصلاح جل القوانين الداعمة للاستثمار كقانون ترقية الاستثمار ، قانون تطوير الاستثمار ، قانون المنافسة و الأسعار ، القانون التجاري ، القوانين الجبائية ...إلخ ، حيث أعطى المشرع عدة تحفيزات وتسهيلات لنشاطات اقتصادية كثيرة كالمزايا الجبائية الممنوحة لعمليات التصدير ، المزايا الجبائية الممنوحة للحرفيين التقليديين و غيرها ، و كل هذه الإجراءات التحفيزية يمكن اعتبارها كمصادر تمويل هامة لمختلف المؤسسات بما في ذلك المؤسسات الصغيرة والمتوسطة، مما يدل على أن الدولة تولي اهتماما كبيرا و متزيدا بتطوير المؤسسات الاقتصادية باعتبارها من أهم روافد عملية التنمية الاقتصادية و الاجتماعية و اساس نهضتها .

غير أن التجربة تقضي على أن التحفيزات الجبائية ربما تؤدي إلى التهرب الضريبي كنتيجة مرافقة للتعقيد الإداري الذي يصاحب سياسة الحوافز و هذا الأمر يختلف مداه من حافز لآخر ، كما أنه في الوقت الذي يشيع فيه منح الحوافز الضريبية في جميع بلدان العالم لتشجيع الاستثمار تُشير الأدلة إلى أن فعالية هذه في تطوير و ترقية المؤسسات أعلى من المستوى الممكن تحقيقه في حال

عدم منح هذه الحوافز ، هذا من جانب ومن جانب آخر و هو الملاحظ في بيئة الاستثمار بالجزائر أن هذه الحوافز الضريبة معرضة للاستعمال من طرف بعض المستفيدين منها والذين يتخفون تحت ستار شركات جديدة بإجراء عملية إعادة تنظيم صورية كتغيير الشكل القانوني للمشروع من شركة أشخاص مثلا إلى شركة أموال و الاستفادة من إعفاء يرتبط بالشكل الجديد ، مما يُعد تحايل من طرف المستفيدين من هذه الحوافز من خلال الالتفاف على فترة الإعفاء الضريبي المؤقت وتمديدها ، ونفس الحالة عند إغلاق المشروع وإعادة تشغيله تحت اسم مختلف مع ثبات مالكيه .

و من جملة النتائج المتوصل إليها من خلال هذه الدراسة نذكر الآتي :

- منح المشرع الجزائري آليات جبائية كثيرة تساهم في تمويل المؤسسات الصغيرة والمتوسطة، منها ما له علاقة بالتكاليف، ومنها ما له علاقة بالإيرادات؛

- هناك آليات جبائية للتمويل الذاتي وتتمثل أساسا في الإعفاءات الضريبية الممنوحة، كنظام الشراء بالإعفاء، ونظام الاهتلاك، ونظام إمكانية نقل الخسائر و آلية إعادة استثمار الأرباح، وآلية إعادة استثمار فائض القيمة، وكل هذه الآليات تساهم في الرفع من مداخيل المؤسسات الصغيرة والمتوسطة؛

- هناك آليات جبائية للتمويل غير ذاتي، وهي تتمثل في الامتيازات الممنوحة من قبل الوكالات المختصة في دعم الاستثما، كالوكالة الوطنية لتطوير الاستثمار، أو الصندوق الوطني لدعم تشغيل الشباب، أو الصندوق الوطني لدعم القرض المصغر ،أو الصندوق الوطني للتأمين على البطالة؛

- إن جدولة الديون الجبائية للمؤسسات الصغيرة والمتوسطة، تعتبر من أهم آليات التمويل الجبائية بما تمنحه من تسهيلات جبائية لفائدة هذه المؤسسات؛

- إن الامتيازات الجبائية باعتبارها أحد أهم آليات التمويل للمؤسسات الصغيرة و المتوسطة تجعل الوعاء الضريبي يتآكل في المدى القصير، و لكن في المدى الطويل يجعل الأوعية الضريبية تتسع أكثر بسبب زيادة الاستثمارات ،و ذلك يؤدي إلى زيادة الايرادات الضريبية المحصلة بعد انتهاء فترة الامتيازات.

- أن سياسة التحفيزات الجبائية تُعتبر إحدى خيارات السياسات الاقتصادية المستخدمة من طرف صناع القرار لتوجيه و تحفيز الأنشطة الاقتصادية نحو القنوات المرغوبة ؛

- إن سياسات التحفيزات الجبائية في الجزائر لم تتمكن إلى حد كبير من تحقيق الأهداف المرجوة فيما يتعلق بتطوير المؤسسات بل بالعكس أصبحت توفر مناخا ملائما للغش و التهرب الضريبي ، فبعض المؤسسات تقدم طلبات الاستفادة من الإعفاءات الجبائية و عند انتهاء فترة الإعفاء تقوم بتغيير نشاطاتها أو التوقف عن النشاط كلية ، دون محاسبتها ؛

لذلك نقترح بعض التوصيات نجدها فعالة في دعم سياسة التحفيز الجبائي و إنجاح سياسات الدولة الجزائرية في تمويل مؤسساتها الصغيرة و المتوسطة جبائيا ، نذكر منها على الخصوص الآتي :

- يجب تفعيل الرقابة على التكاليف الجبائية المساهمة في تمويل المؤسسات الصغيرة والمتوسطة، حتى لا تستغل في تضخيمها، وبالتالي التقليل من المداخيل الجبائة ؛

- يجب دعم المؤسسات الصغيرة و المتوسطة التي تصنف كمكلفين اعتباريين ممتازين لاحترامهم القوانين الجبائية و ذلك بمنحهم الإعفاءات والتخفيضات المطلوبة ،والعكس منعها عن المؤسسات المتهربة جبائية؛

- يجب على السلطات المعنية خاصة المالية منها اتباع منهج علمي لمنح التحفيزات الجبائية للمستثمرين الحقيقيين حتى لا يُساء استخدامها لغرض التهرب الضريبي ؛

- يجب توضيح حجم التحفيزات الجبائية بالموازنة العامة للدولة باعتبارها نفقات عامة يتطلب إظهارها و تقييمها بصورة دورية.

- إلزام مسيري المؤسسات على تكوين مستمر و هادف يأخذ بعين الاعتبار كيفية التسيير الجيد للضريبة .

اما فيما يتعلق بآفاق البحث فإنه يمكن أن يُشكل هذا البحث أساس لدراسات أخري تنطلق من السنة 2015 حتى سنوات عديدة لاحقة ، كما يمكن دعم هذه الدراسة بمؤشرات الأداء الضريبي و الذي من شأنه فرز المؤسسات الاقتصادية التي ينبغي دعمها و تطويرها بالحوافز الجبائية من التي يتطلب حرمانها منها بل حتى تشديد الرقابة عليها .

المراجع:

[1]– مبروكة حجار (2006) ، أثر السياسة الضريبية على استراتيجية الإستثمار في المؤسسة ، رسالة ماجستير، كلية العلوم الاقتصادية و التجارية و علوم التسيير ، جامعة محمد بوضياف ، المسيلة ، ص 97 .

[2]- المديرية العامة للضرائب (2020)، قانون الضرائب المباشرة و الرسوم المماثلة ، المادة 104 ، ص 25 .

[3] – مبروكة حجار ، مرجع سبق ذكره ، ص 95 .

[4] - نظير رياض محمد الشحات و آخرون ، (2001) ، الإدارة المالية ، المكتبة العصرية للمنصورة ، مصر ، ص 221 .

[5]- DGI (2017), Direction Des Relations Publiques Et De La Communication, Paiement De L'IFU Et Obligations Des Contribuables, p : 02.

[6]– المديرية العامة للضرائب (2020)،مرجع سبق ذكره ، المادة 282 مكرر6، ص 66.

[7] - DGI (2017), Direction Des Relations Publiques Et De La Communication, Guide Pratique Du Contribuable, PP :6-7.

[8]– قانون رقم 09/16، يتعلق بترقية الاستثمار 03 /08/ 2016 ، المادة 12 ، ص 19.

[9]– المديرية العامة للضرائب (2020)،مرجع سبق ذكره، المادة 138 - 3 و 4، ص31.

[10]– أمر رقم 09 /01 ، قانون المالية التكميلي 2009 في 22 /07/ 2009 ، الجريدة الرسمية رقم 44 في 26 /07/ 2009،المواد 11 -7 ،ص 06.

[11]– قانون رقم 09/16 ، مرجع سبق ذكره، المادة 13 ، ص: 20.

[12]– نفس المرجع ، المادة 16،ص 21.

[13]– نفس المرجع ، المادة:18 ، ص: 21.

[14] – محمد حمو و منور أوسرير، (2009) ، محاضرات في جباية المؤسسات ، مكتبة الشركة الجزائرية ، بوداود ، الجزائر ، ص 223.

[15] – المديرية العامة للضرائب (2019) ، الدليل التطبيقي للرسم على القيمة المضافة ، طبعة الجزائر ، ص 26.

[16] – لخضر علاوي (2011) ، نظام المحاسبة المالية (سير الحسابات وتطبيقها)، متيجة للطباعة ، الجزائر ، ص 34.

[17] - DGI (2020), Code des Impôts Directs et taxes assimilées édition 2020, art n° 174 , P 42.

[18] – المديرية العامة للضرائب (2020) ، مرجع سبق ذكره، المادة 147، ص 36 .

[19] –المرجع السابق ، المادة 142 ، ص 35 .

[20] – المرجع السابق ، المادة 21 ، الفقرة 3 ، ص 13 .

[21] – سعيد عبد العزيز عثمان (2000) ، النظم الضريبية مدخل تحليلي مقارن ، الدار الجامعية الإسكندرية مصر ، ص 79 .

[22] – حليم بوحادي(2003) ، دور الضريبة في ترقية الاستثمار الخاص الوطني في الجزائر رسالة ماجستير، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير ، جامعة الجزائر ، 2003 ، ص 62.

[23] - DGI (2017), Bulletin d'information de la Direction Générale Des Impôts La Lettre de la DGI n 86, Algérie ,PP 10-11.

[24]mfdgi.gov.dz/images/pdf/circulaires/ rééchelonnement/ PC Le 16/04/2020

[25] – حليم بوحادي(2003) ، مرجع سبق ذكره ، ص 53 .

[26] أحمد وشان (2006)، دور الجباية في تشجيع الاستثمار الخاص من خلال سياسة التحفيز الجبائي ، رسالة ماجستير، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، جامعة الجزائر، ص 71 .

[27] – عبد الحق بوقفة (2009)، دور التحفيز الجبائي في تطوير المؤسسات الصغيرة والمتوسطة ، رسالة ماجستير ، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، جامعة المدية ، ص 19 .

[28] - www.ennaharonline.com/ حبيبة محمودي (2012) عام التقلاش الإقتصادي PC : 16/04/2020.

مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ر ت م د: 7163 -1112 ر ت م د إ:2588-1892
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2

التمويل بصيغة المشاركة في المصارف الإسلامية، بين المزايا النظرية، والعقبات في التطبيق

Musharaka Financing in Islamic banks, between theoretical advantages, and obstacles in the application

سمير جعوتي،[1] فاضل عبد القادر[2]

[1] مخبر العولمة والسياسات الاقتصادية، جامعة الجزائر، إبراهيم سلطان شيبوط
djaouti.samir@univ-alger3.dz

[2] جامعة الجزائر، إبراهيم سلطان شيبوط (الجزائر)، pr.fadel.aek@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/02/10 . تاريخ القبول: 2020/04/14

ملخص

إنّ من أهم ما يميّز النظام المصرفي الإسلامي عن النظام المصرفي التقليدي أسلوب التمويل بالمشاركة، غير أنّ الواقع العملي للمصارف الإسلامية يُظهر أنّها لا تكاد تتعامل في تمويلاتها بنظام المشاركة، بل الغالب على توظيفاتها الصيغ القائمة على المتاجرة، وهي شبيهة بتمويلات البنوك التقليدية من حيث تحديد العائد مع ضمان رأس المال. حاول البحث الإجابة عن التساؤل: ما هي أهم العقبات التي تدفع بالمصارف الإسلامية إلى تجنّب التمويل بصيغة المشاركة، رغم المزايا التي توفّرها؟، توصل البحث إلى أنّ هناك عقبات تتعلق بالبيئة الخارجية للمصرف وأهمها القوانين والتشريعات، وعقبات داخلية تتمثل في اليد العاملة المؤهلة، وعقبات تتعلق بطبيعة عقد المشاركة.

الكلمات الدالة:

مصارف إسلامية، تمويل إسلامي، صيغة المشاركة، مزايا التمويل بالمشاركة، عقبات التمويل بالمشاركة.

المؤلف المرسل: سمير جعوتي: djaouti.samir@univ-alger3.dz

Abstract:

The most important characteristics of the Islamic banking system is Musharakah, however, the practical reality of Islamic banks shows that they hardly deal in their financing with this method. Therefore this study attempts to answer the following question: what are the most important practical obstacles that slow Islamic banks to finance by this method, despite its advantages?. The research concluded that there are obstacles related to the external environment of the bank, the most important of which are laws and legislations, internal obstacles represented in the qualified labor force, and obstacles related to the nature of the participation contract.

Key words:
Islamic banking, Islamic finance, Musharakah, advantages of Musharakah.

1 - مقدمة:

إنّ فكرة المصارف الإسلامية، لّما ظهرت كانت تحمل في ثناياها أهداف المجتمع المسلم، والذي كان يحلم بأن يرى التجربة مجسّدة في أرض الواقع، تُحقّق له كل ما كان يسعى إليه من أهداف دينية، اقتصادية، واجتماعية. بدأت التجربة من مجرّد أفكار، لترتقي في سلّم النجاحات ثمّ تُصبح نموذجا يُقتدى به، فصارت من سماتها التنوّع والشمول، وأثبتت قدرات على التأقلم في مختلف البيئات والمسايرة لمختلف الحوادث والأزمات، وبالرغم من حداثة سنّها، تمكّنت من فرض نفسها على النظام المصرفي العالمي. غير أنّ بعض المختصين يرى أنّ التجربة عبارة عن تقليد للنظام المصرفي التقليدي، ولم تتجاوز الفكرة مجرّد تغيير للأسماء، فمن المعلوم أنّه من أبرز ما يُميّز الاقتصاد الإسلامي عن الاقتصاد الوضعي في التمويلات نظام المشاركة في الربح والخسائر، وعدم ضمان رأس المال ولا العائد. وإنّ التمويلات المعمول بها اليوم في المصارف الإسلامية، لا تتعدى تلك الصيغ القائمة على المتاجرة، والتي هي في جوهرها قريبة من القروض البنكية التقليدية. وعليه جاءت هذه الورقة البحثية لمحاولة الإجابة عن الإشكالية التالية: **ما هي أهم العقبات العملية التي تدفع بالمصارف الإسلامية إلى تجنّب التمويل بصيغة المشاركة، رغم المزايا التي توفّرها هذه الصيغة؟**

ولمعالجة الموضع نطرح التساؤلات الفرعية التالية:

- ما حقيقة المشاركة، وما هي شروطها
- ما هي أنواعها وأهم صورها المصرفية
- ما هي أهم مزايا التمويل بصيغة المشاركة
- ما مخاطر التمويل بصيغة المشاركة
- ما هي أهم العقبات التي تحول دون تطبيقها في الواقع

1.1 - أهمية الموضوع:

تنبع أهمية البحث من أهمية التمويل في المصارف الإسلامية، والتي تؤدي دورا مهما في توفير الموارد المالية المناسبة، والتي لا يمكن أن تؤدي الدور المنوط بها إلاّ إذا توفّرت البيئة المناسبة لذلك.

2.1 - الهدف من الدراسة:

يهدف البحث بالدرجة الأولى إلى تسليط الضوء على بعض المشاكل العملية التي تواجه المصارف الإسلامية في التمويل، واقتراح حلول علمية قد تحل تلك المشاكل أو تقلل منها.

3.1 - هيكل الدراسة:

- حقيقة المشاركة، أنواعها وصورها في المصارف الإسلامية
- أهم مزايا التمويل بالمشاركة
- مخاطر التمويل بالمشاركة
- عقبات تحول دون التمويل بالمشاركة في المصارف الإسلامية
- الخاتمة

2 - حقيقة المشاركة:

2 -1 - تعريف المشاركة: لغة: قال في القاموس: الشرك والشركة، بكسرهما وضم الثاني بمعنى. وقد اشتركا وتشاركا، وشارك أحدهما الآخر.[1] وهي توزيع الشيء بين اثنين على جهة الشيوع[2] وهي بمعنى المخالطة بين الشركاء في شيء معين.

[1] (الفيروزآبادي، 1997، صفحة 1251).

[2] (إرشيد، 2007، صفحة 32).

تعريفها في الاصطلاح الفقهي: قال ابن قدامة:" الشركة هي الاجتماع في استحقاق أو تصرف".[3]وعند المالكية قال الحطاب في مواهب الجليل:" ...الشركة هي إذن كل واحد من المتشاركين لصاحبه في أن يتصرف في ماله أو بدنه، له ولصاحبه مع تصرفهما لأنفسهما أيضا..." [4] وقال الشافعية: "وهي لغة الاختلاط، وشرعا ثبوت الحق في شيء لاثنين فأكثر على جهة الشيوع."[5]، أمّا عند الأحناف: " شرعا: عبارة عن عقد بين المتشاركين في الأصل والربح".[6]

2.2 - مشروعيتها: من القرآن قوله تعالى:" وإنّ كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض إلاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم" سورة ص الآية 24، ومن السنة: عن سليمان بن أبي مسلم، قال: سألت أبا المنهال عن الصرف يدا بيد؟ فقال:" اشتريت أنا وشريك لي شيئا يدا بيد، ونسيئة، فجاءنا البراء بن عازب، فسألناه، فقال: فعلت أنا وشريكي وزيد بن أرقم، وسألنا النبي صلّى الله عليه وسلّم عن ذلك، فقال: ما كان يدا بيد فخذوه، وما كان نسيئة فردوه". [7]وأمّا الإجماع فقد قال ابن قدامة رحمه الله:" وأجمع المسلمون على جواز الشركة في الجملة، وإنّما اختلفوا في أنواع منها..."[8]

في الاصطلاح الاقتصادي: عقد من عقود الاستثمار التي يتم من خلاله مشاركة الأموال من أجل استثمارها في نشاطات معينة، أين يُسهم كل شريك بنصيب في رأس المال، ويتم توزيع الربح بين الشركاء على الاتفاق.[9]

هي عقد من عقود الاستثمار يتم بمقتضاه الاشتراك في الأموال لاستثمارها وتقليبها في الأنشطة المتنوعة، بحيث يُسهم كل طرف بحصة في رأس المال.[10]

---

[3] (بن قدامة، 1984، صفحة 109/5)،

[4] (الحطّاب، 1987، صفحة 5/117)

[5] (الشربيني، بدون سنة، صفحة 211/2).

[6] (عابدين، صفحة 333/3)

[7] (الألباني، 1985، صفحة 1469/5)،

[8] (بن قدامة، 1984، صفحة 109/5)

[9] (أميرة و سحنون، 2016، صفحة 479)

[10] (عمارة، 2013، صفحة 62)

أمّا في المصارف الإسلامية فهي أسلوب تمويلي، يشترك بموجبه المصرف الإسلامي مع العميل بتمويل مشروع ما أو صفقة ما، على أن يشترك كل من المصرف والعميل في الربح على حسب النسب المتفق عليها في العقد، أمّا في حالة الخسارة فبنسبة تمويل كل منهما. ويعتبر المصرف شريكا كاملا في العمليات ونتائجها، وغالبا ما يسلّم المصرف الإدارة للعميل ولا يكون تدخله في العملية إلا بالقدر الذي يضمن له حفظ حقوقه والاطمئنان على حسن سير العملية والتزام الشريك بما اُتفق عليه في العقد.[11]

3.2 - شروط المشاركة: تنقسم الشروط التي تصح بها المشاركة إلى ثلاثة أقسام هي:

أ - المتعاقدان: ويشترط فيهما أهلية التوكيل والتوكّل لأنّ عقد المشاركة يقوم على توكيل كل طرف للآخر في نصيبه من رأس المال.

ب - رأس المال: يُشترط في رأس المال أن يكون مقدما ولا يصح أن يكون دينا في الذمة، كما ينبغي أن يكون حاضرا عند التعاقد، ويُشترط فيه أن يكون معلوم الجنس والقدر والصفة على قول من قال بجواز أن يكون عرضا (سلعة) وهم المالكية، أمّا الجمهور فينبغي أن يكون نقدا لا غير.

ج -الربح: يشترط فيه أن يكون نسبة مشاعة معلومة من جملة الربح، أما الخسارة فيتحمّلها كلٌّ حسب حصته من رأس المال.[12]

3 - أنواع المشاركات كما تقوم بها المصارف الإسلامية:

تتعدد أنواع المشاركات وفقا للمنظور وراء كل تقسيم والأهداف المرغوبة منه، ويمكن تقسيم المشاركة بالاعتبارات التالية:

1.3 - باعتبار محل المشاركة: تنقسم باعتبار المحل إلى:

أ - المشاركة في منفعة معينة: كالمشاركة في صفقة شراء بضاعة وإعادة بيعها.

ب - المشاركة في رأس مال المشروع: وتكون المشاركة في هذه الحالة إما بالمشاركة في رأس المال الدائم، مثل امتلاك عدد من الأسهم في شركة أسهم، أو

[11] (إرشيد، 2007، صفحة 33)

[12] (خالد، 2013، صفحة 125)

في رأس المال العامل مثل أن يُسهم المصرف في تمويل شراء مواد البناء في شركة عقارية. تر[13]

2.3 -باعتبار الاستمرارية:

أ - المشاركة ثابتة: وذلك بأن يحتفظ المصرف بحصصه في الشركة مدة بقاء المشروع.

ب - المشاركة المتناقصة (المنتهية بالتمليك): وفي هذا الأسلوب يعد المصرفُ عميلَه بتخليه عن ملكية المشروع تدريجيا مقابل أقساط يدفعها العميل من الأرباح المتولدة من المشروع.

3.3 -باعتبار مدة المشاركة:

أ - مشاركة قصيرة الأجل: مثل المشاركة في صفقة تجارية معينة.

ب - مشاركة متوسطة وطويلة الأجل: مثل المشاركة في مشروع معين.

4 - تطبيقات البنوك الإسلامية للمشاركة:

في توصيات مؤتمر المصرف الإسلامي الأول بدبي ذُكر أن استثمار المصرف لأمواله عن طريق المشاركة المنتهية بالتمليك يكون بأحد الصور التالية:

الصورة الأولى: المشاركة في عين مع الوعد بالبيع: أن يتفق المصرف الإسلامي مع العميل على تحديد حصة كل منهما في رأس مال الشركة وشروطها، ويكون بيع حصص المصرف إلى العميل بعد إتمام المشاركة بعقد مستقل، بحيث يكون له الحق في بيعها للعميل أو غيره، وكذلك الأمر بالنسبة للعميل.

الصورة الثانية: المشاركة المتناقصة بالتمويل المشترك: يتفق المصرف مع المتعامل على المشاركة في التمويل الكلي أو الجزئي لمشروع ذي دخل متوقع، وذلك على أساس الاتفاق بين البنك وعميله على أن يحصل البنك على حصة نسبية من صافي الدخل المتحقق فعلا، مع حقه في الاحتفاظ بالجزء المتبقي من الإيراد أو نسبة منه على أن يكون دفعة لتسديد أصل ما قدمه البنك من تمويل.

[13] (الشيخ، 2014، صفحة 53)

الصورة الثالثة: المشاركة المتناقصة باقتناء أسهم: يحدد نصيب كل من المصرف وشريكه في الشركة في صورة أسهم تمثل مجموعة قيمة الشيء موضوع المشاركة، يحصل كل من الشريكين على نصيبه، بحيث تكون الأسهم الموجودة في حيازة المصرف متناقصة إلى أن يتم تمليك الشريك الأسهم بكاملها فتصبح له الملكية المنفردة لموضوع الشركة. [14]

ومن صور المشاركة المتناقصة:

الصورة الرابعة: المشاركة المتناقصة بالتمليك مع الإجارة: صورتها أن يتفق المصرف والعميل على إقامة مشروع معين، ويقدم العميل وعد باستئجار العين لمدة معينة بأجر المثل، وتوزع الأرباح بينهما وفق طريقة المشاركة المنتهية بالتمليك حسب الاتفاق.

مثالها: أن يتفق عميل مع المصرف الإسلامي بإقامة مشروع بناء سفينة لنقل البضائع مناصفة، ويقدم العميل وعد باستئجار السفينة لمدة 3 سنوات بأجر المثل، فيكون العميل شريك في مشروع بناء السفينة، ويكون مستأجر في نفس الوقت. ومن عوائد المشروع يقوم العميل بدفع أقساط حصص المصرف إلى أن يمتلك السفينة.

الصورة الخامسة: المشاركة المتناقصة بطريقة المضاربة: صورتها أن يُقدّم المصرف رأس مال المشروع كاملا، ويقدم العميل الجهد والعمل، ويكون الربح بينهما مناصفة، على أن يقدم المصرف وعدا بالتنازل عن حصصه بطريقة المشاركة المتناقصة[15]**، وهذه الطريقة هي أقرب لصيغة التمويل بالمضاربة.**

كما يمكن للمصارف الإسلامية الاستفادة من صور التمويل الحديثة غير البنكية التي تعتمد على التكنولوجيا مثل التمويل الجماعي أو ما يُعرف ب (Crowfunding)، مع الإشارة إلى أنّ الصورة التي يمكن لها أن تدخل في التمويل بالمشاركة هي التمويل الجماعي بالمشاركة في رأس المال (Crowequity). [16]

---

[14] (الشنقيطي، 2001، صفحة 389/1)

[15] (العمراني، 2006، صفحة 233)

[16] (KATIA, 2018, p. 341)

5 - أهم مزايا التمويل بصيغة المشاركة:

للتمويل بصيغة المشاركة مجموعة من المزايا لكل من الاقتصاد الوطني، للعميل وللمصرف، نذكر أهمّها

أولا : بالنسبة للاقتصاد:

1 - الاستثمار:

- توسيع الاستثمار: يمكن لصيغة المشاركة بمختلف صورها أن تلعب دورا هاما في توسيع الاستثمار، وذلك بتمويل قنوات استثمارية متنوعة تتوزع على كافة طبقات المجتمع، وجميع القطاعات، وبمختلف الفترات، حيث إنّ التمويل بصيغة المشاركة يتميّز بالتعدد والتنوّع حسب طبيعة التصنيف:

فمن حيث نوع النشاط: التمويل بالمشاركة لأنشطة زراعية، صناعية، تجارية، عقارية، وخدماتية.

ومن حيث نوع الأصول: تمويل رأس مال الثابت، وتمويل رأس مال العامل.

ومن حيث مراحل المشروع: بداية النشاط، توسيع النشاط، إنعاش.

ومن حيث الاستمرارية: تمويل بالمشاركة لصفقة، تمويل بالمشاركة الثابتة، تمويل بالمشاركة المتناقصة. [17]

- زيادة حجم الاستثمار: اهتمام المصارف الإسلامية عند التمويل بصيغة المشاركة ينصب على نجاح المشروع، أمّا في المصارف التقليدية فالمهم بالنسبة لها هو استرداد الأموال مع الفوائد في الوقت المحدد، وعليه فإنّ المصارف الإسلامية وهي تقوم بالتمويل بصيغة المشاركة تكون أكثر حذرا من المصارف التقليدية، في دراسة الجدوى الاقتصادية والمالية للمشروع، والسبب في ذلك يرجع لعدم وجود ضمانات تُقدم من قبل العميل (الشريك)، وبالتالي احتمال نجاح المشروع ونموه مستقبلا يكون أكبر منه في المصارف التقليدية. [18]

[17] (العمر، 1414 هـ، صفحة 214)

[18] (الشيخ، 2014، صفحة 86)

2 - التضخم واستقرار المستوى العام للأسعار: التمويل بصيغة المشاركة لا يحمل في طيّاته آثار تضخمية، فتوليد النقود من خلال تطبيق التمويل بصيغة المشاركة مرتبطة بتوليد المزيد من الثروة في القطاع الحقيقي.□□

تكلفة التمويل: في التمويل بصيغة المشاركة ليس فيه أعباء رأس المال التي يتحملها المنتج في آخر المطاف، ولا غرامات تأخير، وعليه تبقى أسعار المنتجات مستقرة نسبيا.

توجيه التمويل: لا يتجه التمويل بصيغة المشاركة إلى الاستهلاك النهائي في الغالب، بخلافه في التمويل التقليدي أو في صيغ التمويل الإسلامية المبنية على المداينة، فيمكن من خلالها تمويل الاستهلاك، ممّا يرفع الطلب على المنتجات وبالتالي ارتفاع الأسعار.[19]

3 - البطالة: زيادة التمويل بصيغة المشاركة يعني زيادة المشاريع الاستثمارية، إمّا بإيجاد مشاريع جديدة، أو بتوسيع أنشطة قائمة، وفي كل الأحوال سيرتفع الطلب على اليد العاملة ممّا يعني امتصاص القوة العمّالية العاطلة.

4 -الاقتصاد الموازي: المشروعات الاستثمارية المشروعة الموجودة في الاقتصاد الموازي يمكن تقسيمها إلى قسمين:

-مشاريع استثمارية مشروعة ومصرح بها جزئيا.

-مشاريع استثمارية مشروعة غير مصرّح بها كليا.

وفي كلتا الحالتين يمكن لصيغة المشاركة أن تكون من وسائل التمويل المُغرية بالنسبة لأصحاب المشاريع، لعدم وجود تكلفة للتمويل، ولما ينطوي عليه التمويل بالمشاركة من تقاسم للمخاطر، والتي تدفع بأصحابها إلى التصريح الرسمي والكامل من أجل الحصول على التمويل، والسبب في ذلك يرجع إلى أنّ علاقة المصرف الإسلامي بأصحاب المشروع هي علاقة شريك بشريكه، ولا يمكن أن يموّل البنك الإسلامي مشروعا من غير التصريح به جزئيا فضلا عن عدم التصريح الكلي، وحتى يتسنى للبنك الإسلامي المحافظة على أمواله وأموال المودعين،

[19] (خالدي و حبيب، 2016، صفحة 56)

[20] (خالد، 2013، صفحة 159)

لابد له أن يتحقق من جميع جزئيات المشروع موضوع التمويل، ومتابعته ومراقبته، ممّا يصعب على الطرف الآخر التعامل في المشروع موضوع التمويل من غير تصريح، أمّا في التمويل التقليدي فهي علاقة دائن بمدين، ولا يطّلع البنك التقليدي على كل تفاصيل المشروع، بل غالبا ما يكتفي البنك بما يُقدمه العميل من بيانات وضمانات.

ثانيا: المزايا بالنسبة للعميل (طالب التمويل):

- توفّر صيغة التمويل بالمشاركة للعملاء (طالبي التمويل) تمويلا شرعيا خال من شبهة الربا.

- تعتمد البنوك التقليدية في منح القروض على السجلات المحاسبية لطالب القرض، القدرة على التسديد، والضمانات المقدمة، وهذا ما لا يتوفّر في المشاريع الجديدة والصغيرة.[21]

يمكن للمصارف الإسلامية أن تُخصص محفظة تمويلات بالمشاركة لهذا النوع من المشاريع، أين تتقاسم المخاطر فيه مع المودعين في الحسابات الاستثمارية المخصصة، الذين يقبلون بمخاطر عالية في مقابل الحصول على عوائد مرتفعة.

- فتح المجال أمام أصحاب المهارات للإبداع والتميّز والإنتاج.

- المرونة وملاءمته لكافة أوجه التمويل في مختلف القطاعات.[22]

- تحقيق ميزة تنافسية وانخفاض تكاليف الإنتاج، بسبب عدم وجود فوائد على رأس المال.[23]

- تشجيع أصحاب المشروعات على بذل أقصى ما يمكن لإنجاح مشروعاتهم لأنهم شركاء في الربح.

---

[21] (BOUGUETAIA, TAHRAOUI, & MIMOUNI, 2019, p. 319)

[22] (عمارة و العربي، 2013، صفحة 101)

[23] (مدور و علاش، 2018، صفحة 69)

- المستثمرون يقبلون على استثماراتهم بارتياح وطمأنينة ومن غير خشية من المستقبل لإدراكهم أنّ المصرف يُشاركهم في تحمّل الخسارة إن حصلت لأسباب خارجة عن إرادتهم. [24]

- مرافقة المصرف الإسلامي للمشروع من ناحية التسيير والاستفادة من خبرة المصرف الإسلامي مما يؤدي إلى العمل على إنجاح المشروع.

- إمكانية التمويل بصيغة المشاركة المتناقصة في مشروع محدد، مما يتيح الفرصة للمؤسسات الصغيرة إمكانية ولوج مناقصات مربحة قد لا تتمكن من القيام بها بمفردها لمحدودية طاقتها التمويلية.

- إمكانية طلب التمويل بصيغة المشاركة من أجل تمويل رأس مال العامل، والذي أصبح هاجس كثير من المشروعات القائمة.

- المرونة في تحديد نسبة المشاركة المطلوبة، حيث يمكن للعميل (طالب التمويل)، أن يطلب من المصرف الإسلامي المشاركة بالقدر الذي يراه مناسبا.

- إمكانية تمويل مشروعات ناشئة صغيرة أو متوسطة قائمة على أفكار جديدة وإبداعية، ذات مخاطر عالية، حيث يصعب لهذه المشروعات أن تجد تمويلا بالآليات التقليدية. [25]

- المرونة في تحديد نسبة الربح، على حسب ما يحقق مصلحة العميل والمصرف من غير ضرر ولا إضرار.

ثالثا: المزايا بالنسبة للمصرف:

- صيغة غير مثيرة للجدل من النواحي الشرعية، وهي خالية من العيوب الشرعية، ومن الربا. [26]

- في حالة الخسارة لا يتحمّل المصرف الإسلامي كل الخسارة لوحده، وإنّما بقدر مساهمته، والقدر الذي يُسهم به لا يتحمّله كلّه وحده، بل يحوّل جزءا

[24] (جميل، 1996، صفحة 187)

[25] (بحوصي، عريس، و يدروج، 2018، صفحة 445)

[26] (الوادي و سمحان، 2016، صفحة 198)

منها إلى المودعين الذين أودعوا أموالهم بقصد الاستثمار، ومن هذه الناحية يكون المصرف الإسلامي في التمويل بهذه الصيغة أقل مخاطرة.[27]

- يحقق المصرف الإسلامي كفاءة أكبر مقارنة مع المصرف التقليدي، لأنّ المصرف التقليدي يحصل على فائدة، وهو مسؤول أمام المودعين عن جميع المخاطر، بينما المصرف الإسلامي يتحصل على عائد أكبر، وفي المقابل هو مسؤول أمام المودعين في حالة التقصير والتعدي.[28]

- يمكن للمصرف إمساك السجلات الحسابية، ومتابعة المشروع ومراقبة حسن سير العمل.[29]

- يمكن للمصرف التدخل في إدارة المشروع، وبالتالي انخفاض المخاطر المعنوية.[30]

- توظيف الموارد المالية من خلال صيغة المشاركة، بمختلف الآجال، قصيرة، متوسطة، وطويلة.

- توظيف الموارد من خلال صيغة المشاركة بمختلف الصور، ثابتة، متغيرة، متناقصة.[31]

- تتمكن المصارف الإسلامية من استحداث مجموعة من العقود المركبة من المشاركة، مثل المشاركة المتناقصة المنتهية بالتمليك مع الإجارة، والمشاركة المتناقصة بطريقة المضاربة.[32]

6 - مخاطر عقد المشاركة:

هي تلك المخاطر التي يتعرض لها المصرف الإسلامي نتيجة تعاقده بدفع رأس المال إلى العميل(المشارك أو المضارب) لاستخدامها في التمويل بالمشاركة أو

---

[27] (الهيتي، 1998، صفحة 498)

[28] (خالدي و حبيب، 2016، صفحة 54)

[29] (الهيتي، 1998، صفحة 499).

[30] (الهيجاء، 2007، صفحة 56).

[31] (الشيخ، 2014، صفحة 85).

[32] (العمراني، 2006، صفحة 35).

المضاربة. ويعتبر عقد المضاربة والمشاركة من عقود الأمانة الذي لا يتطلب الرهن أو الضمان، لذلك فهما ذات مخاطر عالية، غير أن العديد من الدراسات العلمية تذهب إلى أنّ قيام المصارف الإسلامية بتوظيف الأموال على أساس المشاركة والمضاربة أفضل من استخدامها وفق صيغ العائد الثابت مثل المرابحة والسلم، إلاّ أن الواقع العملي للمصارف الإسلامية يبيّن أنها تتجنّبها لما تحتويه من مخاطر.[33]

1.6 - مخاطر الأخلاق المعنوية (Moral hazard) وهي ناتجة عن إخفاء العميل معلومات أو جزء منها الخاصة بمشروعه عن المصرف الذي يقدم التمويل، وقد تكون ناتجة عن تقاعس العميل عن القيام بالحد الأدنى من العمل والجهد لإنجاح المشروع الاستثماري وخاصة في المضاربة وذلك لما يرى العميل انّه ليس له مال قد يخسره. وظاهرة الأخلاق المعنوية أو عدم الالتزام الأخلاقي تظهر جلية في أن نتاج العملية الاستثمارية تعتمد على جهود العميل، والتي لا يمكن ضبطها أو ملاحظتها، لكونها سلوك خفي، فوقت التعاقد يقدم كل طرف معلومات عن موضوع العقد، ومع ذلك تبقى هذه المعلومات ناقصة، لأنّ كل طرف يُظهر القدر اللازم من المعلومات فقط لإقناع الطرف الآخر، وتزداد مخاطر عدم الالتزام الأخلاقي في صيغة المضاربة أكثر من صيغة المشاركة، إذ أنّ التمويل بصيغة المضاربة يعتمد إلى حدٍّ كبير على مدى أمانة العميل وصدقه وحسن نواياه، وكل هذا يصعب التحقق منه عند العقد.

-كما يمكن أن تكون بالتصريحات غير الحقيقية عن الخسائر، أو زيادة حجم المصروفات والتكاليف، ومسك الحسابات بصورة غير منضبطة، وكذلك الغش في عملية تقويم البضائع والموجودات، ووضع رواتب مرتفعة غير مبررة.

-عدم تدوير العوائد التي تنتجها المشاركة أو المضاربة لصالح العملية نفسها، بل استغلالها في أغراض أخرى.

-عدم تفرّغ العميل لمزاولة أعمال المشاركة أو المضاربة، ومنح أغلب وقته لأعماله الخاصة.

[33] (خان و حبيب، 2003، صفحة 70)

-الانفلات الزمني في عمليات التسويق والتحصيل، ممّا يؤدي في نهاية الأمر إلى انخفاض العائد الحقيقي للاستثمار.[34]

2.6 - مخاطر سوء الانتقاء: وتُسمّى الاختيار العكسي، وهي ناتجة عن تباين المعلومات المتاحة للمصرف عن المعلومات المتاحة للعميل، ويرجع ذلك إلى عدم معرفة المصرف بأخلاقيات العميل كما سبق، أو توفّر معلومات لدى العميل أكثر من المصرف، أو اختيار المصرف للعملاء الأقل قدرة على الوفاء بالتزاماتهم. ويلاحظ أن بعض المصارف الإسلامية قد تتعامل مع عملاء لم يجدوا فرصة في التعامل مع المصارف التقليدية، وبعضهم من المماطلين.

3.6 - مخاطر سوء الإنفاق: وهي النزوع السيئ وتسمى أيضا مخالفة شروط التمويل، وهي المخاطر التي يتعرض لها المصرف نتيجة قيام العميل بإنفاق الموارد المالية التي حصل عليها من المصرف في غير أغراضها المخصصة لها.

4.6 - مخاطر التفاوض: وهذه المخاطر تنشأ عند إدارة المشروع من طرف ثالث (غير العميل)، ونتيجة لذلك ولحاجة المصرف إلى وسيط للتفاوض مع الطرف الثالث يقوم بتوكيل العميل للتفاوض بدلا منه نظير تكاليف إضافية.

5.6 - مخاطر عدم وجود ضمانات: ومخاطر عدم وجود ضمانات في رأيي مرجعها للأحكام الفقهية، ذلك أنّ الشريعة الإسلامية تعتبر يد المضارب يد أمان فلا يضمن إلا في حال التعدي أو التقصير، ولا يجوز تحميل المضارب خسارة المال أو جزء منه، ولا يجوز للشريك أن يقدم ضمانات لشريكه وإلا لم يكن شريكا بل دين، أما التحرزات الفقهية بوجوب الضمان في حالات التعدي والتقصير فهذه قد تخضع لإجراءات طويلة حتى يمكن إثباتها، فضلا عن طول الإجراءات في التقاضي وتكلفته، وهذا ممّا يجعل المصرف عرضة لنزاعات دائمة في حال استعمال هاتين الصيغتين وكذلك تعرضه لحالة عدم اليقين في تعامله.[35]

[34] (بوقري، 2005، صفحة 134)

[35] (احمد، 2004)

6.6 - مخاطر الخسارة: في حالة وقوع خسائر في حالة المضاربة فإن الذي يتحمّلها هو المصرف وحده، وهذا قد يدفع المضارب –كما سبق - إلى التقاعس عن العمل وقد لا تترتب عليه أي التزامات مالية.[36]

وفي المشاركة فإنّ احتمال فقدان رأس مال المصرف وارد، حيث إنّ المصارف الإسلامية تدخل بصفتها شريكا مساهما في حالة المشاركة، ثمّ تنتقل الحصص إلى الشريك في المشاركة المتناقصة، ويقتصر حق المصرف على نصيب محتمل من العوائد، فمبلغ التمويل يأخذ صفات رأس مال المخاطر، حيث يكون معرّضا للضياع في حالة إخفاق المشروع أو الشركة.[37]

7.6 - مخاطر تسليم رأس المال: تعد مخاطر تسليم رأس المال من المخاطر التي مصدرها أحكام الشريعة، ففي المضاربة يُشترط تسليم رأس المال كاملا إلى العميل في مجلس العقد، حتى يباشر العمل، وهذا فيه كثير من المخاطر التي تمنع صاحب المال وهو المصرف من تدارك خطئه إذا ما اكتشف عدم أمانة العميل أو عدم صلاحية المشروع وعدم تماشيه ومتطلبات السوق ونحوها.[38]

8.6 - مخاطر كون عقدي المشاركة والمضاربة عقدين جائزين: وهذه المخاطر أيضا مصدرها الأحكام الشرعية، حيث إن عقد الشركة بالمضاربة أو الشراكة عقدان جائزان يمكن فسخه بإرادة أحد الأطراف، وهذا فيه مخاطر عندما تكون ظروف السوق غير مواتية بعد البدء في تمويله والصرف عليه، والذي قد يؤدي إلى خسارة المصرف لكل المصاريف في عقد المضاربة أو جزء منها في حال المشاركة، أو عندما يطلب العميل فسخ العقد قبل انقضاء مدته وفي هذا تعريض المصرف إلى خسارة رأس ماله الممول به المشروع.

9.6 - مخاطر قلّة مساهمة العملاء في عقد المشاركة: حيث يؤدي تقليل المساهمة إلى ضعف الحافز أو التخوف من حدوث خسارة، وبالتالي يحدث كثير من المخاطر المتعلقة بسلوك العميل حيال المشاركة، وكلّما ارتفعت مشاركة

[36] (التوم، مصطفى أحمد، و حسن الصادق، 2012، صفحة 6)

[37] (خضراوي، 2009، صفحة 70)

[38] (احمد، 2004)

العميل قلّت تلك المخاطر لأنّ العميل في هذه الحالة يكون لديه الحافز لأن يعمل بجد حتى يحصل على ربح ويتفادى الخسارة.[39]

10.6 - مخاطر غياب الإطار القانوني المناسب: غياب الإطار القانوني الذي ينظّم علاقة المصرف الإسلامي بالعميل في حالة المشاركة والمضاربة، قد يؤدي إلى ضياع حقوق وزيادة احتمال وقوع خسائر بالنسبة للمصرف، أو عدم تمكّنه من استرداد أمواله والقوانين والتنظيمات الموجودة في الغالب إنّما هي خاصّة بالبنوك التقليدية ومن أبرز سماتها فرض ضرائب على عوائد المشاركات والمضاربات، وأيضا فرض نسب من الاحتياطات القانونية، حيث إنّ المصرف عند استخدامه لصيغتي المشاركة والمضاربة يكون استرداد رأس ماله غير مضمون، وإنما هي تمويلات بالمشاركة في الربح والخسارة.

11.6 - مخاطر عدم معرفة الربح: في صيغتي المشاركة والمضاربة، لا تتمكن المصارف الإسلامية من معرفة العائد بدقة، لأنه لا يمكن معرفته إلاّ بعد معرفة التكاليف المتوقعة والإيرادات، وهي من الأمور التي لا تنضبط في صيغ المشاركات عموما.[40]

12.6 - مخاطر مصادر الأموال المستثمرة: يتطلب التمويل بصيغتي المشاركة والمضاربة مصادر ذات طابع طويل الأجل، لأن المشاريع الاستثمارية بصيغتي المضاربة والمشاركة غالبا هي مشاريع لا يمكن أن تأتي ثمارها إلاّ بعد فترة طويلة، وعليه فلابد أن يكون للمصرف مصادر أطول وقتا من المشروع المراد تمويله بعقدي المشاركة أو المضاربة.

7 - عقبات تحول دون تطبيق المصارف الإسلامية لصيغة المشاركة:

يمكن تقسيم العقبات إلى ثلاث مجموعات أساسية: عقبات خارجية وهي العقبات التي يكون مصدرها خارجي عن المصرف، عقبات داخلية وهي عقبات يكون مصدرها من داخل المصرف، وعقبات خاصة بطبيعة صيغة المشاركة.

[39] (الهيجاء، 2007، صفحة 148)

[40] (المصري، 1987، صفحة 239)

1.7 - العقبات الخارجية:

أ - القوانين واللوائح والتشريعات:

- نسبة الاحتياطي القانوني: من أهم العقبات أمام تطبيق المصارف الإسلامية لصيغة التمويل بالمشاركة، نسبة الاحتياطي القانوني، والسبب في ذلك أنّ المصارف الإسلامية في الغالب لا تتمكن من تغطيته من الودائع الجارية فحسب، بل تضطر إلى إكمال التغطية من حسابات الاستثمار[41]، فتتعطّل نسبة معتبرة من قدرة المصرف التمويلية، ممّا يجعل المصرف يُفضّل التمويل قصير الأجل المبني على المداينة على التمويل بالمشاركة.

- السقف الائتماني: إنّ سياسة السقف الائتماني التي تُطبقها البنوك المركزية في نظام المصرفي التقليدي الموّحد، يضر كثيرا بعمل المصارف الإسلامية، لأنّه يحد من قدراتها التمويلية، بل يجعل حجما كبيرا من الأموال معطّلا، وهذا له تأثيره على الأرباح والعوائد للمصرف، كما له تأثيره على طلبات التمويل بمختلف الصيغ ومنها صيغة المشاركة.

- لا يُسمح للبنوك التجارية في بعض الدول، من امتلاك عقارات أو منقولات إلاّ لبعض الأغراض الخاصة، ومن طبيعة المشاركة أن تمتلك المصارف العقارات أو المنقولات مشاركة، وهذا يتنافى مع طبيعة عمل صيغة المشاركة.

- وممّا يعيق المصارف الإسلامية من التمويل بالمشاركة، ما تفرضه بعض القوانين على البنوك التجارية من حد أقصى لمساهمتها في رؤوس أموال الشركات.

ب - المتعاملون مع المصرف الإسلامي:

المتعاملون مع المصرف الإسلامي يمكن تقسيمهم إلى قسمين:

المودعون: (أصحاب الحسابات الاستثمارية): في حالة التمويل بالمشاركة قد ينتج عن العملية ربح، أو خسارة، وفي حالة الخسارة تُوزّع الخسارة على أصحاب حسابات الاستثمار تطبيقا لقاعدة الغنم بالغرم، ولا يضمن المصرف الإسلامي الربح، لكن لما استقر في أذهان المتعاملين (أصحاب حسابات الاستثمار) أنّ

[41] (ناصر، 2005، صفحة 190)

المصارف الإسلامية شبيهة بالبنوك التقليدية، فإنّه من الصعب تقبّل فكرة الخسارة، ممّا يضطر المصرف الإسلامي إلى توظيفات أكثر أمانا تضمن عائدا، شبيهة بتوظيفات البنوك التقليدية، وتخليه عن التمويل بالمشاركة، وقد أظهرت دراسة في الجزائر أنّ أكثر من 60% من العملاء لا يعلمون عن المنتجات الإسلامية إلاّ الاسم، وهذا قد يكون هو السبب الرئيسي وراء هذه المشكلة. [42]

المستثمرون (طالبو التمويل):

- لا تتوفر بيانات ومعلومات دقيقة عن طالبي التمويل والذي يكون عائقا أمام تمويلهم بصيغة المشاركة.

- عدم إمساك طالبي التمويل سجلات محاسبية منظمة ودقيقة يحول دون الموافقة على تمويلهم بصيغة المشاركة.

- عدم رغبة طالبي التمويل في تقديم كل المعلومات وخاصة في الشركات العائلية، يكون عقبة أمام التمويل بالمشاركة.

- عدم رغبة بعض العملاء في الدخول في شراكة، وهذا بسبب عدم وعيهم وفهمهم الجيد لصيغة التمويل.

- نقص المهارات والكفاءات الإدارية لدى طالبي التمويل يجعل المصرف الإسلامي يتحفظ من التمويل بصيغة المشاركة.

- مشكلة عدم توفر الصفات الأخلاقية المطلوبة في بعض المتعاملين، وتطويرهم لأنواع من طرق التحايل.

- في حالة التعدي، المطالب بإثباته هو المصرف، وفي حالة الخسارة مع التعدي والتقصير من قبل المتعامل، فإنّ المصرف الإسلامي إضافة إلى خسائره، يضطر إلى زيادة النفقات على الخبراء والموظفين لأجل إثبات ذلك مع نفقات الجهات الرسمية والقضائية، وهذا يُشكّل عقبة أمام استخدام صيغة المشاركة، ويكون الأفضل للمصرف من استغلال الأموال في تمويلات أقل مخاطرة و آكد عائدا.

[42] (BELAZIL & Benyahia Taibi, 2018, p. 405)

- عدم وجود مؤسسات متخصصة توفّر معلومات كافية تساعد على اتخاذ القرار الصحيح للتمويل بالمشاركة.

- المنافسة من قبل البنوك التقليدية ومؤسسات مالية أخرى، والتي تقدم منتجات بنكية غير معقدة وبأقل تكلفة وهي قريبة من التمويلات الشرعية، مثل الإجارة والإجارة المنتهية بالتمليك، ممّا يجعل المصرف الإسلامي يفضل استعمال الصيغ الأخرى، والتي يمكنه من خلالها المحافظة على ولاء العميل.

2.7 - العقبات الداخلية: تُعتبر الموارد البشرية للمصرف من أهم العقبات التي قد تحول بين استعمال المصرف الإسلامي لصيغة المشاركة، والسبب في ذلك يرجع إلى:

- عدم توفر الكوادر البشرية المؤهلة من أجل متابعة دائمة للمشاركة، والتي تكون لها دراية جيدة بكافة الاعتبارات الاقتصادية المتعلقة بموضوع المشاركة.

- تعتمد المصارف الإسلامية على اليد العاملة المؤهلة وذات الخبرة لكن في البنوك التقليدية، والتي تنقل نفس خلفية البنوك التقليدية وذهنيتها إلى المصارف الإسلامية، فيكون لها أثر على قرارات التمويل، فهي تميل إلى التمويلات القريبة من التمويلات في البنوك التقليدية مثل المرابحة، وتُفضّلها على التمويل بصيغة المشاركة.[43]

- ضعف كفاءة المصارف الإسلامية في دراسات الجدوى وتقييم المشروعات، والذي يؤدي إلى حرمان المصرف من الاستفادة من التمويل بالمشاركة ونتائجه.

3.7 - عقبات خاصة بطبيعة صيغة المشاركة:

- عدم وجود ضمانات: أهم ما يعيق التمويل بالمشاركة لدى المصارف الإسلامية، هو عدم صحة اشتراط ضمانات في عقد المشاركة والمضاربة، ممّا يدفع بالمصارف الإسلامية إلى ترك التمويل بالمشاركة أو التقليل منه إلى حد كبير، تجنبا لهذا الخطر الكبير في نظرها، وعوضا عن ذلك تستثمر أموالها في بقية الصيغ المبنية على المداينة وعلى رأسها المرابحة.

[43] (فاطمة، 2016، صفحة 108)

- التمويل باقتناء أسهم في رأس مال شركة، يجعل الاستثمار دائما وطويل الأجل، وهذا يؤدي إلى أنّ تحويله إلى سيولة يستلزم بيع الأصول (الأسهم) والذي قد يستغرق وقتا أطول ممّا لو استُثمرت في تمويلات قائمة على المتاجرة.

- في المشاركة المنتهية بالتمليك، يصعب تحديد الزمن الذي يكون المصرف فيه قد استرد أمواله، حيث إنّ تحديد الزمن مبني على تحقّق العائد المتوقع من العملية أو المشروع بدقة، وهو أمر غير ممكن في الواقع، بسبب عدم معرفة الإيرادات والنفقات.

- من العقبات التي تواجه المصرف الإسلامي وهو يطبق صيغة المشاركة، طريقة توزيع الأرباح واحتسابها، من المعلوم أن المصرف الإسلامي يعتمد على وعاء تمويلي يشترك فيه المساهمون والمودعون، وفي نفس الوقت للمصرف مجموعة من الخدمات التي تدر عليه عوائد، وعند إرادة تقسيم الأرباح أو تحميل الخسائر، تكون هناك صعوبة في الفصل بين الإيرادات والمصاريف الخاصة بكل عملية.[44] كما أنّ التمويل بصيغة المشاركة يستلزم المتابعة المستمرة والإشراف ممّا يزيد من تكاليف التمويل.[45]

[44] (فاطمة، 2016، صفحة 113)

[45] (بطاهر و بوطلاعة، 2018)

8 - الخاتمة:

تعتبر صيغ التمويل بالمشاركة من أهم صيغ التمويل الإسلامية، إذ هي الفاصل الذي يميّز بوضوح العمل المصرفي الإسلامي عن التقليدي، فهي تتضمن مجموعة من المزايا للاقتصاد الوطني، وللبنك، وللمتعاملين، لكن تبقى مجموعة من العقبات تحول بين تطبيق المصارف الإسلامية لهذه الصيغة، تجتمع في ثلاث مجموعات مصدرها إمّا البيئة الخارجية للمصرف الإسلامي، وأهمّها القوانين والأنظمة المنظّمة لعمل المصارف، ومجموعة ثانية مصدرها المصرف نفسه، ويُشكل المورد البشري للمصرف نواة هذه المجموعة، وهناك مجموعة ثالثة تتعلق بطبيعة صيغة المشاركة والتي يُعتبر عدم وجود الضمان فيها أكبر عقبة في طريق التعامل بها من قبل المصارف.

يمكن تجاوز هذه العقبات أو تقليلها من خلال:

1 - القوانين والتشريعات: يمكن للبنوك المركزية أن تفرض احتياطي قانوني خاص بشق الودائع الجارية، التي يضمنها المصرف الإسلامي، وأن تُخرج الودائع الاستثمارية من معادلة حساب الاحتياطي، ذلك أنّ الودائع الاستثمارية هي ودائع مضاربة قائمة على قاعدة الغنم بالغرم، فالمودعون في هذا النوع من الودائع يتقبلون الخسائر في حال حدوثها من غير تعد أو تقصير من المصرف.

-سياسة السقوف الائتمانية يمكن أن تكون خاصة بالتمويلات قصيرة الأجل، والقائمة على المتاجرة، أمّا التمويلات بصيغ المشاركة فهي لا تولّد نقودا، ويمكن إعفاؤها من هذه السياسة. كما يمكن وضع تشريعات تسمح للمصارف الإسلامية من امتلاك عقارات ومنقولات، والمساهمة في رؤوس أموال شركات، لأنّ طبيعة المشاركات تقتضي ذلك.

2 - المتعاملون مع المصرف: يمكن للمصرف الإسلامي أن يعالج مشكلة أصحاب الودائع الاستثمارية الذين لا يتقبلون فكرة الخسائر، من خلال نشر الوعي، وتوضيح صيغة المضاربة القائم عليها عقد الودائع الاستثمارية. كما تتمكن المصارف الإسلامية من تجاوز العقبات المتعلقة بالعملاء طالبي التمويل، من خلال رفع كفاءة كوادرها، بالتكوين واستمرارية التدريب، حتى يتمكنوا من

اختيار العملاء الذين يصلحون لهذا النوع من التمويل، مع عدم الوقوع في مخالفات شرعية.

3 - بالنسبة للعقبات المتعلقة بصيغة المشاركة مشكلة الضمان: في عقود المشاركات لو تمّ أخذ الضمانات لكان العقد عقد قرض وما انجرّ عنه من زيادة تكون من الربا المحرم، لكن يجوز تضمين المتعامل إذا كان متجاوزا لما نصّ عليه العقد، أو حصل منه تقصير في تطبيق العقد، كما اقترح بعضهم تضمين طرف ثالث على سبيل التبرع، يبقى في نظرنا أنّ أفضل حلّ لمشكلة الضمان هو الدراسة الجيدّة التي يقوم بها المصرف الإسلامي حول العميل (طالب التمويل)، وموضوع التمويل، كما يمكن للمصرف الإسلامي تطبيق صيغة المشاركة، في غير التمويلات المباشرة، كأخذ حصص في مشروعات قائمة، أو اقتناء أسهم لشركات موجودة.

المراجع:

باللغة العربية:

- إبراهيم بن صالح العمر، النقود الائتمانية ودورها وآثارها في اقتصاد إسلامي، المملكة العربية السعودية، دار العاصمة، الطبعة الأولى، 1414هـ.
- أحمد محيي الدين أحمد، تطبيق المضاربة والمشاركة الثابتة والمتناقصة في التمويلات المصرفية، ورقة عمل مقدمة إلى المؤتمر الرابع للهيئات الشرعية للمؤسسات المالية مملكة البحرين، 3 -4 أكتوبر 2004.
- إلياس عبد الله أبو الهيجاء، تطوير آليات التمويل بالمشاركة في المصارف الإسلامية "دراسة حالة الأردن"، رسالة دكتوراه، جامعة اليرموك، تخصص الاقتصاد ومصارف إسلامية، 2007.
- بحوصي مجدوب، عريس عمار، وريدروج نضال، رأس المال الجريء الإسلامي: نموذج للتوفيق بيت التمويل برأس المال الجريء والتمويل التشاركي الإسلامي، مجلة اقتصاد المال والأعمال، المركز الجامعي ميلة، سنة 2018، المجلد 2، العدد 4، ص ص: 436 - 464.
- بطاهر بختة، وبوطلاعة محمد، إدارة مخاطر صيغ التمويل في البنوك الإسلامية – دراسة ميدانية في عدة فروع لبنك البركة -، مجلة الدراسات الاقتصادية والمالية، جامعة الوادي، سنة 2018، المجلد 11، العدد2، ص ص: 139 -154.
- بن قايد الشيخ، أساليب الاستثمار في المصارف الإسلامية (عقد المشاركة نموذجا) دراسة حالة بنك البركة - وكالة غرداية، رسالة ماجستير، جامعة الأغواط، كلية العلوم الاقتصادية، تخصص نقود مالية وبنوك، سنة 2014، غير منشورة.

- جميل أحمد، الوظيفة التنموية للمؤسسات المالية الإسلامية (دراسة حالة البنك الإسلامي للتنمية)، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، تخصص العلوم الاقتصادية، سنة 1996..

- حسب الرسول يوسف التوم وآخرون، مخاطر تطبيق صيغ التمويل في الإسلام، مجلة العلوم والبحوث الإسلامية، جامعة السودان، سنة 2012، العدد5.

- خالدي خديجة وبن حبيب عبد الرزاق، نماذج وعمليات البنك الإسلامي، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، سنة 2016.

- رفيق المصري، مصرف التنمية الإسلامي أو محاولة جديدة في الربا والفائدة والبنك، الطبعة الثالثة، بيروت، مؤسسة الرسالة، سنة 1987.

- سليمان ناصر، علاقة البنوك الإسلامية بالبنوك المركزية، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، تخصص علوم التسيير، غير منشور، سنة 2005.

- طارق الله خان، حبيب أحمد، إدارة المخاطر: تحليل قضايا في الصناعة المالية الإسلامية، جدة، المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب، سنة 2003.

- عادل عبد الرحمن بوقري، مخاطر صيغ التمويل التجارية الإسلامية في البنوك السعودية، رسالة دكتوراه، ، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية تخصص اقتصاد إسلامي، غير منشور، سنة 2005

- عبد الرزّاق رحيم جدي الهيتي، المصارف الإسلامية بين النظرية والتطبيق، الطبعة الأولى، الأردن، دار أسامة للنشر، سنة 1998.

- عبد الله بن محمد بن عبد الله العمراني، العقود المالية المركبة دراسة فقهية تأصيلية وتطبيقية، الطبعة الأولى، المملكة العربية السعودية، كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، سنة 2006.

- فاطمة بن الناصر، إشكالية تمويل بالمشاركة في المصارف الإسلامية وتحديات تطبيقه، رسالة دكتوراه، جامعة الأغواط، تخصص علوم التسيير، غير منشور، سنة 2016

- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، الطبعة الأولى، بيروت، دار إحياء التراث، سنة 1997.

- محمد أمين بن عمر بن عابدين، رد المحتار على الدر المختار، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

- محمد بن محمد بن عبد الرحمن الحطّاب، مواهب الجليل لشرح مختصر خليل، الطبعة الثانية، بيروت، دار الفكر، سنة 1987.

- محمد الشربيني الخطيب، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، مطبعة مصطفى بابي الحلبي، بدون تاريخ.

- محمد مصطفى أبوه الشنقيطي، دراسة شرعية لأهم العقود المالية المستحدثة، الطبعة الثانية، المدينة المنوّرة، مكتبة العلوم والحكم، سنة 2001.

- محمد ناصر الدين الألباني، إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، الطبعة الثانية، بيروت، المكتب الإسلامي، سنة 1985.

- محمود حسين الوادي وحسين محمد سمحان، المصارف الإسلامية الأسس النظرية والتطبيقات العملية، الطبعة الخامسة، الأردن، دار المسيرة للنشر والتوزيع، سنة 2016.

- محمود عبد الكريم أحمد إرشيد، الشامل في معاملات وعمليات المصارف الإسلامية، ط الثانية، الأردن، دار النفائس، سنة 2007.

- مدور عبد الحميد، علاش أحمد، التطبيقات الآمنة للتمويل بالمشاركة في المصارف الإسلامية، مجلة الاقتصاد والتنمية البشرية، جامعة البليدة2، المجلد 9، العدد 3، ديسمبر 2018 ، ص ص:63 -73.

- موسى مبارك خالد، صيغ التمويل الإسلامي كبديل لصيغ التمويل التقليدي في ظل الأزمة المالية العالمية، رسالة ماجستير، جامعة سكيكدة، كلية العلوم الاقتصادية، تخصص تحليل استراتيجي مالي، غير منشورة، سنة 2013

- موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة، المغني والشرح الكبير على متن المقنع، الطبعة الأولى، بيروت، دار الفكر، سنة 1984.

- نصيب أميرة، سحنون محمود، أثر تغيرات معدل عائد المشاركة على استقرار المصارف الإسلامية –دراسة قياسية لعينة من االسعودية والبحرينية 2007 -2015، مجلة الشريعة والاقتصاد، جامعة العلوم الإسلامية الأمير عبد القادر، سنة 2016، المجلد 5، العدد 9، ص ص: 473 -514.

- نعيمة خضراوي، إدارة المخاطر البنكية دراسة مقارنة بين البنوك التقليدية والإسلامية -حالة بنك الفلاحة والتنمية الريفية وبنك البركة الجزائري، رسالة ماجستير ،جامعة محمد خيضر ،بسكرة، غير منشور، سنة 2009.

- نوال بن عمارة، العربي عطية، التمويل بالمشاركة ودوره في تعزيز العمل المصرفي الإسلامي، مجلة رؤى اقتصادية، جامعة الوادي، سنة 2013، المجلد 3، العدد5، ص ص 97 - 107.

- نوال صالح بن عمارة، المراجعة والرقابة في المصارف الإسلامية، الطبعة الأولى، عمان، الأردن، دار وائل للنشر، سنة 2013.

المراجع باللغة الفرنسية:

- Belazil Faiza, Benyahia taibi Ghalia, L'intégration des produits financiers islamiques dans les banques conventionnelles: Enquête auprès d'un échantillon de banques nationales, Journal de la performance des institutions algériennes, université d'Ouargla, 2018, volume 13, N° 1, pp 399-414.

- Bourouba Katia, Le crowfunding: Une solution alternative de financement pour les start-up et PME en Algérie, Journal of economics and management, université de Setif, 2018, volume 18, N°1, pp 339-351.

- Tahraoui Douma Ali, Bouguetaia Soufyane, Mimouni Yassine, Le financement De l'innovation dans les PME algériennes : les défis et les enjeux Revue de développement et d'économie appliquée, université de M'sila, 2019, volume 03, N°1 , pp 317-327.

مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ر ت م د: 7163 -1112 ر ت م د إ:2588-1892
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2

تدقيق العمليات الجبائية كآلية للحد من الخطر الجبائي (دراسة حالة)

Tax audits as a mechanism to reduce the fiscal risk (Case Study)

بلوطار طارق[1]، عجيلة محمد[2]

1- جامعة غرداية ، مخبر التنمية الإدارية ، belouettar.tarek@univ-ghardaia.dz

2- جامعة غرداية ، مخبر التنمية الإدارية ، adjila@univ-ghardaia.dz

تاريخ الاستلام: 2020/05/02 تاريخ القبول: 2020/12/03

ملخص -

تهدف هذه الدراسة إلى محاولة إبراز الدور الذي يلعبه التدقيق الجبائي في الحد من المخاطر الجبائية وضمان تسيير جبائي سليم وذلك من خلال تقليص العبء الضريبي عن طريق الاستفادة من الخيارات المتاحة من المشرع الجبائي.

وقد توصلنا من خلال الدراسة التي قمنا بها على مستوى شركة توزيع الكهرباء والغاز لولاية سوق اهراس والخاصة بالتصريحات الجبائية لسنة 2016 الى أن علاقة المؤسسة بإدارة الضرائب والمخاطر التي تواجهها هي عدم إيفائها بالتزاماتها الجبائية أو توفير شروط الاستفادة من الخيارات الجبائية التي يعرضها المشرع الجبائي

الكلمات الدالة:

التدقيق الجبائي، المخاطر الجبائية، القانون الجبائي، الارباح والاعباء.

المؤلف المرسل: بلوطار طارق: bel.tarek7@gmail.com

Abstract:
This study aims to try to highlight the role that tax audit plays in reducing tax risks and ensuring proper tax management by reducing the tax burden by making use of the options available from the tax legislature.
And through the study that we conducted at the level of the Electricity and Gas Distribution Company in the Wilayat of souk Ahrass, concerning the tax declarations for the year 2016, we concluded that the corporation's relationship with the tax administration and the risks it faces is that it does not fulfill its tax obligations or provides conditions for benefiting from the tax options offered by the tax legislature.

Key words:
tax audit, tax risk, tax law, profits and burdens

1. - مقدمة

أصبح وزن الضرائب ذا أهمية متزايدة في حياة الشركات وهذا لأسباب مختلفة، من ناحية فهي ملزمة بالامتثال لقواعد قانون الضرائب التي لا تتوقف عن التطور في حين أنها أكثر تعقيدًا. ومن ناحية أخرى ينص القانون على آليات الرقابة والعقوبة في حالة انتهاك هذه القواعد من أجل ضمان مصلحة الخزينة العامة وجمع الضرائب.

حيث تتمثل المخاطر الضريبية في احتمال ظهور ديون ضريبية تجاه الخزينة العامة او عبارة عن تأخير في تسديد مستحقات ضريبية، ويمكن أن تنشأ بسبب تعقيد قواعد وأحكام قانون الضرائب، مما يؤدي إلى تباعد تفسيرات هذه القواعد بين دافع الضرائب وإدارة الضرائب، كما أن غالبية الضرائب عبارة عن ضرائب يتم حسابها بواسطة دافعي الضرائب أنفسهم والتي قد تؤدي إلى أخطاء حسابية في التصريحات المبلغ عنها.

وبالتالي فإن المؤسسة في حالة من المخاطر المالية، والتي يمكن أن تكون مخاطر عنصر المعلومات للمديرين. حيث يعد قياس وتقليل مخاطر الضرائب بغض النظر عن مصدرها أحد الشواغل الرئيسية للمؤسسات الاقتصادية اليوم، وهو ما يبرر أهمية تدقيق الوضعية الضريبية للمؤسسة

ومما سبق يمكن طرح **الاشكالية** التالية:

الى اي مدى يمكن ان يساهم التدقيق الجبائي في الحد من الاخطار الجبائية على مستوى شركة سونلغاز لسنة 2016؟

وللإجابة على هذه الاشكالية نطرح الاسئلة الفرعية التالية:

- **فيم يتمثل التدقيق الجبائي؟**
- **ماهي المخاطر الجبائية التي يمكن ان تتعرض لها المؤسسة الاقتصادية؟**
- **كيف يمكن للتدقيق الجبائي ان يحد من الاخطار الجبائية؟**

فرضيات الدراسة:

- **يتمثل التدقيق الجبائي في تدقيق التصريحات الضريبية المقدمة من طرف المؤسسة الى مصلحة الضرائب**
- **يمكن ان تتعرض المؤسسة الى مخاطر متعلقة بالمحتوى ومخاطر متعلقة بآجال الاستحقاق**
- **يساهم التدقيق الجبائي في الحد من الاخطار الجبائية**

أهمية الدراسة

تكمن اهمية الموضوع في ان المؤسسات الاقتصادية تخضع بشكل الزامي لعدة قوانين ومن أبرزها القانون الضريبي حيث تعتبر مصلحة الضرائب احد مستخدمي المعلومة المالية خاصة في الجزائر وهذا ما يدعو المؤسسات الى تدقيق وضعيتها الجبائية قبل التصريح بها لدى المصالح الضريبية تفاديا للمخاطر الجبائية.

أهداف الدراسة: تهدف هذه الدراسة إلى

- **توضيح مفهوم المخاطر الجبائية؛**
- **التأكيد على أن تبني مفاهيم التدقيق الجبائي في المؤسسة الاقتصادية يساهم في تطوير وظيفة جديدة داخل هذه المؤسسة تؤدي الى التخفيض من التكلفة الضريبية مع الحفاظ على الأداء الجبائي لها.**

منهج الدراسة:

من أجل الإجابة على إشكالية الدراسة واختبار صحة الفرضيات، وبالنظر الى طبيعة الموضوع، يتم الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي في الجانب النظري، أما فيما يخص الجانب التطبيقي فسيتم الاعتماد على منهج دراسة حالة، من خلال القيام بإسقاط الجانب النظري للدراسة على الواقع

التطبيقي لمؤسسة سونلغاز لتوزيع الكهرباء والغاز، كما سيتم الاستعانة بالمعلومات والوثائق المقدمة من طرف المؤسسة

2. مفهوم التدقيق الجبائي:

قدمت عدة تعاريف للتدقيق الجبائي وكلها تعاريف صادرة عن هيئات أو أشخاص ممارسين، وسوف نحاول تقديم بعضها لمحاولة الوقوف على مفهوم شامل لهذا النوع من التدقيق .

فحسب الجمعية التقنية لتنظيم مكاتب المراجعة والاستشارة ((ATHC :تعتبر التدقيق الجبائي كمتغير للتدقيق العملي يمكن تعريفه كمايلي :

" يتمثل التدقيق الجبائي في إبداء رأي على مجموعة من الهياكل الجبائية للوحدة (المؤسسة) وطريقة توظيفها، وبالتالي نجد الجباية بكل أنواعها موضوع التدقيق داخل المؤسسة" (Atic, 1985, p. 2)

وحسب كولين M :COLIN" : التدقيق الجبائي هو الفحص المحاسبي المطبق من طرف إدارة الجباية وهو عبارة عن مراقبة احترام القوانين الجبائية" (M, 1985, p. 38)

وحسب : P BONGAN ET J.M.VALLEE

" التدقيق الجبائي يسمح بقياس قابلية المؤسسة على تحريك مواردها بغرض احترام القوانين الجبائية في إطار سياستها التسييرية من جهة، وكذا التحقق من أهدافها المسطرة ضمن السياسة العامة من جهة أخرى".
(Vallée, 1986, p. 53)

أما M.MASTOURI التدقيق الضريبي هو تشخيص للإلتزامات الضريبية فى الشركة ووضع استراتيجية نهائية للمشروع، واقتراح حلول ان وجدت والتي من شانها ان تجعل الادارة النهائية اكثر كفاءة فى تقليل العبء الضريبي. (M.MASTOURI, 1992, p. 15)

وحسب J.F.COSTA et A.MIKOL " التدقييق الجبائي هو اختبار انتقادي يرمي الى التأكد من أن حسابات المؤسسة تحترم القواعد الجبائية" (MIKOL, 1999, p. 107)

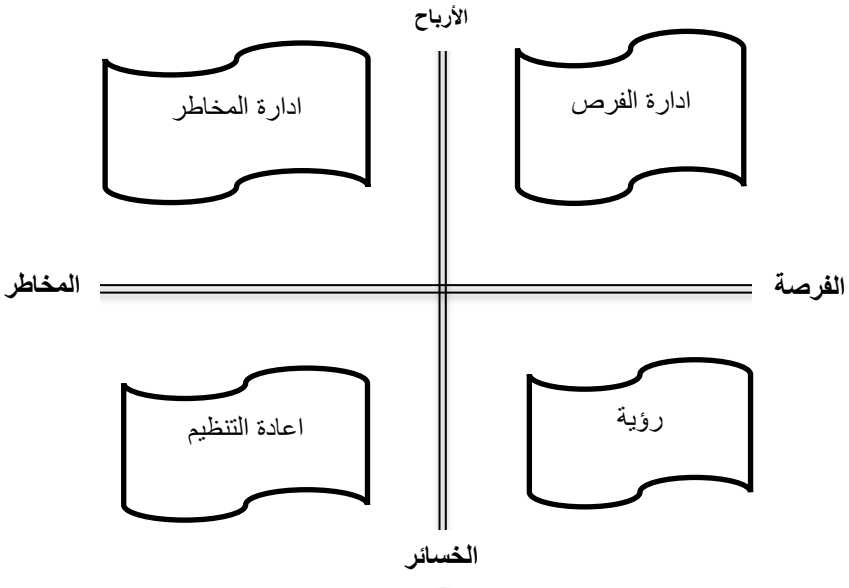
من خلال هذه التعاريف يمكننا تعريف التدقيق الجبائي "بأنه عملية فحص لحسابات المؤسسة وتشخيص وضعيتها الجبائية لمعرفة مدى احترام هذه الاخيرة للقواعد الجبائية "

1.2 أهمية التدقيق الجبائي :

التدقيق الجبائي هو المحرك الأساسي للتشخيص الجبائي للمؤسسة والذي يسمح باكتشاف نقاط الضعف ونقاط قوة المؤسسة وهذا بهدف تصحيح الأولى والاستغلال الأمثل للثانية ، حيث يضمن حمايتها ويضمن كذلك أكبر أمن جبائي لها .

- التدقيق الجبائي يسمح بتقييم النجاعة الجبائية للمؤسسة ويسمح كذلك بوضع الخطوط العريضة للإستراتيجية الجبائية للمؤسسة .
- اقتراح الحلول التي تجعل الأداء في التسيير الجبائي أكبر بإنقاص التكلفة الجبائية، ومراقبة الوضعية الجبائية وتفرض دراية ومعرفة لترجمة القوانين والقرارات والمراسيم والبيانات...الخ (بوعكاز، 2015، صفحة 82)

الشكل رقم01 أهمية التدقيق الجبائي



Source : (khelassi, 2013, p. 95)

يمثل الشكل رقم01 أهمية التدقيق الجبائي في استغلال الفرص والتي هي الخيارات الجبائية لصالح المؤسسة وادارة هذه الفرص لصالحها وأن اهمالها يمثل رؤية محدودة لهذه الفرص كما أن المخاطر والتي تعبر في الشكل عن المخاطر الجبائية فإن التدقيق الجبائي يمكن من تجنب هذه المخاطر ويعتبر كإدارة لهذه المخاطر في حال الأرباح أو اعادة تنظيم في حال الخسائر

2.2 أهداف التدقيق الجبائي:

للتدقيق الجبائي عدة أهداف تتمثل في الآتي:

- الهدف من التدقيق الجبائي هو تحليل الوضع الضريبي للشركة والطريقة التي تستخدم بها اللوائح الضريبية لإدارة مخاطرها الجبائية. فإذا كان عدم مراعاة القواعد الضريبية المطبقة أو سوء تفسيرها لا يلقى اهتمام داخل المؤسسة فقد يكون له عواقب وخيمة على المؤسسة والمجتمع، فإن الفشل في الاستخدام الملائم لأحكام الضرائب لصالح الشركات قد يمثل أيضًا تكلفة كبيرة (khelassi, 2013, p. 104)
- البحث عن معلومات تخص وجود عدم الانتظام والدقة في التصريحات الجبائية، وهو ما يسمح بقياس مدى الخطر المتعلق بها، وبالتالي معرفة الوضعية الجبائية للمؤسسة والتي تهم بشكل كبير المؤسسات المالية (البنوك، محافظي الحسابات والشركاء الحاليين والمستقبليين).
- معرفة مواطن ضعف المؤسسة من الجانب الجبائي، و وضعها أمام حقيقة وضعيتها الجبائية (الامن الجبائي).
- تجنب إجراءات يمكن أن تأخذ عدة سنوات وقد تؤدي هذه الإجراءات إلى عرقلة السير الحسن للمؤسسة (مثلاً تعطيل حسابات الشركة لدى البنوك أي المعارضة على الحسابات).
- البحث في تهيئة الهياكل للسماح بتخفيض الضرائب .
- البحث عن إمكانية تقليص الخطر الجبائي أو القضاء على عوامل ظهوره المتمثلة في عدم الانتظام والدقة (بوعكاز، 2015، صفحة 86)

- أخذت نظرة المؤسسة إلى الجباية وجها جديدا في الوقت الحالي، فبعد أن كانت مرتبطة بفكرة القيد المالي والالتزامات الإدارية أصبحت تعطي للمؤسسة إمكانية تصميم وضعيتها الجبائية من خلال إعطائها شكل قانوني يتم اختياره على أساس الخيارات التي تتضمنها التشريعات الجبائية، والتي يمكن أن تستفيد من نظام خاص كالإعفاءات الضريبية، كما انه أصبح في إمكان المؤسسة قياس وتقدير كتلة ديونها الجبائية (Phillipe Boudafox, 1986, p. 91)

3.2 - أنواع التدقيق الجبائي :

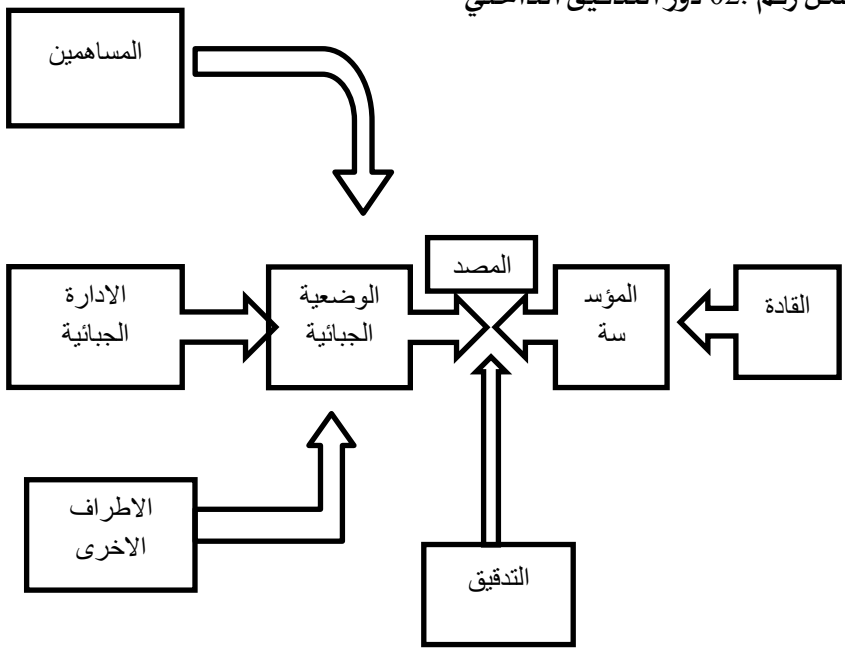
يمكن تقديم التدقيق الجبائي كركيزة أساسية لمعرفة الوضعية الجبائية للمؤسسة وهذا ما يجعلها تستخدم الجباية في صالحها حيث يمكن تقسيم التدقيق الجبائي الى نوعين هما:

1.32 التدقيق الداخلي : يعتبر التدقيق الضريبي مهمة محددة للمراجعة الداخلية للحسابات، يُطلب هذا الاخير من شخص يتبع المؤسسة لتقديم ملاحظات تتعلق بالضرائب، بحيث يتمكن من الاقتراب من نهج المدقق الداخلي ونتائجه (khelassi, 2013, p. 114)

يتم تنفيذ مهمة التدقيق الداخلي للتعبير عن رأي منطقي حول جودة المعلومات المتعلقة بالحالة الضريبية للشركة ومدى توافقها مع القواعد الضريبية.

يشمل التدقيق الداخلي جميع الوظائف المتعلقة بالشركة: الإنتاج، التسويق والمحاسبة والضرائب.... إلخ. حيث يتضمن دور التدقيق الداخلي مراجعة وتقييم مدى كفاية وواقعية التدقيق الداخلي وكذا نظام الرقابة الداخلية للشركة.

الشكل رقم :02 دور التدقيق الداخلي



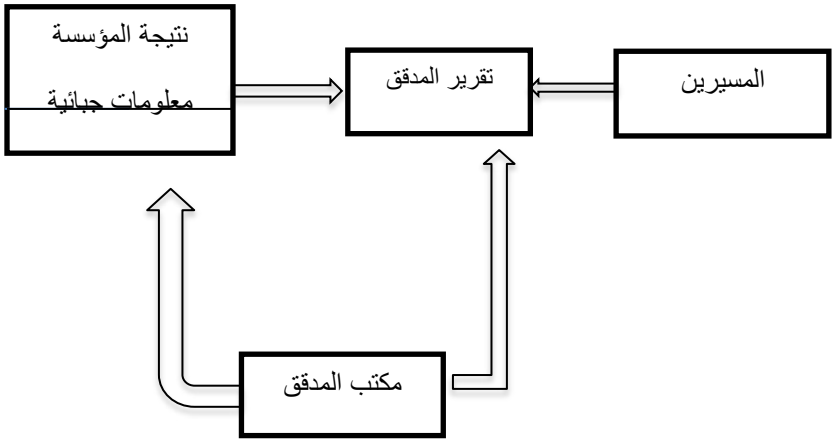
Source : (HERBACHE, 2000, p. 4).

يظهر الشكل رقم 02: اهتمام كل من المساهمين وإدارة الضرائب بالإضافة إلى الأطراف الأخرى بالوضعية الجبائية للمؤسسة حيث يلجأ هؤلاء إلى تقرير المدقق الجبائي حول الوضعية الجبائية للمؤسسة والتي يعتمد عليها في اتخاذ القرارات

2.3.2 التدقيق الخارجي :

هو عبارة عن مهمة تمارس من طرف شخص مستقل عن المؤسسة بصفة متقطعة أو دائمة (مستمرة)، حيث تكون مهمته في بعض الأحيان عبارة عن تكملة لمهام التدقيق الداخلي، كما يمكن أن تكون ذات طابع تعاقدي مثل أن تلجأ المؤسسة إلى مكتب للتدقيق بغرض إنجاز هذه المهمة في إطار عقد يربطها بهذا المكتب (بوعكاز، 2015، صفحة 93)

الشكل رقم 03: دور التدقيق الجبائي الخارجي



Source: (HERBACHE, 2000, p. 6)

يظهر الشكل أعلاه دور التدقيق الجبائي في الشكل أعلاه المتمثل في أن مكتب المدقق يقوم بالتأكد من التصريحات الجبائية والتسجيلات المحاسبية لمختلف الضرائب من أجل إعداد تقريره الذي يهتم به المسيرين من أجل بناء القرارات

4.2 - أسباب استخدام التدقيق الجبائي:

الغرض من مهمة التدقيق الضريبي هو خطوة أساسية للمدقق لتقدير المخاطر الضريبية المكتشفة أثناء المهمة(khelassi, 2013) **. تدخل التكاليف الجبائية التي تتكبدها المؤسسة ضمن التكاليف العامة حيث تؤثر على نتيجة المؤسسة ووضعيتها المالية في نظر كل من له مصلحة تجاه المؤسسة (بنوك، مسيرون، ادارة الضرائب ، المساهمين الحاليين والمرتقبين ...الخ) كما يدخل التدقيق الجبائي في إطار التسيير الجبائي وذلك كونه مراقبة للوضعية الجبائية للمؤسسة، ولا يمكن اعتبار المسيرين يطبقون تسييرا جبائيا بمجرد أنهم يوفون بالتزامات المؤسسة الجبائية دون التعرض إلى عقوبات أو غرامات، بل يجب أيضا أن ينجحوا في إدماج الجانب الجبائي في إطارالتسيير العام للمؤسسة، ولهذا فان التدقيق الجبائي يعتبر عنصرا مهما**

في التسيير العام للمؤسسة، لأنه يركز على تطبيق الخيارات الجبائية واستعمالها، والتي تتأثر بنوعين من القرارات وهما (بوعكاز، 2015، صفحة 87)

- فالقرار الأول يتمثل في القرارات الناتجة عن مختلف واجبات المؤسسة اتجاه الإدارة الجبائية التأكد من أن المؤسسة تحترم حقيقة القواعد القانونية الخاضعة لها (ملاءمتها للقواعد الجبائية) فالتدقيق الجبائي، يقوم أيضا بإنجاز مراقبة قانونية تسمح للمؤسسة بمعرفة ليس فقط الأخطار ولكن أيضا الخطر الناجم عن هذه الأخطار (الخطر الجبائي)
- أما القرار الثاني يتعلق بقيام المدقق بتقييم قابلية المؤسسة لاستعمال أحسن بالنسبة للإمكانيات التي يوفرها لها التشريع الجبائي، أي التحكم في ميكانزمات التشريع الجبائي ومعرفة خباياه وبالتالي استعماله في صالح المؤسسة من غير المساس بمصالح خزينة الدولة (تحسين الأداء الجبائي)، هذه التقنيات هي الطرق المستعملة والتي يمكن أدراجها ضمن مفهوم التسيير الجبائي للمؤسسة، والذي يساهم في تحسين التسيير العام للمنشأة

5.2 الخطر الجبائي :

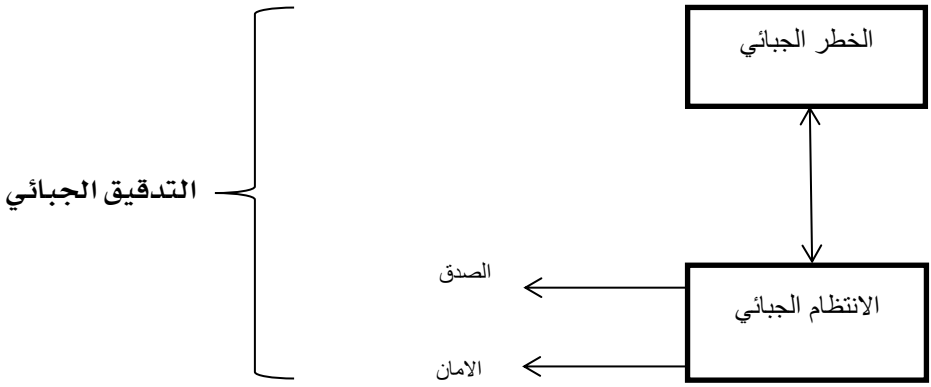
يتميز كل قسم من هذه القطاعات، بمختلف التنظيمات والهياكل والسلوك الاقتصادي الذي قد يولد سلوكيات مختلفة للامتثال الضريبي. لهذا السبب، من الضروري تحليلها بشكل منفصل (Santoro, 2016)

حيث إن التعقيد في التصريحات الجبائية، وملايين التسجيلات المحاسبية خلال السنة في مؤسسة كبيرة، بالإضافة إلى المعارف المحدودة للمنفذين القاعديين للمحاسبة في المؤسسة لا يجعل وجود عدد هائل من الأخطاء أمرا مفاجئا، وبما أن الإدارة الضريبية تملك تجاه المؤسسة سلطة ثلاثية تتمثل في المراقبة، الإجراءات التصحيحية وتسليط العقوبات، فإنها تقوم بمراقبة الانتظام الجبائي للمؤسسة من خلال مراجعة نظام التصريحات على مستوى هذه المؤسسة، والمشرع أجاز لإدارة الضرائب طرق متعددة للرقابة، وسخر لها كل الموارد البشرية والوسائل المادية الضرورية لهذه المهمة

(Légarde, 1990, p. 38) حيث تنشأ المخاطر الضريبية من حقيقة أن إدارة الضرائب لديها قوة الرقابة، والعقوبات في الحالتين التاليتين:

- عدم الانتظام والدقة في التصريحات الجبائية
- عدم كفاية التصريحات

الشكل رقم 04: الهدف من التدقيق الجبائي



Source : (khelassi, 2013, p. 142)

يظهر الشكل رقم 04 أن التدقيق الجبائي يؤدي الى الانتظام الجبائي اتجاه مصلحة الضرائب وأن اهماله يعرض المؤسسة الى الأخطار الجبائية

6.2 الأداء الجبائي:

أخذت نظرة المؤسسة إلى الجباية وجها جديدا في الوقت الحالي، فبعد أن كانت مرتبطة بفكرة القيد المالي والالتزامات الإدارية أصبحت تعطي للمؤسسة إمكانية تصميم وضعيتها الجبائية (بوعكاز، 2015، صفحة 86)

من خلال إعطائها شكل اجتماعي ما، يتم اختياره على أساس الخيارات التي تتضمنها التشريعات الجبائية، والتي يمكن أن تستفيد من نظام خاص

كالإعفاءات الضريبية، كما انه أصبح في إمكان المؤسسة قياس وتقدير كتلة ديونها الجبائية (Phillipe Boudafox, 1986, p. 91)

3. واقع التدقيق الجبائي على مستوى مؤسسة سونلغاز

تلتزم شركة سونلغاز كمجمع بأداء العديد من الضرائب والرسوم الناجمة عن أنشطتها المختلفة من انتاج الكهرباء ونقله الى توزيع الكهرباء والغاز عبر القطر الوطني وبحكم رقم أعمالها المحقق فإن المجمع يخضع للنظام الحقيقي، كما يخضع لنظام جبائي خاص بمجمع الشركات القائم على أساس الخضوع لنظام الميزانية الموحدة وسنتناول الضرائب والرسوم التي يتم تدقيقها على مستوى فرع ولاية سوق أهراس

سنتناول في هذا الجزء الإجراءات العملية للتدقيق الجبائي لأهم الضرائب والرسوم بالمؤسسة

1.3 تدقيق التصريح الخاص بالرسم على القيمة المضافة (TVA)والرسم على النشاط المهني(TAP): يتم تدقيق هذه التصريحات الى مرحلتين رئيسيتين هي تدقيق شكل ومحتوى التصريحات وتدقيق الآجال الخاصة بها

1.1.3 تدقيق شكل ومحتوى التصريحات:

من خلال نظام مركزية الضريبة تقوم كل فروع ووحدات المجمع بإرسال قوائم خاصة بالمشتريات والمبيعات الشهرية الخاضعة للضريبة والمعفاة منها.

وتبدأ عملية تدقيق التصريحات الجبائية انطلاقا من الحدث المنشأ للضريبة سواءا كان عبارة عن مبيعات وعمليات مماثلة أو أداء خدمات وأشغال عقارية حيث يتم التأكد من صحة التسجيل حيث تعتمد المؤسسة في التسجيل في يومية حساباتها على التوقيع الثنائي من طرف المحاسب المكلف بالتسجيل ثم التأكد من صحة التسجيل من طرف رئيس قسم المحاسبة والمالية الذي يمثل المراقب بتوقيعه أما إذا تعلق الحساب بمصلحة أخرى مثل مصلحة الموارد البشرية فإن التسجيل يتم على أساس وثيقة تحليل الحساب والتي تحمل توقيع المحاسب وتوقيع مصلحة الموارد البشرية ثم توقيع المراقب الذي هو رئيس قسم المحاسبة والمالية ثم يتم تدقيق وعاء الضريبة أي الثمن الإجمالي الذي يقابل تأدية الخدمات أو المبيعات حيث يتم مطابقة

التصريحات المقدمة مع التسجيلات المحاسبية الخاصة بها من طرف رئيس قسم المحاسبة والمالية حيث يقوم بالتأكد من المبيعات بما يتوافق مع حساب المراجعة بعد الجرد وفق الخطوات التالية:

1.1.1.3بالنسبة لتصريح الرسم على القيمة المضافة TVA :

يتم تدقيق محتوى تصريح هذا الرسم انطلاقا من التأكد من العناصر التالية:

- التأكد من ان المبالغ المدرجة في الرسم تخص فواتير المبيعات أو المشتريات الفعلية
- التأكد من الرسم القابل للدفع من خلال التأكد من الية الخصم بين الرسم على القيمة المضافة الخاص بالمبيعات والمشتريات (TVA مبيعات – TVA مشتريات)
- التأكد من أن الفواتير تخص الشركة فعليا وان المؤسسة هي الزبون أو المورد في هذه الفاتورة
- التأكد من المشتريات والمبيعات تتعلق بالشهر والدورة الخاصة بالتصريح
- التأكد من ان الفواتير تتبع المديرة الولائية ولا تخص مديرية اخرى

2.1.1.3 بالنسبة لتصريح الرسم على النشاط المهني TAP

- التأكد من أن رقم الأعمال مفوتر حقيقة من طرف الشركة
- التأكد من الفواتير الخاضعة للمعدل المخفض
- التأكد من الملاحق الخاصة برقم الأعمال الخاضع للمعدل المخفض
- التأكد من ان رقم الأعمال يخص الشهر والدورة المعنية بالتصريح
- التأكد من توفر الوثائق الثبوتية الكافية

أما تدقيق المعدلات المطبقة: فيقوم بالتأكد من أن المبيعات والخدمات تخضع للمعدل المخفض أو العادي

بالنسبة للرسم على القيمة المضافة فإن المعدل العادي هو 17٪ والمعدل المخفض هو 7٪ حيث يتم التأكد من عدم استغلال المعدل المخفض لفواتير تخضع للمعدل العادي

أما بالنسبة للرسم على النشاط المهني فالمؤسسة تخضع للمعدل العادي 2٪ و تخفيض بنسبة 30٪ للمبيعات بالجملة والتي يتبعها ملحق خاص بالتفصيل في رقم الأعمال المعني بالتخفيض (الملحق 03)

2.1.3 تدقيق الآجال

أما فيما يخص الآجال فإن فرع ولاية سوق أهراس بحكم تبعيته لشركة توزيع الكهرباء والغاز للشرق فهي تقوم بإعداد تصريحاتها الجبائية وفق الآجال المحددة من طرف هذه الأخيرة وليس للآجال المحددة من طرف ادارة الضرائب نظرا لعدم تعاملها بشكل مباشر مع هذه الإدارة،

وذلك لأن الأخذ بعين الاعتبار الآجال القانونية المفروضة من طرف ادارة الضرائب يقع على عاتق الشركة الأم وفروعها الجهوية وتبعا لهذه الآجال تقوم الفروع الجهوية بتحديد آجال مسبقة للمديريات التابعة لها أخذا بعين الإعتبار الوقت اللازم لتجميع ومراجعة مختلف تصريحات المديريات.

لذلك فإن الفرع يقدم التصريحات الشهرية قبل ثمانية أيام من موعد التسديد الى شركة التوزيع التي يتبعها وهذا خلال سنة 2016 أما في سنة 2017 فقد أصبحت تقدم قبل 10 أيام من تاريخ التسديد ليتم مراجعتها من قبل شركة التوزيع الخاصة بها وتجميعها ثم ارسالها الى الشركة الام

وذلك لأن المؤسسة لديها أربع شركات لتوزيع الكهرباء والغاز عبر الوطن كانت تقوم كل منها بتسديد تصريحاتها بشكل منفصل عن الشركة الأم فكانت المؤسسة في بعض الفروع مدينة مع مصلحة الضرائب وفي بعض الفروع دائنة لذلك أصبحت تقدم التصريحات الى الشركة الأم وتجميعها ليتم التصريح على مستوى الشركة الأم فقط وهذا ما نلاحظه من خلال مدة تقديم التصريحات الموضحة في الفقرة السابقة حتى يتم تجميعها وارسالها الى الشركة الام

2.3 . تدقيق الضريبة على أرباح الشركات

المجمع معني بالضريبة على أرباح الشركات وبما أنه يخضع لنظام الميزانية المجمعة وهذا بتكوين ميزانية واحدة لمجمل فروع ووحدات المجمع وطالما أن تجميع كل الأرباح والخسائر التي حققتها الفروع والوحدات التابعة لها

وكذا التصريح بها يكون بإسم الشركة الأم فإنها تعتبر المكلف الوحيد بالضريبة من بين أعضاء المجمع باتجاه الإدارة الضريبية وتنوب عنها في تسديد المبالغ المستحقة، وتمثل بذلك محور ومركز النظام الضريبي والمخاطب الأساسي للإدارة الضريبية لأنه من وجه نظر ادارة الضرائب هناك مكلف واحد يقوم بدفع الضريبة على ارباح الشركات هو مؤسسة سونلغاز اعتمادا على ميزانية واحدة مجمعة ولكن من وجهة نظر المؤسسة فإن تدقيق الضريبة على ارباح الشركات عبر تدقيق كل الميزانيات المساهمة في عملية التجميع بشكل منفصل ويكون ذلك من خلال تدقيق العناصر الآتية:

1.2.3 تدقيق النواتج: يتم تدقيق النواتج انطلاقا من تدقيق التسجيلات المحاسبية الخاصة بالمبيعات من المنتجات والخدمات مع ما يقابله من حسابات الزبائن وحسابات النقديات ويتم الأخذ بعين الاعتبار أرصدة بداية المدة ونهايتها لهذه الحسابات ليتم مطابقة ذلك مع رقم الأعمال المصرح به أما في ما يخص نواتج الإعانات والنواتج المتأتية من إعادة التقييم فإنها لم تظهر بحسابات المؤسسة

2.2.3 تدقيق الاعباء

في ما يخص الأعباء فإن المراقب (رئيس قسم المحاسبة والمالية) يقوم بالتأكد من العناصر التالية:

- التأكد من فواتير المصاريف المسجلة في حسابات المؤسسة وأنها تحمل الختم الخاص بالمؤسسة
- التأكد من تواريخ هذه المصاريف وأنها تتبع الدورة التي تخص التصريح
- التأكد من ان الزبون هي المؤسسة
- التأكد من ان المصاريف خاصة بالمديرية ولا تخص مديريات اخرى
- التأكد من ان المصاريف حقيقية وتتبع التسيير العادي للمؤسسة
- التأكد من أنها تستند الى الوثائق الإثباتية الكافية

وقد تم ملاحظة ذلك في المؤسسة الى أن الحصول على الوثائق التبريرية للأعباء قد تعذر علينا نظرا لإصرار الإطارات المشرفة على تأطير عملنا على

مستوى المؤسسة على سرية هذه المعلومات وعدم امكانية تداولها خارج المديرية، حتى وان كان ذلك لأغراض بحثية وعلمية على مستوى الجامعة.

أما في ما يخص المصاريف المتجاوزة للحد القانوني أو غير المقبولة فإن المؤسسة تحترم ما يلي:

- القوانين الجبائية الخاصة بإعادة إدماج الأعباء غير القابلة للتخفيض والمتمثلة في:

- الإهتلاكات المتجاوزة للحد القانوني والخاص بالسيارات السياحية (أنظر الملحق رقم 04)
- أما الهدايا ذات الطابع الدعائي أو المقدمة للمنظمات الإنسانية فإن الفرع لا يقدم مثل هذه الهدايا

3.2.3 تدقيق الآجال

بحكم أن الشركة الأم هي المكلف الوحيد بدفع الضريبة على ارباح الشركات فإن المديرية الخاصة بولاية سوق أهراس تقوم بإعداد القوائم المالية الخاصة بها وفق الآجال المحددة من طرف شركة توزيع الكهرباء والغاز للشرق وليس وفقا للآجال المحددة من طرف ادارة الضرائب

حيث يتم تقديم الميزانية وجدول حساب النتائج وكذا التبريرات اللازمة والخاصة بالفرع قبل (3) أشهر من تاريخ تسديد هذه الضريبة ليتم مراجعتها وتجميعها على مستوى شركة توزيع الكهرباء للشرق لتقوم هذه الأخيرة بإرسال القوائم المالية الخاصة بها الى الشركة الأم (أنظر الوثيقة رقم 04 تاريخ الارسال)

4.2.3 تدقيق المعدلات المطبقة

بالنسبة الى المعدل فإن المؤسسة تخضع الى معدل 26٪ ولا يظهر هذا المعدل على حسابات المؤسسة محل الدراسة لأن المكلف الوحيد هي الشركة الأم.

3.3 تدقيق تصريح الضريبة على الدخل الإجمالي

بالنسبة للضريبة على الدخل الإجمالي فهي ضريبة جدولية لا تخضع لمعدل محدد فإنه يتعذر مراجعة وعائها إلا أن مسؤول التدقيق في المؤسسة يقوم بالإجراءات التالية في تدقيق هذه الضريبة كالآتي:

- يقوم بأخذ عينة أو احد افراد من العينة ويقوم بطلب الوثائق التالية

- طلب عقد انتسابه للمؤسسة
- كشف التوقيع الأسبوعي للحضور من طرف رئيس المصلحة التي يتبعها فرد العينة
- احقية الساعات الإضافية

كشف الأجر وذلك لمعرفة تطابق رصيد الحساب الجاري للعامل أو لشخص وهمي

4.3. تحليل النتائج:

من خلال الدراسة التي قمنا بها على مستوى هذه الوحدة تبين لنا أن علاقة المؤسسة بإدارة الضرائب والمخاطر التي تواجهها هي عدم إيفائها بالتزاماتها الجبائية أو توفير شروط الاستفادة من الخيارات الجبائية أو الإمتيازات التي يعرضها التشريع الجبائي.

- استنتجنا أن المؤسسة منضبطة في عمليات إيداع تصريحاتها الجبائية وكذلك تسديدها لمختلف الضرائب والرسوم في الآجال المحددة وذلك راجع لصغر حجمها مما يسهل من هذه العملية؛
- يكمن السبب الرئيسي في تجنب المؤسسة محل الدراسة للمخاطر الجبائية، نتيجة الخطأ أو التأخر في إيداع تصريحاتها الجبائية ولهذا نجد تقريبا في كل التسجيلات المحاسبية ازدواجية التوقيع من طرف المراقب الذي يمثل رئيس قسم المالية والمحاسبة في الفرع؛
- أما في ما يخص الآجال فإن فرع الولاية بحكم تبعيته لشركة توزيع الكهرباء والغاز للشرق قسنطينة فهي تقوم بإعداد تصريحاتها الجبائية وفق الآجال المحددة من طرف هذه الأخيرة وليس للآجال المحددة من طرف ادارة الضرائب نظرا لعدم تعاملها بشكل مباشر مع هذه الإدارة، مع الأخذ بعين الإعتبار ان الآجال القانونية المفروضة من طرف ادارة الضرائب يقع على عاتق الشركة الأم وفروعها الجهوية وتبعا لهذه الآجال تقوم الفروع الجهوية بتحديد آجال مسبقة للمديريات التابعة لها أخذا بعين الإعتبار الوقت اللازم لتجميع ومراجعة مختلف تصريحات المديريات - بالنسبة للرسم على

القيمة المضافة فإن المعدل العادي هو 17٪ والمعدل المخفض هو 7٪ حيث يتم التأكد من عدم استغلال المعدل المخفض لفواتير تخضع للمعدل العادي؛

- يعتبر التدقيق الجبائي أداة لتسيير المؤسسة والتي توضع تحت تصرف المسيرين؛
- التنظيم الجيد للتسيير الجبائي للمؤسسة والذي يسمح بدفع اقل مبلغ للضريبة، مع عدم الاخلال بالقوانين المعمول بها، باعتباره يمثل المستوى الأعلى من استعمال الجباية لفائدة المؤسسة دون الوصول الى خرق القوانين.
- تجدر الإشارة ان معدلات الضرائب والرسوم المستخدمة هي خاصة بسنوات 2016، 2017، 2018

5.3. المقترحات

- على المؤسسة ان تقوم بإنشاء مصلحة للتدقيق الجبائي مستقلة تشرف على التسيير الجبائي السليم، وذلك من خلال الانتظام في دفع الضريبة والفعالية الجبائية
- بما ان المؤسسة تقوم بشراء استثمارات جديدة من خلال أداء نشاطها، فعليها إعادة استثمار أرباحها السنوية المحققة وذلك لاستفادتها من تخفيض في الضريبة على أرباح الشركات مما يسمح لها بدفع مبلغ اقل
- يجب على المؤسسة ان تكون على درجة عالية من الكفاءة في فهم وترجمة القوانين الجبائية التي يقرها المشرع الجبائي واستغلالها في ما يخدم مصالحها

4. خاتمة:

من خلال هذه الدراسة نستنتج أن دور التدقيق الجبائي يتمثل في تخفيض التكاليف الجبائية لحساب المؤسسة لتتجنب الخطر الجبائي إن وجد و هذا ما يدرج التدقيق الجبائي من بين أهم أدوات التسيير الجبائي للمؤسسة والذي يساهم بدوره في تحسين التسيير العام لهذه الأخيرة.

فالتدقيق الجبائي للمؤسسة يحرص على تحكم المؤسسة في التزاماتها الجبائية من إيداع التصريحات الضريبية و تسديد الضرائب و الرسوم واجبة الدفع، وتحديد الاوعية الضريبة التي يتم على أساسها تصفية الضريبة و دفع إلتزاماتها بالنظام الضريبي المطبق و إحترامها للإجراءات المنصوص عليها.

قائمة المراجع

المراجع بالغة العربية

- سميرة بوعكاز. (2015). مساهمة فعالية التدقيق الجبائي في الحد من التهرب الضريبي. رسالة دكتوراه في العلوم التجارية، 82. بسكرة، قسم العلوم التجارية، الجزائر.

Atic, é. r. (1985). l'audit naissance d'une fonction. Paris: Atic.

HERBACHE, O. (2000). le comportement du travail des collaborateurs de cabinet d'audit. thèse de doctorat des sciences sociales, , 4. université de toulouse,.

khelassi, r. (2013). précise d'audit fiscal de l'entreprise. berti editions.

Légarde, B. (1990). fiscalité et redressement d'entreprise. Paris: édition Tech et doc, la voise .

M, c. ». (1985). la vérification fiscal éd, économico . paris, france.

M.MASTOURI, N. /. (1992). revue d'entreprise N°2 , p15.

MIKOL, J. C. (1999). vingt ans d'audit, de la récusions des comptes aux activités.

Phillipe Boudafox. (1986). précis de science et technique fiscal. édition dunod.

Santoro, A. (2016). Do Small Businesses Respond to a Change in Tax. Public Finance Review, 3.

Vallée, P. B. (1986). " audit et gestion fiscal ". paris, france.

مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ر ت م د: 7163 -1112 ر ت م د إ :2588-1892
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2

مساهمة حقوق الملكية الصناعية في التنمية الاقتصادية .

Contribution of industrial property rights to économic development.

سعد لقليب

1 - كلية الحقوق والعلوم السياسية ، جامعة باتنة1، saad.louglaib@univ-batna.dz

تاريخ الاستلام: 2020/05/05 تاريخ القبول: 2020/11/01.

ملخص باللغة العربية :

تهدف هذه الورقة البحثية الى التعريف بالأبعاد الاقتصادية لحقوق الملكية الصناعية التي تساهم في التنمية، فاستغلال هذه الحقوق عن طريق التراخيص القانونية ، يؤدي الى الحصول على عائدات مالية تساهم في ارتفاع أرباح مالكي هذه الحقوق ، والذين يكونون في اغلب الاحيان الشركات التجارية ، هذه الاخيرة التي تعمل على المساهمة في خلق الثروة وتنمية اقتصاد البلدان المنطوية تحتها ، وهو ما نسعى للبحث فيه ببعض الشرح والتفصيل من خلال هذا المقال ، ولعل من النتائج المتوصل اليها هي أن حقوق الملكية الصناعية تتمتع بمكانة مهمة ومصدر قوة وديمومة في حياة المؤسسات والشركات التجارية الكبرى في العالم ، على اعتبار أن استغلالها يساهم بقدر كبير في التنمية الاقتصادية لهذه الشركات ونموها بل يساهم في تطور ورقي الدول الراعية لها .

الكلمات الدالة:

حقوق الملكية الصناعية ، التنمية الاقتصادية ، الاستغلال ، العائدات ، الارباح .

المؤلف المرسل: سعد لقليب: saad.louglaib@univ-batna.dz

Abstract:

This paper aims at defining the economic dimensions of industrial property rights that contribute to development. The exploitation of these rights through legal licenses leads to the obtaining of financial revenues that contribute to the high profits of the owners of these rights, which are often the commercial companies, To contribute to the creation of wealth and the development of the economy of the countries under it, which is what we seek to discuss some of the explanation and detail through this article, and perhaps the results reached is that industrial property rights have an important place and a source of strength and sustainability in the lives of enterprises and companies Greater trade in the world, on the grounds that the exploitation contributes significantly to the economic development of these companies and their growth but also contributes to the development of paper sponsoring states.

Key words: ; Industrial Property Rights ; economical development; Exploitation ; Revenue ; Profits .

1. -مقدمة .

احتلت حقوق الملكية الفكرية مكانة هامة في الحياة اليومية للشعوب، بحيث لا يكاد يمر يوم واحد وإلا تسمع عن احدى القضايا المتعلقة بها ، سواء عن التقليد والقرصنة او عن آخر الاختراعات في مجال من مجالات الحياة المختلفة.

وتنقسم حقوق الملكية الفكرية الى طائفتين ، الاولى تسمى حقوق الملكية الأدبية والفنية ؛ وتشمل حقوق المؤلف والحقوق المجاورة ، اما الثانية فتسمى حقوق الملكية الصناعية وتشمل البراءات والعلامات التجارية والنماذج الصناعية والأسرار التجارية بالإضافة الى تصاميم الدوائر المتكاملة .

وتحتل حقوق الملكية الصناعية مكانة هامة ومميزة بين حقوق الملكية الفكرية بحيث أصبح لها قيمة إضافية ،ولعل السبب في ذلك يعود الى انتشارها

واتصالها الوثيق بالتجارة والاقتصاد أكثر من باقي حقوق الملكية الفكرية الأخرى ، ذلك أن ازدياد المنافسة بين الشركات العالمية و التجار وقيام المستهلك بالشراء بالاعتماد على نوعية المنتج أو الخدمة دفع التجار الى الاعتماد على عناصر الملكية الصناعية .

فلقد تفطن التجار إلى أهمية العلامات التجارية مثلا منذ زمن غير قريب لأهميتها في جذب الزبائن وتسويق المنتجات وتحقيق الأرباح ، لذلك فإن استعمالهم للعلامات التجارية يؤدي إلى ترويج السلع والخدمات داخل البلد وفي الخارج مما يكسب التاجر الشهرة المرتبطة بالعلامة التجارية. وكلما اتسع نطاق تلك الشهرة كلما ازدادت قيمة العلامة التجارية مما يزيد الطلب على تلك السلع والخدمات التي تحمل تلك العلامة التجارية وبالتالي زيادة القدرة على منافسة السلع والخدمات المشابهة مما يؤثر إيجابياً على الاقتصاد من خلال زيادة الأنشطة التجارية في السوق المحلي والخارجي ، وهذا بدوره يؤدي إلى زيادة الإنتاج والعمالة وزيادة الإيرادات الضريبية للدولة وتحسين المستوى المعيشي للسكان ، وهو ما ينطبق كذلك على البراءات بحيث ان عائدات الدول المتقدمة في مجال البراءات لوحدها يمثل نسبة كبيرة من الدخل الوطني لكثير منها .

وعليه ونظرا للأهمية الاقتصادية لحقوق الملكية الصناعية ،عملت الدول المتقدمة على وضع وسن المعاهدات الدولية المنظمة لهذه الحقوق بغية المطالبة بالحماية القانونية والدولية ، كما الزمت الدول النامية على تكييف قوانينها المنظمة للملكية الفكرية للمعايير الدولية ، وهو ما سعت إليه الجزائر كذلك من خلال العمل على جعل تشريعاتها الوطنية مطابقة لما هو معمول به دوليا وهو سوف نعمل على تبيانه من خلال هذه الدراسة .

الإشكالية :

ودون شك انه عندما نتحدث عن الجوانب الاقتصادية لحقوق الملكية الصناعية ، فإنها تبرز لنا الإشكالية التالية :

الى أي مدى يمكن لحقوق الملكية الصناعية أن تساهم في التنمية الاقتصادية ؟

ويندرج تحت هذه الإشكالية تساؤلين فرعيين مفادهما :

- ما مفهوم حقوق الملكية الصناعية ؟
- ماذا يقصد بالتنمية الاقتصادية ؟
- هل يمكن ان تساهم حقوق الملكية الصناعية في تطور التنمية الاقتصادية؟

المنهج المتبع:

ولبلوغ الهدف وحل الإشكالية السابقة الذكر ، تم الاستعانة بالمنهج الوصفي والمنهج التحليلي.

فرضيات البحث :

يمكن لنا أن نطرح بعض الفرضيات وهي :

01 -يمكن لحقوق الملكية الصناعية ان تكون لها ابعاد اقتصادية .

02 -توجد علاقة وثيقة بين عائدات حقوق الملكية الصناعية والتنمية الاقتصادية .

أهداف المقال :

01 -التعرف على حقوق الملكية الصناعية .

02 -معرفة اقسام حقوق الملكية الصناعية .

03 -البحث في العلاقة بين حقوق الملكية الصناعية والتنمية الاقتصادية .

خطة البحث:

محاولة منا لانجاز هذا البحث ارتأينا أن نقسمه إلى ثلاثة محاور هي :

المحور الأول : تناولنا فيه الاطار المفاهيمي للدراسة.

المحور الثاني : الابعاد الاقتصادية لحقوق الملكية الصناعية .

المحور الأول : الاطار المفاهيمي للدراسة .

في هذا المحور نبحث عن مفهوم كل من حقوق الملكية الصناعية ، وكذا التنمية الاقتصادية .

أولا: مفهوم حقوق الملكية الصناعية .

1 -**تعريفها .**

عرفت اتفاقية باريس المؤرخة في 20 مارس 1883 حقوق الملكية الصناعية بمقتضى المادة 01 منها على انها : " تشمل حماية الملكية الصناعية براءات الاختراع ونماذج المنفعة والرسوم والنماذج الصناعية والعلامات الصناعية او التجارية وعلامات الخدمة والاسم التجاري وبيانات المصدر او تسميات المنشأ وكذلك قمع المنافسة غير المشروعة "، وتضيف الفقرة الثالثة من نفس المادة انه "تؤخذ الملكية الصناعية بأوسع معانيها فلا يقتصر تطبيقها على الصناعة والتجارة بمعناها الحرفي وإنما تطبق كذلك على الصناعات الزراعية و الاستخراجية وعلى جميع المنتجات المصنعة او الطبيعية مثل الأنبذة والحبوب وأوراق التبغ والفواكه والمواشي والمعادن والمياه المعدنية والبيرة والزهور والدقيق " .(اتفاقية باريس لحماية الملكية الصناعية، 1883)

كما تعرف بأنها الحقوق المعنوية أو الفكرية أو ما يسميها بعض الفقهاء حقوق الابتكار وتسميها بعض القوانين بالحقوق الأدبية ، هذه الحقوق لم تكن معروفة في الشرائع القديمة لأنها جاءت وليدة للعوامل والوسائل الحضارية الاقتصادية الحديثة ، وكان الهدف من إقرار هذا النوع من الحقوق هو تشجيع الاختراع و الإبداع و حماية حقوق المبدعين في الاستئثار في استثمار ثمرات تفكيرهم وابتكارهم ومنع الآخرين من التعدي على هذه الحقوق والمزاحمة في استغلالها .

1 -عناصر حقوق الملكية الصناعية .

وتتمثل عناصر او اقسام حقوق الملكية الصناعية في براءات الاختراع ، العلامات ، الرسوم والنماذج الصناعية ، تسميات المنشأ والمؤشرات الجغرافية ، التصاميم الشكلية للدوائر المتكاملة ، الاصناف النباتية الجديدة ، المنافسة غير المشروعة .

1 -1 :براءة الاختراع .

والمنظمة بموجب الأمر رقم 07/03 المؤرخ في 2003/07/19 ، والمتضمن براءة الاختراع وكذا المرسوم التنفيذي رقم 275/05 ، الذي يحدد كيفية إيداع براءات الاختراع وإصدارها ، وقد تضمن إصلاحات عميقة لقانون البراءات ، سدت بذلك الفراغات والثغرات الموجودة في المرسوم التشريعي 17/93 ، وتتطابق قواعد القانون الجديد مع مقتضيات اتفاقية تريبس من حيث الجوانب التالية :

- تكريس مبدأ المساواة في المعاملة بين الوطنين والأجانب في منح البراءة .
- تشديد الطابع الردعي لعقوبة جريمة التقليد برفع مدة الحبس من ستة أشهر الى سنتين .

- رفع مدة الحماية الى 20 سنة ، تبدأ من تاريخ إيداع طلب البراءة وفقا للمادة 27 الفقرة 03 من اتفاقية تريبس وبالتالي هناك تطابق .

2 -2:العلامات .

والمنظمة بموجب الأمر رقم 06/03 المنظم للعلامات ، وكذا المرسوم التنفيذي رقم 277/05 الذي يحدد كيفية إيداع العلامات وتسجيلها ، ومن بين أحكامه الجديدة إلغاء التمييز المعمول به في القوانين السابقة للعلامات، بين علامات المصنع والعلامات التجارية ، وعلامات الخدمة ، ففي ظل هذا القانون الجديد فالعلامات حرة في إنشائها دون فرضها بقوة القانون ودون تدخل الدولة في عملية إنشائها ومن جهة أخرى ضبط تعريف للعلامة في المادة الثانية بقوله " كل الرموز القابلة للتمثيل الخطي ، لاسيما الكلمات بما فيها أسماء الأشخاص والحروف والأرقام ، والرسومات أو الصور والأشكال المميزة للسلع أو توضيبها ، والألوان بمفردها أو مركبة ، التي تستعمل كلها لتمييز السلع أو خدمات شخص طبيعي أو معنوي عن سلع وخدمات غيره " ، ويكون المشرع بذلك قد ساهم في سد الثغرات الموجودة في تشريع العلامات السابقة ، وجاء هذا القانون منسجما مع أحكام الاتفاقيات الدولية المعمول بها في الجزائر ، ونعني بها تحديدا اتفاقية باريس واتفاقية نيس ، كما أن أحكام هذا القانون لا تتعارض مع أحكام اتفاقية تريبس. (عجة الجيلاني، 2012)

وللعلامة وظيفة اعلامية وإعلانية باعتبارها وسيلة لجذب العملاء وجمهور المستهلكين ، بما تؤديه من رواج للبضائع والمنتجات ، وتحديد مصدرها ، بحيث يتمكن المستهلك من التعرف عليها بكل سهولة ، والوثوق بها .(نسرين شريفي ، 2014)

2 -3:الرسوم والنماذج الصناعية .

والمنظمة بموجب الأمر رقم 87/66 ، المتضمن تطبيق الأمر رقم 86/66 المتعلق بالرسوم والنماذج الصناعية ، ولقد عرف الرسم او النموذج الصناعي على انه "شكل زخرفي أو جمالي لسلعة مفيدة " ، ويتخذ هذا الشكل مجسما على هيئة السلعة أو سطحها أو شكل مسطح مثل الأنماط أو الخطوط أو الألوان. (عجة الجيلاني، 2012)

ولقد عرفت المادة الاولى من الامر 86/66 الرسم الصناعي والنماذج الصناعية بقولها "يعتبر رسما كل تركيب خطوط أو ألوان يقصد به اعطاء مظهر خاص لشيء صناعي أو خاص بالصناعة التقليدية ، ويعتبر نموذجا كل شكل قابل للتشكيل ومركب بألوان او بدونها أو كل شيء صناعي او خاص بالصناعة التقليدية يمكن استعماله كصورة أصلية لصنع وحدات اخرى ويمتاز عن النماذج المشابهة له بشكله الخارجي " .

2 -4:تسميات المنشأ والمؤشرات الجغرافية .

والمنظمة بموجب الأمر رقم 65/76، وكذا المرسوم التنفيذي رقم 121/76، المتضمن كيفية تسجيل ونشر تسميات المنشأ ، ولم يعدل لأنه جاء مطابقا للاتفاقيات الدولية .

حيث يتجه أغلب الفقهاء الى تعريف المؤشرات الجغرافية على أنها مرادفة لعبارة البيانات الجغرافية ، ويقصد بها كل إشارة تستعمل للدلالة على أن المنتج أو الخدمة يأتي من منطقة جغرافية معينة ، بالمقابل يدرج ضمنها تسمية المنشأ التي هي نوع خاص من المؤشرات الجغرافية المستعملة على منتجات تتسم بمميزات خاصة تعود كليا أو أساسا الى البيئة الجغرافية التي نشأ فيها المنتج كتسمية هافانا للتبغ المزروع في منطقة هافانا بكوبا .

وتأسيسا على ذلك يمكن اعتبار المؤشر الجغرافي كإشارة توضع على السلع وتحدد المكان الجغرافي لمنشئها على سبيل المثال زيت الزيتون لمنطقة توسكانا بإيطاليا وجبنة روكفور بفرنسا والتبغ الكوبي ، والكسكسي الجزائري . (عجة الجيلاني، 2012)

2 -5:التصاميم الشكلية للدوائر المتكاملة .

والمنظمة بموجب الأمر رقم 08/03 ، وكذا المرسوم التنفيذي رقم 276/05، الذي يحدد كيفية إيداع التصاميم الشكلية للدوائر المتكاملة وتسجيلها ، وجاء هذا القانون لسد النقص الذي كان موجودا في التشريع الجزائري لحقوق الملكية الصناعية ، خاصة وان هذه التصاميم لها أهمية بالغة في الاقتصاد الحديث حيث تشكل الالكترونيات الصغيرة عنصرا أساسيا في تكنولوجيا المعلومات والاتصالات سواء كانت الدوائر المتكاملة خطية أو رقمية. (نوري محمد خاطر، 2005)

2 -6: الأصناف النباتية الجديدة .

والمنظمة بموجب القانون رقم 03/05 ، المتعلق بالبذور والشتائل وحماية الحيازة النباتية ،وتمثل الأصناف النباتية الجديدة نوعا جديدا من أنواع حقوق الملكية الفكرية والتي تهدف الى توفير الحماية لأصحاب هاته الأصناف ومنحهم حق ملكية عليها .

ويتم حماية الأصناف النباتية الجديدة عبر ثلاثة أنواع من الحماية وهي :

- إما عن طريق نظام البراءات .
- إما عن طريق نظام خاص .
- وإما عن طريق الجمع ما بين هاتين الطريقتين .

- وقد أجازت اتفاقية تريبس هاته الأنواع لحماية الأصناف النباتية الجديدة ولو انه من الناحية العملية تتجه الدول الى اعتماد تشريع خاص بحماية هذا النوع كما هو الحال بالنسبة للمشرع الجزائري .

2 -7:المنافسة غير المشروعة .

والمنظمة بموجب القانون رقم 02/04 الذي يحدد القواعد المطبقة على الممارسات التجارية، ولقد عرفتها اتفاقية باريس في المادة 10 الفقرة 02 منها على أنها " كل منافسة تتعارض مع العادات الشرفية في الشؤون الصناعية أو التجارية ".

أي أنها كل ممارسة منافية للممارسات التجارية النزيهة والمبينة على قاعدة حسن النية، وتشمل عدة أنواع من الأعمال التي تشكل المنافسة غير المشروعة وهي:

- الأعمال التي تحدث لبسا بين السلع أو الخدمات وغيرها من السلع أو الخدمات.
- الأعمال المضللة.
- الأعمال التي تنزع الثقة عن الغير.
- الأعمال المؤدية الى إفشاء الأسرار .
- أعمال التطفل والانتفاع المجاني من انجازات الغير .

ثانيا : مفهوم التنمية الاقتصادية .

يمكن تعريف التنمية الاقتصادية بأنها عبارة عن التغيرات الهيكلية التي تحدث في الاقتصاد الوطني بأبعادها المختلفة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والتنظيمية من أجل تحسين نوعية الحياة، وتوفير حياة كريمة لأفراد المجتمع . (عبد المطلب عبد الحميد،2006)

ويلاحظ على هذا التعريف، أنه يعطي المفهوم الشامل للتنمية. حتى أن الأمم المتحدة أصبحت تتبنى مثل هذا المفهوم الذي أصبح: التنمية الشاملة = التنمية الاقتصادية + التنمية البشرية.(عبد المطلب عبد الحميد،2006)

حيث أصبح لا يكفي أن تحقق زيادة في متوسط دخل الفرد الحقيقي ومعدل النمو الاقتصادي، بل أصبح من الضروري تحسين نوعية الحياة في المستوى الصحي، التعليمي، وتحسين البيئة وغيرها من الخدمات لتحقيق التنمية البشرية ، ومن ثم الوصول إلى التنمية المستدامة. (فريد كورتل ، امال يوب ، 2015)

وهكذا فإن مفهوم التنمية الاقتصادية يختلف عن مفهوم النمو الاقتصادي التلقائي، حيث أن التنمية الاقتصادية تنطوي على إجراءات معينة وتعمل على تغيير البنيان والهيكل الاقتصادي والاجتماعي والثقافي لتشمل جميع أبعاد المجتمع، ومن ثم فإن معدل التنمية هو معدل متعمد تحقيقه بمنظور شامل. بينما معدل النمو الاقتصادي التلقائي فهو زيادة معينة في معدل نمو الدخل الوطني ومعدل نمو الدخل الوطني الحقيقي عبر الزمن دون وجود إجراءات متعمدة لكي يتحقق هذا المعدل بصورة معينة. (عبد المطلب عبد الحميد،2006)

المحور الثاني : الأبعاد الاقتصادية لحقوق الملكية الصناعية .

في هذا المحور نبحث عن المساهمات الاقتصادية لعناصر حقوق الملكية الصناعية ، أي كيف لهذه الحقوق ان تساهم في دعم الاقتصاد لبلد ما .

حيث انه كلما كانت الدولة متقدمة في مجال حماية الملكية الفكرية فان ذلك سيشجع الاستثمار ، وستكون هذه الدول قبلة للمثقفين والمخترعين

والمنتجين وذلك لوجود ضمانات حقيقية لهم بحماية ابتكاراتهم وإنتاجهم من السرقة والتعدي والتزوير ، فالاعتداء على الملكية الفكرية له مساوئ اهمها :

انه يسيء للمنتج ، مما يؤدي لفقدان الاهمية والدور الفعلي له ، حيث ان ذلك سينعكس على كفاءة المنتج .

يسيء الانتهاك للمستهلك حيث انه يؤثر على جودة المنتج ، خاصة اذا ما كان ادوية او مستحضرات طبية .

هنالك ضرر يلحق الدولة اقتصاديا بحيث يقلل من فرص جذب رؤوس الاموال . (سليم بلغربي ، 2013)

1. براءات الاختراع .

وتعرف البراءة بأنها "الرخصة أو الإجازة التي يمنحها القانون لصاحب ابتكار لإنتاج صناعي جديد أو اكتشاف لوسائل جديدة على انتاج صناعي قائم أو نتيجة صناعة موجودة ، أو تطبيق جديد لوسائل معروفة للحصول على نتيجة أو انتاج صناعي " . (عبد اللطيف هداية الله ، 1984)

1.1 -البراءات تنهض بالتنمية الاقتصادية :

يقتضي الحديث عن سبل حفز الاستثمار بالبراءات تأليف عدة مجلدات ، وسنحاول مع ذلك في الفروع التالية ان نرسم الخطوط العريضة والإتيان ببعض الحقائق والأمثلة ، ويمكن استخدام البراءات لحفز الاستثمار بالطرق الاربعة التالية :

- تمهد المعلومات المتعلقة بالبراءات السبيل امام نقل التكنولوجيا والاستثمار .
- تشجع البراءات البحث والتطوير في الجامعات ومراكز الابحاث .
- تعمل البراءات عمل الحافز للتكنولوجيا والمشروعات التجارية الجديدة.

- تعمد الشركات الى جمع البراءات والانتفاع بها في عقود التراخيص والمشروعات المشتركة وسائر المعلومات التي تدر الربح . (سليم بلغربي ، 2013)

2.1 -البراءات تشجع على البحث والتطوير في الجامعات ومراكز الابحاث :

إن امتلاك الشركات الدولية للأبحاث والتطوير للبراءات واستغلالها ، يضمن لها دخلا وايرادات منتظمة ، ونشاطاتها في الدول النامية يمكنها من الحصول على حجم أرباح راجع الى انخفاض تكلفة عوامل الانتاج بانواعها المختلفة في ادول النامية ، هذا ما يمكنها من جني ثروات طائلة مقابل تكلفة منخفضة ، ولما كان الاستغلال الوسيلة المثلى لتحقيق اكبر نسبة من الأرباح وتنمية الثروات ، تسعى هذه الشركات الى استثمار حقوق الملكية الصناعية بصفة دائمة ، سعيا منها الى تسويق منتجاتها ودخول السوق لتوسيع مكانتها عن طريق بيع السلع وتقديم الخدمات . (نعمان وهيبة ، 2010)

2. العلامات التجارية .

تعتبر العلامات من بين الحقوق الأساسية للملكية الصناعية والتي عرفتها البشرية منذ القدم وتحديدا قبل ثلاثة (03) ألاف سنة حيث كان الصناع الهنود يرسمون أختامهم على مبتكراتهم الخزفية. (عجة الجيلاني، 2012)

كما يتفق الفقه على تعريف مبسط للعلامة على أنها " إشارة تستعمل لتمييز سلع وخدمات عن غيرها من السلع والخدمات " أو بعبارة أخرى " إشارة تميز سلع مؤسسة ما عن سلع مؤسسات أخرى منافسة. (عجة الجيلاني، 2012)

فهي رمز او شهادة للجودة والسمعة الحسنة لمنتجات التي تحملها ، وبالتالي فان تقليدها يشكل ضررا على الشركة صاحبة الحق في استغلالها ،

وعلى المستهلك أيضا ، لذلك كان من الضروري وضع نظام للعلامات التجارية المسجلة .

فالعلامات التجارية تؤدي وظيفة قيمة على مستوى الاقتصاد ، إذ تساعد على تعريف مصدر المنتجات والتكنولوجيا ، وتساهم بالتالي في تعزيز المساءلة امام المستهلك ، وتؤدي ايضا دورا استراتيجيا في الشركات على مستوى التسويق والانتفاع بالعلامات لأغراض الترويج لدى المستهلك ، وهو اكثر الاستعمالات شيوعا ، إذ يساهم في تعزيز مبيعات المنتجات ، بيد ان استعمال العلامات صار اكثر تطورا وتنوعا . (سليم بلغربي ، 2013)

وللعلامة وظيفة اعلامية وإعلانية باعتبارها وسيلة لجذب العملاء وجمهور المستهلكين ، بما تؤديه من رواج للبضائع والمنتجات ، وتحديد مصدرها ، بحيث يتمكن المستهلك من التعرف عليها بكل سهولة ، والوثوق بها . (نسرين شريفي ، 2014) .

فالعلامة هي أكثر من مجرد هذا الرمز أو الشكل ، والتعامل معها مسألة حساسة وهامة ، لأنها تعني التعامل مع المنتج الذي ارتبط بهذه العلامة، والتعامل بخفة مع العلامة أو الإساءة لها من قبل الشركة المالكة ، يمكن أن تلحق أضرار بالغة بالمنتج نفسه ،كما لو سمحنا لجودته بالتدني ، فإن هذا يمكن أن يلحق ضررا بالغا بالعلامة المرتبطة بهذا المنتج وبنسبة الأرباح التي يمكن ان تجنيها الشركة . (نعمان وهيبة ، 2010)

ويسمح توسيع نطاق علامة قائمة لتشمل منتجات جديدة بإفادة المنتج الجديد من صورة العلامة القائمة وسمعتها على أن الانتفاع بعلامة جديدة اقرب الى المنتج الجديد قد يعود بالفائدة ايضا ، ويمكن للشركة من استهداف فئة محددة من المستهلكين بمنتجها الجديد (مثل الاطفال او الشباب) او استحداث

صورة محددة للمنتج الجديد ، وتعمد العديد من الشركات ايضا الى الانتفاع بعلامة جديدة الى جانب علامة قائمة ، وتختلف الاستراتيجيات المتبعة باختلاف الشركات التي تعتمدها ، ومهما كان اختيار الشركة فينبغي لها ان تتأكد من ان علامتها التجارية مسجلة لجميع فئات السلع والخدمات التي تستهدفها او تعتزم استهدافها بانتفاعها بالعلامة . (سليم بلغربي ، 2013)

3. البيانات الجغرافية .

تعبر البيانات الجغرافية عن رسالة معينة شانها في ذلك شان العلامات التجارية ، وتستعمل لتشخيص البضاعة وتمييزها عن تل المشابهة لها ، ومنحها شهرة وطنية ودولية ، وتظهر اهميتها خاصة في جلب الزبائن بما تضمنه لهم من صفات مميزة للبضاعة أو المنتج الذي نسب الى مكان معين ، وعليه فإن البيانات الجغرافية او تسمية المنشأ تلعب دورا هاما في ضمان جودة ونوعية البضاعة المعروضة للبيع ، فالعبرة فيها بالصفات المميزة للإنتاج ، لما تتضمنه منطقة الانتاج من صفات تنفرد بها ، خصوصا العوامل الطبيعية والبشرية ، ولذلك فإنه يحق لكل من يهمه الأمر طلب إبطال تسمية منشأ مستعملة لتعيين منتج ما إذا كان غير ناشئ في المكان المقصود . (نسرين شريفي ، 2014)

ويمكن ان تتحسن صورة منتجات منطقة معينة في نظر المستهلكين اذا كان كل من جمعية منتجي تلك المنطقة والأعضاء فيها يتمتع بالحق الاستئثاري في الانتفاع ببيان جغرافي معين ، والبيانات قادرة على اضفاء مزيد من الحيوية على المنتج ، وتعزيز مكانته في الاسواق شانها في ذلك شان العلامات التجارية ، ذلك انها اصلية في المجموعة التي تملكها ومن افضل اداوت التنمية الاقتصادية للمناطق والمجتمعات المحلية ، والمشروب المكسيكي تيكيلا هو خير

دليل على النجاح الذي يمكن تحقيقه بفضل الانتفاع بالبيانات الجغرافية وفقا لإستراتيجية محددة . (سليم بلغربي ، 2013)

مشروب تيكيلا هو مشروب مكسيكي ، اكتسب هوية متميزة ومعززة ايضا بتصاميم زجاجته التي تبين بعض الرموز الخاصة بالمكسيك ، ولعل الكثيرين لا يعرفون ان هذا المشروب لا يعصر إلا في منطقة محددة في المكسيك ،حيث تنمو المادة الاولية لعصره إلا وهي صبار الأغاف ، وان الاسم " تيكيلا "محمي كبيان جغرافي في المكسيك بموجب مرسوم رئاسي صدر سنة 1988 ، ويجيز ذلك الصك التشريعي الخاص استخدام الاسم تيكيلا فقط بالنسبة الى المشروبات المعدة في خمس ولايات مكسيكية تملك الحق الاستئثاري في انتاج المشروب ، ولهذا المشروع سمعة عالمية ، وبفضل حماية ذلك الاسم كبيان جغرافي في العديد من البلدان اصبح بالإمكان منع المنافسين من استخدامه بالنسبة الى المشروبات الكحولية غير المنتجة في المناطق المكسيكية المتميزة بإنتاجها او غير المنتجة وفقا للتشريع المكسيكي المطبق ويتمتع الاسم تيكيلا بالحماية ، كتسمية منشأ بناء على اتفاق لشبونة بشان حماية تسميات المنشأ وتسجيلها على الصعيد الدولي وهو اتفاق دولي تديره الويبو .

4 - التصميمات والأسرار التجارية والنماذج الصناعية .

هي كل ترتيب للخطوط وكل شكل مجسم بألوان او بغير الوان اذا اتخذ مظهرا مميزا يتسم بالجد، وكان قابلا للاستخدام الصناعي، ونجد ان التصميمات والنماذج الصناعية قد تتألف من عناصر مجسمة او ثلاثية الابعاد مثل شكل السلعة او من عناصر ثنائية الابعاد مثل الرسوم والخطوط او الالوان ، ومثال ذلك نماذج الملابس والأحذية والمعاطف والقبعات وهياكل السيارات والزخارف والأوعية وغير ذلك ، ومثال الرسوم النقوش الخاصة بالمنسوجات

والسجاجيد والجلد والورق الخاص بتغطية الجدران وغير ذلك. (سليم بلغربي ، 2013)

وتشمل الاسرار التجارية المعلومات والمعارف غير الصناعية ، والتي لها قيمة اقتصادية مرتبطة ببقائها سرية سواء كانت هذه المعلومات والمعارف علمية أو ادارية أو تجارية أو غير ذلك وتنقسم الى معلومات ومعارف مبتكرة مثل اساليب التسويق والبيع والطرق التجارية ، ومعلومات تجارية مثل قوائم العملاء وأرباح وخسائر المؤسسة ، المهم ان تكون لهذه المعلومات قيمة تنافسية نظرا لجهل المنافس بها ، فالمعيار هنا موضوعي ، فقوائم العملاء على سبيل المثال والتي تمثل سرا تجاريا بالنسبة لمؤسسة ما ، قد لا يكون كذلك بالنسبة الى مؤسسة أخرى فكل حالة تدرس على حدى وبشكل مستقل .(حسين بن الشيخ ، 2015)

وبشكل عام، تكون المعلومات جديرة بحماية السر التجاري اذا تم تصنيفها بأنها ذات طبيعة جوهرية او سرية كما هو مبين في المادة 39 من اتفاقية الجوانب المتصلة بالتجارة من حقوق الملكية الفكرية .

ويمنح السر التجاري دون تسجيل ويظل ساري المفعول لمدة غير محددة من الوقت ، وبشكل عا طالما تمت المحافظة على السرية ، وعندما يكون السر التجاري عبارة عن دراية جديرة بالحصول على براءة، يجب مقارنة مدي الحماية القانونية التي يوفرها قانون البراءات مع الوضع القانوني للسر التجاري قبل اتخاذ قرار بشأن ما اذا كان الافضل الحصول على براءة للاختراع او بقائه سرا تجاريا ، ويتوقف هذا القرار ايضا على نوع الدراية ذات الصلة والغرض الذي ينوي استخدامها له ومدة التفوق التنافسي المتوقع وإمكانية المحافظة على السرية على المدى الطويل . (سليم بلغربي ، 2013)

وعلى أية حال تظل حماية السر التجاري ضعيفة في الكثير من البلدان بسبب الافتقار الى تشريعات وقائية من ناحية وبسبب عدم وعي القضاء والهيئات الادارية الاخرى من ناحية أخرى . (سليم بلغربي، 2013) , كما عندنا في الجزائر ، حيث أن المشرع لم ينظم الاسرار التجارية في تشريع مستقل به ، كما فعل مع بقية اقسام حقوق الملكية الصناعية الأخرى ، ، غير انه يعترف به بشكل مقبول ، فقد ورد ذكره في مواضع كثيرة بشكل صريح أو ضمني سواء على مستوى التشريع مثل القانون التجاري الجزائري لاسيما المادة 627 منه، أو التنظيم مثل قرار وزير المالية المؤرخ في 15 يوليو 2002 ، الذي يحدد كيفية تطبيق المادة 22 من قانون الجمارك ، كذلك لم يختصر المشرع الجزائري السر التجاري في المفهوم الصناعي الضيق ،وإنما تبنى نطاقا واسعا على غرار إتفاقية التريبس . (حسين بن الشيخ ، 2015)

ويمكن ايضا اعتبار الاخلال بتعهد المحافظة على السرية انه مخالفة للعقد، وفي حالات محدودة ، قد يكون الحصول غير المشروع على الاسرار التجارية جرما جنائيا شأنه شأن السرقة والتجسس التجاري. (سليم بلغربي ، 2013)

4. خاتمة:

من خلال دراسة موضوع مساهمة حقوق الملكية الصناعية في التنمية الاقتصادية ، يظهر جليا بأن حقوق الملكية الصناعية تتمتع بمكانة مهمة ومصدر قوة وديمومة في حياة المؤسسات والشركات التجارية الكبرى في العالم ، على اعتبار أن استغلالها يساهم بقدر كبير في التنمية الاقتصادية لهذه الشركات ونموها بل في تطور الدول الراعية لها وتقدمها كذلك . و لقد مكنتنا هذه الدراسة من الوصول إلى عدد من النتائج وبعض الاقتراحات ، نذكر منها :

أولا - النتائج : وتتمثل في :

01 -إن استغلال حقوق الملكية الصناعية يرتب آثارا اقتصادية مهمة وفعالة ، بحيث يساهم في نمو الشركات والمؤسسات ، التي تعد بدورها من الدعائم الاساسية التي تقوم عليها اقتصاديات الدول ، خاصة تلك التي ترعاها وتنشط في اقليمها .

02 -إن تمسك الدول المتقدمة واهتمامها بحقوق الملكية الفكرية واستمراره في التأكيد على اهمية هذه الحقوق سببه يكمن في تزايد القيمة الاقتصادية للمعلومات والمعرفة والموارد الذهنية في العالم .

03 -تكتسي حقوق الملكية الصناعية اهمية اجتماعية واقتصادية خاصة اذا تمكنت الدول من استغلالها بطريقة صحيحة .

يعود استغلال حقوق الملكية الصناعية على الشركات والمؤسسات المالكة لهذه الحقوق بالأرباح عن طريق الإتاوات التي تدفعها الشركات المرخص لها ، الشيء الذي يمكنها من اكتساب ثروة مالية وأخرى معنوية وعي السمعة والشهرة وهو يعامل مهم في حياة الشركات التجارية الكبرى .

تساهم حقوق الملكية الصناعية في تطوير وتنمية عملية التصدير ، فهي تعتبر من الاليات المنشطة لعملية التصدير نحو الدول النامية خاصة ، وفي مجالات متعددة ، لاسيما القطاعات الحيوية مثل صناعة الادوية ، والصناعات الغذائية .

هناك علاقة كبيرة لحقوق الملكية الصناعية في بعث التنمية الاقتصادية لأي بلد كان ، وهو عملت على تجسيده الدول المتقدمة من خلال رصد ميزانيات ضخمة لدعم عمليات البحث والتطوير في كل المجالات ، لاسيما التي تعتمد على الابتكارات العلمية .

ثانيا – الاقتراحات : وتتمثل في :

01- يجب على الدول لاسيما النامية منها تشجيع الابتكار سواء في اطار العمل او في اطار البحث العلمي ، حتى لا تكون في وضعية تجبرها على الاعتماد على الشركات المتعدد الجنسيات التي تفرض عليها شروط تعسفية .

02 - العمل على حماية حقوق الملكية الفكرية بصفة عامة ، لما لها من مكانة اقتصادية في حياة الدول والشعوب، خصوصا أنها اصبحت تشمل جميع القطاعات الحيوية ، مثل قطاع الصحة لأن انتاج الأدوية أصبح محكوم بنظام البراءات، والصناعات الغذائية كذلك، وما يمثل الأمن الغذائي من تحد لجميع الدول في العالم .

04 - ونظرا إلى أن الوقت الراهن أصبح يتميز بالاحترافية في كل المجالات ، فلا مناص من إتباع ركب الدول المتقدمة التي قطعت أشواطا كبيرة في مجال البحث والتطوير .

5. قائمة المراجع:

- **الاتفاقيات الدولية :**

1 - اتفاقية باريس لحماية حقوق الملكية الصناعية المؤرخة في 20 مارس 1883 .

2 - اتفاقية الجوانب التجارية المتعلقة بحقوق الملكية الفكرية والمعبر عنها اختصارا بتريبس، الصادرة سنة 1994 بمدينة مراكش المغربية .

3 - اتفاق نيس بشان التصنيف الدولي للسلع والخدمات لأغراض تسجيل العلامات المؤرخ في 15 جوان 1958 والمعدل في 25 سبتمبر 1979 . ولقد انضمت إليه الجزائر بموجب الأمر رقم 10/72 المؤرخ في 22 مارس 1972 .

4 - اتفاق لشبونة لحماية تسميات المنشأ وتسجيلها على الصعيد الدولي المؤرخ في 31 أكتوبر 1958 المعدل سنة 1967 . ولقد انضمت إليه الجزائر بموجب الأمر رقم 10/72 المؤرخ في 22 مارس 1972.

- **النصوص القانونية الداخلية :**

1 - الأمر رقم 87/66 المؤرخ في 1966/04/28 المتضمن تطبيق الأمر رقم 86/66 المؤرخ في 1996/04/28، المتعلق بالرسوم والنماذج الصناعية ، الجريدة الرسمية عدد 35 لسنة 1966.

2 - الأمر رقم 65/76 المؤرخ في 1976/07/16 ، و المتضمن تسميات المنشأ .

3 - الأمر رقم 06/03 المؤرخ في 2003/07/19 ، والمتضمن العلامات ، الصادر في الجريدة الرسمية رقم 44 لسنة 2003 .

4 - الأمر رقم 07/03 المؤرخ في 2003/07/19 ، والمتضمن براءة الاختراع ، الصادر في الجريدة الرسمية رقم 44 لسنة 2003 .

5 - الأمر رقم 08/03 المؤرخ في 2003/07/19 ، التصاميم الشكلية للدوائر المتكاملة ، الصادر في الجريدة الرسمية رقم 44 لسنة 2003 .

6 -القانون رقم 02/04 المؤرخ في 2004/06/23 الذي يحدد القواعد المطبقة على الممارسات التجارية.

7 -القانون رقم 03/05 المؤرخ في 2005/02/06، المتعلق بالبذور والشتائل وحماية الحيازة النباتية .

8 -المرسوم التنفيذي رقم 275/05 المؤرخ في 2005/08/02 ، الذي يحدد كيفية إيداع براءات الاختراع وإصدارها.

9 -المرسوم التشريعي 17/93 المؤرخ في 07 ديسمبر 1993 ، المتعلق ببراءة الاختراع .

10 -المرسوم التنفيذي رقم 277/05 المؤرخ في 2005/08/02 ، الذي يحدد كيفية إيداع العلامات وتسجيلها .

11 - المرسوم التنفيذي رقم 121/76 المؤرخ في 1976/07/16 المتضمن كيفية تسجيل ونشر تسميات المنشأ .

12 -المرسوم التنفيذي رقم 276/05 المؤرخ في 2005/08/02 ، الذي يحدد كيفية إيداع التصاميم الشكلية للدوائر المتكاملة وتسجيلها .

- الكتب :

1- عجة الجيلاني، أزمات حقوق الملكية الفكرية ،دار الخلدونية ، الطبعة الأولى ، الجزائر ، 2012 .

2 -نسرين شريفي ، حقوق الملكية الفكرية ، حقوق المؤلف والحقوق المجاورة وحقوق الملكية الصناعية ، دار بلقيس للنشر ، الجزائر ، طبعة 2014 .

3 -نوري محمد خاطر ، شرح قواعد الملكية الصناعية ، دار وائل للنشر ، عمان،2005 .

4 - عبد المطلب عبد الحميد، النظرية الاقتصادية ، تحليل جزئي وكلي، الدار الجامعية، مصر، 2006 .

5 - عبد اللطيف هداية الله ، القانون التجاري ، دار الفكر ، مصر ، 1984 .

- المذكرات :

1 - نعمان وهيبة ، استغلال حقوق الملكية الصناعية والنمو الاقتصادي ، مذكرة ماجستير في الحقوق ،كلية الحقوق بن عكنون ، جامعة الجزائر 01 ، السنة الجامعية 2009 - 2010 .

2 - حسين بن الشيخ ، الحماية القانونية للمعلومات والمعارف السرية في ضوء التشريع الجزائري والاتفاقيات الدولية، مذكرة ماجستير في الحقوق ، تخصص ملكية فكرية، جامعة الحاج لخضر ، باتنة 01 ، السنة الجامعية 2014 -2015 .

- المداخلات :

1 - فريد كورتل ، امال يوب ، أهمية توفير مناخ أعمال ملائم لجذب الاستثمارات الأجنبية المباشرة ،مداخلة في ملتقى الاستثمار الأجنبي المباشر والتنمية في الوطن العربي أيام 19 – 22 أكتوبر 2015 (عمان) الأردن ، تنظيم مركز البحث وتطوير الموارد البشرية رماح عمان الأردن بالتعاون مع جامعة لاهاي – هولاندا .

2 -سليم بلغربي ، دور الملكية الفكرية في تحقيق التنمية الاقتصادية المستدامة ، ملتقى وطني حول الملكية الفكرية بين مقتضيات العولمة وتحديات التنمية ، جامعة عبد الرحمان ميرة بجاية ، 28 و29 افريل 2013 .

مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ر ت م د: 7163 -1112 ر ت م د إ :2588-1892
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2

الإطار القانوني لتطبيق مقاربة الديمقراطية التشاركية المحلية في الدول المغاربية

دراسة مقارنة بين الجزائر، تونس، والمغرب

Legal framework for applying the approach of local participatory democracy in Maghreb countries Comparative study between Algeria, Tunisia and Morocco

سويلم محمد

1- كلية الحقوق و العلوم السياسية قسم الحقوق ، عضو مخبر البحث في السياحة، الإقليم والمؤسسات جامعة غرداية
souilem.mohammed@univ-ghardaia.dz

تاريخ الاستلام: 2020/05/05 تاريخ القبول: 2020/11/14

ملخص

تتبنى مختلف قوانين الجماعات الإقليمية في الجزائر وتونس والمغرب نظام الديمقراطية التشاركية، لكنها تختلف في آليات تطبيقها وفق قانون كل دولة، ففي تونس يتبنى المشرع مجموعة متعددة من الوسائل الفعالة لتطبيق الديمقراطية التشاركية، أهمها الاستفتاء المحلي والميزانية التشاركية، بينما تقل تلك الفعالية لدى المشرع المغربي، الذي يعتمد أساسا على نظام العرائض، وهذه الآليات غير كافية لدى المشرع الجزائري، الذي يتبنى نظام الاستشارة فقط في قانون البلدية، دون قانون الولاية.

الكلمات الدالة:

الديمقراطية التشاركية، الاستفتاء المحلي، الميزانية التشاركية، العرائض، الاستشارة

المؤلف المرسل: سويلم محمد: souilemmohamed71@gmail.com

Abstract:

The various laws of regional groups in Algeria, Tunisia and Morocco adopt a system of participatory democracy, but they differ in the mechanisms of their application in accordance with the law of each country. In Tunisia, the legislator adopts a variety of effective means of implementing participatory democracy, the most important of which is the local referendum and the participatory budget, while the effectiveness of the Moroccan legislator, which relies mainly on the system of petitions, is insufficient for the Algerian legislator, who adopts the system of consultation only in municipal law, without the law of the municipality.

Key words:

Participatory democracy, local referendum, participatory budget, petitions, consultation.

1. - مقدمة

تنص الفقرة الأخيرة من المادة 15 من الدستور الجزائري (القانون 16 - 01 ، 2016) على ما يلي:"... تشجع الدولة الديمقراطية التشاركية على مستوى الجماعات المحلية"، وتنص المادة 16 على أن الجماعات الإقليمية للدولة هي البلدية والولاية، ويتم تنظيم هتين الوحدتين من خلال قانون البلدية (القانون رقم 11 -10، 2011)، وقانون الولاية (القانون رقم 12 - 07 ، 2012)، وهي آخر التشريعات التي تنظم هذا المجال، والذين صدرا بعد مضي حوالي 20 سنة من إصدار آخر قوانين بهذا الخصوص، وقبل هذا التعديل الدستوري، اعتمدت الدولة الجزائرية منذ 2015، إطارا جديدا في مجال عدم التركيز الإداري، من خلال المقاطعات الإدارية، الذي تعزز سنة 2018، ثم 2019، أين شهدت هذه السنة في أواخرها إقرار تقسيم إقليمي (القانون رقم 19 -12)، والذي شهد استحداث 10 ولايات جديدة، بنظام الولاية الكامل.

أما في تونس، فقد خصص الدستور الجديد لسنة 2014 حوالي 12 فصلا لمعالجة المسائل المرتبطة بالسلطة المحلية، بالإضافة إلى إصدار مجلة الجماعات المحلية سنة 2018، والتي ضبط القانون الأساسي المتعلق بها في فصله الأول القواعد المتعلّقة بتنظيم هياكل السلطة المحلية وصلاحياتها وطرق تسييرها، وفقا لآليات الديمقراطية التشاركية، بما يحقّق اللامركزية

والتنمية الشاملة والعادلة والمستدامة في إطار وحدة الدولة (القانون الأساسي عدد 29 ، 2018).

وتضمن دستور المغرب لسنة 2011 موضوع التنظيم اللامركزي من خلال 12 فصلا أيضا، وأقر هو الآخر وجوب وضع آليات للتشاركية والحوار والتشاور من قبل الجماعات الترابية، ولتطبيق ذلك أصدر المشرع المغربي سنة 2015 قانون تنظيمي يتعلق بالجماعات، الذي يحدد ضمن مقتضياته وضع الآليات التشاركية للحوار والتشاور (ظهير شريف رقم 1.15.85 ، 2015).

إن التطور الذي عرفه و يعرفه العالم في العصر الحالي في جميع مجالات الحياة السياسية، الاجتماعية، الاقتصادية، الثقافية والفكرية استلزم تطورا في مفاهيم الديمقراطية وتنوعا في صورها وأشكالها، حيث برزت الديمقراطية المباشرة كأحد دعامات الحكم في العصر القديم، وتطور هذا المفهوم وفق ظروف البشرية ليصل إلى الديمقراطية التمثيلية، والتي تجد نفسها في ظل انتخاب مجالس نيابية تعبر عن إرادة الشعوب وتصوراتهم لطريقة الحكم التي تناسب نمط معيشتهم، غير أن انفراد الحكام بالسلطة و القرار، وتغولهم في معظم الأحيان، وتشعب مناحي الحياة واختلافها من دولة إلى أخرى، بل من منطقة إلى أخرى في نفس الدولة أكد أن مباشرة تسيير أمور الحكم لا يتأتى إلا بإشراك الأفراد في هذا التسيير، وهو ما يمثل الديمقراطية التشاركية كصورة حديثة لأنظمة الحكم في أغلب دول العالم، حيث يشكل رأي المواطن و تصوراته أساسها و ضمان استمرارها.

وتثور أهمية موضوع الديمقراطية التشاركية من خلال تتبع جملة الأحداث التي شهدتها المنطقة العربية بداية العقد الثاني من القرن الجديد، والتي تمحورت شعاراتها على التغيير وتفعيل أدوات المساءلة والرقابة، وأخلقة الحياة السياسية، وارتكزت في قيامها على الفرد الذي صار يطالب بالمشاركة في اتخاذ القرار بشكل متواصل، ولا يكتفي بذلك النمط التقليدي الجامد الذي يقتصر على اختيار الممثلين، خاصة بالنظر إلى حجم فضائح الفساد الذي اكتشف بفعل أو مساهمة هؤلاء الممثلين، وهو ما ألزم السلطة للتفكير في أساليب التشاركية على المستويين الوطني (بويكرل، 2019، صفحة 133)، والمحلي، الذي يعد الأقرب المجال للمواطن لطرح انشغالاته، والأقرب لتلقي

نتائج غضب المواطن من هذا الانقطاع، والتي يمكن أن تصل إلى تعبير عنيف قد يصل حد الاحتجاج، وقطع الطرق، وغلق المقرات (دليلة بوراي، 2020، صفحة 139، 140) .

إضافة إلى ذلك، فقد تضمنت دساتير الدول محل الدراسة إقرار اللامركزية الإدارية الإقليمية كأسلوب للتنظيم الإداري اللامركزي في البلاد، وفق المستويات المقررة لهذا التنظيم في كل دولة، حيث يصبو المشرع فيها للنهوض بالتنمية المحلية من خلال اعتماد المجالس الشعبية المنتخبة التي تكفل مشاركة المواطنين في شؤونهم العمومية، ومن خلال مبادئ الديمقراطية التشاركية، التي تظهر بشكل أوضح على المستوى المحلي، فهي تحاول معالجة أزمة الديمقراطية التمثيلية (حمدي، 2014 -2015، صفحة 123) كما أسلفنا، التي ينتج عنها انقطاع صلة النائب بالمنتخبين بمجرد انتهاء العملية الانتخابية (أحمد، 2011، صفحة 04)، فتتيح الديمقراطية التشاركية مواصلة تأثير الأفراد على نشاط المجالس المنتخبة طيلة مدة العهدة الانتخابية، وتكتمل وفق ذلك الديمقراطية المحلية (نوح، 2018، صفحة 11)، من خلال التمثيل والتشاركية، ولقد تضمنت القوانين المنظمة للجماعات الإقليمية في هذه الدول أبوابا خاصة بالديمقراطية التشاركية وفق كل نموذج؛ الباب الثالث من قانون البلدية في الجزائر (القانون رقم 11 -10، 2011)، و القسم الخامس من القانون الأساسي المتعلق بالجماعات المحلية في تونس (القانون الأساسي عدد 29 ، 2018)، وفي المغرب الباب الخامس من القسم الثالث من قانون الجماعات (قانون التنظيمي رقم 113.14)، والباب الرابع من القسم الثالث من قانون الجهات (القانون التنظيمي رقم 111.14)، وكذا الباب الرابع من القسم الثالث من قانون العمالات والأقاليم (القانون التنظيمي رقم 112.14)، لذلك جاءت إشكالية هذه الدراسة على النحو التالي: ما هي الآليات القانونية المقررة لتطبيق الديمقراطية التشاركية المحلية في الجزائر وتونس والمغرب؟ وما هي فرص نجاحها لدفع الحوكمة المحلية في الدول محل الدراسة؟

للإجابة على هذه الإشكالية اعتمدنا المنهج التحليلي والوصفي للخوض في الآليات القانونية لتطبيق الديمقراطية التشاركية في الدول

محل الدراسة، مع استعمال المنهج المقارن للوقوف على نقاط التشابه والاختلاف بينها، بما يعزز البحث في نجاعة تلك الآليات لدى كل مشرع، وسيتم تقسيم الدراسة وفق ما سبق إلى مبحثين، يتناول المبحث الأول الآليات التمهيدية لتطبيق الديمقراطية التشاركية، ويتناول المبحث الثاني الآليات الداعمة لتطبيق الديمقراطية التشاركية.

2 - المبحث الأول: الآليات التمهيدية لتطبيق الديمقراطية التشاركية

تتجاوز هذه الدراسة البحث في الإطار المفاهيمي للديمقراطية التشاركية، لأجل الخوض في آليات تطبيقها فعليا، باعتبار الأهمية التي تشكلها تلك الآليات لتدخل المواطن في صنع القرار المحلي، وإذ يرتبط هذا القرار بدور المجلس المحلي في مباشرة اختصاصاته في المجالات المقررة له بقوة القانون، فلابد من تكريس التشاركية في مختلف المراحل المرافقة لنشاط المجالس المحلية، باعتبار نهاية دور الديمقراطية التمثيلية باختيار وتشكيل هذا المجلس، وبداية دور الديمقراطية التشاركية المرتكزة على المواطنة والمشاركة، فالأولى تبدأ من الأعلى وتتجه نحو الأسفل، والثانية تظهر من القاعدة وتتجه نحو الأعلى (يعقوبي، 2016، صفحة 215).

تبدأ مراحل مرافقة نشاط المجلس الشعبي المحلي من خلال آليات تدخل الأفراد في انعقاد دورات هذا المجلس، سواء ما تعلق بالمبادرة للانعقاد، أو ما تعلق بكفالة حق إعلام المواطنين بالانعقاد، وما يتبعه من ضوابط تكفل علانية نشاط هذا المجلس.

1.2. - المطلب الأول: المبادرة لعقد دورات المجالس الشعبية المحلية

لابد من التأكيد أولا أن آليات الديمقراطية التشاركية لا تظهر ولا تفعل إلا بعد تشكيل المجالس الشعبية المحلية، بما يفيد أن مشاركة المواطنين في تشكيل هذه المجالس من ترشح أو انتخاب وما يرتبط بهما من أعمال، يتعلق أساسا بالديمقراطية التمثيلية، فبعد تنصيب المجالس يبدأ تدخل المواطن في مسألة التسيير، وإذ تشكل دورات المجالس الشعبية المحلية الوسيلة التقنية المتاحة لمباشرة مهام الوحدات المحلية في إشباع حاجات ساكنيها، فالدعوة لانعقاد هذه الدورات يشكل أيضا مجالا منطقيا لتفعيل هذا الدور، ويختلف هذا التدخل وفق ما يقرره المشرع في كل دولة.

أ - المشرع الجزائري: يجتمع المجلس الشعبي البلدي دورة عادية كل شهرين، مدة كل دورة 05 أيام، وله أن يعقد دورة غير عادية بطلب من رئيسه أو من 3/2 أعضائه أو من الوالي حسب نص المادة 17 (القانون رقم 11 -10، 2011)، و ورد في نص المادة 17 انه يمكن أن يجتمع بقوة القانون في حالة الظروف الاستثنائية المرتبطة بخط وشيك أو كارثة كبرى، و لا يظهر وفق ما سبق أي دور لإرادة الموطنين في اجتماع المجلس الشعبي البلدي، باعتبار الافتراض أن ساكني البلدية يتطلعون لحل مشاكلهم من خلال اجتماعات المجلس، إضافة إلى غياب دور المواطن. وبخصوص المجلس الشعبي الولائي فهو يعقد 04 دورات عادية في السنة بناءا على نص المادة 14 (القانون رقم 12 -07 ، 2012)، مدة كل دورة 15 يوما على الأكثر، وتنعقد الدورات وجوبا خلال أشهر مارس، يونيو، سبتمبر وديسمبر، ولا يمكن جمعها ، وله أن يجتمع في دورة غير عادية بطلب من رئيسه، أو من 3/1 أعضائه، أو من الوالي، ويجتمع بقوة القانون في حالة كارثة طبيعية أو تكنولوجية وفق نص المادة 15 ، ولا تظهر أيضا إرادة سكان الولاية في انعقاد المجلس الشعبي الولائي.

ب - المشرع التونسي: يمكن للمواطن في تونس التدخل أيضا في عقد دورات المجالس المحلية، فقد تضمنت مجلة الجماعات المحلية (الفصلان 216 و311) (القانون الأساسي عدد 29 ، 2018)على أن المجلس البلدي أو الجهوي حسب الحالة، يعقد دورات عادية كل ثلاث أشهر، ويمكن عقد اجتماعات إن دعت الضرورة لذلك بدعوة من رئيس الجهة أو بطلب من ثلث أعضاء المجلس الجهوي أو بطلب من عشر ناخبين مسجلين بالسجل الانتخابي للجهة، فلا يقتصر وفق ما تقدم المبادرة بعقد دورات المجالس المحلية من قبل الوحدات التمثيلية فحسب، بل يستطيع متساكني هذه الوحدات التوجه نحو إجبار المجالس المحلية على الانعقاد، بمبادرة صريحة من 10 ناخبين فقط، بالنظر لأهمية الحالة التي يقدرها هؤلاء الناخبون لعقد اجتماع المجلس، في دور إيجابي للمواطن الذي يبدأ بالشعور بدوره في تسيير تلك المجالس.

جـ - المشرع المغربي: لم تمنح قوانين الجماعات الترابية في المغرب أي حق للمواطنين لاستدعاء مجالس هذه الوحدات للانعقاد، بل يجتمع مجلس الجماعات وفق المادة 38 (قانون التنظيمي رقم 113.14)، ومجلس الجهات وفق المادة 33 (القانون التنظيمي رقم 111.14)في 03 دورات عادية، ودورات استثنائية بناء على مبادرة من رئيسه أو 3/1 أعضائه المزاولين، وإذا قدم الطلب من أغلبية الأعضاء تنعقد الدورة الاستثنائية وجوبا، كما يمكن أن يعقد المجلس دورة استثنائية بحكم القانون في حالة تلقيه طلبا في هذا الشأن من قبل عامل العمالة أو والي الجهة حسب الحالة، ويسري ذات الأمر بخصوص العمالات والأقاليم (القانون التنظيمي رقم 112.14).

2.2. - المطلب الثاني: التشاركية في دورات المجالس المحلية

تتحقق المشاركة في دورات المجالس الشعبية المحلية من خلال مجموعة من الآليات التي تضمن تحقق إعلام سكان الوحدات بحيثيات عملها، وهي المشاركة في وضع جدول الأعمال والاطلاع عليه، وكذا علانية الجلسات والحضور لها.

أ -جدول أعمال الدورات: ترتكز مداولات المجالس المحلية حول جملة النقاط المدرجة في جدول الأعمال، والذي يتم إعداده وفق قانون الجماعات المحلية في كل دولة، ووفق كل مستوى من المستويات.

ففي الجزائر، يكتنف بعض الغموض مسألة إعداد جدول أعمال دورات البلدية، ففي حين يتم تحديد جدول الأعمال من طرف رئيس المجلس الشعبي البلدي بالتشاور مع الهيئة التنفيذية، يتم إرسال الاستدعاءات مرفقة بمشروع جدول الأعمال للأعضاء، ويتم إلصاق مشروع جدول الأعمال في أماكن الإعلان، إذ استعمل المشرع مصطلح "مشروع" الذي يوحي بأنه وثيقة ابتدائية قابلة للتعديل لاحقا، وهو ما يتم في الحقيقة في اجتماع المجلس بالمصادقة على هذا المشروع أو إضافة نقاط أخرى إليه، غير أن المسألة لا ترتبط إلا بالأعضاء في اقتراح والموافقة على النقاط المدرجة، دون أي دور مباشر للمواطن في ذلك،

وسلك قانون الولاية نفس الطريق في إعداد جدول الأعمال، غير أنه لم يتح الفرصة لأعضاء المجلس للمصادقة أو إدراج نقاط إضافية، وقد أكد على نشر جدول الأعمال بالوسائل الإلكترونية، عكس ما تضمنه قانون البلدية، الذي اكتفى بالإلصاق في الأماكن المخصصة لذلك فقط، وان كان القانون يسمح باستعمال الوسائل الإلكترونية في ذلك، تطبيقا لأحكام المادة 11 من قانون رقم 11 -10 المتعلق بالبلدية، يتم إعلام المواطن بجدول الأعمال وفق ما تقدم، قبل 10 أيام من تاريخ انعقاد الدورة باعتبار المسألة مرتبطة بإرسال الدعوات للأعضاء، ويتم تخفيض هذا الأجل في الحالات الاستثنائية.

وفي تونس، ينص قانون الجماعات المحلية على آلية حقيقية وفعلية للتشارك في تسيير الشؤون المحلية من طرف المتساكنين، وذلك من خلال الجلسات التمهيدية، التي كانت معتمدة من خلال قانون البلدية السابق في الفصل 32 (القانون عدد 33 ، 1975)، لكن تطبيقها كان أقل من المأمول (الرحمن، 2018)، وهي تسبق وجوبا انعقاد دورات المجلس البلدي، وتلتئم الجلسة بإشراف رئيس المجلس البلدي أو من ينوبه من المساعدين، شهرا على الأقل قبل انعقاد الدورة، ويدعى إليها متساكنو البلدية، ويتم الاستدعاء بكل الوسائل المتاحة، حيث يتم سماع مداخلات المواطنين بخصوص المسائل ذات الصبغة المحلية، كما يتم تعريفهم ببرامج البلدية، وبالتالي تكوين مجموعة من الأفكار ذات المنفعة العمومية على مستوى البلدية، وذات الأهمية القصوى بالنسبة للمشاريع التنموية للبلدية، وكما ورد في الفصل 216 (القانون الأساسي عدد 29 ، 2018) تعقد هذه الجلسات بالتناوب بمختلف الدوائر البلدية، كما تتم دراسة المقترحات المعروضة خلال هذه الجلسات من قبل اللجان البلدية حسب موضوعاتها، وتعرض على الدورة العادية للمجلس البلدي.

لا تظهر تقنية الجلسات التمهيدية في باقي مستويات الجماعات المحلية في تونس، لا في الجماعات الجهوية ولا الأقاليم، مما يظهر ارتباطها بالمستوى القاعدي الذي يؤمن الفرصة للأفراد والجمعيات على مستوى الدوائر البلدية

إمكانية تدخلهم المباشر في وضع جدول أعمال الدورات، لكنه في ذات الوقت قد يصطدم بغياب وجه الإلزامية للأخذ بمخرجات هذه الجلسات في مداولات المجلس، خاصة إذا ما ارتبطت تلك المخرجات بنفقات مالية كبيرة لتحقيقها.

أما بخصوص جدول أعمال دورات مجالس الجماعات المحلية فترفق المسائل المطروحة فيه مع الدعوات المرسلة للأعضاء المجلس البلدي والجهوي، وتعلق هذه الدعوات بمدخل مقر البلدية والجهة، وتدرج بالموقع الإلكتروني الخاص بها حسب ما ورد في الفصلين 216، 311 (القانون الأساسي عدد 29 ، 2018)، مما يجعلها متاحة للجمهور للاطلاع عليها، غير أن ذلك لا يظهر بخصوص الأقاليم، التي لم ينص القانون على ضوابط إعداد ونشر جدول أعمال دورات مجلسها المنتخب، وتكون هذه الدعوات وجدول الأعمال متاحا لاطلاع الجمهور قبل 15 يوما من تاريخ انعقاد اجتماع المجلس، وهو التاريخ الذي ترسل فيه الدعوات لأعضاء المجلس.

وفي المغرب، يضمن الفصل 139من الدستور (دستور المملكة المغربية ، 2011) وقوانين الإدارة المحلية، سواء تعلق الأمر بالجماعات، والجهات، والعمالات أو الأقاليم إمكانية تقديم عرائض يكون الهدف منها مطالبة المجلس بإدراج نقطة تدخل في صلاحياته ضمن جدول الأعمال. وبذلك تشكل تقنية العرائض الوسيلة المثلى لتدخل المواطنين في تسيير الشؤون المحلية.

تعرف العريضة أنها كل محرر يطالب بموجبه المواطنات والمواطنون والجمعيات مجلس الجماعة الترابية حسب المستوى، الجماعة، أو الجهة، أو العمالة أو الإقليم، بإدراج نقطة تدخل في صلاحياته ضمن جدول أعماله، ويضبط القانون شروط وآليات تفعيل هذه التقنية (لعزيزي، 2017 -2018، صفحة 08)، غير أنها تبقى في كافة الأحوال رهينة لقبول مكتب المجلس لإدراجها في جدول الأعمال، باعتبار أن المكتب يمكن له أن يرفض هذه العريضة، ويتم تبليغ الوكيل أو ممثل الجمعية حسب الحالة بهذا الرفض خلال شهرين

من تاريخ توصله بالعريضة بالنسبة للجهات والعمالات والأقاليم، أو 03 اشهر بالنسبة للجماعات.

أما بخصوص إعلام المواطنين بجدول أعمال مجالس الجماعات الترابية، فيتم تعليق الجدول وتاريخ الدورة بمقر الجماعة، حسب المستوى، ولا ينص القانون على استعمال الطريقة الإلكترونية في هذا المجال، كما لا ينص على تاريخ تعليقها، لكنه ينص على أن الدعوات توجه للأعضاء مرفقة بجدول الأعمال قبل 10 أيام من انعقاد دورة مجلس الجماعة وفق نص المادة 35 (قانون التنظيمي رقم 113.14)، وقبل 07 أيام بخصوص الجهة بنص المادة 38 (القانون التنظيمي رقم 111.14) و هو نفس ما جاء في نص المادة 36 من قانون العمالات والأقاليم (القانون التنظيمي رقم 112.14).

ب -الحضور الشعبي في الجلسات

تقتضي التشاركية الحضور المتواصل للمواطن أثناء سيرورة العمل الإداري للمجلس المنتخب، وعلمه بكل التفاصيل المقررة أثناء المداولات، لذلك الأصل في مداولات المجالس المنتخبة في البلدان محل الدراسة أنها علنية، إلا ما تقرر استثناء أنها مغلقة، فيضمن ذلك الشفافية المنشودة في عمل هذه الوحدات.

في الجزائر يضمن قانون البلدية علانية جلسات المجلس المنتخب، فتكون مفتوحة أمام المواطنين لحضورها، ولا تكون مغلقة إلا استثناء في بعض الحالات المقررة في القانون بنص المادة 26 (القانون رقم 11 -10، 2011)، والمتعلقة بدراسة الحالات التأديبية للمنتخبين، والحالات المرتبطة بالحفاظ على النظام العام، وأما بخصوص المجلس الشعبي الولائي، فهو أيضا ملزم بعقد جلساته بصورة علنية، ويمكن أن يقرر المجلس التداول في جلسة مغلقة في حالة الكوارث الطبيعية والتكنولوجية، وبسبب دراسة حالات تأديب المنتخبين وفق ما ورد في نص المادة 26 (القانون رقم 12 -07 ، 2012).

لم تحظى مسألة علنية جلسات المجالس الشعبية المنتخبة في الجزائر بالتأطير الكافي الذي يضمن فعليا مشاركة المواطنين في هذه الجلسات، باعتباره اهمل عديد النقاط المتعلقة بإجراءات الحضور، والوسائل المادية المساعدة على تكريس هذا الحضور، بداية من توفير القاعات المخصصة لضمان اكبر عدد ممكن من السكان، وتوفرها على الوسائل التقنية اللازمة للإصغاء والراحة، والأكثر من ذلك ضمان الالتزام بفتح الجلسات أمام الجمهور، الذي لم ينص المشرع على أي جزاء لمخالفته، خاصة اذا فحصنا الحالات المقررة لعقد الجلسات المغلقة، فاذا كانت دراسة حالات التأديب معقولة إلى حد ما، فالحالات الأخرى قد تشكل ملاذا آمنا لدى المجلس لغلق جلساته، باعتبار أن المشرع استعمل فيها العبارات المطاطية القابلة للتأويل، مهملا في نفس ذات الوقت الجهة الداعية إلى غلق هذه الجلسات، ولا كيفية تقرير هذا الغلق، وذلك في ظل نقص الحماس لدى المواطن أساسا للحضور لهذه الجلسات في كثير من الأحيان (بوشامي، 2007/2006، صفحة 145\147.).

وفي تونس، الأصل أن جلسات البلديات والجهات علنية أيضا، إلا عندما يقرر المجلس بكونها سرية، عندما يطلب ثلث المجلس أو رئيسه ذلك، بموافقة ثلثي أعضاء المجلس الحاضرين وفق الفصل 218 (القانون الأساسي عدد 29 ، 2018)، وبخصوص مجلس الأقاليم فالجلسات أيضا علنية، وللمجلس الحق في عقد جلسات سرية بطلب من ثلث الأعضاء الحاضرين، وبموافقة أغلبية الأعضاء الحاضرين، ويمكن حسب الفصل 357 لمجلس الإقليم في هذا الإطار أن يستدعي من يرى فائدة للاستماع إليه، مما يجعل المشاركة الشعبية لا تقتصر على الحضور فحسب بل بالتدخل أيضا، وإن كان أصل هذا التدخل راجع لحاجة مجلس الإقليم للاستماع للمتدخل المعني، والذي سيكون غالبا شخصية عمومية أو ذات مكانة مهنية أو اجتماعية محددة.

ونصت مجلة الجماعات المحلية على وجوب تخصيص مكان لبعض الفئات في جلسات مجلس البلدية ومجلس الجهة، فبالنسبة لهذه الأخيرة يخصص

مكان لأعضاء مجلس نواب الشعب المنتخبين من الجهة، لرؤساء بلديات الجهة لحضور جلسات المجلس الجهوي بصفتهم ملاحظين، وكذلك لممثلي نقابات العمال، والأعراف، والمنظمات الوطنية، والغرف الصناعية والتجارية المعنية بالجهة، ولوسائل الإعلام، ومنظمات المجتمع المدني المعنية بنشاط الجهة، وجاء في الفصل 219 (القانون الأساسي عدد 29 ، 2018) انه يخصص في جلسات مجلس البلدية مكان لممثل عن المجلس الجهوي بصفته ملاحظا، ومكان لوسائل الإعلام، ومنظمات المجتمع المدني، وهذا ما يضفي الشفافية والنجاعة على مداولات المجلس المنتخب.

ترك المشرع التونسي أيضا مسائل تنظيم الجلسات للجماعة المحلية خاصة ما تعلق بتوفر القاعات والوسائل الضرورية المرتبطة بتوفير الظروف المناسبة للاستفادة من حضور الجمهور، مما يجعل السلطة واسعة للجماعة في تهيئة تلك الظروف، إلا ما تعلق بتوفير المكان للفئات المذكورة سابقا، بالإضافة أيضا أنه ترك السلطة التقديرية للمجلس في تقرير سرية الجلسات، مما قد يجعلها سرية على عمومها، إذا لم تتوافق الرؤى بين المجلس والساكنة، دون وجود أي ضمانات لعلانيتها الملزمة بهذا الخصوص.

أما في المغرب، فالأصل أيضا أن اجتماعات مجالس الجماعات الترابية بمختلف مستوياتها مفتوحة للجمهور، ويمكن أن يكون الاجتماع غير مفتوح إذا قرر المجلس ذلك بناء على طلب من الرئيس أو من ثلث الأعضاء، وإذا تعلق الأمر بمسائل تدخل في إطار النظام العام بناء على طلب من والي الجهة كما جاء في المادة 51 (القانون التنظيمي رقم 111.14) أو عامل العمالة وفق المادة 49 (القانون التنظيمي رقم 112.14) حسب الحالة.

3 - المبحث الثاني: الآليات الأساسية لتطبيق الديمقراطية التشاركية

لقد نصت مختلف النصوص المنظمة للإدارة المحلية في الدول محل الدراسة على عناصر أساسية تدعم توجه المشرع لاعتماد المقاربة التشاركية في المجالس المحلية المنتخبة، وتبنى كل مشرع مجموعة من الآليات التي تحقق هذا التوجه، لكن يبقى المشرع التونسي يكرس الاطار المعياري الفعلي لتطبيق

الديمقراطية التشاركية من خلال جملة الوسائل المتاحة لدى متساكني الجماعات المحلية للمشاركة في تسيير الشؤون العمومية على مستوى وحداتهم، لذلك سنحاول الإلمام بهذه الوسائل، مع إسقاط إمكانية اعتمادها لدى المشرعين الجزائري والمغربي، وهي على العموم تتمثل في المشاركة الشعبية من خلال نظام الاستشارة، والاستفتاء المحلي، من جهة، ومن خلال الآليات المرتبطة بمداولات المجالس المنتخبة، سواء تلك المتعلقة بالنفاذ للمعلومة، أو الميزانية التشاركية من جهة ثانية.

1.3. - المطلب الأول: المشاركة الشعبية

تنص المادة 17 من الدستور الجزائري أن المجلس المنتخب يمثل قاعدة اللامركزية ومكان مشاركة المواطنين في تسيير الشؤون العمومية، وكذلك المادة الثانية من القانون رقم 11 -10 المتعلق بالبلدية، والأمر ذاته في الفصل 29 من القانون الجماعات المحلية التونسي، وأيضا الفصل 139 من الدستور المغربي ومختلف قوانين الجهات الترابية القاضية بوضع الاطار القانوني لتسيير مساهمة المواطنين في الشأن المحلي، إذ يحرص المشرع في كل بلدان الدراسة على وجوب مشاركة المواطن في التدبير المحلي، ويتم ذلك وفق مجموعة من الصور أبرزها نظام الاستشارة، والاستفتاء المحلي.

أ - نظام الاستشارة غير التقريرية

تعرف الاستشارة بأنها "شكلية إجرائية تتضمن التعبير عن رأي ما أو التعبير المتناسق عن آراء مختلفة، من أجل إرشاد سلطة معينة لمبدأ معين أو أساليب معينة لممارسة اختصاصها" (دليلة بوراي، 2020، صفحة 295.)، وهي تعد من الأساليب الكلاسيكية لممارسة المشاركة.

نص قانون البلدية الجزائري على الاستشارة في موضعين ضمن نطاق المشاركة في تسيير شؤون البلدية، فالمادة 11 تضمنت الاستشارة الإلزامية (دبوشة، 2018، صفحة 70)، من خلال اتخاذ المجلس الشعبي البلدي كل التدابير بإعلام المواطنين بشؤونهم واستشارتهم حول خيارات وأولويات التهيئة والتنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وهي تعني كافة المواطنين بصفة جماعية، ويمكن تجسيدها من خلال الوسائط والوسائل الإعلامية

المتاحة، أي من خلال استعمال تقنيات تكنولوجيا الإعلام والاتصال، بالأنترنت أو بالهاتف المحمول على سبيل المثال، أو غير ذك من الآليات.

تضمنت المادة 13 التنصيص على الاستشارة الاختيارية، من خلال إمكانية رئيس المجلس الشعبي البلدي كلما اقتضت ذلك شؤون البلدية الاستعانة بصفة استشارية كل شخصية محلية، كل خبير، و/أو كل ممثل جمعية محلية معتمدة قانونا، الذين من شأنهم تقديم أي مساهمة مفيدة لأشغال المجلس أو لجانه بحكم مؤهلاتهم أو طبيعة نشاطهم، وتؤكد على ذلك المادة 36 بإمكانية قيام اللجان بالاستشارة الاختيارية المقررة في المادة 13، وهي تعبر عن الإطار الفعلي لتدخل المواطنين بصفة فردية في أعمال اللجان والمجلس، غير أن هذه الاستشارة تبقى مرهونة بقيدين اثنين، أولهما يتعلق بتوفر إرادة رئيس المجلس للاستعانة بها، والثاني يتعلق بكونها استشارة غير ملزمة، تقدم للمجلس أو للجانه على سبيل الاستئناس ليس إلا، بالرغم من أن مصدرها يكون في الغالب بناء على خبرة مهنية أو اجتماعية لصاحبها.

لقد ترك المشرع الجزائري في قانون البلدية لرئيس المجلس الشعبي البلدي السلطة التقديرية الكاملة لتطبيق نظام الاستشارة، ولم يلزم البلدية بإجرائها إلزاما صريحا بالرغم من أن الفقرة الثانية من المادة 11 أقرت ذلك للمجلس، وكذلك الشأن بالنسبة لاستعانة اللجان بهذا النظام، فلا يمكنها تطبيق الاستشارة إلا بموافقة رئيس المجلس الشعبي البلدي، وهذا عكس ما تضمنه قانون الولاية الذي منح اللجان السلطة الواسعة في تطبيق نظام الاستشارة، إذ يمكن للجان المجلس الشعبي الولائي دعوة كل شخص يقدم معلومات مفيدة لأشغال اللجنة بحكم مؤهلاته أو خبرته، وفق ما تنص عليه المادة 36 من القانون رقم 12 -07 المتعلق بالولاية، دون الحاجة لموافقة مسبقة من رئيس المجلس الشعبي الولائي، أو من الوالي، لكن في كلا المجلسين تبقى المبادرة للاستعانة بالاستشارة الشعبية مقتصرة على إرادة المجالس المحلية، دون إرادة مواطني الوحدات المحلية.

أما في تونس، يخضع نظام الاستشارة إلى المبادرة الشعبية، وليس فقط لمبادرة من المجالس المنتخبة، مثلما يتبناه المشرع الجزائري، فبداية يمكن للجان المجالس البلدية والجهوية بان تدعو للمشاركة في أعمالها أعوان

الدولة أو المؤسسات أو المنشآت العمومية من ذوي الخبرة، أو المتساكنين أو مكونات المجتمع المدني أو كل الأشخاص الذين يمكن أن يفيدوا برأيهم بحكم نشاطهم أو خبرتهم و هو ما تضمنه كل من الفصل212 و 310 (القانون الأساسي عدد 29 ، 2018) ، وبالتالي يساهم المواطنين بشتى مستوياتهم وصفاتهم في أعمال المجالس المحلية المنتخبة، وان كانت مساهماتهم تقتصر على المشاركة في أعمال اللجان التي لا يتحوز اختصاص تقريريا.

إضافة إلى ما سبق، يمكن أن يبادر متساكنو الجماعات المحلية للمشاركة أيضا في تسيير الشؤون المحلية من خلال ما تضمنه الفصل 30 من قانون الجماعات المحلية التونسي، وتتجسد هذه المشاركة من خلال وجوب مسك كل جماعة لسجل خاص بآراء وتساؤلات المتساكنين ومكونات المجتمع المدني، والإجابات عنها، ويمكن أن يتم ذلك من خلال استعمال المنظومة الإلكترونية، ويقدم في بداية كل جلسة ملخص لهذه الآراء ومآلاتها، وضبط الأمر الحكومي هذه العملية (أمر حكومي عدد 401 ، 2019).

ونص الفصل 165 من ذات القانون أن للمتساكنين ومكونات المجتمع المدني تقديم طلب استيضاح كتابي لرئيس الجماعة المحلية حول موارد ونفقات معينة. يسجل كل طلب بدفتر مرقم خاص بالاستفسارات، ويمكن لهذا الغرض اعتماد المنظومة الإلكترونية، وللأشخاص الذي قدموا هذا الاستفسار إمكانية التوجه للمحكمة الإدارية المختصة ترابيا إذا لم يتلقوا جوابا خلال شهر من تاريخ إيداع مطلبهم.

وفي المغرب، تضمن الفصل 139 من الدستور آلية حقيقية لتجسيد نظام الاستشارة الشعبية (اجعون، 2014 ، صفحة 86)، وهي التشاور والمشاركة، وكرست مختلف القوانين التنظيمية للجماعات الترابية هذا الاتجاه، سواء في الجماعات أو الجهات أو الإقليم والعمالات، وهي تحقق تيسير مساهمة المواطنات والمواطنين والجمعيات في إعداد برامج التنمية وتتبعها، ويتضمن النظام الداخلي لكل مجلس الكيفية التي يتحقق من خلالها هذا التشاور، فبالنسبة للنظام النموذجي المقرر لمجالس الجماعات يظهر اعتماد الاجتماعات العمومية، مع المواطنات والمواطنين والفاعلين الاقتصاديين والاجتماعيين وجمعيات المجتمع المدني لدراسة مواضيع عامة تدخل في

اختصاصات الجماعة والاطلاع على آرائهم بشأنها وكذا إخبار المواطنات والمواطنين والمعنيين بالبرامج التنموية المنجزة أو الموجودة في طور الإنجاز، وينظم هذا اللقاء بمبادرة من الرئيس أو الفاعلين المعنيين أو من طرف هيئة تمثل المواطنات والمواطنين (الباب السابع من النظام الداخلي النموذجي للمجلس الجماعي للجماعة الترابية)، ويظهر من خلال ما تقدم ان هذه اللقاءات كي تكتسي الطابع التشاوري المرتكز على الاستشارة، وقد تكتسي طابعا إخباريا يتم من خلاله إعلام الساكنة بالإنجازات والبرامج التي تحققها الجماعة الترابية (ماموح، 2017، صفحة 176).

كما نصت قوانين الجماعات الترابية على آلية أخرى للمشاركة الشعبية عبر التنصيص على مجموعة من الهيئات الاستشارية (ماموح، 2017، صفحة 177) التي تشكل دعامة أساسية لتطبيق هذا التوجه، والتي تضمن مشاركة فعاليات المجتمع المدني، واقتصر قانون الجماعة على هيئة استشارية واحدة، تسمى هيئة المساواة وتكافؤ الفرص ومقاربة النوع، والتي يحدد النظام الداخلي للمجلس تشكيلتها بضم شخصيات تنتمي إلى جمعيات محلية وفعاليات من المجتمع المدني يقترحهم رئيس المجلس الجماعي، ويمكنها توجيه الدعوة لبعض الأشخاص ذوي الاختصاص لحضور أشغالها إذا كان من شأن ذلك أن يفيد الهيئة في اتخاذ القرار المناسب بخصوص الموضوع المعروض عليها (الباب السابع من النظام الداخلي النموذجي للمجلس الجماعي للجماعة الترابية).

ونص أيضا قانون العمالات والإقليم على هيئة استشارية واحدة تختص بدراسة القضايا الإقليمية المتعلقة بتفعيل مبادئ المساواة وتكافؤ الفرص ومقاربة النوع، وهي إسقاط فعلي لتلك المقررة في الجماعة على مستوى العمالات والأقاليم، أما قانون الجهات فقد نص على 03 هيئات استشارية، الأولى ترتبط بالمجتمع المدني، متعلقة بمبادئ المساواة وتكافؤ الفرص، والثانية متعلقة بدراسة قضايا الشباب، والثالثة بشراكة الفاعلين الاقتصاديين، وترك للنظام الداخلي للجهة مهمة تسمية هذه الهيئات وكيفية تشكيلها وتسييرها، باعتبارها تضمن مشاركة جميع المستويات الاجتماعية في تسيير الشأن المحلي.

تتحقق الاستشارة أيضا من خلال مختلف اللجان المقررة في قوانين الجماعات الترابية في المغرب، إذ يمكن لرئيس اللجنة أن يستدعي الموظفين المزاولين لمهامهم بمصالح الجماعة الترابية بصفة استشارية، ويمكن أيضا استدعاء موظفي وأعوان الدولة والمؤسسات العمومية أو المقاولات العمومية لنفس لغرض، وبالتالي توسيع نظام الاستشارة ضمن هذه اللجان لأصحاب الخبرة في مجال التنمية، لكنه يحتاج لتوسيع تلك الاستشارة أيضا لتتشمل متساكني الجماعات الترابية أيضا.

وتجدر الإشارة إلى وجود آلية إضافية لاستشارة الموطنين في الشؤون المحلية، قد لا تتعلق بقوانين الجماعات الإقليمية على وجه الخصوص، بل ترتبط بقوانين أخرى، ومثاله ما يعتمده المشرع الفرنسي من خلال **التحقيق العمومي** (n°70, 2011, p. 04)، والذي يجد أساسه القانوني في المادة L. 123-2 من قانون البيئة الفرنسي رقم 2010-788، حيث يخضع إنشاء المشاريع التي لها علاقة بالبيئة، وإصدار القرارات الخاصة بنزع الملكية بسبب الضرورة البيئية إلى استشارة المواطنين وتحديد الآثار الناجمة عن ذلك بمشاركتهم عن طريق الاقتراحات والآراء التي يطرحونها في هذا المجال، وهذا ما تبناه أيضا المشرع الجزائري في مجموعة من القوانين، مثل قانون البيئة (كمال، 2017، صفحة 387)، أو غيره من القوانين ذات الصلة بالتنمية المحلية، كالقانون التوجيهي للمدينة، أو قانون التهيئة والتعمير (نوح، 2018، الصفحات 26 -27).

الفرع الثاني: الاستفتاء المحلي الاستشارة التقريرية

يعرف الاستفتاء المحلي بأنه التقنية الديمقراطية المرتكزة على أخذ رأي المواطنين المحليين في مسالة تهم متساكني جماعة محلية، فهذا الاستفتاء محدد من حيث الرقعة الجغرافية ولا يعني إقليم البلاد كلية (بن عبدالله، 2016، صفحة 05)، وفي فرنسا **الاستفتاء المحلي** (PAOLETTI, 2020, p. 883\884)، نص عليه القانون العضوي رقم 705/2003، حيث يمكن للمجلس الشعبي البلدي إجراء استفتاء على مستوى البلديات للبت في قضايا معينة بكل ديمقراطية، ولا يشارك في هذا الاستفتاء إلا المواطنون الذين يتمتعون بحق التصويت في الأشكال الأخرى للانتخاب، و يبقى دائما

إصدار القرار في القضايا المستفتى فيها من صلاحية المجلس الشعبي البلدي وحده، وما هذا الاستفتاء إلا على سبيل الاستشارة، إلا أن المجلس دائما ما يحترم نتائج الاستفتاء، ويتم اعتماد نظام الاستفتاء المحلي في ألمانيا، الدنمارك، إيطاليا، لوكسمبورغ (نوح، 2018، الصفحات 15 -16).

لا تعتمد كل الدول محل هذه الدراسة تقنية الاستفتاء المحلي، إلا ما نص عليه المشرع التونسي في قانون الجماعات المحلية، أين وضع الإطار القانوني لتطبيق الاستفتاء المحلي، فنص الفصل 31 من هذا القانون أن لمجلس الجماعة المحلية بناء على مبادرة من رئيس الجماعة المحلية أو من ثلث أعضاء المجلس أن يقرر استفتاء المتساكنين حول إعداد برنامج التنمية والتهيئة الترابية بموافقة أغلبية ثلثي أعضاء المجلس، وبالتالي تكون المبادة للاستفتاء المحلي في هذه الحالة من قبل الجماعة المحلية، ويضيف الفصل 31 في الفقرة الثانية: كما يمكن لعشر الناخبين المحليين بالجماعة المحلية المبادرة باقتراح تنظيم استفتاء. وفي هذه الحالة يمكن إجراء الاستفتاء في صورة موافقة أغلبية ثلثي أعضاء المجلس المحلي في أجل لا يتجاوز شهرين، وبالتالي يمكن أيضا لمتساكني الجماعة المحلية المبادرة لإجراء هذا الاستفتاء الذي يخضع لجملة من الضوابط نص عليها قانون الجماعة المحلية، خاصة ما تعلق بإمكانية الاعتراض عليه، والذي يكون أمام المحكمة الإدارية، وكذلك ما تعلق بتمويل القيام به الذي تتحمله ميزانية الجماعة المحلية المعنية (القانون الأساسي عدد 29 ، 2018).

لا يقتصر دور الاستفتاء المحلي في تونس على تقديم الاستشارة فقط، فهو استفتاء تقريري وليس استشاري، ذلك أن نتائجه ملزمة شرط ألا تقل نسبة المشاركة فيه على ثلث الناخبين المسجلين، وهو يعني كافة مستويات الجماعات المحلية في تونس، البلديات، الجهات، الأقاليم، وبالتالي يمكن للقرارات الهامة أن تصر بموافقة حقيقية من طرف الساكنة، بالرغم من أن هذه الآلية التشاركية تحتاج لتنظيمها تكاليف باهظة، فيمكن أن تتم الاستعانة بالوسائل الإلكترونية لتذليل هذه التكاليف، وهو يقام تحت إشراف الهيئة العليا المستقلة للانتخابات.

نصت المادة 12 من قانون البلدية (القانون رقم 11 -10، 2011)على آلية أخرى لتجسيد الديمقراطية التشاركية على مستوى البلديات في الجزائر، ألا وهي المبادرة المحلية، التي يتوجب على المجلس الشعبي البلدي وضع الإطار الملائم لها، والتي تهدف إلى تحفيز المواطنين وحثهم على المشاركة في تسوية مشاكلهم وتحسين ظروف معيشتهم، في اطار التسيير الجواري، وهي تمثل أسلوبا هاما في ممارسة التدخل المباشر للمواطنين في تسيير الشؤون المحلية، غير أنها مازالت غامضة ومجهولة لكيفية التطبيق، باعتبار أن التنظيم الخاص بكيفية تطبيقها لم يصدر بعد إلى غاية اليوم، وبالتالي يمكن ربطها بالمبادرات الشعبية المرتكزة على طلب الاستفتاء بخصوص مسألة معينة، أو تقديم طلب موقع من طرف نسبة من المواطنين للفت انتباه المجلس لمسألة هامة، أو غير ذلك من الآليات الأخرى التي تعبر عن التدخل المباشر للمواطن في تسيير الشأن المحلي، وبظل في الأخير للمجلس السلطة التقديرية الواسعة في اعتماد وتوفير الظروف المطلوبة لتجسيد هذه المبادرات.

2.3 . - المطلب الثاني: آليات التشاركية المرتبطة بمداولات المجلس

إن إشباع الحاجات العمومية على المستوى المحلي لا يتحقق إلا من خلال دور المجالس المنتخبة في ممارسة اختصاصاتها وفق ما يتاح لها من إمكانات مادية، ووفق ما يطالب به مواطني الوحدات المحلية، واقتناعهم بأولوية تحقيقه، وبقناعتهم بتلك الأولوية، ولا يمكن أن تلمس تلك القناعة إلا بتوفير المعلومة لكافة سكان الوحدات المحلية بصفة مستمرة وشفافة، وبسهولة، حتى يتسنى لهم المشاركة في تسيير الشن المحلي فعليا، سواء من خلال آرائهم المرتكزة على نفاذ المعلومة لهم وسهولة الحصول عليها، ومن خلال مشاركتهم في وضع الميزانية السنوية أو ما يعرف بالميزانية التشاركية.

أ - النفاذ إلى المعلومة

يقتضي مبدأ الشفافية سهولة تدفق المعلومة لتسهيل الاتصال بين الإدارة والمواطن عموما، فهو حق دستوري تكفله القوانين الوطنية والدولية، ويجد مبدأ الإعلام تطبيقه فعليا على المستوى المحلي، إذ لابد أن يكون سكان الوحدات المحلية على علم بكل ما له علاقة بشؤونهم في تلك الوحدات

(حمدي، 2014 -2015، صفحة 134)، وإذ توفر جزء من ذلك، علنية جلسات المجالس المنتخبة كأصل عام فيها، فإن القانون يضمن أيضا للمتساكنين حق الحصول على المعلومة بصفة شخصية أو جماعية، وهو ما يعزز المقاربة التشاركية في قوانين الجماعات المحلية.

في الجزائر، تناولت ثلة من القوانين حق الإعلام والنفاذ للمعلومة تكريسا لمبدأ الشفافية، وإذ نحن بصدد دراسة الديمقراطية التشاركية على المستوى المحلي، فقد تضمن المرسوم رقم 88 -131 المنظم للعلاقة بين الإدارة والمواطن (المرسوم رقم 88 -131 ، 1988) هذا الحق، وتضمنت المادة 11 من القانون المتعلق بالبلدية في فقرتها الأخيرة إمكانية أن يقدم المجلس الشعبي البلدي عرضا عن نشاطه السنوي، كما نصت المادة 14 من ذات القانون على أنه يمكن لكل شخص الاطلاع على مستخرجات مداولات المجلس الشعبي البلدي، وعلى القرارات البلدية، ويمكن كل شخص ذي مصلحة الحصول على نسخة منها كاملة أو جزئية على نفقته، مع مراعاة أحكام المادة 56، المتعلقة بنفاذ المداولات، وأردفت المادة أن كيفيات تطبيق هذه المادة يتم وفق التنظيم. (المرسوم التنفيذي رقم 16 -190).

أما في تونس فقد نص القانون (القانون عدد 22 ، 2016) في فصله الأول على ضمان حق كل شخص طبيعي أو معنوي في النفاذ إلى المعلومة، وكذلك تعزيز مبدأي الشفافية والمساءلة في تسيير المرفق العمومي، وتعزيز مشاركة الجمهور في وضع السياسات العمومية ومراقبتها، وتضمن قانون الجماعات المحلية إقرارا صريحا بأن تضمن الجماعة المحلية النفاذ إلى المعلومة وتلتزم بنشر كل الوثائق المتعلقة بتسيير المرافق العامة، وتنشر الجماعة المحلية وفق الفصل 76 (القانون الأساسي عدد 29 ، 2018) تقاريرا دورية عن سير المرافق العمومية على الموقع الإلكتروني، فيبقى بالتالي متساكنو الجماعة على علم بكل ما يتعلق بالتنمية المحلية.

ونص قانون الجماعات المحلية التونسي أيضا في الفصل 34 على التزام الجماعة المحلية بضمان شافية التصرف والتسيير، إذ يسمح بالاطلاع على كل المعلومات المتعلقة بنشاط مجلس الجماعة المحلية، وكذلك يمكن للمجالس البلدية والجهوية أن تقرر بأغلبية أعضائها تنظيم لقاءات علنية مع

المتساكنين ليتم خلالها تقديم إيضاحات من المجلس ومقترحات من المتساكنين في مجموعة من المواضيع المتعلقة بالتهيئة المحلية، ولا يكتفي المشرع بتنظيم هذه اللقاءات بمبادرة من المجلس المنتخب، بل يمكن أيضا عقدها بمبادرة من 05٪ على الأقل من ناخبي البلدية أو الجهة المسجلين في السجل الانتخابي، وفي كافة الأحوال يتم إدراج القرارات والإعلانات والبلاغات والآراء الصادرة عن الجماعات المحلية في بوابة الجماعات المحلية لضمان إعلام الجمهور بها في كل حين.

أما في المغرب، فيتيح الدستور في فصله 27 للمواطن حق الحصول على المعلومات الموجودة بحوزة الإدارات العمومية والمؤسسات المنتخبة، وقد ضمن منشور رقم 2 حول تعيين الشخص أو الأشخاص المكلفين بالحصول على المعلومات على مستوى المؤسسات والهيئات المعنية بتنفيذ القانون المتعلق (القانون رقم 31.13) إقرار الجماعات الترابية بمختلف مكوناتها من جهات وعمالات وأقاليم وجماعات، والتي تضمنت قوانينها التنظيمية أيضا وجوب تعليق المقررات بمقر الجماعة الترابية، وضمان حق المواطنين والمواطنات والجمعيات ومختلف الفاعلين أن يطلبوا الاطلاع على المقررات.

تؤمن أيضا اللقاءات التشاورية المرتبطة باليات الديمقراطية التشاركية التي تم الإشارة لها سابقا وفق مسمى الاجتماعات العمومية، إعلام المواطنين بكل البرامج والخطط التي المرتبطة بالتنمية المحلية تحت رقابة وعلم سكان هذه الجماعات.

ب - الميزانية التشاركية

برزت الميزانية التشاركية كآلية لتجسيد الديمقراطية التشاركية في البرازيل، حيث ابتدعها حزب العمال البرازيلي، وتبنتها لأول مرة سنة 1988 إحدى المدن الجنوبية تسمى بورتو أليجري (حمدي، 2014 -2015، صفحة 185)، والتي يفوق عدد سكانها 1.3 مليون نسمة، ثم عممت على أكثر من 300 مجلس بلدي في البرازيل، وعدد من البلدان الأخرى في العالم، و يستلزم هذا النظام إشراك المواطنين المحليين العاديين في التخطيط لميزانية التجهيز أو الاستثمار البلدية السنوية، حيث يتم التشاور والحوار وطرح الأفكار مع مواطني المدينة بكافة أطيافهم، خاصة الطبقة الفقيرة، ويكون ذلك عبر عدد

من المنتديات الشعبية التي تخص المناطق المعنية (خالد، 2011، صفحة 53) (في مدينة بورتو أليجري كان هناك 16 منطقة معنية بالحوار)، ويتم التطرق فيها للمواضيع ذات الأهمية في الميزانية السنوية، وحسب برنامج الأمم المتحدة الإنمائي فقد انتجت هذه الآلية نوعا من المسؤولية لدى المواطنين، باعتبار اطلاعهم على الشأن المالي المحلي بصفة حقيقية، كما أفرزت نتائج هامة على مستوى تدريب الأفراد على التحلي بثقافة الحوار والديمقراطية لصناعة القرار المحلي.

لم يتطرق قانوني الجماعات الإقليمية في الجزائر إلى الميزانية التشاركية صراحة، لكن باستقراء تعليمة وزير الداخلية رقم 21 المؤرخة في 10 أكتوبر 2019 التي تحدد كيفيات تحضير وتمويل الميزانيات الأولية للبلديات والولايات للسنة المالية 2020، فقد تضمنت نقطة هامة تتعلق بإعداد البرامج وفق المقاربة التشاركية مع المواطنين، وذلك عندما يتعلق الأمر ببرامج التجهيز لأجل اختيار البرامج التنموية المحلية، وبالتالي تسجيل دعوة الوحدات المحلية لتسجيل برامج بقسم التجهيز والاستثمار تحت تسمية التنمية المحلية في اطار الديمقراطية التشاركية.

أما في تونس، فجاء النص في الفصل 130 من قانون الجماعات المحلية (القانون الأساسي عدد 29 ، 2018) صراحة على التزام الجماعات المحلية باعتماد الشفافية والتشاركية في إعداد ميزانيتها السنوية، كما جاء أيضا في الفصل 29 النص على اعتماد التشاركية في إعداد المشاريع التنموية والتهيئة الترابية ، خاصة ما تعلق ببرنامج البلديات في مجال الاستثمار والتجهيز، ويشير الواقع التطبيقي للعديد من البلديات في تونس لتنظيم جلسات تحت عنوان الميزانية التشاركية (دليل الحكامة التشاركية المحلية: القرار المشترك نموذج آلية الميزانية التشاركية ، 2017، صفحة 25)، كما يمكن وفق الفصل 165 من القانون الجماعات المحلية للمتساكنين ولفعاليات المجتمع المدني وكل من له مصلحة تقدم طلب استيضاح حول موارد ونفقات معينة وذلك تحت طائلة أن تأذن المحكمة الإدارية المختصة ترابيا بالحصول على الوثائق المطلوبة في حالة عدم تلقي الجواب على هذا الطلب في اجل شهر واحد من تقديمه.

وفي المغرب لم تنص أيضا قوانين الجماعات الترابية صراحة على اعتماد الميزانية التشاركية، إنما جاءت الإشارة إليها من خلال القسم الخاص بقواعد الحكامة المتعلقة بحسن تطبيق مبدأ التدبير الحر، حيث يتوجب إعداد البرامج التنموية المحلية وفق منهج تشاركي، يعتمد على آليات الحوار والتشاور في إعداده وتتبعه وتقييمه وتحيينه، ويتم تفعيل الميزانية التشاركية في عدد من الجماعات التي تتبع مجموعة من المراحل في إعدادها، فيتدخل المواطنون والجمعيات من خلال انتخاب مندوبي الأحياء أو ما يعرف بمنتديات المواطنين، التي يتم من خلال مشاركة السكان في تحديد الأولوية بخصوص برامج التجهيز المحلية (دليل الحكامة التشاركية المحلية: القرار المشترك نموذج آلية الميزانية التشاركية ، 2017، صفحة 27).

4. - خاتمة:

يتباين تناول قوانين الجماعات المحلية في الجزائر وتونس والمغرب للآليات القانونية المقررة لتطبيق الديمقراطية التشاركية المحلية سواء الآليات التمهيدية كالمبادرة لعقد دورات المجالس الشعبية المحلية و كفالة حق الاعلام او الآليات الداعمة كالمشاركة الشعبية عن طريق الاستشارة او الاستفتاء المحلي و الميزانية التشاركية. و المشرع التونسي برز في تكريس هذه الآليات مقارنة بنظرائه في الجزائر و المغرب، و هو ما يعزز من فرص نجاحه في دفع الحوكمة المحلية .

خلصت هذه الدراسة لتسجيل النتائج التالية:

- تتبنى كافة دساتير الدول محل الدراسة الديمقراطية التشاركية كمبدأ أساسي يرافق اللامركزية الإقليمية المرتكزة على المجالس الشعبية لمنتخبة،
- يتباين إقرار المؤسس الدستوري في كل دولة الآليات المجسدة للديمقراطية التشاركية، فاذ يشير لها الدستور الجزائري بصفة مقتضبة، يتناولها الدستور التونسي بكثير من التفصيل، ويتبناها الدستور المغربي ضمن أحكام الفصل 139 منه.
- المشرع التونسي جمع تنظيم كل مستويات الجماعات المحلية في قانون واحد، وهو يشكل التنظيم المثالي لمجموع الوسائل والآليات

التي تضمن مشاركة فعلية ومتواصلة لمتساكني الوحدات المحلية في اتخاذ القرارات التي تخصهم، بداية من الجلسات التمهيدية، وإمكانية دعوة المجلس المنتخب للانعقاد، والحضور الفعلي لجلساته، وضمان النفاذ إلى المعلومة بخصوص أعمال المجالس، مرورا بالاستفتاء المحلي، وصولا إلى الميزانية التشاركية.

- بالرغم من أن المشرع الجزائري تطرق ضمن قانون البلدية دون قانون الولاية، لبعض آليات الديمقراطية التشاركية، إلا أنه ترك الكثير من الغموض حول كيفيات تطبيقها، خاصة في ظل تأخر إصدار التنظيم الخاص بها،
- تبنى المشرع المغربي ضمن قوانين الجماعات الترابية آليات متماثلة للديمقراطية التشاركية، من خلال نظام العرائض، وآليات التشاركية والتشاور التي تظل أيضا إجراءات تطبيقها غامضة وغير كافية.

من خلال جملة النتائج المتوصل إليها يمكن طرح مجموعة من الاقتراحات:

- وجوب وضع إطار دستوري واضح ومستقل للإدارة المحلية في الجزائر، يتضمن مستويات الجماعات الإقليمية وآليات تسييرها وتمويلها وتطبيق الديمقراطية التشاركية فيها.
- وجوب وضع إطار قانون موحد لكافة مستويات الجماعات الإقليمية في الجزائر والمغرب، كالذي يتبناه المشرع التونسي.
- وجوب وضع آليات واضحة للديمقراطية التشاركية في الجزائر والمغرب، ووضع الضمانات الكافية لممارستها من طرف المواطنين، وعدم الاكتفاء بالإشارة إليها دون وضع الإطار التنظيمي الذي يضمن تفعيلها، ودون تقييد ممارستها من خلال ربطها بالرقابة الوصائية أو السلطة التقديرية للمجلس المنتخب.

المراجع

نصوص قانونية

الجمهورية الجزائرية:

القانون رقم 11 -10. (22 جويلية 2011). يتعلق بالبلدية المادة 17. الجزائر: ج ر ج ج عدد 37 مؤرخة في 03 -07 -2011.

القانون رقم 12 -07 . (21 فبراير 2012). يتعلق بالولاية. الجزائر: ج ر ج ج عدد 12 مؤرخة في 29 -02 -2012.

القانون 16 - 01 . (06 مارس 2016). يتضمن نشر التعديل الدستوري. ج ر ج ج عدد 14 مؤرخة في 07 مارس 2016.

القانون رقم 19 -12. (2019). يعدل ويتمم القانون رقم 84 -09 المتعلق بالتقسيم الإقليمي للبلاد. الجزائر: ج ر ج ج عدد 78 مؤرخة في 18 -12 -2019.

المرسوم رقم 88 -131 . (4 جويلية 1988). ينظم العلاقة بين الإدارة والمواطن. ج ر ج ج عدد27 مؤرخة في 06 -07 -1988

المرسوم التنفيذي رقم 16 -190 . (2016). المحدد لكيفيات الاطلاع على مستخرجات مداولات المجالس الشعبية البلدية والقرارات البلدية. ج ر ج ج عدد 41 مؤرخة في 12 - 07 -2016

الجمهورية التونسية:

القانون عدد 33 . (1975). والمنقح بالقانون الأساسي عدد 48 لسنة 2006،. تونس، تونس: ر ر ج ت عدد 59 مؤرخ في 25 -07 -2006.

القانون عدد 22 . (2016). المتعلق بالحق في النفاذ إلى المعلومة. تونس، تونس: ر ر ج ت عدد 26 مؤرخ في 29 -03 -2016.

القانون الأساسي عدد 29 . (2018). يتعلق مجلة الجماعات المحلية. تونس: ر ر ج ت عدد 39، مؤرخ في 15 -05 -2018.

أمر حكومي عدد 401 . (2019). يتعلق بضبط شروط وإجراءات إعمال آليات الديمقراطية التشاركية المنصوص عليها بالفصل 30 من مجلة الجماعات المحلية، . تونس، تونس: ر ر ج ت عدد 39 مؤرخ في 14 -5 -2013.

المملكة المغربية:

دستور المملكة المغربية . (2011). الرباط، المملكة المغربية.

القانون التنظيمي رقم 111.14 . (2015). المتعلق بالجهات. الرباط، المملكة المغربية: ج ر م م عدد 6380 مؤرخة في 23 -07 -2015.

القانون التنظيمي رقم 112.14 . (2015). المتعلق بالعمالات والأقاليم. الرباط: ج ر م م عدد 6380 مؤرخة في 23 -07 -2015.

القانون رقم 31.13 . (2018. المتعلق بالحصول على المعلومات. الرباط، المملكة المغربية: ج ر م م عدد 6655 مؤرخة في 12 -03 -2018.

قانون التنظيمي رقم 113.14. (بلا تاريخ). المتعلق بالجماعات. الرباط، المملكة المغربية: ج ر م م عدد 6380 مؤرخة في 23 -07 -2015.

ظهير شريف رقم 1.15.85 . (7 يوليو 2015). بتنفيذ القانون التنظيمي رقم 113.14 المتعلق بالجماعات. الرباط، المملكة المغربية: ج ر م م عدد 6380 بتاريخ 23 يوليو 2015.

مؤلفات:

دليل الحكامة التشاركية المحلية: القرار المشترك نموذج آلية الميزانية التشاركية . (2017). الرباط، المغرب: المديرية العامة للجماعات المحلية.

محمد العجاتي، حبيبة محسن، على حسن، خلود خالد. (2011). المشاركة المجتمعية عبر المجالس المحلية في مصر . الجيزة، مصر: منتدى البدائل العربي و مؤسسة الحكومة المحلية بالدنمارك بدعم من المعهد الدانماركي المصري للحوار.

محمد العجاتي، كلوفيس هنري كدي سوزا، نوران أحمد. (2011). من الديمقراطية التمثيلية إلى الديمقراطية التشاركية (نماذج وتوصيات). منتدى البدائل العربية للدراسات. القاهرة.

مقالات:

احمد اجعون. (2014). ، الجهوية المتقدمة في الدستور المغربي لسنة 2011 . المجلة المغربية للإدارة المحلية والتنمية.

أسماء بن عبدالله. (2016). الاستفتاء المحلي في ظل دستور 27 جانفي 2014. المجلة التونسية للدراسات القانونية والسياسية، العدد 04.

عبد الحفيظ ماموح. (2017). الآليات التشاركية للحوار والتعاون بين الجماعات الترابية والمجتمع المدني (المجلد العدد 07). الرباط: سلسلة الدراسات الدستورية والسياسية.

عبد الله نوح. (2018). مبدأ الديمقراطية التشاركية في نظام البلدية الجزائري . مجلة بحوث، الجزء الاول.

فريدة دبوشة. (جوان 2018). إشراك المواطن في صنع القرار المحلي: من الديمقراطية التمثيلية إلى الديمقراطية التشاركية. المجلة الجزائرية للعلوم القانونية والاقتصادية والسياسية، العدد 02.

محمد الامين كمال. (ديسمبر, 2017). ، مشاركة الجمهور بتسيير الكوارث والمخاطر الكبرى في إطار التنمية المستدامة . مجلة العلوم الإنسانية، العدد 3.

مولود يعقوبي. (جوان, 2016). الديمقراطية التشاركية في المجالس المنتخبة المحلية في الجزائر . مجلة القانون.

ياسين بويكرل. (2019). معيقات الديمقراطية التشاركية بالمغرب على ضوء دستور 2011 . مجلة العلوم السياسية والقانون، 03.

الرسائل الجامعية:

دليلة بوراي. (2020). المشاركة: صورة لتجديد العلاقة بين المواطن والإدارة، أطروحة دكتوراه غير منشورة. بجاية، الجزائر: جامعة عبد الرحمان ميرة.

نجلاء بوشامي. (2007/2006). المجلس الشعبي البلدي في ظل قانون البلدية 08/90: أداة للديمقراطية: المبدأ والتطبيق، مذكرة ماجيستير في القانون العام غير منشورة . قسنطينة، الجزائر: كلية الحقوق جامعة منتوري .

مريم حمدي. (2014 -2015). دور الجماعات المحلية في تكريس الديمقراطية التشاركية في التشريع الجزائري، مذكرة ماجيستير في الحقوق غير منشورة . المسيلة، الجزائر: جامعة محمد بوضياف.

مواقع الانترنت:

أيمن عبد الرحمن. (31 يناير, 2018). : جلسة تمهيدية بلدية تونس. ، S3EP14. (موقع بر الأمان، المحرر) تونس، تونس. تاريخ الاسترداد 14 افريل, 2020، من https://news.barralaman.tn/podcast/s3ep14

الياس اوبنهار، محمد لزعر، رضوان لعزيزي. (2017 -2018). الديمقراطية التشاركية للشأن الجهوي العام. مكناس، الراشيدية، المملكة المغربية: كلية العلوم القانونية و الاقتصادية و الاجتماعية جامعة مولاي سماعيل. تاريخ الاسترداد 11 افريل, 2020، من https://hazbane.asso-web.com/uploaded/.pdf

الباب السابع من النظام الداخلي النموذجي للمجلس الجماعي للجماعة الترابية. (2018). تم الاسترداد من https://fctmaroc.blogspot.com/2018/02/blog-post_25.htm

الباب السابع من النظام الداخلي النموذجي للمجلس الجماعي للجماعة الترابية. (2018). تم الاسترداد من https://fctmaroc.blogspot.com/2018/02/blog-post_25.htm

مراجع اجنبية:

n°70, a. d. (2011, mai 24). Modalité de participation des citoyens aux décisions locales, Département Administration ET Gestion Communales. Paris, France: association des maires de France.

PAOLETTI, M. (2020, Mai 5). LE RÉFÉRENDUM LOCAL EN FRANCE: Variations pratiques autour du droit. *Revue Française De Science Politique, 6*, pp. 883-913. Récupéré sur www.jstor.org/stable/43121777

مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ر ت م د: 7163 -1112 ر ت م د إ:1892-2588
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2

حماية الأطفال من الجرائم الالكترونية على ضوء أحكام الاتفاقيات الدولية والتدابير الإقليمية

Protecting children from cybercrime in the light of the provisions of international agreements and regional measures

أمحمدي بوزينة أمنة
بكلية الحقوق والعلوم السياسية بجامعة
حسيبة بن بوعلي -الشلف
ramna_bouzina@yahoo.fl

تاريخ الاستلام: 2020/07/24 تاريخ القبول: 2020/11/01

ملخص -

تنبع أهمية هذا الموضوع في كونه يتناول التأثير السلبي للثورة المعلوماتية وما نتج عنها من جرائم إلكترونية واقعة على أهم شريحة من شرائح المجتمع وأكثرها ضعفا وهم الأطفال، لذا نرى أن الوقوف على آليات حماية الطفل من الجرائم الالكترونية على ضوء أحكام الاتفاقيات الدولية والتدابير الإقليمية وإيضاح مخاطر الجرائم الالكترونية ضد الطفل هي ضرورة قانونية وواجب أخلاقي، يستلزم منا البحث في النصوص التي تصدت لها، خاصة بعد أن أبرزت جهود المجتمع الدولي ضرورة مكافحة هذه الجرائم،

الكلمات المفتاحية:

الطفل، الجرائم الالكترونية، اتفاقيات حماية الطفل، الجرائم الجنسية واستغلال الأطفال، الهيئات المختصة بحماية الطفولة.

المؤلف المرسل: أمحمدي بوزينة أمنة: a.mhamedibouzina@univ-chlef.dz

Summary:

The importance of this topic stems from the fact that it deals with the negative impact of the information revolution and the resulting electronic crimes located on the most important segment of society and the most vulnerable, and they are children. The dangers of cybercrime against a child are a legal necessity and a moral imperative, which requires us to research the texts that addressed it, especially after the efforts of the international community, highlighted the need to combat this crime.

Key words:

child, cybercrime, child protection agreements, sexual crimes and child exploitation, child protection agencies.

مقدمة

أنشأت الانترنت عالما افتراضيا موازي للعالم الحقيقي، ورغم الايجابيات التي قدمتها الانترنت للبشرية إلا أنها شكلت فرصة ملائمة لذوي النفوس الضعيفة وللمنظمات الإجرامية لتوظيفها في عمليا المختلفة، ومن هذه العمليات استغلال الأطفال في المواد الإباحية الذي يعد أكبر صور الاستغلال الجنسي للأطفال انتشارا عبر الشبكة، حيث سهلت الانترنت بقدر هائل من عمل الجناة في استغلالهم للأطفال في المواد الإباحية وكانت سببا في ازدياد الاعتداءات عليهم، لذلك تسارعت الجهود الدولية لمكافحة هذه الظاهرة، وتدخلت العديد من التشريعات الحديثة لتجريم مختلف الصور التقليدية والمستحدثة لاستغلال الأطفال في المواد الإباحية، وسنناقش في هذه الدراسة نطاق الحماية التي يوفرها التشريع الجزائري للأطفال في مواجهة استغلالهم في المواد الإباحية عبر الانترنت.

وإيمانا من المجتمع الدولي بأصالة حقوق الطفل ورسوخها في الرصيد الاجتماعي والأخلاقي للمجتمع الجزائري، بادرت الهيئات المكرسة من قبله وعلى رأسها هيئة الأمم المتحدة ولجانها إلى وضع اتفاقية حقوق الطفل لعام 1989، والبرتوكولين الملحقين بها، بالإضافة إلى اتفاقيات وقواعد دولية وإقليمية خاصة بحماية خاصة بحماية الأطفال من الاستغلال الجنسي على غرار

البروتوكول الاختياري لاتفاقية حقوق الطفل بشأن بيع الأطفال واستغلال الأطفال في البغاء وفي المواد الاباحية لعام 2000[1]،

كما تم تكريس آليات خاصة بحماية الطفولة تتمثل في لجنة حماية الطفولة ومنظمة اليونسيف، إلا أن الطفولة لا زالت تتعرض لأبشع الممارسات الإجرامية، والتي تطورت مع التطورات التي عرفتها التكنولوجيات الحديثة بما فيها الانترنت التي أفرزت نوع جديد من التهديدات والجرائم، فقد انتشرت في الآونة الأخيرة ظاهرة الجرائم الإلكترونية ضد الأطفال، بسبب انتشار أجهزة الحاسب الآلي وأجهزة الهواتف الذكية المتصلة على شبكة الإنترنت، وهي بلا شك سلوكيات لا أخلاقية وغير مصرح به وينكرها القانون ويعاقب عليها ويدينها الشرع وينبذها المجتمع ككل، فتأثير الجريمة ينعكس على سلوك الطفل ويمتد معه في مختلف مراحله العمرية التالية، ويؤثر على قراراته وأفعاله وردود أفعاله وعلى سلوكاته وتكوينه السوي، إلا أننا نرى أن تلك النصوص لم تكن كفيلة بالتصدي لظاهرة الاعتداء على الأطفال عبر الانترنت؛ ذلك أن النصوص القانونية التقليدية غير كافية لمواجهة جرائم التقنية العالية ضد الطفل والتي يسهل من خلالها الاعتداء عليه ومن أي مكان في العالم.

وتظهر أهمية هذا الموضوع في استيعاب حداثة الجريمة والتعريف بظاهرة جديدة يزداد انتشارها يوما بعد يوم، وازدياد الاعتماد عليها في شتى المجالات، وهي مواكبة لنمط حياة جديدة مقترنة بالتكنولوجيا ودراسة أهم صورها الماسة بالطفل والشائعة في الوقت الراهن وتسليط الضوء على مختلف المواد القانونية والمجهودات المبذولة من قبل الدول والتي تقر بحماية للطفل من هذا النوع من الجرائم، فموضوع الجرائم الإلكترونية الماسة بالأطفال موضوع بكر، فهو يضعنا أمام التشريعات والتجارب المختلفة لعديد من الدول كانت سباقة في هذا المجال.

كما تنبع أهمية هذا الموضوع في كونه يتناول التأثير السلبي للثورة المعلوماتية وما نتج عنها من جرائم إلكترونية واقعة على أهم شريحة من شرائح

[1] صادقت الجزائر على البروتوكول الاختياري الملحق باتفاقية حقوق الطفل المتعلق بشأن بيع الأطفال واستغلالهم في البغاء وفي المواد الإباحية لسنة 2002 بموجب الرسوم الرئاسي 299/06 بتاريخ 2 سبتمبر 2006، الجريدة الرسمية، العدد 55 الصادرة بتاريخ 6 سبتمبر 2006.

المجتمع وأكثرها ضعفا وهم الأطفال، وفي إلقاء الضوء على جهود المشرع الدولي والهيئات الإقليمية في مكافحة هذه الجرائم، لذا نرى أن الوقوف على آليات حماية الطفل من الجرائم الالكترونية على ضوء أحكام القانون الدولي وإيضاح مخاطر الجرائم الالكترونية ضد الطفل هي ضرورة قانونية وواجب أخلاقي، يستلزم منا البحث في القوانين والتشريعات التي تصدت لها.

تكمن مشكلة البحث في السعي للوصول إلى صيغة تشريعية نموذجية من خلالها يتمّ التصدي لهذه الجريمة خاصة وأنّ المجني عليه في هذه الجريمة له خصوصية ومن الفئات المجتمعية التي هي بحاجة إلى حماية خاصة.

من هذا المنطلق، نتساءل عن مدى فعالية آليات حماية الطفل من مخاطر الجرائم الالكترونية المكرسة على المستويين الدولي والإقليمي خاصة على ضوء صعوبة التحكم في عدم اتصال الطفل بالإنترنت في العصر الحالي؟.

اتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي لتحديد التدابير القانونية التي تحد من مخاطر الجرائم الالكترونية المكرسة على المستويين الدولي والوطني، سواءً في الجانب الموضوعي أو الإجرائي.

للإجابة على الإشكالية السابقة سنتبع التقسيم التالي: نتناول في المبحث الأول دور الاتفاقيات والمؤتمرات الدولية في حماية الأطفال من مخاطر الجرائم الالكترونية، ثم نشير من خلال المبحث الثاني للجهود المبذولة إقليميا لحماية الأطفال من مخاطر الجرائم الالكترونية، على أن نخلص في الأخير إلى كيفية وضع تشريع نموذجي لتفعيل حماية الطفل من مخاطر الإنترنت.

المبحث الأول: دور الاتفاقيات والمؤتمرات الدولية في حماية الأطفال من مخاطر الجرائم الالكترونية

من المستقر عليه أن الجرائم الالكترونية ضد الأطفال عابرة للحدود بالنظر إلى الطبيعة التقنية للإنترنت؛ مما يستدعي ضرورة تعاون الدول لمواجهة الأخطار الإجرامية الناتجة عن استخدام هذه التقنية؛ وبالرجوع إلى الاتفاقيات والمعاهدات الدولية المتعلقة بمكافحة الجرائم الالكترونية ضد الأطفال والوقاية منها، نجد أنها تعرضت لإجراءات مواجهة الجرائم الالكترونية ضد الأطفال، وقد بذلت المنظمات الدولية جهودا لمكافحة الجرائم المعلوماتية واستخدام القاصرين في

تنفيذها؛ وذلك بإقرار العديد من الاتفاقيات والمعاهدات الخاصة بمكافحة الجريمة المعلوماتية، ومنع حدوثها، يمكن تفصيلها فيما يلي:

المطلب الأول: إسهامات الاتفاقيات الدولية في حماية الأطفال من الجرائم الالكترونية

صدرت عن الأمم المتحدة مجموعة من الوثائق تعتبر أن استغلال القاصر صورة من صور الرق الحديث، وناشدت كافة الدول الأعضاء على العمل من أجل جميع أشكال الاستغلال للأطفال سواء كان لأغراض تجارية أو على شكل ميول جنسي للأطفال أو نشر مواد إباحية عنهم .لذلك تقررت حقوق الطفولة في المواثيق الدولية بشكل تدريجي شامل للحقوق المادية والمعنوية[1]، وذلك من خلال الأجيال المختلفة للاتفاقيات الدولية، ونعرض فيما يلي أهم هذه الاتفاقيات:

الفرع الأول: الاتفاقية الخاصة بحق الطفل لعام 1989

تتمحور الاتفاقية الخاصة بحقوق الأطفال لعام 1989[2] حول حقوق الطفل واحتياجاته بما يتوافق مع مصالحه المثلى حيث تعترف أن لكل طفل حقوق أساسية[3]، تتضمن الحق في تلقي الرعاية من أولديه وتلزم الاتفاقية الدول بأن تسمح للوالدين بممارسة مسؤوليتهما الأبوية، وحمايته من التنكيل والاستغلال، وحماية خصوصياته وعدم التعرض لحياته. وأقرت كذلك بموجب نص المادة 21 حق الطفل في الحصول على المعلومات وحمايتهم من المعلومات والمواد الضارة برفاهيتهم، كما أقرت المادة 10 التأكد على تجريم الاستغلال الجنسي للأطفال

---

(1) تزاموشت فضيلة، الجرائم الإلكترونية الماسة بالأطفال، مذكرة لنيل شهادة الماستر في الحقوق تخصص القانون الخاص والعلوم الجنائية كلية الحقوق والعلوم السياسية جامعة عبد الرحمان ميرة بجاية، السنة الجامعية 2013 -2014، ص 64.

(2) صادقت الجزائر على اتفاقية حقوق الطفل 1989 بموجب المرسوم الرئاسي رقم 461/92 مؤرخ في 19 ديسمبر 1992، الجريدة الرسمية، العدد 91 لسنة 1992.

(3) نصر الدين منصر، سيف الدين عبان، "الحماية القانونية للطفل من الاستغلال الجنسي عبر الانترنت (دراسة وصفية مقارنة بين التشريعات الدولية والتشريع الجزائري) "، مجلة الرسالة للدراسات والبحوث الإنسانية، المجلد: 2، العدد: 8، سبتمبر 2018، ص 157 - 158.

بكل أنواعه في فقرة ج منها من بينها: استغلال واستخدام الأطفال في عروض ومواد إباحية لأغراض تجارية[1].

تصدت الاتفاقيات العالمية لحقوق الطفل التي صادقت عليها الجزائر إلى مثل هذه الجرائم التي تمس بالطفل عبر الانترنت، حيث نصت هذه الاتفاقية في المادة 54منه على أنه: "تتعهد الدول الأطراف بحماية الطفل من جميع أشكال الاستغلال الجنسي والانتهاك الجنسي، ولهذه الأغراض تتخذ الدول الأطراف، بوجه خاص، جميع التدابير الملائمة الوطنية والثنائية والمتعددة الأطراف لمنع، ما يلي:

-حمل أو إكراه الطفل على تعاطي أي نشاط جنسي غير مشروع.

-الاستخدام الاستغلالي للأطفال في الدعارة أو غيرها من الممارسات الجنسية غير المشروعة.

-الاستخدام الاستغلالي للأطفال في العروض والمواد الداعرة.

كما نصت المادة 19 منها على أنه تتخذ الدول الأطراف جميع التدابير التشريعية والإدارية والاجتماعية والتعليمية الملائمة لحماية الطفل من كافة أشكال العنف أو الضرر أو الإساءة البدنية أو العقلية والإهمال أو المعاملة المنطوية على إهمال، وإساءة المعاملة أو الاستغلال، بما في ذلك الإساءة الجنسية[2].

الفرع الثاني: البروتوكول الاختياري بشأن بيع الأطفال واستغلالهم في الدعارة والمواد الإباحية لعام 2000

إن البروتوكول الاختياري بشأن بيع الأطفال واستغلالهم في الدعارة والمواد الإباحية لعام2002 [3]يشمل ديباجة وأربعة عشر بندا جاءت مكملة لاتفاقية حقوق الطفل ومؤكدة على الحقوق التي نصت عليها ولاسيما تلك التي تتعلق بحماية الطفل من الاستغلال في البغاء والمواد الإباحية والاتجار أو بيعه.

---

[1] اعتمد وعرض للتوقيع والتصديق والانضمام بموجب قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة 263 في الدورة الرابعة والخمسين والمؤرخ في 25 أيار/مايو 2000، لكن دخل حيز النفاذ في 18 يناير 2002.

[2] تزاموشت فضيلة، المرجع السابق، ص 65.

[3] وفاء مرزوق، حماية حقوق الطفل في ظل الاتفاقيات الدولية، منشورات الحلبي الحقوقية، لبنان، 2010، ص 63.

وقد أبدت الدول الأطراف قلقها العميق إزاء الممارسة المنتشرة والمتواصلة المتمثلة في السياحة الجنسية التي يتعرض لها الأطفال بشكل خاص، نظرا لأنها ممارسة تشجع بصورة مباشرة على بيع الأطفال واستغلالهم في البغاء وفي المواد الإباحية خاصة وأن مجموعات شديدة الضعف، بما فيها البنات تواجه خطرا كبيرا قوامه الاستغلال الجنسي باعتبار أن البنات يمثلن فئة مستغلة بشكل لا متناسب على صعيد من يستغل جنسيا.

وقد ركزت الدول الأطراف على ما اعتمد عليه في المؤتمر الدولي لمكافحة استغلال الأطفال في المواد الإباحية على شبكة (فيينا 1999) ولاسيما ما انتهى إليه هذا المؤتمر من دعوة إلى تجريم إنتاج وتوزيع وتصدير وبث واستيراد المواد الإباحية المتعلقة بالأطفال وحيازتها عمدا والترويج لها، كما يظهر التزام شائع بتعزيز وحماية حقوق الطفل، وأحكام برنامج العمل لمنع بيع[1]الأطفال واستغلال الأطفال في البغاء وفي المواد الإباحية والإعلان وبرامج العمل المعتمدين في المؤتمر العالمي لمكافحة الاستغلال الجنسي التجاري للأطفال الذي عقد في ستوكهولم في الفترة من 27 إلى 31 آب/أغسطس 1996 وسائر القرارات والتوصيات ذات العلاقة بهذا الموضوع الصادرة عن الهيئات الدولية المختصة[2].

وصيغ هذا البروتوكول من أجل تحقيق أغراض اتفاقية حقوق الطفل وتنفيذ أحكامها، والتدابير التي ينبغي للدول الأطراف أن تتخذها لكفالة حماية الطفل من بيع الأطفال واستغلال الأطفال في البغاء وفي المواد الإباحية[3].

وأهم ما جاء في هذا البروتوكول ما يلي:

-يحظر على الدول الأطراف بيع الأطفال واستغلال الأطفال في البغاء وفي المواد الإباحية كما هو منصوص عليه في هذا البروتوكول.

-عرفت استغلال الأطفال في البغاء: بأنه استخدام طفل لغرض أنشطة جنسية لقاء مكافأة أو أي شكل آخر من أشكال العوض، أما استغلال الأطفال في المواد الإباحية: هو تصوير أي طفل بأي وسيلة كانت، يمارس ممارسة حقيقية أو

---

[1] تم عرض هذا البروتوكول للتوقيع والتصديق والانضمام إليه وفقا لقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة، رقم 263 لسنة 2000 ودخل حيز التنفيذ سنة 2002.

[2] تزاموشت فضيلة، المرجع السابق، ص 66.

[3] نصر الدين منصر، سيف الدين عبان، المرجع السابق، ص 158.

بالمحاكاة أنشطة جنسية صريحة أو أي تصوير للأعضاء الجنسية للطفل لإشباع الرغبة الجنسية أساسا.

-تكفل كل دولة طرف أن تغطي كحد أدنى، الأفعال والأنشطة التالية تغطية كاملة بموجب قانونها الجنائي أو قانون العقوبات فيها سواء أكانت هذه الجرائم ترتكب محليا أو دوليا أو كانت ترتكب على أساس فردي أو منظم، ورهنا بأحكام القانون الوطني للدولة الطرف، ينطبق الشيء نفسه على أية محاولة ترمي إلى ارتكاب أي من هذه الأفعال أو التواطؤ أو المشاركة في أي منها.

- تتخذ كل دولة طرف التدابير اللازمة التي تجعل هذه الجرائم موجبة للعقوبات المناسبة والتي تضع في الاعتبار خطورة طابعها.

- تعتمد الدول الأطراف أو تعزز وتنفذ وتنشر القوانين والتدابير الإدارية والسياسات والبرامج الاجتماعية التي تمنع الجرائم المشار إليها في هذا البروتوكول، وينبغي إيلاء اهتمام خاص لحماية الأطفال الذين هم عرضة بوجه خاص لهذه الممارسات.

- تقوم الدول الأطراف بتعزيز الوعي لدى الجمهور عامة، بما في ذلك الأطفال، عن طريق الإعلام بجميع الوسائل ثار الضارة الناجمة عن الجرائم المشار المناسبة، وعن طريق التثقيف والتدريب المتصل بالتدابير الوقائية وإليها في هذا البروتوكول.

- تقوم الدول، في وفائها بالتزاماتها، بتشجيع مشاركة المجتمع المحلي، ولاسيما الأطفال، في برامج الإعلام والتثقيف تلك، بما في ذلك المشاركة على الصعيد الدولي.

- تتخذ الدول الأطراف جميع التدابير الممكنة، التي تهدف إلى تأمين تقديم كل المساعدات المناسبة إلى ضحايا هذه الجرائم، بما في ذلك إعادة إدماجهم الكامل في المجتمع وتحقيق شفائهم الكامل بدنيا ونفسيا[1].

[1] مدحت رمضان، جرائم الاعتداء على الأشخاص والإنترنت، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، 2000، ص 130.

الفرع الثالث: المؤتمر الدولي لمكافحة الاستغلال الجنسي للأطفال عام 1993

عقد هذا المؤتمر بفيينا في الفترة من 14 إلى 25 يونيه 1993[3] الذي يقرر، في جملة أمور، ضرورة تعزيز الآليات والبرامج الوطنية والدولية المتعلقة بالدفاع عن الأطفال وحمايتهم، وبخاصة الأطفال الذين يعيشون ظروفا عصيبة، بما في ذلك من خلال اتخاذ التدابير الفعّالة لمكافحة استغلال الأطفال وإساءة معاملتهم، مثل وأد الإناث، وعمل الأطفال الضار بهم، وبيع الأطفال وأعضائهم، واستخدام الأطفال في إنتاج المطبوعات الخليعة وبغاء الأطفال، فضلا عن أشكال أخرى من الاستغلال الجنسي للأطفال، والذي يؤكد من جديد أن جميع حقوق الإنسان والحريات الأساسية ذات طابع عالمي، وخلص إلى مجموعة من التوصيات والتي كانت أهمها:

-تشجيع وضع قواعد للسلوك من قبل مقدمي خدمة الانترنت.

-التشجيع على إنشاء مواقع للمواطنين للإبلاغ عن المواقع الإباحية للأطفال عبر الانترنت.

-ضرورة قيام المشرع الوطني بإصدار تشريعات تتعلق بتجريم التجارة الجنسية على الانترنت لغرض توفير الحماية القانونية للطفل، هذا وإن على الدولة أن تضع قواعد تتناول تعريفا ولو محددا لهذه الجريمة يأخذ بعين الاعتبار الحيازة العمدية لصور الطفل والتصرف فيها.

- الدعوة إلى إنشاء وحدات دولية مخصصة لمكافحة جريمة الاستغلال الجنسي للطفل عبر الانترنت وإعادة برنامج تدريب خاص للتأهيل في هذا المجال[1].

المطلب الثاني: دور المنظمات الدولية غير الحكومية في مكافحة الجرائم الالكترونية ضد الأطفال

يمكن ارتكاب الجرائم الالكترونية على الطفل من أقصى بقاع الأرض بنفس سهولة ارتكابها من أقرب مكان كما أن الجرائم الالكترونية يمكن تمريرها من خلال الكثيرين من مقدمي الخدمات في بلدان مختلفة لها نظم قانونية مختلفة .

---

(1) يوسف حسن يوسف، الجرائم الدولية للأنترنت، المركز القومي للإصدارات القانونية، ط 1، القاهرة، 2011، ص. 145.

وكما هو معروف أن هذه الجريمة تتسم بسرعة ارتكابها وسرعة زوال الدليل الذي يقيمها وأمام بطء الإجراءات الرسمية يجازف بفقدان الأدلة وقد تكون بلدان متعددة متورطة في الأمر أو تكون محلية لكن لها بعد دولي ولهذا بذلت بعض المنظمات الدولية غير الحكومية جهودا معتبرة لقمع هذه الجريمة، سنبرزها تباعا فيما يلي:

الفرع الأول: المنظمة الدولية للشرطة الجنائية الأنتربول

نجد المنظمة الدولية للشرطة الجنائية الأنتربول التي تهدف إلى تأكيد وتشجيع التعاون بين أجهزة الشرطة في الدول الأطراف وعلى نحو فعال في مكافحة الجريمة وكذا مساهمتها في ضبط المجرمين بمساعدة أجهزة الشرطة في الدول الأطراف ومن أمثلة على دور الأنتربول فيما يتعلق بالجرائم المتعلقة بالانترنت مثل ما حصل في لبنان عندما تم توقيف أحد الطلبة الجامعيين من قبل القضاء اللبناني بتهمة إرسال صور إباحية لقاصر دون عشرة أعوام من موقعه عبر شبكة الانترنت وذلك اثر تلقي النيابة اللبنانية برقية من الأنتربول في ألمانيا بهذا الخصوص.

ولقد مرت جهود المنظمة في هذا المجال بمراحل عديدة إلى أن تم إنشاء عدة مراكز اتصالات إقليمية في كل من طوكيو، نيوزيلندا، نيروبي، أدربيجان، ومركز إقليمي في بانكوك.

الفرع الثاني: الاتحاد الدولي للاتصالات

اختار الاتحاد الدولي للاتصالات شعار "حماية الأطفال في الفضاء السيبراني" موضوعا للاحتفال باليوم العالمي للاتصالات ومجتمع المعلومات في سنة1990 وهو يطمح بذلك إلى ضمان نفاذ الأطفال إلى الانترنت ومواردها القيمة بدون خوف من الوقوع في براثن أشخاص منعدمي الضمير في الفضاء الالكتروني، فضلا عن تلاقي تعرضهم إلى محتوى قد يسبب لهم الأذى مثل دخولهم إلى مواقع غير مناسبة.

وتكمن أهميته في البحث عن الإجراءات الكفيلة بحماية الأطفال من أضرار الانترنت، وتعزيز وعي الأهل بهذا الشأن، مع ايلاء اهتمام خاص لكيفية استخدام الأدوات أو البر مجيات المناسبة لتوفير فضاء أنترنت أكثر أمنا للأطفال. ولا شك في أن هذا الأمر يتطلب تعاونا وتكاملا بين جميع مقدمي خدمات الاتصالات،

والجهات المنظمة والمشرعة في لبنان، إضافة إلى منظمات غير حكومية، ويبقى لأهل، الأباء والأمهات، دور محوري على هذا الصعيد .لكن تجدر الإشارة إلى أن هذا النوع من التعاون لا يسعى بأي شكل من الأشكال إلى تقييد المحتوى الذي توفره الانترنت لمستخدميها أو التحكم به، بل أن الهدف المباشر[1] يكمن في توفير الخدمة (Parental Control) التي تمكن الأهل من حماية أطفالهم على هذا الصعيد، ويتضمن كذلك ثلاثة محاور أساسية هي:

-بحث زيادة الوعي على جميع المستويات داخل المجتمع، بدءا من مسؤولية الآباء والأمهات تجاه عدم وصول أطفالهم إلى مواقع غير مناسبة، مع تحديد مسؤوليات أصحاب مقاهي الانترنت في هذا المجال، وضرورة تخصيص مناطق محمية مخصصة لتصفح الأطفال.

-مناقشة مختلف الوسائل التقنية المتاحة، مثل برامج المراقبة الأبوية، سواء تلك المتوفرة عبر مزودي خدمات الانترنت، أو عبر البرامج الخاصة المعروضة في الأسواق (مثل برنامج المراقبة الأبوية من MSN وغيره) .

-التداول على التشريعات والأطر القانونية والتنظيمية المتعلقة بموضوع حماية الأطفال والأحداث والمراهقين من مخاطر الفضاء السيبراني، ومناقشة سبل تطبيقها، وكذلك نجد القرار 179 المندوبين المفوضين لمؤتمر دور الاتحاد الدولي للاتصالات في حماية الأطفال على الخط، بحيث تجاوب مع الاهتمامات المتصلة بأفضل طرق حماية الأطفال والشباب على الخط، يلتمس هذا القرار الجديد إنشاء ولاية لعمل الاتحاد ومبادراته في هذا المجال ويشجع القرار الاتحاد على مواصلة مبادرته الخاصة بحماية الأطفال على الخط كمنطلق لزيادة الوعي والتوعية بمخاطر الفضاء السيبراني، كما يطلب من مجلس الاتحاد استمرار فريق العمل التابع للمجلس والمعني بحماية الأطفال على الخط.

ويشجع الأمين العام للاتحاد على تنسيق مبادرات الاتحاد مع المبادرات الأخرى على المستويات الوطنية والإقليمية والدولية، وكذلك إحاطة الأمين العام للأمم

---

[1] كمال شحادة، حماية الأطفال في الفضاء السبيراني، تم الاطلاع عليه بتاريخ 1 فيفري 2020، على الساعة 99 سا55 د، منشور على الموقع التالي:
www.tra.gov.lb

المتحدة علما بهذا القرار يهدف زيادة التزام منظمة الأمم المتحدة بحماية الأطفال على الخط[1].

المبحث الثاني: الاتفاقيات والمؤتمرات الإقليمية المقررة لحماية الأطفال من مخاطر الجرائم الالكترونية

مع التزايد الكبير لاستغلال الأطفال عبر شبكة الانترنت خاصة من الجانب الجنسي عبر العالم زاد معه الاهتمام بضرورة عقد مؤتمرات واتفاقيات دولية لمكافحة هذه الظاهرة، وضرورة تعاون دول العالم من أجل مكافحة هذا الاستغلال الذي يمس بالطفل ومن ورائه الروابط والقيم الاجتماعية، لذلك بذلت جهود على المستوى الإقليمي سوف نتعرض لأبرزها فيما يلي:

المطلب الأول: جهود الأجهزة والقواعد الأوربية في حماية الأطفال من مخاطر الجرائم الالكترونية

مع أن التجريم هو جزء من التدابير القانونية للحد من مخاطر الجرائم الالكترونية ضد الأطفال إلا أن الحاجة ماسة إلى توسيع دائرة التعاون الدولي لإيجاد التدابير للوقائية من هذه الجرائم التي انتشرت بشكل رهيب في المجتمعات الأوروبية، والتي سنتعرض لها فيما يلي:

الفرع الأول: اتفاقية بودابست لمكافحة الجرائم المعلوماتية لعام 2000

بتاريخ 20 أفريل 2000 تقدمت اللجنة الأوربية لمشكلات الجريمة ولجنة الخبراء في حقل جرائم التقنية، سايبر كريم (Cyber crime)، بمشروع اتفاقية جرائم الكمبيوتر وخضعت مواد الاتفاقية المقترحة للمناقشة وتبادل الآراء خلال الفترة من إصدار مشروعها الأول وحتى إعداد مسودتها النهائية التي أقرت لاحقا في بودابست 2001 وتعرف باتفاقية بودابست 2001 اتفاقية الجرائم الالكترونية – سايبر كريم.

وكان قد طرح مشروع الاتفاقية للعامة ووزع على مختلف الجهات وأطلق ضمن مواقع عديدة أوربية وأمريكية على شبكة الانترنت لجهة التباحث وإبداء الرأي.

---

[1] تزاموشت فضيلة، المرجع السابق، ص 70 –71.

وتعكس الاتفاقية الجهد الواسع والمميز للاتحاد الأوربي ومجلس أوربا ولجان الخبراء فيهما المنصبة على مسائل جرائم الكمبيوتر أو أغراضها منذ أكثر من عشرة أعوام. وتتكون الاتفاقية من مقدمة وأربعة فصول، فبعد أن استعرضت المقدمة أهداف الاتفاقية ومطلقاتها ومرجعياتها السابقة وما تقوم عليه من جهود إرشادية وتوجيهية وتدابير إقليمية ودولية، ويتعين الإشارة إلى أن خلافا لا ينتهي ولا يزال قائما بشأن تقسيم طوائف جرائم الكمبيوتر، وبغض النظر عن إطار التقسيم الأكاديمي، فان الاتفاقية وجدت أنه من المناسب أن تضع هذه النصوص التجريمية ضمن الطوائف المتقدمة. واستنادا إلى المواد من 2 إلى 13، فإن الاتفاقية تلزم الدول الأعضاء فيها (وهي هنا الدول الأوربية وأية دولة توقع عليها أو تنضم إليها من خارج المجموعة الأوربية) باتخاذ التدابير التشريعية والإجراءات الملائمة لتجريم تسع جرائم في ميدان جرائم التقنية منها: الجرائم المرتبطة بدعارة الأطفال، بالرغم من أن هذه الجريمة المصنفة تحت عنوان جرائم المحتوى ليست هي الصورة الجرمية الوحيدة للأفعال الجرمية المتصلة بمحتوى مواقع المعلوماتية.

ومن أهم نود هذه الاتفاقية ومن المادة 9 من الفصل الثالث، الجرائم المتعلقة باستغلال الأطفال في المواد الإباحية، وذلك عن طرق حماية الأطفال من الاستغلال بتحديث أحكام القانون الجنائي، بغية تقييد استخدام أنظمة الكمبيوتر في ارتكاب جرائم جنسية ضد الأطفال بشكل أكثر فعالية[1].

وبالرغم من أن عددا من التشريعات واستراتيجيات التشريع المقررة في عدد من الدول اتجهت إلى تجريم أفعال أخرى من جرائم المحتوى، فان الاتفاقيات اقتصرت جرائم المحتوى على هذه الجريمة فقط، فقضت في المادة التاسعة منها بوجوب اتخاذ الدولة المنظمة للاتفاقية التدابير التشريعية لتجريم قيام أي شخص وبشكل قصدي (عمدي) عرض أو توزيع أو نقل أو غير ذلك من الأفعال التي من شأنها أن توفر أو تتيح توفير المواد الإباحية المتعلقة بالأطفال من خلال

[1] ميرفت محمد حباية، لخضر رابحي، "أثر الجرائم الالكترونية على الأطفال وحمايتهم في ظل الاتفاقيات الدولية والتشريع الوطني الجزائري والفلسطيني"، مجلة صوت القانون، تصدر عن مخبر نظام الحالة المدنية بجامعة الجيلالي بونعامة بخميس مليانة بدولة الجزائر، المجلد السادس، العدد02، نوفمبر 2019، ص 107.

نظام كمبيوتر وتجريم إنتاج مواد دعارة الأطفال بغرض توزيع عبر نظام الكمبيوتر، وذهب فريق الخبراء إلى أن عرض المواد الإباحية يتضمن كذالك إعطاء معل ومات حول وسائل العرض والاتصال هذه المواد[1].

وكذلك ربط المواقع بمداخل إلى مواقع إباحية تعرض هذه المواد، كما ثار جدل حول مفهوم المواد الإباحية المتعلقة بالأطفال وما تشمله وقد اقترح ترك ذلك للنظم الوطنية حسب قواعد النظام والآداب العامة لكن تم الاتفاق أنها تشمل كل مادة جنسية (وقد جرى ضرب أمثلة واسعة منها) تتعلق بالاتصال الجنسي بالأطفال، وفي ضوء الخلاف حول المحتوى ونطاقه جرى الاتفاق على معايير الحد الأدنى التي نص عليها في الفقرتين الثانية والثالثة من ذات المادة، فقضت الفقرة الثانية من المادة 9 أن مواد دعارة الأطفال تشمل أية مواد تظهر بشكل مرئي قيام القاصر بتصرفات جنسية أو ظهور أي شخص باتصال أو تصرف جنسي مع قاصر وكذلك الصور الواقعية التي تمثل أو تظهر قاصرا يتدخل بتصرف جنسي.

أما الفقرة الثالثة فقد قررت أن المقصود بالقاصر يحدد تبعا للقانون الداخلي للدول الأعضاء على أن يتضمن جميع الأحوال (الأشخاص) دون سن الثامنة عشرة، وللدول الأعضاء اعتماد حد أدنى أقل على أن لا يقل عن 18 سنة، وكان قد ثار الجدل حول الحد الأدنى للسن؛ فاقترح أن يكون 14 أو 18 أو16 سنة؛ فتم التوفيق بين الآراء المتعارضة بإتاحة الفرصة لكل دولة لتحديد السن على أن يكون حده الأدنى وفقا لما تقدم (المادة 9) بفقراتها الثلاث[2].

الفرع الثاني: اتفاقية مجلس أوروبا بشأن حماية الأطفال من الاستغلال الجنسي والاعتداء الجنسي عام 2007

أبرمت هذه الاتفاقية نظرا لزيادة معدل الاستغلال الجنسي والاعتداء الجنسي على الأطفال إلى حد مقلق، لاسيما فيما يتعلق بالاستخدام المتزايد لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات من قبل الأطفال ومرتكبي هذه الأفعال.

---

[1] يونس عرب، تطوير التشريعات في مجال مكافحة الجرائم الالكترونية، تم الاطلاع علي في تاريخ 18فيفري 2020، على الساعة 47 سا و40 د، منشور على الموقع التالي:
www.ituarabic.org

[2] تزاموشت فضيلة، المرجع السابق، ص 70 –74.

وتضمنت هذه الاتفاقية مجموعة من المواد متعلقة بحماية الأطفال من الاستغلال عبر الانترنت، حيث أن على كل طرف من الدول الأعضاء اتخاذ التدابير التشريعية اللازمة أو تدابير أخرى لضمان تجريم التصرفات المتعمدة التالية في حال ارتكابها:

-إنتاج مواد إباحية للأطفال.

-عرض أو توفير مواد إباحية للأطفال.

-توزيع أو نشر مواد إباحية للأطفال.

-الحصول على مواد إباحية للأطفال أو تأمينها لشخص آخر.

-حيازة مواد إباحية للأطفال.

-استخدام طفل للمشاركة في عروض إباحية أو حثه على المشاركة في مثل هذه العروض.

-إرغام طفل على المشاركة في عروض إباحية أو الاستفادة منه أو في خلاف ذلك استغلاله لأغراض مماثلة.

-مشاهدة متعمدة لعروض إباحية يشارك فيها الأطفال.

-تجريم فعل حث طفل بشكل متعمد، ولأغراض جنسية، على مشاهدة اعتداء جنسي أو نشاطات جنسية حتى لو لم يشارك فيها.

-تجريم فعل قيام شخص راشد بشكل متعمد، وبواسطة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، بعرض الالتقاء بطفل بغية ارتكاب أي من الجرائم السابقة[1].

المطلب الثاني: جهود الدول العربية في مجال حماية الأطفال من مخاطر الجرائم الالكترونية

صار الطفل وهو أكثر الفئات حساسية عرضة للعديد من المخاطر التي تسببها جريمة استغلال الأطفال عبر الانترنت، ونظرا للتزايد الكبير الذي تشهده هذه الظاهرة وهو ما تؤكده الهيئات المختصة وكذا تغطية وسائل الإعلام، فقد تم عقد العديد من الاتفاقيات الدولية والمؤتمرات الرامية إلى توحيد الجهود العربية في مجال مكافحة الجريمة، وحث الدول العربية على

[1] نصر الدين منصر، سيف الدين عبان، المرجع السابق، ص 159.

وضع قواعد قانونية من شأنها الحد من هذه الظاهرة وحماية الطفل نفسيا وجسديا، وهو ما سنفصله فيما يلي:

الفرع الأول: الاتفاقية العربية لمكافحة الجرائم التقنية المعلومات لعام 2010

صدرت الاتفاقية عام 2010 من جامعة الدول العربية ولم تحظ بتصديق جميع الدول الأعضاء، وقد تناولت الاتفاقية العربية لمكافحة جرائم تقنية المعلومات الجرائم الإلكترونية بشكل عام.

وقد خصصت الاتفاقية العربية لمكافحة الجرائم التقنية المعلومات لعام 2010 المادتين 12 و 13 من الفصل الثاني لمكافحة الجرائم المتعلقة بالإباحية للأطفال القصر وشمل التشديد بالخصوص على حيازة مواد إباحية للأطفال على تقنية المعلومات.

وكما أن أهم بنود هذه الاتفاقية هو تعاون بين الدول العربية في مجال مكافحة الجرائم تقنية المعلومات، وتسهم بشكل فاعل في تعزيز التعاون بين الدول العربية[1].

الفرع الثاني: المؤتمر الإقليمي العربي 2008

ركز المؤتمر الإقليمي العربي 2008 على الجرائم المتعلقة بالمحتوى مثل تسهيل الدعارة عبر الانترنت والسب والقذف عبر الشبكة العنكبوتية كما تعرض للأبعاد الناتجة عن استخدام وسائط الكترونية للإساءة للأطفال مثل استغلالهم جنسيا وقد سلط هذا المؤتمر الضوء على دور المجتمع المدني والقطاع الخاص في مواجهة ظواهر الإساءة إلى الأطفال عبر الوسائط الالكترونية مع عرض نماذج تتعلق بقضايا حقيقية في هذا الموضوع[2].

ويمكن الوقوف على مدى قيام مسؤولية مقدمي خدمات الأنترنت عن نقل المواد الإباحية للأطفال خلال التعرض لقضية (Deo V. American on line) عن الأطفال ومدى قيام مسؤولية مقدمي خدمات الأنترنت. وتتخلص في قيام والدة

---

[1] مريفت محمد حباية، لخضر رابحي، المرجع السابق، ص 107 - 108.

[2] يوسف حسن يوسف، الجرائم الدولية للأنترنت، المركز القومي للإصدارات القانونية، ط 1، القاهرة، 2011، ص 155.

الطفل (Jane Deo) الذي يبلغ من العمر 88 عاما في الادعاء ضد شركة أمريكا أون لاين بأنها أنشأت .

منتدى لمشتهي الأطفال والمولعين بهم جنسيا من المنزل من خلال خدماتها المتاحة عبر شبكة الأنترنت. وقد أدينت الشركة جنائيا وقامت مسؤوليتها عن محتوى المواد المتاحة عبر خدماتها ,لفشلها في فرض نظامها وقواعدها فضلا عن تقاعسها في مراقبة تعاملات مشتركيها تجاه خدماتها، مما دفع الادعاء إلى تأسيس المسؤولية على أساس إهمال الشركة في اتخاذ واجبات الحيطة والحذر لضمان الرقابة المعقولة والفعالة على خدماتها ,بما لا يمكن معه استخدام تلك الخدمات لأغراض بيع وتوزيع المواد الإباحية للأطفال, وعلى الجانب الآخر انتقدت شركة أمريكا أون لاين جميع مطالبات وادعاء (JaneDeo) استنادا إلى الفصل 703 من قانون سرية الاتصالات (27USC230) [1].

وقد قضت المحكمة بأن تأسيس مسؤولية الشركة عن رسائل التخاطب (chat room communication) والصور والمواد الإباحية يجعلها تبدو كناشر مما يتعين معه خضوعها لمبادئ المسؤولية التي تحكم الناشرين التقليديين (الصحف والمجلات) ويقضي ذلك ألا تخضع تلك الكيانات (شركات الهاتف وغيرها من مزودي خدمات الأنترنت) للمسؤولية لتوفي رها خدمات عبر أطراف أخرى ,كما أن قيام تلك المسؤولية يفرض على الشركة– تطبيق للقانون _مستوى من الرقابة والإشراف على كم كبير من المعلومات المنقولة عبر نظامها من قبل أطراف أخرى؛ بما يجعلها تتفق في تلك الأنشطة مع الناشرين التقليديين, وعلاوة على ذلك فان المحكمة قد استندت لما هو مستقر عليه في قضية (zeram) من أن الدعوى المؤسسة على الإهمال في توزيع المواد الإباحية الضارة ,ما هي إلا دعاوي متعلقة بنشر مواد ضارة بأساليب أكثر تطورا، مما يتعين معه خضوعها للنصوص الحاكمة لقواعد النشر التقليدية[2].

---

[1] نصر الدين منصر، سيف الدين عبان، المرجع السابق، ص 158.

[2] أكمل يوسف السعيد يوسف، "المسؤولية الجنائية لمقدمي المواد الإباحية للأطفال عبر الانترنت"، مجلة البحوث القانونية الاقتصادية، دع، جامعة المنصورة، 2011، ص 26 – 27.

إذن كانت حقيقة مفادها أن شركات مقدمي خدمات الأنترنت غير مسؤولة عن إساءة عملائها استعمال خدماتها في توزيع مواد إباحية ومحتويات غير قانونية والقول.

بخلاف ذلك يناقض المبادئ القانونية الراسخة، ويمثل خطرا على مجتمع المعلومات، ومن ثم يؤثر على القدرات الاقتصادية والسلامة العامة للأفراد، إلا أنه جرى في المحاكم الأمريكية على تطبيق القواعد القانونية الخاصة بالتشهير ونصوص النشر التقليدية بصدد تلك الحالات. ولا يمكن نفي المسؤولية كليا عن مزودي خدمات الإنترنت في حال توافرها، بل يقع عليها عبء اتخاذ إجراءات فعالة لحماية الأطفال والجمهور من انتشار الأنشطة الضارة غير المشروعة وتحديد مصدر المواد الإباحية للأطفال والإعلان عنه وتسليمه إلى الهيئات المختصة قانونا[1].

الخاتمة

من خلال ما سبق التعرض له، يتضح جليا أن التعرض لاستغلال الأطفال عبر الانترنت يمثل تهديدا حقيقيا يمس المجتمع ككل، وقد خلصنا إلى أن معظم الدول بما فيها الجزائر عمدت إلى وضع منظومة قانونية في شكل اتفاقيات ومؤتمرات وعقدت ندوات وكرست قوانين داخلية من شأنها ردع كل من تسول له نفسه استغلال الأطفال عبر هذه الشبكة الرقمية، وحاولت وضع نظام قانوني لحماية الطفل ضد الجرائم الالكترونية، لكن لاحظنا ونحن نبحث جهود التشريع الجزائري أنه يشوب المنظومة الجزائرية قصور في مواجهة استغلال الأطفال في صورته المستحدثة عبر الانترنت، وعدم مراعاته للتطور المتسارع للجوانب التقنية للاتصال الإنساني، بالإضافة إلى إغفاله لعدد من الجوانب الإجرائية التي يتوجب إدراجها ضمن نصوص خاصة بحماية الطفل، بهدف التأسيس لحماية ووقاية أنجع ويمكن أن نجمل ما على المشرع الجزائري مراعاته هو ما يلي:

[1] تزاموشت فضيلة، المرجع السابق، ص 50 -51.

1. ضرورة قيام الأهل بتوعية الطفل لناحية عدم مشاركة أي معلومات خاصة بطبيعتها مثل الصور الشخصية، أطلب منه عدم مشاركة معلومات مثل اسمه الكامل، وعنوانه، واسم مدرسته، ورقم هاتفه، وكلمات المرور الخاصة به لأسباب أمنية، بنصحه بعدم نشر مثل تلك المعلومات أو تقديمها كردّ على الأسئلة التي يتلقاها عبر البريد الإلكتروني أو الرسائل الخاصة أو غرفة الدردشة أو المنتديات؛ ساعد طفلك على فهم ما الذي تقصده بجهة الاتّصال غير المناسبة لأنها من الإجراءات الأكثر موثوقية للحفاظ على الأمن الإلكتروني من خلال التحاور معه، والتحدث إليه حول سلامة الإنترنت وتصفّح الإنترنت معه لزيادة التوعية.

2. استخدم برامج فلترة أو مراقبة لتحري صفحات الانترنت التي اطلع عليها الطفل بالحرص على حماية الطفل على الإنترنت حتّى لو لم يكن الأهل موجودين لمراقبته.

3. على الدول بما فيها الجزائر كفالة قيام السلطات الوطنية المختصة، سواء في البلد الأصلي أو بلد المقصد، بمحاكمة كل من يستغل الأطفال لأغراض الإساءة الجنسية في بلد آخر، وعلى تعزيز القوانين وإنفاذها، بما في ذلك مصادرة الأصول والأرباح والاستيلاء عليها وغيرهما من صور توقيع الجزاءات في حق من يرتكبون جرائم جنسية ضد الأطفال في بلدان المقصد، وعلى تقاسم البيانات ذات الصلة؛ والعمل المتضافر بين جميع السلطات والمؤسسات المختصة بإنفاذ القوانين بغية القضاء على شبكات الاتجار بالأطفال على الصعيد الوطني والإقليمي والدولي.

4. على الدول أن تؤيد أعمال الفريق العامل بين الدورات المفتوح باب العضوية التابع للجنة حقوق الإنسان المعني بوضع مشروع بروتوكول اختياري لاتفاقية حقوق الطفل بشأن بيع الأطفال وبغاء الأطفال واستخدام الأطفال في إنتاج المطبوعات الخليعة، وتعرب عن أملها في أن يحرز الفريق العامل مزيدا من التقدم قبل الدورة الرابعة والخمسين للجنة بغية الانتهاء من أعماله قبل الذكرى السنوية العاشرة لإبرام الاتفاقية.

5. على جميع الدول أن تدعم الجهود المبذولة في سياق منظومة الأمم المتحدة بهدف اتخاذ تدابير فعالة على الصعيد الوطني والثنائي والمتعدد

الأطراف لمنع وإنهاء بيع الأطفال واستغلالهم الجنسي، بما في ذلك بغاء الأطفال واستخدام الأطفال في إنتاج المطبوعات الخليعة، وخصوصا بتجريم الاستغلال الجنسي للأطفال.

6. ضرورة اتخاذ كل الدول التدابير الرامية إلى حماية الأطفال من جميع أشكال الاستغلال والاعتداء عبر الانترنت، بما في ذلك التدابير التي تتماشى مع ما هو محدد في إعلان وبرنامج عمل المؤتمر العالمي لمكافحة الاستغلال الجنسي للأطفال لأغراض تجارية، المنعقد في استكهولم، في الفترة من 27 إلى 31 أوت 1996.

7. ضرورة أن تعمل الدول على تجريم جميع أشكال استغلال الأطفال عبر الانترنت، بما في ذلك الاستغلال الجنسي لأغراض تجارية، وأن تدين جميع المشتركين في ارتكابها وتعاقبهم سواء على الصعيدين المحلي أو الخارجي، مع ضمان عدم تعرض ضحايا هذه الممارسات من الأطفال للعقاب.

8. ضرورة التأكيد على بذل الجهود على المستويين الدولي والوطني لمكافحة ووقف الأسواق والعصابات التي تشجع على هذه الممارسات الإجرامية الناجمة عن استغلال الأطفال في الانترنت.

9. دعوة الدول إلى تخصيص موارد لتوفير برامج شاملة ترمي إلى وقاية وحماية للأطفال ضحايا الجرائم الالكترونية ولتأهيلهم في المجتمع بوسائل، من بينها التدريب على العمل، وتقديم المساعدة القانونية، والرعاية الصحية السرية، واتخاذ جميع التدابير الملائمة لبلوغ شفائهم البدني والنفسي وإعادة إدماجهم في المجتمع.

6 – المراجع:

I. الاتفاقيات والنصوص الدولية

1. اتفاقية حقوق الطفل لعام 1989، اعتمدت وعرضت للتوقيع والتصديق والانضمام بموجب قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة 25/44 المؤرخ في 20 تشرين الثاني/نوفمبر 1989 ودخلت حيز النفاذ في 2 أيلول/سبتمبر 1990.
2. الاتفاقية العربية لمكافحة جرائم تقنية المعلوماتية بالقاهرة بتاريّخ 21 ديسمبر سنة 2010.
3. البروتوكول الاختياري الملحق باتفاقية حقوق الطفل المتعلق بشأن بيع الأطفال واستغلالهم في البغاء وفي المواد الإباحية لسنة 2002 تم عرض هذا البروتوكول للتوقيع والتصديق والانضمام إليه وفقا لقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة، رقم 263 لسنة 2000 ودخل حيز التنفيذ سنة 2002.
4. المرسوم الرئاسي رقم 461/92 مؤرخ في 19 ديسمبر 1992، المتضمن مصادقة الجزائر على اتفاقية حقوق الطفل لعام 1989، الجريدة الرسمية، العدد 91 لسنة 1992.
5. المرسوم الرئاسي 299/06 بتاريخ 2 سبتمبر 2006، المتضمن المصادقة على البروتوكول الاختياري الملحق باتفاقية حقوق الطفل المتعلق بشأن بيع الأطفال واستغلالهم في البغاء وفي المواد الإباحية لسنة 2002، الجريدة الرسمية، العدد 55 الصادرة بتاريخ 6 سبتمبر 2006.

II. الكتب:

1. محمد صبحي نجم، شرح قانون العقوبات الجزائري، القسم الخاص، الطبعة السادسة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2015.
2. مدحت رمضان، جرائم الاعتداء على الأشخاص والإنترنت، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، 2000.
3. وفاء مرزوق، حماية حقوق الطفل في ظل الاتفاقيات الدولية، منشورات الحلبي الحقوقية، لبنان، 2010.
4. يوسف حسن يوسف، الجرائم الدولية للأنترنت، المركز القومي للإصدارات القانونية، ط 1، القاهرة، 2011.
5. Mostafa Khiyati, Cyber criminalité et enfance en Algérie, edition FOREM, 2007.

III. المقالات:

1. أحلام محي الدين، "حماية الأطفال من الجرائم الإلكترونية"، جريدة المساء، الجزائر، 11 ديسمبر 2017.
2. أكمل يوسف السعيد يوسف، "المسؤولية الجنائية لمقدمي المواد الإباحية للأطفال عبر الانترنت"، مجلة البحوث القانونية الاقتصادية، دع، جامعة المنصورة، 2011.

3. مىرفت محمد حباىبة، لخضر رابحي، "أثر الجرائم الالكترونىة على الأطفال وحماىتهم في ظل الاتفاقىات الدولىة والتشرىع الوطني الجزائري والفلسطىني"، مجلة صوت القانون، تصدر عن مخبر نظام الحالة المدنية بجامعة الجيلالي بونعامة بخميس مليانة بدولة الجزائر، المجلد السادس، العدد02، نوفمبر 2019 .

4. نصر الدين منصر، سيف الدين عبان، "الحماية القانونية للطفل من الاستغلال الجنسي عبر الانترنت (دراسة وصفية مقارنة بين التشريعات الدولية والتشريع الجزائري)"، مجلة الرسالة للدراسات والبحوث الإنسانية، المجلد: 2، العدد: 8، سبتمبر 2018.

IV. أطروحات ومذكرات

1. تزاموشت فضيلة، الجرائم الإلكترونية الماسة بالأطفال، مذكرة لنيل شهادة الماستر في الحقوق تخصص القانون الخاص والعلوم الجنائية كلية الحقوق والعلوم السياسية جامعة عبد الرحمان ميرة بجاية، السنة الجامعية 2013 -2014.

V. المواقع الالكترونية

1. كمال شحادة، حماية الأطفال في الفضاء السبيراني، تم الاطلاع عليه بتاريخ 1 فيفري 2020، على الساعة 99 سا 55 د، منشور على الموقع التالي:

www.tra.gov.lb

2. يونس عرب، تطوير التشريعات في مجال مكافحة الجرائم الالكترونية، تم الاطلاع علي في تاريخ 18فيفري 2020، على الساعة 47 سا و40 د، منشور على الموقع التالي:

www.ituarabic.org

مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ر ت م د: 7163 -1112 ر ت م د إ:1892-2588
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2

الحق في الحصول على المعلومات الانتخابية كضمانة لنزاهة العملية الانتخابية

The right to obtain electoral information as a guarantee of the integrity of the electoral process

أحسن غربي

قسم الحقوق، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة،

ahcenegharbi4@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/05/04 تاريخ القبول: 2020/11/03

ملخص

نص التعديل الدستوري لسنة 2016 في المادة 51 منه على حق المواطن في الحصول على المعلومات والوثائق والاحصائيات ونقلها، وفق الكيفيات التي يحددها المشرع، إذ تضمن هذا الأخير النص على هذا الحق في العديد من التشريعات، منها القانون العضوي المتعلق بنظام الانتخابات، المعدل والمتمم، الذي كرس فيه المشرع حق الاطلاع على المعلومات الانتخابية وحق الحصول عليها وفق الشروط والضوابط المحددة في القانون العضوي.

يشمل حق الاطلاع على المعلومات الانتخابية والحصول عليها، جميع مراحل العملية الانتخابية، كما يساهم في شفافية ونزاهة الانتخابات، باعتباره آلية تمكن المواطن الناخب أو المترشح أو ممثل المترشح من رقابة العملية الانتخابية والطعن في التجاوزات المسجلة وفق الكيفيات التي حددها المشرع.

تهدف هذه الدراسة إلى تحديد مفهوم الحق في الحصول على المعلومات الانتخابية والاطلاع عليها من خلال عرض مظاهر حق الاطلاع والحصول على المعلومات الانتخابية والقيود التي وضعها المشرع الجزائري في القانون العضوي رقم 16 -10، المتعلق بنظام الانتخابات المعدل والمتمم، لتحديد مدى مساهمتها في تكريس الشفافية في العملية الانتخابية من بدايتها إلى نهايتها.

المؤلف المرسل: حسن غربي: ahcenegharbi4@gmail.com

الكلمات الدالة:

المعلومات الانتخابية، حق الاطلاع، الحصول على المعلومة، قانون الانتخابات، نزاهة الانتخابات.

Abstract:

The constitutional amendment of 2016 in Article 51 stipulated the right of the citizen to obtain information and documents and statistics and transfer them, according to the modalities specified by the legislator, as the latter included stipulation of this right in many legislations, including the organic law related to the election system in which the legislator enshrined the right to know Electoral information and the right to obtain it according to the conditions and controls specified in the organic law.

The right to view and obtain electoral information includes all stages of the electoral process, and it also contributes to the transparency and integrity of the elections, as a mechanism that enables the voter, candidate or representative of the candidate to monitor the electoral process and challenge violations in accordance with the modalities set by the legislator.

This study aims to define the concept of the right to access electoral information and view it through presenting aspects of the right to be informed and access to electoral information and the restrictions that the Algerian legislator has put in organic law No. 16-10, related to the amended and complemented election system, to determine the extent of its contribution to perpetuating transparency in The electoral process from start to finish.

Key words:

Electoral information ;Right of access; Get the information; Electoral law ;Election ntegrity

مقدمة

تضمن التعديل الدستوري لسنة 2016 دسترة حق المواطن في الحصول على المعلومات والوثائق والاحصائيات وحقه في نقلها، شريطة عدم مساس هذا الحق بحياة الغير الخاصة أو حقوقهم والمصالح المشروعة للمؤسسات مع عدم تشكيل ممارسة هذا الحق مساسا بالأمن الوطني، وأحال للمشرع تحديد كيفيات ممارسة هذا الحق.

كما أن البارز من دسترة هذا الحق أن المؤسس الدستوري الجزائري تضمن النص عليه في المادة 51 بشكل منفرد ومستقل عن بقية الحقوق خلافا للاتفاقيات الدولية ومنها العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية حيث ظهر فيها كحق مشتق أو تابع لحقوق أخرى أو كدعامة لها (أوكيل، 2019، صفحة 38)، كما تضمن التعديل الدستوري لسنة 2016 في المادة 193 النص على إحاطة العملية الانتخابية بالشفافية وضرورة وضع السلطات العمومية القوائم الانتخابية تحت تصرف المترشحين، ونص في المادة 194 على سهر الهيئة العليا المستقلة لمراقبة الانتخابات على شفافية الانتخابات ونزاهتها، فهل كفل المشرع حق المواطن في الحصول على المعلومات المتعلقة بالانتخابات، وما مدى مساهمة هذا الحق في نزاهة العملية الانتخابية؟

للإجابة على الاشكالية ارتأينا معالجة الموضوع في ثلاث نقاط أساسية تتعلق الأولى بتحديد مفهوم حق الحصول على المعلومة الانتخابية بينما تتعلق النقطة الثانية بمظاهر حق الاطلاع والحصول على المعلومة الانتخابية في القانون الجزائري أما النقطة الثالثة والأخيرة فتتعلق بالضوابط التي تحكم حق الاطلاع و الحصول على المعلومات الانتخابية في القانون الجزائري.

أولا - مفهوم حق الحصول على المعلومة الانتخابية.

يعتبر حق الاطلاع والحصول على المعلومة من المبادئ الأساسية لحقوق الانسان (عبدلي،2011، صفحة 58) حيث كفلته معظم الاتفاقيات الدولية مثل نص المادة 10 من اتفاقية الامم المتحدة لمكافحة الفساد التي صادقت عليها الجزائر بالمرسوم الرئاسي 04 -128(الجريدة الرسمية رقم 26، 2004) ودساتير العديد من الدول مثل دستور اسبانيا في المادة 18 (صادر سنة 1978 المعدل والمتمم سنة 2011)، دستور البرتغال في المادة 48 (صادر سنة 1976

مشتملا لجميع التعديلات إلى غاية 2005)، دستور بلجيكا في المادة 32 (الصادر سنة 1831 مشتملا لجميع التعديلات إلى غاية سنة 2014)، دستور تونس في المادة 32 (الصادر في 26 جانفي 2014)، دستور مصر في المادة 68 (لسنة 2012 المعدل سنة 2014)، كما نص عليه الدستور الجزائري في المادة 51 (القانون 16 -01، التعديل الدستوري لسنة 2016). وهو حق عام للمواطنين يمارسونه بأنفسهم، ويتعين على موظفي الدولة توفير الحق في الحصول على المعلومة لكل مواطن يطلبها مع مراعاة الاستثناءات التي أقرها القانون، كما أن وسائل الاعلام بدورها يتعين عليها تمكين المواطن من حقه في الحصول على المعلومة العامة (قرموش، 2017، صفحة 430) ولاسيما إذا كانت المعلومات المراد الاطلاع أو الحصول عليها معلومات تتعلق بنزاهة العملية الانتخابية بجميع مراحلها.

كما أن الحق في الحصول على المعلومة هو حق يتيح للمواطن الحق في سؤال الهيئات والسلطات العامة في الدولة عن أي معلومة تهمه مثل الاطلاع على القائمة الانتخابية وحقه في الإجابة عنها سواء في شكل مكتوب أو مطبوع أو في شكل صور أو نسخ الكترونية أو وفق أي شكل مناسب وفق ما يحدده القانون (هميسي، 2016، صفحة 241)، ولاسيما قانون الانتخابات بخصوص المعلومة الانتخابية.

1 - تعريف حق الحصول على المعلومة:

توجد العديد من التعريفات الفقهية اخترنا من بينها:

يعرف حق الحصول على المعلومة بأنه: "الاعتراف بسلطة فرد ما على أن يحصل على المعلومات الكافية في مختلف المواضيع ذات الاهتمام العام من السلطة التي تدير الشأن العام قصد تقييمها وابداء وجهة رأيه فيها، ومن ثم تعزيز قدراته في صناعة الرأي واختيار ممثليه بناء على تقييمه السابق المبني أصلا على تجميع تلك المعلومات التي تبني معرفته مسبقا حتى يستطيع ممارسة حقه في مراقبة ومساءلة السلطة" (دنيس، 2018، صفحة 142)، كما يقصد به أيضا:" تمكين الأفراد داخل الدولة من الاطلاع على ما يهمهم من معلومات ترتبط بمرفق عام تديره الدولة، وفق قيود شكلية وموضوعية معقولة

تضعها الدولة تضمن من خلالها حصول الأفراد عليها" (المساعيد، 2017، صفحة 309).

يمكن تعريف حق الطلاع والحصول على المعلومة الانتخابية بأنه حق المواطن الذي له صفة الناخب أو المترشح أو الممثل القانوني للمترشح في الاطلاع على المعلومات الانتخابية الخاصة بجميع مراحل العملية الانتخابية التي بحوزة السلطة الوطنية المستقلة للانتخابات أو من هم تحت سلطتها أو مسؤوليتها، والحصول عليها وفق الكيفيات التي حددتها النصوص التشريعية والتنظيمية التي تنظم العملية الانتخابية في الجزائر.

2 -أهمية الحق في الحصول على المعلومات:

للحق في الحصول على المعلومات أهمية كبيرة سواء بخصوص الحياة السياسية ومنها العملية الانتخابية أو باقي مجالات الحياة الأخرى، إذ يمكن إيجازها في بعض المظاهر التالية:

- يعمل حق الحصول على المعلومات على تكريس علاقة تسودها الشفافية الإدارية والوضوح والانفتاح بين الادارة والمواطن (هميسي، صفحة 241) عن طريق تمكين المواطنين من العلم بما يدور في أروقة الإدارة وهيئات الحكم على اعتبار أن الشفافية هي أحد ركائز البناء الديمقراطي في الدولة الحديثة، إذ تساهم شفافية المعلومات الانتخابية التي يحصل عليها المواطن في ترسيخ الديمقراطية القائمة على نزاهة الانتخابات وشفافيتها، وإعادة الثقة للمواطن في الجهة المسؤولة عن تنظيم الانتخابات.

- يساعد الحق في الحصول على المعلومة في دفع عجلة التنمية والكشف عن مظاهر الفساد الإداري ومكافحته في القطاعين العام والخاص.

- يمكن المواطن ولاسيما الناخب أو المترشح وممثله القانوني من ممارسة حقوقه السياسية والاقتصادية والاجتماعية، إذ يمكنه الاطلاع على سير العملية الانتخابية بجميع مراحلها ورقابتها وفق الأطر المحددة قانونا.

- يسهل هذا الحق من فرض رقابة على الإدارة ومسالتها عن تصرفاتها غير المشروعة.

- يساعد هذا الحق في تكريس وترسيخ مفهوم الديمقراطية التشاركية ويزيد وعي الجمهور بالقضايا العامة التي تهمه وتحفيزه على المشاركة في

مراقبة عمل السلطات العمومية، ويمد هذا الحق جسور الثقة بين المواطن والإدارة إذا كانت المعلومة المقدمة للمواطن دقيقة وصحيحة (بوكثير، 2017، صفحة 186)، وهذا كله ينعكس ايجابيا على الحياة السياسية في الدولة عن طريق استقرار مؤسساتها، وبذلك يصبح هذا الحق عامل أساسي لتهيئة سياق وبيئة عامة تحترم وتحمي الحقوق والحريات سواء على مستوى الفرد الذي يطمح أن يكون مواطنا كاملا أو على مستوى المجتمع الذي يطمح لتنمية حقيقية والعيش في كنف الحرية والديمقراطية (حازم ، 2011، صفحة 06).

- يحقق حق الحصول على المعلومة مبدأ المساواة أمام المرافق العامة وتكريس مبادئ سيادة القانون والشفافية والمحاسبة من خلال توسيع قاعدة مشاركة المواطنين في الحياة العامة، بالإضافة إلى كفالة ممارسة بعض الحريات مثل حرية الرأي والتعبير (دنيس، صفحة 146).

- تمكين المواطن من حماية المعطيات ذات الطابع الشخصي من خلال طلب نسخة من المسؤول عن المعالجة، والحصول على الجواب، حول ما إذا كانت بياناته الشخصية داخلة في عملية المعالجة، وحجم البيانات التي تم استخدامها في المعالجة، ونوع المعالجة، والجهات التي انتقلت لها البيانات الشخصية خصوصا إذا كانت الجهة أجنبية (جبور، جبور، 2018، صفحة 150)

3 - خصائص مفهوم حق الحصول على المعلومات:

يتميز حق الحصول على المعلومات بعدة خصائص أهمها:

- يعد مفهوم ديمقراطي مطلق، غير قابل للتقليص فهو لا يتماشى والمفهوم النسبي لأن المفهوم النسبي يفرغ حق الحصول على المعلومة من محتواه.

- يمتد حق الحصول على المعلومة إلى كافة جماهير المجتمع دون تفرقة أو تحيز، وهذا ما يعني أنه يتسم بالعمومية.

- يحتاج هذا الحق إلى إجراءات تنفيذية حتى يتحول من حيز الأفكار المجردة إلى مجال التطبيق العملي، فهو يعتبر جزءا مكملا لمفهوم حرية التعبير في المجتمع.

- يرتبط حق الحصول على المعلومة بعلاقات مركبة بالإضافة إلى مفاهيم أخرى، حيث ينبع من الحقيقة التي تؤكد أن حرية التعبير لا تعني إلا القليل بدون أن تتضمن حق الجماهير في تلقي المعلومة، فإذا تم تعطيل حق الحصول على المعلومة تعطل منظومة الحريات أو تقلص وذلك بالنظر لترابط منظومة الحقوق والحريات.

- يتضمن هذا الحق، حق الفرد في البحث عن الحقيقة خدمة لصالحه الذي لا يتحقق إلا في إطار الصالح العام للمجتمع ككل (قرموش، صفحة 431 - 432).

4 -المعايير الدولية للحصول على المعلومات:

توجد العديد من المعايير الدولية تبنتها التشريعات الوطنية المكرسة لحق المواطن في الاطلاع والحصول على المعلومة، وتتمثل أهم هذه المعايير في: مبدأ الكشف الأقصى للمعلومات ومنها المعلومات الانتخابية، مبدأ نشر المعلومات ومحدودية استثناءات النشر مثل تعليق ونشر القرارات والمحاضر الخاصة بالعمليات الانتخابية، الحق الأجدر بالرعاية هو تحديد الوقت اللازم والمناسب للإجابة على طلب المعلومة، إمكانية الطعن بقرار رفض طلب الحصول على المعلومة، تحديد مدة قصوى لحماية المعلومة، التكلفة المعقولة والعادلة، حماية المسربين للأخطاء الحكومية (الطراونة، أبو دلو، 2018، صفحة 201)، الشفافية الإدارية (تغريد، صفحة 214).

يساهم في تفعيل حق الاطلاع والحصول على المعلومة على أرض الواقع مجانية الحصول على المعلومات، بأن تكون التكاليف المقررة للحصول على المعلومات ونشرها تتحملها الخزينة العامة للدولة لكي تكون متاحة للجميع (وحيش، 2019، صفحة 287)، كما يمكن أن تكون بناء على رسوم رمزية تدفع للخزينة العامة شرط ألا تثقل كاهل المواطن وتصبح كمقابل مالي للحصول على المعلومة التي من حقه، وتبسيط إجراءات طلب الحصول على المعلومات حيث يتم تقييم مدى سهولة الحصول على المعلومة أو صعوبة الحصول عليها بناء على حجم ونوع الاجراءات المتعلقة بطلب الحصول على المعلومة (عادل، جمال، أحمد، 2013، صفحة 15).

ثانيا - مظاهر حق الاطلاع والحصول على المعلومات الانتخابية في القانون الجزائري.

من أجل تحديد مظاهر الحق في الحصول على المعلومة الانتخابية، يتعين أن نبين تمكين المشرع للمواطن الجزائري دون غيره سواء كان ناخبا أو مترشحا أو ممثل قانوني للمترشح من ممارسة حق الاطلاع على المعلومات الانتخابية والحصول عليها في جميع مراحل العملية الانتخابية بدء بالقائمة الانتخابية وصولا إلى إعلان النتائج ومرورا بعمليات تحضير العملية الانتخابية وعمليات التصويت والفرز والبت في النزاعات الانتخابية دون التطرق لحق السلطات المكلفة بالانتخابات في طلب أي وثيقة أو معلومة تساعدها في أداء مهامها(المادة 04 من القانون العضوي 19 -07، الجريدة الرسمية رقم 55، 2019، المادة 51 القانون العضوي 16 -10، الجريدة الرسمية رقم 50 سنة 2016).

1 - حق الحصول والاطلاع على المعلومات الانتخابية المتعلقة بالقائمة الانتخابية:

كرس المؤسس الدستوري في نص المادة 193 من الدستور حق المترشحين للانتخابات في الوصول للقوائم الانتخابية والاطلاع عليها وذلك من خلال النص على ضرورة وضع السلطات العمومية المكلفة بالإشراف على الانتخابات وتنظيمها للقائمة الانتخابية بمناسبة كل استشارة انتخابية تحت تصرف المترشحين للانتخابات، وعادة ما يتم الاطلاع على القوائم من قبل الممثلين القانونيين للمترشحين.

إن الهدف من هذا الإلزام الدستوري هو شفافية العملية الانتخابية، خصوصا أن مرحلة إعداد القوائم الانتخابية ومراجعتها تعد المرحلة الحساسة في العملية الانتخابية باعتبارها المرحلة الممهدة لشفافية الانتخابات أو عدم نزاهتها، بالنظر لإمكانية تضخيم القائمة الانتخابية من قبل الجهات المكلفة بمراجعتها، إذ يتمكن المترشحين وممثليهم القانونين من بسط رقابة على القائمة الانتخابية بمناسبة الاطلاع عليها.

كلف المؤسس الدستوري في تعديل الدستور سنة 2016 الهيئة العليا المستقلة لمراقبة الانتخابات بمهمة ضمان شفافية العملية الانتخابية ومن

بينها القائمة الانتخابية باعتبار أنها محطة من محطات العملية الانتخابية، ومنحت الهيئة بموجب المادة 194 من الدستور مهمة الاشراف على مراجعة الإدارة للقائمة الانتخابية، إلا أن المشرع نظم في تعديل قانون الانتخابات 2019 (القانون العضوي 19 -08، الجريدة الرسمية رقم 55، 2019) موضوع مراجعة القوائم الانتخابية على نحو مخالف لنص المادة 194 من الدستور من خلال سحب صلاحية وضع القوائم ومراجعتها من يد الإدارة التي كانت تشرف على ذلك والمتمثلة في اللجنة الإدارية الانتخابية تحت إشراف الإدارة وتحويلها إلى لجنة بلدية لمراجعة القوائم الانتخابية تحت إشراف السلطة الوطنية المستقلة للانتخابات التي أصبحت الجهة المكلفة بتنظيم الانتخابات والاشراف عليها حيث نصت المادة 07 من القانون العضوي 19 -07 على:" تتولى السلطة المستقلة تحضير الانتخابات وتنظيمها وإدارتها والاشراف عليها، ابتداء من عملية التسجيل في القوائم الانتخابية ومراجعتها مرورا بكل عمليات تحضير العملية الانتخابية وعمليات التصويت والفرز والبت في النزاعات الانتخابية، طبقا للتشريع الساري المفعول إلى غاية اعلان النتائج الاولية".

يتم إعداد ومراجعة القائمة الانتخابية من قبل لجنة بلدية لمراجعة القوائم الانتخابية على مستوى البلدية ولجنة لمراجعة القوائم الانتخابية على مستوى الممثلية الدبلوماسية أو القنصلية، وتعمل اللجنة الأولى تحت إشراف السلطة الوطنية المستقلة للانتخابات والثانية تحت مسؤوليتها، إذ تضم اللجنتين في تشكيلتهما ناخبين مسجلين في القائمة الانتخابية المعنية وفق ما نصت عليه المادتين 15 و16 من قانون الانتخاب وفق تعديل 2019.

يمكن للمواطن والمترشحين أو ممثليهم العلم بأعضاء اللجنة المكلفة بمراجعة القائمة الانتخابية ما دام المشرع الزم السلطة الوطنية المستقلة بنشر قرار تحديد القائمة الاسمية لأعضاء اللجنة وبكل وسيلة مناسبة.

نص المشرع الجزائري في المادة 17 من قانون الانتخابات على إجراء يتعلق بمراجعة القوائم الانتخابية والمتمثل في إعلان رئيس السلطة الوطنية المستقلة للانتخابات عن فتح فترة مراجعة القوائم الانتخابية وفترة اختتامها ويتم الاعلان بكل وسيلة متاحة ويكون هذا الاعلان في الثلاثي الأخير من كل

سنة بخصوص المراجعة العادية وضمن الآجال المحددة في المرسوم الرئاسي المتضمن استدعاء الهيئة الناخبة بخصوص المراجعة الاستثنائية للقوائم الانتخابية طبقا لنص المادة 14 من قانون الانتخابات، إذ يترتب على هذا الاعلان ما يلي:

- حق الأفراد في الاطلاع على القوائم الانتخابية بعد الانتهاء من عملية المراجعة حيث نصت المادة 22 من قانون الانتخابات على حق الناخب في الاطلاع على القائمة الانتخابية التي تعنيه بناء على طلب منه، كما أن السلطة الوطنية المستقلة للانتخابات ملزمة بموجب المادة 22 من قانون الانتخابات بوضع القوائم الانتخابية تحت تصرف الممثلين المؤهلين قانونا للمترشحين سواء كانوا مترشحين احرار أو بناء على تزكية احزاب سياسية.

- حق المواطن الذي أغفل تسجيله في القائمة الانتخابية في التظلم أمام اللجنة البلدية لمراجعة القوائم الانتخابية التي تعمل تحت إشراف السلطة الوطنية المستقلة للانتخابات.

- حق المواطن الناخب المسجل في إحدى القوائم الانتخابية الاعتراض على هذه القائمة أمام اللجنة البلدية لمراجعة القوائم الانتخابية التي تعمل تحت إشراف السلطة الوطنية المستقلة للانتخابات، إذ يتعين أن يقدم الاعتراض معللا، يطلب من خلاله الناخب المعترض شطب أو تسجيل شخص ما.

- يحق للناخب المعترض على القائمة الانتخابية أو الشخص المتظلم ضدها أمام اللجنة البلدية لمراجعة القوائم الانتخابية الطعن في قرارات الرفض التي تصدرها اللجنة أمام المحكمة العادية المختصة إقليميا بناء على نص المادة 21 من قانون الانتخابات حيث جعل المشرع منازعات القائمة الانتخابية من اختصاص القضاء العادي خلافا للمشرع الفرنسي الذي وزع الاختصاص بين القضاء العادي والإداري بخصوص منازعات القائمة الانتخابية (دندن، 2017، ص56)

نلاحظ من خلال هذه الحالة أن المشرع وسع من صاحب الصفة والمصلحة حماية لمبدأ المشروعية خلافا للحالة التي سبقتها حيث يعتبر صاحب الصفة والمصلحة المواطن المعني فقط.

بالرجوع إلى القانون العضوي 16 -11 المتعلق بالهيئة العليا المستقلة لمراقبة الانتخابات (الجريدة الرسمية رقم 50، 2016) نجد أنه نص في المادة 12 منه على ضرورة أن تتأكد الهيئة من احترام الترتيبات القانونية الخاصة بوضع القائمة الانتخابية البلدية تحت تصرف ممثلي الاحزاب السياسية المشاركة في الانتخابات والمترشحين الاحرار، المؤهلين قانونا، وهي الصلاحية التي سحبت منها ومنحت لصالح السلطة الوطنية المستقلة للانتخابات بموجب المادة 22 من قانون الانتخابات في تعديل 2019.

كما أنه بناء على نص المادة 22 من قانون الانتخابات صدر قرار عن رئيس السلطة الوطنية المستقلة للانتخابات مؤرخ في أول أكتوبر 2019 والمتمم بالقرار المؤرخ في 7 نوفمبر 2019 يحدد كيفيات وضع القائمة الانتخابية تحت تصرف المترشحين واطلاع الناخب عليها (الجريدة الرسمية رقم 61 سنة 2019)، إذ نص في المادة 02 منه على إمكانية إطلاع الناخب على القائمة الانتخابية التي تعنيه بمناسبة كل مراجعة سواء العادية أو الاستثنائية، وعليه يرتبط هذا الحق بإرادة المواطن، إلا أن المادة 02 لم تبين كيفيات ممارسة المواطن لهذا الحق، بالرغم من أن نص المادة 22 من قانون الانتخابات أحالت للتنظيم الصادر عن رئيس السلطة الوطنية المستقلة مسألة تحديد كيفيات تطبيق ما تضمنته المادة 22 ومن بينها مسألة حق اطلاع الناخب على القائمة الانتخابية، كما أن المادة 22 من قانون الانتخابات تضمنت إجراء يتعين على الناخب احترامه وهو طلب الاطلاع على القائمة، إذ من هذا المنطلق كان يتعين على قرار رئيس السلطة الوطنية أن يتضمن كيفيات تقديم الطلب وآجاله وكيفيات الاطلاع من حيث المكان والزمان.

نلاحظ أن مضمون المادة 02 من القرار الصادر عن رئيس السلطة الوطنية المستقبلة للانتخابات هو نفس مضمون المادة 02 من المرسوم التنفيذي 17 - 16 الذي يحدد كيفيات وضع القائمة الانتخابية تحت تصرف المترشحين والهيئة العليا المستقلة لمراقبة الانتخابات واطلاع الناخب عليه (الجريدة الرسمية رقم 03 سنة 2017).

تضمن القرار المذكور اعلاه في المادتين 03 و04 النص على حق المترشحين وممثليهم في اطلاع على القوائم الانتخابية حيث توضع القوائم الانتخابية

لجميع البلديات والممثليات الدبلوماسية والقنصلية تحت تصرف الممثلين القانونين للمترشحين والاحزاب المشاركة في الانتخابات بالنسبة للدائرة الانتخابية التي تخصهم، كما يتعين أن تكون متضمنة المعلومات المتمثلة في اسم الولاية و البلدية أو اسم المركز الدبلوماسي أو القنصلي بالنسبة للخارج، لقب الناخب واسمه، تسمية مركز التصويت ورقم مكتب التصويت، رقم التسجيل في القائمة الانتخابية.

بالرجوع إلى المرسوم التنفيذي 17 -16 المذكور اعلاه نجد أنه كان أكثر وضوح من مضمون المادتين 03 و04 من قرار رئيس السلطة الوطنية المستقلة للانتخابات المشار إليهما اعلاه، إذ تضمن المرسوم في المادة 03 منه التفرقة بين ثلاث حالات وهي:

- بالنسبة لانتخاب أعضاء المجالس الشعبية البلدية توضع القائمة الانتخابية البلدية التي تم الترشح فيها تحت تصرف الممثلين المؤهلين قانونا للأحزاب السياسية المشاركة في الانتخابات والمترشحين الاحرار.

- بالنسبة لانتخاب اعضاء المجالس الشعبية الولائية واعضاء المجلس الشعبي الوطني توضع القوائم الانتخابية لبلديات الدائرة الانتخابية التي تم الترشح فيها.

- بالنسبة لانتخاب رئيس الجمهورية توضع القوائم الانتخابية لجميع بلديات الوطن تحت تصرف المترشح أو ممثله القانوني.

يتبين لنا من خلال النصوص القانونية والتنظيمية السابق ذكرها بأن القائمة الانتخابية أولاها المشرع أهمية بالغة حيث اخضعها للرقابة بما فيها رقابة المواطن بناء على حقه في الاطلاع عليها وتقديمه للتظلم نتيجة اغفال تسجيله في القائمة الانتخابية من قبل اللجنة المختصة أو إخضاعها لرقابة الناخب عن طريق الاعتراض وهنا يمكن لأعضاء الاحزاب السياسية غير المشاركة باعتبارهم ناخبين من بسط رقابة على القائمة الانتخابية لكن ليس بوصفهم ممثلين قانونيين للأحزاب غير المشاركة وإنما بوصفهم ناخبين مسجلين في تلك القائمة الانتخابية، كما أنها تكون خاضعة لرقابة ممثلي المترشحين أثناء ممارسة حقهم في الاطلاع على القائمة وهذه الحالات في حال

ما أحسن استعمالها فإنها تكون كفيله بنزاهة العملية الانتخابية في هذه المرحلة ويمكن أن تنعكس ايجابا على باقي المراحل اللاحقة.

2 - حق الحصول والاطلاع على المعلومات الانتخابية المتعلقة بالعمليات التحضيرية للاقتراع:

نص المشرع في المادة 27 من قانون الانتخابات على مسألة توزيع الناخبين على مكاتب ومراكز التصويت ويتم التوزيع بناء على ما تقتضيه الظروف المحلية وما يتطلبه عدد الناخبين، إذ يتم إنشاء المكاتب التصويت والمراكز بموجب مقرر صادر عن المندوب الولائي للسلطة الوطنية المستقلة للانتخابات، وهنا يمكن للمواطن الاطلاع على قرار انشاء مكاتب ومراكز التصويت على اعتبار أن هذه القرارات تعلق بمقر المندوبية الولائية للسلطة الوطنية المستقلة ومقر الولاية والمقاطعة الإدارية والدائرة والبلدية ومراكز التصويت.

إذن كرس المشرع من خلال هذا الاجراء شفافية في تنظيم العملية الانتخابية، إذ لم يحيط العملية بالسرية، غير أنه كان يتعين على المشرع في هذه النقطة التأكيد على أحقية الناخب الذي يرى أنه وضع في مكتب تصويت بشكل مخالف للمعايير السابق ذكرها في الطعن ضد قرار المندوب الولائي للسلطة الوطنية المستقلة، وذلك لتفادي أي لبس بخصوص الموضوع علما أنه يوجد مبدأ دستوري مفاده أن القضاء ينظر في الطعن في قرارات السلطات الإدارية (المادة 161، التعديل الدستوري 2016).

كما تضمنت المادة 30 من قانون الانتخابات موضوع تعيين اعضاء مكاتب التصويت والاعضاء الاضافيون وتسخيرهم للعملية الانتخابية ويتم ذلك بموجب قرار صادر عن المندوب الولائي للسلطة الوطنية المستقلة للانتخابات وفق الشروط والضوابط المحددة في المادة، حيث تنشر القائمة الاسمية للأعضاء بمقر المندوبية الولائية والمندوبية البلدية ومقر كل من الولاية والبلدية والدائرة والمقاطعة الادارية خلال أجل خمسة عشر (15) يوما على الأكثر بعد قفل قائمة المترشحين، وهنا يمكن للمواطن الاطلاع عليها ومعرفة أسماء وألقاب الأعضاء والأعضاء الاضافيين وهل تتوافر فيهم الشروط أم أن لديهم قرابة مع المترشحين أو منتمين إلى الاحزاب المترشحة أو أنهم ممثلين منتخبين في المجالس الشعبية المنتخبة.

كما تضمنت المادة 30 أيضا إلزام المندوب الولائي للسلطة الوطنية المستقلة للانتخابات بتسليم نسخة من القائمة إلى الممثلين القانونيين للمترشحين بناء على طلبهم مقابل وصل بالاستلام، وهذا الإجراء كفيل بأن يراقب من خلاله المترشحين أو ممثليهم هذه القائمة وإمكانية ورود أسماء ضمنها تطالهم حالات المنع الواردة في المادة 30 من قانون الانتخابات، ويفتح هذا الإجراء طريق الطعن القضائي بعد عدم جدوى الطعن الإداري، إذ في حال نجاح الطاعن في أحدى الطعنين (الاعتراض المقبول أو قرار المحكمة الإدارية بقبول الطعن) فإن القائمة تعدل على ضوء الطعن المقبول وتعلق في مكاتب التصويت يوم الاقتراع.

ما يمكن ملاحظته من خلال نص المادتين 27 و30 من قانون الانتخابات أن المشرع منح للمواطن والناخب خصوصا حق الاطلاع على المعلومة الانتخابية الخاصة بهذه المرحلة الانتخابية بطريقة غير مباشرة من خلال النص على تعليق ونشر القرارات المتعلقة بمسألة إنشاء مكاتب ومراكز التصويت وتعيين اعضاء مكاتب التصويت في مقرات الإدارات العمومية التي تم تحديدها في المادتين وهو ما يضمن للمواطن حقه في الاطلاع عليها والاعتراض عليها في حال كانت له المصلحة في ذلك، دون التمييز بين الناخب والمترشح أو ممثله القانوني بخصوص الاعتراض والطعن على قائمة أعضاء مكاتب التصويت (لعبادي، 2013، صفحة 117).

بخصوص المترشحين أو ممثليهم القانونيين، فقد ضمن المشرع في المادة 30 من قانون الانتخابات حقهم في الحصول على المعلومة المتعلقة بأعضاء مكاتب التصويت وحق الاعتراض عليها أمام المندوب الولائي للسلطة الوطنية المستقلة للانتخابات خلال أجل خمسة (05) أيام من تاريخ التسليم أو التعليق للقائمة الاولية، وإذا رفض الاعتراض فإنه يمكن الطعن قضائيا أمام المحكمة الإدارية المختصة اقليميا خلال أجل ثلاثة (03) أيام من تاريخ تبليغ قرار المندوب الولائي بالرفض، يمكن أن يكون قرار المحكمة قبولا للطعن حيث تعدل من خلاله القائمة وتضبط بشكل نهائي، وهذا الحق مخول أيضا للناخب الذي له الصفة والمصلحة في تعديل القائمة الاسمية لأعضاء مكاتب التصويت بالنظر لما تحمله القائمة من خرق لأحكام المادة 30 من قانون الانتخابات.

بخصوص حق المترشحين أو ممثليهم القانونيين في الحصول والاطلاع على المعلومة الانتخابية الخاصة بمكاتب التصويت فإن المادة 27 من قانون الانتخابات لم تمنحهم هذا الحق وإنما يمكنهم الاطلاع عليها كناخبين مسجلين في القوائم الانتخابية وذلك عندما تعلق في مقرات الادارات العمومية المذكورة في المادة 27 من قانون الانتخابات، وهنا بالذات كان من الأفضل لو منح المشرع حق المترشح في الحصول على قرارات تعيين مكاتب التصويت عن طريق الزام السلطة المنظمة للانتخابات بتسليم نسخة للمترشحين أو ممثليهم حتى يتمكن هؤلاء من رقابة عملية توزيع الناخبين على المكاتب والمراكز والتأكد من عدم وجود تلاعب في العملية وذلك ضمانا لشفافية ونزاهة هذه العملية.

تجدر الإشارة أن المشرع الجزائري منح في المادة 12 من القانون العضوي 16 -11 للهيئة العليا المستقلة لمراقبة الانتخابات مهمة التأكد من تعليق الجهات المنظمة للانتخابات للقائمة الاسمية لأعضاء مكاتب التصويت والاعضاء الاضافيين وتسليمها للمترشحين أو ممثليهم القانونين ومتابعة الطعون المتعلقة بهذا الموضوع، وتعليق القائمة في مكتب التصويت المعني يوم الاقتراع طبقا للفقرة الثانية من المادة 13 من القانون 16 -11، غير أن هذا الاجراء هو معطل حاليا نتيجة تغير في الجهة المنظمة والمشرفة على العملية الانتخابية. أما بخصوص التنظيم الصادر عن رئيس السلطة الوطنية المستقلة للانتخابات وفي ظل عدم وجود القرار الذي يبين كيفيات تطبيق المادة 27 من قانون الانتخابات وعدم إحالة المشرع في المادة 30 من قانون الانتخابات للتنظيم تطبيق المادة، فإننا سنكتفي بالإشارة إلى المرسوم التنفيذي رقم 12 -32 (الجريدة الرسمية رقم 08، 2012) الذي كان ينظم موضوع تعيين اعضاء مكاتب التصويت حيث نص في المواد من 03 إلى07 منه على كيفيات تقديم الاعتراض ضد قائمة اعضاء مكاتب التصويت والاعضاء الاضافيين والآثار الناتجة عن قبول الاعتراض أو رفضه وكيفيات الطعن القضائي والآثار المترتبة عنه.

3 - حق الحصول والاطلاع على المعلومات الانتخابية المتعلقة بعمليات التصويت والفرز:

من أهم مظاهر اطلاع المواطن الناخب على المعلومة في هذه المرحلة هو حضوره للفرز العلني بمكتب التصويت إذ يمكن المواطنين من حضور عملية الفرز التي تكون علنية بما يضمن شفافية العملية الانتخابية ويمكن المواطنين من الاطلاع على سير عملية الفرز من خلال ترتيب الطاولات بشكل يسمح للناخبين من الالتفاف والطواف حولها، كما أن الاصل في الفارزين هم الناخبين في مكتب التصويت نفسه تحت رقابة اعضاء مكتب التصويت الذين لا يشاركون في عملية الفرز إلا في حالة عدم توفر العدد الكافي للناخبين الفارزين طبقا لنص المادتين 48، 49 من القانون العضوي 16 -10، المعدل والمتمم، بالإضافة إلى ضمانة حضور المترشحين أو ممثليهم في حدود خمسة (05) ممثلين في المكتب الواحد في آن واحد مع عدم امكانية تمثيل المترشح بأكثر من ممثل والغرض من حضورهم هو اطلاعهم على سير عملية التصويت والفرز ومراقبتها وتسجيل الملاحظات المتعلقة بسيرها أو المنازعات المتعلقة بهذه المرحلة طبقا لنص المواد 166، 167، 168 من القانون العضوي رقم 16 -10، المعدل والمتمم وذلك ضمانا لشفافية العملية الانتخابية ونزاهتها.

يترتب على قيام الناخبين بالفرز وحضور الناخبين عملية الفرز إمكانية منازعتهم في صحة بعض أوراق التصويت طبقا لنص المادة 50 من قانون الانتخابات، وترفق هذه الاوراق المتنازع في صحتها أو المشكك في صحتها بمحضر الفرز المعد في مكتب التصويت. كما أنه يمكن للمواطن من الاطلاع على القرارات التي تصدرها السلطة الوطنية المستقلة للانتخابات لتقديم تاريخ افتتاح الاقتراع وذلك لكونها تعلق بمقرات البلديات المعنية بتقديم تاريخ الاقتراع بخمسة (05) أيام على الاكثر قبل يوم الاقتراع طبقا لنص المادة 33 من القانون العضوي رقم 16 -10، المتعلق بنظام الانتخابات المعدل والمتمم.

بالرجوع إلى أحكام القانون العضوي رقم 16 -11 نجد أنه تضمن في المادة 13 المطة الأولى النص على أن من صلاحيات الهيئة المستقلة لمراقبة

الانتخابات التأكد من أنه تم اتخاذ كل التدابير للسماح لمثلي المترشحين المؤهلين قانونا الحضور لعمليات التصويت على مستوى المراكز والمكاتب بما فيها المتنقلة، وهذه الصلاحية أصبحت من اختصاص السلطة الوطنية المستقلة للانتخابات بموجب المادة 08 من القانون العضوي 19 -07 التي جاء فيها:" اعتماد ممثلي المترشحين مراقبي العمليات الانتخابية في مراكز ومكاتب التصويت"، ونص المشرع في المادة 14 المطة الثانية من نفس القانون على ضرورة تأكد الهيئة من احترام الاحكام القانونية لتمكين ممثلي المترشحين من تسجيل احتجاجهم في محضر الفرز.

يترتب على حق اطلاع الناخبين والممثلين المؤهلين قانونا للمترشحين على المعلومات الانتخابية الخاصة بمرحلة التصويت والفرز إمكانية الطعن في عمليات التصويت وفق الحالات التالية:

- يمكن للناخبين الاعتراض على صحة عمليات التصويت بالنسبة للانتخابات المحلية عن طريق تسجيل الاحتجاج في مكتب التصويت الذي صوت به الناخب ويدون الاحتجاج في محضر مكتب التصويت يرسل مع المحضر إلى اللجنة الانتخابية الولائية التي تفصل في الاعتراض في أجل خمسة (05) أيام من تاريخ إخطارها ويمكن الطعن في قرارها بالرفض أمام المحكمة الادارية المختصة اقليما خلال ثلاثة (03) أيام من تاريخ التبليغ طبقا لنص المادة 170 من القانون العضوي رقم 16 -10، المتعلق بنظام الانتخابات المعدل والمتمم.

- يحق للناخب في حالة الاستفتاء أن يطعن في عمليات التصويت بإدراج احتجاجه في محضر الفرز الموجود في مكتب التصويت ويخطر المجلس الدستوري فورا بالاحتجاج للبت فيه طبقا لنص المادة 172 من القانون العضوي رقم 16 -10، المتعلق بنظام الانتخابات المعدل والمتمم.

- يحق للمترشح أو ممثله القانوني في الانتخابات الرئاسية الطعن في صحة عمليات التصويت بإدراج احتجاجه في محضر الفرز الموجود في مكتب التصويت ويخطر المجلس الدستوري فورا بالاحتجاج للبت فيه طبقا لنص المادة 172 من القانون العضوي رقم 16 -10، المتعلق بنظام الانتخابات المعدل والمتمم .

- بخصوص الانتخابات التشريعية يحق لكل مترشح أو حزب سياسي مشارك في الانتخابات الاعتراض على صحة عمليات التصويت بتقديم طلب في شكل عريضة يودعها لدى كتابة ضبط المجلس الدستوري خلال ثمانية وأربعين (48) ساعة الموالية لإعلان النتائج طبقا لنص المادة 171 من القانون العضوي رقم 16 -10، المتعلق بنظام الانتخابات المعدل والمتمم.

4 - حق الحصول والاطلاع على المعلومات الانتخابية المتعلقة بنتائج الانتخابات والطعون:

من بين مظاهر حق الاطلاع والحصول على المعلومة الانتخابية في هذه المرحلة الهامة من العملية الانتخابية حضور الناخبين عملية تحرير محضر الفرز الذي يحرر بحبر لا يمحى ويحرر بمكتب التصويت نفسه ويمكن أن يتضمن المحضر عند الاقتضاء ملاحظات أو تحفظات يبديها الناخبين أو الترشحين أو ممثليهم المؤهلين قانونا طبقا لنص المادة 51 من القانون العضوي رقم 16 -10، المتعلق بنظام الانتخابات المعدل والمتمم، كما يمكن اطلاع الناخبين على النسخة من المحضر التي يعلقها رئيس مكتب التصويت داخل المكتب حيث يتولى رئيس مكتب التصويت التصريح علنا بالنتائج المسجلة في المكتب والتعليق الفوري للمحضر بمجرد تحريره وفق المقتضيات المنصوص عليها في المادة 51 من قانون الانتخابات، كما يستلم ممثلي المترشحين من رئيس المكتب نسخة من المحضر فور تحريره وبالمكان نفسه مقابل وصل بالاستلام وفق المقتضيات التي حددتها المادة 51 من قانون الانتخابات.

تضمن قانون الانتخابات أيضا إمكانية اطلاع المواطنين والناخبين على القائمة الإسمية لأعضاء اللجنة الانتخابية البلدية وذلك بإلزام السلطة المنظمة للانتخابات بتعليق القرار المتضمن تعيين اعضاء اللجان المذكورة فور صدوره بالمقرات الخاصة بالولاية والبلديات المعنية، وبما أن اللجنة تضم في تشكيلتها بالإضافة إلى قاض رئيسا يعينه رئيس المجلس القضائي، نائب رئيس ومساعدين اثنين يعينهم المندوب الولائي من بين ناخبي البلدية ماعدا المترشحين والمنتمين إلى احزابهم واقاربهم واصهارهم إلى غاية الدرجة الرابعة طبقا لنص المادة 152 من القانون العضوي 16 -10، المتعلق بنظام

الانتخابات المعدل والمتمم، إذ يسمح تعليق القرار المتضمن تشكيل اللجنة الناخبين وممثلي المترشحين من الطعن في مشروعية الاعضاء على اساس أن لديهم قرابة مثلا أو انتمائهم للأحزاب السياسية المشاركة في الانتخابات أو لكونهم ممثلين منتخبين في المجالس المنتخبة. وهذا الإجراء نجده مغيب في باقي اللجان الانتخابية الأخرى وهي اللجنة الانتخابية الولائية، اللجنة الانتخابية للدائرة الدبلوماسية أو القنصلية واللجنة الانتخابية للمقيمين في الخارج والسبب في ذلك راجع لعدم وجود ناخبين ضمن هذه اللجان خلافا للجنة الانتخابية البلدية.

إن هذه اللجان السابق الإشارة إليها اعلاه تحرر محاضرها بحضور ممثلي المترشحين المؤهلين قانونا وتلتزم إما بتعليق رئيسها لنسخة من المحضر الأصلي وتسليمها لممثلي المترشحين نسخة من المحضر أو بإحدى الوسيلتين وذلك حسب الحالات التالية:

- بالنسبة للجنة الانتخابية البلدية تعلق نسخة أصلية من المحضر الذي تعده في مقر البلدية التي جرت بها عملية الاحصاء البلدي للأصوات وتسلم نسخة مصادق على مطابقتها للأصل من محضر اللجنة الانتخابية البلدية فورا وبمقر اللجنة لممثلي المترشحين القانونيين مقابل وصل بالاستلام طبقا لنص المادة 153 من قانون الانتخابات.

- بالنسبة للجنة الانتخابية الولائية واللجنة الانتخابية للمقيمين في الخارج فإنهما غير معنيتان بتعلق نسخة من المحضر الذي تعده اللجنة في مقرها وإنما كلفت اللجنتان بتسلم نسخة مصادق على مطابقتها للأصل من المحضر الذي تعده اللجنة الانتخابية الولائية أو اللجنة الانتخابية للمقيمين في الخارج فورا وبمقر اللجنة لممثلي المترشحين القانونيين مقابل وصل بالاستلام طبقا لنص المادتين 160و163 من قانون الانتخابات.

- بالنسبة للجنة الانتخابية للدائرة الدبلوماسية أو القنصلية لم يحدد المشرع في المادة 162 كيفية اطلاع الناخبين أو حصول ممثلي المترشحين على محاضر اللجنة وأحال تنظيم هذه اللجنة لقرار يصدره رئيس السلطة الوطنية المستقلة للانتخابات، إذ بالرجوع إلى القرار الصادر عنه بتاريخ 01 أكتوبر 2019 (الجريدة الرسمية رقم 61 سنة 2019) ولاسيما المادة 09 منه

نجد أنها جاءت تكرارا لمضمون المادة 162 من القانون العضوي 16 -10 المعدل والمتمم المتضمن قانون الانتخابات واحالت المادة 09 بدورها لقرار يصدره رئيس السلطة الوطنية المستقلة للانتخابات بالتنسيق والتشاور مع مصالح وزارة الشؤون الخارجية، وبما أن هذه اللجنة هي قريبة في صلاحياتها من اللجنة الانتخابية البلدية فإنها حتما تلتزم بما تلتزم به اللجنة الانتخابية البلدية من تعليق لنسخة من المحضر وتسليم نسخة مصادق على مطابقتها للأصل لممثلي المترشحين المؤهلين قانونا.

بالرجوع إلى القانون العضوي 16 -11 نجد أنه تضمن في المادة 12 المطة رقم 09 النص على أن من صلاحيات الهيئة المستقلة لمراقبة الانتخابات التأكد من أنه تم تمكين الاحزاب السياسية والمترشحين الاحرار من تعيين ممثليهم المؤهلين قانونا لاستلام نسخ من المحاضر على مستوى اللجان الانتخابية، كما نصت المادة 14 من نفس القانون على تأكد الهيئة العليا المستقلة لمراقبة الانتخابات من احترام الاحكام القانونية لتمكين ممثلي المترشحين من تسلم نسخ من المحاضر مصادق على مطابقتها للأصل، هذه الصلاحية التي اصبحت من اختصاص السلطة الوطنية المستقلة للانتخابات بموجب المادة 08 من القانون العضوي 19 -07.

تقتضي شفافية العملية الانتخابية ونزاهتها إعلام الناخبين والمترشحين بكيفيات سير العملية مرحلة بمرحلة مع تكريس حق المترشح أو الناخب في الاعتراض والطعن ضد كل خرق، كما ألزم المشرع الجزائري في المادة 10 من القانون العضوي رقم 19 -07 السلطة الوطنية المستقلة للانتخابات بإعداد ونشر تقرير مفصل عن كل عملية انتخابية خلال أجل اقصاه خمسة وأربعون (45) يوما من تاريخ الاعلان الرسمي عن النتائج النهائية للانتخابات، إذ يمكن هذا الإجراء المواطن من اطلاع على كيفيات سير العملية الانتخابية.

ثالثا - الضوابط التي تحكم حق الاطلاع والحصول على المعلومات الانتخابية في القانون الجزائري.

إذا كان المشرع الجزائري اعترف في قانون الانتخابات والنصوص التطبيقية له بحق المواطن في الاطلاع على بعض المعلومات الانتخابية وحقه كمترشح أو ممثل لمترشح في أن يحصل على المعلومات المتعلقة بمراحل

العملية الانتخابية على النحو الذي بيناه، فإن هذا لا يعني عدم وجود بعض الضوابط والشروط الواردة على كيفية الحصول على المعلومة الانتخابية والاطلاع عليها خلال جميع مراحل العملية الانتخابية، إذ تتمثل هذه الضوابط في ما يلي:

1 -الضوابط التي تخص حق الاطلاع والحصول على القائمة الانتخابية:

إذا كان المؤسس الدستوري ألزم السلطات المكلفة بتنظيم الانتخابات والإشراف عليها ورقابتها بتمكين المترشحين من حق الاطلاع على القائمة الانتخابية، فإن المشرع بالإضافة إلى تمكين المترشحين عن طريق ممثليهم، مكن أيضا الناخب من الاطلاع على القائمة الانتخابية التي تعنيه متى طلب ذلك دون قيود أخرى، إذ يتعين أن يقدم الناخب طلبا للاطلاع على القائمة الانتخابية للمندوب الولائي للسلطة الوطنية المستقلة لتمكينه من الاطلاع عليها، علما أن المادة 22 من قانون الانتخابات قبل تعديل 2019 كانت لا تشترط طلب المعني، غير أن المادة 02 من القرار الصادر عن رئيس السلطة والوطنية المستقلة للانتخابات المؤرخ في 01 أكتوبر 2019 المتمم بموجب القرار الصادر في 07 نوفمبر 2019 (الجريدة الرسمية رقم 67 سنة 2019) يشترط أن تكون مسألة الاطلاع مرتبطة بالمراجعة العادية أو الاستثنائية للقوائم الانتخابية، بما يعني أنه لا يمكن للناخب طلب الاطلاع على القائمة الانتخابية في الحالات التي لا تتم فيها المراجعة، غير أنه لم يحدد الضوابط التي تحكم طلب الاطلاع رغم إحالة المشرع في المادة 22 من قانون الانتخابات مسألة تطبيق المادة للتنظيم الصادر عن رئيس السلطة الوطنية المستقلة للانتخابات.

ينحصر هذا الحق في الناخب فقط دون باقي المواطنين الغير مسجلين في القائمة الانتخابية إما لعدم توفر شروط الناخب فيهم أو امتناعهم عن التسجيل، كما أن الناخب نفسه مقيد في هذا الحق بالاطلاع على القائمة الانتخابية المسجل بها فقط دون الاطلاع على باقي القوائم الانتخابية لأنها في نظر المشرع لا تعنيه.

بخصوص اطلاع ممثلي المترشحين على القوائم الانتخابية فتخضع لضوابط وشروط تتمثل في:

- يتم الاطلاع على القائمة الانتخابية بمناسبة كل انتخاب طبقا لنص المادة 22 من القانون العضوي 16 -10، المعدل والمتمم، وعليه إذا لم تكن هناك انتخابات فلا يمكن الاطلاع على القوائم الانتخابية من قبل الاحزاب السياسية، كما أن الاحزاب السياسية غير المعنية بالانتخابات لا يحق لها أو لمثليها الاطلاع على القائمة الانتخابية، إلا إذا تم الاطلاع باعتبارهم ناخبين مسجلين في القائمة الانتخابية.

- لا يحق لمثلي المترشحين سوى الاطلاع على القائمة الانتخابية للدائرة الانتخابية التي تخصهم، أما باقي القوام الانتخابية فهم غير معنيين بها، غير أن هذه الحالة إذا كانت تصلح في الانتخابات المحلية والانتخابات التشريعية، إلا أنه لا يمكن تعميمها بالنسبة للانتخابات الرئاسية لأن الدائرة الانتخابية تكون شاملة للوطن كله بالإضافة إلى قوائم الجالية الجزائرية في الخارج.

- يتعين أن يقدم المترشح أو ممثله طلب إلى منسق مندوبية السلطة الوطنية المستقلة للانتخابات الذي يسلم نسخة لصاحب الطلب مقابل وصل بالاستلام.

- يمنع أي استعمال للقائمة المسلمة سوى الاطلاع عليها بمناسبة كل انتخاب، وفي حال ما خالف المترشح أو ممثله هذا الشرط فإنه يتعرض لعقوبة الحبس من سنة (01) إلى ثلاث (03) سنوات وبغرامة من 4000 إلى 40000 د ج طبقا للمادتين 207، 207 مكرر من القانون العضوي 16 -10 المتعلق بنظام الانتخابات المعدل والمتمم.

- يجب على المترشح أو ممثله القانوني إعادة القائمة إلى منسق مندوبية السلطة الوطنية المستقلة للانتخابات في أجل أقصاه تاريخ الاعلان على النتائج النهائية للانتخابات المعنية، ما يعني أنه لا يمكن الاحتفاظ بهذه القائمة من قبل المترشح أو ممثله القانوني سوى لفترة قصيرة تمتد من انتهاء المراجعة الاستثنائية للقوائم الانتخابية إلى غاية الاعلان النهائي عن النتائج، غير أن المشرع لم يرتب في قانون الانتخابات جزاء بالنسبة للمترشح أو ممثله القانوني الذي يتراخى في ارجاع القائمة أو يمتنع عن ارجاعها.

2 -الضوابط التي تخص حق الحصول والاطلاع على المعلومات الانتخابية المتعلقة بالعمليات التحضيرية:

لم يقيد المشرع في المادة 27 من القانون العضوي 16 -10 المعدل والمتمم حق الاطلاع على قرار إنشاء مكاتب ومراكز التصويت، إذ نص على تعليق القرار في المقرات المحددة في المادة المذكورة دون الإشارة إلى أي ضابط أو قيد بخصوص هذا التعليق، ما يعني أنه مسموح بالاطلاع عليه من قبل جميع المواطنين سواء كانوا ناخبين أو غير ناخبين مادام القرار معلق بمقر عمومي يعتاد عليه المواطن يوميا، وهو ما يجعل العملية تتسم بالشفافية والنزاهة إلى ان يثبت العكس.

بخصوص الاطلاع على قائمة اعضاء مكاتب التصويت والاعضاء الاضافيين واستلام ممثلي المترشحين نسخة من القائمة، فإن العملية تخضع لبعض الضوابط مثل تحديد المشرع الجزائري في المادة 30 لأجل تعليق القائمة وتسليمها وهو خمسة عشر(15) يوما على الأكثر بعد ضبط قائمة المترشحين، كما أن تسليم النسخة لممثلي المترشحين المؤهلين قانونا يكون بناء على طلب منهم وليس تسليم تلقائي للقائمة وفي المقابل يقدم ممثل المترشح وصل بالاستلام، كما حدد المشرع وقت تعليقها بمكتب التصويت وهو يوم الاقتراع وعليه لا تعلق هذه القائمة قبل الاقتراع في مكاتب التصويت، إذ يمكن للناخب الاطلاع عليها يوم الاقتراع بمكتب التصويت لكن في هذه الحالة لا يمكن الاعتراض عليها لأن آجال الاعتراض قد انقضت واصبحت القائمة نهائية.

كما حددت المادة 30 المذكورة اعلاه آجال تقديم الاعتراض ضد القائمة الاسمية لأعضاء مكاتب التصويت والاعضاء الاضافيين وآجال رد المندوب الولائي للسلطة الوطنية المستقلة للانتخابات وآجال اللجوء إلى المحكمة الإدارية المختصة وآجال فصل المحكمة في الطعن، كما أن الطعن يتعين أن يكون كتابيا دون استراط تعليله خلافا للمرسوم التنفيذي 12 -32 (الجريدة الرسمية رقم 08 سنة 2012) الذي نص في المادة 03 منه على تقديم الاعتراض في شكل كتابي ومعلل تعليلا قانونيا إذ يتعين أن يثبت صاحب الاعتراض أن العضو المعين بمكتب التصويت المعني موضوع الاعتراض:

- ليس ناخبا أو أنه ليس ناخب مقيم على اقليم الولاية
- أنه مترشح للانتخابات أو أنه يتمتع بصفة منتخب
- أنه قريب من الدرجة الرابعة لأحد المترشحين أو صهر له
- أنه عضو في حزب سياسي لأحد المترشحين في الانتخابات

3 -الضوابط التي تخص حق الحصول والاطلاع على المعلومات الانتخابية المتعلقة بعمليات التصويت والفرز:

لم يقيد المشرع حق الناخب في الاطلاع أو الحصول على المعلومة الانتخابية في هذه المرحلة سوى بعض الشروط التي لا تؤثر بشكل كبير على حق الناخب والمواطن عموما وبالتالي لا تؤثر من وجهة نظرنا في صحة العملية الانتخابية ولا تقلل من شفافية العملية ونزاهتها، وتتمثل هذه الشروط في:

- تحديد المشرع لأجل تعليق قرار السلطة الوطنية المستقلة بتقديم افتتاح الاقتراع بخمسة أيام على الأكثر قبل الاقتراع مع استبعاد التعليق في مقر الولاية والدائرة والمقاطعة الإدارية والاكتفاء بمقر البلديات المعنية فقط.

- إمكانية مشاركة اعضاء مكتب التصويت في الفرز في حال عدم توفر العدد الكافي من الفارزين الذين هم ناخبين في مكتب التصويت.

- تعيين الفارزين يكون من قبل اعضاء مكتب التصويت ويتم اختيار الفارزين من بين الناخبين المسجلين في مكتب التصويت نفسه مع اشتراط حضور ممثلي المترشحين المؤهلين قانونا.

- عدم اشتراط المشرع شروط في الفرزين قد يؤثر على نزاهة العملية الانتخابية، إذ يمكن أن يشارك مع الفارزين أقارب للمترشحين، وعليه كان يتعين على المشرع استبعاد الناخب الذي لديه قرابة من الفرز ضمانا لنزاهة العملية الانتخابية.

- اقتصار حق الاعتراض على عمليات التصويت على الناخب في الانتخابات المحلية والاستفتاء وعلى المترشحين أو ممثليهم القانونيين بالنسبة للانتخابات الرئاسية والمترشحين والاحزاب السياسية المرشحة بالنسبة لانتخابات المجلس الشعبي الوطني.

- يتعين أن يتضمن محضر الفرز الموجود على مستوى مكتب التصويت في الخانة المخصصة للاحتجاجات في الانتخابات الرئاسية، المعلومات المتعلقة بلقب واسم وعنوان وتوقيع صاحب الاحتجاج، رقم بطاقة هوية المعترض وتاريخ ومكان إصدارها، لقب المترشح واسمه، مضمون الاحتجاج، كما يتعين أن يتضمن الاخطار الموجه للمجلس الدستوري نفس المعلومات المتعلقة بالاحتجاج المسجل في محضر الفرز ويمكن تدعيمه من قبل الطاعن بكل الوسائل المبررة له وعلى نفقته (المادتين 03 -04 من القرار الصادر عن السلطة الوطنية المستقلة للانتخابات المؤرخ في 24 أكتوبر 2019، الجريدة الرسمية رقم 65 سنة 2019).

4 -الضوابط التي تخص حق الحصول والاطلاع على المعلومات الانتخابية المتعلقة بنتائج الانتخابات والطعون:

لم ينص المشرع الجزائري على قيود بخصوص حق الاطلاع والحصول على المعلومة المتعلقة بالمرحلة الأخيرة من العملية الانتخابية سوى بعض الشروط التي تمثل أمور تنظيمية والمتمثلة خصوصا في:

- يقتصر تسليم محضر الفرز المعد من قبل اعضاء مكتب التصويت أو اللجان الانتخابية على الممثلين المؤهلين قانونا للمترشحين فقط دون إمكانية تسليمه للمترشح نفسه أو للناخب مثلا، كما يتعين أن يثبت الممثل استلامه للمحضر عن طريق وصل استلام.

- يتعين دمغ نسخة المحضر المصادق على مطابقته للأصل على جميع صفحاته بختم ندي يحمل عبارة "نسخة مصادق على مطابقتها للأصل"، سواء كان المحضر المسلم لممثلي المترشحين المؤهلين قانونا من قبل رئيس مكتب التصويت أو المحاضر المسلمة من قبل رؤساء اللجان الانتخابية.

- يتعين أن يتم تسليم نسخة من المحضر للممثل المؤهل قانونا من قبل رئيس مكتب التصويت فور تحرير المحضر وداخل مكتب التصويت نفسه.

- اقتصار اللجنة الانتخابية البلدية عند تحريرها لمحضر الاحصاء لنتائج التصويت في مكاتب البلدية بحضور ممثلي المترشحين دون حضور الناخبين باستثناء الناخبين الاعضاء في اللجنة.

الخاتمة:

كرس المشرع الجزائري الحق في الاطلاع على المعلومة الانتخابية وأيضا الحق في الحصول عليها، غير أن هذا الحق ليس مضمون للجميع، إذ منح المشرع الجزائري للناخب الحق في الاطلاع على المعلومات الانتخابية خلال معظم مراحل العملية الانتخابية ومنح للمترشح للانتخابات وممثله القانوني حق الحصول على المعلومات الانتخابية بدء بالقائمة الانتخابية وصولا إلى محاضر اعلان النتائج، وهذا الحق يضمن تجسيده على أرض الواقع، شفافية ونزاهة العملية الانتخابية، إلا أنه بالرغم من ذلك توجد بعض النقائص التي يتعين على المشرع تداركها.

خلصنا من خلال هذه الدراسة إلى العديد من النتائج أهمها:

1 - أقر المشرع الجزائري بضرورة الكشف عن المعلومات الانتخابية في جميع مراحل العملية الانتخابية عن طريق تعليق ونشر المعلومات الانتخابية وعدم الاكتفاء بتقرير الحق في طلب المعلومة.

2 - ميز المشرع في قانون الانتخابات بين حق المواطن في الاطلاع على المعلومة الانتخابية وحق المترشح أو ممثله في الحصول على المعلومات الانتخابية، ويشمل هذا التمييز جميع مراحل العملية الانتخابية، وهو ما يعني أن المواطن في بعض الحالات لا يكون له الصفة والمصلحة في طلب المعلومة الانتخابية ويقتصر طلبها والحصول عليها على المترشح وممثله القانوني وفي حالات جعلها المشرع مقتصرة على الناخب فقط مثل الاحتجاج على عمليات التصويت بخصوص الانتخابات المحلية وفي حالات اخرى منحها كحق للطرفين.

3 - الحق في الاطلاع والحصول على المعلومات الانتخابية ضمانة هامة في نزاهة العملية الانتخابية بجميع مراحلها، نظرا لما يرتبه حق الاطلاع والحصول على المعلومة من نتائج وآثار تصب في خانة مراقبة العملية الانتخابية من قبل المواطن الناخب وهو ما يضفي عليه نوع من النزاهة والشفافية.

4 - لم يورد المشرع حق المواطن في الاطلاع والحصول على المعلومة قيودا واستثناءات، باستثناء فرضه لبعض الشروط التي لا تعرقل في نظرنا المواطن

والمترشح أو ممثله القانوني في ممارسة هذا الحق، إذ تعتبر أمور تنظيمية لابد لها لتمكين المواطن الناخب والمترشح أو ممثله القانوني من ممارسة حق الاطلاع أو الحصول على المعلومة.

يمكننا من خلال هذه الدراسة تقديم بعض الاقتراحات لتدعيم حق الناخبين والمترشحين والممثلين القانونيين للمترشحين في الاطلاع على المعلومات الانتخابية أو الحصول عليها، والمتمثلة في:

1 - ضرورة جعل القائمة الانتخابية تحت تصرف ممثلي الاحزاب السياسية سواء كانت شاركت في الانتخابات أم لم تشارك والناخب دون تقييدها بمرحلة المراجعة للقوائم الانتخابية، وفتح حق الطعن القضائي بخصوصها خارج الآجال المحددة حاليا في المادة 21 من قانون الانتخابات، وذلك على اعتبار أن مرحلة إعداد ومراجعة القائمة الانتخابية هي أهم مرحلة في العملية الانتخابية.

2 - ضرورة تعديل المادة 27 من قانون الانتخابات والنص من خلالها على تسليم المندوب الولائي للسلطة الوطنية المستقلة للانتخابات لنسخة من قرار توزيع الهيئة الناخبة على مكاتب ومراكز التصويت، وتمكينهم صراحة من الطعن الإداري والقضائي ضد هذه القرارات، بالإضافة إلى حق الناخب في الاعتراض على قرار ادراجه في المكتب الانتخابي المعني عن طريق طعن إداري وطعن قضائي في حال عدم جدوى الطعن الإداري.

3 - ضرورة النص على تعليق رئيس اللجنة الانتخابية الولائية واللجنة الانتخابية للمقيمين في الخارج واللجنة الانتخابية الدبلوماسية أو القنصلية للمحضر المعد من قبل هذه اللجان في مقر انعقادها.

4 - ضرورة النص على حضور ممثلي المترشحين عملية تحرير المحاضر من قبل اللجان الانتخابية المتمثلة في اللجنة الانتخابية الولائية، اللجنة الانتخابية للمقيمين في الخارج واللجنة الانتخابية الدبلوماسية أو القنصلية، إضفاء لشفافية ونزاهة عملية تحرير المحاضر من قبل اللجان المذكورة، إذ لا يكفي حضور الممثلين عملية تحرير المحضر في مكتب التصويت وعلى مستوى اللجنة الانتخابية البلدية، لأنه يتعين على ممثل المترشح متابعة ومراقبة العملية الانتخابية إلى نهايتها.

5 - يتعين أن يعاد النظر في قرارات رئيس السلطة الوطنية المستقلة للانتخابات لأنها لا تفي بالغرض الذي اراده المشرع من إحالة تنظيم بعض المسائل على قرار رئيس السلطة، إذ لا حظنا أنها تعيد في بعض الاحيان مضمون نص المادة المدرجة في قانون الانتخابات وأنها إعادة للمراسيم التنفيذية التي كانت تحكم العملية الانتخابية قبل استحداث السلطة الوطنية المستقلة للانتخابات، وهنا نقترح أن يستعين رئيس السلطة الوطنية المستقلة للانتخابات بالخبراء القانونيين من أجل صياغة نصوص تنظيمية تبين بشكل حقيقي كيفيات تطبق مضمون المواد التي أحالت عليها، كما يتعين أخذ الوقت الكافي في إعداد هذه النصوص وتفادي السرعة في إصدارها.

6 - نرى ضرورة اهتمام الباحثين بموضوع حق الاطلاع والحصول على الوثائق والمعلومات بشكل عام والمعلومات الانتخابية بشكل خاص من خلال الابحاث المتخصصة والتظاهرات العلمية في هذا الموضوع، بالإضافة إلى القيام بأيام تحسيسية لفائدة المواطنين الناخبين بحقهم في الاطلاع والحصول على المعلومات المتعلقة بمختلف مراحل العملية الانتخابية وأن لهم دور رقابي على عمل السلطات المكلفة بتنظيم الانتخابات والاشراف عليها ما يضفي شفافية ونزاهة على العملية الانتخابية.

قائمة المصادر والمراجع

أولا - قائمة المصادر

1 -الاتفاقيات الدولية

- اتفاقية الامم المتحدة لمكافحة الفساد، المعتمدة من قبل الجمعية العامة للأمم المتحدة بنيويورك بتاريخ 31 أكتوبر سنة 2003، صادقت عليها الجزائر بتحفظ بالمرسوم الرئاسي رقم 04 -128 المؤرخ في 19 أبريل سنة 2004، الجريدة الرسمية رقم 26 مؤرخة في 25 أبريل سنة 2004.

2 - الدساتير

- القانون رقم 16 -01 مؤرخ في 06 مارس 2016، يتضمن التعديل الدستوري، الجريدة الرسمية رقم 14 مؤرخة في 07 مارس سنة 2016.
- دستور اسبانيا سنة 1978 المعدل والمتمم سنة 2011
- دستور البرتغال لسنة 1976 مشتملا لجميع التعديلات إلى غاية 2005
- دستور بلجيكا الصادر عام 1831 شاملا تعديلاته إلى غاية سنة 2014
- دستور الجمهورية التونسية الصادر في 26 جانفي 2014
- دستور الجمهورية العربية المصرية لسنة 2012 المعدل سنة 2014

3 -القوانين

- القانون العضوي 16 -10 المؤرخ في 25 غشت سنة 2016، يتعلق بنظام الانتخابات المعدل والمتمم، الجريدة الرسمية رقم 50 مؤرخة في 28 غشت سنة 2016.
- القانون العضوي 16 -11 مؤرخ في 25 غشت سنة 2016، يتعلق بالهيئة العليا المستقلة لمراقبة الانتخابات، الجريدة الرسمية رقم 50 مؤرخة في 28 غشت سنة 2016.
- القانون العضوي رقم 19 -07 مؤرخ في 14 سبتمبر سنة 2019، يتعلق بالسلطة الوطنية المستقلة للانتخابات، الجريدة الرسمية رقم 55 مؤرخة في 15 سبتمبر 2019.
- القانون العضوي رقم 19 -08 مؤرخ في 14 سبتمبر سنة 2019، المتضمن تعديل القانون العضوي رقم 16 -10، المتعلق بنظام الانتخابات، الجريدة الرسمية رقم 55 مؤرخة في 15 سبتمبر سنة 2019.

4 -التنظيم

- مرسوم تنفيذي رقم 12 -32 مؤرخ في 06 فبراير سنة 2012، يتعلق بشروط تعيين أعضاء مكاتب التصويت وكيفيات ممارسة حق الاعتراض و/ أو الطعن القضائي بشأنهم، الجريدة الرسمية رقم 08 مؤرخة في 15 فبراير سنة 2012.
- مرسوم تنفيذي رقم 17 -16 مؤرخ في 17 يناير سنة 2017، يحدد كيفيات وضع القائمة الانتخابية تحت تصرف المترشحين والهيئة العليا المستقلة لمراقبة الانتخابات واطلاع الناخب عليها، الجريدة الرسمية رقم 03 مؤرخة في 18 يناير سنة 2017.

- قرار مؤرخ في أول أكتوبر سنة 2019، يحدد كيفيات وضع القائمة الانتخابية تحت تصرف المترشحين واطلاع الناخب عليها، الجريدة الرسمية رقم 61 مؤرخة في 03 أكتوبر سنة 2019، المتمم بالقرار المؤرخ في 07 نوفمبر سنة 2019، الجريدة الرسمية رقم 67 مؤرخة في 10 نوفمبر سنة 2019.
- قرار مؤرخ في أول أكتوبر سنة 2019، يتعلق بتصويت المواطنين الجزائريين المقيمين في الخارج، الجريدة الرسمية رقم 61 مؤرخة في 03 أكتوبر سنة 2019.
- القرار الصادر عن السلطة الوطنية المستقلة للانتخابات المؤرخ في 24 أكتوبر سنة 2019، يحدد كيفيات الطعن في صحة عمليات التصويت المتعلقة بالانتخابات الرئاسية، الجريدة الرسمية رقم 65 مؤرخة في 24 أكتوبر سنة 2019.

ثانيا - قائمة المراجع

1 - الكتب

- حازم حسن: (2011) حرية تداول المعلومات دراسة قانونية مقارنة، الطبعة الأولى، مؤسسة حرية الفكر والتعبير، القاهرة مصر.
- مارينا عادل، منة جمال، رضوى أحمد: (2013) آليات إتاحة وتداول المعلومات دراسة مقارنة، مركز دعم تقنية المعلومات، القاهرة مصر.
- منى الأشقر جبور، محمود جبور: (2018) البيانات الشخصية والقوانين العربية: الهم الأمني وحقوق الأفراد، الطبعة الأولى، المركز العربي للبحوث القانونية والقضائية، بيروت لبنان.

2 - الرسائل الجامعية

- سماعين لعبادي: (2013) المنازعات الانتخابية دراسة مقارنة لتجربتي الجزائر وفرنسا في الانتخابات الرئاسية والتشريعية، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه علوم في الحقوق تخصص قانون عام، كلية الحقوق والعلوم السياسية جامعة محمد خيضر بسكرة.
- جمال الدين دندن: (2017) دور القضاء في العملية الانتخابية دراسة مقارنة بين التشريع الجزائري والتشريع الفرنسي، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم تخصص قانون عام، كلية الحقوق جامعة الجزائر 1.

3 - مقالات علمية

- حمزة عبدلي: (2011) مبدأ شفافية أعمال الإدارة وحق الأفراد في الحصول على المعلومة على المستوى الوطني والمواثيق الدولية، مجلة دراسات وابحاث المجلة العربية للأبحاث والدراسات في العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة زيان عاشور الجلفة، المجلد 11، العدد 02، ص 121 -130.

- رضا هميسي: (2016) ضمان حق النفاذ إلى المعلومات على ضوء الدساتير المغاربية، مجلة العلوم القانونية والسياسية، كلية الحقوق والعلوم السياسية جامعة الوادي، المجلد 07، العدد 03، ص 240 -253.
- سعد كاظم وحيش: (2019) التأصيل الدستوري للشفافية "دراسة مقارنة"، مجلة العلوم القانونية والسياسية، جامعة ديالي العراق، المجلد 08، العدد 01، ص 279 -311.
- عبد الرحمان بوكثير: (2017) نحو تكريس حقيقي للمادة 51 من الدستور الحق في الحصول على المعلومات والوثائق الإدارية، مجلة الباحث للدراسات الاكاديمية، كلية الحقوق والعلوم السياسية جامعة باتنة 1 الحاج لخضر، المجلد 04، العدد 01، ص 182 -202.
- عبد القادر تغريد: (دون تاريخ) الاساس الدستوري لإلزام الإدارة بالشفافية، مجلة الكوفة بالعراق، العدد 34، ص213 -242.
- عبد القادر دنيس: (2018) حرية الحصول على المعلومات والوثائق الإدارية وأثرها على مبدأ شفافية الانتخابات، مجلة القانون، تصدر عن معهد العلوم القانونية والإدارية المركز الجامعي أحمد زبانة بغليزان، المجلد 07، عدد 01 ، ص 139 -160.
- فاطمة الزهرة قرموش: (2017) حق الحصول على المعلومات في الدول الغربية والعربية، المجلة الجزائرية للعلوم القانونية والاقتصادية والسياسية، جامعة يوسف بن خدة الجزائر، المجلد 54، العدد 01، ص 425 -450.
- فرحان نزال المساعيد: (2017) حق الحصول على المعلومات في التشريعات الاردنية، مجلة العلوم القانونية كلية القانون جامعة بغداد، المجلد 32، العدد 02، ص307 -341.
- محمد أمين أوكيل: (2019) حق المواطنين في النفاذ إلى المعلومة كأساس لتفعيل مبدأ المشاركة: البلدية نموذجا، المجلة الاكاديمية للبحث القانوني، كلية الحقوق والعلوم السياسية جامعة بجاية، المجلد 10، العدد 01، ص ص32 -54.
- مصطفى عبد العزيز الطراونة، معاذ وليد مصطفى أبو دلو: (2018) حق المواطن في الحصول على المعلومات من الادارة العامة في القانون الاردني بالمقارنة مع القانون اليمني، مجلة جامعة عمان العربية للبحوث، سلسلة البحوث القانونية، المجلد 01، العدد 01، ص197 -219.

مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ر ت م د: 7163 -1112 ر ت م د إ :2588-1892
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2

الرقم الأسود في جرائم الفساد

The black number in corruption crimes

نوري أحمد [1] ، حوة سالم [2]

1 - كلية الحقوق والعلوم السياسية، قسم الحقوق،مخبر السياحة والإقليم و المؤسسات، جامعة غرداية، الجزائر، nouri.ahmed@univ-ghardaia.dz

2 - جامعة غرداية،الجزائر، salem.haoua@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/05/10 . تاريخ القبول: 2020/11/01

ملخص

كثر الحديث مؤخرا على الفساد والإحصائيات المخيفة الصادرة عن هيئات وطنية وأجنبية خصوصا، والترتيب المريب للجزائر في مصاف الدول الأكثر فسادا، واستقر الفقه والقانون في الجزائر على حصره في نصوص مستقلة عن قانون العقوبات، نظرا لأهميته وتأثيره على السياسة الاقتصادية،ذهبنا من خلال بحثنا إلى التحليل في المواد القانونية المتعلقة بالفساد، وتسليط الضوء على أهم سبب في تفشي الظاهرة وهي التستر عن جرائم الفساد، حيث أن عدم وصول العلم إلى السلطات المختصة، أو نقص المعلومات، يؤثر سلبيا على سير الدعوى العمومية، فالمشرع لم يغفل عن هذه السلوكيات وربطها بإجراءات صارمة للكشف عنها ومتابعة الجرائم.

كلمات مفتاحيه -

الفساد، التستر، الرقم الأسود، الإجرام الحقيقي، إصلاح العدالة

المؤلف المرسل: نوري أحمد: nouri.ahmed@univ-ghardaia.dz

Abstract

The recent talk about corruption and frightening statistics issued by national and foreign bodies in particular, and the suspicious arrangement of Algeria in the ranks of the most corrupt countries, and the jurisprudence and law in Algeria to be limited in texts independent of the Penal Code, because of its importance and impact on economic policy, we went through our research analysis In the legal materials related to corruption, and highlight the most important point in the spread of the phenomenon is covering up the crimes of corruption, as the lack of access to science to the competent authorities, or lack of information, negatively affect the conduct of public prosecution, the legislator did not ignore these methods and linking them to procedures Strictly detectable and follow-up crimes.

Key words:

corruption, cover-up, black figure, real crime, justice reform

مقدمـــة

إن البحث في المجال الجنائي، وما ذهب إليه الفقه من تقسيمات للإجرام،بتصنيفه إلى ثلاث مستويات أولهما الإجرام القانوني وهو الجرائم التي يصل علمها إلى الجهات المختصة وتباشر الدعوى العمومية فيها، والمستوى الثاني هو الإجرام الظاهر ومدلوله الجرائم التي ترتكب ويصل علمها إلى الجهات المختصة ولا تباشر الدعوى العمومية فيها لأسباب قانونية أو احتيالية، أما موضوع دراستنا خصوصا في مجال جرائم الفساد هو الإجرام الحقيقي وما يصطلح عليه بالرقم الأسود، ومدلوله كل الجرائم التي لا يصل علمها إلى الجهات المختصة من نيابة عامة أو ضبطية قضائية، ففي مجال جرائم الفساد وباعتبارها من الجرائم ذات الصفة، وتفردها بالركن المفترض المتمثل بالموظف العام، فالواضح إنها جرائم سهل الكشف عنها خصوصا إنها ترتكب داخل الإدارات. لكن الواقع عكس ذلك، إذ أن معظم الجرائم المنصوص عليها في

القانون 06 -01 المتعلق بالفساد، ترتكب بطرق دقيقة بعيدة عن أعين الرقابة القضائية، فهل يعقل أن يكون في كل إدارة ممثل عن الجهات القضائية.

لم يغفل المشرع عن هذا بل ذهب لأبعد من ذلك، حيث خص مجموعة من جرائم الفساد لاحتمال التستر فيها، ونظم إجراءات صارمة للبحث والتحري سواء على مستوى القانون 06 -01 المتعلق بالفساد، أو على مستوى قانون الإجراءات الجزائية. لأجل ذلك ذهبنا للإجابة على التساؤل التالي: **ما هي السلوكيات المعتبرة تستر عن جرائم الفساد؟ وكيف تعامل معها المشرع في قانون الفساد وقانون الإجراءات الجزائية؟**

اعتمدنا في دراسة الموضوع على المنهج التحليلي، لاعتبار الموضوع يبحث بالتحليل في النصوص القانونية الصادرة في مجال الفساد. والإجراءات المتبعة لكشف المتستر عن جرائم الفساد. حيث عالجناه من خلال أربع محاور، الأول تطرقنا فيه الى جرائم التستر عن الفساد، والمحور الثاني عالجنا التستر الإداري، والمحور الثالث التستر القضائي، والمحور الرابع خرجنا بنتيجة وهي آليات كشف التستر عن جرائم الفساد.

المحور الأول: تستر قانوني

لم يكن القانون في منأى عن السجال والاتهام في كثير من الحالات والتي يشهد القضاء عليها، فقد شملت قرارات المحكمة العليا ملاحظات بخصوص التجاوزات التي جاء بها القانون، والتي تتجه مباشرة إلى التستر عن العديد من الجرائم، وعدم تمكين الجهات القضائية من تحريك الدعوى العمومية.

المطلب الأول: الحصانة

أولا: التعريف القانوني للحصانة

1 - في القانون الداخلي:تتمتع طائفتان من المواطنين في الدولة بالحصانة الموضوعية، وهم رئيس الدولة ونواب الشعب وفقا للقانون الداخلي للبرلمان

بغرفتيه، فتجعل بعض الجرائم لا تخضع للقانون وبالتالي عدم إمكان متابعتهم طبقا لقواعد قانون الإجراءات الجزائية، (خلفي،2015)

2 - في القانون الدولي: تنظم بعض الاتفاقيات الدولية تمتع طائفة من الأجانب داخل القطر الوطني بحصانات تمنعهم من المتابعة الجزائية، أولها الاتفاقية الدولية لامتيازات وحصانة الأمم المتحدة المبرمة في 13 فيفري 1946 اتفاقية المنظمات المتخصصة المبرمة في 21 نوفمبر 1947، وقد صادقت عليها الجمهورية الجزائرية بمرسومين سنة 1963 إضافة إلى المرسوم الرئاسي رقم 259/64 المتعلق بالحصانة والامتيازات الممنوحة للبعثات الدبلوماسية.

ثانيا: تأثير الحصانة في تحريك الدعوى العمومية

1 - محاكمة رئيس الجمهورية: بعد استقراء المادة 177 من الدستور الجزائري التي تنص على تأسيس محكمة عليا للدولة مهمتها محاكمة رئيس الجمهورية عن الأفعال التي يمكن وصفها بالخيانة العظمى، ومحاكمة الوزير الأول عن الجنايات والجنح التي يرتكبها بمناسبة تأدية مهامهما، وقد أحالت الفقرة الثانية من نفس المادة إلى القانون العضوي لتحديد تشكيلة المحكمة العليا للدولة وتنظيمها وسيرها، هذا ما اعتبر تستر فاضح عن السلوك الذي يقوم به رئيس الجمهورية أو رئيس الحكومة في حال ما قام بجريمة من جرائم الفساد، فمنذ صدور التعديل الأخير للدستور في 2006 لم يخرج إلى النور القانون العضوي المأمول لتحديد المحكمة العليا للدولة، وبالتالي يبقى رئيس الجمهورية ورئيس الحكومة في منأى عن المتابعة الجزائية.

2 - متابعة أعضاء البرلمان والدبلوماسيين: لقد اعترف المؤسس الدستوري من خلال المادة 126 من الدستور لنواب وأعضاء مجلس الأمة بالحصانة أثناء مدة نيابتهم البرلمانية، وأشارت المادة 127 على انه لا يجوز الشروع في متابعة أي برماني بسبب جناية أو جنحة، وحددت الإجراءات سحب الحصانة أما من خلال

تنازل صريح من المعني، أو بإذن من إحدى الغرفتين حسب الحالة بأغلبية أعضائه.

أراد المؤسس الدستوري من هته الحصانة توفير حرية العمل والتمثيل اللازمين لنواب الشعب على أحسن وجه، واشترط لقيامها أن يتعلق الأمر بالجرائم المشمولة بالحصانة القولية والكتابية، ومكان اقتراف الأفعال يكون مكان انعقاد الجلسات، وهو ما نصت علية المادة126 وما يليها من الدستور. (خلفي، 2015)

ثالثا: الحصانة غطاء عن جرائم الفساد

الملاحظ من خلال نص المادة الثانية فقرة ب من القانون 01/06 أنها عرفت الموظف "كل شخص يشغل منصبا تشريعيا أو تنفيذيا....."إذن فهم موظفون عموميون في نظر القانون وينبغي التعامل معهم كبقية الموظفين في حال ارتكابهم لجريمة من جرائم الفساد المنصوص عليها بالقانون الساري المفعول. وبعد استقراء المادة 48 من نفس القانون فانه إذا كان مرتكب جريمة أو أكثر في قانون الفساد موظفا يمارس وظيفة عليا في الدولة فانه يكون تحت طائلة الظروف المشددة.

المطلب الثاني: الشكوى

أولا: تعريف الشكوى

1 - التعريف الفقهي: يعرف الفقه الشكوى بأنها"إجراء يباشر من شخص معين هو المجني عليه في جرائم محددة يعبر به عن إرادته الصريحة في تحريك الدعوى العمومية لإثبات المسؤولية الجزائية وتوقيع العقوبة القانونية بالنسبة للمشكو في حقه" (خلفي، 2015)

2 - التعريف القانوني: بما أن موضوع دراستنا هو جرائم الفساد فسوف نسلط الضوء على الشكوى المتعلقة بأعمال التسيير التي استحدثت بموجب تعديل قانون الإجراءات الجزائية 02/15 المؤرخ في 2015/07/23 من خلال المادة 6 مكرر التي ربطت تحريك الدعوى العمومية ضد مسيري المؤسسات العمومية التي تملك الدولة كل رأس مالها أو ذات الرأسمال

المختلط عن أعمال التسيير التي تؤدي إلى سرقة أو اختلاس أو تلف أو ضياع أموال عمومية أو خاصة بشكوى مسبقة من الهيئات الاجتماعية.

ثانيا: تأثير الشكوى في تحريك الدعوى العمومية

1 - من حيث تحريك الدعوى العمومية: يثير نص المادة 6 مكرر إشكالات قانونية من حيث أعمال التسيير وماذا يقصد المشرع من ذلك وحول مسيري المؤسسات العمومية الاقتصادية، بالرجوع إلى القانون التجاري المادة 638 نجد إن مسير شركة المساهمة هو رئيس مجلس الإدارة أو رئيس مجلس المديرين حسب الحالة، وبالنظر إلى المرسوم التنفيذي رقم 290/90 المؤرخ في 1990/09/29 المتعلق بالنظام الخاص بعلاقات العمل الخاصة بمسيري المؤسسات فانه يعتبر المديرين المركزيين مسيرين أيضا. وقد فتح المشرع أيضا المجال بمصطلح أعمال التسيير.

2 - سحب الشكوى: تحريك الدعوى العمومية معلق على شكوى، إلا أنها لا تؤدي إلى تحريكها مباشرة، فللنيابة العامة سلطة الملائمة فقد تحفظ الشكوى لكن الأرجح أنها ستباشر ها، (بوسقيعة، 2018)، وبالرجوع إلى الفقرة الثالثة من المادة 6 من قانون الإجراءات الجزائية نجد انه تنقضي الدعوى العمومية بتنفيذ اتفاق الوساطة أو بسحب الشكوى إذا كانت هذه شرطا لازما للمتابعة.

ثالثا: الشكوى مانع مباشر للكشف عن جرائم الفساد

إن جرائم الفساد المنصوص عليها في القانون رقم 01/06 لم يعلق فيها المشرع الجزائري تحريك الدعوى العمومية على ضرورة تقديم شكوى من طرف المتضرر هذا يعني انه لا مانع من مباشرة الدعوى العمومية تلقائيا من طرف الضبطية القضائية تحت إشراف وكيل الجمهورية المختص، فالشكوى قيد على حرية النيابة العامة في تحريك الدعوى العمومية، فإذا زال هذا القيد تكون النيابة العامة صاحبة الاختصاص الأصيل بالدعوى وتكون هي الوحيدة المختصة بمباشرتها. (خلفي، 2013)

ومن جهة أخرى فان المشرع يجرم عدم الإبلاغ عن الجرائم المتعلقة بالفساد، ويعتبر كل شخص يعلم بحكم مهنته أو وظيفته الدائمة أو المؤقتة بوقوع جرم أو أكثر من جرائم الفساد ولم يبلغ عنها السلطات العمومية المختصة في الوقت الملائم يعتبره في حالة مخالفة لأحكام المادة 47 من القانون 01/06 .

وفي تصريح لوزير العدل حافظ الأختام، فان أن مثل هذا الموقف أصبح الغالب لدى ممثلي هذه المؤسسات وهو ما يجعل من هذه الأحكام المدرجة ضمن المادة 6 مكرر"عائقا قانونيا حقيقيا يؤثر سلبا على أداء النيابة العامة والضبطية القضائية ويقلص من فعاليتهما في محاربة الجريمة الاقتصادية"وأعتبر السيد وزير العدل حافظ الأختام إن إلغاء هذه المادة والرجوع إلى العمل وفق القواعد والمبادئ القانونية المكرسة في مجال التحريات والمتابعة من شانه أن"يعزز حماية المال العام ومكافحة الإجرام المالي

المحور الثاني: تستر إداري

ما يجري داخل أسوار الإدارة لا يمكن لعامة الناس معرفته، وهذا انطلاقا من مبدأ السر المهني، فقد ارتكز معظم مرتكبي السلوك الإجرامي ضنا منهم أن هذا التصرف يبعدهم عن أعين العدالة، ويجنبهم العقاب.

المطلب الأول: الأنظمة واللوائح

أولا : الفساد الناجم عن وضع الأنظمة واللوائح

إن عدم وضوح ملامح النظام القانوني وعدم ضبط الاختصاصات والصلاحيات وعدم الاهتمام بالضوابط الإرشادية، إلى جانب الإسراف في النصوص الإجرائية المعقدة، وعدم الاهتمام بضوابط المسؤولية الإدارية وضبط المساءلة والجزاء، لهو أهم ستار لما يقع داخل الإدارة من فساد ونهب للمال العام.

1 - سوء الصياغة: يتوقف على مدى قوة الأسلوب اللغوي، ومدى تفهم المصطلحات القانونية، فعدم سلاسة الأسلوب كان يذكر عبارة(لا يمكن أي شخص) والصواب لا يمكن لأي شخص)، وقد يرجع سوء الصياغة إلى النقل غير الواعي عن القوانين والنظم الأجنبية. (عبد الفتاح خضر، 2019)

2 - عدم ضبط ووضوح الاختصاصات والصلاحيات: يثار هنا مشكل الاستخدام الأمثل للقدرات والكفاءات ووضع الشخص المناسب في المكان المناسب، فان أهم سبل النجاح للإدارة في تلافي ومكافحة الإهمال والفساد هو التوظيف الأمثل والتوزيع الصحيح للقدرات ، فالفساد يظهر في حال وضع أشخاص في أماكن لا تتناسب ومؤهلاتهم إما لصالح صاحب القرار لوضعهم في هذا المكان أو عن جهل بإمكانيات ومهارات هؤلاء. (سيد عزت، 2010)

ثانيا: الفساد الناجم عن سوء تطبيق الأنظمة واللوائح

حين مسك المسئول للإدارة العامة ويشهر الولاء فعلى الداعمين له يدركون أنه يبذل أقصى جهده للاحتفاظ بولائهم ويجعل من الصعب على الوافد الجديد للسلطة ، كما يمكن أن يحدث تأمر بحيث يفتح الباب للقادم الجديد. (بروس بيونودو، 2014)

المطلب الثاني: تعارض المصالح

أولا: اعتبارها من الجرائم الماسة بالنزاهة والشفافية

1 - عدم التبليغ عن تعارض المصالح: هو الوضع الذي تكون فيه الوظيفة أو المنصب موقع لتغليب المصلحة الخاصة على المصلحة العامة،فالواقع أن الموظف ملزم بإخبار السلطة الرئاسية التي يخضع لها إذا تعارضت مصالحه الخاصة مع المصلحة العامة، وبالنظر إلى نص المادة 34 من نفس القانون فان العقوبة تسلط على حالة عدم الإبلاغ عن تعارض المصالح والمشرع لا يجرم حالة التعارض في حد ذاتها.

ثانيا: دور تعارض المصالح في التستر عن جرائم الفساد

1 - الاختلاف بين النص الفرنسي والنص العربي ، فالنص الفرنسي جاء بعبارات "إذا تلاقت"والنص العربي جاء بعبارة "إذا تعارضت" وهنا يدع مجال للتستر وراء اللفظ الفرنسي لأنه المرجع في حالة اللبس، ومصطلح التعارض أكثر دلالة وهو الذي أخذت به اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد، كما إن

مصطلح التعارض يحمل بذاته التضاد بين المصلحتين العامة والخاصة في حين لا يعطي مصطلح التلاقي أو التطابق هذا المعنى.(سامي محمد غنيم، 2017)

2 - الخلط المادي الواقع في القانون: الملاحظ أن المشرع جرم عدم الإبلاغ عن تعارض المصالح في المادة 34 من القانون 01/06 كل موظف عمومي خالف أحكام المادة 09 من نفس القانون، إلا أن المادة 8 من نفس القانون هي التي حددت مفهوم تعارض المصالح.

المطلب الثالث: عدم التصريح أو التصريح الكاذب

أولا: عدم التصريح بالممتلكات

هو السلوك المنصوص عليه من خلال المادة 36 من القانون 01/06 حيث يعاقب الموظف الذي لم يقم بالتصريح المطلوب حسب نص المادة 4 من نفس القانون، بعد أن يتم تذكيره بالطرق القانونية بعد مضي شهرين من الإنذار والتذكير القانوني.

ثانيا: التصريح الكاذب بالممتلكات

في هذه الحالة يقوم الموظف العام بالتصريح بممتلكاته في الآجال القانونية، إلا أن تصريحه يشوبه الكذب، حيث أنه لا يقدم البيانات المطلوبة بصورة دقيقة وصادقة. أو قام بتصريح غير كامل أو أدلى عمدا بملاحظات خاطئة أو خرق عمدا الالتزامات التي يفرضها القانون.

ثانيا: عدم التصريح أو التصريح الكاذب مانع لكشف جرائم الفساد

كأن يقوم الموظف بالتضخيم من ممتلكاته في التصريح الذي يقوم به عند بداية نشاطه في الوظيفة المعهودة إليه أمام الجهة المخول لها قانونا حسب الحالة المنصوص عليها في المادة 6 من القانون 01/06، وعند نهاية عهدته أو نهاية خدمته لا يمكن اتهامه بالأفعال المتعلقة بالثروة أو الإثراء غير المشروع المنصوص عليها من خلال المادة 37 من نفس القانون، أو أن يقوم بالتقليل منها في التصريح الذي يقوم به أثناء فترة الوظيفة أو بعد انتهاء خدمته.

المحور الثالث: تستر قضائي

لقد أشرنا في المحورين السابقين إلى التشريع أو الإدارة بصفتهما سبيل إلى العمل القضائي، إلا أن ما يجري داخل أسوار العدالة وما يدعو اغلب الشركاء في مجال التحقيق الجنائي إلى الامتناع عن أداء مهامهم يدعو إلى دراسته بصفة مدققة.

المطلب الأول: حماية الشهود والخبراء والمبلغين

في غالب الأحيان يتعرض الشهود والخبراء والمبلغين الذين يوافقون على الإدلاء بشهادتهم بخصوص جرائم الفساد، للانتقام والترهيب من قبل الجناة، وهو أمر يدعو إلى امتناعهم عن القيام بمهامهم سواء في إطار الشهادة، أو التبليغ عن جرائم الفساد، أو القيام بخبرة جنائية على أتم وجه، وبالتالي فتكون سترا وغطاء عن العديد من الجرائم ومن خلالها هدر للمال العام وعدم معاقبة الجناة.

أولا: الحماية الدولية

باعتبارهم عرضة للتهديد أو القتل من قبل أفراد التنظيمات الإجرامية، الأمر الذي يؤدي إلى امتناعهم عن أداء مهامهم، ومن أبرز الاتفاقيات الدولية اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد(UNCAC) اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الجريمة المنظمة(UNTOC) فقد جاءت الأولى من خلال المادة 32 منها بمسألة حماية الشهود وأقاربهم وسائر الأشخاص الوثيقين الصلة بهم، وفرضت تدابير الإجرائية وقواعد خاصة تتيح لهم أداء مهامهم بكل سلامة، وأضافت المادة الثامنة قواعد سلوك الموظفين العموميين إلى وجوب إرساء تدابير ونظم تسهل لهم إبلاغ السلطات المعنية عن أفعال الفساد في حال اكتشافها أثناء أداء وظائفهم، وأن تتخذ الدولة كل التدابير لحمايتهم من كل ما يعترضهم من تهديد. (حسينة شارون، 2017)

ثانيا: الحماية في قانون الإجراءات الجزائية

بالرجوع إلى الأمر 02/15 المعدل لقانون الإجراءات الجزائية، فالمشرع استحدث من خلال المواد من 65 مكرر19 إلى 65 مكرر28 مجموعة من التدابير لحماية الشهود والخبراء، في حال ما كانت حياتهم أو سلامتهم الجسدية أو حياة وسلامة أفراد عائلاتهم أو أقاربهم أو مصالحهم الأساسية معرضة للتهديد أو الخطر بسبب المعلومات التي يمكنهم تقديمها للقضاء متى كانت ضرورية لإظهار الحقيقة في القضايا الجريمة المنظمة والإرهاب والفساد.

وقد أوردت المادة 65 مكرر 20 تدابير غير إجرائية أهمها إخفاء المعلومات المتعلقة بالهوية، ووضع رقم هاتف خاص وأجهزة تقنية وقائية بمساكنهم، وإمكان تغيير إقامتهم إلى جانب منحهم مساعدة اجتماعية ومالية، وأردفت المادة 65 مكرر 23 جملة من التدابير الإجرائية أهمها عدم الإشارة لهويتهم أو ذكر هوية مستعارة، وتلقي التكليف بالحضور عن طريق النيابة العامة، كما أوكل المشرع لهذه الأخيرة من خلال المادة 65 مكرر 22 تنفيذ ومتابعة تدابير الحماية المقررة للشهود والخبراء. (علي شملال، 2016)

ثالثا: العقوبات المقررة

لقد أحالت المادة 239 ق ع التأثير على الخبراء والمترجمين الى نفس العقاب في حالة التأثير على الشهود الوارد في نص المادة 236 التي تعاقب بالحبس من سنة إلى ثلاث سنوات وبغرامة من 20.000الى 100.000دج، وبالنظر إلى قانون الوقاية من الفساد ومكافحته فقد ورد بالمادة 45 من انه يعاقب كل شخص يلجا إلى الانتقام أو الترهيب أو التهديد بأية طريقة كانت أو بأي شكل من الإشكال ضد الشهود أو الخبراء أو الضحايا أو المبلغين أو أفراد عائلاتهم وسائر الأشخاص الوثيقي الصلة بهم بالحبس من ستة أشهر إلى 5 سنوات وبغرامة من 50.000الى 500.000دج، والملاحظ أن قانون الفساد اشتمل أوسع نطاق من قانون العقوبات حيث أضاف الضحايا والمبلغين، وشدد من الحد الأقصى للعقوبة المقررة وخفض من الحد الأدنى للعقوبة .

المطلب الثاني: اثر عدم الحماية في التستر عن جرائم الفساد

أولا :من حيث الإجراءات

بالرجوع إلى نصوص قانون الإجراءات الجزائية خصوصا المواد من 65 مكرر19 إلى 65 مكرر28 وما أورته من تدابير إجرائية وغير إجرائية فقد جاءت في مجملها عامة تخص جرائم القانون العام، وإذا نظرنا إلى خصوصية قانون الفساد والأهمية البالغة التي أوردها له المشرع نظرا لخروجه عن القواعد العامة خصوصا من حيث التقادم الذي استثنى فيه جريمة الاختلاس أو في حال تحويل عائدات الجرائم إلى الخارج، وتعميق مجال التجريم وتوسيعه حيث أصبحت جريمة الرشوة تسلط أيضا على الموظف العمومي الأجنبي والقطاع الخاص، (كور طارق، 2019) وبالتالي فان مسألة حماية الشهود والمبلغين والخبراء لم تعد تكتفي بهذا القدر من الحماية وباتت مسألة التستر وراء غطاء عدم كفاية الحماية يدعو إلى اختفاء العديد من المجرمين وتصنيفهم في صنف الإجرام الحقيق او بما يسمى بالرقم الأسود.

ثانيا: من حيث العقاب

بعد استقراء المواد 236 و 239 من قانون العقوبات، وما جاءت به المادة 45 من قانون الوقاية من الفساد ومكافحته، وانطلاقا من أنها خفضت من الحد الأدنى للعقوبة ورفعت من الحد الأقصى للعقوبة، فإنها تركت المجال للتملص من العقاب وجعلت من المبلغ والشاهد والخبير ينظر إلى الحد الأدنى فقط، ويرى أن حياته مهددة وحياة عائلته وأقربائه خصوصا وأن الرأي العام يرى العقاب المسلط على المعتدين. وبالتالي نكون أمام تستر مباشر على جرائم الفساد حيث انها تدعو المبلغين من التردد عن الإبلاغ والشاهد الامتناع عن أداء شهادته والخبير عن الدلاء بخبرته على أتم وجه.

المطلب الثالث: دور القضاء في التستر عن جرائم الفساد

أولا: المفتشية العامة للمالية

لقد أعطاها المشرع اختصاصات معتبرة انطلاقا من المرسوم التنفيذي رقم 272/08 المؤرخ في 2008/09/06، (كور طارق، 2019)تسمح لها بالتدخل وتفتيش الهيئات إلا أنه ما صدر عنها من نتائج منذ تأسيسها ليست في مستوى ما كان منتظرا منها، والتقارير التي أعدتها سواء الدورية أو السنوية مجرد ملاحظات ونتائج وليست ملزمة للهيئات القضائية. (حماس عمر، 2017)

ثانيا: مجلس المحاسبة

أسس بموجب القانون رقم 05/80 حيث يتمتع بصلاحيات واسعة على الدولة أو الهيئات التابعة لها في تسيير الأموال،وقد منحه المشرع صلاحيات غير مباشرة تتعلق بضبط وكشف المخالفات المالية وجرائم الفساد المالي والإداري، وذلك من خلال قيامه بالتفتيش والتحقيق والتحري والتدقيق وإحالة الملف على النيابة العامة. (حماس عمر، 2017)

ونظرا لأنه تابعا للسلطة التنفيذية وعدم تمتعه باستقلالية تجعله عاجزا عن أداء مهامه،بالإضافة إلى اللامبالاة وعدم الاهتمام بالتقارير الدورية التي يعدها، تجعل من ورائه تسترا عن جرائم الفساد.

المحور الرابع: آليات كشف التستر عن جرائم الفساد.

المطلب الأول: الآليات الإدارية

أولا الإصلاح المحاسبي

حسب رأي مجلس المحاسبة الوطني فان الإصلاح المحاسبي يعد أفضل خيار خصوصا بعد اعتماده على معياري IFRS و IAS المنصوص عليهما في إطار عرض القوائم المالية، والهدف منه تفادي الفساد المالي والأزمات الاقتصادية وتحقيق الإفصاح والشفافية، وذلك من خلال:

- إعداد معلومات دقيقة تعكس صورة الوضعية المالية للمؤسسات الاقتصادية.
- تمكين العامة من الحصول على المعلومات المالية والمحاسبية في إطار الشفافية لتمكين المستثمرين من اتخاذ قراراتهم الصائبة. (عبد الباسط مداح، 2018)

ثانيا:التصدي المؤسساتي

1 - المعايير الموضوعية في التوظيف: نصت المادة الثانية من القانون 01/06 على انه "تراعى في توظيف مستخدمي القطاع العام وفي تسيير حياتهم المهنية القواعد الآتية: مبادئ النخاعة والشفافية والمعايير الموضوعية مثل: الجدارة والإنصاف والكفاءة..."

انطلاقا من قوله تعالى: ((قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ)) (سورة القصص، آية 26)**، وبالوقوف على ما جاء به المشرع فانه ينبغي تعيين الموظف على أساس تكافؤ الفرص القائم على الجدارة والاستحقاق والكفاءة، ولا يكون على أساس إقليمي أو قبلي أو علاقات عائلية أو شخصية،** (نجار الويزة، 2014)

2 - مكافحة التستر الإداري على أعمال الفساد: لقد اقترحت المنظمة العربية للتنمية الإدارية بعض الحلول لهذه الظاهرة أهمها:

- **الاهتمام بالتغيير في قطاع الإدارة وجعلها أكثر تكيفا مع التحولات الجديدة.**
- **الاهتمام بالكفاءة وفاعلية تقديم الخدمات العامة من خلال تبني اللامركزية القائمة على توزيع وتفويض السلطات والاختصاصات الى المستويات الأدنى.**
- **السعي الى تحسين مستويات الأداء في الجهاز الإداري للدولة، من خلال تحديث طرق العمل وأساليبه وإجراءاته والوصول إلى إدارة أكثر فاعلية للموارد البشرية.** (بن مرزوعنترة، 2008)

المطلب الثاني: الآليات القانونية

لقد بدأ المشرع الجزائري بجملة من الإصلاحات منها ما هو ساري المفعول ومنها ما هو مشروع قانون

أولا: امتياز التقاضي

العام لدى المحكمة العليا الذي يرفعه إلى الرئيس الأول للمحكمة العليا و لهذا الأخير أن يعين قاضي من المحكمة العليا لإجراء التحقيق.

1 - قضاة المجالس و رؤساء المحاكم ووكلاء الجمهورية

2 - نصت المادة 575 إ ج ج على أنه يتعين على وكيل الجمهورية الذي أخطر بالدعوى إحالة الملف بالطريق أعضاء الحكومة , قضاة المحكمة العليا , الولاة , رؤساء المجالس و النواب العامون لدى المجالس

وفقا للمادة573 إ ج ج يتعين على وكيل الجمهورية الذي أخطر بالجريمة إحالة الملف بالطريق السلمي إلى النائب السلمي

إلى النائب العام لدى المحكمة العليا الذي يرفعه بدوره إلى رئيس المحكمة العليا و لهذا الأخير أن ينتدب قاضي

تحقيق من خارج دائرة اختصاص المجلس الذي يعمل فيه القاضي المتابع جزائيا.

3 - قضاء المحاكم و ضباط الشرطة القضائية

نصت عليها المادتين 576 و 577 إ ج ج حيث يقوم وكيل الجمهورية بإرسال الملف إلى النائب العام لدى المجلس

القضائي الذي يعرضه بدوره على رئيس المجلس القضائي فيأمر بفتح تحقيق في الدعوى و يعين قاضي تحقيق خارج دائرة اختصاص المحكمة التي يعمل بها القاضي المتابع أو ضابط الشرطة القضائية المتابع (يخضعون لنفس إجراءات المتابعة)

ثانيا: مشروع تعديل قانون الإجراءات الجزائية

"تشير وثيقة مشروع القانون الذي يقترح تعديل قانون الإجراءات الجزائية، أن مراجعته في هذا التوقيت بالذات تهدف إلى تعزيز الإطار القانوني لمكافحة مختلف أشكال الإجرام بإلغاء الأحكام التي كان لها أثر سلبي في تحريك الدعوى العمومية وتلك التي أدخلت قيودا على عمل الشرطة القضائية.وفي هذا الإطار يقترح المشروع إلغاء المواد 6 مكرر و15 مكرر و15 مكرر1 و15 مكرر2 من

قانون الإجراءات الجزائية، ويتعلق الأمر بالمادة التي تشترط الشكوى المسبقة من الهيئات الاجتماعية للمؤسسات لتحريك الدعوى العمومية ضد مسيري المؤسسات العمومية الاقتصادية التي تملك الدولة كل رأسمالها أو ذات الرأسمال المختلط عن أعمال التسيير التي تؤدي إلى سرقة او اختلاس أو تلف أو ضياع أموال عمومية أو ضياع أموال عمومية أو خاصة المنصوص عليها في المادة 6 مكرر من قانون الإجراءات الجزائية أو المدرجة فيه بموجب الأمر رقم 15 -02 الصادر سنة 2015، ويندرج هذا الإلغاء في إطار تعزيز حماية المال العام ومكافحة الإجرام المال"

ثالثا: تعديل قانون الإجراءات الجزائية

تضمنت الجريدة الرسمية في عددها الأخير الصادرة في 11 ديسمبر سنة 2019 القانون رقم 19 -10 المعدل للأمر رقم 66 -155 المؤرخ في 18 صفر عام 1386 الموافق 8 يونيو سنة 1966 والمتضمن قانون الإجراءات الجزائية. جملة من التعديلات من خلال إدراج مراجعة تتعلق بشروط تحريك الدعوى العمومية في مجال الجرائم ذات الصلة بالمال العام وكذا صلاحيات ومهام ضباط الشرطة القضائية التابعين للمصالح العسكرية للأمن، علاوة على مراقبة عمل ضباط الشرطة القضائية من قبل غرفة الاتهام عبر مراجعة التدابير المستحدثة الخاصة بتأهيل ضباط الشرطة القضائية للممارسة الفعلية للصلاحيات المرتبطة بهذه الصفة.

ثالثا: مشروع تعديل قانون الفساد

"يشمل مشروع القانون على أحكام جديدة تتعلق بحماية الشخص المبلغ عن الفساد من أي إجراء يمس بوظيفته أو ظروف عمله, ويوفر إمكانية لجوء المبلغ إلى قاضي الاستعجال لوقف الإجراءات التي اتخذت ضده دون الإخلال بحقه في طلب التعويض. وتعزز هذه الأحكام الجديدة إجراءات حماية الشهود والضحايا والخبراء المنصوص عليها في قانون الإجراءات الجزائية, تماشيا مع أحكام المادة 33 من اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد التي تطلب من الدول اتخاذ

التدابير الملائمة لتوفير الحماية للمبلغين عن الفساد.كما يتضمن مشروع القانون هذا استحداث وكالة وطنية لتسيير عائدات جرائم الفساد المحجوزة أو المجمدة، الناتجة عن ارتكاب الجرائم المنصوص عليها في القانون رقم 06 -01، بهدف تحسين فعالية القضاء الجزائي في مجال مكافحة الفساد والجريمة المنظمة وتعزيز مصداقية الأحكام الجزائية في جانبها المتعلق بتجميد وحجز الأموال الناتجة عن الجريمة، وتمكين الجزائر من استرجاع الأموال المترتبة على هذه الجرائم". (وكالة الأنباء الجزائرية، 2019)

المطلب الثالث: الآليات القضائية

أولا: إصلاح العدالة

خلق اختصاص إقليمي موسع يقابله اختصاص نوعي و توطيد عمل قضائي نشط بداية من التحري إلى الحكم حيث كشف وزير العدل حافظ الأختام يوم 24 أكتوبر2019، عن إجراء حركة واسعة في سلك القضاء، شملت 2998 قاضياً .وقال وزير العدل خلال إشرافه على افتتاح الدورة الخاصة بالمجلس الأعلى للقضاة بالمحكمة العليا في الجزائر العاصمة، بأن "الحركة المقترحة تمت على معايير موضوعية محدّدة سلفا، شملت الجميع، مستمدة من عملية فحص دقيق لواقع تسيير الموارد البشرية في القطاع (قدور جربوعة، 2019)

أوضح رئيس النقابة الوطنية للقضاة أن نقابته دعت إلى استقلالية القضاء والدستور في إطار التعديل و هو الذي يمنح الاستقلالية للسلطة القضائية بشقيها الخارجي و الداخلي، مشددا على ضرورة إعادة النظر في الآليات كاستقلالية القاضي و لكل سلطة الحق في تحديد الميزانية المالية الخاصة بها و هذا الإجراء موجود في كل دول العالم حتى نساير التقدم في كل الجوانب. (جمال العيدوني، 2019)

ثانيا:إنشاء أقطاب متخصصة

يعد جهاز القضاء الفعال من العوامل الأكيدة والضرورية للحد من الفساد، وبما أن القضاء ضرورة لابد منها لحماية سيادة القانون،(شرع عبد الرزاق، 2019)، فقد

ذهب المشرع الجزائري إلى فكرة القضاء المتخصص من خلال تطبيق القانون العضوي رقم 11/05 المؤرخ في 17 يونيو 2005 المتضمن إنشاء أقطاب قضائية متخصصة، حيث نصت المادة 24 منه على إنشاء جهات قضائية متخصصة في بعض الجرائم التي حددت على سبيل الحصر منها جرائم الفساد، وذهب إلى أبعد من ذلك إلى تمديد اختصاص لبعض المحاكم ووكلاء الجمهورية وقضاة التحقيق وهذا ما جاء به المرسوم التنفيذي رقم06/345 المؤرخ في 2006/10/5 المعدل والمتمم بالمرسوم التنفيذي 16/267 المؤرخ في 2016/10/17.

ثانيا: تفعيل دور الجهات الرقابية

تفعيل دور مجلس المحاسبة، باعتباره مؤسسة دستورية وإعطائها مكانتها للكشف عن جرائم الفساد، هذا من جهة والعمل على تكاتف الجهود مع المفتشية العامة للمحاسبة من خلال تدقيق الرقابة المحاسبية للمؤسسات الاقتصادية، أو انجازات الإدارات العمومية.

نلاحظ مؤخرا جهود كبيرة يقوم بها القائمين على جهاز العدالة وما أحيطت به من ضمانات خول لها العمل بثقة من خلال متابعة الضالعين في قضايا الفساد خصوصا من كانوا تحت غطاء السلطة أو الحصانة بأنواعها، ومن أهم الأعمال المنجزة:

1 - رفع الحصانة عن برلمانيين ومحاكمتهم عن جرائم الفساد

2 - محاكمة مسئولين ساميين في الدولة عن طريق امتياز التقاضي الذي تحدثنا عنه سابقا.

الخـاتمة

من المعروف عند رجال القانون أن الجرام الحقيقي يمثل مجموع الجرائم التي تقع بالفعل و بالضبط في مجتمع ما ،و هي ما يسمى بالمجهول في علم الإجرام ،لأن المجتمع يصعب عليه أن يعرف الرقم الصحيح لكل الجرائم التي تقع و هذا ما نسميه الرقم الأسود الذي هو الفارق بين الجريمة الظاهرة و

الجريمة الحقيقية، أما في مجال جرائم الفساد فالحديث عن ذلك يذهب بنا الى ما يعرف بالتستر وراء القانون، وبالعامية تغطية الشمس بالغربال، وما لا يختلف عليه رجل القانون والشخص العادي عن مظاهر الثراء التي ظهرت في الآونة الأخيرة، ومقارنتها بالانجازات المحققة، فالمنطق يقول أن المصلحة العامة تعلو على المصلحة الخاصة وان ما يحققه الفرد لخدمة العامة يفوق ما ينجزه أو ما يصرفه لضروراته الشخصية، إذن فالفساد الحقيقي لا يمكن الكشف عنه بطرق عادية أو بتحقيقات مهما كانت طبيعتها، وموضوع دراستنا أردنا من خلاله تسليط الضوء عن حجم التحايل سواء بطرق قانونية تمكن صاحبها من التخفي وجعل القانون ذريعة في صد أي اتهام، أو بطرق إدارية يدخل فيها دهاء الموظف وحنكته ، أو بطرق قضائية كما اشرنا سابقا، ومن خلال هذه الدراسة توصلنا إلى نتائج وتوصيات هذه أهمها:

النتائج

التفسير العلمي لظاهرة الجريمة يقتضي الوقوف على حركة الإجرام و ما يطرأ عليها من تغيير باختلاف الزمان و المكان ، و لدراسة هذه الحركة فالأسلوب الشائع ينحصر في تحديد العلاقة بين عدد الجرائم و بين بعض التغيرات الاجتماعية أو الاقتصادية أو الجغرافية و يقوم هذا الأسلوب على إحصاء الجرائم.

التوصيات

- **ترك المجال لرجال القانون وعلماء الإجرام للبحث في مجال الإجرام الحقيقي خصوصا ما تعلق منها بجرائم الفساد.**
- **البحث عن صيغ قانونية لمكافحة مثل هذه السلوكيات.**
- **إصلاح قطاع العدالة بما يتوافق مع ما وصل إليه تطور الجريمة**
- **التقليل من العمل بنظام الميزانية السنوية، ومحاولة حث المسؤولين المحليين على متابعة المشاريع والبحث عن تمويلات جديدة للميزانية المحلية.**

قائمة المصادر والمراجع

المصادر

القرآن الكريم

الحديث الشريف

الدستور الجزائري لسنة 1996 المعدل بموجب القانون 16 -01 المؤرخ في 06 مارس 2016، ج ر عدد 14 الصادر بتاريخ 07 مارس 2016.

النصوص القانونية

القانون رقم 15 -19 المؤرخ في 2015/12/30، المعدل والمتمم للأمر 66 -156، المؤرخ في 1966/07/08، المتضمن قانون العقوبات، ج ر 2015/71.

أمر رقم 66 -155 مؤرخ في 8 يونيو 1966 يتضمن قانون الإجراءات الجزائية، معدل ومتمم بالقانون 17 -07 المؤرخ في 27 -03 -2017،ج ر عدد 20 صادرة بتاريخ29 مارس 2017.

القانون رقم 90 -32 المؤرخ في 1990/12/4 يتعلق بمجلس المحاسبة وسيره، ج ر عدد 53 صادرة بتاريخ 1990/12/5.

قانون رقم 05 -02 مؤرخ في 6 فبراير سنة 2005، يعدل و يتمم الأمر رقم 75 -59 المؤرخ في 26 سبتمبر سنة 1975 و المتضمن القانون التجاري، ج ر عدد 11 صادرة بتاريخ 09 فيفري 2005.

أمر رقم 01/06 المؤرخ في 2006/02/20 المتعلق بالوقاية من الفساد ومكافحته، المعدل بالأمر 05/10 والقانون 05/11 المؤرخ في 2011/08/02.

المرسوم التنفيذي رقم 80 -53 المؤرخ في 1980/03/01 المتضمن إحداث المفتشية العامة للمالية، ج ر عدد 10 صادرة بتاريخ 1980/03/4

المرسوم التنفيذي رقم 08 -272 المؤرخ في 06 سبتمبر 2008 المحدد لصلاحيات المفتشية العامة للمالية، ج ر عدد 50 صادرة بتاريخ 2008/09/7.

المرسوم التنفيذي رقم345/06 المؤرخ في 2006/10/5 المعدل والمتمم بالمرسوم التنفيذي 267/16 المؤرخ في 2016/10/17، ج ر عدد 62 صادرة بتاريخ 2016/10/21.

الكتـــــب

أحسن بوسقيعة،(2018)، الوجيز في القانون الجزائي الخاص، الجزء الثاني، الطبعة 17، دار هومة الجزائر.

بروس بيونودو مسيقتا ألستر سميث، (2014)،الفساد سبيلا للاستيلاء على السلطة والحفاظ عليها، ترجمة فاطمة نصر، مكتبة الأيرة،.

عبد الرحمن خلفي،(2015)، شرح قانون العقوبات الجزائري، موفم للنشر، الجزائر.

علي شملال، (2016)، المستحدث في قانون الإجراءات الجزائية الجزائري، الكتاب الثاني، دار هومة، الجزائر.

الرسائل والمذكرات

حماس عمر، (2017/2016)،أطروحة دكتوراه حول جرائم الفساد المالي واليات مكافحتها في التشريع الجزائري، جامعة تلمسان،

عبد الباسط مداح، (2018/2017)،أثر جودة المعلومات المحاسبية في الكشف عن الفساد المالي في ظل تبني حوكمة الشركات، أطروحة دكتورا،جامعة محمد بوضياف، المسيلة،.

نجار الويزة،(2014/2013)، التصدي المؤسساتي والجزائي لظاهرة الفسادفي التشريع الجزائري، رسالة دكتوراه، جامعة منتوري، قسنطينة.

سامي محمد غنيم، (2017/2016)،جرائم الفساد في التشريع الجنائي الفلسطيني والجزائري، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر1،

بن مرزوق عنترة، (2008)،الرقابة الادارية ودورها في مكافحة الفساد الاداري في الادارة الجزائرية، مذكرة ماجستير، جامعة برج بوعريريج،

المقالات العلمية

حسينة شرون،(2017/01/10)، فاطمة قفاف، النظام القانوني لحماية الشهود والمبلغين في التشريع الجزائري، مجلة الدراسات والبحوث القانونية، العدد الثالث،جامعة بسكرة،

سيد عزت، (2010)،مكافحة الفساد، مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار، مصر،

عبد الرحمن خلفي، الحق في الشكوى في التشريع الجزائري والمقارن، مجلة الاجتهاد القضائي، العدد التاسع، جامعة بجاية.

شرع عبد الرزاق، كيحول بوزيد،(2019)، الاليات الوقائية والردعية لمكافحة الفساد في الشريعة الاسلامية والتشريع الجزائري، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، المجلد 12، العدد 2

المواقع الالكترونية

- عبد الفتاح خصر، (أثر الأنظمة واللوائح في التنمية الإدارية) موقع، www.kotobarabia.com، تاريخ الولوج، 2019/10/17،
- -كور طارق، مكافحة جرائم الفساد وفقا لأخر تعديلات (دراسة تحليلية وتطبيقية)

2019/10/26https://courdeconstantine.mjustice.dz/kour%20tarek%201206.pdfhttps://www.echoroukonline.com الولوج تاريخ

26أكتوبر 2019 على الساعة 16:00

-وكالة الأنباء الجزائرية، (مشروع القانون المتعلق بمكافحة الفساد أمام نواب المجلس العشبي الوطني

http://www.aps.dz/ar/algerie/66526-2019-02-04-18-31-03 تاريخ الولوج 2019/10/26

-قدور جربوعة، (حركة في سلك القضاة شملت ثلاثة الاف قاض)، عن الموقع، https://www.djazairess.com/elhiwar/1157442تاريخ الولوج 2019/10/27 على الساعة 15:00

- جمال العيدوني،(يجب إعادة النظر في آليات استقلالية السلطة)
- http://www.radioalgerie.dz/news/ar/article/20150330/35391.html تاريخ الولوج 2019/10/27:

مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ر ت م د: 7163 -1112 ر ت م د إ :1892-2588
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2

تحقيق مقومات الأمن القضائي بقيام مسؤولية الدولة عن أعمال السلطة القضائية

The achievement of the judicial security through the state 's responsibility for the judiciary works

خلود كلاش [1] ، سامية بلجراف[2]

1 - كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة عباس لغرور -خنشلة -
kh.kalache@gmail.com

2 - كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة محمد خيضر -بسكرة -
Droit_alg@live.fr

تاريخ الاستلام: 2020/05/06 تاريخ القبول: 2020/12/06

ملخص -

سنقوم من خلال هذه الدراسة بتوضيح أوجه قيام مسؤولية الدولة عن أعمال السلطة القضائية باعتبارها من أهم مظاهر تكريس الدولة القانونية وتحقيق الأمن القضائي، والتي كان لها تكريس دستوري ضمن أوجه متعددة ونصوص قانونية متفرقة، والمتمثلة في حق المتضرر الحصول على التعويض عن الحبس المؤقت غير المبرر والتعويض عن الخطأ القضائي وفقا لقانون الإجراءات الجزائية؛ وذلك في إطار البحث عن الضمانات التي تمنح للطرف المتضرر من أعمال السلطة القضائية الحق في التعويض. لنؤكد في نهاية الدراسة أن مقتضيات الأمن القضائي تستوجب تحقيق التوازن بين حق المجتمع في الحماية والأمن وحق الفرد في محاكمة عادلة ومنصفة.

المؤلف المرسل: خلود كلاش: kh.kalache@gmail.com

الكلمات الدالة:

الأمن القضائي، مسؤولية الدولة، الحبس المؤقت، الخطأ القضائي.

Abstract:

in this study, we will illustrate the state's responsibility for the Judiciary works as one of the most important aspects of legal state's dedication and the achievement of the judicial security , which has had a constitutional enshrinement among many facets and scattered legal texts, and represented in the right of an injured party to get a compensation for unjustified detention on remand and the compensation for a miscarriage of justice in line with the code of Penal Procedure, And in the context of searching for the guarantees which gives the injured party from the judicial work, the right of compensation. at the end of the study Let us confirm that, the requirements of judicial security are required the balance between the right of society in protection and security and the person's right in a fair trial.

Key words:

judicial security- The state 's responsibility – the detention on remand - the miscarriage of justice.

1. مقدمة

نظرا للتطور الذي حدث في مفهوم الأمن بصفة عامة؛ إذ لم يعد مقتصرا على المفهوم التقليدي المنحصر في وظيفة الدولة لتحقيق الاستقرار والأمن والطمأنينة في المجتمع، بل تطور إلى ما هو أكثر من ذلك بسعي الدولة إلى تكريس مقومات الأمن القانوني واقترانها بتعزيز ثقة الأفراد فيما يصدر عن السلطة القضائية، بضمان سيادة القانون واستقلالية السلطة القضائية إثر الفصل في النزاعات، إلى درجة تكريس مبدأ الأمن القضائي

بكافة مظاهره؛ (سرعة الفصل في النزاعات، تنفيذ الأحكام القضائية وضمان جودة الأحكام).

نجد أن التعديل الدستوري لسنة 2016 قد جاء بمجموعة من المبادئ والمفاهيم أقل ما يمكن أن يقال عنها؛ أنها غيرت من المنظور الكلاسيكي للدولة الديمقراطية التي كانت سائدة سابقا وفق الأطر الدستورية السابقة، كما ساهمت في تعزيز الصلاحيات الممنوحة للهيئات القضائية لحماية الحقوق والحريات الأساسية للمواطنين، خاصة بتفعيل آلية الدفع بعدم الدستورية لتعزيز الثقة في السلطة القضائية وإضفاء الحجية على ما يصدر منها من أحكام؛ ومن ثمة تحقيق الأمن القضائي.

وفي إطار ممارسة السلطة القضائية لمهامها فإنها تلتزم بتوفير آليات تضمن حسن سير القضاء، كاستقلاليته، وجودة أحكامه، وسهولة الولوج إليه ونجاعته، لكن بالنظر للأهمية التي تحتلها هذه السلطة في تنظيم الدولة، فإن هذا الأمر لا ينفي إمكانية حدوث أخطاء من طرف القضاة إثر فصلهم في النزاعات، والتي قد تؤثر وبشكل مباشر على الحريات الأساسية للأفراد، مما يستوجب ضمان حماية دستورية من أجل تدارك الضرر الناتج عن الخطأ القضائي.

فكضرورة لتحقيق الأمن القضائي وجب قيام مسؤولية الدولة للتعويض عن الأضرار المترتبة عن أعمال السلطة القضائية والخطأ القضائي؛ إذ لم تكن الدولة مسؤولة عن أعمالها الضارة استنادا إلى مبدأ سيادة الدولة، إلا بعد صدور حكم بلانكو الشهير في 1873 عن محكمة التنازع الفرنسية، الذي أرسى قواعد مسؤولية الدولة عن أعمالها الضارة، وذلك قصد تحقيق التوازن بين المصلحة العامة والمصلحة الخاصة للأفراد. وهو ما تبلور في النص الدستوري

الذي جاءت به المادة 61 من الدستور "يترتب عن الخطأ القضائي تعويض من الدولة". إلا أن السؤال الذي يمكن طرحه هو:

إلى أي مدى يمكن اعتبار قيام مسؤولية الدولة عن أعمال السلطة القضائية من مظاهر تحقيق مقومات الأمن القضائي؟ وماهي الضمانات القانونية التي كفلها المشرع قصد حماية المتضرر من الخطأ القضائي تكريسا لمبدأ الأمن القضائي؟

في إطار محاولتنا للإجابة عن الاشكالية المطروحة فإننا نسعى إلى اختبار صحة الفرضيات التالية:

- التعويض عن أعمال السلطة القضائية ضرورة حتمية لتكريس مقومات الأمن القضائي نظرا لمساسها بالحرية الشخصية للأفراد، وصعوبة إزالة الآثار المترتبة عن الخطأ فيها.
- تظهر فعالية قيام مسؤولية الدولة عن أعمال السلطة القضائية، في الضمانات التي تكفل حماية حقوق الانسان والتي تدعم قرينة البراءة.

من أجل دراسة مختلف جوانب الموضوع استعملنا قواعد المنهج التحليلي؛ بتحليل مجموعة من النصوص القانونية وحتى الأحكام القضائية، التي وضحت القواعد الموضوعية والاجرائية لقيام مسؤولية الدولة عن أعمال السلطة القضائية والربط بينها وبين مظاهر تحقيق الأمن القضائي.

2.مبدأ الأمن القضائي –المفهوم ومقومات التجسيد –

يعتبر تطبيق القاعدة القانونية مهما كان مصدرها دستورا أو تشريعا عاديا أو فرعيا، من أهم الالتزامات التي تقع على أعوان السلطة القضائية أو القضاة، والتي يجب من خلالها تحقيق وحدة النظام القضائي وانسجامه وتكامله، قصد شيوع الثقة فيما يصدر عن الهيئات القضائية بمختلف درجاتها وفروعها، والتي ينبغي أن تمارس عملها بكل نزاهة واستقلالية، وبالشكل الذي يجعل من الأحكام الصادرة عنها ذات حجية في مواجهة أطرف النزاع، من أجل

تكريس مقومات الأمن القضائي كمطلب اجتماعي وضرورة لقيام الدولة الديمقراطية.

1.2 مفهوم الأمن القضائي

يصعب إعطاء تعريف جامع لمبدأ الأمن القضائي؛ لأنه غالبا ما يُقدّم كإطار عام لمجموعة كبيرة من المبادئ والحقوق المرتبطة به، أو كغاية محورية لكل نظام قانوني، ومطلبا أساسيا للدولة القانونية هذا من جهة أولى.

ومن جهة ثانية يصعب تعريفه لأنه متعدّد المظاهر ومتنوّع الدلالات وكثير الأبعاد والمجالات، لذا لا يمكن سوى التحقّق من وجوده في ظروف معيّنة وليس تعريفه بصفة مجرّدة. إذ يُعبّر عنه بتعبيرات تتمحور حول مبادئ محدّدة؛ كواجب القاضي في الفصل طبقا للقوانين المطبقة يوم تقديم الطلب أو رفع الدعوى، مبدأ الفصل بين السلطات، مبدأ عدم رجعية القواعد القانونية، احترام حجية الشيء المقضي فيه، حماية مبدأ الثقة المشروعة واحترام الحقوق المكتسبة.

وفي إطار البحث حول الرأي الفقهي لتحديد مفهوم الأمن القضائي؛ نجد بأنه هناك من عرفه من منظور موسع "يقصد بالأمن القضائي الثقة في السلطة القضائية بكافة درجاتها، وما تصدره من أحكام أثناء قيامها بوظيفتها، وذلك مرتبط بالعديد من عناصرها كجودة أدائها، وسهولة اللجوء إليها، ومدى استقلاليتها" (فتيحة بوغقال، 2018، صفحة 259)

كثيرا ما ارتبط الأمن القضائي بالأمن القانوني، هذا الأخير المرتكز على ضرورة وجود قاعدة قانونية واضحة، دقيقة وغير منفصلة عن مبدأ الحق، ذات صبغة إلزامية وتساعد على تحقيق التوازن بين المراكز القانونية للأفراد في المجتمع. (ناكرة يى نجدت صبري، 2011، صفحة 12)

فلتحقيق الأمن القضائي من طرف القضاة يتعين وجود منظومة تشريعية متكاملة متلائمة مع التشريعات الدولية ومتطابقة مع مقتضيات الدستور (محمد بوكماش، 2017، صفحة 142)

وبالتالي فهو ليس مجرد فكرة نظرية؛ وإنما هو ممارسة تقتضي الوضوح في المراكز القانونية للأفراد، والمساواة أمام القانون، مع ضمان الحماية القضائية لها، خصوصا في المنازعات التي تكون الدولة طرفا فيها، باعتبارها الطرف الأقوى في العلاقات القانونية، ذلك لأن خضوع الدولة للقانون، وتجسيد مبدأ المشروعية بمفهومه الموسع، يعتبر كشرط أساسي لتحقيق الأمن القانوني والقضائي معًا في البناء الديمقراطي. (عليان بوزيان، 11،12 نوفمبر 2014، صفحة 10)

فالغاية من الأمن القضائي هو ضمان سيادة القانون، من خلال استقلال السلطة القضائية وجودة الأحكام وسرعة الفصل في النزاعات أيضا تنفيذ الأحكام القضائية ضد الإدارة. (عبد القادر بوراس، 2018، صفحة 113) .

لم ينص المشرع الجزائري صراحة على مبدأ الأمن القضائي في الدستور، على عكس ما جاء في الدستور المغربي الصادر في 2011 الذي أكد على ضرورة تكريس الأمن القضائي، وجعل منه مبدأ دستوري تتقيد به السلطة القضائية عند إصدارها لأحكامها، تحت طائلة عدم الدستورية في حالة مخالفته، فكان ذلك من خلال النص الصريح عليه في الفصل 117 منه إذ جاء فيه:" يتولى القاضي حماية حقوق الأشخاص والجماعات وحرياتهم وأمنهم القضائي وتطبيق القانون".

لكن المشرع الجزائري قد كرس العديد من الآليات التي يُمكن من خلالها الالتزام بهذا المبدأ، ذلك على اعتبار أنه يجب أن تتضمن معظم دساتير الدول الديمقراطية بعض الأحكام التي ينبغي على المشرع التقيد بها عند صياغته للقواعد القانونية أهمها:

- الالتزام بالمواثيق الدولية لحقوق الإنسان التي تمت المصادقة عليها.
- الالتزام بالمبادئ الأساسية للديمقراطية (الحرية –المساواة – العدالة الاجتماعية). (سعد الخطيب، 2013، صفحة 127)

يمكن ضمان الأمن القضائي ودعم فعاليته باعتماد آليات تُمكن من توحيد الاجتهاد القضائي لتفادي ظاهرة التضخم والتضارب في الأحكام، أيضا إقرار آليات قانونية ردعية تجعل من الدولة مسؤولة عن مظاهر الاخلال بالأمن القضائي كالتعويض عن الخطأ القضائي (فتيحة بوغقال، 2018، صفحة 260).

إذن خلاصة لما سبق قوله يتضح لنا أن مفهوم الأمن القضائي يتجلى في توفير قدر من الثقة والاطمئنان لدى المتقاضين عند لجوئهم للسلطة القضائية، وهذا الأمر لا يتحقق إلا من خلال الرقي بمستوى الخدمات التي يؤديها مرفق القضاء، وذلك بدسترة حق المواطن في اللجوء إليه، والعمل على سرعة الفصل في القضايا المعروضة عليه، وتيسير إجراءات التقاضي وضمان تنفيذ الأحكام، هذا فضلا عن استقرار الاجتهاد القضائي بما يتوازن وروح التشريع وتحقيق العدل. (زهرة فغول، سبتمبر 2019، صفحة 116،117)

2.2 التكريس الدستوري لمقومات الأمن القضائي

على الرغم من أن المشرع الجزائري لم ينص بصريح العبارة على الأمن القضائي مثلما بينا سابقا، إلا أن هذا الأمر لا ينفي حقيقة وجود مجموعة من النصوص الدستورية والقانونية، التي يمكن أن نستشف من خلالها توجه المشرع لتكريس الأمن القضائي بشكل تدريجي، حماية للمتقاضين بالدرجة الأولى، وسعيا إلى إضفاء الشرعية على السلطة القضائية بكافة مظاهرها، لتعزيز المصداقية على ما يصدر عنها بالدرجة الثانية، فمن أهم النصوص الدستورية نجد:

- **نص المادة 168 من الدستور التي جاء فيها" يحمي القانون المتقاضي من أي تعسف أو انحراف يصدر من القاضي"** (القانون رقم01/16، المتضمن التعديل الدستوري)

بموجب هذه المادة كفل المشرع حماية قانونية للمتقاضين في مواجهة القاضي، من أي تصرف قد يصدر عنه؛ يمكن أن يؤدي إلى الإخلال بقواعد

المحاكمة العادلة، فعلى الرغم من أهمية المركز القانوني للقضاة في تنظيم الدولة ككل ودورهم في تسيير القضاء، إلا أن شأنهم لم يكن أعلى شأنا من المتقاضين ولا يمنع من مساءلتهم، وفق إجراءات معينة وفي حالات محددة مثل الحالة التي يكون فيها القاضي منكرا للعدالة (بوبشير محند أمقران، 06،05 ديسمبر 2012، صفحة 53)

حالة إنكار العدالة تؤدي إلى مساءلة القاضي جزائيا وتأديبيا استنادا إلى نص المادة 136 من الأمر رقم 156/66 المتضمن قانون العقوبات المعدل والمتمم، التي جاء فيها "يجوز محاكمة كل قاض أو موظف إداري يمتنع بأي حجة كانت عن الفصل فيما يجب عليه أن يقضي فيه بين الأطراف بعد أن يكون قد طلب إليه ذلك ويصر على امتناعه بعد التنبيه عليه من رؤسائه ويعاقب بغرامة من 750 إلى 3.000 دج وبالحرمان من ممارسة الوظائف العمومية من خمس سنوات إلى عشرين سنة". (الأمر رقم 156/66، المتضمن قانون العقوبات، المعدل والمتمم)

لكن لم يعد بالإمكان رفع دعوى مدنية أو دعوى المخاصمة ضد القاضي، إذ أحل المشرع مسؤولية الدولة محل المسؤولية الشخصية للقاضي، والتي هي محل دراستنا هذه. وذلك حسب النص الصريح الذي جاء في المادة 31 من القانون العضوي رقم 11/04 المتضمن القانون الأساسي للقضاء "لا يكون القاضي مسؤولا عن خطئه الشخصي، لا يتحمل القاضي مسؤولية خطئه الشخصي المرتبط بالمهنة إلا عن طريق دعوى الرجوع التي تمارسها الدولة ضده" (القانون العضوي رقم 04/11، المتضمن القانون الأساسي للقضاء)

أيضا تتجسد الحماية القانونية للمتقاضين من أي تعسف قد يصدر من القاضي إثر فصله في النزاع المعروض أمامه؛ بإعطاء المشرع لأطراف النزاع ضمانة أساسية لحياد القاضي من أجل بعث الثقة في نفوس المتقاضين في حالة الشك بوجود بواعث شخصية لدى القاضي تمس بنزاهته.

حيث تضمن قانون الإجراءات المدنية والإدارية في الباب السابع منه آليتين أساسيتين لضمان محاكمة عادلة ونزيهة وحيادية: **أولا رد القاضي** سواءً بتقديم طلب من أحد أطراف النزاع أو بتقديم طلب من القاضي نفسه إذا علم أنه في وضعية تجعله قابلا للرد، أو لوجود شك حول حياده وانحيازه لأحد الخصوم وتوفر أسباب تمنعه من الفصل في النزاع بموضوعية **ثانيا: الإحالة** بتقديم التماس من طرف النائب العام سواءً بسبب الأمن العام أو بسبب شبهة مشروعة تشكك في حياد الجهة القضائية المعروضة أمامها القضية. (سعاد ناصف، 2016، صفحة 213.212)

لقد تم تحديد الحالات التي يمكن فيها أن يلجأ المتقاضين لرد القاضي أو مساعده على سبيل الحصر بموجب المادة 241 من قانون الإجراءات المدنية والإدارية والمتمثلة في:

- إذا كان له أو لزوجه مصلحة شخصية في النزاع.
- إذا وُجدت قرابة أو مصاهرة بينه أو بين زوجه أو بين أحد الخصوم أو أحد المحامين أو وكلاء الخصوم، حتى الدرجة الرابعة.
- إذا كان له أو لزوجه أو أصولهما أو فروعهما خصومة سابقة أو قائمة مع أحد الخصوم.
- إذا كان هو شخصيا أو زوجه أو أحد أصوله أو أحد فروعه، دائنا أو مدينا لأحد الخصوم.
- إذا كان ممثلا قانونيا لأحد الخصوم في النزاع أو سبق له ذلك.
- إذا كان أحد الخصوم في خدمته.
- إذا كان بينه وبين أحد الخصوم علاقة صداقة حميمة أو عداوة بينة. (القانون رقم 09/08، المتضمن قانون الإجراءات المدنية والإدارية)

- **نص المادة 167 من الدستور التي جاء فيها "القاضي مسؤول أمام المجلس الأعلى للقضاء عن كيفية قيامه بمهمته حسب الأشكال المنصوص عليها في القانون"** (القانون رقم16/01، المتضمن التعديل الدستوري)

بموجب هذه المادة يُعتبر القاضي مسؤولا عن كل خطأ يرتكبه أثناء ممارسة وظيفته، وعن كل إخلال بالواجبات المهنية، فمسؤولية القاضي ثابتة بموجب نصوص قانونية واضحة، و طبقا لما ورد في الباب الثاني من القانون العضوي رقم 12/04 المتعلق بتشكيل المجلس الأعلى للقضاء وعمله وصلاحيته، والذي جاء بعنوان صلاحيات المجلس الأعلى للقضاء فإنه يُعد المجلس الأعلى للقضاء الهيئة المركزية التي تتولى تسيير المسار المهني للقضاة، من تعيينهم ونقلهم وترقيتهم إلى إنهاء مهامهم، كما يفصل المجلس الأعلى للقضاء في تشكيلته التأديبية في المتابعات التأديبية المتخذة ضد القضاة، وذلك في حالة الاخلال بالالتزامات والواجبات الوظيفية التي من أهمها ما جاء في نص المادة 08 من القانون العضوي رقم 11/04 المتضمن القانون الأساسي للقضاء، إذ تنص على "يجب على القاضي أن يصدر أحكامه طبقا لمبادئ الشرعية والمساواة، ولا يخضع في ذلك إلا للقانون، وأن يحرص في ذلك على حماية المصلحة العليا للمجتمع". (القانون العضوي رقم 04/11، المتضمن القانون الأساسي للقضاء)

وبالتالي فإن الأمر الذي يُؤكد لنا تكريس المشرع الجزائري لمقومات الأمن القضائي ضمن نصوص قانونية متفرقة، إلزام القاضي بالفصل في النزاعات المعروضة أمامه وفقا لمبادئ الشرعية والمساواة والعدالة الاجتماعية.

من خلال ما سبق التطرق إليه نجد أنه قد تم الاهتمام بالأمن القضائي بشكل غير مباشر، من خلال وضع العديد من المعايير الدستورية لتحقيقه، تضمنها التعديل الدستوري لسنة 2016 الصادر بموجب القانون رقم 01/16 والتي كان من أهمها:

- دسترة مبدأ استقلالية السلطة القضائية، بجعل القاضي لا يخضع في تنفيذه للقانون إلا لقواعد القانون.
- مبدأ الشرعية وسيادة القانون الذي يُلزم القاضي والمتقاضي على حد سواء.
- حق اللجوء إلى القضاء مع ضمان الولاية القضائية للسلطة القضائية على جميع المسائل التي لها طابع قضائي.
- تحقيق المحاكمة العادلة التي تراعي حقوق الانسان والمواطن.
- مبدأ مجانية القضاء والاستفادة من خدمات مرفق القضاء مقابل دفع رسوم رمزية.
- مبدأ المساواة في المراكز القانونية بين المتقاضين. (محمد السعيد، 2018، صفحة 143،144)

3. قيام مسؤولية الدولة عن أعمال السلطة القضائية ضرورة لتحقيق الأمن القضائي

إذا كان الأصل أن المساس بحرية الشخص يُعد من مظاهر المساس بالأمن القضائي، نتيجة لخطأ قد يقع من الجهات القضائية عند فصلها في النزاع، فإن التعويض عن الخطأ القضائي هو بمثابة تدارك لما قد يترتب على هذا الخطأ من ضرر، ومحاولة لتكريس ضمانات المحاكمة العادلة بنصوص قانونية دستورية، التي تعتبر من مقومات مبدأ الأمن القانوني، والتي تساعد بدورها على تحقيق الأمن القضائي، وتتجسد في نص المادة 56 من الدستور " كل شخص يُعتبر بريئا حتى تثبت جهة قضائية نظامية إدانته، في إطار محاكمة عادلة تؤمن له الضمانات اللازمة للدفاع عن نفسه" (القانون رقم16/01، المتضمن التعديل الدستوري)

فمقتضيات المحاكمة العادلة تكمن في سلامة الإجراءات القانونية، التي تباشر عند محاكمة كل شخص ومطابقتها للقانون، بالإضافة إلى تكيف القانون وجعله منسجما مع المبادئ المتفق عليها والتي تضمن حقوق الانسان.

1.3 صور قيام مسؤولية الدولة عن أعمال السلطة القضائية

إلى جانب نص المادة 61 من الدستور التي تنص بصريح العبارة على قيام مسؤولية الدولة عن الخطأ القضائي، نشير إلى نصوص القانون رقم 08/01 المعدل والمتمم للأمر رقم 155/66، والمتضمن قانون الإجراءات الجزائية، التي يمكن من خلالها تحديد صور قيام مسؤولية الدولة عن أعمال السلطة القضائية أهمها:

المادة 137 مكرر من القانون رقم 08/01 "يمكن أن يُمنح **تعويض للشخص الذي كان محل حبس مؤقت غير مبرر** خلال متابعة جزائية انتهت في حقه بصدور قرار نهائي قضى بألا وجه للمتابعة أو بالبراءة إذا ألحق به هذا الحبس ضررا ثابتا ومتميزا.

ويكون التعويض الممنوح طبقا للفقرة السابقة على عاتق خزينة الدولة مع احتفاظ هذه الأخيرة بحق الرجوع على الشخص المبلغ سيئ النية أو شاهد الزور الذي تسبب في الحبس المؤقت".

المادة 531 مكرر فقرة 01 من القانون رقم 08/01 "يمنح للمحكوم عليه المصرح ببراءته بموجب هذ الباب أو لذوي حقوقه، **تعويض عن الضرر المادي والمعنوي** الذي تسبب فيه حكم الإدانة"

المادة 531 مكرر1 فقرة 01 من القانون رقم 08/01 " تتحمل الدولة التعويض الممنوح من طرف اللجنة **لضحية الخطأ القضائي** أو لذوي حقوقه وكذا مصاريف الدعوى، ونشر القرار القضائي وإعلانه، ويحق للدولة الرجوع على الطرف المدني أو المبلغ أو الشاهد زورًا الذي تسبب في إصدار حكم الإدانة". (القانون رقم 08/01، المعدل والمتمم لقانون الإجراءات الجزائية)

إذن انطلاقا من نصوص قانون الإجراءات الجزائية السابقة الذكر يتضح لنا؛ أن الدولة تتحمل المسؤولية عن أعمال السلطة القضائية في حالتين: إذ تلتزم **بالتعويض عن الخطأ القضائي والتعويض عن الحبس المؤقت غير المبرر**، وهو ما سنتناوله في هذه النقطة مع توضيح جوانب تحقيق مقومات الأمن القضائي وجوانب الإخلال بها.

أولا: قيام مسؤولية الدولة عن الخطأ القضائي

يحدث أن يصدر الحكم الجنائي بالإدانة عن القاضي في شكله القانوني، بتطبيق القاعدة المحققة في الواقعة الإجرامية، والذي يعبر عن إقراره بالفصل في الدعوى الجنائية، وإدانة مرتكبها بتوقيع الجزاء عليه، في إطار المشروعية الجنائية بشقيها الموضوعي والإجرائي. (عبد العزيز سعد، 2009، صفحة 43)

لكن يمكن أن يكون هذا الحكم الجنائي القاضي بالإدانة والحائز لقوة الشيء المقضي فيه، قد تخلله خطأ قضائي يستوجب إلغاؤه والتعويض عنه، وهو ما يعبر عن قيام مسؤولية الدولة عن الخطأ القضائي المنصوص عليها دستوريا.

فعلى الرغم من عدم إمكانية مساءلة القاضي عن أخطائه القضائية التي يرتكبها إثر تأديته لوظيفته سواءً كانت مرتبطة بمرفق القضاء أو أخطائه المرتبطة بأعماله القضائية، وعدم قيام المسؤولية المدنية، إلا أن ذلك لا يمنع من تحمل الدولة مسؤولية أعمال قُضاتها.

مثلما بينا في بداية الدراسة أن الأمن القضائي مرتبط بجودة الأحكام الصادرة عن الهيئات القضائية، وضمان حجيتها وتنفيذها في مواجهة الأطراف الصادرة في حقها، وهو ما يجعل من فكرة الأمن القضائي وحجية الأحكام القضائية وجهين لعملة واحدة، لكن في حقيقة الأمر نجد أن حجية الشيء المقضي فيه، التي تُضفى على الأحكام القضائية كحجية قانونية، لها وجهين: وجه إيجابي ووجه سلبي، **فالوجه الأول** يتحقق في جعل الأحكام القضائية ذات سيادة وتبعث الثقة لدى المتقاضين فيما يصدر عن السلطة القضائية، والتي من

المفترض أنها صدرت في إطار احترام الشرعية الموضوعية والإجرائية، وجعلت منها قابلة للتنفيذ في مواجهة أطراف النزاع، أما **الوجه الثاني** فيكمل في منع إعادة الفصل في الدعوى التي سبق الفصل فيها، وبالتالي عدم إمكانية مراجعة الحكم، فحجية الحكم بعد صدوره من القضاء واستنفاذ طرق الطعن القانونية بشأنه، تجعل منه نهائيا قطعيا، ولا يمكن تجديد المنازعة مرة أخرى أمام القضاء، لضمان انقضاء الخصومة.

(عبد الكريم بن منصور، 2016، صفحة 32،33)

في حقيقة الأمر نلاحظ أن مسألة التزام الدولة بالتعويض عن حكم الإدانة الملغى، والسماح للأفراد المطالبة بمراجعة الأحكام والقرارات القضائية الحائزة لقوة الشيء المقضي فيه، والتعويض عنها بحجة أنها صدرت خاطئة، تعتبر كضمانة في يد المتقاضين، وهي في الوقت ذاته تُعبر عن مظهر من مظاهر تحقيق الأمن القضائي، على الرغم من أنها تؤدي إلى المساس بالمقومات التي ينبغي أن تقوم عليها أعمال السلطة القضائية، كضمان استقرار الأحكام وما يفترض فيها من صحة للتعبير عن العدالة.

يتم إثبات الخطأ القضائي عن طريق التماس إعادة النظر في القرارات الصادرة عن المجالس القضائية، أو الأحكام الصادرة عن المحاكم الحائزة لقوة الشيء المقضي فيه، والتي قضت بإدانة المتهم في جناية أو جنحة وذلك حسب نص المادة 531 من القانون رقم 08/01 المعدل والمتمم لقانون الإجراءات الجزائية، فهو طريق غير عادي للطعن، يستهدف أساسا رفع الظلم الذي وقع على المتهم، واتضحت براءته لظروف لم تكن معروفة وقت النظر في الدعوى والنطق بالحكم. (مزيود بصيفي، 2011/2012، صفحة 66،67)

ثانيا: قيام مسؤولية الدولة عن الحبس المؤقت غير المبرر

يعد الحبس المؤقت تعسفيا إذا أُمر به دون أسباب قانونية، أو حتى تطبيقا لقانون غير عادل في حد ذاته، أو لا يتوافق مع احترام الحق في الحرية وأمن الشخص، وبناء عليه يمكن أن يُمنح تعويض للشخص الذي كان محل الحبس

المؤقت غير المبرر، خلال متابعة جزائية انتهت في حقه بصدور قرار نهائي بألا وجه للمتابعة أو البراءة، إذا ألحق به هذا الحبس ضررا ثابتا ومتميزا (حمزة عبد الوهاب، 2006، صفحة 128)

وفقا لنص المادة 59 من القانون رقم 01/16، المتضمن التعديل الدستوري، التي جاء فيها: "لا يتابع أحد، ولا يوقف أو يحتجز، إلا ضمن الشروط المحدد بالقانون وطبقا للأشكال التي نص عليها.

الحبس المؤقت إجراء استثنائي يحدد القانون أسبابه وشروط تمديده.

يعاقب القانون على أعمال وأفعال الاعتقال التعسفي".

تم تكييف إجراء الحبس المؤقت على أنه إجراء استثنائي، تلجأ إليه سلطة التحقيق إذا توفرت الأسباب والمبررات التي تدعوا إلى اتخاذه، وذلك نظرا لخطورة المساس بحقوق الانسان وحريته الشخصية، فحماية حقوق الانسان ومنها حقوق المتهم كونه بريئا، تتعارض مع إصدار أمر بحبسه، ويتناقض مع مبدأ قرينة البراءة. (كريمة خطاب، 2001، صفحة 67)

السؤال الذي يطرح هنا هو: **إلى أي مدى يعتبر المساس بمبدأ قرينة البراءة إخلال بالأمن القضائي؟**

لقد كفل المشرع العديد من الضمانات القانونية بموجب قانون الإجراءات الجزائية لحماية مبدأ قرينة البراءة؛ هذا المبدأ الذي يكتسي قيمة دستورية بموجب نص المادة 56من الدستور التي جاء فيها "كل شخص يعتبر بريئا حتى تثبت جهة قضائية نظامية إدانته، في إطار محاكمة عادلة تؤمن له الضمانات اللازمة للدفاع عن نفسه". (القانون رقم01/16، المتضمن التعديل الدستوري)

فيتطلب احترام قرينة البراءة أن تتم الإجراءات الجنائية جميعها في إطار الضمانات التي أحاطها بها القانون، أهمها الاعتماد على مبدأ الشرعية الذي يضمن عدم التعرض للحرية الفردية للتقييد أو السلب، إلا في الحدود التي يقررها القانون صراحة، دون ترك المجال لإعمال السلطة التقديرية في

ذلك، وإقامة الحكم على أساس اليقين، مع مراعاة تفسير الشك لصالح المتهم. (كابوية رشيدة، 2017، صفحة 10)

أيضا من مظاهر تكريس الأمن القضائي لحماية مبدأ قرينة البراءة، تحديد مدة الحبس المؤقت في مواد الجنح والجنايات بموجب المواد 124 و125من قانون الإجراءات الجزائية على أن لا تتجاوز 4 أشهر، لكن تبقى مسألة تمديد الحبس المؤقت الخاضعة للسلطة التقديرية لقاضي التحقيق، حيث يتم التمديد بناءً على طلب من قاضي التحقيق وبصدور قرار من غرفة الاتهام، من شأنها الإضرار بالمتهم والإخلال بالأمن القضائي. (الأمر رقم 02/15، المعدل والمتمم لقانون الإجراءات الجزائية)

فتنص المادة 125 مكرر من قانون الإجراءات الجزائية على "يجوز لغرفة الاتهام تمديد الحبس المؤقت لمدة أربعة (4) أشهر قابلة للتجديد أربع مرات بنفس الأشكال المذكورة في الفقرة أعلاه ، كل تمديد للحبس المؤقت لا يمكن أن يتجاوز أربعة أشهر في كل مرة" (الأمر رقم 02/15، المعدل والمتمم لقانون الإجراءات الجزائية)

فلنا أن نتخيل في هذه الحالة إذ حُبس المتهم سنة وأربعة شهر لتنتهي بصدور حكم بالبراءة أو ألا وجه للمتابعة، فمن منظورنا لا يمكن أن تُعبر هذه النقطة إلا على المساس الصارخ بالأمن القضائي، ولا يؤدي بالنهاية إلا إلى انعدام الثقة بين الفرد والدولة، نظرا لجسامة الأضرار المادية والمعنوية التي يمكن أن تلحق بالمتهم من هذا الإجراء.

لكن في المقابل من ذلك تعتبر المراجعة القضائية، كضمانة على رقابة شرعية الأمر بالحبس المؤقت، من أوجه تحقيق الأمن القضائي، والتي كانت من مستجدات القانون رقم 08/01 المعدل والمتمم لقانون الإجراءات الجزائية، إذ يُمنح للمتهم الحق في الطعن بالاستئناف ضد الأمر القاضي بالحبس المؤقت أو الأمر القاضي بتمديده أو حتى استئناف الأمر برفض طلب الإفراج وذلك حسب نص المادة 123 مكرر.

وبما أن المشرع الجزائري قد أضفى على الأمر بالحبس المؤقت الطبيعة القضائية، فإن الطعن في الأمر له نفس الطبيعة، إذ يتم الطعن بالاستئناف عن طريقة عريضة تودع لدى كتابة المحكمة، وهذا الاستئناف لا يوقف سير إجراءات التحقيق. (علي أحمد رشيدة، 2016، صفحة 297،298).

2.3 إجراءات إثبات مسؤولية الدولة والاستفادة من التعويض

من مقتضيات الأمن القضائي التزام الهيئات القضائية بتطبيق القاعدة القانونية، والمرتبطة بتكريس الأمن القانوني ودورها في كفالة الحق في محاكمة عادلة، ويتحقق ذلك بوضوح ودقة التدابير الإجرائية لسير القضية، وتوضيح كافة الإجراءات المتعلقة بقيام المسؤولية (بلخير محمد آيت عويدية، 2018، صفحة 77)، مع ضرورة التقيد بالشروط الشكلية والموضوعية التي تسبب لجوء قاضي التحقيق إلى الأمر بالحبس المؤقت، في إطار الشرعية الإجرائية من جهة، مع منح المتهم الحق في الطعن وطلب الإفراج عنه من جهة ثانية. (حوبة عبد القادر، 2019، صفحة 98)

وعموما نجد أن إثبات مسؤولية الدولة في التعويض عن الخطأ القضائي، أو الحبس المؤقت غير المبرر، تخضع لنفس الإجراءات وهو ما سنقوم بتوضيحه في هذه النقطة.

أولا: شروط التعويض

من خلال نص المادة 137 مكرر من القانون رقم 08/01 المذكورة أعلاه، يتضح لنا أن المشرع قد ركز على شرطين أساسين لقيام مسؤولية الدولة، من أجل التعويض عن الحبس المؤقت غير المبرر أو الخطأ القضائي وهما: (كابوية رشيدة، 2017، صفحة 10)

- أن تنتهي المتابعة بصدور قرار نهائي من جهة التحقيق أو غرفة الاتهام، بألا وجه للمتابعة أو البراءة من جهة المحاكمة.
- أن يُثبت الطالب أو المتضرر بأن الحبس المؤقت ألحق به ضررا ثابتا ومتميزا واستثنائيا بالغ الجسامة.

من مسلمات قيام المسؤولية التي تستوجب التعويض توفر ثلاثة أركان أساسية؛ الخطأ - الضرر والعلاقة السببية بينهما، فالضرر هو الأذى الذي يصيب الشخص نتيجة المساس بمصلحة مشروعة له، أو بحق من حقوقه، ولا يتحقق إلا بوجود خطأ، مما يؤدي إلى قيام المسؤولية.

من منظورنا فكرة ربط التعويض بشرط الضرر الثابت والمتميز، هي فكرة تعبر في حد ذاتها عن اللاأمن أو الاخلال بالأمن، لأنه مسألة التعويض هنا لا ترتبط بالتعويض عن الضرر الناتج عن نشاط الإدارة مثلا، بل الأمر مرتبط بحرية الانسان التي هي من أسمى الحقوق اللصيقة بالإنسان.

ثانيا: الجهة المختصة بالنظر في دعوى التعويض

ترفع دعوى التعويض عن الخطأ القضائي أو الحبس المؤقت غير المبرر من المتضرر في أجل لا يتعدى 6 أشهر من صدور قرار القاضي بألا وجه للمتابعة أو بالبراءة نهائيا.

ويؤول اختصاص الفصل في الدعوى إلى لجنة التعويض، التي لها طابع جهة قضائية مدنية، تنشأ على مستوى المحكمة العليا وتصدر قراراتها في جلسة علنية والتي يمكن أن تكون:

- إما بصدور قرار بقبول التعويض، وقد يكون في شكل **تعويض مادي** يقع على عاتق خزينة الدولة، مع الاحتفاظ بحقها في الرجوع على الشخص المبلغ سيئ النية، أو شاهد الزور سيئ النية، الذي تسبب في الحبس المؤقت أو الإدانة. (المرسوم التنفيذي رقم 117/10، الذي يحدد كيفيات التعويض المقررة من طرف لجنة التعويض المنشأة لدى المحكمة العليا بسبب الحبس المؤقت غير المبرر والخطأ القضائي)

كما يمكن أن يكون في شكل **تعويض معنوي** كنشر حكم البراءة في الجرائد والصحف. (بلمخفي بوعمامة، 2016، صفحة 164)

- وإما بصدور قرار برفض التعويض من طرف لجنة التعويض وفي هذه الحالة فإن المدعي يتحمل مصاريف الدعوى إلا إذا قررت اللجنة إعفاؤه جزئيا أو كليا.

إذن تبقى الدولة محتفظة بحق الرجوع على المتسبب في حدوث الخطأ القضائي، فإذا ثبت من خلال أوراق الملف الجزائي الذي انتهى بإدانة المحكوم عليه خطأ، وأن إدانته كانت بسبب تصريحات الطرف المدني أو المبلغ أو شاهد الزور، فإن للدولة حق الرجوع على هؤلاء، لكن المادة 137 مكرر، والمادة 531 مكرر 1 من الأمر رقم 02/15 المعدل والمتمم لقانون الإجراءات الجزائية، لم تحدد بالضبط المقصود بمعنى الرجوع ولا طريقة أو إجراءات هذا الرجوع من الدولة على الطرف المدني أو شاهد الزور.

وفي جميع الحالات نجد أن قرارات لجنة التعويض لا تقبل أي طريقة من طرق الطعن؛ فالطبيعة القانونية للقرارات الصادرة عن لجنة التعويض عن الحبس المؤقت غير المبرر والخطأ القضائي، هي قرارات ذات طابع نهائي تصدر في أول وآخر درجة من المحكمة العليا، وذلك حسب ما جاءت به المادة 137 مكرر 3 من القانون رقم 08/01 المعدل والمتمم لقانون الإجراءات الجزائية. ولعل ذلك يعد إجحافا في حق المتضرر من جهة، وإخلال بمبدأ التقاضي على درجتين من جهة ثانية، وبالتالي فهو مظهر من مظاهر المساس بالأمن القضائي.

بالاطلاع على مجموعة من الأحكام الصادرة عن لجنة التعويض فإن هذا الأمر دفع بنا إلى طرح مجموعة من الأسئلة:

- **ماهي معايير تقدير الضرر الثابت والمتميز الملزم للتعويض؟**
- **ما مدى تشدد لجنة التعويض في الإقرار بالتعويض لصالح المتضرر؟**
- **وهل الطابع الإلزامي النهائي لقرار لجنة التعويض يمنع وبشكل مطلق إمكانية الطعن في القرار؟**

سنجيب عن الأسئلة المطروحة بموجب القرارات الصادرة عن لجنة التعويض والتي يمكن أن تقضي بقبول أو رفض التعويض.

أولا: لا ينبغي التقيد بالمفهوم الضيق للضرر الموجب للتعويض، لأن الضرر هنا مرتبط بالحقوق والحريات الأساسية، التي تحظى بحماية قانونية دولية ووطنية، والمتعلقة بشكل مباشر بحرية الأفراد، فبمجرد صدور حكم بألا وجه للمتابعة أو البراءة، فإنه يعتبر كدليل قائم بذاته عن الضرر الذي يستوجب التعويض. وهنا نشير إلى قرار المحكمة العليا رقم 000130 المؤرخ في 2007/02/11، القاضي بالتعويض عن الضرر المادي والمعنوي معا. (سايس جمال، 2014، صفحة 102،104)

ثانيا: يبقى موقف لجنة التعويض عن الحبس المؤقت والخطأ القضائي، مبهما ومتشددا في كثير من الأحيان، لرفضها التعويض ولأسباب غير جدية، ومثال ذلك القرار رقم 001000 الصادر في 16 ديسمبر 2008 ، أين رفضت التعويض للمدعي مؤكدة بأنه لا يستطيع التمسك بمقتضيات المادة 531 ق إ ج، على الرغم من أن المدعي كان محل متابعة قضائية من طرف النيابة، وصدر بعد ذلك في حقه قرارا بانتفاء وجه الدعوى، والذي على أساسه تقدم بطلب لتعويضه عن الضرر الذي لحقه من جرائه، وذلك حسب ما نصت عليه المادة 137 مكرر من قانون إ ج. (محمد قارة مصطفى، 2010، صفحة 270).

ثالثا: إقرار القضاء بإمكانية استدراك قرارات لجنة التعويض بعدما كانت غير قابلة للطعن فيها، إذ يكون القرار الصادر عن لجنة التعويض عن الحبس المؤقت والخطأ القضائي مستوجبا للاستدراك، طالما كان منطوقه خالي من عبارة "إلزام أمين خزينة ولاية الجزائر بدفع مبلغ التعويض"، نظرا للإخلال بالشروط الشكلية الجوهرية المستوجب توفرها في القرار. (سايس جمال، 2014، صفحة 164)

لكن في كثير من الأحيان نجد طرح إشكالية عدم قبول طلب التعويض شكلا، وبالتالي حرمان المتضرر من حقه في التعويض، وهناك العديد من

القرارات في مثل هذا القبيل: منها القرار رقم 87الصادر في 2003/10/12 والقرار رقم 000801 الصادر بتاريخ 2008/02/12 (سايس جمال، 2014، صفحة 144)

4. خاتمة:

ترتبط مسألة قيام مسؤولية الدولة عن أعمال السلطة القضائية بفكرتين أساسيتين **أولها:** دور الدولة الضابطة في حماية الأفراد بضمان أمن واستقرار المجتمع وتحقيق النظام العام، **وثانيها:** ضرورة احترام حقوق الانسان بتوفير ضمانات قانونية تكفل حماية الحريات الفردية.

وفي إطار دراستنا لهذه الفكرة فإننا قد سجلنا مجموعة من النتائج أهمها:

- يعتبر مبدأ الأمن القضائي دعامة أساسية لقرينة البراءة؛ الذي يجب أن يكون ثابتا للمتهم إلى حين صدور حكم نهائي بالإدانة، في إطار محاكمة عادلة وضمن القواعد الإجرائية والموضوعية التي تعد مظهرا من مظاهر حماية حقوق المتهم.
- تعتبر مسألة الاهتمام بالخطأ القضائي بالبحث عن أسبابه، وتحديد الوسائل الرامية إلى الحد منه عبر قواعد قانونية مفعلة، كوجه من أوجه إصلاح العدالة حفاظا على حقوق المتقاضين المعترف بها دوليا.
- على الرغم من أن الحبس المؤقت كتدبير احترازي، يعد كوسيلة لضمان حسن سير إجراءات التحقيق الابتدائي، إلا أنه في الوقت ذاته يعد مظهر من مظاهر المساس بالحرية الشخصية للمتهم.

لنختم هذه الدراسة بتقديم مجموعة من الاقتراحات:

- بتحصين المشرع قرارات لجنة التعويض من أي طعن وحرمان المتضرر من قرارتها الحق في الطعن، فإننا نقترح ضرورة اعتماد مبدأ التقاضي على درجتين في منح التعويض عن الخطأ القضائي والحبس المؤقت غير المبرر في المواد الجزائية.

- **ضرورة إعادة النظر في السلطة التقديرية الممنوحة لقاضي التحقيق؛ بشأن تمديد مدة الحبس المؤقت والمحدد بأربعة أشهر لأربع مرات، والتي تشكل إخلالا بالأمن القضائي لمساسها بحرية الأفراد.**
- **ضرورة تدعيم مقومات الأمن القضائي؛ بدسترة هذا المبدأ بموجب نص صريح.**
- **تعزيز التوجه نحو قيام مسؤولية الدولة على أعمال السلطة القضائية، والتزامها بالتعويض بمجرد صدور قرار نهائي بالبراءة أو يقضي بألا وجه للمتابعة، والتخلي عن التمسك بنظرية الضرر الثابت والمتميز.**

5. قائمة المراجع

أولا: النصوص القانونية

1. القانون العضوي رقم 04/11. (المتضمن القانون الأساسي للقضاء). المؤرخ في 21 رجب 1425، الموافق لـ:06 سبتمبر 2004. الجريدة الرسمية. العدد57. الصادرة في 08 سبتمبر 2004.
2. القانون رقم01/16. (المتضمن التعديل الدستوري). المؤرخ في 26 جمادى الأولى1437، الموافق لـ:06 مارس 2016. الجريدة الرسمية. العدد14. الصادرة في 07 مارس 2016.
3. القانون رقم 09/08. (المتضمن قانون الإجراءات المدنية والإدارية). المؤرخ في 18 صفر 1429، الموافق لـ: 25 فيفري2008. الجريدة الرسمية. العدد21. الصادرة في 23 أفريل 2008.
4. القانون رقم 08/01. (المعدل والمتمم لقانون الإجراءات الجزائية). المؤرخ في 04 ربيع الثاني 1422، الموافق لـ: 26 يونيو 2001. الجريدة الرسمية. العدد34. الصادرة في 27 يونيو 2001.
5. المرسوم التنفيذي رقم 117/10. (الذي يحدد كيفيات التعويض المقررة من طرف لجنة التعويض المنشأة لدى المحكمة العليا بسبب الحبس المؤقت غير المبرر والخطأ القضائي). المؤرخ في 06 جمادى الأولى 1431، الموافق لـ:21 أفريل2010. الجريدة الرسمية. العدد27. الصادرة في 25أفريل 2010.

6. الأمر رقم 02/15. (المعدل والمتمم لقانون الإجراءات الجزائية). المؤرخ في 07 شوال 1436، الموافق لـ: 23 يوليو 2015. الجريدة الرسمية. العدد40. الصادرة في 23 يوليو 2015.

7. الأمر رقم 156/66. (المتضمن قانون العقوبات، المعدل والمتمم). المؤرخ في18 صفر 1376، الموافق لـ:08 يونيو 1966. الجريدة الرسمية. العدد49. الصادرة في 11 يونيو 2011.

ثانيا: الكتب

1. بلخير محمد آيت عويدية. (2018). الأمن القانوني ومقوماته في القانون الإداري. الجزائر: الدار الخلدونية للنشر والتوزيع.

2. حمزة عبد الوهاب. (2006). النظام القانون للحبس المؤقت. الجزائر: دار هومه للنشر والتوزيع.

3. زهرة فغول. (سبتمبر 2019). دور القاضي الإداري في تحقيق الأمن القانوني،كتاب جماعي -الطيب بلواضح: الأمن القانوني وتحقيق التنمية. المسيلة - الجزائر: المنشورات العلمية لمخبر الدراسات في القانون والأسرة والتنمية الإدارية.

4. سايس جمال. (2014). الاجتهاد القضائي الجزائري -لجنة التعويض -. الجزائر: منشورات كليك.

5. عبد العزيز سعد. (2009). أبحاث تحليلية في قانون الإجراءات الجزائية. الجزائر: دار هومه.

6. كريمة خطاب. (2001). الحبس الاحتياطي والمراقبة القضائية. الجزائر: دار هومة للنشر والتوزيع.

7. محمد سعد الخطيب. (2013). فلسفة القانون وحقوق الإنسان. لبنان: منشورات الحلبي الحقوقية.

8. ناكرة يى نجدت صبري. (2011). الاطار القانوني للأمن القومي -دراسة تحليلية - . عمان: دار دجلة للنشر والتوزيع.

ثالثا: المقالات

1. تركي كمال صمامة، محمد السعيد. (2018). المبادئ الدستورية التي يقوم عليها القضاء الجزائي في توفير الأمن القضائي "حسب ماجاء في التعديل الدستوي لسنة 2016 الصادر بالقانون رقم 01/16". مجلة الدراسات الفقهية والقضائية، 04(02).
2. حوبة عبد القادر. (2019). إجراءات الحبس المؤقت وأثرها في الأمن القضائي. مجلة البحوث والدراسات، 16(02).
3. دلال لوشن، فتيحة بوغقال. (جانفي، 2018). الأمن القضائي بين ضمانات التشريع ومخاطر الاجتهاد. مجلة الباحث للدراسات الأكاديمية، 05(01).
4. سعاد ناصف. (2016). القواعد الاجرائية لرد القضاة طبقا لقانون الاجراءات المدنية والإدارية الجديد. المجلة الجزائرية للعلوم القانونية والاقتصادية والسياسية، 53(03).
5. عبد الكريم بن منصور. (2016). مدى مسؤولية الدولة عن أعمال السلطة القضائية. مجلة البحوث في الحقوق والعلوم السياسية، 02(03).
6. عليان بوزيان عبد القادر بوراس. (2018). أثر الدفع بعدم الدستورية في تحقيق الأمن القضائي لحقوق المواطنة -دراسة مقارنة لدساتير الدول المغاربية. مجلة البحوث والدراسات، 15(02).
7. كابوية رشيدة. (جوان، 2017). الضمانات المقررة لحماية مبدأ قرينة البراءة من خلال تعديل قانون الاجراءات الجزائية الجزائري. مجلة القانون والمجتمع، 05(01).
8. كلاش خلود محمد بوكماش. (جوان، 2017). مبدأ الأمن القانوني ومدى تكريسه في القضاء الإداري. مجلة البحوث والدراسات، 14(02).
9. محمد قارة مصطفى. (2010). التعليق على القار رقم 00100الصادر في 06 ديسمبر 2008. مجلة المحكمة العليا(عدد خاص"الاجتهاد القضائي للجنة التعويض عن الحبس المؤقت والخطأ القضائي").

رابعا: الأطروحات والرسائل الجامعية

1. بلمخفي بوعمامة. (2016). النظام القانوني للتعويض عن الحبس المؤقت غير مبرر في التشريع الجزائي الجزائري. أطروحة دكتوراه. جامعة أبي بكر بلقايد -تلمسان - كلية الحقوق.
2. علي أحمد رشيدة. (2016). قرينة البراءة والحبس المؤقت. أطروحة دكتوراه. جامعة تيزي وزو. كلية الحقوق.
3. مزيود بصيفي. (2011/2012). مسؤولية الدولة عن الحبس المؤقت غير المبرر والخطأ القضائي. رسالة ماجيستير. جامعة وهران.

خامسا: الملتقيات

1. بوبشير محند أمقران. (05،06 ديسمبر 2012). تغيير الاجتهاد االقضائي بين النص والتطبيق. ملتقى وطني حول" الأمن القانوني". جامعة ورقلة.
2. عليان بوزيان. (11،12 نوفمبر 2014). أثر فاعلية القاعدة الدستورية في تحقيق الأمن القانوني والقضائي للحق في العدالة الاجتماعية. الملتقى الوطني السابع حول " الأمن القانوني في الجزائر". جامعة المدية.

مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ر ت م د: 7163 -1112 ر ت م د إ:1892-2588
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2

الاستحقاقات المالية لزوجة المهاجر غير الشرعي المفقود وأثر التخلي عنها – النفقة أنموذج – دراسة مقارنة بين الفقه الإسلامي وقانون الأسرة الجزائري.

The financial benefits of the illegal immigrant's wife and the effect of abandoning it - al-Nafaqa as a model - a comparative study between Islamic jurisprudence and the Algerian

بلحبيب سامية [1] ، حبار أمال[2]

1- جامعة وهران1 أحمد بن بلة، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، قسم العلوم الإسلامية، مخبر المخطوطات لشمال إفريقيا، samia.belhabib31@gmail.com

2- أستاذة التعليم العالي بجامعة وهران 1 أحمد بن بلة، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم العلوم الإسلامية، amalgemeaux@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/05/08 تاريخ النشر: 2020/11/06

ملخص:

تخلى الكثير من الأزواج الذين هاجروا هجرة غير شرعية وفُقدوا إثرها عن أداء واجب من واجبات الحياة الزوجية الملقاة على عاتقهم بحكم الشرع والقانون ألا وهي النفقة. والتي على إثرها طرحت هذه الدراسة حيث توصلنا فيها إلى أن نفقة الزوجة حق أصيل لها وواجبة على زوجها سواء كان حاضرا أو غائبا مادامت في عصمته شرعا وقانونا، فهي من الحقوق التي كفلتها لها الشريعة الإسلامية ووافقها في ذلك قانون الأسرة الجزائري وذلك بسبب عقد الزواج، فإذا لم تتمكن من الحصول عليها جاز لها أن ترفع أمرها للقاضي والذي سنبينه في صميم الدراسة.

المؤلف المرسل: بلحبيب سامية: belhabib.samia@edu.univ-

الكلمات الدالة: الزوجة, المهاجر غير الشرعي ,المفقود, النفقة.

Abstract:

Many of the husbands who have migrated illegally have abandoned one of the marital's duties life incumbent upon them by virtue of Sharia and the law, which is alimony. that posit this study, where we concluded that the wife's alimony is an inherent right to her, because it is an obligation to her husband whether he is present or absent, as long as he is legitemilly and legally immune to him, it is one of the rights guaranteed by Islamic law and agreed to in that Algerian family law, due to the marriage contract, if she is unable to obtain it she may refer the matter to the judge, whom we will explain at the heart of the stdy.

Key words: wife, Lost, illegal immigrant, alimony.

1. - مقدمة

تعتبر ظاهرة الهجرة غير الشرعية من الظواهر الاجتماعية التي شهدت تطورا واسعا في السنوات الأخيرة نتيجة لظروف استثنائية تمر بها البلاد، إذ أصبح من الضروري الالتفات لهذه الفئة خصوصا بعد الزيادة الرهيبة لهجرة أرباب الأسر، حيث أصبح من العسير التقليل من قيمتها أو التغاضي عنها، وهي تعرّف بأنها الانتقال من الوطن الأصلي إلى وطن آخر بطريقة غير قانونية ليقيم هناك بصفة غير شرعية بغية تحقيق أحلامه الكبيرة، اعتقادا منه أنه إذا هاجر هناك سيجمع مالا جمّا في ظرف وجيز وأن الحياة هناك ستفتح له أبواب السعادة، وأنه سيحقق ما لم يحققه في بلده، جاهلا بسلبياتها وعواقبها، وهي لا تكاد تخلو من كونها عبارة عن أسباب اجتماعية واقتصادية وسياسية لجأ إليها الأشخاص من أجل تغيير نمط حياتهم.

فهي لم تقتصر على الشباب فقط وإنما شملت حتى أرباب الأسر والعائلات تاركين ورائهم الزوجة والأولاد، هذا ما أدى إلى تزايد عدد الزوجات اللواتي جهلنّ مصيرهنّ وبقين على حيرة من أمرهنّ لا هنّ متزوجات ولا مطلقات، في

مقابل هذا فهي تجعل الفرد يبتعد عن أهله وتفضي به إلى التخلي عن العديد من واجباته الأسرية من بينها النفقة.

وبما أن النفقة تعتبر من مظاهر التكافل بين الزوجين والتي حث عليها الإسلام والقوانين الوضعية وبما أنها تتعلق بالجانب المادي الذي أصبح موضوع الساعة ومعظم القضايا المطروحة أمام القضاء والمتعلقة بالأزواج تدور حولها، حاولت التطرق في هذه الورقة العلمية إلى نفقة زوجة المهاجر غير الشرعي المفقود وأثر التخلي عنها خصوصا إذا لم تكن لديها أي دخل أو أي معيل، ونحن في هذا الزمان أكثر حاجة لمعرفة تلك الأحكام في ظل الثورات والتقلبات السياسية في البلاد العربية.

1.1. -إشكالية الدراسة:

بناء على ما تقدم أعلاه نطرح التساؤل الرئيسي التالي:

ما حكم نفقة زوجة المهاجر غير الشرعي المفقود في الفقه الإسلامي وقانون الأسرة الجزائري؟

يتفرع عن هذا السؤال الأسئلة التالية:

- ما هو المفقود، وما مصير زوجته وأولاده بعد تخليه عن النفقة؟
- وإذا تضررت زوجته من عدم الإنفاق عليها وعلى أولادها فما هي الإجراءات التي تتخذها؟
- ما مدى اهتمام الفقه الإسلامي وقانون الأسرة الجزائري بنفقة الزوجة؟

2.1. -فرضيات الدراسة:

تأسيسا على ما تقدم وكإجابات مؤقتة لأسئلة الدراسة الفرعية يمكن صياغة الفرضيات التالية:

- المفقود هو الغائب الذي لا تدرى حياته من موته.
- نفقة الزوجة واجبة على زوجها سواء كان غائبا أو حاضرا ما دامت في عصمته شرعا.
- تبقى نفقة الزوجة عالقة في ذمة الزوج، فإذا كان له مال ظاهر تنفق

منه عليها وعلى أولادها فلا بأس من صبرها، وإذا لم يكن له مال يتكفل بها أسرة الزوج إلى أن يتبين حاله.

- إذا لحقها من عدم الإنفاق ضرر ولم تجد لها معيل ترفع أمرها للقاضي.

3.1. -أهمية الدراسة:

تبرز أهمية الدراسة في كونها تعتبر من المسائل التي تتعلق بتنظيم الحياة الإنسانية التي ترتبط ارتباطا وثيقا بأحوال الناس ومعاملاتهم، كما تظهر أهميتها في الوقوف في وجه من يحاول التعسف في استعمال حقه باسم القوامة والتقصير في أداء واجباته، مما يؤدي إلى ضياع حق المرأة لا سيما إذا كانت هذه الزوجة تجهل حقوقها التي كفلتها لها الشريعة وسايرها قانون الأسرة الجزائري في ذلك.

4.1 -منهج الدراسة:

للإجابة على التساؤلات اتبعنا المنهج الاستقرائي وذلك من خلال عرض أقوال الفقهاء وآرائهم التي تطرقوا إليها، وموقف قانون الأسرة الجزائري وتبيان نصوصه، وللوصول إلى أفضل النتائج اتبعنا المنهج المقارن لمقابلة ما ترجح في الفقه الإسلامي مع ما ورد في قانون الأسرة الجزائري.

5.1 -هيكل الدراسة:

تطلبت منا هذه الدراسة تقسيمها إلى محورين: المحور الأول خُصص للإطار المفاهيمي لمصطلحات الدراسة، والمحور الثاني عالجنا فيه نفقة زوجة المفقود وأثر التخلي عنها في الفقه الإسلامي وقانون الأسرة الجزائري.

2. -الإطار المفاهيمي لمصطلحات الدراسة:

1.2. - تعريف النفقة وأدلة وجوبها:

1.1.2 -تعريف النفقة: لغة: تعني الإخراج والذهاب، ومصدر النفوق هو

كالدخول، وتعود النفقة في حقيقتها الشرعية إلى سببين هما الزواج والقرابة (جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم، لسان العرب، 1424ه -2003م، صفحة 429)، والذي يخصنا في هذه الدراسة هو النفقة الزوجية.

اصطلاحا: تعددت تعريفات النفقة عند الفقهاء كل على حسب مذهبه على النحو الآتي:

عرفها المالكية : " بأنها ما به قوام معتاد حال الآدمي دون سرف". (محمد بن قاسم الأنصاري أبو عبد الله، 1350ه، الصفحات 227 -228).

عرفها الحنفية: "على أنها الطعام والسكنى و الكسوة ". (زين الدين بن ابراهيم بن محمد، صفحة 188).

أما الشافعية: "كل ما يحتاجه الإنسان، من طعام وشراب، وكسوة ومسكن". (الخن، البغا، و الشربجي، 1413ه -1992م، صفحة 169).

في حين عرفها الحنابلة بأنها " كفاية من يمونه خبزا و أدما وكسوة". (منصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن ادريس، 1413ه -1992م، صفحة 169).

فكل هذه التعاريف تدل على معنى واحد وإن اختلفت الألفاظ، فالنفقة هي ما ينفقه الزوج على زوجته من مأكل ومشرب وملبس.

- النفقة في قانون الأسرة الجزائري:

لم يخصص قانون الأسرة الجزائري النفقة بتعريف خاص و إنما اكتفى بتعداد أنواعها حسب نص المادة 78من قانون الأسرة الجزائري التي تنص على أنه "تشمل النفقة الغذاء و الكسوة والعلاج و السكن أو أجرته وما يعتبر من الضروريات في العرف والعادة" (القانون رقم 84 -11، 2005)، وقد اكتفى بتعريفها رجال القانون من بينهم د.بلحاج العربي على أنها :" ما يصرفه الزوج على زوجته و أولاده و أقاربه من طعام و كسوة ومسكن ، وكل ما يلزم للمعيشة بحسب المتعارف بين الناس وحسب وسع الزوج ". (العربي، 2004، صفحة 169).

فباستقراء ما سبق ذكره يمكن القول بأن النفقة هي ما يقدمه الإنسان لعائلته (زوجة وأولاد وأقارب)، لسد حاجياتهم الضرورية في الحياة من مأكل

وملبس ومشرب، وهذا ما حث عليه القرآن الكريم والسنة النبوية كما اتفق عليه سلف الأمة.

1.22. -أدلة وجوبها:

تضافرت الأدلة على وجوب النفقة ووردت في ذلك الآيات المحكمات، والبراهين القاطعات، والنصوص الواضحات، وسوف نقتصر في هذا المقام على ذكر الأدلة الشرعية التي تثبت هذا الحق إجمالا وفق ما يلي:

- من القرآن الكريم:

يقول الله تعالى: ﴿ **أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم**﴾(سورة الطلاق الآية 6)أي على قدر ما يجده أحدكم من السعة و المقدرة و الأمر بالإسكان أمر بالإنفاق.

وقال أيضا: ﴿**وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف**﴾(سورة البقرة الآية231)، أي وعلى الأب الرزق وهو الطعام الكافي المتعارف عليه في عرف الشرع من غير تفريط و لا إفراط. (أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، صفحة 163).

قال كذلك: ﴿ **لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله** ﴾(سورة الطلاق الآية 7) أي لينفق الزوج على زوجته وعلى ولده الصغير على قدر وسعه. (أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، صفحة 170).

- من السنة النبوية الشريفة:

أما السنة النبوية فقد جاءت حافلة بالأحاديث التي تدل على الإنفاق نذكر منها ما جاء عن جابر بن عبد الله، قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس، فقال : {**اتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمانة الله و استحللتم فروجهن بكلمة الله، وإن لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهون، فإن فعلن فاضربوهن ضربا غير مبرح، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف**} .

عن حكيم بن معاوية، عن أبيه، قال: قلت يا رسول الله، ما أحق أزواجنا علينا ؟ قال: { **أطعم إذا طعمت، واكس إذا اكتسيت، ولا تضرب الوجه، ولا تقبح، ولا تهجر إلا في البيت**} . (النسائي، 1411ه -1991م، الصفحات 375 -376).

عن عائشة : أن هند بنت عتبة قالت : يا رسول الله، إن أبا سفيان رجل شحيح وليس يعطيني ما يكفيني وولدي بالمعروف إلا ما أخذت منه، وهو لا يعلم، فقال {**خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف** } . (البخاري، 1422ه -2001م، صفحة 1426).

وقد أجمع العلماء منذ عصر النبي صلى الله عليه وسلم حتى عصرنا هذا على أن نفقة الزوجة على زوجها واجبة على الزوج بالدخول بها. (عبد العزيز ع، 1404ه -1984م، صفحة 21).

2.2 – مفهوم المفقود وتحديد دائرته:

1.2.2 -**تعريف المفقود: لغة:** الفاء والقاف والدال تدل على ذهاب الشيء وضياعه . (محمد مرتضى، 1406ه، صفحة 501).

وفقد الشيء يفقده فقدا وفُقداناً وفَقُوداً فهو مفقود وفقيد: أي عدمه. (جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم، لسان العرب، 1424ه - 2003م، صفحة 328)، والفاقد: المرأة تفقد ولدها أو بعلها والجمع فواقد. (أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، 1420ه -1999م، صفحة 355).

فالمفقود في اصطلاح اللغويين يدل على اختفاء الشيء وعدم ظهوره.

2.2.2 -**المفقود في اصطلاحا الفقهاء:** عرفه علماء الشريعة بتعريفات مختلفة:

عند الحنفية: " هو اسم لشخص غاب عن بلده ولا يعرف خبره أنه حي أم ميت". (علاء الدين، 1982ه، صفحة 196)، أو هو " الغائب الذي لا يدري مكانه ولا حياته ولا موته ". (عابدين، حاشية رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار، 1421ه -2000م، صفحة 292).

وعرفه الإمام السّرخسي بقوله: " اسم لموجود هو حي باعتبار أول حياته، ولكنّه خفيّ الأثر كالميت باعتبار مآله، وأهله في طلبه يجِدُّون ولخفاء مستقره لا يَجدون، فقد انقطع عليهم خبره واستتر عليهم أثره، وبالجِدَّ ربّما يصلون إلى المراد وربما يتأخر اللقاء إلى يوم التناد". (محمد بن أبي سهل، 1414ه -1993م، صفحة 34).

عند المالكية: يقول ابن عرفة " هو من انقطع خبره ممكن الكشف عنه، فيخرج الأسير والمحبوس الذي لا يستطاع الكشف عنه". (ابن عرفة، 1425ه -2014م، صفحة 486)، وقيل " هو الذي يغيب فينقطع أثره ولا يُعلم له خبر". (الخرشي، صفحة 149).

عند الشافعية والحنابلة: اعتمد الشافعية والحنابلة التعريف اللغوي للمفقود، فقد قال الإمام الشافعي في كتابه الأم: " المفقود هو من لا يسمع له بذكر" وعن أبي بكر قال حدثنا أبو داوود قال: سمعت أحمد بن حنبل يقول غير مرّة وسئل عن المفقود؟ قال: " المفقود عندنا أن يكون في أهله فيصبح فليس في أهله... أو يكون في غزو قتل بعض ورجع بعض... أو يركب البحر فيكسر بهم..." (أبو داود سليمان بن الأشعث بن اسحاق، 1420ه -1999م، صفحة 223).

قال فقهاء الشافعية: " المفقود الذي انقطع خبره وجهل حاله في سفر، أو حضر في قتال أو عند انكسار سفينة أو غيرهما، وفي معناه الأسير الذي انقطع خبره". (يحيى بن شرف الدين، 1405ه، صفحة 34).

وإلى المعنى نفسه ذهب فقهاء الحنابلة حيث قالوا: إن الفقدان أن تطلب الشيء فلا تجده، والمراد به هنا من لا تُعلَم له حياة ولا موت لانقطاع (منصور بن يونس، كشاف القناع عن متن الإقناع، صفحة 464)، وقالوا أيضا هو من خفي خبره بأسر أو سفر" (منصور بن يونس، الروض المربع شرح زاد المستنقع، صفحة 498).

3.2.2 -عرفه المشرع الجزائري في المادة 109 من قانون الأسرة: "بأنه الشخص الغائب الذي لا يعرف مكانه ولا يعرف حياته أو موته ولا يعتبر مفقودا إلا بحكم" (القانون رقم 84 -11، 2005).

بعد عرض جميع أقوال الفقهاء وبالاستناد إلى مجمل تعريفاتهم يمكننا أن نعرف المفقود بأنه:" هو من غاب عن أهله وذويه وانقطعت أخباره، ولا يعرف حياته ولا موته، ولا يستبين موته، فيدخل في حكمه المهاجر غير الشرعي الذي هاجر عن طريق البحر وفُقِدَ ولم تعرف حياته من موته"، وبذلك خرج من كان

غائبا عن أهله مع معرفة مكانه وإمكان الاتصال به كالمسافر والأسير والمسجون، فلا يعد الشخص مفقودا إلا إذا توافرت فيه ثلاثة عناصر، هي:

- أن تنقطع أخباره عن أهله وذويه وبلاده، فإذا علمت أخباره فلا يعد مفقودا.
- أن يكون مجهول مكان الإقامة، فإذا كان معروفا أنه وُجد بهذا المكان أو بذاك فليس مفقودا، وبهذا الشرط لا يعدّ الأسير والمحبوس مفقودا فهما معروفا مكان الإقامة وإن تغير.
- أن لا يعرف أهو من الأحياء أم من بين الأموات.

فكل هذه الشروط تنطبق على المهاجر غير الشرعي المفقود وهذا بشهادة أهله وذويه، فإذا اختل عنصر من هذه العناصر لا يسمى الشخص مفقودا.

والذي يبدو لي من خلال استعراضي للتعاريف أن تعريف الحنفية والشافعية هو الأرجح، حيث ما ذهب إليه المالكية في تعريفهم: من إمكان الكشف عنه، فهو في حيز الإمكان. لا في حيز الوجود.

3. - نفقة زوجة المهاجر غير الشرعي المفقود وأثر التخلي عنها بين الفقه الإسلامي وقانون الأسرة الجزائري

1.3. - حالة صبر المرأة على زوجها في النفقة حتى يتبين أمره

إن اختارت امرأة المفقود المقام والصبر حتى يتبين أمره ولم ترفع أمرها إلى الحاكم بقيت على الزوجية باتفاق المذاهب الإسلامية، فلها النفقة مادام حياً، ويُنفق عليها من ماله لأنّها محكوم لها بالزوجية، فتجب لها النفقة كما لو علمت حياته، فإذا تبين أنه كان حياً وقدم فلا كلام، وإن تبيّن أنه مات أو فارقها فلها النفقة إلى يوم موته أو بينونتها منه. (ابن قدامة، 1388ه -1968، صفحة 135).

جاء في الموسوعة الفقهية الكويتية أنه من الثابت بإجماع الفقهاء أن زوجة المفقود تستحق النفقة، وهذه النفقة تكون في مال المفقود، بذلك قال الحنفية والمالكية والحنابلة، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: تستدين، فإن جاء زوجها أخذت من ماله، وإن مات أخذت نصيبها من الميراث، فإن لم يكن للمفقود مال

وطلبت الزوجة من القاضي الحكم لها بالنفقة فإنه يجيبها إلى ذلك. (الموسوعة الفقهية، صفحة 272).

وقال الشهيد الثاني لو اختارت الصبر كان لها النفقة وعلى الإمام أن ينفق عليها من بيت المال طول المدّة، أي مدّة الغيبة إن صبرت ومدّة البحث إن لم تصبر، هذا إذا لم يكن له مال وإلا أنفق الحاكم منه مقدما على بيت المال. (زين الدين العاملي، صفحة 200)

نلاحظ أن الضمير في" له " في كلام الشهيد يعود للزوج ومنه يفهم تقدم الإنفاق من مال الزوج على بيت المال.

ولكن مهما طال صبر المرأة فإن له حدود لهذا حدد الفقهاء مدة أربع سنين تتربص فيها المرأة في حالة ما إذا أرادت أن تعيد بناء حياتها من جديد، فغير معقول أن تبقى عالقة لا متزوجة ولا مطلقة طوال حياتها، قال مالك تعتدّ زوجة المفقود عدّة الوفاة بعد مضيّ أربع سنين، وهو مذهب الشافعي القديم، وعند أحمد إن كان يغلب على حاله الهلاك كمن فُقِد في مركبٍ قد انكسر وهو حال المهاجر غير الشرعي، أو خرج لحاجة قريبة ولم يرجع ولم يعلم خبره فهذا بعد أربع سنين يقسم ماله وتعتدّ زوجته. (عابدين، رد المحتار على الدر المختار، 1412ه - 1992م، صفحة 295).ولزوجة المفقود الرفع (للقاضي والوالي) أي حاكم البلد وحاكم السياسة و(والي الماء) أي الساعي وسمي هكذا لخروجه عند اجتماع المواشي على الماء أول الصيف، وإلا فلجماعة المسلمين فتؤجل أربع سنين إن دامت نفقتها. (محمد بن يوسف بن أبي القاسم بن يوسف، 1416ه -1993م، صفحة 228)، ولها النفقة في مدّة التربص ومدّة العدّة، لأن مدّة التربص لم يحكم فيه ببينونتها من زوجها، فهي محبوسة عليه بحكم الزوجية فأشبه ما قبل المدّة، وأمّا مدّة العدّة فلأنها غير متيقّنة بخلاف عدّة الوفاة فإن موته متيقن، وما بعد العدّة إن تزوجت أو فرّق الحاكم بينهما سقطت نفقتها لأنها أسقطتها بخروجها عن حكم نكاحه، وإن لم تتزوج ولا فرّق الحاكم بينهما فنفقتها باقية لأنها لم تخرج بعد من نكاحه قد روى ابن عمر وابن عباس قالا: تنتظر امرأة المفقود أربع سنين

وقال ابن عمر: ينفق عليها من مال زوجها، وقالا: ينفق عليها بعد في العدّة بعد الأربع سنين من مال زوجها جميعه، أربعة أشهر وعشرا. (ابن قدامة، 1388ه - 1968، صفحة 135) و (الشيرازي، صفحة 158) و (قدامة، 1414ه -1994م، صفحة 231)، استدلوا بقوله تعالى ﴿ **ولا تمسكوهنّ ضرارا لتعتدوا** ﴾(سورة البقرة الآية 229)، وعن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم { **لا ضرر ولا ضرار**}. (ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد، صفحة 784)، فالضرر منفي بهذه الأخبار وبما أن صبر المرأة أبدا ضرر فهو منتف، وعن سعيد بن المسيب أن عمر ابن الخطاب قال: { **أيما امرأة فقدت زوجها فلم تدر أين هو فإنّها تنتظر أربع سنين ثمّ تنتظر أربعة أشهرٍ وعشراً**} وعن جابر بن زيد أنه شهد بن عباس وبن عمر رضي الله عنهما تذاكرا امرأة المفقود فقالا تربص بنفسها أربع سنين ثم تعتد عدة الوفاة، ثم ذكروا النفقة فقال بن عمر لها نفقتها لحبسها نفسها عليه..) (البهيقي، 1414ه -1994م، صفحة 445).

لكنهم ذكروا أنه يجوز أن تصبر إذا شاءت، إلى أن يأتي الله به أو تتقين موته، وعلى هذا فيكون مدة التربص مقيدة بما إذا أرادت أن تتزوج، وأما إذا قالت: سأنتظر حتى أتيقن موته فما نلزمها بأن تتربص وتعتد. (محمد بن صالح بن محمد، 1422 -1428ه، صفحة 371).

ومنهم من يرى بأنه لا خيار للمرأة في الفرقة فعليها أن تنتظر حتى يعلم موته أو طلاقه أو يموت أقرانه أو تموت هي، وهو قول داود وأصحابه الظاهرية كأمثال ابن حزم حيث يطلق الفقد على من عرف موضعه أو لم يعرف في حرب أو غير حرب لكنه لا يرى بين هذه الصورة وغيرها حكما، إذ على زوجته الصبر أبدا حتى يصح موته أو تموت هي. (ابن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، صفحة 345).

في حين نلاحظ ثغرة في قانون الأسرة الجزائري حيث لم يتناول هذا الشرط ولم يشر إليه على الإطلاق، مما يتعين تطبيق ما تم الاتفاق عليه بين الفقهاء وهذا وفقا لنص المادة الأولى من القانون المدني حيث نصت على: "... إذا لم يوجد

نص تشريعي حكم القاضي بمقتضى مبادئ الشريعة الإسلامية" (الأمر 75 -58، 1975).

2.3 . - حالة عدم صبر المرأة على زوجها واختيارها للفرقة

اعترف المشرع الجزائري على غرار الشريعة الإسلامية بحق الزوجة في طلب التطليق من زوجها في حالة عدم الإنفاق عليها من خلال عدة نصوص شرعية وقانونية واضحة وصريحة، ولم يفرقوا في ذلك بين الحاضر زوجها أو الغائب، وكان لاعترافهم هذا اختلافات، فمنهم من أعطاها الحق في طلب التفريق، ومنهم من قال عكس ذلك، وقبل التطرق لاختلافات لا بد من الإشارة إلى أن الفقهاء فرقوا بين حالتين:

- حالة وجود مال ظاهر للزوج حاضرا أو غائبا و امتناعه عن الإنفاق.
- حالة عدم وجود مال ظاهر لفقره و إعساره أو جهل مكانه وقيمته، أو كان غائبا وامتنع عن الإنفاق.

فبالنسبة للحالة الأولى: وهي حالة وجود مال ظاهر حاضرا أو غائبا وامتناعه عن الإنفاق على الزوجة، فقد قال جمهور الفقهاء أنه ليس لها الحق في طلب التفريق لأن المقصود هو رفع الظلم عن الزوجة، ومنع الظلم قد تعين سبيله وهو تنفيذ حكم النفقة في ماله الظاهر وبيعه في سبيل تنفيذ هذا الحكم، يؤخذ منه ذلك دون التوقف على إذنه، وحجتهم في ذلك قضاءه عليه الصلاة والسلام في شكوى هند زوجة أبا سفيان بأن تأخذ من ماله ما يكفيها وولدها بالمعروف فلو كان للزوجة الخيار بالتفريق في هذه الحالة لما أمر عليه الصلاة و السلام بأن تأخذ من مال زوجها بالمعروف .

أما بالنسبة للحالة الثانية: وهي إذا لم يكن للزوج مال ظاهر يمكن أخذ النفقة منه سواء كان لفقره أو إعساره، أو للجهل بماله لإخفائه هذا المال بحيث لا يعلم مكانه وامتنع عن الإنفاق، ففي هذه الحالة هناك خلاف بين الفقهاء فهناك من يقول لها الحق في الطلاق وهناك من يقول ليس لها هذا الحق. (خليل، 2015، الصفحات 26 -27).

1.2.3 - القائلون بجواز التفريق للإعسار:

اتفق الأئمة الثلاثة مالك والشافعي و أحمد(ابن رشد، بدون سنة النشر، صفحة 305)، إلى جواز التفريق لعدم الإنفاق، واتفقوا على أن الإعسار الموجب للتفريق هو العجز عن النفقة الضرورية في أدنى أحوالها وعلى أن العجز عن النفقة الماضية لا يوجب التفريق إنما الذي يوجب التفريق هو العجز عن النفقة الحاضرة و المستقبلية (أبو زهرة، صفحة 351)، واستدلوا بمذهبهم هذا بما يأتي

1- أن الزوج مكلف بأن يمسك زوجته بالمعروف أو يسرحها و يطلقها بإحسان، لقوله تعالى: ﴿ **فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان** ﴾(سورة البقرة الآية 227) ولا شك أن عدم النفقة ينافي الإمساك بمعروف.

2- أن الله تعالى يقول ﴿ **ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا**﴾(سورة البقرة الآية 229)، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول {**لا ضرر و لا ضرار**}، وأي إضرار ينزل بالمرأة أكثر من ترك الإنفاق عليها، وإن على القاضي أن يزيل هذا الضرر .

3- وإذا كان من المقرر أن يفرق القاضي من أجل العيب في الزوج فإن عدم الإنفاق يعد أشد إيذاء للزوجة وظلما لها من وجود عيب بالزوج فكان التفريق لعدم الإنفاق أولى. (سيد، 1397ه -1977م، الصفحات 246 - 247).

4- كتب عمر رضي الله عنه إلى أمراء الأجناد، في رجال غابوا عن نسائهم، يأمرهم أن يأخذوهم أو ينفقوا أو يطلقوا، فإن طلقوا بعثوا بنفقة ما مضى.

5- كما سئل سعيد بن مسيب عن رجل يعجز عن نفقة امرأته، فقال : " **يفرق بينهما** " قلت سنة ؟ فقال " **سنة** " (أبي شيبة، 1409ه، صفحة 169).

2.2.3 - القائلون بعدم جواز التفريق للإعسار:

<u>المذهب الأول</u>: ذهب الأحناف. (محمد بن أبي سهل، 1414ه -1993م، صفحة 187)، إلى عدم التفريق بين الزوجين للإعسار أو عدم الإنفاق، وللمرأة أن تستدين أو تنفق على نفسها إن كان لها مال ظاهر على أن يكون هذا في ذمة الزوج يدفعه حين يساره، وإذا تبين للقاضي أن الزوج ممتنع عن الإنفاق ظلما ولم يتمكن من

التنفيذ جبرا عنه في الإنفاق حكم عليه بالحبس لأنه يعتبر حينئذ ظالما في عدم الإنفاق (الصابوني، صفحة 81)، صفحة 81)، ودليلهم في هذا ما يلي:

1) أن الله سبحانه و تعالى قال:﴿ **لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله، لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا**﴾(سورة الطلاق الآية 7).

2) سئل الإمام الزهري عن الرجل الذي لا يجد ما ينفق على امرأته يفرق بينهما؟ قال: يستأنى له ولا يفرق بينهما وتلا الآية السابقة (أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع، 1403ه، صفحة 95).

3) أن الصحابة كان منهم الموسر و المعسر، ولم يعرف عن أحد منهم أن النبي صلى الله عليه وسلم فرق بين الرجل و امرأته بسبب عدم النفقة لفقره و إعساره.

4) وقد سئل نساء النبي صلى الله عليه وسلم النبي ما ليس عنده، فاعتزلهن شهرا وكان ذلك عقوبة لهن، وإن كانت المطالبة بما لا يملك الزوج تستحق العقاب، فأولى أن يكون طلب التفريق عند الإعسار ظلما لا يلتفت إليه.

5) قالوا: إذا كان الامتناع عن الإنفاق مع القدرة عليه ظلما، فإن الوسيلة في رفع هذا الظلم هي بيع ماله للإنفاق منه، أو حبسه حتى ينفق عليها، ولا يتعين التفريق لدفع هذا الظلم مادام هناك وسائل أخرى، وإذا كان كذلك فالقاضي لا يفرق بهذا السبب لأن التفريق أبغض الحلال إلى الله من الزوج صاحب الحق، فكيف يلجأ القاضي إليه مع أنه غير متعين، وليس هو السبيل الوحيد لرفع الظلم، هذا إن كان قادرا على الإنفاق، فإن كان معسرا فإنه لم يقع منه ظلم لأن الله لا يكلف نفسا إلا ما آتاها. (سيد، 1397ه -1977م، صفحة 247).

<u>المذهب الثاني</u>: وهو مذهب الظاهرية الذي يرى بعدم التفريق للإعسار، فإن عجز الزوج عن نفقة نفسه و امرأته غنية كلفت النفقة عليه، ولا ترجع عليه بشيء من ذلك إن أيسر. (ابن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، صفحة 245).

<u>المذهب الثالث</u>: رأي ابن القيم الجوزية، والذي أخذ في هذا المقام موقف وسط بين الجمهور و الحنفية إذ جاء في زاد المعاد : " والذي تقتضيه أصول الشريعة

وقواعدها في هذه المسألة أن الرجل إذا غر المرأة بأنه ذو مال، فتزوجته على ذلك، فظهر معدما لا شيء له، أو كان ذا مال، و ترك الإنفاق على امرأته، ولم تقدر على أخذ كفايتها من ماله بنفسها، ولا بالحاكم أن لها الفسخ، وإن تزوجته عالمة بعسرته، أو كان موسرا، ثم أصابته جائحة اجتاحت ماله، فلا فسخ في ذلك، ولم تزل الناس تصبهم الفاقة بعد اليسار، ولم ترفعهم أزواجهم إلى الحكام ليفرقوا بينهم وبينهن، ومنه يستنتج أن التفريق عند ابن القيم يكون في حالتين فقط:

1) حالة قدرة الزوج على الإنفاق و امتناعه عن ذلك .
2) حالة تغرير الزوج بالزوجة أثناء عقد الزواج على أنه غني و الحال أنه فقير. (ابن القيم، 1418ه -1998م، صفحة 465).

3.2.3 -ثالثا: موقف المشرع الجزائري من التفريق للإعسار:

نص المشرع الجزائري في المادة 53 /1 من قانون الأسرة على أنه " يجوز للزوجة أن تطلب التطليق للأسباب الآتية: 1 - عدم الإنفاق بعد صدور الحكم بوجوبه ما لم تكن عالمة بإعساره وقت الزواج، مع مراعاة المواد 78 و 79 و 80 من هذا القانون..." (القانون رقم 84 -11، 2005).

بتحليل مبسط لهذا النص، نستطيع استخلاص الشروط الواجب توفرها لقيام حق الزوجة في طلب تطليقها من زوجها رغما عنه، بل بناء على إرادتها لوحدها، ويمكن تلخيص هذه الشروط فيما يلي:

<u>الشرط الأول</u>: هو أن يكون بيدها حكم صادر عن قسم شؤون الأسرة بالمحكمة يقضي على الزوج بأن يقدم نفقة ذات مبلغ معلوم ومحدد إلى زوجته، أو إلى زوجته و أولاده الذين هم في حضانتها بموجب نفس هذا الحكم القاضي بالنفقة، أو بموجب حكم آخر لاحق له. (عبد العزيز س.، 1986ه، صفحة 231).

<u>الشرط الثاني</u>: هو وجوب أن يكون الحكم المستند إليه في طلب التطليق بالنفقة قد حاز قوة القضية المقضية، أو قوة الشيء المحكوم فيه، ولم يعد يقبل أيّ طريق من طرق الطعن العادية.

الشرط الثالث: أن يكون الزوج قد بُلِّغ بالحكم المستند إليه وطُلِب منه تنفيذه، وأن يكون قد امتنع حقيقة وفعلا عن تنفيذ هذا الحكم وتجاهله وتجاهل العدالة معه عمدا، دون أن يقدم أي عذر أو قدّم أعذار غير قانونية ولم تقبلها منه المحكمة، على أن يثبت الامتناع بموجب محضر يحرره المحضر القضائي.

الشرط الرابع: وأما آخر شرط فهو ذلك الذي تضمنته الفقرة الأولى من المادة 53 السالف ذكرها، والتي تشترط لإمكانية طلب الزوجة التطليق لعدم الإنفاق بعد صدور الحكم بوجوبه ألا تكون هذه الزوجة عالمة بإعسار زوجها وفقره وقت أو قبل انعقاد عقد الزواج، لأن هذه الزوجة إذا كانت على علم يقين بأن زوج المستقبل غير ميسور الحال وأنّ دخله متواضع جدا، ومع ذلك ارتبطت معه بعقد زواج فإنه لا يجوز لها بعد ذلك أن تتظلم منه، ولا أن تطلب التطليق منه بسبب عدم القدرة على الإنفاق عليها أو عجزه عنه بعد الزواج، وذلك لأن علم الزوجة بعسر زوجها وفقره قبل العقد أو وقت العقد يسقط حقها في طلب التطليق لعدم الإنفاق بعد العقد وبعد الدخول. (عبد العزيز س.، 1986ه، صفحة 232).

نلاحظ بأن الفقهاء قد اتفقوا على أن نفقة الزوجة واجبة على الزوج، ولم يفرقوا بين الحاضر والغائب، وبهذا تتوحد الحقوق لامرأة الحاضر والمفقود، فكما أن زوجة الحاضر لها الحق في طلب التطليق لإعسار زوجها، فإنه من باب أولى أن تكون لزوجة المفقود هذا الحق أيضا وذلك لاجتماع ضررين عليها وهما ضرر غياب الزوج وضرر عدم الإنفاق.

كما نلاحظ أنّ قانون الأسرة الجزائري لم يخص بحكم المادة 53 فئة معينة من النساء بل أطلقها على عمومها، ولكن بمفهوم المخالفة يتبين لنا أن هذه المادة تخص فقط الأزواج الحاضرين الممتنعين عن الإنفاق، ويفهم هذا من خلال الشرط الثالث المذكور أعلاه، لأن الزوج المفقود لا يصله الحكم ولا يبلغ به ولا يمكنه تنفيذه لجهل مكانه، وبهذا يكون قد اختل شرط من شروط المادة 53 فيسقط حق زوجة المفقود في طلبها للتطليق.

كذلك عند استقرائنا لقانون الأسرة الجزائري لا نجد ولا نص قانوني يتحدث عن زوجة المفقود وعن مصيرها وحقوقها إلاّ المادة 112 التي صرحت بأن لزوجة المفقود أو الغائب أن تطلب التطليق بناء على الفقرة الخامسة من 53 من هذا القانون، حيث تنص هذه الأخيرة على أنه: " يجوز للزوجة أن تطلب التطليق لغيبة الزوج بعد مرور سنة بدون عذر ولا نفقة" (القانون رقم 84 -11، 2005)، مما يفهم منها أنه إذا اجتمع لدى المرأة ضرر عدم الإنفاق وضرر غيبة الزوج يتقدم ضرر الغيبة الذي حدده المشرع الجزائري بسنة، وهذا ما يتعارض مع المدة التي حددها الفقهاء بأربع سنوات.

ولكن يبقى السؤال مطروح، هل يحق لزوجة المهاجر غير الشرعي المفقود أن ترفع أمرها للقضاء قبل مضي مدة التربص التي حددها الفقهاء خصوصا وأنهم قيدوا هذه المدّة بقولهم إن دامت نفقتها؟ فبمفهوم المخالفة إذا لم تدم نفقتها فتفرق بينها وبين زوجها، أو تنتظر حتى تنتهي المدّة؟ وإذا تضررت طوال هذه المدّة كأن فوتت عليها فرص إعادة حياتها فما هو الحكم؟ وإذا لم يكن للزوج المهاجر المفقود مال ولم يرض وليه بالإنفاق عليها أو عجز على ذلك فما هو مصيرها؟

4. - خاتمة:

وفي الختام توصلت إلى نتائج من خلال هذا البحث يمكن أن أوجزها بما يأتي:

- نفقة الزوجة واجبة على زوجها سواء كان حاضرا أو غائبا.
- النفقة المستحقة للزوجة والتي يحق لها أن تتظلم منها هي ما تشمل

المأكل والمشرب والملبس، ماعدا ذلك يدخل ضمن التحسينيات.

- المفقود يشمل كل من خرج من بيته ولم يعد وانقطعت أخباره فلا تعلم حياته من موته وهو حال المهاجرين غير الشرعيين، فمعظم شبابنا وحتى شاباتنا فُقدوا بهذه الطريقة وتركوا أهلهم في حيرة من أمرهم.
- المهاجر غير الشرعي المفقود مخاطب بالإنفاق كغيره من الأزواج الحاضرين وليس له مايبرر غيابه.
- للزوجة الحق في طلب التفريق بينها وبين زوجها المهاجر المفقود إذا لم تجد معيل وكفيل لها ولأولادها.
- عظمة التشريع الإسلامي وسعته وسموه الذي لم يترك مسألة من مسائل الفقه صغيرة ولا كبيرة إلاّ أولاها العناية الخاصة بها.

كما لا يخفى علينا في الأخير نقدم بعض النصائح لعلنا نجد آذان صاغية وعقول واعية، أهمها:

- الاهتمام بهذه الفئة وتسخير كل الإمكانيات اللازمة للكشف عن وضعيتهم.
- التأكد من توفر الرعاية الحكومية لزوجة المهاجر غير الشرعي من حيث تخصيص مبالغ نفقتها ورعايتها صحيا ونفسيا وتوفير المسكن الملائم لها ولأولاده.
- استصدار قوانين تتيح لزوجة المهاجر غير الشرعي الحق في البقاء في بيتها أو الزواج إذا أرادت وكذا الأمور الأخرى المتعلقة بها كرعاية الأولاد.
- إعادة البحث والنظر في المدّة التي حددها الفقهاء والتأكد من صلاحيتها وملائمتها لمتطلبات العصر، نظرا لأن جلّ هذه الأحكام هي أحكام اجتهادية وضعت لتواكب متطلبات ذلك الزمان.
- الاتفاق مع دول العالم خصوصا دول أوروبا التي كثرت فيها الهجرة وإبرام اتفاقيات معها لوضع حدّ لهذه الظاهرة.

- تقنين عقوبات رادعة للاجئين لهذه الظاهرة.
- تخصيص جهات خاصة يناط بهم البحث عن المهاجرين غير الشرعيين وبيان حالهم.
- إجراء دراسات فقهية وقانونية حول موضوع الحقوق المالية لزوجة المهاجر غير الشرعي تتكامل مع الدراسة الحالية.
- أما بخصوص قانون الأسرة الجزائري وبالرغم من أنه عالج هذه المسألة لكنه لم يفصل فيها، لهذا نقترح أن يفصل كثيرا في هذا الموضوع ولا سيما المهاجرين غير الشرعيين.

المراجع

- **الكتب:**

ابن عابدين(1421ه -2000م)، حاشية رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار، دار الفكر، بيروت.

ابن عابدين (1412ه -1992م)، رد المحتار على الدر المختار، دار الفكر، بيروت.

ابن قدامة المقدسي (1414ه -1994م)، الكافي في فقه الإمام أحمد، دار الكتب العلمية، بدون بلد النشر.
ابن قدامة المقدسي الحنبلي(1388ه -1968)، المغني، مكتبة القاهرة، بدون بلد النشر.
ابن القيم الجوزية(1418ه -1998م)، زاد المعاد في هدى خير العباد،مؤسسة الرسالة، بدون بلد النشر.
ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (بدون سنة النشر)، سنن ابن ماجة، دار إحياء الكتب العربية، بدون بلد النشر.
أبو بكر أبي شيبة(1409ه)، المصنف في الأحاديث والآثار، مكتبة الرشد، الرياض.
أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني(1403ه)، المصنف، المجلس العلمي، الهند.
أبو داود سليمان بن الأشعث بن اسحاق السجستاني(1420ه -1999م)، مسائل الإمام أحمد رواية أبي داود السجستاني، ابن تيمية، مصر.
أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (بدون سنة النشر)، المحلى بالآثار، دار الفكر، بيروت.
أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي(1420ه -1999م)، معجم مقاييس اللغة، دار الكتب العلمية، بيروت -لبنان.
أبي عبد الرحمان أحمد بن شعيب النسائي(1411ه -1991م)، السنن الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت -لبنان.
أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (بدون سنة النشر)، الجامع لأحكام القرآن، بدون دار النشر، بدون بلد النشر.
أبي عبد الله محمد بن اسماعيل(1422ه -2001م)، الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه المشهور بصحيح البخاري،المكتبة العصري، بيروت.
أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البهيقي(1414ه -1994م)، سنن البهيقي الكبرى، دار الباز، مكة.
بلحاج العربي(2004)، الوجيز في شرح قانون الأسرة الجزائري مقدمة الخطبة الزواج الطلاق الميراث الوصية،ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون - الجزائر.
جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري الإفريقي المصري(1424ه - 2003م)، لسان العرب، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
خليل عمرو(2015)، انحلال الرابطة الزوجية بناء على طلب الزوجة في الفقه الإسلامي وقانون الاسرة الجزائري دراسة مقارنة،دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية.

زين الدين العاملي الشهيد الثاني (بدون سنة النشر)، الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية، بدون دار النشر، بدون بلد النشر.

زين الدين بن ابراهيم بن محمد المعروف بابن نجيم المصري (بدون سنة النشر)، البحر الرائق شرح كنز الدقائق، دار الكتاب الإسلامي، بدون بلد النشر.

سيد سابق(1397ه -1977م)، فقه السنة، دار الفكر، بيروت - لبنان.

الشيرازي (بدون سنة النشر)، المهذب في فقه الإمام الشافعي، دار الكتب العلمية، بدون بلد النشر.

عبد الرحمان الصابوني (بدون سنة النشر)، شرح قانون الأحوال الشخصية السوري، بدون دار النشر، بدون بلد النشر.

عبد العزيزسعد(1986ه)، الزواج والطلاق في قانون الأسرة الجزائري، دار البعث قسنطينة.

عبد العزيزعامر(1404ه -1984م)، الأحوال الشخصية في الشريعة الإسلامية فقها وقضاء، دار الفكر العربي، بدون بلد النشر.

علاء الدين الكاساني(1982ه)، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، دار الكتاب العربي، بيروت.

محمد أبو زهرة (بدون سنة النشر)، الأحوال الشخصية، دار الفكر العربي، بدون بلد النشر.

محمد بن أبي سهل السرخسي(1414ه -1993م)، المبسوط، دار المعرفة، بيروت.

محمد بن صالح بن محمد العثيمين(1422 -1428ه)، الشرح الممتنع على زاد المستنقع، دار ابن الجوزي، بدون بلد النشر.

محمد بن عبد الله الخرشي المالكي (بدون سنة النشر)، شرح مختصر خليل، دار الفكر للطباعة، بيروت.

محمد بن قاسم الأنصاري أبو عبد الله الرصاع التونسي المالكي(1350ه)، الهداية الكافية الشافية لبيان حقائق الإمام ابن عرفة الوافية،المكتبة العلمية، بدون بلد النشر.

محمد بن محمد بن عرفة الورغمي التونسي المالكي(1425ه -2014م)، المختصر الفقهي، مؤسسة خلف أحمد الخبتور للأعمال الخيرية، بدون بلد النشر.

محمد بن يوسف بن أبي القاسم بن يوسف العبدري الغرناطي،أبو عبد الله المواق المالكي(1416ه -1993م)، التاج والاكليل لمختصر خليل، دار الكتب العلمية، بدون بلد النشر.

محمد مرتضى الزبيدي(1406ه)، تاج العروس من جواهر القاموس،منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت - لبنان.

مصطفى الخن، مصطفى البغا، علي الشربجي(1413ه -1992م)، الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي، دار القلم، دمشق.

منصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن ادريس البهوتي الحنبلي(1413ه -1992م)، كشاف القناع عن متن الإقناع، دار الكتب العلمية، بدون بلد النشر.

منصور بن يونس (بدون سنة النشر)، الروض المربع شرح زاد المستنقع، دار المؤيد مؤسسة الرسالة، بدون بلد النشر.

منصور بن يونس البهوتي (بدون سنة النشر)، كشاف القناع عن متن الإقناع، دار الكتب العلمية، بدون بلد النشر.

الموسوعة الفقهية الكويتية (بدون سنة النشر، صادرة عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، بدون دار النشر، الكويت.

يحيى بن شرف الدين النووي(1405ه)، روضة الطالبية وعمدة المفتين، المكتب الإسلامي، بيروت.

- النصوص القانونية:

الأمر رقم 75 -58 المؤرخ في 20 رمضان عام 1395 الموافق 26 سبتمبر سنة 1975، المتضمن القانون المدني، المعدل والمتمم.

القانون رقم: 84 -11، المؤرخ في 9 رمضان عام 1404ه الموافق 9 يونيو سنة 1984، المتضمن قانون الأسرة، المعدل والمتمم بموجب رقم: 02 -05 المؤرخ في: 27 فبراير 2005.

مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ر ت م د: 7163 -1112 ر ت م د إ:2588-1892
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2

تعليل الحكم الشرعي بالحكمة في القياس عند الأصوليين

Reasoning Islamic rulings with Hikma in Analogy between fundamentalists

يوسف مواتسي [1]، عبد الباقي بدوي [2]

1 -جامعة أكلي محند أولحاج (البويرة)، مخبر مناهج البحث في العلوم الإسلامية ومقاصدها ومسالك تقويمها. كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر، مدير المخبر: أ. د. عمار جيدل، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، y.mouatsi@univbouira.dz

2 -جامعة أكلي محند أولحاج (البويرة)، مخبر مناهج البحث في العلوم الإسلامية ومقاصدها ومسالك تقويمها. كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر، مدير المخبر: أ. د. عمار جيدل، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، badaouiabdelbaki@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2020/05/05 تاريخ النشر: 2021/04/18

ملخص

أنزل الله كتبه، وأرسل رسله؛ لهداية الناس إلى أقوم طريق وأهدى سبيل، فجاءت شرائعه على وفق الحكمة رحمة بالخلق وسيرا بهم إلى محض الصلاح والنفع، ولن تستقري نصوص الكتاب والسنة إلا وجدتها دائرة بين أصلين عظيمين، وطودين راسخين: دفع المفاسد وجلب المصالح في الدارين، فترى الشرع يبيح إذا كانت المفسدة مغمورة في جانب المصلحة الراجحة، وتراه يحرم إذا كانت المصلحة مغمورة في جانب المفسدة الراجحة، وهذا محض الحكمة.

والقياس الشرعي من تجليات حكمة الله في شرعه، فهو جمع بين المتماثلات، والحكمة تقتضي ذلك وتدعو إليه.

ودعامة القياس التي يقوم عليها أساسه هو العلة التي هي الوصف المناسب الذي يناط به الحكم، ووراء العلة حكمة اقتضت تعليق الحكم بذلك الوصف المناسب.

ومن المعلوم أن شرط العلة أن تكون وصفا ظاهرا منضبطا، فإذا اختل هذا الشرط كانت العلة غير ملتفت إليها، والحكمة كثيرا ما يكون هذا حالها، لا

المؤلف المرسل: يوسف مواتسي youssoufmouatsi@gmail.com

تنفك عن خفاء واضطراب، فهل إذا كانت الحكمة ظاهرة منضبطة جاز تعليل الأحكام بها؟

وهذه الدراسة تهدف إلى معرفة الراجح من أقوال الأصوليين في تعليل الأحكام الشرعية بحكمها، وهم الذين انقسموا إلى ثلاثة مذاهب: المنع مطلقا، والجواز مطلقا، والثالث التفصيل.

كلمات دالة : الحكمة، التعليل، العلة، القياس، الوصف المناسب، الوصف المنضبط.

Abstract

Qiyas (Analogical Deduction) combines similar things, and the wisdom requires that.

The Analogy depends on the common cause between the original case (Asal) and The New Case (Far'), this common cause bears a proper or reasonable relationship to the Hukm, and behind this cause is Hikmah pushes to link Hukm to its effective cause.

the common cause must be a constant clear attribute, If this condition is lost, the common cause is not considered, and that often is the case of Al Hikma, it is hidden and inconstant.

can we justify The provisions with Al Hikma when it is constant and clear?

This study aims to know the most correct opinions of fundamentalists in the reasoning of Islamic rulings with its Hikma, and fundamentalists divided into three opinions: the first is prohibition, the second is: permission, the third is detailing.

Key words:

Wisdom, reasoning, Effective cause, Analogy, proper attribute, constant attribute.

مقدمة

أنزل الله ـ تعالى ـ شرائعه، وأرسل رسله رحمة للخلق، فكانت كل أحكامه موافقة للحكمة، لا يحيد حكم واحد منها عن هذه القاعدة الكلية القطعية العظيمة، وقد أنزل الله الكتاب والميزان، والميزان العدل، والقياس من الميزان.

وإن أساس القياس هو الوصف المناسب المشترك بين الأصل والفرع، وهو الذي تناط به الأحكام، ولهذا الحكم المعدّى من الأصل إلى الفرع حكمة متوخاة من شرعه لأجلها كان الوصف المناسب علة.

إشكالية الموضوع:

من المتقرر أن التعليل يكون بالوصف الظاهر المنضبط المسمى علة، والحكمة هي المعنى الذي به كان الوصف المناسب علة للحكم، فإذا كان الأمر كذلك فهل يجوز تعليل الحكم الشرعي بالحكمة؟

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى تحقيق ما يلي:

1 ـ معرفة آراء الأصوليين حول مسألة تعليل الحكم الشرعي بالحكمة.

2 ـ بيان الراجح من هذه الأقوال.

أهمية الموضوع:

تتمثل أهمية دراسة هذا الموضوع في بيان أهمية معرفة الراجح من أقوال الأصوليين في مسألة تعليل الحكم الشرعي بالحكمة، وأثر ذلك على الاختيارات الفقهية.

الدراسات السابقة:

لا يكاد يخلو مصنف أصوليّ قديم أو حديث من مسألة تعليل الحكم الشرعي بالحكمة في القياس، ولكنّ مع انتشار البحوث الأكاديميّة والمقالات العلمية؛ قام بعض الباحثين بإفرادها بالدرس والتحليل ، ومن هؤلاء:

ـ محمد مصطفى شلبي، "تعليل الأحكام"، وأصل كتابه هو رسالة دكتوراه في جامعة الأزهر، وقد تناول موضوع بحثنا تحت عنوان "الشعبة الثانية: في التعليل بالحكمة وبيان منشأ اختلافهم فيه"، وتناولها من الصفحة 135 إلى الصفحة 149، وقد رجّح جواز التعليل بالحكمة إذا انضبطت.

ـ عامر ياسين عيدان، وحسام حسين مزبان، في مقالهما الموسوم بـ " الصلة بين التعليل بالحكمة ونقض العلة عند الأصوليين، وهو بحث منشور في مجلة العلوم الإسلامية، العدد السادس عشر، 2017م، الجامعة العراقية، بغداد، وقد رجّحا جواز التعليل بالحكمة إذا انضبطت.

المنهجية المتبعة في دراسة الموضوع:

اعتمدت في دراسة هذا الموضوع على المنهج الاستقرائي التحليلي؛ حيث تتبعت المادة العلمية الخاصة بالموضوع ونقلتها من مظانها، وأتبعت ذلك بالشرح والتحليل.

خطة البحث:

افتتحت هذا المقال بمقدّمة، ثم إشكالية الموضوع، وأهداف الدراسة، وأهمية الموضوع، والدراسات السابقة، ثم بينت المنهجية المتبعة في الدراسة.

وقسمته إلى ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بالحكمة، وعلاقتها بالعلّة، وقد تضمن هذا المطلب أربعة فروع.

المطلب الثاني: تعليل الحكم الشرعي بالحكمة بين الجواز والمنع، وفيه ثلاثة فروع.

ومطلب ثالث: في بيان الراجح من مذاهب الأصوليين.

ثم خاتمة ـ أسأل الله حسنها ـ.

1 ـ المطلب الأول: التعريف بالحكمة، وعلاقتها بالعلّة:

قبل الشروع في المقصود لابدّ من بيان معاني المصطلحات الواردة في عنوان المقال؛ حتّى يكون القارئ على بيّنة، ولا تلتبس عليه الأمور.

1 ـ 1 ـ الفرع الأول: تعريف الحكم الشرعي:

1 ـ 1 ـ 1 ـ تعريف الحكم: لغة:

الحكم لغة: القضاء، وأصله المنع، يقال حكمت عليه بكذا إذا منعته من خلافه فلم يقدر على الخروج من ذلك. (الفراهيدي، صفحة 66/3 ـ 67) (الفيومي، صفحة 145)

1 ـ 1 ـ 2 ـ تعريف الحكم الشرعي اصطلاحا:

أما في اصطلاح الفقهاء فهو: مدلول خطاب الشرع المتعلقُ بفعل المكلف تكليفا أو وضعا، وفي اصطلاح الأصوليين هو: نفس الخطاب، فكون الخمر حراما هو الحكم الشرعي عند الفقهاء؛ لأنه الأثر المترتب على خطابه سبحانه: "إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه" (سورة

المائدة، الآية: 90)، وتحريم الخمر هو الحكم الشرعي عند الأصوليين والتحريم هو نفس خطاب الشرع. (المرداوي، 1421هـ/2000م، صفحة 790/2 ـ 793)

وهو على قسمين: تكليفي وهو خمسة أقسام - (الواجب والمندوب والمباح والحرام والمكروه).

والثاني خطاب الوضع وهو أربعة أقسام (العلل والأسباب والشروط والموانع) وأدخل بعضهم فيه الصحة والفساد والرخصة والعزيمة وبعضهم يجعل الصحة والفساد من خطاب التكليف. (الطوفي، 1407هـ/1987م، صفحة 254/1، 257/1 ـ 260) (الشنقيطي محمد الأمين، 2001م، صفحة 10 ـ 11)

1 ـ 2 ـ الفرع الثاني: تعريف العلة:

1 ـ 2 ـ 1 ـ تعريف العلة؛ لغة:

العين واللام أصول ثلاثة صحيحة: أحدها تكرر أو تكرير، والآخر عائق يعوق، والثالث ضعف في الشيء (ابن فارس، 1399هـ/1979م، صفحة 12/4)، وسمى الأصوليون مناط الحكم علة أخذا من العلة التي هي المرض لأن تأثيرها في الحكم كتأثير العلة في ذات المريض يقال اعتل فلان إذا حال عن الصحة إلى السقم وقيل إنها مأخوذة من العلل بعد النهل وهو معاودة الشرب مرة بعد مرة لأن المجتهد في استخراجها يعاود النظر مرة بعد مرة. (الزركشي، 1414هـ/1994م، صفحة 142/7)

1 ـ 2 ـ 2 ـ تعريف العلة؛ اصطلاحا:

العلة هي الوصف الظاهر المنضبط المناسب لشرع الحكم، الذي يلزم من وجوده الوجود ومن عدمه العدم. (أبو يعلى، 1410هـ/1990م، صفحة 175/1 ـ 176) (التفتازاني، صفحة 125/2 ـ 128)

1 ـ 2 ـ 3 ـ تعريف التعليل اصطلاحا:

هو إضافة حكم لم يتعرض الشرع لعلته إلى وصف مناسب في نظر المجتهد بمسلك من مسالك العلة، نحو: حرم الربا في البر ؛ لأنه مكيل جنس أو مطعوم جنس، فالأرز مثله؛ لأنه كذلك.

ومن أمثلته أيضا أن يقال: وجب العشر في البر لكونه قوتا، فتلحق به الأقوات، أو لكونه نبات الأرض وفائدتها فتلحق به الخضراوات وأنواع النبات. (ابن قدامة، 1423هـ/2002م، صفحة 150/2) (الآمدي، صفحة 303/3)

1 ـ 3 ـ الفرع الثالث: تعريف الحكمة:

1 ـ 3 ـ 1 ـ تعريف الحكمة؛ لغة:

الحاء والكاف والميم أصل واحد، وهو المنع، وأول ذلك الحكم، وهو المنع من الظلم، وسميت حكمة الدابة لأنها تمنعها، يقال حكمت الدابة وأحكمتها، ويقال: حكمت السفيه وأحكمته، إذا أخذت على يديه، قال جرير:

أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم إني أخاف عليكم أن أغضبا

والحكمة هذا قياسها، لأنها تمنع من الجهل (ابن فارس، 1399هـ/1979م، صفحة 91/2)، والحكمة وجود الفعل على جهة الصواب. (أبو هلال العسكري، 1412هـ، صفحة 199) (الفراهيدي خليل بن أحمد، صفحة 66/3 ـ 67)

1 ـ 3 ـ 2 ـ تعريف الحكمة؛ اصطلاحا:

ما يترتب على تشريع الحكم من جلب مصلحة أو تكميلها أو دفع مفسدة أو تقليلها. (ابن الدهان، 1422 هـ/2001م، صفحة 98/1) (القرافي، أنوار البروق في أنواء الفروق، صفحة 177/2 ـ 178)

مثاله:

شرع قصر الصلاة في السفر دفعا للمشقة، فدفع المشقة هو الحكمة والسفر هو العلة.

1 ـ 4 ـ الفرع الرابع: الفرق بين العلة والحكمة والعلاقة بينهما:

الحكمة هي المعنى الذي به كان الوصف المناسب علة للحكم، ومعنى ذلك: أن الأحكام إنما تناط بعللها لأجل تحقيق المصلحة أو دفع المفسدة، فالحكمة من تحريم الخمر حفظ العقل وعلته الإسكار، فالشرع قصد منع شرب المسكر لأنه يذهب العقل ويغيبه. (القرافي، شرح تنقيح الفصول، 1393هـ/1973م، صفحة 406) (الطوفي، 1407هـ/1987م، صفحة 386/3) (الشنقيطي محمد الأمين، 2001م، صفحة 50)

2 ـ المطلب الثاني: تعليل الحكم الشرعي بالحكمة بين الجواز والمنع:

اختلف الأصوليون في حكم تعليل الأحكام الشرعية بحكمها على ثلاثة أقوال:

القول الأول: يجوز التعليل بالحكمة مطلقا وهو اختيار البيضاوي والرازي والغزالي وغيرهم. (الغزالي، 1390هـ/1971م، صفحة 613) (الرازي، 1418هـ/1997م، صفحة 287/5) (السبكي، 1416هـ/1995م، صفحة 140/3) (الزركشي، 1414هـ/1994م، صفحة 168/7 ـ 169)

القول الثاني: المنع فلا يجوز التعليل بها، سواء كانت ظاهرة أو خفية، منضبطة أو غير منضبطة، ونسبه الآمدي إلى أكثر الأصوليين. (الآمدي، صفحة 202/3)

القول الثالث: التفصيل؛ فيجوز التعليل بالحكمة إذا كانت ظاهرة منضبطة بنفسها، ولا يجوز التعليل بها إن كانت مضطربة أو خفية، وهو اختيار الآمدي وابن الحاجب والصفي الهندي وغيرهم. (الآمدي، صفحة 202/3) (الهندي، 1416هـ/1996م، صفحة 3495/8) (ابن الحاجب، 1427هـ/2006م، صفحة 1040 ـ 1041) (النملة، 1420هـ/1999م، صفحة 2121/5)

وهذه أمثلة عن التعليل بالحكمة عند بعض الفقهاء:

المثال الأول: تعليل عدم مشروعية ترك صلاة الجماعة في المطر لمن لا تلحقه مشقّة؛ لاتقائه المطر بالمطارية ونحوها.

وقد نصّ الفقهاء على سقوط الجمعة والجماعة بالمطر، والأذية بالمطر أن يتأذى في بل ثيابه أو ببرودة الجو، أو ما أشبه ذلك، وكذلك لو خاف التأذي بوحل، وهكذا الثلج والجليد والريح الشديدة، وقد علّل الفقهاء ذلك بالمشقّة، وهذا تعليل بالحكمة، فإذا انتفت المشقة لم يشرع ترك الجمعة أو الجماعة. (السنيكي، صفحة 408/1) (الرملي، صفحة 112) (الدميري، 1434هـ/2013م، صفحة 521/1) (الحجاوي، صفحة 175/1)

المثال الثاني: جواز حج المرأة في رفقة آمنة في وسائل النقل الحديثة من دون محرم؛ لأن الحكمة من اشتراط المحرم لشرعية سفر المرأة هو تحقيق الأمن لها، وهو حاصل بالرفقة المأمونة.

وهذا قول مالك ـ رحمه الله ـ في حج الفريضة خاصة دون النافلة (القيرواني، صفحة 165) (البغدادي، 1425هـ/2004م، صفحة 79/1)، وهو مذهب الشافعية (الجويني، 1428هـ/2007م، صفحة 154/4)، وهذا تعليل بالحكمة.

المثال الثالث: جواز إخراج زكاة الفطر نقدا؛ لأن الحكمة من تشريع زكاة الفطر هي إغناء الفقير عن ذل السؤال يوم العيد.

وهو كما يحصل بالطعام يحصل بالنقود، بل هو بالنقود أبلغ، وهذا مذهب الحنفية. (الجصاص، 1431هـ/2010م، صفحة 364/2) (الكاساني، 1406هـ/1986م، صفحة 67/5)

المثال الرابع: إقامة حدّ الزّنا على المرأة الملقّحة اصطناعيّا بمنيّ غير منيّ زوجها.

فلو عللنا بحكمة حفظ النسل؛ لزم إقامة الحدّ عليها وعلى صاحب المنيّ، وإن علّلنا وجوب الحدّ بالإيلاج؛ لم يقم عليهما الحدّ.

وهذا أوان الشروع في سرد أدلة كلّ مذهب.

2 ـ 1 ـ الفرع الأول: أدلة القائلين بالجواز مطلقا:

وقد استدلوا بجملة من الأدلة، منها:

2 ـ 1 ـ 1 ـ الدليل الأول:

لو حصل ظن تعليل الحكم في الأصل بتلك الحكمة ثم حصل ظن حصول تلك الحكمة في صورة أخرى أنه يلزم حصول مثل حكم الأصل في تلك الصورة الأخرى. (الرازي، 1418هـ/1997م، صفحة 287/5 ـ 288)

ولكن يجاب:

بأننا لا نسلم إمكان حصول الظنين، وما الدليل عليه؟ ثم الذي يدل على امتناع حصول ذلك هو أن حاصل التعليل بالحكمة راجع إلى التعليل بحاجة تحصيل المصلحة ودفع المفسدة، فالحكم لو كان معللاً بها، فإما أن يكون معللاً بمطلق الحاجة المحصلة، أو الدافعة، أو بالحاجة المخصوصة منها.

والأول باطل وإلا لكان حيث تحقق منه الحاجة تحقق الحكم وهو خلاف الإجماع والاستقراء.

والثاني أيضاً باطل؛ لأن الحاجة أمر باطن خفي فلا يمكن الوقوف على مقاديرها، وامتياز كل واحدة من مراتبها التي لا نهاية لها عن المرتبة الأخرى، وحينئذ يتعذر التعليل بها؛ إذ التعليل بالحاجة المخصوصة يستدعي تعقلها وتميزها عما عداها؛ ضرورة أن التصديق بالشيء مسبوق بتصوره.

ولو سلمنا إمكان حصول الظنين لكن بعسر وحرج أو بدونه، والأول مسلم لكن التكليف بطلب مثله مدفوع بالنصوص النافية للعسر والحرج فلا يجوز التعليل به والثاني ممنوع. (الهندي، 1416هـ/1996م، صفحة 3497/8)

2 ـ 1 ـ 2 ـ الدليل الثاني:

لو لم يجز التعليل بالحكمة لما جاز التعليل بالوصف؛ لأن الحكمة أرجح من الوصف فهي المقصود من شرع الحكم، والوصف مظنة حصول الحكمة، فالحكمة أصل والوصف فرع، فإن لم نجوز التعليل بالأصل امتنع التعليل بالفرع؛ لأن الأصل راجح والفرع مرجوح، ولزم من ذلك بطلان التعليل بالوصف، وبطلان اللازم دليل على بطلان الملزوم. (القرافي، شرح تنقيح الفصول، 1393هـ/1973م، صفحة 406) (الرجراجي، 1425هـ/2004م، صفحة 415/5) (الشنقيطي أحمد، 1415هـ، صفحة 75) (النملة، 1420هـ/1999م، صفحة 2120/5)

ويجاب:

ليست كل حكمة منضبطة، بخلاف الوصف المناسب فإنه يمكن ضبطه حتى يدور معه الحكم وجودا وعدما، وكون الحكمة هي المقصودة بالأصالة لا يعني جواز التعليل بها بل لابد من انضباطها حتى تناط بها الأحكام. (السفياني، 1408هـ/1988م، صفحة 392) (النملة، 1420هـ/1999م، صفحة 2120/5) (الشنقيطي أ.، 1415هـ، صفحة 76)

2 ـ 2 ـ الفرع الثاني: أدلة القائلين بالمنع مطلقا:

وقد استدلوا بجملة من الأدلة، منها:

2 ـ 2 ـ 1 ـ الدليل الأول:

لو جاز التعليل بالحكمة لما جاز التعليل بالوصف؛ لأن الحكمة أرجح من الوصف فهي المقصود من شرع الحكم، والوصف مظنة حصول الحكمة، فالحكمة أصل والوصف فرع، فإذا جوزنا التعليل بالأصل امتنع التعليل بالفرع؛ لأن الأصل

راجح والفرع مرجوح، ولزم من ذلك بطلان التعليل بالوصف، وبطلان اللازم دليل على بطلان الملزوم. (القرافي، شرح تنقيح الفصول، 1393هـ/1973م، صفحة 406) (القرافي، نفائس الأصول في شرح المحصول، 1416هـ/1995م، صفحة 3494/8) (الطوفي، 1407هـ/1987م، صفحة 445/3 ـ 446)

ويجاب:

نسلم أن الحكمة أرجح من الوصف من جهة أن الحكمة هي المقصودة من شرع الحكم، ولا يلزم من ذلك أن تكون الحكمة أرجح من الوصف من جميع الوجوه، فإن الوصف يسهل الاطلاع عليه ويصعب الاطلاع على الحكمة بل قد يتعذر، وهذا يرجح كفة الوصف فكانتا بذلك متساويتين، وهذا دليل على صلاحيتهما للتعليل على حد سواء. (الرازي، 1418هـ/1997م، صفحة 291/5 ـ 292)

2 ـ 2 ـ 2 ـ الدليل الثاني:

لو جاز التعليل بالحكمة، للزم تخلف الحكم عن علته، وهو خلاف الأصل، فحرمة النكاح بسبب الرضاع هو الرضاع، والحكمة من التحريم أن جزء المرأة المرضعة صار جزءا للرضيع؛ لأن لبنها جزؤها وقد صار لحما للرضيع، فهو يشبه ما كان منها جزءا كجنينها، فلو نقل للرضيع دم من امرأة لزم على القول بجواز التعليل بالحكمة أن تصير أما له ولا قائل به.

وإذا أخذ إنسان أطفالا صغارا جدا على حين غفلة من آبائهم وفرقهم حتى صاروا رجالا، فلن يستطيع آباؤهم التعرف عليهم، فهنا قد تحققت الحكمة، وهي: اختلاط الأنساب، فينبغي على هذا: القول بوجوب الحد على من أخذهم؛ لأنه حقق الحكمة، وهي: اختلاط الأنساب، وهذا لم يقل به أحد. (الطوفي، 1407هـ/1987م، صفحة 445/3 ـ 446) (القرافي، شرح تنقيح الفصول، 1393هـ/1973م، صفحة 406 ـ 407) (القرافي، نفائس الأصول في شرح المحصول، 1416هـ/1995م، صفحة 3499/8 ـ 3500) (الرجراجي، 1425هـ/2004م، صفحة 415/5 ـ 418)

ويجاب:

إذا كان تخلف الحكم عن الحكمة في بعض الصور والأمثلة قادحا في جواز التعليل بالحكمة فليكن تخلف الحكم عن الوصف في بعض الصور والأمثلة

قادحا في جواز التعليل بالوصف، أي: لا يجوز التعليل بالوصف مطلقا ولا قائل به، بل إن الأصوليين اختلفوا فيما إذا تخلف الحكم عن الوصف هل ذلك نقض لذاك الوصف المعين أم هو تخصيص له؟، ولم يقل واحد منهم أن ذلك قادح في جواز التعليل بالأوصاف. (السعدي، 1421هـ/2000م، صفحة 109 ـ 110)

2 ـ 2 ـ 3 ـ الدليل الثالث:

الحكمة مما يخفى ولا ينضبط، وتختلف باختلاف الصور والأشخاص والأزمان والأحوال، فالمشقة التي هي حكمة مشروعية التخفيف في السفر تختلف باختلاف الأشخاص والأزمان والأحوال، فالراكب على الدابة يجد من المشقة ما لا يجده راكب السيارة، وراكب السيارة القديمة يجد من المشقة ما لا يجده راكب السيارة الحديثة، ومن سافر في الصيف ليس كمن سافر في الشتاء، ولهذا يباح الفطر للمسافر في الطائرة، ولا يباح للمقيم الذي يعمل أعمالا شاقة، ولو جوزنا التعليل بها للزم من ذلك مشقة كبيرة على المكلف؛ لأنه لن يعرف مناط الحكم إلا بالبحث الشديد والنظر الدقيق، وهذا يخالف يسر الإسلام.

كذلك يقال: إن حد الزنا وجب لعلة وهي: نفس الزنا، ولم نعلل بالحكمة وهي: اختلاط الأنساب؛ لأنا لو عللنا بوجوب الزنا باختلاط الأنساب لقال قائل: أنا أضمن أنه لا تختلط الأنساب بأن أزني بامرأة لا زوج لها وهي موقوفة لا ترى الرجال ولا يرونها، وإذا كان الحكم يدور مع العلة: إذا وجدت وجد الحكم وإذا عدمت عدم الحكم كما قلنا في الدوران: فإنه على هذا إذا وجد اختلاط الأنساب وجد الحكم، وهو تحريم الزنا والحد عليه، وإن لم يوجد اختلاط الأنساب فلا يوجد الحكم، فلا حد على الزاني.

ولكن العلماء قد اتفقوا على بطلان ذلك، وعللوا وجوب حد الزنا بعلة ظاهرة جلية وهي: نفس الزنا.

كذلك: أوجب الشارع العدة لبراءة الرحم بالوطء الذي هو مظنة لشغل الرحم حتى لو كان صغيرة أو يائسة مما لا يتصور معها اختلاط الأنساب.

كذلك الصبي المميز غير مكلف؛ حيث إن الصبي وإن كان مفرقا بين الخير والشر، والجيد والرديء، والطيب والخبيث إلا أنا لا نقول بأنه مكلف؛ لأنا لا نعلم بالدقة متى عرف ذلك، ولأن الصبيان يختلفون في ذلك باختلاف بيئاتهم، ونوع

التربية التي ربوا عليها مما يلزم منه: أن يقال: إن هذا الصبي مكلف، وذاك غير مكلف فيختلف الحكم باختلاف الصبيان، لكن الشارع قد وضع لنا حدا إذا بلغه الصبي يكون مكلفا لا يختلف فيه الصبيان وهو: حد البلوغ - وهو: خمسة عشر عاما، أو الاحتلام، أو الإنبات من قبل، وتزيد الصبية الحيض. (النملة، 1420هـ/1999م، صفحة 5/2117 ـ 2120)

ويجاب:

هذا يرد على من جوز التعليل بكل حكمة، أما إذا كانت الحكمة منضبطة فإنه يجوز التعليل بها لأن الانضباط هو علة تجويز التعليل بالوصف، فإذا وجد في الحكمة جاز التعليل بها. (شلبي، 1947م، صفحة 139)

2 ـ 3 ـ الفرع الثالث: أدلة القائلين بالتفصيل:

وقد استدلوا بجملة من الأدلة، منها:

2 ـ 3 ـ 1 ـ الدليل الأول:

من القرآن:

قال ـ تعالى -: "يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون" (سورة المائدة، الآية: 90) فعلل النهي عن تعاطي هذه المحرمات بكونها مدعاة للعداوة والبغضاء وفيها صد عن ذكر الله وعن الصلاة وهذه حكمة.

قال - تعالى -: "خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم" (سورة التوبة، الآية: 103) فعلل الأمر بأخذ الزكاة منهم بأنه لأجل تطهيرهم وتزكيتهم وهذه حكمة.

قال -تعالى -: "وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم " (سورة الأنفال، الآية: 60) فجعل حكمة إرهاب العدو علة لوجوب إعداد القوة. (شلبي، 1947م، صفحة 141)

2 ـ 3 ـ 2 ـ الدليل الثاني:

من السنة:

حديث: " لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة" (رواه البخاري، 1311 هـ، صفحة 4/2) (ورواه مسلم، صفحة 200/1)، فالمشقة علة لمنع وجوب السواك عند كل صلاة، وفي هذا الحديث تعليل بالحكمة وهي دفع المشقة.

حديث: " لولا حداثة عهد قومك بالكفر لنقضت الكعبة، ولجعلتها على أساس إبراهيم" (رواه البخاري، 1311 هـ، صفحة 147/2) (ورواه مسلم، صفحة 969/3 ـ 972)، فعلل امتناعه من إعادة بناء البيت بأن قريشا حدثاء عهد بكفر، فالحكمة من امتناعه هو خوف افتتان قريش لحداثة عهدهم بدين آبائهم الذين بنوا الكعبة على هذا النحو. (شلبي، 1947م، صفحة 141)

2 ـ 3 ـ 3 ـ الدليل الثالث:

الحكمة أرجح من الوصف فهي المقصود من شرع الحكم، والوصف مظنة حصول الحكمة، فالحكمة أصل والوصف فرع، فإذا كانت الحكمة منضبطة فإنه يجوز التعليل بها لأن الانضباط هو علة تجويز التعليل بالوصف، فإذا وجد في الحكمة جاز التعليل بها من باب أولى لأنها الأصل. (الهندي، 1416هـ/1996م، صفحة 3495/8) (الرجراجي، 1425هـ/2004م، صفحة 418/5)

ويجاب:

الحكمة مما يخفى ولا ينضبط، وتختلف باختلاف الصور والأشخاص والأزمان والأحوال، ولو جوزنا التعليل بها للزم من ذلك لحوق مشقة بالمكلفين؛ لأنه لا يمكن أن تنضبط إلا نادرا، ولا يمكننا العلم بهذا النادر إلا بعد عسر وحرج، ولا شك أن هذا مخالف ليسر الإسلام. (الشنقيطي أحمد، 1415هـ، صفحة 82)

ولكن يجاب:

لا يسلم لهم أن كل حكمة هي متصفة بالخفاء والاضطراب، والكلام إنما هو في الحكمة الظاهرة المنضبطة، فكما جاز التعليل بالوصف لظهور وانضباطه فكذلك الحكمة يجوز التعليل بها إذا كانت ظاهرة منضبطة.

3 ـ المطلب الثالث: الترجيح:

الذي يظهر لي أن جواز التعليل بالحكمة إذا كانت منضبطة ظاهرة هو القول الراجح لما يلي:

- قوة ما استدل به أصحاب هذا القول من نصوص القرآن والسنة الدالة على جواز التعليل بالحكمة.

- أن هذا القول وسط بين القولين يأخذ بحق من ينفي مطلقا وبحق من يجيز مطلقا، والوسطية سمة الحق.

- غاية ما تمسك به المانعون بإطلاق هو وجود حكم خفية غير ظاهرة، وهذا لا يلزم منه عدم وجود حكم ظاهرة منضبطة.

- أن من أجاز مطلقا يرد عليه أن بعض الحكم خفي غير منضبط، فكيف يجوز التعليل به؟

هذا الذي ترجح لي مع التنبيه إلى أن التعليل بالوصف أقوى من التعليل بالحكمة لأنه أكثر ظهورا وانضباطا إذا ما قارناه بالحكمة.

ويحسن التنبيه -أيضا - إلى أن الأصل أن الحكم يدور مع الوصف المناسب الذي هو علته وجودا وعدما، ولكن لابد من مراعاة الحكم والمصالح، فإن أي حكم ما شرع إلا لتحقيق مصلحة ودفع مفسدة وتلك هي الحكمة، فإذا ترتب على إناطة الحكم بوصفه المناسب مفسدة راجحة على المصلحة، لم يكن ذلك الحكم في تلك الحال مقصودا للشارع وإن ظنه المكلف مقصودا، فشرب الخمر محرم لأجل وصف مناسب للتحريم وهو الإسكار، والحكمة حفظ العقل ولكن يباح في حالة الاضطرار بشرطه حفاظا على حياة الإنسان، وهذا يدل على أن مراعاة الحكمة مقصود للشارع بدرجة كبيرة، ولا يكفي المجتهد النظر في الوصف المناسب بل لابد من أن يكون نظره شاملا حتى يكثر صوابه ويقل خطأه.

فلابد إذا من التفصيل في المسألة: فمثلا حرم الله شرب الخمر وتعاطي الميسر؛ لأنهما داعيان إلى العداوة والبغضاء ويصدان عن ذكر الله وعن الصلاة، فتعليل تحريمهما بهذه الحكمة جائز؛ ويترتب على هذه العلة تحريم كل فعل أو قول أو اعتقاد داع إلى العداوة والبغضاء والصد عن ذكر الله وعن الصلاة، ولكن الشرع رتب على شرب الخمر حدا وهو جلد شارب الخمر أربعين جلدة لعلة الإسكار، فعلة تحريم الخمر منضبطة بالنسبة للتحريم، غير منضبطة بالنسبة إلى وجوب الحد، ولهذا لم ينط بها الشرع وجوب الحد، وإنما أناطه بعلة الإسكار.

وهذا يدل على أن بعض الحكم يصلح أن يكون علة إذا انضبط كما في المثال السابق، لكن لا تجعل هذه الحكمة في محل علتها، فمثلا الحكمة من تحريم الخمر هي حفظ العقل لا نجعلها علة لوجوب الحد؛ لأن علة وجوب الحد هي الإسكار، بل نجعل حكمة حفظ العقل علة لتحريم كل ما يخل بحفظ العقل.

- خاتمة:

إن أهم ما خلصت إليه الدراسة ما يلي:

1 ـ أن الأصوليين اختلفوا في تعليل الحكم الشرعي بالحكمة إلى ثلاثة مذاهب: الجواز مطلقا، والمنع مطلقا، والثالث التفصيل.

2 ـ أن الراجح جواز تعليل الحكم الشرعي بالحكمة إذا كانت الحكمة ظاهرة منضبطة.

3 ـ أن الأصل أن الحكم يدور مع علته وجودا وعدما بشرط مراعاة المصالح والمفاسد في ظل مقاصد الشريعة الإسلامية الغراء.

المراجع

ابن الحاجب عثمان بن عمر. مختصر منتهى السول والأمل في علمي الأصول والجدل. (نذير حمادو، المحرر) دار ابن حزم. بيروت، لبنان: (1427هـ/2006م).

ابن الدهان محمد بن علي. تقويم النظر في مسائل خلافية ذائعة. (صالح بن ناصر الخزيم، المحرر) مكتبة الرشد. الرياض، السعودية: (1422 هـ/2001م).

ابن فارس أحمد بن فارس. مقاييس اللغة. (عبد السلام محمد هارون، المحرر) دار الفكر. (1399هـ/1979م).

ابن قدامة عبد الله بن أحمد المقدسي. روضة الناظر وجنة المناظر. مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع. (1423هـ/2002م).

أبو هلال العسكري الحسن بن عبد الله. معجم الفروق اللغوية. (بيت الله بيات، المحرر) مؤسسة النشر الإسلامي. (1412هـ).

أبو يعلى محمد بن الحسين. العدة في أصول الفقه. (أحمد بن علي المباركي، المحرر) (1410هـ/1990م).

الآمدي أبو الحسن علي. الإحكام في أصول الأحكام. (عبد الرزاق عفيفي، المحرر) بيروت، المكتب الإسلامي. لبنان.

البخاري محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري. (مجموعة من العلماء، المحرر) المطبعة الكبرى الأميرية. بولاق، مصر: (1311 هـ).

البغدادي عبد الوهاب بن علي. التلقين في الفقه المالكي. (محمد بوخبزة، المحرر) دار الكتب العلمية. (1425هـ/2004م).

التفتازاني مسعود بن عمر. شرح التلويح على التوضيح. مكتبة صبيح. مصر.

الجصاص أحمد بن علي. شرح مختصر الطحاوي. (عصمت الله عنايت الله، سائد بكداش، محمد عبيد الله خان، و زينب فلاتة، المحررون) دار البشائر الإسلامية ودار السراج. (1431هـ/2010م).

الجويني عبد الملك بن عبد الله. نهاية المطلب في دراية المذهب. (عبد العظيم الديب، المحرر) دار المنهاج. (1428هـ/2007م).

الحجاوي موسى بن أحمد. الإقناع في فقه الإمام أحمد. (عبد اللطيف السبكي، المحرر) دار المعرفة. بيروت، لبنان.

الدميري بهرام بن عبد الله. تحبير المختصر. مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث. (1434هـ/2013م).

الرازي فخر الدين محمد. المحصول. (طه جابر العلواني، المحرر) مؤسسة الرسالة. (1418هـ/1997م).

الرجراجي الحسين بن علي. رفع النقاب عن تنقيح الشهاب. (أحمد بن محمد السراح، و عبد الرحمن الجبرين، المحررون) مكتبة الرشد للنشر والتوزيع. الرياض، السعودية: (1425هـ/2004م).

الرملي محمد بن أبي العباس. غاية البيان شرح زيد ابن رسلان. دار المعرفة. بيروت، لبنان.

الزركشي محمد. البحر المحيط في أصول الفقه. دار الكتبي. (1414هـ/1994م).

السبكي تقي الدين علي. الإبهاج في شرح المنهاج. دار الكتب العلمية. بيروت، لبنان: (1416هـ/1995م).

السعدي عبد الحكيم. مباحث العلة في القياس. دار البشائر الإسلامية. (1421هـ/2000م).

السفياني عابد بن محمد. الثبات والشمول في الشريعة الإسلامية. مكتبة المنارة. مكة، السعودية: (1408هـ/1988م).

السنيكي زكريا بن محمد. الغرر البهية في شرح البهجة الوردية. المطبعة الميمنية.

شلبي محمد مصطفى. تعليل الأحكام. مطبعة الأزهر. القاهرة، مصر: (1947م).

الشنقيطي أحمد. الوصف المناسب لشرع الحكم. عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية.المدينة المنورة، السعودية: (1415هـ).

الشنقيطي محمد الأمين. مذكرة في أصول الفقه. مكتبة العلوم والحكم. المدينة المنورة، السعودية: (2001م).

الطوفي سليمان. شرح مختصر الروضة. (عبد الله بن عبد المحسن التركي، المحرر) مؤسسة الرسالة. (1407هـ/1987م).

الغزالي أبو حامد محمد. شفاء الغليل في بيان الشبه والمخيل ومسالك التعليل. (حمد الكبيسي، المحرر) مطبعة الإرشاد. بغداد، العراق: (1390هـ/1971م).

الفراهيدي الخليل بن أحمد. العين. (مهدي المخزومي، و إبراهيم السامرائي، المحررون) دار ومكتبة الهلال.

الفيومي أحمد بن محمد. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير. المكتبة العلمية. بيروت.

القرافي أحمد بن إدريس. أنوار البروق في أنواء الفروق. عالم الكتب.

القرافي أحمد بن إدريس. شرح تنقيح الفصول. (طه عبد الرؤوف سعد، المحرر) شركة الطباعة الفنية المتحدة. (1393هـ/1973م).

القرافي أحمد بن إدريس. نفائس الأصول في شرح المحصول. مكتبة نزار مصطفى الباز. (1416هـ/1995م).

القيرواني ابن أبي زيد. الرسالة. دار الفكر.

الكاساني أبو بكر بن مسعود. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع. دار الكتب العلمية. (1406هـ/1986م).

المرداوي علي بن سليمان. التحبير شرح التحرير. (عبد الرحمن الجبرين، عوض القرني، و أحمد السراح، المحررون) مكتبة الرشد. الرياض، السعودية: (1421هـ/2000م).

مسلم بن الحجاج. صحيح مسلم. (محمد فؤاد عبد الباقي، المحرر) دار إحياء الكتب العربية. القاهرة، مصر.

النملة عبد الكريم. المهذب في علم أصول الفقه المقارن. مكتبة الرشد. الرياض، السعودية: (1420هـ/1999م).

الهندي صفي الدين محمد. نهاية الوصول في دراية الأصول. (صالح بن سليمان اليوسف، و سعد بن سالم السويح، المحررون) المكتبة التجارية. مكة المكرمة، السعودية: (1416هـ/1996م).

مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ر ت م د: 7163 -1112 ر ت م د إ :1892-2588
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2

الاجتهاد المقاصدي عند الخلفاء الراشدين

Diligence al makassedi atRashidun Caliphs

عباس حفصي
جامعة عمار ثليجي ،الأغواط ، مخبر الدراسات الإسلامية واللغوية ، كلية العلوم الإنسانية والإسلامية والحضارة، a.hafsi@lagh-univ.dz

تاريخ الاستلام: 2021/03/14 تاريخ القبول: 2021/10/26

الملخص :

لقد كان الاجتهاد المقاصدي في عهد الصحابة عموما وفي عهد الخلفاء الراشدين خصوصا متميزا ، وذلك بسبب الحاجة للحكم الشرعي فيما يجد من مسائل ونوازل تستدعي الاجتهاد ، وكان ذلك لعدة أسباب منها اتساع رقعة الدولة الإسلامية وتفرق الصحابة في الأمصار وكل واحد منهم يحمل حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واجتهادهم كان يقوم على أسس مختلفة في الجمع بين النقل والعقل ، والمقصد والحكمة ،واستنباط الحكم من الدليل بطرق مختلفة مراعين في ذلك مقاصد الشريعة كما هو ظاهر من خلال الاجتهاد المقاصدي عند الخلفاء الأربعة ، سواء في خلافة أبي بكر أو عمر أو عثمان وعلي ، وكلها كما هي مبينة في المداخلة تنبئ على اجتهاد مقاصدي

كلمات دالة : الاجتهاد ، الاجتهاد المقاصدي ، الخلفاء الراشدون ، المصلحة ،المفاسد .

تصنيف JEL: Z00،Z12

المؤلف المرسل: عباس حفصي: a.hafsi@lagh-univ.dz

Abstract

The Diligence in the era of the Companions in general and in the era of the Caliphs in particular was distinct, because of the need for legitimate governance in the issues and concessions that require ijtihad, and this was for several reasons, including the expansion of the Islamic State and dispersed companions in the regions and each one of them carry the hadeeth of the Messenger of Allah His jurisprudence was based on different bases in combining transport, reason, destination and wisdom, and extrapolating judgment from the guide in different ways, taking into account the purposes of the Sharia as evidenced by the intention of Makassed at the four caliphs, whether in the succession of Abu Bakr or Omar or Osman and Ali , All how much Are set out in the intervention predict the diligence Makassed.

Key words: Rashidun ,Diligence, Diligence of al makassed advantage, evils ,Caliphs

JEL classification codes: Z،Z00،Z12

مقدمة

الاجتهاد المقاصدي لم يكن هذا المصطلح معروفا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولا الصحابة من بعده بل كانوا يجتهدون ولا يخرج اجتهادهم عن كونه اجتهاد مقاصديا ، لأنه داخل في حفظ الكليات الخمس ، وقائم على جلب المصالح ودرء المفاسد ، فعند تعارض المصالح والمفاسد فانه وجب دفع الضرر على جلب النفع وهذا مابينه القران الكريم في عدة نصوص وبينته السنة النبوية في عدة أحاديث كما سنذكره في بحثنا هذا ، وهو الذي كان عليه الاجتهاد في زمن أبي بكر وعمر وعثمان وعلى رضي الله عنهم أجمعين .

إشكالية البحث تتمثل أساسا في معرفة الاجتهاد المقاصدي ودوره في الفتوى وفي النوازل وما يستجد من قضايا وأحداث متسارعة يوما بعد يوم ، وكيف كان على عهد الخلفاء الراشدين وكيف تعاملوا مع النصوص في عهدهم هل بالفعل

استخدموا الاجتهاد المقاصدي أم أنه اجتهاد وفقط ؟ ، هذا ما سنعرفه من خلال هذا البحث .

أهمية الموضوع : تكمن الأهمية في عدة جوانب منها اننا سنوضح منهج الخلفاء الراشدين في كيفية سلوك الاجتهاد المقاصدي لتوضيح الأحكام النازلة بهم دون الوقوف على جمود النص وظاهره .

المنهج المتبع :اعتمدت المنهج الاستقرائي وذلك لمناسبته موضوع البحث باستقراء النصوص وتتبع جزئياتها والوصول الة نتائج من خلال ذلك ، كما اتبعت المنهج التحليلي لتحليل الاستقراء المتوصل إليه عن طريق المنهج الاستقرائي .

الدراسات السابقة : لقد تتطرق لهذا الموضوع الخادمي في كتابه الاجتهاد المقاصدي وهو كتاب مؤلف من جزأين تتطرق الباحث في الجزء الأول إلى الاجتهاد المقاصدي ،حقيقته ، تاريخه ، حجيته ، وتتطرق في الجزء الثاني إلى ضوابط الاجتهاد المقاصدي ، مستلزماته و مجالاته .

وتوجد دراسة أخرى هي عبارة عن رسالة ماجستير من اعداد الطالبة مها إسماعيل الصيفي تحت اشراف الأستاذ مازن إسماعيل هنية بكلية الشريعة والقانون جامعة غزة سنة 2010 تتطرقت فيها الباحثة فيها إلى فصل تمهيدي و إلى مفهوم الاجتهاد، شروطه، ومجالاته ، وفي الفصل الأول إلى مفهوم الاجتهاد المقاصدي حجيته وأهميته وفي الفصل الثاني إلى منهج الاجتهاد المقاصدي الراشدي وفي الفصل الثالث إلى تطبيقات الاجتهاد المقاصدي في عصر الخلفاء الراشدين وانتهت بنتائج وتوصيات للرسالة.

وهذا البحث جاء ليضيف بعض مايمكن إضافته من اجتهادات في عصر الخلفاء الراشدين التي لايزال مجال الاجتهاد المقاصدي يبرزها ويبينها.

المبحث الأول: مفهوم الاجتهاد المقاصدي

نتطرق في هذا المبحث إلى تعريف الاجتهاد ثم نعرج الى تعريف المقاصد والاجتهاد المقاصدي عند المتقدمين والمتأخرين .

المطلب الأول : تعريف الاجتهاد :

الفرع الأول . لغة :هو استفراغ الوسع في أي فعل كان ،ولا يستعمل إلا فيما فيه كلفة وجهد ، فيقال اجتهد في حمل حجر الرحا ، ولا يقال : اجتهد في حمل خردلة لكن صار اللفظ في عرف العلماء مخصوصا ببذل المجتهد وسعه في طلب العلم بأحكام الشريعة. والاجتهاد التام أن يبذل الوسع في الطلب بحيث يحس من نفسه بالعجز عن مزيد طلب. (الغزالي 1993، ج2،ص342)

الفرع الثاني . اصطلاحا :هناك عدة تعريفات في الجانب الاصطلاحي فلقد عرفه الغزالي ":هو بذل المجتهد وسعيه في طلبه العلم بأحكام الشريعة" (الغزالي 1993، ج2،ص342) .وقريب إلى ذلك عرف ابن الحاجب الاجتهاد بأنه ":استفراغ الفقيه الوسع لتحصيل ظن بحكم شرعي" (الاصفهاني 1986، ج3،ص28645).أما الكمال بن الهمام فعرفه بأنه" :بذل الطاقة من الفقيه في تحصيل حكم شرعي عقلا كان أو نقلا، قطعيا كان أو ظنيا." (الصلاح 2002، ص266)

ولعل أحسن تعريف، هو تعريف الدكتور إسماعيل على محمد عبد الرحمن في منشوره المسمى" إرشاد النقاد إلى قواعد الاجتهاد "فقد عرّفه بقوله ":بذل الفقيه وسعه في طلب الحكم الشرعي الظني. (عبدالرحمن 2020)

فالتعريف يشمل على هذه المفردات: (أبوزهرة د.ط، ص379)

بَذْل : كالجنس في التعريف ، يَشمل كُلّ بَذْل ، سواء أكان مِنْ فقيه أو غَيْره.

ومعناه : استفراغ الوسع ، وهو ضدّ المنع ، من أعطاه وجاد به.

الفقيه : قَيْد أول ، خرج به بَذل الطاقة مِن العامّيّ ، وهو مَن ليس فقيها ، حَتى وإن كان متبحرا في غير العلوم الشرعية

والمراد به هُنَا : مَنْ كان أهلاً لِذلك أو متهيئاً ، و هو من رُزق مَلَكة القدرة على استنباط الأحكام الشرعية مِن الأدلة.

وسْعَه : قَيْد ثانٍ ، خرج به التقصير في بَذْل الوسع.

والوُسْع : المقدور ، أيْ بَذْل تمام الطاقة بحيث يحسّ مِنْ نفسه العجزَ عن المزيد فيه.

في طلب الحُكْم : قَيْد ثالث ، خرج به بَذْل الفقيه وسْعَه في غَيْر الحُكْم : كالعبادة والتجارة ونَحوها ؛ فلا يُسَمَّى " اجتهاداً . " وهذا القيد يثْبِت أنّ المجتهد ليس مصدراً لِلتشريع أو الأحكام ، وإنما هو مُظْهِر وكاشف لها.

الشرعي : قَيد رابع ، خرج به بَذْل الوسع مِن الفقيه في طلب حُكْم غَيْر شرعيّ : كأنْ كان حسِّيّاً أو عقليّاً ونوحهما.

الظني : قَيْد خامس ، خرج به طلب الحُكْم الشرعي القطعي ، فلا مجال لِلاجتهاد فيه ؛ لأنّ المخطئ فيه يعُدّ آثماً ، والمسائل الاجتهادية ما لا يعد المخطئ فيها باجتهاد آثماً.

المطلب الثاني الاجتهاد المقاصدي :

مصطلح الاجتهاد المقاصدي ، مركب من لفظين الاجتهاد، والمقاصد ، فالاجتهاد وقد عرفته آنفا لغة واصطلاحاً في بداية البحث ، وسأعرف المقاصد لغة واصطلاحاً ومن ثم تعريف الاجتهاد المقاصدي جملة .

الفرع الأول تعريف المقاصد :

أولا لغة : المقاصد: جمع مقصد، والمقصد: مصدر ميمي مشتق من الفعل قصد؛ فيقال: قصد يقصد قصداً، وعليه فإن المقصد له معان لغوية كثيرة منها:

1 - الاعتماد والتوجه واستقامة الطريق. قال تعالى: {وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ} (النحل 09)

2 - التوسط وعدم الإفراط والتفريط قال تعالى: {اقْصِدْ فِي مَشْيِكَ}. (لقمان 19)

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: "القصْدَ القصْدَ تَبْلُغُوا". (البخاري 1422)

ثانيا . التعريف الاصطلاحي لمقاصد الشريعة الإسلامية: (الخادمي 2001، ج2،ص15)

لم يوجد عند العلماء الأوائل تعريفا واضحا أو محددا أو دقيقا لمقاصد الشريعة؛ وإنما وجدت كلمات وجُمَل لها تعلق ببعض أنواعها وأقسامها، وببعض تعبيراتها ومرادفاتها، وبأمثلتها وتطبيقاتها، وبحجيتها و أحقيتها.

فقد ذكروا الكليات المقاصدية الخمس "حفظ الدين والنفس والعقل والنسل أو النسب والمال" وذكروا المصالح الضرورية والحاجية والتحسينية، وذكروا بعض الحِكَم والأسرار والعلل المتصلة بأحكامها وأدلتها.

وذكروا أدلة من المنقول والمعقول الدالة على حقية المقاصد وحجيتها، ووجوب مراعاتها والاعتماد عليها بشروط معينه وضوابط مقررة، وبدون الخروج عن الشرع أو معارضة أدلته ومصادمة تعاليمه وقواعده وأصوله.

كما أنهم عبرا عن المقاصد بتعبيرات كثيرة دلت في مجملها بالتصريح والتلميح والتنصيص والإيماء على الْتفات هؤلاء الأعلام إلى مراعاة المقاصد واستحضارها في عملية فهم النصوص والأحكام والاجتهاد فيها والترجيح بينها.

أما شيخ المقاصد، أبو إسحاق الشاطبي، فإنه لم يحرص على إعطاء حد وتعريف للمقاصد الشرعية، ولعله اعتبر الأمر واضحًا، ويزداد وضوحًا بما لا مزيد عليه بقراءة كتابه المخصص للمقاصد من "الموافقات". (الريسوني 1992، ج1،ص05)

وعرفها العز بن عبدالسلام بقوله: "اعلم أن الله سبحانه لم يشرع حكما من أحكامه إلا لمصلحة عاجلة أو آجلة، أو عاجلة وآجلة تفضلا منه على عباده، إذ لا حق لأحد منهم عليه، ولو شرع الأحكام كلها خلية عن المصالح لكان قسطا منه وعدلا، كما كان شرعها للمصالح إحسانا منه وفضلا". (عبدالسلام 2003، ص401)

وقال الشاطبي رحمه الله: "إن الأحكام الشرعية إنما شرعت لجلب المصالح أو درء المفاسد". (الشاطبي 1997، ج1،ص311)

ثالثا. تعريف العلماء المعاصرين للمقاصد: (الخادمي 2001، ج2،ص16)

حظيت مقاصد الشريعة في العصر الحديث بعناية خاصة من قبل العلماء والباحثين؛ وذلك لأهميتها ودورها في عملية الاجتهاد الفقهي، وفي معالجة قضايا الحياة المعاصرة في ضوء الأدلة والنصوص والقواعد الشرعية، وكان من ضروب هذا الاعتناء تدوين المقاصد وتأليفها واعتبارها علمًا شرعيًا وفنًا أصوليًا له ما لسائر العلوم والفنون من تعريفات ومصطلحات وتقسيمات وغير ذلك.

وقد وردت عدة تعريفات لهذا العلم نوردها فيما يلي:

د - عرفَّها الشيخ محمد الطاهر بن عاشور بأنها: المعاني والحِكَم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها؛ بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة، فيدخل في هذا أوصاف الشريعة وغاياتها العامة والمعاني التي لا يخلو التشريع عن ملاحظتها ... ويدخل في هذا معان من الحكم ليست ملحوظة في سائر أنواع الأحكام؛ ولكنها ملحوظة في أنواع كثيرة منها.

ه. - عرفها الفاسي بقوله: المراد بمقاصد الشريعة الإسلامية: الغاية منها والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكمها.

و - عرفها الريسوني بقوله: إن مقاصد الشريعة هي الغايات التي وضعت الشريعة لأجل تحقيقها لمصلحة العباد.

التعريف المختار لنور الدين الخادمي: المقاصد هي المعاني الملحوظة في الأحكام الشرعية، والمترتبة عليها؛ سواء أكانت تلك المعاني حكما جزئية أم مصالح كلية أم سمت إجمالية، وهي تتجمع ضمن هدف واحد، هو تقرير عبودية الله ومصلحة الإنسان في الدارين.

الفرع الثاني تعريف الاجتهاد المقاصدي: هناك عدة تعاريف وسأقتصر منها على تعريفين هما :

أولا تعريف المخادمي :

"العمل بمقاصد الشريعة والالتفات، إليها والاعتداد بها في عملية الاجتهاد الفقهي. (الخادمي 2001، ص39)

كما عرفه **عبد السلام آيت سعيد**: إعمال العقل في تبيين مقاصد الشارع في كل النصوص والأحكام وسبر أغوار معانيها والكشف عن غاية الشارع من تشريعاته، رعاية لمقاصد الشريعة في فقه النص وتنزيله، التي تشكل الضابط المنهجي والعمق الثقافي والرؤية المستقبلية للأمة في المجال التشريعي. (الصيفي 2010، ص27)

المبحث الثاني . الاجتهاد المقاصدي عند الخلفاء الراشدين :

في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم كان هو المرجع في الفتوى، ومع ذلك لم يكنْ بابُ الاجتهاد موصَداً أمام الصحابة رضوانُ الله عليهم، بل كانوا

يجتهدون في غيابهم عنه، فإذا جاءوه عرضوا عليه اجتهادَهم، كما فعلوا عندما بعثهم إلى بني قُريظةَ، وقال: «لا يُصلّينَّ أحدٌ العصرَ إلاّ في بني قُريظةَ» (البخاري 1422، رقم4119)، وهذا لفظ البخاري، فجاءهم وقتُ العصر، فقال بعضُهم: لم يُردْ منّا أنْ نُؤخِّرَ الصلاةَ، وإنما أرادَ استعجالَنا.

وقال آخرون: بل نأخذُ بظاهر النصِّ، ولا نُصلِّي حتى نصل بني قُريظةَ، ولو غربت الشمس، فعمل كل فريق باجتهاده، ولم يعنف الرسول صلى الله عليه وسلم أحدا منهم.

وأما بعدَ وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم فقد اشتهر اجتهادُ الصحابة، ونُقل إلينا أكثرُه.

ومن ذلك: أن ابن عباس رضي الله عنه كان لا يرى العولَ في الفرائض، خلافاً لأكثر الصحابة الذين قاسوه على ضيق التركة عن سداد الدَّين وتوزيعها على الغُرماء، كلٌّ بحسب دَينه، بحيثُ ينقُصُ ما يأخذُه كل منهم بمثل نقص التركة عن مجموع الدَّين.

ومن اجتهاد الصحابة اجتهاد الخلفاء الأربعة لما نزل بهم وحل من حوادث ، فكانوا يجتهدون وفق مقاصد شرعية لا يخرجون عنها وسنعرج عن اجتهاد كل واحد منهم ابن خلافته .

المطلب الأول : الاجتهاد المقاصدي عند أبي بكر :

الفرع الأول . الخلافة أو الإمامة العظمى: وأول خلافة انعقدت على حقيقتها ووجهها في الأرض، خلافة أبي بكر رضي الله عنه. أخرج ابن عديّ عن أبي بكر بن عياش قال: قال لي الرشيد: يا أبا بكر كيف استخلف الناس أبا بكر الصديق؟ قلت: يا أمير المؤمنين، سكت الله وسكت رسوله وسكت المؤمنون، فقال: والله ما زدتني إلا غما. قال: يا أمير المؤمنين مرض النبي صلى الله عليه وسلم ثمانية أيام، فدخل عليه بلال فقال: يا رسول الله من يصلي بالناس؟ فقال: مر أبا بكر يصلي بالناس فصلى أبو بكر ثمانية أيام والوحي ينزل، فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم لسكوت الله وسكت المسلمون لسكوت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأعجبه فقال: بارك الله فيك. (السيوطي 2004، ص54)

وقد استنبط جماعة من العلماء خلافة أبي بكر من آيات القرآن، فأخرج البيهقي عن الحسن البصري في قوله تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ . (المائدة 54)

قال: هو والله أبو بكر وأصحابه لما ارتدت العرب جاهدهم أبو بكر وأصحابه حتى ردوهم إلى الإسلام. (الكتاني د.ت، ج1،ص79)

وقال الحافظ ابن حزم: من ولي الخلافة بعهد اختلف الناس في أبي بكر. والذي أدين الله به: أنه ولي الخلافة بعهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه، ونص عليه لإجماع أهل الإسلام على تسميته خليفة رسول الله، ولم يسمّ أحد بهذا الاسم أحدا غيره، ولا ممن استخلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة، ولا ممن استخلفه على الصلوات في غزواته وحجته، وللخبر الثابت الذي رويناه من طرق ثابتة في قصة المرأة التي قالت: يا رسول الله، فإن رجعت ولم أجدك كأنها تريد الموت قال: «فأبو بكر» ، هكذا نص الحديث كما أوردناه. (البخاري 1422، رقم 6871)

فاختيار أبي بكر رضي الله عنه خليفة للمسلمين قياسا على إمامته في الصلاة ، والمقصد حفظ نظام الدولة واستمرار رسالتها الدعوية والحضارية والإصلاحية . (الخادمي 2001، ج1،ص95)

وحفظ نظام الدولة قائم على أساس المصلحة العامة حيث يقول الشاطبي :" المصالح المجتلبة والمفاسد المستدفعة إنما تعتبر من حيث تقام الحياة الدنيا للحياة الأخرى، لا من حيث أهواء النفوس في جلب مصالحها العادية أو درء مفاسدها العادية، فالشريعة إنما جاءت لتخرج المكلفين من أهوائهم حتى يكونوا عباد الله، وهذا المعنى إذا ثبت، لا يجتمع مع فرض أن يكون وضع الشريعة على وفق أهواء النفوس، وطلب منافعها العاجلة كيف كانت، وقد قال ربنا سبحانه {وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ} . (المؤمنون الاية 70) ، فالمعتبر إنما هو الأمر الأعظم، وهو جهة المصلحة التي هي عماد الدين والدنيا، لا من حيث أهواء النفوس . (الشاطبي 1997، ج2،ص64).

قال العز بن عبدالسلام :" وكذلك الشرائع على تحريم الدماء والأبضاع والأموال والأعراض، وعلى تحصيل الأفضل فالأفضل من الأقوال والأعمال، وإن

اختلف في بعض ذلك فالغالب أن ذلك لأجل الاختلاف في التساوي والرجحان، فيتحير العباد عند التساوي ويتوقفون إذا تحيروا في التفاوت والتساوي. (السلام 1991، ج1،ص06)

الفرع الثاني . جمع القران : ما فعله سيدنا أبو بكرٍ الصديق رضوان الله - تبارك وتعالى - عليه من جمع القرآن في مصحفٍ واحد؛ فسيدنا أبو بكر - رضوان الله تبارك وتعالى - عليه رأى أن المصلحة تكمن في أن يجمع القرآن في مصحفٍ واحد، وفعل ذلك لأن مصلحة الناس، ومصلحة المسلمين تقتضي ذلك. (العالمية د.ت، ص12)

قال الشاطبي :" أن أحكام الشريعة تشتمل على مصلحة كلية في الجملة، وعلى مصلحة جزئية في كل مسألة على الخصوص،أما الجزئية فما يعرب عنه كل دليل في خاصته.

وأما الكلية فهي أن يكون كل مكلف تحت قانون معين من تكاليف الشرع في جميع حركاته وأقواله واعتقاداته، فلا يكون كالبهيمة المسببة تعمل بهواها، حتى يرتاض بلجام الشرع"

ثم قال:" أن الشريعة قد تضمنت حفظ المصالح من جميع الأنواع، وفي جميع المراتب، فقد تضمنت -كما تقدم غير ما مرة - حفظ المصالح الضرورية ومكملاتها، وحفظ المصالح الحاجية ومكملاتها، وحفظ المصالح التحسينية مهما صغر شأنها. (الشاطبي 1997، ج1،ص238)

ويتضح ذلك من الحديث الصحيح (البخاري 1422، رقم 4679)الذي روي عن زيد بن ثابت رضي الله عنه وكان من كتاب الوحي، وقال فيه: "أَرْسَلَ إِلَيَّ أَبُو بكرٍ مَقْتَلَ أَهْلِ اليَمَامةِ وعندهُ عُمرُ، فقالَ أبو بكرٍ: إن عمر أتاني فقال إن القتل قد استحرَّ يوم اليمامةِ بالناس، وإِنِّي أخشَى أن يستَحرَّ القَتْلُ بالقرّاءِ في المواطن، فيذْهبَ كثيرٌ من القرآن إلا أن تجمعوه، وإني لأرى أن تجمعَ القرآن". قال أبو بكر: "قلتُ لعمرَ: كيفَ أفعلُ شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ." فقال عمرُ: هو واللهِ خيرٌ. فلم يزل عمر يراجعني فيه حتى شرح الله لذلك صدري، ورأيت الذي رأى عمر. قال زيد بن ثابت: وعمر عنده جالسٌ لا يتكلم، فقال أبو بكر: "إنك رجلٌ شابٌ عاقلٌ ولا نتهمك، كنتَ تكتبُ الوحي لرسول الله

صلى الله عليه وسلم، فتتبع القرآن فاجمعه، فوالله لو كلفني نقل جبلٍ من الجبال ما كانَ أثقلَ عليَّ مما أمرني به من جمع القرآن". قلتُ: كيف تفعلان شيئاً لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم. فقال أبو بكر: هو والله خيرٌ .فلم أزل أراجعه حتى شرح الله صدري للذي شرحَ الله له صدر أبي بكرٍ وعمر .فقمتُ فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والأكتاف والعسُبِ وصدور الرجال، حتى وجدتُ من سورة التوبة آيتين مع خزيمة الأنصاري لم أجدهما مع أحدٍ غيره :لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ . (التوبة 128 - 129) ، وكانت الصحف التي جمع فيها القرآن عند أبي بكر حتى توفّاه الله ثم عند عمر حتى توفّاه الله ثم عند حفصة بنت عمر" .

وعلى هذا، فقد بدأ جمع القرآن في عهد أبي بكر رضي الله عنه سنة 12هـ.

فجمع القرآن في عهد أبي بكر المقصد منه حفظ دستور الدول الناشئة ، والمنبع الأول لهدي العالم وصلاحه ،والمصدر الأساس للتشريع والنظام والقانون. (الخادمي 2001، ج1،ص96)

المطلب الثاني : في عهد عمر بن الخطاب :

الفرع الأول . وقوع الطلاق الثلاث بلفظ واحد : كان الطلاق على عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلم وأبي بكر وسنتين من خلافة عمر، طلاقُ الثلاث واحدة، فقال عمر بن الخطاب: إن الناس قد استعجلوا في أمر كانت لهم فيه أناة، فلو أمضيناه عليه، فأمضاه عليهم» (مسلم 1374، رقم 1472).

فهو واضح الدلالة على جعل الطلاق الثلاث بلفظ واحد طلقة واحدة، وعلى أنه لم ينسخ لاستمرار العمل به في عهد أبي بكر وسنتين من خلافة عمر، ولأن عمر أمضاه من باب المصلحة.

والمقصد هو زجر الرجال عن الاستخفاف بإيقاع الطلاق الثلاث دون أن يمضي ثلاثا ، فرأى عمر رضى الله عنه مصلحة الإمضاء أقوى من مصلحة الوقوع . (الخادمي 2001، ج1،ص96)

قال العز بن عبدالسلام :" والشرع يحتاط لدرء مفاسد الكراهة والتحريم، كما يحتاط لجلب مصالح الندب والإيجاب، والاحتياط ضربان أحدهما ما يندب إليه، ويعبر عنه بالورع، كغسل اليدين ثلاثا إذا قام من النوم قبل إدخالهما

الإناء، وكالخروج من خلاف العلماء عند تقارب المأخذ، وكإصلاح الحكام بين الخصوم في مسائل الخلاف، وكاجتناب كل مفسدة موهمة، وفعل كل مصلحة موهمة. (السلام 1991، ج2،ص18)

الفرع الثاني . المؤلفة قلوبهم : ما فعله عمر بن الخطاب -رضي الله عنه - من حرمان المؤلفة قلوبهم من سهم الصدقات -وإن كان هذا السهم قد قرر لهم في القرآن الكريم صراحة بقول الله -تبارك تعالى -: إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ. (التوبة 60)

نقول: على الرغم من وجود هذا النص الصريح بأنه هناك سهم للمؤلفة قلوبهم؛ فإن سيدنا عمر بن الخطاب لم يأخذ بظاهر اللفظ، ولم يقف عند حرفية النص، بل راعى سر النص، وحكم روح النص، وقرر أن الآية التي فرضت نصيبًا لهؤلاء المؤلفة لم تفعل ذلك؛ ليتخذ شريعة عامة يعمل بها في كل حالٍ، وزمان، بل إنما كان لحكمة خاصة، وسبب لم يعد قائمًا بعد، وأرشد إلى هذا بقوله: إن الله قد أعز الإسلام وأغنى عنهم - يعني: أغنى الإسلام عن هؤلاء المؤلفة قلوبهم - فعمر -رضي الله عنه - رأى أن سهم المؤلفة قلوبهم قد أوجبه الله تعالى لحاجة المسلمين إلى من يعضدهم، وينصرهم، أو لا يؤلب عليهم القبائل؛ فإذا صار المسلمون في قوة، وعزة، وزال المعنى الذي من أجله وجب ذلك السهم؛ كان للإمام أن يصرفه عن أولئك المؤلفة إلى ما هو أجدى على المسلمين وأنفع. (العالمية د.ت، ص13).

وذكر الريسوني مسألة المؤلفة قلوبهم فقال (الريسوني، نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي 1992، ج1، ص340):"فلنعرج على مسألة أخرى مما يمكن النظر فيه من خلال المقاصد، وذلك هو الخلاف في سهم المؤلفة قلوبهم من مصارف الزكاة، وهل هو باق، أو سقط؟

وههنا أيضًا نجد أن الإمام مالكًا قد ساير في المسألة أهل الرأي والتعليل، في القول بسقوط هذا السهم وانقطاعه، فهذا القول مبني على تعليل سهم المؤلفة قلوبهم بمصلحة الإسلام والمسلمين. والظاهر أن الإمام اتبع في هذه المسألة

اجتهاد عمر وغيره من الصحابة. وعلى كل حال، فهو اجتهاد قائم على التعليل المصلحي مع عدم الوقوف عند التعبد الظاهري.

وقد ذهب عدد من العلماء الآخرين إلى أن هذا السهم باق لم يسقط ولم ينقطع، وأن توقيفه من قبل عمر والصحابة، إنما كان اجتهادًا ظرفيًا في تصريف أموال الزكاة. وقد أجمع المسلمون أن لا نسخ بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فما فعله عمر رضي الله عنه إنما كان تحقيقاً لمناط لحكم في ظرفه. وهذا النظر يسمح بتجدد العمل بهذا السهم كلما اقتضى الأمر ذلك.

وللإمام الطبري في هذه المسألة نظر سديد، مبني على مقاصد الزكاة عمومًا، فهو يرى -بحق - أن للزكاة مقصدين بينها بقوله: "أحدهما سد خلة المسلمين، والآخر معونة الإسلام وتفويته، فما كان في معونة الإسلام وتقوية أسبابه، فإنه يعطاه الغني والفقير، لأنه لا يعطاه من يعطاه بالحاجة منه إليه، وإنما يعطاه معونة للدين.

وذلك كما يعطاه بالجهاد في سبيل الله، فإنه يعطى ذلك غنيا كان أو فقيرًا، للغزو لا لسد خلته. وكذلك المؤلفة قلوبهم، يعطون ذلك، وإن كانوا أغنياء، استصلاحًا بإعطائهم وهو أمر الإسلام وطلب تقويته وتأييده، وقد أعطى النبي صلى الله عليه وسلم من أعطى من المؤلفة قلوبهم بعد أن فتح الله عليه الفتوح وفشا الإسلام وعز أهله، فلا حجة لمحتج بأن يقول: لا يتألف اليوم على الإسلام أحد، لامتناع أهله بكثرة العدد ممن أرادهم، وقد أعطي النبي صلى الله عليه وسلم من أعطي منهم في الحال التي وصفت".

الفرع الثالث . عدم إقامة حد السرقة : أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أسقط القطع عن السارق في عام المجاعة، قال السعدي: حدثنا هارون بن إسماعيل الخزاز ثنا علي بن المبارك ثنا يحيى بن أبي كثير حدثني حسان بن زاهر أن ابن حدير حدثه عن عمر قال: لا تقطع اليد في عذق ولا عام سنة.

قال السعدي: سألت أحمد بن حنبل عن هذا الحديث فقال: العذق النخلة، وعام سنة: المجاعة، فقلت لأحمد: تقول به؟ فقال: إي لعمري، قلت: إن سرق في مجاعة لا تقطعه؟ فقال: لا، إذا حملته الحاجة على ذلك والناس في مجاعة وشدة. (الجوزية 1991، ج3،ص17)

يقول الشاطبي في مثل اجتهاد عمر رضي الله عنه : "فالمجتهد إنما يتسع مجال اجتهاده بإجراء العلل والالتفات إليها ولولا ذلك لم يستقم له إجراء الأحكام على وفق المصالح إلا بنص أو إجماع." (الشاطبي 1997، ج1.ص319)

رأى عمر رضى الله عنه من عدم استيفاء الشروط الضرورية الباعثة على التطبيق والتي منها شبهة المجاعة الملجئة على أخذ حق الغير بدون إذن منه للضرورة ، والمقصد هو الرفق والتخفيف بمن اضطر إلى السرقة دون اختيار منه ومراعاة ظروف تطبيق الحكم كي يحقق أغراضه وفوائده ، غير أن هذا لا يهمل تعزيره وتأديبه . (الخادمي 2001، ج1،ص98)

كما أن شبهة قوية تدرأ القطع عن المحتاج، وهي أقوى من كثير من الشبه التي يذكرها كثير من الفقهاء، بل إذا وازنت بين هذه الشبهة وبين ما يذكرونه ظهر لك التفاوت، فأين شبهة كون المسروق مما يسرع إليه الفساد، وكون أصله على الإباحة كالماء، وشبهة القطع به مرة، وشبهة دعوى ملكه بلا بينة، وشبهة إتلافه في الحرز بأكل أو احتلاب من الضرع، وشبهة نقصان ماليته في الحرز بذبح أو تحريق ثم إخراجه، وغير ذلك من الشبه الضعيفة جدا إلى هذه الشبهة القوية؟ لا سيما وهو مأذون له في مغالبة صاحب المال على أخذ ما يسد رمقه.

وعام المجاعة يكثر فيه المحاويج والمضطرون، ولا يتميز المستغني منهم والسارق لغير حاجة من غيره، فاشتبه من يجب عليه الحد بمن لا يجب عليه، فدرئ. نعم إذا بان أن السارق لا حاجة به وهو مستغن عن السرقة قطع. (الجوزية 1991، ج3،ص18)

قال العز بن عبدالسلام : وأما حد السرقة فزاجر عن مفسدة تفويت الأموال التي يتوسل بها إلى مصالح الدنيا والدين، ويتقرب بها إلى رب العالمين، ولم يفوض الشرع استيفاءه إلى المسروق منه لغلبة الرقة في معظم الناس على السارقين، فلو فوض إليهم لما استوفوه رقة وحنوا وشفقة على السارقين، فإن قيل: كيف تقطع يد ديتها خمسون من الإبل أو خمسمائة دينار بربع دينار أو بعشرة دراهم كما قال أبو حنيفة - رحمه الله -؟ قلنا: ليس الزجر عما أخذ وإنما الزجر عن تكرير ما لا يتناهى من السرقة المفوتة للأموال الكثيرة التي لا ضابط لها ولو شرط الشرع في نصاب السرقة مالا خطيرا لضاعت أموال الفقراء

الناقصة عن نصاب الخطير، وفي ذلك مفسدة عامة للفقراء. (السلام 1991، ج1،ص193)

الفرع الرابع . قتل الجماعة بالواحد : في قتل الجماعة بالواحد أن حيي بن يعلى بن أمية سمع أباه يعلى يقول وذكر قصة الذي قتله امرأة أبيه وخليلها أن عمر بن الخطاب كتب إلي أن اقتلهما فلو اشترك في دمه أهل صنعاء كلهم لقتلتهم قال ابن جريج فأخبرني عبد الكريم وأبو بكر قالا جميعا إن عمر كان يشك فيها حتى قال له علي يا أمير المؤمنين أرأيت لو أن نفرا اشتركوا في سرقة جزور فأخذ هذا عضوا وأخذ هذا عضوا كنت قاطعهم قال نعم . (حزم د.ت، ج7،ص176)

قتل الجماعة بالواحد وقطع أيدي الجماعة بقطع يد الواحد، لو اعتبرنا فيها التساوي لسقط القصاص في كثير من الأحوال بتواطؤ الجمع على القتل والقطع، والاجتماع على القطع في ذلك أندر من الاجتماع على القتل فلذلك خالف فيه أبو حنيفة كما خالف بعض العلماء في قتل الجماعة بالواحد.

وكذلك القول في الحياة التي لم يبق بها إلا صبابة يسيرة فإنا نأخذ بها الحياة الطويلة المرجوة الدوام فيقتل الشاب الأيد في عنفوان شبابه بالشيخ الهرم الذي نضب عمره وانقضى دهره، وكذلك يؤخذ الشباب في عنفوان شبابه بقتله من أنفذت مقاتله ويئس بحيث لا يبقى منها إلا ساعة أو ساعتين.

وكذلك لا نظر إلى التفاوت في الصنائع فتؤخذ يد الصانع الماهر في صناعته بيد الأخرق الذي لا يعرف شيئا مثل أن تؤخذ يد ابن البواب بيد من لا يعرف من الكتابة شيئا، وكذلك تؤخذ يد أحذق الناس في الرماية وغيرها من الصنائع بيد من لا يحسن الرماية ولا شيئا من تلك الصنائع. (السلام 1991، ج1،ص197)

ومقصد عمر رضي الله عنه هو حفظ النفوس وقمع الجناة ،وزجر الناس كي لا يفكروا في القتل ، وسد ذريعة الفرار من القصاص بشبهة الاشتراك في القتل ، فلو اقتصر القصاص على المنفرد بالقتل لاتخذ الناس الاشتراك في القتل ذريعة لذلك . (الخادمي 2001، ج1،ص99)

المطلب الثالث : في عهد عثمان رضي الله عنه :

الفرع الأول . كتابة المصحف ونسخه في عهد عثمان بن عفان : عن أنس بن مالك: «أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى. فأرسل عثمان إلى حفصة: أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن ابن الحارث بن هشام، فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم، حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق. (البخاري 1422، الرقم 2014)

رأى عثمان بن عفان – رضي الله عنه – أن تعدد أحرف القرآن تحول من رخصة تيسر تلاوته إلى سبب للاختلاف بين القراء. فأراد أن يجمع الأمة على حرف واحد ليسد باب الاختلاف أمام القراء الجاهلين بأصل وحكمة تعدد أحرف القرآن

الفرع الثاني . ضوال الإبل: روى مالك عن ابن شهاب قوله: كانت ضوال الإبل في زمن عمر بن الخطاب إبلا مرسلة، لا يمسها أحد، حتى إذا كان زمان عثمان بن عفان أمر بتعريفها، ثم تباع، فإذا جاء صاحبها أُعطي ثمنها وكان توجيه النبي صلى الله عليه وسلم بترك ضوال الإبل حتى يأتي مالكها فيأخذها فهي مكتفيه بنفسها فقال: ما لك ولها؟ معها سقاؤها وحذاؤها ترد الماء وتأكل الشجر حتى يلقاها ربها (مالك 1406، رقم 2810).وقد التزم الصحابة بهذا التوجيه حتى خلافه عثمان رضي الله عنه، ولكن أخلاق الناس تغيرت وبدأ بعضهم يمد يده على ضوال الإبل، فرأى عثمان رضي الله عنه أن تركها على حالها يعرضها للضياع فأمر بالتقاطها وتعريفها ثم بيعها فان جاء صاحبها

أعطي ثمنها ليقطع الطريق على ضعاف النفوس وليحقق مصلحه حفظ حقوق الآخرين.

وقد رأى الأستاذ الحجوي : أنَّ هذا الاجتهاد من عثمان بن عفَّان رضي الله عنه مبنيٌّ على المصلحة المرسلة ؛ لأنَّه رأى النَّاس مدُّوا أيديهم إلى ضوالِّ الإبل ، فجعل راعياً يجمعها ، ثمَّ تباع قياماً بالمصلحة العامَّة. غير أنَّ الأستاذ عبد السَّلام السُّليماني ردَّ على هذا القول بقوله : غير أنَّه من الصَّعب التسليم بمقالة الأستاذ الحجوي على إطلاقها ؛ لأنَّ المصلحة المرسلة هي الّتي لم ينصَّ الشَّارع لا على اعتبارها ، ولا على إلغائها ، في حين : أنَّ النَّبيّ (ﷺ) قد نصَّ على حكم ضوالِّ الإبل في الحديث المذكور أعلاه ، فهي إذاً مصلحةٌ معتبرةٌ نصَّ عليها النَّبيُّ بنفسه ، فلا يصحُّ أن يقال : إنَّ ما فعله عثمان من بيع ضوالِّ الإبل يعدُّ مصلحةً مرسلةً ، فالمصلحة المرسلة لا تكون في مقابلة النَّص .

والّذي يظهر لنا : أنَّ اجتهاد عثمان في هذه القضيَّة بُني على المصلحة العامَّة ، فعلاً ، لكنَّها ليست مصلحةً مرسلةً ، وأنَّ هذه القضيَّة من القضايا القابلة للاجتهاد ، والّتي يمكن أن يتغيَّر حكمها بتغيُّر الأزمنة ، والأحوال ، وبالنَّظر إلى ما يحقِّق مصلحة أصحاب ضوالِّ الإبل ؛ لأنَّ علَّة الحكم فيها . على ما يظهر . هي المحافظة على هذه الإبل إمَّا بأعيانها ، أو في شكل ثمنها ، وكلا الأمرين مصلحةٌ ، ولا شكَّ : أنَّ سيدنا عثمان بصنيعه هذا كان هدفه تحقيق المصلحة العامَّة ؛ لأنَّه رأى : أنَّ ترك الإبل على حالها ، كما كان الأمر في عهد النَّبيّ صلى الله عليه وسلم وإلى زمن عمر ، يعرِّضها للضَّياع بعد أن تغيَّرت أخلاق الناس ، وأصبحوا يمدُّون أيديهم لضوالِّ الإبل ، فرأى أن يقطع الطَّريق عليهم بما فعل ، وهو اجتهادٌ سليمٌ ، وحكمٌ (سديدٌ) بلا ريب. (محمدالصلابي، تيسير الكريم المنّان في سيرة عثمان بن عفان 2019، ص227)

الفرع الثالث . زيادة عثمان رضي الله عنه الأذان الأول يوم الجمعة: عن السائب بن يزيد قال: كان النداء يوم الجمعة أوله إذا جلس الإمام على المنبر، على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فلما كان عثمان رضي الله عنه وكثر الناس زاد النداء الثالث (البخاري 1422، رقم916) على الزوراء" فقد رأى عثمان رضي الله عنه أن يزاد هذا الأذان لتنبيه الناس بقرب

وقت صلاة الجمعة بعد أن اتسعت رقعة المدينة، وأصبح كثير من المسلمين يسكنون بعيدا عن المسجد.

التكاليف كلها راجعة إلى مصالح العباد في دنياهم وأخراهم والله غني عن عبادة الكل، ولا تنفعه طاعة الطائعين، ولا تضره معصية العاصين بل لو كانوا كلهم على أفجر قلب رجل واحد منهم لم ينقص ذلك من ملكه شيئا، ولو كانوا كلهم على أتقى قلب رجل واحد منهم لم يزد ذلك في ملكه شيئا، ولم يبلغوا ضره فيضروه ولا نفعه فينفعوه، وكل ضال إلا من هداه الله، وجائع إلا من أطعمه الله، وعار إلا من كساه، وإنما سبق علمه - سبحانه وتعالى - بترتيب بعض الحادثات على بعض من غير أن يكون مقدمها موجبا لمؤخرها ولا منشئا له بل هو المتحد بترتيب المسببات على أسبابها، وبالعقوبات على المخالفات، وبالمثوبات على الطاعات من غير أن وجد شيء منها مما ترتب عليه، بل الكل مستند إليه. (السلام 1991، ج2،ص74)

المطلب الرابع. خلافة علي بن أبي طالب :

الفرع الأول . تضمين الصناع: روى البيهقي: أن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - ضمن الغسال والصباغ وقال: لا يصلح الناس إلا ذاك. (البيهقي 1424، رقم11664)

الأصل: ألا يُضمن الصانع لضياع أو تلف ما في يديه من أموال الناس، لأنه أمين عليها، لما ثبت في السنة من قوله . صلى الله عليه وسلم . لا ضمان على مؤتمن. (قطني 1422، رقم 2961)

وقد كان هذا الأصل يصلح للأحوال والظروف التي يغلب فيها على الناس الاستقامة وحفظ الأمانة، وأما مع تغير الأخلاق، وظهور الإهمال والتقصير؛ فلابد من علاج يتفق مع قواعد الإسلام في صيانة الأموال والمحافظة عليها. (البرهاني د.ت، ص539)

رأى علي بن أبي طالب وجود ثغرة في نظام تعامل الناس مع أرباب الصنائع تسمح للصانع بالتهرب من مسؤوليته عن أموال الناس التي بين يديه. فكأن الصناع كانوا يتحججون بأن تلفها خارج عن إرادتهم. فأراد علي بن أبي طالب

أن يسد هذه الثغرة فضمَّن الصناع ما يكون بأيديهم من أموال، إذا لم يقدموا بيّنة على أن ما هلك إنما هلك بغير سبب منهم .

وعلة ذلك أن التضمين من المصالح العامة فوجب أن يكون مشروعا لأن الصناع يسهل عليهم التصرف فيما تحت أيديهم ويدعون هلاكه ففي تضمينهم حفظ المصالح الناس وصيانة لأموالهم .

الفرع الثاني . التشهير: لجأ علي رضي الله عنه إلى التشهير بالعاصي وتعريف الناس به، كما فعل بشاهد الزور، وفي ذلك مصلحة للمجتمع، لئلا يستشهد فتضيع الحقوق. (جي 1403، ص148)

إذا أردت معرفة الفرق بين الصغائر والكبائر فاعرض مفسدة الذنب على مفاسد الكبائر المنصوص عليها، فإن نقصت عن أقل مفاسد الكبائر فهي من الصغائر وإن ساوت أدنى مفاسد الكبائر أو أربت عليها فهي من الكبائر، وقد نص الشرع على أن شهادة الزور وأكل مال اليتيم من الكبائر فإن وقعا في مال خطير فهذا ظاهر، وإن وقعا في مال حقير كزبيبة وتمرة فهذا مشكل، فيجوز أن يجعل من الكبائر فطاما عن هذه المفاسد. (السلام 1991، ج1،ص23)

الفرع الثالث . القتل: قد يصل التعزير عند علي رضي الله عنه إلى القتل، إذا كانت الجريمة قد تعاظمت، وكان لها أثر بالغ الأهمية، كوضع الأحاديث على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم لذا فقد كان يقول: من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم يضرب عنقه. (عبدالرزاق 1403، رقم 9708)

الفرع الرابع . إتلاف أداة الجريمة وما يتبعها: أثر عن علي رضي الله عنه بأنه نظر إلى قرية فقال: ما هذه القرية؟ قالوا قرية تدعى زرارة يلحم فيها ويباع فيها الخمر، فأتاها بالنيران فقال: أضرموها فيها، فإن الخبيث يأكل بعضه بعضاً، فاحترقت (زنجويه 1406، ص173). فقد أحرق علي في هذه القرية الخمر وما يتبعه من مواد وأدوات تستخدم لصناعته (محمدالصلابي 2004، ص280).

والمقصد هو حفظ النفس البشرية مما يدنسها من شرب خمر والمسكرات ، باستعمال المصادرة بحرقها لئلا يعود الناس إليها .

نتائج البحث :

. الاجتهاد المقاصدي مكون من لفظين ، وهو مالم يكن عند الأقدمين بل هو مصطلح معاصر .

. تميز الاجتهاد المقاصدي عند الخلفاء الراشدين بالتنوع على حسب ورود حالات الاجتهاد.

. ظهر الاجتهاد المقاصدي في عهد أبي بكر الصديق في جوانب عدة ،كحفظ و جمع الأمة وكيان الدولة في إمامة أبي بكر الصديق رضي الله عنه رغم أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يوص بذلك .

. كذلك من المقاصد في خلافته جمع القران وهو مقصد حفظ دستور الدولة وأصل من أصول التشريع .

. تميزت خلافة عمر بن أبي الخطاب رضي الله عنه بالاجتهاد المقاصدي، ومن ذلك منع زكاة سهم المؤلفة قلوبهم ، والطلاق الثلاث في طلقة واحدة ، وقتل الجماعة بالواحد وعدم قطع يد السارق وغيرها من الاجتهادات المقاصدية الداخلة في حفظ الكليات .

. ظهرت في خلافة عثمان رضي الله عنه اجتهادات مقاصدية تمثلت في ضوال الإبل وإحداث أذان ثالث وكذلك كتابة المصحف العثماني.

. أما في خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه فتمثلت في تضمين الصناع ، وكذلك التشهير للعاصي ، والقتل تعزيرا ، ومصادرة وسائل الجريمة .

التوصيات :

- **العمل على البحث في جانب الاجتهاد المقاصدي دون افراط او تفريط.**
- **اهتمام البحث العلمي بهذا الجانب**
- **توجيه طلبة الشريعة بصفة عامة وطلبة الدراسات العليا بصفة لهذا الجانب من البحوث لان البحث فيه قليل .**

المراجع

. القران الكريم برواية حفص .

الكتب:

. ابن الصلاح ، أدب المفتي والمستفتي ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، 2002

. ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري ، دار المعرفة - بيروت، 1379.

. ابن حزم ، الإحكام في أصول الأحكام ، دار الآفاق الجديدة بيروت،د.ت.ط.

. ابن زنجويه ، الأموال ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، السعودية ، الأولى، 1406 هـ - 1986 م

. ابن قيم الجوزية ، أعلام الموقعين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1991.

. أبو بكر عبد الرزاق ، مصنف عبد الرزاق الصنعاني ، المجلس العلمي - الهند ، الثانية، 1403

. أبوداود، سنن أبي داود، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.د.ت.ط

. البخاري، الجامع المسند الصحيح ، دار طوق النجاة ،الأولى، 1422هـ.

. البيهقي ، السنن الكبرى ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنات ، الثالثة، 1424 هـ - 2003 م .

. الدار قطني، سنن الدار قطني ، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الأولى، 1424 هـ - 2004 م،

. الغزالي ، المستصفى ، دار الكتب العلمية ، الأولى، 1413هـ - 1993م

. الشوكاني ، نيل الأوطار ، دار الحديث، مصر، ط الأولى، 1413هـ - 1993م

. شمس الدين الأصفهاني ، بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب ، دار المدني ، السعودية ، 1986،

. عبد الحي الكتاني ، التراتيب الإدارية ، دار الأرقم ، بيروت،د.ت.ط

. علي محمد الصلابي ، سمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، مكتبة الصحابة ، الشارقة ، 2004.

.علي محمد الصلابي،تيسير الكريم المنان في سيرة امير المؤمنين عثمان بن عفان ،دار ابن كثير 2019،

. مالك بن أنس ، موطأ الإمام مالك ، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، 1406 هـ - 1985 م.

. محمد رواس قلعه جي ، موسوعة فقه علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- ، دار الفكر - دمشق ، الطبعة :الأولى - 1403هـ/1983م

. محمد أبو زهرة ، أصول الفقه ، دار الفكر العربي ، د.ط.ت.

. محمد هشام البرهاني ، سد الذرايع في الشريعة الإسلامية ، دار الفكر ، الطبعة الأولى.د.ط

. مناهج جامعة المدينة العالمية ، السياسة الشرعية ، جامعة المدينة العالمية.د.ط.ت.

. مها الصيفي ، الاجتهاد المقاصدي في عصر الخلفاء الراشدين ، رسالة ماجستير ،جامعة غزة ، نوقشت عام 2010

. نورالدين بن مختار الخادمي ، علم المقاصد الشرعية ،مكتبة العبيكان ،2001.

.الريسوني، أحمد. نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي. الدار العالمية للكتاب الإسلامي، 1992.

.العز بن عبدالسلام، عز الدين عبد العزيز. قواعد الأحكام في مصالح الأنام. مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة 1991.

.العز بن عبدالسلام، عز الدين عبد العزيز. شجرة المعارف والاحوال .دار الكتب العلمية، 2003.

.الشاطبي. الموافقات .تح أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان 1997

. مواقع الانترنت

. إسماعيل على محمد عبد الرحمن، إرشاد النقاد إلى قواعد الاجتهاد، https://books-library.online/files/books-library.online-10301034Ng1Z8.doc بتاريخ 12 -08 -2020 توقيت 17:40

مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ر ت م د: 7163 -1112 ر ت م د إ:1892-2588
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2

مذاهب العلماء في تفسير ظواهر الرسم العثماني

عرض وتقييم

The doctrines of the Scientists in the interpretation of the phenomena of Ottoman drawing.

محمد السعيد مصيطفى

محاضر -أ- جامعة غرداية.

djoud_2013@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2020/01/22 تاريخ القبول: 2021/04/16

ملخص –

اهتم هذا البحث بدراسة مسألة تعليل ظواهر الرسم العثماني، وهي قضية كبيرة اختلفت فيها أقوال العلماء وتباينت آراءهم، بين رافض لتعليل تلك الظواهر رأسا، وبين قائل بتفسيرها باعتبارات متعددة وحجج مختلفة. وقد هدف هذا البحث إلى عرض تلك الأقوال وتحليل تلك الاتجاهات ومناقشتها، ومن تمّ تقييمها ونقدها. ولتحقيق ذلك عُرض هذا الموضوع في مقدمة، وثلاثة مباحث على النحو التالي: المبحث الأول: الرسم العثماني - تعريفه، فوائده، ومظاهره. المبحث الثاني: مذهب القائلين برفض تفسير ظواهر الرسم العثماني. المبحث الثالث: مذهب المؤيدين لتفسير ظواهر الرسم العثماني. والخاتمة: وتضمنت أهم النتائج التي خلص إليها هذا البحث.

الكلمات المفتاحية–

تفسير...ظواهر...مذهب..الرسم...العثماني..

المؤلف المرسل: محمد السعيد مصيطفى: djoud_2013@yahoo.fr

Abstract -

This Research Is Concerned With Studying The Issue Of Explaining The Phenomena Of Ottoman Drawing , Which Is A Big Issue In Which The Of The Scientists Differed In Their Views And Opinions , Between Rejecting The Explanation Of These Phenomena Directly, And Between Interpreting Them With Multiple Considerations And Different Arguments.The Aim Of This Paper Was To Present, Analyze And Discuss Those Statements, And Those Who Were Evaluated And Criticized, So In Order To Achieve That, This Research Is Presented In An Introduction, Followed By A Three Major Sections As :

- The First Topic: Ottoman Drawing - Its Definition, Its Benefits, And Its Appearances.

-The Second Topic: The Doctrine Of Those Who Say And Reject The Interpretation Of The Phenomena Of Ottoman Drawing.

-The Third Topic: The Doctrine Of The Supporters Of The Interpretation Of The Phenomena Of Ottoman Drawing. And As A Conclusion: The Most Important Findings Of This Research Came Up With.

Keywords-

Interpretation ... Phenomena ... Doctrine .. Drawing ... Ottoman .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ .

مقدمة.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين: أما بعد:

لقد صان الله تعالى كتابه العزيز من أن يطاله التغيير أو التحريف والتبديل ولو في حرف واحد من حروفه، وذلك تحقيقا لوعده سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[الحجر:9].

وكان من مظاهر ذلك الحفظ الرباني للقرآن الكريم، حرص النبي ﷺ على حفظه في الصدور وكتابته في السطور، فلم ينتقل عليه السلام إلى جوار ربه، حتى كان القرآن مكتوبا بما أتيح يومئذ من وسائل وإمكانات. ثم جاءت خلافة أبي بكر وكان الجمع الثاني، وظلت صحفه عند حفصة حتى خلافة عثمان، ولما كثر الخلاف بين الصحابة وكادت أن تحدث الفتنة بينهم بسبب الاختلاف في تلاوة بعض الآيات، أمر عثمان ﷺ بجمع القرآن مرة أخرى، فكتب المصحف الإمام ونسخت منه عدة مصاحف، ليكون ذلك حسما للتنازع في التلاوة، واستعابا لكل ما تضمنته العرضة الأخيرة.

ومما تميزت به المصاحف التي نسخت في هذا الجمع أنها كتبت على نحو إملاء خاص اصطلح على تسميته بالرسم العثماني، وهو خط دوّن به الصحابة القرآن الكريم بما أتيح لهم من معرفة إملاء ذلك الزمان، بدليل حديث حذيفة بن اليمان الذي جاء فيه: (فأمر عثمان ﷺ زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ﷺ، فنسخوها في المصاحف وقال عثمان ﷺ للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم ففعلوا. قال الزهري فاختلفوا يومئذ في [التابوت] و[التابوة]. فقرأ القرشيون: التابوت، وقال زيد: التابوة، فرفعوا اختلافهم إلى عثمان فقال: اكتبوه (التابوت) فإنه نزل بلسان قريش).[1] وفيه إشارة أنهم كتبوا على حسب معرفتهم واجتهادهم، ولو كان ذلك توقيفيا من النبي ﷺ لما جاز لهم أن يختلفوا فيه.

ولما كتب الصحابة تلك المصاحف لم تكن لديهم قواعد ومناهج يلتزمونها

عند كتابة المصحف، وإنمّا استنبطها العلماء من بعدهم عن طريق الاستقراء والتتبع المستفيض لكتابة المصحف العثماني، وقد برزت ستة قواعد لرسم المصحف شكلت ظواهر الرسم فيما بعد وهي: الحذف، والزيادة، والإبدال، والهمز، والفصل والوصل، ومافيه أكثر من قراءة وكتب على أحدها.

ومثلما تلقت الأمة ذلك الرسم العثماني وظواهره بالقبول، ونسخت على منواله المصاحف عبر الأجيال والقرون، اجتهد العلماء في بيان علل الرسم واختلفت اتجاهاتهم في تعليل ظواهره، فمنهم من عارض تفسيرها وذهب إلى أنّها توقيفية، وأنّها تخفي من الأسرار ما لا سبيل إلى الوصول إليه، أو أنّها ترجع إلى سوء الهجاء وخطأ الكتّاب، ومنهم من أيّد القول بتعليلها وأدلى بدلوه فى تفسيرها وبيان ما تضمنته من المعاني والأسرار، وبيّن أنّ ذلك من ضمن إعجاز هذا القرآن العظيم.

ورغم وجود بعض الكتابات في هذا المجال؛ إلا أنني وجدتها تقتصر على مجرد السرد المختصر دون الغوص في التحليل والمناقشة، كما أن المفهوم الشائع لهذه المسألة عند الكثير من الناس، هو حمل ظواهر المصحف على المعاني الخفية والأسرار الباطنية التي لا تدرك إلا بالفتح الرباني الخاص.

ومما وجدته من الدراسات السابقة في هذا الموضوع، الدراسات التالية:

- اتجاهات العلماء في تعليل ظواهر الرسم العثماني، د/ أسامة عبد الوهاب الحياني،كلية التربية مجلة الجامعة العراقية. وهو بحث لم يتناول الموضوع على النحو الذي أردته، كما أنه كان مختصرا في كثير من النقاط، وقد حرصت أن اتجنب ذكر الأمثلة التي أشار إليها. كما أن فيه توسع في جوانب أخرى تتعلق بالرسم مما غلب عليه جانب التعميم.

- تعليل ظواهر رسم المصحف، لغانم قدوري الحمد، وهو كتاب غلب عليه التوسع و التركيز على الجانب اللغوي والتاريخي في دراسة الموضوع وهو ما تجنبته في هذا البحث.

وأمام كثرة الاتجاهات في هذا الموضوع، ورغبة في تبسيط هذه المسألة وتحليلها، جاء هذا البحث بعنوان [**مذاهب العلماء في تفسير ظواهر الرسم العثماني. عرض وتقييم**] .

ولهذا البحث أهميته البالغة؛ لأنّه يتعلق أساسا بالقرآن الكريم، وهو يتناول جانبا من أهم جوانبه وهو توجيه ظواهر الرسم العثماني التي على أساسها حفظت القراءات، وبسببها حفظ المصحف من التبديل والتحريف.

وبناء على هذا كله، تناولت هذا البحث في ثلاثة مباحث وخاتمة، جاءت على النحو التالي:

المبحث الأول: الرسم العثماني - تعريفه، فوائده، مظاهره.

المبحث الثاني: مذهب القائلين برفض تفسير ظواهر الرسم العثماني.

المبحث الثالث: مذهب المؤيدين لتفسير ظواهر الرسم العثماني.

الخاتمة : وفيها أهم النتائج التي استخلصت في البحث.

المبحث الأول: الرسم العثماني -تعريفه، فوائده، ومظاهره.

تمهيد.

تجدر الإشارة هنا قبل أن أن نعرف برسم المصحف أن مصطلح الخط والهجاء هي الألفاظ التي كان يعبر بها في القرون الأولى في هذا المجال مثلما تشير إليه بعض المؤلفات ك: (هجاء المصاحف) لمحمد بن عيسى بن رزين الأصبهاني(242هـ)، و(هجاء المصاحف) لأبي حاتم السجستاني (255هـ)، كما كان بعض المفسرين كالطبري والزمخشري وغيرهما يسمونه بخط المصحف، أما مصطلح الرسم العثماني أو رسم المصحف فقد ظهر متأخرا إذا ما قورن بمصطلح الخط والهجاء، ومن ذلك كتاب: (عنوان الدليل في مرسوم خط التنزيل) لابن البناء المراكشي(721هـ).

المطلب الأول: تعريف الرسم العثماني.

أولا. الرسم في اللغة: أثر الشيء، وقيل بقيّة الأثر، ورسم الدار ماكان من آثارها لاصقًا بالأرض، والثوب المرسّم يعني المُخطط، ويرادف الرسم: الرّشم والزبر والسّطر والرقم والكَتْب.

ويطلق الرسم على الهجاء والإملاء، كما يطلق على الخط؛ لأنه أثر الكتابة في اللفظ، وقد اشتهر إطلاقه على الخطّ الذي كتب به المصحف الشريف.[2]

ثانيا. الرسم في الاصطلاح: لقد قسمه العلماء إلى ثلاثة أقسام:

1. الرسم القياسي: وهو تصوير الكلمة بحروف هجاءها على تقدير الابتداء

بها والوقف عليها، ويعبر عنه بمطابقة الخط للفظ.[3]

2ـــ الرسم العروضي: وهو ما اصطلح عليه أهل العروض في تقطيع الشعر، واعتمادهم في ذلك ما يقع في السمع دون المعنى، فيكتبون التنوين نونًا ساكنة ولا يراعون حذفها في الوقف، ويكتبون الحرف المدغم بحرفين، فتراعى فيه المطابقة التامة بين المنطوق والمكتوب.[4]

3ـــ الرسم العثماني: وله عدة تعريفات، منها:

قال المارغيني:" هو علم تعرف به مخالفات خط المصاحف العثمانية لأصول الرسم القياسي -وسماه بالرسم التوقيفي -".[5]

وقوله (مخالفات خط المصاحف العثمانية) من التجوز في العبارة، وإلا فالمخالف هو الرسم الاصطلاحي المتأخر وجودا عن الرسم المصحفي، فالمتأخر هو المخالف لمن تقدمه وليس الأمر على العكس.

وقال الزرقاني:" رسم المصحف يراد به الوضع الذي ارتضاه عثمان ﷺ في كتابة كلمات القرآن وحروفه".[6]

وقوله (ارتضاه عثمان ﷺ) لا تفهم على أنه واضع هذا الرسم، لأنه لم يكن من عثمان ﷺ إلا أنه أعاد نسخ ما في صحف أبي بكر، فلا يعدو عمله أن يكون نقلا، وليس فيه أنه ارتضى أمرا من قِبله هو لم يكن عليه من قبله، ثم إنّ المصاحف العثمانية كانت عن إملإ من الصحابة وإجماع منهم من حيث جمعها، وكتابتها، فلا يمكن إسناد ذلك إلى عثمان ﷺ وحده.

وليس بين التعريفين اختلاف، فالأول ركّز على ماهية علم الرسم بعد تدوين مسائله، ونظر الثاني إلى استمداد علم الرسم، فقد أُخذت قواعد هذا العلم واقتبست ضوابطه من المصاحف المنسوخة في عهد عثمان ﷺ والتي وصلت إلى علماء الرسم أو رُوِي لهم كيفية رسمها وكتابتها.

وعرف د. غانم قدوري الرسم العثماني تعريفا شاملا فقال:" عبارة رسم المصحف هي طريقة رسم الكلمات في المصحف من ناحية عدد حروف الكلمة ونوعها، لا من حيث نوع الخط وجماليته، ويستند رسم الكلمات في المصحف إلى طريقة رسمها في المصاحف التي نسخت في خلافة عثمان ﷺ والتي عرفت في المصادر الإسلامية باسم المصاحف العثمانية، نسبة إلى سيدنا عثمان ﷺ لكونه

هو الذي أمر بنسخها وإرسالها إلى البلدان خارج الجزيرة العربية، كما صار رسم الكلمات فيها يعرف بالرسم العثماني".[7]

والناظر لهذه التعريفات يجدها تشترك في أمرين أساسين:

الأول: مخالفة الرسم القياسي أو الإملائي المعتاد للرسم العثماني.

الثاني: نسبة المصاحف إلى سيدنا عثمان ﷺ، وهذا لا يعني أن عثمان هو من اخترع الخط، وإنما نقله ونسخه على ما كان على عهد رسول الله ﷺ في مصاحف وأرسلها إلى الأمصار. قال الفرماوي:" الطريقة العثمانية هي طريقة توزيع هذا الرسم على المصاحف، بحيث يتحمل كل القراءات القرآنية المتواترة، ولذلك نسب إليه لهذا السبب لا لابتكارهم له، ولا لمخالفتهم به رسما تمَّ بين يدي النبي ﷺ، وأيضا لأن الفضل يرجع إلى نسخهم التي عممته وأذاعته، ومسحت كل رسم يخالفه بعد وصولها إلى الأمصار والأقطار".[8]

المطلب الثاني: فوائد الرسم العثماني.

لدراسة رسم المصحف فوائد جليلة، تتحقق للمتخصصين بعلوم القرآن، وكذا لغيرهم من القراء والدارسين للعربية والمهتمين برسمها، ومن ذلك:

ـ حفظ المصاحف الكريمة من مخالفة رسم المصحف الإمام الذي كتبه الصحابة ﷺ؛ لأن قواعد الإملاء عرضة للتغيير والتبديل من جيل إلى جيل، ومن بلد إلى بلد، فلو كتب المصحف حسب الرسم القياسي وقواعد الإملاء الحديثة، لأدى ذلك إلى اختلاف المصاحف، ووقع الناس في الإشكال ذاته، وهكذا تعود مشكلة الألفاظ قريبة من المشكلة التي حدثت أيّام الخليفة عثمان ﷺ .

ـ أنه يؤدي إلى اتصال السند إلى رسول الله ﷺ؛ لأنه لو كان مكتوبا على الرسم القياسي لاستغنى الناس عن التلقي والأخذ عن المشايخ، واكتفوا بالقراءة في المصاحف، فيفوتهم معرفة ما فيه من طرق الأداء من مد وقصر، وإدغام وإظهار، وتحقيق وتسهيل، وفتح وإمالة، وترقيق وتغليظ، وإشمام وروم، وغير ذلك من القواعد التي لا يمكن الوقوف عليها ولا أداؤها سليمة إلا بالتلقي والمشافهة، وإلا كيف ينطق المسلم [كهيعص] و[حم] و[يس] وغيرها إذا لم يتلقاها من معلم.؟ [9]

ـ أنه يجعل القارئ على يقين من أن الذي يقرؤه هو القرآن الذي أنزله الله

تعالى على نبيه ﷺ بلا خلل فيه من جهة من الجهات؛ لأن المصاحف العثمانية تستند إلى صحف أبي بكر الصديق ﷺ، التي جمع فيها زيد بن ثابت ما كتبه بين يدي النبي ﷺ من القرآن الكريم.

ـ يتوقف تمييز القراءة الصحيحة من الشاذة على معرفة رسوم المصاحف العثمانية؛ لأن موافقة القراءة للرسم تعد أهم أركان القراءة الصحيحة بعد ثبوتها في الرواية وصحة نقلها عن الصحابة ﷺ، وعلى هذا نعرف بالرسم ما هو قرآن من غيره.(10)

ـ يحفظ علم الرسم بعض اللغات العربية، فمثلا كتابة هاء التأنيث تاءً مفتوحة؛ ذكر العلماء أنها لغة طيء، وحذف حرف العلة من آخر الفعل المضارع لغير الجزم ذكر العلماء أنها لغة هذيل؛ فساعد رسم المصحف على المحافظة على تلك اللغات.(11)

ـ يسهم الرسم في إفادة بعض المعاني المختلفة الدقيقة التي لا تدرك إلا بإمعان النظر فيها أو بتوفيق رباني كما قال أهل العلم، كما في قوله تعالى﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٍ ﴾[الذاريات:47] رسمت كلمة ب(أييد) بياءين للإشارة إلى عظمة قدرة الله تعالى التي بنى بها السماء، وأنها قوة لا تشبهها قوة أخرى.(12)

ـ يدل رسم المصحف على أصل الكلمة أحيانا، فكتابة الألف واوًا يدل على أنّ أصل الألف واوًا، وكتابتها ياءً يدل على أنّ أصل الألف هو الياء، ومن أمثلة ذلك: الصلاة، والزكاة، والربا، والحياة.(13)

ـ إفادة بعض المعاني المختلفة بطريقة لا خفاء فيها وذلك نحو قطع كلمة [أم] في قوله تعالى ﴿أَم مَّن يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلًا﴾[النساء:109]، ووصلها في قوله تعالى﴿أَمَّن يَمۡشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ﴾[المُلك:22] فقطع الأول في الكتابة للدلالة على أنها [أم] المنقطعة بمعنى بل، وسميت بذلك لقطع الكلام الأول واستئناف غيره، ووصل [أم] في الثانية للدلالة على أنها ليست المنقطعة، وإنها هي المتصلة.(14)

ـ يمكن بمعرفة الرسم معرفة اختلاف القراء في بعض الكلمات، والدلالة على ما فيها من أوجه القراءات المتعددة، وذلك لأنّ رسم المصحف روعي فيه

تحمُله لأوجه القراءات المتعددة، إما موافقة صريحة، أو موافقة احتمالية، ومن ذلك أن يكون للكلمة أكثر من قراءة ولكنها لم تُرسم إلاّ على وجه من تلك الوجوه الملفوظ بها مع تحمله لباقي الوجوه، فتكون القراءات الملفوظ بها حسب هذا الرسم موافقتها موافقة صريحة، والقراءات الملفوظ بها على غير هذا الرسم تكون موافقتها احتمالية، ومثال الموافقة الصريحة هنا: قوله تعالى ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾[الفاتحة: 4] فقد رسمت كلمة [مَٰلِكِ] في كل المصاحف بغير ألف، وعلى هذا فكل من قرأ كلمة[ملك] بغير ألف فقراءته موافقة للرسم تحقيقا، وهذه هي قراءة نافع، وابن كثير، وابن عامر، وأبي عمرو، وحمزة، وأبي جعفر، وقراءة [مالك] التي هي قراءة عاصم، والكسائي، ويعقوب، وخلف، موافقة للرسم احتمالا؛ حيث إنّ الألف حذفت من هذه الكلمة اختصارًا، وبناء على ذلك قال العلماء: من أركان القراءة موافقة الرسم ولو احتمالا، وإلا كانت شاذة، ومن هنا يظهر الارتباط الوثيق بين الرسم والقراءات بحيث لا يقوم مقامه رسم آخر؛ وعلى هذا الأساس ذَكَرت كتب القراءات باب مرسوم المصاحف. قال أبو العباس المهدوي:" كانت الحاجة إليه كالحاجة إلى سائر علوم القرآن، بل أهم، ووجوب تعليمه أشمل وأعم؛ إذ لا يصح معرفة بعض ما اختلف القراء فيه دون معرفته".[15]

ـ يعتبر الرسم شاهدًا حيًا وصحيحًا على طبيعة الكتابة في عهد الصحابة ﷺ، وهو دليل على أن القرآن محفوظ لم يطله التصحيف والتغيير قط؛ إذ بقي مكتوبا حسب الكتابة التي عرفتها البشرية وقت كتابته، ولو طاله التحريف لكان بالكتابات والرسوم المحدثة بعده.[16]

المطلب الثالث: ظواهر الرسم العثماني.

من يتأمل الكلمات القرآنية كما وردت في كتاب الله عز وجل، يرى أنّ أكثرها يوافق قواعد الرسم الإملائي، بينما قسم آخر منها يخالفها، وهي كلمات معينة يختلف رسمها عن نطقها، قد أحصاها العلماء ودونوها في تآليفهم، وقد بينوا رحمهم الله أن أمر الرسم في تلك الكلمات مرده لست قواعد: وهي الحذف، والزيادة، والهمز، والبدل، والفصل والوصل، وما فيه قراءتان فكتب على إحداهما.[17]

وهذه قد اصطلح أهل الفن على تسميتها بظواهر الرسم العثماني، أو قواعده، أو خصائصه، وفي ما يلي تفصيل لذلك:

1ـــ قاعدة الحذف: والحذف معناه الإسقاط والإزالة، والمقصود به هنا وجود صوت ملفوظ به ليس له مقابل في الرسم،[18] والذي يحذف غالباً في المصاحف من حروف الهجاء خمسة يكثر الحذف في ثلاثة منها، وهي: الألف والواو والياء، ويقل في النون واللام وتحته ثلاثة أنواع.[19]

أـ حذف إشارة: بمعنى الإشارة لقراءة أخرى في الكلمة وذلك كحذف ألف (أسارى) و(تفادوهم) في قوله تعالى ﴿ وَإِن يَأۡتُوكُمۡ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمۡ ﴾ [البقرة: 85] فحذف الألف كلمة (أسارى) إشارة لقراءة حمزة الذي قرأها (أسرى)، وحذف ألف (تفادوهم) إشارة لقراءة ابن كثير وغيره فقد قرؤوها (تفدوهم).[20]

ب ـ حذف الاختصار: كحذف ألف جمع المذكر السالم والمؤنث السالم إذا لم يقع بعد الألف تشديد نحو﴿سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ ﴾[المائدة:41] ومن أمثلته: ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ﴾ [الأحزاب: 35].[21]

ج ـ حذف اقتصار: وذلك كأن يرد الحذف في كلمة بعينها دون نظائرها في القرآن الكريم، مثل حذف كلمة(الميعد) في قوله تعالى﴿ وَلَوۡ تَوَاعَدتُّمۡ لَٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡمِيعَٰدِ ﴾[الأنفال: 42] في الأنفال وحدها وإثباتها في المواضع الأخرى.[22]

وبالنسبة لحذف الام: فالأصل أن الام إذا دخلت على أل التعريف كتبت لامين؛ إلا ما استثني في مواضع منها: اليل، الذي، التي ، والذان، والذَين، والذِين، والاتي والائي حيث وقعت.

وأما حذف النون: فمن ذلك كلمات وردت في المصحف مرسومة بنون واحدة وقرئت بنون واحدة وبنونين، نحو ﴿فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُ﴾ [يوسف: 110] ، و﴿وَكَذَٰلِكَ نُنجِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنبياء: 88] فقرأ ابن عامر ويعقوب وعاصم (فنجي) بنون واحدة مضمومة، وتشديد الجيم وفتح الياء، وقرأ الباقون بنونين الثانية ساكنة وتخفيف الجيم وإسكان الياء، ورسم بنونين، كما اتفقت المصاحف على رسم

قوله تعالى﴿تَأۡمَنَّا﴾ [يوسف:11] بنون واحدة على لفظ الإدغام الصحيح، وقرأه أبو جعفر بالإدغام من غير إشارة إلى الضمة، والباقون كذلك إلا أنهم يشيرون إليها روما أو إشماما.[23]

2ـــ قاعدة الزيادة: والزيادة معناها النمو، والزيادة خلاف النقصان، يقال: زاد الشيء يزيد زيداً ومزيداً أي: جعلت فيه الزيادة، والذي يزاد في المصاحف من حروف الهجاء ثلاثة: الألف والياء والواو.[24] ومعنى زيادة هذه الأحرف ثبوتها في الكلمة رسماً لا لفظاً، فيكتب الحرف في الرسم من غير أن يكون له مقابل في النطق، سواء في الوصل أو في الوقف، وهي تزاد في وسط الكلمة، وفي آخرها. ومن مواضع زيادتها الحالات التالية:

مثال زيادة الألف: في ﴿أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ﴾ [النمل: 21] [25] و زيادة الياء: في: ﴿ أَفَإِيْن مَّاتَ ﴾ [آل عمران:144] ، ﴿أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء:34]، ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَهَا بِأَيْيْدٍ ﴾ [الذاريات:47]، وقد عد علماء الرسم مما زيدت فيه الياء الكلمات التي وقعت آخرها همزة مكسورة قبلها ألف، وكان حقها ألا ترسم فيها صورة للهمزة، لكنها رسمت ياء. نحو: ﴿مِن تِلۡقَآيِ نَفۡسِيٓ﴾ [يونس: 15] . و مثال زيادة الواو: زاد كتاب المصاحف الواو في عدد من الكلمات، خاصة بعد همزة مضمومة، فزادوها في الكلمات التالية:

﴿أُوْلُواْ﴾ [البقرة: 269]، ﴿يَـٰٓأُوْلِى﴾ [البقرة: 179]، ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ﴾[البقرة: 5]، ﴿أُوْلَآءِ﴾ [آل عمران: 119]، ﴿وَٱلَّـٰٓـِٔى﴾ [الطلاق: 4]، ﴿وَأُوْلَـٰٓئِكُمۡ﴾ [النساء: 91].[26]

3ـــ قاعدة البدل: وهي ما وقع في المصحف من قلب حرف إلى حرف، أو رسم صوت بغير الرمز الذي وضع له في الكتابة العربية، وهي: ــ الألف التي رسمت واوا في عدد من الكلمات وياء في أخرى، ــ وتاء التأنيث التي رسمت مرة هاء وتاء مرة أخرى.

ومن مواضع البدل المقصود: رسم الألف واوا، وذلك في لفظ ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾، و﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾، و﴿ٱلْحَيَوٰةَ﴾. إلا إذا أضيفت إلى ضمير كتبت بالألف على الأرجح نحو: ﴿إِنَّ صَلَاتِي﴾[الأنعام:162]، و﴿فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا ﴾[الأحقاف:20].[27]

واتفقت المصاحف على رسم ما كان من الأسماء والأفعال على ثلاثة أحرف، وكان أصل الألف فيها الواو، بالألف: نحو: ﴿ ٱلصَّفَا ﴾[البقرة: 158] ، و﴿ شَفَا حُفْرَةٍ ﴾[آل عمران:103]، و﴿ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ ﴾[النور: 43] ، وغيرها.[28]

وبالنسبة لرسم هاء التأنيث تاءً: فقد اعتنى علماء الرسم بحصر المواضع التي رسمت فيها هاء التأنيث في الأسماء تاءً، وهي: [رحمة، نعمة، إمرأة، سنة، لعنة، معصية، كلمة]، وهذه قد رسمت في مواضع بالهاء وفي أخرى بالتاء. وهناك كلمات رسمت بالتاء في موضع واحد، وهي: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴾[الدخان:43]، و﴿ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾[الواقعة:89] ، و﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ ﴾[هود:86]، و﴿ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ ﴾[القصص:9]، و﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ﴾[الروم:30] ، و﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَانَ ﴾[التحريم:12]. [29]

4ـــ قاعدة الهمز: وهي في حالتين:

ـــ إذا كانت الهمزة متطرفة تكتب بحرف حركة ما قبلها، مثل:(نبأ)، ووردت استثناءات لها مثل (نبؤا) في ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ [إبراهيم:9] ، و﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾﴾ [ص: 67] وغيرها.

ـــ وإذا سكنت الهمزة تكتب بحركة حرف ما قبلها كما في ﴿ ٱئْذَن لِّى ﴾[التوبة: 49].[30]

5ـــ **قاعدة الوصل والفصل:** والمقصود بالوصل أن تتصل الكلمة بما بعدها رسماً في المصاحف العثمانية، والفصل يقابله، وهو فصل الكلمة عما بعدها رسماً في تلك المصاحف[31]. والفصل هو الأصل، والوصل فرع عنه؛ إذ الأصل في كل كلمة كانت على حرفين فصاعداً أن تكتب منفصلة من التي بعدها سواء كانت حرفاً أو فعلاً أو اسماً إلا [أل] المعرفة فإنها لكثرة دورها نزلت منزلة الجزء مما دخلت عليه فوصلت، وإلا [يا و ها] فإنهما لما حذفت ألفهما بقيا على حرف واحد فانفصلا بما بعدهما، وإلا أن تكون الكلمة الثانية ضميراً متصلاً فإنه كتب موصولاً بما قبله للفرق، وإلا أن يكونا حرفي هجاء فإنهما وصلا رعاية للفظ[32]. ومن أمثلتها:

ـــ كلمة (كي) توصل مع (لا) في ﴿لِّكَيْلَا تَحْزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ ﴾ [آل

عمران:153] ،﴿ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ﴾ [الحج:5]، و﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ ﴾ [الحديد:23]، ﴿ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ ﴾[الأحزاب:50] ، وما عدا ذلك تنفصل (كي) عن (لا) كما في﴿ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ ﴾[الحشر:7] .

ـــ هناك كلمات وردت موصولة مثل: [يبنؤم]، [نعما]، [كأنما]، [ويكأن]، [بئسما] وغيرها.

ـــ تفصل بعض الكلمات بعضها عن بعض مثل (لام الجر) عما بعدها نحو: ﴿ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ [النساء:78] و﴿ مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ ﴾ [الكهف:49] وغيرها.(33)

6ـــ قاعدة ما فيه قراءتان: وخلاصتها، أن الكلمة إذا قرئت على وجهين تكتب برسم أحدهما، كما رسمت الكلمات الآتية بلا ألف في المصحف، وهي ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾[الفاتحة:4]. قرأ عاصم والكسائي ويعقوب وخلف [مالك] بإثبات الألف، وقرأ الباقون بحذفها.(يرتر)**، ومثاله أيضا ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: 9] فقد قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو [يخادعون] بضم الياء وفتح الخاء وألف بعدها وكسر الدال، وقرأ الباقون بفتح الياء وسكون الخاء وفتح الدال.**(35)

المبحث الثاني: مذهب القائلين برفض تفسير ظواهر الرسم العثماني.

تمهيد.

كان الاهتمام البارز للعلماء بعد استقرار المصاحف العثمانية وظهورها، هو توصيف ظواهر الرسم العثماني وتعدادها وتحديد مواضعها في القرآن الكريم، ولم تكن في أولوياتهم البحث في تعليل تلك الظواهر وتفسيرها، ولعل ذلك لعدم وجود حاجة إليه وربما لشعورهم بتماشيها والإملاء المعروف في كتاباتهم. يقول د. غانم القدوري:" ويبدو أن علماء الرسم المتقدمين لم يجدوا حاجة ملحة تدفعهم إلى محاولة إيجاد تعليل لكل ما جاء غير منقاس على القواعد التي وضعها علماء العربية في وقت متأخر، وكان همهم الأول ضبط صور هجاء الكلمات في المصاحف العثمانية فبلغوا في ذلك النهاية".[36] لكن مع تمكنهم من الإحاطة وضبط ظواهر الرسم العثماني وتحديد جوانبها، تباينت آراء العلماء

في توجيه تلك الظواهر، ومن تلك المذاهب من يرفض مطلقا تعليلها، بحجج مختلفة نتعرف عليها من خلال المطالب التالية.

المطلب الأول: رفض تعليلها بحجة أنها من سوء الهجاء وخطأ الكتّاب.

وقد تبنى هذا الاتجاه عدد من علماء العربية وبعض المؤرخين الذين وقعوا تحت هيمنة القاعدة التي صاغها علماء الكتابة العربية في القرنين الثاني والثالث الهجريين والقائلة بوجوب كتابة الكلمة بحروف هجائها، مبدوءا بها وموقوفا عليها؛ لأنّ الأصل في الكتابة مطابقة المكتوب للمنطوق، ولما جاءت بعض الظواهر في خط المصاحف خارجة عن ذلك ولم يستطيعوا الوصول إلى تفسيرها، دفعهم ذلك إلى القول بأنّها ترجع إلى لحن الهجاء، غير منتبهين إلى أنّ الرسم المصحفي سابق على القواعد التي وضعها العلماء للكتابة وأنّ العلماء قد اتخذوا من ظواهر رسم المصحف أساساً لتقعيد تلك القواعد، لأن تقاليد الكتابة في ذلك الزمن تبيح رسم الكلمة مبدوءا بها وموصولة بما بعدها، فكان كتاب المصاحف يكتبون بكتابة عصرهم، ومن ثم لا يصحّ أن نجعل من تلك القواعد ميزاناً لظواهر الرسم.(37)

ومن هؤلاء الفراء، ولعلّه أقدم من فتح باب القول في هذا الاتجاه، فهو حين عجز عن تفسير زيادة الألف بعد اللام ألف في كتابة قوله تعالى: ﴿وَلَأَوْضَعُواْ﴾ [التوبة: 47] حملها على أنها من سوء هجاء الأولين، حيث قال: " وكتبت بلام ألف وألف بعد ذلك، ولم يكتب في القرآن لها نظير وذلك أنهم لا يكادون يستمرون في الكتابة على جهة واحدة، ألا ترى أنهم كتبوا﴿فَمَا تُغۡنِ ٱلنُّذُرُ﴾ [القمر : 5] بغير ياء، و ﴿وَمَا تُغۡنِى ٱلۡأَيَـٰتُ وَٱلنُّذُرُ﴾ [يونس: 101] بالياء، وهو من سوء هجاء الأولين، ﴿وَلَأَوۡضَعُواْ﴾ مجتمع عليه في المصاحف، وأما قوله: ﴿أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ﴾ [النمل: 21] فقد كتبت بالألف وبغير الألف، وقد كان ينبغي للألف أن تحذف من كله".(38)

وقد نصت كتب الرسم على عكس ما ذكره الفراء، فقد نقل الداني في المقنع عن نصير بن يوسف النحوي أنه قال: " اختلفت المصاحف في الذي في التوبة، واتفقت على الذي في النمل".(39)

وممن ذهب إلى هذا الاتجاه أيضاً ابن قتيبة الدينوري حيث يقول في توجيه

تلك الظواهر : " وليست تخلو هذه الحروف من أن تكون على مذهب من مذاهب أهل الإعراب فيها، أو تكون غلطاً من الكتّاب، كما قالت عائشة ﷺ، فإن كانت على مذاهب النحويين فليس ههنا لحن بحمد الله، وإن كانت خطأ من الكتّاب فليس على رسوله ﷺ جناية الكاتب في الخط، ولو كان هذا عيباً يرجع إلى القرآن لرجع عليه كل خطأ وقع في كتابة المصحف من طريق التهجي: فقد كتب في الإمام ﴿ إِنْ هَٰذَانِ لَسَٰحِرَانِ﴾ [طه: 63] بحذف ألف التثنية، وكذلك ألف التثنية تحذف في هجاء هذا المصحف في كل مكان، مثل ﴿قَالَ رَجُلَانِ﴾ [المائدة: 23] ، و﴿فَٱخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا ﴾ [المائدة: 107] وكتب كتّاب المصحف: الصلوة والزكوة والحيوة بالواو، واتبعناهم في هذه الحروف خاصة على التيمن بهم، ونحن لا نكتب القطاة والقناة والفلاة؛ إلا بالألف، ولا فرق بين تلك الحروف وبين هذه، وكتبوا ﴿ٱلرِّبَوٰاْ ﴾ [البقرة: 275] بالواو، وكتبوا ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [المعارج: 36] فمال بلام منفردة، وكتبوا ﴿وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام: 34] ، بالياء،و﴿أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ﴾ [الشورى:51] بالياء، في الحرفين جميعا كأنهما مضافان ولا ياء فيهما إنما هي همزة مكسورة بواو ولا ألف قبلها، وكتبوا ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ﴾ [القلم:41]، و﴿فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ ﴾ [إبراهيم: 21] بواو ولا ألف قبلها...، و هذا في المصحف أكثر من أن نستقصيه."[40]

ويبدو من سياق كلام ابن قتيبة أنه يعدّ جميع ما جاء في المصحف من كلمات لا يطابق رسمها نطقها من الخطأ في الهجاء، وهذا تفسير يبتعد عن الحقائق التاريخية واللغوية التي استند عليها رسم المصحف، والتي يمكن في ضوئها تفسير أكثر ظواهر الرسم.

وممن اتّبع هذا النهج أيضا القاضي أبو بكر الباقلاني، حيث أرجع في كتابه (الانتصار للقرآن) ما وقع من ذلك في المصحف إلى لحن الهجاء الذي بسببه رسمت الكلمات على غير مطابقة اللفظ ومنهاجه.[41]

وتمسك أيضا بهذا الطرح العلامة ابن خلدون في مقدمته، فقد ادعى ضعف تمكن الصحابة من الخط العربي، لما كانوا عليه من البداوة وضعف الصنائع، لذلك خالفت الكثير من رسومهم ما اقتضته صناعة الخط عن أهلها، ثم اقتفى

التابعون من السلف رسمهم فيها تبركاً بما رسمه أصحاب رسول الله ﷺ وخير الخلق من بعده، ويتابع قائلا: " ولا تلتفتن في ذلك إلى ما يزعمه بعض المغفلين من أنّهم كانوا محكمين لصناعة الخط وأنّ ما يتخيل من مخالفة خطوطهم لأصول الرسم ليس كما يتخيل، بل لكلّها وجه، ويقولون في مثل زيادة الألف في ﴿أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ﴾ [النمل: 21] أنّه تنبيه على أنّ الذبح لم يقع، وفي زيادة الياء في﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٍ ﴾ [الذاريات: 47] أنه تنبيه على كمال القدرة الربانية، وأمثال ذلك ممّا لا أصل له إلاّ التحكم المحض، وما حملهم على ذلك إلا اعتقادهم أنّ في ذلك تنزيهاً للصحابة عن توهم النقص في قلّة إجادة الخطّ، وحسبوا أنّ الخطّ كمال فنزهوهم عن نقصه، ونسبوا إليهم الكمال بإجادته، وطلبوا تعليل ما خالف الإجادة من رسمه، وذلك ليس بصحيح."(بريري)، ويؤكد ابن خلدون كلامه هذا بأنّ الخطّ ليس بكمال في حق الصحابة؛ لأنه من جملة الصنائع المدنية، والكمال في الصنائع إضافي وليس بكمال مطلق؛ إذ لا يعود على الذات في الدين ولا في الحلال، وإنّما يعود على أسباب المعاش، وبحسب العمران والتعاون عليه؛ لأجل دلالته على ما في النفوس".(43)

والمتأمل في هذه الأقوال يرى أنّها تعتبر ظواهر الرسم العثماني انعكاس طبيعي لضعف المستوى الذي كان عليه الكتبة في ذلك الوقت، لذلك ظهر خطأهم عندما خالفوا في الكتابة بين الخطّ واللفظ، وهي مزاعم يمكن ردها بما يلي:

ـــــ أنّ خطّ المصحف لو كان كما زعموا لما كانت موافقة الرسم شرطاً في القراءة الصحيحة، ولما أجمعت الأمة على ذلك.

ـــــ أنّ القول بخطأ الكتاب في رسم ظواهر الرسم العثماني مستبعد، لعدم ورود أيّ خبر يشير إلى صعوبات هجائية واجهت الكتبة وعجزوا فيها عن تحقيق الصورة الصحيحة لها، وما ذكر من اختلافهم في رسم كلمة (التابوت) ونحوه يرجع إلى اختلاف العادة التي جرى عليها الكتبة في مرسوم تلك الكلمات دون أن يدخل ذلك في دائرة الخطأ، ومن هنا لا بد من استبعاد تلك الظنون، خاصة وأنّ جانبا كبيرا من تاريخ الكتابة العربية في تلك الفترة المتقدمة لا يزال غير معروف، وإذا تقرر هذا لزم القول بأنّ الرسم العثماني بظواهره خير ممثل لواقع

الكتابة العربية في تلك الحقبة.

ـ القول بتحكم قواعد الهجاء التي وضعها علماء العربية في أمر الرسم، منهج مقلوب في دراسة القضية، وذلك أنّ الرسم العثماني ما هو إلا النموذج الحقيقي لحالة الكتابة العربية في الفترة التي نسخت فيها المصاحف، وظلّ النّاس يكتبون وفقا لما جرى في المصحف فترة طويلة؛ إلا أنّ حرص علماء العربية على تيسير القواعد الكتابية بعد ذلك الاستعمال الواسع للكتابة جعلهم يسعون إلى توحيد قواعد الرسم العثماني وفقا لأصولهم الصرفية وأقيستهم النحوية، وظلت قواعد الرسم العثماني هي العمود الأساسي في قواعد الهجاء العربي التي وضعها علماء العربية، وليس منطقيا ولا من المنهج العلمي السديد أن نقيس ظواهر الرسم العثماني بأصول وقواعد جاءت لاحقة لتاريخ وجود تلك الظواهر؛ وبناء على هذا، فالرسم المصحفي هو الذي أثر في تلك القواعد، وذلك عن طريق دراسته واعتماد العلماء على ما ورد فيه من ظواهر في مرحلة التقعيد؛ لذا لا يصح اعتبار قواعد العربية مقياساً للرسم.[44]

وخلاصة القول أن هذا الاتجاه قد بني على تصور قاصر لتاريخ الكتابة العربية، وفهم غير دقيق لطبيعة الخطّ وأصوله، ولذلك من مفاسده أنّه يمنع المسلم من الفهم الصحيح لظواهر الرسم، ويوقعه في نسبة الخطأ إلى الصحابة الكرام حين كتبوا المصحف وحين جمعوه ونسخوه، وهم الذين تحرّوا الدقّة واجتهدوا من غير إفراط ولا تفريط، والمراجعات التي حدثت أثناء كتابة المصحف بين الكتبة والنّبي ﷺ وبين عثمان ﷺ والصحابة خير دليل على ذلك.

المطلب الثاني: رفض تعليل ظواهر الرسم بحجة قصر العلم بها على الصحابة وحدهم.

ومضمون هذا الاتجاه أنّ ظواهر الرسم لها تعليلات معيّنة، لكنّ كشفها لم يعد ممكنا بعد ذهاب الذين كتبوها وهم الصحابة ﷺ.

وهو توجيه ناذر ينسب للشيخ محمد طاهر الكردي في كتابه تاريخ القرآن[45]، فقد بيّن أنّ ذكر العلماء لتلك التعليلات المتنوعة لبعض كلمات الرسم العثماني كما سبق، لا يخرج عن نطاق الاستئناس والتلميح؛ لأنّها لم

توضع إلاّ بعد انقراض الصحابة، وهم قد كتبوا المصحف بهذا الرسم لحكمة لم نفهمها، وإشارة لم ندركها، من غير أن ينظروا إلى العلل النحوية أو الصرفية التي استنبطت بعدهم .

ويتابع في هذا السياق: " ونحن نأتي هنا بشيء من ذلك للعلم به، فمنها: أنهم قالوا حذفت الواو من﴿وَيَمۡحُ ٱللَّهُ ٱلۡبَٰطِلَ﴾ [الشورى: 24]، للإشارة إلى سرعة ذهابه واضمحلاله، وزيدت الياء في ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٍ﴾ [الذاريات:47] للفرق بين (الأيدي) التي بمعنى القوة، و(الأيدي) التي ليست بمعنى القوة. فنحن نقول: إذا سلمنا بعلة حذف الواو من ﴿وَيَمۡحُ ٱللَّهُ ٱلۡبَٰطِلَ﴾ فهل يمكن أن نشير إلى أنّ إثبات الواو في﴿يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ﴾ [الرعد: 39] يدلّ على التراّخي في المحو والإثبات، وإن جرينا على رأيهم أنّ زيادة الياء في (بأييد) للفرق بين التي للقوة والتي ليست للقوة، فما نقول في زيادة الياء في﴿بِأَيِّيكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ﴾ [القلم: 6] دون زيادتها في ﴿أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۗ﴾ [هود: 7].

ثم يورد خلاصة يذكر فيها أنّ كلّ هذه التعليلات التي ذكرها العلماء من الزيادة والحذف في بعض الكلمات لا تغني شيئاً، وأنّ الحقيقة أنّها هكذا وصلت إلينا عن الصحابة الذين كتبوا القرآن الكريم، وأنّ سرّ ذلك لم ينكشف لأحد".[46]

و يؤكد عدم إمكان الوصول إلى معرفة هذه العلل إلاّ إذا قام الصحابة من قبورهم. فيقول: " فمن يرشدنا إلى سبب هذا التغاير في رسم المصحف العثماني إلاّ الصحابة الذين كتبوه بأمر عثمان ؟ وهذا إذا قاموا من قبورهم."[47]

وادعاء محمد طاهر الكردي أنّ ظواهر الرسم قد وصلت إلينا كما هي، وأنّ الناس قد حجبوا عن معرفتها،كلام لا دليل عليه؛ إذ لم ينقل عن الصحابة الكرام شيئا واضحا ثابتا في تعليل تلك الأوجه المخالفة للرسم، كما أنّه لا يمكن قبول كلّ ما ورد عن العلماء في شأنها، ومن جهة أخرى في كلامه منع الأمة من النظر والتأمل في حكم هذا الرسم وأسراره، الذي قد يفتح الله بمعرفته على من يشاء من عباده، فمن أين له ذلك القطع؟.

قال د. غانم: " وعموما فكرة هذا المذهب في الربط بين ظواهر الرسم والدلالة على معان زائدة على معاني الألفاظ ذاتها لا تستند إلى دليل واضح، كما أنّها

تفتقر إلى إمكانية الخضوع لقاعدة لغوية مطردة، فجلّ ما قيل من تعليل في إطار هذه النظرية يقوم على اجتهاد شخصي لا تحكمه ضوابط محددة، ويبدو أنّ ما في هذا المذهب من ضعف جعل المؤلفين في رسم المصحف يتغاضون عما ورد فيها من تعليلات، ويتبنون نوعا آخر من العلل، هي تلك العلل المستندة إلى ظواهر لغوية أو تقاليد كتابية."[48]

المبحث الثاني: مذهب المؤيدين لتفسير ظواهر الرسم العثماني.

تمهيد.

إذا كان المذهب السابق قد رفض تفسير ظواهر الرسم العثماني، فإنّ هذا المذهب قد أيّد تفسير تلك الظواهر ووقف منها موقف المناقش والمتسائل، وأقر بوجود علل لذلك الاختلاف، غير أنّ أصحاب هذا المذهب لم يتفقوا على علّة معينة أو تفسير معيّن لتلك الظواهر أو بعضها، واختلفت وجهات نظرهم في ذلك، فمنهم من علّل بعضها بعلل لغوية أو نحوية، ومنهم من فسر بعضها باحتمال القراءات الواردة فيها، ومنهم من ذهب إلى أنّ الاختلاف بين هذه الكلمات من ناحية الرسم دليل على اختلاف معناها، ومنهم من فسرها بناءً على الجانب التاريخي للكتابة .

ولعل أشهر محاولة لتفسير الرسم في القديم تقوم على أساس محدد هي تلك التي يعرضها أبو العباس أحمد المراكشي الشهير بابن البناء(721هـ) في كتابه (عنوان الدليل في مرسوم خط التنزيل)، ومع مرور الزمن اتسعت مساحة الكتابة والتأليف في تعليل ظواهر الرسم العثماني، ولا يكاد يخلو مؤلف في هذا المجال من ذلك، وفي ما يلي نشرع في بيان اتجاهات هؤلاء المؤيّدين، مع عرض ذلك بالتحليل والنقاش.

المطلب الأول: حمل ظواهر الرسم العثماني على أسرار خفية أو معان إضافية.

ويؤكد أصحابه أنّ الصحابة لم يخطأوا في رسم المصحف كما ادعى أصحاب المذهب السابق، بل على العكس من ذلك كتبوا تلك الظواهر، وهي تحمل العديد من الدلالات المعنوية التي لا يمكن إدراكها إلا بفتح رباني خاص، وقد ألهم الله سبحانه الصحابة لمعرفتها، وهي أكبر دليل على حكمتهم وبعد

نظرهم، كما أنّها من إعجاز الرسم الذي خص الله تعالى به كتابه العزيز، ويمكن لمن وفقه الله تعالى في أيّ زمان أن يحض بمعرفتها وأن يُفتَح عليه في تحصيلها، وهذا عكس من اعترف بوجود تلك التعليلات لكنّه رأى قصر معرفتها على الصحابة وحدهم، ولأنهم ذهبوا فقد ذهبت معهم كما بينا في ما سبق ذكره.

ولعل ابن البناء المراكشي أشهر من تبنى هذا المذهب وقدم أمثلة تطبيقية عليه من خلال كتابه (عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل)، وقد اعتمد عليه الكثير من العلماء كالزركشي في برهانه ،والسيوطي في إتقانه، وأيضا القسطلاني في لطائفه، و قد تأثر بهذا المذهب أيضا عبد العزيز الدباغ (1132هـ) فإنه يرى أن رسم القرآن العزيز توقيف من النبي ﷺ وهو الذي أمر الصحابة أن يكتبوه على الهيئة المعروفة بزيادة الأحرف ونقصانها، لأسرار إلاهية وأغراض نبوية لا تدركها العقول إلا بالفتح الرباني.(49)

ومن الأمثلة التي ذكرها المراكشي في هذا المجال قوله: في باب الهمزة، مثل﴿ٱلْمَلَؤُاْ﴾ [المؤمنون: 24] أربعة حروف، عضدت فيها الهمزة بالواو تنبيها على أن معنى الكلمة ظاهر للفهم في قسم الملك من الوجود، فهؤلاء (الملؤا) هم أرفع الطبقات وهم أصحاب الأمر المرجوع إليهم في التدبير، فقوي معنى الهمزة فعضدت، وزيدت الألف بعد الواو تنبيها على أنّهم أحد قسمي الملأ، فظهورهم هو بالنسبة إلى القسم الآخر في الوجود؛ إذ منهم التابع والمتبوع قد انفصلا في الوجود، وسنتكلم على الألف في بابه، فزيادة هذه الحروف ونقصانها ينوب مناب صفات الوجود.

وقال في باب الألف وزيادتها: فالضرب الأول الذي فيه من أول الكلمة: هذا يكون باعتبار معنى زائد بالنسبة إلى ما قبله في الوجود مثل:﴿أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ﴾ [النمل: 21]، و﴿وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ ﴾ [التوبة:47]، زيدت الألف تنبيها على أن المؤخر أشد وأثقل في الوجود من المقدم عليه، فالذبح أشد من العذاب، والإيضاع أشد فسادًا من زيادة الخبال، وظهرت الألف في الخطّ لظهور القسمين في العلم.(50)

والمتأمل في مذهب المراكشي وفي تلك الطريقة التي سلكها في تعليل ظواهر رسم المصحف يلحظ شدة الغموض في المصطلحات التي تناولها في شرح طروحاته، وهو ما انعكس سلبا على تلك المعاني الباطنة التي فسرّ بها ظواهر الرّسم، وهي معان حتمًا لم يقصدها الصحابة الكرام ولا فكروا فيها حين كتبوا المصاحف، لما تحمله من جوانب باطنية فلسفية غامضة، تتطلب نوعا معينا من المعرفة، كما أنه لم يظهر قبل المراكشي من تكلم في هذا النوع من المعاني أو نقل شيئاً منه فكيف تسنّى له ما لم يعرفه سابقوه؟. (51)

وبالإضافة لكلّ ذلك لم تستطع تلك التعليلات أن تعطي على هذا النحو تفسيرًا لكلّ الظواهر الواردة في الرسم دون تناقض بينها. يقول د. غانم قدوري:" وعلى الرغم من الجهد الذي بذله ابن البناء المراكشي في ضياغة نظريته حتى تبدو واقعية وشاملة لجميع موضوعات الرسم، فإنّ تطبيقاتها على جميع ظواهر الرسم لا يخلو من التكلّف، ومن ثم فإنّها لم تحظ بالقبول إلاّ لدى قلّة من العلماء، ويبدو أنّ ابن خلدون كان يقصد ابن البناء المراكشي في قوله: ولا تلتفتنّ في ذلك إلى ما يزعمه بعض المغفلين... بل لكلّها وجه، يقولون في مثل زيادة الياء في (بأييد) إنّه تنبيه على كمال القدرة الربانية وأمثال ذلك مما لا أصل له إلا التحكم المحض". (52)

هذا، وقد ذهب كثير من العلماء والباحثين إلى مثل ما ذهب إليه ابن البناء المراكشي من أنّ اختلاف رسم الكلمة يدلّ على اختلاف معناها، غير أنّهم لم يشغلوا أنفسهم بتلك الاتجاهات الفلسفية والمنطقية الغامضة التي أقام عليها المراكشي منهجه في التعليل، وإنمّا حاولوا التوصل عن طريق تأمل ظواهر الرسم إلى معانٍ تغلب عليها روح اليسر والوضوح ويسهل فهمها على الباحثين وغيرهم ممن أراد الوقوف على هذه المعاني الناتجة عن اختلاف رسم الأحرف القرآنية.

ومن الأمثلة التي ذكرها بعض المعاصرين في هذا المجال ما جاء حول قوله تعالى ﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيۡمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٞ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُمۚ بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ ﴾ [النمل: 36] حيث حذفت الياء الدالة على المتكلم المضمر المنصوب في الفعلين (أَتُمِدُّونَنِ) و(ءَاتَىٰنِۦَ) لغير علّة نحوية أو صرفية.

قال سامح القليني في توجيه ذلك: "حذف الياء في هذه الآية في موضعين الأول (أتمدونن) والثاني (ءاتان)، و ظاهر أنّ حذف الياء في الموضعين لم يكن لعلّة صرفية ولا لعلّة نحوية، بل هو رمز لمعنى يدل عليه، وفي كلا الموضعين كان [الياء] ضميرا مفعولا به للفعل قبله.

والمعنى الذي يرمز إليه بحذف الياء في قوله تعالى: حكاية عن سليمان(أَتُمِدُّونَنِ) الإشارة إلى ما كان يدور في باطن سليمان من استبعاد نفسه عن زمرة من يرتشي بالمال بدليل أنّ الاستفهام في الآية إنكاري توبيخي شديد الإنكار (أقول وكأنه استغرب منه ودهشة تجعله يخطف في نطق الكلام.). أما حذف الياء في الموضع الثاني(ءاتان) فإنّ هذا الحذف رمز به للتفرقة بين ما أتى الله رسوله سليمان وبين ما آتاه الله ملكة سبأ، فالذي آتاه الله سليمان هو الحكم والكتاب والنبوة، والذي آتاه الله ملكة سبأ هو المال والسلطان الدنيوي. فعطاء الله سليمان في الفضل في الذروة العليا باق إلى العلو والرفعة في درجات الآخرة. وأقول: لنا أن نقول أنه عطاء ملكوتي وعلوي، وعطاء الله ملكة سبأ سلطان زائل ومال نافذ لا بقاء له (عطاء مادي سفلي) وتبعته في الآخرة ثقيلة والحساب فيه عسير. هذا ما دلَّ عليه نقص الياء في (ءاتان)." (53)

ومن توجيهات محمد شملول في كتابه(إعجاز رسم القرآن وإعجاز التلاوة): أنّ كلمة [الأيكة] وردت أربع مرات فى القرآن الكريم: اثنتان منهما جاءت فيهما كاملة الحروف، والاثنتان الأخريان جاءت فيهما ناقصة حرف الألف فى بداية الكلمة، حيث جاءت برسم [لئيكة]، وذلك كما يلى :

قال تعالى: ﴿وَإِن كَانَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ لَظَٰلِمِينَ﴾ [الحِجر:78] و ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ وَقَوۡمُ تُبَّعٖۚ كُلّٞ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ [ق:14] ،﴿كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [الشعراء:176] ، ﴿وَثَمُودُ وَقَوۡمُ لُوطٖ وَأَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَحۡزَابُ﴾ [ص:13] وحين نتدبر هذه الآيات الكريمة يظهر لنا أنّ أصحاب الأيكة كان عددهم قليلاً جداً، فحين ينسبون إلى أنفسهم فقط أو إلى قوم عددهم قليل مثلهم مثل قوم تبع تأتى كلمة [الأيكة] كاملة، حيث لا يكون هناك مقياس للصغر أو الكبر، وأما حين ينسبون إلى قوم كثيرين مثل ثمود وقوم لوط تظهر

قلّتهم النسبية، وتأتى كلمة الأيكة ناقصة حرف الألف، وكذلك الحال حينما يسرع أصحاب الأيكة فى تكذيب المرسلين تأتى كلمة [الأيكة] منكمشة وسريعة بعد أن نقص من أوّلها حرف الألف.[54]

ورغم وضوح هذه التعليلات عند هؤلاء المتأخرين إذا ما قورنت بتعليلات ابن البناء المراكشي التي بينّا أنّها أقرب للفلسفة والغموض الذي يحجب فهمها عن قطاع كبير من الناس؛ إلاّ أنّ المؤاخذ عليها أنّها أيضا لاتعطي تفسيرًا لكلّ الظواهر؛ لاسيما في الحالات المتشابهة، كما أنّها تفسيرات تفتقر للدليل.

قال د. غانم: " وعموما فكرة هذا المذهب في الربط بين ظواهر الرسم والدلالة على معان زائدة على معاني الألفاظ ذاتها لا تستند إلى دليل واضح، كما أنها تفتقر إلى إمكانية الخضوع لقاعدة لغوية مطردة، فجل ما قيل من تعليل في إطار هذه النظرية يقوم على اجتهاد شخصي لا تحكمه ضوابط محددة، ويبدو أن ما في هذا المذهب من ضعف جعل المؤلفين في رسم المصحف يتغاضون عما ورد فيها من تعليلات، ويتبنون نوعا آخر من العلل، هي تلك العلل المستندة إلى ظواهر لغوية أو تقاليد كتابية."[55]

فالخلاصة؛ أنّ فكرة الربط بين ظواهر الرسم والدلالة على معان زائدة على معان الألفاظ ذاتها، لا تستند إلى دليل واضح، كما أنّها تفتقر إلى إمكانية الخضوع لقاعدة لغوية مطردة، فجلّ ما ذكر يقوم على اجتهاد شخصي لا تحكمه ضوابط محددة.

المطلب الثاني: تعليل ظواهر الرسم باللغة والنحو.

وهذا اتجاه استند أصحابه في تفسير بعض ظواهر الرسم على علل لغوية معين، فقالوا: إنّ الصحابة الكرام اهتموا بها حين كتبوا المصحف، وقد حصرها العلماء رحمهم الله في مواضعها فقالوا: إنّ الحرف قد يحذف اختصاراً، أو يحذف حرف المد واللين اكتفاءً بالحركة القصيرة، أو تزاد الواو لبيان ضمة الهمزة قبلها، أو ترسم الهمزة واواً أو ياء لبيان وجه تسهيلها، أو ترسم تاء التأنيث في آخر الاسم مبسوطة لبيان بعض صور الوقف عليها إلى غير ذلك من الدلالات والتعليلات اللغوية.

وقد عبر الإمام الداني متحدثا عن هذا الاتجاه بقوله: "وليس شيء من

الرسم ولا من النقط اصطلح عليه السلف إلاّ وقد حاولوا به وجهاً من الصحّة والصواب، وقصدوا به طريقاً من اللغة والقياس، لموقعهم من العلم ومكانهم من الفصاحة، علم ذلك من علمه وجهله من جهله، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم". [56]

ويعلل رحمه الله الوجوه المرسومة على خلاف المشهور من قواعد الهجاء بناء على مذهبه ذاك فيقول: " وعلّة هذه الحروف، من الحروف المرسومة على خلاف ما يجري به رسم الكتاب في الهجاء في المصحف، الانتقال من وجه معروف مستفيض إلى وجه آخر مثله في الجواز والاستعمال، وإن كان المنتقل عنه أظهر معنى أكثر استعمالا". [57]

يقول د. غانم قدوري مبينا قوة هذا الاتجاه في تعليل الرسم:" وتظل العلل اللغوية التي استند إليها أكثر علماء الرسم والعربية في تفسير ظواهر الرسم أقرب إلى طبيعة الموضوع وأكثر قبولا في ضوء الدراسات الحديثة في مجال تاريخ الخطوط القديمة. ولا شك في أنّ ما حمله رسم المصحف من ظواهر كتابية يدلّ على اجتهاد عظيم من الصحابة على استثمار خصائص الكتابة العربية آنذاك في تمثيل ظواهر القراءة، وحرصهم على تكميل ما أحسوا به من قصور في تقاليد الكتابة العربية، فهم تارة يرسمون الكلمات على الوقف، فإذا وجدوا ذلك غير وافٍ رسموها على الوصل، وتارة يرسمونها على الأصل، وأخرى على اللفظ، حتى استتم لهم ما أرادوا من كتابة القرآن الكريم على نحو ما تلقوه عن رسول الله ". [58]

ومن النماذج التي ذكرها أهل العلم في معالجة تلك الظواهر وفقاً لهذا الاتجاه اللغوي:

1ــ <u>في جانب الحذف</u>: لخّص الداني علّة حذف الألف بقوله: باب ذكر ما حذفت منه الألف اختصارا[59]، وأضاف المهدوي تعليلا آخر في قوله: وجميع ما قدمنا ذكره من حذف الألف والياء من الخط فإنّما ذلك لأنّ الحركة المأخودة من كلّ حرف من هذه الحروف تدل عليها وتنوب عنها، فحذفت من الخطّ استخفافا.[60] وقال أبو داود: وكتبوا ﴿عُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [الشعراء:197]، وفي فاطر: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر:28] بواو بعد الميم، صورة للهمزة

المضمومة، وألف بعدها تأكيداً للهمزة لخفائها، دون الألف قبلها، استغناءً عنها بفتحة ما قبلها لبقائها ودلالتها عليها ونيابتها عنها، اختصارا وتقليلا لحروف المد.[61]

فالمجموع من تلك الأقوال أنّ تعليل حذف الألف له ثلاثة وجوه، هي: الاختصار، ونيابة الحركة عن الحرف، والتقليل بحروف المد، أو حروف العلة.

وأما حذف الحروف الثلاثة، وهي مفردة من آخر الكلمة، فقيل بني فيه الرسم على اللفظ والوصل، وذلك إذا وقع أحد الحروف الثلاثة ساكنا في آخر الكلمة، ووقعت بعده همزة وصل مثل:﴿ أَيّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [النور:31]، و﴿يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء:146]، و ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ ﴾ [الإسراء:11]، وقيل ذلك اكتفاء بالحركة قبلها، كاكتفاء الفتحة عن الألف، والضمة والكسرة عن الواو والياء في نحو: (ويدع) و (يوت) و(أيه).

واختصت الياء بالحذف من آخر كثير من الكلمات، وليس بعدها همزة وصل، سواء كانت الياء من أصل الكلمة، أم ضميرا للمتكلم، وسواء وقعت في رأس آية أم وقعت في وسطها، نحو:﴿وَإِيَّىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [البقرة:40]، و﴿دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ ﴾ [البقرة:186]، فقد اتفق المهدوي والداني وأبو داود على توجيه حذف الياء فيها اجتزاءً بكسرة ما قبلها عنها واكتفاءً بها.[62]

2ـ <u>في تعليل رسم تاء التأنيث هاء</u>: اختلف علماء العربية في تحديد أيهما الأصل التاء أو الهاء، فذهب سيبويه وجماعة من النحويين إلى أنّ التاء هي الأصل، وذهب ثعلب وآخرون إلى أنّ الهاء هي الأصل.(ترشم) ولما كان أكثر تلك الأسماء قد رسمت بالهاء فإنّ علماء الرسم اعتنوا بإحصاء الكلمات التي رسمت بالتاء لأنّها الأقل، ومنها:

ـ (رحمة): فقد وردت في المصحف معرفة بأل، أو مضافة إلى اسم ظاهر، أو غير مضافة في سبعة وسبعين موضعا ، رسمت في سبعة مواضع منها بالتاء المبسوطة.(يرشم) وجميع تلك الكلمات مما أضيف إلى اسم ظاهر، وما لم يضف كلّه مرسوم بالهاء، وليس جميع ما أضيف إلى اسم ظاهر مرسوما بالتاء فقد جاءت ثلاثة مواضع مرسومة بالهاء ،وهي في: آل عمران:107، والإسراء: 100، وفي الزمر :53.

ومنها كلمة(نعمة): وردت مضافة أو منكرة غير مضافة في أربعة وثلاثين موضعا، وهي مرسومة بالهاء سوى أحد عشر موضعا فإنها رسمت بالتاء، أولها في البقرة:231، وفي آل عمران: 103، وفي المائدة: 11، وفي إبراهيم موضعان [28 – 34]، وفي النمل ثلاثة مواضع: [72 –83 –114]، وفي لقمان: 31، وفي فاطر:3، وفي الطور: 29.[65]

4ـــ علاقة الرسم بالإعراب، قال الداني: " وإذا كان آخر الاسم الذي يلحقه التنوين في حال نصبه هاء تأنيث نحو قوله﴿وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً﴾ [هود:28] ، و﴿بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً﴾ [الإنسان:13] ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ﴾ [الإنسان:15]، وشبهه فإنّ النقطتين معا تقعان في ذلك على الهاء التي هي تاء في الأصل لاغير لامتناع ابدال التنوين فيه في حال الوقف بامتناع وجود التاء التي يلحقها مع حركة الإعراب هناك ولذلك بطل تصوير ما يبدل منه في حال الوقف في هذا النوع".[66]

5ـــ الإمالة: علّل الداني رسم الألف ياء في بعض الكلمات للدلالة على أنّ أصلها الياء فتمال على من مذهبه الإمالة، قال الداني:" إنّ المصاحف اتفقت على رسم ما كان من ذوات الياء من الاسماء والأفعال بالياء على مراد الإمالة وتغليب الأصل وسواء اتصل ذلك بضمير أو لم يتصل أو لقي ساكنا أو متحركا وذلك نحو:(الموتى، السلوى، المرضى، الأسرى، شتى)".[67]

وقد بنى الداني تفسيره هذا على علتين، إحداهما: إشتقاقية لهذا الرسم، وهي مراعاة الأصل، وذلك أنّ أصل هذه الألف ياءً، فرسمت بأصلها الإشتقاقي. وثانيهما: علة ثبوتية سوغت رسم الألف بصورة الياء، وهي مراعاة الإمالة في نطق هذه الألف، فالألف تنطق ممالة نحو الياء في بعض القراءات فرسم الحرف بصورته التي مال إليها.

والمتأمل في هذا الاتجاه يرى أنّه محاولة جادة ومتميزة في تفسير تلك الظواهر التي يدور عليها رسم المصحف، ومن أهم إيجابياته، إبعاد فكرة الخطأ في كتابة المصحف عن الصحابة الكرام، والتأكيد على علو مكانتهم في العلم والفصاحة، فما من شيء من الرسم ولا من النقط اصطلحوا عليه إلا وقد حاولوا به وجهاً من الصحّة والصّواب وقصدوا به طريقاً من اللّغة والقياس كما

قرر أهل العلم.

كذلك معالجته الظواهر المذكورة على أساس عدم اعتبار القواعد التي وضعها علماء العربية للهجاء مقياساً للرسم، وإثباته أنّ الرسم العثماني يقدم لنا نموذجاً حقيقياً لحالة الكتابة العربية في تلك الفترة التي نسخت فيها المصاحف، وأنّ قواعد الرسم العثماني هي الأساس في تلك القواعد التي وضعها علماء العربية للهجاء.

ولكن على الرغم من ذلك، يظهر قصوره في عدم احتوائه لجميع ظواهر الرسم، وهذا ما بينه د. غانم الحمد على الرغم من انتصاره لهذا الاتجاه في قوله: " وهذا الاتجاه أقرب إلى الحقّ والواقع، بالرغم من عدم اكتمال معالمه وإحاطته لجميع ظواهر الرسم وإهماله للجانب التاريخي". (68)

المطلب الثالث: تفسير بعض الظواهر باحتمال القراءات.

ومعنى ذلك أن تعلل بعض ظواهر الرسم كظاهرة الحذف والإثبات باحتمال القراءات، وقد أشار العلماء إلى ذلك في القاعدة السادسة من قواعد الرسم، وهي ما فيه قراءتان وكتب على إحداهما، وهي قاعدة تطورت حتى صارت تشمل أكثر من قراءتين.

وتعتبر الدلالة على القراءات المتنوعة في الكلمة الواحدة من مزايا الرسم العثماني وفوائده، فالكلمة إذا كان فيها قراءتان أو أكثر، كتبت بصورة تحتمل هاتين القراءتين أو أكثر، فإن كان الحرف الواحد لا يحتمل ذلك بأن كانت صورة الحرف تختلف باختلاف القراءات جاء الرسم على الحرف الذي هو خلاف الأصل، وذلك ليُعلم جواز القراءة به وبالحرف الذي هو الأصل، وإذا لم يكن في الكلمة إلاّ قراءة واحدة بحرف الأصل رسمت به.

ومن أبرز من جنح إلى هذا الاتجاه الإمام برهان الدين الجعبري، وذلك في كتابه (جميلة أرباب المراصد في شرح عقيلة أتراب القصائد)، حيث علّل الكثير ممّا ورد من الحذف والإثبات في حروف المد وغير ذلك من ظواهر الرسم باحتمال القراءات. ويدخل تحت هذه القاعدة نوعان من الكلمات:

<u>النوع الأول:</u> كلمات فيها أكثر من قراءة وتدخل تحت القواعد السابقة، ففي قاعدة الحذف ترسم﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة:4] تحذف الألف؛ لأنّ في

[ملك] قراءتين: بالألف (مالك) وهي قراءة عاصم والكسائي ويعقوب وخلف في اختياره، وقرأ الباقون بحذفها.[69] وفي قاعدة الهمز، كلمة [النشأة]في قوله تعالى﴿وَأَنَّ عَلَيۡهِ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰ﴾ [النجم:47] رسمت بإثبات الهمزة مع أنّ القاعدة: أنّ الهمزة المتحركة إذا كان قبلها ساكن غير الألف تحذف صورة الهمزة فتكتب هكذا (النشـ ء ـــة) إلاّ أنّها رسمت بإثبات الهمز، وفي ذلك إشارة إلى قراءة ابن كثير وأبي عمرو (النشاءة) بفتح الشين وإثبات ألف بعدها وبعد الألف همزة مفتوحة.[70] وفي قاعدة البدل: كل ما اختلف فيه القراء جمعا وإفرادا يرسم بالتاء لتحتمل القراءتين ﴿غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ﴾ [يوسف:10] قرأها المدنيان بالألف على الجمع والباقون بغير الألف على الإفراد، ومثل﴿ءَايَٰتٞ لِّلسَّآئِلِينَ﴾ [يوسف:7] قرأها ابن كثير بغير الألف على الإفراد، والباقون بالألف على الجمع.[71]

وفي النوع الثاني: كلمات يحتمل رسمها قبل النقط أكثر من قراءة من ذلك: ننشزها: بدون نقط قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي بالزاي وقرأ الباقون بالراء.[72]

وبالنظر في هذا الاتجاه نجد أنه أيضاً على الرغم من تقديمه تفسيراً لبعض الأمثلة من ظواهر الرسم كما بيّنا في الأمثلة السابقة؛ إلاّ أنّه اقتصر في ذلك التفسير أو التعليل على بعض الأمثلة لبعض الظواهر الرسمية، ولم يشمل جميع الأمثلة في ظاهرة معينة، فضلاً عن عدم شموله لجميع هذه الظواهر، فهو لا يصدق إلاّ على بعض الأمثلة المحتملة أكثر من قراءة فى ظاهرة الحذف والإثبات، ولا يمكن القول بأن ّكل لفظة تمثلت فيها ظاهرة الحذف مثلاً تحتمل قراءات متعددة، فقد وردت أمثلة كثيرة لهذه الظاهرة لا تختلف فيها القراءات، بل إنّ بعض أمثلتها جاء بالحذف في بعض المواضع وبالإثبات في مواضع أخرى في كلمات ذات صورة قرائية واحدة.

هذا، وقد حاول د. غانم القدروري تفسير تلك الظاهرة التي تتضمن الأمثلة السابقة وما أشبهها، وهي ظاهرة الحذف والإثبات في رمز الفتحة الطويلة في وسط الكلمة، فذكر أنّها ترجع إلى طبيعة الكتابة في تلك الفترة المتقدمة، فذلك هجاء الكتَّاب الذي اعتادوه، وتلك طريقتهم في الكتابة، استناداً لما يعود

إلى الفترة السابقة للرسم العثماني أو المعاصِرة أو اللاحقة له من نقوش مكتوبة تدل على ذلك بوضوح.[73]

المطلب الرابع: تعليل ظواهر الرسم العثماني بالتاريخ.

ويرى أصحاب هذا الاتجاه أنّ القرآن قد كتب بطريقة الكتابة الموجودة في ذلك العصر، ولذلك لا توجد فيه أيّ دلالة أو معنى زائد يمكن أن يستنبط من رسم تلك الحروف والكلمات، وبناء على ذلك، تعتبر المظاهر التي خالف فيها الرسم القرآني الإملاء الحديث انعكاس لمظاهر الكتابة الموجودة في عصر كتابة القرآن، وهي مظاهر قد حافظ عليها المسلمون رغم التطور الذي عرفته الكتابة بين الناس.

ويعتمد هذا الاتجاه على التتبع التاريخي للإملاء، ورسوم الكلمات للوصول إلى رؤية تاريخية تكشف عن أصل نطق الكلمة وصورتها الأولى، والخصائص المشتركة بينها وبين رسم المصحف، والتطور الذي حصل في اللفظ مع ثبات الرسم.

ومن جملة الإشارات القديمة في هذا الشأن، توجيه الزمخشري لزيادة الألف في قوله تعالى(ولا أوضعوا) قال:" فإن قلت: كيف خط في المصحف: (ولاأوضعوا) بزيادة الألف؟ قلت: كانت الفتحة تكتب ألفا قبل الخط العربي، والخط العربي اخترع قريبا من نزول القرآن، وقد بقي من ذلك الألف أثر في الطباع، فكتبوا صورة الهمزة ألفا، وفتحتها ألفا."[74]

وهذا معناه أنّ الرسم العثماني رسم موافق لما كان موجودا في ذلك الزمان من شكل الخطّ وطريقة استعماله.

وممن اعتنى بهذا الاتجاه في هذا العصر بحثا وتحليلا د. غانم القدروري الحمد في كتابه(رسم المصحف، دراسة لغوية تاريخية)[75]، ورغم ما قدمته دراسته هذه من نتائج في هذا المجال، إلاّ أنّها وقفت عاجزة أمام بعض الظواهر، وهو نفسه من اعترف بهذا النقص بعد مناقشته الأقوال في زيادة الألف بعد الواو المتطرفة، بقوله:" لعل المستقبل كفيل بأن يكشف من الوسائل ما يعين على تفسير واضح لتلك الظاهرة".[76]

خـاتمـــة.

توصل هذا البحث إلى جملة نتائج، هي كالتالي:

ـــ أن للرسم العثماني فوائد كثيرة، من أهمّها صون القرآن الكريم عن التغيير والتنقيح، ولو رُسم بالإملاء الحديث لفقد النص أسرار التجويد والقراءات، ولوصل الأمر إلى الاختلاف في كلماته.

ـــ بعد استقرار المصاحف العثمانية وظهورها، اهتم العلماء أولاً بتوصيف ظواهر الرسم العثماني وتعدادها وتحديد مواضعها في القرآن الكريم، ولم تكن في أولوياتهم البحث في تعليلها وتفسيرها، ولعل ذلك لعدم وجود حاجة إليه، وربما لشعورهم بتماشيها والإملاء المعروف في كتاباتهم.

ـــ لما تمكن العلماء من ضبط ظواهر الرسم العثماني، والإحاطة بها، بدا واضحًا اشتغالهم بتوجيه تلك الظواهر وتفسيرها، خاصة بعد ظهور الخلاف حول أحقية هذا الرسم في الهيمنة على كتابة المصحف، وقد ظهرت عدّة مصنفات في علم الرسم برز فيها هذا الشأن بوضوح تبعا لذكر تلك الظواهر، وإن لم تكن مؤلفات خاصة و مستقلة في التعليل رأسا.

ـــ تباينت آراء العلماء في توجيه تلك الظواهر بين رافضٍ لتعليلها وبين مؤيدٍ لذلك، بتوجيهات وحجج مختلفة.

ـ تنوعت اتجاهات القول بتفسير ظواهر الرسم بين اللغوي وتاريخي، وبين من حملها على الأسرار الخفية أو القراءات. والذي يبدو أن معظم تلك الاتجاهات وجيهة وهي تدخل ضمن الاجتهاد ماعدا الاتجاه القائل بسوء هجاء الأولين، أو الاتجاه الإشاري لأنه يحمل في صور كثيرة التكلف والتعسف الظاهر، وإن كان لاينكر أن الاستئناس به ممكن في حالات عديدة.

ـــ رغم مراعاة تلك التوجيهات لقدر كبير من الظواهر؛ إلا أنّها لم تستطع الاحاطة بكل حالات الرسم العثماني، ولذلك ظهر قصورها واضحا في استعاب كل الظواهر.

ـــ لامانع أن تكمل كل التوجيهات التفسيرية لظواهر الرسم العثماني بعضها بعضا، ولا بأس من الأخذ بها جميعا مالم تكن فلسفة أو غموضا لا طائل من وروده، كما هو حال تفسيرات المراكشي رحمه الله.

والحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع.

1. أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد المارغني: دليل الحيران على مورد الظمآن في فني الرسم والضبط، دار الكتب العلمية –بيروت.
2. أبو العباس أحمد بن عثمان الأزدي المعروف بابن البناء المراكشي: عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل، تح: هند شلبي،دار الغرب الإسلامي -بيروت -ط1/ 1990م.
3. أبو العباس المهدوي: هجاء مصاحف الأمصار، تحقيق حاتم صالح الضامن، دار ابن الجوزي –السعودية، ط1/ 1430هـ .
4. أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: عبد الرواق المهدي، دار إحياء التراث العربي -بيروت.
5. أبو بكر السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، تح: مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
6. أبو داود سليمان بن نجاح: مختصر التبيين لهجاء التنزيل، تح: أحمد شرشال، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1421هـ.
7. أبو عمرو الداني: المقنع فى معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار، تحقيق/ محمد الصادق قمحاوى، الناشر، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.
8. أحمد بن المبارك السجلماسي المالكي: الإبريـــز من كلام سيدي عبد العزيز الدباغ، دار الكتب العلمية -بيروت،ط3/ 2002م.
9. أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، 1979م.
10. أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، تح:أنس مهرة، دار الكتب العلمية -لبنان -ط3/ 2006م.
11. ابن الجزرى: النشر فى القراءات العشر ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. 3/ 2006م.
12. ابن قتيبة الدينورى: تأويل مشكل القرآن، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة 1954هـ .
13. ابن منظور: لسان العرب، دار صادر – بيروت – ط3/ 1414هـ.
14. برهان الدين إبراهيم بن عمر الجعبري: جميلة أرباب المراصد في شرح عقيلة أتراب المقاصد، تح: محمد خضير الزوبعي، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق -سورية، ط1.
15. سامح القلينى: الجلال والجمال في رسم الكلمة: في القرآن الكريم، مكتبة وهبة - القاهرة - ط1، 2008م .
16. شعبان محمد إسماعيل: رسم المصحف وضبطه بين التوقيف والاصطلاحات الحديثة، دار السلام، القاهرة، ط3، 2012م.
17. طه عابدين: مزايا الرسم العثماني وفوائده، مجلة البحوث والدراسات القرآنية، العدد

الثاني، السنة الأولى، 2006م.
18. عبد الحي حسين الفرماوي: رسم المصحف ونقطه، المكتبة المكية مكة ودار نور المكتبات جدة. ط1، 2004م.
19. عبد الرحمن ابن خلدون: المقدمة، دار إحياء التراث العربي -بيروت -ط3.
20. عثمان بن سعيد الداني: لمحكم في نقط المصاحف، تح: عزة حسن، دار الفكر -دمشق -، ط2/ 1407هـ.
21. علي بن محمد الضبّاع: سمير الطالبين في رسم وضبط الكتاب المبين، نقحه محمد علي خلف الحسيني، ملتزم الطبع والنشر عبد الحميد أحمد حنفي، ط1.
22. غانم القدوري: الميسر في علم رسم المصحف وضبطه، مركز الدراسات والنعلومات القرآنية بمعهد الشاطبي – جدة، 2012م.
23. غانم قدوري: رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية، نشر اللجنة الوطنية ببغداد، ط1، 1982م.
24. فهد بن عبد الرحمن الرومي: دراسات في علوم القرآن، 2003م.
25. محمد أبو شهبة: المدخل لدراسة القرآن الكريم، دار اللواء -الرياض - ط3، 1987م .
26. محمد بن إسماعيل البخاري البخاري: الصحيح، تح: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير -بيروت، ط3/ 1987م.
27. محمد بن عيسى الترمذي : سنن الترمذي، تح: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي -بيروت.
28. محمد شملول: إعجاز رسم القرآن وإعجاز التلاوة، دار السلام، القاهرة، ط1، 2006م.
29. محمد عبد العظيم الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن، دار المعرفة -بيروت - ط1/1999م.

الهوامش.

[1] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، رقم4987، ص432 - 433، والترمذي في جامعه، أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة التوبة، رقم 3104، ص1965.

[2] انظر ابن منظور: لسان العرب، دار صادر – بيروت - مادة رسم، ورشم، 241/12 -242 . وأحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، 1979م، 393/2.

[3] أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد المارغني: دليل الحيران على مورد الظمآن في فني الرسم والضبط، دار الكتب العلمية –بيروت، 1995م، ص 32.

[4] عبد الحي حسين الفرماوي: رسم المصحف ونقطه، المكتبة المكية مكة ودار نور المكتبات جدة. ط1، 2004م، ص165.

[5] أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد المارغني: دليل الحيران على مورد الظمآن، ص63.

[6] محمد عبد العظيم الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن، دار المعرفة -بيروت - ط1/1999م، 328/1.

[7] غانم قدوري الحمد: رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية، ص155.

[8] الفرماوي: رسم المصحف ونقطه، ص120.

[9] ينظر: شعبان محمد إسماعيل: رسم المصحف وضبطه بين التوقيف والاصطلاحات الحديثة، دار السلام، القاهرة، ط3، 2012م، ص 70.

[10] غانم القدوري: الميسر في علم رسم المصحف وضبطه، مركز الدراسات والنعلومات القرآنية بمعهد الشاطبي – جدة،2012م، ص 28.

[11] د. شعبان محمد إسماعيل:رسم المصحف وضبطه بين التوقيف والاصطلاحات الحديثة، ص70. وانظر المدخل لدراسة القرآن الكريم، ص353.

[12] محمد أبو شهبة: المدخل لدراسة القرآن الكريم، دار اللواء -الرياض - ط3/ 1987م ، ص 353.

[13] ينظر: المكان نفسه، وللتفصيل أكثر : علي بن محمد الضبّاع: سمير الطالبين في رسم وضبط الكتاب المبين، نقحه محمد علي خلف الحسيني، ملتزم الطبع والنشر عبد الحميد أحمد حنفي، ط1 ص17.

[14] محمد أبو شهبة: المصدر السابق، ص358.

[15] أبو العباس المهدوي: هجاء مصاحف الأمصار، تحقيق حاتم صالح الضامن، دار ابن الجوزي –

السعودية، ط1،1430ه ص75. وانظر لتفصيل ذلك: طه عابدين: مزايا الرسم العثماني وفوائده، مجلة البحوث والدراسات القرآنية، العدد الثاني، السنة الأولى، 2006م، ص22.

(16) غانم القدوري: الميسر 105.

(17) أبو بكر السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، تح: مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف،: 2200/6، وانظر: علي بن محمد الضبّاع: سمير الطالبين في رسم وضبط الكتاب المبين، ص27.

(18) ينظر، غانم القدوري: المصدر السابق، ص105.

(19) ينظر : دليل الحيران، ص 66، وسمير الطالبين، ص 32.

[20] مختصر التبين لهجاء التنزيل 136/1.

[21] شعبان محمد: رسم المصحف، ص37 -38.

[22] مختصر التبين لهجاء التنزيل، 36/1

(23) ينظر: الداني: المقنع، ص133، وأبو داود: مختصر التبيين، 708/3، والميسر، ص117.

(24) سمير الطالبين، ص 72.

(25) ينظر: المهدوي: هجاء المصاحف، ص46، والداني: المقنع، ص42، وأبو داود: مختصر التبيين، 805/3، والميسر، ص125 -126.

(26) ينظر: الداني: المقنع، ص47، وهجاء المصاحف، ص66، ومختصر التبيين، 369/2.

(27) ينظر: المصدر نفسه، 53، وهجاء المصاحف، ص51 -53، مختصر التبيين، 70/2 -72، والميسر،ص135.

(28) ينظر: المقنع، ص91 -92،

(29) ينظر: الميسر: ص136 -138.

(30) ينظر: المقنع، ص59 -62، ومختصر التبيين، 42/2.

(31) ينظر: سمير الطالبين، ص 90.

(32) ابن الجزرى: النشر فى القراءات العشر ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. 3، 2006م. 110/2.

(33) ينظر: المقنع، ص68 -95، وهجاء مصاحف الأمصار، ص42 -45، دليل الحيران، ص308.

(34) النشر: 213/1.

(35) المصدر نفسه: 156/2.

[36] ينظر: غانم قدوري: رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية، نشر اللجنة الوطنية ببغداد، ط1،

1982م، ص348 -349.

(37) ينظر: الميسر، ص185.

(38) ينظر: معاني القرآن له: 439/1، 35/2 و 183 و 293.

(39) ينظر: المارغني: دليل الحيران، ص248.

(40) ابن قتيبة الدينورى: تأويل مشكل القرآن، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة 1954هـ ،56 – 58 بتصرف يسير.

(41) انظر: الانتصار للقرآن 547/2.

(42) عبد الرحمن ابن خلدون: المقدمة، دار إحياء التراث العربي -بيروت -ط3، 757/1، 758.

(43) ينظر : المصدر السابق، ورسم المصحف، دراسة لغوية : 174، 175.

(44) غانم قدروري: رسم المصحف ص 244.

(45) انظر: محمد طاهر الكردي : تاريخ القرآن، ص 175.

(46) ينظر: محمد طاهر الكردي في كتابه تاريخ القرآن ، ص 179.

(47) المصدر نفسه : ص 5 - 6، وينظر في هذا الاتجاه أيضاً: رسم المصحف دراسة لغوية، ص 194.

(48) د.غانم : الميسر، ص199.

(49) أحمد بن المبارك السجلماسي المالكي: الإبريـــز من كلام سيدي عبد العزيز الدباغ، دار الكتب العلمية -بيروت،ط3/ 2002م، ص119 -120.

(50) أبو العباس أحمد بن عثمان الأزدي المعروف بابن البناء المراكشي: عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل، تح: هند شلبي، دار الغرب الإسلامي -بيروت -ط1/ 1990م، ص33 -34.

(51) ينظر: غانم : رسم المصحف، دراسة لغوية تاريخية : 192.

(52) غانم قدوري: الميسر، ص 197.

(53) ينظر:سامح القلينى: الجلال والجمال في رسم الكلمة: في القرآن الكريم، مكتبة وهبة - القاهرة - ط1، 2008م ص 109 .

(54) محمد شملول: إعجاز رسم القرآن وإعجاز التلاوة، دار السلام، القاهرة، ط1، 2006م، ص 81ـــ 82.

(55) ينظر: غانم قدوري: الميسر، ص199.

(56) عثمان بن سعيد الداني: المحكم في نقط المصاحف، تح: عزة حسن، دار الفكر -دمشق -، ط2/ 1407هـ، ص 196.

(57) المصدر نفسه، ص186.

(58) الميسر، ص 200.

(59) ينظر: المقنع، ص10.

(60) أبو العباس المهدوي: هجاء مصاحف الأمصار، تحقيق حاتم صالح الضامن، دار ابن الجوزي – السعودية،ط1 / 1430هـ، ص105.

(61) مختصر التبيين: 938/4 -939.

(62) ينظر: هجاء مصحف الأمصار ص85.، والمقنع، ص30، ومختصر التبيين 125/2.

(63) برهان الدين إبراهيم بن عمر الجعبري: جميلة أرباب المراصد في شرح عقيلة أتراب المقاصد، تح: محمد خضير الزوبعي، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق -سورية -ط1، 2010م، ص702.

(64) الداني: المقنع، ص77.

(65) ينظر: الداني: المقنع، ص77، والمهدوي: هجاء مصاحف الأمصار، ص35.

(66) الداني: المحكم، ص66.

(67) المقنع، ص68.

(68) الميسر، ص170.

(69) ينظر: فهد بن عبد الرحمن الرومي: دراسات في علوم القرآن، 2003م، ص363.

(70) أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، تح:أنس مهرة، دار الكتب العلمية -لبنان - ط3، 2006م، ص522.

(71) ابن الجزري: النشر،293/2.

(72) المصدر نفسه: 231/2.

(73) غانم قدوري الحَمَد.: رسم المصحف، دراسة لغوية تاريخية، ص 255 – 262.

(74) أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: عبد الرواق المهدي، دار إحياء التراث العربي -بيروت -: 277/2.

(75) هناك بحث قدم بالجامعة الأردنية وللباحث طارق الخوالدة في كتابه(رسم المصحف في ضوء الكتابات السامية).وهي رسالة أعدت لاستكمال متطلبات الحصول على الماجستير. ينظر: https://theses.ju.edu.jo/Original_Abstract/JUA0606382/JUA0606382.pdf

(76) غانم قدوري: رسم المصحف، ص293.

مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ر ت م د: 7163 -1112 ر ت م د إ :2588-1892
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2

الشيخ إبراهيم أبو اليقظان – رائد البعثات العلمية في منطقة وادي مزاب

Sheikh Ibrahim Abu Al – yaqzan

Pioneer of scientific missions in the Wadi Mazab region .

طاعة مصطفى[1]، سعيود إبراهيم[2]

1 - جامعة غرداية – taa.mustapha@univ-ghardaia.dz

2 - جامعة الجزائر – brasayoud60@yahoo.fr

مخبر: الجنوب الجزائري للبحث في التاريخ والحضارة

تاريخ الاستلام: 2020/04/25 تاريخ القبول: 2021/10/03

الملخص:

يعالج المقال جانبا مهما من حياة المصلح إبراهيم أبي اليقظان، المتعلق بإشرافه على تجربة إصلاحية رائدة في منطقة وادي مزاب متمثلة في المجهودات التي قدمها الشيخ في مجال البعثات العلمية إلى الخارج، وبالتحديد تونس التي كانت تشهد انتشار المدارس العصرية، وهذا ما أدى بالشيخ إلى اختيار هذه الوجهة، وقام بأدوار الدعم والتأطير لهذه البعثات والوقوف في وجه المعارضين المحليين، ومحاربة الجمود الفكري المسيطر على الذهنيات في وادي مزاب، فكان هذا الاتجاه الإصلاحي للشيخ أبي اليقظان نابعا من إدراكه أن عملية النهوض بالأمة لا تكون إلا بإصلاح الأفراد علميا وخلقيا وفق أسس وركائز عصرية حديثة.

الكلمات الدالة: البعثات العلمية، واقع التعليم، الجمود الفكري، الحركة الإصلاحية.

المؤلف المرسل: طاعة مصطفى ، taa.mustapha@univ-ghardaia.dz

Abstract:

The article deals with an important aspect of the life of reformer Ibrahim Abi Al-Yaqzan, who oversaw a pioneering reform experiment in Wadi Mazab region, represented by the Sheikh's efforts in the field of scientific missions abroad, namely Tunisia, which witnessed the spread of modern schools. This is what led sheikh to choose this destination an has played the roles of support and framing of these missions and stand in the face of local opponents, and the fight against intellectual stagnation controlling the minds in the valley of Mazab, it was the reformist direction to Sheikh Abu al-yaqzan stems from his realization that the process of the advancement of the nation is only the reform of individuals scientifically and morally according to modern foundations and pillars.

Key words: Scientific missions, the reality of education, intellectual stagnation, reform movement.

مقدمة:

إن المؤسسات التعليمية بالجزائر خلال فترة الإستعمار تعرضت لمحاربة شديدة بمختلف الوسائل والأساليب الهمجية، لأنها كانت تمثل عائقا كبيرا أمام سياسة التجهيل والتنصير الفرنسية، فقد حورب رجال العلم والأئمة وشيوخ الزوايا، وحدد نشاطهم الديني والثقافي، وفرضت عليهم الإقامة الجبرية، وعلى أتباعهم ومؤيديهم مراقبة مشددة، ولم يكتف العدو بهذا، بل راح يستهدف المؤسسات العلمية بالتحطيم والمسخ، وعلى رأسها المساجد والزوايا والكتاتيب والمعمرات والأوقاف، ومقصده في ذلك ضرب مقومات الهوية الوطنية من عروبة وإسلام، فكان التعليم وسيلة الإدارة الفرنسية لتحقيق أهدافها المتمثلة في القضاء على المعالم الحضارية للجزائريين، وبالتالي تسهيل السيطرة الكاملة على المجتمع، وأصبح بذلك التعليم في الجزائر تحت إشراف نخبة من المتطوعين أخذوا على عاتقهم مهمة إصلاح الفرد الجزائري علميا وخلقيا وحماية سلوكاته الدينية حتى يصبح قادرا على مقاومة العدو، رغم أن العهد

الذي سبق الاستعمار الفرنسي لم يختلف كثيرا عن هذا الحال، فالفرق يكمن في أن العثمانيين لم يحاربوا التعليم وفي نفس الوقت لم يولوا اهتماما به لا من حيث المؤسسات النظامية ولا من حيث المقررات والمناهج، فاقتصر على اللغة العربية وعلوم الدين ولم يساير التطورات الخارجية في الأساليب والوسائل والمراكز العصرية، وهو حال منطقة وادي مزاب في فترة الاستعمار الذي لم يستهدف المساجد وحواضرها التي استمرت في أداء رسالتها، وكان لمجلس العزابة الدور الحاسم في ذلك، كما أن المستعمر الفرنسي لم يطلب التراخيص من التعليم المسجدي وكانوا يتحاشونه لأنها مراكز حساسة تثير التوتر وحساسية العوام، وقد أشرف على التدريس في هذه الحلقات مجموعة من خيرة أعلام وادي مزاب على رأسهم السيد أمحمد بن يوسف أطفيش، ويوسف بن حاج يوسف، ومحمد بن صالح بن حمو، وبكير بن داود، وأبو زكريا يحي بن صالح، وعمر بن يحي وغيرهم كثير، وقد تخرج على يد هؤلاء نخبة مثقفة ثقافة محلية أصيلة من بينهم الشيخ إبراهيم أبو اليقظان وهو رائد من رواد الإصلاح والتنوير في الجزائر، وهو من بين الذين فكروا في إيجاد أساليب جديدة في عملية التحصيل العلمي بديلة متماشية مع التطورات التي يشهدها عصره وتتوافق مع طموحاتهم في الحصول على درجات علمية مقبولة يتجاوزون بها الحصار الذي فرضه المستعمر على أي محاولة تجديد في الحقل العلمي وإبقائه على الصورة التقليدية المرتبطة بالكتاتيب ودور المتطوعين، فكانت الرحلة العلمية من بين الوسائل التي انتهجها الشيخ لرفع الجهل والأمية عن وطنه، وقد قصد الحاضرة التونسية لكونها القطب الثقافي الأقرب إلى الجزائر، وما تشهده من حراك علمي وثقافي أهلها لتكون مقصد كل طالب علم، وتظهر أهمية البحث في أدراك الشيخ أبو اليقظان حاجة المجتمع إلى وسيلة كفاح وصمود أمام الوضع السائد، فاختيار العلم الصحيح في شكله الحديث عدة، وكانت البعثات العلمية الحل الأكثر ملائمة.

- فما هي إسهامات أبي اليقظان في البعثات العلمية المزابية وموقفه من الجمود الثقافي المحلي الرافض لفكرة التعليم العصري؟ وما مدى تأثير البعثات العلمية في الحراك الوطني آنذاك؟

1. **التعريف بشخصية إبراهيم أبى اليقظان**(يحي بن بهون حاج امحمد،2018م، ص74):

هو الشيخ حمدي إبراهيم بن عيسى، لقب نفسه بأبي اليقظان تيمنا بالإمام الرستمي -أبي اليقظان بن أفلح بن عبد الرحمان بن رستم وهو خامس الأئمة الرستميين -والده الحاج عيسى بن يحي(أنظر التعليق:01) أحد الأعيان في القرارة(أحمد توفيق مدني، 1931م، ص227)، أمه هي السيدة عائشة بنت الحاج أمحمد بن الحاج إبراهيم بوعروة من أولاد حمو بن إبراهيم، وكانت ولادته يوم الاثنين 24 صفر 1306هـ الموافق ليوم 05 نوفمبر 1888م، عاش يتيم الأب لتتولاه أمه وإخوته، أتقن الكتابة والقراءة على يد شيخه إبراهيم بوسحابة واستظهر القرآن الكريم وعمره سبعة عشر سنة على يد معلمه إبراهيم بن كاسي(أنظر التعليق:02)، لينتقل فما بعد إلى معهد الحاج عمر بن يحي(أنظر التعليق:03) أين أخذ مبادئ الفقه والتوحيد(محمد الهادي سنوسي، 1926م، ص110)، فكان هذا المعهد من بين أكثر المراكز تأثيرا في شخصية الشيخ أبي اليقظان وفي تكوينه العلمي، وهو ما اعترف به قائلا "فتطورت تطورا كبيرا، فازداد نشاطي في حفظ القرآن وشدة حبي للعلم، وتفاءلت خيرا وأيقنت بلوغ غايتي في العلم ما دمت في هذا المعهد"(محمد علي دبوز، 1976م، ص222)، كما أن الشيخ تتلمذ في بداية تعلمه على قطب الأئمة أمحمد بن الحاج يوسف أطفيش(أنظر التعليق:04) وكانت له عدة زيارات إلى الحجاز ومصر وبيروت، ويعد تعلمه في تونس ما بين (1912م – 1926م) من أهم مراحل حياته لما جناه من معارف وعلاقات، فقد درس عند نخبة من المشايخ في جامع الزيتونة والمدرسة الخلدونية منهم: الطاهر بن صالح، محمد بن يوسف، محمد العبيدي، عبد العزيز الثعالبي، ولعل هذا

التكوين العلمي والاحتكاك والتفتح الخارجي هو الدافع لمحاربة الواقع التعليمي في الجزائر عامة، وفي منطقة وادي مزاب خاصة وتبني فكرة البعثات العلمية.

2. واقع التعليم في منطقة وادي مزاب خلال العهد الاستعماري:

إن الحديث عن واقع التعليم في منطقة وادي مزاب خلال العهد الاستعماري لا يختلف كثيرا عن واقع التعليم في الجزائر عامة، فمنذ أن وطئت أقدام المستعمر أرض الوطن حتى راح يستهدف الدين الإسلامي ومؤسساته، ولقد كان عدد المساجد التي حولت إلى سكن للجيش حوالي أربعين مسجدا وعدة مدارس أخرى في العاصمة لوحدها، وحدد النشاط الديني والثقافي للقائمين والمدرسين في هذه المراكز(المهدي البوعبداللي، 1972م، ص315)، وكان هدف الإدارة الفرنسية ضرب التعليم ومحاربة اللغة العربية والدين الإسلامي وتعويضه بالتعليم الفرنسي الحر والتنصيري لإذابة المجتمع الجزائري وإفراغه من محتواه وطمس هويته الوطنية تدريجيا، فالتعليم في الجزائر غداة دخول المستعمر كان تحت إشراف الوقف لأن العثمانيين لم يولوا اهتماما بالغا بالتعليم، فاقتصر على المساجد والزوايا والكتاتيب والمعمرات ودور المشايخ، فكان طابعه العام ديني خالص اهتم باللغة العربية والدين الإسلامي وعلومه، وهذا ينطبق على حال التعليم في الصحراء الجزائرية ووادي مزاب بالتحديد، ولكن مع إمضاء معاهدة الحماية في 22 أفريل 1853م مع أعيان القرى السبع المزابية والكوموندان ديبراي(حمو عيسى النوري، 1981م، ص304) تعهدت من خلالها فرنسا باحترام عادات وتقاليد المزابيين وعدم التدخل في شؤونهم الداخلية مقابل دفع الضريبة، ولكن هذه البنود بقيت حبرا على ورق تغيرت معها معالم التعليم في المنطقة رغم أن الإدارة الفرنسية تجنبت المساس بالمساجد لما تحركه من حساسية وتوتر في أوساط السكان ولكنها عملت على جبهات أخرى، ففي سنة 1892م فتحت مدرسة العطف ومدرسة الرستمية ببني يزقن، وكان الأطفال البالغون سن الدراسة يجبرون عليها قهرا، أضف إلى ذلك انتشار مدارس الآباء

والأخوات البيض ومدارس التكوين المهني، في ظل هذه الأوضاع ظلت حلقة العزابة تجابه هذه المدارس الفرنسية باعتبارها أسست لنشر الكفر ومحاربة الإسلام.

فكان المسجد من بين أهم الأطر التي ركز عليها المشايخ نشاطهم باعتباره المؤسسة الوحيدة التي تلتقي فيها جميع شرائح المجتمع، كما أنهم اهتموا بالفرد ودوره في المجتمع موضحين التفاعل الكبير بينهما، ولما كان المسجد مؤسسة تعليمية بعيدة عن أعين المستعمر في وادي مزاب استطاع المشايخ والقائمون على هذه المراكز مراقبة أخلاق النشء وفق ضوابط دينية، ولكن إحساس النقص ودافع الطموح كان يراود الكثير من طلبة العلم للتطلع إلى تحصيل علمي يضاهي ما عند الأمم المعاصرة، فكانت البعثة العلمية خير ما يحقق ذلك.

3. مفهوم البعثة العلمية ودوافعها:

أ -مفهوم البعثة العلمية:

إن مفهوم البعثة العلمية هو سفر طالب العلم قصد تحسين قدراته العلمية، يتحمل فيها مشاق التغرب عن الأوطان، يلتقي من خلالها بالمشايخ والعلماء القادرين على تطوير مكتسباته العلمية والمعرفية، ويرى في هذا الشأن بن خلدون "أن الرحلة في طلب العلم ولقاء المشيخة تزيد في اكتمال التعليم، فعلى قدر كثرة الشيوخ واختلافهم يكون حصول ملكات التعليم ورسوخها في ذهن طالب العلم، ولهذا السبب نجد أن العلماء المسلمين اهتموا بها كثيرا"(عبد الرحمن بن خلدون، 2005م، ص226).

ب - دوافع البعثة العلمية :

أما الحديث عن دوافع هذه البعثات سواء النظامية أو الحرة، فيمكن اعتبار الدافع العلمي من أهم ما جعل الكثير من الطلبة يرتحلون إلى طلب

العلم، فهذه الممارسة أكد عليها الدين الإسلامي فاكتمال العلم لا يتم إلا بالرحلة(نواف عبد العزيز، 2008م، ص9)، لغرض زيادة الإطلاع والأخذ من علماء المناطق المقصودة في رحلتهم هذا بصفة عامة، وللحديث عن البعثات العلمية من وإلى منطقة وادي مزاب يضاف على الدوافع السابقة الذكر الحالة السياسية التي كانت سائدة خلال فترة الاستعمار الفرنسي من خنق وتضييق على المؤسسات العلمية، وحالة الجمود الفكري النابع من حرص أعيان مزاب وخوفهم على السلوكات والعادات والتقاليد من الضياع في أوساط المؤسسات العصرية المنفتحة خاصة وأن أبناء المنطقة لم يفارقوا أهاليهم ولم يعايشوا الغربة، ففي ظل هذه الأوضاع ظهرت فئة من المثقفين اختارت الهجرة للتزود بالعلم والمعارف التي تمكنهم الهروب من الحصار الاستعماري ومحاربة البدع والخرافات التي انتشرت في الأوساط المحلية على غرار القباب والأضرحة والإخوان السود ذوي الأصول السودانية الذين اختلطوا بالسكان المحليين وحافظوا على طقوسهم الغريبة، وكان على رأس هذه الفئة الشيخ إبراهيم أبو اليقظان الذي كان بالفعل رائد البعثات العلمية المزابية رغم ما تلقاه من معارضة خاصة من مجلس العزابة وكبار أعيان المنطقة.

4. مجهودات أبي اليقظان في تأطير البعثات العلمية :

إن ميلاد فكرة البعثات العلمية في وادي مزاب كان نتيجة الأوضاع السائدة هناك، وقد تبلور هذا التوجه لدى نخبة من الشباب المتحمس إلى التزود بالعلم الصحيح خارج الوطن، وكان من بينهم أبو اليقظان، ففي سنة 1912م عرض الفكرة على شيخه في القرارة الحاج عمر بن يحي فأجابهم بقوله **"لقد أردتم بناء السطح قبل بناء الأساس"**(محمد لعساكر، 1979م، ص87)، رغم هذا الرفض المقنع لكون البعثة يجب أن تتوفر على قواعد تعليمية، بقيت الفكرة تراود الشيخ أبا اليقظان وينتظر الفرصة الملائمة لتحقيقها، ولعل حادثة إغلاق

المدرسة الصديقية سنة 1913م بتبسة بعد حوالي ستة أشهر من فتحها من طرف المستعمر.

ولكون هذه المؤسسة كانت تحمل أمال المزابيين لكونها أول مدرسة عصرية، دفع طلبة العلم إلى التفكير في الانتقال إلى تونس والتزود بالمعارف لأنها أقرب الأقطاب الثقافية آنذاك وتمتعها بالحرية أكثر من الجزائر وتشابهها السياسي مع منطقة وادي مزاب لكون الإقليمين كانا تحت الحماية الفرنسية على عكس النواحي الأخرى من الجزائر.

وفي هذه الأثناء كان الشيخ أبو اليقظان في تونس يزاول دراسته في حلقات جامع الزيتونة(أحمد فرصوص، 1991م، ص87)، بالمقابل كان عزم أولياء الطلبة يزداد لإرسال أبنائهم، ووجدوا في الشيخ إبراهيم الرجل المناسب للإشراف على هؤلاء فعرضوا عليه الفكرة وأبدى موافقته وكان تاريخ ماي 1914م(أنظر الصورة الأولى)، موعد وصول أول بعثة علمية من أبناء الجزائر إلى تونس(محمد علي دبوز، 1978م، ص ص150 -153) ونتيجة الأوضاع غير المستقرة وخوفه على أعضاء البعثة بسبب الحرب العالمية الأولى لم تمكث إلا عشرة أشهر في مدارس تونس، وعاد الشيخ أبو اليقظان إلى وادي مزاب ومن معه(محمد ناصر بوحجام، 1985م، ص46).

راودت فكرة الاستزادة من العلوم التي تقدمها المدارس العصرية التونسية نخبة من طلبة العلم المتخرجين من معاهد وادي مزاب على الأخص مدينة القرارة بعد النتائج المرضية للبعثة اليقظانية الأولى، ففي سنة 1917 طلبوا من الشيخ أبي اليقظان الرجوع نحو تونس على رأس بعثة جديدة، وبالفعل استشار الشيخ معلمه عمر بن يحي وجملة من زعماء الإصلاح في المنطقة، وأشاروا عليه برئاسة البعثة العلمية، وكانت هذه الرحلة نواة البعثة اليقظانية الثانية(محمد علي دبوز، 1976م، ص222)، وقد ضمت كوكبة من الطلبة(أنظر الصورة الثانية) سيصبحون من أعلام الفكر والسياسة في الجزائر قاطبة يتقدمهم أبو إسحاق

إبراهيم أطفيش(أنظر التعليق:05)، وأحمد بن الحاج إبراهيم بن كاسي(أنظر التعليق:06)، وعبد الله بن إبراهيم أبو العلاء(أنظر التعليق:07)، ويوسف بن بكير حمو علي(أنظر التعليق:08) هؤلاء وغيرهم أسهموا في الحركة الفكرية والإصلاحية بوادي مزاب خاصة والجزائر عامة(أحمد بن حمو كروم، 1995م، ص14).

إن الحديث عن المجهودات التي قدمها الشيخ أبو اليقظان في مجال دعم وتأطير البعثات العلمية التي قادها والتي تعتبر النواة الأولى للبعثات المزابية والجزائرية عامة تركزت على ثلاث محاور أساسية :

أ -البحث عن منزل مناسب لاستئجاره يكون مقرا لبعثتهم، يؤويهم ويساعدهم على مزاولة تعلمهم .

ب -إدماج الطلبة في مدرسة عصرية تتوفر فيها مناهج نوعية ووسائل حديثة، فوقع الاختيار على مدرسة يديرها محمد صفر – أحد خريجي جامع الزيتونة – ولكن لم يبق فيها الطلبة إلا ثلاثة أشهر وانتقلوا إلى مدرسة السلام التي يديرها الشيخ شاذلي المرالي، وبسبب إعجاب أبي اليقظان بهذا الشيخ قرر دعمه وكان يدفع إيجار مبنى المدرسة بنفسه حتى يتحصل التلاميذ على قسط وافر من التربية والتكوين(محمد علي دبوز، 1976م، ص223)، أما البعثة اليقظانية الثانية 1917م ونتيجة تزايد عددهم فإن المشرف أبا اليقظان قسمهم إلى قسمين من حيث مزاولة الدروس، فالبالغون تم توجيههم إلى حلقات جامع الزيتونة والمدرسة الخلدونية، أما صغار السن فقد تم توجيههم إلى مدارس ابتدائية عصرية(إبراهيم أبى اليقظان، 1923م، ص 6).

ج -إدراج نظام داخلي في مكان إقامة البعثة الأولى والثانية يضمن حسن سيرها من عدة جوانب سلوكية وأخلاقية وتكوينية، ولهذا نجده قد سطر هو ومساعدوه أمثال عبد الرحمن بكلي(أنظر

التعليق:09) والشيخ بنوح مصباح والشيخ صالح بابكر(أنظر التعليق:10) والشيخ أبو إسحاق إبراهيم أطفيش، برنامجا ثريا حافظوا من خلاله على الأحوال التعلمية والأخلاقية والصحية والاقتصادية للطلبة، فكونوا الجمعيات الأدبية ومجموعات صوتية وقدموا أمسيات شعرية وبرامج رياضية، فكان هذا النظام مثالا يقتدى به يقول أبو القاسم سعد الله في هذا الصدد: "إن ما يلفت النظر في البعثات الميزابية هو الإشراف والتوجيه والانضباط"(أبو القاسم سعد الله، 1998م، ص275)

5. وقوف أبي اليقظان في وجه الجمود الفكري والمعارضين لفكرة البعثات العلمية:

يتفق كثير من الباحثين أن الفترة التي تلت قطب الأئمة محمد أطفيش كانت سمتها العامة الالتزام بأفكاره، حيث اتجهت حلقة العزابة إلى حالة من الجمود الفكري دون تجديد هذه الحالة تزامنت مع بروز نخبة من المثقفين الشباب في منطقة وادي مزاب يتقدمهم الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض المجدد(أنظر التعليق:11)، الذي رأى هذا النوع من الركود الخطر الأشد من التبشير المسيحي، فكان الصراع بين الاتجاه المحافظ والمجدد محتدما، فالاتجاه الأول يريد الالتزام بما تركه الأسلاف والاتجاه الثاني يريد الرقي في سبيل النهوض بالأمة(محمد صالح ناصر، 2018م، ص86).

وقد عانى الشيخ أبو اليقظان ما عاناه نخبة المصلحين في منطقة وادي مزاب بفعل إشرافه على أول البعثات العلمية بتونس، إذ نتج عن هذه التجربة الجديدة في المنطقة والتي كانت دون استشارة رجال الدين والأخذ برأي مجلس العزابة معارضة شديدة من تيار المحافظين، حجتهم في ذلك أن هذه البعثات ضمت صغار السن الذين لم يستوفوا حظهم من التربية ومخالطتهم لمحيط جديد يختلف عن البيئة المزابية يهدد ويفسد طباعهم وأخلاقهم كما أنهم

اتهموا القائمين على هذه البعثات بانشغالهم بالسياسة والتجارة ودخولهم الحياة الحزبية وتبني برامجها، والتيار المحافظ اعتبر مناهج ومقررات المدارس العصرية هي دنيوية غير شرعية لا فائدة منها، فكانت لهذه الحملة الأثر البالغ خاصة وأنها انبعثت من المساجد التي تلتقي فيها كل الفئات، فحركة المعارضة قامت بإصدار كتابين لمؤلفهما الحاج صالح لعلى(أنظر التعليق:12) زعيم الاتجاه المحافظ آنذاك، وهما :

- ✓ **إماطة اللثام على بعض اللئام.**
- ✓ **البراهين القاصفة لمتتبعي الفلاسفة.**

فكان هذان الكتابان هجوما صارخا على القائمين على البعثات العلمية ناعتا إياهم بأنكر الأوصاف، فكان رد فعل الشيخ أبي اليقظان مجموعة من المقالات المنشورة في الصحف الجزائرية والتونسية حيث يقول: "وكان جوابنا أن فتحنا عليهم حملة شعواء في الجرائد التونسية : الاتحاد، لسان، الشعب، الأمة...."(إبراهيم أبى اليقظان، 2003م، ص13) دافع من خلالها عن البعثة العلمية وحارب الجمود الفكري واعتبر هذه الحملة صراعا بين العلم والجهل، والحق و الباطل، وهذا الركود معيقا للنهضة لا يختلف عن الاستعمار والتبشير"(محمد ناصر، 1991م، ص ص 85 -86).

لم يكتف الشيخ بالمقالات بل رد على هذه الحملة بكتاب عنوانه: إرشاد الحائرين، كما أنه وجد العون في كثير من الشباب المصلح فعلى سبيل المثال لا الحصر، الشيخ أبو إسحاق أطفيش وكتابه الدعاية إلى سبيل المؤمنين، فالحرب التي قادها الشيخ في الجرائد والتأليف كانت دافعا لاستمرار البعثات العلمية وانتشار هذه الثقافة في الأوساط المزابية.

6. عبر وفوائد من تجربة البعثات العلمية اليقظانية:

يرى الكثير من الباحثين أن حركة الإصلاح في الجزائر انبثقت وقامت واعتمدت أساسا على خريجي معهد الزيتونة(محمد الصالح الجابري، 1990م، ص33)، وهنا يتضح أثر البعثات العلمية العائدة إلى الجزائر وإسهامها المباشر في فهم الكثير من الأفكار التحريرية والوطنية والتي كانت إيديولوجيات الحركة الوطنية الجزائرية فيما بعد، وهذا كان نتاج الاحتكاك بالعالم الخارجي والخروج من العزلة والجمود الفكري الذي طبقته فرنسا وانعكاسات أساليب التعليم التقليدي، فبفضل البعثة العلمية حدث نوع من التفاعل بين الطلبة الجزائريين والحراك السياسي في تونس فنجد منهم من كان عضوا في الأحزاب السياسية على غرار أبي اليقظان وأبي إسحاق أطفيش في الحزب الدستوري سنة 1920م.

هذه التجربة كانت دافعا لرسوخ القدم في الإصلاح والتجديد والنهوض بالأمة كما أن هذه التجربة العلمية مكنت الكثير من الجزائريين الوافدين إلى تونس من التقرب إلى طاقات وطنية وعلمية في مقدمتهم عبد الحميد بن باديس وعبد العزيز الثعالبي وسليمان الباروني وغيرهم كثير، زادوا من الحماس الوطني لهؤلاء الشباب الطامح إلى التجديد وإصلاح المجتمع وفق ضوابط صحيحة.

الخلاصة:

إن المجهودات التي قدمها الشيخ أبو اليقظان في سبيل إنجاح البعثات العلمية والدفاع عنها أثمرت ظهور المدارس العصرية في وادي مزاب بداية من سنة 1915**م بدعم من رجال الإصلاح ومشايخها ،وقد توجت هذه المبادرة الخيرية بتأسيس معهد الحياة** 1925**م والذي كان مثال النجاح في وادي مزاب(إبراهيم بن عمر بيوض، 1990م، ص14)، ولما أدرك الشيخ أبو اليقظان أهمية العلم في حياة الفرد والمجتمع راح يعمل على تحديث مناهجه وهو في ذلك يبدوا متأثرا بما رآه في المدارس التونسية من وسائل وأساليب(إبراهيم ابى اليقظان، 1934م، ص5).**

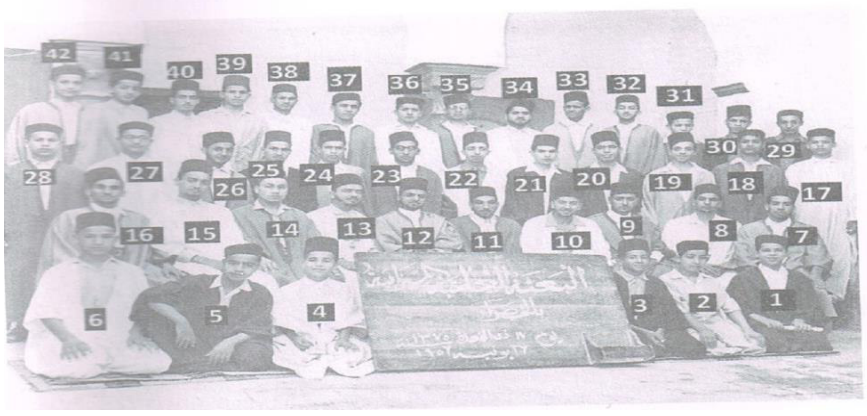
هذه السابقة في مجال البعثات العلمية لأبي اليقظان في مطلع القرن العشرين فتحت المجال واسعا أمام طلبة العلم في وادي مزاب خاصة والجزائر عامة للهجرة والتزود بالمعارف من مراكز الثقافة في الوطن العربي، فرغم ما تحملته البعثات العلمية اليقظانية من تهجم وحرب شعواء ووصفها بكل الأوصاف، إلا أنها استطاعت الصمود والتغلب على الجمود الفكري، فكانت بداية الصحوة العلمية فتوالت البعثات التي تأسست بعدها وعلى سبيل المثال بعثة محمد الثميني(أنظر التعليق:13) سنة 1919**م، وبعثة غرداية** 1936**، وبعثة البيوضية سنة** 1942**م(خير الدين شترة، 2009م، صص ص924 -925)، فكان الفضل كله في النهضة الثقافية في الجزائر مرتبط بالبعثات العلمية التي نفخت روح الحياة في الأمة الجزائرية التي أراد الاستعمار إخمادها.**

الصورة الأولى:الشيخ أبو اليقظان يتوسط أستاذين تونسيين مع أو بعثة مزابية سنة1914م



محمد صالح ناصر(2018م)، ابو اليقظان وجهاد الكلمة ، ج2، ط1، دار ناصر للنشر والتوزيع، ص347.

الصورة الثانية: البعثة اليقظانية الثانية بتونس1925م



عبد القادر عزام عوادي(2018م)، هجرة بني مزاب إلى تونس ودورهم في الحياة الثقافية والسياسية التونسية خلال الفترة 1881م -1956م، دار نزهة الألباب للنشر والتوزيع، ص212.

التعليقات:

1. **الحاج عيسى بن يحي:** هو من أعلام القرارة وهو والد رائد الصحافة الجزائرية الشيخ أبو اليقظان إبراهيم، حفظ القرآن الكريم ولازم حلقة الشيخ الحاج قاسم بن الشيخ بلحاج، إشتهر بالصلاح وكان عضوا في حلقة العزابة، وإمام مسجد القرارة، وتولى توثيق العقود بين الناس،توفي في رجب 1307هـ/1890م. ينظر: مجموعة من الباحثين، معجم أعلام الإباضية، قسم المغرب الإسلامي، ج2، ط2، نشر جمعية التراث، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر،1999م، ص335.
2. **إبراهيم بن كاسي:** تتلمذ على يد الشيخ أطفيش بمعهده ببني يزقن، وجلس في معهد الشيخ الحاج عمر بن يحي وهو كبير السن، فقرأ في حلقته الكثير من الكتب، كان إماما في مسجد القرارة لمدة طويلة، فتح دارا للتعليم وانشغل بنسخ الكتب، توفى بداء الطاعون سنة 1921م. ينظر: أبو اليقظان، المرجع السابق، ج2، ص 275 وما بعدها.
3. **الحاج عمر بن يحي:** ولد في قصر القرارة سنة 1275هـ/1858م، حفظ القرآن الكريم في مسقط رأسه، ثم إنتقل إلى دار التلاميذ فأخذ مبادئ العلوم وأكمل دراسته العليا عند قطب الأيمة، أسس مدرسة سنة 1314هـ/1896م، وكان له دور في تربية الناس وإصلاح ذات البين وصف بلقب "نور القلب" ويعتبر معهد الحياة إمتدادا لمعهده، وكان له الإسهام في نظام الطبقات لدار التلاميذ "إيروان"، بعد وفاة شيخه القطب عمد إلى إرسال الطلاب إلى جامع الزيتونة، وله الكثير من التلاميذ أصبحوا فيما

بعد رواد الحركة الإصلاحية، مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، ج2، ص313 وما بعدها.

4. **أمحمد بن الحاج يوسف أطفيش:** يعد قطب الأيمة في وادي مزاب، ولد سنة 1237هـ/1821م، يعتبر أشهر عالم إباضي بالمغرب الإسلامي في العصور الحديثة، نشأ عصاميا، كان دأبه اقتناء الكتب ونسخها وله العديد من المؤلفات، أنشأ معهدا للتدريس ببني يسجن تخرج فيه علماء أجلاءومصلحون، توفي سنة 1332هـ/1914م. ينظر: مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، ج2، ص 399 ومابعدها.

5. **أبو إسحاق إبراهيم أطفيش:** عالم من بني يسجن بمزاب ولد سنة 1886م، أخذ العلم من عمه قطب الأيمة وتتلمذ على يد عبد القادر المجاوي، وارتحل إلى تونس وللإستزادة من العلم، وأقتحم ميدان السياسة وكان سندا للعلامة عبد العزيز الثعالبي في تأسيس الحزب الدستوري، نفي فيما بعد إلى مصر، وأسندت له مهمة الإشراف على قسم التحقيق والتصحيح للتراث بدار الكتب المصرية مما جعله ينشغل بالتأليف وتحقيق الكثير من المخطوطات، وتوفى بمصر سنة 1965م. ينظر: مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، ص 24 وما بعدها.

6. **أحمد بن الحاج إبراهيم بن كاسي:** من مدينة القرارة أخذ العلم عن أبيه وعن نور القلب الحاج عمر بن يحي، إلتحق بمعهد القطب الشيخ أطفيش وبعد تخرجه إتجه إلى تونس وإنضم إلى البعثة العلمية، كان عضوا في حلقة العزابة وإماما للمسجد، وأشرف على مدرسة والده، يعد من بين أهم المصلحين في وادي مزاب، توفى سنة 1384هـ/1964م. ينظر: محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج1، ط1، عالم المعرفة، الجزائر، 2013، ص 381.

7. **عبد الله بن إبراهيم أبو العلاء:** ولد سنة 1300هـ/1882م بقصر القرارة، تتلمذ على يد الحاج علي بن حمو ثم على يد الشيخ إبراهيم الإبريكي، وانتقل فيما بعد إلى معهد عمر بن يحي واصل دراسته في معهد القطب، خلف أستاذه نور القلب في التدريس بعد وفاته، وساند الشيخ بيوض في حركته الإصلاحية، وكان عضوا فعالا في جمعية الحياة الخيرية لسنة 1937م، وله العديد من القصائد الشعرية، توفى سنة 1379هـ/1960م عن عمر ناهز 79 سنة. ينظر: أبو اليقظان، المصدر السابق، ج2، ص 285.
8. **يوسف بن بكير حمو علي:** ولد سنة 1304هـ/1887م بقصر العطف، أخذ مبادئ العلوم في مدرسة مسجد أبي سالم، عند شيخه عمر بن حمو بكلي، ثم انتقل إلى معهد عمر بن يحي بالقرارة، وإنضم إلى معهد القطب، سافر إلى تونس سنة 1917م ليكمل دراسته العليا في إطار البعثة العلمية، وبعد عودته انشغل بالتدريس والوعظ ورئاسة مجلس العزابة، ومدرسا في المعهد الجابري ونائب مجلس عميالسعيد، من أبرز أعماله تفسير القرآن الكريم، وترك مراسلات وفتاوى ما زالت مخطوطة. ينظر: مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، ج2، ص 485.
9. **عبد الرحمن بكلي:** ولد بالعطف سنة 1319هـ/1901م وعرف بالبكري نسبة إلى أبي بكر الصديق الذي ينتهي نسبه إليه، تعلم في المسجد العتيق، وأتقن كذلك الفرنسية في المدرسة الرسمية، إلتحق بالبعثة العلمية سنة1922م، وكان كثير الإتصال بعبد العزيز الثعالبي، إنضم إلى لجنة صياغة القانون الأساسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، كما أنه شغل منصب القضاء في العطف وعضو في حلقة العزابة، وكان معينا للشيخ أبي اليقظان في نضاله الصحفي ونشر العديد من المقالات،تقلد العديد من المناصب بعد الاستقلال، وله العديد من الأعمال المطبوعة، توفي

سنة1406هـ/1986م. ينظر: مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، ج2، ص 249 وما بعدها.

10. **الشيخ صالح بابكر:** ولد سنة 1322هـ/1904م، من رواد الإصلاح في وادي مزاب، درس بغرداية ومدارس تونس، قام بتأسيس جمعية الإصلاح الخيرية وله الفضل في تأسيس أول مدرسة للبنات في غرداية، عرف بالعمل الاجتماعي الخيري، ساهم في العمل الثوري حتى ألقي عليه القبض وسجن بالأغواط توفي سنة1395هـ/1976م. ينظر: مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، ج2، ص 231.

11. **إبراهيم بن عمر بيوض:** زعيم الإصلاح في وادي مزاب ولد بقصر القرارة سنة 1313هـ/1899م تعلم من شيخه الحاج عمر بن يحي الكثير ونبغ بذكائه، كان عضوا في حلقة العزابة أسس أول معهد أسماه معهد الشباب، شارك في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931م، وفي سنة 1937م أسس جمعية الحياة رائدة النهضة في الجنوب الجزائري، من إنجازاته تفسير مسجل من 1500 ساعة والكثير من الكتب والمؤلفات، توفى سنة 1981م في مسقط رأسه. ينظر: مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، ج2، ص 20 وما بعدها.

12. **الحاج صالح لعلي:** من علماء بني يسجن ولد يوم 20 رمضان 1287هـ/1870م، فقد بصره في صباه، تلقى من جده مبادئ العلوم، وبعد ذلك توجه إلى معهد القطب وخلف شيخه بعد وفاته في المعهد، أنشأ معهدا له عام 1889م، كان رئيسا لمجلس العزابة سنة 1917م وكانت له الكثير من المؤلفات، له مكتبة ثرية مازالت إلى يومنا هذا. ينظر: مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، ج2، ص ص 229 -230.

13. **محمد الثميني:** ولد ببني يسجن سنة 1314هـ/1897م، برز في العديد من الميادين وساهم في الحياة العلمية والاجتماعية والسياسية، أخذ مبادئ

العلوم عند الشيخ إسماعيل زرقون والشيخ الحاج إبراهيم بن محمد بن إدريسو ثم عن قطب الأيمة أمحمد بن يوسف أطفيش، إنضم إلى البعثة المزابية وكان مساعدا للشيخ أبي اليقظان، وكان عضوا بارزا في الحزب الدستوري التونسي ومن أعماله أيضا أنه كان مبعوث الحكومة المؤقتة إلى أمريكا والمغرب لخدمة القضية الجزائرية، ساهم في صحافة أبي اليقظان، أسس جمعية الاستقامة في قالمة سنة 1930م، نسخ الكثير من كتب جده عبد العزيز الثميني الموجودة في مكتبة الاستقامة ببني يزقن، توفى سنة 1970م بتونس. ينظر: مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، ج2، ص ص 383 -384.

المراجع:

1. أبو اليقظان إبراهيم عيسى، **تاريخ صحف أبي اليقظان**، تقديم وتعليق: محمد ناصر، دار هومة،2003م.
2. إبراهيم أبو اليقظان، " **تونس تعانق شقيقتها الجزائر**"،مجلة الأمة، عدد 14، 1934م.
3. إبراهيم أبو اليقظان، **إرشاد الحائرين**، مطبعة العرب، تونس، 1923م.
4. إبراهيم بن عمر بيوض(1990م)، **أعمالي في الثورة**، ط1، نشر جمعية التراث، غرداية،1990م.
5. أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج3، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م.
6. أحمد بن حمو كروم، **العلامة الجليل يوسف بن بكير حمو علي**، (1887م - 1984م) نشر جمعية الأمل الميزابية والثقافة، غرداية،1995م.
7. أحمد توفيق المدني، **كتاب الجزائر**، ط1، المطبعة العربية، الجزائر،1931م.
8. أحمد فرصوص ، **الشيخ أبو اليقظان كما عرفته**، دار البعث، قسنطينة، 1991م.
9. حمو عيسى النوري، **دور الميزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا**، ج1، (دون رقم الطبع) الكروان، باريس، 1981م.
10. خير الدين شترة، **الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة 1900م–1956م**، ج1، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر2009م.

11. عبد الرحمن بن خلدون ، **المقدمة**، تحقيق: عبد السلام الشدادي، ج3، ط1، خزانة بن خلدون، بيت الفنون والعلوم والآداب، الدار البيضاء، المغرب، 2005م.
12. عبد القادر عزام عوادي، **هجرة بني مزاب إلى تونس ودورهم في الحياة الثقافية والسياسية التونسية خلال الفترة 1881م -1956م**، دار نزهة الألباب للنشر والتوزيع، غرداية، 2018م.
13. محمد الصالح الجابري، **التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس**، ط1، دار الغرب الإسلامي لبنان،1990م.
14. محمد الهادي السنوسي، **شعراء الجزائر في العصر الحديث**، ج1، ط1، مكتبة العرب، تونس، 1926م.
15. محمد صالح ناصر، **أبو اليقظان وجهاد الكلمة**، ج1، ط5، دار ناصر للنشر والتوزيع، الجزائر،2018م.
16. محمد علي دبوز، **أعلام الإصلاح في الجزائر**، ج2، مطبعة البعث، قسنطينة، 1976م.
17. محمد علي دبوز، **أعلام الإصلاح في الجزائر**، ج3، ط1، مطبعة البعث، قسنطينة، 1978م.
18. محمد لعساكر، "**دور الشيخ أبي اليقظان في تأسيس البعثة العلمية ومساهمته في الحركة الوطنية بتونس**"، ضمن أعمال مهرجان الشيخ أبي اليقظان، جمعية البلابل الرستمية غرداية،1979م.
19. محمد ناصر بوحجام، **أبو اليقظان في الدوريات العربية**، دون طبعة، المطبعة الغربية، غرداية، 1985م.
20. محمد ناصر، **الشيخ إبراهيم أطفيش في جهاده الإسلامي**، دون طبعة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر،1991م.
21. المهدي بوعبد اللي، "**الاحتلال الفرنسي للجزائر ومقاومة الشعب في الميدان الروحي**" مجلة الأصالة، عدد 08، 1972م.
22. نواف عبد العزيز، **حالة الغرب الإسلامي وصورة المشرق العربي من القرن 6هـ، 8هـ**، ط1، دار الأهلي للنشر والتوزيع، بيروت،2008م.

المقالات:

1. يحي بن بهون حاج أمحمد، **الشيخ إبراهيم أبي اليقظان في جهاده الصحفي من خلال أشعار عمر بن عيسى بلعيد البرياني**،مجلة الواحات للبحوث والدراسات، جامعة غرداية، المجلد11، العدد 1، 2018م.

مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ر ت م د: 7163 -1112 ر ت م د إ :2588-1892
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2

"الفرقد" سليمان بوجناح (1905 - 1988) ونضاله الوطني

Al-Farqad Slimane Boujnah (1905-1988) : nationalist in the critical era

بالحاج ناصر

1- قسم التاريخ – كلية العلوم الاجتماعية والانسانية - جامعة غرداية،
nacer.baelhadj@univ-ghardaia.dz

تاريخ الاستلام: 2019/12/08 تاريخ القبول: 2021/08/22

ملخص

ليست بالكثيرة تلك الأقلام التي جاهرت بتوجّهاتها الوطنيّة في مرحلة نهاية العشرينيّات وبداية الثلاثينيّات في الجزائر المُستَعمَرة، وذلك بسبب تمكّن الاحتلال الفرنسي من تحقيق الانتصار العسكري على جلّ الثورات المسلّحة في البلاد. وبعد ظهور المقاومة السياسيّة والعمل الصحفي، برز وطنيّون عملوا على مواصلة طريق المقاومة، وهو ما عرّضهم إلى مختلف أساليب الردع الاستعماري، مثل ما هو حال "الفرقد" سليمان بوجناح الذي سنتطرّق إليه في هذا المقال من خلال بعض كتاباته.

الكلمات الدالة:

الفرقد، سليمان بوجناح، الاحتلال الفرنسي، التنصير.

Abstract:

Few were the national pens at the end of the 1920s and early 1930s in Algeria, after the succes of French occupation to .. his domination at all the country. After the emergence of political and journalist resistance, emerged patriots worked to continue the resistance, which is exposing them to the repression by the occupation, such as « Al-Farqad » Suleiman Boudjenah, which we will address in this article through some of his writings in ... algerian and french journals.

Key words:

Al-Farqad Suleiman Boudjenah, repression of french occupation, journalist resistance, Algerian Arab journals.

1. - مقدمة

كتب سليمان بوجناح المعروف بالفرقد العديد من المقالات في بعض الصحف التي كانت تصدر بالجزائر، لاسيما في العقدين الثاني والثالث من القرن العشرين، على غرار جرائد: " المغرب"، "النبراس"، "النور"، "القلم الحديدي"، وغيرها، حيث عارض فيها سياسة الاحتلال الفرنسي في الجزائر. بعض هذه المقالات جمعها صاحبها في مؤلّف صغير أسماه "كتاب الفرقد"، والذي لم ينل حظّه من النشر والتوزيع إلاّ في إطار ضيّق، حيث طبع سنة 1937 بالجزائر العاصمة، وعنه جاء في جريدة البصائر ما يلي بمناسبة إعادة طبعه: "ولكثرة نفاذه وشدة الراغبين فيه جدد المؤلف طبعه إجابة لطلب الكثيرين خصوصا الشباب الناهض من الأمة الإسلامية وترويجا للأدب واللغة العربية الشريفة والفكرة الحرة ومبادئ الوطنية الصادقة" (البصائر، 1938/12/16)، وبالمقابل كتب أحد الآباء البيض بغرداية عن صدور الكتاب وصوّر الفرقد كوطني من كبار الوطنيين الجزائريين (Jomier, 2015 : 249).

كما كانت للفرقد علاقات بصحف فرنسية على غرار جريدة L'Humanité الباريسية لسان حال الحزب الشيوعي، والتي كتبت عنه لاسيما حينما تعرض للسجن من طرف سلطة الاحتلال.

لقد كتب الفرقد بالخصوص فيما تعلّق بشؤون الدين الإسلامي الذي تدخّلت إدارة الاحتلال في أموره وتحكمت فيه بما تقتضيه مصالحها، وهو ما

كان ينتقده المفكرون المخلصون من أمثال الفرقد وقبله عمر بن قدور وعمر راسم، ممّن وقفوا في وجه هذا المشروع، وهو ما دفع سلطة الاحتلال إلى سجنهم و نفيهم بهدف زعزعة إيمانهم ونقض عزائمهم.

التصريح بالدفاع عن القضايا الوطنيّة في سنوات العشرينيّات من القرن العشرين في الجزائر المستعمَرة، لم يكن بالأمر الهيّن لاسيّما في مجال الكتابة الصحفيّة، حيث كان يعرّض صاحبه لكلّ أنواع الردع والمنع، مثل وَأْدِ الاحتلال لجلّ صحف الشيخ أبي اليقظان نظرا لأنّه كان يتعرّض للمحظور في الساحة السياسيّة آنذاك، من ذلك كسره للجمود في عقيدة الجزائريّين السياسيّة خصوصا، وتصحيح نظرتهم لواقعهم في ظلّ الاحتلال، بتبيين ما يمكن أن يقبلوا به وما ينبغي أن يرفضوه في مختلف القضايا.

وعليه سنحاول الإجابة عن السؤال التالي: ما هي أهمّ القضايا الوطنية التي نادى بها الفرقد في مواجهة المشروع الاستعماري الفرنسي في مختلف المجالات: الثقافي، السياسي والاجتماعي؟

2. - التعريف بالفرقد

سنتطرق إلى أهمّ محطات حياة الفرقد من خلال ما رواه بنفسه في استجواب أجراه معه سنة 1973 الأستاذ أحمد فرصوص حول أسئلة وجهها إليه الدكتور محمد ناصر أستاذ الأدب العربي بجامعة الجزائر، والذي كان من أوائل المهتمين بكتابات الفرقد وآثاره، ويمكن بالمناسبة الوصول إلى مقالات الفرقد في صحف الشيخ أبي اليقظان من خلال الفهرس العام الذي وضعه الدكتور ناصر لأصحاب المقالات (ناصر، 1980، 481).

الفرقد اسمه الحقيقي سليمان بن يحي بوجناح، من مواليد مدينة غرداية جنوب الجزائر سنة1323هـ/1905م، درس في كتاتيبها و مدارسها ثم سافر إلى تونس، لكنّه عاد إلى الجزائر ليكمل دراسته الثانويّة بثانويّة "بوجو" بالعاصمة، وكان دخوله عالم الكتابة الصحفيّة السياسيّة مع بلوغه الباكالوريا، أي في العقد الثاني من عمره، حيث أدرك خطورة وضع الجزائر تحت ظلّ الاحتلال، ووعى حقيقة معاناة الجزائريّين، فضلا عمّا كانوا يعانونه من تعسّف يوميّ بسبب القوانين الاستثنائيّة، فانكبّ على كتابة المقالات المعارضة للسياسة الاستعماريّة، ممّا أدّى إلى توقيفه وهو يحضّر امتحان الشهادة على أهمّيتها

آنذاك، وحرمانه من نيلها حيث أخبره مدير الثانوية بأنّه أقصاه استجابة لأوامر من السلطة بسبب تدخّله في السياسة وانتقاده أساليب التبشير المسيحيّ في الجزائر.

لم يزد هذا إلاّ عزما وثباتا في جهاد الفرقد بقلمه رغم وعيه بما يكتنف هذا السبيل من تبعات ومتاعب، فاختار أن يعيش حرّا في أفكاره و آرائه، مخلصا ووفيّا لمبادئه، فخطّ بقلمه كثيرا من المقالات المنتقدة للاستعمار، ممّا أودى به إلى السجن لمدة ثلاثة أشهر في سجن بربروس سنة 1929 بسبب بعض مقالاته التي عنونها بـ: "يجب تأسيس حزب وطني بالجزائر" ومقالة: "كيف يعاملنا النزيل (أي فرنسا)". وبعدها حُكِم عليه طبقا لأحكام قانون الأهالي بالنفي لعامين كاملين إلى قرية بني عباس جنوب غرب الجزائر سنة 1930 بتهمة التآمر ضدّ السلطة الفرنسيّة و تأليب المسلمين الجزائريّين عليها. وفي خضمّ ذلك تعرّض الفرقد لمساومات عديدة، حيث حاولت الإدارة إغواءه بالحياة الماديّة الرغدة، فأبى أن يستبدل راحة الضمير رغم عذاب الجسد براحة الجسد و عذاب الضمير.

وبعد عودته من منفاه ببني عباس، عاد الفرقد إلى انتقاد الاستعمار ومعارضته، فسُجن من جديد في سجن بربروس لأشهر، حُكِم عليه بعدها سنة 1933 بالنفي مدة عامين إلى أدرار غرب صحراء الجزائر وبالتحديد في قرية تيمِّي (الفرقد، 1973، 2).

وبالرغم من ذلك فقد واصل الفرقد نشاطه بعد خروجه من السجن، إلا أن الفرقد عاد إلى النشاط الوطني، حيث ترصد إحدى تقارير الأمن الفرنسي لمقاطعة الجزائر (العاصمة) وقوفه وراء تنظيم تجمعات لأتباع نجم شمال إفريقيا رفقة المناضل ميرة علي ضمن التيار الاستقلالي الذي كان يقوده مصالي الحاج (أوجانة، 2020، 131).

كتب الفرقد في مختلف الصحف الوطنيّة باللّغتين العربيّة و الفرنسيّة، ثم اشتغل بالتوثيق طويلا (حواش، 2008، 14)، و توفّي رحمه الله سنة1408هـ/1988م بمسقط رأسه غرداية. (مجموعة مؤلفين، 1999، الترجمة: 471).

كم نحن اليوم بحاجة إلى استرجاع وجمع أعمال الفرقد في كتاب واحد، تكون مرجعا تاريخيّا هامّا للباحثين في تاريخ الجزائر، خاصّة وأنّه كتب في

جرائد عديدة في الجزائر وخارجها، وعن الصحف التي كتب في صفحاتها يقول الفرقد: "أوّل مقال نشرته وأنا لم أبلغ العقد الثالث من العمر كان في جريدة النجاح القسنطينيّة، وكانت تلك الجريدة شبه حكوميّة، وكنت كلّما بعثت لها مقالا تحاول التصرّف فيه بحذف بعض عبارات أو بتنقيحها فتنزع منها روحها (...). وكما كنت أكتب في جريدة السيد الصادق دندن وجريدة الميسيو سبيلمان Spilmanne، وفي جريدة لومانيتي L'Humanité لسان الحزب الشيوعي بباريز، والجريدة التي تصدر بالعربيّة (القلم الحديدي) بمدينة صاوباولو Sao Polo بالبرازيل، وفي جريدة لابريس ليبر La presse libre لسان حال الاشتراكيّة بالجزائر. والمواضيع التي طرقتها جلّها سياسيّة كنت دائما وأبدا أقاوم الاستعمار وأساليبه في القطر الجزائري على العموم والسلطة العسكريّة بوادي مزاب وأعوانه وصنائعه وعملاؤه على الخصوص" (الفرقد، 1973، 2). وبالفعل فقد دافعت عنه هذه الصحف في محنته وحين سجنه، فعلى سبيل المثال نشرت صحيفة L'Humanité تنديدات الشيوعيين بنفي الفرقد إلى الصحراء وطالبت بالإفراج عنه وعن كلّ المعارضين المسجونين (L'Humanité,1934).

بطبيعة الحال لم يكن الفرقد شيوعيّا كما كان يُتّهم به من طرف أعدائه من أعوان الاستعمار، لكنّه استعمل الحزب الشيوعيّ للدفاع عن حقوق الجزائريّين المضطهدين، وعن هذا يقول: "وكان أعوان الاستعمار وعملاؤه يوسمونني بذلك لتوريطي والتحريش، ولتصويب سهام الاضطهاد الحكومي نحو شخصي وكنت أعمل غير مبال، وكلّما قيل لي (أنّك شيوعيّ) قلت نحن المناضلون الوطنيّون عُزّل وكلّ سلاح صالح لخدمة قضيتنا الوطنية سواء كان ذلك السلاح لونه أحمر أم أبيض أم أسود فهو صالح لمقاومة الاستعمار ولخدمة الوطنية في جميع الميادين، وعندما نحصل على السلاح الذي يكون بيدنا نتصرّف فيه كما نشاء فحينئذ يكون لكم حق انتقادي ورميي بالفكرة الحمراء أو البيضاء أو السوداء أو بالإلحاد إلى غير ذلك من أنواع السلاح الذي يستعمله الاستعمار لتوريط المناضلين الوطنيّين" (الفرقد، 1973، 2).

وعن الفرقد يقول أبو القاسم سعد الله مستشهدا بما كتبه عنه أحد شهود عصره وهو محمد العابد الجيلالي في كتابه تقويم الأخلاق الذي أصدره في عام

1927: "وسليمان بن يحي بوجناح المعروف بالفرقد، كان مثل رمضان حمود في ثورته وشبابه. وكانا متعاصرين. ويقول عنه محمد العابد الجيلالي إنه كان دون العشرين. ومع ذلك فإن مقالاته تدل على أنه عاش الدهر. وشهد على أن مقالاته كانت تمتاز بالغيرة الدينية وحصافة العقل والذكاء والوطنية وعزة النفس (...) إنه برمحه العربي وسنانه الفرنسوي (يعني أنه كان مزدوج اللغة) جاء طليعة لكتائب النصر الحقيقي ... بقلمه العربي والفرنسوي" (سعد الله، 1998 (2)، 72 -73).

3. - بعض قضايا الوطنيّة في كتابات الفرقد

1.3. - الاستعمار قضاء وقدر، ولكن ماذا عن التخلّص منه؟

إنتشرت في الجزائر في عهد الاحتلال الفرنسي فكرة سلبيّة خطيرة تقوم على أساس عقدي حسّاس، ألا وهي فكرة "القدريّة"، والتي انتشرت بين كثير من الجزائريّين، ومضمون هذه الفكرة هو الاعتقاد بأنّ احتلال الجزائر من قِبل الفرنسيّين قدر محتوم ولا رادّ له، وأنّه قُدِّر للجزائر أن تعيش تحت سلطة فرنسا، ولا سبيل إلى ردّ ذلك أو التخلّص منه. كانت الإدارة الفرنسية تعتمد في دعايتها كذلك على نشر فكرة القدرية بين الجزائريين وذلك ما نلاحظه من خلال تصريحات أولئك الموالين الذين كانوا يعتبرون أن الفرنسيين هم ولاة أمور المسلمين في الجزائر، وفرنسا هي حاميهم وقدرهم المحتوم مثلما صرح بذلك أحد النواب: " الله هو الذي وضع الجزائر تحت كنف حماية فرنسا (...) اقتنعوا بقدركم ولا تصدقوا الأكاذيب. فالدين الإسلامي ينصحنا أن نرضى بالقدر الذي يقسمه الله لنا"(Bensiam, 30 Août 1914) .

كان هذا الطرح يخدم الإدارة الاستعماريّة كثيرا، لذلك عملَت على ترويجه، مستعينة ببعض شيوخ الزوايا والمفتين والأئمة الموالين لها، وهو ما ساعدها على بلوغ بعض أهدافها نظرا لقدرة هذه الهيئات الدينيّة على التعبئة الشعبيّة، والهدف الكامن وراء هذه الفكرة هو زرع روح الانهزاميّة في نفوس الجزائريّين وإطفاء نار المقاومة فيهم، خاصّة بعد نهاية الحرب العالمية الأولى سنة 1918، والتي توقّف معها عهد المقاومة العسكريّة وانطلاق عهد المقاومة السياسيّة في الجزائر.

ويتطرق الأستاذ أبو القاسم سعد الله بالتفصيل إلى هذا الموضوع حيث تطرق إلى إصدار فتاوى تحث على نصرة فرنسا وعدم اتباع الألمان والعثمانيين، على غرار الفتوى التي أصدرها كل من المفتي المالكي والمفتي الحنفي بالعاصمة، أو تلك التي أصدرها كل من "ابن الموهوب والمفتي الحنفي عبد الكريم باش تارزي، وأيدتها شخصيات عديدة أبرزها محمد بن الشيخ الفكون"، فضلا عن بعض الطرق الصوفية (سعد الله، 1998)، واستمرت هذه الفكرة بطبيعة الحال بعد الحرب العالمية وكان لها دعاتها وأنصارها.

وعليه، عمل الوطنيّون الجزائريّون من كتّاب وصحفيّين خصوصا، على نقض أطاريح الاحتلال، ودحض الأفكار الانهزاميّة، وإيقاد جذوة الروح الوطنيّة، ويعتبر الفرقد من بين أولئك الذين عملوا في هذا السبيل وكتبوا مقالات ناريّة في هذا الصدد، ولكنّهم لم يحظوا بالاهتمام الكاف من طرف الباحثين الأكاديميّين اليوم، ولم يُستَفَد كثيرا من التراث الصحفي الذي تركوه.

بالنسبة لفكرة القدريّة، فقد انتقدها الفرقد في بعض المقالات، ومنها تلك التي كانت تحت عنوان "خطر الاستسلام"، حيث بدأها برفضه الشديد للفكر الانهزاميّ قائلا: "لا، لا أرضى بالاستسلام بدون مكابدة ولا عناء، يجب أن نفقه الاستسلام بمعنى الرجوع إلى قضاء الله المبرم الذي لا مردّ عنه ولا رجوع فيه، ولكن بدون قصد النكوص على العاقبين أمام الصعوبات، وهذا الاعتقاد الصحيح هو أعظم باعث يربّي في نفس المسلم ملكتي الشجاعة والإقدام، وما من مصيبة دهمته أو صعوبة اعترضت له في حياته إلاّ وأظهر شجاعة و إقداما (...)". ثمّ يندّد قائلا: " أسلمنا أنفسنا حتى صرنا كريش تلعب بها الرياح ولم ننتبه للحكمة الباهرة (اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا) تهاونُنا بأنفسنا واحتقارنا بشأننا وقوميّتنا جلبَ لنا مضارًّا تؤذينا في ديننا ودنيانا.

اتّهم أعداؤنا دينَنا النزيه بالنقصان استشهادا بأعمالنا وقالوا أنّ سبب انحطاطنا هو ديننا الذي يأمرنا بالاتّكال والتقاعس، هذا حكم زور و بهتان وربّ الكعبة، لأنّ أعمالنا لم تكن حجّة على ديننا ولكن هلاّ انتبهنا لنقي ذلك الدين الحنيف من كلّ وصمة و نحظى بالسعادتين؟

غُلِبنا بحكم المقادير واقتسمتنا الأمم الغربية تحت ألقاب عديدة فمِنّا الرعايا ومنها المحميّون ومِنّا ... ومِنّا".

ثمّ يخلص الفرقد في الأخير إلى القول: "إذا قلت أنّ المقادير حكمَت علينا بالاستيلاء الأجنبيّ لم أقل أنّها حكمت علينا بالإعدام. فعلام التقاعس إذاً ولِمَ الإحجام؟ إلى متى و اليأس ملأ قلوبَنا".

ثم بعد ذلك، حثّ على بعث الأمل من جديد حيث قال: "قضى علينا القضاء بالنزول، فسيقضي لنا القدر بالطلوع (...) فيوم لك ويوم عليك، سنّة جارية في خلقه تعالى".

ثمّ يؤكّد في آخر المقال على إصراره على المواصلة في جهاده بقلمه لإظهار الحقيقة وتصحيح الاعتقاد واستئصال "جرثومة الاستسلام (...) وقِصر النظر". ثم يعلن قائلا: "سأفني القلم إلى الخوض في هذا الموضوع لما أراه وأسمعه كلّ يوم وليلة من الحديث المملّ والممرض بداء الاستسلام واليأس.

يا قوم انزعوا عنكم الأوهام التي حالت دونكم والنهوض، اخلعوا عنكم ثوب الاستسلام الأعمى، كونوا كالسلف الصالح الذين لم يبلغوا أقصى درجة الرقي بالاستسلام أو بالتواني والاعتلال بالضعف ولم يفوتهم الوقت يوم كانوا ضعفاء ليكونوا أقوياء وينالوا المرام" (الفرقد، 1937، 26).

في مقال آخر وعلى صفحات صحيفة المنتقد الإصلاحية انتقد الفرقد العلماء الخاضعين لرغبات الاحتلال والذين "تمكنت فيهم رذيلة الإحجام من خوفهم من تضييع مناصبهم الحكومية تلك المناصب التي يتقاضون عليها بعض الدريهمات، أصروا على رذيلة الإحجام طمعا في دينار وتقريبا (...) يخدعوننا بقوله جل وعلا "ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة" يفسرون هذه الآية كما شاءوا وشاءت أغراضهم الساقطة".

ثم يطلق الفرقد نداءه: "أيها العلماء اصدعوا بما أمرتم به لتجمعوا بين القول والعمل لأن الإيمان لا يتم بالقول دون العمل، إمسكوا زمام أمور أمتكم وخذوا يد شعبكم ولا تتركوه وشأنه كأنه ليس منكم ولستم منه ! حرام عليكم والله إذ ترونه ضالا حائرا وترون السبيل وأنتم جامدون صامتون". (الفرقد، 1925/10/22).

كانت الجزائر آنذاك بحاجة إلى مفكّرين من أمثال الفرقد لمحاربة أفكار الاستسلام للأمر الواقع والانهزاميّة، والدفع بها نحو التحرّر من مختلف القيود التي كانت تكبّل ليس أجساد الجزائريّين فحسب بل عقولهم وأنفسهم أيضا.

2.3. - من شروط النهوض، وجوب الوحدة

أدرك الفرقد أنّ خلاص الأمّة ممّا كانت تعانيه في ظل الاحتلال الفرنسي من ظلم وسلب حرّية وعجز عن التغيير إنّما يكمن في اتحاد أبناء الأمة على ما فيه خيرها وصلاحها، دون اشتراط تخلّيهم عن أساليب عملهم المختلفة وعن انتماءاتهم الفكريّة أو السياسيّة، وبيّن ذلك من خلال مقالته التي عنونها بما يلي: "واعتصموا بحبل الله جميعا"، حيث تذمّر فيها من مناداة كلّ الاتجاهات الفكريّة والسياسيّة في الجزائر آنذاك بأهمية الاتّحاد، في حين لم تتحقّق في الواقع أيّة وحدة بسبب عدم وعي هؤلاء بالمعنى الحقيقي للاتحاد وهو: "التفاف الناس بعضهم بعضا وسَيْرهم إلى الأمام يداً في يد إلى حيث السعادة"، خاصّة وأنّ الجميع عامّة ومثقّفين كانوا يتعرّضون "للظلم والاستبداد" دون تمييز، وواجب المثقفين الإسراع لإغاثة وإنقاذ المجتمع من"حضيض الجهل" بتجاوز الخلافات التي بينهم"، "وهكذا تكون الوحدة وينمو الجمع وتعظم القوّة، فمتى علم الجميع أن لا بدّ من النهوض، وأخذ كلّ يفكّر في سبل التخلّص والنجاة، وعلم أن لا سبيل إلى ذلك إلاّ بالتعاضد والتعاون، وأنّ قوّة الجمع نافذة تذلّل جميع الصعوبات وتقف دونها النوائب والمدلهمات (...)، فمتى علم كلّ هذا تيقّن أنّ الاتحاد ضروري وأن لا نجاة ولا نجاح بدونه، لاسيّما وأنّ الله جل وعلا قال: (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) [آل عمران : 103] وأنّ المصطفى عليه أزكى الصلاة والسلام قال: (وإنّما يأكل الذئب من الغنم القاصية) [أخرجه أبو داود (547)، والنسائي (847)، وأحمد (21710)] " (الفرقد، 1937، 14).

هذا هو مفهوم الوحدة في فكر الفرقد، الاتّفاق على صلاح الأمّة وخيرها وجعل ذلك فوق كلّ اعتبار، والتخلّي عن الخلافات الثانويّة أو الشخصيّة مع عدم اشتراط ذوبان الجميع في بوتقة واحدة لأنّ الاختلاف سنّة من سنن الله، لكنّ توحيد شمل الأمّة على الحقّ واجب على الجميع طبقا لتلك السنن.

يُنمّ حرص الفرقد على ضرورة توحيد شمل الأمّة عن إدراكه العميق لواقع الجزائر في ظل الاحتلال الفرنسيّ، هذا الأخير الذي كان يخدمه كثيرا تفرّق

شمل الجزائريّين، بل كان يعمل على ترسيخ ذلك ليسهل عليه التحكّم فيهم. ويُعتبر الفرقد من أبرز المفكّرين الجزائريّين الذين نادوا بالوحدة بين أبناء الوطن المستعمَر، لأنّ ذلك يعتبر السبيل الأمثل لخلاصهم من الاستعمار، وخير ضمان لنجاحهم في عهد الاستقلال.

3.3. - المطالبة بحقوق الجزائريين الأساسية

اغتنم الفرقد كل فرصة سانحة لتذكير الاستعمار الفرنسي بضرورة منح الجزائريين حقوقهم الأساسية في الحياة، فبعد مرور 12 سنة من نهاية الحرب العالمية، وبمناسبة الأزمة الاقتصادية العالمية سنوات 1929 -1930، فقد انتقد السياسة الاستعمارية أولا وذكّرها بأن الأهالي الجزائريين يعانون الأمرّين حتى قبل الأزمة العالمية بسبب سيطرة المستعمر عليهم، وقدّم كل ذلك على شكل أسئلة موجّهة إلى الأهالي استنهاضا لهممهم، وللمستعمِر بشكل غير مباشر: "هل توافق مصلحة الأهلي الاقتصادية مصلحة المستعمر في هذه البلاد؟ ومن هو المستعمِر؟ وما يعني الاستعمار؟ وما هو سبب وجود الأجانب المستعمرين في وطننا معشر الأهالي؟ وأي الحالتين أنفع للمستعمرين هل هو فقر الأهالي وتأخرهم أم غناهم وتقدمهم؟ وما هي أعمال المستعمرين منذ مائة عام في القطر الجزائري؟ وكيف كانت حالة الأهلي الاقتصادية قبل الاحتلال؟ قارن بين حالتيه قبل الاحتلال وبعده؟ كيف يكون مئال [كذا] الأهالي نظرا لحالتهم في الماضي ولحالتهم الراهنة؟"

ثم يذكّر فرنسا بما يجب عليها على الأقل مقابل عشرات الآلاف من الجزائريين الذين قضوا في الحرب العالمية إلى جانب فرنسا: "إننا نتكلم بعد مضي 12 سنة على الحرب الكبرى ولنا الحق أن نلقي هذه الأسئلة على الأهالي لأننا في هذه المدة كلها (12 سنة) نترجى أن تتحسن حالتنا وأن ينال الجزائريون حقوقا تضمن لهم حياة سعيدة ومعيشة رغيدة في مقابلة فلذات أكبادهم الذين قدموهم ضحايا لأجل فرنسا (...) وفي كل سنة في مثل هذا اليوم يوم الهدنة المشهور تتقدم الصحافة العربية بافتتاحية في موضوع الهدنة ولكن كل مقالة طالعتها لا تجد فيها ما ينبيك عن تحسن حالة الأهالي منذ 12 سنة بل لا تجد فيها إلا ما يزيدك حزنا وأسى ورثاء لحظّنا في بلادنا !" (الفرقد، 1930/11/18).

طبعا، فإن المطالبة بكل الحقوق الأساسية للجزائريين في بلادهم كان مطلبا أساسيا لجميع توجهات الحركة الوطنية، مع تفاوت بينها بالميل نحو الاندماج أو إلى الاستقلال طبعا. وعلى الرغم من أهمية الصحف العربية بالنسبة للجزائريين فإن الفرقد لم يتوان عن انتقادها عندما تتأخر عن أداء واجبها، وهو ما سنتطرق إليه فيما يلي.

4.3. - دور الصحافة الوطنية وواجب الدفاع عنها

في مقال له في الأعداد الأولى لصحيفة صدى الصحراء، بارك الفرقد ميلاد هذا المنبر الجديد الذي يخلف الصحف التي أُجهِضت، تلك التي كانت تصارع من أجل البقاء في الجزائر المستعمرة، وبالخصوص صحف أبي اليقظان التي كان يكتب فيها مدافعا عن حقوق الجزائريّين المحرومين من حقوقهم الطبيعيّة في الحياة، وممّا قاله في هذا الصدد: "زئرتِ من بطون تلك البيداء أيتها اللبؤة لتبلّغي أصوات مواطنيك إلى المراكز الحكوميّة التي غالبا ما يعتريها صَمَم، ولو كانت الأفواه على أبوابها صارخة".

وعن الصحف التي تعرّضت للغلق قال: "علم الله ما لقيتا تينك الشهيدتين من العراقيل. أتيتا في حلل بديعة لم يعهد بهما الجزائري المسكين ! والعناء في سيرهما وذلك لأنّهما أتيتا بصبغة تقشعرّ منهما صحف الاستعمار وجلود المستعمرين ! أتيتا بفكرة تناقض مبادئ الاستعمار، الجشع من جهة وعوائد المفسدين وأصحاب الأغراض من جهة أخرى ! أجل، أتيتا بنور ساطع يعمي الأبصار المريضة ويطمس العيون الخائنة ويكشف للملأ اللصوص المختفية تحت الظلام !".

ثم يضيف عن خطورة دور الصحافة ما يلي: "علم الخصوم أنّ الصحافة قادرة على إحداث أيّ انقلاب في الأمّة مهما كان صبغته، وعلموا أيضا أنّ الصحف العربيّة الحرّة لا تعمل إلاّ لإحداث ثورة فكريّة حتى يكون المسلم على بيّنة من واجباته ويعلم ما له وما عليه !".

وفي آخر المقال حدّد الفرقد للصحافة نوعين من المقاومة: "المقاومة الداخليّة وهي مقاومة الخونة الذين يبيعون دينهم ومواطنيهم بأبخس ثمن ومقاومة البدع والضلالات التي لا تدخل تحت حصر (...). والمقاومة الخارجيّة وهي ردّ ومواجهة –بصدر من حديد – ومصادمة أعداء الحقّ والانسانية. أولئك الذين

تظهر نواياهم السيّئة في نفثاتهم المسمومة والمبثوثة –غالبا - بواسطة صحف الاستعمار" (الفرقد، 1926).

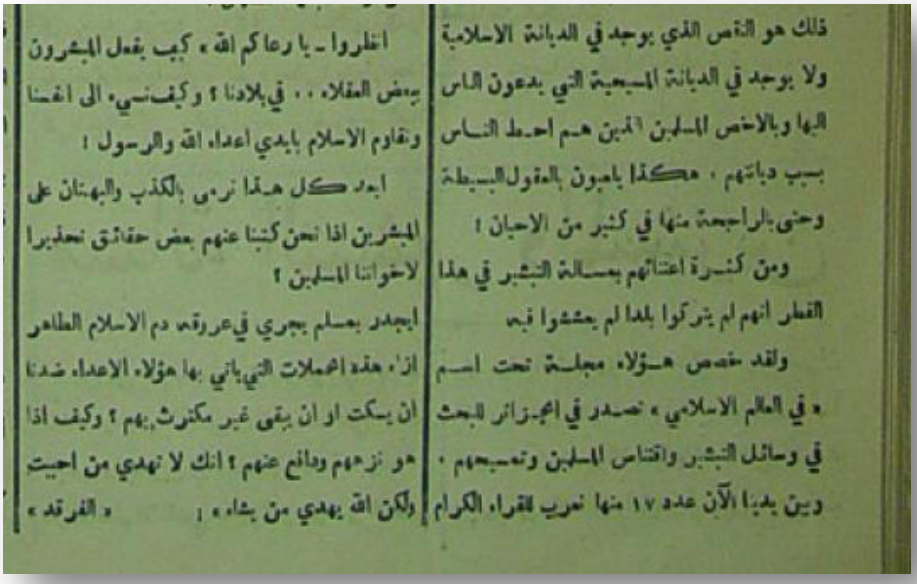
وفي مقال آخر تحت عنوان: "المسائل الأهلية" والذي نشره في جريدة وادي ميزاب انتقد الفرقد "اقتراح بعض النواب الفرنسيين إلغاء الصحافة الجزائرية وخنق ذلك النفس الضئيل" بتهمة "التحريش وإثارة الفتنة"، كما انتقد من يؤيدون هذا الطرح من بعض الجزائريين، وذكر السبب الحقيقي الذي دفع إلى اقتراح إلغاء الصحف الوطنية، وهو أنها تزعجهم لأن دأبها "كشف اللثام عن أغراض بعض اللئام الذين دأبهم نصب الشرك والدسّ والخيانة والغدر والمكر والفتك بالأمة الجزائرية" (الفرقد، 1927/09/30).

تعكس التحدّيات التي بيّنها الفرقد في مقاله واقع الصحافة الجزائرية في بداية القرن العشرين، ثم ما عليها اتجاه الواقع الصعب الذي يميّزه التخلّف الفكري نظرا لتراجع الوعي لدى عامّة المجتمع، حيث غلب الجهل بسبب تراجع التعليم خصوصا. كما أكّد الفرقد على الصحافيّين الجزائريّين ضرورة مواجهة الصحافة الاستعماريّة أو الأقلام الانتهازيّة الخادمة له من الجزائريّين أنفسهم ممّن باعوا ضمائرهم.

وفي آخر مقاله جدّد الفرقد حرصه وتأكيده على "الصحف العربيّة الحرّة انتهاز الفرص والعمل بجدّ وثبات لأنّ الأوقات نفيسة والحوادث تِلو الأخرى تصادمنا ولا تنسَ أيضا تأخّرنا بما يناهز قرنا كاملا" (الفرقد، 1926).

رغم ما تلاقيه الصحافة من قهر استعماري عندما تصدح بالحق، فإنّ الفرقد شدّد على ضرورة مواصلة الطريق، وعدم اليأس، وكان دائما يندّد بذلك مثل ما كتبه في الصحافة وكلّفه متابعات الإدارة الاستعمارية بخصوص فضح أساليب المنصّرين المسيحيّين في العالم الاسلامي وفي الجزائر على الخصوص، وتساءل قائلا: "أَبَعْدَ كلِّ هذا نُرمَى بالكذب والبهتان على المبشرين إذا نحن كتبنا عنهم بعض حقائق تحذيرا لاخواننا المسلمين؟" (الفرقد، 1928).

الشكل 01: صورة لمقتطف من مقال الفرقد حول التنصير في العالم الإسلامي والجزائر



ذلك هو النقص الذي يوجد في الديانة الاسلامية
ولا يوجد في الديانة المسيحية التي يدعون الناس
اليها وبالاخص المسلمين الذين هم احوط الناس
بسبب دياناتهم . هكذا يأمرون بالعقول البسيطة
وحتى بالراجحة منها في كثير من الاحيان !
ومن كثرة اعتنائهم بمسألة التبشير في هذا
القطر انهم لم يتركوا بلدا لم يمشوا فيه
ولقد خصص هؤلاء مجلة تحت اسم
« في العالم الاسلامي » تصدر في الجزائر للبحث
في وسائل التبشير واقتناص المسلمين وتمسيحهم .
وبين يدينا الآن عدد ١٧ منها نعرب للقراء الكرام

اظنروا - يا رعاكم الله - كيف يفعل المبشرون
ببعض العقلاء .. في بلادنا ؟ وكيف نسعى الى اغضا
وتقاوم الاسلام بايدي اعداء الله والرسول !
ابعد كل هذا نرمى بالكذب والبهتان على
المبشرين اذا نحن كتبنا عنهم بعض حقائق تحذيرا
لاخواننا المسلمين ؟
ايجدر بمسلم يجري في عروقه دم الاسلام الطاهر
ازاء هذه العملات التي يأتي بها هؤلاء الاعداء ضدنا
ان يسكت او ان يبقى غير مكترث بهم ؟ وكيف اذا
هو نزعهم ودافع عنهم ؟ انك لا تهدي من احببت
ولكن الله يهدي من يشاء » .

« الفرقد »

المصدر: جريدة وادي مزاب، 18 ماي 1928، العدد: 83.

وقد عارض الفرقد أيضا التعليم الذي كان الآباء البيض يقدمونه لأبناء المسلمين في وادي مزاب وفي غيره، حيث قال: إن تسليم أبنائنا وتركهم بيد أيدي هؤلاء تعبث بهم بجناية على الدين الإسلامي المقدس وعلى مستقبل الأمة الإسلامية (...) أنقذوا أبناءكم أيها المسلمون وأسسوا لهم مئاوي لتربيتهم وتعليمهم وأدخلوهم المدارس وافتحوا لهم المعامل وعلموهم الصنائع ولا تهملوهم فإنهم هم الخلف (...)" (الفرقد، 1927/11/17). هكذا كانت رسالة الصحافة بالنسبة للفرقد، لاستنهاض الهمم والتحذير من مكائد الاحتلال.

وفي قضية أخرى، اغتنم الفرقد مناسبة موافقة المجلس البلدي لمدينة الجزائر يوم 21 نوفمبر 1930 على اقتناء كتاب لمؤلف باريسي "م. جان لون بمبلغ 5000 فرنك وهو ثم 500 نسخة، وهذا جون لون هو مبعوث جريدة الطان الباريزية الكبرى الذي قضى مدة إقامة الاحتفال المئوي في القطر الجزائري"، حيث رفض طلبه النواب المسلمون ومن بينهم "حضرة الدكتور الماهر تامزالي والسيد حدو والسيد شكيكن"، حيث تحفظ السيد حدو مثلا على شراء الكتاب على أساس أن الكتب التي يؤلفها مؤلفو الجزائر الفرنسيون –وقد ذكر

بعضهم - أولى بالاقتناء، وهنا عقّب الفرقد على السيد حدو: "لا يعزب عن جنابكم يا حضرة النائب المحترم والمحامي الماهر أن التآليف الفرنسوية سواء كانت جزائرية أم غير جزائرية ترمي إلى غاية واحدة وهي التنويه بمهمة الاستعمار الفرنسي في هذه البلاد (...) ولأجل هذا وذاك فأنا أعتبر كل كتابة في المسائل الأهلية صادرة من كاتب أروبي هي في الغالب باطلة وزائفة لا تستحق الالتفات والاعتبار فإن في الكتب والجرائد والمجلات العربية ما يكفينا وغيرنا من الأجانب للإطلاع على حقيقة هذا الوطن المسكين" (الفرقد، 5/3/1931).

5. - القضية الفلسطينية واستقلال الجزائر

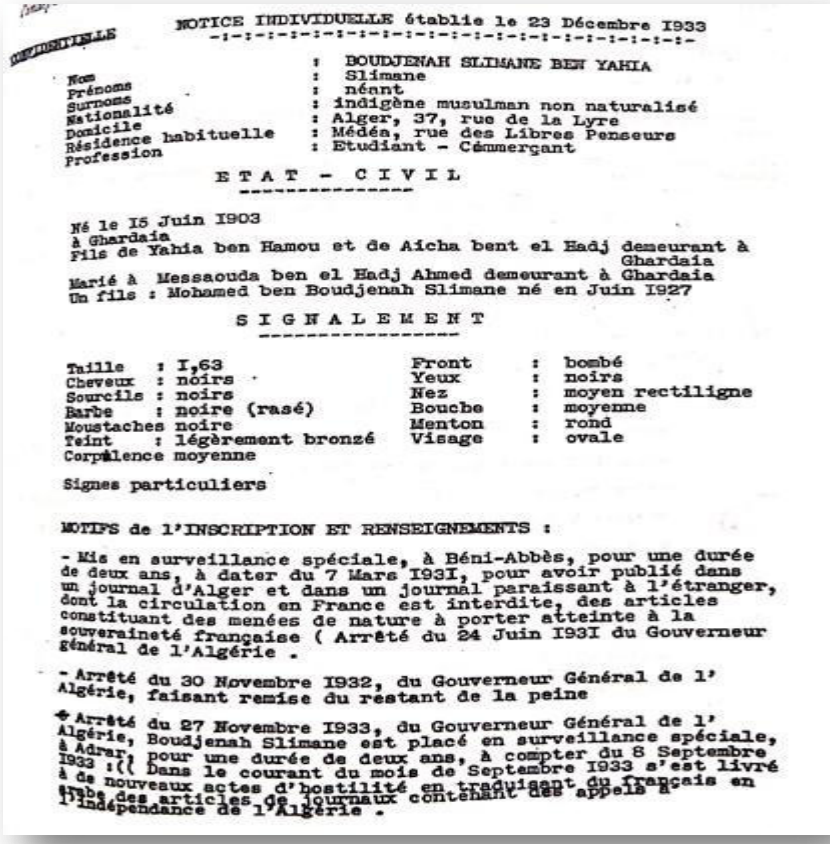
رغم حالة الجزائر المحتلّة، وجسامة التحديات التي تفرضها الحالة الاستعماريّة، إلا أن القضية الفلسطينيّة كانت في صميم اهتمامات الجزائريّين ولاسيّما النخبة منهم، حيث ساهمت بالقلم خصوصا في الدفاع عن هذه الأرض المقدّسة والمغصوبة، ففي المقال الأخير الذي تناول فيه الفرقد الحديث عن المنصّرين، بدأه أوّلا بتنديده بالمؤتمر الذي عزم المنصّرون على عقده في القدس، حيث تتبّع أخباره وحاول تبصير الجزائريّين بواقع الإسلام والمسلمين في القدس وربطهم بهذا القطر المقدّس لدى كلّ المسلمين، حيث كتب على صفحات جريدة وادي مزاب للشيخ أبي اليقظان: "إنّ ما يُتَحَدّث به اليوم في الجرائد العالميّة والجرائد الشرقيّة خاصّة هي مسألة التبشير والمبشرين في البلاد الإسلاميّة. ولقد أثار هؤلاء العالم الإسلامي عليهم إثر مؤتمر فلسطين وقد أرادوا عقده للمؤامرة ضدّ الإسلام. غير أنّ الأنباء الأخيرة بشّرتنا بعدم نجاح مأموريّتهم بما قام به المسلمون من الاحتجاجات والمظاهرات (...)".(الفرقد، 1928).

وعن دور الفرقد في الكتابة عن موضوع المبشرين يقول الدكتور محمد ناصر ما يلي: "ونحسب وفقا لما انتهينا إليه بين أيدينا من مقالات أن الكاتب الفرقد هو أول الكتاب الجزائريين عناية بالموضوع، وأجرؤهم على تحمل تبعات الهجوم على المبشرين فقد حمل القلم ضدهم حارا يدفعه حماس الشباب الثائر وهو لا يزال طالبا ثانويا (...)" (ناصر، 2007، صفحة 144).

وتبقى القضية الأساسيّة التي كان الفرقد يحاكم بسببها من طرف القضاء الاستعماريّ، هي تطرّقه إلى موضوع "استقلال الجزائر"، وما أدراك ما

هذا الموضوع الذي كانت السلطات الاستعمارية تابع وتعاقب كل من تجرّأ على طرحه في هذه الفترة العصيبة من تاريخ الجزائر على غرار أعلام التيار الاستقلالي وعلى رأسه مصالي الحاج. أما بالنسبة للفرقد فإن الوثيقة التالية تظهر بوضوح نظرة إدارة الاحتلال إليه، وهو عبارة عن التقرير الخاص بسليمان بوجناح في الدفتر B:

الشكل 2: سليمان بوجناح في الدفتر B للشخصيات الخطيرة



CONFIDENTIELLE

NOTICE INDIVIDUELLE établie le 23 Décembre 1933

Nom : BOUDJENAH SLIMANE BEN YAHIA
Prénoms : Slimane
Surnoms : néant
Nationalité : indigène musulman non naturalisé
Domicile : Alger, 37, rue de la Lyre
Résidence habituelle : Médéa, rue des Libres Penseurs
Profession : Etudiant - Cémmerçant

ETAT - CIVIL

Né le 15 Juin 1903
à Ghardaia
Fils de Yahia ben Hamou et de Aicha bent el Hadj demeurant à Ghardaia
Marié à Messaouda ben el Hadj Ahmed demeurant à Ghardaia
Un fils : Mohamed ben Boudjenah Slimane né en Juin 1927

SIGNALEMENT

Taille : 1,63
Cheveux : noirs
Sourcils : noirs
Barbe : noire (rasé)
Moustaches noire
Teint : légèrement bronzé
Corpulence moyenne
Front : bombé
Yeux : noirs
Nez : moyen rectiligne
Bouche : moyenne
Menton : rond
Visage : ovale

Signes particuliers

MOTIFS de l'INSCRIPTION ET RENSEIGNEMENTS :

- Mis en surveillance spéciale, à Béni-Abbès, pour une durée de deux ans, à dater du 7 Mars 1931, pour avoir publié dans un journal d'Alger et dans un journal paraissant à l'étranger, dont la circulation en France est interdite, des articles constituant des menées de nature à porter atteinte à la souveraineté française (Arrêté du 24 Juin 1931 du Gouverneur général de l'Algérie .

- Arrêté du 30 Novembre 1932, du Gouverneur Général de l' Algérie, faisant remise du restant de la peine

- Arrêté du 27 Novembre 1933, du Gouverneur Général de l' Algérie, Boudjenah Slimane est placé en surveillance spéciale, à Adrar, pour une durée de deux ans, à compter du 8 Septembre 1933 :((Dans le courant du mois de Septembre 1933 s'est livré à de nouveaux actes d'hostilité en traduisant du français en arabe des articles de journaux contenant des appels à l'indépendance de l'Algérie .

المصدر:

Gouvernement générale de l'Algérie, Territoire du Sud, Inscrit au carnet B des suspects, Notice individuelle, 1933.

نقلا عن:

Salah Bendrissou, (2017), 255.

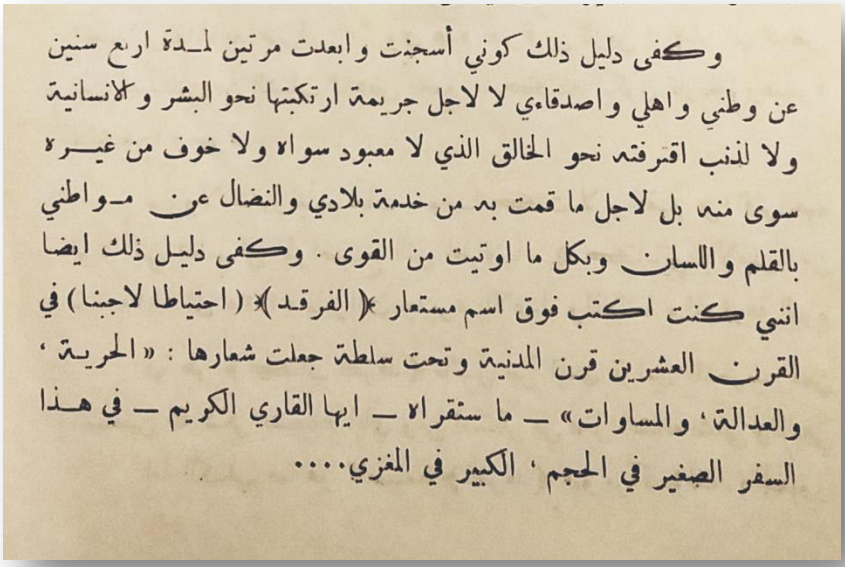
4. - الخاتمة

يعتبر الفرقد نموذجا لأولئك المفكّرين الجزائريّين الوطنيّين المتشبّعين بفكر الإصلاح، والعاملين النشطين في سبيل إعلاء كلمة الحقّ بالأساليب السياسيّة الحديثة آنذاك ولاسيّما الصحافة التي اعتبرها بادرة من بوادر رقيّ الأمّة خاصّة إذا كانت بلغتها، بالإضافة إلى ما تغرسه "في نفوس الناشئة من الغيرة و الشجاعة و تنمّي إحساساتها وتقوّي شعورها (...) وتذكّرها في ما لها وما عليها حيث تؤكد على كلّ مسلم وعلى الجزائريّ بالأخصّ أن لا يتنازل وأن لا يتسامح في حقّ من حقوقه (...) الطبيعيّة المهضومة ظلما وعدوانا" (الفرقد، 1937، 50).

وإيمانا منه بأهمّية الصحافة ودورها في توعية المجتمع، فقد كتب الفرقد الكثير المقالات الصحفية التي نشرها في مختلف الصحف الوطنية آنذاك، والتي تعكس مدى نموّ الوعي الوطني لدى الوطنيّين الجزائريّين في زمن كان الحديث عن الوطنيّة والحثّ عليها من الجرائم التي يعاقب عليها القانون، وهو ما حدث له بالفعل. وحول ما لاقاه في جهاده الصحفيّ يقول الفرقد سنة 1937 في كتابه ما يلي:

"سُجِنْتُ وأُبْعِدتُ مرّتين لمدّة أربع سنين عن وطني وأهلي وأصدقائي، لا لأجل جريمة ارتكبتها نحو البشر والإنسانيّة، ولا لذنب اقترفته نحو الخالق الذي لا معبود سواه، ولا خوف من غيره سوى منه، بل لأجل ما قمت به من خدمة بلادي، والنضال عن مواطني بالقلم واللسان، وبكلّ ما أوتيت من القوى. وكفى دليل ذلك أيضا أنّني كنت أَكْتُبُ فوق اسم مستعار (الفرقد)؛ احتياطًا لا جُبنًا في القرن العشرين، قرن المدنيّة، وتحت سلطة جعلت شعارها: "الحريّة، والعدالة، والمساواة" (الفرقد، 1937، 07).

الشكل 3: مقتطف من كتاب الفرقد يلخص فيها فحوى نضاله ضد الاحتلال



وكفى دليل ذلك كوني أسجنت وابعدت مرتين لمدة اربع سنين عن وطني واهلي واصدقاءي لا لاجل جريمة ارتكبتها نحو البشر والانسانية ولا لذنب اقترفته نحو الخالق الذي لا معبود سواه ولا خوف من غيره سوى منه بل لاجل ما قمت به من خدمة بلادي والنضال عن مواطني بالقلم واللسان وبكل ما اوتيت من القوى . وكفى دليل ذلك ايضا انني كنت اكتب فوق اسم مستعار ﴿الفرقد﴾ (احتياطا لاجبنا) في القرن العشرين قرن المدنية وتحت سلطة جعلت شعارها : «الحرية ، والعدالة ، والمساوات» — ما ستقراه — ايها القاري الكريم — في هذا السفر الصغير في الحجم ، الكبير في المغزي....

المصدر: الفرقد، 1937، ص07.

وعليه لا يزال مجال البحث في كتابات الفرقد مفتوحا للباحثين، وذلك بتتبّع مقالاته غير المنشورة والتي كتبها في الصحف التي كانت تصدر بالجزائر أو في الخارج. وكذلك الأمر للمقالات التي كتبت عنه رغم قلتها آنذاك، وذلك بسبب الخوف من المحاسبة من طرف الإدارة الاستعمارية.

المراجع

باللغة العربية:

- أوجانة علي، 2020، الوطني الثائر سليمان بن يحي بوجناح، جمعية التراث القرارة – غرداية – الجزائر.
- البصائر، العدد: 144، 1938/12/16.
- حواش مصطفى، 2008، بوجناح سليمان بن يحي الفرقد، المطبعة العربية، غرداية.
- سعد الله أبو القاسم، 1998 (1)، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء 04، الطبعة 01، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان.
- سعد الله أبو القاسم، 1998 (2)، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء 08، الطبعة 01، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان.
- ناصر محمد، 1980، أبو اليقظان وجهاد الكلمة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.
- ناصر محمد، 2007، المقالة الصحفية الجزائرية نشأتها، تطورها، أعلامها، من 1903 إلى 1931، وزارة الثقافة، الجزائر.
- الفرقد سليمان بوجناح، 1937، كتاب الفرقد، مطبعة شاراس (Charras)، الجزائر.
- الفرقد، علماؤنا اليوم، المنتقد، العدد: 17، 1925/10/22.
- الفرقد سليمان بوجناح، 1926، صدى الصحراء وواجبات الصحافة العربية، جريدة صدى الصحراء، العدد 6، 11 جانفي 1926.
- الفرقد سليمان بوجناح، جريدة وادي مزاب، العدد: 51، 1927/09/30.
- الفرقد سليمان بوجناح، جريدة وادي مزاب، العدد: 57، 1927/11/17.
- الفرقد سليمان بوجناح، جريدة وادي مزاب، العدد: 83، 18 ماي 1928.
- الفرقد سليمان بوجناح، جريدة المغرب، العدد: 25، 1930/11/18.
- الفرقد سليمان بوجناح، كيف تذهب المصالح الأهلية، جريدة المغرب، العدد: 35، 1931/3/5.
- الفرقد سليمان بوجناح،1973، مقابلة شخصية مع الأستاذ أحمد فرصوص، إجابة على أسئلة د.محمد ناصر، بالجزائر العاصمة، يوم: 23 سبتمبر 1973.
- مجموعة مؤلفين، 1999، معجم مصطلحات الإباضية، ، جمعية التراث، غرداية.

باللغة الفرنسية:

- Ben siam Mohamed, "Jours d'épreuve", Akhbar, N. 13762, Dimanche 30 Août 1914.
- L'Humanité, N° 12936, Jeudi 17 Mai 1934.

- Augustin Jomier, 2015, Un réformisme islamique dans l'Algérie coloniale : oulémas ibadites et société du Mzab (c. 1880 - c.1970). Histoire. Université du Maine, France.
- Salah Bendrissou, (2017), Le nationalism au Mzab au lendemain de la premierre guerre mondiale d'apres deux etudes inédites, Edition Al-Rostomia, Ben-Isguen-Ghardaia-Algérie.

مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ر ت م د: 7163 -1112 ر ت م د إ:2588-1892
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2

القاعدة البشرية المؤسّسة لحاضرة تيهرت الرّستمية ودورها السياسي والمذهبي في المغرب الأوسط.

The founding human base of Thuhoor Rustumiya and its political and denominational role in the central Maghreb

فطيمة مطهري[1] ، ابراهيم مشراوي[2]

1- كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية/جامعة أبي بكر تلمسان،
bentalhafatima@yahoo.fr

2- كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية/جامعة أبي بكر تلمسان،
brahimmechraoui2@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/03/19 تاريخ القبول: 2021/10/03

ملخص -

لاشك أن الرعية ظلت بربرية في غالبيتها طيلة الحكم الرستمي للمغرب الأوسط، وقد أشارت جل المصادر إلى مكانة القبائل البربرية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والحضارية في المجتمع الرستمي؛ فإنجاز العاصمة **تيهرت** كان إنجازا بربريا محضا، وكانت أهم حوافز وأسباب الإمام عبد الرحمن بن رستم في اختياره لموقع **تيهرت** كعاصمة لدولته الجديدة في المغرب الأوسط، هي حوافز قبلية سياسية ومذهبية.

لقد كانت القاعدة البشرية لمدينة تيهرت الرستمية؛ إذن محلية بربرية؛ فالرعية كما ذكر ابراهيم بحاز ظلت بربرية في غالبها طيلة حكم الرستميين، وعلى حد تعبير جورج مارسي فإن مدينة تيهرت كانت تتوسط بلاد البربر.

وسنحاول إبراز وتتبع مساهمة القبائل البربرية في قيام الدولة الرستمية، وتدعيم أركانها والمكانة التي اكتسبتها في ظل هذه الدولة منذ بداية تأسيسها عام 144هـ إلى غاية سقوطها واندثارها عام 296هـ.

الكلمات الدالة: المغرب الأوسط؛ حاضرة تيهرت؛ الرستميون؛ البربر؛ القبيلة؛ السلطة؛ المذهب الإباضي؛ المجتمع .

المؤلف المرسل: فطيمة مطهري: bentalhafatima@yahoo.fr

Abstract:

Certainty, according to what references indicated, the Berber tribes played a leading role and a prominent position in the central Maghreb under the RUSTUMID reign in the different politic, economic, social and civilized fields.

The Condtruction of the capital TIHERT was purly Berber, the major reasons for El imam ABD ERRAHMANE Ibn RUSTOM of his choice for the situation of TIHERT as a capital of his new state in the central MEGREB were politic, doctrinal and tribal.

The human base for TIHERT city of RUSTUMIDS was local and Berber ,as Ibn BEHAZ mentionned the population was almost Berber during the RUSTUMID reign, George MARCAIS indicated that TIHERT mediated the Berber state.

Now, we will try to show and follow the IMPUT of the Berber tribes in the construction of the RUSTUMID state and the consolisation of its staff as well as its status acquired under this reign, since the establishement of the state in 144h until its falling and disappearance in 296h.

Key words:

* Middle Maghreb; Metropolis- TIHERT; Rustumids; Berber; Tribe; Authority; Ibadi- Doctrine; Community

مقدمة

حقيقة وحسب ما أشارت إليه جلّ المصادر أن الرعية ظلت بربرية في غالبيتها طيلة الحكم الرستمي للمغرب الأوسط، وأن القبائل البربرية مثلت دورا رياديا ومكانة بارزة في المغرب الأوسط في ظل هذا الحكم؛ وفي مختلف الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية والحضارية؛ فإنجاز العاصمة تيهرت كان إنجازا بربريا محضا، ومن هذا المنطلق يمكن تفسير قول الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم (الإمام الرستمي الثاني): " إنما قام هذا الدين بسيوف نفوسة وأموال زناتة "، وقبائل أخرى كثيرة كان لها الفضل في تأسيس الحكم الرستمي وتثبيت دعائمه ومنها قبيلة لماية، ولواتة مما دفع عبد الوهاب إلى مصاهرتها، وقبيلة هوارة وزواغة ومزاتة وصدراتة وغيرها، وكانت أهم حوافز وأسباب الإمام عبد الرحمن بن رستم في اختياره لموقع تيهرت كعاصمة لدولته الجديدة في المغرب الأوسط، هي حوافز قبلية سياسية ومذهبية.

وفي هذا البحث سنحاول إبراز مساهمة القبائل البربرية في قيام الدولة الرستمية منذ تأسيسها إلى غاية اندثارها ، وكيف دعمت أركانها والمكانة التي اكتسبتها في كيان الحكم الرستمي في شتى الميادين السياسية والحضارية عموما؛ وما هي أسباب وعوامل لجوء عبد الرحمن بن رستم إلى موضع تيهرت هذه الحاضرة التي ستصبح ثاني عاصمة بعد القيروان في المغرب الإسلامي وأوّل عاصمة لأوّل دولة مستقلّة في المغرب الأوسط (الجزائر).

وقبل الحديث عن مدى مساهمة القبيلة البربرية ودورها في قيام الدولة الرستمية منذ تأسيسها إلى غاية اندثارها، يجب علينا إبراز عوامل لجوء عبد الرحمن بن رستم إلى موضع تيهرت هذه الحاضرة التي ستصبح ثاني عاصمة بعد القيروان في المغرب الإسلامي وأوّل عاصمة لأوّل دولة مستقلّة في المغرب الأوسط (الجزائر).

1. - أهمية موقع حاضرة تيهرت وأسباب اختياره كعاصمة للدولة الرستمية:

1.1. - أصل التسمية ومعانيها:

لقد عرفت مدينة تيهرت تسميات عديدة تناقلتها المصادر التاريخية والمراجع من أهمها اسم تيهرت (أبو زكرياء يحيى، 1982، ص888) وهو السائد في معظم المصادر، ونجد أيضا اسم المعصومة والقصبة، وأطلق عليها أيضا اسم أم العسكر (G.Dangel ; 1977 ; P246.)، والعسكر المبارك، وقلعة عبد الرحمن أما في فترة عبد الوهاب بن عبد الرحمن فسميت بالعسكرية (G.Dangel ; 1977 ; P246.) ، ويقول الشماخي:"وكانت تيهرت مدينة عظيمة بناها عبد الرحمن بن رستم في موضع مربع؛ لذا سميت تاقدمت وتفسيرها الدف"(الشماخي، د.ت، ص146 -147).

نشير إلى أن اسم تيهرت الذي عرفت به المدينة اختلف الباحثون في أصله ومعناه الحقيقي، وتضارب العلماء في مصدره وإلى أية لغة يمكن إرجاعه، فذهب الباحثان إليس راكلس وماك كرتي(Brahim Zerrouki; 1976; P28) أن تيهرت كلمة بربرية وتعني بالنسبة له "محطة" و قد يكون لهذا التعريف صلة بوجود محطة قطار تعود للفترة الاستعمارية أو لكونها مثلت محطة وملتقى القوافل التجارية القادمة من مختلف الاتجاهات من تونس شرقا ومن فاس

وتلمسان وغيرها غربا والصحراء جنوبا، ولا شك أن تيهرت لعبت هذين الدورين منذ العهد الروماني فالرستمي حتى يومنا هذا، وهما يشيران بوضوح إلى دور تيهرت التجاري بين الشمال والجنوب والشرق والغرب(إبراهيم بحاز،1993، ص90).

بينما الأب دوفوكو(Brahim Zerrouki; 1976; P28)؛ فيرى أن كلمة تيهرت جذرها بربري وهو "إهر و يعني "سد الفتحة" في حين يلاحظ بلكران(Pellegrin.A ; P49) أن كثيرا من أسماء مدن الجزائر هي مؤنث لأسماء حيوانات فاسم الأسد يوجد في البربرية في حالتين جذرهما (آر) وبجمع (إرن) - (إرد) وبجمع (إردن) تأنيثه (ترت) أو تيهرت قد يكون لهذا التفسير علاقة مع الأسطورة التي تذكر أن عند تحضير الأرض للبناء "نادى مناد بسباعها ووحوشها و هوامها أن أخرجوا فإنا أردنا عمارة هذه الأرض فأجلوها ثلاثة أيام(أبو زكرياء يحيى، 1982، ص53)، وبلغنا أنهم رأوا وحوشها تحمل أولادها خارجة بها منها وقيل رأوا لبؤة حاملة أولادها خارجة منها فقد يكون لهذه الأسطورة أثرها في تفسير بلكرن خاصة إذا علمنا أنه التفسير المتداول بين الناس حاليا في المنطقة وغيرها لذا رجحنا هذا التفسير عن غيره.

لكن مهما يكن من أمر فإن المدينة عرفت شهرتها بعمارتها وازدهارها لا بما تحمله من معان لأسمائها، فابن خلدون مثلا ذكرها بتاهرت دون أن يعلق على هذه الصيغة، وكذلك الأمير عبد القادر ما عدا مرتين باسم تيارت(وهي تسمية حديثة بدأ في استعمالها منذ الفترة الاستعمارية الحديثة وهي نطق لهجي جاء من الكتابة الفرنسية للكلمة حيث كانت على النحو التالي (Tiharet)، وحيث أن (H) لا تنطق عند الفرنسيين، لذا كان نطقها لديهم تيارت، فأخذ الجزائريون عنهم هذا النطق بسبب المعاملات الإدارية والاستعمارية والكتابات على الألواح والإعلانات(حبيب خنفار،2007 -2008، ص3)، ويذكر الباروني أنه رأى عملة نحاسية صغيرة لا إتقان في نقوشها فوقها ورقة فيها هكذا (تاقدامت1255) وبجنبها ورقة أخرى فيها اسم الأمير عبد القادر... وقد بنى بتيهرت بعض بناء لما نوى أن يجعلها مركزا لحكومته، ولم يطل أمره ولعله ضرب تلك العملة (سليمان الباروني،2002، ج2، ص36)، وتسمية" تاقدامت" يسوقها لنا البكري ويفسر معناها بقوله:" ونزل عبد الرحمن موضعا مربعا لا

شعراء فيه، فقال البربر نزل تاقدامت تفسيره الدف، شبهوه بالدف لتربيعه" (البكري، 1965، ص68)، وتؤكد هذا التفسير المعاجم البربرية والقبائلية مثل المعجم الفرنسي - البربري والمعجم الفرنسي - القبائلي(عبد القادر دحدوح،2008، ص57)؛ وهناك تفسير ثان لكلمة تاقدامت يتزعمه الحسن الوزان حيث يقول بأن اسم تاقدامت يعني "قديم" أطلق عليها لوجود آثار قديمة بها(الحسن الوزان،1983، ج2،ص40)، ويؤيده في هذا التفسير جورج مارسي ودوسوس لامار في قولهما بأن "تاقدامت" هي تأنيث بالبربرية للكلمة العربية "قديم" والتي تعني عتيق باعتبار أن الموقع يحتوي على آثار رومانية قديمة (G) Marçais et (D) Lamar,1946;P36). أما ابراهيم بحاز وهو من المحدثين فيرى أن الصيغة الصحيحة هي تيهرت وأنها حرفت بمرور الزمن(إبراهيم بحاز،1993، ص90، أحمد - بوزيان، 2006، ص12 -13).

1 .2. - أهمية موقع تيهرت ودوافع اختياره:

لقد طرح العديد من المؤرخين عدة أسئلة لم تجد لديهم الرد اللازم عليها والمتعلقة أساسا بأسباب اختيار عبد الرحمن بن رستم لتيهرت دون غيرها من المدن، ويمكننا أن نتساءل لماذا أهمل عبد الرحمن بن رستم المدينة العتيقة الواقعة قريبا من تيارت الحالية والتي كانت محصنة بقلعة وبجدارين ضخمين، وكانت تتمتع بموقع حصين ممتاز ليستقر على مسافة ثمانية كيلومترات غربي المدينة القديمة؟ فهل اختار الأمير الرستمي الأول موقعا بكرا جديدا لم يسبق إليه يؤسس فيه عاصمة آملا في تخليد ذكراه كما صنع سلفه من قبل عقبة بن نافع مؤسس مدينة القيروان، وإدريس الأول المختط لمدينة فاس(رشيد بورويبة وآخرون،1984،ج2، ص79)؛ إضافة إلى ذلك أن المدينة القديمة عتيقة ليست على الهندسة الإسلامية البارعة وأن إصلاح العتيق يكون أكثر تعبا وإرهاقا من إنشاء الحديث، أم كما ظن جورج مارسيه أن هذا الاختيار سببه انشغال البال بهدف عملي هو أشبه باهتمام المهندسين المعماريين البناة للمدن الحديثة، وهو بشكل خاص أقرب إلى رغبة المسلمين المعنيين بتشييد المدن، وهي رغبة التقرب إلى الماء وتزويد سكان الحواضر، حيث كانت تيهرت غنية بالماء، و هذا ما أكدته جل المصادر التاريخية، فمثلا البكري يذكر ذلك في الفقرة التالية:" وهي على نهر يأتيها من جهة القبلة يسمى مينة وهو في قبليها،

ونهر آخر يجري من عيون تجتمع يسمى تاتش ومنه شرب أهلها وأرضها وهو في شرقيها" (البكري، 1965، ص66 -67). ويقول اليعقوبي:" تاهرت مدينة كبيرة آهلة بين جبال وأودية..وشرب أهلها من أنهار وعيون"(اليعقوبي، 2002، ص149).

أما صاحب الاستبصار فيقول: "وهي على نهر يأتيها من الغرب يسمى منة ولها نهر آخر يجري من عيون تجتمع يسمى تانس"(مؤلف مجهول، 1958،ص66)، ويقول الإدريسي: "وبمدينة تاهرت الحديثة مياه متدفقة، وعيون جارية تدخل أكثر ديارهم ويتصرفون فيها، ولهم على هذه المياه بساتين وأشجار" (الإدريسي،1983، ج3،ص274).

لقد ساهمت جملة من العوامل الجيولوجية والمناخية والاجتماعية والاقتصادية وحتى السياسية والمذهبية في اختيار موضع تيهرت دون غيره نجملها فيما يلي:

❖يأتي في مقدمة تلك العوامل أن المنطقة عرفت نموا واستقرارا للسكان منذ العصور القديمة، ضف إلى ذلك أنها منطقة داخلية منطوية على نفسها، فرغم أن تيهرت تقع على رأس الطريق الذي يصل منطقة التلول بأسافل وادي الشلف"(اليعقوبي، 2002، ج2، ص20) المؤدي إلى البحر، ورغم أنها مغلقة في أعلى منطقة جبلية "تلول منداس" إلا أنها تقع على السفح الجنوبي للجبل "جبل جزول" (جزول أو كزول: نسبة إلى قبيلة بربرية تدعى كزولة أو جزولة وأهم مواطنهم أرض السوس وموزعون بين القبائل في المغرب الأوسط وينسب إليهم جبل كزول القريب من تيهرت، بوزياني الدراجي، 2000، ج2، ص - ص 167 - 171)، بمعنى أنها توجه أنظارها نحو الداخل وتدير ظهرها إلى البحر وهذا يمثل موقعا استراتيجيا ممتازا بالنسبة لجماعة يحيط بها الأعداء من كل جانب وترجو أن تعيش في أمان، كما أن موقعها ما بين جبال الأطلس جعلها تهيمن على بلاد المغرب من جهاتها الأربع، فهي بعيدة عن القيروان تفصل بينهما منطقة الزاب وجبال الأوراس، وهي بمأمن من ضربات الأسطول البيزنطي لبعدها عن الساحل(آرشيبالد، د.ت، ص162).

ومن خصائص هذا المكان أنه يمتاز بلطف ونقاوة الهواء، وخصوبة الأراضي، كما انه قابل للعمارة، مأمون عن العدو وهي شروط المدينة التي

ستكون حصنا للإسلام(إبراهيم بحاز، 1990، ص5 -6)، كما أنه يتوسط التل والصحراء، ففيه من التل خصبة ولطافة جوه، وفيه من الصحراء جوها الصحي ومناخها النقي، والصحراء هي طريقها إلى السودان تلك الأقطار الواسعة التي ستنشر فيها الإسلام وتنقل إليها الحضارة وتتاجر مع أهلها، إن هذا المكان يتوسط الشمال والجنوب، مما يورث لتيهرت وللدولة كلها خصائص الشمال الجميلة وميزات الصحراء العظيمة(محمد علي دبوز، 1963، ج3، ص266).

❖لجوء عبد الرحمن بن رستم إلى قبيلة لماية، كان بدافع مذهبي إذ تعد لماية من أهم القبائل الإباضية في المغرب الأوسط آنذاك، كما كان يرغب عبد الرحمن بن رستم من خلال اختياره لهذا الموقع في السيطرة والتحكم في القبائل الصحراوية البدوية(إبراهيم بحاز،1993، ص89، بوزياني الدراجي، 2000، ج2،ص105)، خاصة وأن تيهرت تقع في قلب منطقة تسكنها قبائل إباضية متعددة(CHIKH .BEKRI; 1957, T15; P 64-65).

❖وقوع تيهرت على طريق القوافل التجارية المارة من وإلى المشرق والسودان، لعب دورا في اختيارها، فهي تتوسط قبائل الناحية مما جعل منها سوقا تقصدها القبائل وتصلها القوافل التجارية التي تربط الواحات الصحراوية بموانئ الساحل.

❖تمتاز المنطقة بتربتها الحمراء بأسفل الجبل وبالحجارة الكلسية البيضاء والرملية، مما يساعد على تمركز المياه الباطنية، كما يوفر أراض خصبة وغنية تساعد على الزراعة والرعي لتوفر المياه، ويتسم مناخ تيهرت ببرودة وضباب كثيف في الشتاء وجو معتدل في الصيف، حيث يصف اليعقوبي مناخها بقوله:" أنها تمتاز بالبرد الشديد وفيها رياح قوية، والشمس توقد وتحرق""(اليعقوبي، 2002، ج2، ص102) ، ومن خلال الأبيات الشعرية لبكر بن حماد الشاعر التيهرتي (ت.296هـ) نستنتج برودة الطقس وقلة ظهور الشمس حيث قال:

ما أخشن البرد وريعانه	وأطرف الشمس بتاهرت
تبدو من الغيم إذا ما بدت	كأنها تنتشر من تحت
فنحن في بحر بلا لجى	تجري بنا الريح على السمت

نفرح بالشمس إذا بدت كفرحة الذمي بالسبت (إبراهيم بحاز،1993، ص144، 157 ;CHIKH .BEKRI; 2005, P).

ومما يؤكد أن المناخ كان ممطرا ومثلجا أعطى للمنطقة ميزة خاصة، حتى نرى رجلا من تيهرت، لما كان بالحجاز قال مخاطبا للشمس: "أحرقي ما شئت فوالله إنك بتاهرت لذليلة"(البكري، 1965، ص67)، ويقول القزويني:"...كثرة الأمطار والأنداء والضباب وشدة البرد قلما ترى الشمس بها"، ويذكر أيضا حكاية السودان التي مفادها:" دخل أعرابي من اليمن تاهرت ثم خرج إلى أرض السودان فنظر إلى الشمس مضحية...فقال مشيرا إليها، أما والله لئن عززت في هذا المكان لطالما رأيتك ذليلة بتاهرت"(القزويني: 1988،ص169، الحموي،1995،ج1، ص813، سليمان الباروني،2002، ج2، ص 30 - 31).

أما عن عدم تمسك الإمام الرستمي بالمدينة القديمة التي كانت عامرة قبل بناء المدينة الحديثة، فيرجع بالدرجة الأولى إلى مقاومة سكانها له وهو ما يتأكد من قول البكري الذي أشار بأنه توجه إلى تيهرت القديمة أو العليا، فكان كلما بنى شيئا في الليل وجده قد انهار في الصباح، فعزف عن ذلك الموضع وانتقل إلى تيهرت الحديثة"(البكري، 1965، ص66)، و من خلال هذا النص يتبين أن سكان المدينة عارضوا البناء وأن عبد الرحمن بن رستم فضل عدم المواجهة للحفاظ على الأنصار في بداية تأسيس دولته، واتفق معهم على أخذ خراج السوق؛ إذ ذكر الشماخي:" فاتفق رأي المسلمين على بنائها فجعلوا لأهلها عليها خراجا معلوما، يأخذونه من غلتها" (الشماخي، د.ت، ج1، ص146)، ويذكر محمد علي دبوز:" أن أهل المدينة القديمة قد علموا أن مدينتهم ستصبح عاصمة الدولة، وبذلك تفتح أبوابها لكل الطوائف، فرفضوا هذا الوضع وأن عبد الرحمن لم يرغم هؤلاء على بيعهم أرضهم(محمد علي دبوز، 1963، ج3، ص266 -267).

إن إشكالية الملكية الخاصة والمسألة العقارية كانت مطروحة في بناء مدينة تيهرت، فقد تساءل العديد من المؤرخين عن سبب إهمال عبد الرحمن بن رستم المدينة العتيقة الواقعة قريبا من تيارت الحالية والتي كانت محصنة بقلعة وجدارين ضخمين، وكانت تتمتع بموقع حصين ممتاز ويستقر على مسافة

ثمانية كلومترات غربي المدينة القديمة، وقد أجاب البكري عن هذه التساؤلات وعن سبب عزوف عبد الرحمن بن تيهرت القديمة التي توفر له وقتا أقل وموقعا محصنا، حيث أرجعه بالدرجة الأولى إلى مقاومة سكانها لقوله: "فكانوا كلما بنوا شيئا في الليل وجدوه قد تهدم وانهار في الصباح، فعزفوا عن ذلك الموضع وقاموا ببناء تيهرت الحديثة التي تقع على بعد خمسة أميال من تيهرت القديمة غربا(البكري، 1965، ص67).

والظاهر أن من أبرز الدوافع التي ساهمت في اختيار عبد الرحمن بن رستم موضع تيهرت كعاصمة لدولته الجديدة؛ كانت دوافع سياسية ومذهبية محضة؛ فلجوؤه إلى قبيلة "لماية" كان بدافع مذهبي، إذ تعد هذه القبيلة من أهم القبائل الإباضية في المغرب الأوسط آنذاك ولسابق حلف معها، أما الذي ارتحلوا معه إلى جانب أهله وابنه عبد الوهاب فكانت غالبيتهم من زناتة وهوارة وطرابلس والأوراس(محمد بن عميرة، 1984، ص117).

أما القبائل الإباضية فلجأت بعد فرار عبد الرحمن إلى المغرب الأوسط إلى الكتمان حتى كونت لنفسها قوة خاصة في طرابلس حيث توجد قبيلة نفوسة(اليعقوبي، 2002، ج2، ص20)، ولكن بعد مقتل إمامهم أبي حاتم يعقوب بن حبيب سنة 155هـ/ 772م(سعد زغلول، 1960، ص295)، عادوا من جديد إلى الكتمان وتوجه العديد منهم إلى المغرب الأوسط حيث يوجد عبد الرحمن بن رستم الذي كان يعد أبرز شخصية إباضية بعد مقتل أبي الخطاب وأبي حاتم(ابن الأثير، 1979، ج5، 601)، ولما كثر عدد الإباضيين بالمغرب الأوسط فكروا في بناء عاصمة تكون حصنا لهم تحميهم من الأخطار الخارجية التي كانت تهددهم، فكان بذلك الشروع في بناء المدينة تيهرت(إبراهيم بحاز،1993، ص144).

كما كان عبد الرحمن بن رستم يرغب من خلال اختياره لهذا الموقع في السيطرة ولتحكم في القبائل الصحراوية البدوية (A. LAROUI, T1, p104)، خاصة و أن تيهرت تقع في قلب منطقة تسكنها قبائل إباضية متعددة(CHIKH .BEKRI; 1957, (T15; P 64-65)، وحول جبل جزول انتشرت قبائل بربرية شديدة الصلة بالمذهب الإباضي(محمد عيسى الحريري، 1987، ص86)، وعلى حد تعبير جورج مارسي فإن مدينة تيهرت كانت تتوسط

بلاد البربر(جورج مارسيه، د.ت، ص121)، فبقبليها لواتة وهوارة في قرارات، وبغربيها زواغة وبجوفيها مطماطة وزناتة ومكناسة(الحميري، 1990، ص،126)، فضلا عن أن الموقع نفسه كان ملكا لقوم مستضعفين من مراسة وصنهاجة اتفق معهم ابن رستم على خراج يؤدونه للأسواق مقابل أن يبيحوا لهم بناء المساكن(البكري، 1995، ص68).

وهكذا كانت هذه العوامل دافعا و حافزا لعبد الرحمن بن رستم وأصحابه في اختيار تيهرت عاصمة لدولتهم المنتظرة، والتي أصبحت حرزا وحصنا لجماعة المسلمين وسميت بأم العسكر والعسكر المبارك(ابن الصغير، 1986، ص54).

أقدمت جماعة من الإباضية بالمغرب الأوسط على خطوة قد تكون الأصعب من نوعها على مر تاريخها عندما قررت بناء مدينة تكون مركزا لإمامتها، وعقدوا العزم على ذلك، وهم مدركون تمام الإدراك أن مثل هذا القرار سيجر معه ولا بد أعداء يتربصون بها، ومن الحكمة بمكان إحاطتها بدرع أمني يمنعها إذا ما بادروا ويقيها إذا ما هاجموا، فجعلوا هذا الأخير من شقين يعتمد أولهما على الطبيعة التضاريسية، ويرتكز ثانيهما على التحالفات القبلية.

فتمركز في منطقة داخلية تتصدر قلب المغرب الأوسط جغرافيا من جهة ومحاطة بالقبائل البربرية من جهة ثانية، من شأنه أن يمنح الجماعة الإباضية فترة استرخاء وراحة عسكرية تمكنها من إعادة بناء قوتها، لا سيما بعد أن باءت محاولاتهم السابقة لإنشاء حاضرتهم بالفشل في كل طرابلس والقيروان وطبنة، لقربها من الشرق وسهولة المواصلات في هذه النواحي، إن هذا الوضع ينم وبوضوح عن الدور السياسي المنوط بالمدينة منذ اختيارها لتكون مركزا لإقامة الجماعة الإباضية، لا سيما وأن فكرة الإقامة الدائمة دون المعسكر المؤقت كانت حاضرة في ذهن مؤسسيها منذ الوهلة الأولى لنزولهم بموقعها، وهو ما يعكسه معنى تسمية تيهرت في حد ذاتها.

وزيادة في الحرص على أمنهم، عمد بناة المدينة على اتخاذ جبل جزول جدارا طبيعيا يعزز أمنها، وهو الجبل نفسه الذي اعتصموا فيه لأول أمرهم بعد قدومهم إلى القيروان فيما بعد، كما أن بناء المدينة في منخفض من جبل يولد شعورا بالأمن والاستقرار الذي يكفل بدوره وحدة المجتمع الجديد ورغبته في

التعايش بين البدو الرحل الوافدين عليها وسكانها(لبزيك دابروفسكي، 1984، م4، ص298).

2. - القبائل البربرية المكونة لنسيج المجتمع الرستمي ومكانتهم:

مما لا شك فيه أن الظروف الطبيعية والمناخية ساهمت بشكل كبير في الاستيطان البشري بهذه المدينة خاصة في القرنين الثاني والثالث الهجريين، وتجلت هذه الظروف في الوسط الطبيعي الملائم وتوفر المراعي والزراعة والمياه.

فكانت الحياة الاجتماعية في مدينة تيهرت متبلورة في الطبقات الاجتماعية وفي نوعية الحياة الاجتماعية، حيث كان السكان يختلفون في أنماط معيشتهم، فقد كانوا بدوا وحضرا ويبدو أن القبائل التي كانت تمركز غالبا حول التجمعات الحضرية، مثلما كان الشأن بالنسبة لتيهرت فكانت تحيط بها مجموعة من القبائل الزناتية، وبالتالي كانت تمثل تلك العلاقة بين البدو والحضر.

والملاحظ أن المجتمع البدوي يمتاز بمحافظته على القديم فيسوده النظام القبلي، يسيطر عليهم النزعة القبلية، وبالتالي فالمجتمع القبلي يكاد يكون متجانس التركيب، فلا تكاد الفوارق الاجتماعية تظهر على عكس المجتمع الحضري، فالفوارق الاجتماعية واضحة للعيان والبعد الاجتماعي واسع بين قمة الهرم وقاعدته بين أصحاب الثراء والقصور وبين الفقراء والمحرومين.

والجدول التالي يبرز التواجد المبكر للبربر في الدولة الرستمية ومكانتهم ودورهم فيها:

اسم القبيلة	الانتماء أو النسب	دورها ومكانتها في تيهرت	المصدر أو المرجع
قبيلة لماية	بترية وهي بطن من ولد فاتن بن تاصمين بن ضري بن زحيك بن مادغيس الأبتر	❖استقبل أفرادها بنو رستم، واجتمعوا إليه، وبايعوه بالإمامة، ثم سارعوا وشرعوا في بناء تيهرت. ❖هذه القبيلة هي التي نشرت المذهب الإباضي إلى جنوب تيهرت ونشرته بين جيرانها من قبيلتي لواته وهوارة.	❖ابن خلدون العبر ج6، ص246. ❖محمد بن عميرة دور زناتة، ص - ص 115 - 117، احسان عباس، المجتمع التاهرتي، الأصالة ص 26
قبيلة	بتربية - من	❖دعمت ووطدت أركان الدولة	❖ابن خلدون العبر ج6، ص

لواتة	أكبر بطون البربر البتر، تنتسب إلى لو الأكبر بن لو الأصغر	الرستمية وحافظت على كيانها السياسي. ❖قضت على ثورة محمد بن مسالة الهواري الإباضي في عهد الإمام أبي اليقضان. ❖ بذلت جهدا كبيرا في القضاء على الغزو الخارجي والفتن الداخلية، مما دفع الإمام عبد الوهاب إلى مصاهرتها.	117، 118. ❖ابن الصغير ص - ص 52، 88 ❖محمد علي ديوز تاج المغرب، ج3، ص 253، 254. ❖محمد بوركبة، البنية الاجتماعية الخلدونية ص - ص 122،133.
قبيلة هوارة	بطن من البرانس تنسب إلى هوارين أو زيغ بن برنس جد البرانس.	❖كانت السباقة إلى اعتناق المذهب الإباضي والدفاع عنه. ❖استنجدت بالإمام عبد الوهاب في ثوراتها ضد العباسيين في طرابلس فلم يتردد في نجدتها، وضرب حصارا شديدا على المدينة سنة 196ه/811م انتهى بالصلح مع الأغالبة. ❖وفي عهد الامام أبي بكر بن أفلح ضعفت القبيلة وانقسمت على نفسها إلى قسمين (بني الأوس وترهنة) فهدأت الأوضاع بعد ذلك، فلا حرب ولا نزاع ولا خروج عن طاعة الإمام.	❖ ابن خلدون العبر ج6، ص 117. ❖أحمد الزاوي تاريخ الفتح العربي ص 21. ❖سليمان الباروني ج2، ص 133، 134. ❖محمود اسماعيل عبد الرزاق الأغالبة 184ن 296ه سياستهم الخارجية، ط2، مكتبة وراق، جامعة فاس المغرب، 1978، ص105، 106.
قبيلة زواغة	بتربية، تنسب إلى دمر بنو زواغ وبنو وطيل بن زجيك وبنو زوّاغ وبنو ماحزين تيفون بن زوّاغة.	❖كان لها دور في مبايعة الإمام يعقوب بن أفلح بأرضها غربي طرابلس سنة 282ه/895م ضد أين أخيه أبي حاتم يوسف بن أبي اليقظان هذا الأخير التي عادت إليه الإمامة بعد حرب دامت أربع سنوات، أتت على الحرث والنسل، أما الإمام يعقوب فرجع إلى قبيلة زواغة حتى شهد سقوط الدولة الرستمية ثم رحل إلى ورجلان سنة 296هـ، وكان دورها سلبيا عندما قامت بحماية الطيب بن يخلف بن السمح بعد أن شق عصا الطاعة عن الإمام، وبعد الحرب كان الانتصار حليف	❖ ابن خلدون العبر ج6، ص 264. ❖أحمد الزاوي تاريخ الفتح ص 22. محمد بوركبة، البنية الاجتماعية الخلدونية ص 222. ❖ابن الصغير ص 47. محمد اسماعيل، الخوارج ص 134.

		الرستمين والهزيمة لزواغة، وهروب بن السمح إلى جربة أين تم إلقاء القبض عليه.	
قبيلة مزّاتة	بترية، وبطن من بطون لواته وهي إباضية المذهب	❖فبحكم ثراء هذه القبيلة مثلت سندا قويا للدولة الرستمية، فقال عنها الإمام عبد الوهاب "ما قام هذا الدين (الحكم) إلا بسيوف نفوسة وأموال مزاتة". ❖ كان لشيخها أبي يعقوب المزّاتي دخل كبير في فض النزاعات والصراع الذي دار بين الإمامين يعقوب بن أفلح وابن أخيه أبي حاتم يوسف حيث تدخل في إقرار الصلح بينهما وعادت الإمامة لأبي حاتم كما ذكرنا سابقا.	❖البكري المغرب ص 55. ❖ابن الصغير ص 47. ❖احسان عباس المجتمع التاهرتي الأصالة ص 26. ❖محمد بوركبة البنية ص 123.
قبيلة سدراتة	بترية، وبطن من بطون لواته البربرية، وهي إباضية المذهب	❖وصفت هي الأخرى بالثراء، قال عنها ابن الصغير وعن مزاته: "كانوا ينتجعون من أوطانهم ... في أشهر الربيع إلى مدينة تيهرت... دخل وجوههم ورؤسائهم المدينة فيبرون ويكرمون، ثم يخرجون إلى أشياههم وبعيرهم فيقيمون بها إلى ظعنهم". ❖كان لهم دور أيضا في إصلاح المجتمع الرسمي حيث طلبوا من الإمام عبد الوهاب تغيير القاضي وصاحب الشرطة وصاحب بيت المال.	❖البكري المغرب ص 55. ❖سليمان الباروني الأزهار، ج2، ص 273. ابن الصغير، ص 78.
قبيلة نفوسة	بترية من أكثر القبائل البربرية انتشارا وهم قوم عجم الألسن إباضية كلهم، موطنهم من طرابلس غربا حتى جبل نفوسة ومناطق القيروان، ومازالت	كانت هي المحرك الاساسي والمهم للحكم الرستمي اعتمد عليها الإمام عبد الوهاب كليا في سياسته الداخلية والخارجية وبفضلها قضى على الحركة النكارية.(إبراهيم بحاز، 2009،ص47). ❖شاركت أيضا في محاربة المعتزلة (الواصلية) وتغلبت عليها، وكانت نفوسه تلي عقد تقديم القضاة وبيوت الأموال،	❖ ابن خلدون العبر، ج6، ص 229، 230. ❖الوسياني: ص 44. ❖الحموي ج5، ص 296، 297 - احمد الزاوي تاريخ الفتح، ص 22. *Negre, la fin op,cit, P 20,21. ❖ اليعقوبي: صفة المغرب

	جماعات منهم تسكن الجيل حتى الآن.	وانكار المنكر في الأسواق والاحتساب على الفساق، وبلغت في تأييد السلطة الرستمية مبلغا عظيما لم يبلغه غيرهم في بلاد المغرب.	ص 7، ابن الصغير ص 43، 45 ، أبو زكرياء يحيى:ص150، الدرجيني:، الطبقات ج1، ص 87. ❖محمد بوركبة البنية الاجتماعية ص 124، 125.
قبائل أخرى عديدة ذكرتها المصادر	ومنها قبائل دمر الزناتية، قبيلة بني يفرون الزناتية ومكناسة ومطماطة ونفزاوة ومطغرة وقبائل قسطيلية وقفصة، ونفطة وغيرها كثير.	اختلفت أدوارها ومكانتها في الأحداث السياسية وكذا الجوانب الاجتماعية والاقتصادية في الحاضرة تيهرت بصفة خاصة والدولة الرستمية بصفة عامة ، وهذا ما يذكره لنا بالتفصيل محمد بوركبة(محمد بوركبة، 2009، ص - ص121 - 126، إبراهيم بحاز، 2009، ص46 -47).	❖محمد بن عميرة: ص 18. (E) Gautier, op.cit, P 371. ❖الدرجيني:ج1، ص 65. ❖محمد عيسى الحريري ص 129. ❖سليمان الباروني ج2، ص 137، 188. (G) marcais, les arabes op,cit P 50 (G.H) Bousquet, les berbères, presse universitaire de France. Paris 1957,p53.

وهذا الجدول يوضح لنا إذن أهم القبائل البربرية التي وجدت في عاصمة الرستميين، وكان لها الدور البارز في تفعيل الأحداث السياسية في المجتمع الرستمي، ويتأكد لنا ما أثبتته المصادر التاريخية وهو عدم مشاركة العرب في بناء مدينة تيهرت، ولكن هذا لا يعني أنهم لم يسكنوا تيهرت، بل كان لهم الفضل في نشر اللغة العربية والدين الاسلامي الحنيف، الذي أصبح عنصر الخلاص للبربر من العبودية والقهر، وازدهرت بوجودهم الحضارة والعمران في تيهرت(محمد بوركبة، 2009، ص126).

3. - نماذج لأهم القبائل الفاعلة وأدوارها السياسية والمذهبية في الكيان الرستمي:

سنتتبع دور ومكانة أربعة قبائل كان لها الفضل الكبير والسبق في توطيد ودعم أركان الدولة الرستمية وهي: قبيلة لماية، وقبيلة نفوسة، وقبيلتي مزاتة وسدراتة.

1.3 . - قبيلة لماية البربرية:

عندما خرج عبد الرحمن بن رستم من القيروان مستخفيا إلى المغرب الأوسط قاصدا أنصاره من القبائل البربرية فكان نزوله على قبيلة لماية(محمد بن عميرة، 1984، ص115)، البربرية في جنوب تيهرت، وكانت تربطه بها صداقة وثيقة تأكدت أثناء ولايته على إفريقية (القيروان) والمغرب الأوسط، وهذا ما قصده ابن خلدون بقوله عن عبد الرحمن بن رستم: " أنّه نزل غلى قبيلة لماية لقديم حلف بينه وبينهم "(عبد الرحمن بن خلدون، 1953، ج6،ص126)، لقد كان لجوء عبد الرحمن بن رستم إلى قبيلة لماية، بدافع مذهبي إذ تعد لماية من أهم القبائل الإباضية في المغرب الأوسط آنذاك، كما كان يرغب عبد الرحمن بن رستم من خلال اختياره لهذا الموقع في السيطرة و التحكم في القبائل الصحراوية البدوية (إبراهيم بحاز، 1993، ص89)، خاصة وأن تيهرت تقع في قلب منطقة تسكنها قبائل إباضية متعددة(CHIKH .BEKRI; 1957,T1; P64-65.)

ويستطرد ابن خلدون قوله بأن الإمام عبد الرحمن بن رستم قد أحسن اختيار نزوله في إقليم عامر بالإباضية، التي رحبت به بل أكثر من ذلك كان لها الفضل الأكبر في تأسيس الدولة الرستمية، فقد استقبل أفرادها عبد الرحمن بن رستم واجتمعوا إليه، وبايعوه بالإمامة ثم " شرعوا في بناء مدينة ينصبون بها كرسي إمارتهم، فسارعوا في بناء مدينة تاهرت"(عبد الرحمن بن خلدون، 1953، ج6،ص126)، وكان لقبيلة لماية دورا بارزا في نشر المذهب الإباضي في جنوب تيهرت بين جيرانها من قبيلتي لواتة وهوارة اللتين ستصبحان عماد الدولة الرستمية إلى جانب قبيلتي نفوسة ومزاتة (محمد بوركبة، 2009، ص121).

2.3. - قبيلة نفّوسة البربرية:

لقد ذكر ابن خلدون نسبهم وأصلهم ومذهبم بقوله:" كان مادغيس الأبتر جد البرابرة البتر وابنه زحيك ومنه تشعبت بطونهم، فكان من الولد فيها أربعة: نفوس واداس وضرار ولوا، وأما نفوس فهو بطن واحد تنسب إليه نفوسة كلها، وكانوا من أوسع القبائل تنتمي إليهم شعوبا كثيرة منها: بنو زمور وبنو مكسور وماطوسة، وكانت مواطنهم بجهات طرابلس وما إليها ويوجد جبل معروف بهم يسمّى " جبل نفوسة" به مدينتين: شروس في وسط الجبل، وجادو من ناحية نفزاوة، وجميع أهل الجبل شراة وهبية وإباضية، وما زالت جماعات منهم كثيرة تسكن الجبل حتى الآن، وكانت مدينة صبراتة في مواطنهم وتنتسب إليهم(ابن خلدون، 1953، ج6، ص229 -230)، وتعتبر من أكبر القبائل البربرية انتشارا، حيث يمتد موقعها الجغرافي من طرابلس غربا إلى جبل نفوسة حتى منا طق القيروان شرقا، ويعد جبل نفوسة الوطن الأصلي لها وهو على مسيرة سبعة أيام من تيهرت، هذا الجبل الذي بقي دوما مخلصا في ولائه للأئمة الرستميين بتيهرت، حيث كان تاريخ هذا الجبل طوال حياة إمامة تيهرت جزءا من تاريخ تلك الإمارة (Emile Felix Gautier:,1964, p300)، إذ تعد من أكبر مؤيديها ومناصريها وهذا ما نفهمه من قول اليعقوبي:" ومن طرابلس إلى أرض نفوسة وهم قوم عجم الألسن إباضية كلهم... ومنازلهم في جبال طرابلس في ضياع وقرى ومزارع وعمارات كثيرة لا يؤدون خراجا لسلطان ولا يعطون إلا لرئيس لهم بتيهرت، وهو إمامهم يقال له عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم"(اليعقوبي، 2002، ص7)، هذا الإمام الذي اعتمد في تدبير سياسته الداخلية والخارجية وبصفة كلية على قبيلة نفوسة، وبفضلها استطاع القضاء على الحركة المناوئة النكارية؛ وقد سموا بهذا الاسم لأنهم اجتمعوا لإظهار إنكار إمامة عبد الوهاب فسموا" النكار" وكانوا يجتمعون ويتناجون بالإثم والعدوان لذلك سموا " النجوية" وأدخلوا بذلك شغبا إلى الإسلام فسموا " الشغبية" ثمّ ألحدوا في أسماء الله تعالى فسموا" الملحدة"، كما سموا أيضا" النكاث" لنكثهم البيعة بغير حدة(أبو العباس الدرجيني، 1974.ج1، ص51)، كما شاركت قبيلة نفوسة في محاربة فرقة الواصلية المعتزلة وتغلبت عليها، مما حدا بالإمام عبد

الوهاب إلى قولته المشهورة: " ما قام هذا الدين إلا بسيوف نفوسة..." (أبو زكرياء يحيى،1982، ص51).

لقد أقام الإمام عبد الوهاب في مجتمع نفوسة بالجبل سبع سنين وبنى فيها مسجدا جلس فيه للإجابة على المسائل والقضايا جمعها في كتاب عرف ب:" مسائل نفوسة" أو " نوازل نفوسة"(ابن الصغير، 1986، ص47 -48).

ويذكر أن قبيلة نفّوسة اعتنقت المذهب الإباضي بعد دخولها في الدين الإسلامي الحنيف في القرن الثاني الهجري، وأصبحت القوة الفاعلة الأولى في إصلاح المجتمع الرستمي إذ كانت تلي تقديم القضاة وبيوت الأموال وإنكار المنكر في الأسواق والاحتساب على الفساق، فمثلت بذلك السلطة الحقيقية في البلاد، لقد اعتمد الإمام عبد الوهاب في سياسته الداخلية والخارجية كليا على قبيلة نفّوسة، وبالخصوص في تدعيم جهاز السلطة فأصبحت بذلك المحرّك الأساسي والمهمّ للحكم الرّستمي(ANDRE NEGRE;1969;P20)، ولّما افترقت علية الإباضية إلى فرقتين: فرقة النكّارية التي يقودها يزيد بن فندين (وهو أبو قدامة يزيد بن فندين، وهو من بين السبعة الذين جعل فيهم عبد الرحمن بن رستم الإمامة شورى عندما حضرته الوفاة على صنع عمر بن الخطاب رضي الله عنه، إلى جانب مسعود الأندلسي وابنه عبد الوهاب)، (أبو زكرياء يحيى،1982 ، ص84)، والذي أنكر إمامة عبد الوهاب، وفرقة الوهبية (نسبة لعبد الوهاب) ويسمون أيضا بالعسكرية وهم أهل العسكر وجلّهم من قبيلة نفّوسة المناصرة للإمامة الرستمية وبفضلها قضى على كل الحركات التمردية.

والملاحظ أن هذه القبيلة كانت تمثل قوة اجتماعية هادفة لها مهمة تسيير مصالح وشؤون المجتمع أولا، ثمّ مصالح السلطة ثانيا، وقد استعملهم الإمام أبو يقظان محمد بن أفلح في الأسواق والطرقات فأمرهم بالتجوّل فيها للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فكانوا إذا رأوا قصّابا ينفخ في شاه عاقبوه، وإن رأوا دابّة حمل عليها فوق طاقتها أنزلوا حملها، وأمروا صاحبها بالتخفيف عنها، وإن رأوا قدرا في الطريق، أمروا من حول الموضع أن ينكسه(ابن الصغير، 1986ن ص70)، وبهذا تكون قبيلة نفّوسة ساهمت وبشكل فعّال في دعم مركز الدولة سياسيا واقتصاديا، كما حافظت على مقومات وأسس المجتمع أخلاقيا وروحيا.

وظلت هذه القبيلة القوية مخلصة للرستميين ولم تفكر أبدا في الانفصال عنهم، فكانت هي القوّة الرّادعة في الاقليمين (تيهرت والجبل) لكل تمرّد أو ثورة قامت هنا أو هناك، وهذا ما أكّده الإمام عبد الوهاب نفسه بقوله: " إنّما قام هذا الدين بسيوف نفّوسة..." وقول عبد العزيز بن الأوز(أحد فقهاء تيهرت الإباضيين): " الله سائلكم معاشر نفوسة إذا مات واحد جعلتم مكانه آخر ولم تجعلوا الأمر للمسلمين..."(ابن الصغير، 1986ن ص61، إبراهيم بحاز، 2009،ص46)، ويدعم ما ذهب إليه ابن الصغير بذكره لصرخة ابن الأوز ما جاء عن أبي زكرياء والدرجيني: " أنّ نفّوسة بلغت في التأييد لسلطة الرستميين بأرض تاهرت مبلغا عظيما لم يبلغه غيرهم من مغربنا هذا".

3. 3. - قبيلتا مزّاتة وسدراتة:

قبيلة مزاتة هي: بطن من بطون لواتة البترية، وحسب البكري: "أنها تتركز في شمال الأوراس، ويسكن فحص هذه المدينة قبائل مزّاتة وضريسة وكلهم إباضية(البكري، ص55).

أما قبيلة سدراتة فهي كذلك بطن من بطون لوّاتة البربرية البترية الموجودة في ناحية بسكرة، وموطنها أيضا بالمغرب الأدنى في شمال الأوراس وجنوبها وهي إباضية المذهب(البكري، ، ص55).

لقد مثلت كل من القبيلتين سندا قويا للدولة الرستمية وكانتا تجدا في استمرارها وبقائها قوة لهما أيضا، وتحدث ابن الصغير عن القبيلتين داخل المجتمع الرستمي وعن أحوالهم الاجتماعية بقوله: "كانوا ينتجعون من أوطانهم التي هم بها من المغرب وغيرها في أشهر الرّبيع إلى مدينة تيهرت وأحوازها"، لما حولها الكلأ وغيره فيدخل وجوههم ورؤساؤهم المدينة فيبرون ويكرمون ثم يخرجون إلى شياههم وبعيرهم، فيقيمون بها إلى ظعنهم"(ابن الصغير، 1986ن ص47).

لقد كان لقبيلتي مزاتة وسدراتة نفوذ قوي ورأي سديد في الدولة الرستمية وبالخصوص في عهد إمامة عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم، عندما طلبوا منه تغيير القاضي وصاحب بيت المال وصاحب الشرطة وممّا دار بينهم من حديث:"...فلما دخلوا عليه تكلم ممثلهم بحمد الله وأثنى عليه، فقال له: إنّ رعيتك قد ضجت من قاضيك وصاحب بيت مالك والقائم بشرطتك،

فاعزلهم عنهم، وولي عليهم خيارهم، فقال عبد الوهاب: جزاكم الله من وفد خير فقدتم من الإسلام ما يفتقده من كان مثلكم، الأمر إليكم قدموا من رأيتم وأخروا من رأيتم، فدعوا له وأثنوا عليه وقالوا خيرا ثمّ انصرفوا"، كما كان لقبيلة مزّاتة دور كبير في بقيادة شيخها أبي يعقوب المزّاتي(أحد أرباب المال والثروة في المجتمع الرستمي) في فضّ النّزاع والصراع الذي دار بين الإمامين يعقوب بن أفلح وابن أخيه أبي حاتم يوسف ودام أربع سنوات حتى قطعت السبل وفرغ من أيدي الناس، وتمّ الصّلح بينهما فساد الأمن والأمان، وعادت الإمامة إلى أبي حاتم يوسف(سليمان الباروني، 2002، ج2، ص273 -174).

وبهذا تكون كل من القبيلتين قد أسهمت بالدور الفعال في إصلاح المجتمع الرستمي من الآفات الاجتماعية وتطهيره من الفساد من جهة، ومن جهة أخرى تزعمت القرار السياسي المناسب من أجل ترقية المجتمع حضاريا وتثبيت الأمن والسلام داخل كيان الدولة الرستمية.

4.3. - قبائل بربرية أخرى:

لا شكّ أنّ قبائل أخرى غير هذه التي ذكرناها والتي أغفلتها المصادر التاريخية ولم تتحدث عنها، مثلت أيضا دورا هاما وبارزا في المجتمع الرستمي نذكر منها:

1. 4.3 - قبائل دمر الزناتية:

تنتشر في نواحي طرابلس وجبالها وغرب إفريقية، ومن أهمّ بطونها نجد: بنو ورغمة وبنو رنيد وورتاتين وبنو غرزول وبنو تافورت، وهناك جبل معروف باسمهم يسمى جبل دمر يقع على ثلاث مراحل من جبل نفّوسة(عبد الرحمن بن خلدون، 1953، ج2، ص75)، ورغم أن هذه القبائل كانت تفضل الاستقلال عن الدولة الرستمية لتجنّب ضربات الخلافة العباسية عن طريق الدولة الأغلبية السنية الموالية لها في إفريقية، إلاّ أنّ المصادر التاريخية أشارت إلى مبايعتها للإمام عبد الوهاب، وذلك عندما نزل بجبل دمر ودعاهم إلى الانضمام إلى دولته، فبايعه أهل الجبل وانضموا إليه واعترفوا بإمامته، فولى عليهم شيخا منهم يسمى مدرار الزنّاتي، وقد كانت على مذهب الإباضية، وكان لها اتّصالا وثيقا مع أهل جبل نفّوسة، معقل الإباضية(سليمان الباروني، 2002، ج2، ص65 -66).

2.4.3. – قبيلة بني يفرن الزناتية:

عرفهم ابن خلدون بقوله:" بنو يفرن: هم من زناتة بني يفرن بن يصلين وأشهرهم بنو واركو ومرنجيصة، انتشروا بإفريقية وجبل الأوراس والمغرب الأوسط(عبد الرحمن بن خلدون، 1953، ج2، ص14)

لقد مثلت هذه القبيلة درعا واقيا للدولة الرستمية، لأنّ زوجة مؤسّس الدولة الأول وأمّ ابنه عبد الوهّاب تنتمي لقبيلة بني يفرن الزنّاتية، وهي من أيّدت اختيار الإمام عبد الوهاب للإمامة بعد وفاة أبيه من بين الستة المرشّحين، كما كانت تربطه بهم صلة النسب، فكان صهره جارون بن القمري الزناتي، وقد اتفقت الواصلية (وهي مذهب أبي حذيفة واصل بن عطاء الغزال الألثغ (80 – 171هـ/699 –790م) وهم من المعتزلة حيث يقول الشهرستاني: " الواصلية أصحاب أبي حذيفة واصل بن عطاء...كان تلميذا للحسن البصري، يقرأ عليه الأخبار والعلوم..."(الشهرستاني، (1980)، ج1، ص46)، مع الإباضية في الدعوة إلى الإمامة والخلافة الإسلامية باللّسان، وفي الاتجاه المذهبي العام وعاشت في كنف الدولة الرستمية وتحت لوائها ونظامها، ويبدو أن انتشارها كان واسعا في المغرب الأوسط بين قبائل زناتة حيث ذكر البكري: "أن مجمع الواصلية في عهد الرستميين كان قريبا من تاهرت، وكان عددهم نحو ثلاثين ألفا في بيوت كبيوت الأعراب يحملونها"، وكان أول ظهور لهم على مسرح الأحداث في تيهرت في عهد الإمام عبد الوهاب، حيث كان قيام الواصلية المعتزلة على عبد الوهاب، وبخاصّة بعد مقتل يزيد بن فندين قائد النكّارية حيث استغلت الفرصة باعتباره من قبيلة يفرن وهي من فروع زناتة، لتعلن الانفصال عن الإمامة الرستمية، فاضطرّ عبد الوهاب إلى محاربتها والقضاء عليها. وما نستنتجه أنه بالرغم مما قامت به الواصلية من دور معاد لأئمة بني رستم، وتمردهم في عهد الإمام عبد الوهاب فلم يتوقفوا إلى أي نوع من الاضطهاد المذهبي، بل بالعكس حظوا بتسامح ديني إلى أبعد الحدود، ويدل على ذلك ما كان يجري بين شيوخهم وزعماء الإباضية من مناظرات ومحاورات على غرار ما كان يحدث بالمشرق بين زعيمهم واصل بن عطاء وبين أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة شيخ إباضية المشرق.

وقد أشارت المصادر إلى قبائل أخرى عديدة وإن لم تتحدث عن أدوارها السياسية والاقتصادية، وهو ما ذكره ابن حوقل بقوله: "وأهل قسطيلة وقفصة ونفطة والحامة وسماطة وبشرى وأهل جبل نفوسة فشراة إمّا إباضية أو وهبية، وقبائل: مكناسة ومطماطة ونفزاوة ومطغرة؛ هذه الأخيرة التي كان لها دورا كبيرا في أحداث الفتح العربي للمغرب الإسلامي وينسب إليها الزعيم البربري ميسرة مطغري(عبد الرحمن، ابن خلدون، 1953، ج6، ص250 -251).

فالمملكة الرستمية إذن كانت واقعة بين مملكة الأغالبة شرقا والأدارسة غربا، وتمتد شمالها مماليك صغيرة للعلويين من إخوان الأدارسة، وينفسح لها المجال جنوبا إلى ورقلة ويمتد منها شريط على واد ريغ إلى الجريد، وجبال دمر إلى طرابلس، وجبال نفوسة.

ويذكر الباروني أن مملكة تيهرت ضمت مدنا كثيرة حيث أن كل المدن والقرى الواقعة بين الزاب وفاس وسجلماسة داخل مملكة تيهرت، حيث ينسب إليها عدة مدن كتنس وشلف(سليمان الباروني، 2002، ص67 -68).

وتضيف رواية أخرى حسب قول بحاز ابراهيم أن سلطة الأمويين وصلت إلى سرت أقصى نقطة شرقية في المغرب الغربي وإلى جربة في البحر المتوسط، فورجلان في الصحراء(إبراهيم بحاز، 1993،ص107).

ويثبت لنا نص ابن الصغير الحدود الغربية في عهد الإمام عبد الوهاب، فيقول: "حكى لي جماعة من الناس أنه قد بلغت سمعته إلى أن حاصر طرابلس وملأ المغرب بأسره إلى مدينة يقال لها تلمسان(ابن الصغير،1986، ص27، CHIKH .BEKRI; 2005, P 75).

ونستدل على امتداد النفوذ الرستمي على المناطق التي ذكرناها آنفا من خلال العمالات الرستمية التي ورد ذكرها في المصادر الإباضية والمراجع الأخرى.

ونستشف ذلك من مصادر الإباضية مثل السير للشماخي(الشماخي، د.ت، ج1، ص203) التي تبين عمال الأئمة الرستميين على الشكل التالي:

- سلام بن عمرو اللواتي وعامل الإمام عبد الوهاب على سرت ونواحيها.
- أبو منصور إلياس عامل أبي اليقظان محمد بن أفلح على نفوسة وطرابلس
- محمد بن إسحاق عامل الإمام عبد الوهاب على نفزاوة.

❖ ميال بن يوسف عامل الإمام أفلح على نفزاوة كذلك وأبوه وزير وهو أيضا لواتي.

❖ سلمة بن قطفة عامل الإمام عبد الوهاب على قابس.

❖ زقون بن عمير عامل الإمام عبد الوهاب على قسطيلية.

❖ وكيل بن دراج عامل الإمام عبد الوهاب على قفصة(الشماخي، د.ت، ج1، ص 203، محمد الطالبي، (1985)، ص 387 - 388).

❖ السمح بن أبي الخطاب (حفيد أبي الخطاب) عامل عبد الوهاب على جبل نفوسة(صالح باجية: (1976)، ص81).

هكذا ومن هذا العرض، وكذلك حسب رأي أغلب المؤرخين، فإن سلطة تيهرت الرستمية كانت تمتد من المغرب الأدنى إلى المغرب الأوسط باستثناء إقليم طرابلس وإفريقية الأغلبية والزاب وتلمسان، ومما ساعد على هذا الامتداد هو أن الدولة الرستمية لم تضع لنفسها حدودا سياسية مرسومة بل جعلت من طبيعة مذهبها وعلاقتها بالجماعات الإسلامية سبيلا جديدا بين حدودها(جودت يوسف عبد الكريم، 1992، ص61).

ومن هنا يمكن القول أن كل إقليم من الأقاليم والقرى التي كانت تدين بمذهب الخوارج وخاصة الإباضية في بلاد المغرب الأوسط كانت داخلة في سلطان تيهرت(سعد زغلول، 1960، ج2، ص405).

4. - أدوار إضافية أخرى للقبائل مدعمة لدوريها المذهبي والسياسي:

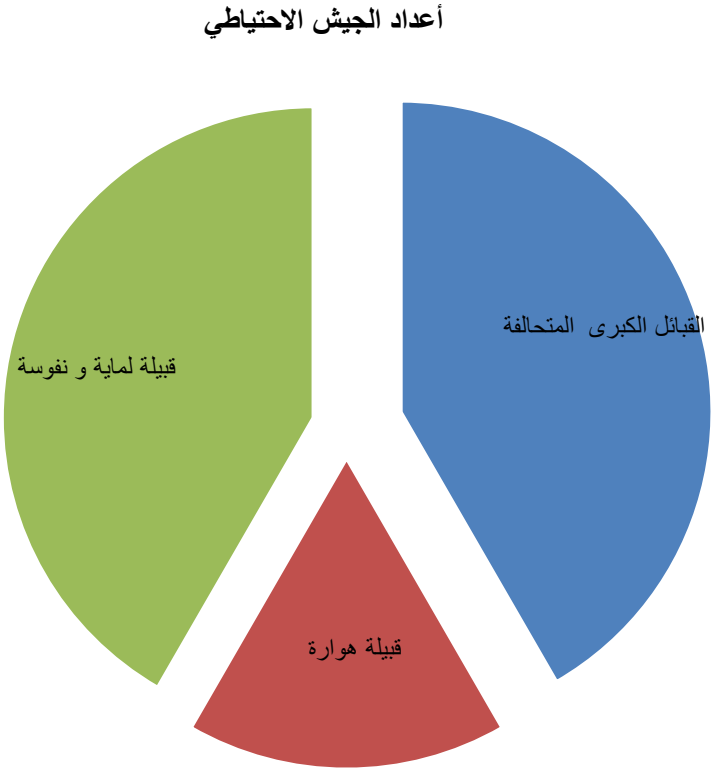
ونقصد بها على وجه الخصوص الدور الحربي؛ وسنعطي مثالا عن الجيش التطوعي غير النظامي الذي كان يتشكل من القبائل المهاجرة نحو تيهرت ونواحيها لانتجاع الكلأ أيام الربيع؛ وذكر لنا ابن الصغير منهم قبائل مزاتة وصدراته(ابن الصغير،1986، ص47)، وغيرها من القبائل الأخرى المتحالفة مع الدولة الرستمية، وتمثل هذه القوات جيشا احتياطيا؛ يمارس أفراده أعمالهم الاجتماعية الخاصة بهم في وقت السلم، وينخرطون متطوعين في فترات الحرب إلى الجيش الرستمي74-73 (P ,2005 ;CHIKH .BEKRI).

وقد أشار أيضا سليمان الباروني في "أزهاره الرياضية" لأعمال ومهام هذا الجيش المؤقتة بقوله:" ثم شرع الإمام في شراء الكراع والسلاح، وقوي بيت مال المسلمين بالذخائر الحربية ومهمات الدفاع الوقتية، وتقوى الضعيف وانتعش

الفقير، وتحسنت الأحوال، وسارت الركبان في الآفاق، ودخل الرعب كل من اتصل به خبرهم من الملوك والأمراء على اختلاف مراتبهم، وأنسوا من أنفسهم قوة دعتهم إلى توسيع نطاق العمران والتمدد في الأقطار لتمهيد البلاد، ...وتفننوا في الصنائع...ونصبوا لواء الأمن والهناء، وطمحت أنظارهم إلى إخضاع كل من ناوأهم...الإمارات الخارجة عنهم...تأمين السبل وتسهيل المواصلات...حتى استمالوا الألباب ودلّلوا الصعاب"(سليمان الباروني، 2002، ج2، ص87). أي أن مهمات الدفاع الوقتية تتغير من وقت لآخر وعادة ما تظهر في فترة الحرب(عطاء الله فشار، علي عشي، 2010، م2، ع2،ص54)، ومن هذه المهام المؤقتة والظرفية: تأمين السبل والمسالك التجارية، وتسهيل المواصلات، تأديب القبائل المتمردة والمناوئة للحكم الرستمي، وتوسيع وتمديد رقعة البلاد ونشر الأمن والرخاء.

❖ **والجدول والرسم التاليين يبرزان لنا القبائل المشاركة في الجيش الاحتياطي:**

القبائل في كل مراحل الدولة	أعداد الجيش الاحتياطي المؤقت
قبيلتا لماية ونفوسة	كانت قبيلة لماية وحدها، وهي قبيلة متوسطة في المغرب الأوسط إذا استنفرت للحرب تجند ثلاثين ألف مقاتل منها. -واجتمع لأبي اليقظان جموع عظيمة، كان أغلبها من قبيلة نفوسة؛ وأمدت الإمام عبد الوهاب بجيش نجي فيه: فارس مبارز عالم مفسر وعالم مناظر وعالم فقيه(وقيل قوامه أربعمائة فيه مائة مبارز ومائة عالم ومائة فقيه ومائة مفسر. - وكان عدد ممن شارك من النفوسيين في موقعة مانو 184هـ عشرون ألف مقاتل، وكانت النتائج اثنا عشر ألف من نفوسة وثمانية آلاف من كان معهم من البربر وأربعمائة عالم وهذا ما يدل على العدد الهائل للجيش...
قبيلة هوارة	وأن هوارة خرجت يوما للحرب فعدوا في جندها ألف فارس أبلق...أما غير ذلك من ذي اللون الكثير فأضعاف هذا.
القبائل الكبرى المتحالفة	كلواتة، ومطماطة، وزناتة، ومزاتة، وسدراتة، وغيرها من القبائل الكبرى الأخرى؛ والتي كانت تستنجد بها القوات الرستمية في حروبها، وكانت لا تتوان عن تلبية داعي الإمام إذا استنفرها، وحسب محمد علي دبوز:" ...كانت تجند في النفير العام أكثر من ثلاثين ألف مقاتل



خاتمة:

وما يمكننا الوقوف عليه أن مدينة تيهرت شهدت تعديلات وتطورات حضارية بالتدرج بداية من القرن الثاني الهجري، ارتبطت ارتباطا وثيقا بكثافتها السكانية المتزايدة، وهو ما أدى بدوره إلى تغير شكل المدينة وتنوع مرافقها، من دينية ومدنية وحربية، ولأن تركيبتها السكانية الجديدة أصبحت تمثل أجناسا مختلفة، ومذاهب وفرقا متنوعة، أصبح لكل فئة منها مسجدها الخاص، وسوقها الخاص، إلى أن تشكلت أحياء متراصة جنبا إلى جنب لكل منها طابع معماري خاص به يختلف عن الطابع المعماري لباقي الأحياء الأخرى والمدينة، وهذا ما نفهمه من قول ابن الصغير: "...واتسعوا في البلد، وتفسحوا حتى لا ترى دارا إلا قيل لفلان الكوفي ولفلان البصري، ولفلان القروي، وهذا مسجد القرويين ورحبتهم، وهذا مسجد البصريين، وهذا مسجد الكوفيين، واستعملت السبل إلى بلد السودان وإلى جميع البلدان من مشرق ومغرب بالتجارة وضروب الأمتعة..".

- إن الجماعة الإباضية كانت تهدف أساسا إلى تأسيس مركز عسكري محصن طبيعيا وبشريا، غير أن زعيمها عبد الرحمن بن رستم ذهب إلى أبعد من ذلك بكثير عندما فكر في بناء حاضرة مزدهرة، ووجد أن الحصانة الأمنية وحدها لن تكون كفيلة بتحقيق ذلك، ومن ثم قرن منعة مدينته وأمنها وازدهارها وتحضرها، وعمد إلى اختيار موقع يبعد بثمانية أميال عن تيهرت القديمة بحثا عن الأنهار ومنابع المياه.

- إن تيهرت الرستمية عاشت فترة طويلة في استقرار سياسي واقتصادي ساعد أئمتها على سلوك سياسة التعايش السلمي، واحترام مبدأ الحرية والرأي والعدل والمساواة بين الرعية، وبالتالي الارتباط بكل المذاهب رغم اختلافها مع المذهب الإباضي والمحافظة على حسن الجوار.

- لم تدخل هذه المدينة في حروب مع جيرانها، مما ساعدها على إقامة علاقات طيبة مع جيرانها كسجلماسة، وبلاد السودان وغيرها، وهذا لا يعني أن جميع علاقاتها الخارجية كانت حسنة باستمرار بل كانت تتخللها علاقات عداء مثل خلافها مع الأقاليم وغيرها.

- إن الطابع المذهبي كان الميزة الأساسية في النهضة الفكرية عند الرستميين، فقد حظي المذهب الإباضي بقبول أهل المغرب، فاعتنقه عدد كبير من القبائل البربرية وتمسكوا بمبادئه، لا بل دافعوا عنه في أحلك الظروف، ولأنه أقرب إلى المذاهب السنية من حيث اعتزال مبادئه السياسية والمذهبية، مما جعله يستمر ويتعايش مع المذهب المالكي إلى يومنا هذا.

4. - قائمة المصادر والمراجع:

❖أولا -المصادر:

- ابن الأثير، (1979)، الكامل في التاريخ، ج 5، دار صادر للطباعة النشر، بيروت، لبنان.
- ابن الصغير، (1986)، أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق، إبراهيم بحاز ومحمد ناصر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.
- ابن خلدون عبد الرحمن، (1953)، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان .
- البكري، 1965، المسالك و الممالك، المغرب في ذكر إفريقية والمغرب، نشر ديسولان، باريس، فرنسا،.
- الحميري، 1990، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مطابع هيدليرغ، ط1، بيروت، لبنان.
- الدرجيني أبو العباس، د.ت، طبقات المشايخ بالمغرب، تحقيق، ج2، إبراهيم طلاي، ط1، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر.
- الشماخي (أبو العباس أحمد بن سعيد بن عبد الواحد ت928هـ): كتاب سير المشائخ، طبعة حجرية، قسنطينة، ج1، ج2.
- الشهرستاني، (1980)، الملل والنحل، ج1، تحقيق، محمد سيد كيلاني ،دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان .
- اليحيى أبو زكرياء يحيى، 1982، سير الأئمة وأخبارهم، تحقيق، اسماعيل العربي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت ،لبنان.
- اليعقوبي، 2002، البلدان، منشورات محمد علي بيضون، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

❖ثانيا -المراجع(كتب ومقالات ومحاضرات):

- بحازإبراهيم، (1990)شخصيات تاريخية، عبد الرحمن بن رستم مؤسس أول دولة إسلامية مستقلة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

- (ـــــ)، (1993)، الدولة الرستمية (160 -296هـ/777 - 909م)، دراسة في الأوضاع الاقتصادية و الحياة الفكرية، ط2، جمعية التراث، القرارة، غرداية، الجزائر.
- (ـــــ)، (أكتوبر 2009)، الطبيعة العامة للحكم عند الرستميين، مجلة الخلدونية، عدد خاص حول: الدور التاريخي والحضاري لمدينة تيارت ، جامعة ابن خلدون، تيارت، الجزائر.
- البارروني سليمان، (2002)، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، ج2، دار البعث، قسنطينة، الجزائر.
- بن عميرة محمد (1984)، دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.
- بوركبة محمد،(أكتوبر 2009)، البنية الاجتماعية في العهد الرستمي، مجلة الخلدونية، عدد خاص حول: الدور التاريخي والحضاري لمدينة تيارت ، جامعة ابن خلدون، تيارت، الجزائر.
- جودت عبد الكريم يوسف: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين 3 - 4هـ/9 -10م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992.
- الحريري محمد عيسى،(1987)، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي، حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس، ط3، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت.
- داوود بن يوسف سليمان،(17 -26 صفر 1397هـ06 -15 فبراير 1977م)، مجهودات الدولة الرستمية في نشر الحضارة الإسلامية وتركيزها، محاضرات ومناقشات الملتقى الحادي عشر للفكر الإسلامي، ورجلان ، المجلد الأول، منشورات وزارة الشؤون الدينية، دار البعث، قسنطينة، 1984.
- دحدوح عبد القادر، (2008)، استحكامات الأمير عبد القادر العسكرية 1252 - 1258هـ/ 1836 - 1842م، دراسة تاريخية أثرية تحليلية، موفم للنشر، الجزائر.
- الدراجي بوزياني،(2000)، القبائل البربرية، ج2، دار الكتاب العربي، الجزائر.

- الزاوي أحمد الطاهر، شخصيات إسلامية، عبد الرحمن بن رستم، روضة الجندي، العدد1، مؤسسة الاتصال والإعلام، الجزائر.
- زغلول سعد، 1960، تاريخ المغرب العربي، دار المعارف، القاهرة، مصر.
- فشار عطاء الله، عشي علي، الجيش الرستمي وحقيقة غيابه؟، مجلة دراسات وأبحاث، مجلد2،عدد2، 15مارس2010.
- لبزيك دابروفسك، (1984)، 26 صفر 1397هـ، 06 - 15 فبراير 1977، تاهرت، ملاحظات حول تطور فن العمران الإسلامي في المغرب الاسلامي(القرن السابع - الحادي عشر)، محاضرات و مناقشات الملتقى الحادي عشر للفكر الإسلامي، وارجلان، م4، منشورات وزارة الشؤون الدينية، دار البعث، قسنطينة.
- مارسيه جورج، بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، ترجمة، محمود عبد الصمد هيكل، مراجعة مصطفى أبو ضيف أحمد، مطبعة الانتصار لطباعة الأوفست.
- الوزان حسن (بن محمد الفاسي المعروف بليون الإفريقي ت956هـ/1549م)،(1983)، وصف افريقيا، ج2، ط2، ترجمة محمد حجي، محمد الأخضر، دار المغرب الإسلامي، بيروت، لبتان.

❖ثالثا -المراجع الأعجمية:

- Abdalla Laroui :l'Histoire du magreb(un essai de synthese)tome1,petite collection maspero.

-CH. BEKRI, LE kharijisme berbère, annales de l'institut - d'études Orientales, Université d'Alger, tome XV, Alger, 1957.
- Dangel.G : L'imama Ibadite de tahert (781-909) these de doctora 3eme ciècle universite des science humaines starsbourg 1977.
-(G) Marçais et (D) Lamar, Recherches d'archéologie musulmane : tihert- tagdemt, in revue africaine, 1946.
-ANDRE NEGRE: La fin De LETAT RUSTU MID ,Revue d'histoire et de civilisation du Magreb ; FACULTE des lettres D'Alger, IMPRIMRIE IPN ALGER, guillet1969
-Brahim Zerrouki : L'imama de tahert Paris,1976, Payot, paris.
-Chikh Bekri : Le royaume rostemide, Le premier etat Algerien , edition, ENAG, Alger, 2005.
-Emile Felix Gautier: le passe de l'Afrique du Nord: les siècles obscurs, Edition Payot, paris,1964

مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ر ت م د: 7163 -1112 ر ت م د إ:2588-1892
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2

التوجه التركي نحو إفريقيا؛ المحددات والتحديات

Turkey's approach to Africa; determinants and challenges

دريسي حنان

1- أستاذة محاضرة" ا" بكلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية – جامعة الجزائر 3 – الجزائر drissi.hanane@univ-alger3.dz

تاريخ الاستلام: 2020/01/26 تاريخ القبول: 2021/08/22

ملخص :

تبحث هذه الورقة في دواعي التوجه التركي نحو إفريقيا الذي يعتبر جديد نسبيا بالنسبة للسياسة الخارجية التركية المتعددة الأبعاد في عهد حكومة العدالة والتنمية، فمنذ العام 1998 وفي إطار "خطة العمل الإفريقية"، تحاول تركيا زيادة حجم تفاعلاتها الدبلوماسية والسياسية والاقتصادية والثقافية مع دول إفريقيا، عموما لا تزال العلاقات التركية الإفريقية جديدة ومستقبلها يتوقف على التطورات السياسية الداخلية التركية وكذلك الاهتمام من الجانب الإفريقي في ظل وجود تحديات كبيرة تواجه التواجد التركي في إفريقيا.

الكلمات المفتاحية :

الإستراتيجية التركية – إفريقيا – تركيا – القوة الناعمة - العلاقات التركية - الافريقية.

المؤلف المرسل: دريسي حنان: drissi.hanane@univ-alger3.dz

Abstract :

This paper examines the reasons for the return of Turkish interest to the

African circle, since 1998 a revival in turkey's relations with Africa, turkey has tried to increase the volume of its diplomatic political, economic and cultural interactions with African countries. Furthermore relations between turkey and Africa are still new and the future of relations depends to a large extent on Turkish domestic potical developments as well as attention from the African side.

Key words: Turkish strategy – Africa – Turkey – Soft power-African-turkish relationship

مقدمة:

تغيرت السياسة الخارجية التركية بعد القراءة الجديدة التي أجرتها لموقعها الإقليمي والعالمي، وعلاقاتها مع دول المنطقة والعالم، في ظل التطور الكبير الذي شهدته البلاد بعد صعود حزب العدالة والتنمية إلى سدة الحكم العام 2002، حيث عكست السياسة الخارجية للدولة التركية بوجهها المختلف رؤية القيادة الجديدة على الصعيد الفكري والسياسي والاقتصادي، وتوجهها لتوظيف القفزات الاقتصادية التي حققتها في صياغة علاقات أكثر توازنا وبراغماتية مع دول العالم .ضمن هذا السياق توجهت أنظار تركيا إلى القارة الإفريقية التي دخلتها وأحدثت تغييرا جذريا في سياستها الخارجية مع القارة، وأقامت علاقات سياسية واقتصاديه مع عدد من الدول فيها، بل وأنجزت شراكات مع البعض الآخر.

مع وصول حزب العدالة والتنمية إلى قمة الهرم السياسي في تركيا، اتخذ توجهات جديدة سياسية واقتصاديه تهدف إلى تعزيز الدور التركي على الساحة الدولية، وبات حزب العدالة والتنمية وقيادته الحزبية على قناعة راسخة أن قوة أية دولة تقاس بناء على وزنها الإقليمي، وقدرتها على التأثير في السياسة الدولية، وليس فقط بناء على قوتها الداخلية وفي محيطها .رأت تركيا بوجهها

الجديد أنه كي تحقق لنفسها هذا الدور فإنه عليها التواجد في الأماكن الأكثر أهمية بالنسبة للقوى الكبرى، وفي مقدمة هذه الأماكن تظهر القارة الإفريقية التي دخلتها تركيا وفق مقاربات اقتصادية وثقافية وإنسانية بحيث تم اعتماد سياسة ودبلوماسية ناعمة للدخول إلى عمق القارة السمراء، نتج عنها علاقات دبلوماسية ووجود فاعل في 47 دولة إفريقية.

تتناول هذه الورقة البحثية الإشكالية التالية : ماهي محددات التوجه التركي نحو إفريقيا ومجالات التعاون التركي الإفريقي وأخيرا الفرص والتحديات التي تواجه التواجد التركي في إفريقيا؟

1 - جذور العلاقات التركية – الإفريقية

تعود جذور العلاقات التركية الإفريقية إلى زمن الدولة العثمانية عندما أرسلت إلى إفريقيا الجنوبية في العام 1862 مبعوثا اسمه "أبو بكر أفندي" بهدف تعليم المسلمين هناك الدين والفقه والشريعة الإسلامية، ومن أجل فض الخلافات والإشكالات الدينية التي كانت حينذاك. (حسن العاصي، 2019) لقد كان نفوذ الدولة العثمانية يمتد من البحر الأبيض المتوسط عبر البحر الأحمر، مرورا بالسودان حتى الصومال، ومنطقة الشمال الإفريقي والقرن الإفريقي، وهكذا فقد هيمن الباب العالي على كل من مصر وليبيا وتونس والجزائر وإريتريا والصومال والسودان خلال الفترة الممتدة من العام 1536 لغاية العام 1912. وبعد انتهاء الخلافة العثمانية وتأسيس الدولة التركية الحديثة في العام 1924 بزعامة "كمال أتاتورك" تراجعت العلاقات التركية – الإفريقية نتيجة الانشغال ببناء البيت التركي الداخلي، والاهتمام ببناء مؤسسات الدولة الجديدة. (نفس المرجع)

خلال هذه المرحلة والممتدة من انهيار الإمبراطورية العثمانية عام 1923 وصولا إلى تبني خطة عمل "الانفتاح على إفريقيا" العام 1998،يلاحظ أن العلاقات بين الطرفين لم تكن مزدهرة بالشكل المطلوب فالسياسة الخارجية التركية خلال هذه الفترة كانت تركز أساسا على العلاقات مع الدول الغربية حتى نهاية الحرب الباردة، حيث أن الظروف الدولية للحرب العالمية الثانية والحرب الباردة من جهة، والمشكلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية الداخلية لتركيا من جهة أخرى، حالت دون قدرة تركيا على تعزيز علاقاتها مع المجتمعات غير الغربية ومنها الدول الإفريقية. (عبد السلام إبراهيم بغدادي، 2013،ص03)

إن عضوية تركيا في الأمم المتحدة في عام 1946، وانضمامها لحلف الشمال الأطلسي (الناتو) في عام 1952، أثرت على السياسة الخارجية التركية، وذلك ليس على مستوى علاقاتها مع الاتحاد السوفيتي فحسب، بل على مستوى علاقتها مع دول إفريقيا وآسيا، كما أن الاعتقاد التركي بعدم فعالية حركة عدم الانحياز في مواجهة التمدد السوفيتي، قاد إلى إفراز نوع من المواجهة بين الدول الإفريقية وتركيا، فضلا عن الإخفاق التركي لدعم قضية استقلال الجزائر في الجمعية العامة للأمم المتحدة عام 1956، خلف جانبا سلبيا أضر بالعلاقات التركية – الإفريقية (نفس المرجع). ومع انتهاء الحرب الباردة مطلع التسعينات من القرن العشرين، اختلفت طبيعة النظام الدولي وبنية وهيكل القوة الخاص به، وكنتيجة للطبيعة الجديدة لسياسة العلاقات الخارجية على المستوى العالمي، عملت تركيا على إعادة هيكلة سياستها الخارجية وتبنت أطر مختلفة في إدارتها لملف علاقاتها الخارجية ومنها الدول الإفريقية، وذلك من أجل أن يكون لها هوية دولية جديدة قائمة على مفهوم **"العمق الاستراتيجي"**، والذي سوف يعزز بدوره من المكانة والأمن الدولي لتركيا. (نفس المرجع)

ومنذ العام 1998 جرى تحول إيجابي في مسار العلاقات التركية الإفريقية على كافة المستويات، حيث تبنت تركيا خطة عمل للقارة الإفريقية أطلق عليها **"الانفتاح على إفريقيا"** وقد أخذت العلاقة بين الطرفين دفعة قوية ومنحى جديد نحو التعاون بدرجات مرتفعة لاسيما منذ وصول حزب العدالة والتنمية إلى سدة الحكم في تركيا عام 2002 م، وهذه المرحلة من العلاقات المتبادلة هي التي سينصب التركيز عليها في هذه الدراسة، حيث أنها تجسد الواقع المعاصر للعلاقات التركية – الإفريقية. عموما يمكن تقسيم تطور الدبلوماسية التركية تجاه إفريقيا إلى مرحلتين هامتين:

1.2. -المرحلة الأولى (2005 – 2011):

خلال هذه المرحلة، عملت تركيا على تقوية علاقاتها بإفريقيا على المستويات كافة، وحصلت على منصب مراقب في الاتحاد الإفريقي، وانضمت إلى البنك الإفريقي للتنمية في 15 مايو عام 2005، كما عملت على تقوية علاقاتها بهيئة المنظمات الحكومية الدولية للتنمية في شرق إفريقيا، والتجمع الاقتصادي لدول غرب إفريقيا، ما ساهم في إعطاء هذه العلاقة شكلا مؤسساتيا. (نفس المرجع)

في سبيل تدعيم العلاقات التركية – الإفريقية استضافت تركيا في العام 2008 قمة التعاون التركي – الإفريقي" ليعلن الاتحاد الإفريقي بعدها مباشرة أن تركيا هي "شريكه الاستراتيجي". ومن أجل تعزيز علاقتها مع الدول الواقعة جنوب الصحراء الإفريقية قررت تركيا زيادة عدد ممثليها الدبلوماسيين في هذه الدول وفقا لأهدافها المتعلقة بهذه الدول، حيث تم خلال الفترة الممتدة من أكتوبر 2008/ يوليو 2009، افتتاح 11 سفارة وقنصلية عامة جديدة نوضحها في الجدول التالي :

الجدول رقم (1) : سفارات تركيا في إفريقيا جنوب الصحراء

الدولة	العاصمة	تاريخ الافتتاح
تنزانيا	دار السلام	18 مايو 2009
ساحل العاج	أبيجان	15 نوفمبر 2009
الكاميرون	ياوندي	15 يناير 2010
غانا	أكرا	01 فيفري 2010
مالي	باماكو	01 فيفري 2010
أوغندا	كمبالا	28 فيفري 2010
أنغولا	لولندا	02 أفريل 2010
مدغشقر	أنتانانا ريفو	21 أفريل 2010
زامبيا	لوساكا	15 فيفري 2011
موزمبيق	مابوتا	15 مارس 2011
موريتانيا	نواكشوط	15 أفريل 2011

- المصدر: من اعداد الباحثة اعتمادا على المصدر:

عبد السلام ابراهيم بغدادي، البعد الافريقي في السياسة التركية المعاصرة. مجلة دراسات دولية ، جامعة بغداد ، مركز الدراسات الدولية، العدد50، 2013،ص03.

لقد أثمر تعزيز العلاقات الدبلوماسية بين الدول الإفريقية وتركيا في إنجاح مرشح الأخيرة "كمال الدين إحسان أوغلو" في تولي منصب الأمين العام لمنظمة التعاون الإسلامي العام 2005، ونيل تركيا مقعد العضو الدائم في مجلس الأمن في أكتوبر 2008. (الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية و الاستراتيجية2019.) حيث تعتبر واحدة من أبرز المصالح السياسية التي حاولت تركيا تحقيقها وإدراكهم عبر الاستفادة من علاقاتها مع الدول الإفريقية ولعل هذه المصلحة التركية تأتي على رأس الأهداف والمصالح السياسية التي استهدفت تركيا تحقيقها من وراء عقد القمة التركية – الإفريقية الأولى في اسطنبول عام 2008.

2.2. -المرحلة الثانية (من 2011 إلى يومنا هذا) :

وهي مرحلة الاهتمام التركي بالوضع في الصومال فقد ألقت الضوء على ما يعانيه الشعب الصومالي وأطلقت حملة إنسانية تجاه مقديشو لتأسيس وجود كبير هناك، وتبنت مشاريع هدفت إلى مساعدة الصومال على تطوير بنيته التحتية و كان رئيس الوزراء الأسبق ورئيس جمهورية تركيا الحالي "رجب طيب أردوغان" أول زعيم غير إفريقي زار الصومال العام 2011، حيث افتتحت تركيا سفارة لها في مقديشو.(لطفي صور. ص67)

2 -إفريقيا في منظور الإستراتيجية التركية الجديدة

ينطلق الفكر الاستراتيجي التركي المعاصر من رؤية سياسية براغماتية بحتة حتمتها ظروف صعود حزب العدالة والتنمية إلى سدة الحكم العام 2002.

حيث سيتم قياس قوة دولة ما في هذا القرن وفق هذه الرؤية بناء على ثقلها النوعي في ساحات التأثير الدولية(الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية ، 2019)، لذلك تبرز قيمة الدولة الحقيقية ليس في قوتها الفعلية في محيطها

الإقليمي وحسب، بل وفي تأثيرها الاقتصادي والثقافي والدبلوماسي في المناطق المختلفة، وفي مقدمة هذه المناطق إفريقيا. (نفس المرجع)

يستمد المنظور الاستراتيجي التركي تجاه إفريقيا مؤشراته الحديثة من خلال ركيزة الدبلوماسية المتناغمة (نفس المرجع) التي ترى أن الدور التركي الجديد يجب أن يتجاوز مفهوم الدولة الطرفية غير الفاعلة إلى دولة لها تأثير فعلي على مجرى التفاعلات الدولية. في هذا السياق يؤكد مهندس السياسة الخارجية التركية "أحمد داوود أوغلو"، أن على تركيا القرن الحادي والعشرين يجب أن تنخلع من كونها دولة طرفية، وتكتسب وضعيتها كدولة لا تصرف جهودها فقط من أجل حماية استمرارها، بل وتوظفها لحماية نظامها من خلال الاطلاع بدور يحمي استقرار ونظم الدول المجاورة. (بوحنية قوي.2019)

ولهذا لا ترى القيادة التركية الحالية إفريقيا قارة بعيدة عنها، بل على النقيض من ذلك، فتركيا من الناحية الجيوسياسية دولة أوراسية ذات جوار مباشر مع إفريقيا، وقد شكل بذلك انفتاح تركيا على إفريقيا انعكاسا حقيقيا للتصور الجيوسياسي والعمق الاستراتيجي والأسلوب الدبلوماسي للسياسة الخارجية التركية الجديدة تجاه إفريقيا. (نفس المرجع)

3 -مرتكزات السياسة الخارجية التركية الجديدة

لكي نفهم التوجه التركي نحو إفريقيا يجب أولا أن نعرض أهم مرتكزات السياسة الخارجية التركية الجديدة التي وضعها "أحمد داوود أغلو" منذ أن كان مستشارا لرئيس الوزراء التركي أنذاك رجب طيب أردوغان العام 2002، وحتى تقلده منصب وزير الخارجية بدءا من العام 2009، حيث حدد مرتكزات السياسة الخارجية التركية الجديدة في النقاط التالية :

3 -1 - -سياسة "تصفير المشكلات"

يقصد بمصطلح " التصفير"Minimization to zero التقليل من امر معين لاقصى درجة ممكنة او حتى انعدامه. و من ذلك عملية " تصفير المشاكل الدولية" و التي تعني للطرف الدولي الذي يقوم بها اسباغ او ارساء السلم على علاقاته مع دول بعينها (غالبا ما تكون دول مجاورة) و محاولة تحسين و تطوير هذه العلاقات خدمة و دعما للمصالح المشتركة و لمواجهة الاخطار المشتركة.. بما يحفظ السلام المحلي و الاقليمي و حتى العالمي. ويجعل علاقات هذا الطرف مع الدول المستهدفة علاقات يسودها التعاون على الصراع و الخلاف وبحيث تخفف درجة الصراع (و الخلافات) لأقل درجة ممكنة.

انطلاقا من هذا المبدأ تستطيع تركيا أن تتمدد في جوارها القريب أو البعيد والذي يجب أن لا يكون معاديا أو به مشكلات تعوق انتقال الأموال والبضائع، ومن ثم تستطيع عقد اتفاقيات شراكة أمنية واقتصادية وفي مجالات الطاقة مع تلك الدول التي تعد الفناء الخلفي لتركيا جنوبا، بدءا من العراق وسوريا، ومرورا بالشرق الأوسط، وانتهاءا بإفريقيا. (نفس المرجع)

3 -2 - سياسة البيوت الخشبية :

وتعني أنه إذا شب حريق في أي بلد مجاور فبالضرورة سوف يمتد إلى تركيا والبلدان المجاورة بسبب طبيعة تلك الدول المتلاصقة، والتي تتشابك مصالحها بعضها ببعض عن طريق الروابط التجارية والثقافية والتاريخية، ومن هنا تبرز مشكلات مثل : تقسيم المياه بين حوض النيل، وكذلك القرصنة في القرن الإفريقي بوصفها تهديدات محتملة للنفوذ التركي الناشئ في القارة السمراء، حتى لو كانت تهديدات بعيدة الأمد. (محمد سليمان الزواوي.2011.)

3 -3 - العمق الاستراتيجي :

يرى أحمد داوود أوغلو أن تركيا يجب أن تتمتع بعمق استراتيجي لكي تتمدد تمددها الطبيعي في جوارها الإقليمي، وذلك بالتخلص من كل

المشكلات، حيث قال في كتابه " الفرضية الأساسية لنظرية العمق الاستراتيجي " أن قيمة الدولة في السياسات الدولية تعتمد على موقعها الجيواستراتيجي وعمقها التاريخي، وتركيا تتمتع بكل من المكان الذي يعطيها نفوذا على المناطق الجيوبوليتيكية عن طريق تحكمها في مضيق البوسفور، وتركتها التاريخية الإمبراطورية العثمانية. كما يسمح مفهوم المجالات أو الأحواض القارية بمنح تركيا عمقا استراتيجيا في إفريقيا، وإمكانات للتأثير في أوروبا وآسيا، وهوما يطلق عليه أوغلو "أفرو أوراسيا ".

4 - أهمية إفريقيا في السياسة الخارجية التركية

تنظر تركيا إلى إفريقيا على أنها القارة الأهم التي تتمتع بموقع استراتيجي بالغ الأهمية، يتحكم في الطرق المائية الدولية، ويتحكم في كل المضايق الذي تعبر منها التجارة العالمية، ولعل قناة السويس تأتي في مقدمة المنافذ المائية الكبرى، التي ظلت لسنوات المنفذ الأهم في العالم الذي يتحكم في الخارطة الجيوسياسية، والاقتصادية في السياسة الدولية، كما نجد مضيق باب المندب الذي لا يقل أهمية عن قناة السويس بل ربما يمثل أهمية أكثر منها، بوصفه يتحكم في مدخل قناة السويس، ولعل هذا ما يفسر الصراع في اليمن بين القوى الإقليمية والدولية.

وهناك مضيق آخر مهم جدا بالنسبة لتركيا تتميز به القارة الإفريقية، وهو مضيق جبل طارق الذي يربط بين القارة الافريقية والقارة الأوروبية، وهو معبر مهم جدا على المحيط الأطلسي، ويوصل إلى القارة الأمريكية، والأهم أنه يوصل إلى غرب القارة الإفريقية الغنية بالثروات البحرية، وبموقعها الاستراتيجي في المجال الاقتصادي الحيوي خاصة وأن هناك دولا أوروبية، فرنسا وبريطانيا، تريدان التحكم في هذا المضيق الحيوي المهم على مستوى النشاط الاقتصادي، وعلى مستوى الخارطة الجيوسياسية في العالم.

كما تأتي أهمية القارة الإفريقية بالنسبة لتركيا على اعتبار أن القارة الإفريقية غنية بثرواتها الطبيعية المختلفة خصوصا النفط، والفوسفات، واليورانيوم، والذهب، والنحاس، والحديد وغيرها التي لا تتوفر في بقية القارات الأخرى، ولعل زيارة أردوغان للسودان والتشاد وتونس تعد واحدة من الخطوات المهمة التي تخطوها تركيا لكي تكون لاعبا مهما في الساحة الافريقية.

5 – محددات التوجه التركي نحو إفريقيا

ثمة أربع محددات إستراتيجية رئيسية، تتشكل من خلالها مجمل الرؤية الإستراتيجية التركية الراهنة وأهدافها تجاه القارة الإفريقية تتمثل في : المنطلق الحضاري، والمحفز الاقتصادي، والعامل الأمني، والتنافس الدولي الإقليمي.

5 –1 – المنطلق الحضاري – الديني

يعتبر المنطلق الرئيسي الذي يحوي جميع الدوافع الإستراتيجية الأخرى، حيث تعطي أنقرة أولوية قصوى لتحقيق مصالحة تاريخية مع محيطها العربي، والإسلامي والإفريقي، وإقامة شراكة إستراتيجية مع دول تلك الدوائر الثلاث (علي جلال معوض.2010.ص.87). فإذا كانت تركيا "العلمانية" في عهد كمال أتاتورك قد وظفت من قبل البعد العلماني في التوجه نحو أوروبا للانضواء تحت لواء الاتحاد الأوروبي، لكنها لم تنجح في ذلك، فإن سياسة تركيا في ظل حزب العدالة والتنمية تجاه محيطها الاستراتيجي، قد وظفت البعد الديني ليدعم سياسة الانفتاح نحو إفريقيا، بوصفه وسيلة لتحقيق المصالح القومية التركية حيث أدرك صانع القرار في تركيا أن البعد الديني سوف يزيد من قوة أنقرة التنافسية في إفريقيا في مواجهة فاعلين آخرين لهم نفوذ كبير في إفريقيا مثل الصين والهند. (نفس المرجع.)

وتعد سنة 2006 نقطة تحول جوهرية في توظيف تركيا للبعد الحضاري الديني في إطار قوتها الناعمة تجاه إفريقيا، حيث استضافت مؤتمر (رجال الدين الأفارقة) في اسطنبول و الذي عبر عن تغير الرؤية التركية في التعامل مع الجماعات والمؤتمرات ذات التوجه الديني، إذ أصبحت تراها وسيلة ناجحة لتحقيق المصالح القومية التركية بأدوات القوة الناعمة. (محمد سليمان الزواوي. مرجع سابق.)

5 -2 - المحفز الاقتصادي

يأتي الجانب الاقتصادي في مقدمة الدوافع التي تحرك رغبة تركيا في الانفتاح على إفريقيا ذات الموارد الكبيرة والمتنوعة والأسواق الواعدة وفرص الاستثمار غير المتناهية، في ظل تنافس دولي كبير بين قوى آسيوية صاعدة مثل الصين والهند وكوريا الجنوبية وإيران، فضلا عن الدول الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية والبرازيل للاستفادة من موارد القارة.

لقد دشنت تركيا انفتاحها الاقتصادي على إفريقيا منذ العام 1998، وتسارعت وتيرة ذلك الانفتاح مع وصول حزب العدالة والتنمية إلى السلطة عام 2002، فأطلقت تركيا "خطة إفريقيا" عام 2005، لتكون منطلقا استراتيجيا للتوجه نحو القارة. و في عام 2008، احتضنت اسطنبول قمة تركيا – إفريقيا بمشاركة 49 دولة إفريقية، توجت بتعزيز تلك العلاقات بتسمية تركيا شريكا استراتيجيا للقارة من قبل الاتحاد الإفريقي، وأسفرت القمم (التركية – الإفريقية) عن وثيقتين مهمتين : مثلتا الإطار الأبرز للشراكة الاقتصادية بين الجانبين وهما :

إعلان اسطنبول للتعاون التركي – الإفريقي : التعاون والتضامن من أجل مستقبل مشترك وإطار التعاون للشراكة التركية الإفريقية.وقد منحت تركيا

صفة "مراقب" داخل الاتحاد الإفريقي، كما أصبحت عضوا في بنك التنمية الإفريقي منذ العام 2008. (مصطفى شفيق علام،بدون سنة نشر)

5 -3 - العامل الأمني

يعتبر احد العوامل التي حفزت صانع القرار التركي نحو الانتقال بالشراكة الإستراتيجية مع القارة الإفريقية من الاشتباك الناعم Soft Engagement إلى الاشتباك الخشن أو الصلب Hard Engagement من خلال تدشين القاعدة العسكرية التركية في الصومال على خليج عدن الاستراتيجي (مدخل باب المندب والبحر الأحمر)، لتكون أول قاعدة عسكرية تركية في القارة السمراء. (نفس المرجع)

إن الاهتمام الأمني التركي بالقارة السمراء يأتي في سياق تأمين العلاقات الاقتصادية والتجارية والاستثمارية التركية الضخمة في القارة، بالإضافة إلى بعد استخباري لوجيستي داخلي، يتعلق بتجفيف منابع جماعة "فتح الله غولن" المعارضة لأردوغان والتي لها امتداد كبير في إفريقيا، وأخيرا مكافحة الجماعات المتشددة التابعة لتنظيم الدولة الإسلامية والقاعدة في عدد من أقاليم القارة، حيث أدركت القيادة التركية أنها قطعت مرحلة جيدة من النمو الاقتصادي واستقرار المناخ السياسي والقوة العسكرية داخليا، وأنها باتت بحاجة إلى آليات جديدة تتعلق بالشق المعلوماتي الأمني في محيطها الخارجي، خصوصا في القارة الإفريقية. (نفس المرجع)

5 -4 - التنافس الدولي و الإقليمي

تحرص القيادة التركية على إيجاد موطئ قدم لها في إفريقيا في ظل التنافس الدولي الإقليمي على التغلغل والنفوذ فيها، في خضم سعي محموم بين قوى آسيوية ولاتينية صاعدة مثل : الصين والهند و كوريا الجنوبية و البرازيل

إضافة إلى الدول الأوروبية (المستعمر السابق لدول القارة) و الولايات المتحدة الأمريكية (ذات النفوذ التقليدي في إفريقيا) للاستفادة من الخيرات الوفيرة في القارة هذا إلى جانب كل من إيران و إسرائيل على الصعيد الشرق أوسطي.

و القيادة التركية من خلال دخولها القارة الإفريقية قد قررت منافسة الكبار على الصعيد الاستراتيجي فجاء قرار تدشين القاعدة العسكرية التركية في مقديشو في سياق حروب القواعد العسكرية في القرن الإفريقي ذي الأهمية الإستراتيجية الكبرى حيث تمتلك(الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا واليابان و الصين) قواعد عسكرية في منطقة القرن الإفريقي و تحديدا في جيبوتي.(Tomi Oladipo.2015). لكن القيادة التركية تسوق لتمددها في القارة السمراء بعيدا عن منطلقات القوى الدولية الأخرى و ذلك بالعب على أوتار التقارب الديني و الحضاري و اعتمادا على مدخل المساعدات الإنسانية.

6 – مجالات التعاون التركي الإفريقي

عقدت تركيا في اسطنبول قمة إفريقية تركية هي الأولى من نوعها خلال الفترة الممتدة من 18 إلى 21 مارس 2008، تحت عنوان "التضامن والشراكة لمستقبل مشترك"، حضرها ممثلون من 50 دولة إفريقية، حيث شكلت تركيا في ظل حكومة حزب العدالة والتنمية رؤية جديدة للعلاقات التركية – الإفريقية. (نفس المرجع). منذ العام 1998 تبنت تركيا سياسة الانفتاح على إفريقيا، بهدف تنمية علاقاتها السياسية والاقتصادية والثقافية بالدول الإفريقية، وتهدف تلك السياسة إلى تقوية التعاون في مختلف المجالات.والسياسة الخارجية التركية تجاه إفريقيا لا تعتمد فقط على الأهداف الاقتصادية والتجارية، ولكن تشمل أيضا على توجه متكامل عبر المساعدات التقنية مثل مكافحة الأمراض والتنمية الزراعية والري والطاقة

والتعليم والمساعدات الإنسانية.كما تساهم تركيا في مهام السلام والأمن والاستقرار في إفريقيا.

6 -1 - التعاون في المجال الاقتصادي والتجاري:

يأتي الجانب الاقتصادي في مقدمة الدوافع التي تحرك رغبة تركيا تجاه إفريقيا ذات الموارد الكبيرة والمتنوعة والأسواق الواعدة وفرص الاستثمار غير المتناهية، في ظل سعي محموم بين قوى آسيوية صاعدة مثل : الصين والهند وكوريا الجنوبية وإيران فضلا عن الدول الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية والبرازيل للاستفادة من ثروات القارة. فإفريقيا اليوم صاحبة الاقتصاد الأسرع نموا في العالم، وبحسب معطيات صندوق النقد الدولي فإن 10 دول إفريقية تقع على لائحة الدول الـ 64 الأسرع نموا في عام 2014. (ChigozieEnwer.Mesutyilmaz.2014.p.221-225)

هناك عدد من العوامل والاعتبارات التي يمكن إبرازها كدوافع ومبررات للتعاون الاقتصادي بين إفريقيا وتركيا، من أهمها ما يلي:

1. هذه المنطقة مؤهلة بحكم التنوع والثراء الموردي، وبحكم وجودها ضمن عضوية أكثر من تكتل اقتصادي إفريقي لأن تكون الخيار الأنسب للاستثمارات التركية.
2. لا يخفى أن تركيا تواجه عقبات جدية أمام انضمامها إلى الاتحاد الأوروبي لذلك فهي تسعى بجدية إلى الانفتاح الاقتصادي والتجاري والسياسي على جميع دول القارة الإفريقية، وتقوم تركيا بمناورة ذكية مع الاتحاد الأوروبي، بإيجاد بدائل اقتصادية، تمكنها من اختراق الأسواق الإفريقية التي تمتصها أوروبا بعقلية استعمارية، وهي رسالة

إلى فرنسا بالخصوص مفادها أن تركيا قادرة على طرح نفسها بديلا مقبولا في إفريقيا.

لقد أثمرت الإستراتيجية الاقتصادية التركية المنفتحة على إفريقيا إلى زيادة حجم التبادل التجاري بين الجانبين، من 3 مليارات دولار فقط عام 2002، إلى نحو 25 مليار دولار عام 2015م. (محمد سليمان الزواوي.مرجع سابق.) وخلال السنوات الأخيرة، ارتفعت الصادرات التركية إلى إفريقيا، من نحو 1.7 مليار دولار في عام 2002 إلى نحو 14.1 مليار دولار في عام 2013 (نفس المرجع) وتؤشر التطورات في معدلات التجارة الثنائية بين الجانبين على وجود رغبة تركية لزيادة تبادلها التجاري ومع إفريقيا إلى نحو 5 أضعاف بحلول العام 2023م، ليتخطى حجم التجارة بين الجانبين حاجز الـ 100 مليار دولار سنويا . (رؤيا للبحوث و الدراسات. 2018)

كما ارتفع نصيب إفريقيا من مجموع الصادرات التركية، ليأخذ اتجاها متزايدا في السنوات الأخيرة، ففي حين مثلت الصادرات التركية لإفريقيا نحو 4.7% من إجمالي واردات القارة في عام 2002، قفزت تلك النسبة إلى الضعف تقريبا لتصل إلى نحو 9.3% في عام 2013، في حين بلغت تلك النسبة ذروتها في عام 2009، حيث وصلت إلى 9.9% والعكس من ذلك، فإن نصيب إفريقيا من واردات تركيا اتخذ معدلا ثابتا تقريبا يدور حول 2.5% منذ عام 2002م، الأمر الذي يؤشر إلى أهمية إفريقيا المتزايدة بوصفها سوقا واعدة للمنتجات التركية.

وتتمحور الصادرات التركية إلى الدول الإفريقية جنوبي الصحراء في السلع المصنعة ومنتجات الحديد والصلب، والمنتجات الغذائية والاستهلاكية والمنسوجات، والإسمنت، فيما تتمحور مجمل الواردات التركية من إفريقيا في المواد الخام والمنتجات الأولية، مثل : القطن، والأحجار الكريمة، والمعادن، والفحم، والأخشاب والجلود، والبذور، والقليل من النفط الخام. (يوسف خميس

ابورفاس.جامعة افريقيا العالمية بالتعاون مع معهد الخرطوم الاستراتيجي. الخرطوم)

في هذا السياق، تبدو العلاقات التجارية التركية مع دول إفريقيا جنوب الصحراء متواضعة بالمقارنة مع دول شمال إفريقيا، ومن ثم فإن أنقرة تسعى لتعظيم التبادل التجاري مع دول تلك المنطقة تلك خلال السنوات القادة.فعلى الصعيد الاستثماري، وصلت الاستثمارات التركية المباشرة في إفريقيا، وفقا لتقديرات العام 2015، إلى نحو 6 مليارات دولار، منها مليار دولار في إثيوبيا، و500 مليون دولار في جنوب إفريقيا، و160 مليون دولار في السودان، و60 مليون دولار في نيجيريا. (نفس المرجع)

والملاحظ بأن حجم التعاون الاقتصادي بين أنقرة وأديس بابا في أعلى مستوياته، حيث تؤكد إثيوبيا أنها تأخذ النصيب الأكبر من الاستثمارات التركية في إفريقيا، وحاليا يوجد بها 350 شركة تركية، دخلت منها 120 شركة في 2014، ويعمل بها أكثر من 500 ألف إثيوبي. (نفس المرجع) من جهة أخرى، تحركت تركيا في منطقة دول جنوب الصحراء الكبرى في السنوات الأخيرة لإقامة تعاون اقتصادي معها. لاسيما غانا وكوت ديفوار، الشريك الأكبر لتركيا على الصعيد التجاري في هذه المنطقة، كما عمدت تركيا إلى اعتبار الصومال البوابة الأوسع لها في سعيها لتوسيع نفوذها بإفريقيا، حيث ركزت على ضخ الاستثمارات في هذا البلد الفقير والمساعدات الإغاثية للصومال، نظرا لأهمية موقعها الجغرافي الذي يربط بين القارات وباعتبارها ممرا مهما للطاقة في العالم، إضافة إلى الثروات الكثيرة الذي يمتلكها الصومال.

6 -2 - التعاون في المجال الإنساني :

تنطلق الشراكة التركية الإفريقية من منظور تركي قيمي يستند على خطاب ما بعد الكولونيالية، انطلاقا من تأكيد حرص أنقرة على تعزيز السلم والاستقرار في إفريقيا، من خلال مساعدة الدول الإفريقية على التخلص من تبعات الاستعمار، وترسيخ صورة الدولة التركية في العقل الجمعي الإفريقي، بأنها دولة كبرى تحترم الإنسان، وتتبنى سياسات أخلاقية قيمة باعتبارها "شريك الخير" Benevolent Partner الذي يطلع بالمهام الإنسانية والإغاثية، ويمد يد العون للأشقاء الأفارقة. (نفس المرجع) ويعتبر إقتراب "**شريك الخير**" إطارا ملائما للإستراتيجية التركية الراغبة في ممارسة دور مركزي قيادي، يتسق مع رؤية صانع القرار التركي لمكانة بلاده على الصعيد الدولي.

لقد تبوأت تركيا مكانة مرموقة في مجال المساعدات الإنسانية الدولية خلال السنوات القليلة الماضية، ففي عام 2012 أصبحت تركيا رابع أكبر جهة حكومية مانحة للمساعدات الإنسانية في العالم، وأكبر مقدم مساعدة إنمائية خارج إطار لجنة المساعدة الإنمائية (DAC) التابعة لمنظمة التعاون الاقتصادي والتنمية (OECD). (نفس المرجع) و تركز تركيا في مجال مساعداتها الإنسانية لإفريقيا على البنية التحتية، معتبرة إياها إحدى العناصر القليلة في مجال المساعدات الخارجية التي يمكن أن يكون لها تأثير كبير ومستدام، أما القطاعات الأساسية بالنسبة المساعدات التركية في إفريقيا، فهي توجه لقطاعات الصحة والصرف الصحي.

وبالمقارنة مع الولايات المتحد الأمريكية وأوروبا، فإن الفرق بين العمليات الإنسانية التركيبة، والبلدان الأخرى، هو أن تركيا تنطلق في جهودها الإنسانية من بعد قيمي وديني، ومن ثم فإنها لا تتوقع الحصول على مقابل، ويمكنها أن تعمل بسرعة من خلال هيكلها الديناميكي المرن، ولا يوجد لدى هيئة

إدارة الكوارث والطوارئ ميزانية ثابتة، كما أن المزج بين الثقافة الإسلامية والنهج الإداري الحديث، في مجال العمل الإنساني والتنموي، يجعل المساعدات التركية مبتكرة إلى حد كبير. (نفس المرجع) تدعم المساعدات التركية العلاقات السياسية مع الدول الإفريقية، ولا تقتصر تلك المساعدات على الجانب الحكومي فحسب، فقد ساهمت جهود منظمات المجتمع المدني التركية في تنمية أواصر التعاون مع إفريقيا، وفي هذا السياق، فقد ساهمت هيئة الإغاثة الإنسانية التركية (IHH) التي تعد من كبريات مؤسسات الدعم الإنساني في تركيا، في تنفيذ خطة الانفتاح على إفريقيا التي تبناها حزب العدالة والتنمية منذ العام 2002. (IHH, 2019)

افتتحت الوكالة التركية للتنسيق والتعاون (TIKA) في عام 2011 مكاتب جديدة لها في كل من الصومال وليبيا، كما افتتحت مكاتب أخرى في كينيا ومصر وتونس عام 2012، لتنضم إلى فروع الوكالة في أثيوبيا، والسودان، والسنغال (نفس المرجع). وكانت قد أسست في عام 1992 لتطبيق السياسة الخارجية التركية تجاه دول محددة لديها عوامل مشتركة مع تركيا ابتدءا من الجمهوريات السوفيتية التي استقلت عن الاتحاد السوفيتي العام 1991 وصولا إلى دول القارة الإفريقية، حيث فتحت (TIKA) في عام 2005 أول مكتب لها في إثيوبيا، ومن ثم توسع نشاط هذه الهيئة في دول قارة إفريقيا ليصل عدد مكاتبها إلى 11 مكتبا. وتضمن نشاط الهيئة عدة جوانب مثل التعليم والصحة والبنية التحتية وأمور أخرى تخص الاهتمام بالآثار الإفريقية. (محمد سليمان الزواوي. مرجع سابق)

3.6. -التعاون في المجال الأمني و السياسي :

اعتمدت تركيا في تحركاتها على عدد من الدول الإفريقية ذات الأهمية الإستراتيجية، وكان أبرزها إثيوبيا والصومال وجيبوتي، إذ عمدت أنقرة إلى

توقيع على اتفاقيات أمنية مع أديس بابا وجيبوتي ومقديشو، ووقع البرلمان التركي على اتفاقية الدفاع المشترك مع أديس أبابا، الأمر الذي أثار الكثير من التكهنات، خاصة في مصر حول الهدف منها، لا سيما مع توسيع هوة الخلاف بين القاهرة وأديس أبابا بشأن سد النهضة، وفضلا عن ذلك سعت أنقرة إلى إنشاء قواعد عسكرية في منطقة القرن الإفريقي، وكشف ذلك عن "الأبعاد الجيوسياسية"" المهمة التي تنتجها سياسة تركيا إزاء القارة الإفريقية (نفس المرجع). وتأتي إنشاء قاعدة عسكرية تركية في الصومال في إطار سياسة فتح أسواق جديدة للأسلحة التركية.

7. -فرص وتحديات التوجه التركي نحو إفريقيا

تقدم تركيا اليوم أنموذجا ناجحا من حيث الانفتاح على الغرب، والتناوب السلمي على السلطة بين أحزابها السياسية والتقدم الاقتصادي الذي أحرزته تحت قيادة حزب "العدالة والتنمية"، بحيث أصبحت الاقتصاد رقم 18 في العالم من حيث حجم الناتج المحلي الإجمالي مع آفاق أوسع للنمو في العقود القادمة. (لطفي صور، مرجع سابق. 2018)

إن نجاح التواجد التركي في إفريقيا مرهون بمدى قدرتها في تعريف دورها في إفريقيا وفق منظور استراتيجي يوفر رؤية شاملة تستطيع التعامل مع مجمل الأوضاع الإفريقية ومنها الأوضاع السياسية والأمنية والبيئية فضلا عن تلبية أوضاع التوازن الاستراتيجي الدولي والحاجة للموارد ويعبر عن المسؤولية تجاه الأجيال القادمة ويلبي تطلعات القارة السمراء في إطار المصالح الإستراتيجية والفلسفة التي تؤسس لأمن الإنسان الإفريقي وتحقيق المصالح الإستراتيجية العادلة لإفريقيا في ظل احترام الهوية الإفريقية وإسناد ثقافي ووجود وعي مشترك بين الطرفين، مما يسهم في تحقيق المصالح الإفريقية

وإعطاء دور مركزي لتركيا كوسيط يمكن أن يكون مقبولا بين الشمال والجنوب.

ما يميز التواجد التركي في إفريقيا والذي ظل مفقودا في علاقات الآخرين (القوى الكبرى مثل : الولايات المتحدة الأمريكية، أوروبـــا، الصـــين، اليابـــان .....)، بإفريقيا هو وجود مجموعة من الأبعاد والسياسات التي تميز وتحكم العلاقة الإستراتيجية بين تركيا وإفريقيا، والتي يمكن إجمالها في النقاط الآتية :

1. التوازن بين المصالح الإستراتيجية لتركيا والمصالح الإفريقية.
2. تعزيز الثقة المتبادلة والتواصل السياسي والثقافي.
3. اعتماد مبدأ الاستفادة المتبادلة.
4. دعم تحقيق التنمية السياسية واعتماد معاملات تحترم سيادة الدولة ومصالحها في ظل شفافية تحكم النشاط التركي في إفريقيا.
5. تقديم مساعدات خالية من أية شروط سياسية لإفريقيا خاصة في مجال البنى التحتية.
6. تأسيس الرؤية الإستراتيجية والمرحلية في إفريقيا بمشاركة الأفارقة.
7. العمل على احترام الثقافة الإفريقية كأهم أسس ومرتكزات الإستراتيجية التركية في إفريقيا.
8. دعم الأمن والاستقرار في إفريقيا.
9. تعميق الوجود في الأسواق الإفريقية عبر الشراكة وتنمية وتطوير المنافع المتبادلة.
10. تشجيع العمل الطوعي التركي الخيري الشفاف في إفريقيا وتأسيس شراكة بين الحكومة التركية ومنظمات العمل الطوعي في تركيا لمساعدة الدول الإفريقية في مجالات التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

11. تتعامل تركيا مع الشعوب الإفريقية بمقاربة إنسانية ذات أبعاد براغماتية.

إن انفتاح تركيا على إفريقيا يعتبر جزءا لا يتجزأ من إعادة التعريف الجديد لسياسة تركيا الخارجية، وعلى المنظور الأوسع فإن الأزمة الاقتصادية العالمية التي حدثت عام 2009 شددت على أهمية تنويع الأسواق التركية، وأثبتت أن بناء علاقات مع إفريقيا يتوسطها العرب كانت خطوة جيدة، وخاصة وأن الأسواق الإفريقية بعيدة عن اهتزازات أسواق المال العالمية الكبرى.

إلا أن التواجد التركي في إفريقيا يشوبه العديد من التحديات لعل أهمها.

1. حدة التنافس العالمي على القارة الإفريقية خصوصا بين فرنسا والصين والولايات المتحدة الأمريكية وإيران واليابان وروسيا وإيطاليا وإسرائيل الذين نجحوا في الهيمنة بشكل كبير على مصادر الثروات الطبيعية والاقتصادية في إفريقيا، وهذا ما يحتم على تركيا أن تنتهج سياسة خارجية فعالة في كسب علاقات دبلوماسية مع كل الدول الإفريقية خصوصا في ظل وجود تقارب تاريخي وحضاري بينهما خصوصا وأن الأفارقة ينظرون إلى الدولة العثمانية نظرة إيجابية ولا ينظر إليها كدولة استعمارية وهي نقطة إيجابية تسجل لصالح تركيا.
2. غياب الاستقرار السياسي في معظم الدول الإفريقية وخصوصا المسألة الليبية، ما يحتم على تركيا طرح مبادرات في هذا الشأن لإنهاء النزاع في ليبيا، حيث يدرك صانع القرار التركي مدى خطورة هذا التحدي من أجل النجاح في الدخول إلى القارة السمراء.
3. ثمة مخاوف مستقبلية من عدم استجابة الحكومات الإفريقية لمحاولات الجانب التركي تعظيم تواجده في إفريقيا بالشكل المرغوب تركيا، سواء لاعتبارات تتعلق بضغط الشركاء الأوروبيين والآسيويين النافذين

في القارة، أو لاعتبارات تتعلق بتناقضات النخب الإفريقية الحاكمة ذات الخلفيات غير الديمقراطية، خصوصا في البؤر الصراعية في القارة، ، أو لاعتبارات بيروقراطية وضعف البنية القانونية الخاصة بالاستثمار في افريقيا. (نفس المرجع)

4. ثمة تهديدات متنامية من قبل التنظيمات الإرهابية التي تتبع القاعدة وتنظيم الدولة الإسلامية في إفريقيا، فكريا أو تنظيميا، والتي ترفض الوجود التركي في القارة الإفريقية، حيث تبقى هذه التهديدات مرشحة لمزيد من التصاعد، خصوصا في ظل العداء الراهن بين تركيا وتنظيم الدولة الاسلامية على الساحة الشرق أوسطية، خصوصا في سوريا والعراق.

7. -خاتمة

❖ تراهن تركيا في المنظور الاستراتيجي على التحول إلى طرف فاعل قادر على المناورة والاستفادة من الاقتصاديات الإفريقية، خاصة إذا علمنا بأن إفريقيا ستشكل نسبة معتبرة من الناتج الإجمالي الخام الدولي

❖ إن الاعتماد على الأبعاد الإنسانية والثقافية من شأنها أن تدعم الدور التركي وإسناده بشكل متعاظم من طرف الدول الإفريقية، وذلك في مختلف المنظمات الدولية والإقليمية وتحويلها إلى طرف فاعل قادر على الإسهام في توطيد الشراكات الدولية وفق نظرية الدبلوماسية المتناغمة

❖ نقول في الأخير إن التقارب التركي – الإفريقي هو تقارب اقتصادي براغماتي بالدرجة الأولى مغلف بنزعة دبلوماسية وإنسانية، ولكن يبقى على الدول الإفريقية أن تعرف كيف تستفيد من التواجد التركي في القارة وفق منطق رابح – رابح، خاصة في ظل وجود قواسم مشتركة بين الطرف التركي والإفريقي لا يمكن إنكارها.

قائمة المراجع

- الاستراتيجيات التركية في إفريقيا، رؤيا للبحوث والدراسات، أبريل 2018.
- عبد السلام ابراهيم بغدادي. البعد الافريقي في السياسة التركية المعاصرة. مجلة دراسات دولية . جامعة بغداد . مركز الدراسات الدولية. العدد50. 2013 .ص.03

- بوحنية قوي (2019)، إفريقيا في الاستراتيجيات التركية الجديدة : هل يكون القرن الحادي والعشرين قرنا إفريقيا ؟ مركز الجزيرة للدراسات، على الموقع : http : // studies.Aljazeera.net/ar/reports (تاريخ التصفح 2019/12/02)
- الزواوي محمد سليمان (2011)، أبعاد الدور التركي في إفريقيا وآفاقه، مجلة قراءات إفريقية، العدد 9، يوليو 2011.
- السياسة الخارجية التركية تجاه إفريقيا، الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية والاستراتيجية، على الموقع. http : // www.politics-dz.com (تاريخ التصفح 2019/11/15)
- صور لطفي (2018)، The Turkish Foreign Policy Dimension، مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل، المركز الديمقراطي العربي، سبتمبر 2018، ص ص 67 – 84.
- صور لطفي ، أبعاد السياسة الخارجية التركية في إفريقيا في عهد حكومة العدالة والتنمية، مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل، المركز الديمقراطي العربي، ص ص 67 – 84.

- العاصي حسن ، قراءة أولية في العلاقات التركية – الإفريقية، شراكة استراتيجية، أم مناورة تكتيكية، أنظر الموقع : www.m.alhewar.org (تاريخ التصفح 2019/11/15)
- علام مصطفى شفيق ، التغلغل الناعم : إفريقيا في الاستراتيجية التركية، المحددات والسياقات والتحديات، مجلة قراءات إفريقية، على الموقع. www.quiraatafrian.com (تاريخ التصفح 2019/12/11)
- معوض علي جلال، قراءة في فكر أحمد داوود أوغلو، السياسة الدولية، العدد 178، يناير 2010.
- يوسف خميس أبورفاس، العلاقات الإفريقية التركية في المجال الاقتصادي، جامعة لإفريقيا العالمية بالتعاون مع معهد التفكير الاستراتيجي، الخرطوم.
- IHH, Humanitarian Relief Foundation, officialWebsite : http : www.ihh.org.ir/er
- ChigozieEnwer.Mesut Yilmaz. « Turkeys Strategic Economic Relations with Africa Trend and Challenge ».Journal of Economics and political Economy.vol1.decembre2014.pp.221-225.
- Tomi Oladipo, « Why are there so many military bases in djibouti ?. BBC,16 june,2015.
-

مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ر ت م د: 7163 -1112 ر ت م د إ :1892-2588
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2

ظاهرة فرار المجنّدين الجزائريين في الجيش الفرنسي بين العوامل الذاتية - الموضوعية وتأثير دعاية الثورة(1954 -1962) قراءة في الأسباب والنتائج.

The phenomenon of the desertion of Algerian conscripts in the French army between subjective and objective factors and the effect of the propaganda of the revolution (1954-1962). A spotlight on the causes and consequences.

بوزيدي وحيد[1] ، رشيد زبير[2]

1 -جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف، w.bouzidi@univ-chlef.dz

المخبر : المجتمع ومشاكل التنمية المحلية في الجزائر. جامعة الشلف.

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم العلوم الانسانية.

2 - جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف، r.zobir@univ-chlef.dz

تاريخ الاستلام: 2020/05/09 تاريخ القبول: . 2021/10/23

ملخص:

تعالج هذه الدراسة ظاهرة فرار المجنّدين الجزائريين من الجيش الفرنسي خلال مرحلة الثورة الجزائرية (1954 -1962) والتحاقهم بصفوف الثورة، ومحاولة إبراز خلفيات ودواعي أو عوامل بروز هذه الظاهرة بين العوامل الذاتية - الموضوعية التي كان لها تأثير مباشر على مواقف المجنّدين الجزائريين وتأثير دعاية الثورة التي عرفت كيف تستغل وضعية هذه العناصر بتوجيه نداءات تحمل العديد من الأبعاد، وتقديم تحليل وقراءة لهذه القضية انطلاقا من معطيات سياسية وعسكرية عرفتها الثورة الجزائرية منذ 1954 إلى 1962، والإجابة عن إشكالية مفادها: هل فرار المجنّد الجزائري من الجيش الفرنسي والتحاقه بصفوف الثورة في الداخل وبجيش التحرير الوطني بالحدود الشرقية والغربية صحوة ضمير بعد أزمة ضمير أم أنها استجابة آنية لدعاية جبهة وجيش التحرير الوطني؟ مع توضيح أهم النتائج المترتبة عن ذلك.

المؤلف المرسل: بوزيدي وحيد: w.bouzidi@univ-chlef.dz

الكلمات الدالة: الفارّون,المجنّدون الجزائريون,المناشير,الدعاية, خلايا الثورة.

Abstract:

This study treats the phenomenon of the desertion of Algerian conscripts from the French army towards the Algerian revolutionaries (1954-1962), and attempts to highlight the backgrounds and reasons or factors for the emergence of this phenomenon due to the subjective-objective factors besides the impact of the revolution's propaganda to attract this category. The study provides an analysis to this issue based on military and political data that the Algerian revolution has known from 1954 to 1962, and finds an answer to the following problematic: Did the escape of the Algerian conscript from the French army and joining the revolution internally and the National Liberation Army in the eastern as well as western borders, an awakening of conscience after a crisis of awareness? Or was it an immediate response to the propaganda/call of the National Liberation Front and its Army?

Key words: Deserters, Algerian conscripts, leaflets, propaganda, revolution's cells.

مقدمة:

لقد أقدمت السلطات الفرنسية على تجنيد الجزائريين في صفوف الجيش الفرنسي بعد شهور فقط من احتلال الجزائر، وشكّلت منهم فرقا ووحدات، وفق أطر وقوانين معينة، تفاوتت نسبة التّجنيد حسب الظروف والمتغيرات التي عاشتها الجزائر، لتأتي سنة 1912 وتحمل معها فرض التّجنيد العسكري الإجباري (Service Militaire Obligatoire)على الجزائريين كصيغة ثانية للتّجنيد بعد صيغة الانخراط الطوعي (Engagement volontaire) وهما الفئتان المعنيتان بهذه الدراسة لتدعيم الجيش الفرنسي نظرا للتغيرات الإقليمية الأوروبية المتمثلة في ظهور ملامح الحرب العالمية الاولى.

وهو ما جعل أجيالا عديدة من المجنّدين الجزائريين تكتشف الحياة العسكرية ضمن صفوف الجيش الفرنسي، داخل الجزائر وخارجها، الأمر الذي جعلهم في مواجهة العديد من الصدمات والصعوبات النفسية والبدنية، نظرا لتطلعهم لما يجري خارج الجزائر في المستعمرات الفرنسية من جهة والسياسة الدولية من جهة ثانية خلال الحرب العالمية الثانية، ومقارنتها بما يجري في

الجزائر، لتأتي سنة 1954، وتحمل هي الأخرى متغير آخر في حياة المجنّد الجزائري في الجيش الفرنسي، باكتشافه لاندلاع العمل المسلح في الجزائر، أي أنه أصبح في مواجهة إخوانه وبني جلدته وشعبه الذي يكافح من أجل نيل حريته.

هذه العوامل وأخرى استجدّت مع تطور مسار الثورة في الجزائر وإدراج المجنّد الجزائري ضمن اهتمامات قيادة الثورة منذ الأيام الأولى للعمل المسلح، وانتهاج إستراتيجية جذب المجنّد الجزائري في الجيش الفرنسي إلى صفوف الثورة للمساهمة في تدعيم صفوفها بما يملكه من خبرة، وما يحمل معه أيضا من معدات عسكرية، وكذا ما يشكله هذا العمل من إضعاف للجيش الفرنسي.

الأمر الذي جعل المجنّد الجزائري في صدمة وصراع نفسي كبير بين بقائه في الجيش الفرنسي، أو الفرار إلى جانب إخوانه الجزائريين في كفاحهم لتحرير الوطن، لتطفو إلى السطح ظاهرة فرار المجنّدين الجزائريين من الجيش الفرنسي والتحاقهم بصفوف الثورة.

هذه الظاهرة يبدو أنها بقيت مغمورة ومغيبة في الدراسات التاريخية على الأقل الأكاديمية المحلية منها، ولم تفرد لها دراسة مستقل ما عدا إشارات عامة، نظرا لارتباطها بالأرشيف الفرنسي، إلا أنها وردت كجزئية ضمن دراسات أكاديمية فرنسية على غرار:

.Stéphanie Chauvin (1995), des Appelés pas comme les autres?, les conscrits Français de Souche Nord-Africaine…, revue d'histoire, n 48.

-Ch.R.Agéron (2003), les Militaires Algériens dans l'Armée Françaisede 1954-1962.

وللوقوف على جوانب هذه الورقة البحثية وجب الإعتماد على المنهج التاريخي الوصفي لتقديم الوقائع التاريخية ووصفها وترتيبها كرونولوجيا بما يتوافق مع طبيعة الموضوع، كما استلزم الاعتماد على المنهج التحليلي لتحليل مباحث الدراسة وتقديم قراءة تحليلية تمكّن من ربط الوقائع ومعرفة خلفياتها وأهدافها، وكانت الضرورة ملحة أيضا في اعتماد المنهج الإحصائي نظرا لطبيعة الموضوع التي تستلزم تقديم إحصائيات تساعد على فهم الموضوع.

وهو ما يدعونا لطرح إشكالية تتمحور حول طبيعة العوامل الذاتية والموضوعية التي واجهها المجنّد الجزائري في الجيش الفرنسي قبل اندلاع الثورة وخلالها؟ وهل ظاهرةفرار المجنّد الجزائري من الجيش الفرنسي صحوة ضمير أم استجابة لدعاية الثورة؟ وما تأثيرها على رسم مواقفه وتحديد مستقبله إما مع الجيش الفرنسي أو مع الثورة الجزائرية؟ وما نتائج ذلك؟.

وتهدف هذه الدراسة إلى تحقيق النتائج التالية:

. الكشف عن خلفيات وأسباب وعوامل بروز ظاهرة فرار المجنّدين الجزائريين من الجيش الفرنسي خلال الثورة الجزائرية.

. تقديم قرارة حول دعاية قيادة الثورة واستراتيجيتها اتجاه المجنّدين الجزائريين في الجيش الفرنسي 1954 -1962. ونتائجها في مختلف الأصعدة.

1. - العوامل الذاتية - الموضوعية وآثارها النفسية على المجنّد الجزائري:

يبدو من الصعب جدا تقديم قراءة ورؤية تحدد وتفرّق بين العوامل والأسباب الذاتية والموضوعية التي جعلت المجنّد الجزائري يقع أو يكون في أزمة أو صحوة ضمير أو يقظة ساهمت في مراجعته لمواقفه تجاه القضية الجزائرية؛ فهناك أسباب وعوامل خارجية كاندلاع الثورة في تونس والمغرب، تبلور القضية الجزائرية في الخارج، رفض العساكر الفرنسيين المشاركة في الحرب في الجزائر... شكلت ضغطا نفسيا كبيرا على المجنّد الجزائري جعلته في أزمة ضمير، وعوامل وظروف داخل الجزائر كجرائم الجيش الفرنسي، واستمرار السياسة الفرنسية، تطورات القضية الجزائرية وعدم التغيير في وضعية المجنّد الجزائري، وبروز بوادر الاستقلال، شكّلت هي الأخرى ضغطا نفسيا تطور إلى صحوة ضمير ويقظة. وبالتالي نلمس أن فيه تداخل وتمازج وتكامل بين هذه العوامل،لذلك تطلب الأمر ترتيبها على النحو التالي:

1.1. العوامل الذاتية – الموضوعية قبل اندلاع الثورة الجزائرية:

- **داخل الجزائر:**

- **مجازر الثامن من ماي 1945 و النتائج المترتبة عنها:**

نتج عن مجازر الثامن من ماي 1945مبسطيف وخراطة وقسنطينة وغيرها من مناطق الوطن التي خرج حينها الشعب الجزائري إحتفالا بنهاية الحرب العالمية الثانية وأملا في تحقيق فرنسا لوعودها بمنح الشعوب المستعمرة حريتها؛جرحى وقتلى تراوحت أعدادهم الخمس والأربعين ألف، بالإضافة إلى الإعتقالات والتعذيب، ترتّب عن هذه الوقائع صدمة كبيرة للمجنّدين الجزائريين في الجيش الفرنسي العائدين من جبهات القتال في الحرب العالمية الثانية نظرا للمشهد المحزن الذيأصبح يخيم على الساحة الجزائرية حيث كانوا ينتظرون أن يكون لهم إستقبال بالفرح والسرور ولكن كان الواقع بالدموع والحزن، كما يقول أحمد طالب الإبراهيمي: "كان من بين الضحايا عائلات جنود جزائريين مجنّدين في الجيش الفرنسي شاركوا في تحرير فرنسا من النير النازي" ويضيف:" تصوروا لحظة كيف كان تفكيرهم وشعورهم حين عادوا إلى أرض الوطن ولم يجدوا أهلهم وذويهم".(أحمد طالب الابراهيمي، 2007)وبالتالي كانت هذه المجازر في حق أبناء بلدهم عموما وعائلاتهم على وجه الخصوص صدمة نفسية بالغة الأثر ستأثر بدون شك على قراراتهم مستقبلا تجاه مؤسسة الجيش الفرنسي من جهة وقضية بلادهم من جهة ثانية.

ولعل أني راي قولدزيغر ناقشت هذه القضية من جانبها الإجتماعي وهنا تقول: "هذا هو حال الجزائريين الذين تجنَّدوا في الجيش الفرنسي الذي يدفع لهم راتبا محترما ويمكنهم من الرقي الاجتماعي ولأنهم منضبطون إلى حد التضحية، فهم يحترمون أوامر قادتهم دون نقاش، فهم بحاجة إلى صدمة عائلية أكثر من صدمة سطيف لإقناعهم بالفرار من الجيش الفرنسي". وعليه فإن مجازر 08 ماي 1945 أحدثت صدمة نفسية كبيرة أدت إلى رجوع الكثير من الجزائريين الموالين للاستعمار إلى الصف الوطني رغم ارتباطهم بعقود ومصالح مع الجيش الفرنسي .(أني راي غولدزيغر، 2012).

وهنا نلمس من خلال ما ذكرته أني راي قولدزيغر أن هؤلاء المجنّدون الجزائريون لهم إرتباط كبير بالجيش الفرنسي نظرا لما هم فيه من مكانة إجتماعية بالمقارنة مع العديد من العائلات الجزائرية التي تعيش في فقر مدقع فرضه الواقع الاستعماري، وبالتالي يصعب على الكثير من المجنّدين التّخلي عن هذا الوضع الاجتماعي إلا إذا توفرت ظروف أخرى تدعوهم لذلك؛ خاصة منها ما تعلق بنمو الروح الوطنية ودوافع إنسانية تكون بمثابة صدمة عنيفة تشكل نتائجها أرضية أو خلفية صلبة يبني عليها المجنّد مواقف إيجابية لصالح القضية الجزائرية؛ ولعل نتائج وصدمة مجازر الثامن ماي 1945 خير دليل على هذا التغيّر في مواقف العديد من المجنّدين لصالح القضية الوطنية.

- **خارج الجزائر:**
  - حروب الهند الصينية 1946 -1954:

كان لها هي الأخرى تأثير مباشر وغير مباشر على المجنّدين الجزائريين في الجيش الفرنسي، وهنا ننقل ما ذكره عبد الرزاق بوحارة بأن الكثير من المجنّدين الجزائريين في الجيش الفرنسي ممن شارك في حرب الهند الصينية يكون قد ضاق مرارتها وقساوتها فيقول: "عرفوا السير المضني في حقول الأرز وفي الجبال ... عانوا من تأثيرات القلق والعزلة ومجازفة التّخلي عن القتال... ذاقوا مرارة حرب الهند الصينية بصفة جحيم (ديان بيان فو)".(عبد الرزاق بوحارة، د،ت،ن).

وكذلك العدد الكبير من الضحايا الجزائريين في هذه الحرب التي لا تعنيهم لا من قريب ولا من بعيد، فينقل بوحارة ما ذكره عبد الحميد براهيمي: "من غير الممكن أن ينسوا بعد أقل من سنتين حرب الهند الصينية مصير ضباط الصف وجنود الفيلق الثاني والخامس والسابع للرماة الجزائريين(2^{em} ,5^{em}, 7^{em} RTA) الذين فقدوا في السهل الواقع بين النهر الأحمر والبحر الأحمر... قرب حدود اللّاووس و الصين".(عبد الرزاق بوحارة، د،ت،ن)وهنا تذكر عائشة ليتيم تذكر التساؤلات الكثيرة التي أصبحت تتردد في أفواه المجنّدين الجزائريين:"ما الفائدة من التطوُّع في هذه الحرب القذرة التي لا تعنينا؟ أليس مكاننا الطبيعي هو أن نحارب إلى جانب الثوار الفيتناميين؟"(عائشة ليتيم، 2018)

يبدو أن هذه التساؤلات مبنية على خلفية صلبة ومؤسسة تمخَّضت عن النشاط الذي اضطلعت به الحركة الوطنية في هذه المرحلة بالذات في الهند الصينية، وحتى الدعاية التي بثها الثوّار الفيتنام في أوساطهم، وهو ما أوردته الوثائق الأرشيفية الفرنسية، وهذا مقتطف من بعضها:

تشير رسالة من قائد القطاع العسكري العملياتي لغرداية إلى القائد العام للجيش الفرنسي ونسخة إلى الحاكم العام للجزائر، بتاريخ: 23 فيفري 1948، يخبره فيها عن محتوى رسالة رصدتها أجهزة الأمن لدى أحد المجنّدين الجزائريين في الجيش الفرنسي من مدينة الأغواط تحت إسم (ميخاليف لزرق) وهو في حالة فرار وقد التحق برجال المقاومة للهند الصينية، وقد صنفت هذه الحالة في خانة الدعاية الوطنية في أوساط المجنّدين الجزائريين بالهند الصينية من طرف حزب الشعب الجزائري، هذه الرسالة تضمّنت وصف للوضعية الصعبة في الهند الصينية للمجنّدين الجزائريين، كما يخبر فيها أنه فرَّ من الجيش الفرنسي إلى المقاومة في الجهة المقابلة لاصطياد الفرنسيين، كما أورد صاحب الرسالة ذكرا للأمير عبد القادر ومصالي الحاج، ودعا إلى أن تكون الحرب في الجزائر ضد الفرنسيين كما هو الحال في الهند الصينة وقال: "يجب أن تكون لنا في الجزائر العبرة من الهند الصينية".(A.N.O.M, 1950)

كل هذه الصعوبات جعلت من العناصر الجزائرية في قلق كبير وحيرة كبيرة من مغزى تواجدهم في صفوف الجيش الفرنسي كيف لا وهي حرب خارج بلادهم، ما جعلهم يفكرون في التموضع في الجهة المقابلة أي إلى جانب الوطنيين الفيتناميين.(عبد الرزاق بوحارة، د،ت،ن) هذا بالإضافة إلى تأثير المناشير والدعاية الفيتنامية في أوساط المجنّدين الجزائريين وعن هذا يقول علي بوخدير:" وقد أحدثت هذه المنشورات ردود فعل عنيفة في صفوف الجنود الجزائريين"، خاصة وأنها كانت تدعوهم للعودة إلى بلادهم وتفجير الثورة ضد المستعمر الفرنسي بدلا من البقاء في صفوفه يحاربون المستضعفين.(عبد الرزاق بوحارة، 2006)

وبهذا الخصوص يذكر عبد الرزاق بوحارةأن المجنّد الجزائري: "يجد نفسه في نزاع مع الضمير تغمره نزعة الثورة... وكان يعيش على أمل أن يأتي يوم يقوم

فيه وطنيون في الجزائر بمثل ما فعله الفيتناميون في الهند الصينية".(عبد الرزاق بوحارة، 2006)

لقد تأثّر المجنّدون الجزائريون في الجيش الفرنسي حقيقة بحرب الهند الصينية نفسيا ورفعت من مستوى تفكيرهم الثوري فحملوا من خلالها بذور الفكر الثوري اقتناعا منهم بفظاعة الجرائم التي ترتكبها فرنسا في مستعمراتها.

مثل ما ذكره أحمد بن شريف (وهو أحد ضباط الصف الفارين من الجيش الفرنسي داخل الجزائر) الذي شارك هو الآخر في هذه الحرب مع كتيبة الرماة الجزائريين وشاهد إبادة قبيلة تونك كسا فيقول: "كشف لي هذا المنظر رغم فظاعته وجه الحقيقة الواضح وشعرت حينها بحقيقة وضعي المخجل كجندي في جيش لا أؤمن بمثله ولا مبادئه".(أحمد بن شريف، د،ت،ن)إذن فحرب الهند الصينية قد وضعت المجنّد الجزائري بين طرفين متصارعين أحدهما فرنسي يمثل الاستعمار والطرف الثاني فيتنامي يمثل الحركة التحررية هنا أدرك الجزائري أن موقعه في صف من يدافع عن الاستعمار فكما يقول بوحارة : "لا يمكن لهذه الصورة ... أن لا تشكل بالنسبة إليه استفاقة ونقطة تحوُّل ستؤدي إلى تحريره" (عبد الرزاق بوحارة، 2006)هذه الجرائم وغيرها تكون قد ساهمت في إيقاظ ضمائر الكثير من هذه العناصر الجزائرية وشعورهم الوطني خاصة وهم خارج الجزائر.

- **الثورة في تونس و المغرب:**

وبعودة الكتائب الجزائرية من الهند الصينية تم نقلها إلى تونس والمغرب اللتين عرفتا الثورة قبل سنة 1954، وهذا للمشاركة في إخماد هذه الحركة وهنا يؤكد أحمد بن شريف أن هذه المرحلة كانت أيضا بداية أزمة ضمير أخرى "أصبح كل منا أمام أزمة ضمير مؤلمة" ونجده يرجع أسباب هذا المحنة إلى عاملين اثنين هما: إما خرق العقد المعنوي بين المجنّد والمؤسسة العسكرية الفرنسية، وإما تدنيس الرابطة الروحية التي تربط بلدان العالم الإسلامي، أي أن المجنّد الجزائري وجد نفسه وجها لوجه يحارب إخوانه، وهو ما حدث في الأراضي التونسية لذلك يشير أحمد بن شريف إلى التحول المعنوي والجرأة التي أصبح عليها المجنّد الجزائري في تونس.ويرى بأن المجنّد الجزائري اكتشف

حقيقة أعماقه من خلال هذه الوقائع "وقد كشف كل منا عن حقيقته العميقة وقوام شخصيته وأحس كل منا بغبطة لا توصف، لما قدّمه من عمل إيجابي لحركة تحرير الشعوب".(أحمد بن شريف، د، ت،ن)

وبتطوّر الأحداث في تونس والمغرب وتطوّر المطالب الإستقلالية فيهما وبداية الإتصالات بين حكومتي البلدين والطرف الفرنسي وبالتالي تصوَّر المجنّدون الجزائريون أنه من الممكن أن تحذو الجزائر حذو تونس والمغرب في تفاوضهما مع الحكومة الفرنسية وإيجاد حل للقضية الجزائرية وبالتالي تأمل هؤلاء الضباط أن الحل والاستقلال سيتحقق في وقت قريب في الجزائر، هذا بالإضافة إلى اطلاعهم على مساهمة المجنّدون المغاربة والتونسيين السابقين في الجيش الفرنسي في تحرير بلادهم وبناء قوات بلادهم المستقلة. (عبد الرزاق بوحارة، 2006)وبالتالي تولَّد لديهم من هذه التجارب صراع داخلي رهيب واستفاقة تزامنت وانطلاق الكفاح التحرري في الجزائر. كما يشير إلى ذلك خالد نزار: "أن القطيعة التي حدثت عام 1954 أوجدت الفرصة ملائمة للإلتحاق بجيش التحرير لكل من يشعر بأعماق نفسه بالإذلال الذي يتسبب فيه النظام الغاشم والذي لا يمكن إزالته إلا بالنضال المسلح" (خالد نزار، 2004)

2.1. - العوامل الذاتية - الموضوعية أثناء الثورة :

. اندلاع الثورة الجزائرية:وهو عامل موضوعي في حقيقة الأمر؛ أحدث هذا المعطى والمتغير الجديد آثاره النفسية على المجنّدين الجزائريين في الجيش الفرنسي، وهنا يذكر محمد زرقيني معطيات تثبت هذا التأثّر لدى المجنّد الجزائري في الأيام الأولى من انطلاق الثورة، بحيث بدأت مظاهر القلق والفوضى والاضطراب وطرحوا العديد من التساؤلات حول مصيرهم في أوساط الكتيبة التي كان يقودها هو بنفسه في منطقة الأوراس باتنة ومنها: تخريب العربة التي تحمل السلاح، وعصيان الأوامر، وبعض حالات الفرار في الأيام اللاحقة، وتهريب الذخيرة والسلاح، ويقول: "ومن خلال هذا أصبحت في وضعية غير مريحة، وأصبحت أبحث دائما أن أكون مرتاح الضمير" ويضيف:" ومن هنا بدأت عمليات الفرار".(Mohamed Zerguini, 2000) ويضيف عبد الرزاق بوحارة:" فمن غير الممكن أن لا يتأثر المجنّدون الجزائريون بهذه الأحداث الكبرى" (عبد الرزاق بوحارة،

2006). وعلى إثر ذلك تم ترحيل العديد من الكتائب الجزائرية إلى فرنسا وألمانيا، ويشير عثماني مسعود أن هذه التجاذبات جعلت المجنّد الجزائري في أزمة ضمير خانقة وهو في صفوف الجيش الفرنسي (مسعود عثماني، 2013).

- **التحولات الكبرى الجارية في الساحة السياسية والعسكرية في فرنسا:**

كما لا يمكن إخفاء تأثّر المجنّدين الجزائريين في الجيش الفرنسي بالتحولات الكبرى الجارية في الساحة السياسية والعسكرية في فرنسا ومدى تأثيرها في الجزائر، فتسارعت وتزايدت على إثرها عمليات الفرار من الجيش الفرنسي حتى شكلت هذه الظاهرة لدى السلطات الفرنسية خطرا يجب محاربته؛ وهنا يشير فرانسوا قزافيي(François Xavier) أن التحولات التي كانت تجرى في فرنسا ولها علاقة مباشرة بالجزائر أثّرت سلبا على معنويات وتطلعات المجنّد الجزائري، ومن تلك التحولات والمعطيات السياسية: الإنتخابات التشريعية وفوز جبهة الجمهوريين بقيادة غي مولي(Guy Mollet)، ومنديس فرانس(Mandes France)رجل السلام في الهند الصينية، وبالتالي سعت الجبهة الجمهورية إلى الإسراع في إحلال السلم في الجزائر، الاستمرار بل والزيادة في الحشد العسكري منذ سنة 1956 ماديا وبشريا بهدف القضاء على الثورة، إقرار قانون السلطات الخاصة من طرف البرلمان الفرنسي، إتفاقياتالإستقلال مع تونس والمغرب، وهي معطيات أدرك المجنّد الجزائري من خلالها وانطلاقا من موقعه داخل الجيش أن هذا الوضع من الحرب في الجزائر سيستمر حتما، ما دعا العديد منهم إلى الفرار، حيث أورد ذات الكاتب إحصائيات تبرز ارتفاع حالات الفرار خاصة سنة 1956 وصلت إلى حد 4،43٪ من تعداد القوات النظامية بدون الإشارة إلى أصنافهم منخرطين (Engagés) أم مجنّدينللخدمة العسكرية (Appelés)ـ و1،57٪ من القوات الإضافية، وعرفت ذروتها لذات السنة خلال شهر مارس الذي سجلت فيه 367 حالة فرار و1735 حالة فرار حتى نهاية ذات السنة وتقلصت أعداد مجنّدي الخدمة العسكرية من 17000 إلى 6000 نهاية السنة 1956 والمنخرطون إلى 13000. (François Xavier, 2007)

. أسباب وعوامل: إنسانية . أخلاقية:شاهدها هؤلاء المجنّدون ما ولّد في أنفسهم الحصرة والألم، وهي الجرائم التي يقوم بها الجيش الفرنسي ضد إخوانهم الجزائريين العزّل في المدن والمداشر والقرى والجبال، وهنا يورد أحمد بن شريف حادثة عجلت لديه تصميمه على الفرار من الجيش الفرنسي وهي حادثة اغتصاب فتيات من منطقة شايا قرب إحدى الثكنات العسكرية فيقول: "إن منظر الفتيات في المشتى أثار لا شك نزواتهم، إذ اغتصبوهم ... وهتكوا عرض ثلاث منهن" ليصف بعدها مشاعره ومشاعر أولياء الفتيات:" لم ولن أنسى أبدا وجوه أولياء هاته الفتيات حين أتوا يشتكون إليّ ما أصابهم من العار وقد اعتراهم الحزن والأسى". (أحمد بن شريف، د، ت،ن)وهنا يقول عبد القادر رحماني:" أصبحت العديد من الأخبار المفزعة تصل إلى مسامع المجنّدين الجزائريين: قتل، تعذيب، تشريد... خيّم علينا صمت رهيب، وأصبح كل واحد منا يفكر في عائلته ..." (Abdelkader Rahmani, 1959).

وبالتالي كانت التجاوزات التي يقترفها الجيش الفرنسي في حق الإنسانية والأخلاق تثير استنكار هذه العناصر الجزائرية المجنّدة، مما شجعهم أكثر على الفرار من جيش يرتكب مثل هذه الجرائم في اخوانهم من الجزائريين.

. رفض المجنّدون الفرنسيون المشاركة في حرب الجزائر:

هذه القضية تكون قد أثرت بشكل مباشر أو بآخر في قناعات العديد من المجنّدين الجزائرييونهنا تشير الدراسات الفرنسية إلى العديد من المناشير (les Tracts) الموجهة من طرف جبهة التحرير الوطني إلى العساكر الفرنسيين دعت من خلالها عناصر الجيش الفرنسي إلى مراجعة مواقفهم من الحرب التي تجري رحاها في الجزائر، ودعتهم إلى التساؤل التالي: "يوم قررتم رفع السلاح ضد الجزائريين هل تساءلتم يوما ما المعنى الحقيقي للصراع في الجزائر"؟ وتضيف المناشير أن هؤلاء العسكريون إذا أدركوا الحقيقة فسيعلمون أنهم قتلة ولصوص مأجورون ضد شعب يكافح من أجل قضية عادلة لاسترجاع الحرية، Francis et Colette Jeanson, 1993)ومن هذه المعطيات أظهر العساكر الفرنسيون مواقفهم برفض المشاركة في حرب الجزائر، وبالتالي وصلت أخبار هذه المواقف إلى المجندين الجزائريين فتساءلوا ألسنا نحن أحق بهذه المواقف؟

- بروز بوادر الاستقلال:هذا المعطى الجديد أيضاكان عاملا موضوعياساعد في بروز ظاهرة فرار المجنّدين الجزائريين إلى العلن وبقوة خاصة منذ منتصف سنة 1960 وبداية المفاوضات الجزائرية الفرنسية، من هذا المنطلق أدرك المجنّد الجزائري أن الجزائر سوف تستقل فأي وضع سيكون هو عليه،وبالتالي فر الكثير منهم ضباط وضباط صف وجنود إلى صفوف الثورة استغلالا للوضع والظروف.(الطاهر سعود، 2017).

من خلال ما سبق يتضح جليا التأثّر النفسي الكبير الذي عاشه المجنّدون الجزائريون في الجيش الفرنسي خلال حروب فرنسا في مستعمراتها وممارساتها داخل الجزائر والتي كانت سببا في نمو الوعي الوطني والقناعة بمغادرة الجيش الفرنسي، وكذا فقدان الثقة في الطرف الفرنسي. (عائشة ليتيم، 2018)ويبدو أن عثماني مسعود قد قدّم مسارا وملخصا مستقيما لدوافع الفرار من الجيش الفرنسي بداية من حرب الهند الصينية التي أيقظت الضمير لدى المجنّدين الجزائريين، الذين نقلوا إلى الجزائر التي اشتعلت بها الحرب فوجد المجنّد الجزائري نفسه في حرب فعلية ضد إخوانه المجاهدين، بالإضافة إلى مشاهدته لجرائم الجيش الفرنسي في الجزائر، بالإضافة إلى شعورهم بالدناءة والخيانة بوقوفهم ودعمهم للجيش الفرنسي. (مسعود عثماني، 2012)

ومن هنا يمكن القول بأن هذه العوامل مجتمعة شكلت تراكمات في دواخل ونفسيات المجنّدين الجزائريين، أدت إلى أزمة ضمير، صحوة ضمير، صدمات نفسية، كانت دافعا قويا لديهم لتحديد مواقفهم من الجيش الفرنسي وقضية بلادهم فكانت عملية الفرار (la désertion) هي أعلى مظاهر هذه المواقف.

تكمن أهمية دراسة الجوانب النفسية لهؤلاء العسكريين في الإلمام بعناصر النقاش ومدى مساهمتهم في تطوير جيش التحرير الوطني والحيلولة دون الوقوع في الجدال الذي يؤدي حتما إلى محورين الأول هو المدح الزائد لهؤلاء الضباط والمبالغة فيه، والثاني هو الوقوع في مزايدات ومزالق واتهامات لهؤلاء الضباط من دون التأسيس الواقعي لها. (عبد الرزاق بوحارة، 2006)

وتمكننا أيضا من معرفة إمكانية وجود رابطة وطنية لدى هذه العناصر من جهة ومن جهة ثانية معرفة مدى اقتناع هؤلاء العسكريون بالعمل العسكري

وبالتالي تكون الإحاطة بالجانب النفسي مهمة جدا في هذه الحالات، وهنا يمكن القول بأن الذي انضم إلى صفوف الثورة وهو مقتنع معناه أنه ترك وتخلى عن الطرف الآخر والذي هو الجيش الفرنسي، والذي انضم عن غير قناعة وارتياح نفسي فهذا سيكون عرضة أكثر من غيره لإغراءات الطرف الآخر الذي فر منه في يوم ما وربما في نفسه حسرة، هذا بالإضافة إلى إبراز التغييرات الجذرية التي أحدثتها الثورة الجزائرية ووقائعها حتى على مستوى القناعات والمفاهيم.

2. - دعاية الثورة في أوساط المجنّدين الجزائريين:

كانت حرب الدعاية إحدى فصول هذا الصراع والذي اعتمدته قيادة الثورة الجزائرية قصد الرد على دعاية العدو ودحض أخباره. (Mohamed Teguia, 2002)وتدمير مواقف وطروحات معينة وإحلال مواقف تتوافق مع منهج الثورة وأهدافها، كما تهدف أيضا إلى التغلغل إلى عمق القيم والقناعات والروح المعنوية للجيش الفرنسي لزرع الشك في أوساطه. (أحمدمعروفي، 2007).

ويندرج هذا الصراع في إطار الحرب النفسية(جمال قندل، 2013) التي تحظى بأهمية بالغة في استراتيجية الجيوش، بالنظر إلى ما يمكن أن تحققه من نتائج في مختلف المجالات، خاصة على نفسية الأفراد وهو ما عملت قيادة الثورة على تجسيده كآلية للرد على الدعاية الفرنسية الرامية إلى إيجاد منافذ الضعف في صفوف الثورة.(علي كافي، د،ت،ن)

لكن القيادة العسكرية الفرنسية أدركت ميدانيا مدى صلابة إستراتيجية الثورة في مجال الدعاية وهو ما ورد في تقرير لبارلانج(Barlinge)يوم 1956/03/05 يؤكد من خلاله الضغط البسيكولوجي الذي أصبحت تمارسه جبهة التحرير الوطني، كما ذكر إبراهيم لونيسي عن جريدة البصائر قولها: "أن الانتصار في الحرب الحديثة يكون لذلك الذي يستخدم الدعاية ويحسنها أكثر من ذلك الذي يستخدم السلاح" (ليلى تيتة، 2013).وهو نفس الطرح الذي تبنته الباحثة(Stéphanie Chauvin) لما أشارت إلى ضعف وعدم فعالية الاستراتيجية العسكرية الفرنسية أمام تأثير دعاية الثورة. (Stéphanie chauvin, 1995)التي أصبحت تتبنى عقيدة الحرب الثوريةالتي تعني تحطيم جيش العدو من الداخل، حيث كشفت العديد من التقارير العسكرية الفرنسية الاشتباه في

أن العديد من المجنّدين الجزائريين واقعون تحت تأثير دعاية الثورة وهم على علاقة وطيدة مع قضية بلادهم، في حين لا تزال القيادات العسكرية الفرنسية متمسكة بعقيدة الجيوش والحروب الكلاسيكية.(StéphanieChauvin, 1995).

لذلك لم تقتصر نداءات ومناشير الثورة على مقاطعة الإدارات المدنية الفرنسية فحسب بل رافقتها مناشير أخرى تدعوا لمقاطعة المؤسسات العسكرية، وهو ما أورده (Ch. R. Ageron) بأن نسبة 80٪من المناشير كانت موجهة إلى المجنّدين الجزائرييننالنظاميين(أحسن بومالي، 2009).

وبالتالي نلاحظ من خلال النسب المئوية المسجلة سابقا أن فيه تركيز واضح على فئة المجنّدين الجزائريين سواء المنخرطين أو أفراد الخدمة العسكرية الإجبارية (les Engagés–les Appelés)، ويبدو هذا التوجّه تكتيكيا بالدرجة الأولى لعوامل منها: الأثر المعنوي، والخسائر المادية، بالإضافة إلى الشكوك وعدم الثقة التي تصيب الجيش الفرنسي، ومن جهة ثانية الجوانب الإيجابية التي ستنالها الثورة جراء هذه المكاسب.

المناشير الموجّهة للمجنّدين الجزائريين:

نظرا للسرية ونقص الإمكانيات مع بداية الثورة فقد بدأت دعاية الثورة بشكل مباشر أو شفويا، أي أن الاتصال يتم بين المرسل والمرسل إليه مباشرة وشفويا، ثم دخلت الثورة بعدها مرحلة التنظيم المدروس وتأسس إعلام دعائي ثوري، ليأتي بعدها مؤتمر الصومام ويقر الاعلام الثوري ويعطيه العمق الشعبي حتى يحدث التغيير المرجو. (أحمدمعروفي، 2007).

كتبت جريدة المجاهد تحت عنوان: "الأجزاء الثلاثة لجيش التحرير الوطني" وأوردت أن الجزء الثالث من هذه الاستراتيجية هو أهمية تواجد القوات المتغلغلة دخلت من باب التجنيد الطوعي أو الالزامي إلى الجيش الفرنسي والتي تمثل عيون للثورة داخل المؤسسة العسكرية الفرنسية، لذلك قامت الولايات في أقاليمها بإنشاء شبكات وخليا اتصال سرية مهمتها ربط الاتصالات بالمجنّدين الجزائريين قصد التأثير عليهم للفرار من الجيش الفرنسي(Mohamed Harbi et Gilbert Meynier, 2004)،واستغلال مراكزهم لخدمة الثورة بمختلف الوسائل المادية منها والمعنوية، وهنا تقول: "فقد ثبت لدى السلطات العسكرية

الفرنسية ... أن المجنّدين الجزائريين في الجيش الفرنسي على اتصال دائم مع جبهة التحرير الوطني التي تبذل نشاطا واسعا داخل الجيش الفرنسي".(جريدة المجاهد، 1961).

وهو ما يؤكده أيضا إبن النوي حين أورد أن فيه عناية خاصة بالمناشير وأنها تخضع لتنظيم خاص ومراقبة مجلس الولاية، ليركز على أهمية الدعاية والتجسس من داخل الجيش الفرنسي خاصة مع تواجد مجنّدين جزائريين أبدوا استعدادهم للتعاون في هذا المجال في تنظيم سري وهنا يقول: "يجب علينا أن نقوم بدعاية واسعة لدى العساكر الجزائريين المجنّدين عند العدو" حتى يمكن بهذا شرح أهداف ومقاصد الثورة الجزائرية من جهة وتوسيع نطاقها من جهة ثانية وإحداث الشك داخل صفوف الجيش الفرنسي، ويضيف: "لذلك يجب استعمال المنشور الخاص بالعساكر الجزائريين وتبليغه لهم والاتصال بهم مباشرة أو بواسطة عائلاتهم وباختصار يجب استعمال جميع الوسائل لبلوغ المقصود والظروف الحاضرة تعين على نجاح هذه المهمة".(النقيب سي مراد، 2010)ومن الوسائل التي اعتمدتها قيادة الثورة للتأثير على المجنّدين الجزائريين يذكر الطاهر الزبيري أسلوب الترغيب والترهيب؛ فكانوا يهددونهم بالموت إن هم استمروا في خدمة الجيش الفرنسي ، وتم اعتماد أسلوب الترغيب بأن كانوا يعدونهم بمنحهم راتبا أعلى مما تمنحه لهم السلطات الفرنسية خاصة بعد صدور قانون(la loi cadre)، والذي فتح المجال للمجنّدين الجزائريين لاعتلاء رتب قيادية في الجيش الفرنسي.(الطاهر الزبيري، 2008).

ويشير الجودي لخضر بوالطمين أن أحسن الحلول لإقناعهم وربحهم وربطهم بالقضية الوطنية تتمثل في:

- توضيح هدف الثورة ومستقبلها.
- شرح الحالة السياسية والعسكرية للثورة ومطلب الإستقلال.
- إدخال الشك في نفوسهم من قدرة فرنسا على حسم المعركة لصالحها.
- الإتصال بعائلاتهم وإجبارهم على العمل داخل الجزائر لا خارجها.
- إجبارهم على اتخاذ مواقف صريحة من الثورة.

. كل مقتنع بالعمل لصالح القضية الوطنية عليه اقناع زملاء له من المجنّدين. (الجودي لخضر بوالطمين، 2007)

هذه الإجراءات والإتصالات بين الثورة والمجنّد الجزائري في الجيش الفرنسي اعتبرتها ستيفاني شوفان (Stéphanie Chauvin)استراتيجية معدة ومدروسة من طرف جبهة التحرير الوطني للتغلغل داخل صفوف الجيش الفرنسي، وتمثلت في استراتيجيتين أساسيتين:

أولا: دعوة المجنّد الجزائري في الجيش الفرنسي إلى الفرار، وفيما يلي تفصيل وشرح لمضامين هذه الاستراتيجية.

ثانيا: دعوة الشباب الجزائري إلى العصيان وعدم قبول استدعاءات التجنيد(هذه الأخيرة غير معنية في هذه الدراسة ولكنها أيضا حققت نتائج وانعكاسات مهمة جدا لصالح الثورة بحيث لم يلتحق المئات من الشباب الجزائري بالثكنات العسكرية تحت تأثير دعاية الثورة).

ـ دعوة المجنّد الجزائري في الجيش الفرنسي إلى الفرار:

ويبدو من الأهمية بمكان تقديم قراءة في محتوى بعض المناشير الموجهة إلى المجنّدين الجزائريين، والتي اعتبرتها ستيفاني شوفان (Stéphanie chauvin)وسيلة محدودة ولكنها فعالة في نفس الوقت. (Stéphanie chauvin, 1995)على اعتبار أنها تحمل محتوى محكم الدراسة والأهداف فمنها منشورات خاطبت الجانب الانساني النفسي، ومنشورات أخرى دغدغت الجانب الديني والأخوي، وأخرى خاطبت فيهم ومن خلالهم الوطنية والروح الدينية.(جمال قندل، 2013).

يبدو أن جيش التحرير الوطني اقتنع باكرا ومنذ سنة 1956 بضرورة أن يقوم بتنظيم حرب نفسية تعتمد بالأساس على الدعاية (CH.R. Agéron,2003) وهو ما أقرته تقارير عسكرية فرنسية - تقرير بارلانج - بالخصوص بتاريخ: 05 مارس 1956. أي قبل انعقاد مؤتمر الصومام بعدة أشهر. الذي يثبت فعلا بروز ظاهرة الفرار من الجندية إلى العلن. (جمال قندل، 2013).ولكن التقارير الفرنسية أخرى أشارت إلى دعاية شنتها الثورة الجزائرية في أوساط المجنّدين الجزائريين بباتنة في الأيام الأولى للثورة، بتاريخ ديسمبر

1954، أي قبل التاريخ السابق وذلك بمنشور تم توجيهه إلى ثكنة Maison (Carré)تدعو من خلاله هذه العناصر إلى عدم إطلاق النار على إخوانهم الذين يجاهدون باسم الاسلام في سبيل القضية الجزائرية.(A.N.O.M, 1954).

وإذا أخذنا نداء عثرت عليه المصالح الفرنسية بعنابة بتاريخ: 14جوان 1956 موجّهة إلى فرق الرماة الجزائريين بالمنطقة، باسم جبهة وجيش التحرير الوطني، كدلالة واضحة أن هذه المناشير هي تحت وصاية جبهة وجيش التحرير الوطني حتى تكون لها المصداقية من جهة، ويعرف المجنَّد الجهة التي راسلته، ذكَّ هذا النداء الوضعية التي آلت إليها جراء الاستعمار الفرنسي، وسأل هؤلاء العساكر عن أي شرف وفخر وهم تحت العلم الفرنسي خدمة لمصالحه، كما أراد المنشور جلب انتباه وتذكير المجنّد الجزائري بضحايا الحرب العالمية الأولى والثانية من الجزائريين، وحين عودتهم خلال مظاهرات الثامن ماي 1945 وصدمتهم وقد أبيدت عائلاتهم، وكذا صدمة حرب الهند الصينية، ودعا العساكر الجزائريين من فرق الرماة إلى التخلي عن الجيش الفرنسي والالتحاق بإخوانهم المجاهدين كما هو موضح في النداء الموالي: (93/138، A.N.O.M)

نداء إلى فرق الرماة الجزائريين بعنابة جوان 1956:



Source:A.N.O. M:93/ 138 préfectures de Constantine centre de liaison et d'exploitation dossier 1 1955-1956.

كما عملت النداءات والمناشير على التأكيد على السلام ونظرة الأخوة والانسانية من الثورة الجزائرية إلى من هو مجنّد في الجيش الفرنسي، وجّهت قيادة الثورة للمجنّدين أيضا دعوات للفرار من الجيش الفرنسي كما ورد " أخرج عند خاوتك" " أحمل سلاحك". (ابراهيم الطاس، 2013)

وفي منشور آخر صادر أيضا عن الولاية الرابعة الناحية الرابعة المنطقة الرابعة بدون تاريخ(ابراهيم الطاس، 2013)، تدعو قيادة الولاية المجنّد الجزائري إلى استنكار فضائع وجرائم الجيش الفرنسي في حق الجزائريين وهو ما نجده بالصيغة التالية: "يا أخي الجزائري لي راك عسكري عند فرنسا وتشوف القتل والحرق والتعذيب والدم والنار والدموع". (ابراهيم الطاس، 2013) "كل هذا في وطنك الجزائري وعلى خوتك الجزائريين" كما يحاول المنشور إثارة التساؤل لدى المجنّد بقوله: "صار ترضى بهذا؟" (ابراهيم الطاس، 2013) كما حاولت الجبهة من خلال هذه المناشير تصوير وضعية الجزائر التي أحالها عليها

الاستعمار "أخضعنا لقوانينه، سلب منا كرامتنا . سلبنا كل الحريات . استغلنا لصالحه، انحدرنا إلى وضعية العبيد، سرق أرض أجدادنا، أصبحنا يد عاملة رخيصة، رجال بدون مهنة، بدون مستقبل، استغل كل خيراتنا الباطنية، يحلم ببيع بترول الصحراء، وهو الآن يجني الأرباح". (ابراهيم الطاس، 2013)

من خلال النداءات المختلفة يتضح أن قيادة الثورة وظّفت المصطلحات التالية: الحرية، الكرامة، الأرض، الأجداد... وهذا إدراكا ومعرفة بمدى تمسك الجزائري الأصيل بهذه المبادئ والذود عنها هذا من جهة، ومن جهة ثانية يحاول النداء ربط المجنّد بالقضايا الآنية التي تعيشها بلاده وحتى قضايا التحرر حملتها مناشير قيادة الثورة، وهو ما نجد له أثرا في منشور جوان 1957 الصادر عن الولاية الرابعة أين حاولت القيادة إطلاع المجنّد بقضايا التحرر الدولية بقولها:" الآن سوريا . لبنان . الهند الصينية . تونس . المغرب . قد تحررت من قبضة الاستعمار ولها اليوم دول مستقلة". (ابراهيم الطاس، 2013)

وأورد الشيخ محمد خير الدين محتوى نداء آخر يتضمن عبارات التفاؤل بالنصر والاستقلال القريب: "...والنصر قريب إن شاء الله" وتضمن أيضا دعوة إلى التفاف وتوحد كل الجزائريين بدون استثناء لتحقيق هدف الاستقلال:" باش نبلغوا استقلالنا يجب علينا باش نكون متحدين، ونعلم أيضا بلي من غير الاتحاد ما ننجحوش". (محمد خير الدين، د،ت،ن).

كما حملت النداءات في طياتها أبعادا اجتماعية لدحض الطروحات الفرنسية الرامية إلى تفريق أفراد المجتمع الجزائري فيقول النداء: "بيَّن بلي الجزائريين خاوتك" وأبعادا سياسية من خلال التأكيد على أن الجزائر الآن ستكون دولة قائمة وقد اعترفت بها الأمم، وتدعو أيضا هذا المجنّد إلى الانتقال للكفاح تحت راية العلم الجزائري وأن القضية الجزائرية عادلة. " أخرج عند خاوتك المجاهدين، عند الحق".(ابراهيم الطاس، 2013)

ولم تقتصر دعاية الثورة تجاه المجنّدين الجزائريين في الجيش الفرنسي على السنوات الأولى من الثورة ولكن هذه القضية استمرت في استراتيجية القيادة حتى أواخر أشهر الثورة، وهو ما أكدت عليه مراسلة لوزير القوات المسلحة في

الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية: 21 أفريل 1960 وأكدت في ذات السياق على تركيز النداءات إلى المجنّدين بالخصوص(ليلة تيتة، 2013)،

نداء من الولاية الخامسة بتاريخ ماي 1962:

Mai 1962
République Algérienne provisoire
Armée de libération national wilaya5 front de libération national

Soldat collaborant (al amuluna) avec l'Armée Françaises, vous êtes aujourd' huit sous la tutelle de la France mais votre gouvernement Algérien provisoire a conclu des accords avec le gouvernement Française qui nous apportent la paix. Ils doivent être respectés par les forces Françaises et par nous comme le veut l'honneur national (acharaf ul watani).

Soldat le temps de quitter les forces Françaises est venu nous somme en pleins pourparlers politique lesquels exigent du tact pour combattre l'Armée secrète criminelle (al jaych sirry l mujiym), faites confiance a la France elle est avec nous dites-le à vos frères que ceux –ci restent ou il sont, qu'il convainquent les fascistes, leur disent que leur action est nuisible et désespérée. Votre Gouvernement travaille pour les intérêts de votre pays.

Soldat, restez avec vos forces Armée victorieuses combattez pour votre patrie. Votre état s'est constitué pour le service de la nation (khidmat ul umma). Entrez dans la force locale pour l'Union et la défense de la patrie, pour l'exemple et la justesse de la politique (husn ul siyasa) que le bonjour et la paix soient sur ceux qui auront écouté ces paroles et qui auront suivi leur justesse.

Vive la République Algérienne.
Vive LAN.
Vive le FLN.

Source: MohamedHarbi et Gilbert Meynier : le FLN documents et histoire (1954-1962), Casbah éditions, Alger,2012, p134.

ويبدو من خلال مضامين هذه النداءات والمناشير الموجهة إلى المجنّدين في الجيش الفرنسي، أن المشرفين على العمل الدعائي لصالح الثورة قد أدركوا العديد من الحقائق تتعلق بالمجنّد الجزائري لعل الباحثة ستيفاني شوفان قد وضّحت بعضا منها:

- تواجد المجنّدين الجزائريين في الجيش الفرنسي هو ضد طبيعتهم.
- أن المجنّد الجزائري لم تعد له ثقة في وعود الدولة الفرنسية.
- تعسّف القوانين الفرنسية في حق الجزائري وتصنيفه من الدرجة الثانية.

. التهميش والعنصرية، هذه الأوضاع وغيرها استغلتها جبهة التحرير الوطني للتأثير على المجنّد ودعوته للمساهمة في الجهاد والذي يقتضي من كل الجزائريين الالتفاف حوله لتحقيق الاستقلال.(StéphanieChauvin, 1995)،

هذا وأثبتت تحريات فرنسية أُعدَّت داخل الثكنات التي تضم مجنّدين جزائريين أن هؤلاء الأفراد إما واقعون تحت الإكراه أو الضغط من طرف جبهة وجيش التحرير الوطني، وإما أنهم مناضلون وطنيون سابقا ومحترفون أعطيت لهم أوامر بالتجنُّد في الجيش الفرنسي لتنفيذ استراتيجيات ومخططات قادتهم داخل المؤسسة العسكرية الفرنسية؛ منها تكوين وتأسيس خلايا تعمل بالتنسيق مع خلايا الثورة.(StéphanieChauvin, 1995)وتعترف المصادر الفرنسية أن العديد من الوحدات العسكرية الفرنسية اخترقتها دعاية الثورة وهو مايشير إليه تقرير صادر عن المكتب الخامس بتاريخ: 05 مارس 1958 أُعد في إطار مهمة خاصة داخل وحدات الرماة الجزائريون، وكذلك وحدات الصبايحية، أن هذه الأوساط تم الإتصال بها من طرف جبهة التحرير الوطني.(A.N.O.M, 1957)

4. -النتائج المترتبة عن فرار المجنّدين الجزائريين من الجيش الفرنسي:

ترتب عن فرار المجنّدين الجزائريين من الجيش الفرنسي خلال مرحلة الثورة الجزائرية العديد من النتائج الإيجابية التي تصب في صالح العمل العسكري الذي انتهجته قيادة الثورة.

هذه الاستراتيجية مكّنت قيادة الثورة من تحقيق العديد من النتائج الإيجابية لصالح الثورة والتي هي في نفس الوقت تضر بمصالح الجيش الفرنسي المادية والمعنوية؛ ومنها:

- استمرار اتصال قيادة الثورة بالمجنّد الجزائري في صفوف الجيش الفرنسي.
- هذه الاتصالات صنعت وأوجدت خلايا للثورة داخل الجيش الفرنسي.
- خلق أعين للثورة داخل صفوف المؤسسة العسكرية الفرنسية.
- هذه الخلايا سمحت للثورة من إيجاد مصادر للتموين وتدعيم الثورة بالسلاح والذخيرة بمختلف التجهيزات العسكرية.

كما يلخص جمال قندل أهداف هذه الاستراتيجية من قيادة الثورة تجاه المجنّدين الجزائريين في الجيش الفرنسي في النقاط التالية:

- منها ما يصب في صالح الثورة: ككسب هذه العناصر إلى صف الثورة، وتحييد البعض الآخر.
- وتشجيع هذه العناصر على الفرار من الجيش الفرنسي.
- ومنها ما يصب في تخريب وتحطيم مؤسسة الجيش الفرنسي:
- كضرب معنويات الجيش الفرنسي.
- وزرع الشك داخل صفوفه، وفقدان الثقة بين أفراد هذه المؤسسة. (جمال قندل، 2013)وخاصة بين القادة العسكريين الفرنسيين والمجنّدين الجزائريين.
- هذا بالإضافة إلى دفع قيادة الجيش الفرنسي إلى اتخاذ إجراءات وتدابير أخرى ضد هذه العناصر ومنها إبعادهم من الجزائر وبالتالي إبعادهم عن أرض المعركة الحقيقية.(رمضان بورغدة، 2012)

ويرى الجودي لخضر بوالطمين أن هذه الاستراتيجية من قيادة الثورة الجزائرية تجاه المجنّدين الجزائريين في الجيش الفرنسي تهدف إلى:

إسترجاع المجنّدين الجزائريين وزرع الشك في نفوسهم...

. كما يدخل في إطار السباق مع السلطات الفرنسية داخلياوخارجيا.

. فداخليا: تهدف إلى تحطيم قوات العدو وإحباط محاولة تقسيم الشعب الجزائري وإبعاده عن الثورة، أو قسم منه لخلق مشكلة الجزائر مع فرنسا.

. وعلى الصعيد الخارجي: يحاول العدو الحد من القضية الجزائرية والتقليل من قيمتها إنطلاقا مما يملك بيده من منتخبين جزائريين وحركى ومجنّدين، لذلك عملت قيادة الثورة على قطع هذا الطريق.(الجودي لخضر بوالطمين، 2007)

كما استطاعت قيادة الثورة من خلال دعايتها خلق نوع من الثقة بين المجنّد والثورة الجزائرية، وتكون قد أعطت انطباعا حسنا لدى المجنّد الجزائري بأنه يلقى الاهتمام من قِبل قيادة الثورة، بعدما غُرِّر به أو انخرط في الجيش الفرنسي عن جهل أوعن غير دراية وتقدير للعواقب الناجمة عن وضعيته كمعول من معاول الهدم ضد مصالح بلاده وأبناء جلدته، وكلها عوامل استغلتها جبهة التحرير الوطني، وكانت عامل مساعد في إقناع واقتناع المجنّد الجزائري بضرورة العمل لصالح القضية الجزائرية. وهنا تظهر أهمية عمليات الفرار الكبرى التي عرفتها مختلف مراحل الثورة في الداخل والخارج؛ منها:

عملية فرار علي خوجة أكتوبر 1955 بالمنطقة الرابعة (الولاية الرابعة لاحقا)، حيث التحق علي خوجة مع رفاقه إلى جبال الياشير حاملين أسلحة ومعدات حربية كبيرة، قدرت بـ 10 رشاشات، 06 بنادق، ومجموعة كبيرة من الذخيرة والقنابل، وبهذا تكون المنطقة الرابعة قد تدعّمت بأسلحة وعتاد حربي، وعناصر مدربة، وتم تأسيس فرقة كوموندو عرفت بكوموندو علي خوجة حققت العديد من الانتصارات على الجيش الفرنسي.(حسين آيت ادير، 2012)،عملية فرار الصبابنة بالقرب من مغنيةبتلمسان (الولاية الخامسة لاحقا) 20 فيفري 1956 (رضوان منصوري، 2017)، عملية فرار البطيحة مارس 1956 بسوق أهراس (الولاية الأولى لاحقا)، هذه العمليات من الفرار كان لها أثر معنوي سلبي على الجيش الفرنسي، وفي الجهة المقابلة ساهمت في تطور العديد من المعطيات المعنوية والعسكرية لصالح الثورة الجزائرية في الداخل. (الطاهر الزبيري، 2008) وهو ما يؤكده عبد الرزاق بوحارةبأن عملية الاندماج تمت بسرعة وتم توظيفهم حسب تجربتهم وتخصصاتهم يقول:" تحولوا بسرعة فائقة إلى مرشدين ومسؤولين وقادة وباختصار إطارات جيش التحرير الوطني ذات مصداقية"، وذكر هنا:" أصبح عواشرية وبن سالم على التوالي عقيدا ونقيبا في جيش التحرير الوطني" أما رفاقهم من البطيحة وجهات أخرى فقد أصبحوا بدورهم مسؤولي فصائل وقادة كتائب وفيالق أو مدربين في مراكز التكوين".(عبد الرزاق بوحارة، 2006)ويرى أحمد بن شريف أن هذه العمليات أصبحت قدوة للجزائريين العاملين في الجيش الفرنسي وإشارة للحاق بصفوف الثورة. (أحمد بن شريف، د، ت، ن).

وفي الخارج سجّلت الجريدة المجاهد حركة الضباط الجزائريين العاملين في الجيش الفرنسي نهاية سنة 1956(المجاهد، 1956)، والتي أسفرت عن فرار عشرة ضباط جزائرييونوالتحاقهم بجيش التحرير الوطني بتونس مند سنة 1958، بالتنسيق مع خلايا الثورة في فرنسا وألمانيا(عبد الرزاق بوحارة، 2006)، وهم على التوالي: بوزادة محمد، بن ميصابيح مصطفى، علاهم محمد، كركب مختار، محمد بن محمد، لطرش عبد الحميد، علاهم عبد المجيد، علاهم محمد، عقون أحمد، أيت مهدي محمد أمقران. (جريدة المجاهد، 1958)، وأضاف محمد

زرقيني(وهو أحد الضباط الفارين سنة 1958) إلى هذه القائمة أسماء أخرى فرت بعد أفريل 1958 منهم: عبد المومن، بوتلة، قلال، مداويوكان لهذه الحركة صدى إعلامي وتأثير في الأوساط السياسية والثقافية والإعلامية الفرنسية من خلال الرسالة التي وقعها 56 ضباط جزائري موجهة إلى الرئيس الفرنسي روني كوتي (RenéCoty) يستنكرون من خلالها السياسة الفرنسية المطبقة في الجزائر وجرائمها ومطالب بتسوية القضية الجزائرية وفق الحلول السلمية.(Mohamed Zerguini, 2000)،كما ذكرت وثائق الارشيف البري أن هناك رسائل استقالة أخرى من بعض الضباط الجزائريين، وحسب المكتب الثاني فإن هذه الحركة من طرف الضباط الجزائريين في الداخل والخارج كانت فعالة بحيث شهدت مرحلة (1956 -1960)، 47 حالة فرار من هذه الفئة 39 منهم خلال(1956 -1959).(Ch. R.Agéron, 2003)

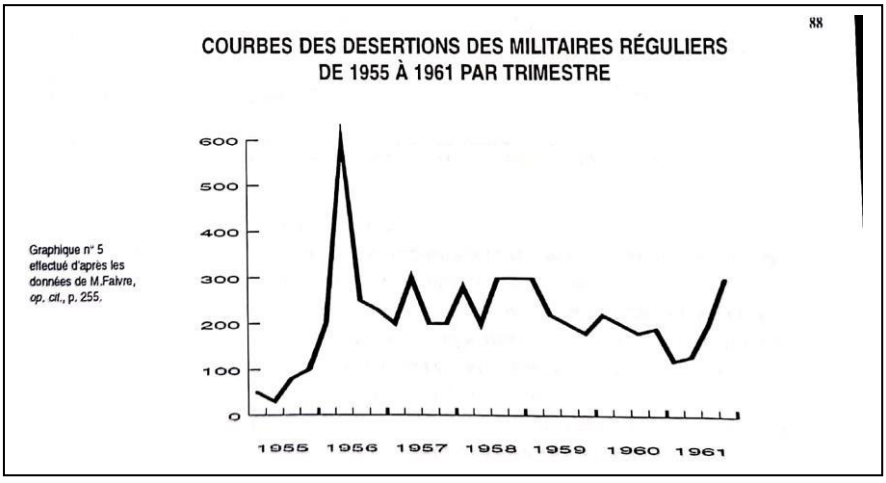
بالإضافة إلى ما ذكره خالد نزار (وهو أحد الضباط الفارين أيضا ضمن هذه الحركة) من اتصالاتهم بالعديد من الأوساط السياسية والثقافية والاعلامية والدينية في فرنسا إستطاعت أن تحدث جدلا ونقاشا كبيرا داخل الرأي العام الفرنسي حول القضية الجزائرية، ليساهم أيضا هؤلاء الضباط الجزائريين بعد التحاقهم بصفوف الثورة بتجاربهم وخبرتهم التقنية في التكوين والتدريس والتدريب والتأطير على رأس المدارس العسكرية في الحدود الشرقية والغربية بتونس والمغرب.(خالد نزار، د،ت،ن)، ومن خلال الجدول الموالي تتضح أكثر إحصائيات ونسب حول ظاهرة فرار الجزائريين من الجيش الفرنسي منذ سنة 1956 إلى سنة 1961:

- Source:

السنة	النسبة بالألف
1956	٪. 4،43
1957	٪. 4،33
1958	٪. 2،61
1959	٪. 1،35
1960	٪. 0،90
1961	٪.1،17

Charles Robert Ageron(1995) les Supplétifs Algériens dans l'Armée Française Vingtième siècle, revue d' histoire, N 48, p14

ونورد أيضا مخطط بياني يوضح تطور عمليات فرار المجنّدين الجزائريين من الجيش الفرنسي 1955 -1961:



من خلال الجدول الأول وهذا المخطط البياني يتضح بروز ظاهرة الفرار للمجنّدين الجزائريين من الجيش الفرنسي خلال سنة 1956 وهذا لتركّز دعاية الثورة اتجاه هذه الفئة من الجزائريين وحاجتها إلى إطارات بشرية كفئة، بالإضافة إلى الوضعية العسكرية للثورة التي حققت حينها انتصارات عسكرية

وسياسية في الداخل والخارج، لتتناقص عمليات الفرار بعدها نظرا للحشد العسكري الفرنسي، والوضعية الصعبة التي أصبحت عليها الثورة الجزائرية، ونشاط الدعاية النفسية الفرنسية وعلى رأسها المكتب الخامس، ونلاحظ ارتفاع عمليات الفرار خلال سنة 1961 والتي حملت معها بوادر الاستقلال.

خاتمة:

لقد برزت إلى سطح الأحداث العسكرية والسياسية خلال مرحلة الثورة الجزائرية(1954 -1962) ظاهرة فرار المجنّدين الجزائريين من الجيش الفرنسي وكانت هذه النقطة بالذات محور صراع سياسي وعسكري بين القيادة الفرنسية وقيادة الثورة جبهة وجيش التحرير الوطني فيما اصطلح عليه بالحرب الدعائية تارة والحرب النفسية تارة أخرى، فوجد المجنّد الجزائري نفسه هنا وخاصة منهم المنخرطون طواعية بين طرفي إيديولوجيتين إحداهما أبرم معها عقد التزام وهي مؤسسة الجيش الفرنسي، وأخرى متأصلة فيه وهي الوطنية، فمنهم من استجاب للروح الوطنية وقررالفرار من الجيش الفرنسي، والتخلي عن كل الامتيازات والالتحاق بصفوف الثورة الجزائرية انطلاقا من دواعي ذاتية وأبلى فيها البلاء الحسن، ونذكر هنا: علي خوجة، عبد الرحمان بن سالم، عواشرية، أحمد بن شريف، ومنهم من استمر في خدمة الجيش الفرنسي ولم تستيقظ فيه الروح الوطنية.

من خلال محتوى هذه الدراسة يمكن القول أيضا أن المجنّد الجزائري واجهالعديد منالعواملالنفسية والموضوعية جعلت منه يعيد مراجعة الكثير من مواقفه من الجيش الفرنسي من جهة وقضية بلاده من جهة ثانية منها ما هو داخل الجزائر: مجازر الثامن ماي 1945، ومنها ما هو خارجها كحروب الهند الصينية، وخلال مرحلة الثورة شاهد بعينه ممارسات الجيش الفرنسي اللاأخلاقية واللاإنسانية وكذا ما صاحبها من تطورات على الصعيد الداخلي والخارجي، وهي عوامل كانت سببا في فرار الجزائري من الجيش الفرنسي.

من النتائج الممكن تسجيلها هنا أيضا هو أن قيادة الثورة أدرجت المجنّد الجزائري في الجيش الفرنسي ضمن استراتيجيتها منذ الأيام الأولى للثورة، وهو ما تشهد عليه المناشير والنداءات التي وجهت لهذه العناصر الجزائريةطوال

مراحل الثورة، كما أثبتت هذه الاستراتيجية فعاليتها نظرا لمحتواها الذي حمل العديد من الأبعاد الدينية والوطنية، والأخوية، وكذا دلالات سياسية استطاعت من خلالها تحريك الروح الوطنية في هؤلاء المجنّدين والتأثير عليهم لمراجعة مواقفهم والانتقال إلى العمل الوطني مع إخوانهم المجاهدين، وبالتالي اجتمعت الصدمات والعوامل الذاتية والنفسية والموضوعية من جهة وتأثير دعاية الثورة من جهة ثانية على رسم مواقف ومستقبل المجنّد الجزائري بين الوطنية والخيانة.

المراجع:

الأرشيف الفرنسي:

-A.N.O.M:fonds territoriaux Algérie ،GGA, boite3R 215، cabinet, informations, résumés, des faits, synthèses, février juillet 1950, dossier collusion entre PPA et mouvement nationaliste Indochinois dans le territoire de Ghardaia, lettre d'un déserteur.

-A.N.O.M: 93/4409، rapports mensuels vus par IGAM, rapport mensuel d'information sur l'activité Musulmane dans le département de Constantine moi de décembre 1954.

-A.N.O.M:GGA 3R 473 Action psychologique,rapport sur le moral année 1957.

-A.N.O.M:81F 2444 2emBureau bulletin de renseignement1961-1962.

- A.N.O.M:93/ 138 préfectures de Constantine centre de liaison et d'exploitation dossier 1 1955-1956.

الكتب بالعربية:

. ابراهيم الطاس (د، ت،ن)، السياسة الفرنسية في الجزائر وانعكاساتها على الثورة (1956 -1958)، دار الهدى، عين مليلة، ام البواقي، الجزائر، ص 518، 519.

. أحسن بومالي (2009)، استراتيجية الثورة الجزائرية في التجنيد والتعبئة الجماهيرية من اندلاع الثورة إلى غاية مؤتمر الصومام، م. و. د. ب. ح. و. ث. أ. ن. 1954، ضمن كتاب بعنوان، الإعلام ومهامه أثناء الثورة، دار القصبة للنشر، الجزائر، ص 49.

. أحمد بن شريف (د،ت،ن)، فجر المشاتي، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ت، ص 08 -09، 12 -13، 20.

. أحمد طالب الإبراهيمي (2007/2006)، مذكرات جزائري (1932 -1962)، ج1، دار القصبة للنشر، الجزائر، ص 39،40.

. الجودي لخضر بوالطمين (2007)، مذكرات مجاهد من بغداد إلى الجزائر، طبعة المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر، الجزائر، ص187، 189، 190.

. الطاهر الزبيري (2008)، مذكرات آخر قادة الأوراس التاريخيين، منشورات ANEP، الجزائر، ص 135، 136.

. النقيب سي مراد (2010)، مذكرات النقيب سي مراد (عبد الرحمان كريمي)، ومنهم من ينتظر، دار الأمة للطباعة والنشر، الجزائر، ص 314، 315، 316.

. أني راي قولدزيغر (2012)، جذور حرب الجزائر (1940 -1945)، دار القصبة للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 273،474.

. جريدة البصائر، ع، 330، بتاريخ، 26 أوت 1955، ص06.

. جريدة المجاهد، ع 89، تاريخ، 1961/02/13، ص 06.

. جريدة المجاهد، ع: 01 جويلية 1956، ص49.

. جمال قندل (2013)،إشكالية تطور وتوسع الثورة الجزائرية 1954 -1956، ج2، ابتكار للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 328، 370، 384.

. حسين آيت ايدير(2012)،كوموندو علي خوجة، ذكريات مجاهد، الولاية الرابعة، الناحية الأولى، منشورات الجزائر تكتب، الجزائر، ص 62.

. خالد نزار (د،ت،ن)، مذكرات اللواء خالد نزار، منشورات الشهاب، الجزائر.

. خالد نزار (2002)، الجزائر (1954 -1962)، يوميات الحرب، منشورات ANEP، دار الفرابي، ط1، الجزائر، ص 40.

. عائشة ليتيم (2018)، حقائق تاريخية عن المجنّدين الجزائريين في حروب فرنسا من (1840إلى 1962)، دار هومة، الجزائر، 2018، ص 30، 39، 42.

. عبد الرزاق بوحارة (2006)،منابع التحرير(أجيال في مواجهة القدر)، تر، صالح عبد النوري، دار القصبة للنشر ، الجزائر،ص 29، 30، 154، ،38، 158، 171، 173.

. مسعودعثماني (2012)، الثورة الجزائرية أمام الرهان الصعب، دار الهدى عين مليلة، أم البواقي، الجزائر،ص 516.

. علي كافي (د،ت،ن)،مذكرات الرئيس علي كافي من المناضل السياسي إلى القائد العسكري 1946.1962، دار القصبة للنشر، الجزائر، ص 121.

. محمد خير الدين (د،ت،ن)، مذكرات، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص 251.

. رمضان بورغدة (2012)،الثورة الجزائرية والجنرال ديغول (1962.1958)، منشورات بونة للبحوث والدراسات، عنابة، الجزائر، ص 150.

كتب باللغة الفرنسية:

- AbdElkaderRahmani (1959)l'Affaire des Officiers Algériens, aux édition du Seuil, Paris.p 36.

-François Xavier,hautreux (2013) la guerre d'Algérie la guerre des Harkis,perrin, p 77.

-Francis et Colette Janson (1993), l'Algérie hors la loi, ENAG éditions, Alger, p330-331.

-Mohamed Harbi et Gilbert Meynier (2004), le FLN documents et histoire (1954-1962), Casbah Edition, Alger, p 114.

- MohamedTeguia (2002) l'Armée de libération nationale en wilaya 04, casbah Edition, Alger, p 56.

- Mohamed Zerguini (2000), une vie de combats et de lutte témoignages et appréciations (1941–1962), tome1, Edition Algérienne An Nehda, p 73.

الأطروحات بالعربية:

. . رضوان منصوري (2017)، الثورة التحريرية في المنطقة الثانية للولاية الخامسة (1956 -1962)، رسالة ماجستير في تاريخ الحركة الوطنية والثورة التحريرية، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد –تلمسان، الجزائر، ص 109.

. ليلى تيتة (2013)،تطور الرأي العام الجزائري تجاه الثورة الجزائرية 1954. 1961، أطروحة دكتوراه، تاريخ حديث ومعاصر، قسم التاريخ، جامعة الحاج لخضر، باتنة، ص 163، 164، 240.

. أحمد معروفي (2007)، الدعاية والدعاية المضادة أثناء ثورة التحرير الجزائرية (1954 - 1962)، أطروحة دكتوراه في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الجزائر، ص 106، 72، 74.

. أطروحات بالفرنسية:

Amandine Geraud (1997), profil des Musulmans Algériens Engagés dans l'armée française au sein des régiments Spahis et Tirailleurs pondant la guerre d'Algérie 1956-1962, mémoire de maitrise d'histoire contemporaine, Univ Paris1. P 88.

_ Articles:

_ Stéphanie Chauvin (1995), des Appelés pas comme les autres?, les conscrits Français de Souche Nord-Africaine pondant la guerre d'Algérie, in vingtième siècle, revue d'histoire, n48, octobre-décembre,p 23, 26, 27, 28.

-Ch.R.Agéron (1995), les Supplétifs Algériens dans l'Armée Française pondant la guerre d'Algérie, Vingtième siècle, revue d' histoire, N48, p14.

-Ch. R.Agéron (2003), les Militaires Algériens dans l'Armée Française de 1954-1962, dans Charles Jauffret des Hommes des Femme en guerre d'Algérie. p 342-348.

مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ر ت م د: 7163 -1112 ر ت م د إ :1892-2588
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2

نشاط حزب الشعب الجزائري أثناء الحرب العالمية الثانية (1939 -1945)

The activity of the Algerian People's Party during World War II (1939-1945)

صلاح نوي[1] ، ليلى حمري[2]

1 -جامعة ابن خلدون تيارت، salah.noui@univ-tiaret.dz

مخبر الدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا

2 -جامعة ابن خلدون تيارت، hamrileila971@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 2020/05/05. تاريخ القبول: 2021/08/22

ملخص :-

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز الدّور الفعّال الّذي لعبه عناصر حزب الشّعب الجزائري المنحل سنوات الحرب العالمية الثّانية، حيث استغلّ بعض أفراده الدعاية الألمانية للاتصال بدول المحور، بهدف الحصول على المساعدة، كما كان لنزول الحلفاء في شمال إفريقيا دور في تشجيع الحركة الوطنية على الاتصال بهم لتبليغ مطالب الجزائريين، بمبادرة من فرحات عباس الذي اتصل بحزب الشعب وجمعية العلماء المسلمين، وهو ما نتج عنه صدور البيان الجزائري سنة 1943 بعد الاجتماع الذي عقد بالعاصمة ، كما يبرز دور الحزب في تأسيس حركة أحباب البيان والحرية سنة 1944، ويتجلى التّأثير القوي لعناصر حزب الشّعب في أوساط الجماهير من خلال المسيرات الّتي نُظمت يوم 8ماي1945 احتفالا بنهاية الحرب العالمية الثانية.

المؤلف المرسل: نوي صلاح: salah.noui@univ-tiaret.dz

الكلمات الدالة: الحرب العالمية الثانية / حزب الشعب / البيان الجزائري/أحباب البيان والحرية / مجازر8ماي 1945.

Abstract:

This study aims at high lighting effective role of the dissolved Algerian people's party during world war II. the party's members entered an under cover stage and took advantage of Nazi propaganda to contact the axis with a view to obtain assistance , the Allies' landing in North Africa had a role in encouraging the National Movement. This event was uniquely placed to get messages across to the demands of the Algerians at the initiative of Farhat Abbas, who contacted People's Party and the Muslim Scholars Association, MSA, which had led to the issuance of the Algerian statement in 1943 at its meeting in Algiers, and the party's role in establishing the movement of friends of the manifesto and liberty, in 1944, the party's strong impact is evidenced through the Algerians peace march on may 8, 1945. marking the end of world war II.

Key words:

(world war II ; people's party; Algerian statement ; friends of statement and freedom ; may 8, 1945 massacres)

1. -مقدمة:

شكل حضور مصالي الحاج إلى الجزائر يوم 2أوت 1936، بمناسبة عودة وفد المؤتمر الإسلامي من فرنسا، وإلقاؤه لخطابه المشهورالذي كان له وقع كبير على الجماهير التي لم تتعود على هذا الطرح الجديد للقضية الوطنية بعيداعن المطالب الإصلاحية، ثم إقدامه على تأسيس حزب الشعب الجزائري في 11مارس 1937، ونقل نشاطه إلى الجزائر، كل ذلك مثل فصلا جديدا من تاريخ الحركة الوطنية، حيث تمكن الحزب من نشر خلاياه في مختلف مناطق الوطن، وفرض وجوده السياسي من خلال المشاركة في الانتخابات المختلفة، ليقود مسار النضال الوطني في سبيل الاستقلال وهو ما أقلق كثيرا السلطات الاستعمارية

والمعمرين الأوربيين الذين اعتبروه تهديدا مباشرا لمصالحهم وخطرا محدقا على وجودهم، وهو ما جعله عرضة للإجراءات القمعية للحد من نشاطه ومنع تغلغله في الأوساط الشعبية، خاصة مع بروز بوادر الحرب العالمية الثانية التي كانت فرنسا طرفا رئيسيا فيها، وهي في حاجة ماسة إلى تسخير الجزائر أرضا وشعبا لدعم المجهود الحربي لفرنسا، فما هي الإجراءات التي اتخذتها الإدارة الاستعمارية ضد الحزب قبيل اندلاع الحرب؟ وما الدور الذي لعبه أثناء الحرب العالمية الثانية؟ وكيف ردت الإدارة على نشاطه؟

2. - نشاط حزب الشعب من اندلاع الحرب العالمية الثانية إلى نزول الحلفاء بشمال إفريقيا (1939 -1942) :

لقد كانت الحركة الوطنية بحق في فترة مابين الحربين العالميتين قد بلغت أوج تطورها واستطاعت أن تقف الند للند في وجه السياسة الاستعمارية على الرغم من المراوغات والوعود الكاذبة، هذا التطور الذي بلغته الحركة الوطنية الجزائرية هو الذي جعل السلطات الاستعمارية تتحين الفرصة للنيل من الحركة الوطنية، فوجدت في اندلاع الحرب العالمية الثانية الفرصة المواتية وأقدمت على حل الأحزاب الوطنية وتوقيف جرائدها وصحفها واعتقال زعمائها. (قدادرة، 2008، صفحة 372)

بحلول سنة 1939 تعرض التيار الاستقلالي ممثلا بحزب الشعب إلى الشلل نتيجة سياسة الاعتقال والسجن ومنع جرائده من الصدور (المدني، حياة كفاح مذكرات 1925 -1945 ، 1988، صفحة 343), أما مصالي الذي أطلقت سراحه يوم 27 أوت 1939م, فقد ألقت عليه القبض من جديد وساقته إلى السجن في مطلع شهر أكتوبر من ذات العام مع جماعة كبيرة من أعضاء الحزب, وفي السجن ساومته حكومة "بيتان" كي يتعاون معها ويتخلى عن فكرة الاستقلال ويكون حرا لكنه رفض رفضا قاطعا (بورنان، 2015، صفحة 64)، في حين تطرقت بعض المصادر إلى ذكر بعض الأسماء التي ألقي القبض عليها في الرابع من شهر

أكتوبر سنة 1939 وهم مصالي و بومدين معروف، عمار بوجريدة، خليفة بن عمار، مفدي زكرياء، الشاذلي المكي، محمد فليتة، قدور التركي، ابن العقبي، محمد خيضر، بومعزة علاوة، محمد ممشاوي، وكانت هذه المتابعة كافية بأن تجعل حزب الشعب الجزائري ينتقل من العلنية إلى السرية (سعد الله، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية،، 1992، صفحة 180).

لقد تجند الجزائريون للحرب تحت طائلة قانون التجنيد الإجباري، وسيقوا أفواجا من جميع الطبقات إلى مختلف الجبهات الفرنسية، وقد اقتنع الكثير منهم أن الحرب كانت من أجل انتصار الديمقراطية ضد النازية والفاشية وأنها تعني في النهاية إعطاء الحقوق للشعوب المستعمرة، وبالإضافة إلى الدعاية الفرنسية كانت هناك دعاية مضادة ألمانية وإيطالية تخبر الجزائريين بأنهم سينالون حريتهم إذا أيدوا قضية المحور (سعد الله، خلاصة تاريخ الجزائر المقاومة والتحرر 1830 -1962، 2007، صفحة 128،127)، وقد هدفت الدعاية الألمانية إلى خدمة الإستراتيجية العسكرية لدول المحور في الجزائر وغيرها من المستعمرات الفرنسية والبريطانية حيث سعت إلى توجيه ضربات لهاتان الدولتان اللتان حولتا المستعمرات إلى قواعد خلفية (ديغول، 1981، صفحة 69،68)، وفي هذا الإطار قام شباب متحمسون للعمل المسلح رأوا في الحرب وانهزام الجيش الفرنسي فرصة تخولهم حق المبادرة بالتمرد على فرنسا وإعلان الثورة والاستقلال وهم الذين كانوا ينتظرون من قيادة الحزب القيام بهذه المبادرة، أنشأ هؤلاء الشبان تنظيما سريا أطلقوا عليه لجنة العمل الثوري شمال إفريقيا(C.A.R.N.A) (العلوي، 2000، صفحة 215،214)، وقد ذهب بعضهم إلى ألمانيا في سنة 1939 حيث تدربوا على تقنيات التخريب وحرب العصابات ووعدهم الألمان بإعانتهم بالأسلحة عند اندلاع الحرب، ولكنهم لم يوفوا بوعدهم ولم يكونوا حاضرين في الموعد المضروب بالجزائر العاصمة. (صاري و قداش، 1987، صفحة 71،70)، وبعد أن علم مصالي بهذه المبادرة، رفض زعيم حزب الشعب الجزائري السجين في الحراش أي تعاون مع الألمان، ورفض مقترحات

لجنة العمل الثوري شمال إفريقيا حيث قال:«كيف تثقون بهم وقد وصف هتلر العرب بأنهم من العرق الأدنى، فهو يقود الناس إلى المسلخ »، وقد دعا مصالي أعضاء لجنة العمل الثوري شمال إفريقيا للاستقالة من الحزب (Annie, 2002, p. 56).

وفي أوت 1940 قام كل من طالب محمد ورشيد عمارة وعبدون محمد المدعو حقي بزيارة إلى أعضاء لجنة وقف إطلاق النار بالجزائر العاصمة وقد ذكروهم بالاتصالات التي جرت بألمانيا فوعدوهم بطلب التعليمات من برلين، لكنهم لم يتلقوا أي إجابة (قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية1939 -1951، 2011، صفحة 823)، ولكن الطرف الجزائري استأنف اتصالاته مع القنصل الايطالي في الجزائر الذي أسر في رده على أسئلة الطرف الجزائري أن منطقة إفريقيا الشمالية قد تم تقسيمها إلى أربع مناطق كمايلي : تونس وشرق قسنطينة من نصيب ايطاليا، عمالة قسنطينة من نصيب ألمانيا عمالة الجزائر تبقى تابعة لفرنسا،عمالة وهران من نصيب اسبانيا، ومرة أخرى استولت خيبة الضن، بل الدهشة والاستغراب على نشطاء حزب الشعب الجزائري (بن خده، 2012، صفحة 120،121).

وقد نقلت الشرطة عدة محاولات لتجمع مناضلي حزب الشعب الجزائري مع نهاية سنة 1940 في مقاطعة الجزائر العاصمة والباقي في البليدة والأربعاء ورفيق وسيدي موسى الذين تشك في أنهم أعضاء الهيئة المركزية الجديدة التي أسسها مصالي. (Kaddach, histoire de nationalisme algérienne, 2010, p. 575)

وبقيام حكومة فيشي العميلة لألمانيا النازية حاولت السلطات الفرنسية المتواطئة مع ألمانيا النازية أن تجلب مصالي إلى جانبها بحيث يتعاون مع حكومة بيتان، ولكن مصالي الحاج أجاب مفدي زكريا في نوفمبر 1940 والسيد علي بومنجل (محامي مصالي الحاج)في ديسمبر 1940 بأنه يرفض التعاون مع

أي طرف، واتصل به كذلك مبعوث من ألمانيا هو السيد المهدي وطلب منه الانضمام إلى صف الألمان ولكنه رفض أيضا (بوحوش، 1997، صفحة 306).

وفي مطلع عام 1941 تمرد عدة مئات من فرقة الرماة الجزائريين المتمركزين في ثكنة قديمة بالحراش ويطلق عليهم اسم(Régiment de MARCHE du levant) وذلك يوم السبت 25 جانفي 1941م على الساعة التاسعة و15 دقيقة, وحملوا أسلحتهم ونزلوا شوارع الحراش، وأخذوا ينادون الجهاد المقدس، الجهاد المقدس، ورموا المارة بالنيران وكذلك نوافذ المنازل المضيئة وقتل خلال التمرد حوالي عشرة معظمهم من الأهالي (مياسي، 2010، صفحة 143) وبعد هذه المواجهات مباشرة قامت السلطات الفرنسية بالرد من خلال محاكمة أعضاء من حزب الشعب الجزائري، مما يؤكد أن حزب الشعب قد أصبح له القدرة على التأثير بهم(Aron & autres, 1962, p. 80) ، وحاولت سلطات الاحتلال الاتصال بمصالي مرة أخرى في مارس 1941 بغية التفاهم على أساس التعاون على مبدأ المساواة بين الفرنسيين والمسلمين بشرط أن يتخلى عن المطالبة بالاقتراع العام والبرلمان الجزائري، ولكنه رفض هذا العرض فتم تقديمه إلى المحكمة العسكرية (شبوب، 2017، صفحة 114)، وفي 16 مارس 1941 أصدرت محكمة الجزائر العسكرية ضد مصالي حكما بالأشغال الشاقة لمدة ستة عشر سنة وبحظر إقامته بالجزائر لمدة 20 سنة هو و حوالي ثلاثين مناضلا آخرين من حزب الشعب (بن خده، 2012، صفحة 123)، وفي إطار النشاط السري لحزب الشعب قام مناضلون شباب بمبادرة إحياء خلايا حزب الشعب كما حدث في سطيف، حيث نظم مجموعة من الشباب جمعية خيرية اسمها «الخيرية»، وتحت تأثير قنيفي محمود وهو مناضل في حزب الشعب انخرطوا سنة 1941 في العمل السياسي السري (قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية1939 -1951، 2011، صفحة 820)، أما في مشرية فقد كانت نقطة الانطلاق لخلية حزب الشعب المدرسة، حيث كان الشيخ تبون حاج احمد يمارس التعليم ودعى الطلبة إلى ضرورة العمل السياسي، وفي المدية كان الحاج حسين مسؤول خلية المدية هو من اخذ على عاتقة مبادرة تجميع الثانويين وإعادة بعث حزب الشعب في المدينة (Kaddach, histoire de nationalisme algérienne, 2010, p. 576).أما في مدينة تيزي وزو

فيقول حسين ايت احمد في مذكراته لم يكن في وسع حزب الشعب أن يقيم نشاطا عاما لكنه كان مؤثرا في مدينة كتيزي وزو التي كانت تشكل نائب عمالة، وقد لاحظت ذلك في ندوة موسعة دعا إليها سيد علي حاليت المندوب العام لقيادة حزب الشعب في القبائل الكبرى، وقد حضر تلك الندوة حوالي خمسين شخصا منهم مناضلون قدامى من نجم شمال إفريقيا ومنخرطون جدد دخلوا الحزب (ايت احمد، 2002، صفحة 34).

لقد وضعت مجموعة من الوطنيين الشباب كهدف لها بين سنتي 1940 - 1942 تأطير الحركة الوطنية وإعادة تنظيمها وجعلها أكثر فعالية، لقد أدى مسيرون مثل عسلة حسين وطالب عبد الرحمن دورا هاما وبالاشتراك مع أعضاء قدامى من حزب الشعب غير المسجونين انشئوا حركة سرية استقطبت وجذبت شباب حزب الشعب الجزائري وكانت تضم على سبيل المثال محمد بلوزداد في بلكور وديدوش مراد في سالمبي المدنية وانطلاقا من العاصمة امتدت الحركة إلى فيدراليات قسنطينة ووهران ولقد استعانت في ذلك بالشباب من مدرسة الأساتذة والمساعدين التقنيين والجامعة (قداش، 8 ماي 1945، 2007، صفحة 13،14). .

3. - نزول الحلفاء في الجزائر(8نوفمبر1942) وأثره على الحركة الوطنية:

ضرب الإنزال الأنجلو أمريكي في الثامن من نوفمبر 1942 فرنسا في صميمها وهز كبرياءها, وجاء ذلك بعد الهزيمة في جوان 1940، وأحداث بلاد سوريا الدامية التي أعقبت هذه الهزيمة ومما زاد الوضع صعوبة الانقسامات التي كانت داخل هرم الدولة التي أثرت بشكل كبير على وضع فرنسا في هذه المرحلة (زايدي، 2015، صفحة 285) وقد لقيت عملية الإنزال ردود فعل مختلفة من طرف الجزائريين ذلك أن فرنسا لم تعد الدولة العظمى التي لا تقهر(CHARLES, 1979, p. 558) ، فتكونت منظمة جديدة، وكان حي القصبة بمدينة الجزائر مركز نفوذها، وقامت بعدة أعمال كجمع السلاح والدعاية المضادة للتجنيد، وتوزيع بيان الشعب الجزائري، وإصدار جريدة العمل الجزائري، وفي نفس الفترة، لكن في حي بلكور، قامت مجموعة من الشباب المناضل في حزب الشعب (محمد بلوزداد، احمد محساس، احمد يوسفي، محمد تازير باشا...) بتأسيس تنظيم شباني حمل اسم لجنة شباب بلكورCJB،

واضطلع إلى جانب النشاطات السياسية كتوزيع المناشير، ومقاومة التجنيد الإجباري والدعوة للاستقلال...بالنشاطات شبه العسكرية تمثلت خصوصا في سرقة الأسلحة من المعسكرات الأمريكية والانجليزية الموجودة في سهل متيجة (سعداوي، 2009، صفحة 37،36).

وينبغي القول انه نتيجة للتيار الوطني الجارف الذي مس الجزائر من أقصاها إلى أقصاها بعد إنزال الحلفاء ساهم حزب الشعب بقوة في رفع المستوى السياسي عن طريق المحاضرات والمناقشات، متجاوزا بذلك الرقابة الاستعمارية المسلطة على الجرائد الوطنية، ويذكر فرحات عباس أن الجزائريين رحبوا بنزول الحلفاء (ايت احمد، 2002، صفحة 36) واعتبروه من علامات التحرر انطلاقا من الدعاية الكبيرة التي روج لها الطرفان المحور والحلفاء، حيث كثر الحديث عن الحرية والاستقلال وتقرير المصير والمساواة في الحقوق والواجبات (بوعبد الله، 2006، صفحة 106).

ومنذ تاريخ 8 نوفمبر 1942 وقع اتصال بين أفراد حزب الشعب والسيد فرحات عباس وكان موضوع المناقشات هو شروط الجزائر لدخول الحرب إلى جانب الحلفاء ولا ندري بمن اتصل فرحات عباس أيضا من العلماء، فابن باديس كان قد مات والإبراهيمي الرئيس الجديد للعلماء كان في المعتقل بآفلو (سعد الله، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية،، 1992، صفحة 205), وقد اخذ فرحات عباس زمام المبادرة لتوجيه رسالة إلى السلطات المسؤولة في 20 ديسمبر 1942 أي الحلفاء تطلب عقد مؤتمر للمسؤولين المنتخبين والممثلين المؤهلين لجميع المنظمات الإسلامية من اجل تحديد الإصلاحات الضرورية وجعل هذه الدعوة شرطا مسبقا لمشاركة الجزائريين في المجهود الحربي (Kaddach, l'Algérie des algériens, 2016, p. 748) ، وكان رد الحلفاء جهارا: «نحن جئنا لمحاربة المحور، أما قضاياكم الخاصة فبينكم وبين الفرنسيين» (المدني، هذه هي الجزائر، 2001، صفحة 174).

لقد ولدت هذه الرسالة هلعا شديدا لدى السلطات الفرنسية وقابلوها برفض مبدئي كونها غيبت الإطار الفرنسي سواء في العنوان أو في المضمون، فقد أدركوا دلالاتها الخطيرة فهي من جهة تنفي وجود سلطة فعلية في الجزائر، كما أنها من جهة أخرى تطرق باب التدويل للمشكلة الجزائرية... وأمام هذا

الموقف الفرنسي بعد يومين عاود فرحات عباس توجيه نفس الرسالة، ولكن تحت عنوان السلطات الفرنسية وبخلاف النص الأول فان الحديث على الاندماج السياسي للجزائريين لا يخرج من الإطار الفرنسي (بن قبي، 2015، صفحة 255)، ولكن هذا المسعى لم يتلقى أي استجابة إذ عامل الجنرال جيروGiroud البعثة التي قدمت لائحة المطالب في شهر جانفي 1943باحتقار قائلا:(كفى حديثا عن الإصلاحات أريد جنودا) (محساس، 2002، صفحة 189)

4. - دور الحزب في إصدار بيان فيفري 1943:

أجرى فرحات اتصالات مع إدارة بيرتون الحاكم العام للجزائر وأعطي له الضوء الأخضر لتقديم مشروع الإصلاحات، حيث ترك الحاكم العام انطباعا بأنه فهم ضرورة تحرير النظام الاستعماري، وعقد اجتماع عند السيد بومنجل 2 شارع فيالار بالجزائر العاصمة (Kaddach, histoire de nationalisme algérienne, 2010, p. 598) ، حضر الاجتماع الدكتور تامزالي رئيس الفرع القبائلي في المندوبيات المالية وغرسي أحمد مستشار مالي وقاضي عبد القادر مستشار عام و عسلة حسين والدكتور لمين دباغين ممثلي حزب الشعب والشيخ التبسي والشيخ خير الدين والشيخ توفيق المدني من جمعية العلماء والدكتور بن جلول وفرحات عباس ومحمد الهادي حمام رئيس جمعية الطلبة المسلمين والدكتور سعدان مستشار عام واتفق هؤلاء النواب على خطط مبدئية وقرروا نشر ميثاق جديد يتضمن مطالب الشعب الجزائري (Abbas, 2011, pp. 133,134).

وقد تم تكليف فرحات عباس بتحريره(Teguia, 2007, p. 66) ، وكان هذا النداء عبارة عن مذكرة طويلة موجهة إلى الحاكم العام للجزائر من قبل بعض الزعماء وعلى رأسهم فرحات عباس وكان عنوان البيان "الجزائر في مواجهة الصراع الاستعماري" (زوزو، 2004، صفحة 222)، وقد شمل البيان عدة أقسام فتعرض القسم الأول الوضع بالجزائر منذ احتلال الحلفاء لها، وتناول القسم الثاني أهمية الحربين العالميتين في تحرير الشعوب باعتبار ذلك ظاهرة تاريخية، أما القسم الثالث استعرض العلاقات الفرنسية الجزائرية منذ سنة 1830 وعن الاستعمار والاستغلال والتفرقة العنصرية، ودرس القسم الرابع فشل

الإصلاحات السابقة واندلاع الحرب العالمية الثانية، أما القسم الخامس والأخير فتضمن مطالب الجزائريين الأساسية ونلخصها فيما يلي: (بلعباس، 2009، صفحة 54)

-ادانة الاستعمار والغاؤه،

-تقرير مبدأ تقرير المصير على جميع الشعوب صغيرها وكبيرها

-منح الجزائر دستورا خاصا بها يتضمن:

-الحرية والمساواة المطلقتين لكل السكان بدون تمييز عرقي أو ديني (Kaddach, histoire de nationalisme algérienne, 2010, p. 600)

-إلغاء الملكية الإقطاعية وتعويضها بإصلاح زراعي واسع

-الاعتراف باللغة العربية لغة رسمية بالتساوي مع اللغة الفرنسية

-حرية الصحافة وقانون الجمعيات

-التعليم الإجباري والمجاني لكل الأطفال من الجنسين

-حرية العبادة لكل السكان وتنفيذ مبدأ فصل الدين عن الدولة

-المشاركة الفعلية للمسلمين الجزائريين حالا في حكم بلادهم كما هو معمول به في المستعمرات البريطانية وسوريا وتونس.

-إطلاق سراح كل المبعدين والمحتجزين السياسيين على اختلاف انتماءاتهم الحزبية(Kiouane, 2012, p. 62)

تم قبول البيان الذي قدم إلى حزب الشعب الجزائري والعلماء دون أي تعديل، فالأمر الأكثر صعوبة يبقى ضرورة كسب موافقة كل المنتخبين لأن البيان ينبغي أن يصادق عليه من قبل الممثلين الشرعيين للمسلمين (قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية1939 -1951، 2011، صفحة 858)، في 31 مارس 1943 استقبل الوالي العام "مارسيل بيرتون" وفدا يتألف من فرحات عباس، وبن جلول، والتامزالي، واورابح، وابن علي الشريف، والأخضري، وتسلم منهم نص بيان الشعب الجزائري، وفي اليوم الموالي سلم هذا الوفد نسخا منه إلى ممثلي أمريكا، وبريطانيا وروسيا، وأرسلوا نسخة منه إلى الجنرال ديغول في لندن، ونسخة أخرى إلى الحكومة المصرية بالقاهرة (بوعزيز، الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية الجزائرية من خلال نصوصه1912 -1948، 2009، صفحة

69)، ويحمل توقيع 56 شخصا، في حين رفض مصالي الحاج محمد التوقيع عليه ما دام في السجن (تابليت، 2009، صفحة 31). ، وقبل الوالي العام بيرتون أن يأخذ بعين الاعتبار هذا الميثاق كأساس دستور الجزائر، ووعد بتأليف لجنة يكلفها بوضع مشروع إصلاحات تنفذ في الحين، وكون ممثل فرنسا بتاريخ 3 أفريل لجنة سميت لجنة البحث الاقتصادي والاجتماعي الإسلامي (عباس، 2005، صفحة 108) .

في 26 أفريل 1943 أطلق سراح مصالي الحاج من لامبيز وحول إلى الإقامة الجبرية بقصر البخاري، ثم بقصر الشلالة، وخلال نقله توقف بمدينة سطيف أين التقى فرحات عباس وتناقشا في الحالة السياسية الداخلية والخارجية (بورنان، 2015، صفحة 65).

وفي 26 ماي 1943 ظهر ملحق للبيان الذي هو عبارة عن مشروع إصلاحات اقتصادية واجتماعية مستعجلة خاصة بالمسلمين، ومنها إشراكهم في الحكم وذلك بتغيير الولاية العامة إلى حكومة جزائرية زيادة على مطالب مؤجلة أساسها دستور للجزائر ومجلس جزائري تأسيسي (زوزو، 2004، صفحة 224)، ومهمة الملحق أن يوضح بعض المطالب من ناحية، ويدعم الاتجاه الوطني من ناحية ثانية، كما انه يسجل رغبة مسؤولي حزب الشعب الجزائري في النص على دولة جزائرية (العلوي، 2000، صفحة 228).

وبتسلم ديغول السلطة في الجزائر اختار الجنرال كاترو حاكما عاما لها فسارع إلى رفضه البات لهذه المطالب وأكد أن فرنسا لن توافق قط على استقلال الجزائر، وقد أدى رفض فرنسا للمرة الثانية قبول البيان كأساس للمحادثات الإصلاحية إلى رد فعل شديد عند الوطنيين، ورفض المندوبون الجزائريون في شهر سبتمبر الاشتراك في دورة طارئة للجان المالية، معربين بذلك عن تمسكهم بالبيان وولائهم له، وقد رد كاترو بحل الهيئات التي يشترك الجزائريون فيها (العقاد، 1993، صفحة 308،307)، واعتقل عبد القادر السايح وفرحات عباس (Annie, 2002, p. 193)، رغم هذه الحوادث فإن صمود النواب الماليين أرغم الوالي العام الجنرال كاترو على إعادة النظر في القضية، وإعداد إصلاحات أخرى، زفها الجنرال ديغول نفسه للبلاد في الخطاب الذي ألقاه بمدينة قسنطينة بتاريخ 12 سبتمبر 1943، يتمخض عن هذه

الخطبة مرسوم 7مارس 1944، ولم يأتي هذا المرسوم بالشيء الجديد لأنه مستمد من روح مشروع بلوم فيوليت (عباس، 2005، صفحة 111)، وقد شمل هذا المشروع الإصلاحي النقاط التالية:

-إضافة حوالي 65 إلى 70000 ناخب مسلم إلى الغرفة الانتخابية الفرنسية (الغرفة الأولى)(Charles, 2005, p. 255)

-التوسع في تمثيل الجزائريين في المجالس المحلية ورفع عددهم من الثلث إلى الخمسين والى النصف في الجمعية العامة التي حلت محل المجالس العامة، وفي المناطق الريفية من الربع إلى الخمسين غير أن هذه الإجراءات لم ترضي أحدا عدا بعض النواب الذين جبلوا على الخوف ويسعون في سبيل الاحتفاظ بامتيازاتهم وثرواتهم التي أودعوها في البنوك (بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1830 -1954، 2007، صفحة 109).فقد ظهرت للجميع تافهة ومتأخرة عن ميعادها (حربي، الثورة الجزائرية سنوات المخاض، 1994، صفحة 12)

وتجدر الإشارة هنا أن مصالي الحاج كان قد قدم تصريحا كتابيا أمام لجنة الإصلاحات التي تشكلت اثر خطاب الجنرال ديغول في قسنطينة 1943، في شان الإصلاحات الفورية التي يجب أن تقدم إلى الفرنسيين المسلمين في الجزائر، وعلى الرغم من أن مصالي كان يخضع للإقامة الجبرية، فانه قدم رأيه في مسالة المواطنة الجزائرية الجديدة التي عرضتها اللجنة الفرنسية للتحرير الوطني بزعامة الجنرال ديغول، على النخبة الوطنية، (ثنيو، 2015، صفحة 243،242)

5 -دور حزب الشعب في تأسيس تجمع أحباب البيان والحرية(مارس1944):

لتجسيد الاتحاد الإيديولوجي الذي تحقق بفضل النشاط الدؤوب لحزب الشعب الجزائري أنشا القادة الوطنيون (Kiouane, 2012, p. 92) في 14 مارس 1944 أصدقاء البيان والحرية وقرر مصالي دعمها للدفاع عن البيان وإدانة النظام الاستعماري (Stora, s.d, p. 190)، وإذا كان مصالي قد انظم إلى فرحات عباس كباقي الموقعين على البيان بهدف تعزيز هذه الجبهة الوطنية وتفادي الشقاق، فهو لم يؤمن أبدا بفكرة الارتباط بفرنسا (زبيحة، 2009، صفحة 74) وكان مصالي قد صرح لعباس:«سنقوم بهذا المسعى الكبير

سويا وسوف نرى ...» (Kaddach, histoire de nationalisme algérienne, 2010, p. 618)، وقد جمعت فرحات عباس وحزب الشعب لمصالي الحاج وجمعية العلماء أما الحزب الشيوعي الذي انسلخ عن الأمة الجزائرية نتيجة أفكاره الاندماجية فلم يشارك فيها طبعا (Ait Ahmed, 1983, pp. 28,29)، واستوحى برنامجه من بيان 10 فيفري 1943، وقد لخص فرحات عباس أهداف هذه الحركة في الدفاع عن البيان،استنكار الاستبداد والتنديد بالعنصرية وجبروتها، إسعاف كل ضحايا القوانين الاستثنائية وضحايا القمع والاضطهاد، ترويج فكرة إنشاء دولة جزائرية وتأسيس جمهورية مستقلة مرتبطة بروابط فيدرالية مع جمهورية فرنسية جديدة مناوئة للاستعمار، وخلق روح التضامن في الجزائر بين اليهود والمسلمين والمسيحيين. (عباس، 2005، صفحة 111،112).

وكان لهذه الحركة السياسية دور هام في جمع كلمة الوطنيين الجزائريين، ومثلت غطاء لنشاط عناصر حزب الشعب الجزائري المحل (مقلاتي، 2014، صفحة 177) حيث استفاد حزب الشعب من التغطية القانونية لأحباب البيان والحرية للقيام من جهة بإدخال أكثر عدد ممكن من الجزائريين في الحركة القانونية، ومن جهة أخرى بشن حملة وطنية شديدة ضد الاستعمار الذي لا يمكن إزالته إلا عن طريق الكفاح المسلح (صاري و قداش، 1987، صفحة 77)، وقد سخر جميع خبرته ومناضليه المتمرسين ليؤدي دور العماد الذي يستند عليه أحباب البيان والحرية، ليجعل منها حركة مهيكلة قادرة على التحرك والدفاع عن تطلعات الشعب الجزائري موسعا بذلك أكثر فأكثر حضوره في وسط الجماهير التي كانت حقلا خصبا للأفكار الثورية.

وخلال هذه الفترة كلها(منذ تأسيس أحباب البيان والحرية في 14 مارس 1944 إلى غاية مؤتمر مارس 1945) بث حزب الشعب نشاطا كثيفا وبعمق في المدن والأرياف، وشارك في إنشاء فروع أحباب البيان والحرية وأنشأ بعضها هو بنفسه، وكثيرا ما كان مناضلوه عينهم هم محركوها الرئيسيون (محساس، 2002، صفحة 213). وكانوا القوة الدافعة ووسعوا الحركة إلى ابعد المناطق في البلاد هكذا كان هناك في نهاية عام 1944 أكثر من 600000عضو (Kiouane, 2012, p. 92) ، وكانت الغلبة في مؤتمر أصدقاء البيان والحرية

المنعقد في مارس 1945 لأتباع مصالي الحاج (جوليان، 1976، صفحة 329)، وكانت كل تيارات الرأي الجزائري حاضرة، فرحات عباس والشيخ البشير الإبراهيمي ورفاقهم، وبالطبع حزب الشعب الجزائري الذي كان ممثلا بوفد يقوده الدكتور الأمين دباغين وحسين عسلة، وقد دعم وفد حزب الشعب مندوبو الحزب الآخرين كممثل قسنطينة مسعود بوقادوم الذي كان متمرسا في التكتيكات والتقنيات المستعملة في هذا النوع من الاجتماعات، وهو ما سمح لحزب الشعب الجزائري أن يكون المحرك الحقيقي للمؤتمر، وبرز ذلك في اللوائح النهائية والمعبرة عن مدى تأثير الأفكار الوطنية (Ait Ahmed, 1983, pp. 31,32)، فقد فرض تبني شعاراته، جنسية جزائرية وجمعية تأسيسية جزائرية ديمقراطية، جمهورية وبرلمان وحكومة جزائريتان، وألوان وطنية، ومصالي قائد وطني، إن هذا التصلب يفسر الجو الانتفاضي الذي سبق نهاية الحرب (قداش، جزائر الجزائريين 1830 -1954، 2008، صفحة 343،344)

ويمكن القول انه بقدر ما كان تجمع أصدقاء البيان والحرية ناجحا، بقدر ما كان انزعاج السلطات الفرنسية واضحا، وفي هذا الإطار يمكن إدراج ما عرفته الجزائر في ماي 1945 حيث تمت محاولة سحق كل تفكير في الاستقلال. (بوشيخي، 2018، صفحة 160)

6. -دور الحزب في أحداث 8 ماي 1945:

أصول الحادثة في الحقيقة تعود إلى إنشاء أصدقاء البيان والحرية في شهر مارس1944 (سعد الله، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، 1992، صفحة 227)، وعلى الرغم من أن هذه الحركة قد جمعت عناصر غير متجانسة وذات رؤى متعددة في الكثير من القضايا، إلا أن التيار الاستقلالي تمكن من توجيه هذه الحركة الوجهة الوطنية فأثناء المؤتمر الذي انعقد من 2الى 4 مارس 1945 استطاع التيار الوطني الشعبي أن يحرز الأغلبية ضد اتجاه النواب (رخيلة، د.ت)، وصوتوا على مذكرة قاسية جدا وجذرية تطالب بإطلاق سراح مصالي (عيناد، د -ت، صفحة 27،26)، فقد تكثف نشاط الحركة خلال شهر مارس وبداية أفريل 1945 مما أدى بالسيد شاتينيو إلى أن يلاحظ عليها أنها صارت وسيلة في يد أنصار حزب الشعب المنحل (مناصرية، 2014، صفحة 253)

وفي الوقت الذي كان فيه أنصار مصالي يفرضون آراءهم على الجماعة، عقد الممثلون العرب مؤتمرهم في مصر الجديدة في القاهرة لبحث تأسيس الجامعة العربية، وهو حادث كانت له انطباعات عميقة في الشمال الإفريقي كله، وأدى تدهور الوضع الاقتصادي إلى ازدياد التوتر بين الجزائريين والمستوطنين، فقد كانت الجزائر مقطوعة عن فرنسا طيلة أيام الحرب، وعندما جاء عام 1945 لم تكن العلاقات التجارية العادية بين البلدين قد عادت تماما إلى ما كانت عليه. (غيلسبي، 1961، صفحة 76)، والواقع هو أن الغليان الشعبي كان قد بلغ أوجه، كان التذمر والشعور المناوئ للاستعمار يستمدان قوتهما من الوضعية الشعبية التي كان معظم الجزائريين يتخبطون فيها بين المجاعة والأمراض. (بوضياف، 2011، صفحة 15)

وفي الأول من ماي 1945 نظم حزب الشعب الجزائري مسيرات في المدن الرئيسية (Kaddach, l'Algérie des algériens, 2016, p. 751) في الجزائر ووهران تحمل علامات مثل« تحيا الجزائر الحرة والمستقلة»،«تسقط فرنسا».(ANOM, 81F10 , dossier Situation politique)، لم تكن قيادة حزب الشعب الجزائري تريد فقط المشاركة في احتفالات أول ماي إلا أنها كانت ترمي إلى توظيف تلك المناسبة من جهة لتختبر مدى قدرتها على تعبئة الجماهير وتجنيدها، ولتعلم إلى أي حد تستطيع هذه الأخيرة أن تسير وراءها بكل الثقة التي لابد منها لإنجاح المشاريع الحيوية (الزبيري، 2014، صفحة 68)، وقد أدى نجاح مظاهرات أول ماي إلى اجتذاب عدد كبير من المنتسبين الجدد إلى الحزب ولاسيما في ولايات قسنطينة والقبائل ووهران، حيث زاد عدد أعضاء الحزب إلى الضعفين بل أربعة أضعاف في سكيكدة زاد العدد من 50الى 200، وفي وهران من 446 إلى 1000بشهادة رابح كيوان واحمد عباد (حربي، جبهة التحرير الوطني الاسطورة والواقع، 1983، صفحة 37)

وفي ليلة 6 و7والايام التالية تم توزيع منشورات مطبوعة بنبرة عنيفة في جميع أنحاء الجزائر«النجاح مؤكد في المستقبل القريب» , (ANOM, 81F10 dossier Situation politique)

تشجع حزب الشعب الجزائري بالنجاحات التي حققها في أول ماي وقد أجرى استعراض للقوة بمناسبة يوم النصر مع المسيرات التي تعرض الألوان الوطنية،

ولافتات تحمل النقوش التالية (من أجل تحرير الشعوب)،(الإفراج عن مصالي)، (تحيا الجزائر حرة مستقلة) (Kaddach, l'Algérie des algériens, 2016, p. 751)، ففي يوم 8 ماي 1945 بينما كان العالم بأسره يحتفل بيوم الهدنة والانتصار على الهتلرية، أراد الشعب الجزائري أن يعبر عن أمله بأن يرى تضحياته تحظى بالاعتبار، وأن يتمكن من تحقيق مطامحه القومية (الورتلاني، 2009، صفحة 408) أما فيما يخص عدد المشاركين في هذه الأحداث فغالبا ما تقتصر التقارير التي تم إعدادها في أعقاب الاضطرابات على الإشارة إلى التجمعات المهمة، في ظل هذه الظروف لا يمكن محاولة إجراء تقييم عام لعدد المتظاهرين من خلال الأخذ في الاعتبار عدد سكان الدوار المشاركين في التمرد، ففي تقرير بتاريخ 25 ماي 1945 تقدر الإدارة العامة للجيش عدد 100000من مثيري الشغب (ANOM, 81F10 , dossier Situation politique)

وبما أن تلك المظاهرات تم قمعها في حمام من الدماء فقد كان لذلك عميق الأثر على مجرى الأحداث وعلى شحذ الوعي الوطني، ولذا يطرح السؤال التالي: ترى هل دعت قيادة حزب الشعب للتظاهر في ذلك اليوم يجيب شوقي مصطفاوي قاطعا بقوله :(أنا الذي حرر التعليمات في هذا الشأن ولقد أكدت من خلالها على الطابع السلمي للمظاهرات)، ويؤكد السعيد عمراني ذلك من جهته مضيفا:(لقد أمرنا المناضلين بأن يرفعوا العلم الوطني مصحوبا بأعلام الحلفاء بما في ذلك العلم الفرنسي)، ولكن الدكتور دباغين لا يتذكر ذلك بل يعزوا الأمر بالتظاهر إلى قيادة أحباب البيان والحرية (بن خده، 2012، صفحة 141)، وهو رأي فرحات عباس ومحمد عبدون، وأحمد بوده. (بوعزيز، السياسة الاستعمارية من خلال مطبوعات حزب الشعب الجزائري 1830 - 1954، 1995، صفحة 20،19)

أما قضية الادعاء بأن المتظاهرين كانوا يريدون تنظيم تمرد أو ثورة فيقول محمد بوضياف عن هذه القضية:(إن الادعاء بأن المتظاهرين كانوا يريدون تنظيم تمرد ادعاء باطل. كانت لي فيما بعد فرصة التحدث مع مسؤول الحزب في سطيف "معيزة" لم يكن لديه أي نوع من التوجيهات ولم يكن يعرف ما يجيب به المناضلين الذين أتوا ليسألوه عما جرى بعد بداية الحوادث في المنطقة

(Boudiaf, 2011, p. 16)، ويقر أحد الكتاب بأن دور حزب الشعب في الحادثة لم يكن فعالا، حقا أن بعض رجاله كانوا مسلحين ولكنهم كانوا تحت إمرة حزب أصدقاء البيان والحرية، ولم يستطع حزب الشعب أن يلعب الدور الرئيسي في هذا الوقت لأن تدخل الجيش الفرنسي منعه من ذلك. (سعد الله، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية،، 1992، صفحة 254)

ويذكر الأستاذ عيناد تابت أن حزب الشعب الجزائري أعطى الأمر لمسؤوليه المحليين والمناضلين المنضبطين ليوم الهدنة بأن هذا اليوم يمثل فرصة جديدة ومناسبة للقيام بمظاهرات جماهيرية سياسية وطنية في كل المدن،وأنه إضافة إلى الشعارات المعروفة أضاف حزب الشعب خمسة توجيهات:

-توجيه المناضلين ونزع سلاحهم قبل انطلاقا لموكب -رفع العلم الجزائري -الاحتفاظ بالسر (فيما يخص رفع العلم) -وضع الرمز الوطني وسط رموز الحلفاء -وضع باقة الزهور في نصب للأموات (رخيلة، د.ت، صفحة 64)

- لقد اختلف المؤرخون وشهود العيان في تقدير الخسائر البشرية فالقنصل الأمريكي بالجزائر يرى أن عدد القتلى يتراوح بين أربعين وخمسين ألف، بينما يحدد الجزائريون قتلاهم بخمسة وأربعين ألف وهو الرقم الذي تبنته الجامعة العربية في ذلك الوقت، أما السلطات العسكرية الفرنسية فتجعل عدد القتلى يتراوح ما بين ستة وثمانية آلاف (الزبيري، 2014، صفحة 82). في حين عدد الضحايا بين السكان المدنيين الأوربيين هو على النحو التالي - 86 قتيلا - 91 جريحا (ANOM, 81F10 , dossier Situation politique)

- إن أحداث 8 ماي 1945 لم تأتي عفوا، ولم تكن حادثة تسبب فيها بعض الأشخاص أو المنظمات، بل هي تسلسل تاريخي فرضته الأحداث المتتالية، وحتمته الظروف القاسية المعاشة، لقد كان بين الجزائريين وبين الاستعمار مسابقة ضد الساعة فإما أن يأخذ الاستعماريون دفة الحكم بيد من حديد، ويعيدون الحالة في الجزائر إلى ما كانت عليه قبل الحرب أو قبل سنة 1936، وإما أن يتقدم الجزائريون إلى كسر شوكة الاستعمار وفرض وجودهم كأمة تسعى لتحرير نفسها من ربقة العبودية (قنانش، د . ت، صفحة 77)

خاتمة:

مثلت الحرب العالمية الثانية منعرجا حاسما في مسار العلاقات الدولية وذلك بما زخرت به من أحداث كان لها بالغ الأثر على نشاط الحركات الوطنية في المستعمرات بما فيها الجزائر التي شهدت تبلورا للأفكار الاستقلالية لم يسبق له مثيل، وذلك بالرغم من حملات الاضطهاد التي تعرض لها الوطنيون وخاصة عناصر حزب الشعب.

ومن خلال هذه الدراسة نصل إلى النتائج التالية:

- رغم حل حزب الشعب وتوقيف الكثير من مناضليه مع بداية الحرب العالمية الثانية، إلا أن النشاط السري للحزب عرف توهجا خاصة مع التطورات الهامة التي شهدتها الحرب، بانهزام فرنسا أمام القوات الألمانية، وتأثير دعاية دول المحور، وصدور ميثاق الأطلسي، ثم نزول قوات الحلفاء بشمال إفريقيا، حيث حاول عناصر من الحزب استغلال هذه الأحداث للمبادرة بإعلان الكفاح المسلح وصلت إلى حد تأسيس منظمات لهذا الغرض.

- أدى توقيف الكثير من أعضاء حزب الشعب أثناء الحرب العالمية الثانية إلى بروز فئة من الشباب المتحمس للعمل المسلح، والذين سيكون لهم دور بارز في مسار الحزب بعد الحرب.

- شجعت تطورات الحرب عناصر حزب الشعب وباقي اتجاهات الحركة الوطنية على تكريس المطالب الاستقلالية بإصدار البيان الجزائري الذي عكس التطور والنضج الذي وصلت إليه.

- مثل تجمع أحباب البيان والحرية غطاء قانونيا استغله عناصر حزب الشعب لتكثيف نشاطهم في المدن والقرى لزرع الأفكار الاستقلالية في الأوساط الشعبية.

- أدركت السلطات الاستعمارية مدى النضج الذي وصلت إليه الحركة الوطنية بفضل النضال السري لعناصر حزب الشعب الجزائري، فانتظرت نهاية الحرب للإجهاز على آمال الجزائريين بأحداث دامية كانت منعرجا حاسما في مسار التحرر الوطني، وشكلت بداية للقطيعة مع النظام الاستعماري.

-تبقى مسالة تحميل عناصر حزب الشعب مسؤولية مجازر 8 ماي 1945 محل جدال بين المؤرخين، وخاصة مع اختلاف الروايات والشهادات التي تؤرخ لهذه الأحداث.

المراجع:

قائمة المراجع باللغة الأجنبية:

Abbas, F. (2011). la nuit coloniale: guerre et révolution d'Algérie. Alger: ed livres.

Ait Ahmed, H. (1983). mémoires d'un combattan l'esprit d'indépendance1942-1952. Paris: editions sylvie messinger.

Annie, r. G. (2002). aux origines de la guerre d'Algérie. Alger: casbah edition.

ANOM, 81F10 , dossier Situation politique. (s.d.).

Aron, R., & autres, e. (1962). les origines de la guerre d'Algérie. Paris: ed fayard.

Boudiaf, M. (2011). la préparation du premier novembre 1954. (a. boudiaf, Éd.) Alger: dar noamane.

CHARLES, R. A. (1979). histoire de L'Algérie contemporaine. Paris: ED PNF.

Charles, R. A. (2005). Genèse de l'Algérie Algérienne. Paris: editions bouchene.

Harbi, M. (1975). aux origines du FLN. Paris: éd bourgeois.

Kaddach, M. (2010). histoire de nationalisme algérienne.t2. Alger: editions EDIF2000.

Kaddach, M. (2016). l'Algérie des algériens. Alger: ENAG REGHAIA.

Kiouane, A. (2012). moment du mouvement national. Alger: editions dahlab.غ

Stora, B.(s.d) messali hadj 1898-1974. paris: éditions l harmattan. Teguia, M. (2007). L'Algérie en guerre. Alger: éd office des publications universitaires.

قائمة المراجع باللغة العربية:

ابراهيم مياسي. (2010). قبسات من تاريخ الجزائر. الجزائر: دار هومه.

ابو القاسم سعد الله. (1992). تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية. ج3.بيروت: دار الغرب الاسلامي.

ابو القاسم سعد الله. (2007). خلاصة تاريخ الجزائر المقاومة والتحرر 1830 -1962. بيروت: دار الغرب الاسلامي.

احمد توفيق المدني. (1988). حياة كفاح مذكرات 1925 -1945 .ج2.الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.

احمد توفيق المدني. (2001). هذه هي الجزائر. القاهرة -مصر: ملتزمة للنشر والطبع.الصفحة

احمد محساس. (2002). الحركة الوطنية الثورية في الجزائر من الحرب العالمية الاولى الى الثورة المسلحة. (مسعود محمد عباس، المترجمون) الجزائر: منشورات الذكرى الاربعين للاستقلال.

الامين شريط. (1998). التعددية الحزبية في تجربة الحركة الوطنية (1919 -1962). الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

الجنرال ديغول. (1981). مذكرات حرب النفير 1940 -1942. (ترجمة عبد اللطيف شراره،) بيروت - باريس : منشورات عويدات.

الفضيل الورتلاني. (2009). الجزائر الثائرة. الجزائر: دار الهدى.

بن يوسف بن خده. (2012). جذور اول نوفمبر 1954. (مسعود حاج مسعود، المترجم) الجزائر: دار الشاطبية للنشر والتوزيع.

جوان غيلسبي. (1961). الجزائر الثائرة. (خيري حماد، المترجمون) بيروت: دار الطليعة.

جيلالي صاري، و محفوظ قداش. (1987). الجزائر في التاريخ المقاومة السياسية 1900 - 1954. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.

حسين ايت احمد. (2002). روح الاستقلال مذكرات مكافح1942 -1952. (سعيد جعفر، المترجمون) منشورات البرزخ.

رضوان ثابت عيناد. (د -ت). 8 ماي 1945 في الجزائر. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

زيدان المحامي زبيحة. (2009). جبهة التحرير الوطني جذور الأزمة. عين مليلة ، الجزائر: دار الهدى.

سعيد بورنان. (2015). شخصيات بارزة في كفاح الجزائر 1830 -1962. تيزي وزو: دار الامل للطباعة والنشر والتوزيع.

شارل أندري جوليان. (1976). إفريقيا الشمالية تسير. (محمد مزالي وآخرين، المترجمون) تونس: لدارالتونسية للنشر.

شايب قدادرة. (1 ديسمبر, 2008). أثر اندلاع الحرب العالمية الثانية على مسار الحركة الوطنية الجزائرية(1939 - 1942). مجلة البحوث والدراسات الإنسانية.سكيكدة.المجلد2. العدد3. الصفحة372.

شيخ بوشيخي. (2018). الحركة الوطنية والثورة التحريرية 1954 -1962. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.صفحة 372

صلاح العقاد.(1993) .المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر (الجزائر, تونس, المغرب). مصر: مكتبة الانجلو المصرية.

عامر رخيلة.(د.ت). 8 ماي 1945 المنعطف الحاسم في مسار الحركة الوطنية. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

عبد الحفيظ بوعبد الله. (2005/2006). فرحات عباس، بين الإدماج والوطنية(رسالة ماجستير). باتنة: جامعة الحاج لخضر.

عبد الحميد زوزو. (2004). محطات في تاريخ الجزائر دراسات في الحركة الوطنية و الثورة التحريرية على ضوء وثائق جديدة. الجزائر: دار هومه.

عبدالله مقلاتي. (2014). المرجع في تاريخ الجزائر المعاصر(1830 -1954). الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

عز الدين زايدي. (2014/2015). نزول الحلفاء وأثره على منطقة شمال إفريقيا (اطروحة دكتوراه). سيدي بلعباس: جامعة الجيلالي اليابس.

علي تابليت. (2009). فرحات عباس رجل دولة. الجزائر: منشورات ثالة.

علي كافي. (1999). مذكرات من المناضل السياسي الى القائد العسكري(1946 - 1962). الجزائر: دا القصبة للنشر.

عمار بوحوش. (1997). التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962 (المجلد 1). بيروت: دار الغرب الاسلامي.

عيسى بن قبي. (22 فيفري, 2015). تطور النضال السياسي لدى فرحات عباس من خلال بيان فيفري 1943. مجلة عصور جديدة.وهران .المجلد3. العدد10. الصفحة 255.

فرحات عباس. (2005). ليل الاستعمار. (ابو بكر رحال، المترجمون) الجزائر: دار القصبة للنشر.

محفوظ قداش. (2007). 8 ماي 1945. (سميرة سي فضيل، المترجمون) الجزائر: منشورات ANEP.

محفوظ قداش. (2011). تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية .ج2، (احمد بن البار، المترجمون) الجزائر: دار الامة.

محفوظ قداش. (2008). جزائر الجزائريين 1830 -1954. (محمد المعراجي، المترجمون) الجزائر: منشوراتANEP.

محمد الطيب العلوي. (2000). مظاهر المقاومة الجزائرية(1830 -1954). الجزائر: منشورات وزارة المجاهدين.

محمد العربي الزبيري. (2014). تاريخ الجزائر المعاصر. الجزائر: دار الحكمة للنشر.

محمد بلعباس. (2009). الوجيز في تاريخ الجزائر المعاصر. الجزائر: دار المعاصرة للنشر والتوزيع.

محمد بوضياف. (2011). التحضير لاول نوفمبر 1954. الجزائر: دار النعمان للطباعة والنشر.

محمد حربي. (1994). الثورة الجزائرية سنوات المخاض. (نجيب عياد، و صالح المثلوثي، المترجمون) الجزائر: موفم للنشر.

محمد حربي. (1983). جبهة التحرير الوطني الاسطورة والواقع. (كمال قيصر داغر، المترجمون) بيروت، لبنان: دار الكلمة للنشر.

محمد شبوب. (9 سبتمبر, 2017). الجزائر في عهد حكومة فيشي 1941. مجلة قضايا تاريخية.بوزريعة، الجزائر. المجلد5. العدد6. الصفحة 114.

مصطفى سعداوي. (2009).المنظمة الخاصة ودورها في الإعداد لثورة أول نوفمبر .الجزائر: وزارة المجاهدين.

محمد قنانش .(د. ت). المسيرة الوطنية وأحداث 8 ماي 1945. الجزائر: منشورات دحلب.

نور الدين ثنيو. (2015). إشكالية الدولة في تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية. بيروت: المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات.

يحى بوعزيز. (2009). الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية الجزائرية من خلال نصوصه (1912 -1948). الجزائر: دار البصائر للنشر والتوزيع.

يحى بوعزيز. (1995). السياسة الاستعمارية من خلال مطبوعات حزب الشعب الجزائري 1830 -1954. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

يحى بوعزيز. (2007). سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1830 - 1954. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

يوسف مناصرية. (2014). دراسات وأبحاث في المقاومة والحركة الوطنية الجزائرية1830 -1954. الجزائر: دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع.

مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ر ت م د: 7163 -1112 ر ت م د إ :1892-2588
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2

زاوية الشيخ سيدي أبي نعامة الكنتي بمنطقة تيديكلت جنوب الجزائر ودورها الثقافي والاجتماعي خلال القرنين 13 – 14هـ/19 – 20م

Zawiya of sheikh sidi abi na'ama al- kounti in Tidikalt, region south of Algeria, and Its cultural and social role, during the two centuries 13-14 AH/19-20 AD

عباس بن شيخ[1] ، بولخراص كريمة[2]

1- مخبر الجنوب الجزائري للبحث في التاريخ والحضارة الإسلامية، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة غرداية ، الجزائر ص ب: 455
a_b_chikh@univ-ghardaia.dz
a_b_chikh@yahoo.com

2- كلية العلوم الانسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران1 ، المنور وهران 31000
kboulakhras2@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/05/11 تاريخ القبول: 2021/01/22

ملخص:

تهدف هذه الورقة البحثية إلى التعريف بجهود زاوية الشيخ سيدي أبي نعامة الكنتي الثقافية والاجتماعية خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين/التاسع عشر والعشرين الميلاديين، وذلك من خلال الوقوف الأدوار التي أدّتها في خدمة الدين والمجتمع، مع التعريف بمشايخها وتراثهم الفكري المخطوط وجهودهم في خدمة ركب الحج.

وقد خلص البحث إلى التأكيد على دور أعلام زاوية شيخ الركب النبوي بأقبلي؛ في نقل عطائها العلمي وإشعاعها الروحي إلى خارج إقليم توات، فكان لها أثر كبير في نشر الإسلام في بلاد السودان الغربي وبلاد الطوارق. كما ساهمت في ربط علاقات بينها وبين هذه البلدان من خلال احتضانها للقوافل التجارية وإشرافها على الطرق المؤدية لها، وكل ذلك يندرج ضمن دورها الحضاري.

المؤلف المرسل: عباس بن شيخ: a_b_chikh@yahoo.com

الكلمات المفتاحية: زاوية سيدي أبي نعامة؛ أقبلي؛ تيديكلت؛ توات؛ دورها الحضاري؛ بلاد السودان.

Abstract-

This paper aims to inform the efforts cultural and social of zawiya of sidi abi na'ama Al-kounti during the thirteenth and fourteenth centuries after hijra/19th and 20th centuries after birth, by identifying the roles she played in serving religion and society, and by definition of There scientists and their heritage thoughts manuscript and Their efforts at serving the Hajj pilgrimage.

The paper concluded by emphasizing the role of zawiya of Sheikh al-Rakb al-Nabawi in akabli, in the transmission of its tender and spiritual propagation outside the province of Touat, which had a major impact on the spread of Islam in the western countries of Sudan and the countries of Touareg, It has also contributed to linking relations with these countries through their hosting of commercial convoys and supervising them on the roads leading to them, all of which fall within their civilizational role.

Key-words-

zawiya of sidi abi na'ama, akabli, tidikelt, Touat, civilizational role, countries of Sudan.

- مقدمة:

يشتهر إقليم توات بتعدّد زواياه الصوفية والعلمية عبر ربوع مناطقه الثلاث (قوراة - توات الوسطى - تيديكلت)، ولعلّ من أشهر تلك الزوايا؛ نذكر على سبيل المثال لا الحصر: زاوية الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، وزاوية سيدي أحمد بن يوسف بتينيلان، زاوية سيد البكري بتمنطيط، و زاوية مولاي عبد الله الرقاني برقان، وزاوية سيدي إبراهيم الواجدي بالواجدة، وزاوية مولاي سليمان بن على بأولاد وشن، وزاوية سيدي علي بن حنيني بزاجلوا، وزاوية سيدي موسى والمسعود بتسفاوت، وزاوية سيدي الحاج بلقاسم بتيميمون، زاوية سيدي الحاج بو أمحمد بتبلكوزة، وزاوية سيدي الصوفي ببدريان، وزاوية سيد أحمد الرقاد بزاوية كنتة، وزاوية سيدي حيدة ببودة، وزاوية سيد المختار بالجديد، وزاوية سيدي عبد القادر بفنوغيل، و زاوية أبي الأنوار التينيلاني التي تُعرف بزاوية مولاي هيبة بآولف، وزاوية شيخ الركب أبي نعامة بأقبلي بتيديكلت.

وتُحاول هذه الورقة البحثية أن تُعالج الدور الثقافي والاجتماعي الذي أدّته الزوايا في توات معتمدين في ذلك على دراسة زاوية شيخ الركب أبي نعامة في أقبلي بتيديكلت خلال القرنين 13 -14هـ/19 -20م كأنموذج. ففيما تجلّى دورها الثقافي والاجتماعي؟ وكيف حافظت هذه الزاوية على النسيج الاجتماعي؟ .

أولا: التعريف بقصور أقبلي[1]:

تقع قصور أقبلي[2] بالجنوب الشرقي من منطقة تيديكلت[3]؛ ويمكن حصر الإطار الزمني الذي تأسّست فيه قصور أقبلي، ما بين القرنين السابع والثامن الهجريين/الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين. وأهم هذه القصور هي:

- **قصر ساهل:** يعود تاريخ تأسيسه إلى عام 701هـ/1317م، وقد تفاعل هذا القصر ما بين القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين مع النهضة العلمية والثقافية التي عرفتها توات آنذاك، فكان مقصد ومحج العديد من الطلبة؛ نتيجة نبوغ علمائه في مختلف العلوم الدينية، كالفقه والحديث والتفسير وغيرها.

- **قصر أركشاش:** تأسّس في عام 683هـ/1284م، وهو مجاور لقصر ساهل، كان يسكنه مولاي أحمد البريشي الذي كان واسطة بين علماء آزواد آل الشيخ الكنتي وعلماء توات، كان ينسخ مؤلفات علماء آزواد وينشرها في توات والهقار.

- **قصر المنصور:** الذي تأسّس في عام 627هـ/ 1230م، وهو من القرى التي يتواجد فيها الفلانيون[4]، نزل به الشيخ عبد الرحمان بن عمر التنلاني في رحلته للحج؛ وهو من أطلق عليه تسميته القديمة "دابدر" التي كانت تعرف بها المنطقة بأكملها.

- **قصر زاوية الشيخ بونعامة:** يعود تاريخ تأسيس هذا القصر إلى القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، وتحديدا إلى عام 702هـ/1303م. وأما

تأسيس الزاوية القصر، فيعود الفضل في ذلك إلى الشيخ سيدي محمد بن أبي نعامة بن عبد الرحمان (ت. 1163هـ/1750م) ، وذلك سنة 1130هـ /1718م، عند قدومه من الأزواد، وكانت منطلقا لركب الحجيج من توات وبلاد السودان الغربي. ويوجد في هذا القصر ضريح الشيخ السيد محمد بن عبد الرحمن بن أبي نعامة الكنتي [5]، وفي ذلك يقول الشيخ عبد الرحمن بن بعمر في رحلته ما نصّه: " ثم رحلنا إلى زاوية أبي نعامة ... وزُرناه، وهو الذي أحيا سنة الحج من بلاد توات وبلاد التكرور [6]". ثم يقول في موضع آخر:" ونزلنا بقرية إثرغن قبل الزوال وأقمنا بها الاثنين إلى الخميس، وفيه ورد علينا ركب سيدي محمد بن الشيخ أبي نعامة، الذي كنا ننتظره في هذه القرية" [7]؛ أي قرية زاوية أبي نعامة بأقبلي، حيث كان الحجاج من أهل توات يجتمعون فيها (من تيميمون إلى تيديكلت)، ومن هناك يتكون الوفد متوجّهين إلى الديار المقدسة. وقد ذكر الشيخ عبد الرحمان التنلاني المراحل التي يقطعها الحجاج من تنلان؛ ثم من أقبلي إلى الديار المقدسة.

ثانيا: زاوية الشيخ أبي نعامة الكنتي وأعلامها:

شُيّدت هذه الزاوية في القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي من قبل الشيخ محمد الملقب بأبي نعامة بن عبد الرحمان بن السيد أمحمد بن عبد الرحمان بن السيد أبي بكر الحاج بن السيد أحمد البكاي بودمعة بن السيد أمحمد الكنتي العقباوي، الذي ولد سنة 1060هـ/1650م بسجلماسة جنوب المغرب الأقصى. ولُقِّب بأبي نعامة؛ لما يذكر عنه أنه امتطى ظهر نعامة في طريقه للحج بمنطقة تسمى عنق المهري، وهي ظاهرة من خوارق العادات التي ألفها الناس، وعادة العرب أن يُكني المرء بما يتميّز به عن غيره أو بما يتفرّد به.

وقد تلقى علومه الأولى على يد أبيه، حيث أخذ عنه الفقه والأصول، ولما كان أهله يتردّدون بين أطراف سجلماسة وأحوازها؛ وبين مواطن أجدادهم المنتشرة عبر ربوع الصحراء؛ أكمل تعليمة وتنوّعت موارده من تتلمذه على يد

علماء تلك المناطق؛ كالسيد أحمد الحبيب اللمطي السجلماسي(ت.1165هـ/1552م) بتافيلالت، والعالم سيد أحمد الخليفة بن عمر بن الشيخ سيد أحمد الفيوم بتنبكتو[8]. استقر في بادئ الأمر بصحراء مالي (الأزواد) وتزوّج بها .وبعد وفاة عمِّه اتّجه شمال بلاد الساحل الإفريقي باتجاه توات، ثم حط الرحال بمنطقة والن بتنزروفت؛ أين حفر بها بئرا لعابري السبيل من القوافل التجارية، وانتهى به المطاف في الأخير إلى الاتجاه صوب أقبلي بمنطقة تيديكلت، وهناك استقبله أهلها وأسّس زاويته سنة 1137هـ/1725م، وتخرّج على يده العديد من الطلبة والدعاة. وبعد أن استقر بأقَبْلِي أحيا سنة ركب الحجيج التي كانت قد اندثرت منذ قرون[9]، وعُرف منذ ذلك الوقت بشيخ الركب النبوي، واعتلى الشيخ أبو نعامة الركب في سبع حجات إلى أن أقعده الكبر عن السفر، فعَهِدَ بذلك إلى ابنه سيد أحمد لحبيب ومن سار على خُطاه من أبنائه وحفدته. فكان يستقبل وفود ركب الحج الوافدين من توات ومن بلاد السودان الغربي بقيادة الشيخ الحاج أحمد بن الحاج الأمين الملقب بالتواتي الغلاوي أو الولاتي؛ نسبة إلى "ولاته" (ت. 1137هـ/1725م)، حيث تجتمع الوفود بزاويته ويكون الأمر إليه لتسيير ركب الحج[10]، ومنها صارت الوفود والركبان تجتمع عنده في كل موسم حج من توات إلى تافيلالت.

وبعد أن أحيا سنة ركب الحجيج؛ ابتداء من سنة 1138هـ/1726م أقام علاقات ومراسلات مع علماء عصره؛ كالشيخ سيد علي بن حنيني بزاجلو، والشيخ مولاي عبد الله الرقاني ومولاي هيبة ، والشيخ سيدي محمد الإدَواعْلي(توفي قبل سنة 1198هـ/1784م) الذي كانت له مع الشيخ أبي نعامة قصة مشهورة أثناء سفره إلى الحج[11].

أخذ الشيخ أوراد الطريقة القادرية وأصولها عن شيخه سيد أحمد الحبيب اللمطي السجلماسي، لكن هذا لم يمنع أن تكون زاويته محلا للدرس والتعليم وقراءة الأذكار، ومأوى للضيوف وعابري السبيل[12]، حتى ذاع صيته في منطقة تيديكلت وتوات، وفي بلاد السودان الغربي، ومنطقة الهقار، وفي إقليم فزّان جنوب ليبيا .

وبعد عمر حافل بجلائل الأعمال، توفي الشيخ رحمه الله في التاسع عشر من رمضان 1163هـ/21 أوت 1750م عن عمر يناهز (103) سنوات ودفن بزاويته.

وتشتهر هذه الزاوية بطابعها الصوفي المتميّز والمنبثق عن الطريقة البكائية القادرية، من خلال شيخيها المعروفين، والتي اشتهرت بهما، وهما:

الشيخ سيدي اعمر(ت.960هـ/1553م) الذي أسّسها وأدخلها إلى الصحراء وبلاد السودان، والشيخ سيد المختار الكبير الكنتي(ت.1226هـ/1811م) مُجدّد الطريقة وباعث الروح فيها بعدما أصابها الجمود والتحجر[13]. كما قام بعض شيوخها بنظم كتابات صوفية على شكل قصائد موزونة وذات رنة موسيقية ملحونة. ولعلّ أشهرها تلك القصائد التي نظمها ولد سيد الحاج القبلاوي الكُنتي[14] في الشعر الملحون، اشتملت على قصائد في الزهد ، وفي المديح النبوي، وفي الشوق إلى حج بيت الله الحرام وما تتطلبه الرحلة من زاد ومراحل السفر ومحطّاته.

- **أعلام الزاوية الذين تعاقبوا على مشيختها:**

بعد وفاة مؤسّس الزاوية؛ تعاقب على مشيختها العديد من المشايخ من أبنائه وحفدته،ويأتي في مقدّمتهم ابنه السيد أحمد الحبيب، الذي ولد عام 1122هـ/1710م وتوفي في 19جمادى الأولى 1205هـ/23 يناير1791م عن عمر يناهز الثمانين سنة وقبره عند مدخل ضريح والده، وقد وردت ترجمته في معجم

مرتضى الزبيدي بقوله:" أحمد بن محمد بن عبد الرحمان أبي نعامة التواتي الملقّب بالبكاي الولي الصالح صاحب الميز(؟) والسر والمدد والكرامات، منازلهم في أقبلي تولى مشيخة ركب الحج كعادة أبيه وجده وكنت قد سمعت به ووصلت إلي أخباره وكاتبته وعقدت معه عقد الأخوة. ثم ورد علينا حاجاً في أثناء 1197هـ/1783م فاجتمعت به وشاهدت من محاسنه ومكارم أخلاقه ما يفوق عن الوصف. وقد جددت معه عقد الأخوة والمحبة، وسمع مني وكتبت له الإجازة. ودعا لنا بالخير وعاد لبلاده ولا تنقطع عني مراسلاته وهداياه. "[15] وخلفه بعد وفاته على مشيخة الزاوية الشيخ محمد عبد الرحمان بن سيد أحمد لحبيب الذي ولد سنة 1178هـ/1765م بالزاوية، لكننا لازلنا نجهل تاريخ وفاته (؟)

- الشيخ سيد محمد العابد بن سيدي محمد عزيزي، الذي ولد عام 1194ه/1780م بالزاوية، وتوفي في 26شعبان 1294هـ/04 سبتمبر 1877م،

- الشيخ سيد أحمد لحبيب بن سيدي محمد العابد، الذي ولد يوم 21 محرم 1253هـ/26 أبريل1837م، ثم خلفه أخوه سيدي بونعامة الذي ولد سنة 1268هـ/1852م. وتوفي بزاوية جده أبي نعامة ودفن جوار ابن عمه سيد أمحمد بن سيدي محمد الحاج،

- الشيخ سيدي أمحمد عزيزي بن سيد أحمد،ولد يوم 17صفر 1286هـ/28 ماي1869م، وتوفي سنة 1373هـ/1954م ،

- الشيخ سيد محمد الأمين بن سيدي محمد عزيزي، ولد سنة 1327هـ/1909م وتوفي في يوم 02 شوال سنة 1417هـ/09 فبراير1997م.

واشتهر شيوخ الزاوية بالزهد في الحياة، وبكثرة قراءة الأذكار، والتفاني خدمة الصالح العام، وكانت لهم كرامات ومواقف خالدة. واكتفى بعضهم بالعبادة وقراءة الأوراد ولم يتركوا مؤلفات في ميدان الأدب أو الفقه، وإنما خُلّدت أسماؤهم في الذاكرة الشعبية بتوات والأزواد، نظرا لما اشتهروا به من أعمال خيرية خدموا بها الصالح العام ، وضحّو بمالهم وأعمارهم في سبيل الإصلاح؛ كإصلاح ذات البين وإعانة الفقراء والمحتاجين من الذين يتوافدون على الزاوية. وبعد وفاتهم خلّدت قبورهم بأضرحة تقام عليها زيارات سنوية،

يتوافد عليها الناس ، سواء من الأزواد أو من مختلف جهات توات[16] . وهكذا كانت زاوية الشيخ بونعامة مركزا علميا متقدّما في وسط الصحراء ومكانا لاستقبال الضيوف وعابري السبيل[17] .

ثالثا: دورها العلمي والثقافي:

تعتبر زاوية الشيخ بونعامة الكنتي بأقبلي من المراكز العلمية الشهيرة التي أدّت دوراً بارزاً في نشر العلم وإعداد العلماء. وقد سُمي القصر الذي وجدت فيه الزاوية؛ باسم زاوية الشيخ بونعامة اعترافا من الجميع بعظمة الدور الذي أدّته هذه الزاوية وتقديراً واحتراماً للشيخ المؤسّس للزاوية.

وكان لوجود الزوايا وانتشارها بإقليم توات دور بارز في بعث الحركة العلمية، ويعود لها الفضل أيضا في انتشار التعليم بين كافة أفراد المجتمع آنذاك، من خلال ما اعتمدت علية من مناهج وطرق في التدريس وتنظيم مستوياته، وظل هذا الدور ممتدا إلى يومنا هذا، رغم ما طرأ على أدوارها الأخرى من تغيرات تبعا للتغيرات التي عرفتها المجتمع التواتي؛ منذ دخول التعليم العام وانتشار المؤسسات الرسمية؛ كالمحاكم والبلديات وغيرها. ومن الأدوار العلمية والتعليمية التي قامت بتأديتها:

- الاهتمام برسم القرآن وتحفيظه، استقدام العلماء للاستفادة من علمهم، وإحياء المناسبات الدينية كالمولد النبوي الشريف، وختم صحيح البخاري وموطأ الإمام مالك، ومناسبة الحج، ليلة القدر بالأذكار والمدائح الدينية وختمات القرآن. وقد اختصّت الزاوية بتقديم الدروس في شتى العلوم الإسلامية أبرزها: القرآن وعلومه من رسم وقراءات وتفسير، والفقه، والحديث، واللغة العربية بفروعها: البلاغة والنحو والصرف، والسيرة النبوية وعلوم أخرى يترجمها ما حوته الخزانة من تصانيف علمية مختلفة تدل على عنايتهم وإقبالهم على تلك العلوم. وكان شيوخ الزاوية يحرصون على تعليم وتحفيظ القرآن الكريم للطلبة عن ظهر قلب؛ فبعد أن يكون المتعلمون قد حفظوا جزءا منه في المدارس القرآنية الأخرى، يحرصون على الالتزام بحضور مجالس تلاوة

القرآن كالحزب الراتب اليومي؛ بإشراف الشيخ ومساعديه في التدريس، وهي وظيفة أساسية لتعليم القرآن الكريم، وهكذا تمّ تحفيظ القرآن ونشره بصورة مكثفة في أوساط تلك البيئة آنذاك.

– تدريس السنة: تتم دراسة الأحاديث النبوية عن طريق الدروس الأخرى لا سيما السيرة النبوية ودرس الأخلاق والآداب العامة. كما يخصص جزء من برنامج دراسة الطالب لسرد وشرح صحيح الإمام البخاري، وموطأ الإمام مالك من طرف المدرسين، بالإضافة إلى شرح ما يستلزم شرحه من طرف الشيخ خلال مسيرة طويلة قد تدوم السنة أو السنتين تختم عادة بحفل كبير تقام فيه الولائم ويحضره جمع غفير من الناس حتى خارج محيط الزاوية، ويحدد تاريخ الاختتام مسبقا ليعلمه الناس الذين يرغبون في الحضور إلى الفاتحة التي يتوج بها.[18]

– الدراسات الفقهية: وهي استظهار لبعض المتون الفقهية، بحيث يقوم الشيخ بشرحها بالوقفة ويأخذ كل تلميذ واحدة حسب مستواه، ويقوم هو بدوره بحفظها واستظهارها، ونذكر منها على سبيل المثال: متن ابن عاشر، متن الأخضري، الرسالة لأبي زيد القيرواني، أسهل المسالك في مذهب الإمام مالك، شرح مختصر خليل، تحفة الحكام لابن عاصم، كما يقوم الشيخ في جلساته العامة وهيئة التدريس في الحصص الخاصة بشرح ذلك وإجراء التطبيقات العملية عليه.

– دراسة علم التوحيد: ويتم بحفظ المتون المتضمنة لذلك ؛كمتن السنوسية، الجوهرة ،الأوجلي...الخ وشرحها في دروس خاصة وعامة، إضافة إلى ما يتعرض له الشيخ أثناء شرحه للمتون الفقهية السابقة الذكر في الأبواب المتعلقة بالتوحيد.

– تدريس قواعد اللغة العربية: كان تعليم النحو والصرف وفقه اللغة من أولى الأولويات أن يتعلمها طلبة العلم، لفهم القرآن الكريم الذي يحفظه الطلبة، ومن أهم المتون المعتمدة في هذا المجال: متن الأجرومية، ملحة الإعراب، ألفية بن مالك...الخ. وتكون الدراسة بنفس الطريقة السابقة التي تدرّس بها المتون

الفقهية على آيات قرآنية وأحاديث نبوية وشواهد من كلام العرب. وإتمام الدراسة في هذه الزاوية كغيرها من زوايا توات غير محدد بسنوات معينة، فإذا آنس الطالب من نفسه كفاءة استأذن شيخه في البحث عن عمل إن لم يجد ذلك في الزاوية نفسها[19].

– المواظبة على قراءة أوراد الطريقة القادرية: واللافت للانتباه أن إسهامات الزاوية العلمية تجاوزت مجالها الجغرافي، فقد كان للزاوية الكنتية بأقبلي كغيرها من زوايا توات دور كبير في بلاد السودان الغربي، وساهمت في نشر اللغة العربية الفصحى وغرست حبها في النفوس، وبثت معارفها بين الناس، وقد قصّ علينا التاريخ نتفا من الدور العلمي الذي لعبته القبائل التواتية في هذا المجال. نذكر منها على سبيل المثال قبيلة كنتة التي كانت لها مكانة مرموقة في بلاد السودان الغربي، وذلك بما قامت به من مهام تعليمية أسهمت بها في نشر اللغة والحرف العربي، وفي تأليف العديد من المصنّفات اللغوية والفقهية والأدبية؛ وفيما أنجبته من علماء أفذاذ يعود لهم الفضل في المحافظة على الثقافة الإسلامية[20].

ولم يكن تأسيس هذه الزاوية بداع سياسي يقصد من ورائه كسب للمكانة الاجتماعية وبسط النفوذ؛ بل كان من دافع تشبّع أصحابها بالقيّم الإسلامية وما تدعوا إليه من فعل للخير والدلالة عليه، وما يعده الله من ثواب للدعاة والعلماء ومحبيهم ومن بسط الطريق لهم لأداء مهمة تعليم الخلق العلوم ومن بينها القرآن الكريم، ولذلك كان محور التعليم الأساس في هذه الزاوية هو القرآن الكريم وما تدور حوله من علوم؛ كالعربية والفقه والحديث.

كما قامت الزاوية بأدوار علمية جعلتها مركز إشعاع ونشاط فكري جلب إليها أنظار المشايخ وطلاب العلم، وكانت السبب في انتشار سمعتها في كل مناطق توات، وأبعد من ذلك إلى المناطق المجاورة والقصية من الصحراء الكبرى. فإلى جانب الدور البارز الذي كانت تقوم به في موسم الحج من استقبال للوفود القادمة من المغرب ومن بلاد السودان؛ كان التقاء العلماء

والفقهاء الوافدين مع الركاب والتجار الحاملين معهم الكتب والمخطوطات عاملا مهما في بعث الحركة العلمية وازدهارها بزاوية شيخ الركب النبوي وجوارها.

وإذا الكتّاب والباحثون قد اعتادوا الإشادة بالمؤسسات التعليمية الكبرى في الصحراء، مثل جامعة تمبكتو وغيرها من المعاهد العالية ، فإن ما يؤخذ عليهم أنهم ينسون تلك المدارس الصغرى المستقرة والمتنقلة التي تُعرف بالحُلّة[21]، والتي كانت هي الأساس في مدّ تلك الجامعات بالطلبة. ويعود الفضل إلى هاته المؤسسات الشعبية البسيطة، التي كانت تُحمل على ظهور الجمال، وتارةً تحت سقف سعف النخيل في مدرسة القرية. ويعود الفضل إلى الحُلل الكنتية التي أسهمت في نشر التعليم في إفريقيا جنوب الصحراء[22]. وأدّت قبيلة كنته دور الوسيط فيما بين ضفتي الصحراء خلال العصر الحديث، خاصة فيما بين واحات توات،حيث منطلق الزاوية الكنتية الأول(الجزائر حاليا)،وإقليم الأزواد؛ حيث مركزها القيادي الثاني في صحراء مالي[23].

ودون التسليم بأن الدور العلمي لهذه الزوايا بإقليم توات كان ينتهي في غالب الأحوال بانقراض أهل العلم، مثل زاوية الشيخ سيدي عبد الله السبع وزاوية سيدي أعمر، أو بوفاة الشيخ المتصدر للتدريس، كما هو الحال بالنسبة لزاوية مولاي هيبة بتيديكلت[24]، فإن زاوية شيخ الركب النبوي بأقبلي ظلّ نشاطها العلمي متواصلا بفضل جهود أبناء وحفدة الشيخ المؤسّس الذين حافظوا على الوصية[25] ودأبوا على طريق العلم؛ فألّفوا الكتب وفتحوا قلوبهم قبل أبوابهم لأهل العلم والباحثين من شتى مدن القطر الجزائري؛ يشهد بذلك الفهارس التي وضعت لمكتبة المخطوطات التابعة للزاوية، والتي قام بها أساتذة وباحثون ينتمون إلى هيئات علمية ومخابر بحثية عديدة بالجامعات الجزائرية.

- **خزانة زاوية الشيخ أبي نعامة بأقبلي:**

يعود الفضل في تأسيسها إلى الشيخ سيدي بن عبد الرحمان بن أبي نعامة الكنتي خلال القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي. ومعظم إنتاجها لا يخرج عن النطاق الديني والصوفي؛ ونوعا ما التاريخي المحلي، وهي تحتوي على أكثر من مائتي (200) مخطوط. ومن مخطوطاتها نذكر[26]:

- **كشف الشبهات بالبراهين والبيّانات للشيخ سيدي المختار الكبير الكنتي.**
- **نسيم الرياض في شرح الشفا للقاضي عياض.**
- **قصائد في الشعر الشعبي الديني تخص ركب الحجيج ومدح المصطفى للشيخ ولد سيدي الحاج الكنتي.**
- **الديباج المرقوم في أصول علم النجوم.**
- **الكوكب الوقاد في شرح فضائل المشايخ وحقائق الأوراد للشيخ سيدي المختار الكبير الكُنتي.**
- **نصائح للشيخ سيدي المختار الكبير الكنتي وولده سيدي محمد الخليفة في التصوف.**
- **بغية النبيل في بيان جمل التسهيل للشيخ سيدي المختار الكبير الكُنتي.**
- **الطرائف والتلائد في مناقب الشيخين الوالدة والوالد، والمعروف باسم:" الطرائف والتلائد في كرامات الشيخين الوالدة والوالد"، يتضمن أخبار الوالد والوالدة ومعه أخبار الأولياء والعلماء والأتقياء وبعض من أخبارهم للشيخ سيدي محمد الخليفة بن الشيخ سيدي المختار الكبير الكُنتي.**
- **الرسالة الغلاوية، والمعروفة أيضا باسم:" مُبردة الغليل وشافية الغِلِّ من صدور الجميع المؤمنين خصوصاً بني محمد غَلْ، للشيخ سيدي محمد الخليفة بن الشيخ سيدي المختار الكُنتي، وتقع في ستة عشرة (16) ورقة.**
- **الكوكب الوقاد في فضائل المشايخ وحقائق الأوراد، للشيخ سيدي المختار الكبير الكُنتي.**

- كشف الشبهات بالبراهين والبيّنات للشيخ سيد المختار الكبير الكُنتي.

كما تحتفظ الخزانة بعدد كبير من المخطوطات في العلوم الدينية كالحديث، و فقه العبادات والمعاملات، وأغلب هذه المخطوطات من مصنّفات الفقه في المذهب المالكي. وكانت هذه الخزانة عامرة بنفائس التراث ونوادر المخطوطات، ويعود الفضل في ذلك إلى حرص القائمين عليها من نسخ الكتب واقتنائها ووضعها في خزائن للمخطوطات. ومما يؤسف له أن الكثير منها تعرض للنهب والتلف؛ بفعل عوامل الزمن وتقلّبات الدهر.

ولعل المتأمل في تاريخ ونسب العائلة الكنتية لا يجد غرابة في تأسيس زاوية شيخ الركب النبوي لخزانة عامرة بالمخطوطات على اختلاف فنون العلوم، أسهمت في بعث النشاط العلمي، " فحبهم للعلم ولأهله جعلهم يسرفون على أنفسهم في التنافس في نسخ المخطوطات وشرائها بأغلى الأثمان؛ بل كان فيهم من يطلب الناسخ ويمكث عنده لنسخ المخطوطات لفترة تزيد عن العام"[27]، وهذا إن دلّ على شيء، فإنما يدل عن الروح العلمية التي توارثها الكنتيون جيلا بعد جيل.

وهكذا ساهمت زواية شيخ الركب النبوي بأقبلي في نشر العلم بالمنطقة وتأطير ساكنيها، وسلكت في سبيل ذلك كل الطرق التي رأتها خادمة لمسعاها؛ فبنت المساجد للعبادة وتعلّم مبادئ الدين الإسلامي، وخصّصت دور الضيافة لإيواء الضيوف وعابري السبيل، وأوقفت البساتين وماء الفقاقير والآبار...الخ؛ لضمان موارد تكفل حاجات طلبة العلم مع إيوائهم وإطعامهم. ولم تدّخر جُهدا يمكن فعله، وتعدّى ذلك إلى توفير كتب المقررات الدراسية؛ سواء بالنسخ أو الشراء أو قبولها كهبة للزاوية، ممّا ساهم ذلك في إثراء محتويات خزانة الزاوية.

وظلّت هذه الأخيرة عامرة إلى وقت غير بعيد بأمهات الكتب والمخطوطات النادرة، منذ تأسيسها سنة 1130هـ/1718م، قبل أن تأتي عليها عوامل بشرية وطبيعية أدّت إلى ضياع العديد من محتوياتها. فأما العوامل البشرية، فتتمثل فيما لحق تلك الكتب والمخطوطات على الخصوص من نهب وتمزيق

وسرقات...الخ. وأما العوامل الطبيعية، فلا يخفى على أي باحث الظروف التي تحتاجها الكتب، وخاصة المخطوطات منها لتحفظ من التلف والرطوبة والارضة وسائر العوامل الطبيعية، وهو مالم يتوفر لها في خزائن الزوايا عموما، إذ ظلت تحفظ في صناديق خشبية، وأحيانا في علب الكرتون مكدّسة على بعضها البعض معرضة للحرارة المرتفعة المعروفة بها المنطقة، في غرف بأسقف طينية لا تصمد أمام الأمطار الطوفانية التي تجتاح المنطقة حينا بعد حين.

ويمكن إجمال القول بأن "جل الانتاج الفكري والأدبي والديني قد ضاع من خزائن توات، وذلك بفعل عوامل الطبيعة القاسية، يضاف إلى ذلك تعرض المنطقة إلى عملية النهب أثناء توغل الاحتلال الفرنسي بالمنطقة"[28]. فبين عمليات النهب والسلب والإهمال، ضاع الكثير من محتويات تلك الخزائن، بالرغم من حرص أصحابها عليها وتوفير كل السُبل من أجل توريثها للأجيال، حفاظا على الموروث الثقافي العلمي واستمرارا لمسيرة العلم والتعليم التي نذروا وقتهم وجُهودهم لخدمتها.

لقد ساهمت تلك العوامل السابقة الذكر مجتمعة بقسط كبير في ضياع جزء عير يسير من تراثنا المخطوط الذي يمثل عُصارة الفكر وجهد الأوائل في ترسيخ العلم وحفظه للأجيال. ومع ذلك ظلّت خزانة زاوية الشيخ بونعامة تحتفظ بجزء يسير؛ لفت إليها أنظار العلماء والطلبة الباحثين المهتمين ومراكز البحث، وتلك الجهود مكّن من التعريف بقسط من الجهود العلمية لعلماء المنطقة، وللعائلة الكنتية المعروفة بنسبها العلمي.

وبالجُملة، فلقد كانت الزاويا في توات عموما ومنطقة تيديكلت على وجه الخصوص؛ بمثابة صمام أمان في مجال العقيدة، كما ملئت الفراغات الإيديولوجية؛ وبالتالي وقفت أمام الاندثار الحضاري للمجتمع؛ كيف لا وهي التي في أحضانها آمن المخلوع والمهزوم والمظلوم، وحُرر العبد وفُك الأسير وأُكرم الجائع، وأُجيب السائل، وفيها انطفأت نيران الفتن وسوّيت النزاعات، وأبرمت الأحلاف؛ بالإضافة إلى تطوير العمران وازدهار الفنون اللغوية؛ والحفاظ على التوازن الروحي و الذاكرة التراثية للأمة.

رابعا: دورها الاجتماعي.

أدّت الزوايا والطرق الصوفية في الجزائر، منذ نشأتها دوراً مهماً في المجال الاجتماعي، حيث كانت مقصد العديد من أبناء المجتمع، خاصة أثناء الشدائد والأزمات الاقتصادية والاجتماعية، فكانت هذه الزوايا ملاذا للفقراء والمساكين، وقبلة لحل خلافات المتخاصمين، ومحطة لعابري السبيل، ومراكز إشعاع حافظت على عادات وتقاليد المجتمع. وزاوية الشيخ سيدي أبي نعامة الكنتي بأقبلي لم تكن في منأى عن هذه الأدوار، فقامت بواجبها اتجاه المجتمع. وكانت زاوية الشيخ بونعامة بأقبلي تقوم بالعديد من الأدوار الاجتماعية بشكل يصعب حصرها ، وتتمثل في الآتي:

- إكرام الضيوف والمسافرين وعابري السبيل: تُعد زاوية شيخ الركب النبوي من الزوايا الذائعة الصيت في المنطقة، من حيث إكرام الضيوف وعابري السبيل. وكان المسافر كما يذكر صاحب مخطوط(نسيم النفحات) بقوله: " ومن عادتهم إكرام الضيف، والمسافر لا يحتاج إلى حمل الزاد معه؛ لأن في كل قصر من قصورها عاداتٍ، فإذا كان القصر فيه زاوية لها أحباس على إطعام الطعام للأضياف، فإن المسافر يقصد دار الزاوية، فيجد فيها كل ما يحتاج إليه ومن معه، فيجد حتى علف الدَّوابِّ. وإن لم تكن فيه زاوية، فإن أهل القصر لهم عادة ونَوْبَةٌ لكل واحد منهم. ولا يتخلَّف هذا النِّظام عندهم، ولو أقام الضيف الأيام الكثيرة بالزاوية، فإن ضيافته تبقى مستمرة إلى حين ترحاله." [29] وهكذا كانت زاوية الشيخ بونعامة على نسق الزوايا بالمنطقة في تأدية الأدوار الاجتماعية، التي من بينها إيواء وإطعام المسافرين وعابري السبيل والمحتاجين وتوفير النزل لهم.

- أدّت بعض الأدوار الصحية؛ كجمع وقتل الحشرات الضارة المتواجد في القصور.

- جمع الزكاة والصدقات والنذور والكفارات وصرفها على أهلها ؛ من الفقراء والمساكين وإيواء السابلة.

- مساعدة الفقراء والمساكين، حيث أولت زاوية الشيخ بونعامة الكنتية بأقبلي اهتماما كبيرا لمساعدة الفقراء والمحتاجين، خاصة أيام القحط، وفي أوقات الشدة، وذلك بإيواء المحتاجين ومساعدتهم ماديا وتوفير الطعام لهم. بل كانت تساعد حتى الفقراء القادمين إليها من كل الاتجاهات، ويؤدي شيخ الزاوية بسخائه دورا مهما في إدخال السرور على الفقراء والمساكين.

- مساعدة المنكوبين وأبناء السبيل :أولت الزاوية الكنتية بأقبلي اهتماما كبيرا لمساعدة من تصيبه نكبة من نكبات الدهر، فكانت تواسي ابن السبيل الذي يلجأ إليها وقد انقطعت به السبل، وهو أمر يقوم به الشيخ أو من يتولى عملية الإنفاق نيابة عنه أو تقوم به جماعة البلدة في حالة انتهاج أسلوب النوبة، وتخرج هذه النفقات من إرادات أملاك الزاوية المحفوظة لمثل هذا الغرض.

- تنظيم الختان الجماعي: وكانت الزاوية تتولى القيام بتنظيم ختان جماعي لفائدة أبناء المحتاجين، وتصنع لذلك وليمة يحضرها الأطفال وأولياءهم.

- تنمية روح الاتّحاد والمحبّة والأخوة: وكانت تعمل على تحقيق ذلك؛ بفضل التوجيهات الدينية التي ما فتئ الشيوخ يكرّرونها في كل التجمّعات العلمية أو الاجتماعية، وتعمل على محو الفوارق الاجتماعية بين الناس، ويتم ذلك نتيجة تلاحم الأغنياء بالفقراء وانصهار مختلف الطبقات الاجتماعية في بوتقة واحدة، شعارها الاتحّاد والمحبة والإخوة والشعور بأن الذئب إنما يأكل من الشاة القاصية.

- بث روح التعاون: تعمل كل زاوية من الزوايا التواتية على بث روح التعاون وتزكيته بين سكان القصر أو القرية، بدعوتهم بشكل مستمر إلى الالتزام بالجماعة والتعاون على البر والتقوى وتُجسد ذلك بإشرافها على تنظيم هذا التعاون عن طريق العمل الجماعي المتمثل في القيام بالحملات التطوعية، عن طريق التويزة في صيانة وتجديد شبكة الفقارات وغرس النخيل وإصلاح السواقي والآبار وتجديد مصدّات الرياح (آفراق) عند حدوث الزوابع الرملية.

- تنظيم ركب الحجاج: تقوم بعض الزوايا، لا سيما تلك الواقعة على مفترق الطرق الرئيسية بالولاية، وذلك بتنظيم ركب الحج ذهابا وإيابا، مثل ما هو

الحال بالنسبة لزاوية الشيخ سيد الحاج بلقاسم بتيميمون بمنطقة قورارة، وزاوية الشيخ بونعامة بأقبلي بتيديكلت، بحيث تقوم بتوديع ركب الحج، والاستقبال الجماعي لحجاج منطقتها أو المارين بها وتتكفل بكل ما يترتب على ذلك، من إنفاق في إطعام والتكفل بإيواء الحجاج ومرافقتهم[30].

- الإصلاح بين الناس(حل الخلافات وفك الخصومات): تقوم الزوايا التواتية بعمليات الصلح في حالة وقوع نزاعات أو خصومات بين الأفراد أو القبائل أو بين القصور. وفي هذا الحال كان يتم الانتقال من الزاوية بالتهليل إلى القصور المجاورة لإقامة الصلح. وقد ساهمت الزاوية الكنتية بأقبلي، منذ نشأتها مساهمة فعّالة في حل الخلافات بين المتخاصمين، ولازالت تقوم بهذا الدور الجليل إلى يومنا هذا، عملا بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة التي تدعو إلى إصلاح ذات البين، والتحكيم بين المتنازعين والمتخاصمين، فكثيرا ما كانت تحدث النزاعات والخلافات بين القبائل والعروش وحتى بين العائلات؛ بسبب الاختلاف حول تقسيم الأرض والماء، فلا تجد لها حلا في الغالب، إلا باللجوء إلى شيوخ الزاوية وأعيانها لفضّ هذه النزاعات والخصومات بين مختلف الأفراد والقبائل. وتحتفظ خزانة الشيخ ببعض التقاييد التي تثبت أنها ساهمت في عملية الصلح والإصلاح بين ذات البين في العديد من المرات[31].

- خاتمة:

توصّلنا ختام هذا البحث إلى الاستنتاجات الآتية:

- ساهمت زاوية شيخ الركب النبوي من الناحية الاجتماعية بأقبلي في مرافقة ركب الحجيج، فبمجرد وصول قوافل ركب الحج لمسلمي بلاد السودان الغربي إلى توات؛ يجدون في استقبالهم الكنتيين بزاوية أقبلي، ويلحق بهم ركب حجاج توات وهم يحملون الراية الخضراء، عندئذ يقوم الشيخ أبي نعامة بقيادة ركب الحج، فيقطع الركب منطقة تيديكلت بقصر تيط، وقصر عين صالح ويدخلون جنوب ليبيا مروراً بمدينة مرزق جنوب إقليم فزّان؛ ويستمر سيرهم إلى أن ينتهي الركب بالبقاع المقدسة.

- كانت ثقافة الكنتيين عبر التاريخ ثقافة تواصل وتآزر، فكانت لهم رحلات علمية وهجرات مختلفة، إما لاستكمال الدراسة أو لنشر العلم أو للتجارة، كما ساهموا في إغناء المشهد الثقافي المغاربي والسوداني، وخدموا تلك البقاع بعلمهم وفكرهم وأخلاقهم. وتُعد زاوية شيخ الركب النبوي واحدة من زوايا العلم والضيافة بتيديكلت، والتي شكلت مركز إشعاع علمي وحضاري داخل إقليم توات وامتدت تأثيراتها إلى بلاد السودان الغربي.

- أدّت زاوية الشيخ بونعامة الكُنتي بأقبلي منذ تأسيسها أدوراً اجتماعية وثقافية وعلمية هامة على مدار التاريخ؛ تمثّلت أهمّها في نشر الإسلام واللغة العربية وسط المجتمع التواتي، أو في المجتمعات الصحراوية المجاورة والقصيّة، كبلاد الهقار وبلاد الآزقر بجانت، وتعدّى نشاطها إلى صحراء مالي والنيجر.

وبالجملة، فإن زاوية شيخ الركب النبوي بأقبلي كانت ملاذا علميا لكل طالب للعلم يُريد التضلّع في شتى العلوم الشرعية واللغوية، وكانت في نفس الوقت قِبلةً للمُريدين من أتباع الطريقة الصوفية القادرية البكائية. وحاولت هذه الزاوية أن تنقل هذا الإشعاع العلمي والصوفي إلى مختلف مناطق الجنوب الجزائري؛ كبلاد الهقار وجانت بإيليزي ، وتعدّى ذلك إلى مالي والنيجر وفزان بليبيا، وكان ذلك بفضل رحلات علمائها إلى تلك المناطق والبلدان.

الهوامش والإحالات:

1. اعتمدنا في ذلك على تقاييد خطية تترجم للأعلام الكنتيين الذين برزوا بالزاوية، وهي بخط سيدي محمد الأمين بن سيدي محمد عزيزي بن سيد أحمد لحبيب، توجد بخزانة زاوية شيخ الركب سيدي أبي نعامة - أقبلي - أولف -أدرار.
2. أقبلي حاليا بلدية تابعة إداريا إلى دائرة أولف بولاية ادرار، وتبعد عن مقر الدائرة حوالي ستون كيلومتر.
3. تيديكلت: كلمة أمازيغية، تعني كف أو راحة اليد. ويُطلق اسم تيديكلت، على المنطقة المأهولة بالسكان والواقعة شرق رقان، عند سفح سلسلة هضبة تادمايت، والتي تحدّ المنطقة من جهة الشمال، أما من الجنوب؛ فيحدّها واد قاريت وهضبة المويدر، ومن الناحية الشرقية منطقة إيغرغارين، ومن الناحية الغربية تحدها منطقة توات الوسطى وصحراء تنزروفت. تشمل حاليا هذه التجمعات السكانية أو السكنية ثلاثة دوائر، اثنان منها تابعة لولاية تامنغست وهما، دائرة عين صالح وتضم بلديتان، وهي عين صالح وفقارة الزوى، ودائرة إينغر بها بلدية واحدة، أما الدائرة الثالثة، فهي دائرة أولف تابعة لولاية أدرار، وتضم أربع بلديات هي: تيط وأقبلي وأولف وتمقطن. ينظر: محمد حوتية: توات والأزواد، ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر2007، ج1، ص ص 35 -38. صالح بوسليم: إقليم توات ودوره في تجارة القوافل الصحراوية خلال القرنين 12 -13هـ/18 - 19م،ط1، مطبعة مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة بالأغواط،2019، ص 38.
4. ينحدرون من قبيلة كبيرة تُعرف بالفلان أو الفلاته ، وكان لهم دور كبير في الفلاتة ، وهم قوم معروفون بتلك الأقطار بالأقطار بأنهم دعاة إلى الإسلام وحملة رايته، وكان لهم دور كبير في نشر الإسلام والثقافة العربية على مرّ العصور. وقد اضطرب المؤرخون في أصلهم. وقد تعزّز بالدلائل أنهم من الوافدين على المنطقة بعد الفتوح الإسلامية مع بقاء الاختلاف حول نسبهم وتاريخ وصولهم، فقد قال البعض أنهم عرب حميريون وفدوا من اليمن، وآخرون يرجعون نسبهم إلى بعض الصحابة، فمنهم من نسبهم إلى سيدنا أبي بكر الصديق، ومنهم من نسبهم إلى سيدنا عمر بن الخطاب، والبعض إلى سيدنا جعفر بن أبي طالب، ومنهم من قال إلى سيدنا عقبة بن نافع الفهري رضي الله عنهم أجمعين. محمد باي بلعالم : قبيلة فلان في الماضي والحاضر ومالها من العلوم والمعرفة والمآثر، ط1، دار هومة ، الجزائر،2004، ص 05 وما بعدها . الطيب عبد الرحيم الفلاني :الفلاتة في إفريقيا ، دار الكتاب الحديث ، ط01 ، الكويت1415 ه1994 /م ، ص 16 وما يليها، وممن أقرّ نسبتهم إلى حمير الشيخ مولاي أحمد الإدريسي في مخطوط (نسيم النفحات) عندما تحدث عن أماكن وجودهم .ينظر: نسيم النفحات في ذكر

جوانب مِن أخبار توات ومن دفن فيها من الأولياء و الصالحين والعلماء العاملين الثقات، مخطوط يوجد بخزانة سالي، رقان، أدرار، الجزائر، ص74 و79 .

5. محمد حوتية: توات والأزواد، ط1،دار الكتاب العربي،الجزائر،2007،ج1، ص184.
6. محمد باي بلعالم: الغصن الداني في ترجمة و حياة الشيخ عبد الرحمان بن عمر التنلاني، دار هومة، الجزائر 2004م ، ص65.
7. محمد باي بلعالم: المصدر نفسه ، ص65 -71.
8. صالح بوسليم: المؤسسات الثقافية بإقليم توات دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية أثناء القرنين 12 و 13هـ/ 18 و19، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ،جامعة سيدي بلعباس السنة الجامعية2007 -2008، ص278.
9. محمد باي بلعالم :الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات ، دار هومة، الجزائر، 2005 م، ج 02 ، ص5 .
10. ينظر: أبو عبد الله الطالب محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي الولاتي: فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، تحقيق: محمد إبراهيم الكتاني - محمد حجي ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان،1981م ، ص 48 .
11. ينظر: أحمد أبا الصافي جعفري: المخطوطات الجزائرية وأعلامها في الخزائن والمكتبات الأفريقية، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر2015، ص ص 166 -167.
12. تشير نفس التقاييد :أنه كان للشيخ أبي نعامة تلاميذ لا يحصى عددهم، ومن ضمنهم أولاد أحمد ومن أبناء أبا طلحة وأولاد شبل، وكذلك العلامة الشهير يحي بن صالح والمفتي المدرس آنذاك في حضرة الشيخ أبي نعامة . وكان له من العبيد مالا يحصى منهم من صاحبه من فزان ومنهم من اشتراه. وكان حينذاك سبعة من العلماء يدرّسون التلاميذ بزاويته، وذكر من صفاته أنه كان يكره الجور والإسراف يحب الفقراء والمساكين ويجزل لهم العطاء محبا لآل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم. جالا لشرفهم النبوي ولقدرهم العلوي، ناصحا لتلاميذه ومريديه يرسل إليهم الرسائل يأمرهم بإتباع السنة وترك البدعة.
13. محمد حوتية : توات والأزواد، المرجع السابق،ج1،ص 186. أحمد شيخي: الطريقة البكائية الكنتية بالصحراء ودورها العلمي والصوفي، مجلة المناهل، مجلة فصلية تصدرها وزارة الثقافة المغربية، السنة 29، عدد83/82 - رمضان 1428هـ/ شتنبر 2007 ، ص 176.
14. ولد سيد الحاج القبلاوي : هو سيدي محمد بن أحمد بن محمد الحاج بن سيدي محمد أبي نعامة بن عبد الرحمان الهاملي الكنتي، المعروف بولد سيد الحاج. ولد عام

1170هـ/1757م بقصر الزاوية بأقبلي، نشأ في زاوية أجداده ، وتعلم مبادئ الإسلامي؛ كالعقيدة والفقه وعلوم الدين والتصوف ، وكان مجيدا للشعر وفنونه؛ فكثيرا ما مدح الرسول -صلى الله عليه وسلم - في شعره ، اشتهر بقصيدة من الشعر الشعبي ؛ والتي هي عبارة عن رحلة شوقية إلى البقاع المقدسة؛ حيث ذكر فيها جميع المحطّات التي يعبرها الحجيج في قافلة الحج، وذكر كيفية أداء المناسك، ثم رجع بالرحلة من نقطة انطلاقها بأقبلي ، وكل هذا دوَّن أن يحج، بل فقط من أجل استماعه للحجاج وشوقه للحج وزيارة البقاع المقدسة. توفي -رحمه الله - عام 1253 هـ/1837م.ينظر: عزيز عقباوي بن بوبكر الهاملي الكنتي: النفحات البهية في أفنان الشجرة الكنتية، مطبعة عزي، د.م.ن، د.ت، ،ص147 -148

15. حماه الله ولد السالم: حجاج ومهاجرون من علماء بلاد شنقيط - موريتانيا - في البلاد العربية وتركيا من القرن التاسع إلى القرن الرابع عشر الهجري، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،2012، ص108.
16. محمد حوتية : توات والأزواد، المرجع السابق،ج1،ص ص 183 -184.
17. كان القائم آنذاك على شؤون الزاوية هو سيدي الحبيب عقباوي. ورغم توقف مسيرتها العلمية حاليا، إلا أن خزانة الزاوية بما تحتويه من نفائس المخطوطات والكتب لا تزال قبلة العديد من المهتمين والباحثين.
18. أحميدة بن زيطة: الهيكل التنظيمي والوظيفي للزوايا بمنطقة توات، الملتقى الوطني الأول للزوايا، الجزائر، وزارة الثقافة، مديرة الثقافة لولاية أدرار، أيام:1، 2، 3ماي 2000م، ص12. محمد حوتية : توات والأزواد، المرجع السابق،ج1،ص ص 246 -270.
19. أحميدة بن زيطة: المرجع نفسه، ص12. محمد حوتية : توات والأزواد، المرجع السابق،ج1،ص ص 268 -270.
20. محمد حوتية : توات والأزواد، المرجع السابق،ج1،ص 281و ص ص289 -292.
21. الحُلل مفردها الحلة، ويعرّفها الشيخ محمد الخليفة الكنتي بقوله: "وهي كلمة محلية تُطلق على مكان الشيخ أو الأمير الذي يجبر وينفق ويكسو، فتجتمع عليه عشرات البيوت لهذا الغرض، فيُطلق على هذا العدد الكبير من الخيام اسم الحلة". أوثق عرى الاعتصام للأمراء والحكام، حقّقه وخرّج أحاديثه وترجم لأعلامه ووضع له فصولا بادي بن باي بن باب، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية،(د.ط)،1419هـ،ص 14.
22. محمد الزين وصالح بوسَليم : إسهام أعلام توات في ترسيخ الاسلام والثقافة العربية الإسلامية في إفريقيا جنوب الصحراء خلال العصر الحديث ، مجلة عصور ، جامعة وهران1، ع 15، ديسمبر 2019، ص 21.
23. محمد حوتيه: توات والأزواد، مرجع سابق ،ج1،ص ص 66 -69.

24. صالح بوسَليم: مؤسسة الزوايا في إقليم توات خلال القرنين 12 -13هـ/18 -19م بين الإشعاع العلمي والانتشار الصوفي، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد 09، جوان 2010، ص 106.
25. وصية الشيخ سيدي أحمد البكاي لخلفة الكنتيين" اجتهدوا في العلم فإن عبادة بلا علم تكون يوم القيامة هباء منثورا، ولا تفارقوا جماعة العلم فتفارقوا دينكم وأنتم لا تشعرون". ينظر: عزيز عقباوي الكنتي: النفحات البهية في أفنان الشجرة الكنتية، دار الهدى، (د.ر.ط) ، الجزائر2016 ،ص29.
26. أحمد الحمدي: مخطوطات علماء كنته في خزائن الصحراء، المجلة المغاربية للمخطوطات، المجلد1، العدد1، مخبر المخطوطات، جامعة الجزائر، ديسمبر2004، ص84.صالح بوسليم : لمحة عن مراكز المكتبات والخزائن الشعبية للمخطوطات في توات جنوب غرب الجزائر خلال القرنين 12 -13هـ، مجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية ، العدد الثاني ، مخبر الجزائر تاريخ ومجتمع، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، جوان 2010.ص31 .
27. الصديق الحاج أحمد: من أعلام التراث الكنتي المخطوط ؛ الشيخ محمد بن بادي الكنتي حياته وآثاره، دار الغرب ، وهران، 2007، ص 24.
28. صالح بوسَليم ، أضواء على مراكز المخطوطات في الجنوب الجزائري، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، ع 15، ديسمبر 2015، ص 21.
29. مولاي أحمد الطاهري الإدريسي الحسني: نسيم النفحات...، مصدر سابق، ص ص 105 -106.
30. أحميدة بن زيطة: المرجع السابق، ص ص17 -18.
31. تقاييد خاصة بخزانة شيخ الركب النبوي بأقبلي، أولف، ولاية أدرار.

المراجع:

المخطوطات:

- تقاييد خطية تترجم للأعلام الكنتيين الذين برزوا بالزاوية، وهي بخط سيدي محمد الأمين بن سيدي محمد عزيزي بن سيد أحمد لحبيب، توجد بخزانة زاوية شيخ الركب سيدي أبي نعامة - أقبلي - أولف -أدرار.
- الطاهري الإدريسي مولاي أحمد: نسيم النفحات في ذكر جوانب مِن أخبار توات ومن دفن فيها من الأولياء والصالحين والعلماء العاملين الثقات، مخطوط يوجد بخزانة سالي، رقان، أدرار، الجزائر.
- الكُنتي الشيخ سيدي المختار الكبير: الكوكب الوقاد في شرح فضائل المشايخ وحقائق الأوراد، خزانة زاوية شيخ الركب سيدي أبي نعامة - أقبلي - أولف -أدرار.
- الكُنتي الشيخ سيدي المختار الكبير: الكوكب الوقاد في فضائل المشايخ وحقائق الأوراد، خزانة زاوية شيخ الركب سيدي أبي نعامة - أقبلي - أولف -أدرار.
- الكُنتي الشيخ سيدي المختار الكبير: كشف الشبهات بالبراهين والبيّانات، خزانة زاوية شيخ الركب سيدي أبي نعامة - أقبلي - أولف -أدرار.
- الكُنتي الشيخ سيدي المختار الكبير: كشف الشُبهات بالبراهين والبيّنات ، خزانة زاوية شيخ الركب سيدي أبي نعامة - أقبلي - أولف -أدرار.
- الكُنتي الشيخ سيدي محمد الخليفة: الرسالة الغلاوية، والمعروفة أيضا باسم:" مُبردة الغليل وشافية الغِلّ من صدور الجميع المؤمنين خصوصاً بني محمد غَلْ، للشيخ سيدي محمد الخليفة بن الشيخ سيدي المختار الكُنتي، وتقع في ستة عشرة (16) ورقة.
- الكُنتي الشيخ سيدي محمد الخليفة: الطرائف والتلائد في مناقب الشيخين الوالدة والوالد، والمعروف باسم:" الطرائف والتلائد في كرامات الشيخين الوالدة والوالد"، يتضمن أخبار الوالد والوالدة ومعه أخبار الأولياء والعلماء والأتقياء وبعض من أخبارهم ، خزانة زاوية شيخ الركب سيدي أبي نعامة - أقبلي - أولف -أدرار.

الكتب المطبوعة:

- البرتلي الولاتي أبو عبد الله الطالب محمد بن أبي بكر الصديق(1981م): فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، تحقيق: محمد إبراهيم الكتاني - محمد حجي ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.
- بلعالم محمد باي (2004): قبيلة فلان في الماضي والحاضر ومالها من العلوم والمعرفة والمآثر، ط1، دار هومة ، الجزائر.
- بلعالم محمد باي(2004م): الغصن الداني في ترجمة و حياة الشيخ عبد الرحمان بن عمر التنلاني، دار هومة، الجزائر .

- بلعالم محمد باي(2005 م) :الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات ، دار هومة، الجزائر، ج02 .
- بن زيطة أحميدة(2000م): الهيكل التنظيمي والوظيفي للزوايا بمنطقة توات، الملتقى الوطني الأول للزوايا، الجزائر، وزارة الثقافة، مديرة الثقافة لولاية أدرار، أيام:1، 2، 3ماي .
- بوسَليم صالح (2008): المؤسسات الثقافية بإقليم توات دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية أثناء القرنين 12و13هـ/ 18 و19، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ،جامعة سيدي بلعباس السنة الجامعية2007 -2008.
- بوسليم صالح (2019): إقليم توات ودوره في تجارة القوافل الصحراوية خلال القرنين 12 -13هـ/18 -19م،ط1، مطبعة مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة بالأغواط.
- جعفري أحمد أبا الصافي(2015): المخطوطات الجزائرية وأعلامها في الخزائن والمكتبات الأفريقية، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر.
- الحاج أحمد الصديق (2007م): من أعلام التراث الكنتي المخطوط ؛ الشيخ محمد بن بادي الكنتي حياته وآثاره، دار الغرب، وهران.
- حوتية محمد(2007): توات والأزواد، ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر، ج1.
- عقباوي عزيز الكنتي(2016م): النفحات البهية في أفنان الشجرة الكنتية، مطبعة عزي، د.م.ن.
- الفلاني الطيب عبد الرحيم (1415هـ1994/م) :الفلاتة في إفريقيا ، دار الكتاب الحديث ، ط01 ، الكويت .
- الكُنتي محمد الخليفة (1419هـ)أوثق عرى الاعتصام للأمراء والحكام، حقّقه وخرّج أحاديثه وترجم لأعلامه ووضع له فصولا بادي بن باي بن باب، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية،(د.ط).
- ولد السالم حماه الله(2012): حجاج ومهاجرون من علماء بلاد شنقيط - موريتانيا - في البلاد العربية وتركيا من القرن التاسع إلى القرن الرابع عشر الهجري، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

المقالات في الدوريات:

- بوسَليم صالح (2010م): مؤسسة الزوايا في إقليم توات خلال القرنين 12 - 13هـ/18 -19م بين الإشعاع العلمي والانتشار الصوفي، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد 09، جوان ، ص ص98 -120.
- بوسَليم صالح (2015): أضواء على مراكز المخطوطات في الجنوب الجزائري، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، ع 15، ديسمبر ، ص ص 19 -35.
- بوسَليم صالح(2010): لمحة عن مراكز المكتبات والخزائن الشعبية للمخطوطات في توات جنوب غرب الجزائر خلال القرنين 12 -13هـ، مجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية ، العدد الثاني ، مخبر الجزائر تاريخ ومجتمع، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، ص ص 29 -39.
- الحمدي أحمد(2004): مخطوطات علماء كنته في خزائن الصحراء، المجلة المغاربية للمخطوطات، المجلد1، العدد1، مخبر المخطوطات، جامعة الجزائر، ديسمبر، ص ص 79 -88.
- الزين محمد وبوسَليم صالح(2019) : إسهام أعلام توات في ترسيخ الاسلام والثقافة العربية الإسلامية في إفريقيا جنوب الصحراء خلال العصر الحديث ، مجلة عصور، جامعة وهران1، ع 15، ديسمبر ، ص ص230 -269.
- شيخي أحمد(2007): الطريقة البكائية الكنتية بالصحراء ودورها العلمي والصوفي، مجلة المناهل، مجلة فصلية تصدرها وزارة الثقافة المغربية، السنة 29، عدد83/82 - رمضان 1428هـ/ شتنبر ، ص ص 173 -187.

مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ر ت م د: 7163 -1112 ر ت م د إ:2588-1892
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2

الأوقاف الإباضية بوادي مزاب ودورها الاجتماعي خلال القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين

Ibadi Endowments in the M'zab Valley and their Social Role in the Nineteenth and Twentieth Centuries AD.

بالحاج أوزايد[1]، بوسليم صالح[2]

1 -مخبر الجنوب الجزائري للبحث في التاريخ والحضارة الإسلامية
جامعة غرداية kamel.histoire@gmail.com

2 -قسم التاريخ - جامعة غرداية salah_ghar@hotmail.fr

تاريخ الاستلام: 2020/05/11 تاريخ القبول: 2021/01/22

ملخص:

تهدف هذه الورقة البحثية إلى إبراز جوانب من الدور الاجتماعي للأوقاف الإباضية في منطقة وادي مزاب خلال القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين. وقد عرفت الجزائر أنواعا كثيرة من الأوقاف منذ الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، وأضحت مؤسسة الأوقاف من أهم مؤسسات الدولة بالجزائر في العهد العثماني، كما عرفت منطقة وادي مزاب بالجنوب الجزائري أوقافا عديدة حبسها أصحابها بغرض مساعدة الفقراء والمعوزين؛ بما يكفل لهم حياة كريمة.

وخلصت الورقة البحثية إلى التأكيد على أن الأوقاف والحبوس الإباضية في وادي مزاب، قد تميّزت بحسن التنظيم والتسيير من قبل هيئة العزّابة التي استطاعت رغم تقلّبات الزمن، سواء قبل الاستقلال أو بعده؛ أن تحافظ عليها بقوة وتوجّهها بإخلاص لما يخدم المجتمع المحلي في جميع مناحي الحياة، فرغم المشاكل التي حلّت بالنظام الوقفي الإباضي في فترة البحث، إلا أن الهيئة المسيرة له عالجت هذه المشاكل؛ بما يتوافق مع طبيعة المجتمع المحلي وحاجاته

المؤلف المرسل: بالحاج أوزايد: kamel.histoire@gmail.com

الاجتماعية بصفة خاصة، حتى غدت الأوقاف اليوم في مزاب تحتل موقعاً أساسياً في بنيته الاجتماعية؛ وتُعبّر بحق عن روح التضامن والتعاون والتكافل بين أفراده.

الكلمات المفتاحية:

الأوقاف؛ الحبوس ؛ مزاب ؛ الإباضية ؛ العزابة.

Abstract :

This research paper aims to highlight aspects of the social role of Ibadi endowments (awqaf) in the M'zab Valley during the nineteenth and twentieth centuries AD. Algeria has known many types of endowments since the Islamic settlement in of the Maghrebcountries. The endowmentsfoundation has become one of the most important state institutions in Algeria during the Ottoman Era. The M'zabValley, in southern Algeria, has also witnessed numerous endowments, whose owners have endowed them in order to help the poor and the needy, in a way that guarantees them a decent life.

The research paper concluded to the social status that the Ibadi endowments have in the M'zabValley because they were characterized by a good organization and management by the religious council;'Azaba', which was able, despite the fluctuations of time, both before and after independence,to preservethem vigorously and managethemhonestly to serve the local community in all aspects of life. Despite the problems that occurred in the Ibadi endowment system during the period of research, the governing authoritymanaged to solve them, in accordance with the nature of the local community and its social needs in particular.Therefore, the endowments in the M'zabtoday occupy a basic position in its social structure; they truly reflect the spirit of solidarity, cooperation and assistance among its members.

Key words:

Endowments, Habous, Mzab, Ibadi, Azaba.

مقدمة:

يكتسي تاريخ الحضارة الإسلامية على رصيد هائل من القيّم والمفاهيم الأخلاقية والفكرية، ولا شك أن الاستغلال الأمثل لهذا المخزون من شأنه المساهمة بصفة فعالة في نهضة الأمة من جديد وإعادة بناء صرحها وتعزيز قدراتها حاضرا ومستقبلا. وقد أوجد الإسلام لذلك العديد من المؤسسات الخيرية والاجتماعية والتربوية، ومن تلك المؤسسات الوقف، الذي يُعتبر من الأنظمة التي أدّت دورا فعالا في تاريخ الحضارة الإسلامية، حيث كان الوقف هو الممول الرئيس لكثير من المرافق؛ كالتعليم والرعاية الصحية والاجتماعية ومؤسّسات الفكر والثقافة. وقد انتشرت الأوقاف في الجزائر كغيرها من البلدان الإسلامية، منذ البدايات الأولى للفتح الإسلامي لبلاد المغرب، وتركّزت خدماتها في بناء المساجد وتحبيس العقارات والتخفيف من حدة الفقر، وظلت تتطور وتتنوع عبر التاريخ؛ وزادت أكثر خلال العهد العثماني بالجزائر، حيث حظيت مؤسسة الأوقاف خلال تلك الفترة بالإقبال الواسع من قبل الواقفين[1].

لقد دأبت الدراسات حول الوقف في الجزائر على تعميم أوضاع الأوقاف في مدينة الجزائر على باقي ربوع الوطن، وهذا من الخطأ في تقديرنا، فإذا كانت العاصمة تُشكّل ظاهرة وقفية متميّزة، إلا أن غياب الدراسات عن مناطق أخرى من الجزائر لا يستلزم بالضرورة أن تكون مشابهة للمثال العاصمي، فما زال الأمر يحتاج إلى دراسة تاريخ و وضعية الأوقاف في مدن أخرى، مثل قسنطينة، تلمسان، غرداية...الخ، والتي ليست بالضرورة مُشابهة لمثال مدينة الجزائر العاصمة.

ومن هنا يتبادر إلى ذهن الباحث طرح مجموعة من التساؤلات تتلخص في الآتي: ما مدى اهتمام المزابيين بالوقف؟ وما هي أهم أنواع الأوقاف الإباضية في مزاب؟ وكيف وضعوا لها قوانين وأعراف وهيئات تسهر على حسن تسييرها؟ وما هي طرق تنفيذها ووجوه إنفاقها؟ وفيما تجلّى دورها الاجتماعي؟.

أولا: مفهوم الوقف

1 - في اللغة:

قال ابن فراس[2]: الواو والقاف والفاء: أصل واحد يدل على تمكث في شيء ثم يقاس عليه[3]. والوقف مصدر وقف، ومنه: وقفت الدابة، ووقفت الكلمة وقفا، أما أوقف فهي لغة رديئة[4]. والوقوف خلاف الجلوس، وقف بالمكان وقفاً ووقوفاً فهو واقف، ووقف الأرض على المساكين وقفا: حَبَسَهَا[5]. وقد اتفق اللّغويون وعلماء الشريعة بأن الوقف مصدر يُراد به اسم المفعول، بمعنى الشيء الموقوف: والوقف عندهم هو الحَبْسُ والمَنْعُ[6]. أما الفيروز آبادي؛ فيذكر في القاموس المحيط بأن: " الحَبْسُ: يعني المَنْعُ، وكلُّ شيءٍ وقَفَهُ صاحِبُهُ من نَخْلٍ أو كَرْمٍ أو غيرِها يُحَبَّسُ أصْلُهُ، وتُسَبَّلُ غَلَّتُهُ. قال: وتَحبيسُ الشيءِ: أن يُبَقَّى أصْلُهُ، ويُجْعَلَ ثَمَرُهُ في سَبيلِ اللهِ"[7]. في حين يُعرفه صاحب كتاب(لسان العرب)، بما يأتي:" يُقال حَبستُ، أحبسُ، حبساً وأحبستُ، أحبسُ، إحباسا؛ أي وقفتُ، والإسم الحبيس بالضَّم، وكان الوقف في أول عهده يُسمى صدقةً وحبساً"[8].

ومن هنا تظهر لنا العلاقة بين المعنى اللغوي والشرعي للوقف: فهما يجتمعان في حبس أصل الشيء الموقوف، ومنع ملكيته وإرثه وبيعه وهبته وغير ذلك، وإن سيطر لفظ "وقف " على مؤلفات مختلف المذاهب الفقهية، فإننا نجد الكثير من كتب فقهاء بلاد المغرب تُبوِّب للوقف بكلمة "حبس"، فقد لوحظ ذلك في" المدوّنة "، و"شرح النيل"، وغيرهما، كما أن هناك من جمع بين اللفظين، كما فعل ابن جزي في "القوانين الفقهية "،والقاضي عبد الوهاب البغدادي في كتابه " الإشراف على نكت الخلاف"، ولا تزال الأوقاف إلى اليوم في بلاد المغرب تُسمى أحباسا[9]. في الاصطلاح الفقهي:

لم يتّفق الفقهاء قديما على تعريف واحد للوقف من حيث الاصطلاح الشرعي، واختلفت عباراتهم في تعريفهم للوقف، بل واختلف المضمون في كثير من الأحيان، وذلك تبعا لاختلاف مذاهبهم ووجهة نظرها في الوقف، من حيث لزومه وعدمه، وتأبيده، ومصير العين الموقوفة وغير ذلك[10]:فقد عُرِف الوقف في

الصدر الأول من الإسلام؛ باسم الصدقة تجوّزاً، غير أَنَّهُ لَا يُبَاعُ أَصْلُهَا وَلَا يُوهَبُ وَلَا يُورَثُ، وباسم الحبس أيضا. والأصل المُبيِّن له عند العلماءِ ما قاله النبي عليه الصلاة والسلامُ لعُمرَ لما :" أصابَ عمرُ بنُ الخطَّابِ أرضًا بخيبرَ فأتى النَّبيَّ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ فاستأمرَه فقالَ يا رسولَ اللَّهِ إنِّي أصبتُ مالًا بخيبرَ لم أصِبْ مالًا قطُّ هوَ أنفَسُ عندي منهُ فما تأمرني بِه فقالَ إن شئتَ حبَستَ أصلَها وتصدَّقتَ بِها قالَ فعمِلَ بِها عمرُ علَى أن لا يباعَ أصلُها ولا يوهَبَ ولا يورثَ تصدَّقَ بِها للفقراءِ وفي القُربى وفي الرِّقابِ وفي سبيلِ اللَّهِ وابنِ السَّبيلِ والضَّيفِ لا جناحَ علَى من وليَها أن يأكُلَها بالمعروفِ أو يُطعِمَ صديقًا غيرَ متموِّلٍ"[11]. ولذلك اعتُبر هذا الحديثُ أصلا عظيما ومنطلقا متينا، للعلماء من شتى المذاهب في تعريفهم للوقف: فإنهم وإن اختلفوا في بعض جزئياته: فكلهم متفقون على أنه: " حَبْسُ الأصل وتسبيل المنفعة"[12]. وبالرجوع إلى كُتب المذاهب الفقهية المختلفة، نجد أن للوقف تعريفات كثيرة لا يتّسع المجال هنا لذكرها.

أما حديثا، فيُعرف الشيخ محمد أبو زهرة الوقف بأنه: " منع التصرف في رقبة العين التي يدوم الانتفاع بها، وصرف الانتفاع لجهة الخير ابتداء وانتهاء"[13]. فيما يُعرفُه قدري باشا: "حبس العين عن تمليكها لأحد من العباد، والتصدق بالمنفعة ولو بالجملة على الفقراء أو على وجه من وجوه البر"[14]. أما عند الدكتور منذر قحف، فالوقف هو: " حبس مؤبّد ومؤقّت، لمال الإنتفاع المتكرر به أو بثمرته في وجه من وجوه البر العامة أو الخاصة " [15].

وخلاصة القول، يُمكن تحديد مفهوم الوقف على أنه تخصيص مال مُعين ليُصرف ريعه على جهة مُعينة مع حبس العين عن التملك، على أن يكون الوقف مؤبدا أو مؤقتا احتراما لإرادة الواقف، مع إبعاد كل شرط من الشروط المخالفة لأحكام الشريعة الإسلامية [16] .

ثانيا: أهمية الوقف في المجتمع الجزائري

يعتبر الوقف أحد مظاهر الحضارة العربية الإسلامية، لأنه يستمد وجوده واستمراره من الأحكام الشرعية ومن تكافل أفراد المجتمع استجابة لحاجة الفرد

والجماعة[17] ، كما يشكّل الوقف إحدى الدعائم الأساسية لخدمة المجتمع؛ باعتباره رافدا مهما من روافده، و واقعا اجتماعيا وحقيقة اقتصادية ومظهرا ثقافيا وتعبيرا روحيا، وكانت الجزائر منذ الفتح الإسلامي من بين أولى الدول التي انتشرت فيها ثقافة الوقف، فقد كان لمؤسسات الأوقاف شأن كبير في المجتمع الجزائري خاصة أثناء العهد العثماني[18]، حتى أن الأملاك الوقفية في ذلك العهد بلغت حوالي ستون بالمائة من مجموع الأملاك العقارية والزراعية، وظلّت هذه المؤسسات تجسيدا حيا للسماحة والعطاء والتضامن والتكافل بين أفراد المجتمع الجزائري بمختلف طبقاته وانتماءاته، غطت أنشطتها سائر أوجه الحياة الاجتماعية؛ وامتدت لتشمل المساجد والمرافق التابعة لها، وأضرحة الأولياء الصالحين، والدعوة، والمدارس ودور العلم والمكتبات، والجهاد في سبيل الله، والمؤسّسات الصحية، والمؤسّسات الخيرية عامة، والحرمين الشريفين[19] خاصة، وكفالة الضعفاء والفقراء والمساكين والأرامل.

ويرجع سبب هذا الانتشار الكبير لهذه المؤسسات الوقفية إلى شغف الجزائريين بحبس أموالهم في سبيل الله، حيث كانت هذه المؤسّسات تُدار بمهارة وكفاءة بواسطة إدارة أهلية، ولم يكن أحد يشكو يومئذ فقرا، لأن جميع الفقراء كانوا يأخذون حصصهم من خيراتها، لدرجة وجدت فيها إدارة الاحتلال الفرنسي عند دخولها البلاد صعوبة كبيرة في جرد وحصر الأملاك الوقفية المعروفة لدى الجزائريين بـ" الحبوس "؛ لكثرتها وتعدّد مجالات العطاء فيها، لذا فإنه من غير الممكن دراسة بُنية تاريخ الجزائر الحديث دون التعرف على واقع الأوقاف وما ارتبط به من إجراءات وخدمات ومعاملات، حيث كانت مؤسّسات الأوقاف في ذلك العهد مسألة محورية وقضية أساسية، لا يمكن لأي مؤرخ أو باحث أو دارس لقضايا المجتمع والاقتصاد والثقافة وحتى الإدارة التقليل من أهميتها وتجاوز انعكاساتها على حياة الفرد وواقع المجتمع[20].وهكذا استمر حال الأوقاف في العهد العثماني إلى غاية احتلال فرنسا للجزائر سنة 1830م، وعندئذ تطلّعت إلى تلك الخيرات؛ فحاولت انتزاعها من أيدي أصحابها بشتى الوسائل والطرق،

لكنها وجدت شروط الواقفين حائلة بينهم وبين ما يشتهون؛ فاختلقت إدارة الاحتلال الفرنسي مسألة التداخل في أمور الأوقاف بحُجة التنظيم والإصلاح وياله من إصلاح يذهب بالأموال؟[21].

ثالثا: الأوقاف الإباضية في منطقة وادي مزاب:

شهدت منطقة وادي مزاب عبر تاريخها الطويل أنواعا كثيرة من الأوقاف[22] .والباحث في هذا الموضوع، يُلاحظ تعدّد أنواعها وتشعّب الأدوار التي حُبست لأجلها؛ من أجل تلبية حاجيات المجتمع الميزابي في أدقّ تفاصيله. وتهدف هذه الأوقاف في الغالب إلى ترسيخ قيّم التعاون على البر والتقوى والتكافل الاجتماعي في المجتمع الميزابي. وهذه الأوقاف بمختلف أنواعها وأشكالها تدل على خاصيّة التكافل الاجتماعي في المجتمع[23].ومما تعارف عليه الناس في مزاب وجرت به عاداتهم أن تكون أغلب أوقافهم للمساجد والمقابر، إضافة إلى مجالات أخرى عامة وخاصة[24].

وقد ورد في أحد تقارير إدارة الاحتلال الفرنسي عن دائرة غرداية، الذي يعود إلى سنة 1885،أن أوقاف منطقة وادي مزاب ترجع إلى فترة تأسيس القصور، ويُشير إلى أن عددها ما انفك يرتفع منذ ذلك الحين بمستويات متتالية. ولكن فحص دفاتر جميع المساجد وجوامع المنطقة للمعمّرين لم يُتح سوى الحصول على معلومات غير كافية وغير كاملة. ولم تسمح كذلك الأبحاث المتعلقة بأملاك الوقف في المنطقة، والمنجزة من طرف السلطة العسكرية الاستعمارية بُعيد احتلال الجزائر، بالكشف عن أي أثر لأي جرد محتمل. فكان الوقف الشفوي حينئذ أداة فاعلة لدى إباضية وادي ميزاب جنوب الجزائر. ويرجع أول عقد مكتوب لوقف إباضي، وهو العقد الذي نشره "مارسيل مرسييه" إلى بداية القرن التاسع عشر الميلادي؛ وبالتحديد إلى سنة 1804[25].

أ) - أنواع الوقف الإباضي في مزاب: هناك نوعان:

1 - النوع الأول: وقف مؤبّد لوجه الله تعالى لأصل من الأصول، بحيث لا يجوز بيعه أو هبته أو إرثه، وغالبا ما يكون للمسجد. ومثال ذلك:

بساتين بها نخيل أو أراضي أو عقارات، يُحبس أصلها وتُصرف منفعتها لما قَصَدَهُ الواقف؛

نخلة أو رُمانة أو تينة أو غيرها من الأشجار في حوزة لصاحبها، تُجعل ثمرتها فيما حُبست له، وتكون على وجهين: إما أن تُحبس النخلة أو الشجرة ولا أرض لها، فإن فنيت سقط الوقف عن صاحبها، وإما أن تُحبس مع أرضها، فإن ماتت أو سقطت أُبدل في مكانها أخرى فيستمر معها الوقف[26].

قد يكون الوقف عرجونا أو اثنين في نخلة، أو يُوصي الواقف بعرجون في كل نخلة من جنانه[27]، حيث يُؤخذ من غلّة تلك النخلة كل سنة العرجون المتوسط؛ إن كان فيها ثلاثة أو أكثر لا أقل، فإن سقطت النخلة بطُل الوقف على ما هو جار عليه العُرف في ذلك ويعلمه الناس[28].أما إذا كانت النخلة لصاحبها وللمسجد فيها عرجون واحد، فإنه هو الذي يوصله إلى المسجد.

وقد يكون مرحاض عمومي (الجمع :مَرَاحِيْض) الكَنِيفُ، أو جابية، أو ساقية[29]، أو بئر، أو سد(أحباس) [30].

قد يكون الوقف منتقل من المنقولات؛ كالرحى، والأواني المنزلية للطبخ في الأعراس والمناسبات، أو لوازم المنسج التقليدي، وأدوات السقي[31]، وأدوات الزينة والحلي للعروس[32]، فيُوقف المحبس منفعتها ويجعل لها أصلا من عقار أو نخلة أو غيره تجعل غلّتها أو ثمنها لإصلاح ما فسد من تلك العروض أو تعويضها [33].وقد حرص الواقفون في مزاب قديما وحديثا على جعل مدخول مُخصّص لكل وقف حتى لا يتوقف ويبقى صدقة جارية مدى الدهر[34].

وقد يكون الوقف مقادير معلومة من مواد استهلاكية؛ كعدد من قِرب الماء للسقي سواء للمنازل[35] أو للمساجد[36]، أو مقدار من الزيت لإنارة المسجد، أو خبز، أو تمر أو غيره[37].وهذه من الأوقاف المشاعة الجاري عليها العمل في القرى السبعة لوادي مزاب.

2 - النوع الثاني: وقف يُسمى تِنُوبَا (جمعها تِينُوبَاوِينْ) [38]: وهو وقف محلي خاص جدا - لا وجود له في مناطق أخرى من العالم الإسلامي في حدود

علمنا - قام أهل مزاب بتعليقه بأملاكهم من الأصول، (من موضع، أوجنان، أودكان...الخ) ابتغاء استمرار الثواب والأجر. لا يُمنع التصرف في أصله، ببيع أو هبة أو إرث، ولكن يُشترط على المالك أن يدفع إلى جهة مُعيّنة بصفة مُؤبدة، كمية معيّنة من المواد الغذائية، أو مواد الإنارة، أو أن يقوم بخدمات معيّنة للصالح العام.كما هو مضبوط في سجلات خاصة لدى هيئة العزابة[39]. وهو وقف جرى التعارف عليه و العمل به في قرى وادي مزاب منذ أزمنة طويلة[40]. وفي كل منزل تقريبا بمزاب، سواء في القصر أو في الواحة التابعة لها وقف يُقدِّره الواقفون لها حسب مساحتها، من ستة أمداد إلى خمسة عشر مدا[41]، من بُر يُصنع منه طعاما مفتولا[42] يُدهن بسمن على مقادير مُعيّنة حسب الأمداد،ويتم ذلك بمكاييل خاصة تُصنع من مادة الفخار[43] ؛ تُسمى "نقاصة"[44]. ويتم تنفيذ هذه الأوقاف في مقابر مُعيّنة حسبما نصّت عليه وصية الواقف، والغالب أن يُوقفها في المقبرة التي يُدفن فيها[56].

ب) نماذج من الأوقاف الإباضية في منطقة وادي مزاب:

1 - المدارس الحرة[46]: كان المجتمع في منطقة وادي مزاب في مطلع القرن العشرين يُقاوم الأمية ويدفع عن أبنائه الجهل في ظروف تطبعها الفاقة والحاجة، وزادها سوءا نتيجة القرارات التعسفية التي فرضتها إدارة الاحتلال الفرنسي التي تضيّق الخناق على التعليم العربي الحر[47].

ويُعد انتشار المدارس والمعاهد الحرة الإباضية في هذه المنطقة ، من أهم مظاهر العناية بالأوقاف، لأنها كانت ولا زالت تُؤدّي خدمات ثقافية واجتماعية كبيرة داخل المنطقة وخارجها. وتُديرها جمعيات خيرية عريقة وجُل مداخيلها هي من تبرعات المحسنين وتكون غالباً تابعة للمسجد[48]. وقد أُنشئت أساساً لمحاربة الأمية والجهل في فترة الاحتلال الفرنسي؛ وللمحافظة على مقومات الشخصية الوطنية الجزائرية؛ كالدين الإسلامي واللغة والمبادئ. وقد تطورت هذه المدارس والمعاهد تطوراً كبيراً بعد الاستقلال في مرافقها ومناهجها ووسائلها، حتى أصبحت في الوقت الراهن مؤسّسات جديرة بالاحترام والتقدير.

وقد أثبتت كفاءتها ميدانيا، حيث يتخرج فيها كل عام دفوعات من المعلّمين والأساتذة المكوّنين من الذين انتشروا في ربوع الجزائر .

2 - ديار العشيرة (العشائر):

العشيرة الميزابية، هي عبارة عن مجموعة كبيرة من الأسر، ينحدرون من جد واحد في الغالب ، تربط بينها أواصر القرابة وعلاقة الرحم . ومن مجموع العشائر تتكون القرية أو المدينة، ولكل عشيرة أوقاف خاصة بها من أبناء العشيرة. وتعتبر ديار العشيرة (العشائر) في مزاب من أبرز مظاهر الأوقاف الإباضية التي لازالت تؤدّي دورا مهما في المجتمع المحلي من نواحي كثيرة اجتماعيا وثقافيا وروحيا، فهي المقر الرسمي للعشيرة، ويتم فيها إقامة حفلات الأعراس، وتنظيم الاجتماعات الخاصة والعامة لأفراد العشيرة وغيرهم، وإقامة النشاطات العلمية والثقافية والاجتماعية، سواء للرجال أو للنساء، وكذا توزيع الجوائز على الطلبة والطالبات المتفوقين في دراستهم في مختلف المستويات، إضافة إلى مهام أخرى كثيرة تتعلّق بالجانب الاجتماعي تقوم بها العشيرة، مثل التكفّل بالأيتام والأرامل ماديا ومعنويا، وتقديم المساعدات للعائلات المحتاجة، وتأطير الشباب ومتابعتهم والاهتمام بانشغالاتهم.

3- ديار" أَمَرْشِيدُو"[49]:

وهو أحد أنواع الوقف بمدينة غرداية، وهو عبارة عن منازل وُقفت للضعفاء والمساكين من بعض العائلات أو العشائر القاطنة بالبلدة، بحيث تُعطى هذه المساكن لهؤلاء المحتاجين يسكنون فيها ويستغلونها؛ ريثما تتحسن ظروفهم المعيشية، فيؤجرون أو يشترون منزل خاص بهم، وتُرجع الدار للمالكين الأصليين لها(أصحاب الوقف)، الذين بدورهم يعطونها لعائلة هي في أمس الحاجة لها، وهكذا دوايلك [50].

4- بيت الضيف: كما أن هناك وقف بيت لضيف المسجد(شخص غريب أو عابر سبيل)، يُقيم فيه ما دام مُقيما في البلدة، وهذا قبل ظهور الفنادق والنزل والمراقد بالمدينة.

أما عن كيفية التوقيف(التحبيس)، فيُبيّن ذلك الشيخ إبراهيم بن أبي بكر حفار؛ بقوله: " وكل من أراد التوقيف لحبس يجري عليه بقية حياته وبعد مماته أتى الجماعة الدينية الذين هم أهل المجلس الشرعي في كل مسجد من أي قصر فعرفه لهم بكيفيته وكميته ومتعلقه ليُدوّنوه عندهم؛ لينخرط في سلك جميع الأوقاف؛ فيتولون أمره وتتبرئ منه ذمّة صاحبه، وعلى هذا جرى العمل قديماً وحديثاً، كل ذلك يشهد به وعليه جماهير سكان مزاب فلا حق لأحد في مخالفته وبالله التوفيق [51]".حيث يُدوّن الواقف وقفه في وصيته، ومنه ينقل وكيل الأوقاف نص الوصية حرفيا في دفاتر المسجد أو في زمَامَات (كراسات) حبوس المقابر، كما يظهر ذلك من النموذج التالي لوصية المدعو" الحاج محمد بن يحيى بن باحمد أوصى بها وهو في صحة عقله وبدنه، ناطق بالشهادتين، وأوصى بأربعة مُدود مغلوث وأربعة لحمات ورُبع نقاصة سمنا وقفاً مُؤبّدا يُساق للمقبرة التي يُدفن فيها وعلّقها في داره[52]".وتُوحي هذه الوثائق المذكورة أن تحديد الوقف وطبيعته ومكانه وحدوده يُغني عن تحديد الزمن الذي كان في عهدة أولي الأمر، من هياكل التفوّق المحلي في المستويات المختلفة.

ج) **طرق تنفيذ الأوقاف**: هناك طريقتين لتنفيذ هذه الأوقاف، فهناك عدد من الأوقاف ينفّذها العامة مباشرة، أما الطريقة الثانية؛ فهي تقييد الوقف بالمسجد، حيث تتولى حلقة العزابة[53] تنفيذه في المسجد، أو في أماكن خاصة أخرى.

1 - الطريقة الأولى: أوقاف ينفِّذها العامة مباشرة، مثل توزيع ماء الشرب في بعض المنازل، وإنارة الطرقات، وتوزيع بعض المواد الغذائية، وصيانة آبار البلدة وتجهيزها، وصيانة السدود وسواقي الغدير في الواحة؛ بحيث يتحمّل مسؤولية استمرار هذه الأوقاف وتنفيذها أصحابها؛ أي صاحب الوقف نفسه، أو الوكيل عليه من بعده، وبالتالي فعبء الوقف يقع على صاحبه وعلى الوكيل. فإذا كان هذا الوقف نخلة، فإنه يتولى بنفسه أو يُكلِّف من ينوبُه على نفقته للقيام بمهام التنظيف، أو التأبير أو تفريق العراجين، أو الجني، ثم توزيع التمور على

أصحابها، أو أخذها إلى المكان المخصّص لتُوزع فيه على يد حلقة العزابة إن كان الوقف لوظيف معين. ومن المعلوم أن الأوقاف التي ينفذها العامة مباشرة تكون في الغالب مخصّصة لإحدى المناسبات التالية : ليلة الجمعة(في المنزل)، موسم المقابر، موسم الزيارة.

2- الطريقة الثانية: هو تنفيذ الوقف بالمسجد، حيث يتولى وكيل المسجد أو الوكيلان في حلقة العزابة مهمة السهر على استمرارها وتنفيذها[54] في المسجد أو في محاضر(لمحاضر) تعليم الصبيان التابعة للمسجد[55]، أو في المقابر[56]، أو في أماكن أخرى خاصة. أما ما يُنفّذ في المسجد؛ فيكون بصيانته وتأثيثه وإنارته وإحضار ماء الشرب وماء الوضوء، كما يقومان بتوزيع الصدقات على الطلبة والعامة من عُمَّار المسجد، في أوقات معيّنة من اليوم والليلة، وفي أيام معلومات من السنة، هذه الصدقات يُمكن أن تكون تمرا أو خبزا أو كُسكسا بالسمن أو باللحم أو بدونهما[57].

واللافت للانتباه أن الوثائق محل دراستنا، تمكّن من تحديد الأملاك من حيث طبيعتها (جنان، موضع، نخلة، رمانة، منتقل من المنتقلات....) بما تحتويه أحيانا، وموقعها بحدودها الأربعة. وتمثل عناصر التعريف هذه مؤشرات على عقود وقف شفوي ميّزت المدرسة الفقهية الإباضية في منطقة وادي مزاب، وتمثل الوثائق المكتوبة المتعلقة بأملاك مساجد إباضية مزاب حينئذ خواتم، أونتائج للعقود الشفوية المبرمة وفقا للعُرف والعادة، من جانب المُحبّس الإباضي؛ بحضور العزابة في المؤسسة الدينية التابعة للمذهب المذكور.

د) وجوه إنفاق الأوقاف(الوظائف)[58]

الوجوه التي تُنفق فيها هذه الأوقاف تُسمى وظائف، وهي نفسها تقريبا في جميع قرى وادي مزاب. وفي ما يلي أهم الوظائف مقسّمة إلى مجموعتين: المجموعة الأولى وظائف تُنفذ داخل المسجد، والمجموعة الثانية وظائف تُنفذ خارج المسجد في أماكن معينة.

1- المجموعة الأولى: وهي التي تُنفذ داخل المسجد، وتضم هذه المجموعة:

- وظائف خاصة بيوم الجمعة: وهي على الترتيب: وظيف عشية الخميس، وظيف ليلة الجمعة بعد صلاة المغرب، وظيف مجلس قراءة القرآن بين صلاتي المغرب والعشاء، وظيف تقسيم القرآن الكريم وقراءته بعد صلاة العشاء من ليلة الجمعة، وظيف ختمة هذه التلاوة بعد صلاة الفجر من يوم الجمعة. وتوزع في الأوقات المذكورة أوقاف معينة داخل المسجد، وهي عبارة عن كميات من التمر والخبز وغيره موقوفة لتلك الوظائف للتالين كتاب الله داخل مجلس قراءة القرآن أو المستمعين للتلاوة خارجه[59].

- وظيف ختمات السلكة: من عادة المساجد في قصور وادي مزاب أن يُتلى فيها القرآن الكريم يوميا (الحزب الراتب اليومي) بالترتيب جماعة، في وقت السحر، وما بين صلاة المغرب والعشاء. وفي اليوم الذي يتم فيه ختم سلكة القرآن الكريم، يتم فيه توزيع كمية من التمر على التالين لكتاب الله تعالى داخل المجلس والحاضرين في المسجد، وهذه الكمية من التمر هي في الأصل وقف مخصّص لهذا الوظيف.

- وظيف بين المغرب والعشاء صيفا: في فصل الصيف وطيلة أربعة أشهر، ابتداء من07 ماي إلى06 سبتمبر، هناك أوقاف مخصّصة تُوزع بين المغرب والعشاء من كل يوم من هذه الفترة؛ فيُوزّع التمر على طلبة القرآن الكريم(المجلس) وجميع الحاضرين بالمسجد، أما الماء فهو مخصّص للطلبة فقط، وقد خُصّ هذا الفصل بالوقف، نظرا لتزايد حاجة الناس للتمر والماء في أيام الحر. ويُنسب هذا الوظيف في قصر بني يزقن للشيخ الحاج يوسف بن حمو(ت. 1251هـ/1836م)، حيث كان له بستان، فأوقفه خصيصاً لهذا الوظيف.

- وظيف وقت السحر: يُوزّع فيه تمر وماء وقت السحر بالمسجد للتالين لكتاب الله تعالى، ويتم ذلك في أشهر الحر من الصيف(لَهْوَاجَرْ) ، ابتداء من 22 ماي إلى 22 أوت. وغاية هذا الوقف أن حاجة الناس تزيد لهاتين المادتين في هذه الفترة

من جهة، ومن جهة أخرى إعانة من نوى الصيام في تلك الفترة شديدة الحرارة، وكذا ترغيب الناس في الصدقات والمسارعة إلى الخيرات.

- وظائف خاصة بشهر رمضان: وهي على نوعين:

وظيف الصائمين: يُوزّع التمر الموقوف لهذا الوظيف قُبيل أذآن صلاة المغرب على كل الحاضرين بالمسجد، ويستمر هذا الوقف طيلة شهر الصيام، وفي هذا إعانة للصائمين بتوفير قوت إفطارهم، وتشجيع الناس وترغيبهم في إدراك صلاة الجماعة بالمسجد، والمسارعة في الخيرات؛ رغبة في مضاعفة الأجر وعملا بما جاء في الحديث الشريف(60).

وظيف السَّحور للمتسحِّرين: يُخصّص لعُمَّار بيت الله في وقت السَّحر من شهر رمضان، نصيب من التمر والماء موقوف لهم إعانة على الصيام من جهة، وحثا على تطبيق سُنة تأخير السَّحور، ومن أهداف إقامة هذا الوظيف أيضا تشجيع الناس على عمارة مجالس القرآن الكريم ليلا إلى وقت السحر(61).

- وظيف ابن السبيل: إذا نزل بالمدينة عابر سبيل، فإنه يُضيَّفُ من قِبل العامة، أو يُوجّه إلى مسجد البلدة لأداء الصلاة، وبعد الفراغ منها وانصراف أغلب المصلين يبقى هو جالسا في المسجد، وما أن يتفطن إليه الإمام أو القيّم على أنه غريب،حتى يُكلّفُ شخصا بتضييفه على نفقة المسجد لمدة ثلاثة أيام. وأصل تلك النفقة، هي من بيع كمية من التمر تُعتبر وقفا مخصصا لهذا الوظيف. والحكمة من هذا الوظيف، هي ضمان أداء حق الضيف وعابر السبيل، خاصة في سنوات القحط وغلاء المعيشة، والملاحظ أن هذا الوظيف لم يعُد يُستعمل في الآونة الأخيرة.

2- المجموعة الثانية: وهي التي تُنفذ خارج المسجد، وتضم هذه المجموعة:

وظيف محاضر الصبيان(لَمْحَاضَرْ): قد كان يوجد وقف خاص لهذا الوظيف، يتمثل في التمر، حيث يُوزع يوميا بعد صلاة العصر على طلبة القرآن الكريم بالمحاضر، إلا أن هذه المحاضر لم تعُد موجودة الآن، وكذلك وظيف

الوقف المخصّص لها؛ أما تحفيظ القرآن الكريم؛ فيتم حاليا بالمدارس الحرة التابعة للمساجد في قرى وادي مزاب[62].

1- - وظيف المقابر(لَمْكَابَرْ): لأهل مزاب عموما عناية كبيرة بعمارة المقابر، خاصة في المناسبات الدينية كالعيدين، حيث يقومون بزيارتها للترحم على الموتى بالدعاء وتقديم الصدقات، وكذا في المناسبات الاجتماعية كالأعراس ، حيث يقوم العريس في صباح يومه الأول بزيارة المقبرة رفقة أهله وأصدقائه لطلب الرحمة وأخذ العبرة ممن سبق. وفي موسم أوقاف المقابر، تضع حلقة العزابة لكل قصر من قصور مزاب برنامجا مُحكماً لتنفيذ أوقاف مقابر البلدة مُرتّب على فصول السنة، يُعلن عنه في المسجد أسبوع من قبل، ليستعد الناس لذلك بتحضير أنفسهم وأوقافهم، فما إن يُعلن عن المناسبة في المسجد حتى يستجيب الناس طواعية وعن طيب خاطر، فليس هناك قوة تقهرهم على ذلك إلا الرغبة في الأجر الأخروي[63].

1 - مقابر الشتاء: يبدأ تنفيذ هذه الأوقاف في أواخر شهر ديسمبر[64] في كل يوم جمعة[65]، فيُعلن في المسجد عن المقبرة المعيّنة ؛ ففي مدينة غرداية، مثلا: يبدأ برنامج موسم الشتاء بمقبرة الشيخ بَابَا وَالْجَمَة صباح يوم الجمعة، وينتهي بمقبرة الشيخ عمي سعيد يوم الخميس مساء. ويبدأ الناس في إعداد أنفسهم لذلك بأسبوع من قبل على أقصى تقدير، بحيث يقومون بإعداد الخبز والطعام وغيرهما، لتُحمل إليها بعد ذلك أوقاف تلك المقبرة صباحا أو مساء، فيكفي أن يُعلن عن المناسبة في المسجد حتى يستجيب الناس طواعية وعن طيب خاطر، فليس هناك قوة تقهرهم على ذلك، إلاّ الرغبة في الأجر والثواب الأخروي[66].

وفي الصباح الباكر للجمعة المُعلن عنها، يذهب الطُلبة "إِرْوَانْ"[67] (قُدماء التلاميذ) إلى مُصلى المقبرة المذكورة ويفتتحون مجلسين أو حلقتين لتلاوة القرآن الكريم، أحدهما يبدأ من سورة الفاتحة وينتهي إلى آخر سورة الكهف، والآخر من بداية سورة مريم إلى آخر سورة التكاثر، ويفتتح كل حلقة من يحضر

من العزابة المُعيَنين لذلك المجلس، ويبقى المجال مفتوحا لكل من أراد أن يلتحق بإحدى الحلقات، فإذا وصلت التلاوة في المجلس إلى الحزب الثالث من سورة البقرة عند قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾[68] بالنسبة للذي سبق له ختم القرآن، وعند سجدة سورة الحج لمن وصل إلى النصف، أُغلق الباب، إذ كل من أوقف وقفا؛ فهو مبني على ذلك العُرف[69].

أما تلاميذ المدارس؛ فينضمون لمجلس القرآن الكريم، إمّا من أوّله لمن ختمه، وإمّا من سورة مريم لمن بلغ النصف، أما سواهم، فكلما وصل المجلس إلى السورة التي وصلها انضم لذلك المجلس، لكن لذلك حد وهو أن يصل إلى سورة المُلك عند بعض القرى، وإلى سورة الرحمان عند بعضها، وإلى سورة ياسين عند البعض الآخر، ويُسمى ذلك " أرجال "[70].

أثناء تلاوة المجالس للقرآن الكريم؛ يقوم أحد وكيلي المسجد بجولة بين الحاضرين، يسجّل من خلالها الأفراد الذين أدُوا أوقافهم بعد أن ينظر إلى مطابقة الشيء الذي قُدم بما هو مُسجل في الدفتر الذي عنده، فإذا وصل مجلس التلاوة إلى قوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرضِعْنَ أَوْلَادَهُن﴾[71]، قام من جماعة " إِرْوَانْ " من يقوم بجمع الصدقات من الناس من تمر وخبز وطعام في جفان كبيرة، ثم يُوزّعونه على الحاضرين بنسب متفاوتة، حسب كثرة الصدقات أو قلّتها، فيأخذ من هو داخل المجلس سهم كامل، ويأخذ من هو خارجه نصف الكمية، ويُخصّص اللحم لمن في مجلس التلاوة، صباحا أو مساء[72].

2- مقابر الصيف: بعد أن تطرّقنا إلى الأوقاف التي يتم توزيعها في مصلَّيات المقابر شتاء، لابد من الإشارة؛ ولو بإيجاز إلى مقابر الصيف، فهناك مثلا في مدينة غرداية ستة مقابر معنية بتوزيع الأوقاف فيها في موسم الصيف، حيث تُعلن الهيئة المشرفة على الحبوس عن البرنامج ويُعلق في المساجد تذكيرا للواقفين المعنيين بتلك المقابر، وأول مقبرة يتم بها توزيع الأوقاف والصدقات في هذا الفصل، هي مقبرة الشيخ بَابَا وَالْجَمَة، ويكون ذلك صباح يوم الجمعة حوالي منتصف شهر أفريل، ويتواصل ذلك تباعاً في بقية المقابر إلى آخرها، وهي

مقبرة الشيخ عمي سعيد في مساء يوم الجمعة منتصف شهر جوان تقريبا، بعضها يكون ذلك صباحا ومساء وبعضها الآخر مساء فقط، حسب برنامج مقابر الصيف.

3- مقابر الخريف: يتمّ توزيع الأوقاف والصدقات في مقابر هذا الفصل مساء فقط بعد صلاة العصر، حيث يبدأ البرنامج يوم الجمعة من منتصف شهر سبتمبر بمقبرة الشيخ بَابَا وَالْجَمَة[73]، وتتواصل إلى آخر الشهر الموالي بمختلف المقابر والمحاضر إلى نهاية البرنامج بعد عصر يوم الاثنين أواخر أكتوبر بمحضرة الشيخ حمو والحاج بالواحة، أين توزّع الأوقاف والصدقات، خاصة "إِوْزَانْ نحَمُو وَالْحَاجْ" على الحاضرين كبارا وصغارا، إيذانا بانتهاء فصل الصيف والسكن في الواحة، وبداية استعداد السكان للانتقال إلى القصر أو ما يسمى بالمزابية "أَلاَيْ"[74] .

4- مقابر الربيع: يتم التجمّع وتوزيع الأوقاف والصدقات في مقابر الربيع في كل جمعة مساء، بداية من مقبرة شهداء إمحراص[75] وانتهاء بمحضرة المستجاب. وإذا قارنا بين مقابر الشتاء والصيف والخريف والوقت الذي اختير لها؛ نتساءل لماذا بُرمجت مقابر الربيع مساء فقط؟.

ولعلّ السبب في ذلك، هو من أجل مُراعاة ظروف العامل الفلاح، لأن أغلب المزابيين كانوا يشتغلون قديما بالفلاحة في البساتين بالواحة، وتتطلب من الأعمال في الربيع أكثر من الصيف والخريف والشتاء، وذلك لأن فصل الربيع فيه تأبير النخيل، ونقل وغراسة الأشجار وشتل البقول، كما يتم فيه سقاية الزرع الذي يجب أن لا تنقطع في شهر مارس على الأخص. أما في الصيف والخريف، فإن الناس يكونون في الواحة قريبين من فلاحتهم يعتنون بها متى شاءوا، وغالبا ما يكون الفلاحون في الأمسيات مسترحين بعد أن أتموا سقاية بساتينهم، لأن فترة النهار تطول، لذا فبإمكانهم أن يشاركوا في تلاوة القرآن الكريم عشية واحدة من كل أسبوع، وكل هذا يُؤكّد الترابط الموجود بين هذه

التقاليد أو العادات أو الأعراف، وتلاؤمها مع مصالح الناس ومشاغلهم اليومية[76] .

رابعاً: الدور الاجتماعي للأوقاف الإباضية:

من خلال ما سبق ذكره حول أنواع الأوقاف وطرق تنفيذها، يظهر جليا الدور الاجتماعي للأوقاف في منطقة وادي مزاب من خلال توزيع منافعها على الفئات المحتاجة، حيث كانت الأوقاف بوادي مزاب ولا تزال، تُشكّل مصدرا من مصادر الرزق للعديد من العائلات. وفي هذا الصدد، يذكر نص (سير أهل غرداية) للشيخ أبي القاسم بن يحيى[77] ما يأتي: " على العزابة أن يهتموا بشؤون المعوزين، وأن يقوموا بالقسط وإعطاء كل ذي حق حقه، ويحكموا بالعدل بين الغني والفقير يُجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم "[78]. فللوقف الإباضي في مزاب تأثير كبير على الحياة الاجتماعية، ويتجلّى ذلك في الآتي:

- الإحسان إلى الفقراء والتخفيف من شقاء المعوزين في المنطقة دون تمييز أو تفريق بين مختلف الفئات المتجاورة في المجتمع، حيث يروي كبار السن أنه في فترة الاحتلال الفرنسي وإلى غاية السنوات الأولى بعد استقلال الجزائر كان كثير من البدو المخيّمين في أطراف قصور مزاب عامة وغرداية خاصة يطوفون على المقابر المزابية في مواسم توزيع الأوقاف للحصول على كميات معتبرة من طعام وقف تِنُوبَاوِينْ، خاصة في مقبرة الشيخ عمي سعيد رحمه الله[79].

- اجتماع العائلات وتماسكها، حيث يرى بعض الدارسين والباحثين أن من أسباب إنشاء الأوقاف بمزاب خاصة " تِينُوبَاوِين " الظروف الصعبة التي مرّت بها المنطقة من فقر وقحط وفتن وبلايا، فجعل السكان الأوائل صدقة تَنُوبَة لتكون مناسبة تلتقي فيها العائلات وتجتمع مع بعض في البيوت يتلون آيات من الذكر الحكيم ويتناولون ما أحضروه من طعام وغيره، ثم يدعون الله مع بعض ليرفع عنهم البلايا والمصائب ويمدهم بالخير والرزق والرحمات.

- شُكر الله على نعمه، فلقد كان من العادات القديمة لسكان وادي مزاب أن يجعلون صدقة (وقف) لكل أمر مُهم، خاصة عند تدشين شيء جديد؛ كمسجد أو مصلى أو مقبرة أو دار أو غيره[80].

- جمع الشمل والاجتماع على قراءة القرآن الكريم، فظاهرة زيارة المقابر وقراءة القرآن وتوزيع الأوقاف والصدقات في ربوع وادي مزاب، ظاهرة شعبية يشترك فيها العام و الخاص ، يحضرها العالم والمتعلم والغني والفقير، بحيث يُشارك فيها سكان البلدة جميعا، حتى النساء بتحضيرهن لتلك الصدقات، والصبيان بنقلها وحملها إلى تلك الأماكن الطاهرة[81].

- ربط المزابيين المغتربين خارج الوطن أو في مدن الشمال بموطنهم الأصلي بالجزائر وادي مزاب، فهذا التعاون والتآزر المنتشر في كثير من المناسبات بين أفراد المجتمع الإباضي الميزابي، لا يقتصر فقط على المستقرين في وادي مزاب، بل يمتد إلى المزابيين المستقرين خارجه؛ لغرض التجارة أو طلب العلم أو غيرهما، فكثير من هؤلاء يبعثون بأموالهم للمشاركة في هذا المسعى الخيّر، تعبيرا عن ارتباطهم بموطنهم الأصلي واهتمامهم بكل ما يجري فيه من أحداث ووقائع، كما تدل هذه المشاركة ولو من بعيد عن الشوق والحنين إلى أغلان[82].

- القضاء على الفوارق الاجتماعية، فلقد نتج عن تنفيذ هذه الأوقاف من الجانب الاجتماعي تقوية وتحفيز وتجسيد التعاون والتكامل والتكافل الاجتماعي في المجتمع، مما أدّى إلى ردم الهوة بين أفراد المجتمع والقضاء على الطبقية أو التخفيف من آثارها، فيتعاون الجميع من عزابة وفلاحين وأصحاب الوقف وعامة الناس على القيام بهذه الأوقاف، والحرص على تنفيذها في وقتها عن طيب خاطر محبّةً في الله وفي منفعة عباده.

- جمع الشباب والصبيان وشغلهم بما يفيدهم، فقد دأب المزابيون كنوع من التربية العملية على مرافقة أبنائهم في أفراحهم وأتراحهم، ومنها موسم أوقاف المقابر، فتجد هؤلاء الشباب والصبيان منذ نعومة أظافرهم يقرؤون القرآن الكريم في المساجد أو مصليات المقابر مع آبائهم وإخوانهم ومعلميهم ورجال

الخير، من طلوع الشمس إلى ما بعد صلاة المغرب، يتوسّط ذلك صلوات الفرض والنوافل والأدعية والأذكار والابتهالات والصدقات، فيُؤثر هذا الجو الروحاني في نفوس الناشئة وسلوكهم في حياتهم المستقبلية؛ فينشؤون على الفضيلة ومكارم الأخلاق والتمسّك بالدين[83].

- مُراعاة ظروف الناس واحتياجاتهم، فقد اختار الأوائل أيام فصل الشتاء لتوزيع أغلب الأوقاف وتلاوة القرآن الكريم في المقابر لعدّة أسباب، من أهمها: أن الفقير تشتد حاجته إلى الطعام في الشتاء أكثر من الفصول الأخرى، لأنه يشكو الجوع والبرد، والشتاء دائما أقسى على الفقراء من الصيف.

- التخفيف على العائلات الفقيرة، نظرا لعدم توفّر أسباب المعيشة ، فيجد الفقير في كل جمعة طعاما طيّبا لا يتيسر له في بيته، فيحصل كل أسبوع على مقدار من طعام ربما يكفيه لأسبوع، حيث أن الأوقاف كثيرة، والطعام مصنوع بكيفية يمكن حفظه لأيام، وكذلك مقدار من اللحم لمن حضر التلاوة في المجلس ينعم به هو وأهله أياما [84]".

- اجتماع الناس بمختلف فئاتهم الاجتماعية وأعمارهم لتنفيذ الأوقاف التي أوصى بها آبائهم وأجدادهم، مما يُنمي فيهم صفة الوفاء والتعاون، مما يُفند نظرية صراع الأجيال بين الشباب والشيوخ.

- تنمية وزيادة الشعور الديني في مختلف أوساط المجتمع، فاختيار القائمين على الأوقاف تنفيذها في مصليات المقابر ليس عبثا أو صدفة، بل هو مقصود، ففي نفس الوقت الذي توزع فيها الأوقاف يشاهد الحاضرون القبور أمامهم، فيتذكرون الموت واليوم الآخر فيتعظون بهذا المشهد الرهيب.

- زرع روح التعاون والتآزر بين مختلف طبقات المجتمع، فكثيرا ما تكون الاستفادة من الأوقاف المختلفة من حق الجميع، والوقف لا يفرق بين الفقير والغني، بل يستفيد منه الجميع، مما ينمّي حُب الخير للغير، فتصبح مصلحة الجماعة قبل مصلحة الفرد قاعدة عامة لدى أغلبية أفراد المجتمع.

خاتمة:

وفذلكة القول، فإن الدارس لتاريخ الأوقاف في المجتمع المزابي الإباضي بالجنوب الجزائري خلال القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين يتعجب من كثرتها وتنوّعها وتغطيتها لمختلف مرافق الحياة المعاشية، خاصة الجانب الاجتماعي، ممّا جعل هذا المجتمع يعيش في كنف الأمن والاستقرار الذي يُحسد عليه . فاهتمام بني مزاب بسُنة الوقف واجتهادهم في تحقيق العدالة الاجتماعية بواسطته؛ أفرز مجتمعا متماسكاً متعاوناً ومتكافلاً لا تظهر فيه الطبقية إلا نادرا. بل إن الهدف الأسمى من كل هذه الأوقاف في النهاية، هو خدمة الصالح العام، ومساعدة الفقراء والمحتاجين، والأرامل واليتامى، وتشجيع المتعلّمين، وخاصة منهم حفظة القرآن الكريم. لذا فقد أعطت هذه الأوقاف ثمارها في العهود الماضية؛ وما زالت تُثمر لحد اليوم برفع الغبن والفاقة والاحتياج عن كثير من الأُسر والأفراد؛ نتيجة صعوبة المعيشة وغلائها في هذا العصر.

إن هذه الأعمال الخيرية، من أوقاف وصدقات؛ لها مقاصد نبيلة لا يُدرك حقيقة مغزاها إلا من عاش في الزمن الماضي في هذه الربوع، خاصة في فترة أحداث الحربين العالميتين، والثورة التحريرية الجزائرية، وما تلاهما. وإن ما تمّ ذكره في هذه الورقة البحثية ؛ ما هو إلا غيض من فيض، إذ توجد في منطقة وادي مزاب أوقافا أخرى لا يتّسع المجال لذكرها، وهي تخصّ جوانب عدّة ، دينية، وعلمية، واقتصادية، ولها علاقة بالجانب الاجتماعي، سواء من قريب أو بعيد، مثل: تخصيص وقف على الكتب والمكتبات، و وقف وقفة عرفة، و وقف كنس الطرق،...إلخ، واكتفينا في هذا البحث بذكر الأوقاف التي تخصّ الجانب الاجتماعي على وجه الخصوص.

ويمكننا تقديم بعض التوصيات؛ كمحاولة لإثراء الموضوع، وهي كالآتي:

الحرص على حسن تسيير وتنفيذ الأوقاف الموجودة، وعدم التساهل أو

التضييع لشيء منها، لأن فيها حفظ للإرث الجماعي من التلف والنسيان؛

إعادة إحياء بعض الأوقاف القديمة، بتفعيلها من جديد وفق طرق وأساليب تتماشى مع العصر؛

تعميم التجربة المزابية في تسيير واستثمار الأوقاف في مناطق أخرى من الوطن؛

تخصيص دراسات أكاديمية حول الأوقاف الإباضية في مزاب والجزائر والعالم تمس مختلف التخصّصات؛

تسجيل وتدوين التاريخ الشفوي للأوقاف(عقود الأوقاف الشفوية) من أفواه كبار السن الذين لهم تجربة طويلة في تسيير الأوقاف، وتدوين ذلك للحفاظ على الذاكرة الجماعية للأمة وصونا لها من الضياع، والقيام بواجب تبليغ جهود وتضحيات الأجداد للأجيال القادمة.

الهوامش والإحالات:

للاستزادة حول هذا الموضوع، ينظر: عبد الجليل التميمي، وثيقة عن الأملاك المحبسة باسم الجامع الأعظم بمدينة الجزائر، منشورات المجلة التاريخية المغربية، تونس، 1980، ص19.ناصر الدين سعيدوني: دراسات تاريخية في الملكية الوقف والجباية في الفترة الحديثة، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2001، ص، ص207 -261. ناصر الدين سعيدوني: دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988، ج2، ص، ص43 -63. وأيضا:

VOULX (A), Notices historiques sur les mosqués, in, R.A, 4/1859-1860, p467.

أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء: علاّمة لغوي من مصنّفاته: فقيه العرب وكتاب مجمل اللغة. ينظر: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، سير أعلام النبلاء ، مؤسسة الرسالة، ط11، 1417هـ/1996م ،ج17،ص103.

منذر عبد الكريم القضاة: أحكام الوقف دراسة قانونية فقهية مقارنة بين الشريعة والقانون، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط2، عمان، الأردن، 1436هـ/2015م، ص42.

أحمد بن فارس بن زكريا، أبي الحسين: معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، ج6، دار الفكر للطباع والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، لبنان، 1991م،

ص135.

جمال الدين محمد مكرم ابن منظور: لسان العرب، المجلد9، دار صادر، ط1، بيروت، لبنان،1300هـ/1879م، ص359.

يوسف القرضاوي: نظام الوقف في الفقه الإسلامي في ضوء النصوص والمقاصد الشرعية، دار المقاصد للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، جمهورية مصر العربية، 1436هـ/2015م، ص31. وأيضا: محمد كنازة: الوقف العام في التشريع الجزائري، دراسة قانونية مدعّمة بالأحكام والقرارات القضائية، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر،2006،ص10.

محمد بن يعقوب مجد الدين الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ط3، المطبعة الأميرية، مصر، د.ت، ص537.

ابن منظور: المصدر نفسه، ص97.

عبد الرزاق بن عمار بوضياف: مفهوم الوقف كمؤسسة مالية في الفقه الإسلامي والتشريع، نشر دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، (د.ت)، ص27.

منذر عبد الكريم القضاة: أحكام الوقف...، مرجع سابق، ص43.

منذر عبد الكريم القضاة: أحكام الوقف...، مرجع سابق، ص43. مراد عزاز وعبد الرزاق عثمانية: الوقف فقها، تشريعا وقضاء، دار البلاغ، (د.ت)، ص ص 7 - 8.

محمد أبو زهرة: محاضرات في الوقف، دار الفكر العربي، ط2، القاهرة، 1972م، ص40.

محمد كنازة: الوقف العام ...،مرجع سابق، ص13. وأيضا: عبد الرزاق بوضياف: مفهوم الوقف، مرجع سابق، ص28،

محمد كمال الدين إمام: الوصية والوقف في الإسلام مقاصد وقواعد، منشأة المعارف، ط1، الإسكندرية، 1999م، ص189.

منذر قحف: الوقف الإسلامي تطوره إدارته تنميته، دار الفكر المعاصر، دمشق، سوريا، 2000م، ص62.

عبد الرزاق بوضياف: مفهوم الوقف، مرجع سابق،ص31.

ناصر الدين سعيدوني : الأوقاف بفحص مدينة الجزائر ، في مجلة دراسات إنسانية، عدد خاص بالوقف، ماي 2001، ص30.

تُشير المصادر العثمانية إلى أن الأوقاف في العهد العثماني لاقت عناية كبيرة من الدولة في كامل العالم الإسلامي؛ فقد حظيت بالاهتمام اللائق بها بعد تطور هذا المفهوم وإقبال

المسلمين عليها في شتى الأمصار وعلى مختلف العصور. ينظر: مصطفى عبد الغني: الأوقاف على القدس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 2006م، ص61.

تعتبر مؤسسة أوقاف الحرمين الشريفين (مكة المكرمة والمدينة المنورة)، من أقدم المؤسسات بمدينة الجزائر خاصة والجزائر عامة، حيث احتلت هذه المؤسسة الصدارة على باقي مؤسسات الأوقاف القائمة بالجزائر في العهد العثماني، واستمدت أهميتها من المكانة المرموقة التي تحتلها الأماكن المقدسة في نفوس الجزائريين الذين أوقفوا عليها كثيرا من ممتلكاتهم، مما جعلها في طليعة المؤسسات الخيرية من حيث عدد الأملاك التي تعود إليها والأعمال الخيرية التي تقوم بها، وقد لاحظ فيليب فالير Vallir (Philipe) قنصل فرنسا بالجزائر أواخر القرن 18م مدى اتساع وانتشار أوقاف الحرمين الشريفين وكتب ما نصه:"...إن أوقاف الحرمين واسعة الانتشار بمدينة الجزائر، وسيأتي اليوم الذي ستستحوذ فيه مؤسسة الحرمين الشريفين على جميع العقارات...". وما يمكن قوله إن مؤسسة الحرمين الشريفين كانت تشرف عشية الاحتلال الفرنسي بمدينة الجزائر على حوالي ثلاثة أرباع الأملاك المحبسة حسب دراسة أنجزها جانسانس بوسون(Janssens Busson)؛ أي بحوالي أكثر من 1500 وقفا من منازل ودكاكين ومخازن وأفران خبز، ومطاحن، وفنادق، ومقاهي، بساتين،و أفران جير ، وكانت تدر مداخيل قدّرها الباحث المؤرخ ناصر الدين سعيدوني بحوالي 4.322.270 فرنكا. للمزيد من التفاصيل ينظر: ناصر الدين سعيدوني: دراسات تاريخية في الملكية...،مرجع سابق،ص -ص207 -261. عائشة غطاس: الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر، 2007م، ص242. صالح عباد: الجزائر خلال الحكم التركي، دار هومة، الجزائر، 2005م، ص56.

صالح خرفي: الجزائر والأصالة الثورية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1977م، ص171.

ناصر الدين سعيدوني: الحياة الريفية بإقليم مدينة الجزائر دار السلطان أواخر العهد العثماني(1871 -1830م)، دار البصائر، الجزائر، 2012م، ص ص235 - 236.

Marcel Mercier : Etude sur le waqf abadhite et ses applications au Mzab, Ancienne Maison Bastide- Jourdan, Jules Carbonel, Alger, 1927,p 105.

محمد بن صالح زرقون: أوقاف التمور في قرى وادي مزاب، دراسة ميدانية - بلدة آت يزجن نموذجا - ط2، طبع المطبعة العربية، بنورة، غرداية، نشر جمعية التراث، القرارة، غرداية، الجزائر، أكتوبر 2018م، ص16.

إبراهيم بن محمد طلاي : مزاب بلد كفاح؛ دراسة تاريخية اجتماعية، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 1970م، ص ص76 -77.

Marcel Mercier : Op.cit. p09-31.

مجموعة من الباحثين: معجم مصطلحات الإباضية، جزأين، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، ط2، سلطنة عمان، 1432هـ/2011م، ص1089.

ينظر: دفتر تمليكات حبوس وأوقاف عراجين بغابات غرداية لمقبرة الشيخ عمي سعيد، مخطوط بخط الكاتب كاس بن بابة صالح، رقم الفهرس30، الرقم في الخزانة 1، مكتبة الشيخ عمي سعيد، غرداية، و6.

مما جرى العرف عليه في قرى وادي مزاب أن يُوقف الفلاحون مجموعة من عراجين التمر للمسجد، نظرا لما يُصيب فلاحتهم أحيانا من الآفات، فيتصّدقون بمقدار منها رجاء أن يحفظها الله، وذلك مصداقا لقول رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " حَصِّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ ، وَدَاوُوا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ ، وَاسْتَقْبِلُوا أَنْوَاعَ الْبَلايَا بِالدُّعَاءِ" رواه الطبراني. ينظر: موسى بن الحاج ابراهيم قزريض: الأوقاف بوادي مزاب، تنوباوين نموذجا، مشروعيتها وكيفية أدائها، (د.د.ن)، ط2، (د.م.ن)، 2016م، ص14.

من بين السواقي والقنوات المعروفة والموجودة في الواحة: تَسَمْبَاضْ نبوشْمَجَان، لَمصَارَفْ، تيرجوين...الخ.

من بينها في مدينة غرداية: أَحْبَاس نبُوشَن، أَحْبَاسْ أجْدِيد، أَحْبَاسْ نْتِيزْوَتْ، أَحْبَاسْ نتوزُوزْ وغيرها.

ويكون ذلك خاصة في مناسبة إحياء ليلة المولد النبوي الشريف بالمسجد العتيق، وفي رمضان لإحياء سنة صلاة القيام (التراويح). ينظر: القرادي: مرجع سابق، ص152.

إبراهيم طلاي: المرجع السابق، ص ص76 -77.

الحاج أمحمد بن يوسف أطفيش: ترتيب التلاتي، مخطوطة، ص164.

مقابلة أجراها الباحث مع السيد محمد بن أيوب الحاج سعيد بمكتبة جمعية الشيخ أبي إسحاق أطفيش، غرداية ، يوم 04 جانفي 2017م؛ على الساعة 10:30 صباحاً.

تنافس المزابيون، منذ القديم في هذا المجال؛ كما في غيره ابتغاء الأجر الأخروي، لتوفير هذه المادة الحيوية لجميع السكان دون استثناء، فبعدما كان الماء قديما يُنقل من آبار الماء العذب بالواحة بواسطة القرب التي تحملها الدواب عبر أزقة القصر القديم، تطور هذا الوقف حاليا؛ فأصبح الماء العذب يجري عبر قنوات لعدّة كيلومترات - أُنشئت خصيصا لهذا الوقف - من البئر الرئيسي الموجودة في الواحة إلى جُل أحياء المدينة. أما

الأحياء التي لم تصلها القناة بعد فقد أُوقف لها عدة شاحنات مجهزة بخزان الماء تجوب الشوارع والأحياء لتُفرغ مياهها إما في خزانات وقفية بناها المحسنون خصيصا لذلك؛ أو مباشرة في أوعية السكان، وهذا طول أيام السنة، خاصة في فصل الصيف وفي شهر رمضان الذي يتضاعف فيه الأجر والثواب.

لقد إعتاد المزابيون منذ أمد بعيد تحبيس قِرب (مُفردها قِربَةٌ) من الماء العذب للشرب على المسجد، خاصة في فصل الصيف؛ وفي شهر رمضان، أو ماء للوضوء والتطهّر للصلاة. ويُسجل ذلك في"كراس العزّابة "بالمسجد. وفي هذا الصدد يتحدّث الشيخ القرادي في معرض كلامه عن الأوقاف في بلدته، حيث يقول: " ونحن إذا تصفحنا هذا الكراس ؛وجدنا مثلا: " أوصى فلان بن فلان بعشرين قربة ماء عذب تُسقى في الصيف للمسجد العتيق بالعطف، وعلّقها في داره الكائنة في الشارع الفلاني التي دخلت ملكه بالشراء من فلان أو بالإرث من والديه. " ينظر: القرادي: مرجع سابق، ص152. إلا أن هذا الوقف– الخاص بالماء العادي - لا وجود له حاليا لتوفره في ميضأة المسجد (المكان المخصّص للوضوء)، بواسطة قنوات الماء من الخزان العمومي للبلدة مباشرة، هذا بالنسبة لماء الوضوء. أما بالنسبة لوقف الماء العذب للشرب فمازال قائما إلى اليوم، حيث تطورت وسيلة نقله من القرب - التي تُحمل على البهائم من الواحة إلى المسجد - إلى قناة توصل الماء مباشرة ودون توقف من بئر للماء العذب، تدعى " عين بوشن " في واحة غرداية إلى خزانات المساجد في البلدة.

موسى قزريض: المرجع السابق، ص ص 18 - 19.

تينُوبَاوِين: مفردها تِنُوبَا، وهي كلمة أمازيغية بالمزابية يبدو أن أصلها لغة من الكلمة العربية النَوبة، بمعنى التناوب على إطعام الطعام، وقد اتسع استعماله لدى المزابيين ليشمل منافع عدّة، يتعاقب عليها أفراد المجتمع في أزمنة وأماكن محددة. ينظر: مجموعة من الباحثين، معجم مصطلحات الإباضية، المرجع نفسه، ص159. وأيضا: قزريض، مرجع سابق، ص19.

إبراهيم طلاي: المرجع السابق، ص ص76 -77.

يرى البعض أن أول مؤسّس لتِنُوبَاوِينْ في المقابر، هو الشيخ عمي سعيد الجربي(ت. 927هـ/1521م)، الذي ضبط أمورها وقنّن شروطها، ثم من بعده ابنه صالح الذي واصل مسيرة أبيه فأحكم معالمها، فأصبحت سارية المفعول تُشرف عليها حلقة العزابة بالمسجد التي تعلن ابتداء موسمها وتتابع تنفيذها من المعنيين بها. وهناك من الدارسين من يرجع أصل تِينُوبَاوِيْن بوادي ميزاب إلى عهد أبي عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي النفوسي

مؤسّس حلقة العزابة في القرن 05ه/11م، حيث كان ينتقل في رحلات لنشر العلم فكان طلبته يكرمونه بالطعام والإيواء في المكان الذي ينزل فيه ليتفرغوا للمهمة التي جاؤوا لأجلها، ثم تحول هذا الإطعام إلى أوقاف قارة لهم. وفي الأمر تشجيع على لزوم طلب العلم وحفظ كتاب الله تعالى. ينظر: يوسف بن بكير الحاج سعيد: تاريخ بني ميزاب...،مرجع سابق، ص124. فتيحة يطو: نضال المزابيين ضد مصادرة فرنسا للأوقاف الإباضية، في مجلة الناصرية، المجلد 07،العدد01، جامعة مصطفى اسطمبولي بمعسكر،الجزائر، جوان،2016،ص302. بالحاج قشار: عوائد مزاب سنن لا تقاليد، تهذيب وتخريج: أحمد حمو كروم، ط02، د.د.ن، د.م.ن، 1428هـ/2007م، ص92. وأيضا: موسى قزريض: المرجع السابق، ص22 .

المُدّ: بضم الميم (مكيال قديم لقياس الحجم) .وسُمي مُداً لأنه قدر ما تمتد به اليد من العَطَاء. ويُطلق عليه بالمزابية " أَعْيَارْ "، والحثية: تسمى "تجلي"؛ ومقدارها اثنا عشر مُداً. ينظر: القرادي: مرجع سابق، ص158.

إن الطعام الذي يوزّع في المقابر يُحضَّرُ بكيفية خاصة، فهو يُفَور - إن صح التعبير - مرة واحدة فقط، وذلك ليتمكن الناس من تجفيفه وحفظه لمدة أسابيع، والكمية التي يحصل عليها الشخص قد تكفيه لمدة أسبوع، ومن هنا يظهر أن المقصود هو تخفيف وطأة الفقر على المحتاجين. ينظر: القرادي: المرجع نفسه، ص156.

كان بني مزاب قبل الاحتلال الفرنسي يصنعون بأنفسهم هذه المكاييل والموازيين، كما يقومون باختبارها وجعل علامة عليها في المسجد على يد أحد الأمناء، تبقى فيها ما دامت لم تنكسر ولا تزال هذه المكاييل مستعملة في تنفيذ الأوقاف إلى اليوم. ينظر: القرادي: نفسه، ص158.

النقاصة: وتسمى بالمزابية " تجدُويت"، وتُستعمل لكيل السوائل وهي مصنوعة من الفخار، ولها نصف وربع لا يزال يجري بها العمل حتى اليوم. وتختلف مقاديرها باختلاف القرى، فهي تتراوح ما بين 2 كيلو غرام إلى تسعمائة غرام تقريبا من السمن، إذا سُخن سال وسهُل كيله. ينظر: القرادي: نفسه، ص158.

بالحاج قشار: مرجع سابق، ص91.

هي مدارس تُشرف عليها جمعيات أو مساجد في وادي مزاب، غير خاضعة للتنظيم الرسمي الحكومي، نشأت في العشرينيات من القرن العشرين، وهي تطور لنظام المحاضر التقليدي، يُمولُها أفراد المجتمع من التبرعات و أوقاف المحسنين. تهدف هذه المدارس إلى المحافظة على الشخصية الإسلامية، وذلك عن طريق التركيز على التعليم القرآني

والمواد الشرعية، حيث أسهمت في النهضة الحديثة بمزاب، وفي مواجهة حملات التنصير والمسخ للشخصية الوطنية الجزائرية في مختلف الحقب الحديثة. كما شكّل التعليم العربي الحر بديلا للتعليم الرسمي بالنسبة للبنات المزابيات، حيث يأخذ هذا الأخير بالتعليم المختلط والتوجه العلماني. ومن دوافع حفاظ الإباضية المزابيين المعاصرين عليه واستمراره بعد الاستقلال الوطني أن مناهج التعليم الرسمي في كل الأطوار ظلّت تتجاهل تدريس المذهب الإباضي ضمن المذاهب الإسلامية. ينظر: مجموعة من الباحثين، معجم مصطلحات الإباضية، ج2، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، ط2، سلطنة عمان، 1432هـ/2011م، ص ص726 -727.

محمد ناصر بوحجام: الجمعيات الخيرية بوادي ميزاب، في جريدة المجاهد، ع 1452، لـ 3 جوان 1988، ص 52. قاسم الشيخ بلحاج : التعليم القرآني في الجزائر خلال القرن العشرين وأدواره الحضارية -منطقة وادي ميزاب أنموذجا، في مجلة الصراط،المجلد02، العدد02، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر01، جويلية 2014، ص ص183 - 200. فتيحة يطو: مرجع سابق، ص319.

مصطفى رباحي: الأوقاف الإباضية؛ دراسة حالة الأوقاف الإباضية بوادي ميزاب"غرداية"، مذكرة مُقدّمة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع الثقافي التربوي، إشراف د/محفوظ سماتي، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2006 -2007، ص116.

هي تسمية بالمزابية للوقف الذري أو الأهلي، وهو وقف يوصى به للأبناء الذكور وأبنائهم من بعدهم ما تناسلوا .ينظر: مجموعة من الباحثين، معجم مصطلحات الإباضية، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، ط2، سلطنة عمان، 1432هـ/2011م،ج2،ص1090.

محمد الحاج سعيد، مقابلة سابقة أجراها معه الباحث.

ناصر بلحاج : المرجع السابق، ص ص68 -69 .

المرجع نفسه، ص ص68 -69 .

العزّابة: هيئة تقوم مقام إمامة الظهور في مسلك الكتمان عند إباضية المغرب، أسّس هذا النظام الشيخ أبو عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي النفوسي (ت.440 هـ/1049م) في أوّل حلقة له في "بَلْدَة اَعْمَر" بالقرب من مدينة تقرت في وادي ريغ بالجنوب الجزائري ، وذلك سنة 409هـ/1018م ، ولا يزال العمل به مستمرا إلى يومنا في قصور وادي ميزاب و ورقلة (وارجلان). من مهام الهيئة العناية بشؤون المجتمع الدينية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية، والإشراف على الأوقاف...الخ. ولأعضاء حلقة العزابة لباس خاص

يلتزمون بارتدائه في المسجد وفي المناسبات الرسمية، ولهم مقر في المسجد يجتمعون فيه، يسمى تامنايت، كما لكل قصر من قصور مزاب حلقة عزابة خاصة بها، تمثل الهيئة العليا في القصر، وتمثل حلقات عزابة القصور في هيئة أعلى تجمعها، تسمى مجلس الشيخ عمي سعيد، وهي أعلى هيئة في هرم التنظيم الاجتماعي في وادي مزاب. ينظر: مجموعة مؤلفين: معجم مصطلحات الإباضية...، مرجع سابق، ص ص 402 -703.

في الحقيقة الأمر تتمثل مسؤولية المسجد في السهر على استمرارية الوقف، أما التنفيذ الفعلي؛ أي الالتزام بأداء الوقف، فيكون دائما عن طريق أصحاب الوقف وأبناء الأوصياء أو المستغلين للملك وهم مسؤولون عن أداء ذلك محاسبون لدى وكلاء الوقف. ينظر: إبراهيم أبي اليقظان: رسالة الإسلام ونظام المساجد في وادي مزاب، مخطوط، توجد نسخة لدى الشيخ أحمد كروم، 1387هـ/ 1967م، ص45.

المحاضر أو لمحاضر: جمع محضرة، هي كتاتيب تقع جنب المسجد وتابعة له، يتم فيها تحفيظ القرآن الكريم للصبيان من طرف ثلاثة فقهاء من حلقة العزابة.

حيث تُوزّع هذه الأوقاف وما يُجمع من المتصدقين، وغالبا ما يكون خُبزا وتمرا، وكُسكُسا مطهيا بكيفية خاصة يدعى (أشو نَتنُوبة) مع قطع من اللحم، تُعدُه الأمهات في بيوتهن، تُوزع كوقف في المقبرة باسم المتوفى من كل عائلة، كصدقة جارية. ينظر: ناصر بلحاج: مرجع سابق، ص69.

يوسف الحاج سعيد: تاريخ بني مزاب...، مرجع سابق، ص ص 165 -166.

الوظائف مُفردها "وظيفٌ" أو "وظيفةٌ"، ويُقصد بها المواضع التي تُنفق فيها الأوقاف من لدن المسجد، ففي مسجد بني يزقن مثلا يوجد خمسة وأربعون وظيفا. ينظر: مجموعة مؤلفين: معجم مصطلحات الإباضية، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، ط1، مسقط، سلطنة عمان،1429هـ/ 2008م، ج2،ص 1080.

فتيحة يطو: مرجع سابق، ص307.

عن زيد بن خالد الجُهني رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ غَيْرَ أَنَّهُ لا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْئًا ". رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح. ينظر: أبي زكريا محي الدين بن شرف النووي الدمشقي، شرح رياض الصالحين، شرح وتعليق محمد إلياس الباره بنكوي، نشر مكتبة العلم، طبعة جديدة محقّقة ومنقّحة، دلهي الجديدة، الهند، 1434هـ/2013م، ص527.

زرقون: مرجع سابق، ص21.

زرقون: المرجع نفسه، ص ص26 -27.

الحاج أيوب إبراهيم بن يحيى الشهير بالقرادي: رسالة في بعض أعراف وعادات وادي مزاب، تحقيق وتقديم: يحيى بن بهون حاج أمحمد، دار مساحات المعرفة، درارية، الجزائر، طبعة خاصة، 2015م، ص154.

أغلب هذه الأوقاف تنفّذ في فصل الشتاء، ومنها ما ينفذ صيفا في المساء فقط، فيُفرق القرآن أحزابا وتكون الختمة وتوزيع الصدقات، ولها أنظمة وشروط استحقاق معروفة لدى كل المساجد. ينظر: بالحاج بن عدون قشار: عوائد مزاب سنن لا تقاليد، تهذيب وتخريج: أحمد حمو كروم، ط02، د.د.ن، د.م.ن، 1428هـ/2007م، ص94.

ليست كل قرى مزاب على وتيرة واحدة في عدد الأسابيع التي ينتقل فيها الطلبة بين هذه المقابر، ففي غرداية 14 جمعة، وفي العطف12 جمعة في مختلف المقابر، وفي مليكة 07، وفي بنورة07، وفي بني يزقن08، وفي القرارة 02، وفي بريان كذلك جُمعتان. ينظر: القرادي: رسالة في بعض أعراف وعادات وادي مزاب، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

القرادي: مرجع سابق، ص152.

إِرْوَانْ جمع مفرده "إِيْرُو"، وهو لفظ أمازيغي بالمزابية؛ يعني باللغة العربية طالب العلم الذي حفظ القرآن الكريم وتفرغ للدراسة غالبا، ويتشكل من مجموع هؤلاء الطلبة هيئة إروان (قدماء التلاميذ). ينظر: مجموعة من الباحثين: معجم المصطلحات الإباضية، ط1،ج1، سلطنة عمان،2008،ص86.

سورة البقرة، الآية:203.

المقصود هنا بغلق الباب، هو منع الدخول إلى مجلس الذكر، لأن الوقت قد فات بكثير، ومعظم من يأتي متأخرا فهو يريد الكسكس واللحم فقط، وبما أنه لم يقرأ الكثير، فإنه يجلس خارج الحلقة للاستماع. ينظر: القرادي: المرجع نفسه، ص154.

كلمة مزابية مأخوذة من العربية " رَجُلٌ "، والمقصود بها في حدود علمنا، أن التلميذ بعد حفظه واستظهاره لقسط معين من القرآن، يحق له الجلوس في حلقة التلاوة مع الكبار؛ فيُعد من مصاف الرجال.

سورة البقرة، الآية:233.

بالحاج بن عدون قشار: مرجع سابق، ص92.

هوالشيخ بابا والجمة (محمد بن يحي) (ت. 567هـ/ 1171م). وفي المقبرة ضريح الشيخ حمو بابا وموسى تلميذ قطب الأيمة "الشيخ اطفيش" رحمهم الله.

أَلاَيْ: ومعناها بالعربية الطلوع، ويقصد به انتقال الناس من الواحة نحو القصر، وهي عادة قديمة معروفة في قرى مزاب، حيث تجتمع العائلات المتجاورة في نفس بالواحة مع

بعضها ويتناولون مع بعض طبخة " إِوْزَانْ " ويتسامحون فيما بينهم ويودّعون بعضهم البعض على أمل الالتقاء في الصيف القادم– جاوروا بعضهم في الواحة صيفا فقط - ويُلبسون الأولاد الصغار والبنات اللباس المزابي التقليدي المعروف احتفالا بهذه المناسبة السنوية.

إمحراص: كلمة مأخوذة من فعل حرص، وهم مجموعة من الإباضية الفارين من بطش الفاطميين الشيعة بعد سقوط الدولة الرستمية سنة 296هـ/909م، وشهداء إمحراص هم النازحون من تيهرت. ولهم مقبرة تحمل اسمهم حاليا في وسط مدينة غرداية.

القرادي: مرجع سابق، ص ص 156 - 157.

أبو القاسم (ويرد: بلقاسم) بن يحيى ابن أبي القاسم بن محمد الغرداوي المصعبي (ت.1101هـ/ 1690م)، من مشايخ غرداية الأفذاذ، أخذ عنه العلم ابنه محمد الشهير بالشيخ حمو والحاج، وهما حلقتان في سلسلة نسب الدين. ترك عدّة مؤلّفات؛ منها: "شرح الأجرومية" (مخطوط)، وقد نسبه البعض خطأ لابنه حمو والحاج،"أجوبة" في عدّة مواضيع(مخطوط)، و" قصائد شعرية مختلفة " (مخطوط). ينظر: مجموعة مؤلفين: معجم أعلام الإباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الحديث، قسم المغرب الإسلامي،ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1421هـ/2000م، الترجمة رقم:753.

أبو القاسم بن يحيى: سير أهل غرداية، نسخة مخطوطة في خزانة مخطوطات عشيرة آل يدر ببني يزقن، غرداية، الرقم في الفهرس:267.

مقابلة شفوية مع السيد باحمد بن باسعيد الحاج سعيد، بدار بغباغة، واحة غرداية، يوم 20 أفريل 2018م، على الساعة: 10 صباحا.

موسى قزريض: المرجع السابق، ص23.

المرجع نفسه، ص ص44 - 45.

لفظة اغلان هي مصطلح مزابي؛ تعني الوطن الصغير بلاد مزاب.

موسى قزريض: مرجع سابق، ص50 .

بالحاج بن عدون قشار: مرجع سابق، ص93 ، وأيضا: القرادي: مرجع سابق، ص153.

- **قائمة المصادر والمراجع المعتمدة:**

- القرآن الكريم بروَايَةِ وَرْش عَن نَافِع.

المخطوطات:

- أبو القاسم بن يحيى: سير أهل غرداية، نسخة مخطوطة في خزانة مخطوطات عشيرة آل يدر ببني يزقن،غرداية، الرقم في الفهرس:267.

- أبو اليقظان إبراهيم بن عيسى حمدي (1387هـ/1967م): رسالة الإسلام ونظام المساجد في وادي ميزاب ، مخطوط ، توجد نسخة لدى الشيخ أحمد كروم بالعطف ولاية غرداية.

- أطفيش أمحمد بن يوسف: ترتيب لقط التلاتي ليوم الحرّ الآتي، مخطوطة، خزانة مخطوطات الشيخ حمو بابا وموسى الغرداوي، وسط مدينة غرداية.

- دفتر تمليكات حبوس وأوقاف عراجين بغابات غرداية لمقبرة الشيخ عمي سعيد، مخطوط بخط الكاتب كاس بن بابة صالح، رقم الفهرس30، الرقم في الخزانة01، مكتبة الشيخ عمي سعيد، غرداية.

- **الكتب المطبوعة باللغة العربية:**

- أبو زهرة محمد(1972): محاضرات في الوقف، دار الفكر العربي، ط2، القاهرة، مصر.

- أطفيش أمحمد بن يوسف(1407هـ/1987م): شرح كتاب النيل وشفاء العليل،ج3، ج12، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، سلطنة عمان.

- أطفيش أمحمد بن يوسف(1424هـ/ 2003م.): تيسير التفسير،ج10، تحقيق وإخراج: إبراهيم طلاي، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر.

- إمام محمد كمال الدين (1999): الوصية والوقف في الإسلام مقاصد وقواعد، منشأة المعارف، ط1، الإسكندرية، مصر.

- بوضياف عبد الرزاق بن عمار(2010): مفهوم الوقف كمؤسسة مالية في الفقه الإسلامي والتشريع، نشر دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر.

- التميمي عبد الجليل (1980): وثيقة عن الأملاك المحبسة باسم الجامع الأعظم بمدينة الجزائر، منشورات المجلة التاريخية المغربية، تونس.

- الحاج سعيد يوسف بن بكير(2006): تاريخ بني مزاب، ط2، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر.

- خريف صالح (1977): الجزائر والأصالة الثورية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

- الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد (1417هـ/1996م): سير أعلام النبلاء،ج17، ط11،مؤسسة الرسالة.

- الركبي محمد(1925): الوقف، نشر مكتبة بغداد الجامعية، العراق، (د.ط).

- زرقون محمد بن صالح(2018): أوقاف التمور في قرى وادي مزاب، دراسة ميدانية(بلدة آت يزجن نموذجا)، ط2، طبع المطبعة العربية، بنورة، غرداية، ونشر جمعية التراث، القرارة، غرداية، الجزائر.

- سعيدوني ناصر الدين(1988): دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

- سعيدوني ناصر الدين(2001): دراسات تاريخية في الملكية الوقف والجباية في الفترة الحديثة، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.

- سعيدوني ناصر الدين(2012): الحياة الريفية بإقليم مدينة الجزائر دار السلطان أواخر العهد العثماني(1871 -1830م)، دار البصائر، الجزائر.

- طلاي إبراهيم بن محمد (1970): مزاب بلد كفاح، دراسة تاريخية اجتماعية، دار البعث، قسنطينة، الجزائر.

- عباد صالح (2005م): الجزائر خلال الحكم التركي، دار هومة، الجزائر.

- عبد الغني مصطفى(2006م): الأوقاف على القدس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر.

- عزاز مراد و عثمانية عبد الرزاق: الوقف فقها، تشريعا وقضاء، دار البلاغ، د.ط، د.ت، د.م.

- عيسى محمد(1999م): فقه الوقف وإدارته في الإسلام، محاضرة مطبوعة ملقاة في دورة الأوقاف الإسلامية بالجزائر.

- غطاس عائشة(2007م): الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر.

- قحف منذر (2000): الوقف الإسلامي تطوره إدارته تنميته، دار الفكر المعاصر، دمشق، سوريا.

- القرادي الحاج أيوب إبراهيم بن يحيى (2015): رسالة في بعض أعراف وعادات

وادي مزاب، تحقيق وتقديم: يحيى بن بهون حاج أمحمد، طبعة خاصة، نشر دار مساحات المعرفة، درارية، الجزائر.

- القرضاوي يوسف (1436هـ/2015م): نظام الوقف في الفقه الإسلامي في ضوء النصوص والمقاصد الشرعية، دار المقاصد للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.

- قزريض موسى بن الحاج ابراهيم (2016): الأوقاف بوادي مزاب، تنوباوين نموذجا، مشروعيتها وكيفية أدائها، د. د.ن، ط2، د.م.ن.

- قشار بالحاج بن عدون(1428هـ/2007م): عوائد مزاب سنن لا تقاليد، تهذيب وتخريج: أحمد حمو كروم، ط02، د.د.ن، د.م.ن.

- القضاة عبد الكريم منذر(1436هـ/2015م): أحكام الوقف دراسة قانونية فقهية مقارنة بين الشريعة والقانون، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط2، عمان، الأردن.

- كنازة محمد (2006): الوقف العام في التشريع الجزائري، دراسة قانونية مدعمة بالأحكام والقرارات القضائية، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر.

- ناصر بلحاج بن باحمد (1439هـ/2018م): النُظم والقوانين العرفية بوادي مزاب في الفترة الحديثة، تقديم: إبراهيم بن بكير بحاز، جمعية التراث، القرارة، غرداية، الجزائر.

- النووي أبي زكريا محي الدين بن شرف (1434هـ/2013م): شرح رياض الصالحين، شرح وتعليق محمد إلياس باره بنكوي، نشر مكتبة العلم، طبعة جديدة محققة منقحة، دلهي الجديدة، الهند.

الدوريات:

- بن يوسف إبراهيم(2001): من أجل مقاربة عمرانية لمسألة الأوقاف، تقرير الندوة العلمية حول الوقف في الجزائر، مجلة دراسات إنسانية، عدد خاص، جامعة الجزائر.

- بوحجام محمد ناصر: الجمعيات الخيرية بوادي ميزاب، في جريدة المجاهد، ع 1452، د 3 جوان 1988.

سعيدوني ناصر الدين (2001): الأوقاف بفحص مدينة الجزائر، في مجلة دراسات إنسانية، عدد خاص بالوقف.

- الشيخ بلحاج قاسم(2014): التعليم القرآني في الجزائر خلال القرن العشرين وأدواره الحضارية -منطقة وادي ميزاب أنموذجا، في مجلة الصراط، المجلد02، العدد02، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر01.

- يطو فتيحة(2016م): نضال المزابيين ضد مصادرة فرنسا للأوقاف الإباضية، في مجلة الناصرية،المجلد 07، العدد01، جامعة مصطفى اسطمبولي بمعسكر، الجزائر.

المعاجم والقواميس بالعربية:

- ابن منظور، جمال الدين محمد مكرم(1300هـ/1879م): لسان العرب، المجلد9، دار صادر، ط1، بيروت، لبنان.

- أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا(1991م): معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، ج6، دار الفكر للطباع والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، لبنان.

- الزركلي خير الدين (2002م): الأعلام، دار العلم للملايين، ط15، دمشق، سوريا.

الفيروز آبادي مجد الدين محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، ط3، المطبعة الأميرية، مصر، (د.ت).

- مجموعة من الباحثين (1432هـ/2011م): معجم مصطلحات الإباضية، جزأين، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، ط2، مسقط، سلطنة عمان.

- مجموعة مؤلفين(1421هـ/2000م): معجم أعلام الإباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الحديث، قسم المغرب الإسلامي، ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.

مقابلات شفوية:

- الحاج سعيد محمد بن أيوب: مقابلة أجراها الباحث معه بمكتبة جمعية الشيخ أبي إسحاق أطفيش، غرداية ، يوم 04 جانفي 2017م؛ الساعة 10:30 صباحاً.

- الحاج سعيد باحمد بن باسعيد: مقابلة أجراها الباحث معه في دار بغباغة، بواحة غرداية، يوم 20 أفريل 2018م، الساعة: 10 صباحا.

رسائل جامعية:

- رباحي مصطفى: الأوقاف الإباضية؛ دراسة حالة الأوقاف الإباضية بوادي ميزاب"غرداية"، مذكرة مُقدّمة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع الثقافي التربوي، إشراف د/ محفوظ سماتي، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2006 -2007.

المراجع باللغة الأجنبية:

- DEVOULX (A) : Notices historiques sur les mosqués et autres édifices religieux d'Alger, in, R.A, 4/1859-1860

- Marcel Mercier : Etude sur le waqf abadhite et ses applications au M'Zab, Jules Carbonel Imprimeur – éditeur Algiers 1927.

مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ر ت م د: 7163 -1112 ر ت م د إ:1892-2588
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2

الأنساق الثقافية المضمرة في رواية " الجازية والدراويش " لعبد الحميد بن هدوقة

- قراءة في خطاب الأقوال المضمرة -

Embedded cultural formats In the novel "Al-Jazia and Al-Daraweesh" by Abdul Hamid bin Haddouqa -Reading in the speech of implicit sayings

إبراهيم براهمي
قسم اللغة والأدب العربي. جامعة 8 ماي 1945 قالمة: brahimi12@hotmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/03/03 تاريخ القبول: 2021/07/22

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن جانب من الأنساق الثقافية المضمرة في رواية " الجازية والدراويش"؛ وهي أحد الأعمال البارزة التي أعطت لصاحبها حين ظهورها الزخم والحضور المتميز في الأوساط الأدبية؛ لأنها عبرت عن مرحلة جديدة من مساره الروائي، وبما أضمرته من بنى عميقة أحكمت بناء السرد الحكائي، وبما وفرته للأجيال الجديدة حينئذ من الطرائق الجمالية للسرد وأساليبه، ولقد كانت الرواية في تكوينها حبلى بالرموز الإبداعية التي يتداخل فيها التاريخي بالسياسي، والأسطوري بالواقعي؛ فعكست رؤية النخب الجزائرية وتطلعاتها لقضايا الواقع الاجتماعي والثقافي.

تحاول هذه الدراسة مع هذا التوهج الإبداعي المتميز لنص هذه الرواية إلى طرح التساؤل مجددا -وانطلاقا من المقاربة الثقافية -عن المعاني المتخفية داخل نص الرواية؛ وباعتبار الرواية منتجا ثقافيا ينقل روح المجتمع في تقاليده وطقوسه، فإننا نتسأل عن أهم الأنساق الثقافية التي تمثلتها الرواية، وأحكمت مخيالها؛ ويأتي في صدارتها النسق الاجتماعي، فالنسق السياسي، ثم النسق الحضاري المرتبط بالتراث والتاريخ.

المؤلف المرسل: إبراهيم براهمي: brahimi12@hotmail.com

الكلمات الدالة:

النسق الثقافي، الرواية، السرد، المضمر، التمثلات الاجتماعية، الجزائر، التراث.

Abstract

This Intervention Aims To Reveal An Aspect Of The Cultural Patterns Implied In The Novel "Jazia And The Daraweesh"; It Is One Of The Prominent Works That Gave Its Owner At The Time Of Its Emergence The Distinctive Momentum And Presence In Literary Circles, Because It Expressed A New Stage Of His Narrative Path, And With The Deep Structures That Governed Building The Narrative Narration, And The Aesthetic Methods And Methods It Provided To The New Generations Then, Of The Aesthetic Methods And Methods Of The Narration, And The Novel Was Pregnant With Creative Symbols In Which The Historical And Political Myth Overlapped With Realism; It Reflected The Vision Of The Algerian Elites And Their Aspirations For Issues Of Social And Cultural Reality.

This Intervention With This Distinguished Creative Glow Of The Text Of This Novel Tries To Raise The Question Again: - Starting From The Cultural Critical Approach - About The Hidden Meanings Within The Text Of The Novel; And Considering The Novel A Cultural Product That Transmits The Spirit Of Society In Its Traditions And Rituals, We Ask About The Most Important Cultural Patterns That The Novel Represents And She Ruled Her Imaginations; The Forefront Was The Social Pattern, The Political System, And The Civilized System Related To Heritage And History..

Key Words:

Cultural Theme, Narration, Narration, Context, Social Representations, Algeria, Heritage

1. مقدمة

تعد المقاربة الثقافية من أحدث الاتجاهات التحليلية في مجال الدراسات اللغوية والأدبية؛ تستهدف تحليل النصوص بوصفها خطابا يتجاوز التعبير عن الحس الجمالي الإبداعي إلى تجسيد المعطى الثقافي المعبر عن تمثلات اجتماعية واقتصادية وسياسية؛ وهذا مطمح التأسيس لدينامية الترابط بين الإبداع واللغة في بعدها الداخلي وجانبها الخارجي؛ أي الوظيفة الثقافية الاجتماعية للنصوص اللغوية والإبداعية الشعرية والنثرية السردية وتفاعلها مع المحيط والثقافة والتاريخ.

وتظل النصوص السردية هي المجال الرحب للتحليل الثقافي؛ حيث تسري رؤى الروائي، وتأملاته عن واقعه الاجتماعي إلى المتلقي في صورة عفوية منغمسة في قضايا الحياة العامة ومشكلاتها ؛ في شكل خطاب مضمر في أغلب الأحيان لا يبوح بمكنوناته إلا للقارئ والدارس الذي يحاوره. وكذلك كان الروائي عبد الحميد بن هدوقة في رواية " الجازية والدراويش "؛ فقد استطاع أن يلامس مستجدات الحياة الثقافية والاجتماعية للمجتمع الجزائري من خلال هذه الرواية التي تعد حلقة متميزة في مساره الروائي. ليضيء ببصيرته الإبداعية جوانب من التطورات الحاصلة في بنية المجتمع الجزائري والتحولات التي عرفها في مطلع الثمانينيات من القرن الماضي.

ومن أجل استكشاف هذه الجوانب جاءت هذه الدراسة في مقدمة وأربعة مباحث تليها خاتمة وقائمة للمصادر والمراجع. وقد أوضحت في المبحث الأول ماهية النسق في الدلالة والاستعمال، وفي المبحث الثاني عرضت للرواية: النص والسياق الثقافي الاجتماعي، وفي المبحث الثالث حللت خطاب الرواية والأدلجة ورثاثة الخطاب المضمر، وفي المبحث الرابع بينت علاقة الرواية بالمجتمع وصراع القيم المضمر، ثم خاتمة متضمنة لأهم النتائج المتوصل إليها.

2. النسق الدلالة والاستعمال

تنوعت دلالات لفظ "النسق" في المعرفة الإنسانية والاجتماعية المعاصرة، وغدا من أكثر المفاهيم تداولا وأصبحت سمته الأساس التوسع في الدلالة والاستعمال، ففي الدرس اللساني نجد هذا المفهوم قد ورد في تعريف اللساني السويسري فردينان دي سوسير "Ferdinand de Saussure" 1857 - 1913م)

للغة في قوله: « إن اللغة عبارة عن نسق من العلامات يعبر عن الأفكار، ولهذا فهي مشابهة لنسق الكتابة وأبجدية الصم والشعائر الرمزية وصيغ المجاملة... ولكنها أعظم أهمية من هذه الأنساق » (Ferdinand de Saussure:1996) ؛ والنسق بهذا التصور يماثل عنده مفهوم "النظام" ويرادفه، ولا يختلف الأمر كذلك في التقارب والشيوع في الاستعمال مع مفهوم "البنية". ولا نبتعد كثيرا عن هذا التعريف في فحواه لنجد من التحديدات المعجمية المعاصرة ما ذكره سعيد علوش في معجمه من كون « النسق: علاقات تستمر وتتحول بمعزل عن الأشياء التي تربط بينها.. وليعمل النسق على بلورة منطق التفكير الأدبي في النص.. كما يحدد النسق الأبعاد والخلفيات التي تعتمدها الرؤية »
(سعيد علوش: 1985).

هذا التعدد في التحديد الاصطلاحي هو مما يسهم في تنوع دلالة المفهوم واتساعها. بل ويزداد أمر هذا المفهوم التباسا مع تجاذبه من حقول معرفية متفرقة (لسانية، وتاريخية، واجتماعية، ونقدية...) ؛ وقد نتج عن ذلك كله أن الحديث لم يعد مقتصرا على نسق محدد ؛ فالنسق انساق متباينة يبرز من بينها على وجه التحديد النسق الثقافي، فماذا يقصد بالنسق الثقافي؟ وما هي سماته الاصطلاحية؟ وكيف يتجلى في النص الروائي؟. وعن هذا التساؤل والذي يُضافُ إليها عَددٌ من التساؤلات المرتبطة بكيفية قراءة هذا المفهوم؟، وكيفية تميز النسق الثقافي عن سائر الأنساق الأخرى؟ (عبد الله الغذامي: 2005) ؛ يجيب الناقد العربي عبد الله الغذامي بوصف هذا المفهوم مركزيا في مشروعه النقدي، ومن ثم فإنه يكتسب قيماً، وسمات اصطلاحية خاصة مثل:

1 . يتحدد النسق عبر وظيفته، وليس عبر وجوده المجرد ؛ والوظيفة النسقية لا تحدث إلا في وضع محدد ومقيد، وهذا يكون حينما يتعارض نسقان أو نظامان من أنظمة الخطاب أحدهما ظاهر والآخر مضمر ؛ ويكون المضمر ناقضا وناسخا للظاهر. ويكون ذلك في نص واحد،ويشترط في النص أن يكون جمالياً.

2 . قراءة النصوص، والأنساق قراءة خاصة من وجهة نظر النقد الثقافي أي أنه حالة ثقافية والنص هنا ليس نصاً أدبياً جمالياً فحسب، ولكنه أيضاً حادثة ثقافية.

3 . النسق من حيث هو دلالة مضمرة؛ فإن هذه الدلالة ليست مصنوعة من مؤلف، ولكنها منغرسة في الخطاب.

4 . النسق ذو طبيعة سردية يتحرك في حبكة مضمرة؛ ولذا فهو خفي، ومضمر، وقادر على الاختفاء دائما.

5 . الأنساق الثقافية أنساق تاريخية أزلية، وراسخة، ولها الغلبة دائما(عبد الله الغذامي: 2005).

الذي يؤول إليه هذا الكلام أن الأنساق الثقافية في ارتباطها بالأعمال الإبداعية إنما يكون تجليها غير صريح ومباشر فسمتها الأساس الإضمار وغير المباشرة ومن ذلك ما نجده في الأعمال الروائية – ؛ وهذا أشبه ما يكون بما ألمح إليه قديما الإمام عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) إذ يقول: « الكلام على ضربين ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده... وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة؛ ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض، ومدار هذا الأمر على الكناية والاستعارة والتمثيل؛ أو لا ترى أنك إذا قلت: هو " كثير رماد القدر" ... فإنك لا تفيد غرضك الذي تعني من مجرد اللفظ، ولكن يدل اللفظ على معناه الذي يوجبه ظاهره »» (عبد القاهر الجرجاني:1991).

والمضمر في الدرس التداولي المعاصر له حيزه المعتبر في بيان جوهر اللغة ومقاصد الكلام من خلال تقسيم محتويات الكلام إلى بيِّنةٍ ومضمرةٍ تتجلى في الافتراضات والمضمنات (كاترين كيربرات أوريكوني: 2008) .

ونخلص مع الناقد محمد مفتاح إلى أن « النسق عبارة عن عناصر مترابطة متفاعلة متمايزة، وتبعا لهذا فإن كل ظاهرة أو شيء ما يعتبر نسقا ديناميا، والنسق الدينامي له دينامية داخلية، ودينامية خارجية تحصل بتفاعله مع محيطه، والدينامية إما خطية وغير خطية، إما انعكاسية وإما غير انعكاسية » (محمد مفتاح: 2010)؛ واللغة وهي مادة الإبداع وأساس تعبيره وتكوينه كما نعلم؛ وسط رموزي شديد الحساسية لعلاقة الذات بالعالم، كما أن كل لغة تحمل فيما وراء أنظمتها خطابا فلسفيا خاصا بها لا يفرط في شيء ولا ينفرط

من بين يديه شيء وتمثله العلاقات القائمة بين عناصر النظام اللغوي، صغرت أو كبرت هذه العناصر(محمد فكري الجزار: 2007) .

3 . الرواية: النص والسياق الثقافي الاجتماعي

تبارت الدراسات النقدية واللسانية في بحث العلاقة التي تجمع بين النص والسياق سابرة أغوار النصوص مستعينة بالمعارف الاجتماعية والإنسانية التي تنفتح لها، وأصبح من الضرورة بمكان معاينة مجمل الشروط التي تجمع بين السلوك الاجتماعي واستعمال اللغة في النصوص الإبداعية على غرار الرواية؛ « فالنص في جوهره توالٍ من الحالة المعلومية، والانفعالية، والاجتماعية، ويأتي إنتاجه وفهمه في صورة توال من الوقائع التي تنطبق عليها الأعراف الاجتماعية والعوامل النفسية... وهو نظام فعال ينبغي له أن يتصل بموقف يكون فيه تفاعل مجموعة من المرتكزات والتوقعات والمعارف »(روبرت دي بوغراند: 1998)؛ والمستفاد من هذا أن النص الروائي ما هو إلا لبنة اجتماعية ثقافية تسربت إلى ذهن المرسل عبر تكوينه الذي يختزن في ذاته الخلفية المؤسسة للرسالة، وعلى هذا تمارس تأثيرها النفسي والاجتماعي والثقافي في المتلقي من منطلق التماس الإدراكي الذهني بهذه الجوانب.

لقد ظهرت رواية الجازية والدراويش في سنة 1983م (عبد الحميد بن هدوقة: 1983)؛ وهي مرحلة جديدة من تاريخ الجزائر بدأت تشهد تحولات سياسية واجتماعية واقتصادية مست البنيات العميقة للمجتمع الجزائري؛ تتجلى لنا من خلال مجموع من الثنائيات من أبرزها: المحافظة/الانفتاح، والريف/المدينة، والبداوة/ التحضر، والتقليد/التجديد، والأحادية/ التعددية، و التبعية /التحرر... هذه الثنائيات في جوهرها تجسيد للتحولات الاجتماعية والاقتصادية التي بدا انعكاسها واضحا على المستوى الثقافي؛ في توجهات النخب الثقافية وتطلعاتها الفكرية. مما رأى فيه البعض بعثاً وإصلاحاً للمجتمع الجزائري وميلاداً جديداً له وإدراك منه لركب المدنية المعاصرة والحداثة، وتخلص من براثين الماضي الاستعماري وأغلاله؛ من خلال تحرير الفرد والمجتمع والاقتصاد والسوق ببعث روح المبادرة والفردية في مختلف ميادين الحياة، ورأى البعض – ومن هؤلاء كاتب الرواية – في هذه القيم انتكاسة وتراجعا عن المشروع

الاشتراكي الذي بدأت لتوه تتأسس لبناته الأولى؛ أي منذ عقدين من الزمن قبل ذلك.

في هذا الخضم ظهرت رواية " الجازية والدراويش" « الزمن الخارجي للرواية – زمن إنهاء الرواية - كما هو موضح من توقيع الكاتب في آخرها: الجزائر في16 شوال 1402هـ الموافق 06 أوت 1982مسيحي » لتشكل حلقة مميزة في المسار السردي للروائي الجزائري عبد الحميد بن هدوقة؛ وهذا ما اعترف به وعبر عنه بقوله: « قبل الجازية كنت أكتب بطريقة تقليدية إلى حد ما؛ مراعيا أن ذلك كان أكثر ملائمة للقارئ الجزائري في تلك المرحلة » (بوشوشة بن جمعة: 2005) . إذاً فقد ظهرت هذه الرواية في المنعطف الثاني من تجربته الإبداعية؛ بعد أن تمكن الكاتب من أساليب الحكي؛ فأقام هذه الرواية في بنائها السردي على أسس بنائية دلالية جديدة.

تنهض الرواية في بنيتها الدلالية على أحداث جرت وقائعها بإحدى القرى الراسية على سفح جبل، وهو حال أغلب القرى الجزائرية التي بُنيت في الزمن الاستعماري هروبا من بطشه إلى المرتفعات وأعالي الجبال، ومن هذا المنطلق يتداخل التاريخي مع الواقع السياسي والاجتماعي الجديد لهذه القرية؛ فالقرية تحمل صفاء الحياة ونقائها وعبقا للماضي بجهاد الآباء وتضحياتهم؛ وهو ما يمثل الزمن المثالي الرمزي لسكانها – رغم ما يحمله الماضي من جانب آخر من معاناة أهل القرية من قيود الاستعمار وأغلاله – ، وصولا إلى الزمن الثاني؛ زمن يراد فيه التخلي عن الموروث والتغيير الذي يعصف بالقرية ليقتلع جذورها وأسسها المادية والأخلاقية؛ فالرغبة في تحويل موضع القرية إلى السهل وبناء السد وغيرها من المشاريع التي تخطط للقرية في العهد الجديد تعكس في نفوس أهلها الانتكاسة والتراجع عن المبادئ والقيم التي نهضت حياتهم عليها. ومن هذا المنطلق تأسست الرواية في بنيتها الدلالية والشكلية على الثنائية الزمنية؛ الزمن المثالي الرمزي؛ إذ أن أهلها يعيشون بأمجاد الماضي وذكرياته الجميلة؛ وزمن ثانٍ يناقض الأول تختلف أبعاده رغم التداخل الحاصل بينهما؛ وتعمل شخصيات الرواية على تحقيق هذا البعد المضمر العميق الذي يبدو من خلال أحاديثهم وتفاعلهم؛ وللدارس أن يستكشف حال هذه الشخصيات وسماتها:

3. 1. الجازية

ترتسم صورة هذا الاسم في المخيال الجزائري بإغراءٍ جماليٍ بما تكتنزه في مكنونها من مضمرات الحُسن والبهاء، وتمازج العواطف والصراع؛ فاستحضاره استرجاع لهذه المضمرات الثقافية؛ أقلّها أن الجازية عنوان للسيادة بارتقائها أعلى مراتب السلم القبلي، ثم إن ما وهب الله من جمال رائع فاقت به نظيراتها من نساء بني هلال، وما جمعت إلى جانب ذلك من ذكاء وقّاد وقدرة على تصريف الأمور وتدبيرها ؛ أحاط شخصيتها بظلال أسطورية متوارثة عبر الأجيال في كامل الشمال الإفريقي(عمر أبو النصر:1971)؛ وهكذا كان إعادة إنتاج هذه الشخصية معرفيا ورمزيا في الرواية بأبعادها التاريخية.

والجازية في تأثيرها هي أشبه في التكوين السردي للرواية بعمل إبداعي جزائري آخر مميز، وهذا ما دعا بعض النقاد إلى الربط بين هذه الشخصية المحورية في الرواية وبين شخصية " نجمة" في رواية" نجمة" لكاتب ياسين لما بينهما من تداخل نصي ترتسم فيها القواسم المشتركة بينهما والملامح المتقاربة المضمرة التي لا تطفو إلى السطح (أحمد منور: 1998) .

ولقد استطاع الروائي استحضار شخصية "الجازية" في سياق رمزي جديد من خلال جعلها بطلة الرواية، الجازية فتاة ابنة شهيد، قتل أبوها، وهو رجل مجهول النسب، « رجل يقتل بألف بندقية، ويدفن في حناجر الطيور»(عبد الحميد بن هدوقة: 1983). ولم يعرف له بلد، هل هو من شرق أم من غرب من يدري، وأمها ماتت في أثناء وضعها، فقامت على تربيتها عائشة بنت سيدي منصور، وهي مجاهدة كجداتها، والشيء الملفت للانتباه في الجازية أنها تمتلك جمالا خارقا للمألوف، إذ انتقلت من الألسنة إلى الخيال الرحب وأصبحت أسطورة (عبد الحميد بن هدوقة: 1983) .

هذه التعابير المكثفة عن هذه الشخصية من الروائي يجعل من هذه الشخصية السردية " شخصية مرجعية" بتعبير "فيليب هامون philippe hamon": « ويحيل هذا النوع من الشخصيات على عوالم مألوفة؛ عوالم محددة ضمن نصوص الثقافة ومنتجات التاريخ (الشخصي أو الجماعي)؛ إنها تعيش في الذاكرة باعتبارها جزءا من زمنية قابلة للتحديد والفصل والعزل؛ كما هي

كل شخصيات التاريخ أو شخصيات الوقائع الاجتماعية، أو شخصيات الأساطير » (فيليب هامون: 2013).

ويلاحظ الدارس لأجل هذه الميزات التي اتصفت به البطلة ذلك التنافس المحموم على الزواج من "الجازية" ؛ أطراف اختلفت مشاربهم وأماكن وجودهم (منهم الذي سكن بالقرية، ومنهم من استقر بالمدينة، ومنهم من اختار المهجر وديار الغربة على اتساعها من نحو؛ فرنسا وأمريكا) وهذه الشخصيات هي كالآتي: الطيب بن الأخضر الجبايلي، الشامبيط، عايد بن السايح بولمحاين، الأحمر(الطالب)؛ وسنورد حديثا موجزا عن كل واحد من هؤلاء الأربعة :

3. 2. الأخضر الجبايلي

يحمل هذا الاسم المركب دلالاته المعرفية من جانبين؛

-اللون الأخضر؛ « والخضرة عند العرب وردت وصفا للماء والبحر والكتيبة والحديد وغيرها » (أحمد مختار عمر: 1997)، وربما في وصف الأصالة أو العقيدة الإيمان فهل هذا المعنى ما أراده الروائي أم ذاك؟؟.

-والجبايلي في الأنا الجمعي الجزائري وصف نسبي للمكان الذي كان في واقع الحال ملاذاً للمجاهدين الثوار أثناء الثورة التحريرية؛ ولذلك ظل هذا الوصف يرمز للقوة والشدة وعدم الخضوع.

وعند تركيب الاسم الأخضر الجبايلي تبدو شخصيته في الرواية بصورة رجل له هيبة وكلمة مسموعة في دشرة السبعة، ولقد أراد تزويج الجازية من ابنه الطيب الشاب المثقف ذي الأفكار الأصيلة، ولقد أبدت هي رغبتها في الزواج منه متحدثة مع أخته حجيلة: « أقبل زوجا ابن عمي الأخضر الجبايلي، لكني أخشى عليه من دسائس الآخرين، كلهم يريدونني لغاية لا تتلاقى مع الحب الذي أبحث عنه لدى الزوج... » (عبد الحميد بن هدوقة: 1983).

3. 3. الشامبيط

يشير الاسم في دلالته المباشرة إلى وظيفة إدارية كانت سائدة في العهد الاستعماري وبقيت بعد الاستقلال لفترة غير وجيزة؛ وهي حارس الفحص (عون بلدي). و في الرواية يحيل اسم الشامبيط على شخصية رجل مخضرم عمل في عهدين، وهو ما يوحي بشخصية مركبة استطاعت الاستفادة من مرحلتين متباينتين؛ المرحلة الماضية والمرحلة الحاضرة؛ حيث تبدو رغبته في تزويج الجازية

من ولده الذي يدرس في أمريكا ؛ لأنه يرى في زواجها منه مصلحة لها وللدشرة، ولكنها كانت ترفض رفضا مبرما ؛ وقد عبر الروائي عن هذه الشخصية « عمل في عهدين وسيعمل بقوتين ؛ قوة الشمبطة، وقوة أخرى سوف يستمدها من أمريكا » (عبد الحميد بن هدوقة: 1983).

3. 4. عايد بن السايح بولمحاين

يثير هذا الاسم بتركيبه الثلاثي أحاسيس الهوية والانتماء والأصالة المتجلي في صيغة اسم العلم؛ ويمكن تحليله بالنظر إلى البنيات اللغوية التركيبية لهذا الاسم؛ فاسم عايد -وهو من منطوق ألفاظ العامة عند الجزائريين وفصيحه عائد -يحمل دلالة العودة بعد الغياب؛ وكذلك شخصيته في الرواية؛ فعايد شاب مثقف والده صديق حميم للأخضر بن الجبايلي، عاد هذا الشاب من المهجر (فرنسا)، وقد نصحه أبوه بالعودة إلى الوطن – منبته – وبالزواج من الجازية فهو عزٌّ لَهُ و فخارٌ؛ أم اسم والده السايح - والاسم فهي إعلال على عادة الجزائريين في منطوقهم -من الأسماء المستملحة عند الجزائريين في الماضي القريب،ويؤشر على أصالة الانتماء الجزائري، وأم اللقب بولمحاين فهو من ألفاظ الكنى التي تشير إلى المرء الذي له تجارب كثيرة في الحياة؛ مما يكسبه القبول وحسن الرأي.

3. 5. الأحمر

الاسم يدل على اللون؛ وله دلالاته المعرفية التي يتجاوز بها ما حددته له المعاجم من معان بسيطة؛ التي لا تعدو أن تكون « بمعناه المعروف إلى جانب معنيين هما معنى البياض؛ فتقول العرب امرأة حمراء ويريدون: بيضاء. ومعنى الصفرة إذا أطلق العرب على الذهب والزعفران فسموهما: الأحمران » (أحمد مختار عمر: 1997).

والأحمر في العصر الحديث من الألوان المرتبطة بأحد المذاهب الفكرية الحديثة؛ فهو اللون المعبر عن معاني الإيديولوجية الاشتراكية؛ ولهذا المعنى الحديث ترمز شخصية الأحمر في الرواية؛ فهو طالب متطوع يأتي إلى الدشرة مع مجموعة من الطلبة المتطوعين، « وهو شاب جميل المظهر، أشقر يشبه الصفصاف طولا » (عبد الحميد بن هدوقة: 1983). وقد جعل منه الروائي رمزا للنضال الطلابي « الأحمر لم تذهب حياته سدى ... قال: « أنا فكرة والفكرة لا

تموت » ! لقد أصاب. سوف يبقى حيا لدى كل من عرفه أو سمع أفكاره » (عبد الحميد بن هدوقة: 1983).

هذه الأطراف المتناقضة يجمع بينها رابط واحد، وهو من يظفر بالجازية زوجا له، ولكن لم يظفر بها أي منهم، على أنها تحمل حبا للطيب، وتنتهي الرواية على هذا الأساس(أحمد بقار: 2016). وإن التساؤل الذي يطرح في هذا السياق إنما يكون عن سمات الشخصيات؟ وأبعاد التفاعل الحاصل بينها؟ وأي علاقة تتأسس بينها وفكرة الدروشة؟ هل هم الدراويش الذين ضلت بهم السبل في عشقهم وسعيهم إلى الظفر بهذه المعشوقة الخارقة الجمال؟. ذلك ما سنحاول الإجابة عنه فيما يعقب.

4 . الرواية والأدلجة ورثاثة الخطاب المضمر

لا يخلو أي عمل روائي من رؤية مضمرة للعالم الخارجي Vision du Monde؛ أي من موقف إيديولوجي يكون الكاتب طرفا فيه أو قد تبناه تصورا ورؤية للحياة؛ وهذه الرؤية للعالم هي الايدولوجيا عينها، والايدولوجيا بحسب "جاك أوليل Jaques Ellul": « مركب من الأفكار والمعتقدات، ليست أفكارا فقط أو معتقدات مرتبطة بنمط من الأفكار، وأفكار مغذية لنمط من المعتقدات » (Oliver Reboul:1980) .

أما الرثاثة في الخطاب فتحمل في أبسط معانيها السخف والابتذال والنزول إلى مستويات دنيا في البناء والتشكل؛ وقد اتصف خطاب النخب السياسية زمن ميلاد الرواية بالابتذال الذي يعكس حالة التخبط، وعدم الاستقرار التي عرفتها المرحلة؛ وقد برع الروائي في رسم معالم هذا الخطاب، ومفارقته المضمرة.

يمكن النظر إلى رواية " الجازية والدراويش" من هذه الزاوية بوصفها أنموذجا إبداعيا للأدلجة؛ فقد حملت من المؤشرات اللغوية ما يضيء درب القارئ إلى العوالم الخفية لرؤية الكاتب التي تختزل إحساسه تجاه قضايا واقعه السياسي والاقتصادي، ومن أول هذه المؤشرات ما يشير إلى المشروع الاشتراكي الذي غدا مسلكا سياسيا هلل له قطاع واسع من النخب الفكرية؛ وهو ما يبرز في حديثه عن الثورة الزراعية، وما رافقها من بناء السدود وتشييد القرى الاشتراكية؛ وما يصحب ذلك عادة؛ من تحويل المداشر، واقتطاع الأراضي، وتغيير المسالك... وهو ما تكشفه الرواية بشكل واضح مع إضمار بعض جوانب

الرفض وعدم القبول من قبل السكان، والرفض يأتي صريحاً بيناً أحيانا في نحو قوله: « السكان بحدسهم الجبلي رفضوا الرحيل ورفضوا السد، رفضوا التغيير الذي يأتيهم من الشنابط (والدوائر) القدامى رفضوا التغيير الذي ينزل من السماء لا يدلهم... » (عبد الحميد بن هدوقة: 1983). فهل صحيح بعد مرور ردح من الزمن أن هذه الثورة الزراعية قد لقيت القبول والتهليل من كل الجزائريين؟، ألم ينظر قطاع واسع من الجزائريين في أحيان كثيرة للثورة الزراعية بعين الريبة؛ مما يعني رفضهم لهذا المشروع وعدم قبوله؟.

بل إن الرواية تكشف في طياتها المضمرة عن تفاصيل دقيقة عن تلك المرحلة والمظاهر المبشرة لها التي صحبتها من مثل وصف تجنيد الفئات الطلابية المتطوعة لتحسيس المواطنين بالأهداف النبيلة لهذا المشروع الاقتصادي؛ بإرسالهم في أفواج كشفية إلى القرى والمداشر والأرياف؛ وهذا ما نلمسه في مثل قول الكاتب « الطلبة المتطوعون أرسلتهم الثورة » (عبد الحميد بن هدوقة: 1983)، ونجد في الرواية حديث صريح ومضمر عن العمال وما سلط عليهم من ظلم في أعمالهم؛ وهو ما دعا الروائي إلى بيان بعض صور النضال العمالي من خلال النقابات، ومن العبارات الكاشفة لما هو مضمر عن هذا الاتجاه قوله: « أعاهدك يا رفيقي، سأرسم لك قوس نصر في جدار من جدران هذا السجن بأظافري.. قوس نصر من منجلين التقيا... » (عبد الحميد بن هدوقة: 1983)؛ ونحن نذكر أن المناجل والفؤوس وسواها من آلات العمال رمز للاشتراكية.

وتتضح للعيان أبعاد الصراع الإيديولوجي بين مختلف التيارات السياسية المكونة للمشهد السياسي يومئذ، إذ نجد التيار التقدمي اليساري مجسدا من خلال شخصية الأحمر؛ وهذه الشخصية في نظر الكاتب « قيمة ثابتة... وهو يرى أنه لابد من المقاومة... » (عبد الحميد بن هدوقة: 1983). فالأحمر رمز للثبات وللقيم وللمقاومة،كما أنه رمز للنضال الطلابي كما تقدم سلفا « الأحمر لم تذهب حياته سدى ... قال: « أنا فكرة والفكرة لا تموت »! لقد أصاب. سوف يبقى حيا لدى كل من عرفه أو سمع أفكاره » (عبد الحميد بن هدوقة: 1983)... هذا التيار الجارف الذي هيمن بنخبه الثقافية ومشاريعه الاقتصادية والسياسية لعقدين متتالين من الزمن يبدو من خلال سيرورة الأحداث في الرواية أنه في النزع الأخير؛ ولذلك نجده يرفض التغيير إلى حركة مضادة لأهدافه وغاياته؛

وهو ما عبر عنه الكاتب « بالحس الجبلي شعروا بالخطر...أدركوا أن ..بركة ...الثورة إذا نزلت إلى أدنى المستويات أصبحت تضخما » (عبد الحميد بن هدوقة: 1983). وهي رؤية استشرافية من الكاتب لمستقبل المشروع الاشتراكي الذي بدأ في التقهقر في فترة الثمانينيات من القرن الماضي. وإن التيار الجديد الذي بدأ يثير هاجس النخب السابقة؛ هو التيار الليبرالي الذي يرمز في تصورهم للاستعمار ومشاريعه الاستيطانية وتمثله شخصيات تبوح بكلماتها تصريحا أو تلميحا، إلى جانب سماتها الذاتية واعتقاداتها عن هذا الاتجاه؛ فقد جعل منها الروائي رمزا للماضي الاستعماري، وجعل منها رمزا للتبعية الأجنبية؛ التي قد تكون أحد طرفين اثنين:

- الطرف الأول لهذه التبعية؛ فرنسا التي عاد منها عايد بن السايح بولمحاين؛ متشبعا بالقيم الفرنسية ومثلها العليا، « وجد عايد نفسه يتأهب للرجوع في وقت لم يحدده من قبل كان عليه أن يسرع؛ أخبار الجازية طغت في أرض الهجرة على كل الأخبار، وأحيت في نفسه أحاديث أبيه الماضية وذكرياته الطويلة...لم يفكر... رجع الجازية حلم!... وهو الحالم! ... » (عبد الحميد بن هدوقة: 1983). وقد رغب الروائي في أن يجعل منه أنموذجا لِطيفٍ سياسي واجتماعي جزائري. ويمكن أن نستخلص هنا إضمار الكاتب للإحساس بالفرنسة التي بدأت تسترجع حضورها بعد أن لفظت آخر أنفاسها مع الاستقلال؛ والنص يكشف بوضوح التجربة الواقعية المريرة للكاتب في صراعه مع هذا التيار، ومحاولة هذا التيار التجذر من جانب آخر.

- الطرف الثاني لهذه التبعية أمريكا والتي يرمز لها بشخصية "الشامبيط" وابنه الذي يدرس بأمريكا؛ ويستمد الشامبيط قوته من أمرين « عمل في عهدين وسيعمل بقوتين؛ قوة الشمبطة، وقوة أخرى سوف يستمدها من أمريكا حيث يقرأ ابنه. يقينا؛ هذا الطالب على علم بكل الخفايا.. ! » (عبد الحميد بن هدوقة: 1983). ويصف الروائي بعمق الإحساس بالأمركة في ذلك الزمن بقوله: « كل أمله أن تدرك الجازية أن ابنه ليس كالآخرين. إنه يقرأ في أمريكا، في آخر الدنيا ! وإن أساتذته يملكون الأرض ومعها القمر! قال لهم مرغبا ومرهبا: إن واصلت رفضها واصلت شقاءها وشقاء الدشرة..ابنه ينوي فعل الكثير من أجل القرية... » (عبد الحميد بن هدوقة: 1983). كل هذا يلمح من الروائي إلى التجاذب

الحاصل بين الطرفين في محاولة استمالة الواقع السياسي الجزائري الجديد في ذلك الوقت؛ أي الثمانينيات من القرن الماضي.

وفي مقابل التيارين السابقين يبرز طرف آخر في الصراع الإيديولوجي؛ وهو التيار التقليدي، وقد وصفه الروائي بأرداء الأوصاف، وأصبغه بأبشع الصور من نحو؛ السلفي والرجعي والماضوي، وهذه الأوصاف رمز للماضي بأغلاله المكبلة للحرية والانطلاق والإبداع؛ ويمثل هذا الاتجاه الأخضر بن الجبايلي وقد يأتي نقد هذا الاتجاه من الروائي على ألسنة بقية الشخصيات؛ ولذلك يتمنى للجازية على لسان عايد « أن تغادر الماضي الذي تحيا فيه إلى مستقبل مشرق إن هذه الدشرة كما هي الآن في نظر عايد هي عين الماضي.. والبقاء فيها؛ بقاء في الماضي » (عبد الحميد بن هدوقة: 1983)..

ويمكن أن يضاف إلى هذا التيار الاتجاه الطرقي الذي يبرز من خلال شخصية الدراويش التي تميل إلى عالم السحر والأساطير والشعوذة التي بسطوا بها نفوذهم في القرية؛ يصف الكاتب سلطانهم على القلوب والعقول بقوله: « امتزجت الأساطير بالأحداث ... الماضي الطويل أحدث ثقوبا في ذاكرة الدشرة، فأصبحت كل الأحداث الماضية أساطير! وهكذا صار دراويش القرية، ذوي كرامات لا يحدث حادث بالدشرة دون أن يشارك فيه الدراويش» (عبد الحميد بن هدوقة: 1983) ؛ وقد حاول الروائي من خلال هذه المضمرات أن يكون في صورة المبدع الحيادي المتحرر من أسر الأدلجة؛ إلا أن هذا التحرر من الأفكار يظل نسبيا في المحصلة؛ وقد كان من جانب آخر في موضع الواصف لمدى تخبط النخب السياسية في الارتقاء بخطابها السياسي.

5 . الرواية والمجتمع وصراع القيم المضمر

شكلت الرواية من بين جميع الأجناس الأدبية في زمننا المعاصر ديوان العرب الجديد؛ أي كتابهم الواصف لآمالهم وأحلامهم، وانتكاستهم وآلامهم؛ وقد غدت أشد التصاقا بالمجتمع بما تضمره من تجسيد مختلف جوانبه؛ بل وفي رسم أدق تفاصيله؛ وسعت إلى تقديم إجابات عما استغلق من القضايا الراهنة في الفكر العربي المعاصر؛ فمن القصور إذاً النظر إلى الرواية بوصفها بنية لسانية جمالية حيادية مجردة؛ فلا تعدو في كل الأحوال إلا أن تكون خطابا إبداعيا اجتماعيا يسوّقُ لمقولات محددة ذات قيم محددة. ولا تختلف رواية "الجازية

والدراويش" عن النصوص الروائية العربية في تسويقها بطرف خفي لقضايا المجتمع الجزائري وهمومه، كيف لا وشخوص هذا النص الروائي هم جزء منه لا انفصال لهم عنه؛ فمن أين يستمد الكاتب مادته؟، وكيف ينسج أحداث روايته؟، وأين تجري أحداث روايته؟. هذا الالتحام بالمجتمع والانشغال بهمومه يعبر عن واقعية الروائي واتجاهه بإبداعه صوب الفاعلية والتأثير والتأثر، والتي تبرز في مناقشته لعدد من القضايا الاجتماعية وموضوعاتها الطافحة في حياته اليومية، ومن أهم الأنساق الثقافية الاجتماعية المضمرة في خطاب الروائي عبد الحميد بن هدوقة في هذه الرواية:

5. 1. المرأة من الدونية إلى التحرر

شهد المجتمع الجزائري تحولات عميقة مست بالأخص وضع المرأة، وطرحت التساؤل مجددا عن مكانتها وأدوارها في ظل الواقع الجديد للمجتمع الجزائري المعاصر. ولعل أول ما يلفت الانتباه في هذا الجانب هو اختيار الروائي اسم امرأة عنوانا لعمله الروائي وهو"الجازية" ؛ هذا الاسم الذي له حضوره في حفريات الذاكرة الجزائرية؛ فهي قبل أن تكون « فتاة عائدة من العين مع النساء حسنها يملأ الدنيا » فقد « انتقلت من الألسنة إلى الخيال الرحب وأصبحت أسطورة » (عبد الحميد بن هدوقة: 1983)، والجازية أو "الزازية" بالعامية بقلب الحروف – في منطوق بعض الجزائريين - بالفعل تحولت إلى أسطورة في المخيال الجماعي الجزائري ترمز إلى الجمال الخارق والحب والعواطف النبيلة والصراع؛ هذه السمات التي تضفي عليها صفة التبجيل والتقدير حد التقديس؛ جعل النقاد يشكون في أنها امرأة عادية. فهل يمكن أن تكون رمزا خالدا لوطن الروائي وجمال بلاده؟؛ وقد باح الكاتب بهذا المعنى المضمر في مثل قوله: « الجازية أخرجت الدشرة من سبات القرون، أعطتها حياة حافلة خصبة بدل حياتها الميتة!....أشيعت حولها ألف خرافة، تفوق ما شاع من خرافات حول الجازية الهلالية!.. » (عبد الحميد بن هدوقة: 1983)، فقد خرج من حد التمثيل إلى المقارنة؛ ولاحظ قوله على لسان الراعي: « الجازية أكثر من امرأة! » (عبد الحميد بن هدوقة: 1983) ؛ هنا ننتقل من المضمر إلى البين من القول فالجازية أشبه بالوطن مثل الجزائر؛ يوحدهما الابتداء بالجيم والخلود في الوجود.

المرأة في رواية الجازية والدراويش فِخار ومباهاة بين الناس؛ فمن يظفر بالحسناء حقق بعض مراده في الحياة؛ وهكذا كانت الجازية (قالوا إنها أخذت من الناس عقولهم ومشاعرهم) (عبد الحميد بن هدوقة: 1983)، ولذلك تهافت أهل القرية عليها رغبة في الزواج منها.

المرأة في رواية الجازية والدراويش وصف لأحلام المرأة وطموحها البسيط في المجتمع الجزائري؛ هذا ما نلمسه في أحاديث الجازية وحجيلة؛ فهذه الأخيرة مثلا تأمل أن يصرف عايد نظره عن الجازية، وقد كرهت كثرة حديثه عنها؛ فحجيلة تأمل من عايد أن يهتم بها ويجعلها مقصدا وشريكة له في الحياة. والمرأة في رواية الجازية والدراويش هو صراع بين القيم المتوارثة التي ألبست ثوب الدين وهو براء منها، في الريف تعمل المرأة مثل الرجل على السواء؛ فإذا بلغت سنا معينة سترت وحجبت في بيتها؛ وهو ما يولد في نفسها الإحساس القاهر بالدونية ويرغبها في نفسها لو أنها تستطيع التمرد والاندفاع مثلما تفعل نساء المدن؛ نساء المدن مثل الطالبة صافية؛ التي تلبس سروال الجين الأزرق وتدخن متحررة من كل القيود. هذه الصورة بين واقعين متناقضين هو ما حاول الكاتب أن ينقله لنا من سمات بعض شخوصه؛ واقع المرأة المقهورة وواقع المرأة غير المبالية المتحررة من كل القيود!... والمجتمع بمختلف أطيافه متفق على أن هذا التحرر عطاء يمنح « هم أحرار بدون أن تقول الحكومة ذلك... كل الشامبيط والقرويين متفقون على الأقل في شيء « الحرية تمنحها الحكومة».. !.» (عبد الحميد بن هدوقة: 1983) . والحرية عند بعضهم رفض وعدم قبول بما لا ترضى؛ هذا ما جاء على لسان بعض القرويين « الحرية هي رفض. الجازية حرة رفضت كل الخاطبين!. أبي حر يرفض كل ما ليس جبليا . قال لي ذات يوم: « ارفض الأشياء التي تريدها تقبل عليك وحدها»!.» (عبد الحميد بن هدوقة: 1983) .

2. 5. الريف واثنوغرافيا الحياة الاجتماعية

تبنى اثنوغرافيا الاتصال(Ethnography of communication) على دراسة واقعة كلامية بعينها في وضع اجتماعي خاص؛ إنها تدرس نماذج من السلوك الاتصالي ملحوظة أو مدونة، والكلام يتمركز أو يتحدد نظاميا داخل سياقه الثقافي الاجتماعي(socioculture context)(محمد العبد:2010)؛ ذلك جانب مما كان قد دعا إليه ديلي هايمس1962)Delly Hymes) في دراسة الوقائع

الكلامية وعمل على التأسيس له في أبحاثه اللسانية الاجتماعية؛ والتي فتحت الباب واسعا أمام النظريات التي تشتغل على سيمياء المواقف الاجتماعية.

في الريف يتأسس نظام مميز لعلاقات التواصل الاجتماعي، يرتكز على معتقدات خاصة يمتزج فيها العرف بالدين والخرافة بالواقع، ويكون فيها الفرد حلقة مميزة ضمن جماعته القروية يلتزم بأعمالها الجماعية، ويشاركها أفراحها وأحزانها، في الريف يكون محور التخاطب في أحاديث الناس عن؛ الأرض، ومنابع الماء، ومواضع الكلأ والعشب؛ يعرفون خباياها، ويصرفون أعمارهم في فهمها، وتتبع مواردها. وبهذه الصورة نفهم الوقائع الكلامية في سياقها الاجتماعي القروي في عالم هذه الرواية.

والريف في عالم رواية الجازية والدراويش فضاء قروي عالٍ في سفح الجبال يتسم بالصفاء والنقاء وأشجار الصفصاف التي تلوح للناظر من بعيد لتمنحه المتعة والجمال؛ وليس يحلو حديث الناس في القرية إلا عن هذا الإبداع في صنعة الخالق. في الريف تحلم الصبايا بمقدم الربيع للخروج إلى العين، وحمل جرار الماء؛ وما يروي في طريقهن من حكايات كيت،،، وكيت،،،!!. لكن أكثر الموضوعات طرافة وأحب إلى مسمعهن حديث الزواج والخُطاب .. والجازية..!!.

والريف في عالم رواية الجازية والدراويش أساطير تروى وخوارق تحكى عن الثورة وأمجادها الخالدة التي تروى صباح مساء وفي كل شبر حكاية شهيد... أمام عظمة هذا التاريخ لهذه القرية ...وفي واقع حياتهم يمتزج الدين بالخرافة يسرد الراوي قوله: « تقع الدشرة في القسم الصخري من الجبل؛ الجامع بني في الجهة الشمالية من موقعها... له صحن بسبعة أقواس هي كل ما يرى من السفح...يقال عن الجامع أنه مدفون به سبعة أولياء لهم من يخلفهم أبد الدهر! كلما مات سبعة جاء من بعدهم سبعة يعبر السكان عن ذلك بعبارة متداولة بينهم: « سبعة يغباو، سبعة ينباو..! » (عبد الحميد بن هدوقة: 1983).

صراع القيم في عالم رواية الجازية والدراويش يبرز في التشبث بالجذور؛ فأهل القرية رغم صعوبة الحياة في هذه القرية؛ التي تقع في أعلى السفح والتواء المسالك ووعورتها « المسافة التي تفصل بين نهاية الطريق المعبدة والدشرة رغم قصرها أبعد من أي مسافة بين نقطة وأخرى في الدنيا إنها تشبه أن تكون مسافة بين زمنين لا بين مكانين فهي بمثابة صعود مزدوج إلى الجبل والماضي. !! » (عبد

الحميد بن هدوقة: 1983).. ومع ذلك فهم يرفضون أن ينتقلوا إلى قرية حديثة تبنى في السهل حيث سهولة التنقل والانتقال إلى المدينة؛ هل هو خوف من المجهول؟، أم تشبث بإرث بدأ يفقد معناه..!!. وهم يرفضون حتى بناء السد، والشركة تحاول إقناعهم بالدعاية والإغراء؛ قالت لهم: « إذا بني السد فلن تضيع بعد ذلك المياه سيعم الخصب وتحيا عيون السهل وتصبح الأراضي كلها سقوية » (عبد الحميد بن هدوقة: 1983). لكن السكان يرفضون المشروع، ويرون أنه غير نافع لقريتهم بل هو ضار لهم. هذا الصراع الوجودي الدرامي ربما يبدو لنا مصطنعا نحن الذين لم نعش تلك المرحلة؛ ولكنه كان واقعا حقيقيا أيام الثورة الزراعية، وبناء القرى الاشتراكية، وشق الترع والسدود.

والريف في عالم رواية الجازية والدراويش هو حديث عن بنى اجتماعية تتباين في رؤيتها للحياة، فتعجز في كثير من الأحيان عن التواصل الايجابي، وبناء خطاب يحكمه الانسجام والتلاؤم؛ وهو ما نلحظه فيما يحدث بين فئة السكان والطلبة الذين أرسلتهم الحكومة لإقناع الناس بمشاريعها التنموية، « قال السكان جاءوا لقضاء عطلتهم في جبلنا.. ! قال الشامبيط أرسلتهم الحكومة !.. قال الطلبة جئنا لمساعدة السكان.. لكل طرف فكرة وراء رأسه!.. »(عبد الحميد بن هدوقة: 1983).

6. خاتمة

هذه بعض الجوانب المضمرة في خطاب رواية " الجازية والدراويش" والتي يمكن أن نخلص معها إلى عديد الاستنتاجات من أهمها:

- النسق مفهوم تنوعت دلالاته في المعرفة الإنسانية والاجتماعية سمته الأساس التوسع في الدلالة والاستعمال؛ إلا أن مساهمته تبدو جلية في بلورة منطق التفكير الأدبي في النص.

- الأنساق الثقافية مفهوم مركزي في عديد المشاريع النقدية في قراءة النصوص، والأنساق الثقافية المضمرة دلالة ليست مصنوعة من مؤلف، ولكنها منغرسة في الخطاب.

- رواية الجازية الدراويش في سياقها الثقافي الاجتماعي هي تجسيد مضمر للبنيات العميقة للمجتمع الجزائري خلال نهاية العقد السابع وبداية العقد الثامن من القرن الماضي؛ وتتجلى لنا من خلال مجموع من الثنائيات ومن

أبرزهـــا؛ المحافظـــة/الانفتـــاح، الريـــف/المدينـــة، البـــداوة/ التحضـــر، التقليد/التجديد،الأحادية/التعددية، التبعية /التحرر...

- رواية" الجازية والدراويش" أنموذج إبداعي للأدلجة؛ فقد حملت من المؤشرات اللغوية ما يضيء درب القارئ إلى العوالم الخفية لرؤية الكاتب التي تختزل إحساسه تجاه قضايا واقعه السياسي والاقتصادي.

- اتصف خطاب النخب الفكرية زمن ميلاد الرواية برثاثة الخطاب وابتذاله ما يعكس حالة التخبط وعدم الاستقرار التي عرفتها المرحلة؛ وقد برع الروائي في رسم معالم هذا الخطاب ومفارقته المضمرة.

- في رواية " الجازية والدراويش" مجتمع يعيش حالة من صراع القيم المضمر؛ ويبرز في مثل رؤية واقع المرأة، وصورة الريف، وفي حلقات التخاطب واثنوغرافيا التواصل بين الفئات الاجتماعية المتباينة.

- المراجع باللغة العربية

- أحمد منور، التداخل النصي بين جازية بن هدوقة ونجمة ياسين، مجلة اللغة والأدب - عدد خاص بالروائي الجزائري عبد الحميد بن هدوقة -جامعة الجزائر ، العدد: 13، السنة1998.

-أحمد بقار، النص الموازي في رواية الجازية والدراويش لعبد الحميد بن هدوقة، مجلة القسم العربي؛ جامعة بنجاب، باكستان، العدد 23، 2016.

- بوشوشة بن جمعة، سردية التجريب وحداثة السرد في الرواية العربية الجزائرية، المطبعة المغاربية للطباعة والنشر والإشهار، تونس، ط01، 2005.

روبرت دي بوغراند، النص والخطاب والإجراء ، تر: تمام حسان، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط01، 1998.

- سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط01، 1985.

-عبد الحميد بن هدوقة، رواية الجازية والدراويش، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط01، 1983.

- عبد الله الغذامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط03، 2005.

عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، دار موفم للنشر والتوزيع، د.ط، 1991م، الجزائر.

- فيليب هامون، سيميولوجيا الشخصيات الروائية، تر: سعيد بنكراد، دار الحوار، اللاذقية، سوريا، ط01، 2013.

- كاترين كيربرات أوريكوني، المضمر، تر: ريتا خاطر، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2008.

- محمد فكري الجزار، سيميوطيقيا التشبيه من البلاغة إلى الشعرية، نفرو للنشر والتوزيع، الجيزة، مصر، ط1، 2007.

- محمد مفتاح، المفاهيم معالم نحو تأويل واقعي، المركز العربي الثقافي، الدار البيضاء، المغرب ط02، 2010.

- إبراهيم أنيس، عبد الحليم منتصر، عطية الصوالحي، محمد خلف الله أحمد، المعجم الوسيط؛ مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط4، 2004.

- أحمد مختار عمر، اللغة واللون، عالم الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1997.

- عمر أبو النصر ، تغريبة بني هلال ورحيلهم إلى بلاد الغرب وحروبهم مع الزناتي خليفة، دار عمر أبو النصر وشركاؤه، بيروت، لبنان، ط01، 1971.

-المراجع باللغة الأجنبية

- Ferdinand de Saussure, Cours de Linguistique Générale, Editions payot é Rivages,1996, paris, France.

- Oliver Reboul, Langage et idéologie, presses iniversitaires de France, paris, 01 édition,1980, p21 .

مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ر ت م د: 7163 -1112 ر ت م د إ:1892-2588
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2

البعد الحجاجي للبديع في ضوء البلاغة الجديدة

- دراسة في خطاب الرسائل العباسية -

The Argumentative Dimension of The Science of Figures of Speech in the Light of the New Rhetoric
-A Discourse Study of the Abbasid Letters-

عاشوري يمينة[1] ، عبد العليم بوفاتح[2]

1-جامعة غرداية/الجزائر achouri.yamina@univ-ghardaia.dz
2 - جامعة عمار ثليجي الأغواط/ الجزائر abdelalimboufatah@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2020/05/10. تاريخ القبول: 2021/01/27

ملخص:

لقد كانت نظرة البلاغيين القدامى لعلم البديع نظرة نمطية يحذوها الجمود والانغلاق، قائمة على الصنعة اللّفظية الزّخرفية، حيث تهتم بتزيين النص لاضفاء الجمالية وتحقيق تذوقه الأدبي، غافلين بذلك ما يقوم به من بعد وظيفي،إلى أن جاءت البلاغة الجديدة التي أحدثت بحراكها العلمي رؤية حداثية لعلوم البلاغة، إذْ ربطتها بمختلف العلوم والمعارف الحديثة، حتى تجاوز كونه مجرد فنّ قائم على الإبداع والإمتاع إلى مجال معرفي واسع له روافده المتنوعة ومساراته المتعددة، كما راعت فيه ذلك الجانب الوظيفي وعُنيتْ به في عملية التواصل والتخاطب..وقد تجلّى هذا التطور في موضوعات البلاغة كلّها، ولا سيما في مباحث علم البديع، إذْ أثبتت الدراسات الحديثة أن للبديع قيمة صوتية ودلالية بارزة وبعدا تداوليا وحجاجياً، إضافةً إلى دوره في تثبيت المعنى وتوضيح المقاصد، فضلاً عن أثره في تدبيج الكلام وإضفاء الطابع الجمالي عليه..

ويروم هذا البحث تتبّع المحسنات البديعية واتجاهاتها الوظيفية في النص لمعرفة مدى مساهمتها في العملية الإقناعية في ضوء نظرية الحجاج التي هي عماد البلاغة الجديدة. ومنه يهدف إلى الكشف عن الوظيفة الحجاجية لمباحث

المؤلف المرسل: عاشوري يمينة: achouri.yamina@univ-ghardaia.dz

البديع.وكيف تتصيّر المحسنات المعنوية واللفظية إلى آليات حجاجية.وقد اتخذنا الرسائل العباسية مدونة للعمل، لكونها تجمع بين الشكل والمضمون، وباعتبار هيمنة المحسنات البديعية على نصوصها وهذا راجع لطبيعة أسلوبها وخصائص بنيتها، وقيمتها الحجاجية..

الكلمات المفتاحية :

بلاغة.بديع. حجاج. رسائل عباسية.

Abstract

The old rhetoric of figure science was a stereotypical view of stagnation and closure, based on decorative verbal work, based on the care of decorating the text and making it fun, so that they have it. neglected the functional aspect, until new rhetoric came along which caused a remarkable change in his appreciation of the science of rhetoric by relating it to various sciences. And modern knowledge, insofar as it went beyond mere art based on creativity and enjoyment, to a vast field of knowledge that has its various tributaries and multiple paths, and took into account this functional aspect and became interested in him in the process of communication and communication.

Keywords:
rhetoric, figures of speech, argumentation, Abbasid Letters

1. مقدمة:

إن علم البديع الذي اعتبر إلى وقت ما مجرد تزيين للنص لا يضيف إليه معنى جديداً، وزخرفة زائدة يمكن الاستغناء عنها في عملية التواصل، قد اختلفت نظرة البلاغة الجديدة إليه منطلقة من فكرة أنّ الانسان يتكلم قصد تحقيق غاية الإقناع والتأثير مستعملا اللغة في بعدها الوظيفي الذي يحمل طاقات حجاجية تتجسد من خلال التواصل. وقضية الحجاج هي فكرة بلاغية تكمن فيما يَنْشُدُه المتكلم من تأثير في مخاطبه، تأثيراً منسجماً مع طبيعة التخاطب القائم بينهما، على اعتبار أنّ البديع مبحث بلاغي يعتمد على الإيهام وشدّ الانتباه وبالتالي فهو تأثير في المتلقي، وإشراك له في إنتاج النص ومن ثمّ يسهل عليه فهم مقاصده، وهذا يعني أنّ لهذا العلْم أبعادا وظيفية عبْر غايات التأثير والإقناع،وهو ما أغفلته الدراسات البلاغية القديمة، وسعت البلاغة الجديدة إلى إبرازه.

إنّ الحجاج متغلغل في كل البنى اللغوية، وقولا بأنّه لا تواصل من دون حجاج فإنّه لا يكاد يخلو أي كلام بين طرفين من ملمح حجاجي، ولا شك أن كل الخطابات على تنوعها تحوي هذا البعد، ولا سيما الخطابات الإبداعية منها، ومنها تلك الرسائل المتبادلة في شكل حوارات ثرية بأبعادها الحجاجية. ومن هذا المنطلق جاءت دراستنا هذه موسومة بـ"البعد الحجاجي للبديع في ضوء البلاغة الجديدة، دراسة في خطاب الرسائل العباسية". وقد وقع اختيارنا على الرسائل العباسية تحديداً لما رأيناه فيها من ثراء وتنوع على مستوى النماذج البديعية التي حفلتْ بها.. وأمّا هدف دراستنا فهو إظهار الجانب الوظيفي الإقناعي للبديع وإبراز دوره الوظيفي وأهميته في الكلام باعتباره آلية من آليات الحجاج والإقناع.

2.البديع بين الجمالية والحجاجية:

جاءت البلاغة الجديدة ثائرة على الأنماط التي سبقتها في البلاغة الحديثة❖التي انحسرت في المنطق الذي أفقدها أهميتها ودورها الإقناعي والبياني، وجعلها عبارة عن قوالب جامدة مفرغة، تحكمها "بلاغة الصور الفنية والمحسنات البديعية"[□].ولكن ما إنْ ساد الدرس اللّساني المعاصر مجالات الفكر اللغوي والإبداع الأدبي حتى استعادت البلاغة مكانتها وتحرّرت من قيودها، وتجلت أبعادها المتعددة.ولقد نبّه بيرلمان على أن أغلبية العناصر منها البلاغية ومن بينها البديع تعتبر كموجهات تعبيرية ذات دور حجاجي.[☆]

هذا، وعلى اعتبار أن البديع أحد الفنون البلاغية التي عني بها البلاغيون قديما وحديثا، فإنّ له دورا بارزاً في تشكيل الصورة الفنّية، لكونه وسيلة لمعرفة مزايا الكلام والوجوه التي بوساطتها يتجلى جماله ورونقه.فالبديع عند البلاغيين القدماء هو "علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد مطابقته لمقتضى الحال ووضوح الدلالة" [☆]، ويُعنَى كذلك بتجميل الكلام وتزيينه، وهو عنصر فاعل من أهم مقومات النص الإبداعي، إذْ يضمن له الحركة والانسيابية ويزيل عنه الرتابة ويزيد من جمالية النص بإضفائه تلك اللمسة الفنية والجرْس الإيقاعي على موسيقى النص، كما أنّ له أثراً في تحريك الشعور والتأثير في نفس المتلقي إذْ يتفاعل مع النص فيكون قادرا على إنتاج دلالات وتأويلات نتيجة هذا التفاعل، والبديع "يوفر حظوظا من القيم الجمالية في الموسيقى والخيال الصوتي، ومتعة

الأذن وطرب الوجدان إلى جانب غذاء الفكر بالمضمون العقلي" [25]. وقد توزعت الحدود المعرفية للبديع على ثلاثة محاور على النحو الآتي:

- محور المعاجم اللغوية: وفيه عرف البديع بالإنشاء والابتداء والحداثة والجدة في الصنع.

- محور الموروث الشعبي: وهو ما سجلت معه توجهات المصطلح بدلالة الغريب والطريف والرائع، إذْ استحدث البديع مع شعراء العصر العباسي.

- محور التراث البلاغي: وهو الأكثر ثراء، إذْ أصبحت اللفظة معه فنّا يتعامل مع الدلالات الأسلوبية خارج الحدود التقريرية النمطية[26]. أي أنّ اهتمام البلاغيين بالبديع أصبح موجها إليه من حيث وظيفتُه الفاعلةُ في النص؛ ذلك أن له دلالاتٍ عميقةً في تأكيد المعنى وإيضاحه وجلب انتباه السامع؛ على غير ما كان يُعْرَف عنه بأنه أسلوب نمطي للتزين والزخرفة اللفظية ليس إلاّ..

ومع تطور الدراسات النّصية والحديثة ومباحث تحليل الخطاب، أدرك البلاغيون والمشتغلون في مجال اللسانيات النصّية أهمية البديع ومدى نجاحه في تحقيق الاتساق والانسجام بين مكونات النص؛ وقد أشار بعضهم إلى وجود عدة ظواهر نصّية في البلاغة العربية من شأنها أن تُسْهِم في ربط مكونات النص، كما أن التّراث البديعي يمتاز بالثراء والخصوبة من هذه الوجهة، وهو يدعو الباحثين إلى إعادة دراسته من منظور نصّي[27] باعتباره "عنصراً من صميم البنية اللغوية، والوسائل الأسلوبية المراد بها تركيز الاهتمام على النص نفسه... لذلك صارت إعادة النظر في قيمة البديع النصّية أمرا ملحا، لتجاوز ذلك الحكم النمطي الحاضر في أكثر الأحيان عن دراسة النصوص التراثية، حيث لا يُرى البديع إلا تكلّفا أو لمسات تزيينية على حواف المعنى في أحسن الأحوال [28].

ومنه فإنّ المحسّنات تُسْهِم في تماسك النص من خلال العمل على ربط أجزاء النص بعضها بالبعض، كما لا يمكن إغفال الجانب الأهم في البديع، ألا وهو الإيقاع وما يتركه من جرْس موسيقي يستهوي المتلقي ويأسره ويشدّه إليه شدّاً، فإذا هو مقبلٌ على النص بتأثيرٍ من بديعه، وهكذا يصبح المخاطب شريكا في إنتاج الدلالة.ويقسّم بعض الباحثين البديع إلى أنواع من أبرزها البديع التداولي، وهو من أكثر الأنواع تأثيرا في المتلقي، فالكلام البليغ يتضمّن بالضرورة الإيقاع التشابهي بوصفه أساس الفن، وهو الذي يتركز على فعالية المتلقي في إنتاج

المعاني الإيحائية المتضمّنة في شكل هذا البديع الذي في ورد في النصوص القرآنية الراقية والبليغة. ومن المعلوم أنّه لا يتحقق الإيقاع في النص النثري إلا من خلال أنواع البديع فيه، من جناس وسجع ومقابلة، إذْ تُسْهم جميعها في إثارة مشاعر المتلقي بتنوع الإيقاعات التي تتلذذ بها الآذان وتؤسر بها القلوب؛ وعليه فإنّ الهدف من استعمال المحسّنات البديعية ليس ظاهريًّا قائماً على الزخرفة اللفظية في ذاتها، وإنما يكمن سرّها في درجة التأثير على المتلقي واستمالته، وهو آلية من آليات إقناعه بجدوى الخطاب المطروح أو القضية المتبناة في النص، وبالتالي يمكن القول إن آليات البديع تجمع بين الإمتاع والإقناع وهي بذلك ذات بعد تداولي حجاجي.

3. مدونة البحث وتحديد مجال الدراسة :

إنّ مدونة الدراسة المتمثلة في الخطابات التي تضمنتها الرسائل العباسية هي مدونة ثرية بهذا الفنّ، إذ تزخر هذه الرسائل بالمحسنات البديعية، المتداولة بين الكتاب والشعراء العباسيين لشدّة ولعهم بتنميق الكتابة والعناية بجماليات الشكل في رسائلهم، بما يترجم قوة إبداعهم وتمكنهم في هذا الفنّ كما في سائر الفنون البلاغية الأخرى..

لقد قسّم البلاغيون البديع باعتبار الوظيفة التي يؤديها في الكلام إلى قسمين: قسم يعنى بجانب الشكل والألفاظ وأصواتها وهو البديع اللفظي، وقسم يعنى بالمضمون ومعاني الألفاظ وهو البديع المعنوي.. وبناء على هذا التقسيم سنؤسس دراستنا هذه، على اعتبار أنّه لم يأت بعد هذا التقسيم ما ينسخه من حيث التصنيف والتبويب، كما في سائر الأبواب والفنون البلاغية..

من هذا المنطلق سنتناول المحسّنات المعنوية التي نقتصر فيها على الطباق والمقابلة، باعتبارهما أبرز المحسنات المعنوية؛ وأما المحسنات اللفظية فسنتناول منها السجع والجناس لأنهما أبرز ما في هذا النوع وأكثره شيوعاً وتداولاً.. ومما سجلناه في متابعتنا لهذه الظواهر البلاغية في رسائل العباسيين تتبدّى لنا مدى إسهامها في تحقيق ما يصبو إليه كتاب الرسائل من مقاصد على المستوى الإيقاعي، فضلاً عن تحسين المعنى وتقويته، كما اعتبروه وسيلة لجلب الاهتمام والتأثير، وقد جاء توظيف البديع لديهم في أغلبه على سجيتهم، إذْ لم يتكلفوا فيه إلاّ في مواضع معلومة، وهذا يعكس ما يجول في نفوسهم ومايحيط بهم في بيئتهم، فراحوا يعبّرون عن واقعهم ومجريات حياتهم وعلاقاتهم بانسيابية.

4. البعد الحجاجي للمحسّنات المعنوية (الطباق والمقابلة):

يعدّ الطباق والمقابلة من أهم المحسنات البديعية التي استعملها الكُتّاب العباسيون في رسائلهم، فقد جمعت هذه الرسائل بين الفنّية والجمالية وحسن المعنى ووضوح الدلالة. وانطلاقا من أنّ الأشياء تُعْرَف بأضدادها،فإنّ الطباق هو "الجمع بين المتضادين، أي بين معنيين متقابلين في الجملة. "□، ومن أهم التسميات التي أطلقها عليه البلاغيون:المطابقة والتضاد. وأما المقابلة فهي طباق مركَّب إذْ تشمل عدة ثنائيات متقابلة، وذلك بأن "يؤتى بمعنيين متوافقين أو معان متوافقة ثم بما يقابلهما أو يقابلها على الترتيب، والمراد بالتوافق خلاف التقابل." لج□، ويتداخل المعنى البلاغي للطباق والمقابلة ويقع لدى الباحثين بعض اللَّبْس بينهما، فهناك من يرى أن المقابلة تدخل ضمن الطباق، لكونها طباقا متعدّدا، في حين يرى آخرون أنّ المقابلة أعمّ من الطباق.

ومهما يكن من توافق أو اختلاف في التمييز بين الطباق والمقابلة فإنّ بلاغة التضاد والتقابل تظهر في تحريكهما للعقول بالتغلغل إلى قلب السامع لتستميله وتشده إلى التأمل والبحث في هذه التقابلات، ليقف عندها ويبحث في المعاني التي أضافتها للنص؛ وعليه فإنّ ورود معنى الكلمة وضدها في الخطاب ليس أمراً اعتباطيا، وإنّما جيء به ليزيد معنى النص وضوحاً وتأكيداً؛ وهذا التباين والاختلاف له دوره في توجيه الخطاب وفق دلالات بعينها،فهو"سجل المعاني الجمّة في السياق، ومظهر الإيجاز اللفظي في النسق والتفصيل المعنوي في التعبير، ودليل من دلائل الفصاحة والبلاغة في الكلام."□□

ولقد لجأوا كُتّاب فنّ الرسائل في العصر العباسي إلى استعمال هذه الثنائيات المتقابلة، في الطباق أو المقابلة طلبا للإيجاز والدقّة في التعبير عن المعنى، وجاءت رسائلهم زاخرة بهذين المحسّنين المعنويين، أكثر من باقي المحسنات. وسنتناول فيما يأتي نماذج من هذه الرسائل، لنُجْرِيَ عليها دراستنا التطبيقية بأنْ نقوم بتحليلها ونقف على مواضع الطباق والمقابلة، وما لهما من أثر في المعنى، ومن قيمة حجاجية في عملية التخاطب..

1.4. القيمة الحجاجية للطّباق في الرّسائل:

مثال1:"وإنّ من أعظم الشقوة، وأبعد من السعادة، ألا يزال يتذكر زلل المعلمين، ويتناسى سوء استماع المتعلمين ويستعظم غلظ العاذلين، ولا يحفل بتعمد المعذولين."[12]

هذا الأنموذج من رسالة سهل بن هارون؛ إذْ ورد الطباق هنا بين (شقوة، سعادة)، (معلمين، متعلمين)، (عاذلين، معذولين). وقد استند الكاتب إلى الطباق لأجل المفاضلة التي تزيد في عملية التأثير والاستمالة، وكي يمنح كلامه معنى وقوة إقناعية نجده قد جمع بين عدّة متضادات أسهمت في بناء معنى واضح، ذلك أنّ الكاتب أراد أن يبيّن لمتلقيه أنه من الشقاء تتبع زلّات المعلمين ونسيان أخطائهم في عدم أخذهم بالنصيحة والاستخفاف بغيرهم أو من هم أقل منهم شأنا، ثمّ إنهم يأخذون بلوم غيرهم.

ونوع الطباق الذي وظّفه الكاتب هنا هو طباق الإيجاب،وهو أكثر توضيحا للصورة؛ وعندما يتأمل المتلقي هذه الصور المتضادة يدرك الفرق بينها، وبذلك يحصر موقفه تجاه نتيجة معيّنة. وعادة ما تكون هي قصد المرسِل، وهذا الطباق الذي جاء في النص له أثر واضح في المحاججة، ويتبيّن لنا غرض الكاتب من الطباق الذي لم يُؤْتَ به لأجل الزخرفة، بل من أجل التأثير وتحقيق المتكلم لمقاصده،ومن ثمّ إقناع المتلقي بما تضمنه كلامُه، فهو قد وضع المتلقي بين عدّة متضادات، ليستخلص النتيجة من خلال إجراء المقاربات والمقارنات بينها لتفضي به إلى موقف معيّن، هو ممّا ارتسم في ذهن المتكلّم حين كتابته لهذه الكلمات بهذا الأسلوب وهذه التقابلات.

ونجد أن هذه الحجج التي أوردها الكاتب تندرج ضمن سلّم حجاجي واحد يؤدي لنتيجة واحدة ومقصودة ، أي أن كل هذه الدلائل لها مدلول واحد.ونمثل هذا السلم الحجاجي على الشكل التالي:

ن:عدم الأخذ بالنصيحة والاستخفاف بمن هم أقل منهم.

- ح4: لا يحفل بتعمد المعذولين
- ح3:يستعظم غلظ العاذلين
- ح2:يتناسى سوء استماع المتعلمين
- ح1: ألا يزال يتذكر زلل المعلمين

والسلم الحجاجي هو نمط حجاجي يستخدمه المحاجج لاقناع المتكلم منطقيا حيث يقوم على مبدأ التدرج في أقوال تتضمّن حججا يكون منطلقها واحدا، وتهدف إلى تحقيق نتيجة واحدة، بحيث يأتي ترتيب هذه الحجج حسب قوّتها من الحجّة الضّعيفة وحتى الحجّة القوّية لتشكل بذلك سلّما عموديا يخدم نتيجة معينة، وهذه النتيجة تخدم البنية الكبرى للنص التي يسعى إليها المحاجج. [1] **فالارتقاء في الحجج هو ارتقاء في درجة القبول والاقتناع من طرف المتلقي.**

مثال2: "وإنّ من لم يحسب ذهاب نفقته لم يحسب دخله، ومن لم يحسب الدّخل فقد أضاع الأصل، ومن لم يعرف للغنى قدره فقد أوذن للفقر،وطاب نفسا بالذل...وعبتموني بأن قلت لكم عند إشفاقي عليكم : إنّ للغنى لسكرا وإن للمال لنزوة...فمن لم يحفظ الغنى من سكر الغنى فقد أضاعه، ومن لم يربط المال بخوف الفقر فقد أهمله فعبتموني بذلك وقد قال زيد بن جبلة: ليس أحد أقصر عقلا من غني أمن الفقر، وسكر الغنى أشد من سكر الخمر" [2]

جاء التضاد في هذا المثال بين : (الغنى، الفقر). في رسالة وردتْ في سياق مدح الكاتب للبُخْل؛ وقد ربط هنا بين المال والسُكر فجعل المال مما يذهب بعقل الإنسان، لأنه يُدْخِل صاحبه في نشوة تأخذه إلى عالَم لا يشعر فيه بما حوله، فمن اعتاد على الإسراف فيه فإنه سيُدمِنُ على ذلك مثل الإدمان على السُّكْر؛ ولن يستطيع التوقف أو الابتعاد عما تعوّد عليه، مما سيؤدي به إلى التّبذير الكثير ومنه ضياع المال وحصول الفقر، لذا وجب على المرء الاقتصاد والشُّحّ في أول أمْرِه وهو في سَعَةٍ، حتى لا يفتقر في آخر عمره ويصير إلى الضيق. فالنتيجة التي أراد الكاتب

الوصول إليها هي أنّ الإسراف في بذل المال يجلب الشقاء والفقر لصاحبه. ونمثل الحجج التي وردت في النص كما يلي :

ح1 :إن من لم يعرف للغنى قدره فقد أوذن للفقر

ح2:من لم يحفظ الغنى من سكر الغنى فقد أضاعه

ح3: من لم يربط المال بخوف الفقر فقد أهمله

نجد في الحجة الأولى ورود أسلوب التأكيد من خلال أداة التأكيد "إنّ"و ويعدّ من العوامل التي تعمل على تأكيد القضايا وإثباتها، وإزالة الغموض الذي يكتنف السائل أو المستمع من خلال تأكيده للقضية المتبناة، وقد عمل الرابط "إنّ"على ترابط التركيب اللغوي، من خلال إعطاء الملفوظ اللغوي الواحد دفعة حجاجية قوية، مما تسمح له بتوجيه الخطاب إلى الوجهة التي يقتضيها المخاطِب، وبذلك فهو يؤثر على معنى الجملة ووظيفتها التي سيقت من أجلها.

أما الحجة الثانية والثالثة فقد تكونتا من أسلوب الشرط :

من لم يحفظ الغنى من سكر الغنى ← فقد أضاعه

من يربط المال بخوف الفقر ← فقد أهمله

والنتيجة التي أراد الكاتب الوصول إليها هي ضرورة الاقتصاد في المال، وأسلوب الشرط هنا يحمل طابع النصيحة والتحذير، حتى يقي المتلقي نفسه من التبذير. ولأسلوب الشرط قدرة بلاغية في إظهار الحجج ونتيجتها في آن واحد ، ويتجلى دوره الحجاجي في إعطاء دلالات تهدف إلى إقناع المخاطب.

والكاتب قد جاء بتلك الأضداد بقصد المفاضلة بين متضادين، من أجل الانتصار لفكرة واحدة، وهي أن الاقتصاد والشُّحّ أجلّ من الإسراف والتبذير والكرم الزائد على الحدود.

مثال3:"وجعل - تعالى جدّه - ما تجرّعته من أنف، وكظمته من أسف معدودا فيما يعظم به أجرك، ويجزل عليه ذخرك، وقرن بالحاضر من امتعاظك بفعلها، المنتظر من ارتماضك بدفنها فنستوفي بها المصيبة ونستكمل فيها المثوبة...فوصل الله لسيّدي ما استشعره من الصبر على عرسها، بما يستكسبه من الصبر على نفسها،وعوّضها من أسرّة فرشها، أعواد نعشها وجعل –تعالى جده - ما ينعم به عليه بعدها من نعمة، معرّى من نقمة... لكنه تعالى يختار لعباده المؤمنين ما هو خير لهم في العاجلة، وأبقى لهم في الآجلة"[سم]

في رسالة عمرو بن مسعدة هذه نجده يخاطب صديقه بعد أن رأى جزعه من زواج أمه وحاول أن يقنعه بالرضا وأنّ ما فعلته من حلال الله، ونجد الكاتب قد وظّف طباق الإيجاب المباشر لبلوغ مقصده من التأثير في المتلقي وضمان إقناعه بما أراد أن يسديه إليه من النصيحة.. فجاء الطباق في قوله : (نعمة ونقمة)، إذ أراد الكاتب أن يبين لمتلقي رسالته أنّ من نعم الله أن جعل لها الزواج على مفارقتها الحياة وتركه وحيدا في هذه الحياة.

وكذلك ورد الطباق بين (العاجلة والآجلة). والكاتب يريد هنا أن ينحو بقصده إلى أن الله يجعل الخير ويعجّل به وإن ساءنا، وهو يعلم الغيب وما أخفى.وقد استخدم الكاتب هاته المتضادات حتى تساند إحداهما الأخرى باتجاهها نحو قصد واحد؛ إذْ جاء توظيف الطباق إذاً لتحقيق غاية واحدة ألا وهي الإفهام والاقناع للمتلقي بما تضمنه قول الكاتب من نصح وتوجيه . حيث يطلب من متلقيه الإذعان للأمر والتسليم به، والمسارعة إلى مباركة زواج أمه وترك هالة الحزن مادام أن الأمرمقرون بشريعة الله.

مثال6: "فإن أردت خوض غمار البلاغة، وطلبت أدوات الفصاحة فتصفح من رسائل المتقدمين ما تعتمد عليه، ومن رسائل المتأخرين ما ترجع إليه، في تلقيح ذهنك واستنجاح بلاغتك."شم□

وفي رسالة العذراء نجد الكاتب قد وظف الطّباق وجعله حاملا لبعض حججه، حيث يحاول الكاتب هنا أن يبين أنّ من يريد أن يحسن أمور البلاغة والكتابة فذلك يكون بالتعلّم والأخذ مما تركه القدماء وبالاطلاع على ما كتبه المحدثون، ثم يكمل كلامه قائلاً : "... بعد أن يكون الكاتب صحيح القريحة ...عالما بحلال الكتاب والسنة وحرامها."، فينبغي أن لا يكتفي البليغ والكاتب بمعرفة أمور البلاغة والكتابة وغيرها من الفنون، بل عليه أن يكون كذلك عالما بكتاب الله وأحكامه وحلاله وحرامه. وقد استعان الكاتب بالطباق في هذين المثالين للمفاضلة بين فكرتين،فجاء التضاد لبناء حجتيْن متكاملتين، وكلتاهما جاءت مدعّمة للأخرى،من أجل الظفر بنتيجة واحدة. وهذه آلية حجاجية من أقوى الأليات تتمثل في تظافر الحجج لضمان قوة التأثير والإقناع.

مثال7:"عدوه آمن من غائلته، وصديقه خائف من بائقته." ها□

جاء هذا النص في كتاب لأبي طاهر إلى أبي علي البصير يعاتبه على مؤاخاة ابن مكرم معدّدا سيئاته .ومانلحظه في هذا النص أن الحجتين (عدوه آمن من غائلته)، (صديقه خائف من بائقته) جاءتا متساوقتين وموصولتين من خلال أداة الربط (الواو)الذي قام بالوصل بين الحجتين، وضمن تماسكهما وانسجامهما، كما أن الحجة التي وردت بعد الرابط أقوى من الحجة الأولى، وقد جاء التضاد هنا بين عدوه وصديقه، وهو طباق الايجاب حيث مكّن المرسل من استغلال ذلك كحجة حين حاول أن يبيّن له أنّ الصديق الذي يتبعه صديق سوء ولا أمان له ويغدر بالصديق قبل العدو.

خلاصة واستنتاج:

إنّ توظيف الطّباق كغيره يراد به تحقيق غايات خطابية بعينها، وهو من أساليب المحاججة والاقناع، وليسا "أمرا نافلا وليس زينة بديعية يلهو بها الأديب فيورد الكلمة وضدها، والعبارة وأختها أو نقيضها ليجعل كلامه براقا خلابا بديعيا."[□□] إنمّا تأتي لتوضيح الكلام وتبيينه.كما يقوم الطّباق على التّصوير وحصر الكلام بين الحجّة التي يريدها الكاتب وبين ضدّها.ونجد أنّ الكاتب هنا قد لجأ إلى استخدام الطباق لغاية في نفسه، وطلبا لتحسين المعنى وإثباته، ونحا بها قصدا حجاجيا، فجاءت معبّرة عن أفكاره، كما أسهمت في بناء النص وإعطائه قوّة وتماسكا وتلاحما بين أجزائه.

2.4.القيمة الحجاجية للمقابلة في الرّسائل :

إنّ المتأمل في طبيعة المقابلات بين المعاني يجد أنّ المعنى يزداد وضوحا والتصوير يكون أدقَ. وبذلك تتجلى قيمة هذه الظاهرة البلاغية في هذه الرسائل النثرية كون الكتاب أدركوا أهمية المقابلة في إيصال المعنى للمتلقي بشكل موجز وبصورة واضحة فنراهم يسترسلون في التضاد والتقابل بفنية وجمالية، ومنه يأخذ الكلام طريقه إلى قلب سامعه بشكل واضح سلس فيفهم المعنى والقصد، وبذلك ينجح المخاطب في إثارة المتلقي واستمالته إلى جانبه. والمقابلة الحجاجية هي" التي يقتضيها المعنى ولا ترد متكلّفة، وبما أن المقابلة تعتمد إيراد المعاني ثم الإتيان بما يقابلها، فذلك يُسْهِم حتما في توضيح المعنى، والتوضيح من التقابل يساعد على تميز الأشياء ومنه الإقناع في ثوب جمال المقابلة."[□□]

مثال1:"من لم يعرف مواقع السرف في الموجود الرخيص، لم يعرف مواقع الاقتصاد في الممتنع الغالي." [لح بر]

جاءت المقابلة هنا بين معاني شطر الكلام الأول، وشطر الكلام الثاني، في قوله: (السرف في الموجود الرخيص) وقوله: (الاقتصاد في الممتنع الغالي).وهي مقابلة ثنائية أراد الكاتب من خلالها أن يوضح أهمية الاقتصاد وحُسْن التدبير في الأشياء البسيطة قبل الأشياء الغالية، كما أنه من لم يمسك يده عن الأشياء الصغيرة فلن يتمكن من أن يمنع نفسه عن الغالي.. وبذلك سيدخل باب التبذير، ومن شبّ على شيء شاب عليه. وقد استخدم الكاتب تقنية المقارنة والمفاضلة من خلال هذا التقابل عن طريق التضاد، وهي " عملية تجريبية منشدة إلى عملية بناء الواقع خاصة، والمقارنة حين تعقد بين طرفين لا تكون بالضرورة واقعية، بل تكون مبتدعة لا أساس لها إلا في سياق النص وخيال المحتج."[□ بر]، وتبدو حجة الكاتب هنا قوية لأنه انطلق من واقع التجربة ليجعل منه وسيلة إقناعية لها تأثيرها القوي في نفس المتلقي..

وهناك ظاهرة لا بد من الإشارة إليها في باب المقابلة لأهميتها، وهي ممّا يزيد المعنى التضمن في المقابلة أكثر تأكيداً ورسوخا في الذهن، وقد دأب عليها الكُتّاب والشعراء؛ ونجدها لدى الكاتب في هذا المثال، كما في أمثلة أخرى؛ وهي تكرار الفعل نفسه أو العبارة نفسها في بداية المعاني المتقابلة على الرغم من تضادها، كقوله في هذا المثال : (من لم يعرف مواقع .... لم يعرف مواقع...) فهذه العبارة توجد في كلا المعنييْن، وهي عبارة واحدة لا تضاد فيها، ولكنها جاءت في موضع التضاد، فهي في الشطر الأول من الكلام تختلف عنها في شطره الثاني، على الرغم من أنها لم تتغير من حيث اللفظ، لأنّها تلوّنتْ بلون المعنى الذي اندرجتْ ضمنه والسياق الذي وردتْ فيه..وهي في باب الحجاج آلية لها أثرها في تثبيت الفكرة وتقوية دلالة الكلام، فضلاً عن وقعها وتأثيرها الإيقاعي في أذن السامع، ممّا يؤدي إلى تأثره واقتناعه..

مثال2: "فترقيع الثوب يجمع مع الإصلاح التواضع، وخلاف ذلك يجمع مع الإسراف التكبر."[22]

جاء التقابل هنا في قوله: (يجمع مع الإصلاح التواضع)، (يجمع مع الإسراف التكبر). وفي هذا الأمر حجة من المتكلم على ترك التبذير.

وقد عمد الكاتب إلى تكرار العبارة الأولى ليبني عليها مقابلته الثنائية بين معنييْن هما : الإصلاح والتواضع ، وما يقابلهما على الترتيب، بمعنييْن آخريْن، هما : الإسراف والتكبّر.. وقد بنيت المقابلة هنا على التضاد، كما استعمل الكاتب قرينة لفظية ترسّخ معنى التضاد الذي قصد إليه في كلامه، ألا وهي قوله: (بخلاف)، فهي كلمة توحي بقوة المفاضلة بين المعنييْن الأوّليْن وما يقابلهما، وهذه وسيلة حجاجية قوية وجد فيها الكاتب مسلكاً فاعلاً للتأثير في المتلقي وصولاً إلى غايته الإقناعية..

مثال 3 :" ما تحب فمضمون لك عندي، وما تكره فمصروف عنك مني." تربر

يتجلى التقابل بوضوح هنا بين القسم الأول من الكلام (ما تحب فمضمون لك عندي) والقسم الثاني منه (وما تكره فمصروف عنك مني)وهي مقابلة ثلاثية تتميّز بوضوح الدلالة وقوة الحجة وحُسْن الصياغة، إذ استعمل الكاتب صيغة اسم المفعول، دلالة على أنّ الشيء المشار إليه كأنّه قد تمّ وتحقق، وذلك في قوله : (مضمون... مصروف) ويريد المرسل أن يبّين لصديقه أنه وإن اشتد الخصام بينهما إلا أنّ صداقتهما محفوظة وحبه في قلبه ساكن، ولن يرضى له إلا ما فيه صلاح له ، فاستخدام التقابل يكون للشرح والتفسير ولزيادة التأثير في المتلقي وإقناعه.

خلاصة واستنتاج :

يكمن جمال الطباق والمقابلة وبلاغتهما في كونهما يأتيان في جمل قصيرة موجزة موحية، تستهدف لبّ المعنى وتوصله بصورة أقصر وأسرع وأوضح، ذلك أنّ الإيجاز من أهم متطلبات الحجاج لأنه يجنّب تشتت الانتباه والنسيان. "فالتطويل في الوصف والتصوير والإسهاب في الشرح والتعليل ينتهيان بالمتلقي إلى الملل فتضعف قدرته على الانتباه، ولا يحتفظ من القول إلا بأقله. " تربر

وللوصول بالمتلقي إلى فهم المعنى والاقتناع بجدوى الموضوع، والتأثير فيه وحمله على إدراك قصد المتكلم.. نجد أنّ كُتّاب الرسائل يلجأون إلى الجمل القصيرة والبسيطة المعبرة؛ والأمثلة التي أوردناها تمثل ذلك إذْ أسهمت في تقريب المعنى وتوكيده.

إنّ هذه المحسّنات المعنوية متمثلة في الطباق والمقابلة عملت على تقوية الصلة بين المعاني وألفاظها، من أجل أن تتضح الأفكار ويزول الغموض. فالمعاني يستدعي

بعضها بعضاً وتتضح بالضد والمقابل أكثر من التعريف والترادف، وعليه فقد استدعى سياق التواصل والتخاطب استعمال الكُتّاب للطباق والمقابلة، وقد أحسنوا توظيفهما مع تنوع مواضع كل منهما وأدائه لغرضه والغاية المقصودة منه في التأثير والإقناع. وبهذا أدّت هذه الأشكال التعبيرية دور الحجج المساعدة في إثبات الآراء وإبراز الأفكار وإيصال غايات المرسل إلى المتلقي، كما أنّ هذين الأسلوبين (المقابلة والطباق) يعدّان من "وجوه البديع التي تؤدي طريقة الفصل الحجاجي".[سمبر]

5. البعد الحجاجي للمحسّنات اللفظية (الجناس، السجع):

1.5. القيمة الحجاجية للجنـاس في الرّسائل:

يعدّ الجناس من الأساليب البديعية التي تمنح النص نوعا من التوازن الإيقاعي وتحقيق الانسجام بين جُمَلِه وعباراته؛ وهذه الحركية تساعد في التأثير على المتلقي وجذبه إلى النص. وسمي هذا اللّون جناساً لأن "حروف ألفاظه يكون تركيبهما من جنس واحد. "[شمبر]، فهو تكرار اللفظ مع اختلاف المعنى، ولا يشترط أن تكون جميع حروفه متماثلة، بل يكفي في التماثل ما تقرّب به المجانسة. والجناس من المحسّنات اللّفظية الشكلية التي تشد المتلقي من خلال الجَرْس الموسيقي الذي يُحْدِثه تكرار هذه الألفاظ.

والرسائل العباسية زاخرة بأنواع الجناس، منها ما جاء بشكل زخرفي ومنها الجناس الوظيفي الذي أسْهم في إثراء المعنى وتثبيته في ذهن المتلقي من خلال جذبه واستمالته.. ومن أمثلته ما نجده في رسالة مدح البخل:

مثال 1 : "إن أردت أن ترى العيوب جمة فتأمل عيّابا، فإنه يعيب الناس بفضل مافيه من العيب، وأوّل العيب أن تعيب ما ليس بعيب وقبيح أن تنهى مرشدا، وأن تغرى بمشفق، وما أردنا بما قلنا إلا هدايتكم وتقويمكم ، وإلا اصلاح فسادكم، وإبقاء النعمة عليكم." [مبر]

جاء الجناس في هذه الفقرة بصياغات متعدّدة لكن بدلالات مختلفة فبين (عيوب، وعيّاب، ويعيب، والعيب) ثمة تمايز في الصياغة الصرفية؛ وهذه الألفاظ مشتقة من أصل لغوي واحد وهو (عاب)، وهذا ما يعرف بجناس الاشتقاق، لكن كل لفظة تؤدي معنى مغايراً للأخرى، وللكاتب في ذلك قصد معيّن أراده حتى

يوضح رأيه، من أنّ العيّاب هو من يرى عيوب غيره والعيب فيه، وهذا ما يجعله ينشغل بتتبع أخطاء غيره وعيوبهم، لينشغل بها عن عيوبه..

مثال2: "إن كسب الحلال يضمن الإنفاق في الحلال، وإن الخبيث ينزع إلى الخبيث، وإن الطَّيّب يدعو إلى الطَّيّب."□ بر

يريد الكاتب هنا أن يبيّن بأنّ ما يذهب إلى الحلال فمكسبه حلال، وما يذهب في الإسراف والبذخ والأمور المذمومة فهو مال حرام، وفي حين أن الأعمال الحسنة وحُسْن تدبير المال وعدم تبذيره يجلب المال الحلال. فبركة المال فيما يذهب إليه وعلى ما أنفقه. والتجنيس هنا واقع بين الألفاظ (الحلال، الحلال)، (الخبيث، الخبيث)، (الطَّيّب ، الطَّيّب) وهو كما يتضح جناس تام، إذ اتفقت اللفظتان في أنواع الحروف وعددها وترتيبها وهيئاتها، في حين أن كل لفظة تحمل معنى مغايراً للأولى، فالكاتب يقصد بلفظة (الحلال) الأولى المال، ويقصد بلفظة (الحلال) الثانية الأعمال المباركة من الله، كما يقصد بكلمة (الخبيث) الأولى يعني بها المال الفاسد وكلمة (الخبيث) الثانية تعني الأعمال المذمومة، وكذلك بالنسبة لكلمة (الطَّيّب) الأولى تعني المال الحلال، وكلمة (الطَّيّب) الثانية تعني الأمور الجيدة.

هذا، وإنّ والجناس التام من أكمل الأصناف إبداعا وأعلاها رتبة، ذلك أنّ تكرار اللفظ مع اختلاف معناه يزيد من حسن الكلام وإيضاحه، وفي ذلك يقول عبد القاهر الجرجاني في بيان قيمة هذا الفن البديعي: " ... وقد أعاد عليك اللفظة لأنه يخدعك عن الفائدة،وقد أعطاها ويوهمك كأنه لم يزدك وقد أحسن ووفاها. فبهذه السريرة صار التجنيس وخصوصا المستوفى منه المتفق في الصورة من الشعر ومذكورا في أقسام البديع.."□ بر ، فهذا التكرار اللفظي والاختلاف في المعنى يؤلف نظاما منسجما بين معاني النص، كما أنه يُسْهم في تلاحم النص وانسجامه، فهو يربط المعاني السابقة باللاحقة بطريقة انسيابية، ذلك أنّ المتلقّي يجذبه الشيء الطريف الخفيف الذي لا يشكل له سأماً أو مللاً. وقد كان الكاتب في توظيفه للجناس يهدف إلى شدّ انتباه المتلقي وربطه بفكرة النص، فهو يسعى إلى استمالته عن طريق إمتاعه؛ ذلك أنه بعد الإمتاع يحصل التأثير والإقناع.

مثال3: "هنّأك الذي شرح للتقوى صدرك، ووسّع في البلوى صبرك." لح تر

نلاحظ في هذا المثال أنّ التجنيس أسْهم في اتساق الكلام وتثبيت المعنى بما يترك أثراً ووقعاً في نفس السامع، إذْ أراد المرسل أن يقنع المتلقي بأن الله سيجبر خاطره ويشرح صدره ويرزقه الصبر، ذلك أنّ الرضى بقضاء الله من دعائم الإيمان وأركانه، وقد جاء التجنيس هنا ناقصا بين كلمتي (صدرك وصبرك) ولا يخفى ما بين الصاد مع الدال، والصاد مع الباء من تقارب وتلاؤم يؤدي إلى التقارب بين الصدر والصبر، باعتبار الصدر مستقرّاً للصبر الذي هو نصف الإيمان، وصدْق الإيمان ينشرح به الصدر؛ فهنا تكامل بين هاتيْن الكلمتيْن المتجانستيْن، ولا يخفى ما لهذا التقارب والإيحاء من أثر في نفس المتلقي، إذْ إنّه من أبلغ الحجج وأقوى آليات الإقناع بتواشج التقابل اللفظي وما يحمل من المعاني التي أراد المتكلم ترسيخها لدى المتلقي.

مثال4: "ما يوليه بعد قبضتها من منحة، مبرأ من محنة. "□ تر

نجد التقابل ههنا بين قوله: (يوليه من منحة، ومبرأ من محنة) وفيه تقارب كبير بين اللفظتيْن حتى إنّ التلفّظ بإحداهما يوحي بالأخرى في عُرْف المتكلمين، كما أنّ بينهما اختلافاً يسيراً يتمثل في تبايُن موقع حرفي النون والحاء وترتيبهما..ومع أنّ المعنى مختلف تماما انطلاقاً من كونه تقابل بالتضاد. وقد يبدو التقابل في هذا المثال طباقاً، لكنه من قبيل المقابلة التي لا يتضح فيها التضاد، ذلك انّه " إذا كان الطباق قائما على فكرة التضاد بين كلمتيْن في المعنى، فإنّ أساس المقابلة هو التقابل بين المعاني المتعددة على الترتيب، كما يمكن أن يكون هذا التقابل قائماً على التضاد، وقد يكون بين المعنييْن تقابل من غير تضاد.. " بر تر، وقد حاول الكاتب في هذه العبارة تغيير الوجهة السلبية في التفكير لدى المتلقي، وتحويلها إلى وجهة إيجابية، بالانتقال من عدم رضاه عن زواج أمه، إلى التسليم بالأمر لأنه ليس بيده، وأنّ ما كان سيكون محنة هو في الحقيقة منحة وعطاء وفضل من رب العالمين. وأنّه ليس عليه إلاّ التسليم بهذا الأمر وترك الامتعاض والتذمّر ممّا قُدّر له، فعسى أن يكون خيرا له.. واللجوء إلى هذا الأسلوب من أقوى الآليات الحجاجية التي تكون معها درجة التاثير والإقناع قوية..

خلاصة واستنتاج :

تكمن جمالية الجناس في ذلك التشابه الحاصل بين الألفاظ المتجانسة مع الاختلاف في المعنى، إذْ يزيده قوّة من حيث إن الكاتب "يمارس الحجاج الممتع، بخياله الذي يصور واقعا ويقيم المعقول والمفهوم، بمعنى أنه يسمح باللذة العقلية والمتعة الإقناعية أن تشقّ طريقا نحو ذهن المتلقي الذي يجد شراب الحقيقة في كوب من الجمال" [ترتر]..

ونجد أنّ الجناس ينتقل من التشكيل اللفظي الزخرفي إلى الوظيفة الحجاجية من خلال بعض الوضعيات، فالألفاظ تبدو في بادئ الأمر متشابهة في الشكل والمعنى، ولكن مع التدقيق وحُسْن التأمل يتضح للمتلقي أنّها تختلف في المعنى ثم من خلال الإيقاع الذي تحدثه والتوازن الصوتي الذي يشعر معه بالارتياح والنشوة، سيدرك معناها فيقبل على التصديق ومنه الاقتناع. [يرتر] وهذا الإيقاع الناشئ من تكرار الألفاظ سرعان ما يهز أوتار القلوب ويحرّك المشاعر ويستميل الآذان ويتغلغل إلى النفوس.

لقد سار كتاب الرسائل العباسية في توظيفهم للجناس على نهج بلاغي متناسق جمعوا فيه بين جمالية الشكل الفني وحسن تلاؤمه مع المعاني والمقاصد التي أرادوها، فكان لذلك بالغ الأثر، كما تجلّتْ قيمته الحجاجية وقوته الإقناعية في تضاعيف تلك الرسائل الزاخرة بألوان من الجناس ضمن البديعيات المتنوعة.. وقد تميّز الجناس بينها بتماثله الصوتي وتناغمه الموسيقي الذي أحدثته الألفاظ المتجانسة، مع ذلك الاختلاف والتمايز الحاصل بين حروفها وهيئاتها، وهو ما كانت له دلالاته وأدواره الحجاجية.. كما أنّ كُتّاب الرسائل قاموا على التنويع في أشكال الجناس، وهذا من شأنه أن يبعد الملل عن المتلقي الذي يميل إلى استحسان هذا التنوع،ويأسره هذا الاختلاف والتباين.

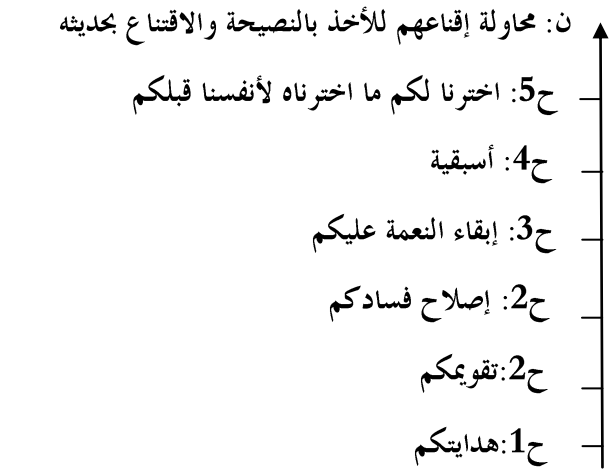
2.5. القيمة الحجاجية للسّجــع في الرّسائل:

يعد السجع الأسلوب الصوتي الأبرز من بين المحسنات البديعية وهو"تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد."[سمترتر]، ويقصد بالفاصلة الكلمة الأخيرة في القرينة ويسميها بعضهم قافية النثر.[شمترتر] ويقوم السجع على التكرار الصوتي، بأن يتّفق الصوت الأخير من كل لفظة فيعطي للنص مسحة نغمية وإيقاعا موسيقيا،مثلما يحدثه الوزن والقافية في الشعر من إيقاع. وهذا التكرار بين أصوات

الكلمات المسجوعة يحقق في النص الإمتاع ويدل على ما لصاحبه من المُكْنة في الإبداع. والسجع يخضع النصوص لإيقاعات متوازنة، وهو من أبرز سمات أسلوب كُتّاب الرسائل العباسية عموما، إذْ ورد لديهم بشكل كبير، وقد جاء متداخلا مع الجناس أحيانا كثيرة لكونهما يشتركان في الفاصلة الأخيرة، كما اختلفت أنواعه وتعدّدت أنماطه، وسنبيّن ذلك من خلال بعض الأمثلة:

مثال1: "أصلح الله أمركم وجمل شملكم، وما أردنا بما قلنا إلا هدايتكم، وتقويمكم،وإلاّ إصلاح فسادكم، وإبقاء النعمة عليكم، ولئن أخطأنا سبيل إرشادكم، فما أخطأنا حسن النية فيما بيننا وبينكم، ثم قد تعلمون أنّ ما أوصيناكم إلا بما اخترناه لأنفسنا قبلكم، وشهرنا في الآفاق دونكم..." [1]

في هذا النص نجد تعدّد الألفاظ المسجوعة في فقرة كاملة، إذْ تنتهي العبارات بنفس المقطع، وبشكل متوازن (أمركم، شملكم، هدايتكم، تقويمكم، فسادكم، ارشادكم، ،أوصيناكم، عليكم قبلكم، بينكم دونكم) بما أحدث إيقاعا موسيقيا منسجما. وهذه الألفاظ المسجوعة تسمو إلى الوجدان وتخاطب القلوب مع قرع الآذان، فتعمل على تنبيه المتلقي ولفت نظره حتى يتجه بسمعه وفكره صوب النص متأثراً مندمجاً مع ما جاء في ثناياه..وذلك بتأثير هذه الأسجاع التي جاءتْ متعاضدة مترابطة فيما بينها، ولم تأتِ قوة تأثيرها من كونها تُحْدِث جرْسا موسيقيا أو زخرفة لفظية وحسْب، بل إنها أدّتْ إلى تقوية المعنى وإيضاح قصد المتكلم، وهي تصب في رافد واحد هو محاولة الأخذ بأبناء العموم إلى طريق الصواب الذي يرجو الوصول إليه، وذلك بإقناع المخاطَبين بجدية النُّصْح وأهمية الأمر المنصوح به من ضرورة التقشف ونبذ الكرم الزائد،وأنّ ذلك ماجاء به إلا لخيرهم وصالح أمرهم. ومما يجدر ملاحظته ههنا أنّ كل عبارة مسجوعة في هذه الفقرة قد شكّلت حجّة في ذاتها، ففي كل جملة منها تتجلى قوة الحجة بما يضمن التأثير والإقناع . ويمكن تمثيلها من خلال سلّم حجاجي على النحو الآتي:



وقد وجد سهل ابن هارون في السجع وسيلة فاعلة في تحريك النفوس وشدة التأثير في المتلقين، وتفطّن لذلك فلم يدع متلقيه يشعر بالرتابة والملل،إذْ راح يشحن نّصه بأنواع مختلفة من الألفاظ المسجوعة التي أوجدتْ في النص جوا مليحا حسنا في إبداعه متناغما في إيقاعه، ليحمل المتلقي على الاستجابة والإذعان.وهذا الأسلوب أقرب إلى إغراء السامع بما تضمنه الخطاب، وهو على درجة عالية من قوة الاستمالة والإقناع وبلوغ المقاصد الخطابية..

مثال2: "لسنا ندع سيرة الأنبياء، وتعليم الخلفاء، وتأديب الحكماء،لأصحاب الأهواء..."□ تر

جاءت الألفاظ (الأنبياء،الخلفاء، الحكماء،الأهواء) على فاصلة واحدة، بشكل متقابل ومتوازن بين الجُمَل، وهي تتضمن في داخلها حججا قوية في دلالاتها، فقد أراد الكاتب بيان قوة مصدره في الحياة وسلامة منهجه، وذلك بأنه يأخذ العلم والحكمة من سيرة الأنبياء والحكماء أصحاب العقل والبديهة، ولا يترك أمره لأصحاب الأهواء والسفهاء، وقد جاءت هذه الألفاظ المسجوعة على تراتبية واحدة تعمل على تقوية المعنى وتؤدي به إلى فكرة معيّنة، ألا وهي الاقتداء بالأنبياء والحكماء والأخذ منهم، وأنّ منبع علمه وفكره صحيح لاشائبة به .

ثم إنّ هذا التآلف الصوتي والإيقاعي للألفاظ المسجوعة المتوازنة بين الجمل هو ما يحقق التلاحم والترابط بين الكلام، ويسهّل من نفاذه إلى ذهن المتلقي، فيستسيغه ويأنس له ويرتاح إليه، فيكون ذلك عاملاً قوياً يُفْضِي به إلى التأثر به

وتصديقه. "ولا شك أنّ بلاغة الأسجاع وقِصَر فقراتها وتماثلها، واعتدال جُمَلِها وتناسقها هو ما جعلها أكثر من غيرها إثارة لعواطف المخاطبين وترغيبهم في الكلام وجذبهم إليه وتشويقهم للأخذ به، فالإثارة والتشويق من أهم عوامل استمالة المتلقين إلى عالم الخطاب، إذ هما رافدان أساسيان من روافد الحجاج."□ تر

مثال2: "الحمد لله الذي كشف عنا ستر الحيرة، وهدانا لستر العورة، وجدع بما شرع من الحلال أنف الغيرة." لح ير

ورد السجع في ثلاث كلمات : الحيرة، العورة، الغيرة، وهذه الألفاظ ساهمت في توازن التشكيل المقطعي، ومنه أحدثت فيه عنصرا موسيقيا ايقاعيا، إذْ جعلت المتلقي يتوقف لتأمُّلها ثم الانتباه إلى معاني الجمل ومضمون الخطاب.فالكلام المسجوع يكون أقرب للحفظ، وهو مدعاة لجعله قريبا من القلب والعقل، إذْ يسهل حفظه والتدبر فيه، ومنه يأتي الحمل على تصديقه والعمل به.□ ير

مثال3:"منع من عضل الأمهات، كما منع من وأد البنات." بر ير

ورد السجع بين الأمهات والبنات، وهذا المقطع من الرسالة يؤدي بنا إلى الفهم بأن الكاتب قد أراد جذب انتباه قارئ الرسالة إلى أنّ الله سبحانه قد أحلّ زواج الأم بعد وفاة زوجها، ومنع الاعتراض على زواجها مثلما منع وأْد البنات رأفةً بهنّ. فمن خلال هذا التوازن الصوتي والايقاعي قد سلّط انتباه المتلقي على ما يجب عليه فهمه حتى يقتنع ويعود عن إعراضه ويصحح مسار تفكيره.

مثال4:"وحسن انصافك، أحوج مني إلى قطع أسبابك، والمقام على ترك عتابك، وكنت مستعدا لاحتمال ما يضيمني منك، ويتناهى إليّ عنك، لميل النفس بالرّغبة إليك وإقبالها ـ وإن أدبرت عنها ـ عليك.." تر ير

جاءت الألفاظ المسجوعة (إنصافك، أسبابك، عتابك، منك، إليك، عنك) لتشكل مسارا إيقاعيا، يعمل على لفت انتباه المتلقي، وسحبه ليغوص في ثنايا الكلام وينتبه إلى المعنى المراد منه، ومن ثم تثبيت المعنى والوصول إلى الغاية الخطابية. فالكاتب يريد أن يبيّن لصديقه أنه مهما حدث منه فإنّ مودته ستبقى من جهته صادقة، وما صبره عليه ومعاتبته والميل إليه إلاّ باعتبار الودّ الذي بينهما، فهذه المقاطع الإيقاعية والموسيقية التي يُحْدِثها السجع لها دور في لفت الانتباه، ومنه"يمكن اعتبار الموسيقى رافدا من روافد الحجاج من جهة استيلاء ما

وقع على النفوس وامتلاك الأنغام للأسماع، وماكان أملكَ للسمع كان أفعلَ باللّب وبالنفس. " [illegible] .

خلاصة واستنتاج :

بعد تأمّلنا لهذه الأمثلة نجد أن كُتّاب الرسائل العباسية قد استطاعوا أن يوظفوا السجع بشكل وظيفي دلالي بعيدا عن التكلّف والزخرفة، إذْ جاءت أسجاعهم خادمة للمعنى مثبتة لقضاياه.ونستخلص من ذلك أنّ السجع كان لديهم شرطاً من شروط الترسل ذلك، لما وجدوا فيه من قيمة وفائدة بلاغية وإقناعية، فضلاً عن وظيفيته التحسينية." ولولا أهميته البلاغية والحجاجية لما وجدنا أنّ كافة فنون القول تحفل به، فلا تخلو منه خطبة أو رسالة أو وصية أو مقامة.."[illegible]

6. خاتمـــة:

في خاتمة هذا البحث سنقوم بعرض أهم النتائج التي توصّلنا إليها ويمكن أن نجملها في النقاط الآتية:

- هيمنت المحسنات البديعية على خطاب الرسائل، إذْ شكلت جانبا كبيرا من بنية الرسالة، وقد أسْهم هذا الأمر في شدّ سمع المتلقيين ولفت انتباههم واستمالتهم من أجل الإقبال على النص، من خلال الإمتاع الذي تُحدثه هذه الظواهر الصوتية والنغمات الإيقاعية ذات الدلالات المتعددة..

- أساس الوظيفية الحجاجية هو الاستمالة والتأثير في المتلقي وإقناعه، وهذا ما تحقق في هذه الرسائل التي جمعتْ بين الإمتاع والاقناع.

- الخطاب الترسلي هو خطاب حجاجي في أوله، لأنه يهدف إلى التأثير في المتلقي ومنه الوصول إلى إقناعه بما تضمنته هذه الرسائل من نصائح أو توجيهات في موضوعات متنوعة.

- تعمل المحسنات البديعية عمل الآليات الحجاجية على مستوى اللغة باعتبار اللغة وظيفتها الأساسية هي الحجاج، فلا تكاد تخلو منها، فضلاً عن وظيفتها التواصلية. وهذا بصرف النظر عن صحة القضايا المطروحة ومدى صدقها من عدمه، ان ثمة غايات بعينها يُراد تحقيقها من كل خطاب..

- أراد كُتّاب الرسائل العباسية في استعمالهم للأساليب البديعية تسخير اللّفظ خدمةً للمعنى، ذلك أن القصد من المحسّنات البديعية هو الوصول إلى

المعنى المُراد، وليس تكرار الزخرفة الشكلية والتنميق اللّفظي، فهذه الظواهر البديعية تعطي معنى واضحا ومحدّدا يأتي بشكل موجز مقتضب، ممّا يسهّل الوصول إلى فكر المتلقّي بدقّة بعيدا عن الإطالة والإطناب؛ وهذا ما يعطيها بعدا حجاجيا جليّاً.

هوامـش البحث:

[1] جميل الحمداوي: من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، أفريقيا الشرق، المغرب، د ط، 2014، ص29.

❖نمايز في دراستنا هذه بين مصطلحات البلاغة الكلاسيكية والبلاغة الحديثة والبلاغة الجديدة. فالبلاغة الكلاسيكية هي تلك التي نشأت عند أرسطو والسفسطائيين، وتتميز هذه البلاغة بكونها بلاغة حجاجية تعتمد في الأساس على كيفية إظهار الحجج والبراهين لإقناع الجمهور.وكانت لهذه البلاغة مكانتها في المجتمع حتى ظهرت مرحلة تالية لها أشرنا إليها بالبلاغة الحديثة، تخلّت فيها البلاغة عن دورها التأثيري وحصر العلماء دورها في الجمالية الزخرفية. وظنوا أن لا قيمة للبلاغة إلا في جمالية الصّور والمحسّنات واستمر النظر إليها هكذا حتى ظهرت النظرية الحجاجية في العصر الحديث متشربة منعدة منابع كان للبلاغة أثر كبير فيها على يد شايمبيرلمان، أطلق عليها البلاغة الجديدة، وقد أعادت النظر إلى البلاغة محاولة إخراجها من النمط الزخرفي إلى الرؤية الإقناعية. فالبلاغة الجديدة هي محاولة لإحياء البلاغة الكلاسيكية في طور جديد بعد أن فقدت قيمتها في فترة البلاغة الحديثة.ينظر: صابر الحباشة: التداولية والحجاج مداخل ونصوص، صفحات للدراسة والنشر، دمشق، سوريا،د ط 2008 ، ص16

[2] ينظرمحمد سالم الأمين الطلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط 1، 2008، ص:116

[3] جلال الدين الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، المعاني والبيان والبديع، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 1، 2003 ،ص:192

[4] محمد علان ابراهيم،البديع في القرآن الكريم،أنواعهووظائفه،دار الثقافة، الشارقة ، الإمارات، 2002، دط، ص:485

[5] ينظر عبد القادر عبد الجليل: الأسلوبية والدوائر البلاغية: دار صفاء للنشر، عمان، الأردن، 2001، دط، ص517.516.

[6] ينظر سعد مصلوح: نحو أجرومبية للنص الشعري دراسة في قصيدة جاهلية، مجلة فصول، مج10، ع12، مصر، 1991، ص157.

[7] بوعامر بوعلام: شعرية المطلع في القصيدة العباسية، دراسة بلاغية وأسلوبية مقارنة بالدرس السيميائي للعنوان، دار صبحي، متليلي، غرداية، ط1،2015، ص335.354.

[8] ينظر خالد كاظم حميدي الحمداوي: أساليب البديع في نهج البلاغة، دراسة في الوظائف الدلالية والجمالية، رسالة دكتوراه، جامعة الكوفة، العراق،2011، ص149.

[9] جلال الدين الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة،ص:255

[10] المرجع نفسه: ص259.

[11] مشاعل بنت عبد الله بن عوض باقازي: مستويات الأداء البلاغي في أدب ابن شهيد الأندلسي، رسالة ماجستيرفي البلاغة والنقد، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 2006، ص187.

[12] أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهية، العصر العباسي الأول، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، ص:386

[13] ينظر طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، لدار البيضاء، المغرب، ط1، ص:277

[14] المصدر نفسه، ص:391

[15] جمهرة رسائل العرب، ص:434

[16] المصدر نفسه،ص: 177

[17] المصدرنفسه، ص:303

[18] بكري شيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد،علم البديع،19991، ط2، ص64

[19] عباس حشاني ، خطاب الحجاج والتداولية دراسة في نتاج ابن باديس، اربد ، الأردن، 2014 ، ص299

[20] المصدر نفسه، ص:386

[21] سامية الدريدي، دراسات في الحجاج قراءة لنصوص مختارة من الأدب العربي ، عالم الكتب الحديث، اربد الأردن، 2009، ص248

[22] جمهرة رسائل العرب، ص:389

[23] جمهرة رسائل العرب، ص:302

[24] سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي ، بنيته أساليبه، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، 2011، ص123.

[25] عبد الله صولة: البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة (أو الحجاج) ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته ج1، إربد، الأردن، ط1،2010، ص54.

[26] ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، قدمه أحمد الحوفي، بدوي طبالة، دار النهضة ، القاهرة ، مصر، ط2، ص:262

[27] جمهرة رسائل العرب،ص:385

[28] المصدر نفسه،391

[29] عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، تح محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، السعودية، ص:8.

[30] جمهرة رسائل العرب، ص:432

[31] المصدر نفسه، ص: 433

[32] عبد العليم بوفاتح: فنون البلاغة العربية، مطبعة بن سالم، الأغواط، ط1(2009م)، ص277

[33] عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية، دراسة في نتاج ابن باديس، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، 2014، ص248.249

[34] كمال الزماني، حجاجية الأسلوب في الخطابة السياسية لدى الإمام علي، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، ط1، ص175

[35] الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص296.

[36] ينظربدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح محمد أبو الفضل ابراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر، ط3، ص: 53

[37] جمهرة رسائل العرب، ص:385

[38] جمهرة رسائل العرب، ص:393

[39] كمال الزماني، حجاجية الأسلوب في الخطابة السياسية ، ص189

[40] جمهرة رسائل العرب، ص:434

[41] ينظر كمال الزماني، حجاجية الأسلوب في الخطابة السياسية، ص187

[42] جمهرة رسائل العرب، ص:434

[43] جمهرة رسائل العرب،302

[44] سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي، ص127

[45] كمال الزماني، حجاجيةالأسلوب في الخطابة السياسية، ص185

المصادر والمراجع:

1. ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، قدمه أحمد الحوفي، بدوي طبالة، دار النهضة ، القاهرة ، مصر، ط2.
2. أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهية، العصر العباسي الأول، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان.
3. بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح محمد أبو الفضل ابراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر، ط3.
4. بوعامر بوعلام: شعرية المطلع في القصيدة العباسية، دراسة بلاغية وأسلوبية مقارنة بالدرس السيميائي للعنوان، دار صبحي، متليلي، غرداية،ط 1 ،2015.
5. بكري شيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد،علم البديع، ط2،1999.

6. جلال الدين الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، المعاني والبيان والبديع، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 1، 2003
7. جميل الحمداوي: من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، أفريقيا الشرق، المغرب، 2014.
8. خالد كاظم حميدي الحمداوي: أساليب البديع في نهج البلاغة، دراسة في الوظائف الدلالية والجمالية، رسالة دكتوراه، جامعة الكوفة، العراق،2011.
9. سامية الدريدي: دراسات في الحجاج قراءة لنصوص مختارة من الأدب العربي ، عالم الكتب الحديث، اربد الأردن، 2009.
10. سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي ، بنيته أساليبه، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، 2011.
11. سعد مصلوح: نحو أجرومبية للنص الشعري دراسة في قصيدة جاهلية، مجلة فصول، مج10، ع12، مصر، 1991
12. صابر الحباشة: التداولية والحجاج مداخل ونصوص، صفحات للدراسة والنشر، دمشق، سوريا، 2008 .
13. طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، لدار البيضاء، المغرب، ط1.
14. عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية، دراسة في نتاج ابن باديس، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، 2014.
15. عبد العليم بوفاتح: فنون البلاغة العربية، مطبعة بن سالم، الأغواط، ط1(2009م)
16. عبد القادر عبد الجليل: الأسلوبية والدوائر البلاغية: دار صفاء للنشر، عمان، الأردن، 2001.
17. عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، تح محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، السعودية.
18. عبد الله صولة: البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة (أو الحجاج) ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته ج1، إربد، الأردن، ط1، 2010
19. كمال الزماني، حجاجية الأسلوب في الخطابة السياسية لدى الإمام علي، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، ط1.
20. محمد سالم الأمين الطلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط 1، 2008.
21. محمد علان ابراهيم،البديع في القرآن الكريم،أنواعهووظائفه،دار الثقافة، الشارقة ، الإمارات، 2002.
22. مشاعل بنت عبد الله بن عوض باقازي: مستويات الأداء البلاغي في أدب ابن شهيد الأندلسي، رسالة ماجستيرفي البلاغة والنقد، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 2006.

مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ر ت م د: 7163 -1112 ر ت م د إ :1892-2588
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2

تداولية الحوار في الخطاب المسرحي في مسردية الأقنعة المثقوبة لعز الدين جلاوجي أنموذجا

The deliberative dialogue in the theatrical discourse in the perforated masks Ezzdinne Djlaoudji

رابح نجيبة[1]،محجوبي عقيلة[2]

1 - كلية الآداب و اللغات قسم اللغة و الأدب العربي ، مخبر السرديات و الأنساق الثقافية جامعة محمد لمين دباغين سطيف2، rnadjiba31@gmail.com

2 - كلية الآداب و اللغات قسم اللغة و الأدب العربي ، مخبر السرديات و الأنساق الثقافية جامعة محمد لمين دباغين سطيف2، n.rabeh@univ-setif2.dz

تاريخ الاستلام: 2020/05/10 تاريخ القبول: 2021/07/22

ملخص باللغة العربية:

تنظر التداولية إلى اللغة كونها نشاط والبنية التي يتجسد فيها هذا النشاط هو الحوار الذي بدوره يتشكل فيه الخطاب المسرحي ضمن بنية حوارية تشبه إلى حد بعيد البنية الحوارية للخطاب العادي ؛ أي أن المسرحية هي الفضاء الرحب لتجلي الحوار و هذا ما بعث فينا روح البحث فجاءت هذه الورقة البحثية بعنوان تداولية الحوار في مسردية الأقنعة المثقوبة لعز الدين جلاوجي رامين من خلالها إلى تقصي الخصائص الفنية لبنية الحوار في الخطاب المسرحي لمسردية –الأقنعة المثقوبة - منطلقين من نظرية أفعال الكلام وذلك لما تؤديه اللغة من وظائف متعددة تعدد الأغراض التي تستعمل لأجلها ، وخاصة وظيفة التواصل التي تبنى عليها المسرحية ،ونظرا كذلك لأهمية نظرية أفعال الكلام باعتبارها موضوعا جديرا بالبحث والمناقشة لحل الإشكالات ، لهذا سنحاول أن نجيب في هذه العمل البحثي عن التساؤل: ما مدى تداولية الحوار المسرحي في مسردية الأقنعة المثقوبة؟

الكلمات الدالة:

التداولية ، الحوار ،الخطاب ، المسرحية ، المسردية.

المؤلف المرسل: رابح نجيبة : rabahjiji146@gmail.com

Abstract :

The Deliberative Considers Language As An Activity And The Structure In Which This Activity Is Embodied Is The Dialogue In Which Theatrical Discourse Is Formed Within A Dialogue Structure That Is Very Similar To The Dialogue Structure Of Ordinary Discourse. That Is, The Play Is The Space To Manifest The Dialogue, And This Is What Sent Us The Spirit Of Research, So This Paper Came To The Title Deliberative Dialogue In The Glossary Of The Perforated Masks Of Ezzedine Djlaoudji Aiming Through It To Investigate The Artistic Characteristics Of The Structure Of Dialogue In The Theatrical Discourse Of The Narrative - Perforated Masks - Starting From The Theory Speech Acts Because Of The Multi-Purpose Functions Of Language, Especially The Communication Function On Which The Play Is Based, And Also Because Of The Importance Of The Theory Of Speech Acts As A Subject Therefore In What Shape The Deliberative Appeared In Elmasradiya Below?

Key Words:
The Deliberative, Dialogue, Discourse, The Play ,Elmasradiya.

مقدمـة:

لقد كان المسرح دائما ،ومنذ البداية نشاطا جماعيا تكامليا يتحقق من خلال اِتّحاد وتناغم مجموعة من العناصر يمثل النَّص اللغوي الحواري المنطوق إحداها فقط، وتتضافر جميعها لإنتاج التجربة المسرحية .(صليحة،1999 ص11) والأدب المسرحي نصا وعرضا من أعلى صور التعبير الأدبي، لازم الإنسان منذ وعيه بالواقع إلى يومنا هذا، جسد كل القيم التعبيرية وكل فنون الأدب، فجمع نسيجه الدرامي بين مجموعة من الفنون والأجناس الأدبية كالرسم، النحت، الشعر، القصة، الأسطورة.

وعلى غرار الانتاجات الأدبية العالمية فإن الخطاب المسرحي الجزائري قد لازم الإنسان الجزائري بخاصة والعربي بعامة أو الإنسان إجمالا ،وحوى همومه وجسدها بحسب المرحلة التي وجد فيها ، فكان في مرحلة يفقد خصائص ويكتسب خصائص أخرى وتلك حتمية النمو والتطور في الأجناس الأدبية .والحوار المسرحي بوصفه محور المسرحية وأداة التخاطب

بين الشخصيات، عرف تغيرات كثيرة واكتسب أشكالا متعددة بسبب طبيعته المرنة ، التي تخضع لحتمية التطور والتفاعل مع نتائج العلوم الإنسانية من جهة ، والواقع المعيش من جهة أخرى ،إذ أن الذات العربية بعامة والجزائرية بخاصة عاشت وتعيش ظروفا خاصة على المستوى الثقافي واللغوي والاجتماعي،جعلت الحوار المسرحي يخضع للاضطراب المتواصل فيشغله الحنين إلى الموروث وما يتضمنه من محافظة على الهوية حينا، وتغريه الحداثة حينا آخر.

هذا التشكل النواتي للحوار المسرحي الجزائري ونموه وتطوره باتجاهات مختلفة عرف انفتاحا واسعا على نظريات عدة نهلت من شتى المشارب وتناول الخطابات الأدبية من جوانب عدة ،ولعل أحدثها النظرية اللغوية(التداولية) التي تعتبر مادة دسمة لِكَمٍ هائل من الدراسات.

أولا :التداولية في الدرس اللساني الحديث.

-الإلمام بالتداولية:التداولية هي "الترجمة العربية للمصطلحين الأجنبيين الإنجليزي ،والفرنسي **La pragmatique** على التوالي ، وليس ترجمة للمصطلح الفرنسي ،لأنّ هذا الأخير يعني الفلسفة النفعية الذرائعية ،بينما يعني الأول هذا الاتجاه التواصلي الجديد" **La pragmatisme (Pragramatics)** (صحراوي،2005 ص 29)

ومصطلح التداولية ترجمة للمصطلح الغربي.... و"معناه في اللغة الفرنسية :محسوس، مطابق للحقيقة،وأما في اللغة الإنجليزية التي هي لغة أغلبية النصوص المؤسسة للتداولية فإنّ كلمة ...تدل غالبا على ما له علاقة بالأفعال والتأثيرات الحقيقة" **(blanchet, 1995,p8)**

وهكذا يبدو لأول وهلة أن الحقل الحقل الذي فتحه هذا الاختصاص العلمي المسمى تداولية ضخم)،"ويرجع أصل كلمة ،إلى الكلمة اللاتينية ومعناه الفعل ،ثم أصبحت الكلمة بفضل اللاحقة تطلق على كل ما هو "عملي" أو "مزاولة" أو "واقعي" (جيمس،1965ص64) . **pragma(Action) (pragmatique)**

فهي بالعودة إلى جذورها مصطلح جديد يحمل مفهوما قديما و جديدا في نفس الوقت، و من خصائص التداولية أنّها متصلة بدراسات أخرى

كالفلسفة والمنطق و السيميائيات و اللسانيات وعلم الاجتماع، و علم النفس المعرفي، فهي مجموعة من النظريات نشأت متفاوتة من حيث المنطلقات و متفقة في أن اللغة نشاط يمارس ضمن سياق متعدد الأبعاد.

أما عن ظهورها(التداولية) في الدراسات الألسنية فتقريبا تزامن مع نشأة العلوم المعرفية ، باعتبار أن التداولية ساهمت في برنامج البحث الذي حددته هذه العلوم التي اعتنت بالجانب الدلالي في اللغة .و الواقع أن ظهور التداولية كان وليد طرح جديد في الاهتمام بجانب مهم في التواصل البشري ألا وهو تفعيل النشاط اللغوي ووظائفه؛ أي الاهتمام بدراسة اللغة أثناء استعمالها في مختلف المقامات، وبحسب أغراض المتكلمين وأحوال المخاطبين .كما تعنى أيضا بأقطاب العملية التواصلية ؛ فتهتم بالمتكلم ومقاصده، وتراعي حال السامع أثناء الخطاب، وتهتم بالظروف والأحوال الخارجية المحيطة بالعملية التواصلية، ضماناً لتحقيق التواصل من جهة، ولتستغلها في الوصول إلى غرض المتكلم وقصده من كلامه من جهة أخرى،إنّها "علم جديد للتواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال استعمالها" (صحراوي،2005،ص16) وبالتالي استحق بأن نصطلح عليها "علم الاستعمال اللغوي" (بوقرة ،2004,ص45)

بمعنى أن التداولية تدرس اللغة في سياقات استعمالها المختلفة، و من القضايا التي تناقشها و تأخذها بالتحليل الإشاريات ، مقتضيات القول ،الاستلزام الحواري وقضية أفعال الكلام والتي سنسلط عليها ضوء الدراسة في ورقتنا البحثية هذه،وقبل الخوض في ذلك ينبغي أن نشير إلى نقطة مهم مفادها أنّ انبثاق التداولية من علم اللغة هيأ لها تعريفات متعددة من لَدُن الباحثين مما أثر في ترجمة المصطلح إلى "اللغة العربية فقد ترجم إلى : الذرائعية، المقصدية، المقامية، والتدوالية ،و التداولية أكثرها شيوعا، وأقربها إلى طبيعة البحث فيها إذ هو منظور فيه إلى "تداول" اللغة بين المتكلم والمخاطب الذي يدل على التفاعل الحي بينهما في استعمال اللغة" (نحلة،2002،ص52) .أما عن أصولها النظرية فإنّ" الفلسفة التحليلية تعتبر المنهل الأول الذي انبثقت منه أولى بوادر التداولية ، والمتمثلة في الأفعال

الكلامية .وهذه الفلسفة تفرعت عنها فلسفات أخرى ساهمت في بلورة هذه المقاربة بصورة عامة"(فيري،2006,ص13) هذا الارتباط بين التداولية وحقل الفلسفة التحليلية لم يدم طويلا فقد وثقت معارفها بحقل آخر لتشهد تكوينا جديدا ذا توجه لساني .ويعود السّبب الرّئيسي لبوتقة التداولية إلى الفيلسوف " **جون أوستين** " الذي ألقى محاضرات وليام جيمس عام 1955 حيث "لم يكن يفكر في تأسيس فرعي للسانيات ، فلقد كان هدفه تأسيس اختصاص فلسفي جديد وهو فلسفة اللغة ونجح في ذلك" (روبول و موشلار،2003،ص29)،متجاوزا إلى جانب جهود ثلة من اللغويين تقليدية فرعي اللسانيات (النحو التركيبي والدلالية) ،هذان الفرعان اللذان ظلت اللسانيات لفترة طويلة تكتفي بهما ، لقسم جديد يعُنى بعلاقة اللغة بمستخدميها (التداولية).غير أننّا لا يمكن أن نغفل الجهود السابقة له فقد ساهمت هي الأخرى في تحديد Charles sanders peirceبعض ملامح الدرس التداولي بدءا من الفيلسوف الأمريكي **شارلز ساندرس بيرس** "حينما بين معالمها في مقالين، نشر الأول سنة 1878بعنوان :**كيف تجعل أفكارك واضحة ؟** والثاني نشره عام 1905بعنوان:**ماهي البراغماتية ؟**(رزقي،2006،ص13)

إذ العالم من وجهة نظره يُدرَك بواسطة التفاعل بين الذوات والنشاط السيميائي بالاستناد للأدلة.إضافة لما قدمه الفيلسوف الأمريكي "**شارل موريس** "من خلال مقال نشر له عام 1938حيث ميز بين مختلف الاختصاصات التي تعالج اللغة وهي :علم التركيب ، وعلم الدلالة ،والتداولية التي تُعنى حسب موريس بالعلاقات العلامات ومستعمليها (روبول و موشلار،2003,ص29)، أي علاقة الرموز اللغوية بالمتلقي والظواهر والحياتية والنفسية والاجتماعية والمرافقة لاستعمال هذه الرموز وتوظيفها.

2 – مفهوم نظرية أفعال الكلام (جهود أوستين في الدرس التداولي):

تعد التداولية من أحدث الاتجاهات اللغوية التي انبثقت عنها مجموعة من المفاهيم والآليات الإجرائية أبرزها : أفعال الكلام التي تعتبر تداولية من الدرجة الثالثة ، وهي أهم نظرية في الدرس التداولي ،حيث" تنطلق من

مسلمة مفادها أن الأقوال الصادرة ضمن وضعيات محددة تتحول إلى أفعال ذات أبعاد اجتماعية ؛وتتدخل عوامل عديدة في تحديد سياق هذا النمط،منها الاجتماعية والفردية...فالفعل الكلامي لا يتحقق دائما بالصيغة اللغوية الموضوعة له ، والسبب في ذلك يعود إلى تدخل عناصر من سياقات الأنماط الأخرى ، فهذا النمط لايستقل عن الأنماط الأخرى من حيث السياق وطبيعته." (عمر بلخير،2015،ص149) حيث نجد الفعل الكلامي عند **أوستين** هو : "التصرف الاجتماعي المؤسساتي الذي ينجزه الإنسان بالكلام كالأمر والنهي وغيرها والتي تعبر أغراضا تواصلية ترمي إلى صناعة الفَعَال ومواقف اجتماعية وفردية ومن هنا فاللغة ليست أداة للتواصل ولا رموز للتعبير عن الفكر بل هي أداة لتعبير العالم وصنع أحداثه التأثير فيه." (صحراوي،2005,ص10,11) أي أنّ "وظيفة اللغة الأساسية ليست إيصال المعلومات والتعبير عن الأفكار فحسب ،هي مؤسسة تتكفل بتحويل الأقوال التي تصدر ضمن معطيات سياقية إلى أفعال ذات صيغة اجتماعية" (بلخير،2003،ص155) وفحوى الفعل الكلامي "أنّه كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري.وفضلا عن ذلك يعد نشاطا ماديا نحويا يتوسل أفعالا قولية لتحقيق أغراض إنجازيه وغايات تأثيرية تخص ردود فعل المتلقي." (صحراوي،2005،ص42)

من هذا المنطلق يتبين لنا أن نظرية أفعال الكلام بمفهومها الحديث تنسب إلى "**أوستين**" الذي صاغها صياغة محكمة ،فقام بتقسيم الفعل الكلامي إلى ثلاثة أقسام:

1 - **فعل القول (الفعل اللغوي)** :يراد به "إطلاق الكلام في جملة مفيدة ،ذات بناء نحوي سليم وذات دلالة"(Austin-Qund,p109،1970).ويتشكل من أفعال فرعية هي:**acte lacutinnair**

أ -**الصوتي**:ويتمثل في التلفظ أو إنتاج أصوات أو قرع **bruit**

ب -**التبليغي** :ويتمثل في كون هذه الأصوات تتوفر على صورة (كلمة) معينة فضلا عن انتمائها **phatique**إلى لغة محدودة وخضوعها لقواعد هذه اللغة النحوية.

ج -**الخطابي Rihitique**:الذي يجعل هذه الكلمات أو العبارات ذوات دلالة معينة . (دلاش،1992،ص24)

2 -**الفعل الإنجازي(الفعل المتضمن في القول) acte illo lacutinnaire**: وهو الذي يقوم به المتكلم أثناء تلفظه ويرتبط بالقيمة التي تعطى للكلام العياش (أدراوي،2011،ص86) ،ويتعلق الأمر هنا بتحقيق قصد المتكلم (دلاش،1992،ص24)

الفعل (الفعل الناتج عن القول) Acte perlo cutionnaire:

3-التأثيريّ

هو فعل إقناع الشخص بشيء أو إزعاج شخص أو حمل شخص ما على كلام منه : الإقناع ،التضليل ،الإرشاد، التثبيط،التّحريض...إنّه أثر الفعل الإنجازي. (جحفه، 2006،ص03) أي الأثر الذي يحدثه المتكلم في السامع.

وبناء على ذلك صنف **أوستين** الأفعال الكلامية على أساس قوتها الإنجازية، وهو تصنيف غير مستفيض باعتراف أوستين ذاته،وهي الآتي:

1 -**أفعال الأحكام(الإقرارية verdictifs)**: وهي الأفعال التي تثبت بعض القضايا بناء على سلطة معترف بها رسميا أو سلطة أخلاقية بحيث تقوم هذه الأفعال على إطلاق أحكام ذات قيّم أو حدث مثل:حكم ،ألزم،حلل، قيّم (بلخير،2003،ص159)

2 -**أفعال القرارات(التمرسيّة exercitife)** : وتتمثل في إتخاذ قرار بعينه ومن أمثلته :أطرد، -أحذر،ألغي، أختار، أوجه،أسمي ، منح،ألتمس،أوصي،أرفض. (عبد الحق، 1993، ص222)

3 -**أفعال التعهد(التكليف comissifs)**: وتتمثل في "تعهد المتكلم بفعل الشيء" (نحلة،2002،ص46)،وهي الأفعال التي تؤسس لدى المتلكم إلزامية بعمل ما معترف به من قبل المخاطب مثل :التّعهد، الضمان، الإلتزام بعقد،نذر،قسم(دلاش،1992،ص25)

4 -**أفعال السلوك(الإخبارات conductifs)**: وهي التي تكون رد فعل لحدث ما كالاعتذار والشكر والمواساة والتهنئة(نحلة،2002،ص46)

5 -أفعال الإيضاحexpositifs : تستخدم لإيضاح وجهة النظر أو بيان الرأي مثل الاعتراض، والتشكيك والإنكار والتصويب والإنكار والتخطئة، والنفي. (نحلة،2002،ص46) أي علاقة ما يقوله المتكلّم عند الحديث عن طريق الحجاج متمثلة في وجهة نظر أو عرض رأي.

ثانيا: تداولية الحوار في الخطاب المسرحي :

1 -مفهوم الحوار المسرحي:

يقول **إيريك بانتيلي** :" المسرحية يكتبها إنسان لا يريد الكلام إلاّ لجمهور ،لجمهور لا يريد سواء الإصغاء إلى الكلام"**(بانتلي،1968،ص83)** عن طريق لغة الحوار الذي هو"شكل من أشكال الخطاب يتم فيه تبادل الكلام بين أكثر من طرف.ويُنجز إما قولا وهي السّمة الغالبة،أو عن طريق الحركات.ويفترض التفاعل،والتشارك وتبادل المواقع في التخاطب" **(الصلعاوي و العُوري، 2017،ص114)** فهو عملية تخاطبية تقتضي الأخذ والرد كما "يغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب"**(راشد، د.س،ص11)**.ويصفه النقاد في كتاباتهم بأنّه"أسلوب التعبير الدرامي المتميز"**(بلبل،2003،ص101)**، الذي هو أداة مسرحية تعرض الأحداث وتخلق الشخصيات وترافق المسرحية من بدايتها إلى نهايتها، فهو" أداة تقديم حدث درامي إلى الجمهور دون وسيط،و الوعاء الذي يختاره أو يرغم عليه الكاتب المسرحي لتقديم حدث درامي يصور صراعا إراديا بين إرادتين ، تحاول كل منهما كسر الأخرى وهزيمتها"**(حمودة،1997،ص139)**،فليس أمام فنان المسرح ،سوى الحوار تقريبا"**(حمودة،1997،ص129)** لأنّ الفن المسرحي يقوم على الحوار بشكل أساسي على غرار كل الفنون الأخرى التي وإن كانت تعتمد الحوار إلاّ أنّه لا يشكل فيها فارقا كما في الفن المسرحي حيث يعتبر فيه "الوسيلة الأدبية للتفاهم والتخاطب بين الممثلين وبالتالي نقل الأفكار وسرد الحوادث للجمهور"(**القط ،1972،ص33**).

ويرى **عمر بلخير** بأنّ "الحوار بمفهومه الأوسع يتجلى في جل الأشكال التعبيرية تقريبا، وقد اشتهرت شعوب عديدة بإتقانها وبإبداعها لعلوم كثيرة كالفلسفة والسياسة وغيرها من العلوم الانسانية..وهي علوم ازدهرت عن

طريق صياغتها بأسلوب حواري ، والأمثلة في ذلك كثيرة مثل كتاب الجمهورية لأفلاطون التي صيغت على شكل حوار(بلخير،2003،ص58) " وبهذا يكون الحوار اللبنة الأولى التي يقوم عليها العمل المسرحي.

ويعتبر **عز الدين جلاوجي** "أن المسرحية فن الحوار لأنّه الأساس الذي تبنى عليه"(جلاوجي،2003،ص165) حيث "يكشف للمشاهد عن الشخصيات ويعرف بها ، وكل كلمة تنطقها الشخصية لابد أن تكون ثمرة للأبعاد الثلاثة للشخصية -البعد المادي والاجتماعي والنفسي - ،فنعرف منه من هو ويوحي إلينا بما عسى أن يصير إليه الشخص في المستقبل "(النادي، 1987،ص34) أي أن الحوار المسرحي يُبْرِز الشخصيات ويرصد مراحل نموها إلى أن يصل في تتبعها وكشفها إلى اكتمالها لتكتمل بذلك المسرحية.

ويعرف **عواد علي** الحوار المسرحي بأنّه "مجموعة الوسائل التي تجعل إدراك العرض المسرحي ممكنا يقوم على المعنى المنتج من مجموعة العلاقات والعناصر المتجانسة والموحدة في العرض المسرحي ، فهو خطاب ذو بنية حوارية تقوم على تعدد صوتي ودلالي وفني ومرجعي يحمل آثار خطابات سابقة أو متزامنة معها أو متولدة منها"(علي، 1996،ص35).

2 - مفهوم الخطاب المسرحي :Discours dramatique

نظرا لخصوصية الخطاب المسرحي واختلافه عن بقية الخطابات الأدبية الأخرى لارتباطه الشديد بخشبة المسرح التي تُقرب أحداث المسرحية من المتلقي باعتباره " أفضل وسيلة تعبيرية عن الأفكار الإيديولوجية التي لا يحتاج فيها المؤلف إلى التصريح بها "(بلخير،2003،ص17) إلاّ أننا نجد المنظرين والمختصين يجدون إشكالات مختلفة في تحديد تعريف مضبوط للخطاب المسرحي ،فقد ورد في المعجم المسرحي أنّ "الخطاب المسرحي قول مزدوج يخلق عملية تواصل تتداخلان فيما بينهما " (إلياس وقصاب،د.س، ص186) هذا النوع من الخطابات ينطوي على المزاوجة بين مجالين (النص والعرض)مما يعطي خصوصية ينفرد بها كاتب الخطاب المسرحي عن غيره من الكتّاب وذلك لأنّه يضع اعتبارات كثيرة تساهم في تطوير عمله (المخرج

، الديكور ،الممثل ، امكانيات المادية) ،كما يبني معمار نصه على ركائز لابد من توفرها كمكونات أساسة للخطاب المسرحي :

1 -**الحدث و الشخصية:** الشخصية صانعة الأحداث والمحرك الذي يعمل على تطويرها ونموها بواسطة الحبكة و الفعل ورد الفعل"فالصراع الدرامي يتم أمام الجمهور على خشبة المسرح وفي نطاق الزمن المسرحي الحاضر" (سرحان، 2008 ،ص29) لذا لا يمكن الفصل بين الشخصية والحدث بأي حال من الأحوال .

أ -**الشخصية المسرحية:** "الشخصية في النص المسرحي تختلف عن الشخصية في النص السردي ،ففي حين أن الشخصية في النص السردي تكون شخصية مسرودة موصوفة ،نجد أن الشخصية في النص المسرحي هي التي تُعرف بنفسها وتقدم ذاتها للمتلقي بدون وسيط ، فهي شخصية حية ومتحركة"(فراح،2006،ص31)

ب -**الحدث المسرحي:** من العناصر التي يرتبط بها الحدث كثيرا الزمن الذي يحيلنا إلى إيقاع الداخلي للنص ،حيث يعتبر الحدث المسرحي مؤشرا على زمان ومكان وأشخاص يجسدونه داخل النص مما "يفرض على الكاتب المسرحي عملية انتقاء صعبة للحدث الذي يشكله الفعل والحركة والإشارة والحوار حيث تتكامل جميعا لصنع فنا رفيعا حيا"(فراح،2006،ص30)

2 -**الزمان والمكان:** تعطي الدراما المشاهد انطباعا بأنه يشهد الحدث الحاضر أمامه ضمن نطاق ساعات العرض "بالرغم من أن جذور ذلك الحدث غالبا ما تكون في الماضي "(فراح،2006،ص34).وحدة الزمن من أبرز سمات الحدث الدرامي لذا يمكن القول "أن بإمكان كل نص مسرحي أن يبتدع وحدة زمنية قائمة بذاتها ، لاعلاقة لها بزمن النصوص الأخرى، كما يمكن القول أن حبكة النص المسرحي لا تكمن أهميتها بحركة الفكرة والفعل والشخصية فحسب ، بل تستند في تطويرها وبناء شكلها الخاص على تعاملها مع حركة الزمن الخاصة بها"(الجبوري ،2003،ص124) .ومما لا شك أن هناك "قواسم مشتركة بين النصوص السردية والمسرحية ،كالتأطير الزماني والمكاني والأحداث والسّلم الزمن ذي المنحى النسقي أو

الجدولي ، إلا أن هذه العناصر لا يجب أن تحجب الخصوصيات من جهة ، والفوارق الجوهرية بين المسرح وغيره من الأجناس من جهة أخرى "(الصلعاوي و العُوري، 2017،ص124)

3 -**اللغة والحوار:** تتحول لغة الخطاب المسرحي من لغة مكتوبة إلى منطوق بمجرد أن تعتلي خشبة المسرح ،فهي التي توجد الشخصيات وتصور الأحداث في قالب حواري "فاللغة الدرامية تقوم أساسا على الحوار الذي يخضع لفنيات معينة تبعده عن الابتذال والاسفاف...وتجعله يختلف عن الحوار العادي لأن هذا الحوار جزء لا يتجزأ من الحدث المسرحي ، إذ هو الذي يدفع إلى تطور الحدث وهو الذي يكشف عن طبيعة كل شخصية في المسرحية ومواقفها وأفكارها وعواطفها ،وهذا ما يعطي للحوار بعده الفني ، البعد التواصلي ، التداولي الذي هدفه التأثير في عقل المتلقي ومشاعره"(فراح،2006،ص38)

4 -**الإرشادات المسرحية:** تساهم في بناء العرض المسرحي فالعارض المسرحي يتشكل من مادة لغوية مزدوجة هي "الحوار والإرشادات المسرحية هذه الأخيرة التي تتمثل في :العناوين الرئيسة،الفصول،المشاهد واللوحات،تحديدات مختلفة تتعلق بالديكور والملابس وبوضعية الشخصيات وحركاتها وطريقة كلامها وكيفية دخولها وخروجها "(فراح،2006،ص39)

5 -**الحبكة:** هي روح الدراما و مبدؤها الأول ، فهي التي تشد أجزاء العمل الدرامي وتجعلها تتآزر فيما بينها ؛ لتكون كلاّ واحدا تنتظم أجزاؤه انتظاما محكما ،بحيق لو تغير جزء منها او نزع انفرط الكل و اضطرب " (الجبوري،2003،ص29)

فالكاتب يبدأ في عمله من بداية محددة مدروسة وينتقل إلى وسط تقتضيه تلك البداية يرتبط به لينتهي إلى خاتمة تنتج عن ذلك الوسط، وهي تتشكل مما يحدثه الفعل من متغيرات ومما تقوم به الشخصيات من أفعال في زمن ملائم وتنظيم وحسن ترتيب حسب متطلبات العرض المسرحي وطاقة الجمهور على احتمال العرض فقوام الدراما الحبكة .

ونخلص إلى أن غاية الخطاب المسرحي حمل مقاصد وشحنات فكرية من كتّاب مسرح في نصوص إبداعية هدفوا من خلالها إلى التأثير في المتلقي من أجل إحداث تغيير في المجتمعات التي ينتمون إليها، والمسرح الجزائري كغيره من مسارح العالم حمل رسالة ترمي إلى هذا التغيير المنشود في فكر الجزائري ووجدانه،وتجربة عز الدين جلاوجي خير ما يحتذى به في عالم السرديات التي أغنت المكتبة العربية بأعمال مسرحية وروائية تعتبر أرضية خصبة للدراسة والتناول بالبحث لهذا ارتأينا في مسار هذه الدراسة أن نكشف عن أهمية التداولية في قراءة الخطاب المسرحي والبحث في خصوصية البنية الحوارية في مسردية الأقنعة المثقوبة عن طريق استثمار معطيات أفعال الكلام في الخطاب المسرحي (مسردية الأقنعة المثقوبة)

ثالثا: استثمار معطيات أفعال الكلام في الخطاب المسرحي (مسردية الأقنعة المثقوبة).

1 -تقديم المدونة :

الأقنعة المثقوبة عمل إبداعي مبتكر للكاتب الجزائري عز الدين جلاوجي، على غلاف الكتاب يضع لها تسمية "مسردية "وهي مفهوم جديد يزاوج بين المسرح والسرد في جنس أدبي جديد يربط بين الحوار ولغة السرد بأسلوب قصصي لحدث مسرحي يلتزم وحدة المكان وفق تسلسل زمني معين .نحن أمام إبداع يمهد لتعريف تقني محدد له مواصفاته النّصية التي سيعرف بها في عالم الأدب ،ذلك أنّ الجمع بين النّص السردي والنّص المسرحي في عمل واحد يلغي الحدود الفاصلة بينهما ويدفع إلى إيجاد وخلق ثمات لنّص يحمل مواصفات النّصين ، ويُوجد جنس جديد مهجن يخلو من صفاء النّصوص الأدبية ويكشف القدرة الإبداعية للكاتب ، فأي "كاتب وهو ينطلق في تصور عام للنص يكتب بصورة أو بأخرى تحت جنس أو نوع محدد وعلى الدرس الأدبي أن يسعى إلى تحديد "جنسية " النص أو "نوعيته " مهما حاول الكاتب اعتماد مبدأ النص المفتوح قاعدة لإبداعه .إن أي نص ، كيفما كان جنسه ، هو نص مفتوح .لكن انفتاح أي نص لا يعني عدم انغلاقه على جنس أو نوع أو نمط محدد ، فالطوابع المهيمنة في النص تمكننا من تلمس

انتمائه الجنسي أو النوعي مهما بدا لنا ذلك مستحيل ، إلاّ في حالات نادرة جدا (يقطين،2012،ص185)، وعز الدين جلاوجي قدم لنا في هذه التجربة شكلا جديدا أسماه المسر دية ، وهم جُملة ثماني مسر ديات: أحلام الغول الكبير ،الأقنعة المثقوبة ،البحث عن الشمس ، هستيريا الدم ،التاعس والناعس ، غنائية الحب والدم، حب بين الصخور،الفجاج الشائكة، يضربن لنا خير مثل للنص المفتوح على عوالم النصوص الأخرى والمنتهي في تشكيله إلى جنس ينغلق عليه ، فلا يمكن لنا أن نتصور نصا خارج أطر جنس أدبي محدد يحتوي مضمونه ويُهيكل شكله ،لأنّ الأجناس الأدبية " بكل بساطة ، تأتي من أجناس أدبية أخرى ، والجنس الجديد هو دائما تحويل لجنس أو لعدة أجناس أدبية قديمة : عن طريق القلب أو الزخرفة أو التوليف...مثلما أنّ الكوميديا الدامعة تؤلف بين ملامح مأخوذة من كوميديا وتراجيديا القرن السابق لظهورها أي القرن السابع عشر ،لم يوجد قط أدب بدون أجناس إنّه نسق في تحول مستمر".(تودوروف،2016،ص25) ولهذا نقول إنّ المقترح الاصطلاحي المنحوت (مسردية) لا يدين للصدفة بل هو نص جديد يتجاوز المتداول و يعبّر عن تمازج جنسين أدبيين قديمين عن طريق التوليف بينهما في جنس أدبي مهجن ، هذا المقترح الذي عرف بداية ظهوره تذبذبا في استقراره بما أثاره من انتقادات وما سُجل حوله من إقبال ، إلاّ أنّه في الآونة الأخيرة أصبح متداولا نقديا وبدأ الاشتغال عليه إبداعا ونقدا وتنظيراً .

2 -التحليل التداولي للخطاب المسرحي (مسردية الأقنعة المثقوبة):

"إن ما تظهره التداولية للعيان هو أهمية التأثير والتأثر في قلب الخطاب العادي ،فإذا صح أن وظيفة الكلام هي بأن يؤثر في الآخرين أكثر مما يسعى إلى إخبارهم ، فهذا يعني أنه من الصعوبة بمكان أن نفهم كل الفهم خطابا ما إذا اكتفينا بإرجاعه إلى صاحبه ، و هذا يعني كذلك أن علينا أن نأخذ بعين الاعتبار الثنائي الذي يشكله الشخص المتكلم و الشخص الذي يوجه إليه الكلام"(سحلول، 2001،ص08)

حيث تتمحور وظيفة المتلقي في تأويل العلامات التي تمدنا بها المسرحية وإرجاعها إلى عالمها الحقيقي ، إن كل ما يدور على ألسنة الشخصيات من

أحاسيس وأفكار وتناقضات يحيلنا إلى عالم ثقافي وإيديولوجي تكون للمتلقي أداة معرفة.و المدونة التي بين أيدينا تنطوي على جملة منها سنحاول الكشف عنها انطلاقا من تداولية الحوار في الخطاب المسرحي"**الأقنعة المثقوبة**" والتي تتهيكل في سبعة مشاهد ،بواسطة البحث في الأفعال الكلامية انطلاقا من تقسيم "**أوستين**" .

تشتمل مسردية (**الأقنعة المثقوبة**) على نوعين من الخطاب، خطاب يجسده الكاتب والمتلقي قارئا كان أو جمهورا مفترضا، وآخر متعدد الشخصيات يمثله أبطال المشاهد المسرحية. وإن الناظر في تركيبتِهما – الخطابان - يعتقد باستقلالية كل واحد منهما عن الآخر،ولكنّ في الحقيقة هما على قدر من الالتحام الذّي يخلق تداخلا بينهما ، إذ نجد أن حوار الشخصيات خطاب مبني على القصدية لا العبثية ،وهي قصدية تتوارى خلف خطاب المؤلف ذاته،وهنا يبرز دور المتلقي في التأويل، وذلك بتفكيك هذا الخطاب للوصول إلى قصدية المؤلف لنتمكن من وضع أيدينا على تداولية الخطاب المسرحي وصولا إلى غايتنا في تجاوز الخطاب إلى علاقاته ووشائجه.

1 -**الأفعال الكلامية**:تعددت الأفعال الكلامية في نص الأقنعة المثقوبة وهذا يوحي أن الكاتب يسعى إلى غايات متنوعة ،وقد جاءت هذه الأفعال مباشرة تارة وتلميحية تارة أخرى،مما حملت المتلقي على الإقتناع وأثرت فيه وجذبت انتباهه ، ومن بينها:

-**أفعال الإثبات** :وأفعال الإثبات تتمثل في الوصف و التأكيد ،ونجد منها على سبيل التمثيل –قول القرواطي :"هكذا الحياة ألم يقل الحكماء :مصائب قوم عند قوم فوائد...يجب أن يقرأ عليها القرآن الليل كاملا حتى تنزل عليها ملائكة الرحمن." (جلاوجي ،2015،ص15) فالقرواطي هنا ،يؤكد ويثبت أنّه حقا استغلالي انتهازي وأنّ لا رادع لوضاعته حتى مع الأموات لا شيء يمنعه .

أما الوصف فيتمثل في قول :

-هكذا أحبك..أحبك يانشناش، أنت عبقري، أنت خبيث كبير فعلا

-ألست من تلامذتك النجباء ياسيدي؟(جلاوجي،2015،ص15)

فالقرواطي يطلق وصفا على نشناش بأنّه عبقري خبيث كبير ،كونه إمع أخرق ينساق عبدا للأوامر التي يتلقاها ،علاوة على ذلك ينفذ دون مشورة مع نفسه ؟وأيضا في قول : -دعك من كل هذا يا سيدي الحاج القرواطي.

-ماذا وراءك يا وجه النحس. (جلاوجي،2015،ص27)وصفه بقلة الخير وجلب الحظ.

كما في قول الحاج لخادمه الفأر : -لا شيء لا غبي سأطوق الأمر قبل استفحاله.

-لكني خائف(جلاوجي ،2015،ص29) فيصفه بقلة الحيلة والتدبير.

-**أفعال التوجيه** : وتتمثل في أفعال تهدف إلى حمل شخص على القيام بأمر معين :كالنّهي،والطلب

والأمر، ومن ذلك قول القرواطي آمرا لخادميه :" ضع هذا في ذهنك وتعلم من تجار سيدك"(جلاوجي،2015،ص34)

وكذا في قوله :كن ذئبا ضاريا وإلا التهمتك الذئاب. (جلاوجي ،2015،ص36)

أما الطلب فنجده في قوله:"ياشيخ سالم نحن أهل،خذ هذا المال ..إنك لم تجمعه طول حياتك خذه..خذه" (جلاوجي،2015،ص43)إذ يطلب منه أخذ المال لأنه كان يراها له فرصة لا تعوض ،وهو لم يحلم بمال بهذا القدر في حياته.

وما ورد من النّهي فمواضع عدة منها"لا تمن عليا لقد أغدق عليكم أموالي دون حساب"(جلاوجي،2015،ص44)

والأداة التي استخدمت لهذا الغرض أداة النهي (لا) تعففا ورفعة عن بيع الذمم والشرف.

-**أفعال الوعد** : تتجلى في قول القرواطي :"اسمع خذ هذا..أنفق منه على نفسك وعيالك وأعدك أنني سأبحث معك".**(جلاوجي ،2015،ص44)**

-**الأفعال التعبيرية:** وهي أفعال تفصح عن كل ما يختلج النفس كالغضب في قول القرواطي :"اخرج لاتضيع وقتي ...اخرج عليك اللعنة"**(جلاوجي ،2015،ص45)** أو في قوله :"الويل لك اتركني،لاتلوث ثيابي ،اتركني..أخرجوه عني..سأطلب له الشرطة"**(جلاوجي ،2015،ص46)**

الخوف :"يعود حيث كان،ينحني ويمد عينيه عبر فتحة صغيرة ،يرفع رأسه يمسح ما على جبينه من عرق "

"يهتر الباب مرة ثانية دقا،يقفز الفأر متراجعا حتى يسقط أرضا "

الندم: " سامحني ياسالم ...سامحني...هاك مالي...مالي كله"**(جلاوجي ،2015،ص135)**

السخرية: "مالك ؟تعطيني الثعابين والعقارب والنار الملتهبة وتقول لي خذ مالي كله؟ لا...لا... لك ثعابينك..."

الترجي :"تفاحة سامحيني"

الاحتقار :"ابتعد عني لست زوجتك"

الحزن : "مراد عد إلي ،لقد أضحى أبوك وحيدا غريبا ".

-**الفعل الكلامي الجامع** : تشتمل المسرحية على أحداث تعالج قضايا سياسية واجتماعية وحاملة للبعد الإصلاحي ،فرغبة في جمع المال وكنزه أدت إلى الانحلال الأخلاقي وجرائم القتل لتفضي إلى البحث عن أقنعة تتستر وراءها كالسلطة والحكم لتنتهي في الأخير إلى الإفلاس والندم ،وترمي المسرحية إلى توعية المجتمع الجزائري وإسقاط الأقنعة ،والقضاء على الجهل الذي أحق الباطل وأزهق الحق وأوجد السيد وأباح المحرم وأعطى قدسية للمال والسلطة على حساب القيم والأخلاق والشرف وأرواح البشر.

-**شروط النجاح:** احترام القواعد الأساسة لنجاح الفعل الكلامي من بينها :

مقتضى الحال(قانون التهذيب): على الشخصيات أن تلتزم مكانتها الاجتماعية والنفسية وسِنها وقيمتها حتى لا يؤدي ذلك إلى خرق هذا القانون كما حدث في قول :"يصرخ الحاج القرواطي في وجهه زاجرا...

يجب أن تزور كل القرى ..كل الأرياف .." هذه الأوامر التي وجهها السيد لخادمه ألقاها من كونه صاحب السلطة تمكنه من إصدار أوامر .

وفي قول الفأر:"أمرك سيدي أمرك " فالفأر (الخادم) يوقن جيدا مقام الشخص الذّي يخاطبه وهو سيده لهذا يستخدم أسلوبا مهذبا متأدبا.

-**متضمنات القول** : رغم غلبة اللغة المباشرة ،لغة الحياة المميزة للفن المسرحي ،إلاّ أن لم يسلم من متضمنات القول التي جعلته يحقق تفاعلا جيدا وما يأتي يوضح ذلك:

الاقتضاء: كثير من الملفوظات بعيدة عن سياقها الذي قيلت فيه لذلك كان فهمها أوضح *

إنك لتستحق كل خير ألست رئيس بلديتنا تسهر على راحة المواطنين ومصلحتهم؟."والاقتضاء هنا أن —"

القرواطي يعلم أن رئيس البلدية شخص برغماتي لا يهمه إلا مصلحته،فقام يسخر منه لتسيير مصالحه.

❖**الأقوال المضمرة:** بفعل السياق و نتيجة الظروف كانت أكبر ضمنية من باقي الأفعال ، ولتفسيرها تدخلت معطيات خارجية أحاطت بالخطاب في تفسيرها ومنها :

أقوال الحاج:

"يا غبي، أرقص للقرد في دولته وقل يا حسرتاه على ما مضى..على الذكي أن يلبس لكل زمان لباسه"

هذه النصيحة ستنقلب على صاحبها في النهاية وتقلب دلالات الخير والشر التي لا مكانة لها في قاموس النفاق.

ماهي علامة المصلي يانشناش؟

علامة المصلي...علامة المصلي؟

وأنت يا فار؟

والله سؤال غريب

ليس غريبا على الأذكياء والعلماء أمثالي.

منك نتعلم يا سيدي، فما علامة الصلاة؟ (جلاوجي،2015،ص87)

التبدل والتلون على حساب الظروف والأوضاع أفرز ثقافة الأقنعة التي صارت بمثابة الصفقة.

استخدم لفظ الحاج كعينة حية ذات دلالات لا علاقة لها بمن زار البقاع المقدسة وعرف طريق التقوى، بل حشنها بكل معاني الفساد والفسق ،فشخصية الحاج في هذا الخطاب تعبر اليد التي ساعد المجتمع في مدها لتبطش وتجني ما جنته فالكل كان يصفق له وليس هناك من وقف ضده حتى أصحاب سلطة والجاه .

الخاتمة :

ونخلص في نهاية البحث إلى نتائج نورد أهمها :

- تمكن الكاتب من خلال الحوار إعطاء تجربته الدرامية ذات دلالات متنوعة تتجلى من بين الألفاظ والسطور تفتح الآفاق على عالم التأويل والقراءة في مجال الكتابة المسرحية الجزائرية .

- قدرة الكاتب على تطويع اللغة من خلال تلاعبه بالألفاظ عدولا بها عن دلالاتها متخذا الترميز والتشفير منحى لها.

- اللغة والحوار ثنائي لا يتجزأ ، هذا الأخير الذي يشكل نمطا من أنماط التعبير،تديره أطراف تنتج أدوارا تخاطبية تتداول على العملية التواصلية لتسهم في صيرورة الخطاب من خلال الإحالات التي تتبناها الشخصيات .

أما اللغة فوظيفتها الأساسية ليست إيصال المعلومات والتعبير عن الأفكار فحسب ،بل هي مؤسسة تتكفل بتحويل الأقوال التي تصدر ضمن معطيات سياقية إلى أفعال ذات صيغة اجتماعية وفحوى الفعل الكلامي.

-الحوار أداة فنية تشيع الحياة والحيوية في النص المسرحي على غرار الصور الأدبية الأخرى .

-المسر دية نص مبتكر استفاد صاحبه بذكاء إبداعي من خصائص أنواع تشكّله ، ليوفق ببراعة في توظيف آليات المسرحية مع نكهة السرد في نص مرن يطاوع القراءة والتأويل.

- تتضمن مسردية **الأقنعة المثقوبة** خطابات متنوعة أهمها : خطاب (الكاتب والمتلقي)،وخطاب متعدد الأطراف (الشخصيات) .

- للمتلقي حصة الأسد في تأويل حوار الشخصيات المبني على القصدية ، وذلك من خلال تفكيك الخطاب وصولا إلى قصدية المؤلف التي تتوارى خلفها قصدية حوار الشخصيات .

-لكشف قصدية المؤلف إسهام كبير في دراسة تداولية الخطاب المسرحي فمن خلالها نتجاوز حدود الخطاب وتلك الغاية المنشودة .

-التداولية من أحدث النظريات اللغوية التي تناولت الخطاب المسرحي بالدراسة

على اعتبار أنه نتاج متكلم موجه نحو متلق متعدد الزمان والمكان .

-كيفية إنتاج الناس للكلام من أهم الأهداف التي سعت التداولية إليها ،وذلك ليتسنى لها الكيفية في فهم فعله -الفعل الكلامي - وفقهه.

قائمة المصادر و المراجع :

قائمة المصادر:

1. عز الدين جلاوجي ، (2015)الأقنعة المثقوبة،دار المنتهى للطباعة والنشر التوزيع،الجزائر

قائمة المراجع :

1. تزفيطان تودوروف،(2016)، نظرية الأجناس الأدبية دراسات في التناص والكتابة والنقد،تر:عبد الرحمان بوعلي، دار نينوى سورية دمشق ، ط1.
2. سعيد يقطين ،(2010)قضايا الرواية العربية الجديدة الوجود والحدود، رؤية للنشر والتوزيع ، القاهرة،ط1.
3. عبد القادر القط، (1972) ،من فنون الأدب المسرحية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت.
4. بوقرة نعمان ،(2004)، المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب القاهرة، ط1 .
5. آن روبول وجاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل ، تر: سيف الدين دعسوقي.
6. إيريك بانتلي،(1968) ، الحياة في الدراما، تر: جبر إبراهيم جبرا، المكتبة العصرية صيدا، بيروت
7. جون مارك فيري (2006) ،فلسفة التواصل، تر:عمر مهيبل،الدار العربية للعلوم،بيروت لبنان،و منشورات الاختلاف الجزائر،والمركز الثقافي العربي،المغرب،ط1
8. الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، تر، محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر دت.
9. حسن مصطفى سحلول (2001) ،نظريات القراءة والتأويل الأدبي و قضاياها ،منشورات إتحاد كتاب العرب ، دمشق.
10. حورية رزقي :الأحاديث القدسية من منظور اللسانيات التداولية
11. ديماس محمد راشد: فنون الحوار والقناع .
12. سمير سرحان:دراسات في الأدب الجزائري،مكتبة غريب،ط1 .
13. صالح إسماعيل عبد الحق،(1993)، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، دار التنوير، لبنان، ط1
14. عادل النادي، (1987)، مدخل إلى فن كتابة الدراما، مؤسسات عبد الكريم بن عبد االله للنشر والتوزيع، تونس.
15. عبد الحميد جحفه ، (2006) ،مدخل إلى الدلالة الحديثة،دار توبقال للنشر الدار البيضاء،المغرب،ط1.
16. عبد العزيز حمودة: البناء الدرامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت.

17. عز الدين جلاوجي (2003) ،النص المسرحي في الأدب الجزائري، منشورات أهل القلم، سطيف، ط1 .
18. عمر بلخير ، (2015)، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية ،منشورات الاختلاف ،الجزائر العاصمة،ط2 .
19. العياش أدراوي (2011) الاستلزام الحواري في التداول الحواري، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط1.
20. فرحان بلبل، (2003) النص المسرحي - الكلمة والفعل - منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق.
21. ماري إلياس وحنان قصاب :المعجم المسرحي .
22. مجيد حميد الجبوري، (2013) البنية الداخلية للمسرحية، دار الفكر ،بيروت ،ط1.
23. مجيد حميد الجبوري ، (2013) ،البنية الداخلية للمسرحية،دار الفكر للنشر والتوزيع ،بيروت،ط1.
24. محمد فراح ، (2006)، الخطاب المسرحي وإشكالية التلقي ،دار النشر اديسوفت ،ط1.
25. محمود أحمد نحلة،(2002) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ، دار المعرفة الجامعية، مصر، د.ط .
26. مسعود صحراوي، (2005)التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية الظاهرة (الأفعال الكلامية) في التراث اللساني العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1.
27. معجم اللغة المسرحية ،مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي، التيجاني الصلعاوي ورمضان العُوري
28. نهاد صليحة :المسرح بين النّص والعرض،مكتبة الأسرة ،دط.
29. ويليام جيمس،(1965) البراغماتية، تر: محمد علي العريان، دار النهضة العربية، قاهرة.
30. ينظر :عمر بلخير :تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية .

قائمة المجلات :

1. عواد علي،(1996) تعدد الأصوات في الخطاب المسرحي، مجلة الدراما، ع 1 ، الأردن

المراجع الأجنبية:

2. Austin-)1970(Qund dire _c est faire-traduction francaise de/Gilles Lane-postface de/Francois Recanati-Edition du seuil-.
3. Philippe blanchet)1995,(, la pragmatique d'Austin à Goffman-Bertrand lacoste, paris,.

مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ر ت م د: 7163 -1112 ر ت م د إ :1892-2588
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2

جماليات التناص الموسيقي في "سينية المعلم" للشاعر بوعلام بوعامر

Intertextual Musical aesthetics and in: moalim poem by Boualam boamer

بن ستالة الميلود [1] ، سويلم مختاربن موسى [2]

1- كلية الآداب واللغات جامعة غرداية الجزائرmouloudens@gmail.com

2 - كلية الآداب واللغات جامعة غرداية الجزائر.sm.ghar@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2020/05/04.. تاريخ القبول: 2021/10/20

الملخص:

مما لا شك فيه أن تداخل النصوص وتلاقحها أمر لا مفر منه، فاستلهام التراث والرجوع للموروث القديم سمة بارزة عند الشعراء المعاصرين، فقد تفاعلوا مع النصوص القديمة، ووظفوها في أشعارهم، فعُرف هذا بالتناص، وهو في أبسط صوره دخول نص في علاقة مع نصوص أخرى، و يُعدّ الشعر الجزائري المعاصر المعبّر الأمين عن التجارب التي يعيشها الأديب، وكان الشاعر بوعلام بوعامر قد سار على نهج سابقيه، وصور لنا جانبا من تجاربه الشخصية من خلال ديوانه "رحيل في ركاب المتنبي" فقد حاذى القدماء في بناء قصائده، وكان للجانب الموسيقي حضور قوي في أشعاره لذا حاولنا تناول جوانب من جماليات التناص الموسيقي في قصيدته سينية المعلم التي عارض فيها إيقاعيا سينية البحتري ونسج على منوالها.

الكلمات الدالة:

التناص ، الموسيقى ، جماليات ، شعر، إيقاع.

المؤلف المرسل: بن ستالة الميلود: mouloudens@gmail.com

Abstract:

It is certain that intertextuality and its successiveness is inevitable, deriving from heritage and going back to the old heritage is a distinguishable characteristic in modern poets , they have interacted with old texts and employed them in their poetry, which can also be called intertextuality which can be defined simply as a text getting in to a relationship with other texts.

Algerian poetry is considered an honest representative for the experiences lived by the author, the poet boualambouamer has walked on the steps of his predecessors, and pictured for the reader a side from his personal experience in his divan " departure in the passengers al mutanabbi "as he paralleled the ancients in building his poems, the musical aspect ad a strong presence in his poetry for hat we tried to deal with parts of musical intertextuality aesthetics in his poem "boualam poem" in which he objected rhythmically to "bouhtouri poam" and weaved on its course.

Key wods : intertextuality , musical, aesthetics , poetry , rhythm

1. - مقدمة :

يعد الشعر لسانا صادقا يعبر به الشاعر عما يختلج في صدره فيجسد تلك الأحاسيس إلى لغة شاعرة معبّرة يطرق بها نفسية المتلقي، فهو عند العرب "ديوان علمهم ومنتهى حكمهم به يأخذون وإليه يصيرون"□ (ابن سلام الجمحي،دت) فقد أدرك نقادنا "لماذا كان الشعر يهيج النفوس ويحمس الرجال على تحمل فتنة الحرب ويعطف القلوب ويرقص الرجال بلْه الأطفال وكان جوابهم عن كل ذلك جودة النظم وحسن الرصف وبراعة السبك وكل هذه المصطلحات وغيرها كثير، ما هي إلا وجوه لفعل واحد، إنها موسيقى الشعر وإيقاعه " بر (عبد الفتاح لكرد ،2019)، لذا فالشاعر في تشكيله للنص يتخير من الألفاظ و المعاني ما يقوي به إبداعه ،فيجعل له القبول عند المتلقي.

و لعل الجانب الموسيقيّ في الشعر يُعدّ من أهم المرتكزات التي يعتمدها الشاعر قصد توطين الشعرية في ألفاظه ومعانيه، ومن ثم فالبنية الإيقاعية تشكل مستوى أساسيا من مستويات تشكيل النصوص الشعرية من الناحية الإبداعية أو حتى من ناحية التلقي، فالشعر قديما في تعريفه تم ربطه بالوزن ما يدل على أهميته في بناء القصيدة، فالموسيقى تؤثر تأثيرا فعالا في بلورة التشكيل الجمالي للنص الشعري ذلك أنّ الأصوات اللغوية في تضاعيف النصوص تحدث إيقاعا يعبر عن مكنونات وشعور المبدع، وإن الإيقاع الشعري "ذو وترين متلازمين يعزفان معا في نفس المتلقي، وفي أذنيه وهما وتر خارجي يتجلى من خلال النغم الصوتي المتمثل في الوزن والقافية، ووتر داخلي يتجلى من خلال النغم النفسي العميق" تر(د. خليل الموسى، 1991) ، فالموسيقى بنوعيها الداخلية والخارجية تسهمان في التشكيل الجمالي للنصوص الشعرية من خلال الترديدات الصوتية والإيقاعية، كما أنها حد للفصل بين الشعر والنثر فقد أورد ابن سلام الجمحي في طبقاته :"والمنطق عل المتكلم أوسع منه على الشاعر والشاعر يحتاج إلى البناء والعروض والقوافي والمتكلم مطلق يتخير الكلام" ير(ابن سلام الجمحي،دت) فابن سلام يؤكد على بناء القصيدة المخصوص بالعروض والقوافي والحيز الضيق الذي يلازم الشاعر في عملية الإبداع.فالإشكال المطروح: أين يتمظهر التناص الموسيقي في قصيدة سينية المعلم للشاعر بوعلام بوعامر ؟ وكيف أسهم في تشكيلها وتحقيق الجمالية فيها ؟

2 - التناص كمصطلح حداثي:

يعد استحضار الموروث الأدبي القديم وكذا الأعمال الإبداعية المعاصرة لازمة من لوازم الإبداع لدى الشاعر، حيث يمتصها ويحاورها بعدما تخمرت في ذهنه، فيكون لها حضور قوي أثناء الكتابة فلا يسلم شاعر من هذه الميزة، يؤكد هذا كعب ابن زهيرسم(كعب ابن زهير، دت):

ما أرانا نقول إلا رجيعا ومعادا من قولنا مكرورا

وقد سمّي هذا التواصل مع التراث باسم التناص، والذي عُرف عند النقاد القدماء بمسميات مختلفة.

نشأ مصطلح التناص في بيئة غربية بعد النصف الثاني من القرن العشرين على يد الناقدة الفرنسية جوليا كريستيفا التي أسست لهذا المصطلح مستفيدة من أبحاث الناقد الروسي باختين الذي كانت له يد السبق في التنظير له، فقد استخدم مصطلح الحوارية للدلالة على العلاقات بين نص ونصوص أخرى "وقد قام مفهوم التناص على محاولة دراسة النص الأدبي في ضوء علاقته بنصوص سابقة"(حصة عبد الله سعيد البادي، 2009) ، فالنص الأدبي ما هو إلا محصلة تفاعل نصوص سابقة يتمثلها الأديب ويعيد صياغتها في نص جديد بعد أن تخمرت في ذهنه "ويمكن القول أن كل نص إنما هو تسرب وتحويل لجملة من النصوص السابقة" (حصة عبد الله سعيد البادي،2009).

ويعد التناص مفتاحا مهما وبارزا في الكشف عن شعرية النص وتجليته الداخلية "إذ يشكل التناص الواعي وغير الواعي عنصرا رئيسا في تكوين معمارية النص الشعري ونقل رؤية الشاعر ومبتغاه الذاتي تجاه موجودات الحياة ورموزها إلى المتلقي"(إبراهيم مصطفى الدهون،2011) وبالتالي نجد أن الخطاب الأدبي هو نقطة التقاء الشعرية بالتناصية، فالخطاب يحتاج إلى وسائل للتحليل من جهة، ومن جهة أخرى يعتبر مظهرا لمتتالية غير منتهية من النصوص وهذا من اختصاص التناصية، وبهذا يتداخل المجال الشعري والتناصية، فالشعرية – إذن -تعمل على تحليل الآثار الأدبية باعتبارها خطابا أدبيا متداخل النصوص، و"النص ليس ذاتا مستقلة أو مادة موحدة ولكنه سلسلة من العلاقات مع نصوص أخرى"(محمد عزام ،دت)، فالنص الغائب يعد مكونا رئيسا للنص الماثل ومسهما فعالا في تكوين وحداته " ذلك أن النص الماثل لم ينشأ من لا شيء وإنما تغذى جنينيا بدم غيره ورضع حليب أمهات عديدات وتداخلت فيه مكونات أدبية وثقافية"(محمد عزام ،دت)، فلا مناص لأي شاعر كان من الرجوع إلى تراثه والاستعانة به والعمل على إحيائه كونه يمثل المادة الخام التي تثري

أعماله، كما يكون هذا الموروث عاملا معينا على فهم النص وسبر أغواره وإبراز جماليته، وفي ظل تبلور مفهوم التناص في الدراسات الغربية وبخاصة عند كريستيفا ومع انفتاح النقد العربي على مختلف الثقافات، وفد إلينا هذا المصطلح وقد تلقفته أيادي النقاد العرب وتناولوه بالدراسة ومحاولة التأصيل له ولم يخل الخطاب الشعري العربي من المتلاحقات الثقافية والمتفاعلات النصية على مستوى المبنى والمعنى، فقد انفتح الخطاب الشعري العربي على النص الأسطوري والتاريخي والأدبي ... وكذا الأمثال والحكم بالإضافة إلى القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف اللذان يشكلان مرجعية أساسية وثابتة عند الشعراء العرب، فالشاعر حين يؤلف ويبدع نصه يكون في حضرة النصوص التي تخمرت في ذهنه وبقيت عالقة في ذاكرته فهو آخذ من كل شيء بطرف، فالتجربة الشعرية في حقيقتها "الصورة الكاملة النفسية أو الكونية التي يصدرها الشاعر حين يفكر في أمر من الأمور تفكيرا ينم عن عمق شعوره وإحساسه"□□(جمال مباركي،دت) ، فالمبدع يجعل من التراكمات الثقافية جسر عبور نحو إبداع نص جديد حامل لجينات وراثية تجعل منه شديد الصلة بالموروث الأدبي، فهو "لا يعقد الحوار مع النصوص الأخرى ليعيد كتابتها على نحو صامت بحيث يشير إلى تلك الدلالة التي أثارها النص الغائب، وإنما يستحضر تلك النصوص ليلقي عليها كثافة وجدانية جديدة تجعل النص الحاضر منفتحا على امتداد زاخر بالإحياء ومن ثم تظهر سلطة المبدع في نصه بحيث يقول ما لم يقله النص الغائب" بر□(جمال مباركي،دت) فالنص الجديد يحمل لمسة سحرية لمبدعه تنم عن موهبة فذة وبراعة قارة "فلن يضير الكاتب مهما بلغت عبقريته ومهما سما فنه أن يتأثر بإنتاج الآخرين ويستخلصه لنفسه ليخرج منه إنتاجا منطبعا بطابعه" تر□(جمال مباركي،دت).

وأطلقت جوليا كريستيفا على مصطلح التناص معان موازية له حيث سمت الحوار الذي يكون بين النصوص مفهوم الحوارية وعرفتها بقولها: "العلاقة

بين خطاب الآخر وخطاب الأنا" ير□(جمال مباركي،دت) وكذا الامتصاص في قولها: "كل نص هو امتصاص أو تحويل لوفرة من النصوص الأخرى"سم□(جوليا كريستيفا،1991)، لتهتدي في الأخير إلى القول بمصطلح التناص الذي قصدت به دخول نص ما في علاقات مع نصوص أخرى أو "هو بؤرة تتجمع فيها مجموعة من النصوص السابقة والنصوص المعاصرة واللانصوص"□□(جمال مباركي،دت).

وترى جوليا كريستيفا: أن "كل نص عبارة عن لوحة فسيفسائية من الاقتباسات وكل نص هو تشرب وتحويل لنصوص أخرى" ل□(عبد الله الغذامي،1998) ، فالنص في نظرها عبارة عن تقاطعات لوفرة من النصوص تم امتصاصها وتحويلها، فهي تنفي وجود نص خال من تداخل نصوص أخرى، ويرى مارك أنجينو التناص بأنه "كل نص يتعايش بطريقة من الطرق مع نصوص أخرى وبذلك يصبح نص في نص تناصا"□□(مارك أنجينو،1987).

أما المحدثين العرب فقد أجمعوا على أن التناص دخول نص ما في علاقة مع نصوص أخرى سابقة و يرى محمد مفتاح أنه "تعالق (الدخول في علاقة) نص مع نصوص حدث بكيفيات مختلفة"□□(محمد مفتاح،دت) ، فالنص عبارة عن اقتباسات سابقة تم استحضارها من المبدع واستعملها في نصه الجديد –أو هو – كما يرى الناقد السعودي عبد الله الغذامي "نص يتسرب إلى داخل نص آخر يجسد المدلولات سواء وعى الكاتب ذلك أم لم يع، فالنص يصنع من نصوص متضاعفة التعاقب على الذهن منسجمة مع ثقافات متعددة ومتداخلة في علاقات متشابكة"□ بر(عبد الله الغذامي،1998).

ومما سبق فقد تعددت تعاريف التناص و تنوعت، إذ اختلفت في ألفاظها ولم تختلف في مضمونها ومعناها، فنخلص إلى أن التناص عبارة عن قراءة لنصوص سابقة تم هضمها وتأويلها ومحاورتها وقد تنمحي في ذاكرة المبدع أو تبقى حية فيعيد كتابتها بطرق عدة فيحمل النص الجديد زيادة في المعنى عن النصوص السابقة التي تشكل نواة أساسية له.

3 - معايير تحديد التناص:

هناك عدة مقاييس يحدد بها القارئ التناص داخل النص الحاضر و منها :

أ - النص الغائب و"نقصد به النص السابق الذي يشتغل عليه النص الحاضر ويتفاعل معه"□ بر(جمال مباركي،دت) فالنصوص الأدبية في تفاعل مستمر، والنص الحاضر المقروء – كما يرى الناقد الفرنسي جيرار جينيت - "يقرأ هو نفسه نصا آخر وبالتالي تتداخل النصوص عبر عملية القراءة إلى مالا نهاية" بر بر(جمال مباركي،دت)، فالنصوص الغائبة تمثل دعائم أساسية في عمليات بناء النصوص الحاضرة فالموروث الأدبي بشتى أنواعه مسهم فعال ومورد ينهل منه المبدع ويعيد صياغته بأسلوبه الخاص.

"ولعل أبرز دليل على تمظهر التناص من خلال النصوص الغائبة هو المثال الذي أورده صبري حافظ ومفاده أنه اطلع على كثير من كتب النقد القديمة والحديثة التي تتناول فن الشعر بالتحليل والدراسة وحينما وقع كتاب "فن الشعر" لأرسطو في يده وانكب على قراءته لم يجد فيه أفكارا جديدة تستدعي انتباهه" تر بر(صبري حافظ،1986) فكتاب فن الشعر لأرسطو كان المادة الخام التي نهل منها النقاد أفكارهم النقدية وجعلوا منه النص الغائب في كتاباتهم، والباحث حين يقرأ النصوص الحاضرة يستحضر نصوصا سابقة كان قد اطلع عليها فيجد ذلك الرابط بين ما هو حاضر وما قد قرأه سابقا.

ب - السياق: تعتبر المعرفة بالسياق شرطا أساسيا للقراءة الصحيحة التي يتضح من خلالها التناص للقارئ، فالنص عبارة عن توليد سياقي نشأ من عملية الاقتباس الدائمة من المخزون اللغوي، وقد يرتبط السياق بعالم الأساطير أو الحضارة أو التاريخ... "وهذا ما نسميه بالمرجعية التي تفرض وجودها داخل النص والتي تمثل السياق الذهني بالنسبة للقارئ أي المخزون النفسي لتاريخ سياقات الكلمة" ير بر(سعيد يقطين)، فالسياق وسيط معرفي من خلاله يتمظهر التناص للقارئ، والنص لا وجود له خارج سياقه فهو "أشبه بالنجم في السماء حيث ينبثق من بين آلاف النجوم التي لا يميزه عنها إلا أن يخصه الإنسان بنظره،

وليس للنص وجود خارج سمائه فكذلك لا نص خارج سياقه"سمـ بر(عبد الله الغذامي،1998).

ج - المتلقي: يعد المتلقي (القارئ) الحلقة الأهم في عملية التواصل وعنصرا فعالا يظهر من خلاله التناص وذلك بالاعتماد على ذاكرته ومخزونه الثقافي، فاستظهار التناص يحتاج لقارئ ذا تجربة وسعة اطلاع، فالنص لا يسلم القيادة إلا للمخلص له الذي يدرك قيمته، والتناص – كما ذكر الغذامي - شبيه بالفرس الأصيل الذي يتأبى على الجاهل بالفروسية" والقارئ المعول عليه هو الذي يمتلك ذائقة جمالية تمكنه من سبر أغوار النص فهو لم يعد "الذات السلبية الثابتة التي يقع عليها فعل الكتابة بل أضحى فاعلا ديناميا يؤثر في النص فيصنع دلالته"□ بر(جمال مباركي،دت) من خلال الفهم التأويلي لهذه النصوص التي وجد نفسه حاملا لها بطريقة ما، كما أن النص يكتسب قيما جديدة على يد القارئ فكاتب النص حين يستحضر حمولته الثقافية المكونة من كلمات ذات شحنات دلالية مختلفة والتي قد تغيب عنه، فيكون المتلقي حينئذ مولدا لدلالات جديدة ومعان مبتكرة لم تكن مقصودة من صاحب النص.

د - شهادة المبدع : تعد شهادة المبدع خير معين على اكتشاف الرواسب التي رجع إليها مبدع النص واستحضرها حين الكتابة و"يمكن استظهار التناص بناء على شهادة الشاعر الذي يصرح أو يشير لمرجعيته الفكرية والإنشائية فيعلن عن النصوص التي يقتبس منها" لهـ بر(جمال مباركي،دت) فالشاعر قد نجد في تضاعيف إبداعه ما يدلنا على النصوص التي استقى منها نصه فهو يحاور النصوص التي يحملها قصد إنشاء نص جديد يكون امتصاصا أو تحويلا لوفرة من النصوص الأخرى، فعملية الإبداع يتكئ فيها المبدع على موروثه الثقافي ليكون معينا له على نظم كلامه.

فهذه المقاييس ترشد القارئ وتنير طريقه قصد معرفة النصوص السابقة التي كانت حاضرة في النصوص اللاحقة.

4 - حضور التناص الموسيقي في سينية المعلم ل"بوعلام بوعامر": لعل من مظاهر التناص الموسيقي التي تستدعي منا الدراسة، قصيدة "سينية المعلم" للشاعر بوعلام بوعامر التي يحاكي فيها فنيا وجماليا قصيدة "سينية البحتري" فكان التداخل بينها جليا وبارزا مما أضفى على القصيدة البنت شعرية خاصة.

1.4 - الموسيقى الخارجية :

يقول الشاعر بوعلام بوعامر في قصيدته سينية المعلم□ بر(بوعلام بوعامر،2015):

صنت نفسي عما يدنس نفسي ..... وترفعت عن وظيف مخسّ

صُنْتُ نَنْسِيْ عَمْمَاْ يُدَنْنِسُ نَفْسِيْ ....وَتَرَفْفَعْتُ عَنْ وَظِيْفِنْ مُخِسْسِيْ

0/0// 0/0// 0/ /0/0/////..... 0/0/ //0// 0/0/ 0/0/ /0/

فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن....فعلاتن متفعلن فاعلاتن

وفي سينية البحتري□ بر(البحتري،دت) نجد :

صنت نفسي عما يدنس نفسي .....وترفعت عن جدا كل جبس

صُنْتُ نَنْسِيْ عَمْمَاْ يُدَنْنِسُ نَفْسِيْ ....وَتَرَفْفَعْتُ عَنْ جَدَاْ كُلْلِ جِبْسِيْ

0/0/ /0/ 0// 0/ /0/0/////..... 0/0/ //0// 0/0/ 0/0/ /0/

فاعلاتن مستفعلن فعلاتن ....فعلاتن متفعلن فاعلاتن

فالشاعر هنا يحاكي البحتري في الوزن حيث جاءت سينية البحتري وسينية المعلم لبوعلام بوعامر على وزن البحر الخفيف والذي يناسب الحالة الشعورية للشاعرين ، فطبيعة النص والموضوع المتناول يستدعيان البحر المناسب "،فكل أديب يعتمد أسلوبا يخدم نصه، يؤكد هذا نور الدين السد في قوله: "والأسلوب عنده (يقصد أحمد حسن الزيات) طريقة خاصة للأديب في اختيار الألفاظ وتركيب الكلام وهذه الخاصية تختلف من شاعر لآخر"□ تر(نور الدين السد،2010) فالشاهد هنا أن الشاعر له حرية اختيار البحر الذي يناسب الموضوع الذي طرقه ويتوافق وحالته الشعورية.

وسمي بالخفيف "لخفته وهذه الخفة متأتية من كثرة أسبابه الخفيفة، والأسباب أخف من الأوتاد"□ تر(إيميل بديع يعقوب،1991).

- وقد طرأ على تفعيلة أبيات القصيدة اللاحقة زحاف الخبن و نعني به "حذف ثاني التفعيلة الساكن" بر تر(محمد علي سلطاني،2008) فنلحظ:

فاعلاتن – فعلاتن / مستفعلن – متفعلن

والخفيف يمتاز بموسيقاه العذبة وهذا لوفرة الزحافات التي تلحقه فيضرب زحاف الخبن تفعيلته الأولى و الثالثة (فاعلاتن – فعلاتن) كما يضرب تفعيلته الثانية (مستفعلن – متفعلن)

فقد تناص الشاعر بوعلام بوعامر في سينيته مع سينية البحتري في الوزن فقد استعمل الشاعران تفعيلات البحر الخفيف التي أضفت على النص حالة من التذمر والكآبة والحزن فكان البحر الخفيف دلالة استجابة سريعة وخفيفة أبانت عمق الأسى الذي يلازم الشاعرين، فالنفس الشاعرة أجود ما تكون حين يحوطها الأذى وتتناهشها الأزمات وتلحقها المصائب فتثور على واقعها وتصور معاناتها وكرباتها، وهذا حال بوعلام بوعامر حين وصف حالة المعلم الذي تملكه الأسى وتقاذفته ألسنة الناس بالتهم فكان حبيس أحزانه وآلامه، وهذا يوازي الحالة التي كان عليها البحتري حين وصف إيوان كسرى، حيث كان كسير النفس مثقلا بالهموم أسير حزنه وتعسه.

والشاعر بوعلام بوعامر في استعماله للبحر الخفيف قد حاذى كذلك الشعراء القدماء فهو بحر كثير الاستعمال ذائع الشيوع كما أكد على ذلك إبراهيم أنيس حيث يقول:" أن البحر الخفيف من البحور الخمسة التي ظلت في كل العصور موفورة الحظ يطرقها كل الشعراء ويكثرون النظم منها وتألفها آذان الناس" تر تر(إبراهيم أنيس،1952).

والشاعر اللاحق في موقف التذكير بالواقع المؤلم الذي يعيشه المعلم في المجتمع، فعلى الرغم من كون أسلوب الشاعر مباشرا إلا أنه يحمل التذمر والحسرة والألم في المضمون، ولعل من الجماليات التي يمكن استنباطها هنا،

مهارة الشاعر في استثمار البحر الخفيف وتوظيفه بما يتناسب والموضوع الذي حمله على عاتقه، فكان مسهما في التشكيل الجمالي الخارجي للقصيدة.

أما الضرب الثاني من التناص فنجده في القافية والتي قصد بها الخليل بن أحمد الفراهيدي " الحروف المحصورة بين آخر ساكنين في البيت مع المتحرك قبل الساكن الأول " ير تر(محمد علي سلطاني،2008) حيث تظل القافية من أهم الأسس التي ترتكز عليها القصيدة العربية وهي ركيزة أساسية في بناء الإيقاع الشعري.

فقافية سينية البحتري هي:

صنت نفسي عما يدنس نفسي .....وترفعت عن جدا كل جبس

صُنْتُ نَنْسِيْ عَمْمَاْ يُدَنْنِسُ نَفْسِيْ ...وَتَرَفْفَعْتُ عَنْ جَدَاْ كُلْلِ جِبْسِيْ

0/0/ /0/ 0// 0/ /0/0///..... 0/0/ //0// 0/0/ 0/0/ /0/

فاعلاتن مستفعلن فعلاتن .....فعلاتن متفعلن فاعلاتن

فهي إذا (لاتن) ما يقابلها (جِبْسِيْ) .

أما قافية الشاعر بوعلام بوعامر في سينية:

صنت نفسي عما يدنس نفسي ..... وترفعت عن وظيف مخسّ

صُنْتُ نَنْسِيْ عَمْمَاْ يُدَنْنِسُ نَفْسِيْ ...وَتَرَفْفَعْتُ عَنْ وَظِيْفِنْ مُخِسْسِيْ

0/0// 0/0// 0/ /0/0///..... 0/0/ //0// 0/0/ 0/0/ /0/

فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن.....فعلاتن متفعلن فاعلاتن

ما يقابلها (لاتن) وزنا و (خِسْسِنْ) رسما.

فالشاعران تناصا في القافية من حيث النوع فهي قافية المتواتر والتي "يفصل بين ساكنيها حرف متحرك واحد"سم تر(إيميل بديع يعقوب،1991) فالشاعران تعالقا نصيا في القافية مما يدل على الحالة التي آلا إليها وكيف انتهى بهما الحال فلامسا سقف الألم كما أن القافية جاءت مطلقة لتدل على استمرار النفس والتعبير عن الحالة النفسية التي تنتابهما فقد أطلقا العنان لذاتهما الشاعرة للتعبير عما دهاهما من مر الأسى ولوعة الألم والحسرة على تقلبات

الزمن. فالقافية –إذن -"جزء إيقاعي يتسق مع أجزاء البيت في النسيج الذي يقوم عليه الإيقاع المعبر"□ تر(محمد علي سلطاني،2008)

والقافية ترتكز على حرف أساسي وتعتمد عليه وهو الروي والمقصود به "النبرة أو النغمة التي ينتهي بها البيت ويلتزم الشاعر تكراره في كل أبيات القصيدة وإليه تنسب القصيدة" □ تر(إيميل بديع يعقوب،1991) وقد تناص الشاعران في حرف الروي وهو حرف السين المهموس الرخوي الهادئ، فوسم في القصيدتين صفة الهدوء وهو ما يدل على نفسية الشاعر في النص اللاحق، حيث اتخمت الهموم كاهله وتحول من حال المؤمل إلى حال المهمل نظير ما يقاسيه، فكان حرف السين هو الأنسب والأقرب للحالة الشعورية للشاعر، فكان مكسورا ليدل على انكسار نفسية المبدع فنراه حائرا تائها في عمق أحزانه نظير ما وصل إليه حال المعلم في بيئة موبوءة أهانت العلم والمعلم، وهو بهذا يحاكي البحتري في سينية المشهورة، حيث كان روي السين موحيا معبرا في القصيدتين و دالا على ما أراده الشاعران.

من خلال ما تقدم نلمس مدى عناية الشاعر بالقافية لعلمه ما تمثله من أهمية في بناء سينيته، كما أبدى الشاعر تمسكه بالقالب الموسيقي التقليدي الأصيل الذي يحدث نغما موسيقيا آسرا يشد انتباه القارئ.

2.4 - الموسيقى الداخلية:

إن الشاعر بوعلام بوعامر في نصه اللاحق لم يكتف بمحاذاة الموسيقى الخارجية فقط، بل توغل داخل نص البحتري ليبدي تأثره بموسيقاه الداخلية، ذلك أن الموازنات الصوتية "لها دور مهم في تكوين الإيقاع الداخلي للنص الشعري وقد عرّف الدارسون الموازنات الصوتية تعريفات متعددة ومن ذلك أنها تعادل القوى والتطابق بين الشيئين بحيث يتنازعان انتباه السامع بمقدار واحد وتخصيص الموازنة بمادة الصوت ويجعلها نوعا من الأوزان الجزئية، تكونه وحدات معجمية ذات بناء صوتي متماثل "□ تر(مقداد محمد،2008) ومن ذلك نجد:

- **الطباق** : ورد الطباق في نصي الشاعرين البحتري وبوعلام بوعامر مما أضفى جمالا موسيقيا وإيقاعا فنيا في القصيدتين، والطباق في أبسط صوره " الجمع بين معنيين متضادين "□ تر(محمد علي سلطاني،2008) ومن صور الطباق في النص السابق نجد:

(تذكر≠ تنسي - اشترائي ≠بيع - مصبح ≠أمسي - أتسلى ≠ آسى - مأتما ≠عرس - مصبح ≠ممسي - فراقا ≠إلفا)... فقد وصل البحتري من خلال استعمال الطباق إلى عمق النفس وبين من خلاله تقلبات الزمن، فلا حال يدوم على حاله ولا شيء يبقى على أصله، أما في النص اللاحق في سينية المعلم للشاعر بوعلام بوعامر فنجد أنه حذا حذو البحتري من خلال الاعتماد على الطباق في نصه وذلك قصد إبراز جانب من المعاناة التي يتكبدها المعلم، فقد أعجب بالجرس الموسيقي الذي بنيت به سينية البحتري فحاول مجاراته والنسج على منواله فبرع في ذلك وبرزت قدرته على الإنشاء والمعارضة ما جعل نصه متميزا من جهة المبنى و المعنى ومن أمثلة ذلك :

(أتسلى ≠ آسى - حسنات ≠خطايا - مصبح≠ ممسي) فبالإضافة إلى الشعرية التي ارتسمت على قصيدة الشاعر، نجد كذلك اشتراكا في حرف السين في هذه المتضادات، فأحدث جرسا موسيقيا ونغما تطرب له الآذان.

- **الجناس**: يعد الجناس من المظاهر البديعية التي تحدث نغما موسيقيا في النص الشعري مما يزيد في شعريته فيحدث استجابة لدى المتلقي الذي يأسره الإيقاع المشابه الذي تحدثه الكلمات والجناس حقيقة هو "أن تتشابه اللفظتان في الشكل الخارجي وتختلفان في المعنى"□ ير(محمد علي سلطاني،2008) فحيثما اتفقت المباني واختلفت المعاني أبانت عن موهبة فذة لدى الشاعر فيعمد إلى استعمال لفظ من الألفاظ في موضع أول، ثم يستعمل اللفظ نفسه أو شبيهه في معنى ثان في حلة بديعية أخاذة، و هذا ما جاء به البحتري في سينيته فأورد التجنيس في مواطن مختلفة من قصيدته (عنس –عبس) (مشيح –مليح) (جوب -جنب) فانبنت بعض أبيات قصيدته على تماثل موسيقي يقرع أذن

السامع ويسترعي اهتمامه، فهو مسهم فعال في موسيقى الشعر الداخلية التي ينبغي أن يحرس المبدع على توظيفها.

إن هذه الجمالية عند البحتري في تشكيل نصه لم تذو وتندثر، فقد استحضرها الشعراء المعاصرون وساروا على نهجها ومن ذلك الشاعر بوعلام بوعامر الذي جنح إلى سينية البحتري واستحضر ما فيها من جمال في البنى الصوتية، فاتبع وابتدع أسلوبا في تخير الألفاظ التي تخدم موضوع قصيدته فعلى الرغم من اختلاف الموضوع إلا أن المجاراة والمحاكاة كانت واضحة ومن ذلك: (بؤس -بأس)(مراتب -رواتب)(غارة – ريغة)(الأسى - التأسي)(منتهى - مشتهى)

إن اجتلاب الشاعر بوعلام بوعامر لهذا النغم الآسر والفن الساحر ومن ثم توظيفه في صورة بديعة، أرسى على قصيدته السينية شعرية ناضرة وجمالا فنيا وتشكيلا موسيقيا بديعا، فالجناس -كما عبر الجرجاني -معبّر عن الإثارة الأولى لدى الشاعر المتمكن لقوله : "ورأيت الآخر قد أعاد عليك اللفظة، كأنه يخدعك عن الفائدة وقد أعطاها ويوهمك أنه لم يزدك وقد أحسن الزيادة ووفاها ...وبهذه السريرة كان التجنيس وخصوصا المستوفى منه من حُلَى الشعر"□ ير(عبد القاهر الجرجاني،دت)

- **التكرار** : يعتبر التكرار ظاهرة فنية تسهم في تشكيل إيقاع القصيدة ، والتكرار في أبسط صوره تكرار اللفظ بمبناه أو معناه قصد التأكيد والتقرير فيكون حينها مفتاحا للقارئ قصد معرفة الفكرة التي يتمركز حولها الشاعر يقول ابن رشيق القيرواني :"وللتكرار مواضع يحسن فيها ومواضع يقبح فيها، فأكثر ما يقع التكرار في الألفاظ دون المعاني، وهو في المعاني دون الألفاظ أقل، فإذا تكرر اللفظ والمعنى جميعا فذلك الخذلان بعينيه ولا يجب للشاعر أن يكرر اسما على جهة التشوق والاستعذاب إذا كان في تغزل أو نسيب" بر ير(ابن رشيق القيرواني،2000) فكان للتكرار -برأي ابن رشيق - فضل في تحسين الكلام وتزيينه ومواطن أخرى يقبح فيها فينفّر السامع ويشين المبنى والمعنى، والمتبع

لسينية البحتري يدرك أنه استعمل التكرار في أيّما موضع من قصيدته ومن أمثلة ذلك تكرار بعض الكلمات كلفظ نفسي في قوله تر ير(البحتري،دت) :

صنت نفسي عما يدنس نفسي وترفعت عن جدا كل جبس

وتكرار وارد في قوله:

وبعيدا ما بين وارد رفه علل شربه و وارد خمس

و كذا كلمة الأخس في قوله:

وكأن الزمان أصبح محمولا لاهواه مع الأخس الأخس

وتكرار لفظ الخطوب :

-أذكرتنيهم الخطوب التوالي ولقد تذكر الخطوب وتنسي

تكرار لفظ الإنس والجن :

ليس يدرى أصنع إنس لجن سكنوه أم صنع جن لإنس

استعمل البحتري التكرار بكثرة في أبياته ذلك أن الشيء إذا تكرر تقرر وثبت في النفس، فالتكرار ظاهرة فنية تسهم في التشكيل العام للنص كما يضفي نغما موسيقيا تطرب له الآذان.

إن الشاعر بوعلام بوعامر في نصه اللاحق بدا متأثرا بنسج القدماء بل ومتعلقا بها كما أورد في سينية ير ير(بوعلام بوعامر،2015):

نبذوا منهج التراث وفيه عبقري الرؤى و نظرة نطس

فقد هضم الشاعر المعارف السابقة وتلاقحت في مخيلته أفكار التراث مع الحداثة فتميزت أبيات قصيدته بالجزالة والمتانة، ولعلّ ما استقاه من شتات الماضي والموروث الأدبي الزاهر؛ ظاهرة التكرار، فهي بنية أساسية في السبك والحبك فقد حاكى بدرجة كبيرة الشاعر البحتري في سينية وحاذاه نظما ونسج على منواله فأبان عن موهبة فذة وشعرية ملهمة برغم اختلاف موضوع الوصف.

ومن ذلك تكرار لفظ نفسي في قولهسم ير(بوعلام بوعامر،2015):

صنت نفسي عما يدنس نفسي وترفعت عن وظيف مخسّ

تكرار لفظ المعلم في قوله :

قدر الله مايشاء فوجهت إلى مهنة المعلم تعسي

لهف نفسي على المعلم يسعى بين بؤس من الحياة و بأس

تكرار لفظ الأستاذ في قوله :

غارة عنده وفتح قريب أن يروغ الأستاذ ريعة خمس

فإذا أخطأوا المؤمل فالأستاذ من جاد لليهود بالقدس

لقد برع الشاعر في النص اللاحق من خلال رصف الألفاظ المكررة ونظمها على أكمل وجه، فالتكرار بنية يتوسل الشاعر من خلالها طرق أذن المتلقي من خلال النغمة المنبعثة من التكرار.

بالإضافة إلى تكرار الألفاظ نجد الشاعرين قد كررا العديد من الحروف ذات القوة الإيحائية والتكثيف الدلالي، كما أن لها دورا مهما في بناء المفردات ما يضفي على النص سمة جمالية بارزة من خلال انسجام الأصوات مع المعاني، والتكرار الصوتي لبعض الحروف في القصيدة، من الوسائل التي تثري الإيقاع الداخلي بواسطة ترديد حرف بعينه، ومن هذه الحروف حرف السين، حيث تردد في الكثير من الألفاظ في النصين السابق واللاحق.

يقول البحتري□ ير(البحتري،دت) :

صنت نفسي عما يدنس نفسي وترفعت عن جدا كل جبس

وتماسكت حين زعزعني التماسا منه لتعسي ونكسي

أتسلى عن الحظوظ و آسى لمحلّ من "آل ساسان" درس

ومساع لولا المحاباة مني لم تطقها مسعاة "عنس" و"عبس"

-كما تردد هذا الحرف في النص اللاحق يقول الشاعر بوعلام بوعامر ير:(بوعلام بوعامر،2015)

لهف نفسي على المعلم يسعى بين بؤس من الحياة وبأس

لو تأتي له لسان ابن جهم نظم الدر في الأسى والتأسي

وسياسته لكل "سجاح" تدعيها وكل "أسود عنسي"

كرر الشاعران حرف السين المتميز بهمسه ورقته وهدوئه، ما عبر عن حالة الحزن والكآبة التي حلت بهما، فالبحتري آله الوضع الذي هو عليه فكان حرف السين متنفسا له ومبيّنا لحالة الشاعر، أما النص اللاحق فقد خيم الهم على الشاعر بوعلام بوعامر، فكان الحرف السابق الذكر بإيقاعه الموسيقي الهادئ منسجما والحالة الشعورية للشاعر الذي بات يؤلمه ما وصل إليه المعلم والتعليم من حالة مزرية تبعث على القلق .

كما تكررت الحروف المجهورة والمهموسة في نصي الشاعرين مما أحدث إيقاعا متوازنا ودل هذا على الحالة النفسية التي يعانيها الشاعران فهي تتراوح بين الاستكانة والضعف حينا، وهذا من خلال الحروف المهموسة، وبالثورة على الواقع المر في أحايين أخرى وهذا من خلال الحروف الجهرية ذات الإيحاء القوي، والشاعر بوعلام بوعامر استعمل الحروف الجهرية ليبوح بما يعانيه المعلم في الأوساط الاجتماعية وكذا الجهر بما علّ نفسه فالكل قد استباح حرمة التعليم من عامة الناس وخاصتهم وكذا الإعلام الخسيس الذي ما فتئ يستهين بالمعلم ومن أمثلة الحروف الجهرية نجد حرف النون المجهور ذو الغنة في قوله :

صنت نفسي عما يدنس نفسي وترفعت عن وظيف مخسّ

حيث تكرر النون خمس مرات وهو حرف يتسم بالليونة ويحمل ملامح الحزن فتوافق وحالة الشاعر الذي أشجاه حال المعلم وما يعيشه من كرب.

وكذا حرف الباء وهو حرف مجهور انفجاري دل على حالة الغضب الذي تملكت الشاعر ومن أمثلته:

وسلوك الطلاب بين يديه بعضهم لاغط وآخر منسي

من غبي يعنى بمضغ لبان وبليد يلهو بتحريك كرسي

وقد جسد حرف الباء بالإضافة إلى بعض الحروف الجهرية الانفجارية حالة من عدم الرضا والسخط على المحيط العطن والموبوء الذي أصبح عليه التعليم.

أما عن الأصوات المهموسة (حثه شخص فسكت) فقد كان لها حضور في نصي الشاعرين والهمس له دلالة الانكسار والحزن والألم، وعلامة الضعف والانهزامية، ففي النص السابق للبحتري:

صنت نفسي عما يدنس نفسي وترفعت عن جدا كل جبس

تماسكت حين زعزعني الدهر التماسا منه لتعسي ونكسي

فقد تكرر حرف السين ثماني مرات وحرف التاء ست مرات وكذا :

أذكرتنيهم الخطوب التوالي ولقد تذكر الخطوب وتنسي

وهم خافضون في ظل عال مشرف يحسر العيون ويخسي

تكرر حرف الخاء أربع مرات والتاء أربع مرات.

وفي النص اللاحق :

واستعاضوا مهجنا ليس بالرو سي أصلا ولا الصميم الفرنسي

ذاك عندي وليس في الأمر شيء لي ولا في وزارة أهل أنس

تكرر حرف السين ست مرات

فاقبلوها تعللات وقولوا: منتهى مشتهى قتيل بيأس

تكرر الهاء ثلاث مرات وتكرر التاء أربع مرات.

إن قراءة بسيطة في سطور النصين تجلي بوضوح كثرة استعمال الحروف المهموسة وهي دلالة ألم وحسرة على الواقع المعيش فقد صور الشاعران حالة من البؤس والكآبة التي تملكتهما فوجدا في هذه الحروف متنفسا وهروبا من واقع مرير وعيش مضن.

5 - خاتمة :

لعل بحثنا هذا في مفهوم التناص ما هو إلا غيض من فيض وذلك لشيوعه بين النقاد وثراء الأبحاث التي تناولته بالتفصيل وكذا محاولات التأصيل له، فقناعة بعض نقادنا العرب أن مفهوم التناص وغيره من المفاهيم الغربية الواردة إلينا ما هي إلا حفر غربي في أعماق تراثنا العربي الزاخر مع تغيير المصطلحات، فالعرب – كما أسلف الذكر - قد عرفوا التناص ولكن بمسميات أخرى، وقد استعمل شعراؤنا المعاصرون – ولم يحد عنهم شاعرنا بوعلام بوعامر – التناص في أشعارهم فلا مناص لأي شاعر من الرجوع إلى تراثه القديم والنهل منه ومحاورته ومن ثم تحميله مدلولات جديدة، فلجوء الشاعر إلى التناص تمكنه من الانفتاح على مدارات إيحائية زاخرة بالمعاني وقد خلصنا في الأخير إلى مجموعة من النتائج :

1- كل نص -بكل تشكيلاته اللفظية والمعنوية والإيقاعية - هو بؤرة تتجمع فيها مجموعة نصوص سابقة عليه أو معاصرة له والشاعر بوعلام بوعامر قد استحضر تلك النصوص في مخيلته وحاورها لينتجها من جديد في نصه.

2- أظهر الشاعر بوعلام بوعامر اهتمامه البالغ بالشعر القديم وقالبه الأصيل، وأبدى تمسكه بموسيقاه التقليدية وإيقاعه الآسر من خلال توظيفه في سينيته.

3- التناص لا يكون في الألفاظ والمعاني وحدها، بل حتى في القوالب الفنية الموسيقية، فالشاعر حين يستحسن بيتا أو قصيدة ينسج على منوالها فيكون النص السابق خارطة طريق واضحة المعالم يبني عليها الشاعر اللاحق نصه.

4- إن القصيدة المعاصرة تسمو جماليا بما تحتويه من عناصر فنية وإبداعية في مبناها ومعناها وموسيقاها، والشاعر بوعلام بوعامر نسج قصائده بعد تجارب طويلة في حقول الإبداع الشعرية.

5- إن أكثر ما يميز الشعر عن النثر، الجانب الموسيقي، حيث تؤدي الموسيقى بنوعيها الداخلية والخارجية دورا مهما إن على مستوى المبنى أو المعنى، وهذا ما لمسناه في سينية المعلم للشاعر بوعامر.

6- يمكن القول أن الجانب الموسيقي في سينية المعلم لبوعلام بوعامر كان له دور فعال في إنتاج الدلالة العامة للقصيدة، فالإيقاع الداخلي والخارجي أسهما بشكل كبير في بلورة الأفكار التي أراد الشاعر إيصالها للمتلقي.

الملحق: قصيدة سينية المعلم للشاعر بوعلام بوعامر.

صنت نفسي عما يدنس نفسي ❖❖❖ وترفعت عن وظيف مخسّ

قدّر الله ما شاء فوجهت ❖❖❖ إلى مهنة التعلـــيم تعسي

أتسلى عن الحظوظ وآسى ❖❖❖ لزمان أضعتــه في لسنس

ما الذي يجتنيه من يجتبيها؟ ❖❖❖ بصر متعب وشيبة رأس

وذهـول يغشاه حتى تراه ❖❖❖ ناسـيا ما اتاه في يوم أمس

لهف نفسي على المعلم يسعى❖❖❖ بين بؤس من الحياة وبأس

في وطــيء من المراتب دون ❖❖❖ وزهيد من الرواتب بخس

يركب الناس ما يلذّ رفاها❖❖❖ وهْو قد لا يحوز أجرة طكسي

من أمام مفتش لـذّة الأيـــــــــام من دهره زيارة خلس

غارة عنـده وفتح قريب ❖❖❖ أن يروغ الأستاذ ريغة نمس

منكر ما يراه من حسنات ❖❖❖ والخطايا يجسها بمجس

خلفه نائب المدير وما نا ❖❖❖ ب فثَمّ المدير مضح وممس

ووزيـر إذا أصاب التلاميذ تـــــمطى وقال: شكرا لنفسي

فإذا أخطؤوا المؤمَل فالأستـــــــاذ من جاد لليهود بقدس

وضجيج الإعلام: تفا لقوم ❖❖❖ علموهم وجوه شرّ ونحس

لكأن بينه وبينهم مـــا ❖❖❖ بين ذبيان من ترات وعبس

آله قد توهموه وأمّـــا ❖❖❖ في الشهادات فهْو في ذل حبس

لو تأتّى له لسان بن جهم ❖❖❖ نظّم الدرّ في الأسى والتأسي

فإذا رأيت صورة من علّمـــــــــــــك ارتعت بين فقر ومس
والدنايا مواثل وهْو في الساحة يزجي الصفوف من قبل درس
وسلـوك الطلاب بين يديـه بعضهم لاغط وآخر منسي
من غبيّ يُعنى بمضغ لبان وبليد يلهو بتحريك كرسي
في شتات لدى الدخول فإن را موا خروجا فبانتطاح ورفس
تصـف العين أنهم جد أحيـا ء ولكن لهم بلادة حس
يغتلي فيهم ارتيابي إن كا نوا شياطين في مآزر إنس
ويح هذا التعليم أرخس للبا ذل دينار وباذل فلس
وسياساته لكل سجاح تدّعيها وكل أسود عنسي
نبذوا منهج التراث وفيه عبقريّ الرؤى ونظرة نطس
للغزاليّ وابن خلدون انقا دت عَصياتها على غير ندس
واستعاضوا مهجنا ليس بالرو سيّ أصلا ولا الصميم الفرنسي
ذاك عندي وليس في الأمر شيء لي ولا في وزارة أهل أنسي
فاقبلوها تعللات وقولوا: منتهى مشتهى قتيل بيأس

المراجع:

1. ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعرا، قراءة وشرح محمود محمد شاكر، الناشر دار مدني جدة.
2. ابن رشيق القيرواني، العمدة في صناعة الشعر ونقده، حققه وعلق عليه، د.عبد الواحد شعلان، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط1، 2000.
3. إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، مطبعة لجنة البيان العربي، ط2، 1952.
4. إبراهيم مصطفى الدهون، التناص في شعر أبي العلاء المعري، عالم الكتب الحديثة، الأردن، ط1، 2011.
5. إيميل بديع يعقوب، المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1991.
6. بوعلام بوعامر، ديوان"رحيل في ركاب المتنبي"، دار صبحي للطباعة والنشر، غرداية، ط1، 2015.
7. البحتري، الديوان، ص1152.
8. جمال مباركي، التناص وجمالياته في الشعر الجزائري المعاصر، إصدارات رابطة إبداع الثقافية، دار هومة، دط.
9. جوليا كريستيفا، علم النص، تر:فريد الزاهي، ط1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب 1991.
10. حصة عبد الله سعيد البادي، التناص في الشعر العربي الحديث، البرغوثي نموذجا، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، ط1، 2009.
11. خليل الموسى، الحداثة في حركة الشعر العربي المعاصر، مطبعة الجمهورية، دمشق، ط1، 1991.
12. كعب ابن زهير، الديوان، حققه وشرحه وقدم له: علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ص26.
13. مارك أنجينو، في أصول الخطاب النقدي الجديد، تر: أحمد المديني، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد 1987.
14. محمد عزام النص الغائب، تجليات التناص في الشعر العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط.
15. محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، المركز الثقافي العربي، دط.
16. محمد علي سلطاني، المختار من علوم البلاغة والعروض، دار العصماء، سوريا، ط1، 2008.

17. مقداد محمد شكر قاسم، البنية الإيقاعية في شعر الجواهري، دار الدجلة، ط1، عمان، 2008.
18. نورالدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب الشعري، دار هومة، الجزائر، ط1، 2010، ج2.
19. عبد الله الغذامي، الخطيئة والتكفير، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4، 1998.
20. عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، مطبعة المدني، القاهرة.
21. عبد الفتاح لكرد، موسيقى الشعر، دراسة تطبيقية في شعر البحتري، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع 2019.
22. سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي (النص والسياق)، ص34، نقلا عن جمال مباركي، التناص وجمالياته في الشعر الجزائري المعاصر.
23. صبري حافظ، التناص وإشارات العمل الأدبي، مجلة عيون المقالات، ع2، المغرب، 1986.

الهوامش:

1 ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، قراءة وشرح محمود محمد شاكر، الناشر دار مدني جدة، ص24.

2 عبد الفتاح لكرد، موسيقى الشعر، دراسة تطبيقية في شعر البحتري، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع 2019، ص13.

3 د. خليل الموسى، الحداثة في حركة الشعر العربي المعاصر، مطبعة الجمهورية، دمشق، ط1، 1991، ص93.

4 ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، قراءة وشرح محمود محمد شاكر، الناشر دار مدني جدة، ص56.

5 كعب ابن زهير، الديوان، حققه وشرحه وقدم له: علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ص26.

6 حصة عبد الله سعيد البادي، التناص في الشعر العربي الحديث، البرغوثي نموذجا، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، ط1 ، 2009، ص7.

7 المرجع نفسه، ص7.

8 ينظر: إبراهيم مصطفى الدهون، التناص في شعر أبي العلاء المعري، عالم الكتب الحديثة، الأردن، ط1، 2011، ص9.

9 محمد عزام النص الغائب، تجليات التناص في الشعر العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط، ص30.

10 المرجع نفسه، ص11.

11 جمال مباركي، التناص وجمالياته في الشعر الجزائري المعاصر، إصدارات رابطة إبداع الثقافية، دار هومة ،دط، ص320.
12 جمال مباركي، التناص وجمالياته في الشعر الجزائري المعاصر، مرجع سابق، ص322.
13 المرجع نفسه، ص318.
14 المرجع نفسه، ص41.
15 جوليا كريستيفا، علم النص، تر: فريد الزاهي، ط1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب 1991، ص 78.
16 جمال مباركي، التناص وجمالياته في الشعر الجزائري المعاصر، مرجع سابق، ص40 - ص41.
17 عبد الله الغذامي، الخطيئة والتكفير، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4، 1998، ص326.
18 مارك أنجينو، في أصول الخطاب النقدي الجديد، تر: أحمد المديني، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد 1987، ص105.
19 د.محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، المركز الثقافي العربي، دط، ص121.
20 عبد الله الغذامي، الخطيئة والتكفير، مرجع سابق، ص325.
21 جمال مباركي، التناص وجمالياته في الشعر الجزائري المعاصر، مرجع سابق، ص149.
22 المرجع نفسه، ص149.
23 صبري حافظ، التناص وإشارات العمل الأدبي، مجلة عيون المقالات، ع2، المغرب، 1986، ص79.
24 سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي (النص والسياق)، ص34، نقلا عن جمال مباركي، التناص وجمالياته في الشعر الجزائري المعاصر، مرجع سابق، ص151.
25 عبد الله الغذامي، الخطيئة والتكفير، مرجع سابق، ص82.
26 جمال مباركي، التناص وجمالياته في الشعر الجزائري المعاصر، مرجع سابق،ص152.
27 المرجع نفسه، ص153.
28 بوعلام بوعامر، ديوان "رحيل في ركاب المتنبي"، دار صبحي للطباعة والنشر، غرداية، ط1، 2015، ص69.
29 البحتري، الديوان، ص1152.
30 نورالدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب الشعري، دار هومة، الجزائر، ط1، 2010، ج2، ص140.
31 د.إيميل بديع يعقوب، المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1991، ص76 -77.

32 د.محمد علي سلطاني، المختار من علوم البلاغة والعروض، دار العصماء، سوريا، ط1، 2008، ص255.

33 إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، مطبعة لجنة البيان العربي، ط2، 1952، ص189 - 190.

34 د.محمد علي سلطاني، المختار من علوم البلاغة والعروض، مرجع سابق، ص270.

35 د.إيميل بديع يعقوب، المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1991، ص348.

36 د.محمد علي سلطاني، المختار من علوم البلاغة والعروض، مرجع سابق، ص271.

37 د.إيميل بديع يعقوب، المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر، مرجع سابق، ص352.

38 مقداد محمد شكر قاسم، البنية الإيقاعية في شعر الجواهري، دار الدجلة، ط1، عمان، 2008،ص207.

39 د.محمد علي سلطاني، المختار من علوم البلاغة والعروض، مرجع سابق، ص150.

40 د.محمد علي سلطاني، المختار من علوم البلاغة والعروض، مرجع سابق، ص163.

41 عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، مطبعة المدني، القاهرة، ص7 -8.

42 ابن رشيق القيرواني، العمدة في صناعة الشعر ونقده، حققه وعلق عليه، د.عبد الواحد شعلان، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط1، 2000، ص698.

43 البحتري، الديوان، مرجع سابق، ص1152.

44 بوعلام بوعامر، ديوان "رحيل في ركاب المتنبي"، مرجع سابق، ص70.

45 المرجع نفسه، ص69.

46 البحتري، الديوان، مرجع سابق، ص1152 -1153.

47 بوعلام بوعامر، ديوان "رحيل في ركاب المتنبي"، مرجع سابق، ص69.

مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ر ت م د: 7163 -1112 ر ت م د إ:1892-2588
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2

رمزية الشّخصيّة التّراثية في الرواية الجزائرية المعاصرة "ثائر من الجزائر" لعبد القادر قسمية مقاربة سوسيو أدبية

The symbolism of the historical personality in the contemporary Algerian novel Rebel from Algeria" by Abdelkader kasmia " Socio-literary approach

محمد رضا مغربي
reda7490@gmail.com
م.ج علي كافي - تندوف (الجزائر)

تاريخ الاستلام: 2020/07/15 تاريخ القبول: 2021/09/26

الملخص

للسرد الروائي في أيامنا هذه دور فعال لتمرير خطابات متعددة، تحاول توجيه الرأي العام نحو قضايا أو إيديولوجيات معينة. فنجد روائيين بارزين أمثال ميشال هولبيك Michel Houellebecq بفرنسا و ستيفن كينغ Stephen King بالولايات المتحدة الأمريكية وغيرهم يجسدون هذا المعطى ضمن روايات عن السيرة الذاتية وعلاقتها بالمجتمع أو إحياء الماضي عبر شخوصه التاريخية فيما يعرف اليوم بالتاريخانية الجديدة New Historicism وسيرا على هذا المنوال حاول الروائي عبد القادر قسمية من خلال روايته التي بين أيدينا " ثائر من الجزائر" تمرير رسائل ذات أبعاد متعددة من خلال إحياء شخصية الأمير عبد القادر الجزائري ضمن محطات ثلاث: (السيرة التّعليمية في الأمصار العربية، السيرة الحربية، السيرة الإنسانية والفكريّة) قصد إظهار قدرات ورمزية هذه الشخصية المتميّزة، ومن ثمّ تبيان المواصفات التي أهّلت الأمير لتبوأ المكانة التي جعلته محترما وموقرّا من العالم أجمعين آنذاك.

المؤلف المرسل: محمد رضا مغربي: reda7490@gmail.com

فهل كان القصد من وراء إحياء هذه الشخصية التاريخية التعريف لاغير؟ وما سر التقسيم الذي تناول من خلاله حياة الأمير؟ وهل نحن اليوم وبعد مرور قرنين من الزمن بحاجة لمثل حياة هذه الشخصية الجزائرية؛ والتي قد تنافسها شخصيات أخرى معاصرة لنا؟

تلك الأسئلة وغيرها قد تجد لها أجوبة ضمن دراستنا لهذه الرواية انطلاقا من منهج اجتماعي يحلل الظاهرة ثم يعطيها البعد الفكري أو"الرمزية" كما دوناها في عنوان الدراسة، وأظن أنه المنهج المواتي لمثل هكذا رواية، فطبيعة المجتمع آنذاك من فكر وعادات وقيم أثّر في شخص الأمير فكان لزاما علينا تبني منهج أقرب لطبيعة الرواية.

أما بالنسبة لأهداف هذه الدراسة تكاد تكون واحدة في مغزاها متعدّدة في مبناها؛ فحين نشتغل بمتن جزائري نكون أقرب إلى تبني جزأرة الدراسة النقدية وذلك للفت انتباه الدارسين إلى الأعمال الفنية المحلية فهي لا تقل قيمة عن ما اعتدنا التجريب عليه من هنا وهناك.

وما اشتغالنا على رواية ثائر من الجزائر دون غيرها من الروايات إلا لغايات؛ مفادها إحياء شخص الأمير عبر محطات الرواية الثلاث لتكون قبسا من نور يهتدي به كل قارئ يجد نفسه مخاطبا ضمن المحطات المشار إليها في الرواية.

الكلمات الدالة: الرواية؛ الأمير عبد القادر؛ الجزائر؛ الرمزية.

Abstract:

The novel in our hands of Abdelkader Isaiya "A revolutionist from Algeria", attempts to bring to light the character of Prince Abdelkader al-Jazairi in three stations: (the educational biography in different arab world cities, the war biography, the human and intellectual biography) in order to demonstrate the abilities and symbolism of this distinguished character, and then to show the characteristics that qualified the prince to take the position that made him respectable and revered from all the world at the time.

Key words :

Novel; Prince Abdelkader; Algeria; Symbolism.

المقدمة

اعتادت الأمم الإنسانية على سنّة حسنة؛ وهي تمجيد عظمائها لما خلّدوه من أعمال وخصال تشفع لهم عند الخلف، وتكون نبراسا يهتدى به لصناعة المستقبل، فنجد العظيم المفكّر، والعظيم المحارب، والعظيم الأديب، والعظيم الفيلسوف، والعظيم ... وإذا ما اجتمعت خصلتان أو ثلاث في واحد منهم فهو الرمز النادر العملة، وحُقّ لهذه الأمّة أن تفخر بهذا العظيم.

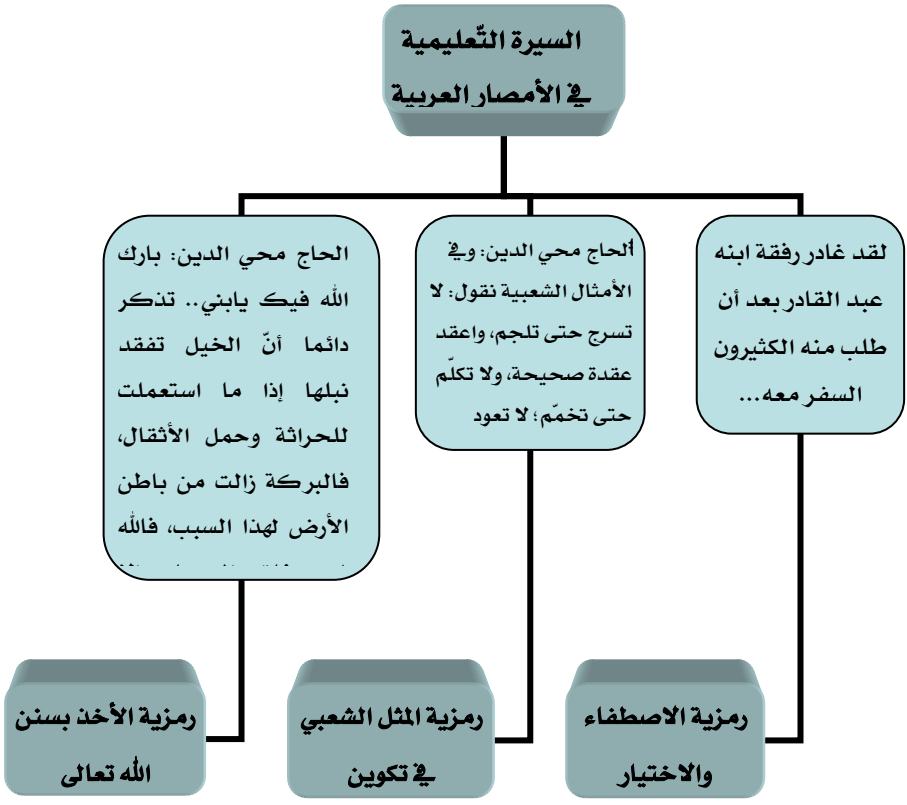
وقد اجتمعت خصال في شخصيّة جزائرية تراثية، قارعت المستعمر الفرنسي، وجرّعته مرارة مجازفته اقتحام أرض الرباط والمرابطين _ الجزائر_ بل وأصبح لهذه الشخصيّة صيت واحترام في العالم كلّه آنذاك.

فكان لزاما على السّارد الجزائري المعاصر استحضار هذه الشخصيّة وإبراز رمزيّتها للأجيال علّهم يقتفون أثرها لبناء جزائر الغد المنشود.

ورواية " ثائر من الجزائر" لعبد القادر بن قسمية واحدة من تلك الروايات التي حاولت تجسيد رمزية الأمير عبد القادر في مجالات عدّة من الحياة، عبر السيرة

التاريخية التي رسمتها تلك الشخصيّة. ممثلة في ثلاث محطات اعتمدها الروائي لتقديم سيرة الأمير، بلغة سردية جمالية تحاكي في مجملها الأحداث التاريخية لتلك الفترة من التاريخ الجزائري (السيرة التّعليمية في الأمصار العربية، السيرة الحربية، والسيرة الإنسانية والفكريّة)

وعملي في هذه الرواية هو استخلاص رمزية الشخصية التراثية من كل محطة من محطات سيرة الأمير التاريخية في الرواية، عبر مخطّط مشجّر ليسهل علينا الإمساك بالرمزية العامة لشخصية الأمير داخل الرواية. ثم أحاول بعدها ربط تلك الرمزية بالعامل السوسيولوجي الذي يؤثّر في بناء الفرد والمجتمع وفق رؤية متوازنة تحفظ جذور الانتماء وتنوّع ثمار التحديث.

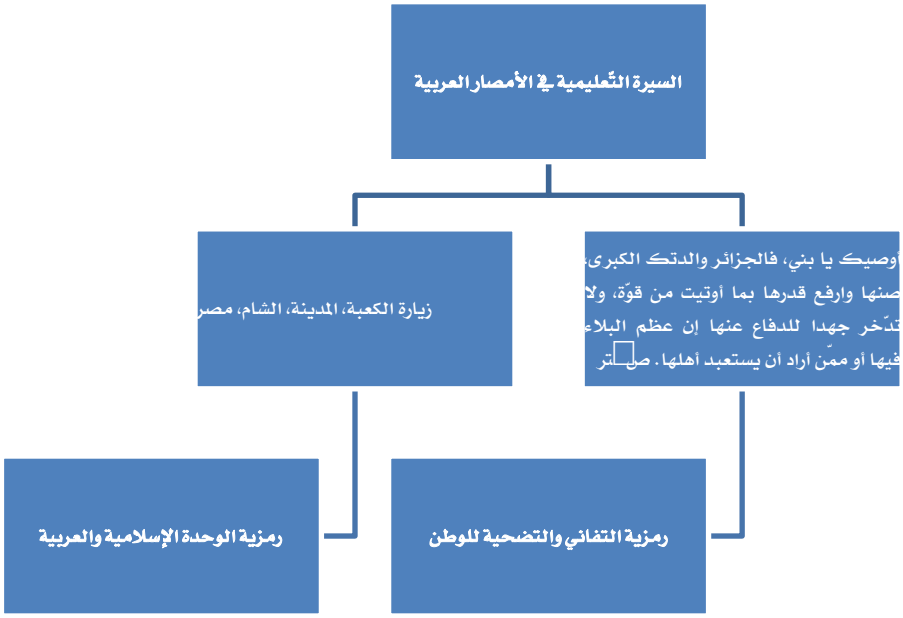


1 رمزية الاصطفاء والاختيار.

2 رمزية المثل الشعبي في تكوين الشخصية.

3 رمزية الأخذ بسنن الله تعالى.

4 رمزية ال تفاني والتضحية للوطن.

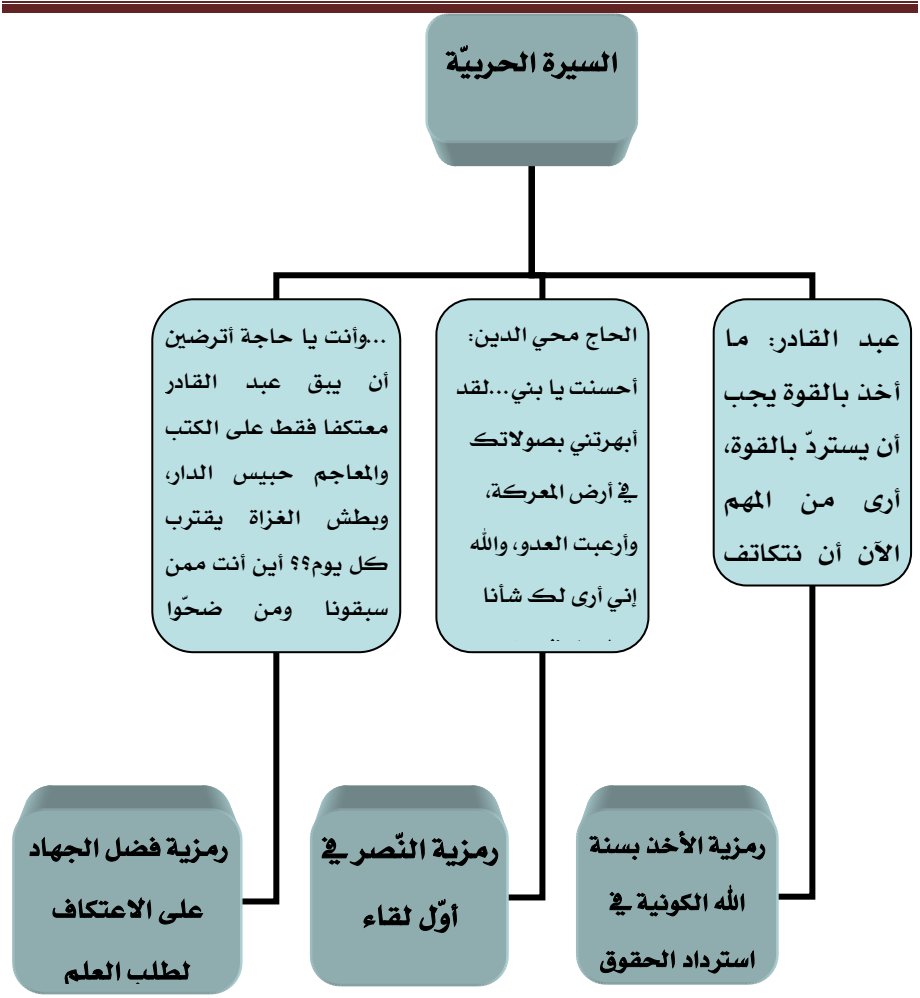


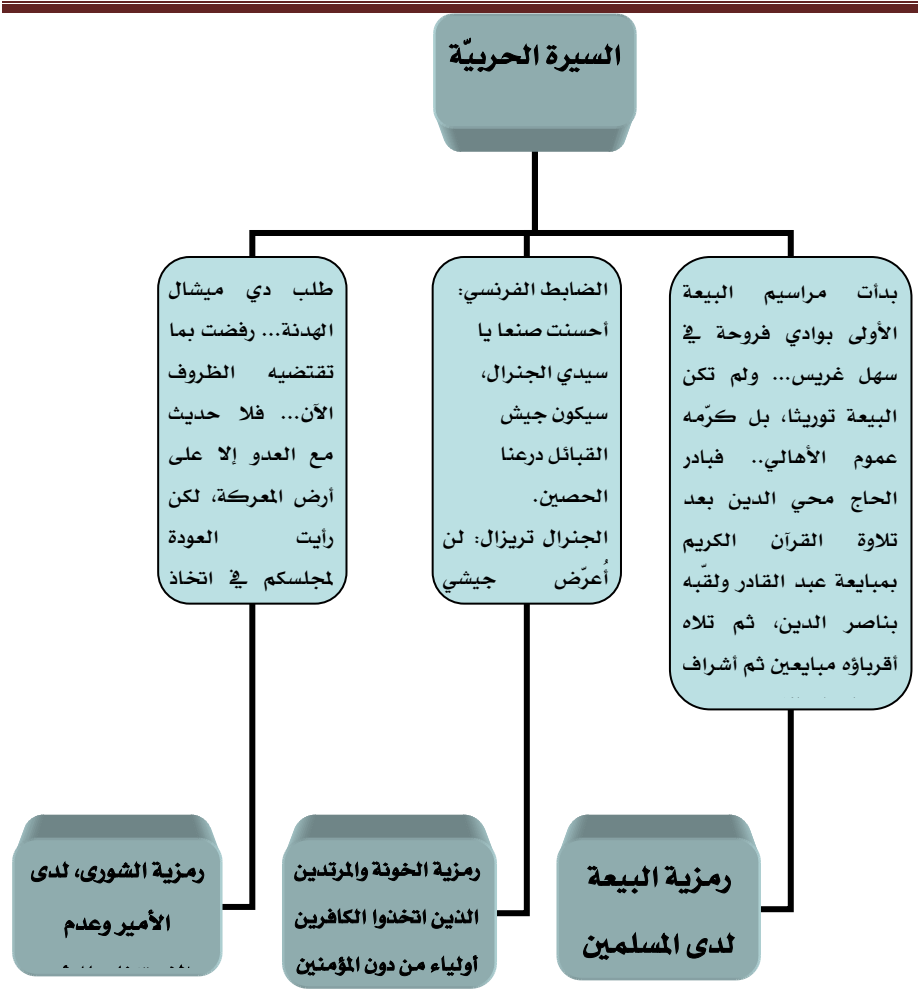
5 رمزية الوحدة الإسلامية والعربية.

سنقدم قراءة سوسيولجية مقتضبة لهذه الرمزيات الخمس حتى نبرز دورها في تكوين شخصية الفرد، وبما أن هذه الرمزيات تنتمي لحقل السيرة التعليمية، فسننظر إليها من حيث هي قاعدة تربوية يمكن تنشئة الأجيال عليها (خاصة جيل جزائر الغد)

فرمزية الاصطفاء تأخذ بيد المربي أو المعلم إلى حسن اختيار التلاميذ بما يتوالم مع رغابتهم وميولهم، فلحسن الاختيار دور مهم في توجيه التلميذ الوجهة السديدة التي يبدع فيها، ويكون عنصرا فعّالا في مجتمعه، لا عالة أو وبالا عليه. وهذا بالضبط ما فعله محي الدين حين اختار عبد القادر دون غيره من الأولاد للسفر معه.

أما الرمزيات الأربع المتبقية، فتمثل مبادئ وقيما يجب على المربي أن يغرسها في مريده، كي يصنع منه شخصيّة متوازنة من حيث الانتماء الخاص (الجزائر) والعام (الأمة الإسلامية والعربية) يقول المولى تعالى: "وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ " [خ]


السيرة الحربيّة
عبد القادر: ما أخذ بالقوة يجب أن يستردّ بالقوة، أرى من المهم الآن أن نتكاتف
الحاج محي الدين: أحسنت يا بني...لقد أبهرتني بصولاتك في أرض المعركة، وأرعبت العدو، والله إني أرى لك شأنا
...وأنت يا حاجة أترضين أن يبق عبد القادر معتكفا فقط على الكتب والمعاجم حبيس الدار، وبطش الغزاة يقترب كل يوم؟؟ أين أنت ممن سبقونا ومن ضحّوا
رمزية الأخذ بسنة الله الكونية في استرداد الحقوق
رمزية النّصر في أوّل لقاء
رمزية فضل الجهاد على الاعتكاف لطلب العلم



❖رمزية الأخذ بسنة الله الكونية في استرداد الحقوق، فقد أيقن الأمير أنّ الدعاء وحده لا يكفي، ولوكان الداعي أقرب إلى الله من المدعو عليه (المسلم/ الكافر) فلابدّ من العمل والبذل، وعملا بقوله تعالى :" وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ" ٭

❖ رمزية النّصر في أول لقاء بين الأمير والغزاة الفرنسيين في معركة خنق النطاح الأولى قرب وهران 1832، يحمل في طياته بشائر صدّ العدو الذي تمكّن من العاصمة بكل سهولة.

❖ رمزية فضل الجهاد على الاعتكاف لطلب العلم وتعليمه وهذا مصداقا لقوله تعالى : "لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا" [٢٥]

وقد نُقل عن شيخ الإسلام بن تيمية قوله [٢٦]: ولن يقوم الدين إلا بالكتاب والميزان والحديد. كتاب يُهدى به وحديد ينصره كما قال تعالى: "لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ" [٢٧]فالكتاب به يقوم العلم والدين، والميزان به تقوم الحقوق في العقود المالية والقبوض، والحديد به تقوم الحدود على الكافرين والمنافقين.

ولحديث محي الدين رمزية الصوفية المجاهدة العاملة، ليس كمن انعكف على الزوايا ورضي بحال البلاد وخدّر الناس بمقولة " فرنسا قدر الله، فلابد من الصبر والدعاء" وهذا ما نجده دائما يتكرّر في خطابات الفرق الإسلامية الكثيرة وللأسف الشديد.

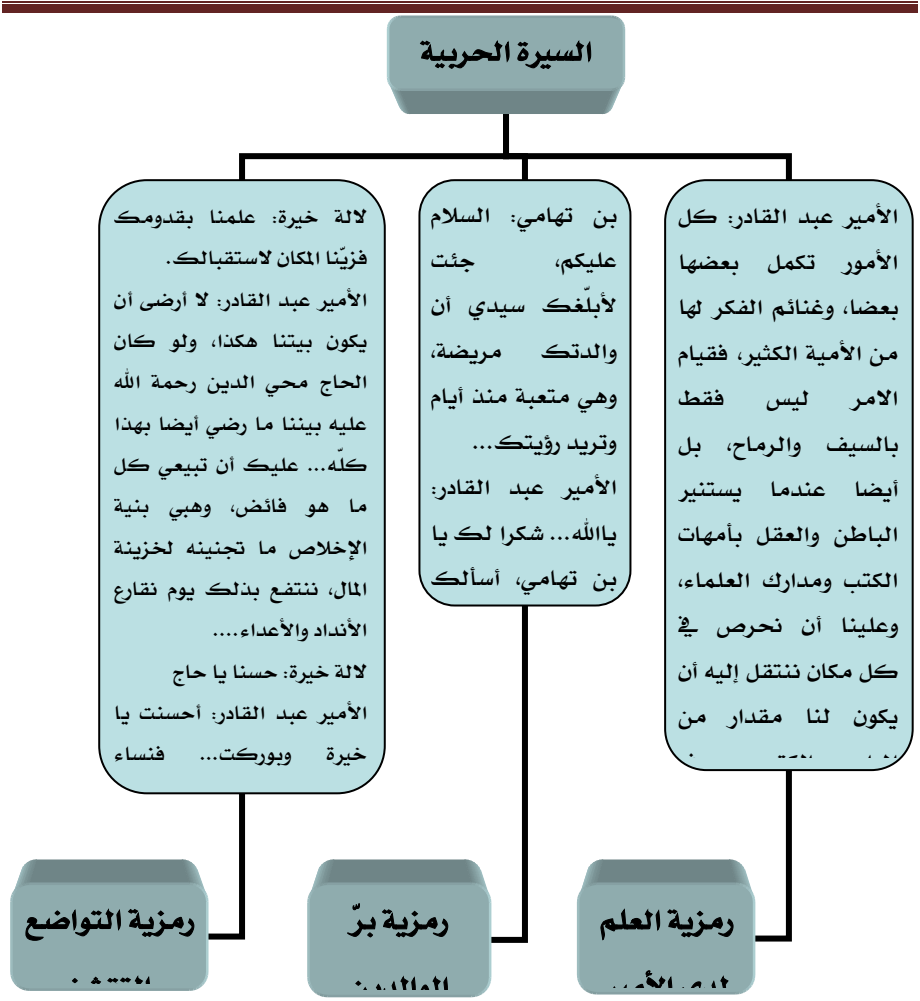
❖رمزية البيعة لدى المسلمين، فهي تمثل النظام الشرعي والعرفي للحكم لديهم، أما ميزاتها فهي الشورى للأصلح دينا والأقدر عزيمة، وليس توريثا، وهذا مصداقا لقوله تعالى: "قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ"[٢٨] وفي بيعة الأمير رمزية أخرى تتمثل في تفرّد واستقلال المسلمين بنظام الحكم لديهم، فلم يتأثروا بالغازي - فرنسا - في نظام حكمهم (العلماني والديمقراطي) رغم تفوقه عليهم من حيث العدّة والعتاد، بل تمسّكوا بدينهم في مزاولة الحكم بينهم، وجعلوا ذلك من مظاهر التميّز على الكافر المستبيح لديار الإسلام والمسلمين. ولقب " ناصر الدين" من

طرف محي الدين خير دليل على أن المبايع بالحكم يجب أن تكون أولى أولوياته "نصرة الدين" بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى.

ولنا وقفة كذلك في رمزية رفض السلطنة من عبد القادر ورضاه بلقب الأمير، وهذا إن دلّ فإنما يدلّ على توحيد الانتماء للسلطنة العثمانية آنذاك، وعدم شق عصا الخلافة التي كانت ___ وعلى وهنها في ذلك الوقت_ الدّار الجامعة وعصى الرحى التي يلتفّ حولها المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها.

❖رمزية الخونة والمرتدين الذين اتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين، لهم الخزي في الدنيا والنظرة المشمئزة والدونية من طرف أسيادهم الذين رضوا بأن يكونوا أذنابا لهم، والويل والخسران في تلك الدار.

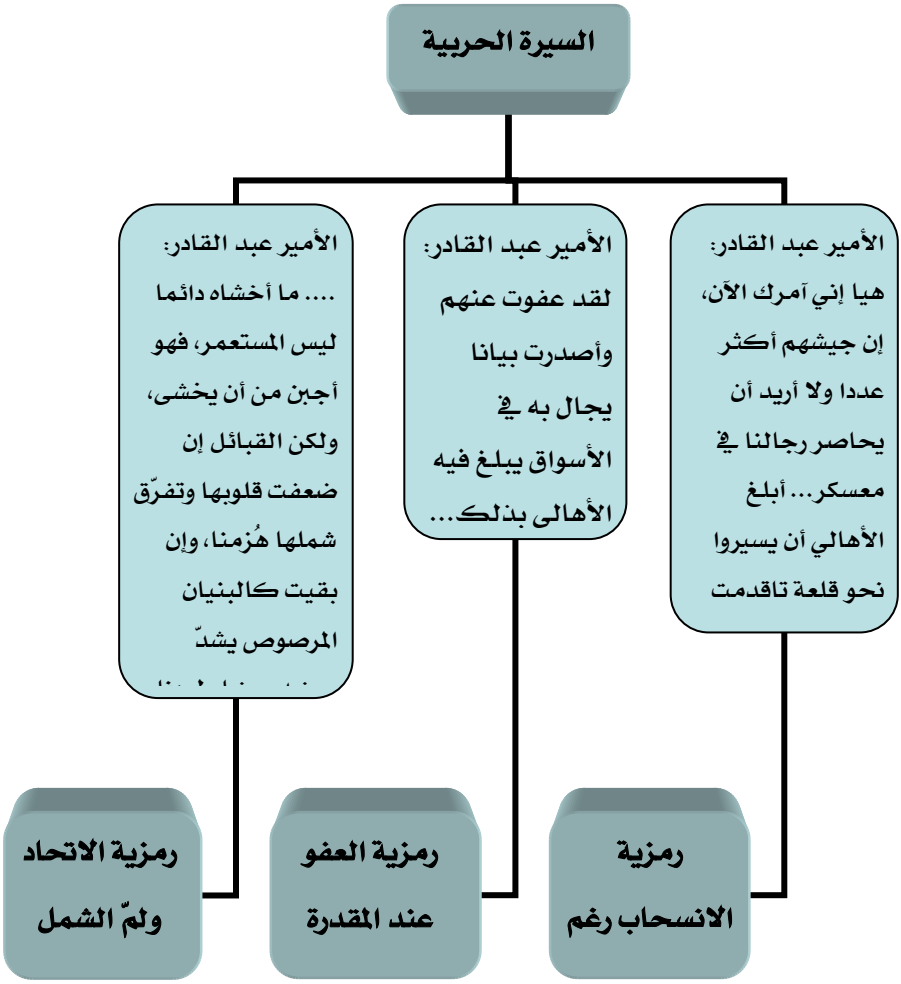
❖رمزية الشورى، لدى الأمير وعدم الاستئثار بالرأي امتثالا لقوله تعالى : "وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ" ﷺ، فعلى المسلم أن يكون دائم المشورة خصوصا إذا كان مسؤولا، فربّ البيت يشاور أهله، وربّ العمل يشاور عمّاله، وربّ الدولة يشاور رعيّته..الخ



❖رمزية العلم لدى الأمير ويقينه بأن الدول لا تبنى بالقوة العسكرية فقط، بل بقوة الحجة والعلم، وتوقير واحترام العلماء والكتب التي تحوي العلوم.

❖رمزية برّ الوالدين، فرغم المشاغل المهمّة التي كان منهمكا في أدائها الأمير، لم يتوانى في تلبية نداء الوالدة في حين سماع الخبر .

❖رمزية التواضع والتقشف، وتقدير مصلحة الرعية، بالقدوة الحسنة لا بالأوامر والخطابات الرنّانة. وفي جواب لالة خيرة، تبرز رمزية الزوجة المطيعة، التي تصنع الرجال.



❖رمزية الانسحاب رغم الشجاعة التي كان يمتلكها جيش الأمير، لكن إدراك الأمير بمقولة (الكثرة تغلب الشجاعة) جعله يعي ذلك ويقدّر مصلحة الأهالي في حاضرته معسكر، وهذا الفعل يذكّرنا بما قام به خالد بن الوليد رضي الله عنه في معركة مؤتة، حين انسحب من أرض المعركة ولامه على ذلك الصحابة

في المدينة وقالوا عنه وعن جيشه (فرّارون) فاعترض عليهم الرسول عليه الصلاة والسلام بقوله: (بل الكرّارون)

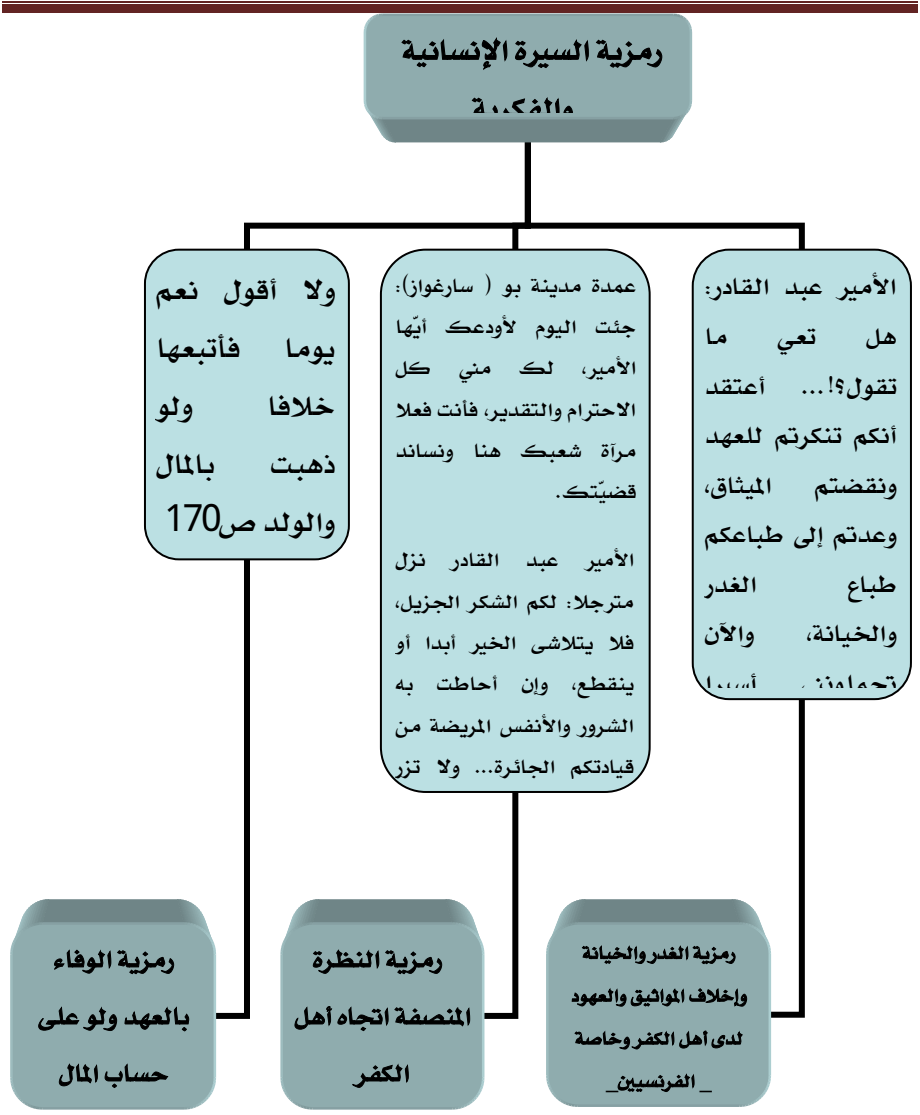
❖رمزية العفو عند المقدرة، وهذا يذكرنا بفعل رسول الله عليه الصلاة والسلام اتجاه أهل مكة حين فتحها السنة العاشرة للهجرة وقال لهم لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ.

❖رمزية الاتحاد ولم الشمل في مواجهة العدو والتحديات أيّا كان نوعها وقدر تهديدها، لأن معيار القوّة والصمود والتقدّم لا يقاس بالأعداء بل بمقدار تمثله فينا، يقول المولى جلّ وعلا: "وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ " [لخ]يقول الأمير:

ما سرت قط للقتال وكان من أملي الرجوع

شيم الألى أنا منهم والأصل تتبعه الفروع" 144

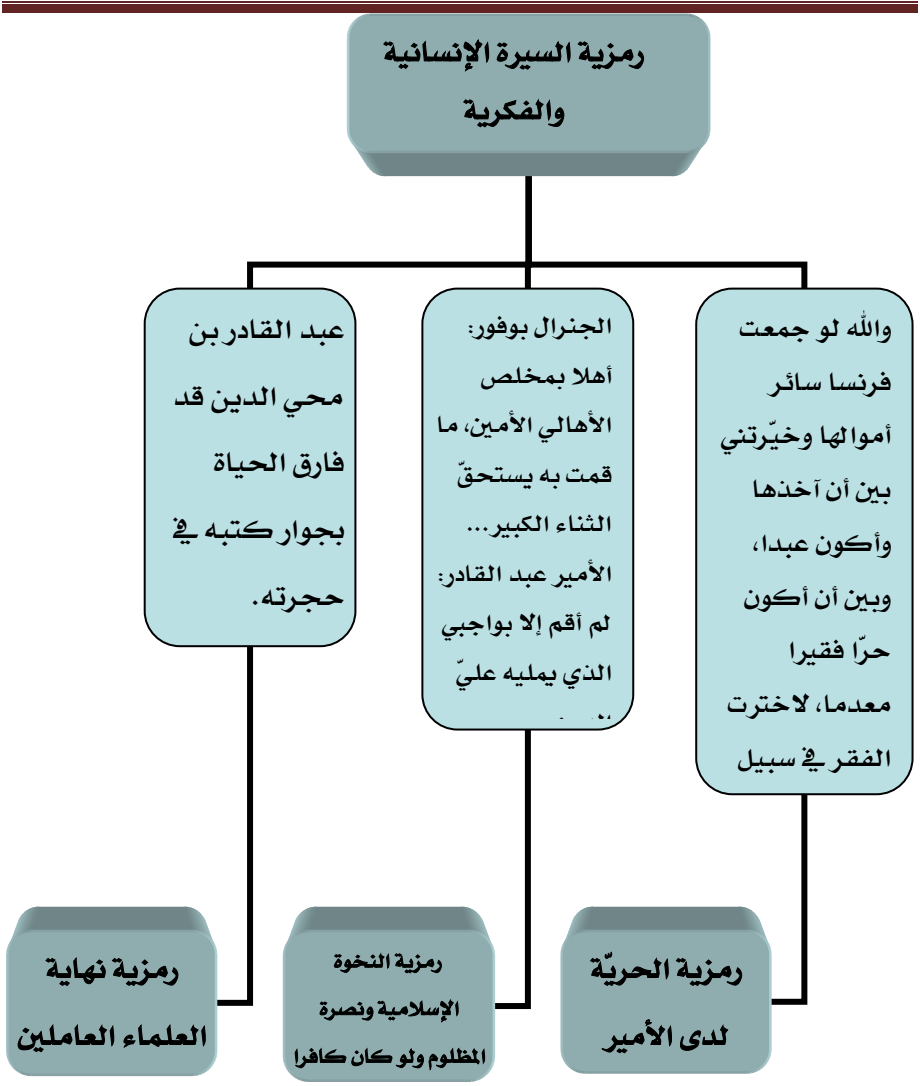
❖رمزية الإقدام وابتغاء الشهادة في سبيل الله. لدى آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم.



❖رمزية الغدر والخيانة وإخلاف المواثيق والعهود لدى أهل الكفر وخاصة _ الفرنسيين_ وهذا ما نراه اليوم يتكرّر مع الصهاينة المغتصبين وإخواننا المجاهدين الفلسطينيين.

❖رمزية النظرة المنصفة اتجاه أهل الكفر، فالشارع الحكيم ميّز بين الكافر المحارب، والذمي، والمسالم...الخ فالظلم والخيانة التي تعرّض لهما الأمير من قِبل الفرنسيين لم يحجب عنه قسطاس التفريق بين ظلم القادة ومساندة أهل الضمير في فرنسا، وهذا ما أشار إليه المولى تعالى بقوله: "وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا..." لخ لخ وقوله تعالى: "مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ" بر لخ

❖رمزية الوفاء بالعهد ولو على حساب المال والولد. هذه الخصلة قلّما نجدها في بني الإنسان، فالمال شقيق الروح، والولد زينة الحياة الدنيا وريحانة والديه. والأمير آثر الوفاء بالعهد ولو على حسابهما، وهذا إنّما ينمّ على النبل والإيثار الذي تميّزت به نفسه رحمه الله. وفي هذا رمزيّة للدّاعية والعالم والقائد المجاهد. فمن ههنا تقاس الدعاوى والهيئات، لا بالمسميّات.



❖رمزيّة الحريّة لدى الأمير وما تعنيه هذه الكلمة بصدق الشرفاء الذين استقرّ حبّ الوطن في قلوبهم. فطعم الحريّة لا يقاس بأي ثمن عند أهل الإيمان.

❖حكمة الأمير وسعة علمه، جعله يتعامل مع نصارى الشام المدعومين من طرف فرنسا، بروح الإسلام المتسامح الذي يجزي بالإساءة إحسانا، وفي هذا قال ربنا

سبحانه: "وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ" [ترلخ]

❖رمزية نهاية العلماء العاملين تكون حميدة، أو كما عبّر عنها المصطفى عليه الصلاة والسلام بحسن الخاتمة، فبقدر عملك وتوجهك في الدنيا ييسر الله لك خاتمك، يقول المولى عز وجل: " فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ (5) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ (6) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ (7) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (8) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (9) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (10) " [يرلخ]، ونحن هنا نرى الأمير فارق الحياة وهو في حجرته مع كتبه، التي كانت خير مؤنس له طوال حياته بأطوارها الثلاثة كما جاء في الرواية، فلربما خانه أعزّ الأصدقاء أو تنكّأ عن نصرته أقرب الأقرباء، لكن الكتاب والعلم كان الوفيّ دائما على تقلبّ الحال وتغيّر المآل، حتّى وهو يفارق الحياة ظلّ الكتاب خليله ومؤنسه. فأَكْرِم بها من صداقة وصحبة.

الخاتمة

لقد حاول السارد من خلال هذه الرواية تقديم شخصيّة الأمير عبد القادر، بصور متعدّدة وعبر مراحل متباينة، فمن الرحلة لطلب العلم في الأمصار العربية، إلى الإمارة والمواجهة الجهادية ضدّ فرنسا، إلى الجنوح للسلّم وجهاد الكلمة، فكأنّ تقديما بهذا الشكل يراد منه بناء شخصيّة جزائرية إسلاميّة متوازنة تستطيع التكيّف والتأقلم مع حالات الشدّة والأمن، والحفاظ قدر الإمكان على الروح الإسلاميّة والانتماء القطري في مواجهة التحديات المختلفة.

فشخصيّة الأمير على الشاكلة التي ذكرنا؛ تعني الكثير للجزائريّين، فهو القدوة الزّاهد، والقائد المجاهد، والأديب البارع، والسياسي المحنّك...الخ فحسبنا من هذه الرواية إنارتها سبيلا معتدلا يقوم عليه جيل جزائر الغد؛ الذي هو بأمسّ الحاجة للقدوة الميدانية لا غير! فلا شرقية نبغي ولا غربية، بل على نهج السلف ودين الأجداد نحيا حياة عزّة ونموت ميتة كرامة، تماما كما نطقت بها أحداث رواية " ثائر من الجزائر"

توصيات

1 - نهيب بالروائيين الجزائريين المعاصرين، إخراج الشخصيات الجزائرية التاريخية منها والمعاصرة، في رواياتهم على غرار ما قام به صاحب المتن الذي اشتغلنا عليه.

2 - كذلك حري بالدارسين الأكاديميين الالتفاتة إلى مثل هذه الأعمال لما يحصل جراءها من نفع متعدّد يطال الجيل المعاصر للجزائر.

3 - كما يجدر بنا كقراء اعتماد نهج وطريق الأمير عبد القادر عبر المحطات الثلاث التي أشار إليها الروائي في عمله، ليس من باب التعصب الأعمى، بل التأسي بفضائل وشمائل شخصية عزيزة فينا ولها بعد تاريخي وديني في ذاكرتنا.

الهوامش

[1] المومنون آية 52

[2] البقرة آية 251

[3] النساء آية 95

[4] أبو العباس تقي الدين (ابن تيمية الحرّاني) مجموع الفتاوى الكبرى، تح: أنور الباز، عامر الجزّار، ط3 دار الوفاء (1426 -2005)ج35/ص36

[5] الحديد آية 25

[6] البقرة آية 247

[7] آل عمران آية 159

[8] ينظر: سيرة ابن هشام تح: مصطفى السقا.ط2 مكتبة مصطفى البابي بمصر. أحداث ثمان للهجرة(1375 -1955) ج04

[9] الأزرقي أبو الوليد ، أخبار مكة، تح:عبد الملك بن دهيش، ط1 المكتبة الوقفية الرياض. (1424 -2004) (2/ 121)

[10] الأنفال آية 49

[11] آل عمران آية 75

[12] المائدة آية 66

[13] النحل آية 126

[14] الليل آية 7 -10

المراجع

- القرآن الكريم برواية حفص
- ابن هشام سيرة المصطفى تح: مصطفى السقا. ط2 مكتبة مصطفى البابي بمصر. أحداث ثمان للهجرة ج04 (1375 -1955)
- أبو العباس تقي الدين (ابن تيمية الحرّاني) مجموع الفتاوى الكبرى، تح: أنور الباز، عامر الجزّار، ط3 دار الوفاء (1426 -2005)
- أبو الوليد الأزرقي "أخبار مكة" / تح:عبد الملك بن دهيش، ط1 المكتبة الوقفية الرياض - المملكة السعودية (1424 -2004)
- عبد القادر قسمية " ثائر من الجزائر"، ط1 دار النفائس بيروت لبنان (1436 -2015)

مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ر ت م د: 7163 -1112 ر ت م د إ:1892-2588
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2

دراسة صوتية دلالية لديوان "تعرجات خلف خطى الشمس " لدليلة مكسح

Title of the article: Semantic Phonological study of the court of the meandering behind the footsteps of the sun by dalila maksah

ناصر بعداش
المركز الجامعي ميلة، n.baadache@centre-univ-mila.dz

تاريخ الاستلام: 2019/10/16 تاريخ القبول: 2021/06/27

ملخص –

تعتمد الدراسة الأسلوبية عدة مستويات عند تناولها النص الأدبي بالتحليل، وتأتي هذه المستويات متكاملة لتكون الدراسة شاملة، غير أن وقع المستوى الصوتي كان له بالغ الأثر عند تناول القصائد الشعرية بالتحليل، وذلك لأن النظام الصوتي من أعقد الأنظمة المتعلقة بطبيعة الصوت ومخرجه، الذي ينعكس على بنية الكلمة في النص والتي تنعكس بدورها على تغيير الدلالة وتعدد الفهم، ومنه نستطيع تفسير معاني النص العديدة تفسيرا ينطلق من طبيعة الصوت في حد ذاته، وقد تناول البحث قصيدتين من ديوان الشاعرة الأولى بعنوان " حارسة من ظلال التحدي" والثانية " مراسيم دفن فاشلة"، وقد حاولنا تتبع المستوى الصوتي فيهما ومنه:

- ما المقصود بالمستوى الصوتي في التحليل الأسلوبي؟
- هل لتغير الأصوات علاقة بتغير الدلالات في النص؟
- ما دور المقاطع الصوتية في أبيات القصيدتين؟

الكلمات المفتاحية:

المستوى الصوتي، الدلالي، الوزن ، القافية، التفسير.

المؤلف المرسل: ناصر بعداش: lettrearab@gmail.com

Abstract:

Stylistic study adopts several levels when dealing with literary text analysis, and these

levels come integrated to be a comprehensive study, but the impact of the audio level has had a significant impact when dealing with poems poetry analysis, because the audio system of the most complex systems related to the nature of sound and its output, which From this we can interpret the many meanings of the text interpreted from the nature of the voice itself, the research addressed two poems from the Court of the first poet entitled "guardian of the shadows of the challenge" and the second "failed burial decrees", and we have tried to track the level of audio in them, including: is reflected on the structure The word in the text which in turn is reflected in the change of significance and multiple understanding And from him.

-What is the sound level in stylistic analysis?

-Is the change of sounds related to the change of semantics in the text?

-What is the role of sound clips in the verses of the two poems?

Keywords:

phonetic level, semantic, weight, rhyme, Explanation.

.

- مقدمة

إن الدراسات الحديثة ركزت تركيزا كبيرا على المناهج النسقية التي تتناول النص بالتحليل من الداخل، لذلك نجدها قد أقصت كل العوامل الخارجية المتعلقة بالنص، من سياقات تاريخية ونفسية واجتماعية وغيرها، وقد عوضتها بالبنى الداخلية التي تكون النص الأدبي بشقيه، وقد أخذت الأسلوبية على عاتقها تحليل النصوص مستفيدة من الدرس اللساني الحديث، هذا الأخير نجد له مستويات عديدة تكاملت فيما بينها لتقريب ومقاربة النص الأدبي؛ وجعله أكثر فهما من قبل القارئ، ومن بين هذه المستويات نجد المستوى الصوتي والصرفي والنحوي والدلالي، والمستوى الصوتي هو موضوع دراستنا هذه، وقد خصصنا له قصيدين للشاعرة دليلة مكسح من ديوانها "تعرجات خلف خطى الشمس"، لعلنا نصل إلى بعض الدلالات المتوارية التي أخفتها الشاعرة خلف وشاح الفن، وما علينا إلا قراءة ما بين السطور

اعتمادا على معجم الحروف التي تناولتها، وكذلك الموسيقى بشقيها الداخلية والخارجية، كل هذا سيوصلنا إلى عمق النص والشاعرة معا، ومنه:

- ما المقصود بالمستوى الصوتي في التحليل الأسلوبي؟
- هل لتغير الأصوات علاقة بتغير الدلالات في النص؟
- ما دور المقاطع الصوتية في أبيات القصيدتين؟

الفرضيات:

- تتبع المستوى الصوتي والدلالي في الديوان.
- تتبع مخارج الحروف مع إعطاء الدلالة.
- تتبع أصوات الحروف ومعانيها.

أهداف البحث: نحاول من خلال هذه الدراسة التوصل إلى دلالة النص من خلال تتبع مستوى الأصوات في الديوان، كما يهدف البحث إلى إعطاء الدلالة من خلال أصوات الحروف ومعجم القصيدتين، ومنه الوصول إلى دلالة النص ككل.

ومنهجيته: سنحاول الوصول إلى تحليل معمق من خلال تتبع المنهج الإحصائي التحليلي

1: المستوى الصوتي:

إن المستوي الصوتي من أهم المستويات التي ىتناولها الدرس الأسلوبي، لذلك فهو أصل لبناء المستوىات اللغوىة والأسلوبىة الأخرى؛ لكن بشيء من التكامل والشمول، وقد اهتم العرب القدامى بالظاهرة الصوتية منذ القديم، لأن اللغة عبارة عن مجموعة أصوات يعبر بها القوم عن أغراضهم، وكلما تغيرت نبرات هذه الأصوات تغيرت معها الدلالات، ولعل العربية من بين اللغات التي انفردت بميزات تميزها عن تلك اللغات، كالنبر والتغيم مثلا، وبالتالي "فالنظام الصوتي ىتعلق بطبىعة الأصوات ومخارجها وصىفاتها وتداخلها إلى غىر ذلك والنظام القواعدي ىتعلق ببنىة الكلمات في اللغة وتحوىلها واشتقاقها ومىلها وإبدالها وعلاقة المفردات ىبعضها، ونظام البنىة الدلالىة لمعجم مفردات اللغة ىتعلق بدلالة الأفراد على المعاني، أصلها وتطورها، ثم إن هذه المستوىات تشكل نظاما عاما واحدا وهو النظام اللغوي(أحمد شامية، 1995).

أن الأصوات من هذا المنطلق تشكل المظهر العام للغة التي تقوم علىها الدراسات المتعلقة بالمستوى الصوتي، وبالتالي فالدلالة تتحقق من معاني المفردات داخل التراكيب اللغوىة، وهذا ما ىجعل من المستوي الصوتي أساس كل درس لغوي حدىث فهو ىختص بدراسة الإىقاع والعناصر التي تعمل على تشكىله إضافة إلى الوقف والوزن والقطع والتنغيم والقافىة، ومما لاشك فىه أن المستوي ىدرس الأثر الجمالي الذي يحدثه الصوت، وتدرس كذلك نسبة تكرار الحروف ودلالاتها " فالأصوات اللغوىة في داخل الكلمات رموز لغوىة صوتىة ذات دلالات"(تمام حسان، 2001) ، فكل صوت من هذه الأصوات له دلالات خاصة به، وكل حرف من الحروف يحمل بين طىاته دلالات عديدة ومختلفة تمىزه عن غىره، وبالتالي فعلاقة الصوت بالمعنى علاقة أشار إليها علماء العربية منذ اكتشاف علم الأصوات من قبل الخليل بن أحمد الفراهيدي رحمه الله، حيث صنف الأصوات وفق مخارجها لتكون أول دراسة في هذا العلم، ومنه " فمقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع ... وذلك أنه كثيرا ما يجعلون أصوات الحروف سمت الأحداث المعبر بها عنها"(ابن جني، د ت)، وهو ما يؤكد تلك العلاقة بين الصوت والمعنى وأهميته في مجال التطبيقات الصوتية في الدراسات الحديثة، وقد أصبح يركز على الأصوات كوحدة صوتية منعزلة عن السياق الصوتي الذي ترد فيه، فيدرس كحدث إنساني ينتجه جهاز الصوت، ليتلقاه جهاز السمع للوقوف على مخارج الأصوات وصيفاتها، هذا من جهة، ومن جهة ثانية أصبحت دراسة العناصر الصوتية للغة" وتصنيف هذه الأصوات تبعا لوظيفتها في اللغة"(حلمي خليل، 1980) ، حيث تؤدي إلى اختلاف في المعنى أي دراسة الصوت من ناحية الوظيفة؛ فالدرس الصوتي يركز على علم الصوت الفونولوجي ولا يهمل الفونتيك، وذلك بإضافة الوصف الوظيفي لمختلف الأصوات المستعملة في اللغة المدروسة، وبالتالي فالصوت ظاهرة طبيعية فريدة من نوعها حيث" ندرك أثرها ونحيط به من غير أن ندرك كنهها، فقد أثبت العلماء بتجارب لا يتطرق إليها الشك أن كل صوت مسموع يستلزم وجود جسم يهتز"(إبراهيم أنيس، 1975)، وهنا نستطيع تقسيم الأصوات إلى صامتة وصائتة، ومن ثم تصنيفها إلى أصوات شديدة وانفجارية ورخوة، وهناك أصوات متوسطة لا هي شديدة ولا رخوة، وإذا نظرنا إلى مواقع

النطق نجد لها سبعة عشر صفة؛ منها الجهر والهمس ... والاستعلاء والإستفال والإطباق والانفتاح والذلاقة والإصمات"(زوبير دراقي، 1994) ، وفي هذا التغير والتعدد انعكاسات كبيرة على الجرس الموسيقي للقصيدة، ومنها نكتشف ما يعنيه النص وفي أي قالب يصنف.

2: الموسيقى الداخلية في القصيدة:

سنتطرق في هذا القسم من الدراسة إلى نسبة تواتر الأصوات في القصيدتين، ونسب تكرارها وهو ما سيساعدنا على الحكم على معجم ومعنى القصيدة، وما أرادت الشاعرة الوصول إليه من خلال هذا الطرح، وبالتالي فكلما رجحت الكفة لإحدى الطرفين؛ سواء للصوامت أو الصوائت انكشف المعنى الخفي واتضحت دلالة النص الشعري، وفي هذا الديوان؛ وبعد استعمال الإحصاء توصلنا إلى أن الصوامت الانفجارية تتوزع عبر مجموعات ثلاث، تضم الأولى ثلاثة أحرف وقد مثلت أكبر نسبة، وهذه الحروف هي (الباء، والهمزة والتاء)، أما الثانية فهي ذات نسبة متوسطة مثلت حروف(الدال، والكاف والقاف)، والثالثة ذات نسبة متوسطة ضمت الحروف (الطاء و الظاء)، وتسمى الصوامت الانفجارية بالوقفية؛ وذلك لانحباس الهواء عند النطق بها، وتتشكل "الأصوات الانفجارية بأن ينحبس مجرى الهواء الخارج من الرئتين حبسا تاما في موضع من المواضع وينتج عن هذا الحبس أو الوقف أن يضغط الهواء، ثم يطلق سراح المجرى الهوائي فجأة؛ فيندفع الهواء محدثا صوتا انفجاريا"(عبد القادر عبد الجليل، 1989) ، ولعل تواتر هذا الصنف من الأصوات له دلالات كثيرة تؤثر تأثيرا واضحا على معنى القصيدتين وما أرادت الشاعرة الوصول إليه.

إما عن الأصوات الاحتكاكية المهموسة فقد تفاوتت نسبها في القصيدتين، وينتج عن تكرار "هذه الأصوات بنفس الكمية الصوتية فإنه يحدث تنويعا إيقاعيا مع الأصوات الأخرى في النص الشعري"(مراد عبد الرحمن مبروك، 2002) ، ومنه فالكلام المهموس يكون منخفضا ضعيفا لا يميل إلى القوة؛ ولا يستخدم الهواء بكثرة، وقد استعملت الشاعرة هذا النوع بنسبة أقل منها من الانفجارية، ومنه تبين أن القصيدتين من الديوان تميل إلى الهمس في أغلب الأحيان، حيث تتربع على مساحاته النبرة الهامسة التي تميل إلى الهدوء، فموضوع القصيدتين وإن كان فيهما مشاعر قوية ومتفجرة تنزح إلى النبرة الخطابية، إلا أنهما تعبران

عن ذات الشاعرة التي اختفت خلف الحروف والأصوات؛ وواقعها الذي تحياه في شعرها بنبرة مهموسة ممزوجة ببعض الألفاظ القوية ذات النبرة الاندفاعية الشديدة، وبالتالي فشعر دليلة مكسح شعر في الغالب هادئ يميل إلى الشعر المهموس، لأن الهمس"في الشعر ليس معناه الضعف ، فالشاعر القوي هو الذي يهمس فتحس صوته خارجا من أعماق نفسه في نغمات حارة... الهمس ليس معناه الارتجال... وإنما هو إحساس بتأثير عناصر اللغة واستخدام تلك العناصر في تحريك النفوس"(محمد مندور، د ت) ، ولعل شاعرتنا انتبهت لمثل هذا ووظفته في شعرها ؛ حيث ركزت على استعمال الأصوات المهموسة للتعبير عن خلجاتها بنسبة معتبرة، كما أنها في التعبير عن ذاتها وواقعها لم تنس المزج بين الشديد والمهموس في المقاطع المتتالية.

2 -1 **صوت السين:**

إن صوت السين رخو مهموس، وهو ألطف الصوامت المهموسة رقة وهمسا، بل في الأغلب يعد هذا الصوت أكثر تعبيرا عن مواطن الرقة، وقد تواتر بأكثر من خمسين مرة في القصيدتين، لذلك وبعد قراءة الشعر في ديوانها تبين أنها تهتم بألفاظ ذات أصوات خفيفة حتى يتسنى للموسيقى بأن تأتي هادئة مهموسة، ولعل هذه الأبيات من قصيدة "مراسيم دفن فاشلة" تبين ذلك، تقول:

عفرتني بالوحل، حطمت معاولها
واسترسلت نحو مساء مقمر
خلفتني في الظلام صامتة
لا شيء سواي... وزخات المطر
وانهزمت أبحث عن ألق.
يستوي عن شفا الحفرة
راية لغدائري
أو أرتقيه نحو اليباس.(دليلة مكسح، 2015).

في هذا المقطع يتكرر حرف السين سبع مرات متتالية في الأسطر الشعرية، وهو متصل بالمعاني التي تعبر عن الحزن أو المواقف المأساوية، وكانت الذات تحاول في كل مرة أن تخرج من محنتها والانفلات من الهموم والأحزان إلى عالم فسيح هادئ، والملاحظ أن الأزمات المتكررة التي تعيشها كانت دائما وراء حزن

الشاعرة وهي تبحث دائما عن الجديد النافع الذي يوفر السعادة والعيش في أمان.

2 -2 – **صوت الفاء:**

إن صوت الفاء كذلك صوت رخو مهموس، وقد كانت طاقة تكراره بنسبة كبيرة، إذ تراوح بين ثلاث وسبعين مرة، وهو ما يعبر عن ولهها بالهدوء والسكينة، تقول في قصيدة "مراسيم دفن فاشلة"

ودفنت الريح بيدي
لأعيد ترتيب الكلمات على دفاتري
وألوان من جديد ضفائري
في سكون وصمت شعائري(دليلة مكسح، 2015).

حيث تردد صوت الفاء في هذه الأسطر كالصوت الأصلي في الكلمة، فصورت الشاعرة في هذه الأسطر صورة حزينة تعبت معها كل أعضائها، فهي في رحلة دفن الريح تحاول في كل مرة الضغط على مخيلتها وذاكرتها لكي ترتب الكلمات وتعيد صياغتها، وتحاول إعطاء لون جديد لضفائرها التي عرفت الفتور.

وفي قصيدة حارسة من ظلال التحدي تقول:

حصنت مدائنها بالشوك
ومفاوزها بالعلك العربي
لكن قبابها
تركتها مفتوحة للريح والبلل(دليلة مكسح، 2015).

نجد في هذه الأبيات الشعرة توظف حرف الفاء لدلالات نفسية بحتة، فقد جعلت من الانفتاح رمزا للدلالة على الغربة التي يعيشها العربي في وطنه، وما صاحب هذه الغربة من ظلم وقهر ومعاناة جسدية ونفسية؛ حيث لا راحة ولا هدوء ولا سكينة، وتقول:

وفي ظلمة الكهوف زيني الكلمات
ودفئيها(دليلة مكسح، 2015).

لقد منحت الشاعرة في هذا المقطع روحا حزينة تعيش في ظلمات المكان؛ وأي مكان، إنه المكان المغلق المعبر عن الوحدة والانعزال، حيث لا رفيق ولا أنيس يؤنس

من الظلمة والوحدة، وربما اختارت هذا النوع من الأمكنة المغلقة هروبا من صخب الحياة وضوضائها، وهروبا من الأشخاص الذين عكَّروا صفو الحياة وبهائها.

2 -3 – صوت الحاء:

إنه الصوت المهموس الذي يناظر صوت العين، وذلك لاشتباه مخرجيهما إلا في فرق واحد هو أن الحاء صوت مهموس نظيره المجهور وهو العين(إبراهيم أنيس،1975) ، وقد كانت نسبة تكرار صوت الحاء في القصيدتين أكثر من سبعين مرة، تقول في قصيدة مراسيم دفن فاشلة:

انتعلت نعيقها الريح من جديد

عفرتني بالوحل ، حطمت معاولها(دليلة مكسح، 2015).

هنا تصور لنا الشاعرة حالتها المتردية التي عادت من جديد، وها هي الريح تنتعل نعيقها لتنشره في الفضاء الرحب أمام أعين الحاقدين، معفرة بالوحل والطين الذي يعطي الصورة شكلا غريبا ومزعجا فتتحطم المعاول دونه، لقد وصفت الشاعرة حالة القلق والأوجاع التي تنتابها كل مرة من جديد؛ لتوظف مفردات ذات دلالات مؤثرة ومعبرة في نفس الوقت عن حالة الضياع والتشتت والألم.

2 -4 – صوت الباء:

يعتبر صوت الباء من الأصوات الشديدة المجهورة(إبراهيم أنيس، 1975) ، وقد كان كثير الورود في القصيدتين بشكل ملفت للانتباه، وربما كان من الأصوات التي تحتل الصدارة في معجم الشاعرة الصوتي، ومما ورد في قصيدتها حارسة من ظلال التحدي :

أخالك يا من طبخت الضفائر

أخالك من جنة الأمل

فهلا تجيبين عن شرود سؤالي

باليقين وتفتحين أبوابك

المهزومة بالشلل

أجيبيني فإذن الإجابة في عهدها

طقس مستورد لمواجع الزلل(دليلة مكسح، 2015).

في هذا المقطع تواتر هذا المقطع الصوتي ثماني مرات متتالية، وقد حرصت دليلة مكسح على إيراده بهذا الشكل المكثف لصفاته الصوتية وتراكيبه اللغوية، وهنا تبرز لنا الشاعرة شخصية الحارسة التي قطعت ضفائرها للاستجابة لنداء الجهاد على الرغم من إنها شخصية أنثوية؛ إلا أن الألفاظ جاءت معبرة حقيقة عن الحدث الواقعي الذي تحياه الشاعرة في ظل أوضاع هذا الوطن، حيث لم تسلم أطياف المجتمع صغيرها وكبيرها ذكرها وأنثاها من غطرسة وظلم، وقد مثلت بالمرأة المكافحة في سبيله(أجيبيني، طبختِ، أبوابكِ)، هنا الشاعرة نجدها لجأت لاستخدام الألفاظ السهلة الموحية ذات الصوت الانفجاري الشديد لكي تعبر عن شعورها ومكبوتاتها الدفينة في الأعماق.

2 -5 - **صوت الهمزة:**

يعتبر صوت الهمزة عند علماء الأصوات بالصوت الوسطي، فهو "صوت شديد، لا بالمجهور ولا هو بالمهموس"(إبراهيم أنيس،1975) ، وقد اختلفوا في مخرجه؛ فمنهم من اعتبره صوتا مجهورا، ومنهم من عده صوتا مهموسا، وفي القصيدتين نجد الشاعرة قد استعملت الشاعرة هذا الحرف بكثرة لاعتبارات كثيرة منها؛ راهنية الموقف التي يجب أن تحمل معاني الشدة والجرأة والإصرار، حيث تقول في قصيدة حارسة امن ظلال التحدي:

أنا لا أعو د إلا بلغة مفروشة من
جديد
سأجعل المساء ماء
والسماء ساء
والضياء ياء
والهواء واء(دليلة مكسح، 2015).

وتقول في القصيدة نفسها:

ولتكن لغتي ممشوقة كالندى
وأكون أنا ... يا أنا
كما أنت ... يا أنت
سأثير السؤال وأثري الجواب
وأمشط أحلام العصفور(دليلة مكسح، 2015) .

نلاحظ في هذا المقطع أن الشاعرة أكثرت من استعمال هذا الصوت (الهمزة)، وذلك راجع لتعبيرها الصادق وإصرارها القوي على مواصلة التحدي لإحداث التغيير، وطرح الأسئلة الكثيرة حتى ينكشف الإجابة، وتصل في الأخير بعد هذا التحدي الذي تحذوه العزيمة إلى أن تمشط أحلام العصفور كناية عن البراءة التي ضاع حقها في هذا الوطن، واستخدامها لحرف الهمزة جاء دلالة على انفجارها للتعبير عن مكنوناتها.

2 -6 - **صوت التاء:**

تعتبر حرف التاء من الحروف اللثوية التي حين النطق بها يلتصق اللسان بالأسنان، وهو "صوت شديد مهموس، لا فرق بينه وبين الدال سوى أن التاء مهموسة؛ ونظيرها مجهورة"(مصطفى السعدي، د ت) ، وقد تواتر حرف التاء مرات عديدة في ديوان الشاعرة، نظرا لوظيفته الصوتية القوية، ووظيفته اللغوية المعجمية التي تجعل الكلمة ذات نطق يكون وقعه قويا على الأذن، وقد ورد في قصيدة "مراسيم دفن فاشلة" كما يلي:

ودفنت الريح بيدي
لأعيد ترتيب الكلمات على دفاتري
وألون من جديد ضفائري
في سكون وصمت شاعري
وطرحت بين الأكفان دمعة
كي ترتوي الريح من لهيب محاجري(دليلة مكسح، 2015).

الملاحظ في هذا المقطع تكرار حرف (التاء) تسع مرات متتالية، وقد تعددت صيغ وروده في الكلمات، ولعل الشاعرة في كل مرة؛ وكما عودتنا في طرحها الحزين؛ أن تعبر بكل صدق ووضوح عن حالتها الكئيبة التي لازمتها منذ القديم، وأن تبث آلامها ومواجعها في صمت شاعري حزين، في حضور عنصر الموت دائما؛ وقد أعدت الأكفان وحنطتها بأطيب العطور.

2 -7 - **صوت الدال:**

الدال صوت شديد مجهور، وهو كذلك صوت أسناني من حروف القلقلة، وقد عمدت الشاعرة لإيراده في قصيدتها مرات كثيرة، لأنه مناسب لحالتها

النفسية التي تتطلب الإنعتاق والحرية في كل مرة، ففي حارسة من ظلال التحدي تقول الشاعرة:

دوبته حوامض الفتك، فهلا تعودين لصحرائك لم
يبق
في الليل حكاية أو لغز أو نكتة أو سيرة للمتبقين
في معارك الدجل ... فهلا تعودين
أنا لا أعود إلا بلغة مفروشة من
جديد(دليلة مكسح، 2015).

يأتي حرف الدال في هذا المقطع متواترا سبع مرات متتالية، مما أحدث موسيقى تطرب لها الأذن، باعتبار هذا الصوت من حروف القلقة الذي يحدث صوتا قويا عند النطق به، وقد كان مناسبا جدا لحالة الشاعرة التي لم يبق لها من حكاية الباقين إلا القليل، في وسط الظلام الحالك الذي تفنن الناس في الكذب فيها والدجل، وقد أقسمت بعدم العودة؛ إلا أن تكون هناك حياة جديدة ولغة مواتية تتأقلم معها.

وفي قصيدة "مراسيم دفن فاشلة" نجد طاقة تكرار الحرف دائما كما في الديوان، تقول:

وعدت أدراجي في الظلام
أبحث عن أيقونة ... توصلني
إلى عبور ناضر
وتهت طويلا بين غدو ورواح
قلت ربما انعطفت
إلى سبيل دائري
وبحثت عن قداحة في الجيب
ولقيت جيبي قُدْ قُدَّ في غفلة(دليلة مكسح، 2015).

يأتي حرف الدال في هذا المقطع على شكل خيبة أمل ألمت بالشاعرة، فرغم قوته وقعه في النفس؛ إلا إنها استعملته وسط تيه وحيرة عارمين، تخللهما ظلمة تلازم المشهد في كل مرة، وهو ما يصعب عملية البحث على عكس النور، وظل التيه طويلا دون الوصول إلى مخرج يقود إلى بر الأمان.

3: الموسيقى الخارجية في القصيدة:

يقصد بالموسيقي الخارجية تلك الأنغام التي تحدث جراء قراءة القصيدة، لا من داخلها ولكن من خارجها، وبالتالي هي عبارة عن طاقة إيقاعية موسيقية جذابة تنتج عن ذلك النمط الموزون في اتحاد تام للحروف وأوزانها، سواء تعلق الأمر بالوزن أو تناغم حروف الروي مع بعضها في شكل متساو، وهي " موسيقى تعبيرية ناتجة عن كيفية التعبير، ومرتبطة بالانفعالات السائدة"(السعيد الورقي بيومي،1984) ، وقد عدّ النقاد الموسيقى الخارجية من أبرز مقومات عمود الشعر، وبها تقوم قوائم القصائد، ولولاها لم تذوق الناس الشعر على عهده الأول الصافي، ولما ذاع صيت الشعراء وتبوءوا تلك المكانة المرموقة عن الخلفاء والسلاطين، وقد كانت منذ القديم عاملا أساسيا يعتمده الشاعر في بناء قصائده، ولكنها بدأت تفتر زمن الشعر الحر وقصيدة النثر، ومن بين العناصر التي تدخل في تشكيل الموسيقى الخارجية نجد عنصري : الوزن والقافية:

1 - الوزن:

يعتبر الوزن من أولويات نسج الشعر، لأنه السياق الإيقاعي الذي يتزن به الشعر، وتنتظم به وحدة الموسيقى التي تحضر من أول بيت إلى آخره، ومن ثم فهو الدعامة التي لا يمكن التنازل عنها في أي قصيدة، لأنه ينظم الإيقاع حيث يتميز الكلام الموزون بورود التفعيلات المتساوية في الأبيات أو الأسطر الشعرية وتكرارها بشكل منتظم، وتخضع هذه التفعيلات التي تتكرر داخل القصيدة لسيطرة الشاعر وبراعته المتناهية.

إن ديوان الشاعرة دليلة مكسح لا ينتمي إلى الشعر العمودي الذي وضع ضوابطه العالم العربي الخليل بن احمد رحمه الله، وإنما يقع في دائرة الشعر الحر الذي يتبع نظام الأسطر لا الأبيات، وهذا ما يصعب عملية البحث في الموسيقى الخارجية نوعا ما، ولكن للشعر الحر كذلك قوانين تحكمه وضعها المعاصرون، ولعلنا في طريقنا إلى الوزن لا بد من تقطيع بعض الأسطر الشعرية في القصيدة، ففي قصيدة "حارسة من ظلال التحدي" تقول الشاعرة:

أنا من طبخت ضفائري

0//0// /0// 0/ 0// //0//

ونسيت في عجن لإطفاء أنواري

0/0/0/ /0/0// /0/// 0//0///

متفاعلن/ متفاعل/ متفاعلن/متفا

نلاحظ من خلال تقطيعنا لهذين السطرين الشعريين أن القصيدة تنتمي إلى بحر من البحور الشعرية الخليلية، ولكن بشيء من التصرف في تفعيلاتها، فقد دخلت عليها زحافات كثيرة بالزيادة والنقصان، وأصبح هنا بحر القصيدة " بحر الكامل مجزوءًا، ، ومفتاحه :

كمل الجمال من البحور الكامل... متفاعلن متفاعلن متفاعلن

والمعروف على هذا البحر أنه يأتي بتفعيلات تامة، وله من الوقع الموسيقي الشيء الكثير، فهو على اتزانه يضفي على القصيدة تلك الموسيقى الجذابة التي تطرب لها الأذن، وهو ما كتب عليه أغلب شعراء الجاهلية ولم يعرفوا البحور إطلاقا، ففي المعلقات نجد بعضها مكتوبا على هذا الوزن، وبالتالي جاءت قصائدهم حماسية رائعة بقيت خالدة إلى يومنا هذا، ومعلقة عنترة بن شداد شاهدة على ذلك، ولعل شاعرتنا تفطنت لمثل هذا الوقع والجرس الموسيقي الجذاب، وصاغت قصيدتها الحزينة بهذا الوقع القوي الذي يوحي بعدم استسلامها، وإيمانها القوي بأن الأحداث ستؤول إلى الأحسن في المستقبل القريب، وأن عمر الظلم قصير إذا ما قورن بأبدية العدل وسرمديته.

2 - **القافية والروي:**

2 -1 - **القافية:**

تعتبر موسيقي الوزن الناتج عن القافية من أهم المقومات التي قام عليها تراثنا الشعري القديم، ولعلها من أطالت عمر هذا الشعر وكتبت له الخلود والبقاء، وبها بقيت القصيدة العربية على نظام منسق محكم البناء، وهي من العناصر المكملة للموسيقى الخارجية وبهما تمنح القصيدة وتكتسي لونا موسيقيا رائعا؛ وإيقاعا عذبا وجذابا، ، وهي عند الخليل بن أحمد الفراهيدي "آخر حرف ساكن في البيت الشعري إلى أول ساكن يليه؛ مع المتحرك الذي قبل هذا الساكن"(ياسين عايش خليل،د ت) ، وقد عرف الشعر منذ القديم نوعين من القافية، منها المقيدة التي هي " كل قافية يكون فيها حرف الروي ساكنا، قيد عن انطلاق الصوت به"(يوسف بكار،1990) ، بمعنى أن حرف الروي يكون آخر عناصرها ويأتي ساكنا مقيدا بهذا السكون، والنوع الثاني هو القافية المطلقة،

وهي " القافية التي يكون فيها الروي متحركا؛ أي أطلق الصوت به"(يوسف بكار، 1990) ، بمعنى أن يكون حرف الروي حرفا يقف على متحرك ؛ وقد يكون قابلا للإشباع في بعض الحالات.

إنه بالعودة إلى القصيدتين من ديوان "تعرجات خلف خطى الشمس، نجد الشاعرة دليلة مكسح قد اعتمدت على القافية المقيدة، وربما هذا ناتج عن الحالة النفسية التي تميزت بالضيق والألم، فالشاعرة في القصيدتين تبث آهاتها وزفراتها في قالب حزين مشحون بطاقة الأمل بميلاد فجر جديد، وبتقطيع سطر من قصيدة حارسة من ظلال التحدي نلاحظ:

نسجت على كتفيها أنشودة

نسجت على كتفيها أنشودتن

0///0 //0 0/0/// 0//0/0/

متفاعلن/ متفاعل/ متفاعلن

2 -2 - **الروي:** يعد الروي من المقومات الأساسية التي تقوم عليه القصيدة، والقافية والروي متلازمان؛ فلا يمكن لأي دارس أن يفصل بينهما، وهو : "آخر حرف من البيت الشعري وعليه تبنى القصيدة واليه تنسب، فيقال ميمية أو نونية أو عينية، إذا كان الروي فيها ميما أو نونا أو عينا"(عبد العزيز عتيق، د ت) ، وإذا كان الشعر الكلاسيكي يبنى على حرف روي واحد، فإن الشعر الحر يتعدد فيه حرف الروي، وهو ما وجدناه في ديوان الشاعرة، ففي قصيدة "حارسة من ظلال التحدي" نلاحظ أن حرف الروي جاء متنوعا بين الهاء واللام والتاء، وقد وظفته بنسب متفاوتة وجمعت في رويها بين الحروف المجهورة والانفجارية، من مثل (الكاف والحاء والباء)، وبين المهموسة التي تخدم طبيعة الموضوع، وبهذا التعدد يتعدد الجرس الموسيقي في القصيدتين، وقد اكتست بهذه الحلة إيمانا بواقعية الشاعرة وعفويتها.

تحليل النتائج:

- الديوان غني بالمادة المراد دراستها من صوت ودلالة.
- لإيصال الفكرة امتطت الكاتبة صهوة الحروف المجهورة.
- إن الحروف المهموسة أدت دورها في إيصال الصوت إلى القارئ.
- حافظت دليلة مكسح على نظام القافية رغم اعتمادها الشعر الحر.

- للقيمة الجمالية التي يكتسيها حرف الروي؛ فقد كان حاضرا في ديوان الشاعرة.

خاتمة:

وصفوة القول واستنتاجا مما سبق نلاحظ أن الدراسة الصوتية لها علاقة كبيرة بالدراسة الدلالية، ذلك لأن تغير الصوت يؤدي حتما إلى تغير الدلالة، وهو ما دفع بالشاعرة إلى تنويع الحروف التي تعطي دلالات موحية تعكس حالتها النفسية، وقد توصلنا إلى النتائج الآتية:

- إن معجم الديوان زاخر بالأصوات المتنوعة التي اعتمدتها الشاعرة في ديوانها.
- تنوعت الأصوات في الديوان ما بين الشديدة القوية، وبين اللينة الرخوة بحسب الحالة النفسية.
- طغيان الأصوات المجهورة على أسطر القصيدتين، ما يوحي بالثورة الداخلية التي سكنت الشاعرة.
- تنوعت الموسيقى بين الداخلية والخارجية، وقد كانت خادمة للجرس الموسيقي الذي طبع القصيدتين.
- تعتبر القافية أحد الأساسيات التي اعتمدتها الشاعرة.
- ركزت الشاعرة على حرف الروي لضرورته في الشعر.

أما عن آفاق البحث فإنه يتطلع إلى التعمق أكثر في البنية الصوتية؛ والوصول إلى فهم جيد ودلالة واضحة لما يتقصده النص الشعري الحديث رغم غموضه.

قائمة المصادر والمراجع:

1 - إبراهيم أنيس، 1975، الأصوات اللغوية، مكتبة الانجلو مصرية، ط5،الجمهورية المصرية، ص112.

2 - ابن جني، (د،ت)، الخصائص، تحقيق محمد على النجار، ج2، د ط، دار الهدى ، بيروت، ص 157.

3 - أحمد شامى،ة 1995، خصائص العربى،ة والإعجاز القرآني،دى،وان المطبوعات الجامعى،ة الساحة المركزى،ة،(د ط)، بن عكنون، الجزائر، ص 95 .

4 - تمام حسان، 2001، اللغة بين المعيارية والوصفية، عالم الكتب، ط1،القاهرة، ص 116.

5 - حلمي خليل: 1980، الكلمة دراسة لغوية معجمية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د ط)، ص34.

6 - دليلة مكسح، 2015، تعرجات خلف خطى الشمس، دار علي بن زايد للطباعة والنشر، ط1،بسكرة، ص 32.

7 - زبير دراقي، 1994، محاضرات في فقه اللغة، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، ص 67.

8 - السعيد الورقي بيومي، 1984، لغة الشعر العربي الحديث، دار النهضة للطباعة، ط3،بيروت، ص 60.

9 - عبد العزيز عتيق: (د ت)، علم العروض والقافية، دار النهضة العربية، ط1، بيروت، لبنان، ص 137.

10 - عبد القادر عبد الجليل: 1998، الأصوات اللغوية، دار الصفاء، ط1، عمان، الأردن، ص 143.

11 - محمد مندور، (د ت)، في الميزان الجديد، مطبعة نهضة مصر، ط3، القاهرة، ص 69.

12 - مراد عبد الرحمن مبروك، 2002، من النص إلى الصوت (نحو شق منهجي لدراسة النص الشعري)، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1،الإسكندرية، ص 52.

13 - مصطفى السعدي، (د ت)، المدخل اللغوي في نقد الشعر(قراءة بنيوية)، منشاة المعارف، جلال خزي وشركاؤه، ط1، الإسكندرية، ص 64.

14 - ياسين عايش خليل، (د ت)، علم العروض، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، ص 24.

15 - يوسف بكار، 1990، في العروض والقوافي، دار المناهل، ط2، بيروت، لبنان، ص 31.

مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ر ت م د: 7163 -1112 ر ت م د إ:1892-2588
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2

مفهوم الجنس الأدبي: بين الغنى والنقائص صاولو نييفا

Literary genre fortunes and misfortunes Saulo Neiva

عبد الرحمن بوعلي
قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الشارقة،
abouali@sharjah.ac.ae

تاريخ الاستلام: 2020/05/09 تاريخ القبول: 2021/09/13

الملخص:

نظرية الأجناس الأدبية من أقدم قضايا النظرية الأدبية المعاصرة. وقد أولاها المنظرون والنقاد والفلاسفة عناية كبيرة منذ فجر التاريخ.

إن الأبحاث التي تخصصت في نظرية الجنس الأدبي، ومنها هذا البحث الذي نقدم ترجمة له هنا، تسعى إلى استكشاف القوالب الفنية التي تمتلك ضوابط وحدودا فاصلة، تعمل على تكريس قواعد بناء الأجناس. وفي مختلف الدراسات والبحوث التي اهتمت بمفهوم الجنس الأدبي، كان السعي حثيثا نحو محاولة الكشف عن معالم النصوص وكيفية بنائها، والخصائص التي تجعل كل نص من النصوص يشكل نظاما تؤسسه منظومة من المكونات والعناصر البنائية التي تصنع منه بنيته وتجعله متميزا عن غيره من النصوص الأخرى والتي تجعله يدخل ضمن كوكبة من النصوص الأخرى، ليشكل بذلك جنسا أدبيا له حدوده وخصائصه المتفردة.

الكلمات الدالة:

النظرية الأدبية، النصوص الأدبية، الأجناس الأدبية، الفئة.

المؤلف المرسل: عبد الرحمن بوعلي: aboualifr@gmail.com

Abstract:
The literary theory of genres is one of the oldest issues of contemporary literary theory. Theorists, critics and philosophers have taken great care of them since the dawn of history. This research that has specialized in the theory of literary genre, including this research, for which we provide translation here, seeks to explore artistic templates that have controls and boundaries, working to establish the rules for building genres. In the various studies and research that concerned with the concept of literary genre, the endeavor was strenuous towards trying to reveal the features of texts and how they are built, and the characteristics that make each text of the texts constitute a system established by a system of components and structural elements that make its structure and make it distinct from other texts that make it It falls within a constellation of other texts, thus forming a literary genre with its unique characteristics and limitations.

Key words:
Theory, literary texts, literary races, class, Saulo Neiva .

1. - مقدمة:

ما هي المشروعية التي تزال في عصرنا هذا لمفهوم الجنس الأدبي وذلك بعد صيرورات "الخلط"1 و"الانفجار"2 و"التهجين"3 التي شهدتها الأجناس في التقاليد الرومانسية، من قبل المؤلفين ونقاد الأدب عصرالحداثة؟ وكيف يمكن لنا، اليوم، أن ندعي أننا نتقدم في المجال النظري للأجناس الأدبية الذي يبدو أنه يتميز بـ"الغموض" العميق4 ؟ ألا يجب علينا الاكتفاء بالتخلى عن هذا المفهوم الذي غالبا ما اعتبرناه غير مجد على المستوى المنهجي وغير فعال بالمعنى الإيبستمولوجي؟

[1] Victor Hugo, *La préface de Cromwell*, réimpression de l'édition de Paris, 1897, introduction, texte et notes de Maurice Souriau, Genève, Slatkine Reprints, 1973.

[2] Marc Dambre & Monique Gosselin-Noat, *L'éclatement des genres au XXe siècle*, Paris, PSN, 2001.

[3] *Cf.* par exemple Robert Dion, Frances Fortier & Elisabeth Haghebaert [sous la dir.], *Enjeux des genres dans les écritures contemporaines*, Québec, Nota Bene, 2001.

[4] Jean-Marie Schaeffer, *Qu'est-ce qu'un genre littéraire?*, *op. cit.*, p. 125-126.

يبدو أنه على الرغم من العديد من المخاطر التي عانى منها مفهوم الجنس الأدبي، فإن هناك العديد من الأسباب التي تدعونا دائما إلى اللجوء إليه. فما هي هذه الأسباب؟ لنحاول الإجابة.

المآزق الموروثة عن القرن التاسع عشر:

عندما ننظر في عناصر الإجابات المقدمة في هذا المجال، بين القرنين التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، نجد أن اثنين من المواقف الكبيرة ترتسم بوضوح، وتقودنا أحيانا إلى مآزق نظرية حقيقية. وهكذا فقد حاول بعض الكُتّاب أن يشرحوا لنا العملية المعقدّة لتحوّل الأجناس باللجوء إلى نماذج ذات بعد غائي، وأكثرها شهرة تلك التي اقترحها كل من هيجل Hegel5 وبرونتيير Brunetière6. على أن البعض الآخر من الكتاب والنقاد وهم مقتنعون بالطابع الاتفاقي المحض لهذا المفهوم، سعوا إلى إظهار الفراغ، في وجه، على سبيل المثال، تفرد كل عمل، وهو الحال بالنسبة لبينيديتو كروشي Croce7 وموريس بلانشو Blanchot 8.

لقد أقام هيغل، وهو يطبق أسس النظام المثالي للفكر على الميدان الفني، سلما تطوريا تتطابق فيه الأجناس الأدبية وأعمار الحضارات والفنون، أما فرديناند برونيير، فقد اهتم بظاهرة "التمايز التدريجي" للأجناس الأدبية9 الذي قام بفحصه من خلال المقارنة مع النموذج الداروينى لتطور "الطبيعة الحية" وأنواعها. وخلافا لهيغل، بحث برونتيير في التطور "الداخلي" للأجناس الأدبية . وليس في التطور المتعالي والخارجي للأعمال الأدبية – في أسباب تحولاتها. ولكن، وكيفما كانت النسبة، فإن نظرية برونتيير تتشارك في هذا عموما مع النظام

---

5 *Esthétique*, trad. S. Jankélévitch, Paris, Aubier-Montaigne, 1944 [1ère éd. allemande : 1835].

6 *L'Évolution des genres dans l'histoire de la littérature. Leçons professées à l'École Normale Supérieure*, Paris, Hachette, 6ème éd., 1914 [1ère éd. : 1890].

7 *Estetica come scienza dell'espressione e linguistica generale : teoria e storia*, a cura di Giuseppe Galasso, Milan, Adelphi, 1990 [1ère éd. : 1902].

8 Maurice Blanchot, *Le livre à venir*, Paris, Gallimard, 1996 [1ère éd. : 1959], p. 272.

9 « Supposé que les genres existent, et, même a priori, je ne vois guère comment on le nierait […],comment les genres se dégagent-ils de l'indétermination primitive ? comment s'opère en eux la différenciation qui les divise d'abord, qui les caractérise ensuite, et enfin qui les individualise ? », Brunetière, *op. cit.*, p. 11.

الهيغلي وذلك لأنها تقترح نموذجا يستند على القانون العام للتطور. وهكذا، فمن خلال عملية "الانتقاء الطبيعي"، تتمايز الأجناس، إنها "تعيش" و"تموت" مثل الكائنات الحية وبنفس الطريقة في النظام الهيغلي حيث نتعامل مع محاولة تحقيب حيث يكون الشعر الملحمي والنحت خاصية لعصر شباب الدول، وحيث تتناسب الغنائية والرسم مع قمة الحضارة، في حين تصبح الدراما هي فن العصر الحديث بامتياز.

في هذه الحالة أو تلك يصبح كل جنس متعلقا بشكل جوهري بحقبة زمنية محددة، وبعد حقبة ما من الحياة يصير من المستحيل وجوده. بعبارة أخرى، فإذا كان صحيحا أن هذه المقاربات تشترك –وهذه ميزتها – في الابتعاد عن التصور اللازمني للأجناس في التاريخ، فإنها، في المقابل، ترفض أن تطرد خارج التاريخ، بعد فترة معينة من الزمن. ومن هنا تتلبد الأجناس بشيء من الغموض في لحظة من اللحظات، بطريقة ضرورية وحتمية، وذلك لأسباب إما أنها تتعلق بتطور "ظاهراتية الروح" (هيغل) أو بقوانين "التاريخ الطبيعي" (برونتيير).

الاتجاه الرئيس الثاني للتفكير في هذا المجال يشمل الأجناس الأدبية من وجهة نظر مختلفة تتطرف بالتدريج.

لذلك، عندما يرفض بينيديتو كروتش أهمية هذا المفهوم من أجل تأكيد وحدانية العمل الأدبي (الذي هو ثمرة "حدس فريد")، فإنه يرفض الفائدة المعرفية مع الاعتراف مع ذلك بالفائدة العملية بوصفها مجرد تسمية بسيطة بهدف الترتيب. وبعد ستين عاما من ذلك، وفي نفس السياق، سيتساءل بلانشو Blanchot سؤاله "أين يسير الأدب؟"، وبطريقة أكثر تطرفا من كروتش، سيقوم بمرافعة من أجل غموض la caducité ليس الأجناس الأدبية المختلفة كلها... ولكن، وفي الواقع، غموض مفهوم الجنس الأدبي نفسه:

"وحده العمل الأدبي هو المهم، [...] القصيدة في تفردها الضيق [...]. وحده الكتاب هو المهم، كما هو، بعيدا عن الأجناس الأدبية، وخارج التقسيمات [...]، التي يرفض أن يندرج ضمنها، ويرفض سلطتها في أن تثبت موقعا له وتحدد شكلا له"[10].

[10] Maurice Blanchot, *op. cit.*, p. 272.

ووفقا لهذا الرأي، لم يعد الجنس الأدبي يشكل سوى عائق يفصل بين "العمل الأدبي" في تفرده والأدب "وضوحه العجيب"11، وما يعبر عنه الناقد، بلهجة بليغة هو: أن الكتاب لم يعد ينتمي إلى أي جنس، بل ينتمي للأدب فقط12.

هل الجنس الأدبي، "فئة" بسيطة تسعى إلى "تحديد شكل" الأدب، على حساب الأدب نفسه؟ هل الجنس الأدبي، وهو مجرد اتفاق يجب تجاوزه اسم الطابع "الفريد" للعمل؟ يمكن لنا أن نستغرب من السهولة التي يتخلص بها هذا التفكير النظري من مشكلة كبيرة ومعقدة دون محاولة لتنويرها.

نحو نموذج جديد للتفكير:

في هذا الصدد، فإن وجهة نظر رينيه ويليك وأوستن وارين، التي نادرا ما يشير إليها المختصون، والتي يهمها الإشارة إلى الطبيعة "المؤسسية" للأجناس الأدبية، ستشكل نقضا واضحا بشكل خاص لكلا المقاربتين الجوهرية والإسمانية لكروتش:

"إن الجنس الأدبي "مؤسسة"، مثلها مثل الكنيسة والجامعة أو الدولة. إنها لا توجد بالطريقة التي يوجد بها الحيوان، أو حتى البناء، والكنيسة، والمكتبة. إنها توجد بالطريقة التي توجد بها المؤسسة. ونحن يمكننا أن نستعمل المؤسسات القائمة لنعمل داخلها، ولنعبر عن انفسنا، ويمكن أن نخلق أخرى غيرها جديدة، أو نتعايش معها ما في وسعنا من دون أن نشارك في أنظمتها وطقوسها. يمكن أيضا أن ننضم إليها أيضا بهدف إعادة صياغتها"13.

بالتأكيد لقد تمت صياغة هذا التعريف، الذي نشر قبل عشر سنوات من نشر كتاب بلانشو، بعبارات، قد تظهر في الوقت الحاضر، ساذجة أو مؤرخة قليلا، باعتبارها لا تشير إلى دلالة التسلسل الهرمي والثبات الواضح التي يتملكها مفهوم المؤسسة، وهي الدلالة التي تبدو لنا بعيدة عن التنوع الدائم للممارسات الأدبية. وبالمثل، فإن هؤلاء المؤلفين لا يعمقون بالشكل الكافي ربما تصورهم لمفهوم الجنس الأدبي بوصفه مؤسسة: إنهم يكتفون بمجرد الإعلان عن الاستعارة

11 *Ibid.*, p. 273.

12 *Id., ibidem.*

13 René Wellek & Austin Warren, *La théorie littéraire*, trad. Jean-Pierre Audigier et Jean Gattégno, Paris, Seuil, 1971 [1ère éd. nord-américaine : 1949], p. 318

التي عليها يرتكزون (الجنس = مؤسسة)، والاستشهاد بالمصدر النظري الرئيسي لهم . وهو، في هذه الحالة، مقالة المقارن الأمريكي الشمالي هاري ليفن14 - واستخراج النتائج المنطقية لافتراضهم الأصلي.

ومع ذلك، فقد أطلق ويليك ووارن خطا آخر للتفكير الثري بصفة خاصة. لقد كانا مدفوعين بقلق، جد حديث، وهو تسليط الضوء على حدود المقاربات الموروثة عن القرن التاسع عشر، والمتميزة ببعدها الديني أو الإسماني، والرافضة في الوقت نفسه للبعد المعياري. وبالفعل، فالأجناس الأدبية باعتبارها مؤسسات لها قيمة استخدام لا تقدم بوصفها مجرد "فئة" بسيطة بالمعنى المجازي ("يمكننا استخدام المؤسسات القائمة للعمل، وللتعبير عن أنفسنا ")؛ وبالمثل، فهي تمتلك بعدا هو في نفس الوقت تاريخي واجتماعي وثقافي واتفاقي، لا تعرضها لقيود قانون عام يخص التطور، ذلك لأنها تشكل ثمرة بناء غير مكتمل ("يمكننا إنشاء مؤسسات جديدة")؛ وأخيرا، فإن الأجناس الأدبية لا تدخل ضمن متطلبات ينظر إليها على أنها عقيمة، ولكن ضمن اتفاقيات بواسطتها يمكن للمؤلف أن يقيم مجموعة واسعة من الروابط ("يمكننا [...] أن نحقق الانسجام [...]، وأن ننخرط فيها، لكي نعيد تشكيلها ").

بعبارة أخرى، فإن تصريحات ويليك ووارين - على الرغم من إيجازها – تقدم بطريقة بدائية العناصر الرئيسية التي تم إبرازها في وقت لاحق من لدن مختلف منظري القرن العشرين، الذين كانوا حريصين على تجديد التفكير في الأجناس الأدبية. لقد طرحت أسس "نموذج" نظري جديد يتعلق بالأجناس الأدبية، حوله تتلاقى مقاربات مختلفة بنسب متقاربة بعضها عن بعض، ولكنها تتميز جميعها برفض ثلاثي: فهذه المقاربات لا تريد أن تكون لا مفروضة ولا جوهرية ولا إسمانية.

ومن دون وجود أية مبالغة نفكر في كتاب مختلفين مثل هانز روبرت ياوس15 وجيرار جينيت16 ، وألاستير فولر17 ، وجان -ماري شيفر18 18. دون أن ننسى القراءة الرائعة التي وضعها جاك دريدا لموريس بلانشو19 .

14 Harry Levin, « Literature as an Institution », publié pour la première fois dans *Accent*, Spring, n° 6, 1946, p. 159-168.

لنتذكر، في الآونة الأخيرة، دومينيك كومب20، وأيضا العمل الجماعي لرافاييل باروني وماريل ماسي21، هذا العمل الذي عمق عدة نقاط للإشكالية الحالية للأجناس الأدبية. ينبغي أيضا أن نشير إلى مساهمة المقدمة لمفهوم جنس الخطاب التي قدمها، في الخط الفكري لباختين، تزفيطان تودوروف22 والتي قدمها أيضا المختصون في تحليل الخطاب – وهو الميدان الذي يلعب فيه مفهوم الجنس الأدبي دورا مركزيا، مثل جان - ميشال آدم23 ودومينيك مانغنو24.

15 « Littérature médiévale et théorie des genres », trad. Eliane Kaufholz, in G. Genette, H. R. Jauss, J.-M. Schaeffer, R. Scholes, W. D. Stempel, K. Viëtor, *Théorie des genres*, Paris, Seuil, 1986, p. 37-76, article publié pour la première fois en 1970.

16 *Introduction à l'architexte*, Paris, Seuil, 1979 ; *Théorie des genres*, Paris, Seuil, 1986 ; « Des genres

et des œuvres », in *Figures V*, Paris, Seuil, 2002, p. 39-133.

17 « The Life and Death of Literary Forms », in R. Cohen [sous la dir.], *New Directions in Literary History*, Londres, Routledge & Kegan Paul, 1974, p. 77-94 ; *Kinds of Literature : an Introduction to the Theory of Genres and Modes*, Oxford, Clarendon, 1982 ; « The Formation of Genres in the Renaissance and After », in *New Literary History*, vol. 34, n° 2, 2003, p. 185-200.

18 *Qu'est-ce qu'un genre littéraire ?*, Paris, Seuil, 1989 ; « Genres littéraires », in Oswald Ducrot & Jean-Marie Schaeffer [sous la dir.], *Nouveau dictionnaire encyclopédique des sciences du langage*, Paris, Seuil, 1995, p. 520-530. Plus récemment, « Des genres discursifs aux genres littéraires : quelles

catégorisations pour quels faits textuels ? », in Raphaël Baroni & Marielle Macé, *Le savoir des genres*, Rennes, PUR, 2006, p. 357-364.

19 « La loi du genre », in ____. *Parages*, Paris, Galilée, 1986, p. 249-287.

20 *Poésie et récit. Une rhétorique des genres*, Paris, Corti, 1989 ; *Les genres littéraires*, Paris, Nathan, 1992 ; *cf.* enfin l'article « Genre », dans le *Dictionnaire international des termes littéraires*, sous la

dir. de Jean-Marie Grassin, http://www.ditl.info/arttest/art1997.php [dernière consultation : octobre 2007].

21 *Le savoir des genres*, *op. cit.*

22 *Les genres du discours*, Paris, Seuil, 1978.

23 *Linguistique textuelle. Des genres de discours aux textes*, Paris, Nathan, 1999 ; « Des genres à la généricité », in *Langages*, n° 153, 2004, p. 62-73.

24 Par exemple, *Le discours littéraire. Paratopie et scène d'énonciation*, Paris, Armand Colin, 2004, notamment les chapitres 12 et 16 ; voir également « Modes de généricité et compétence générique », in Raphaël Baroni & Marielle Macé, *Le savoir des genres*, *op. cit.*, p. 57-71.

في مواجهة مثل هذا التنوع من المساهمات في المجال النظري للأجناس الأدبية، ما هي الفوائد التي يجب أن نشير إليها حسب الأسبقية؟ أولا، لنلاحظ أن أهمية مفهوم الجنس تمت إعادة التأكيد عليها من خلال إعادة صياغة تعريفها. وقد أصبح مفهوم الجنس متصورا الآن على أنه "جزء له أهيته في العمل"، فلم يعد يشكل مجرد " إطار" بسيط25. إنه يلعب دورا حاسما، لأنه يهيكل "بنية قراءة"26، دون أن يشكل أي مؤشر عن "جوهر" أو "مادة" النص. إن نصية La généricité النص هي بالأحرى نتيجة للديناميكية التي تنشأ بين "خصائص الجنس" المشار إليها من لدن المؤلف - مجموعة من القيود الشكلية، والموضوعات، والصيغ، وأنماط motifs... إضافة إلى الوظائف، وعملية "التعرف"27 على هذه الصفات التي يقوم بها القارئ. وبعبارة أخرى، فعندما نتحدث اليوم عن جنس ما، نحن نشرع في إقامة تقارب بين نصوص مختلفة، يجب صياغته وفق عدة عوامل تتعلق، في نفس الوقت، بعملية إنتاجها (الممارسات الكتابية، والمهام المسندة إلى هذه الممارسات) وتتعلق بعملية تلقيها (تداولها، وقراءتها، وتأويلها وترتيبها).

إلى هذا تضاف الـ "فرضية" الشهيرة التي صاغها جاك دريدا، والتي تركز على العلاقات التي يقيمها النص مع جنسه (أو أجناسه):

"[...] إن النص لا يمكن أن ينتمي إلى أي جنس أدبي. وإن أي نص يشارك في جنس واحد أو في عدة أجناس، ولا يوجد نص من دون جنس، وهناك دائما جنس وأجناس ولكن هذه المشاركة ليست أبدا عضوية. وهذا ليس بسبب الفائض من الثروة أو الإنتاجية الحرة غير المنضبطة أوغير القابلة للترتيب، ولكن بسبب طبيعة المشاركة نفسها، وأثر الرمز والعلامة التكوينية"28.

لقد اعتمد دريدا على افتراضين متكاملين: فمن جهة، فإن أي نص واحد ينتمي إلى جنس واحد أو عدة أجناس ("فلا يوجد نص دون جنس، وهناك دائما ما يوجد جنس وأجناس)، ومن ناحية أخرى، يرتبط النص والجنس بروابط

25 Dominique Maingueneau, *Le discours littéraire*, *op. cit.*

26 Jean-Marie Schaeffer, *Qu'est-ce qu'un genre littéraire ?*, *op. cit.*, p. 199.

27 Raphaël Baroni & Marielle Macé, *Le savoir des genres*, *op. cit.*, p. 13 *sq.*

28 *Ibid.*, p. 264.

"المشاركة من دون الانتماء"29 ، حيث لا يحصر النص أبدا، داخل الفئة التي يعينها الجنس (أو الأجناس) التي ينتمي إليها. وهناك فرضيتان اثنتان استعارهما وأغناهما جان ميشيل آدم وأوتي هيدمان في سياق تفكيرهما حول مفاهيم النصية généricité وعدم التجانس التكويني30.

بعض المسارات الدالة على أنواع التحول:

بفضل هذا التحول الكبير في المنظور المستخدم في مجال نظرية الأجناس الأدبية خلال القرن العشرين، يمكننا الآن أن نحاول فحص عدد من الأسئلة، مع الأخذ بعين الاعتبار تعقيدها، والابتعاد كليا عن المنظور الديني الاسماني. سنفكر كذلك في قضية تحول الأجناس الأدبية، وهو الموضوع الواسع الذي سنحاول معالجته معالجة سريعة، بالإشارة إلى بعض مسارات التفكير.

إن المؤلف، عندما يختار المواضيع والزخارف les motifs والعناصر الشكلية التي يريد التركيز عليها في نصه، فإنه يقدم تحديدا أو تمييزا لها بالمقارنة مع واحد أو أكثر من التقاليد العامة، وسواء أكان ذلك يتم عن طواعية وبوضوح أم لا فإن القصة تقدم على حساب الملحمة، والرواية على حساب الملحمة والقصة، والتراجيدية الكوميدية أو الدراما، على حساب المأساة والكوميديا ... وهذه التقاليد، بدورها، تفترض وجود اتفاقات وفقها يمكن "للوافد الجديد" أن يخلق مجموعة واسعة من الروابط؛ ويمكن لهذه الأخيرة أن تذهب من مجرد التقليد الصارم، إلى الانزياح أو الخرق، مرورا بالاعتماد - اللعبي أو "الجاد" - من خلال التوافق مع الاتفاقات المعروفة، وإقامة اتفاقات جديدة، ومن خلال إعادة تأهيل اتفاقات عفا عنها الزمن ... إن النص الجديد يتموضع إذن بمقابل نصوص الماضي دائما، ومقابل نصوص تنتج عن محيط إنتاج مباشر، بإقامته أنسابا خاصة به. هذا الموقع الجديد ينشأ عنه تغيير في التقاليد العامة قد تكون أهميتها ملحوظة بهذا القدر أو ذاك من قبل القراء والمؤلفين الآخرين. وباختصار، فإن الطرق التي يمكن للنص أن يتخذها لا يمكن سبر أغوارها، وذلك من خلال الحوار الذي يقيمه مع الاتفاقات العامة، والكثير منها يمكن أن يكون

29 « La loi du genre », *op. cit.*, p. 256.

30 *Cf.* « Des genres à la généricité », *op. cit.*, ainsi que la première des « Six propositions pour l'étude de la généricité », in Raphaël Baroni & Marielle Macé, *Le savoir des genres*, *op. cit.*, p. 23-26.

نتائج مترتبة عن هذا الحوار، بما في ذلك تلك التي تكون على مستوى التلقي، وهو ما سيقودنا إلى صياغة مبدأين:

أولا، إن تعقيد تحول الأجناس الأدبية ينبع جزئيا من حقيقة كونها تضم على الأقل ثلاثة ظواهر كبرى، مستقلة نسبيا: الانبثاقl'émergence ، التقاطعات les croisements والقدم caducité المفترض للأجناس الأدبية.

مع ذلك، فهذه الظواهر لا تحترم خطاطة تطور صارمة، من شأنها أن تكون عامة ومسبقة. ونحن نلاحظ أيضا أنه منذ العمل المؤسس لهوي Huet 31، فكثيرا ما جذبت "ولادة" الأجناس الأدبية انتباه المتخصصين، سواء من خلال تحليل عملية اشتغال جنس خاص من خلال التفكير في أصوله32، أو، وهو أمر أقل شيوعا، من خلال محاولة فهم معزز لعملية تكون الأجناس الأدبية33. أما بالنسبة لإشكالية تقاطعات الأجناس الأدبية، فقد غذت هذه المحاولات النقاش في مجال عملنا، على الأقل، منذ الجدل الذي أثارته ولادة جنس التراجيكوميديا بير تر، مرورا بالدفاع الهوغولي عن "مزج الأجناس الأدبية". وأخيرا، يبدو أن ظاهرة قدم الأجناس الأدبية لقيت جذب انتباه أقل من المتخصصين. أو، حيثما يتحقق ذلك، نكون أمام تحليلات تفشل في التخلص تماما من تصور بيولوجي للأجناس35. وإلى حد الآن، ينبغي التفكير عميقا في مشكلة تقادم d'usure الأجناس الأدبية، معتبرين ذلك بمثابة عملية معقدة،

31 Pierre-Daniel Huet, *Lettre-traité de Pierre Daniel Huet sur l'origine des romans*, éd. Fabienne Gégou, Paris, Nizet, 1971 [1ère éd. : 1670].

32 Par exemple, Marthe Robert, *Roman des origines et origines du roman*, Paris, Grasset, 1972.

33 Jean-Marie Seillan [sous la dir.], *Les genres littéraires émergents*, Paris, L'Harmattan, 2005. Bien que ce recueil rassemble des articles sur des cas précis, son introduction apporte des éléments d'interrogation sur les « causes » de l'émergence d'un genre, sur les conditions de sa « reconnaissance » et sur les caractéristiques de sa « cohabitation » avec les genres précédant son apparition.

34 Hélène Baby, « Littérarité et généricité : l'exemple de la tragi-comédie en France au XVIIe siècle », in *Loxias*, n° 8 : « Émergence et hybridation des genres », mis en ligne le 15 mars 2005, http://revel.unice.fr/loxias/document.html?id=105. Du même auteur, voir également l'ouvrage *La tragi-comédie en France de Corneille à Quinault*, Paris, Klincksieck, 2001.

35 Alastair Fowler, « The Life and Death of Literary Forms », *op. cit.*

تتعلق بعوامل من قبيل الانقطاع في نقل رموز التكوين و/ أو تعديل مهام هذه الرموز.

2) ثانيا، سيزداد هذا التعقيد، وذلك من واقع أن الانتماء المفترض من قبل مؤلف ما في إطار عملية تموقع نص ما ضمن التقاليد العامة، يمكن أن يعتبر "غير شرعي" من قبل قارئ ما. وهذا هو حال، وعلى سبيل المثال، العديد من الملاحم التي كتبت على مر القرون - والمعترف بها على هذا النحو، حينا من الدهر - في حين أن قارئة مثل الفيلسوفة سيمون ويل تعتبر أن الملحمة اليونانية فقط ليست هي الملحمة "الحقيقية" ولكن أيضا أن الإلياذة فقط، وذلك على حساب الأوديسة، لا تستحق هذه التسمية المبحوث عنها كثيرا36. وبالتأكيد، فالحذر من الخطوط الساخنة، ومن الاستمرارية، ومن الانتماءات هو موضع ترحيب، وهو يؤدي أحيانا إلى اعتبارات جد مهمة حول مشكلة "التعريفات العامة"37. ولا يجب أن يؤدي هذا الحذر إلى موقف واضح وبسيط من عدم الثقة في وجه أي انتماء مفترض من قبل المؤلفين. وعلى العكس من ذلك، يمكن للمتخصصين في الأجناس الأدبية، وهم يتحررون من أي ادعاء ديني، أن يسمحوا بسهولة أكبر لأنفسهم أن يدركوا أن التسمية نفسها، في الكثير من الأحيان، تشير إلى ممارسات كتابية مختلفة تمارس وظائف اجتماعية وثقافية يختلف بعضها عن بعض، ولكن لها مكانتها ضمن تقليد مكون من عناصر غير متجانسة. فعلى أي أساس إذن نقوم نحن بالجمع بين هذه الممارسات الكتابية ضمن تسمية واحدة؟ وكما سبق لنا وأن قلنا، على نهج التقريب بين نصوص مختلفة يتم تعديله وفق كل نص (أو مجموعة من النصوص).

36 *Apud* Pierre Brunel, *Mythopoétique des genres*, Paris, Presses Universitaires de France, 2003, p. 141.

37 Claude Calame, « Identifications génériques entre marques discursives et pratiques énonciatives : pragmatique des genres 'lyriques' », in Raphaël Baroni & Marielle Macé, *Le savoir des genres*,

مصدر النص المترجم مقال:

Fortunes et infortunes des genres littéraires ,Cahiers de l'Echinox , Volume 16 / 2009

المصادر والمراجع:

Victor Hugo, La préface de Cromwell, réimpression de l'édition de Paris, 1897, introduction, texte et notes de Maurice Souriau, Genève, Slatkine Reprints, 1973.

Marc Dambre & Monique Gosselin-Noat, L'éclatement des genres au XXe siècle, Paris, PSN, 2001.

Robert Dion, Frances Fortier & Elisabeth Haghebaert [sous la dir.], Enjeux des genres dans les écritures contemporaines, Québec, Nota Bene, 2001.

L'Évolution des genres dans l'histoire de la littérature. Leçons professées à l'École Normale
Supérieure, Paris, Hachette, 6ème éd., 1914 [1ère éd. : 1890].

Estetica come scienza dell'espressione e linguistica generale : teoria e storia, a cura di Giuseppe Galasso, Milan, Adelphi, 1990 [1ère éd. : 1902].

Maurice Blanchot, Le livre à venir, Paris, Gallimard, 1996 [1ère éd. : 1959].

« Supposé que les genres existent, et, même a priori, je ne vois guère comment on le nierait […],comment les genres se dégagent-ils de l'indétermination primitive ? comment s'opère en eux la différenciation qui les divise d'abord, qui les caractérise ensuite, et enfin qui les individualise ? », Brunetière.

René Wellek & Austin Warren, La théorie littéraire, trad. Jean-Pierre Audigier et Jean Gattégno,
Paris, Seuil, 1971 [1ère éd. nord-américaine : 1949]>

Harry Levin, « Literature as an Institution », publié pour la première fois dans Accent, Spring, n° 6,
1946.

Littérature médiévale et théorie des genres », trad. Eliane Kaufholz, in G. Genette, H. R. Jauss, J.-
M. Schaeffer, R. Scholes, W. D. Stempel, K. Viëtor, Théorie des genres, Paris, Seuil, 1986
article publié pour la première fois en 1970.

Introduction à l'architexte, Paris, Seuil, 1979 ; Théorie des genres, Paris, Seuil, 1986 ; « Des genres
et des œuvres », in Figures V, Paris, Seuil, 2002..

The Life and Death of Literary Forms », in R. Cohen [sous la dir.], New Directions in Literary
History, Londres, Routledge & Kegan Paul, 1974, p. 77-94 ; Kinds of Literature : an Introduction to
the Theory of Genres and Modes, Oxford, Clarendon, 1982 ; « The Formation of Genres in the
Renaissance and After », in New Literary History, vol. 34, n° 2, 2003..

Qu'est-ce qu'un genre littéraire ?, Paris, Seuil, 1989 ; « Genres littéraires », in Oswald Ducrot &
Jean-Marie Schaeffer [sous la dir.], Nouveau dictionnaire encyclopédique des sciences du langage,

Paris, Seuil, 1995, p. 520-530. Plus récemment, « Des genres discursifs aux genres littéraires : quelles
catégorisations pour quels faits textuels ? », in Raphaël Baroni & Marielle Macé, Le savoir des
genres, Rennes, PUR, 2006..
Poésie et récit. Une rhétorique des genres, Paris, Corti, 1989 ; Les genres littéraires, Paris, Nathan,
1992 ; cf. enfin l'article « Genre », dans le Dictionnaire international des termes littéraires, sous la
dir. de Jean-Marie Grassin, http://www.ditl.info/arttest/art1997.php [dernière consultation : octobre 2007].
Le savoir des genres, op. cit.
Les genres du discours, Paris, Seuil, 1978.
Linguistique textuelle. Des genres de discours aux textes, Paris, Nathan, 1999 ; « Des genres à la
généricité », in Langages, n° 153, 2004..
Le discours littéraire. Paratopie et scène d'énonciation, Paris, Armand Colin, 2004,
notamment les chapitres 12 et 16 ; voir également « Modes de généricité et compétence générique »,
in Raphaël Baroni & Marielle Macé, Le savoir des genres..
[1] Pierre-Daniel Huet, Lettre-traité de Pierre Daniel Huet sur l'origine des romans, éd. Fabienne
Gégou, Paris, Nizet, 1971 [1ère éd. : 1670].
Marthe Robert, Roman des origines et origines du roman, Paris, Grasset, 1972.
Jean-Marie Seillan [sous la dir.], Les genres littéraires émergents, Paris, L'Harmattan, 2005. Bien
que ce recueil rassemble des articles sur des cas précis, son introduction apporte des éléments
d'interrogation sur les « causes » de l'émergence d'un genre, sur les conditions de sa
« reconnaissance » et sur les caractéristiques de sa « cohabitation » avec les genres précédant son apparition.
Hélène Baby, « Littérarité et généricité : l'exemple de la tragi-comédie en France au XVIIe siècle »,
in Loxias, n° 8 : « Émergence et hybridation des genres », mis en ligne le 15 mars 2005,
http://revel.unice.fr/loxias/document.html?id=105. Du même auteur, voir également l'ouvrage La
tragi-comédie en France de Corneille à Quinault, Paris, Klincksieck, 2001.
Apud Pierre Brunel, Mythopoétique des genres, Paris, Presses Universitaires de France, 2003.
Claude Calame, « Identifications génériques entre marques discursives et pratiques énonciatives :
pragmatique des genres 'lyriques' », in Raphaël Baroni & Marielle Macé, Le savoir des genres,

مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ر ت م د: 7163 -1112 ر ت م د إ:1892-2588
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2

نقاط التماس بين النقد الثقافي وما بعد الكولونيالية

points of contat between cultural criticism and postcolonialism

ذباح جمال

1 - جامعة الجزائر 2 ابو القاسم سعد الله، ddebbah@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/05/01 تاريخ القبول: 2021/09/24

ملخص

تفرض بداية كل مقال تحديد المفاهيم والمصطلحات و قبل الولوج إلى عالم النقد الثقافي و عالم ما بعد الكولونيالية يجدر بنا (وإن تعذر الأمر) الاقتراب من تعريفهما ، فمصطلح النقد الثقافي مصطلح زئبقي مخاتل و ذلك راجع لتعدد دلالاته و اختلاف روافده و مرجعياته المعرفية والتاريخية و لا يعد بحثا في الثقافة ذاتها، إنما بحث في أنساقها المضمرة و مشكلاتها المركبة يتعامل مع النص الأدبي بوصفه حادثة ثقافية كغيرها من الحوادث الثقافية يحاول الكشف عن أدوات التمركز والهيمنة بعيدا عن جماليات النصوص الأدبية و إيجابياتها.

ولا يقل مصطلح " ما بعد الكولونيالية " هلامية و صعوبة في التحديد عن سابقه فهو يشير على رأي البعض إلى حركة ثقافية مضادة و مناوئة ظهرت في مرحلة ما بعد الحداثة مشيدة سدا منيعا في وجه حركات التغريب والهيمنة الغربية ، يقوم بنقض الخطاب الاستعماري والتمييز العرقي والجنسي واللوني والديني مسلطة الضوء على أدب الشعوب غير الأوربية مظهرة إياها و مركزة على ميزات و خصائص هذا النتاج سنحاول في هذه الورقة البحثية وضع بعض القضايا تحت مجهر النقد الثقافي بالتحليل من جهة و من جهة أخرى كيف يرى الاتجاه ما بعد الكولونيالي لنفس القضايا بعد استعراض لمحة تاريخية عن كل من " النقد الثقافي " و " الاتجاه ما بعد الكولونيالي " و أهم المبادئ و

المؤلف المرسل:ذباح جمال: djamal.debbah@univ-alger2.dz

المرتكزات التي يتكئ عليها كلا الاتجاهين متسائلين عن مدى توافق النظرتين حول القضايا

الكلمات الدالة:
نقد ,ثقافي, كولونيالي, استعماري, أدبي

Abstract

The beginning of the article requires the definition of concepts and terminology. Before entering the world of "cultural criticism" and the "postcolonial" world we should discuss their definition. The term cultural criticism is a mercurial term, that is to say a reference to its multiple meanings, its references to knowledge and history and it is not considered as research in the culture itself. But in its complex models and its problems

The term post "colonialism" is no less difficult to define than its predecessor; it refers to a part of the countermovement that emerged in the postmodern period, creating an impenetrable barrier to Western movements in Western hegemony.

Key words:
CRITIC, CULTURAL, COLONIALISM, LITERARY.

لكل أمر إذا ما تم نقصان و هذا هو حال النقد الأدبي فلقد عرف تصاعدا مطردا منذ ظهور الحركة الشكلانية في روسيا والدراسات اللسانية على يد دي سوسيور حيث كان شعار المرحلة البنية المغلقة إلا أن هذه الأخيرة دخلت في أزمة في السنوات الثلاثين الماضية و مرد ذلك تركيز النقد الأدبي على الخصائص الجمالية للنصوص وثبوت عدم نفع هذه القراءات في الوقت الراهن وعدم مواكبتها للمنجز الحضاري وقد آمن مجموعة من الدارسين بضرورة الانتقال من مرحلة الحداثة إلى ما بعدها عبر جسر التفكيكية و ثمَ في الجانب الآخر كان لابد من خلق آليات جديدة و اجتراح مصطلحات تتوافق و التوجه الجديد الذي يعبر عن الشمولية و كان من ابرز ما طرح الدراسات الثقافية أو النقد الثقافي كبديل منهجي للنقد الأدبي و هذا الوافد الجديد يهتم بالأنساق الثقافية المضمرة خلف البناء اللغوي و البداية كانت مع رائد المدرسة الأمريكية

في هذا المجال " فنسنت ليتش " فهو أول من أطلق مصطلح النقد الثقافي على نظرية ما بعد الحداثة وما بعد البنيوية , كان همه دراسة الخطاب في ضوء التاريخ والسياسة والسوسيولوجيا والمؤسساتية و مناهج النقد الأدبي, وفق منهجية جديدة في تعامله مع النصوص متجاهلا البعد الجمالي ذو البعد المؤسساتي مركزا على الأنساق المتوارية خلف حجب اللغة, و يأتي تأسيس ما بعد الحداثة كموجة نقدية عبّرت عن حالة الرفض والتمرّد على مقولات الحداثة ونتائجها على مسار تحديث العقل والمجتمع الغربي، وكانت إبدالا ونزوعا ثوريا إلى هدم مطلقات الحداثة، وتجاوز مسلّماتها المعرفية، وذلك ما يفسّر نظرتها التجاوزية لمفهوم النص ووظيفته، وعلاقته بالثقافة ومن هنا فالدراسات الثقافية "ليس النص سوى مادة خام يستخدم لاستكشاف أنماط معينة من مثل الأنظمة السردية والإشكاليات الإيديولوجية و أنساق التمثيل وكل ما يمكن تجريده من النص لكن النص ليس هو الغاية القصوى للدراسات الثقافية و إنما غايتها المبدئية هي الأنظمة الذاتية في فعلها الاجتماعي في أي تموضع كان بما في ذلك تموضعها النصوصي " والمثير للانتباه في النقد الثقافي أنه لا يعترف بالفواصل والحدود المزعومة بين العلوم الإنسانية فهو منفتح على مختلف التخصصات المعرفية, ولذلك يصعب علينا تحديد مفهوم جامع له ولعل غموضه هذا وعدم توافق الرؤى حوله راجع لضبابية لفظة ثقافة التي هي من بين الركائز المهمة في حصر مفهوم النقد الثقافي يقول دنيس كوش حول صعوبة تحديد مفهوم الثقافة: "إن الثقافة لا توضع بمرسوم ولا تستخدم كما تستخدم أداة مبتذلة ذلك أنها متولدة عن صيرورات بالغة التعقيد ولا واعية، أغلب الأحيان" (دنيش كوش، 2007) أما عطا الله خضر فيعرفها بأنها : مجموعة العلوم والفنون و المعارف النظرية التي تؤلف الفكر الشامل للإنسان فتكسبه أسباب الرقي والتقدم والوعي عن طريق التهذيب العقلي و التربية النفسية الخلقية (عطا الله خضر أحمد،1990) و إذا عدنا إلى النقد الثقافي فهو في ابسط مفهوماته "ليس بحثا أو تنقيبا في الثقافة إنما هو بحث في أنساقها المضمرة و مشكلاتها المركبة و المعقدة ،وبذا فهو نشاط إنساني يحاول دراسة الممارسات الثقافية في أوجهها الاجتماعية و الذاتية ... " (سمير خليل، 2012)

و بالتالي ينأى بنفسه عن التنقيب في بنيات النصوص و جمالياتها و لا يُبقي ذاته حبيسة الألفاظ و طرق التعبير المحكوم عليها وفق مقاييس من خلالها تتم قراءة هذه النصوص وبمدى موافقتها لها يتم الحكم لها وبرفضه للمعيارية يلغي النقد الثقافي من قاموسه الانتقائية والنخبوية فهو لا يفاضل بين الخطابات بل يُقبل على دراسة كل الأشكال , فكل خطاب فاعل ذو اثر في المجتمع بغض النظر عن تمتعه بصفات الجمال البلاغية أم لا , جدير بالدراسة محاولا بذلك " أن يتجاوز التصنيف المؤسساتي للنص بوصفه وثيقة جمالية إلى الانفتاح على الخطاب , له نظامه الإفصاحي الخاص "(بسام قطوش،2006) فقد عرفه الغذامي في كتابه النقد الثقافي بأنه" فرع من فروع النقد النصوصي العام، معني بنقد النصوص الأنساق المضمرة التي ينطوي عليها الخطاب الثقافي بكل تجلياته وأنماطه وصيغه .ماهو غير رسمي ومؤسساتي وما هو كذلك سواء بسواء، وهو لذا معني بكشف لا الجمالي كما هو شأن النقد الأدبي ، و إنما همه كشف المخبوء من تحت أقنعة البلاغي الجمالي"(عبد الله الغذامي، 2005)

أما الدكتور صلاح قنصوة فيبين" أن النقد الثقافي ليس منهجا بين مناهج أخرى أو مذهبا أو نظرية كما أنه ليس فرعا أو مجالا متخصصا بين فروع المعرفة ومجالاتها بل هو ممارسة أو فعالية تتوفر على دراسة كل ما تفرزه الثقافة من نصوص سواء كانت مادية أو فكرية، ويعني النص هنا كل ممارسة قولا أو فعلا تولد معنى أو دلالة." (صلاح قنصوة، 2007) وبالتالي "فالنقد الثقافي هو الذي يدرس النصوص والخطابات ضمن أنساقها الثقافية المضمرة، سواء أكان ذلك في الشعر أم في الرواية أم في القصة أم في المسرح، بل يمكن القول أنه

يعتبر النصوص عبارة عن أنساق ثقافية مضمرة عاكسة لمجموعة من السياقات الثقافية المختلفة تتراوح مابين التاريخية والسياسية والاقتصادية والأخلاقية . فالأدب في النقد الثقافي ليس نصا و إ نمّا نسق ثقافي يؤدي وظيفة نسقية تضمر أكثر ما تعلن.

أما ما بعد الكولونيالية وهناك من يسمها بما بعد الاستعمار وهي تسمية تشير إلى فاصلة زمنية ،من مرحلة ما بعد الاستعمار و إلى مدى تأثير الاستعمار الأوربي على ثقافات و مجتمعات تلك الدول التي تعرضت للاحتلال الأوربي.

فتعد من أهم النظريات الأدبية والنقدية ذات الطابع الثقافي والسياسي؛ لكونها تربط الخطاب بالمشاكل السياسية الحقيقية في العالم. وبالتالي، تستعرض ثنائية الشرق والغرب في إطار صراع عسكري وحضاري و قيمي و ثقافي وعلمي. كما تعمل هذه النظرية الأدبية النقدية على استكشاف مواطن الاختلاف بين الشرق والغرب، وتحديد أنماط التفكير والنظر إلى الشرق والغرب معا، وذلك من قبل كتاب ومبدعي مرحلة ما بعد البنيوية، ومثقفي ما بعد فترة الاحتلال الغربي الذين ينتمون غالبا إلى الشعوب المستعمرة، وأخص بالذكر شعوب أفريقيا وآسيا. شغلها الشاغل فضح الإيديولوجيات الغربية و تقويض مقولاتها المركزية لتعرية الثقافة المركزية الغربية وهدم أسسها المتافيزيقية و البنيوية " يستخدم مصطلح ما بعد الكولونيالية ، ليشمل كل الثقافات التي تأثرت بالعملية الإمبريالية منذ اللحظة الكولونيالية إلى يومنا الحالي، يرجع هذا الاستخدام إلى استمرار هذا الانشغال طوال العملية التاريخية، التي بدأت بالعدوان الامبريالي الأوروبي كان أول استخدام لمصطلح "ما بعد الكولونيالية" في مجال النظرية السياسية في أوائل السبعينات، لكنه اكتسب معناه في الثمانينات والتسعينات من القرن العشرين ....ويذكر أيضا أن أول مؤسس لهذا الحقل المعرفي،هو "إدوارد سعيد". بينما كان المبشر الأول له هو فرانز فانون" عبر كتابه (معذبو الأرض)(رزان محمود إبراهيم، 2014) دون إنكار جهود المناضل السياسي الإيطالي أنطونيو غرا ميس ، الذي تعد كتابته مصدرا لأغلب المفاهيم المستخدمة في الخطاب ما بعد الكولونيالي لم تقتصر هذه النظرية على النظر إلى حال الدول المستعمرة فحسب بل أصبحت موطن الفكر الإنساني للكشف عن طرق جديدة للخروج من طريقة التفكير الغربي واستبداده. والجدير بالذكر أيضا، أن هذه النظرية من سماتها أنها لا تنكر فضائل الفكر الغربي وإيجابياته، وفي نفس الوقت تنتقد جوانب سلبية فيها، وتأتي بالبدائل الإيجابية من ثقافة الشرق، وتحاول تصديرها بطرق متعددة مثل حقوق الإنسان، وحقوق المرأة، والمجتمع المدني وغيرها من الشعارات . ولم يقتصر كُتّاب نظرية ما بعد الاستعمار على كُتّاب العالم الثالث، بل انضّم إليهم كُتّاب من البلاد الغربية (رامي أبو شهاب، 2013). وخطاب ما بعد الاستعمار يقوم بنقض خطاب الاستعماري، والتمييز اللوني، والعرقي، والجنسي، والديني، والطبقي.

والجدير بالذكر أن خطاب ما بعد الاستعمار كان يعرف أيضا بـ"أدب الكومنولث" وذلك نسبة إلى مجموعة من الأعمال الأدبية من دول الكومنولث. ولكن، لم تبق هذه التسمية إلا لنهاية القرن التاسع عشر. وسبب ذلك وجود المعارضة وعدم قبول أبناء الوطن من دول الكومنولث نفسها لأدب الكومنولث الذي كان بوظيفته وسيلة ليبلور مشيئة المستعِمر ويسيطر على الوعي الاجتماعي من خلال النصوص الأدبية. إضافة إلى ذلك، أن الدلالة اللغوية لأدب الكومنولث كان منحصرا على الأعمال الأدبية من الدول التي استعمرتها بريطانيا. فظهرت التسمية الجديدة بديلا عنه ويسمى بخطاب ما بعد الاستعمار، ويسبقه اسم أدب العالم الثالث Third World Literature وكذلك اسم الأدب الجديد في الإنجليزية New Literature in English(بيل أشكروفت وآخرون، 2005) ، وتسمية خطاب ما بعد الاستعمار لهذا النوع من الأدب كان أوضح دلالة لأنه يشتمل على الأعمال الأدبية من الدول التي مرت بتجربة الاستعمار في أنحاء العالم دون أن ينحصر على الاستعمار من إنجلترا فقط . بعد فترة من الزمن، قام عدد من الكتّاب ليعارضوا تلك الهيمنة الثقافية المدمرة، فنجد أسماء من الكتّاب المشهورين بالمستوى العالمي، وانتمائهم كان حول خطاب ما بعد الاستعمار في أعمالهم الأدبية.

والمثال على ذلك هو تشينوا أجيبي Chinua Achebe من نيجيريا، وغوغي وتيون□أو Ngugi wa Thiong'o من كينيا، وبراموديا أنانتاطاير Pramoedya A. Toerمن إندونيسيا. وبعضهم من الفائزين بجائزة نوبل مثل ولي سوينكا Wole Soyinkaفي عام 1986م، ونادين غوردمر Nadin Gordimerفي عام 1991م، وديريك والكوت Derek Walcott في عام 1992م. هذا إن دل على شيء فإنه يدل على أن خطاب ما بعد الاستعمار قد أخذ مكانته في المستوى العالمي، ويهتم الباحثون والكتاب في هذا العصر لطبيعته إبراز الأصوات المنفية من ظلم الاستعمار

توسعت دراسة فترة ما بعد الاستعمار في علاقتها بالأدب، وكذلك دراسة الأدب في علاقته بالاستعمار إلى مجال جديد ينبغي النظر إليه، واستفادت منها أيضا النظرية الأدبية والنقدية المعاصرة في التحليل الاجتماعي، وذلك من حيث التجانس بين النص والنسيج (Textile/Text)(آنيا لومبا، 2007)قام

الأديب والمؤرخ بدراسة التحليل النقدي على النصوص الأدبية لأجل النظر إلى أحوال المجتمع قبل فترة الاستعمار وبعده. ويتم ذلك من خلال القراءة وتحليل النصوص التي تتألف من ممارسات مادية وتمثيلية عبر سلسلة من الخطابات، كالخطابات العلمية والاقتصادية والسياسية، والكتابات الأدبية والتاريخية، والأوراق الرسمية، والفن والموسيقا والموروثات الثقافية والقصص الشعبية وحتى الإشاعات.

تشير نظرية ما بعد الاستعمار في الأدب خاصة الأدب الروائي إلى لون جديد من التحليل، فكما زعم العالم بأن الاستعمار بطريقته التقليدية (الحروب والاحتلال) قد توقف، وأن مرحلة بعد الاستعمار قد حلت، وتستخلص منها نتائج مختلفة تستدعى من نوع معين(سعيد البازعي، 2004). تركزت هذه النظرية حول استيعاب الفكر الغربي وطريقة تعامله مع آخرين خاصة المجتمع الشرقي، من خلال مقاربة نقدية بأبعادها التاريخية والثقافية، فالخطاب الاستعماري في هذا الإطار، بإضافة إلى جميع مكوناته الذهنية والمنهجية والمقصدية تفكيكا وتركيبا وتفويضا، أسهم في عدة أمور، منها:

1 - محاولة الكشف عن الأنساق الثقافية والشقاق الإنساني والمواساة المضمرة التي تتحكم بالخطاب المركزي. وهذا من صميم عمل النقد الثقافي

2 - دراسة العلاقات الثنائية بين الشرق والغرب والتفاعلات الحاصلة بينهما سواء كانت إيجابيةً أم سلبية، وردة فعل أبناء المستعمرة لمواجهة ومحاربة حركة التغريب والاستعلاء التي كان ينهجها الغرب في التعامل مع الشرق

3 - تفكيك الخطاب الاستعماري بفضح ذلك الخطاب باستعمال منهج التشتيت مثل التفكيكية.

4 - دراسة الدعوة إلى التغريب من جانب، والدعوة إلى الاستشراق المضاد من جانب آخر.

و إذا أردنا أن نمثل لذلك فلا أدل من الأدب الإنكليزي الذي يعتبر المهد والمحفز الأساسي للدراسات ما بعد الكولونيالية، حيث اهتمت في بدايتها بتحليل الأدب الإنكليزي والرواية منه على الخصوص وهو ما ظهر لدى إدوارد سعيد في دراساته حول الروايات الإنكليزية في كتابه "الثقافة والإمبريالية و"، هي النصوص، التي تبدو -فيها بشكل ظاهر - الهيمنة والإخضاع، وتقديم الروايات نموذج إنسانيا

وحيايتيا خاص بالغربي تجعل غيره يرى نفسه دونيا، وهذه قراءة تم بموجبها إعادة قراءة نصوص معتمدة ومفصول في قيمتها الجمالية مع أنها تحمل في طياتها عناصر الهيمنة وتنطوي على خطاب مكبوت ومخبوء في ثناياها، وبهذه الطريقة يمكن القول إن هذه الإستراتيجية تقوم على القراءة الثقافية للنصوص الروائية الإنكليزية مهتمة باستخراج الأنساق المخبوءة في ثناياها .كما أن الناقد الثقافي يهدف إلى تناول موضوعات تتعلق بالممارسات الثقافية و علاقتها بالسلطة و تهدف إلى فهم الثقافة بجميع أشكالها المركبة و تحليل السياق الاجتماعي و السياسي ، والنقد الثقافي ليس نظاما و إنما هو مصطلح تجميعي لمحاولات عقلية مستمرة و مختلفة و تنصب على مسائل عديدة و تتألف من أوضاع سياسية و أطر نظرية مختلفة ومتعددة (حفناوي بعلي، 2007)

لقد تأسست موجة ما بعد الحداثة و من ضمنها النقد الثقافي على تفكيك السرديات الكبرى لخطاب المركزية الغربية في قراءتها للعالم والتاريخ وثقافات الشعوب، وهو ما يتماس مع مشروع ما بعد الكولونيالية في تفكيك ثنائية الهامش/المركز، لخطاب الهيمنة/الامبريالي، فالنظريتان تتلاقيان في: رفض مركزية الخطاب الواحد (الغربي تحديدا)، والتركيز على دلالة اللغة وتحليل معطياتها، والكتابة في ضوء التجربة الخاصة المعيشة، وفي بناء تجربة الكتابة ذاتها، واستعمال استراتيجيات مختلفة في الكتابة الإبداعية معتمدة على تقنيات: التنكر/السخرية، المفارقة.

والفئة الثانية أدباء ينتمون إلى البلدان الواقعة تحت الاحتلال الأجنبي، وهؤلاء رووا المعاناة التي عاشتها شعوبهم، وكيف بدا المحتل الأجنبي الذي يتغنى بقيم إنسانية سامية، وهو يرتكب أحط السلوكيات العدوانية مع الشعوب الفقيرة. وما أكثر الدراسات والأبحاث التاريخية التي وثّقت القتل الجماعي لعشرات الآلاف، والتعذيب البشع، واستغلال الثروات ونهبها، والإفساد الاجتماعي، وتكوين طبقات على ولاء بالمستعمر الأجنبي، هي التي تسلمت السلطة فيما بعد الجلاء و حيث أن الإبداع الأدبي يعكس بصورة مباشرة الواقع الاجتماعي، بكل تقاطعاته الثقافية والنفسية والدينية والاجتماعية، لذا فهو حقل خصب في الدراسات الإنسانية المتعلقة بالهوية، والساعية إلى فهم أكثر لدينامية العلاقة بين أبناء المجتمع في منطقة معينة. فقد أضحت نظرية الهوية

ودراساتها تعتني بالنماذج الفردية المقدمة في أشكال السرد المختلفة، بقدر عنايتها بتحليل السلوكيات والأنشطة الجماعية.

وهكذا تمضي الدراسات ما بعد الكولونيالية في البحث في النصوص وتفكيكها بهدف استخراج ما يعتبر نقاط ارتكاز لها في تمثيلها لرؤية الأنا للآخر بمختلف مؤدياتها الإثنية والثقافية، و"هذا تماما ما يقوم به النقد الثقافي إنه يقوم بكشف البنيات الدخيلة من الأصلية وكشف الحيل الثقافية سواء منها الموجه ضد الذات أم ضد الآخر" (شهلا العجيلي، 2008).

و من أبرز المفكرين في هذا الميدان نذكر لا على سبيل الحصر

فرانز فانون : طبيب ومفكر فرنسي من جزر المارتينيك كان ناشطا سياسيا ومناصرا لثورة التحرير الجزائرية. يعتبر أحد آباء الفكر المناهض للاستعمار في القرن العشرين. فانون يرى أن الاستعمار لا يقتصر على حكم عسكري بالقوة بل هو أيضا هيمنة ثقافية. ويدعو فانون إلى مقاومة الاستعمار بالعنف ويشدد على ضرورة خلق هوية وطنية مضادة تؤسس للتخلص من ذيول الاستعمار الثقافي، من أعماله :

- بشرة سوداء وقناع أبيض) - (1952معذبو الأرض 1961).

إدوارد سعيد : ناقد أدبي وأكاديمي في جامعة كولومبيا الأميركية فلسطيني الأصل ولد في مدينة القدس وتوفي في نيويورك عام .2003أحد أبرز المدافعين عن القضية الفلسطينية في الولايات المتحدة وسعى من خلال كتاباته إلى تفكيك الأسس المعرفية للخطاب الكونيالي وعلاقته بالسلطة. يعتبر كتابه الاستشراق من دعائم دراسات ما بعد الاستعمارية، والذي كما سبق وأن ورد، رسم فيه التطور التاريخي لمفهوم الشرق في كتابات الروائيين والمفكرين والرحالة الغربيين وعلاقة هذا المفهوم بتعريف الغرب لنفسه كمفهوم مناقض للشرق

واستخدامه من قبل القوى الامبريالية لتبرير الاستعمار. كما برز سعيد سياسيا كمناهض لإتفاقية أوسلو وهو من الداعين إلى حل للصراع الفلسطيني الإسرائيلي مبني على حل الدولة الواحدة. من أبرز أعماله:

(الاستشراق 1979) (مسألة فلسطين 1979) (العالم، النص، والناقد 1983) - (الثقافة والإمبريالية 1993) -(خارج المكان 1999)(تأملات حول المنفى 2000) - (الأنسنية والنقد الديموقراطي 2005)

غياتري سبيفاك: باحثة وناقدة أدبية هندية وهي أكاديمية في جامعة كولومبيا الأميركية. تصنف نفسهاعلى أنها "ماركسية نسوية تفكيكية عملية" وشكلت مقالتها "هل يمكن للتابع أن يتكلم؟" محطة مهمة في خطاب ما بعد الاستعمارية بشكل عام ودراسات التابع بشكل خاص. أبرز مؤلفاتها:

في عوالم أخرى: (مقالات في السياسية الثقافية 1987) - (دراسات مختارة عن التابع 1988) - (ناقد ما بعد الاستعمارية 1990) - (نقد العقل ما بعد الاستعماري1999)

هومي بابا: أكاديمي هندي أستاذ الأدب الأميركيوبريطاني في جامعة هارفرد حيث يرأس مركز الدراسات الإنسانية هناك. برز اسم هومي بابا من خلال طرحه مفهوم "التهجين" لتفسير نشوء أشكال ثقافية جديدة في عالم التعدد الثقافي. أبرز أعماله :

(أمم ومرويات 1990) - (موقع الثقافة 1994) - (حول الخيار الثقافي 2000) - (حياة جامدة 2004) .

وخلاصة القول، نستنتج مما سبق، بأن نظرية ما بعد الاستعمار نظرية تسلَّحَ بها كُتَّاب العالم الثالث بعد الحرب العالمية الثانية، وخاصة كتاب آسيا وأفريقيا لمجابهة التمركز الغربي، وتقويض المقولات الفكرية الأوروبية والأمريكية تقويضا وتشتيتا وتأجيلا، وذلك بآليات منهجية متداخلة : تفكيكية، وثقافية، وسياسية، وتاريخية، ومقارنة... ومن ثم، فنظرية ما بعد الاستعمار هي حركة ثقافية مضادة ومقاومة، ظهرت في مرحلة ما بعد الحداثة للوقوف في وجه التغريب، والتهميش، والتعالي، والهيمنة الغربية المغلوطة. ولم يقتصر كتاب هذه النظرية الكولونيالية الجديدة على كتاب العالم الثالث، فقد توسعت لتضم بشكل من الأشكال كتابا من المنظومة الغربية الذين ثاروا على الثقافة البيضاء، فاعتبروها ثقافة أسطورية حالمة وخيالية، مبنية على خطاب الإخضاع، والاستعلاء، والهيمنة، والاستعمار، والتمييز اللوني والعرقي والجنسي والديني والطبقي.

يمكننا القول عن الدراسات ما بعد الكولونيالية في تناولها للنصوص الأدبية إنها تقوم بمعاينة آداب الشعوب التي خضعت للاستعمار في فترة من فترات حياتها، وأثر ذلك في النصوص التي كتبها أبناؤها واستكشاف كل أساليب

الهيمنة الثقافية وّالسياسية والاقتصادية الظاهرة في النصوص أو المخبوءة فيها، وكذلك محاولة إيضاح كل أساليب المقاومة التي يتخذها أولئك الكتاب والأدباء في رفض كل أشكال الهيمنة والتنميط التي تخضع لها شعوبهم وثقافاتهم. وتتشابه إبداعاتهم من حيث احتواؤها على أفكار من "مثل فكرة المنفى والانتماء واللانتماء، وعلى نفس الدرجة من الأهمية فإننا نجد أن إشكاليات اللغة والهوية القومية تتمثل أيضا نقطة التقاء أساسية بينهم "(سوزان باسينت، 1999) و هي أمور نجدها في الكتابات الإبداعية والكتابات النقدية على السواء وهي القضية المحورية في الدراسات ما بعد الكولونيالية.

خاتمة

و سنختم بالقول أن للدراسات الثقافية دين على الدراسات ما بعد الكولونيالية التي سبقتها في الوجود وأمدتها بتصور معين في نقد الثقافة و لذلك يمكن لنا أن نعتبر أن الدراسات ما بعد الكولونيالية التي أصبحت فيما بعد أهم روافد النقد الثقافي لها دين على ظهور الدراسات الثقافية وهذا يدل على الطبيعة التجاذبية والمعقدة للاستراتيجيات القرائية المعاصرة ومنها النقد الثقافي و الدراسات الثقافية، وإن أهمية هذا الجانب من النقد الذي يسمى الدراسات ما بعد الكولونيالية ينبع من أنه نقد يتناول مواضيع من مثل الذات والآخر والهوية في سياق المحطات التاريخية بين الذات الأوروبية والآخر غير الأوروبي، وما أنتجته هذه العلاقة من نصوص صار البحث فيها ميدانا خصبا ويمكن القول من خلال هذه الطبيعة التي تميزها إنها نقد ثقافي مشروط بالسياق الكولونيالي. وهناك نقطة مهمة لابد من الإشارة إليها في هذا المجال، وهي أن الدراسات ما بعد الكولونيالية ظلت تراوح مكانها، ولم تستطع أن

تُكون تراثا محترما من الدراسات ولم تقدر أن تُبرر مشروعية وجودها في الفكر المعاصر وظل يُنظر إليها -لدى عدد كبير من الباحثين - بنوع من الريبة وعدم التقبل ولقيت نقدا من قبلهم بالرغم من الكتابات العديدة التي فضحت استراتيجيات الفكر الكولونيالي، وهي إشكاليات ترجع إلى أصول هذا التناول الفكرية مما يمكن القول إن اعتماد نظرية ما بعد الاستعمار على النقد الأدبي والثقافي وعلى ما بعد البنيوية مسئول جزئيا عن أنواع القصور الحالية في

وضع نظرية لما بعد الاستعمار وهو قصور ما يزال يُهيمن على تلك الدراسات إلى اليوم.

المراجع

الكتب :

- آنيا لومبا،2007. في نظرية الاستعمار وما بعد الاستعمار في الأدب. ترجمة: د. محمد عبد الغني غنوم. دار الحوار للنشر والتوزيع سوريا. 290 ص.
- بيل أشكروفت و آخرون 2005 : الإمبراطورية ترد بالكتابة آداب ما بعد الاستعمار : النظرية والتطبيق، ترجمة و تقديم خيري دومة ، دار أزمنة للنشر عمان الأردن ، 243 ص.
- بسام قطوش 2006, المدخل الى مناهج النقد المعاصر, دار الوفاء , الإسكندرية , مصر ,239 ص
- حفناوي بعلي 2007 ، مدخل إلى نظرية النقد الثقافي المقارن . منشورات الاختلاف الجزائر . 388 ص
- دنيس كوش 2007 : مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، تر: منير السعيداني . المنظمة العربية للترجمة . بيروت لبنان. 238 ص.
- رامي أبو شهاب 2013 : الرسيس والمخاتلة: خطاب ما بعد الكولونيالية في النقد العربي المعاصر، المؤسسة العربية، لبنان. 290 ص. - سعيد البازعي ، ميجان الرويلي 2002 ، دليل الناقد الأدبي إضاءة لأكثر من سبعين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا، المركز الثقافي العربي ، المغرب، 464 ص.
- سمير خليل 2012 .النقد الثقافي من النص الأدب إلى الخطاب . دار الجوهري . العراق. 134 ص.
- سوزان باسنيت 1999، الأدب المقارن؛ مقدمة نقدية، المجلس الأعلى للثقافة. مصر. 217 ص.
- شهلا العجيلي 2008 : الدراسات الثقافية ودراسة ما بعد الكولونيالية آداب الشعوب التي تحررت من الاستعمار؛ كتابة الضحية النص الروائي - نموذجا(وقائع المؤتمر الثالث للبحث العلمي في الأردن تحريرمصلح النجار)، الدار الأهلية .الأردن. 160 ص
- صلاح قنصوة 2007 : تمارين في النقد الثقافي ،الهيئة المصرية العامة للكتاب . مصر. 194 ص.
-عبد الله الغذامي 2005، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية ، المركز الثقافي العربي المملكة المغربية . 312 ص.
- عطا الله خضر احمد 1990 : دراسات في أفاق الفكر الإسلامي . دار الفكر للنشر والتوزيع. دبي الإمارات العربية المتحدة. 375 ص

مقال في مجلة :

- رزان محمود ابراهيم 2014 : جماليات ما بعد الكولونيالية، أوراق مجلة رابطة الكتاب الأردنيين – المملكة الأردنية الهاشمية، ع42 ، ص15

مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ر ت م د: 7163 -1112 ر ت م د إ :2588-1892
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2

المدينة العربية في المدونات النقدية الروائية العربية

Arab city in blogs criticism of the Arab narrative

سعيدة حمداوي

قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة العربي بن مهيدي -أم البواقي
ssaidahamdaoui@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/05/06 تاريخ القبول: 2021/07/15

ملخص:

تهتم هذه الورقة البحثية بعرض أهم المدونات النقدية الروائية العربية المهتمة بسردية المدينة العربية، وعرض كيفية تعامل النقاد الغرب والعرب مع هذه الجزئية المرتبطة بأحد مكونات السرد، ألا وهو المكان أو الفضاء، وإبراز العلاقة الجدلية التي تربط المدينة بالريف وتمثلها في النقد الروائي العربي، حيث نتتبع مختلف المناهج النقدية الروائية المعاصرة، وكذا الآليات والزوايا التي توقفت عندها هذه المدونات من أجل بيان بنية ومدلولات وجماليات المدينة العربية في منظور الروائيين العرب منهم والغرب.

الكلمات الدالة:

المدينة العربية ,النقد العربي, الرواية ,الفضاء, الريف.

سعيدة حمداوي: المؤلف المرسل: ssaidahamdaoui@gmail.com

Abstract:

This research paper is concerned with presenting the most important Arab fictional blogs concerned with the narration of the Arab city, and we stop at how Western and Arab critics deal with this part related to one of the components of the narration, which is the place or space, and we highlight the dialectical relationship that links the city to the countryside and represents it in Arab narrative criticism.

Key words:

Arab city, Arab criticism, novel, space, countryside

1 - مقدمة:

بين أفلاطون جملة من الشروط التي على الفنانين والشعراء التزامها ليحظوا بشرف الانتماء إلى مدينته المثالية، ويصبحوا مواطنين تجمعهم جمهوريته الفاضلة، وهي أن تتلاءم "الموسيقى والأدب والعمارة والتصوير مع معايير أخلاقية معينة. ويتوقف الفن عن كونه تعبيرا عن الشخصية الفردية، لأن عليه أن يخدم مصالح الدولة وحسب والدولة هي التي تحدد ما هو خير وما هو شر، وما هو جميل أو قبيح... كما يجب أن يخير الشعراء على "يضعوا على قصائدهم صورة الخير وحده أو يمنعوا من قرض الشعر"[1]؛ ما يعني أن على الشعراء والموسيقيين والمهندسين والرسامين أن يضمنوا قصائدهم مواضيع تمجد الدولة، وترسخ الأخلاق والمثل. وفي حال لم يمتثلوا لهذه الشروط يطردون من المدينة وينفون منها ويحرمون من الدخول إلى أسوارها، وهذا ما يؤكده أفلاطون في قوله: "ويبدو لي أنه إذا حضر مدينتنا رجل ماهر في اتخاذ كل الأساليب ليعرض على الجمهور أشعاره فسوف نكرمه تكريم كائن مقدس، ولكننا تخبره أن لا مكان لمثله في مدينتنا ونصرفه إلى مدينة أخرى، بعد أن نعطره بالمسك ونتوجه بالغار. أما نحن فلا يناسبنا إلا شاعر وقصصي أكثر جدية وأقل سحرا يناسب خطتنا ولا يحاكي أسلوب الأمناء من الناس ولا يتخذ إلا اللغة التي وصفناها منذ البداية عندما حددنا منهج تربية الحراس"[2].

وقد وردت المدينة -علاوة على ما تم إيراده في "الجمهورية" - في محاورات أفلاطون بالتحديد "محاورة فايدروس" حين خاطب سقراط صديقه فايدروس في إحالة من أفلاطون إلى طريق الفيلسوف والسفسطائي وعلاقتهما بالمدينة، ذلك "أن الفيلسوف يخالف السفسطائي في طريقته، فالسفسطائي يجلس داخل المدينة، محددا بيوتها وأسوارها، أما الفيلسوف فيسير خارج سور المدينة، متحررا من جدران بيوتها ومن سورها، وأفلاطون يحدد طريق الفيلسوف بقوله: إنه طريق طويل وإن اتجاهه هو أولا الخروج من البيت والتحرر من جدرانه والخروج من المدينة والتحرر من سورها، ثم السير إلى سور المدينة ويصل إلى السور ولكنه لا يدخل المدينة والعودة من السور"[3]؛ ما يعني أن الفيلسوف، هو من يتحرر من قيد المدينة وأسوارها، وينفتح على رحاب أوسع من الأفضية المنفتحة على الحياة.

وناقش ابن خلدون في مقدمته العديد من القضايا المرتبطة بالمدينة وفق منظور اجتماعي حيث ذهب في الفصل السابع الموسوم ب: "في أن المدن والأمصار بافريقية والمغرب قليلة"، إلى أن قلة المدن سببها البداوة التي وسمت البربر والعرب علاوة إلى أن المدن تتطلب من ساكنها التمتع بحس الحضارة وتذوق الترف والدعة والسكون، وهذا ما لا نجده عند البدو المتميزين بالعصبية والافتخار بالأنساب[4]. ويوضح في الفصل الثالث عشر "في قصور أهل البادية عن سكنى المصر الكثير العمران" أن البدو لم يتمكنوا من السكن في المدن لغلائها، "والسبب في ذلك أن المصر الكثير العمران يكثر ترفه كما قدمناه، وتكثر حاجات ساكنه من أجل الترف(...) فتنقلب ضرورات وتصير الأعمال فيه كلها مع ذلك عزيزة والمرافق غالية بازدحام الأغراض عليها من أجل الترف، وبالمغارم السلطانية التي توضع على الأسواق والبياعات"[5].

وعلاوة على ما جاء به التفكير الإنساني عن المدينة، طرح النقد الروائي العربي هو الأخر رؤيته حول هذا الموضوع، وقدم مجموعة من الدراسات التي قاربت الفضاء المديني من زوايا فنية متعددة. وعليه، سنحاول الإجابة عن بعض التساؤلات، أهمها:

-كيف قرأ الناقد الروائي العربي والغربي نصوص رواية المدينة العربية؟

-كيف عرض النقد الروائي العربي المعاصر المكان المديني مقارنة بالمكان الريفي؟

-وما هي أبرز المناهج المعتمدة في دراسة المدينة في النص الروائي؟

2 - المدينة في النقد الروائي الغربي:

يشير بعض النقاد إلى أن نشأة المدينة كانت من بين أهم أسباب ظهور الفن الروائي، وأن الثورة الصناعية بما فرضته من علائق جديدة جعلت من الرواية "واحدة من صناعات المدينة البرجوازية الحديثة، إنها ابنة هذا الفضاء، الذي ما فتئ يمد مولوده بما ينميه ويطوره بوتيرة سريعة تضاهي تطوره"[6]، وتدفع به إلى التجدد والتطور ومسايرة المتغيرات التي عرفها المجتمع المديني. من هنا، تجاوز الروائي التصوير النمطي للحياة المدينية إلى اختراق استهدف "فضاء المدن الصغيرة والبلدات كذلك، (...) وأصبحت المدينة مادية وقاسية وقذرة وهو ما انبرت الرواية إلى تصويره بصفة عالية وغير مسبوقة"[7]، أدت إلى تعمق أجواء الصراع والتوتر بين الشخصية والفضاء الذي يحتضنها. وتحول الروائي إلى نبذ فضاء المدينة والثورة عليه "من خلال تعريته والكشف عن تناقضاته وفضح بعض تركيباته الاجتماعية الفاسدة"[8].

أكد رولان بارت على أن أي محاولة تستهدف الكشف عن سيميائية المدينة تستوجب على الدارس أن يكون مختصا وملما ب"علم العلامات وجغرافيا ومؤرخا حضريا ومهندسا معماريا وربما محللا نفسيا أيضا"[9]؛ في إشارة إلى تعدد أبعاد هذا الفضاء الحيوي، وتشربه معارف وجب مراعاتها في أي مقاربة نقدية.

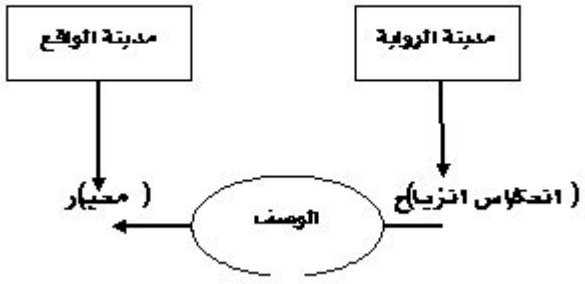
ذلك أن المدينة ليست مجرد فضاء مفرغ، إنما عنصر له محمولاته المنتجة للدلالة تجعله يستقطب حوله بنيات ذهنية وثقافية ومجتمعية مختلفة، تؤثر في البنية النفسية المعقدة للإنسان. أما **ميخائيل باختين** فيرى أن الحبكة بوصفها خلفية في القصص الكلاسيكية تنبني على المدن. وعليه، يمكن استبدالها بأخرى.

أما **جان** إيف تاديه فقد عرض تصوره عن المدينة في الرواية الأوروبية في كتابه "الرواية في القرن العشرين" حيث يرى أن أكثر الروايات الكبرى مخصصة للمدينة، ذلك أن المدينة تتشكل كالرواية. وفي إشارة إلى دور المدينة ينفي أن تؤدي البيوت والشوارع والحدائق وظيفة وصفية أو أن تكون مجرد ديكور، بل "وظيفة كل واحد من هذه الفروع هي أن يظهر كلية المدينة وكأنها شخصية حقيقية"[10] ؛ ما يعني أن بيان تفاصيل المدينة في عمل روائي ليس الهدف منه تدعيم الجانب الجمالي للنص، بل انخراط هذا الفضاء في تركيبة الرواية، وتشغيلها محركات التأويل لدى القارئ. فضلا عن ذلك تعد "أفق الحدث، ولكنها مشارك فيه أيضا ويجعل نفسها ممثلة فيه (...) فالمدينة خارج له "داخل" تحاول إدراكه. إنها تستقبل وتزيح. إنها تسلسل لذلك يبحث الوصف عن جوهر في العمق، أو عن سطح للوصف، أو عن نظام القيم"[11].

كما أن نموذج الرواية الجديدة منح المدينة حضورا مغايرا لم يجانب أصل نشوء هذا النوع من الرواية المنتفض على كل معلم واقعي في الخطاب، "ويمكن للمدينة أن تفلت من المعايير الواقعية هنا على الرواية بنينتها كما لو أن الأمر يجري على رقعة الشطرنج التي تحمل كل مربع منها قصة"[12] ؛ ما يعني أن توظيف المدينة عند أعلام موجة الرواية الجديدة كان طوباويا، وكان التلاعب بمعالمها سمتا واضحا في هذا النوع من الرواية.

من جانب أخر، فصل تاديه الفوارق بين مدينة الواقع ومدينة الرواية، ذلك أن الأولى تحقق وظيفة توفير السكن والسماح لحياة اجتماعية حول ميدان تدور فيه الحياة السياسية والاقتصادية، أما المدينة ذات المنحى الأدبي أو مدينة الرواية، فهي التي تتحول بالمدينة من شكلها التخييلي إلى طابع محسوس، "وتتبنى المدينة الخيالية، لتواجه المدينة الواقعية التي طالما أثمرت الجنس الروائي"[13].

شكل1. المدينة بين الرواية والواقع



دعم تاديه موقفه بقراءات استهدفت مجموعة من الأعمال الروائية منها رواية "البحث عن الزمن المفقود" لـ مارسيل بروست، وروايات "الغثيان"، "الطاعون"، "الغريب" لـ ألبير كامو "في التيه" لـ روب غرييه وغيرها. إذ يشير إلى أن بروست أسس المدينة البروستية، ذلك أن باريس بروست ذات الشكل الأدبي تختلف عنها في شكلها التاريخي، "وقبل أن يؤسس في المدينة نفسها متحف للملابس وآخر لتاريخ الموضة. كانت أيضا عاصمة الحرب الحديثة، الحرب العالمية الأولى، المدينة التي عرفت الحرب وجود العسكر (...) مدينة الفنون وللمهارة وباريس الشخوصة الآلهة"[14].

في حين أن كامو في رواية "الغثيان" شكل مدينة ليست عاصمة بل مدينة لامبالية، غير أنها تتشكل في بعده الميتافيزيقي يضاهي به البطل وحدته، أما رواية "الطاعون" فهي رواية مدينة، "وهران هي التي تفتح القصة وتختمها وأن لها في الرواية صورة لا محاباة فيها، (...)، والطاعون كارثة أصابت كل المدينة التي تحولت حينئذ إلى شخصية رئيسة، ليس سكانها إلا عناصر جزئية ورمزية، ولكي تكتسب الرواية قيمة الإنذار والفلسفة والتراجيديا، (...) وإنه لمن المناسب أن تسمى هذه المدينة وهران إنها تعرف المصير المأساوي للمعاصرة المجهولة، وللتاريخ القاتل وللموت العبثي: لذلك هي بلا سر وبلا جمال (...) ووهران إذن مدينة معاصرة كل المعاصرة ذات مظهرة قيمة له، كالحياة التي نعيشها فيها"[15]. أما رواية "أوليس" لـ جيمس جويس فمنحت صورة متكاملة لمدينة دبلن يمكن بواسطتها بناء المدينة في حال اندثارها انطلاقا من الرواية.

ليخلص إلى أن مصير بعض المدن كان مرافقا لمصير الشخصية في رواية القرن العشرين فتتوافق باريس في رواية "في البحث عن الزمن المفقود" مع السيرة الزمنية والروحية للراوي،(...) ويتوافق بشكل أكثر عمومية موت البطل مع موت المدينة، ولكن مدنا أدبية أخرى هي أقل اتباعا لتصور الشخصية عبر القرن"[16].

3 - ثنائية المدينة والريف في النقد الروائي العربي:

قابلت الرواية فضاء المدينة المتسم بتجريدية الحياة فيها ببساطة وشباب العالم على حد وصف تاديه الذي يتسم به فضاء الريف. مع أن الواقع يثبت أن في المدينة "أحداث هي أكثر بألف مرة مما في الريف، ولكننا لم نعد في حالة تسمح لنا أن نربطها بذاتنا حالة متعارضة[17]. وهذا لم يمنع من أن تعرض بعض الدراسات النقدية ثنائية المدينة والريف بشكل متعارض، كما هي مقاربة رشيد بن مالك لرواية "ريح الجنوب"، إذ ينطلق من حالة الشخصية نفيسة ومن قيمة

المنع المتأتية من المعيق الفضائي الناتج عن "التمييز القائم بين الرجل والمرأة، بين الأنوثة والذكورة توزيعا فضائيا خاضعا لنظام القيم الذي يحكم علاقات الفاعلين في المجتمع. وكل تغيير في الفضاء يرافقه تغيير في القيم"[18]؛ ما يعني أن انتقال نفيسة من المدينة إلى القرية نتج عنه انتقال من نظام اجتماعي ينظر إلى المرأة والرجل بنظرة تغيب عن نظام مغاير يفرضه الفضاء. فالرجل الذي تعرضه الرواية مواجها لنفيسة هو عابد ابن القاضي المتملك فضاء القرية، "وفي / الهنا / ذاته، وبالمقابل، تجد نفيسة نفسها ملكا لفضاء يعد اختراقه ممنوعا على أساس هذه المعطيات، تبدو الحياة في القرية مستحيلة ويبقى حنينها إلى المدينة مربوطا بجمال إطارها: (...) يمثل فضاء المدينة حياتها وحدود عالمها"[19].

وعليه، تشتغل الرواية على فضائي القرية والمدينة؛ الفضاء الأول أثبت مأساويته لاجتماع كل أسباب اليأس والضياع، والفضاء الثاني ولد مشاعر الحنين؛ ما يعني انوجاد مقابلة أساسية بين الفضاءين بناءً "على فروقات جوهرية متجانسة، على صعيد المدلول، مع طبيعة العلاقة الاجتماعية الموجودة بين الرجل والمرأة ولبلورة هذه العلاقة يجدر تتبعها على مستوى أخر يجسده الفعل الذي يمارس الفضاء"[20].

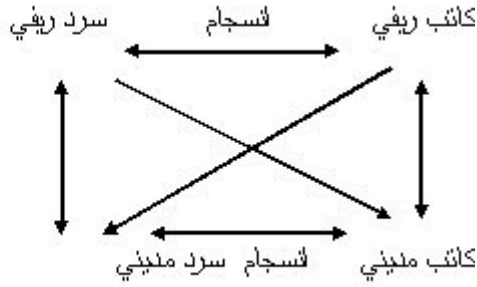
يشير محمد حسن عبد الله في كتابه "الريف في الرواية العربية" إلى أنه من النادر أن يسيطر الريف على كامل فضاء الرواية بسبب بطئ وتيرة الحياة وعزلته، ما يجعل من الأهمية تدخل المدينة بما تمتلكه من حركية متسارعة. وفي استعراض لبعض الروايات العربية يخلص إلى أن " في الرواية الفنية الأولى كانت "زينب" من القرية، وكان حامد من المدينة، قامت بينهما صلة ما، ولكنها لم تصل حالة التفاعل (...)، ليس بينهما شيء مشترك لا الحب لا المصير ولا الأمل ولا العمل وفي "دعاء الكروان" كانت القرية تقوم بدور مورد الخدم إلى بيوت السادة، ولكنها عبرت عن تطلع لاحتلال موقع جديد، هو تطلع يمتزج فيه

الحب والشر، بادعاء التملك (...) فنزول ابن المدينة إلى القرية تنازل، وهو حاكم يقول فيطاع، كما في "يوميات نائب في الأرياف""[21]؛ وقد أكدت هذه الروايات وغيرها البعد التصاعدي من الصراع بين المدينة والريف، بوصف هذه الأخيرة ضحية أو مجرد تابع للمدينة، وقد تتسع هوة العزلة والتمرد والتغرب بين هذين الفضاءين حال التقائهما، غير أن هذا لا يمنع من أن الروائي يمكنه "أن يعرض لأمور من حياة الناس، ومن أطوار المجتمع، أدل على شمول خبرته ودقة رصده وحسن تعليله، وصدق تمثله لواقع الحياة، على نحو أجود مما لو طال ف حدود عالمه الروائي بحدود عالم القرية"[22].

يرجع صلاح صالح السبب في أن ميلاد الرواية العربية الحديثة عرفته المدينة إلى ضوابط "إجرائية خالصة أكثر مما يرتد الى أسباب اجتماعية أو ثقافية، إذ كان من غير الممكن ظهور الرواية خارج المدينة، لاستحالة تحقق ذلك من الناحية الطباعية وسواها من تقنيات صناعة الكتاب، ومع ذلك كانت تلك الروايات التي ظهرت في المدن رومانسية النزعة وتجري أهم أحداثها في الريف"[23]. وهذا لم يمنعه من الإقرار بأن في تنوع المدينة ما يستحق السرد والاشتغال الفني أكثر مما يحتويه الريف.

إن صعوبة تصنيف الأعمال الروائية احتكاما إلى انتماء الروائي إلى المدينة أو الريف تبدو حسب صلاح صالح غير مجدية من الناحية النقدية الإجرائية، بالنظر إلى أن هذا الفصل يجعل النص وقراءته والحكم عليه رهين أصول الروائي، والأهم أن تحديد انتماء الروائي العربي لن يكون دقيقا حين يتعلق بالمدن العربية التي تحولت إلى صفة المدينية نتيجة نزوح سكان الأرياف إليها. ويقترح أن يكون الفيصل في ذلك مكان الأحداث سواء في المدينة أو الريف أو تتبع أي عنصر جمالي في الرواية مع اسقاط تتبع الفضاء الأصلي للروائي. من هنا، يُمثل للتداخل بين سرد الريف وسرد المدينة بالترسيمة الآتية[24]:

شكل2.سرد الريف وسرد المدينة



يمكن قراءة هذه الترسيمة بالطريقة الآتية: إن سرد المدينة أو سرد الريف لا يحتكره روائي ينتمي إلى فضاء على حساب الأخر، وهذا لا يؤكد أن الرواية الحديثة احتكرت الأمكنة والعلاقات المدينية لسبب جوهري؛ هو أنه من غير المجدي نسب الإنتاج الروائي إلى فئة طبقية أو بيئة دون الأخرى.

وفي معرض حديث صلاح صالح عن تجاذب توظيف المدينة والريف في الأعمال الروائية العربية يقترح تقسيما يستمد أصوله من انتماء الروائي من غير لبس، يختصره الجدول الآتي[25]:

جدول1. حضور المدينة والريف في الرواية العربية

المدينة والريف في الرواية العربية			
تعاطف داخلي للكاتب المديني باتجاه مدينته	تعاطف خارجي للكاتب الريفي باتجاه المدينة	تناول داخلي غير متعاطف	تناول خارجي غير متعاطف
تمثلها روايات نجيب محفوظ، و"رامة والتنين"، "الزمن الأخر" لإدوارد الخراط	تحضر المدن الأوروبية في الروايات العربية "الزمن الموحش" حيدر حيدر	يرى مدينته بدرجة من السوء كافية لكيل اللوم "الخبز الحافي"	يَحمل الكتاب الوافدون إلى المدينة هذا الفضاء مسؤولية عن كل ما عانوه

4 - المدينة في النقد الروائي العربي المعاصر:

عرض النقاد والدارسون العرب مكون الفضاء المديني بشتى المناهج النقدية ومن مختلف الزوايا، فهذا محمد عزام يعرض منظوره للمدينة في رواية "مدارات الشرق" لـ نبيل سليمان مستعينا بالبنيوية التكوينية، إذ ربط وعي الشخصية عزيز اللباد بمدينة حلب هذه الأخيرة كانت السبب في انضمامه إلى الحزب الشيوعي، إذ تتحرك في مدينة دمشق "الشخصيات البرجوازية والهامة: (الباشا شكيم) الشخصية السياسية المعتدلة الذي يتم ترشيحه إلى رئاسة مجلس الوزراء"[26].وقد بين صالح صلاح أن الروائي سرد المدينة وفق ثنائية

التداول، والموزعة على أربع مجموعات رئيسة - من غير أن يعني هذا التوزيع اشتمال الرواية العربية عليها جميعا - يختصرها الجدول الآتي[27]:

جدول2. مساحة سرد المدينة العربية

مساحة سرد المدينة العربية			
تنبني على مدن معزولة عن الامتداد بأحداثها إلى خارج نطاقها المتعين كالعاصمة في "فوضى الحواس"	تقوم على مدن لم تعين بالتسمية الواقعية أو بالتعين الإيحائي "أبواب المدينة" إلياس خوري	ارتبطت هذه المدن بنهب ثروات المنطقة كنوازيتو الموريتانية في "الأسماء المتغيرة" أحمد ولد عبد القادر	تؤسس على مدن ممتدة "البحث عن وليد مسعود" جبرا ابراهيم جبرا

السؤال الأهم الذي يطرح في هذا السياق، هو: هل سرد الروائيون المدينة أم سردوا نواقصها؟ وانطلاقا من ذلك يرى صلاح صالح أننا من البداية يجب أن نفرق بين المدينة المسرودة عبر الرواية العربية، والمدينة المتموضعة في الواقع، وهذه الأخيرة لا تعني الدراسة ويدعو بالمقابل إلى "ضرورة حجب الصفة المرجعية عن مدينة الواقع، إذ لا يجوز عد الواقع مرجعا لمناقشة الفن ومغايرته، أو منحه قيما بناء على مدى اتصاله بالواقع، أو محاكاته له"[28].

إن ما يحقق للمدينة جماليتها في الرواية العربية هو توفر مجموعة من السمات، من بينها؛ الوفرة والتنوع، ويقصد به تنوع البشر والأبنية والمنشآت والسيولة وتحقيقها لعنصر المتاهة والآلفة. ويؤكد أن جماليات المدينة تتجلى

بشكل بارز "في طريقة سرد نواقصها، ومختلف أشكال قدرتها على قهر أبنائها، وعلى تنفيرهم منها"[29]؛ ما يعني أن ما كتب عن المدينة في الرواية العربية سرد قبح المدينة العربية، في حين أن سرد جمال المدينة كان من نصيب المدينة الغربية.

شكل1 .جماليات القبح في الرواية العربية



تطرق صالح صالح بالتحليل إلى مجموعة من المدن العربية، ومنح كل منها سمتا مركزيا، وسنركز في هذا الموضع على مدينة الجزائر حيث اعتبر أن سرد هذه المدينة خالف واقعها؛ فجاء مضادا مفارقا بالنظر إلى أسباب تاريخية مرت بها الرواية الجزائرية التي عرفت الرواية النضالية، وكان ما سردته عن المدينة محكوما بمختلف مقتضيات الفعل النضالي جعلها مدينة مغلفة في وجه الغريب(المحتل) تنبذه وتلفظه، في مقابل وظيفة الحماية والحنو والحجب لأبنائها المناضلين، أما الرواية التي زامنت مرحلة الاستقلال، وهي الفترة التي انتقت منها دراسته عيناتها عن المدينة المسرودة. والسبب المرتبط بتاريخ الجزائر فبرره بسيطرة "الحياة الريفية وقضاياها، وهواجسها مساحة تفوق ما يجري في المدن، (...) بحيث تضاءلت الهموم المدينية في هذه الرواية بسبب تضاؤل الكم الذي تناول المدينة، أو اتخذها فضاء تخيليا، من جانب. وتضاءلت أيضا مساحة الأنساق المخصصة لرسم المشاهد المدينية، وخصوصا جوانبها المعمارية، من جانب أخر"[30].

من كل ما سبق، استنتج صلاح صالح طغيان سمة امتناع المدينة الجزائرية عن صفة الترحيب في جل الأعمال الروائية المستهدفة بالدراسة، انطلاقا من الخصائص التي يجمعها الجدول الآتي:

جدول3. مظاهر امتناع المدينة عن الترحيب في الرواية الجزائرية

مظاهر امتناع المدينة عن الترحيب في الرواية الجزائرية		
غياب المشاهد المدينية الجزائرية	مدينة القمامة	تمويت المدينة وعرضها للبيع
تجعلها رواية من غير مكان "تجربة في العشق"	سرد المدينة النظيفة من الناحية الواقعية على أنها وسخة، أمر يثير التساؤل والارتياب "التفكك"	يتم رهنها لمصلحة ذوي النفوذ "تجربة في العشق" وتمويتها عبر السرد المباشر لمظاهر الموت والمقابر

من جانب أخر، اهتم نبيل سليمان بالتسمية الكنائية أو استراتيجية اللاتعيين الذي اتخذته بعض المدن الروائية من أجل "هتك الديكتاتورية والحرب، وعلى تعرية الذات والأخر"[31]؛ ما يعني أن لا تعيين المدن العربية في الرواية العربية، وتغليفها كنائيا بتسميات غير واقعية الهدف منه مراوغة القارئ بأسماء تخفي من الناحية الجمالية أكثر ما تبوح به، وتفجر النص وتكثفه بمنحه بعدا تجريديا ساخرا. وعليه، اختارت رواية "الحب في المنفى" لـ بهاء طاهر أن تكون مدينتها تحت مسمى (ن)، المنتمية إلى الفضاء الأوروبي، أما مدينة مؤنس الرزاز في "سلطان النوم وزرقاء اليمامة" هي "شبه مدينة الضاد"

يسكنها أشباح المقابر"، وتتخذ المدينة الروائية الاسم الروائي للبلد أو الدولة وتمايزها بالزمن الذي توقع له نكبة فلسطين عام 1948 "عربستان 48"، "عربستان 49"...، كما في رواية غازي القصيبي "العصفورية"، وتشظت مدينة هاني الراهب في "رسمت خطا في الرمل" بوصفها مدينة (ماذا) و(متى) و(كيف) وهي مدن دول النفيطيات: نفطية ألف، "نفيطية ياء"، "نفيطية دال".

في حين، يمتنع عبد الجبار العش عن تسمية مدينة روايته "وقائع المدينة الغريبة" ويكتفي بالصفة (الغريبة)، وهي المدينة التي تقتل مثقفيها، والمغرقة في الفانتازيا حد الرعب، وتنفلت "عربانيا" الدولة ذات الولايات العشرين التي تحمل أسماء أصنام العرب مدينة أبو بكر العيادي في "أخر الرعية" من الجغرافيا، وتعود المدينة الروائية (نوميديا – أمدوكال) في "المخطوطة الشرقية" بعد أن كتب عنها واسيني الأعرج في رواية "رمل المايا"، إذ يعرضها وقد أتت الحرب عليها، في الليلة الثالثة من الزمن الميت.

هذا عن اشتغال المدينة العربية في الرواية العربية، لكن ماذا عن صورة المدينة العربية في الرواية الغربية؟ من أجل الإجابة عن هذا السؤال سنتوقف عند كتاب "إعادة كتابة الرواية العربية في الرواية الغربية" لـ معجب العدواني الذي انتقى لدراسته مدونات روائية غربية اشتغلت على الفضاء المديني العربي الشرق أوسطي، وطبق عليها آليات نقد ما بعد الاستعمار ودراساته حيث بين أنها جميعها استندت إلى خطاب غربي معاد يؤصل لكراهية كل ما هو شرقي، جعلت "التخييل الكتابي الغربي يعيد كتابة المدينة، لا لتبدو مقارنة لما هي عليه واقعيا، ولا تتكشف جماليا كما يمكن أن تكون تخييليا، بل لتتراءى واقعة مستقة في دائرة التمثيلات السلبية التي تلائم الكلاسيكيات الغربية وخطاباتها الاستعمارية"[32].

استثمرت الرواية الغربية الفضاء المديني من أجل تشكيل تمثيلات مغرقة في السلبية والدونية على عدة مستويات؛ أولها على مستوى الخطاب الديني انطلاقا من ترسبات تبدو جديدة للمدينة العربية، تعتمد على رسمها بالصيغة الدينية، واختارت لذلك وصف المدينة المتطرفة أو المتعصبة، إذ رسخت المدونات الروائية مجال الاشتغال الكراهية بكل أشكالها سواء بتغييب كلي للمدينة العربية واعتبارها أماكن لا قيمة لها، وإشعال فتيل الكراهية في ثنايا النص كما هو مجسد في رواية "المهدي"، إذ "يقوم التصور الغربي على أن المدينة العربية لا تستحق مزيدا من الوصف، فليس لها ما يغري من التفاصيل لوصفها، وذلك في حضور مدن غربية في الرواية نفسها، أولى بالوصف"[33]. أو بذكر المدينة لتغيبها وتشويهها أو باستحضار المكان الجزئي كوصف المساجد في رواية "عملية دمشق".

بدت تمثيلات الكراهية في الخطاب الاقتصادي متجلية في نظام استعماري غربي متطرف حرصت الكتابة الرواية الغربية الحديثة على تجسيده في تصويرها وتمثيلها للمدن العربية "استهدف الوصول بالقارئ إلى تجسيد التطور المدني الذي شهدته تلك المدن". والتقليل من المنجز الحضاري الذي حققته تلك المدن، ونسبته إلى جهود غربية استعمارية"[34] سواء بعرض تمثيلات المدن العربية غير النفطية والنفطية. وقد كان للتاريخ نصيبه في تمثيل الكراهية على مستوى خطابه، حيث اقتصر "تناول تاريخ المدينة العربية القديم، في العصور الوسطى إذ يمثل التاريخ حقل الصراع والتحرر الإنسانيين وكان الموضوع الأخر متصلا بالتاريخ الحديث للمدينة العربية من المنظور الغربي، إلى جانب الاستعانة بتلك التمثيلات التي عكست صورة المعارك الكبيرة التي وقعت بين العرب أو العثمانيين من جانب، والأوروبيين من الجانب الاخر في الوجدان الأوروبي"[35].

وإلى جانب التمثيلات المركزية للمدينة العربية في الرواية الغربية تتجلى تمثيلات فرعية تعرض صفة القبح في شكله المتتالي أو المفرد في المدينة العربية الشرق أوسطية، بل وتؤكد فعل التقبيح السردي وترسخه، بتجنب أي ملمح جمالي في هذه المدن. فضلا عن توظيف السخرية والفكاهة، وهو ما قدمه للقارئ عمل ماتيل "ثمانية أشهر في شارع غزة". ولا تغيب التمثيلات الشبقية التي جعلت المدينة العربية فضاءً لممارسات خطابية استعمارية، وتحضر التمثيلات الغرائبية النمطية المستوحاة من كتاب ألف ليلة وليلة مستعرضة الجانب التراثي والمختلف عن المدن العربية، ومؤكدة العلاقة الطباقية بين الغربي والأخر العربي.

5 - خاتمة:

نخلص في الأخير إلى جملة من النتائج والملاحظات نجملها في الآتي:

1 - استأثرت المدينة باهتمام النقد العربي المعاصر على محدودية المدونات النقدية، باعتبارها فضاءً مركزيا تنبني عليه الخطابات الروائية، ومساحة تخييلية تختزن طاقة الإبداع الروائي، وعلامة دالة تحدد خصوصية التجربة الإبداعية، بالنظر إلى مدى أصالتها وتفردها، واعتبارها إشكالية جمالية ومركز ثقل ومرتكز إلهام العمل الروائي.

2 - تكمن أهمية حضور فضاء المدينة في النصوص الروائية العربية في تحديد البعد الجغرافي الذي تسلكه الأحداث أو تنقل مجرياته بقدر ما تسهم عناصر أخرى بما في ذلك من تأطير علائق الشخصيات داخل أمكنتها وأزمنتها.

3 - لم يقابل النقد العربي المعاصر المدينة في الرواية العربية بمكانة مميزة مقارنة بباقي العناصر السردية، وما كتب غيب عديد المناهج النقدية التي لها

قدرة على تفكيك شبكة هذا المكون السردي المركزي بالنظر إلى أن الرواية قائمة على التنوع والتركيب اللذين يسمان مدينية أية مدينة.

4 - أجمع النقاد العرب على ضرورة الفصل بين الريف والمدينة، وإحداث نوع من التصارع السردي بينهما والذي لا يعدو كونه فصلا افتراضيا فرضته السياقات السردية لبعض النصوص الروائية.

5 - ارجعت القراءة الاستشراقية حضور المدينة العربية في الرواية الغربية بوصفه نتاج خطاب استعماري له تمثيلاته السلبية الموروثة الضاربة في العتاقة، والتي رسمت صورا سلبية معادية للشرق لا واقعا حضاريا له إيجابياته وسلبياته.

الإحالات:

[1] - برينري، ماريا لويزا (1997)، المدينة الفاضلة عبر العصور، تر/ عطيات أبو السعود، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ص: 50.

[2] - مطر، أميرة حلمي. الجمهورية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، ص: 56 - 55.

[3] - محسن، مهدي (1957)، الفلسفة والمدينة، مجلة الأديب ع 05، لبنان، ، ص: 53.

[4] - ينظر: ابن خلدون، (2004) مقدمة ابن خلدون، تح/ عبد الله محمد الدرويش، ج2، ط1، دار البلخي ، دمشق، ص: 28.

[5] - المرجع نفسه، ص: 38.

[6] - البوعزاي، خديجة. نشأة المدينة أو الوعي بالفضاء والجنس الأدبي، علامات ع 45، المغرب، ص: 153.

[7] - المرجع نفسه، ص. ن.

[8] - المرجع نفسه، ص. ن.

[9] - رولان. المغامرة السيميولوجية، ص: 261 نقلا عن حسن، سرحان. سيميولوجيا المدن أو المدينة بوصفها نصا، مجلة الصباح، الرابط الإلكتروني: http://www.alsabaah.iq/ArticleShow.aspx?ID=64235

[10] - تاديه، جان إيف (1998). الرواية في القرن العشرين، تر/ محمد خير البقاعي، الهيئة العامة المصرية للكتاب، ص: 125.

[11] - المرجع نفسه، ص: 101.

[12] - المرجع نفسه، ص: 131.
[13] - المرجع نفسه، ص: 99.
[14] - المرجع نفسه، ص: 103.
[15] - المرجع نفسه، ص: 118.
[16] - المرجع نفسه، ص: 118.
[17] - المرجع نفسه، ص: 129.
[18] - بن مالك، رشيد(2000). مقدمة في السيميائية السردية، دار القصبة للنشر، الجزائر، ص: 99.
[19] - المرجع نفسه، ص. ن.
[20] - المرجع نفسه، ص: 100.
[21] - عبد الله، محمد حسن (1989). الريف في الرواية العربية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ، ص: 151.
[22] - المرجع نفسه، ص: 152.
[23] - صالح، صلاح. (2014)، المدينة الضحلة تثريب المدينة في الرواية العربية، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ، ص: 44.
[24] - المرجع نفسه، ص: 41.
[25] - المرجع نفسه، ص: 41.
[26] - عزام، محمد. (1996)، فضاء النص الروائي مقاربة بنيوية تكوينية في أدب نبيل سليمان. ط1. دار الحوار، اللاذقية، ، ص: 119.
[27] - صالح، صلاح. المدينة الضحلة تثريب المدينة في الرواية العربية، ص: 45 - 46.
[28] - المرجع نفسه، ص: 55.
[29] - المرجع نفسه، ص: 87.
[30] - المرجع نفسه، ص: 300.
[31] - سليمان، نبيل. (2005)، أسرار التخييل الروائي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ص: 33.
[32] - العدواني، معجب. (2017)، إعادة كتابة المدينة العربية في الرواية الغربية، جامعة الإمام محمد بن سعود، السعودية، ، ص: 72.
[33] - المرجع نفسه، ص: 77.
[34] - المرجع نفسه، ص:96 - 97.
[35] - المرجع نفسه، ص: 111.

المراجع:

[1] - ابن خلدون، (2004) مقدمة ابن خلدون، تح/ عبد الله محمد الدرويش، ج2، ط1، دار البلخي ، دمشق.

[2] - برينري، ماريا لويزا (1997)، المدينة الفاضلة عبر العصور، تر/ عطيات أبو السعود، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

[3] - البوعزاي، خديجة. نشأة المدينة أو الوعي بالفضاء والجنس الأدبي، علامات ع 45، المغرب.

[4] - بن مالك، رشيد(2000). مقدمة في السيميائية السردية، دار القصبة للنشر، الجزائر.

[5] - تاديه، جان إيف (1998). الرواية في القرن العشرين، تر/ محمد خير البقاعي، الهيئة العامة المصرية للكتاب، .

[6] - رولان. المغامرة السيميولوجية، ص: 261 نقلا عن حسن، سرحان. سيميولوجيا المدن أو المدينة بوصفها نصا، مجلة الصباح، الرابط الإلكتروني: http://www.alsabaah.iq/ArticleShow.aspx?ID=64235

[7] - سليمان، نبيل. (2005)، أسرار التخييل الروائي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق.

[8] - صالح، صلاح. (2014)، المدينة الضحلة تثريب المدينة في الرواية العربية، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق.

[9] - عبد الله، محمد حسن (1989). الريف في الرواية العربية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

[10] - العدواني، معجب. (2017)، إعادة كتابة المدينة العربية في الرواية الغربية، جامعة الإمام محمد بن سعود، السعودية.

[11] - عزام، محمد. (1996)، فضاء النص الروائي مقاربة بنيوية تكوينية في أدب نبيل سليمان. ط1. دار الحوار، اللاذقية.

[12] - محسن، مهدي (1957)، الفلسفة والمدينة، مجلة الأديب ع 05، لبنان.

[13] - مطر، أميرة حلمي. الجمهورية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية.

مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ر ت م د: 7163 -1112 ر ت م د إ :1892-2588
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2

الموروث الشعبي في رواية كاماراد رفيق الحيف والضياع

لـ الصديق حاج أحمد

The Folk Heritage and Its Impact on the Algerian Novel, Camrade,Mate of Lostness written by Zaywani

فاطمي عبد الرحمان

1 -كلية الآداب واللغات جامعة غرداية الجزائر.
fatmi.abderrahmene@univ-ghardaia.dz

تاريخ الاستلام: 2019/08/01 تاريخ القبول: 2021/06/21

ملخص -

يتطلع هذا البحث إلى مقاربة ظاهرة توظيف الموروث الشعبي في الرواية الجزائرية، وذلك من خلال نموذج روائي جزائري معاصر، هو رواية "كاماراد رفيق الحيف والضياع" لصاحبه الصديق حاج أحمد الزيواني، ببيان تجلياته وأبعاده الجمالية والفنية، وإضاءة جوانبها في شقيها النظري والتطبيقيّ، ففي "كاماراد رفيق الحيف والضياع"، نجد بناءً روائيا مميزا انعكست فيه جمالية توظيف الموروث، بحيث تجلى هذا الأخير عبر تمظهراته، علامات سيميائية محيلة على دلالات مضمرة، في تجربة انفتح فيها السّرد الجزائري على أجواء إفريقيا العميقة العبقة بالتراث.

الكلمات الدالة:

توظيف . موروث . رواية . إفريقي . جمالية.

المؤلف المرسل: فاطمي عبد الرحمان: fatabe02@gmail.com

Abstract:

This paper seeks to investigate the phenomenon of using folk heritage in the Algerian; Camarad,Mate of Lostness by Elhaj Ahmed Ziwani as an example ,throughout the focus on the semantic and aesthetic dimensions in both theory and practice. In that novel "Camarad, Mate of Lostness", we an outstanding novelistic work that reflects the beauty of using heritage which is clearly shown through some semantic signs. All in all this literary narrative work could be considered as a prominent trial to shed light on the African rich heritage.

Key words:

"African", "aesthetic", "Heritage", "Novel", and "using"..

1. - مقدمة :

إنّ بروز ظاهرة توظيف الموروث بشكل واضح في كثير من الروايات الجزائرية، لم يتّأت إلاّ في العقود الثلاثة الأخيرة من القرن العشرين، وذلك في إطار ما اتبعته الرواية العربية، في سبيل تحقيق انتمائها إلى الثقافة العربية الخاصة واستقلالها عن الرواية الغربية (السرد الجزائري بدأ يستقل شيئا فشيئا عن المفاهيم الغيرية مكونا بذلك عالمه الخاص به، وهي ميزة طيبة وجب التأكيد عليها من أجل الاستثناء، لأن الاستثناء جوهر كل خصوصية إبداعية، ولا يمكن أبدا تحقيق الذات بالنقل من حيث هو إملائي،.. كما تدل على ذلك إبداعاتهم المؤثثة بمعارف ليس من السهل امتلاكها) [خ](السعيد بوطاجين،2005).

وهذا القول يدل على وعي الروائي الجزائري، بالعملية الكتابية التي تقتضي التجديد والابتكار، فمضى الكثير من الروائيين الجزائيين المعاصرين في فلك التجريب واللجوء إلى ضرب من الممارسة السردية متمثلة في الاستفادة من التراث (وكلما تعطلت تجربة أو توقفت ظهرت تجربة أخرى مستفيدة مما سبقها ساعية إلى استثمار عناصر فنية وتوظيف أشكال تعبيرية جديدة تناسب المرحلة الزمنية) [ر](محمد تحريشي،2007)، إلى الحدّ الذي يمكن فيه اعتبار التراث بنية من أبرز البنى السردية توظيفا وتكيفا واستفادة.

. ومن الأمثلة التي نجدها تطّعم نصوصها بالتراث، الروائي الحاج أحمد الزيواني، بداية في نصه السردي البكر (مملكة الزيوان)، وما اشتملت عليه من (تناصات مع الأشكال التعبيرية للأدب الشعبي من أمثال شعبية وحكم وتجارب رجال، عاشوا وتعايشوا مع الطين والفقارة) "(عائشة ابختي، 2017)،هذا التراث الوطني الذي استجلاه الزيواني في مملكته "مملكة الزيوان)، دعاه إلى أن يذهب جنوبا إلى ما وراء الصحراء الكبرى، أين نجد إفريقيا المتجذرة في التاريخ، إفريقيا التراث، هذا التراث الذي هو جزء من التراث الإنساني ككّل (وعلينا أن نستوعب جيداً هذه الحقيقة، وتبعا لذلك لابد لنا من الانفتاح على هذا التراث الإنساني غربيا كان أو شرقيا .... وإننا مطالبون بالإنصات إلى صوت التطور والعصر، ونعمل على فهم تراثنا في ضوء ما يتحقق من معارف وعلوم حديثة، لأن بهذا الصنيع يمكننا جعل تراثنا عصرياً وإنسانياً في العصر الحديث، ونعمل في الوقت نفسه على قراءة تراث الأمم الأخرى من نفس المنظور، ونفس الأهداف) " (سعيد يقطين، 2006 م).

حاول الزيواني أن يستحضر التراث الشعبي في نصه السردي الروائي بوصفه سياقا ثقافيا ومعرفيا (وتحاورا صريحا بين زمنين ثقافيين، زمن ثقافي غائب وزمن ثقافي حاضر، ومن جهة أخرى تجسيدا لمختلف البنيات الائتلافية ضمن نسيج النص الحاضر، إن توظيف التراث في النص السردي والرواية بصفتها مجالا سرديا أكبر، مفتوحا على كل التجارب الإبداعية و غير الإبداعية يستدعي شظاياها المنتقاة ليدمجها في فضائه مانحا إيّاها دلالات جديدة مغايرة لدلالاتها السابقة،ضمن نصها الأصلي)"(سعيد يقطين،1997م).

وهكذا جعل الزيواني من الموروث الشعبي الإفريقي، المنفذ السحري الذي اتخذه جواز عبور للثقافات والقوميات الأخرى والإنسانية ككّل، ومنهلا لا ينضب للإبداع والفكر "إذ أننا لا نعتبرها مع كثير من الباحثين مجرد بقايا قد أكل عليها الزمن, أو مخلفات مهملة من فضلات راكدة محتها الدهور الطويلة

والأزمان، فقد يقال بأنها حكايات وأساطير الأولين، أو هي بعض تجارب الإنسانية الفاشلة تواصل توالدها الذاتي في العصور الحالية "(الطاهر بلحيا، 2017).

سنقتصر على تعريف واحد للتراث، نمهدّ به للدراسة وهو ما ذهب إليه الدكتور محمد وتار في قوله: (وإذا كان لابد أن نحدّد مفهوما للتراث، ننطلق منه في دراسة موضوع البحث فإننا نختار التعريف التالي: التراث هو الموروث الثقافي والاجتماعي والمادي، المكتوب والشفوي،الرسمي والشعبي، واللغوي وغير اللغوي, الذي وصل إلينا من الماضي البعيد والقريب، "7(محمد رياض وتار،2002)، ميزة هذا التعريف تتمثل في الطابع الشمولي في تحديد التراث ، فهو يجمع ويلخص مقومات التراث كاملة، الثقافية كعلم الأدب والتاريخ واللغة والدين والجغرافية ... إلخ الاجتماعية كالأخلاق والعادات والتقاليد, والمادية كالعمران بالإضافة إلى أنه يضم التراث الرسمي والشعبي والمكتوب والشفوي، واللغوي وغير اللغوي.(محمد رياض وتار،2002).

2. - ـ الموروث الشعبي في كامراد (الموروث الثقافي المادي):

1.2. توظيف الغناء والرقص:

. ينطلق الزيواني من البعد المتجذر في الأفارقة، وهو الغناء والرقص الشعبي الإفريقي، إذ أن الإنسان الإفريقي ومنذ الأزل، كان يغني ويعزف على أبسط الآلات، معبّرا بواسطتها عن خلجاته ومشاعره، ورث من ذلك رصيدا ضخما من الرموز والدلالات الموحية تشكلت مع الزمن وتلونت بعبق التاريخ، الذي جعل كلّ فرد إفريقي يستمد منها نفسيته وتجربته البسيطة، ويعمقها ويستفيد من طبيعتها الرامزة التي تتسم بالشمول والاستمرار، والقدرة على اختراق حاجز الزمن والجغرافيا، فنقل بذلك الزيواني هذا الزخم من الموروث عبر شخصيته البطلة (مامادو) في الرواية، ورفاقه (إدريسو ،ساكو ،أليكس ، زينابو .... والبقية)، الدلالة الرمزية للرقص في الرواية قد تنعكس في معنى العفوية والبراءة والميل

الى التعبير الحسي عن الشعور، وربما يحتل عند البدائي مكانة مقدسة من حيث انه تعويض عن الطقس الديني المستمد من الشرائع.

أ/. الغناء:

إنّنا أمام منجز سردي يستقي مادته من الواقع المعيش، فقط تبقى صياغة الرواية ومزجها بالتخييل الذي يبقى عنصراً أساسياً في السرود، صحيح أن مفاصل الرواية منذ بدايتها توجه القارئ/ المتلقي إلى موضوع الهجرة غير النظامية، بدءاً بمقطع من أغنية "الحراكة" [المهاجرون السريون]"[9] (رشيد الخديري، 2018)، لمغني الراي شاب خالد، و هي من الأغاني التي تمّ توظيفها في الرواية توظيفا جزئيا و رامزا في الوقت نفسه، جاء فيها:(المستقبلْ مسدود/ ما أَبْقَى فالدوقْ حْتَى بَنّة/ ....الحوت و لا الدود.....)[10](الصديق أحمد الحاج،2016).

أغنية الحراقة فيها المفارقة بين الموت، لقمة في بطن الحوت في عرض البحر كنهاية محتومة أو محتملة على البقاء في بلاد الأفارقة، والمعيشة الخشنة التي يحاصرها الفقر، ومتاهة الحروب الأهلية، والمجاعة، وكلّ ذلك بخوض مخاطر البحر الأبيض المتوسط، نحو اللورد أو جنة الشمال كما يسميها وذلك في سبيل تحقيق حلم الهجرة إلى أوروبا، وهو (مقطع تشخيصي لواقع الهجرة، بحيث المستقبل غامض، ملغوم، والحل هو ركوب قوارب الموت، سيان، إما الموت في عرض البحر، أو أن تصير الأجساد لقمة للحيتان، وهذه العتبة السوداوية، تعكس الواقع المرير الذي يعيشه الأفارقة، هم يشيدون "قبورًا فوق الماء" بتعبير القاص المغربي الراحل محمد زفزاف.)[11]. (رشيد الخديري، 2018).

لعلّ اهتمام الأغنية هنا بهموم البطل ورفاقه وهواجسهم، هو الذي دفع الزيواني إلى الاستفادة من مُعطاها، الذي جعله معنى سيميائيا للعتبة الأولى المثبتة في الفصل الأول من فصول الرواية الناظمة لحكاية كاماراد، عبر تصوير أهوال يوم القيامة بإسقاطها على حال الإفريقي في رحلته، فأول مرحلة منها هي

القبر، التي وافقت في الرواية مكوث (مامادو) في بلاده الأم وبالضبط حالة الفقر والحرمان والبؤس، في حي شعبي بدولة النيجر يسمّى (جمكلي) فتوافق لفظة " الدود " من أغنية الشاب خالد، ليكون التوظيف للأغنية في النص الزيواني انطلاقة إبداعية تمهد لبقية المشهد الروائي.

ب/. الرقص الإفريقي :

المتتبع لرواية الزيواني يجد أنه لم يكثر من إيراد الرقصات المحلية، بقدر ما ركزّ على قيمة الرقص في حياة الإفريقي، فأهم ما يميز الرقص الشعبي هو الاختلاف في طريقة الأداء، على غرار أشكال التعبير الأخرى، فهي تتطلب الجو المناسب للأداء، ويبدو الطابع الجماعي الشعبي ميزة فريدة لها.

إذ هي دائما حاضرة في جميع المناسبات الاجتماعية والاحتفالات الرسمية وهي تصوير لحياة الإنسان الإفريقي الاجتماعية، التي تربط أساسا بكشف مختلف الظواهر الاجتماعية، فصار بذلك بعدا متوارثا في المفهوم الجمعي للأفارقة، و ثيمة ملاصقة لحياة الفرد الإفريقي، معبرة عن نفسيته وشخصيته ودالة على فرحه ومسراته، كما تعبر عن مأساته وأحزانه فنجده يقول في هذا الصدد:(الأفارقة يحبون الرقص.حتى في مظاهراتهم يمارسونه، استدعت ذاكرته أيام التمييز العنصري ورقص شعب الزعيم "نيلسون مانديلا" خلال انتفاضته ضد نظام بريتوريا العنصري... الزائر يخاطب نفسه ثانية: ألا ترى اللاعبين الأفارقة المحترفين عندنا في النوادي الأوروبية، عندما يسجلون الأهداف، يهرولون نحو زوايا الملعب، فيعبرون عن فرحتهم بلغة أجسادهم.. ما فعله سائق التاكسي في مشهد حي قبل ساعة، لا يبعد عن هذا، هو جزء من حياتهم ويومياتهم..) بر لخ(الصديق أحمد الحاج،2016).

ومن الخصائص التي يتمتع بها الرقص الإفريقي كذلك، ما يرتبط باللهجات المحلية، وهذا ما جعل منها وسيلة فنية يعتمدها الزيواني في الكشف عن بعض المظاهر اللغوية الخاصة بإفريقيا، فنجد رقصتين بلهجتين محليتين:

وردت في المقطع التالي: " الحديد المحشو في بطن الخرسانة، ظهر بشكل شبه كامل ...لم يبق منه سوى الصف الأرضي الأخير، الوقت يمر وتنصرم معه الأمنيات والتوق لمعانقة الحبيبة طاما الباريسية، أخيرا ومع منتصف الليل، نكون أجهزنا على كامل تلك المذكورة، أقمنا همهمة وتهليلا عند الانتهاء داخل الصالة، البعض منا رقص وردّد زِبوره: (أي صابو.. أي صابو ..) (Gـاي شيكا.. Gـاي شيكا..)" ترلخ (الصديق أحمد الحاج،2016).

الرقصة الأولى : (أي صابو أي صابو) وهي بلهجة الزرماوية وتعني (انا فرحان انا فرحان) يأتي شرح معناها في قوله" (قبضنا المبلغ تاما، رقص رقصة فرحي المعتادة، مرددا بلهجتي الزرماوية معنى (أنا فرحان): (أي صابو.. أي صابو..)"[14](الصديق أحمد الحاج،2016).

الرقصة الثانية : بلهجة الهوساوية " (وها هو ينقذنا من الموت!!. رقص رقصتي المعتادة..). رددنا خلالها: (أي صابو.. أي صابو..). الثلاثة من أهل طاوة، رددوا بلهجتهم الهوساوية: (Gاى شيكا.. Gاى شيكا..." سمالخ(الصديق أحمد الحاج،2016).

فالرقص هنا هو لون من ألوان التعبير الشعبي، فهو إذن يعبر عن الحالة النفسية للإنسان، ويمثل أيضا تراثا شعبيا بحيث ارتبط هذا الرقص باللهجات المحلية، إذ تبعث في نفس الجماعة الشعور والاندماج في الثقافة الجماعية والهوية، حيث ينقل لنا الكاتب جوا جماعيا شعبيا بكل صوره وحذافيره من رقص، وتجمع هذه الأجواء من خلال الثقافة الشعبية التي لعبت (دورا هاما في تحقيق هوية الشعب، فقد غلب عليها هاجس الاحتياج اليومي والطابع الرمزي والشعوري)□لخ(عبدالحميد بوسماحة، 2008).

2/2ـ الطعام التقليدي:

التراث الشعبي في باب الأكل حقل واسع، يتعامل معه جميع أفراد المجتمع سواء في الحياة اليومية العادية أو المناسبات المختلفة، فهو مجال خصيب للذاكرة الشعبية يحفظ تجاربهم، و لقد كان لهذا الزخم من التراث الإفريقي حضور واسع في النص الروائي الزيواني لثراء فضائه، و هذه وسيلة فنية مفضلة في التعبير عن المواقف و الأحداث ، خاصة أن الرواية ،تمثل لنا عينا لاقطة فطنة كأنها آلة تصوير فوتوغرافية، أو كاميرا تسجل كل شيء، حتى روائح الأطعمة ومذاقها، وطرائق إنضاج الطعام.

وقد جاءت الرواية محملة بالتراث الشعبي في نطاق الطعام التقليدي، و من بين المقاطع السردية الدالة على ذلك قول الراوي مامادو" روائح شواء الماينامـا في كل مكان، تذكرنا ادريسو و ماينامـاه بالسوق الكبيرة بنيامي انعطفنا نحو أحد الشوارع الكبرى، ....حتى وجدنا مطعما شعبيا، تنبهت حاسة الشم لدينا لرائحة الماينامـا ....جلسنا على الذات الكرتونية، بقي منا ثلاثة رفاق بلا مقاعد.. ليس هناك خيار في الوجبات، صحن بلاستيكي صغير، نثرت فيه ثلاث أو أربع قطع من لحم الماينامـا، المهم أنها لا تصل الخمسة، وضع بجانبها قدر قليل من البهارات الإفريقية الصفراء والبرتقالية وشرائح البصل، بالإضافة لنصف خبزة للواحد " [4] (الصديق أحمد الحاج،2016)، يمكن ملاحظة أن مكونات الوجبة تحيل على الحالة الاجتماعية المزرية للزبون، وما يعانيه من ابتزاز على يد التجار وقبوله على مضض بما يقدم إليه، بصرف النظر عن البعد الرمزي لوجبة الطعام كنظام كما يقول بارت.

المطبخ الإفريقي يعكس تقاليده الطبخ الشعبية الإفريقية التقليدية، وما نتج من أنواع طعام جديدة، بتأثير الاحتكاك أو الاستعمار الذي غزى القارة من الأوروبيين، أو الآسيويين الذين استوطنوا بعض المناطق الإفريقية، هذا مانجده في بعض الأطعمة المذكورة في الرواية مثل الأرز، المذكور بقوة في الرواية، وبما أن

مساحة القارة الإفريقية هي ثاني أكبر مساحة قارية، و مسكونة من قبل قبائل وأعراق و مجموعات اجتماعية عديدة ومتنوعة، فإن الطبخ الإفريقي متنوع وبشكل كبير من ناحية مكوناته أو طريقه تحضيره.

ومن هنا سنلاحظ في الرواية تقليدا مطبخيا إفريقيا، يأخذ شكلا رمزيا يتمثل في أكلة (الماينا ما)، تنتقل برمزيتها من الأطعمة العادية، إلى أن صارت اليوم تحتل مكانة متقدمة على لائحة الأطباق المفضلة لدى الأفارقة، كما أمست طبقا بمفردات عالمية وذاكرة محلية.

وهي الأكلة المتداولة على نطاق واسع من دول غرب إفريقيا، وهي " بلهجة هوسا بلاد الساحل ماي : صاحب ناما : اللحم "[1](الصديق أحمد الحاج،2016). و لئن كان حضور الماينا ما في هذه المناطق مرتبطا أكثر بها، فإنه سرعان ما تدرّج في التقاليد المطبخية السائدة، بفضل السياح يقول مامادو " كالعادة في مثل هذا الوقت ... يكون رفيقنا إدريسو عاده مبكرا من عمله لدى أحد التجار المتمثل في شواء لحم (الماينا ما) للسياح والميسورين "[2](الصديق أحمد الحاج،2016).

ونحن حين نتحدث عن البيئة الإفريقية التي صورّها الزيواني في نصه السردي، نجد سمة الفقر والحرمان تطغى على الصورة العامة للمشهد الحكائي، وقد يكون الواقعي منها كذلك، يتراءى الأمر بوضوح لقارئ الرواية حين يمهّد لذلك الكاتب بوصف دقيق لمكان تناول الطعام و للأواني المستعملة، وحتى الوجبات في حدّ ذاتها في قوله على لسان (مامادو) :" كنا على الحصيرة السعفية جهة الظل .... حينما جاءت أختي تحمل بيديها صحنا حديديا, ظاهره يكاد يطمس من الاصفرار .. كما كانت تحمل بشمالها، قدحا طينيا رماديا يكون ذلك الذي اشتريناه بثمن زهد عند الرفيق ساكو ... وأن ما يحتويه من غذاء وجبة شعبية يطلق عليها أسم هرا "[3] (الصديق أحمد الحاج،2016).

الوصف السابق لمامادو يفسر بطريقة غير مباشرة، الأسباب التي تجعل من الفتى الإفريقي محاولة تغيير الأوضاع بالهجرة، والتي هي بالمناسبة

التيمة.الرئيسية في الرواية، فمع تحرك الخيط الحكائي في الرواية يكون (مامادو) قد علّق على الأكلة الشعبية (هرا) التي ذكرت في المقطع السابق " وضعت صحن هرا وقدح الماء الطيني برفق على الأرض. تناولنا وجبتنا الخشنة " الخ "(الصديق أحمد الحاج،2016).

الوصف للوجبة بأنها خشنة يستدعي بيان مكوناتها وهذا ما شرحه مامادو للمخرج الفرنسي(جاك بلوز) عندما كان يسرد له قصة هجرته " ها أنا أقولها لك سوف لن أعيدها : هرا . كسرة من مسحوق الذرة المخلط مع حليب بقرتنا بكتو لاغير ...اللهم إلاّ الماء فلك أن تعبّ منه ما تشاء لأنه لا يباع و لا يشترى" "(الصديق أحمد الحاج،2016).

وهو ما يكشف كما أسلفنا عن الفقر والحرمان الذي يعيشه الإفريقي فالحكاية التي تشكل جسم السرد الذي اتبع في الرواية تدل على عوالم الشقاء والبؤس، وشظف العيش الذي رافق مامادو بطل القصة و رفاقه المهاجرون من البلدان الإفريقية..(الكاميرون - النيجر - ليبيريا - السنغال – مالي.....)، عبر محطات لا تقل عن سابقاتها في الظروف السيئة ونمط المعيشة المتدني

3/2ـ اللباس والزينة الشعبية :

. استطاعت الرواية (كاماراد) تزويدنا بالكثير من المعطيات عن طبيعة الإفريقي، في لباسه وزينته الشعبية، لما لها من دور كبير في تحديد هوية الفرد، والكشف عن البيئة الطبيعة والاجتماعية، وإذا ما بالغنا في التفسير والربط، يمكن أن تنعكس وتنطلق من أبعاد كثيرة، منها ماهو عقدي وفكري ، أو حتى سياسي تاريخي .

(مامادو) بطل (كاماراد) يصف نفسه وأمه بالوصف الذي قد ينعكس على أكثر رجال ونساء المجتمع الإفريقي مع بقاء بعض الخصوصيات، ذلك في خضم المقدمة التي مهّد بها مامادو للمخرج السينمائي الفرنسي (جاك بلوز)،

عندما أراد سرد قصة مغامرته التي قام بها يقول مامادو : " وليس لأمي خصوصية ظاهرة تميزها عن نساء (قمكلي) سوى قرط حديدي دائري مغرز فتحة أنفها سيف اليمين, قالت إنها عادة من عوائد نساء قبيلتها (بورورو) التي تقطن نواحي مدينة كوني "[ترجمة](الصديق أحمد الحاج،2016).

هنا ينبه الراوي إلى أمر مهم وهو محاولة التمسك بهذا التراث الشعبي في الزينة، بعد تخلي الأكثرية عنه من نساء الحي، يقول مامادو: "وإنّ معظم نساء هذه القبيلة في حينا تخلين عنه وبقيت أنوفهن مثقوبة بشكل منفر " هذا الإبقاء على الموروث كان بعد إلحاح الزوج والد مامادو على إبقاء هذا الإرث " لذلك آثرت أمي أن تبقي هذا لأخير ،بإلحاح شديد من والدي في حياته وتركته بعد وفاته" [ترجمة] (الصديق أحمد الحاج،2016)، وقد آثرت إيراد المقطع بكامله من الرواية لفائدتين:

الأولى: تتعلق بتلك العادة التي يراها الإفريقي من جماليات المرأة وتدخل في نطاق الزينة والحلي، وكيفية تزين المرأة منذ الصغر، والبحث عن لفت الانتباه وشد الأنظار إليها، بوضع القرط الحديدي على الأنف .

الثانية: تكمن في بيان أن العادة قد تتحول وتتغير وقد تزول بزوالها من الفكر الجمعي للأفراد، وأنها تمثل الركن الأقوى في مفهوم الموروث وأنواعه المختلفة.

ثم نرى الزيواني مرة أخرى يفصح عن شيئ آخر من التراث المادي، المتمثل في عادة الوشم على الوجنتين في أوجه الأفارقة، بيان ذلك على لسان مامادو، عندما أراد وصف نفسه هذه المرة يقول :"وجه شقي رسمت عليه ثلاث وخزات على الوجنة اليمنى، وما يقابلها على الشمال بقدر بنان الأصبع"[ترجمة](الصديق أحمد الحاج،2016).

يُقال إن هذا التقليد بالوخز والوشم على الوجه عادة قديمة كانت تستعملها القبائل الإفريقية لمعرفة أبنائها حين الغزو الذي كان يقع بينها بسبب الماء

ومناطق الرعي، فهي بذلك تحاول الحفاظ على أبنائها من الضياع والسرقة، فبذلك يكون الوخز أو الوشم (من أقدم الصور البشرية وقد استخدمه الإنسان في وظائف عديدة بعضها جمالي تزييني، وبعضها حربي لإحداث الرعب في قلوب الأعداء، وبعضها ديني مع وظائف أخرى اجتماعية وثقافية، وهو يحمل قيمة تعبيرية عالية و متنوعة، بما أنه جملة ثقافية ذات دلالات نسقية وبما أنه تورية ومجاز ثقافي) [1](عبدالله الغذامي، 2005)

ثم ما لبث أن صار عادة من عوائد الزينة المتوارثة، استقرت في المفهوم الإفريقي للزينة وصار سمة بارزة لدى الشباب الإفريقي فهي لم تكن خصيصة اختص بها البطل (مامادو)بقدر ما كانت منتشرة في بيئته " تذكرت ما رأيته كثيرا على وجوه أندادي وما قاله لي والدي قبل موته، من أن هذه الوخزات هي أمارات منتشرة في عموم بلاد السّود، منها الأفقية والعمودية والمائلة، كما منها الوترية والشفعية والثلاثية وأحيانا الرباعية " [2] (الصديق أحمد الحاج،2016).

3/- التراث الشعبي في كامراد (الموروث الثقافي غيرالمادي):

1.3. - توظيف أسطورة: (دُوكو) فرعون النهر:

التراث الشعبي هو الوجود الثقافي للموروث، إذ هو حصيلة مجهود علمي وعملي وفكري لأمة من الأمم، قائم على استغلال ظروف الطبيعة والخبرة المتوارثة وحتى المناخ، وما زال التراث الشعبي لغة عالمية وبصمة محلية وجواز تنقل، وأداة نقل ثقافات الشعوب بعضها لبعض، ودليلا صارخا على الوحدة الإنسانية في المشاعر والمواقف، بدليل التقاطعات والتقابلات فيه، مهما تباعدت وتباينت التفاصيل والجزئيات، حتى وان اختلف الزمان والمكان، " وهذا النوع يفرض نفسه بقوة وينشأ بعفوية الإنسان الإفريقي، الذي يحاول جاهدا أن يضع بصمته الخاصة ببيئته والتي تتماشى وعاداته وتقاليده، ونمط عيشه، فقد أوجد هذا الإنسان" [1](وردة لواتي، دت)، تراثا خاصا به على طول مسيرته الطويلة.

من هذا التراث ما تعلق بالأسطورة، التي تشكل جانبا مهما من الشعور الجمعى للشعوب الإفريقية، فقبل الكتابة كان الاعتماد على الأدب الشفاهي، وكان الأفارقة يروون الأساطير والحكايات. وما زالوا كذلك.

وبما أنّ التراث الأسطوري الإفريقي هو إبداع فكري وأدائي متميز وخاص، ويحمل في طياته ثقافة شعبية واسعة، كان لزاما أن نرى في رواية كاماراد الخصوصية الإفريقية التي تضم الممارسات الشعبية و الطقوسية ، فنجد الزيواني يبتعث هذا التراث من جديد، التراث الأسطوري الإفريقي الذي يربط هذا الإنسان بواقعه ويفسر له ماضيه، كل ذلك وفق ما يُثري تجربته الفنية ويعطيها عمقا أكبر، كما يستمد الزيواني من طبيعتها الرامزة القدرة التي استطاع من خلالها التوغل في عمق الصحراء الإفريقية والمجتمع الشعبي هناك.

ومن بين من خصّ مفهوم الأسطورة بالدراسة والبحث نجد "مرسيا إياد" الذي يرى أن أكثر التعريفات جمعا ومنعا لمفهوم الأسطورة هو التعريف الذي نصه: "...الأسطورة تروي تاريخا مقدّسا، تروي حدثا جرى في الزمن البدائي، الزمن الخيالي هو زمن البدايات بعبارة أخرى، تحكي لنا الأسطورة كيف جاءت حقيقة ما إلى الوجود، بفضل مآثر اجترحتها الكائنات العليا، لا فرق بين أن تكون هذه الحقيقة كلية كالكون مثلا، أو جزئية كأن تكون جزيرة أو نوعا من نبات أو مسلكا يسلكه الإنسان أو مؤسسة، إذن هي دائما سرد لحكاية الخلق "□ بر (مرسيا إلياد، 1991).

تعدّ الأسطورة من أهم الموروثات الشفهية وأكثرها تأثيرا في نفوس أفراد القبيلة الإفريقية، لما تتسم به الأسطورة من بعدها عن الأمور الواقعية، والميل إلى الخيالي،فهي تسري في الإنسان الإفريقي كمجرى الدم في العروق، ولهذا فهم يعكفون على سردها ونقلها من جيل لآخر كأساطير نشأة الكون، ونشأة النار....ولهذا فهي حاضرة في رواية كامراد من خلال ما روته أم مامادو (تقول الأسطورة التي روتها لي أمي عن ابي بوريما: " إنّ جدّي غندا، عندما هاجر من

قرى مدينة (دوصو) قبل سنين بعيدة وجاء إلى نيامي، بعد قحط هناك.... استقرّ مع غيره من المهاجرين على ضفّة النهر، حيث مارسوا الصيد في تلك الأيام الخوالي، حتى جاءهم عام كبيس، كاد النهر يجف معه، ما أضعف الصيد به واشتكى الصيادون فيه لـ(دُوكو) فرعون النهر... ولم يقضِ لهم شيئا أو رقصوا رقصة "فولوهوري" التي يرتفع الجدب فيها بإيقاع الطبل..وهي من العادات الموجودة فيهم منذ القدم... جبرت عبارة" منذ القدم" من رواية والدتي سيدي...أبدلتها بعبارة :(قبل الإسلام...) وهذا اجتهاد مني..."□ تر (الصديق أحمد الحاج،2016).

فهذه الرواية الشفوية من والدة مامادو ماهي إلاّعبارة عن نقل للثقافة من جيل إلى جيل، " خلال الأساطير والأدب الشعبى الزنجى ينقل الآباء للأبناء خبراتهم بطرق تعبيرية سهلة الحفظ مثل معارف نشأة الكون وتاريخ القبيلة والقوانين الاجتماعية وأصل المنتجات المختلفة والمعتقدات الدينية والعلاقات مع القبائل الأخرى وتاريخ الأبطال الأسطوريين والروابط الطوطمية بين الحيوان والقبيلة." لخ تر (سماح دياب،2016).

وكذلك الرواية السابقة عبارة عن تبرير لتبني جَد مامادو مهنة بيع أعواد الكورو، التي لم تكن تعجب مامادو كثيرا أو تستهويه، فالبعد الأسطوري لرواية والدته جعلت منه ينقاد وينصاع لها من باب التقديس أو الإعجاب، ومن هنا كانت أسطورة "(دُوكو) فرعون النهر" تصويرا فنيا لموقف الإنسان الإفريقي الذي هنا ينعكس على شخصية (جد مامادو) من الحياة والأحداث من حوله، كما أنه تعبير عن ذاته ووجدانه وإحساسه ومشاعره، وكما أن تلك الأساطير تمثل موقف الإنسان من قوى الطبيعة ومحاولة تفسير أسبابها.." فإن غرض الأسطورة هو التفسير، بالإضافة إلى الغايات التعليمية و الاعتقادية، فالأسطورة تفسير لقضايا أو أصل وجوهر العلم، في عصور ما قبل العلم... ومن ذلك تفسر لنا الأساطير السبب في القوى الخارقة " بر تر (عبد الحكيم شوقي، 2014).

كما نجد في الرواية الأسطورية التحاما بين الأداء الإيقاعي الموسيقي و أداء قصة "فولوهوري" التي يرتفع الجدب فيها بإيقاع الطبل، كاعتقاد شعبي إفريقي بهذا الطقس الذي يجلب الماء للنهر بعد أن يرضى "(دُوكو) فرعون النهر" ويقبل هذا القربان أو الوسيلة من طرف الصيادين الذين كانوا يمارسون الصيد على ضفاف نهر النيجر العظيم، فإذا جاءهم عام كبيس، يبدأ معه جفاف النهر، وبالتالي ينعكس ذلك على الصيد فيضعف وتنقص الغلة، فتكون هناك تقرب وشكوى" تتخللها نفحات شعرية تُنغَّم على إيقاع الطبول (الثيمات الإفريقية) التى تضفى طابعا شعبيا على الأساطير والحكايات. والبيئة الزنجية الأفريقية مُشبعة باحترام أرواح الأقدمين، والخشية من غضبها، وطلب حمايتها، فهم يؤمنون بأن الأجداد الأولين أحياء في عالم الأرواح، ويتوجب على كل الأجيال احترام تلك الأرواح للحفاظ على كيان القبيلة وتراثه"[33](سماح دياب،2016).

فتراث القبيلة هو التراث الشعبي، يتعامل معه جميع أفراد المجتمع سواء في الحياة اليومية العادية أو المناسبات المختلفة، فهو مجال خصيب للذاكرة الشعبية بحفظ تجاربهم، وهو من أكبر مصادر التراث الأسطوري الذي يتوارث ويحفظ جيلا عن جيل، ويتسامى إلى منزلة المقدّس، فالإفريقي له قدرة هائلة على إطلاق العنان لمخيلته، والابتداع، وتفسير الأمور الخارقة، لأن كل أمر أسطوري لا يتحلى بما هو خارق للواقع، يبث الضجر فى نفس الإفريقي و يغمسها في ملل عميق.

2.3 . - التمائم:

في كلّ ليلة من ليالي التيه والضياع في طريق المغامرة وتجاوز الذات والتاريخ والجغرافيا، التي عاشها مامادو ورفاقه منذ البداية، وفي مجتمعات ليكامراد وصولا إلى نقطة النهاية، وبوابة العبور إلى فردوس أوروبا، كان مامادو حريصا على تميمته (Gونكـي)أيما حرص، فوصية أمه لم تزل عالقة في أذنه تصطك بطبلتها " إياك أن تنسى وصية "كونكي" وقت الضيق..). أجل.. أجل يا أمي..).

ارتبكت قليلا كوني قرب الرفيقين.. أحببت أن أخبرها بنجاعة وصيتها؛ لكن تأكيدها بكتمان السر على الرفاق، جعلني أضمر هذا لوقت آخر، أكون فيه بعيدا عن الرفاق. إلى اللقاء يا أمي.." يرتر (الصديق أحمد الحاج،2016).

فكان خوفه من ضياعها شديدا لئلا يضيع هو بدوره، لقد وجد مامادو نفسه في مواجهة موت محتوم وفي وسط فيافي الموت، تمسّك بالقلادة وآمن بقدرتها العجيبة على تغيير مسار الأحداث، وإنقاذه من الموت المحتوم وهذا ما حدث فبمجرد أن عضّ على ذلك الشيء السحري، بدأت معالم الانفراج تلوح في الأفق.

لقد آمن مامادو بالقوة السحرية لتميمة (gونكي) التي قدمتها له والدته قبل مغادرته البيت، وقد ورثتها عن زوجها والد مامادو، " الذي كان كلّما ألمّ به خطب، يعض على هذه القلادة الحديدية، فيقع الفرج القريب أو السريع، كانت القلادة بمثابة الحارس الماورائي الذي يحميه من الأخطار"سمتر(بن علي لونيس،2018)، وكانت تبلغ قوة التأثير فيها عند الاعتقاد الشديد هي نفسها، ومفعولها السحري كانت سببا مباشرا في خيبة مامادو وفشله في تجاوز السياج نحو "الفردوس" المنشود والأرض الموعودة.

للتميمة مع مامادو حكاية طويلة تمتد منذ أن أوصته الأم بها وقصت عليه خبر والده معها (بعد إفاقة أمي من فاجعتها.. حرصت على تذكيري بورْد أساسي لا أنساه.. يكون زادا لي في سفري ساعة العطل.. بتوصية شديدة من أمي:

اسمع يا ولدي.. إن واجهتك ظروف صعبة، كانقطاع السبل في الصحراء .. ولا مغيث إلا الله.. كأن ترى الموت مثلا.. أو ما يشبه هذه الظروف.. فقد ترك والدك - رحمه الله - تميمة (Gونكي) مصنوعة على شكل حجاب حديدي مربع، صغير ورقيق، به خيط رفيع أصفر مفتول، لم أشأ أن أسأله كثيرا بما في داخلها؛ لأنه كان شديد التكتم عليها في حياته .. قال لي ذات يوم بامتعاض شديد بعد طول فضول مني.. إن بها عقاقير مسحوقة، من رؤوس النسور،

التماسيح، البوم وعقاقير أخرى.. كان قد اشترى ذلك الحصن خلال الستينيات، من رجل أتى بها من سوق الشعوذة المسمى سوق "أكودا سيوا" ب "لومي" عاصمة "الطوGو"، كان لا يعلقها في رقبته إلا أثناء سفره، يرجو بها الحفظ وتسهيل الأمور وأكد لي ظهور نجاعتها في أكثر من موقف جلل.. خلال سفرياته القليلة. كما أبان لي ذات ليل في حديث الوسادة بلا طلب مني.. أن فاعلية التميمة، تكمن في الالتفات إليها وعضها بأسنان الأنياب فقط، عندها تفرج الغمة بشكل سحري(!). سلمتني أمي التميمة الحديدية، رددتها لها بأدب، طالبا منها التماس البركة بوضعها في رقبتي، فعلت المسكينة بكل سرور، مع تمتمات وتعوىذات، سمعتها ولم أفهمها، سألتها: (هل أتكتم بها عن أعين الرفاق؟) تستر والدك عن أمرها حتى عني.. خليق بك أن تغمدها عن بصرهم أيضا يا ولدي..). بعد تعليقها للتميمة، زادت من تأكيدها، طمأنتها حتى استطاب خاطرها أو كاد)□ تر (الصديق أحمد الحاج،2016).

لقد أراد الزيواني من خلال هذ التوظيف، أن ينبّه إلى الاتصال الكبير بين الإفريقي وبين الغرائيبية السحرية، ومدى الترابط الشديد بين الفرد الإفريقي وبين مرجعيته التراثية، التي يرى أنها تمده بمخزون كبير من الطاقة و القدرة على الحفظ " لقد وظف الروائي هذا البعد الغرائبي ليكشف عن تشبث الإفريقي بعاداته القديمة، وإيمانه العميق بالقدرة السحرية على الأشياء، كمكون أساسي للهوية الإفريقية، ففضلا عن تخلّفه الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، فالإفريقي مازال متشبثا بالطقوس السحرية، يلتجئ إليها لمجابهة معضلات الحياة " تر (بن علي لونيس، 2018)

4. - خاتمة:

في ختام هذه الورقة البحثية يمكننا القول هذا، أن الزيواني من أوائل الروائيين، الذين تفطّنوا للبعد والعمق الإفريقي الذي تربطنا به وشائج إنسانية وحضارية وتاريخية، وكذلك جغرافية بحكم القارة والمجاورة، له وحرص على جعله تيمة ظاهرة في عمله السردي الفني ذلك أنه حاول التغلغل في المجتمع الإفريقي الراقد في ما وراء الصحراء الكبرى، فرواية " كاماراد " الحاج أحمد الصديق، رواية تضمنت الكثير من المعلومات التي قد تفيد القارئ، في تشكيل صورة جيدة عن حياة الإفريقي إلى جانب المعلومات نجد تواريخ وأخبار، وعادات وتقاليد إفريقية تؤثث للحكاية.

يندرج تحت هذه الخاتمة مجموعة من النقاط التي توصلنا إليها :

1) رجعت رواية (كامراد ،رفيق الحيف والضياع) لصاحبها الزيواني إلى الموروث الشعبي الإفريقي ووظفه كفضاء غير محدود ،بذلك أفادت الرواية من هذا التراث بصورة جلية واضحة , تمثلت في التقاليد و والعادات من مأكل ومشرب وملبس وحتى الغناء والرقص الإفريقي الخالص أو المتفاعل مع الآخر ،كأداة فعالة لتعبير تتضح في قوله "كما تتضح في العادات الزرماوية "□ تر

2) عبَّر التراث الشعبي في رواية كامراد عن احتياجات الإنسان الإفريقي وصراعه مع الواقع، والطبيعة، وحتى النظم السياسة والاجتماعية، التي أفرزت بدورها الكثير من مظاهر الفقر والحرمان، والضعف نتلمسها في المنظومة التراثية الشعبية من خلال الأجزاء والعناصر المكونة لها.

3) لا تقتصر الرواية على توظيف الموروث المحلي الإفريقي الخاص بالزنوج، بل تتعداه وتتجاوزه إلى الاستفادة من موروثات أخرى، كالتارقي مثلا الذي يظهر من خلال ذكر لباسهم (اللثام) ,وعاداتهم وتقاليدهم و غنائهم .... مثلما هو موجود في الرواية ص 123 .

4) ترتكز جمالية توظيف (الزيواني) للأغنية والرقص الإفريقي على إبراز خصوصية ثقافية ومحلية، كما تعبر بشكل كبير عن الشخصية النفسية والحالة الاجتماعية لسكان المجتمعات المحلية، في ارتباط وثيق بالأبعاد الإنسانية والجذور التاريخية .

5) تمّ تأثّيث الحكاية باستثمار الموروث الإفريقي بشقيه المادي وغير المادي، من طرف الزيواني الذي جعل من الإفريقي وما يخصه العنصر الأساسي في الحكاية .

6) لقد وظف الزيواني التراث الشعبي بعدما أعاد صياغته وإنتاجه من جديد، فلم يوظفه كمادة خام، بل تناول جزئياته المتفرقة عبر خطابه الروائي فاستفاد من الموروث الإفريقي المحلي لخدمة فنه.

7) تراوحت عملية التوظيف للموروث بين واعية وعفوية، لتحقيق نوع من عدم التميز بين أصناف وأنواع التراث، وعدم الانتقاء للتراث فيه نظرة إنسانية من الزيواني، لتسليط الضوء على هامش عوالم الحراقة الأفارقة .

8) نستنج من خلال هذا العمل الأدبي، أن التراث هو تراكمات واختصار لحقب من الزمان، فيها من التقاليد والعادات والفنون الشيء الكثير ، تنتقل من جيل إلى جيل تراثا ماديا أو معنويا.

المراجع :

1. بن علي لونيس، أزمة التّمثيل السردي في رواية كاماراد للصديق حاج أحمد، مجلة اللغة العربية،الجزائر، العدد 41، 2018
2. الصديق أحمد الحاج، رواية كامراد رفيق الحيف والضياع، دار فضاءات، عمان، ط 1، 2016.
3. الطاهر بلحيا، الرواية العربية الجديدة من الميثولوجيا إلى ما بعد الحداثة جذور السرد العربي، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2017.
4. السعيد بوطاجين، السرد ووهم المرجع، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2005.
5. حمادي صبري مسلم، أثر التراث الشعبي في الرواية العراقية الحديثة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، ط.1، 1980.
6. رشيد الخديري، كاماراد رواية الأحلام المؤجلة والاحتفاء بالهام، بتاريخ:2018/03/31، مصنفة في حفريات، تاريخ الإطلاع 09/15 http:// www.massareb.com،2019
7. عائشة ابختي،تناص الرواية مع الأمثال الشعبية في (مملكة الزيوان)للحاج أحمد الصديق أنموذجا، أدرار، مجلة الحقيقة، العدد41، ديسمبر 2017.
8. عبدالله الغذامي، الثقافة التلفزيونية (سقوط النخبة وبروز الشعبي)، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، بيروت، لبنان، 2005.
9. عبدالحميد بوسماحة، الموروث الشعبي في رويات عبد الحميد بن هدوقة، دار السبيل للنشر والتوزيع،الجزائر، ط1، 2008.
10. عبد الحكيم شوقي، الرجل و المرأة في التراث الشعبي، هنداوي للتعليم والثقافة،مصر، 2014.
11. محمد رياض وتار، توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة . دراسة- منشورات اتحاد الكتاب العرب،دمشق،دط، 2002.
12. محمد تحريشي، في الرواية والقصة والمسرح، دار النشر دحلب، الجزائر ،دط ،2007.

13. مرسيا إلياد، مظاهر الاسطورة، ترجمة نهاد خياطة، دار كنعان للدراسات والنشر، دمشق، ط1 ،1991.

14. سعيد يقطين، الرواية والتراث السردي من أجل وعي جديد بالتراث، المركز الثقافي العربي،بيروت، ط1، 2006.

15. سعيد يقطين، الكلام والخبر، مقدمة للسرد العربي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 1997م.

16. سماح دياب، لمحات عن الأسطورة في الأدب الشعبي الأفريقي، السنة 141 العدد 47462، نشر بتاريخ: 16 نوفمبر 2016 ، تاريخ الإطلاع 2018/08/23على الساعة 16:41،ahramdaily@ahram.org.eg.

التهميش:

1. السعيد بوطاجين، السرد ووهم المرجع، منشورات الاختلاف، الجزائر ، ط1، 2005، ص5.

2. محمد تحريشي، في الرواية والقصة والمسرح،دار النشر دحلب، الجزائر ،دط ،2007، ص173.

3. عائشة ابختي، تناص الرواية مع الأمثال الشعبية في (مملكة الزيوان)للحاج أحمد الصديق أنموذجا، أدرار، مجلة الحقيقة، العدد41، ديسمبر 2017.

4. سعيد يقطين، الرواية والتراث السردي من أجل وعي جديد بالتراث، مرجع سابق، ص14.

5. سعيد يقطين، الكلام والخبر، مقدمة للسرد العربي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 1997م،.ص 41.

6. الطاهر بلحيا، الرواية العربية الجديدة من الميثولوجيا إلى ما بعد الحداثة جذور السرد العربي ، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2017، ص182.

7. محمد رياض وتار، توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة. دراسة منشورات اتحاد الكتاب العرب،دمشق،دط، 2002، ص22.

8. ينظر، المرجع نفسه، ن ص.

9. رشيد الخديري، كاماراد رواية الأحلام المؤجلة والاحتفاء بالهام، بتاريخ:2018/03/31، مصنفة في حفريات، تاريخ الإطلاع 2019/09/15، www.massareb.com .

10 . الصديق أحمد الحاج، رواية كامراد رفيق الحيف والضياع ، دار فضاءات، عمان، ط1، 2016 ،ص 5.

11 . رشيد الخديري، كاماراد رواية الأحلام المؤجلة والاحتفاء بالهام، مرجع سابق،2019.

12 . رواية كامراد، مرجع سابق، ص 25.

13 . المرجع نفسه، ص172.

14 . المرجع نفسه، ص86.

15 . المرجع نفسه، ص 148.

16. عبدالحميد بوسماحة، الموروث الشعبي في رويات عبد الحميد بن هدوقة، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2008، ص09.

17 . رواية كامراد، مرجع سابق، ص182.

18. المرجع نفسه، ص37.

19 . المرجع نفسه، ن ص.

20 . المرجع نفسه ، ص 65.

21 . المرجع نفسه ، ص 66.

22. المرجع نفسه ، ص 66.

23. المرجع نفسه ، ص 40.

ير بر. المرجع نفسه ، ن ص.

25 . المرجع نفسه ، ص 41.

26. عبدالله الغذامي، الثقافة التلفزيونية (سقوط النخبة وبروز الشعبي)، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، بيروت، لبنان، 2005، ص 101.

27 . رواية كامراد :مرجع سابق، ص 287.

28. وردة لواتي، الموروث الثقافي الإفريقي من المحلي إلى العالمي: رواية أشياء تتداعى لتشينوا أتشيبي أنموذجا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المركز الجامعي تمنراست، دت، ص7.

29. مرسيا إلياد، مظاهر الاسطورة، ترجمة نهاد خياطة، دار كنعان للدراسات والنشر، دمشق، ط1، 1991، ص10.

30. رواية كامراد :مرجع سابق، ص 59.

31. سماح دياب، لمحات عن الأسطورة في الأدب الشعبي الأفريقي، السنة 141 العدد 47462، نشر بتاريخ: 16 نوفمبر 2016 ، تاريخ الإطلاع 8/08/23 201على الساعة 16:41، ahramdaily@ahram.org.eg.

32 . عبد الحكيم شوقي، الرجل و المرأة في التراث الشعبي، هنداوي للتعليم والثقافة،مصر، 2014، ص 15.

33. سماح دياب، لمحات عن الأسطورة في الأدب الشعبي الأفريقي، مرجع سابق، 2016.

34. رواية كاماراد، مرجع سابق، ص 210.

35. بن علي لونيس، أزمة التّمثيل السردي في رواية كاماراد للصديق حاج أحمد، مجلة اللغة العربية،الجزائر، العدد 41، 2018، ص209.

36. رواية كاماراد، مرجع سابق، ص 102.

37. بن علي لونيس، أزمة التّمثيل السردي في رواية كاماراد للصديق حاج أحمد، مرجع سابق، ص209

38. رواية كامراد، مرجع سابق، ص55.

مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ر ت م د: 7163 -1112 ر ت م د إ :1892-2588
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2

بلاغة الذكر والحذف في المفردة القرآنية من خلال كتاب ملاك التأويل للغرناطي.

The Eloquence of Mentioning and Deletion in the Qur'anic Vocabulary through the book Malak el Taewil of Elgharnati

بن زهرير بلال[1]، لخضر حداد[2]

1- كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر 1 بن يوسف بن خدة، قسم اللغة والحضارة

مخبر اللغة العربية وآدابها -البليدة2

b.benzahrir@univ-alger.dz

2 - كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر 1 بن يوسف بن خدة.

lakhdar.dz@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/05/01 تاريخ القبول: 2021/09/24

الملخص -

يهدف البحث إلى دراسة موضوع الذكر والحذف في المفردات القرآنية وأثرهما في المعنى، من خلال كتاب ملاك التأويل لابن الزبير الغرناطي، من أجل بيان أهم أوجه الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، وإبراز أثرهما في الكشف عن لطائف القرآن الكريم وفي فهمه وتدبر معانيه.

فجمعت بعض النماذج من المفردات القرآنية التي وقع فيها الذكر أو الحذف، متسائلا عن ضابط الذكر أو الحذف في المفردات القرآنية؟ وهل لهذا الذكر أو الحذف أثر في المعنى؟.

الكلمات الدالة:

الذكر ,الحذف, المفردة القرآنية.

المؤلف المرسل: بن زهرير بلال: b.benzahrir@univ-alger.dz

Abstract:

The research aims to study the subject of mentioning and deletion in the Qur'anic vocabulary and their impact on meaning, through the book of Malak Ettaewil by Ibn al-Zubayr al-Gharnati in order to illustrate the most important rhetorical miracles of the Qur'an, and to highlight their impact on the disclosure of the qur'an's sect and in its understanding and reflection of its meanings.

So I collected some examples of the Qur'anic vocabulary in which the mentioning fell or deletion, wondering about the requirements of mentioning and deletion in the Qur'anic vocabulary? Does this mentioning or deletion have an impact on meaning?

Key words:
the Mentioning, the Deletion, Qur'anic Vocabulary .

1. - مقدمة :

اهتم علماء اللغة بالمفردة القرآنية، وأعطوها حيِّزا كبيرا من الاهتمام، وتناولوها بالشرح والتفصيل والبيان، ولأن القرآن الكريم المعجزة الخالدة، وبلاغته بحر زاخر فهو كتاب متجدد مع الزمان، لا تذهب حلاوته، ولا تنقضي طلاوته، يجد فيه كل جيل ما يبل الصدى، ويشفي الغليل، والكلام في إعجازه قابل دائمًا لأن يأتي بالجديد، فكان من أبرز وجوه الإعجاز القرآني الوجه البلاغي، ومن أهم وجوه بلاغته وأعلى طبقاته بلاغة الذكر والحذف في القرآن الكريم بصفة عامة، وفي المفردة القرآنية بصفة خاصة .

ولهذا ارتأيت أن يكون موضوع بحثي الذكر والحذف في المفردة القرآنية وأثرهما في المعنى، راجيًا أن يقدم سُهْمَة في جلاء فيض من غيض هذا الوجه المشرق الخلاب.

فتناولت في بحثي هذا المفردات المتشابهة مثل: " تستطع" و" تسطع"، "إنا" و" إننا" و"استطاعوا"و"اسطاعوا"...التي ورد فيها ذكر حرف أو حذفه من المفردة نفسها، ثم طرحت تساؤلا: هل لهذا الذكر والحذف من المفردة نفسها تأثيرعلى المعنى؟ وإذا كان كذلك فما هو الضابط المتحكم في ذكر حرف أو حذفه في

المفردات القرآنية، وكيف تناول صاحب ملاك التأويل هذا الموضوع في كتابه؟ وكيف يمكن للذكر والحذف في المفردة القرآنية أن يدلل على الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم؟

-أهمية الموضوع: نجمل أهمية البحث في النقاط الآتية:

- كون موضوع بحثي متعلقا بأشرف الكتب وأجلها، وهو القرآن الكريم.
- الذكر والحذف بابٌ جليلٌ من أبواب البلاغة، إن لم يكن هو البلاغة ذاتها.
- بيان الوجه الاعجازي لبلاغة القرآن الكريم، في المفردة القرآنية من خلال كتاب ملاك التأويل للغرناطي.
- إبراز أثر الذكر والحذف في الكشف عن لطائف القرآن الكريم، ودوره في فهمه وتدبر معانيه.

عرض مشكلة البحث: عنوان بحثي: بلاغة الذكر والحذف في المفردة القرآنية من خلال كتاب ملاك التأويل للغرناطي وأثرهما في المعنى، وعليه يجب الوقوف أمام :

- ما معنى الذكر في اللغة والاصطلاح ؟.
- ما أسبابه وأغراضه البلاغية ؟ وهل له أنواع
- ما معنى الحذف في اللغة والاصطلاح
- ما أسبابه وأغراضه البلاغية ؟ وهل له أنواع؟
- ما معنى المفردة في اللغة والاصطلاح ؟.
- ما هي أسباب الذكر والحذف في المفردة القرآنية ؟.
- و ما هو الضابط لذكر الحرف وحذفه في المفردة القرآنية نفسها؟.
- و هل لذكر الحرف أو حذفه من المفردة القرآنية نفسها أثر في المعنى؟

المنهج المتبع في الدراسة:

للإجابة عن الأسئلة المطروحة، اتبعت في بحثي: المنهج الإحصائي الذي يتطلب التحري في البحث وتتبُّع المفردات القرآنية في مظانها التي وقع فيها الذكر أو الحذف، ثم المنهج المقارن الذي يقوم على المقارنة بين هذه المفردات المتشابهة، ثم

المنهج التحليلي الوصفي الذي يهدف إلى استنباط الأثر المترتب عن ذكر الحرف أوحذفه من المفردة مع ذكر الغرض البلاغي له.

وعليه فهو منهج تكاملي يحوي عدة مناهج يكمل بعضها بعضا.

2. - المبحث الأول :تحديد المفاهيم والمصطلحات.

1.2. - المطلب الأول: الذكر في اللغة والاصطلاح.

الذكر عند العرب أسلوب معهود ومسلك مطروق، يعمدون إليه لتحقيق أغراض بلاغية معيّنة تفيد تقوية المعنى، وله دورٌ فعَّال في إثراء الخطاب وتلوين أسلوبه، لهذا اهتم به اللّغويّون والنَّحويّون والبلاغيّون اهتمامًا بالغًا، وخصّصوا له فصولاً ومباحثاً.

الذكر لغةً: جاء في مختار الصِّحاح: " والذكرُ والذكرى والذكرة ضد النسيان، تقول ذكرته ذكرى .. اجعله منك على ذكر ...و ذكره بعد النسيان "[1]. (الرازي، 1999 م) و"ذكر الشيء استحضره واستعاده في ذهنه بعد نسيانه "[2]. (عمر، 2008 م) .

ومن التعريفين السابقين يتضح لنا أن الذكر هو إثبات الشيء واستحضاره وهو ضد النسيان.

ثانيا: الذكر اصطلاحًا:

"الذكر هو كل ما يراد الإعلام به من عناصر الجملة في اللسان العربي، فالأصل السّاذج بالنسبة إليه أن يذكر ولا يُحذف، لأن ذكره دليل على عدم الإعلام به "[3]. (حبنكة، 1996 م)، "وعليه هذا هو الأصل في الآليّة المادية لبناء الكلام الدَّال على المعاني التي يرادُ الإعلام بها "[4]. (ابو موسى، 1980 م).

والبلاغيون يقولون: "إن الأصل في العبارة كما يقتضي العقل والإعراب أن يذكر فيها المسند إليه، لأنه الجزء الأهم الذي تُنسب إليه الأحداث والصفات في الجملة، ولا يحذف إلا إذا كان هناك داعٍ من الدواعي التي ذكرنا صورًا منها، فالأصل أن يذكر إذا لم يكن هناك مقتضى للعدول"[5]. (حبنكة، 1996 م).

ومما سبق يتضح لنا "أن الذكر جاء ليحقق قيمة معنوية في الأسلوب ولا يُقصد بالذكر أن يمتد الكلامُ حتى يفيض عن المعنى، ويصبح التّعبير فارغًا في بعض جوانبه، وإنما هو الذكر الموجز البليغ[6]. (زيد الخير، 2011 م).

1.3 .المطلب الثاني: دواعي الذكر و أغراضه.

ذكر البلاغيون طائفة من دواعي الذكر الذي يراد الإعلام به، من عناصر بناء الجملة، وهذه الدواعي تحقق أغراضًا بلاغية يهدفُ إليها المتكلم البليغُ، ويَحسُن بنا في هذا المقام أن نذكر بعضها على سبيل المثال لا الحصر:

1 - **"ذكر المسند إليه: قول الله عز وجل في سورة البقرة بشأن المتقين﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥ ﴾[البقرة 5]، في تكرير المسند إليه وهو زيادة الكشف والإيضاح بالتنبيه على أنهم كما تحقق أنهم متمكنون من تحقيق الهُدى الذي جاءهم من عند ربهم بأعمالهم الصالحة" (حبنكة، 1996 م)[7].**

2 -**" الإشعار برغبة إطالة الكلام والتلذذ والاستئناس ما جاء في سورة طه بشأن تكليم الله موسى عليه السلام: ﴿وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝١٧ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ ۝١٨﴾ [طه 17 - 18]، في هذا النص تلاحظ ذكر كلمات كان من الممكن حذفها دون أن يؤثر في المعنى شيئا ... لكن دعا إلى بسط الكلام وإطالة الحديث رغبةُ الإيناس من الرّب عز وجل، ورغبة التشرف والاستئناس والتلذذ بطول المحادثة من موسى عليه السلام"[8]. (حبنكة، 1996 م).**

3 -**الإشعار بغباوة السامع: " في قصة إبراهيم عليه السلام، وتحطيمه أصنام القوم التي كانت على أشكال الناس، إلا كبيرًا لهم...إذ ذكر في كلامه ما يمكن فهمه لو حذفَه، فقال الله عز وجل في سورة الأنبياء: ﴿قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥٩ قَالُواْ سَمِعۡنَا فَتًى يَذۡكُرُهُمۡ يُقَالُ لَهُۥٓ**

إِبۡرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ فَأۡتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعۡيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡهَدُونَ﴿٦١﴾ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنبياء 59 -63]، **لقد كان يكفي أن يقول لهم: بل فعله كبيرهم ...لكنه شعر أنهم أغبياء إذْ يدافعون عن آلهتهم من الأصنام التي حُطمت ولم تستطع أن تدافع عن أنفسها ...ومن كان يمثل هذا الغباء، فإنه يناسبه أن لا يحذف من الكلام ما يمكن أن يفهمه أقل الناس ذكاءً"[9]. (حبنكة، 1996 م).**

2. - الحذف في اللّغة وفي الاصطلاح .

1.2. -المطلب الأول: الحذف لغة واصطلاحا.

الحذف لغة:

جاء في كتاب العين أنّ الحذف هو: " قطف الشيء من الطرف، كما يحذف طرف ذنب الشاة "[10]. (الفراهيدي، دت).

وورد في الصّحاح: " حذف الشيء إسقاطه، يقالُ: حذفت من شعري ومن ذنب الدَّابة؛ أي أخذت "[11]. (الجوهري، 1987 م).

وأشار الزَّمخشري في أساس البلاغة إلى معنى لطيف للحذف فقال " وحذف الصانع الشيء سواه تسوية حسنة، كأنه حذف كل ما يجب حذفه حتى خلا من كل عيب وتهذب"[12]. (الزمخشري، 1998 م)، وذكر ابن منظور في لسان العرب أن:"حذف الشيء يحذفه حذفًا، قطعه من طرفه"[13]. (ابن منظور، 1414 ه).

ويتضح من خلال هذه المعطيات القاموسية والمعجمية أنّ المعنى الذي تُشير إليه كلمة "حذف" غالبا، لا يَخرج عن ثلاثة معان أساسية وهي:

- القطعُ: إذْ تقول كما جاء في لسان العرب: حذف الشيء يحذفه، أي: قطعه.

- القطف: وهو أيضا بمعنى القطع، كما ذكر صاحب لسان العرب.

- الطرح: إذْ إنه لا يُحذف شيء إلاّ طُرِح.

الحذف عند النحويين :

" هو إسقاط وطرح جزءٍ من الكلام أو الاستغناء عنه، لدليل دلَّ عليه أو للعلم به لكونه معروفًا[14]"، (ابن عقيل، 1980 م)، وهذا ما نجده عند الزّركشي:" هو إسقاط جزء الكلام أو كله لدليل»[15] (الزركشي، 1957 م).

فالحذف إذًا هو: ترك جزء من أجزاء الكلام بعدم ذكره لوجود قرينة أو لاعتبارات خاصة بالتعبير، إذ هو؛ ترك اللفظ لصالح المعنى حيث يحضر في العملية اللغوية الاعتيادية الدال و يغيب المدلول في حين يغيبُ مع الحذف الدال و المدلول، فإنك في الحذف تحاول أن تستدعي الصورة الذهنية(المدلول) من دون أن يكون هنالك لفظ يحفزُك أو يُعينُك على هذا الاستدعاء، فإن اللّفظ يتلاشى في المعنى.

وعليه فالحذف ظاهرة تدخل في مستويات اللغة المختلفة صوتيًا وصرفياً ونحويًا، ونحن في موضوعنا هذا إنما يعنينا الحذف الذي يرتبط بالجانب البلاغي، لبيان أثره في الدلالة، كما سيتضح لاحقا.

الحذف عند البلاغيّين:

إن الحذف من الأبواب اللّطيفة والبديعة عند العرب، إذْ تفنن البلاغيّون في التّعبيرعن جمالية أسلوب الحذف باعتباره بابًا لطيفًا و مسلكًا دقيقًا لديهم. ووصفه عبد القاهر الجرجاني قائلاً:" هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنّك ترى به ترك الذِّكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتمَّ ما تكون بيانًا إذا لم تُبِن "[16]. (الجرجاني، 1992 م).

فالحذف عند عبد القاهر الجرجاني، "لا ينفصل عن رؤيته للنظم، لأنه ليس مجرّد غياب لبعض عناصر التركيب، وإنما هو تأليف أيضا، إنه لونٌ من النظم للقول، يمنح الحذف إيجابية لم ينلها عند غيره من البلاغيين، فالحذف إبداع من نوع ما»[17] (زيد الخير، 2011 م) وهو ما حاول عبد القاهر تأكيده بقوله: "و

انظر إلى موقعها في نفسك وإلى ما تجده من اللّطف والظّرف إذا أنت مررت بموضع الحذف منها»[18]. (الجرجاني، 1992 م).

وعليه يمكننا القول بأن الحذف عند البلاغيين لاعلاقة له بقضية الإسناد، ولا نظرية العامل، كما هو الحال عند النّحويين، وإنما يختص بالنظر في المعاني لا في الألفاظ، و يظهر لي - و الله أعلم - أن أدق التعريفات ما ذكره الجرجَاني، لتشبيهه بالسحر، والسحر كما هو معلوم أمره خفي لا يُدْرِكه ويقفُ على حقيقته إلا العارفون به، فكذلك أمر الحذف، لا يتذوقه ولا يعرف كُنَهَهُ إلاَّ المتذوقون له.

2.2. - المطلب الثاني: دواعي الحذف و أغراضه.

قد يرى المتكلم البليغ الذَّواق للأدب الرّفيع أن يحذفَ من كلامه الذي يريد توصيل معناه لمن يتلقى كلامه، ما يمكن أن يفهمه المتلقي بقرائن الحال، أو قرائن المقال، أو باللّوازم الفكرية الجليّة، أو باللّوازم الفكرية وبالإشارات التي تدرك بالذكاء اللمَّاح، وقد اهتم علماء البلاغة والباحثون في إعجاز القرآن بدراسة ما في كتاب الله من محذوفات وقاموا بتبيين وذكر دواعي الحذف وأغراضه البلاغية، ومن جملة هذه الدواعي والأغراض ما يلي:

1 - مجرد الاختصار والاحترازعن العبث بناء على الظاهر: "نحو الهلال والله أي هذا فحذف المبتدأ استغناء عنه بقرينة الحال؛ إذْ لو ذكره مع ذلك لكان عبثا من القول[19]. (الزركشي، 1957 م).

2 - التنبيه على أن الزمان يتقاصر: "نحو إياك والشر والطريق الطريق، الله الله[20]. (الزركشي، 1957 م).

3 -الإغراء: "وهو لزوم أمر يحمد به وقد اجتمعا في قوله تعالى:﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقۡيَٰهَا ١٣﴾ [الشمس 13]، على التحذير أي احذروا ناقة الله فلا تقربوها و﴿ وَسُقۡيَٰهَا ﴾ إغراء بتقدير الزموا ناقة الله"[21]. (الزركشي، 1957 م).

4 -التفخيم والإعظام: " ومنه قوله تعالى في وصف أهل الجنة: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا ﴿٧٣﴾﴾ [الزمر 73]، **فحذف الجواب إذا كان وصف ما يجدونه ويلقونه عند ذلك**"[22]. (**الزركشي**، 1957 م).

2.3. - المطلب الثالث:

أنواع الحذف.

يأتي الحذف في القرآن الكريم وفي كلام العرب على عدة أنواع، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

1_ **الاقتطاع: "وهو حذف بعض أحرف الكلمة لغير علة صرفية أو نحوية... وأكثر ما يكون ذلك في أسماء المصادر مثل قوله تعالى:** ﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ﴿١٧﴾﴾ [**نوح**: 17]، **والأصل: إنباتاً**." [23] (**المطعني ع.**، 1992 م)

2_**الاكتفاء: " وهو أن يقتضي المقام ذكر شيئين بينهما تلازم وارتباط فيكتفي بأحدهما عن الآخر لنكتة، ويختص غالبًا بالارتباط العطفي كقوله تعالى:** ﴿ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ ﴿٨١﴾ ﴾[النحل 81]، أي البرد وخصص الحر بالذكر **لأن الخطاب للعرب وبلادهم حارة والوقاية عندهم من الحرّ أهم لأنه أشد من البرد، وقيل لأن البرد تقدم ذكر الامتنان بوقايته صريحا في قوله:** ﴿ وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ ﴿٨٠﴾﴾ [النحل: 80]"[24]. (السيوطي، 1974 م).

3_**الاحتباك: "وهو من ألطف الأنواع و أبدعها، وقلّ من تنبه له أو نبّه عليه من أهل البلاغة ... وهو نوع عزيز وهو أن يحذف من الأول ما أثبت نظيره في الثاني، ومن الثاني ما أثبت في نظيره الأول كقوله تعالى:**

﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يُنۡعِقُ بما لا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءٗ وَنِدَآءٗۚ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ١٧١﴾ [البقرة:171]، التقدير ومثل الأنبياء و الكفار كمثل الذي ينعق والذي ينعق به، فحذف من الأول لدلالة "الذي ينعق" عليه ومن الثاني الذي ينعق بدلالة ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ عليه"[25]. (السيوطي، 1974 م).

3. - المبحث الثالث: المفردة.

3.1. - المطلب الأول: المفردة لغة واصطلاحا.

يقول الأصفهاني مبرزا قيمة تحقيق الألفاظ المفردة:" أول ما يحتاج أن يُشتغل به من علوم القرآن العلوم اللفظية، ومن العلوم اللفظية تحقيق المفردة...وليس ذلك نافعاً في علم القرآن فقط، بل هو نافع في كل علم من علوم الشرع »[26]. (الاصفهاني، 1412 ه).

المفردة لغة: جاء في مختار الصّحاح: " ف. ر. د: الفرد الوتر والجمع أفراد وفُرادى بالضم على غير قياس كأنه جمع فَردان"[27] (الرازي، 1999 م). وقال صاحب المصباح المنير : " ف ر د: الفرد الوتر وهو الواحد والجمع أفراد"[28]. (الفيومي).

ومن التعريفين السابقين نستنتج: المفردة تقابل الوتر وهو الواحد وهي ضد التثنية أو الجمع.

المفردة اصطلاحًا:

المفردة جمعها مفردات، ودلالة هذه اللفظة في اللغة تعني الوحدة التي هي ضد الجمع و التركيب.

وتدل في "الاصطلاح على القول المفرد، والمراد بالقول اللفظ الدال على معنى...والمراد باللفظ الصوت المشتمل على بعض الحروف، سواء دل على معنى كزيد أو لم يدل كديز مقلوب...والمراد بالمفرد مالا يدل جزؤه على جزء معناه

وذلك نحو زيد فإن أجزاءه وهي الزاي والياء والدال إذا أفردت لا تدل على شيء مما يدل عليه بخلاف قولك غلام زيد".[29] (ابن هشام، 1383 ه)

ويوضح أحمد ياسوف المفردة أكثر فيقول: "ولابد هنا من توضيح المقصود من كلمة "مفردة " فهي ذلك الكائن الذي يساهم في الفن القولي في أسلوب القرآن... وهي تشتمل حسب تقسيم النحاة على الاسم والفعل والحرف ... و يدلنا المعجم على أن المفردة تلتقي مع الفرد و الإفراد و المفرد و الفردية و الجوهرة الفريدة و الانفراد وتدل على العدد الواحد وهذا كله نقيض التثنية والجمع"[30] . (ياسوف، 1999 م).

ومما سبق يمكن القول: إن المفردة هي المجموعة الصوتية التي تدل على معنى واحد، وهذه المجموعة هي وحدة كلامية تقوم مقام الجزء من الكل في الجملة، وهي الجزء الأولي في بناء النظم والوحدة المكونة له، فلا يمكن استغناء أحدهما عن الآخر وهي عكس التثنية أو الجمع.

3.2. -المطلب الثاني: دواعي الذكروالحذف في المفردة القرآنية وأغراضهما:

مما لا شك فيه، أن من روائع البيان القرآني وبدائعه، أن يُحذف حرفٌ من بعض ألفاظه في موضع ما، ويُذكر في موضع آخر، وحذف هذا الحرف أو ذكره ليس اعتباطيا، ولا مصادفة، وإنما يكون لأجل حكمة وغاية.

فالقرآن الكريم " يذكر ما يذكره مما يبدو أن السياق يجيز حذفه، عندما يكون في هذا الذكر تثبيت للمعنى، وتوطيد له في النفس، ويكون في ذكره فضلاً عن ذلك معانٍ لا تستفاد إذا حذف»[31]. (بدوي، 2005 م).

"وحين يكون المتكلم العربي الفصيح البليغ أمام احتمالين جائزين في اللسان العربي كالذكر والحذف، ويرى أن كلا منهما يحقق توصيل ما يريده من المعاني، إلا أن أحدهما أكثر تأثيرًا في المخاطَب بحسب حاله، أو أكثر جمالاً لدى ذوَّاقي الجمال في الكلام، أو يراه يُحقق له غرضًا بلاغيًا لا يحقق له الاحتمال الآخر فإن عليه أن يكون دقيق الملاحظة في خصائص الاحتمالات وفروق دلالاتها"[32]. (حبنكة، 1996 م).

ومما لاشك فيه أن للذكر والحذف في المفردة القرآنية أغراضا بلاغية و أسرارا بيانية وأن للذكر والحذف في المفردة القرآنية ضابطا يحكمه و يضبطه، ونسارع إلى القول: "إن السياق القرآني المعجزهو الحكم، فهو الذي يشير إلى ذكر الحرف وحذفه، فقد يكون الأنسبُ - من حيث الأسلوب و المضمون - ذكر حرف في آية، لأن هذا يتفق مع سياقها التعبيري والمعنوي، و قد يكون الأنسبُ حذف الحرف نفسه في آية أخرى متشابهة؛ لأن هذا الحذف يتفق مع السياق الآخر التعبيري والمعنوي، فالقرآن دقيق ومعجزٌ فيما يذكر وفيما يحذف من حروف والسياق هو الحكم في هذا التوازن الدقيق"[33]
(حبنكة، 1996 م).

وقد يحذف في التعبير القرآني من الكلمة نحو " استطاعوا" و" اسطاعوا" و"لم يكن" و"لم يك " و"نبغي" و"نبغ"، و"اخشوني" و"إخشون"...و ما إلى ذلك، وكل ذلك لغرض وليس اعتباطًا، فالتعبير القرآني تعبيرٌ فني مقصود، كل كلمة، بل كل حرفٍ إنما وضع لقصد و غاية.

"فالقرآن الكريم يحذف من الكلمة لغرض، ويذكر لغرض، ومن ذلك على سبيل المثال: قوله تعالى: ﴿ وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾[هود: 52] وقال في آية الأنفال: ﴿ وَلَا تَوَلَّوۡاْ ﴾ بحذف إحدى التاءين، وقال في آية هود: ﴿ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ ﴾ من دون حذف، ذلك أن آية الأنفال خطاب للمؤمنين﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾، **وأن آية هود خطاب للكافرين، وهم قوم هود.**

ومن المعلوم أن تولِّي المؤمنين أقل من تولِّي الكافرين، ذلك لأن المؤمنين مُطيعون لله، بخلاف الكفرة، فلما كان تولِّي المؤمنين أقل حذف من الحدث للدلالة على قلَّة تولِّيهم، بخلاف تولي الكافرين، فهوعامٌ شامل، فهو يشمل تولِّي المؤمنين وزيادة فزاد في الفعل للدلالة على زيادة توليهم"[34]. (السامرائي، 2006 م)

ومن أهل العلم من ذهب في قضية السياق إلى أبعد من ذلك، حيث لم يشترط قيام الدليل عند كل حذفٍ، فنجد ابن هشام يقول: "لا يُشترط لحذفه وجدان الدليل»[35] (ابن هشام، 1985 م) ، بل العبرة في ذلك المقامُ والسياقُ، وإنما يشترط الدليل إذا كان المحذوف الجملة بأسرها أو أحد ركنيها ... أو لم يفد معنى فيها هي مبنية عليه"[36] (ابن هشام، 1985 م).

ومعنى ذلك أن الحَكَم في الذكر والحذف هو السياق والمقام اللذان يخولان الحذف والذكر حسب المقام.

4. -نماذج وتطبيقات من خلال كتاب ملاك التأويل.

4.1. -أثر ذكرالتاء وحذفها في المعنى في المفردتين"استطاعوا و اسطاعوا".

قال تعالى:﴿فَمَا ٱسۡطَٰعُواْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا ٩٧﴾[الكهف 97].

بيّن صاحب ملاك التأويل هذا الأثر قائلا: "للسائل أن يسأل عن الفرق الموجب لمجيء استطاعوا بالتاء دون الأول؟ والواجب أنه يقال:" استطاع و استطاع واسطاع، والأول الأصل، ثم يحذفون أحد الحرفين تخفيفا، فجيء أولاً بالفعل مخففاً عن إرادة نفي قدرتهم على الظهور على السد والصعود فوقه، ثم جيء بأصل الفعل مستوفي الحروف عند نفي قدرتهم على نقبه وخرقه "[37] (الغرناطي، 1440 ه).

ثم يسترسل صاحب ملاك التأويل في شرحه فيقول:" ولا شك أن الظهور أيسر من النقب، والنقب أشد عليهم وأثقل، فجيء بالفعل مخففاً مع الأخف، وجيء به تامًا مستوفياً مع الأثقل، فتناسبت، ولو قدر بالعكس لما تناسب ".[38] (الغرناطي، 1440 ه).

فالمتأمل في هذا الشرح، يدرك أن التناسب حصل بين ذكر التاء وحذفها، فالفعل الأشد والقوي ناسبه أن تكون الكلمة مستوفية لجميع حروفها، وكأنها مجندة لتحقيق غاية وهي إحداث نقب في السد، وهي مهمة صعبة، إن لم نقل مستحيلة، وأيضا فإن الثاني " محل التأكيد لنفي قدرتهم على الاستيلاء على

السد وتمكنهم منه، فناسب ذلك الإطالة، وهذا يفتقر إلى بسط وبيان، مع أن الأول أولى " .[39] (الغرناطي، 1440 ه).

وإلى المعنى نفسه أشار ابن كثير فقال: " يقول تعالى مخبرا عن يأجوج ومأجوج أنهم ما قدروا على أن يصعدوا من فوق السد، ولا قدروا على نقبه من أسفله، ولما كان الظهور أسهل من نقبه قابل كل ما يناسبه فقال: ﴿فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا ٩٧﴾ "[40] (ابن كثير، 1419ه).

ويؤيد هذا المعنى كلام الخطيب الشربيني فقال: " ﴿ فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ ﴾، ﴿ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ ﴾ أي: خرقا لصلابته وسمكه وزيادة التاء هنا تدل على أن العلوعليه أصعب من نقبه لارتفاعه وصلابته والتحام بعضه ببعض حتى صار سبيكة واحدة من حديد ونحاس في علو الجبل، فإنهم ولو احتالوا ببناء درج من جانبهم أو وضع تراب حتى ظهروا عليه ... ويؤيده أنهم إنما يخرجون في آخر الزمان بنقبه لا بظهورهم عليه ".[41] (الشربيني، 1285 ه) .

وذكر الآلوسي معنى آخر لطيفا فقال: " ولا يخفى لطف الإتيان بالتاء في استطاعوا هنا، قال: أي ذو القرنين ... أي هذا الذي ظهر على يدي وحصل بمباشرتي من السد، الذي شأنه ما ذكر من المتانة وصعوبة المثال، رحمة أي: أثر رحمة عظيمة ...".[42] (الآلوسي، 1419 ه)، أي بالرغم من الشدة والتعب والنصب في بنائه إلا أنه رحمة من الله كيف لا، وقد جعل حاجزا يحجز قومًا فاسدين ومفسدين.

ويذهب السامرائي إلى أن الصعود على السد أيسر من إحداث ثقب فيه فيقول " وذلك في السد الذي صنعه ذو القرنين من زبر الحديد... وقد ذكرنا أن الصعود على هذا السد أيسر من إحداث ثقب فيه لمرور الجيش، فحذف من الحدث الخفيف ... بخلاف الفعل الشاق الطويل، فإنه لم يحذفه بل أعطاه أطول

صيغة ... فخفف بالحذف من الفعل الخفيف بخلاف الفعل الشاق الطويل ".[43] (السامرائي، 2006 م).

ومما سبق يتضح لنا أن مقام القوة والشدة والصعوبة ناسبه أن يأتي الفعل مستوفيًا لجميع حروفه وأركانه، وأما مقام اليسر والسهولة والخفة ناسبه أن يأتي الفعل مخففاً.

4.2. -أثر ذكر الهمزة في "اتّبع" وحذفها في "تبع" في المعنى:

قال الله تعالى: ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًاۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [البقرة: 38]، وقال في طه: ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًاۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [طه: 123].

يذكر صاحب ملاك التأويل، الفرق الحاصل بين المفردتين "تبع" و"اتّبع" فيقول :"هنا سؤالان: ما فائدة اختلافهما، وما وجه تخصيص كل موضع منهما بما اختص به؟ والجواب عنه، والله أعلم: أن "تبع" و"اتّبع" محصلان للمعنى على الوفاء، و"تبع" فعل وهو الأصل و"اتبع" فرع عليه لأنه يزيد عليه، وهو منبئٌ عن زيادة في فعل بمقتضى التضعيف، فعلى هذا... فمن تبع لأنبائه عن الإتباع من غير تعمُّل ولا تكلف ولا ومشقة، وأما اتّبع فإن هذه البنية، أعني بنية افتعل تُنبئ عن تحمّل و تحميل للنفس، فقدم ما لا تعمُّل فيه، و أخَّرَ اتبع لما يقتضيه من الزيادة"[44]. (الغرناطي، 1440 ه) .

ثم يسترسل صاحب ملاك التأويل، في الكشف عن معاني ذكر التاء وحذفها في "تبع" و"اتّبع"، فيقول: " لما تقدم في آية البقرة، كقوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى

فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾، [البقرة: 38] ولم يرد فيهما مما كان من إبليس سوى ما أخبره به تعالى عنه من قوله: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ [البقرة: 36] ،من غير تعرض لكيفية تناول ما فعل ولا إبداء علة ولا كبير معالجة ناسب هذا "تبع"، ولما ورد في آية طه ذكر الكيفية في إغوائه، بقوله: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾﴾ [طه: 120]، فأفهمت الآية قوة كيد اللعين، واستحكام حيلته... فصار تمييز الحق لا يحصل إلا بمعالجة وتعمل فناسب فمن " اتّبع "[45]. (الغرناطي، 1440 ه).

وعليه فكلام صاحب التأويل أوضح و بيّن الأثر المترتب عن ذكر الهمزة في "اتّبع وحذفها في "تبع"، وأن مرجع ذلك كله إلى قوة التعمّل والتكلف في "اتّبع" و أما "تبع" فجاء الحذف من المفردة لتدل على سهولة الإتباع من غير تكلف ولا مشقة.

ويؤكد هذا المعنى، ما أشار إليه صاحب خصائص التعبير القرآني، " القصة في "طه" بُنيت من أولها على القوة والمبالغة و التوكيد فناسب آخرها أولها... و التشديد في "طه" للتصريح بمعصية آدم، و قد سبقه الإتباع مشددا في السورة نفسها"[46]. (المطعني، 1992 م).

وعليه فالفعل "تبع" فعل ثلاثي مجرد وهو أصل، دل على التخفيف فناسب معنى الآية الكريمة وهو الدلالة على الإتباع من غير مشقة ولا تكلف، يؤكدُ هذا ما تقدم في الآية الكريمة من سورة البقرة من ذكر ما كان من إبليس دون تعرّض لكيفية تناول ما فعل، ولا شرح ولا تفصيل لإغوائه آدم و حواء بجعلهما يأكلان من الشجرة التي نهيا عن الأكل منها.

أما الفعل "اتّبع"، فهو فرع على "تبع"، لأنه يزيد عليه بهمزة وتضعيف، وبنية "افتعل" تدل على تحمل وتحميل للنفس، وجاءت مناسبة لما تقدم في الآية

الكريمة من سورة طه، حيث ورد فيها ذكر كيفية إغواء إبليس لآدم وزوجه وتفصيل للواقعة وبيانٌ لكيد الشيطان وقوة مكره واستحكام حيلته، فصار تمييز الحق لا يحصل إلّا بجهد جهيد ونظرعميق وتكلف وعليه ناسب كل لفظ المقام الذي سيق فيه.

4.3. -أثر ذكر النون في "أنّنا" وحذفها في " أنّا" في المعنى.

قال تعالى ﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ٥٢ ﴾ [آل عمران: 52]. وقال في سورة المائدة: ﴿ وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ أَنۡ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ ١١١ ﴾ [المائدة: 111].

يبيّن صاحب ملاك التأويل الأثر المترتب عن ذكر النون في "أنّنا" وحذفها في "أنّا" فيقول:" آية المائدة لما ورد فيها التفصيل فيها فيما يجب الإيمان به، وذلك قوله ﴿ أَنۡ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي ﴾، فجاء على أتم عبارة في المطلوب وأوفاها، ناسب ذلك ورود "أنّنا" على أوفى الحالين ولما لم يقع إفصاح التفصيل في آية آل عمران حين قال تعالى: ﴿ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ﴾ فلم يقع هنا ﴿ وَبِرَسُولِي ﴾ إيجازًا للعلم به و شهادة السياق ناسبت هذا الإيجاز كما ناسب الإتمام وجاء كل على ما يجب، ولو ورد العكس لما ناسب"[47]. (الغرناطي، 1440 ه).

معنى كلام صاحب ملاك التأويل هو أن إثبات النون في "أنّنا" ناسب المقام، فآية المائدة لما ورد فيها التفصيل فيما يجب الإيمان به من: إيمان بالله وبالرسول، فزيادة الإيمان بالرسول ناسبها زيادة النون وإثباتها، بخلاف آية آل عمران فجاءت مختصرة فناسبها الحذف.

" فحاصل الكلام أن سبب ذكر النون في "أنّنا" راجع لمناسبتها تعدد النعم و الآلاء في آية طه، بخلاف آية آل عمران فناسبها الحذف لأن المقام ليس في تعداد النعم، ويُضاف إلى ذلك أنه قال في المائدة﴿وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ ﴾ أي أن الله هو الذي أوحى إليهم وثبتهم، فناسب كل في موضعه"[48]. (السامرائي، 2006 م).

وعليه يتضح الأثر في ذكر النون وحذفها من الكلمتين: "أنّا"و أنّنا" فمقام تعداد النعم و أن الله هو الذي ثبتهم و أوحى إليهم فكان ذلك منه إبتداءً ومنة عظيمة ناسبه زيادة النون وذكرها في " أنّنا"، بخلاف "أنّا" في سورة آل عمران، فمقامها يختلف عن مقام سورة طه، فهي سيقت في معرض ليس فيه تعداد نعم، فناسبها الحذف.

4. - خاتمة:

في ختام الورقة البحثية؛ يمكننا القول بأن الذكر والحذف في المفردة القرآنية، يُعدّ من أعلى طبقات البلاغة القرآنية، من خلال الأثر المترتب عن ذكر الحرف أو حذفه، من المفردة القرآنية نفسها، التي رسمت لوحة فنية بلاغيا، كان لها تأثيرها الكبير فيما بعد في المعنى، وكان من أبرز من تناولوا هذا الجمال البلاغي في المفردة القرآنية، ابن الزبير الغرناطي من خلال كتابه ملاك التأويل الذي أفاض في ذكر اللمسات البلاغية، بأسلوب بلاغي رفيع.

أما أبرز وأهم ما توصلنا إليه من نتائج من خلال ورقتنا البحثية فنجملها في النقاط الآتية:

- الزيادة في المبنى ينتج عنها زيادة في المعنى وهذه القاعدة تذكر دائمًا بجانب الذكر وأما القاعدة الثانية فهي تذكر دائمًا بجانب الحذف وهي: الاقتطاع من الحدث ينتج عنه اقتطاعٌ من الفعل، ومعنى هذا الكلام؛ أن كل زيادة في المفردة القرآنية أو حذف منها ينتج عنهما تغيُّر في المعنى، وإلاَّ لكان الذكر والحذف لا قيمة لهما.

- ذكر الحرف في موضع وحذفه في موضع آخر قريب ليس مصادفة، وإنما جاء لحكمة مقصودة، تُقرر المعنى المراد، وتُحقق الإعجاز البياني الرفيع. – ذكر الحرف أوحذفه في المفردة القرآنية نفسها له ضابط يحكمه في ذلك وهو السياق القرآني المعجز، فهو الذي يشير إلى ذكر الحرف وإلى حذفه، فيكون الأنسب - من حيث الأسلوب و المضمون -، لأن هذا يتفق مع سياقها التعبيري والمعنوي، و قد يكون الأنسب حذف الحرف نفسه في آية متشابهة؛ لأن هذا الحذف يتفق مع السياق الآخرالتعبيري والمعنوي.

أما توصيات البحث فنجملها في أهم توصية :

-ضرورة تصنيف مصنف بلاغي، يدرس ويسجل فيه جميع المفردات القرآنية التي وقع فيها الذكر أو الحذف كموضوع بحث، ويُذكر فيه اللمسات البلاغية وأثرها في المعنى، وتُدرس من جانب الإعجاز البلاغي كإضافة في هذا الفن.

المراجع :

1 - محمد محمد أبو موسى، خصائص التراكيب، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط 3، 1980م.

10 - أحمد احمد بدوي، من بلاغة القرآن، نهضة مصر للطباعة، د ط، القاهرة 2005.

11 - أحمد بن محمد الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، بيروت، دط، دت.

12 - احمد ياسوف، جماليات المفردة القرآنية، دار المكتبي، دمشق، ط2 ، 1999م.

13 - الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، مفردات غريب القرآن، تح، صفوان عدنان الداودي، دارالقلم، الدارالشامية، دمشق، بيروت، ط1، 1412هـ.

14 - المبروك زيد الخير، العلاقات الإسنادية في القرآن الكريم، دراسة نحوية بلاغية ، دار الوعي ،الجزائر ط1،2011.

15 - فاضل صالح السامرائي، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، العاتك لصناعة الكتاب، القاهرة، ط2، 2006 م.

16 - شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، مطبعة بولاق، القاهرة، ط1، 1285هـ.

17 - عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني ،خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، مكتبة وهبة،القاهرة، ط 1، 1992م.

18 - عبد الله بن هشام، شرح قطر الندى وبل الصدى، تح، محمد عبد الحميد ،القاهرة، ط11 ،1383ه .

19 - محمد بن أبي بكر الرَّازي، مختار الصحاح، المكتبة المصرية، بيروت،ط 5،1999م

2 - أحمد مختارعمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة،ط1، 2008م.

20 - محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، تح، محمد باسل عبود السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م.

21 - إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح، عبد الغفور، دارالعلم، بيروت، ط4، 1987م.

22 - بدر الدين محمد بن عبد الله الزّركشي، البرهان في علوم القرآن، تح، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الإحياء، بيروت ،ط1، 1957م.

23 - عبد الله بن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح ، مازن المبارك، دار الفكر، دمشق، ط6، 1985م .

24 - عبد الرحمن حبنكة الميداني، البلاغة العربية، أسسها، وعلومها، وفنونها، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت،ط1 ، 1996م.

25 - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح محمود شاكرأبو فهر، مطبعة المدني ،القاهرة، ط3، 1992م.
26 - إسماعيل بن عمر بن كثير،تفسير القرآن العظيم، تح، محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت،ط1 ،1419ه، ج5.
27 - الخليل بن احمد الفراهيدي، العين، تح، مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي ،داروم‌كتبة الهلال، بيروت، دط، دت، ج3.
28 - جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تح ، محمد أبو الفضل، إبراهيم الهيئة المصرية العامة، القاهرة،ط 1974 م .
29 - شهاب الدين محمود الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415ه.
30 - عبد الله بن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تح، محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة التراث القاهرة، ط20، 1980م.
31 - إبراهيم بن الزبير الغرناطي، ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، تح، عبد الحميد هنداوي، ط1، 1440ه .
32 - ابن منظور الأنصاري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ، ج9

الإحالات

[1] محمد بن أبي بكر الرَّازي، مختار الصحاح، المكتبة المصرية، بيروت ،ط5، 1999م، ج1 ص 112، باب (ذ ك ر).

[2] أحمد مختارعمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2008م، ج1 ص 813.باب (ذ ك ر).

[3] عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، البلاغة العربية، أسسها، وعلومها، وفنونها، دار القلم - الدار الشامية، دمشق، بيروت، ط1 1996م،ج1 ص 312.

[4] محمد محمد أبو موسى، خصائص التراكيب، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط 3، 1980م، ص 140.

[5] عبد الرحمن حبنكة، البلاغة العربية، أسسها، وعلومها، وفنونها ، ج1 ص 312.

[6] المبروك زيد الخير، العلاقات الإسنادية في القرآن الكريم، دراسة نحوية بلاغية، دار الوعي، الجزائر ط1، 2011،ص177.

[7] عبد الرحمن حبنكة، البلاغة العربية، أسسها، وعلومها، وفنونها، ج1 ص 319.

[8] المرجع نفسه، ج1،ص320 .

[9] المرجع نفسه، ج1،ص320.

[10] الخليل بن احمد الفراهيدي، العين، تح: مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، دط، دت، ج3، ص 201.باب الحاء والذال والفاء معهما (ح ذ ف).

[11] إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح:عبد الغفور، دار العلم، بيروت، ط4، 1987م، ج4 ص1341. باب (حذف).

[12] محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة ، تح، محمد باسل عبود السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م، ج1، ص 176.باب (حذف).

[13] ابن منظور الأنصاري، لسان العرب، دار صادر، بيروت: ط3، 1414هـ ،ج9 ص39. فصل الحاء المهملة.

[14] عبد الله بن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة التراث القاهرة، ط20، 1980م، ج1 ص243.

[15] بدر الدين محمد بن عبد الله الزّركشي، البرهان في علوم القرآن، تح:محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الإحياء، بيروت، ط1 ،1957م ،ج3 ،ص 102.

[16] عبد القاهرالجرجاني، دلائل الإعجاز، تح، محمود شاكرأبو فهر، مطبعة المدني القاهرة، ط3، 1992م، ج1 ص 146.

[17] المبروك زيد الخير، العلاقات الإسنادية في القرآن الكريم، ص 173.

[18] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ج1 ص 151.

[19] الزّركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3 ،ص 105 .

[20] المصدر نفسه، ج3 ،ص 105.

[21] المصدر نفسه، ج3 ،ص 105.

[22] المصدر نفسه، ج3 ،ص 106.

[23] عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1992م، ج2، ص 69.

[24] جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تح، محمد أبو الفضل إبراهيم،الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ط 1974م ج3، ص 203.

[25] المصدر نفسه، ج3، ص 204.

[26] الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، مفردات غريب القرآن، تح، صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق بيروت، ط1، 1412هـ، ص 54.

[27] محمد بن أبي بكر الرَّازي، مختار الصحاح، ج1 ص 236.باب (فرد).

[28] أحمد بن محمد الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، بيروت، دط، دت ،ج2 ص 466.باب (فرد).

[29] عبد الله بن هشام، شرح قطرالندى وبل الصدى، تح: محمد عبد الحميد، القاهرة، ط11، 1383ه، ص 11.

[30] احمد ياسوف، جماليات المفردة القرآنية، دار المكتبي، دمشق، ط2، 1999م، ص 19.

[31] أحمد احمد بدوي، من بلاغة القرآن، نهضة مصر للطباعة، القاهرة 2005، ص 95.

[32] عبد الرحمن حبنكة، البلاغة العربية البلاغة العربية، أسسها، وعلومها، وفنونها، ج1 ص314.

[33] المرجع السابق، ص 186.

[34] بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، فاضل السامرائي، العاتك لصناعة الكتاب،القاهرة ،ط2، 2006 م ص15.

[35] جمال الدين بن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح، مازن المبارك، دار الفكر، دمشق، ط6، 1985، ص 787.

[36] المصدر نفسه، ص 787.

[37] إبراهيم بن الزبير الغرناطي، ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، تح، عبد الحميد هنداوي، ط1، 1440ه ، ص476.

[38] المصدر نفسه، ص476.

[39] الغرناطي، ملاك التأويل ص476.

[40] إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، تح، محمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419ه ج5، ص 177.

[41] شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، مطبعة بولاق، القاهرة، ط1: 1285هـ، ج2،ص 406.

[42] شهاب الدين محمود الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1،1415 ه،ج8 ص363.

[43] فاضل السمرائي، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، ص9.

[44] الغرناطي، ملاك التأويل،ص 61 -62 .

[45] المصدر نفسه، ص 63 .

[46] عبد العظيم المطعني، خصائص التعبير القرآني و سماته البلاغية، ج2 ص 20.

[47] الغرناطي، ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل ص154 .

[48] بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، فاضل صالح السامرائي، ص 76.

مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ر ت م د: 7163 -1112 ر ت م د إ :2588-1892
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2

فعالية المثقف المُصلح في ظل التحولات المعاصرة

The effectiveness of the reformed intellectual in light of contemporary transformations

نجمة عليوش
جامعة 20أوت1955_سكيكدة_aliouchend@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/05/08 تاريخ القبول: 2021/04/18

ملخص

يواجه المثقف في ظل التغيرات السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية التي يشهدها العالم المعاصر، يواجه تحولا على مستوى الدور الذي يقوم به داخل المجتمع، بعدما كان يؤدي دور المُصلح والمسؤول عن توعية الناس من خلال ما يقدمه لهم من إيضاح وتفسير للواقع الاجتماعي المعيش، إلا أن هذا المثقف لم يعد له وجود وتواجد فعلي في هذا العصر، بالموازاة مع ظهور ما نُطلق عليه مثقف البلاطوهات الذي يختلف عن المثقف الحقيقي كونه يكتفي بتواجده في البرامج التلفزيونية مع ضعف في التحليل المنطقي والعلمي الذي يصطبغ به طرحه، ومن خلال هذه الورقة البحثية نطرح موضوع المثقف في ظل التحولات المعاصرة.

الكلمات الدالة:

المثقف ,المثقف الحقيقي, مثقفو البلاطوهات, علي شريعتي, الفعالية.

المؤلف المرسل: نجمة عليوش: aliouchend@gmail.com

Abstract

The Intellectual Faces, In Light Of The Political, Economic, Social, And Cultural Changes That The Contemporary World Is Witnessing, Facing A Transformation At The Level Of The Role He Plays Within Society, After He Plays The Role Of The Reformer And Responsible For Educating People Through The Clarification And Interpretation He Provides For The Living Social Reality, Except That This Intellectual No Longer Has An Actual Presence And Presence In This Era, In Parallel With The Emergence Of What We Call The Cultured Courtesy, Which Differs From The Real Intellectual, As It Suffices With His Presence On TV Programs With A Weakness In The Logical And Scientific Analysis That Characterizes His Presentation, And Through This Research Paper We Present A Topic Wound Up In Light Of Contemporary Transformations.

Key Words:

The Intellectual, The Real Intellectual, The Role,Ali Shari'ati, Effectiveness .

1. - مقدمة

تطورت المجتمعات الإنسانية عبر الحقب الزمنية وأصبحت على قدر كبير من التقدم في مختلف مجالات الحياة، ويعود الفضل في ذلك إلى العقل البشري الذي أنتج تشريعات وأحكام استطاع من خلالها تنظيم حياة الأفراد والجماعات، ويبرز دوره(العقل البشري) جليا مع ظهور نموذج الدولة التي قدمت صورة أفضل من غيرها من النماذج في تسيير شؤون المجتمع(في المجتمعات الأوروبية على الأقل)، حيث ساهمت في حماية حقوق الأفراد، وتوفير الفرص لإطلاق طاقاتهم العقلية والإبداعية، وتنمية جميع جوانب الشخصية لديهم بما يؤهلهم للمشاركة في بناء مجتمعهم، الذي يعتبر أبرز الواجبات المنتظرة منه في حدود ما تمليه القوانين والتشريعات في دولة ما، التي تقوم بدور التنظيم والتسيير

الأمثل للرأسمال البشري والمادي، هذا التسيير الذي يقوم على مبدأ العدالة والكفاءة من بين مبادىء أخرى على درجة كبيرة من الأهمية.

وتعتمد الدولة في تسيير المجتمع على ثلاث سلطات هي: السلطة التشريعية المكلفة بسن تشريعات وقوانين تتلاءم وطبيعة المجتمع، مع ما يتخللها من تعديلات أو تغييرات حسب التحولات التي يمر بها المجتمع، والسلطة التنفيذية التي تتكفل بتطبيق تلك التشريعات، فيما تعمل السلطة القضائية على مراقبة السير الحسن لهذه الأحكام والقوانين، كما تُعرض كل من يخالفها إلى العقاب، لتكون هذه السلطات التقليدية الثلاث بمثابة الركيزة الأساسية التي تقوم عليها الدولة في تنظيم المجتمع وحماية حقوق وواجبات أفرادها، إلا أن هذه السلطات قد تعتريها بعض الإختلالات في وظائفها المنوطة بها حتى أنها قد تكون سببا في حدوث الفوضى، وضياع الحقوق، وتتسبب في توقف مسار التنمية الاجتماعية، وهنا تبرز أطرافا أخرى تهدف إلى حماية حقوق المواطن والمناداة بالإصلاح المجتمعي، والمتمثلة مثلا في وسائل الإعلام والإتصال التقليدية والحديثة، ومنظمات وتشكيلات ما يُعرف بالمجتمع المدني التي أصبح لها في عصرنا تأثيرا كبيرا على سياسات الدول.

ويحدث أن تفتقد بعض المجتمعات لجهات ذات تأثير كبير تعمل على مساندتها والدفاع عنها، وفي أحيان كثيرة تكون طرفا إضافيا في تعقيد الوضع، عندما تتماهى مع ممارسات السلطات التقليدية، ويصدق هذا الحال على المجتمعات التي تفتقر للديمقراطية والحرية، والواقعة تحت حكم القوى التي تنتهج الإستبداد والقمع كأساليب للحكم، وإذا ما طال أمدها فإنها تُشكل إنسانا خانعا ومستسلما لوضعه لا يمتلك الوسائل التي تمكنه من مقاومة التسلط الذي يقع عليه، ولكي تتمكن هذه القوى من المحافظة على وضعها وامتيازاتها فإنها تنتهج سياسات وأساليب تضمن لها الإبقاء على الجماهير في حالة خنوع وتقبل للوضع الذي تعيشه، حتى أنها(الجماهير) ترضى بهذا الحال وتظنه أفضل ما تستحقه، لتعمل بعد ذلك وسائل الإعلام الموالية لقوى التسلط على غرس الأفكار التي توهم المجتمع أنه يسير في خطى ثابتة نحو التقدم وتحقيق حياة أفضل لأفراده، ليقع تحت تأثير الإعلام المركز بفضل البث المتكرر للرسالة الإعلامية وتغليفها بعناصر جذابة، التي تستولي بذلك على فكر

المتلقي وتغير من إتجاهاته وقناعاته خاصة إذا كان هذا المتلقي هو الشريحة البسيطة من الشعب ذات التعليم والثقافة المتدنية، والتي تفتقد منطق التحليل الموضوعي والعلمي للقضايا والأحداث، ليكون تأثير الإعلام عليها أكثر من غيرها.

وفي مقابل الشريحة البسيطة من الشعب التي تستوعب فقط ما تشاهده كمتلقي سلبي، هناك الطبقة المثقفة التي تحوز على مستوى تعليمي وثقافي عال، وتمتلك بعكس الأخرى أدوات التحليل المنطقي والموضوعي للواقع الاجتماعي بجميع أبعاده، والتي تكون بمثابة العقل المفكر الذي ينظر إلى الوقائع بعين الناقد فتشير إلى السلبيات ومواطن العلة وتقترح مخرجا تبتغي منه الإصلاح، وهذا هو المثقف الذي يمتلك وعيا وإدراكا للواقع الاجتماعي على صورته الحقيقية، متخطيا بذلك الصور التي تعكسها القوى المسيطرة على المجتمع، ولا يتحدد دور المثقف في الكشف عن مواطن الخلل في النسق السياسي فقط، بل يتعداه إلى النسق: الثقافي، والأسري، والتعليمي، والاقتصادي...الخ، فالمثقف لا يختص بنسق دون غيره وهو غير ملزم بالتفاعل ضمن أطر وحدود معينة، فرسالته ومسؤوليته تحتم عليه الولوج في مختلف المجالات التي يرى فيها أسباب العلة داخل المجتمع، وفي هذه الورقة البحثية نحاول البحث سنحاول الاجابة على الأسئلة التالية:

1 -من هو المثقف؟

2 -ما المنتظر من المثقف في مجتمعه؟

3 -ماهو دور المثقف في ظل التحولات المعاصرة، وهل هو في ذلك مخير؟ أم مُسير؟

4 -هل هناك احتمالية لاختفاء المثقف المُصلح من المشهد الثقافي والاجتماعي الجزائري، خاصة مع ظهور مع ما بات يُعرف بـ "مثقفي البلاطوهات"؟

2. - من هو المثقف؟

لكل مصطلح جذور لغوية ومعانٍ ترتبط به ضمن إطار المجال المعرفي والتخصص العلمي المستخدم فيه، كما يخضع إلى تغييرات في مدلولاته الناتجة عما يستجد من دراسات وأبحاث عالجت مصطلحا بعينه، هذه الدراسات التي قد تتقاطع في نقاط تشابه مشتركة لما توصلت إليه من تحليل وتوصيف جزئي أو كلي لبنية المفهوم الذي قد يخضع إلى تغيرات في معناه القديم المتفق عليه نتيجة بعض التحولات المجتمعية المحلية والعالمية، حتى لا يُنسى ويبقى رهين فترة زمنية معينة وهي بمثابة عملية إعادة تشريح لحقيقة المصطلح بغاية فهم وقراءة أفضل للواقع الاجتماعي.

وهذا هو الحال بالنسبة لمصطلح المثقف، الذي شغل حيزا كبيرا من الإهتمام في الدراسات العلمية والأبحاث الاجتماعية العربية والأجنبية، في سبيل تحديد معناه الاشتقاقي والاصطلاحي لما له(المثقف) من أهمية وظيفية داخل نسيج المجتمع، وعلينا أن نعرف قبل أن نتطرق لمفهوم المثقف بأن قضية "المثقف"(علي شريعتي،2007) تم طرحها لأول مرة في العالم بعد نهاية العصور الوسطى، وذلك منذ القرن السابع عشر حيث تشكلت في أوروبا طائفة تسمى "بشريحة المثقفين"، وبعد القرن التاسع عشر أخذت هذه الطائفة باسمها وخصائصها وسماتها تشق طريقها إلى الدول غير الأوروبية، في ما اعتبر الجابري(2000) أن ظاهرة المثقفين في العالم العربي المعاصر إذا كانت ترجع إلى الاحتكاك بالثقافة الأوروبية الحديثة، فإن الظاهرة نفسها نشأت في أوروبا الوسيطة نتيجة احتكاكها بالثقافة العربية الإسلامية، ولكننا نبحث هنا عن الاستخدام الأول للفظ "المثقف"، ومنه ولأن استخدام الكلمة بدأ لأول مرة في الساحة الثقافية الأوروبية، وجب علينا أن نبحث في الأصل الاشتقاقي للكلمة في اللغات الأوروبية، والتي "تأتي بمصطلح Intelgentsia وهي اسم مصدر والصفة منها هي Intellectuel، وأصل الكلمتين معا هو Intellect التي تعني الفطنة، أو العقل، أو قدرة الإدراك والفهم والإستنتاج"(علي شريعتي، 2007)، فوعي الانسان بذاته وبما حوله يتم من خلال العقل، بمعنى أن المثقف هو ذلك الذي يستخدم عقله كأداة ووسيلة لفهم ما حوله، أما في "اللغة الفرنسية فمرادف كلمة مثقف هو كلمة Clairvoyant وتعني بعيد النظر أو مستنير"(علي شريعتي،

2007)، خاصة أن فرنسا عُرفت بأنها بلد الثقافة والمثقفين وتحديدا في عصر الأنوار، الذي شهد بزوغ أهم وأبرز المثقفين ولا تزال أسماؤهم تُذكر ليومنا هذا، نتيجة ما قدموه من أعمال وأفكار أثرت في التاريخ الفرنسي وساهمت في إحداث التغيير في العقول والمجتمع الفرنسي وحتى العالمي.

أما في الثقافة العربية فلم يرد مصطلح "المثقف" بمعناه المعاصر المتعارف عليه اليوم، ولكنه يأتي بالكلمة الاشتقاقية له "ثَقُفَ، ثَقْفاً وثَقَفاً، أي صار حاذقا فطنا فهو ثِقْفٌ"(مجد الدين الفيروزآبادي، 2008)، وهذا المعنى بعيد كل البعد عن المدلول اللغوي لمفهوم المثقف في اللغات الأوروبية التي كانت السباقة في التعبير في أدبياتها وحياتها الثقافية بهذا المفهوم، "أما في المعاجم العربية فيدل على الحذق، الفطنة، وخفة الظل(...) بينما "الثقيف" هو الثقيل أو الحامض"(فهمي هويدي، 1999)، وحقيقة أن مصطلح "المثقف" ليس له جذورا لغوية واصطلاحية في الثقافة العربية ليس فيه انتقاصا أو تقليلا لقيمة هذه الثقافة ولا يعني أن المجتمعات العربية لم يكن لها مثقفوها، وهذا بعيد عما نبتغيه في هذه الورقة البحثية، إنما هذا يحيلنا إلى قضية مهمة وجب منا الالتفات إليها والمتمثلة في أن كل مصطلح أو مفهوم هو ابن بيئته، وصنيعة أحداثٍ وحقبٍ تاريخية معينة، وانعكاس لأفكار الأفراد الذين عاشوا خلال تلك الحقب، فالمصطلح إذا لديه خصوصية جغرافية، تاريخية، وثقافية يمتلكها إنسان تلك الجغرافيا وذلك التاريخ، وقد يحدث أن يَكْسِر مصطلحا ما هذه الخصوصية ويتعدى الحدود التي رسمتها له، فيتجاوزها نحو ثقافات ومواطن أخرى مختلفة عن الحاضنة الأصلية التي شكلته، وهذا بالضبط ما حدث مع مصطلح المثقف.

وقد شهد المفهوم الاصطلاحي للمثقف الكثير من التعريفات التي اتسمت بالخلط بينه وبين مصطلحات أخرى كالمفكر والمتعلم، التي نرى كغيرنا اختلافا جوهريا بينها وبين مصطلح المثقف، ولأننا نبتغي معنى محدد يعكس فهمنا لهذا المصطلح بحثنا في أبرز الكتابات والدراسات الأصيلة التي تناولت بالبحث والتحليل المعنى الاصطلاحي للمثقف، والذي وجدناه في كتابات المفكر وعالم الاجتماع الإيراني علي شريعتي كونه قدم طرحا مُعمقا لقضايا دول العالم الثالث، وتعاطى معها من خلال ملاحظاته لواقع مجتمعات هذه الدول،

وما تلاه من تحليلات موضوعية تعكس خصوصية هذا الواقع، فكانت قضية المثقف من بين أبرز القضايا التي تعمق في فهمها، وقد بنى شريعتي رؤيته حول المثقف على القاعدة التي تقول في علم الاجتماع **"أن حقيقة ما قد تكون في مجتمع معين صادقة ومنطقية تماما، لكنها قد تكون مضرة وكارثة وقبيحة في ظل ظروف اجتماعية أخرى"**، خاصة أنه قارن بين المثقف في أوروبا والمثقف في العالم الإسلامي ونتيجة لهذه المقارنة والبحث أعطى تعريفا للمثقف(2007) **"وهو ذلك الإنسان الذي يفكر بطريقة جديدة وإن لم يكن متعلما أو عارفا بالفلسفة، لكنه يحس عصره، ويفهم الناس، ويفهم كيف يفكر الآن، ويفهم كيف ينبغي عليه أن يحس بالمسؤولية، وعلى أساس هذه المسؤولية يكون مستعدا للتضحية"**، ومن خلال هذا التعريف الذي قدمه شريعتي نستخلص هوية وسمات المثقف الذي يعنيه والجدير بحمل هذا اللقب حسبه وهو:

- من يخضع أفكاره للنقد والتجديد.
- من يحس بعصره ويفهم الناس.
- من يعي مسؤوليته المجتمعية.
- من يضحي من أجل مصلحة مجتمعه.

وبهذه الصفات التي تضمنها تعريف علي شريعتي للمثقف نستخلص أنه أوجد فهما مخالفا للمألوف والمتعارف عليه لماهية المثقف، وهو المتعلم والحاصل على الشهادات المدرسية، أو ذلك الذي يمتلك معلومات ومعارف في مختلف المجالات، وكلا الصنفين يندرج ضمن فئة رجال الفكر، "وهم الأفراد الذين يتميزون عن باقي أعضاء المجتمع بالخبرة والمعرفة، التي يحصلون عليها عن استعداد أو كالتزام مترتب على وظيفتهم المهنية، التي تستدعي استخدام مثل هذه الخبرة والمعرفة"(أحمد زكي بدوي، 1977)، ولا يتحدث شريعتي عن هؤلاء ولا يشملهم في تعريفه للمثقف، حتى أنه عرب كلمة Intellectuel الأوروبية(2007) بكلمة متعلم، أو "ذو شهادة" لأنه يعلم ويعمل بما تعلم، فالمثقف هو من يحمل وعيا وفهما للواقع الاجتماعي الذي يعيش فيه، ولا يكتف بمجرد فهمه بل ويعمل على إفهامه لأفراد مجتمعه لأنه يبتغي مصلحتهم التي تأتي في أولويات اهتماماته، فالسمة البارزة للمثقف حسب شريعتي تتمثل في "معرفته لمجتمعه معرفة حقيقية، والتفاهم مع قومه، ومعرفة عصره، فهو القادر على أن

يحدد في أي مرحلة من التاريخ يعيش مجتمعه، أو بعبارة أخرى ما هو زمانه الاجتماعي؟"، ولا يُشترط أن يكون هذا المثقف ذو علم واسع أو متحصل على الشهادات التي تثبت ذلك، يكفي أن يشعر ويفهم ما يدور حوله، وفي مفهوم "المثقف" الذي قدمه شريعتي يتشابه ويتقاطع مع ما أطلق عليه محمد عابد الجابري "المثقف النهضوي"، ويعني به المثقف الذي يحمل هم وطنه وأمته، الحالِم بغد أفضل المُشرع للمستقبل ضمن إطار نظري"(محمد عابد الجابري، د.ت)، وتكمن نقطة التشابه بينهما أن كلا المثقفين عند شريعتي والجابري يحمل هم وطنه ويهدف إلى خير مجتمعه ونهضته، من خلال ما يقدمانه من أفكار إصلاحية ونهضوية، فيما يختلفان في أن المثقف النهضوي للجابري ينحصر دوره ضمن الإطار التنظيري لملامح النهضة التي يبتغيها فقط، فيما يتجاوز المثقف المصلح لشريعتي هذا الإطار نحو الإصلاح في على مستوى الواقع.

3. - المثقف الحقيقي أو المثقف المُصلح

لا يخلو مجتمع من المجتمعات من مشاكل وأزمات تعرقل مساره التنموي، وتعيق بناءه الحضاري مهما كان هذا المجتمع على درجة كبيرة من التنمية والتقدم في جميع مجالات الحياة، وحتى لو تم تصنيفه كمجتمع رفاه يعيش فيه أفراده بمقاييس أفضل من غيرهم في مجتمعات أخرى إلا أن هذا لا يعني أنه (المجتمع) لا تتخلله مشاكل أو نوعا من الاستغلال الذي يعود بالضرر على أعضائه في أي صورة كانت، ولأنه كلما حدثت تغيرات في النظام الاجتماعي بجميع أنساقه تبعتها تغيرات في تفكير الأفراد والجماعات، وهذا ما يؤدي إلى بروز احتياجات ومطالب جديدة تفرضها هذه التغيرات التي قد تستجيب لها السلطات المسؤولة عن تسيير شؤون المجتمع، أو أنها ستتجاهلها وتعمل على تغييبها عن العقول واستبدالها بقضايا أخرى لا تعبر عن دورها الحقيقي الذي قامت لأجله، ولا تتوقف الأمور عند هذا الحد بل تتعدى إلى قيامها بصناعة عالم افتراضي آخر معاكس تماما عما هو واقع وملموس، فتقنع أفراد المجتمع أنهم على ما يرام من خلال وسائل الإعلام والمؤسسات. لتتمكن من تشكيل عقل ذلك المواطن البسيط الذي تلقى تنشئة تتبنى هذه الأفكار وتغرسها فيه، وتمنعه من أن يتفطن أو يعي ما يدور حوله من سلب لحقوقه وتسلط على حرياته. وهنا يبرز دور المثقف الذي تمكن من الإفلات من أساليب التجهيل والقولبة، من خلال

ما يمتلكه من فهم للحقائق ومنطقية رؤيته للأحداث، "فهو المسؤول عن إيجاد السبب الأساسي والحقيقي لانحطاط المجتمع، ثم يقوم بتنبيههم وأن يقترح الحل، الهدف، والأسلوب الصحيح للنهوض"(علي شريعتي، 2007) .

فالمثقف إذا لا يكتفي بمجرد إيضاح الصورة الحقيقية للواقع المختل الذي يعيشه الناس بل يتخطاه إلى توجيههم نحو السبل التي تمكنهم من تغيير هذا الواقع، وهذا لا يعني أن يكون قائدا بمعنى المسؤول والمتحكم في عملية التغيير، وإنما يتمثل دوره في كونه مجرد منبه للعقول وعامل أساسي في تبديد الأوهام والمغالطات التي عطلت الوعي لدى أفراد الشعب، وهكذا يكون دور المثقف حسب شريعتي(2007) شبيها بالدور الذي كان يقوم به الأنبياء، الرسل، وأئمة المذاهب في العصور القديمة الذي يتمثل في منح بني البشر المعرفة والوعي، ويتطلب من المثقف الاتصاف بالشجاعة والتضحية في سبيل إيصال أفكاره إلى أفراد مجتمعه مهما كانت العواقب، لأن وعيه ونزعته الإنسانية التي يحملها هما من تدفعانه في هذا الاتجاه وتفرضان عليه الشعور بالمسؤولية المجتمعية ويكون ذلك حسب الجابري(1990) من خلال الدور الذي يقوم به كمشرع، ومعترض، ومبشر بمشروع، أو على الأقل صاحب رأي وقضية يعمل باستمرار ودون توقف للدفاع عن هذه القضية أو تلك، حتى يتأكد واقعيا أنها لم تعد تقف عائقا أمام المصالح الفردية والعامة، ولن يكون هذا نهاية لدوره الإصلاحي والتنويري فهو سيبحث عن مشكلة أخرى يعاني منها أفراد المجتمع ويتبناها لأنه بمثابة "ناقد اجتماعي وهو الذي يساهم في تجاوز العوائق التي تقف أمام بلوغ نظام اجتماعي أفضل"(محمد عابد الجابري، 2000)، ليكون دوره غير محددا بقضية أو حقبة زمنية معينة، فهو ابن مجتمعه ويشغله كل ما يؤرق ويؤلم هذا المجتمع، لأنه ببساطة لا يدافع عن حقوق مجتمعه من منطلق أنه يفهم أكثر منهم أو يمتلك أدوات وسلطات فَرضت عليه هذا الدور، بل هو ذلك القلق الذي يعتريه حين يشاهد الناس تعاني من أجل التمكن من البقاء على قيد الحياة، إنها تلك الحيرة وقلة الحيلة التي تتلبسه حين لا يستطيع أن يزيل المعاناة عنهم، هو تفكيره المتواصل في وضعيات الناس، هو ذلك الذي يضع مصلحة الناس فوق مصلحته الشخصية، وما المكانة المرموقة والقبول الذي حظي به المثقفون في فرنسا في عصر الأنوار وما بعده لدى شعبهم "إلا لأنهم وضعوا شهرتهم في خدمة

من لا شهرة له، لأنهم وضعوا أنفسهم في خدمة الآخرين، فالمكانة المرموقة التي حصلوا عليها كانت بمستوى إخلاصهم والمخاطر التي واجهوها ومعاركهم ضد السلطات القائمة"(باسكال بونيفاس 2013).

- دور المثقف في مجتمعه

عادة ما يظهر المثقفون في أوقات الأزمات التي تعصف بمجتمعاتهم، فيكون لهم الظهور الأبرز، حيث يعبرون عن مواقفهم من هذه الأزمات وآرائهم التي تستند إلى تحليل علمي واقعي، دون خلفية سياسية أو مصلحية توجه هذا التحليل ، فغرضهم فقط تمكين أفراد مجتمعهم من معرفة الوجه الخفي من الأزمة أو المشكلة، وهؤلاء المثقفون مختلفون عن المثقفين الذين يظهرون على شاشات التلفزيون اليوم ممن يُطلب منهم تقديم رأيهم العلمي في مشكلة أو آفة معينة، فتراهم يصولون ويجولون بكلام عقيم وجاف تغلب عليه السطحية والشعبوية التي تحكمها العاطفة، حيث لا يختلفون عن العوام في فهمهم للواقع في شيء والسبب يكمن في عدم فهم مثقفي البلاطوهات لجوهر المشكلة، وقد يكون ذلك حسب شريعتي(2007) نتيجة لإصابتهم بداء"التعالم" فتراهم يخوضون في مشكلة معينة دون أن يبنوا كلامهم على أدنى مرجعية علمية، حتى أن البعض منهم لا يؤهله مستواه العلمي والفكري للتنظير في المشكلة، وقد يكمن الخلل(شريعتي، 2007) في بنائهم المعرفي المكون أوروبيا، إما أكاديميا أو ثقافيا، ليصبحوا بذلك أفواها فاغرة تتلقف اللقم الثقافية التي ترميها أوروبا أمامهم، فيحفظون الألفاظ والاصطلاحات من المفكر الأوروبي الفلاني ومن ثم يأتون بها هدايا لشعوبهم، فكل مشكلة يدعون إلى التنظير فيها لابد وأن يأتوا بنسختها الأوروبية أو الغربية ويطبقون منهجهم المقارن غير العلمي فيستخرجون أوجه الشبه والاختلاف بين المشكلة هنا وهناك، ويعرضون الحلول لمعالجتها كما طبقوها هم متناسين أن هناك بونا شاسعا بين نحن وهم، لأن التاريخ السياسي، والثقافي، والاجتماعي، وحتى التركيبة الفكرية لذلك الأوروبي مختلفة وبعيدة جدا عن الشخصية الاجتماعية للجزائري، ويدل عدم إدراك هذا النوع من المثقفين لهذه الحقيقة أنهم مجرد ألسنة تعودت القراءة والحفظ دون تفعيل للعقل، أو أن مشكلة هؤلاء تكمن في شعورهم بالمسؤولية الفكرية لايدولوجيا ومصالح معينة تجبرهم على التنصل من القيم والمبادئ، وهكذا في كل الحالات

يكون هذا المثقف خارجا عن دوره الحقيقي تجاه قضايا مجتمعه، فيتحول بذلك من مسؤول عن كشف الأكاذيب وإيقاظ العوام من سباتهم المفتعل، إلى شريك في الاستعباد الفكري وأداة لإستحمار أفراد مجتمعه، وبهذا ساهم مساهمة كبيرة في قتل كل مبادرة أو خطوة نحو نهضة الإنسان .

5. -دور المثقف في ظل التحولات المعاصرة(هل هو مُخير؟ أم مُسيَر؟)

يكثر الجدل حول الدور الذي يلعبه المثقف في هذا العصر، فمنهم يرى أن إبداء مواقفهم وآرائهم ضروري من أجل توعية الجماهير، فهو صوت الشعب والمتحدث بالنيابة عنه دون خوف من أية تَبِعات قد تطاله، والمسؤول عن تصحيح الأفكار والمعتقدات الخاطئة التي يتبناها مجتمعهم، والتاريخ يزخر بنماذج من المثقفين الذين عانوا من أجل قضايا شعوبهم فقدموا حياتهم ثمنا من أجل خلق الوعي وتبيين الأمور على حقيقتها لمجتمعاتهم.

يرى البعض أن ظروفا وأحداثا أضعفت دور المثقف بل واستبعدته بشتى الوسائل عن القيام بمسؤوليته المجتمعية في ظل تحكم أبعاد أخرى في دواليب النظام الاجتماعي وأنساقه، فأضحى "الحديث عن الإلتزام مرتبط بنزعة مثالية أخلاقية، وبنزعة ارادية ذاتية تهمل ميكانيزم السلطة والمعرفة"(محمد سبيلا، 2009)، فكان استبعاده إما عن طريق الترهيب بشتى أنواعه بسبب كشفهم الحقائق وتعريتهم للواقع الاجتماعي، أو من خلال تشكيل وصناعة مثقفين موالين لأطراف فاعلة ومتحكمة، لتتخذهم كأدوات لإبقاء الحال على ما هو عليه، وجعلهم يرون ما هو غير كائن، ليساهم هذا الصنف من المثقفين في تشويه ماهية المثقف الحقيقي الذي يتصف بأنه المفكر المصلح.

إننا في ظل عالم معاصر تغيرت فيه الكثير من المعطيات، صاحبتها تغير في وظائف الأنساق داخل المجتمع بسبب ظهور بوادر انحطاط فكري وأخلاقي متمثلة في عبادة المال وأولوية المصالح الشخصية على المصلحة العامة، مما نتج عن ذلك تحييد لكل ما فيه خدمة وعمل من أجل المجتمع، وأصبح إنسان هذا العصر منفصل عن هموم مجتمعه، لاهثا وراء ما يحقق له سعادته الخاصة، هذه العقلية التي قد تكون وليدة اقتناعه بعدم قدرته على التغيير أو حرصا منه على حياته، معاشه، والصبر على المعاناة، وهذا ما يتم تخدير عقول العوام به من أجل ضمان بقاء الحال على ما هو عليه، "بسبب أن الفكرة توارت وحلت محلها

الوثنية، إذ نصب لها في كل سوق منبر تسلية لهم وإبعادهم عن طريق التاريخ"(بن نبي، 1986).

5. - نحو اختفاء المثقف المُصلح

ساهمت وسائل الإعلام في خلق ما يسمى بمثقفي البلاطوهات، سواء في التلفزيون، والإذاعة، وحتى مواقع التواصل الاجتماعي، إلا أن من يظهرون على القنوات التلفزيونية الأبرز لأنهم يستطيعون الوصول إلى كل شرائح المجتمع، وحتى المواطن البسيط الذين يتمكنون من عقله وتوجيه تفكيره نحو الغاية التي يريدونها، لأنهم يتحدثون بلغة هذا المواطن البسيط فيصدقهم، وهكذا يصبح بالنسبة للعوام المناضل من أجلهم والمتحدث الرسمي عنه، فيبجلون ويقدسون أعداء حقوقهم، حريتهم، وإنسانيتهم من حيث لا يشعرون.

إن أية قضية أو فكرة لا يُكتب لها النجاح والفعالية إلا بتوفر شرطين أساسيين: أولهما الدعاية الإعلامية ومثقفو البلاطوهات جزء منها، وثانيهما الرأي العام مسلوب الوعي وفاقد الثقة بكينونته، لأن كل ما يعرض عليهم ليلا نهارا يخدم تلك القضية أو تلك الفكرة، وعندما يرى العوام مساندة المثقفين لها يتبلور موقفهم كما تم التخطيط له، وهكذا تتكون لدينا صورة عن هذا المجتمع المفعول به.

تشير الأحداث والوقائع إلى احتمالية إنقراض المثقفين الحقيقيين مقابل بروز مثقفي البلاطوهات، هؤلاء وحدهم هم من تصدح أصواتهم على قنوات التلفزيون خاصة في وقت الأزمات، فهم من يتم طلب آرائهم وتحليلاتهم في المشاكل والاختلالات المجتمعية، ليتكرر ظهورهم في أغلب القنوات التلفزيونية وكأنهم وحدهم من يمثلون طبقة المثقفين، أو هي سياسة إعلامية لإظهار الوجوه نفسها، ومن كثرة ظهورهم الإعلامي يُخيل للعوام أن هؤلاء هم فقط ما يملك الوطن من مثقفين، ووحدهم من يفهم حقيقة الأمور، فوجب السمع والطاعة لأنهم العارفون والمجتمع هو الجاهل، ومنه وجب على الجاهل تصديق واتباع العارف.

إن ظهور موضة مثقفي البلاطوهات برزت أكثر عندما استُبعد المثقفون الحقيقيون من المشهد، لأن فكرهم يحتوي أفكارا مُركزة تُثقل عقول

البسطاء وتجعلهم يُقدمون على خطيئة التفكير والنقد، وتُغير قناعاتهم التي غُرست فيهم من عصور خلت، ويصبحون على دراية بما لهم وما عليهم، فيزيد مستوى الكآبة لديهم بسبب سوداوية توصيفهم للواقع الاجتماعي، هم لا يريدون هذا النوع من المثقفين لأنهم يعرقلون تطور الوطن، إنما يريدون نوعا آخر من المثقفين ممن يقدمون تحليلا بسيطا بكلمات رنانة، لا تعكس حقيقة الواقع المجتمعي وما يتضمنه من تناقضات ومشاكل اجتماعية ذات انعكاسات سلبية على معيشة المواطن البسيط و هؤلاء هم مثقفو البلاطوهات

6. - خاتمة:

إن المشكلة لا تكمن في وجود مثقف حقيقي ومثقف مزيف، بل تكمن في ما مدى وعي المشاهد والمواطن البسيط لحقيقة كلا منهما، وهنا تأتي مسؤوليته لإعمال ملكة العقل التي وهبه الله إياها، ليفصل بين من يريد صلاحه وإصلاحه، وبين من يعمل ضدها، إلا أن هذا قد لا يكون ممكنا في ظل الفكرة الطاغية على ذلك المواطن البسيط بأن كل ما يدور حوله ليس له شأن به، و خارج مجال التأثير على حياته، فهذا التفكير نابع من رؤيته لذاته حيث تسيطر عليه ضعف الثقة بنفسه وإحساسه بالضعف أمام العالم الخارجي فكل ما حوله أقوى منه، أما إذا اختار المواجهة فإنه سيقع في مشاكل لا نهاية لها والتي تؤدي به إلى الفشل في مواجهتها، لأنه ينتمي إلى الجانب الأضعف مقابل الجانب الآخر الذي يمتلك جميع السلطات، ومنه فإن فرص انتصاره ضعيفة إن لم تكن معدومة، لذا فعدم التفكير في خوضها أفضل له، وهكذا ساهمت وسائل الاعلام القديمة والجديدة منها في تشكيل انسان غير متفاعل مع محيطه فيما أرى أنها تقوم بعملية استلاب لملكة التفكير والنقد لدى الانسان وهما خاصيتين أساسيتين في تكوين المثقف بالمعنى الذي يدل عليه مفهوم علي شريعتي لهذا المصطلح.

يتميز هذا العصر بسمة أساسية تتجلى في أنه يملك اليات عديدة ومختلفة تهدف إلى تشويه وعي الإنسان وجعله كائن مادي استهلاكي، في ظل هيمنة الثقافة التي تُعلي من الاتجاه الفرداني النفعي بالتوازي مع إضعاف الجانب الروحي والأخلاقي لدى الفرد، ومع سيطرة هذا النوع من الثقافة فإن ذلك سيكون له أثره السلبي في تكوين وإعداد المثقف حسب مفهوم شريعتي في المجتمع

الجزائري، وفيما يلي سنقترح حلولا نرى فيها المنقذ _إذا صح التعبير_ لما نسميه المثقف المصلح من الإختفاء واستمرارية وجوده الفاعل في المجتمع وسأقدم حلولا واقعية أكثر تأخذ بعين الاعتبار خصائص الواقع المجتمعي في الجزائر :

- تعتبر التربية الأسرية القاعدة الأساسية في بناء فرد يمتلك وعيا وفهما للمحيط الذي يعيش فيه، من خلال التربية التي تلقاها من أسرته عبر المراحل العمرية لنشأته، وأهم قيمة يجب أن يتعلمها الطفل في أسرته هي الحرية التي تمنحها له كحرية الكلام والتعبير عن أفكاره دون أن يعقبها عقاب أو منع، أو التكرار من عبارة "أنت لاتزال صغيرا على هذه المواضيع" على مسامعه، كما يجب على الطفل أن يكون له حرية الاختيار فيما يأكل ويلبس، والمدرسة التي يريد الالتحاق بها، والهوايات المفضلة لديه وكل ما يعتبر من شؤونه الخاصة، فيما تنحصر وظيفة الأب والأم في المراقبة والتوجيه وتقديم الآراء والأفكار دون فرضها عليه.

- جعل القراءة ومطالعة الكتب عادة عند الطفل في المراحل العمرية المبكرة، ولا يتم ذلك إلا من خلال التقليد، فعندما يرى أحد أفراد عائلته يقرأ باستمرار ويلاحظ أن الكتب جزء مهم من المنزل الذي يعيش فيه فإن هذا سيدفعه لتقليد سلوك القراءة، خاصة في السنوات الخمس الأولى من عمره كما يؤكد علماء النفس.

- عندما تصير القراءة عادة عند الفرد يجب أن يقرأ في جميع المجالات المعرفية دون التقيد بمجال واحد يفضله لثقافة أوسع، ولهذه القراءة شرط هام وضروري وهو أن يرافقها التفكير النقدي لكل ما يقرؤه الفرد ويكون ندا للكاتب، ولا يقتصر دوره على حفظ المعلومات وتكرارها فقط.

قد تكون هذه الحلول عند البعض بسيطة وربما سهلة التطبيق بغاية بناء نموذج المثقف المصلح، وهذا قد يكون صحيحا نظريا أما من الناحية التطبيقية فهو صعب التحقيق لما يتسم به الواقع الاجتماعي الجزائري من مشاكل، على المستوى الفكري والسلوكي في جميع الأنساق الاجتماعية، وخاصة الأسرة وما تشهده من اختلالات في ما يحمله الزوج والزوجة من معتقدات حول مؤسسة

الزواج تكون في معظمها معاكسة للهدف الحقيقي من هذه المؤسسة هذا من جهة، ونقص الثقافة التربوية لديم أو انعدامها من جهة أخرى كل هذا يؤثر في تنشئة الفرد المثقف.

قائمة المراجع

1 - أحمد زكي بدوي (1977)، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، ص222.

2 - باسكال بونيفاس (2013)، المثقفون المزيفون، ترجمة روز مخلوف، ط1، دار ورد للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ص13.

3 - علي شريعتي (2007)، مسؤولية المثقف، ترجمة ابراهيم الدسوقي شتا، ط2، دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت.

4 -علي شريعتي (1986). العودة إلى الذات، ترجمة إبراهيم الدسوقي شتا، ط1، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ص156.

5 - فهمي هويدي (1999)، المفترون (خطاب التطرف العلماني في الميزان)، ط2، دار الشروق، بيروت، ص49.

6 - مالك بن نبي (1986)، شروط النهضة، ترجمة عمر كامل مسقاوي وعبد الصبور شاهين، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، ص35.

7 - مجد الدين الفيروزأبادي (2008)، القاموس المحيط، المجلد الأول، دار الحديث طبع - نشر -توزيع ، القاهرة، ص218.

8 - محمد عابد الجابري (2000)، المثقفون في الحضارة العربية (محنة ابن حنبل ونكبة ابن رشد)، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص25.

9 - محمد عابد الجابري (د.ت). إشكاليات الفكر العربي المعاصر، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ص102.

10 -محمد سبيلا (2009). مدارات الحداثة، ط1، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ص88.

مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ر ت م د: 7163 -1112 ر ت م د إ :2588-1892
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2

الفلسفة و علاقتها الجدلية بالايديولوجية و التاريخ ومفهوم النهاية التلازمية

Philosophy and its dialectical relationship with ideology, history, and the notion of an correlative end

بيدة عبد المالك

جامعة غارداية، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية

bida_atk@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2021/03/15 تاريخ القبول: 2021/06/05

ملخص –

الاجتهادات الفكرية والفلسفية الحديثة والمعاصرة ، كثيرا ما وظفت مصطلحات و مفاهيم و تصورات: كالفلسفة – الايديولوجيا – التاريخ – الابوكاييس – الاسكاتولوجيا الفكرية، أخرجتها من سياقاتها المعتادة، سواء من ناحية المفهوم السياقي واللغوي، او من جهة تموقعها، إزاء مفاهيم و قضايا أخرى. بحيث كانت تبدو في التوظيف الدارج والنحت المعتاد، بعيدة كل البعد عن بعضها البعض. او يُعتقد باستحالة وجود تماس أو تداخل بيتها بيد أن الثراء التنظيري الحديث وخاصة مع ظهور التيارات الفلسفية النهضوية التنويرية من جهة، ومن جهة أخرى، التوظيف الايديولوجي للثقافية والسياسية ،التي بينت بشكل مؤدلج مدى التداخل و الإرتباط الكبير من عدة جهات، بل متعدد الجهات، وخاصة مع ظهور نظريات جديدة في الفكر السياسي الفلسفي كفلسفة النهايات و مفاهيم الابوكاليبس. والإسكاتولوجيا الفلسفية، ونخص بالذكر نظريات نهاية التاريخ و نهاية الايديلوجيا والعلاقات التلازمية بينها.

المؤلف المرسل: بيدة عبد المالك: bida_atk@yahoo.fr

الكلمات الدالة-

1فلسفة؛ 2تاريخ؛ 3 ايديولوجي؛ 4 ابوكاليبس؛5 نهاية تلازمية.

Absract-

Modern and contemporary intellectual and philosophical diligence. It often used terms, concepts, and conceptions: such as philosophy - ideology - history - apocalypse - intellectual eschatology, which took them out of their usual contexts. whether in terms of the contextual and linguistic concept, or in terms of their location,by looking, other concepts and issues. So that it appeared in the usual employment and usual sculpture, far from each other. Or the impossibility of overlapping or contacting, in any way. However, the modern theoretical richness, especially with the emergence of the enlightening renaissance philosophical currents on the one hand, and on the other hand, the cultural and political ideological investments, which in an ideological manner demonstrated the extent of the great overlap and interconnection from several sides, and indeed multi-sides, especially with the emergence of new theories in political and philosophical thought. Such as the philosophy of endings, notions of the epochalps, and the philosophical eschatology. We specifically mention the theories of the end of history and the end of ideology and the correlative relations between them..

Key words-
philosophy ; history ; ideology ; apocalypse ; Correlation end.

1. - مقدمة

الفلسفة أو نظرية القيم هي بحث مستمر مستفيض، يتناول الوجود في ذاته ومظاهره. ومن آلياته التحليل العقلي والنظر المنطقي، أما غايته فإدراك الحقيقة منزهة عن أي لواحق أخرى. ومما هو ملاحظ أن الفلسفة في العصر الحديث قد ارتبطت بعدة مصطلحات ومفاهيم أفرزها منظور تنظيري مؤدلج، ارتبط هذا المنظور بالسياسة والاقتصاد والثقافة والحضارة والعلوم والايديولوجيا والتاريخ. ونخص بالذكر المجالين الأخيرين، لما لهما من استعمالات وارتباطات وتوظيف مفاهيمي واصطلاحي تخرجهما في بعض

الاحيان عن سياقاتهما الاعتيادية. وخاصة في الفكر الفلسفي الامريكي الحديث والسياقات العامة الكبرى التي يصب فيها، كنهاية التاريخ، والأبوكاليبس الفلسفي والأيديولوجي والتاريخي، تمهيدا لمنظومات معينة مرتبطة بالعولمة وإعادة الصياغة المفاهيمية للنظام العالمي الجيد ونهاية الأيديولوجية والتاريخ وفلسفة النهايات. والتاريخ هنا ليس الوقائع والحوادث الماضية التي انتهت وانقضت في السياق الزمني، وإنما التاريخ كإيديولوجية تنظيمية لتوجهات عالمية، أو التاريخ كروح فكرية أيديولوجية لتوجه مفاهيمي تتشابك فيه مختلف الميادين التي أشرنا اليها آنفا.

أ - الإشكالية: ماهي العلاقة التي تربط بين الفلسفة من جهة ،و التاريخ والايديولوجيا من جهة أخرى ؟و ماهي علاقة النهاية التلازمية التي تربط بينهم؟

ب - الفرضية: هناك علاقة وطيدة و وثيقة بين الفلسفة و التاريخ والإيديولوجيا، خاصة على مستوى القراءة او التوظيف المفهومي الفلسفي .علاوة على وجود علاقة تلازمية ، ضمنية و تبعية بينهم ، من ناحية نهاية القيمة و الوظيفة الفكرية و المفاهيمية.و خاصة في فلسفات النهايات الابوكاليبسية.

ج - أهمية الموضوع :

اولا: تضعنا هذه الاشكالية أمام الوقوف على أواصر الصلة بين الفلسفة والتاريخ والايديولوجيا.

ثانيا: الوقوف أمام التوظيف المفاهيمي الفلسفي لمختلف أبعاد وآفاق التاريخ والايديولوجيا.

ثالثا: التعرف على الإشكاليات الايبيستيمولوجية التي تتماس و تتقاطع فيها الفلسفة من ناحة، والتاريخ و الايديولوجيا من ناحية أخرى.

رابعا: الإطلاع على مختلف النظريات الايديولوجية المختبئة من وراء مختلف القراءات الحديثة والكلاسيكية، و منه رسم الحدود بين العلمي و الايديولوجي .

خامسا: دراسة علاقة الفلسفة بمختلف أبعادها الايديولوجية والتاريخية، يجعلنا ندرك إمتداداتها المفهومية، فإذا كانت الفلسفة بالمعنى الهيجيلي هي خلاصة عصرها، أوهي فلسفة متوارية عن الأنظار، أو هي روح العقل او اللوغوس في صورة أحداث و وقائع كرونولوجيا.فإنه لزاما يقتضي الحال، إستنطاقها وإجبارها على الجواب، حسب الإمكان المتاح.

سادسا :كشف اللثام عن مختلف صيغ العلاقات و خاصة الديالكتيكية وغير الجدلية بين التاريخ والفلسفة و الايديولوجيا، وإستعمالاتها في مختلف سياقات النظريات و خاصة الحديثة .

د -الدراسات السابقة :من خلال بحثنا وجدنا أهم الدراسات السابقة الآتي ذكرها:

بدر أحمد محمود، تفسير التاريخ من الفترة الكلاسيكية إلى الفترة المعاصرة، عالم الفكر، مجلة يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت المجلد 29، محور الفكر التاريخي، بتاريخ: 14 ابريل 2001.

برون فرانسوا، ايديولوجيا هذه الأيام ، تر، عبد الكريم شوطا، العدد، 3، مجلة فكر، ونقد،1997.

الجابري محمد العابد، الشأن الانساني في عصر الخوصصة والعولمة، العدد 1، مجلة فكر ونقد، 1997.

شابو جان لوك، ايديولوجيا تشارع التاريخ، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد: 94 -95.

الهاني ادريس، من النبوءة والتاريخ – دراسة في القوانين التاريخية وإمكانية التنبؤ، مجلة الكلمة، عدد 3.

قوقام رشيد، مقال: التاريخ والعولمة أو الظاهرة العالمية، مجلة دراسات فلسفية، العدد: 08 قسم الفلسفة، جامعة الجزائر 02، 2012.

نصار ناصيف، الفلسفة في معركة الايديولوجية، ط2، دار الطليعة -بيروت 1986.

العروي عبد الله، مفهوم الايديلوجيا،ط8،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب، 2012.

بيد أن غـرابة وخصوصية هذا الاستعـمال الاصطلاحي المذكـــور، تتحدد في طـبيعة الـتوظيف السياسي، الايديولوجي، الفكري والفلسفي من طرف بعض المنظـومات والنزعات، لتبرير مسلمة بشرية تخدم توجهات معينة.

أ – التاريخ والفلسفة والأيديولوجية:

يقول "أفلاطون" في محاورة الجمهورية: التقليد وجزاء الفضيلة – الكتاب العاشر «... ومن أغرب المشاهد منظر النفوس تختار نوع حياتها، فإنه مشهد غريب، مضحك مبك، وكان رائدها في اختيارها اختبارها السالف في الحياة...»... «... ونحرص حرصا عظيما على استغلال العدالة مقرونة بالحكمة... (أفلاطون، د س، صفحة 353)

من المواقف المحزنة في حياة أفلاطون، اتهام أستاذه "سقراط" الحكيم، بإفساد عقول الشباب، ونشر الفكر الفاسد لدى الآثينيين، والتبعة القاسية المتمثلة في إصدار الحكم الجائر ضد سقراط وهو الحكم بالإعدام، بتجرع مادة سامة أودت بحياة أستاذه ... فأندلف "أفلاطون" في دوامة من الحيرة وزوبعة من الأسئلة والتساؤلات والتي أقضت مضجعه. منها يلي:

كيف بالحكم الآثيني الذي يدعي بتحري العدالة والديمقراطية، يصدر حكما قاسيا في حق أحكم البشر وأصلحها؟؟ ألا يعني ذلك أن هناك إشكالية عظمى في تصور الآثينيين للحكم الراشد ومنظومة القيم والعدالة؟

ومن هنا دخل "أفلاطون الى الفلسفة والفكر السياسي من أوسع الأبواب" وهكذا امتطى صهوة البحث والتحري الفلسفي عن الحقيقة في مختلف مجالات الحياة والوجود والقيم المعرفة. لذا وبسلاح الفلسفة وبنائها الفكري التنويري المعقلن، ومناهجها وآلياتها وصلت الإنسانية الى أعلى مستويات العلم والمعرفة والحضارة، وما زالت تمدنا بنورها، لتتفتح عقولنا وأفئدتنا على نوافذ المعرفة،

والكيفيات التي بواسطتها نصبح قادرين على تدبير شؤون حياتنا ومدينتنا في مختلف المجالات السياسية، الثقافية، الأخلاقية والقانونية.

تعتبر الفلسفة مفتاح المعرفة منذ بدايات الفكر البشري، وهي بحث مستمر ومستفيض متجدد باستمرار، عن طريق التأمل العقلي الشمولي الرصين والمتعمق والنظر المنطقي الممنهج والمنظم حول الوجود في ذاته ومظاهره، ومختلف تجلياته. ولهذا يعرفها "آرسطو طاليس" بأنها «البحث عن الموجود من حيث هو موجود» أي البحث عن العلل و الأسباب القصوى للموجودات. ويرى المفكر المصري "زكي نجيب محمود" أن الكثير من القراء لا يعلمون من الفلسفة إلا اسمها و يجهلون مضمونها رغم استعمالاتهم المتكرر لها ؟. وأن تاريخ الحياة المتحضرة لم يشهد يوما واحدا، أن كان للإنسان فيه علم أو فن أو عقيدة ولم يكن له الى جانب ذلك الفلسفة التي تكشف عن مبادئه الأولى، والتي كثيرا ما تخفي في لفائف الحياة الثقافية كما يحياها الناس (محمود زكي ، 1980، صفحة 196).

فلسفة النهايات أو خطاب النهاية في الفلسفة، يصنف ضمن مباحث ما يسمى بمصطلح "الأبوكاليبس" (الأبوكاليبس) الذي تتضمن مدلول الفناء ونهاية الوجود والعالم. ومما يلاحظ ان هناك تداخل وتشابك مفهومي ونسقي عميق ومتجدر بين خطاب النهايات في الفلسفة من جهة، وخطاب النهاية في التاريخ والايديولوجية من جهة اخرى. بيد أن التساؤل الذي يشدنا في هذا السياق: ماهي العلاقة التي تربط بين نهاية التاريخ ونهاية الايديولوجية والفلسفة؟ وماهي مكامن التداخل والترابط والتلازم فيما بينها؟ وما هي مبررات ذلك؟

إن العلاقة بين الفلسفة والتاريخ وعالم الأفكار علاقة وثيقة ووطيدة الى درجة ذوبان أحدهما في الآخر، لأن عالم الأفكار والبحث الفلسفي وحراكهما هو حراك للتاريخ في حد ذاته كتداخل الحليب والماء أو الروح بالجسد (حنفي ،

1987، صفحة 273) ، فمسيرة الفلسفة وصيرورتها مندمجة ضمنيا في كرونولوجيا التطور التاريخي.

إن علاقة الفلسفة والتاريخ قد يفهم من عدة أوجه متلازمة كتاريخ الفلسفة وفلسفة التاريخ فمدلول الأول هو تتبع التطور الفكر البشري ومحطاته وكرونولوجية تكوينه، أما المدلول الثاني، فمفاده فهم الآليات (حنفي ، 1987، صفحة 274) والسبل التي يسلكها التاريخ في تجلياته الروحية والفكرية، والروح التي تسري بداخله وتوجيهه عبر غايات أهداف حتمية معقلنة.

ومهما يكن من الأمر، فان غاية تاريخ الفكر الفلسفي، هو الاطلاع وتحليل الوقائع الحوادث والأحوال الانسانية في مختلف ميادين الحياة، بغض النظر عن الاختلاف في القراءات ومرجعياتها ومدى موضوعياتها، كتفسير التاريخ بمرجعية المادية الجدلية أو التاريخية أو الجدلية المثالية أو باعتبارها صراعا من أجل نيل الاعتراف والسيادة (بوبر ، 1992، صفحة 154).

إن المتتبع للمسار الفلسفي للتاريخ يستكشف بأنه مجال مفتوح للصراع والتضارب بين مختلف النزعات والتيارات والمدارس الفكرية والايديولوجية، فالعلاقة بين الفلسفة والايديولوجية، متداخلة الى حد كبير في مختلف الأنساق التحليلية والبناءات الفكرية في هذا العصر

(نصار ، 1986، صفحة 07).

إن الايديولوجية تشتمل بصورة أو أخرى على مضمون فلسفي، وتتخذ موقفا من كل اتجاه فلسفي تلقاه في صراعها من أجل تحقيق غاياتها، على الصعيد النظري والجدالي، والفلسفة تلعب بصورة أو بأخرى دورا ايديولوجيا، وتتخذ موقفا من التصورات الفكرية والمرجعية التي تقوم عليها الايديدلوجيات المتصارعة. (نصار ، 1986، صفحة 08)

إن صلة التضمن بين الفلسفة والايديولوجية والتاريخ جلية بذاتها وواضحة لا مراء فيها ولا جدال، وبناء على هذه العلاقة الوثيقة، يتوقف موتها وحياتها، فعلاقة الفلسفة بالتاريخ حيوية كعلاقة السمك بالماء والكائن

الحي بالهواء، فارتباطها بالتاريخ هو منبع نمـــوها وازدهارها وحياتها، اذا انفصلت عنه تموت وتضمحل وتفنى. وعلى صعيد أوسع هناك نظـــرة ايديولوجية الى الفلسفة، ونظرة فلسفيـــــة لايديدلوجيا (نصار ، 1986، صفحة 08)

إن حياة الفلسفة والايديولوجية مرهونة بالتاريخ وهي مرتبطة به، وهي تمـوت. – أي الفلسفة -عندما تكـون خـارج إطار التاريخ، فلقد تعين على الفلسفة أن تواجـه وتجابه عبر تاريخها الطويل، أنواعا من التفكير. ففي العصور القديمة كانت علاقتها الجـدلية مع الفـكر الأسطـوري بأشكاله المختلفة وفي هذا العصر، يبدو أن المعركة الرئيسية هي مع الفـكـــر الايديولوجي، فالفـكر الايديـولوجي يبسط سيادته وسيطـرته على المجتمعات البشرية، من خلال التنظير السلطوي والأنظمة السياسية. (نصار ، 1986، صفحة 08 و 09)

فحياة الفلسفة محتومة بدخولها في معارك التاريخ و أبعاده، واستثمارها في رصيد الفكر البشري، وأبعاده السياسية والثقافية والاجـتماعية والاقتصادية والانثربولـوجية، والاستثمار في انجازات الروح البشـرية، مما يعني أن المـعركة التي يتعين على الفلسفة أن تخوضها مع الايديولوجية، لا تهدف الى الغلبة أو ترجيح كفة ما على أخرى، أو مجـرد استتباع و استقـراء كـرونولوجي، وإنما تهدف الى تحـرير الفكر الفلسفي من هيمنة الايديولوجية والى تحرير الفكر الفلسفي والتاريخي من الاسـتثمار الايديولـوجي. (نصار ، 1986، صفحة 09) و لقد ماتت الفلسفة في فترات تاريخية ما، عندما أسـقطت من أجندتها وحساباتها التحليلية الزمان والتاريخ، بحيث كان العقل البشري في مـراحل تفلسفه، في علاقة مـــباشرة بالمجرد واللانهائي غاضا الطرف عن الأطـــر الـزمانية وتفاعلاتها. لقد كان" كانط " مـدركا تماما لحقيقة ((أن هذا المسار الأبله لأمـــور البشر)) يبدو على السطح وكأنه خـال من أي نمط معين، وأن التاريخ البشري يبدو وكأنه مجرد سجل لحروب ووحشية مستمـرة. ومع ذلك

فهو يتساءل عما إذا كان ثمة حركة منتظمة في تاريخ الانسانية، بحيث أن ما يبدو من وجـهة نظر فرد واحـــد، حالة من الفـــوضى، قد يكـشف عن تطـــور بطيء مطرد، وأن الطابع التراكمي للمعارف يؤدي الى نشوء المنظومات المعارفية المتنوعة. (فوكوياما ، 1993، صفحة 67)

كما ماتت الفلسفة، عندما انفصلت عن وعينا بالتاريخ، بخلاف "كـــانط" الذي كان يرى أن للتاريخ مـــسارا معـــقلنا وهـــدفا نهائيا وله نهاية، بناء على الامـــكانيات المـــتاحة للإنسان، فالسعي الى تحقيق الحرية، ودستور مدني كامل للعـــدالة، هما أسمى معـــضلة، سيكـونان المعيار الذي يتيح لنا فهم التقدم في التاريخ، والآليات التي يسلكها العقل من خلاله. (فوكوياما ، 1993، صفحة 67)

لقد هبت أعاصير عاتية على الفلسفة والتفلسف في حقب تاريخية متباينة، لكن رغم هذا لقد استطاع البحث الفلسفي أن يستعيد عافيته. كان الحدث الأكبر مع الفيلسوف الألماني "هيجل" الذي أرجع للفلسفة والتاريخ مكانتهما، حيث أصبحت الفلسفة والتاريخ وجهان لعملة واحدة، بل مندمجان في مسار تناغمي متداخل، كتداخل الجسد والروح، حيث أصبح للتاريخ روحا تستعمل الأبطال والشعوب، والحضارات والحروب كوسائل لتجسيد رسالتها. حيث صاح "هيجل" يوما، بأن ها هي روح التاريخ تمتطي صهوة جوادها في وصفه لـ "نابليون بونبارت" عندما دحر الجيوش البروسية في معركة "يينا" سنة 1806م. وهكذا تجسدت العلاقة الأبدية الاندماجية بين الفكر أو الفلسفة والتاريخ وتداخلهما الأبدي (حنفي ، 1987، صفحة 275).

1 - ضبط مفهوم التاريخ وفلسفته:

التاريخ كعلم أو فلسفة عرف عدة تعاريف، تباينت من ثقافة الى اخرى، فمفهوم علم التاريخ وتعاريفه تعددت، بتعدد المدارس والاتجاهات والمشارب، التاريخ بصفة عامة هو حياة الشعوب (الزيدي، ب س، صفحة 15) ووصف

للحوادث والوقائع الماضية، وتوصيف يسجل مختلف صور التفاعل الانسان مع بيئة المحلية والخارجية في مختلف الميادين الاجتماعية، السياسية، الاقتصادية.

بادئ ذي بدء، لفهم واستيعاب مصطلحي علم التاريخ وفلسفة التاريخ يقتضي بالضرورة المنهجية، تحديد مفهوم التاريخ في حد ذاته، حيث يرى بعض الدراسيين للتاريخ عدة منابع ومصادر من الناحية اللغوية. فهناك من يرى أن كلمة (تاريخ) دخيلة الى اللغة العربية من اليونانية واللاتينية (historic) بل حتى من اللغة الأكادية (أرخو) (الزيدي، ب س، صفحة 16) والعبرية (يارخ) لمعرفة التوقيت والزمن.

وتدل كلمة (تاريخ) على الاعلام بالوقت مضافا اليه ما وقع في دلك الوقت من حوادث وأخبار (خضر ، 1995، صفحة 22) ويعرفه "ابن خلدون": "ان التاريخ أخبار عن الأيام والدول والسوابق من القرون الأولى " ويعرفــه" المقريزي" الإخبار عما حدث في العام الماضي" (خضر ، 1995، صفحة 24).

من خلال ما ذكر آنفا، نستنتج ان المقصود بمدلولات كلمة (التاريخ) هو دراسة سجل الماضي البشري وتتبع لأحوال البشر. ودراسة الحوادث والوقائع الماضية، وحياة المجتمعات في مختلف الميادين مند فجر الإنسانية الى يوم الناس هذا. والظروف والأسباب التي اعترت الحياة البشرية، ودراسة أحوال المدن والحواضر والجنس البشري في حله وترحاله، وحروبه ومعاركــه وأحوالــه بصفة عامة.

إن بداية التدوين التاريخي تزامنت وظهور فن الكتابة، منذ بدايات الحضارات الشرقية القديمة، كالحضارة البابلية وكتابتها المسندية، واليمن وسبأ والخط المسماري والحضارة المصرية، والكتابة الهيروغليفية، وما ورد عن أخبار الهند والسند والصين. وإن اختراع الكتابة وتسجيل الأخبار والاحوال على جدران المعابد والمغارات والكهوف واختراع البرديات، كانت بمثابة البدايات الفعلية لقيد التاريخ البشري وتسجيله.

التاريخ لديه مدلول اصطلاحي مؤداه ضبط الفعل البشري (الزيدي، ب س، صفحة 16) وبهذا فمفهوم التاريخ والطبيعة مترابطان. والتاريخ عند الألمان هو ذلك الشيء الذي حدث. أما عند الفرنسيين فيعني السرد والقصة والحكاية. أما في اللغة العربية فمدلوله مرتبط بمعرفة الماضي والزمن والتوقيت.

ومن خلال ما تقدم فإن التاريخ فن استرعي اهتمام البشر في تدوين الحوادث والوقائع، وبالتالي أصبح من أهم الميادين الفكرية التي خصص لها البشر مجالا للقيد والتدوين، والمحافظة على مآثر المجتمع والأبطال والعظماء وصناع التاريخ. فدون حاضره وأعماله وانجازاته. ولقد كان لمختلف الشعوب والثقافات على مر الأزمان والعصور فضل في هذا الفن، لغرض المحافظة على التراث، وتنوير الشعوب، وتدوين العبر والمواعظ والمآثر السالفة. ولقد كان للشعوب العربية والاسلامية صولات وجولات في مجال التاريخ، الذي كان ينظر اليه باعتباره سجل لتدوين الأحداث والتطور التاريخي وتحديد الواقعة والحادثة بشكل محدد ودقيق (خضر ، 1995، صفحة 28 و 29).

2 - فلسفة التاريخ:

ترى فئة من فلاسفة التاريخ ان فلسفة التاريخ، هي جزء لا يتجزأ أمن معظم الفلسفات التأملية، التي تهدف أساسا الى استخلاص العلاقات والقوانين التي تحرك الوقائع والحوادث التاريخية ومسار المجتمعات البشرية، عن طريق استعمال الآليات الفلسفية المنطقية. في حين ترى فئة أخرى، أن فلسفة التاريخ هي فلسفة تحليلية نقدية تهدف الى تحليل الظواهر التاريخية وسبر أغوارها ودواعيها وصوارفها واستخراج شبكة القوانين الموضوعية الدقيقة التي تتحكم فيها. ومنه فان فلسفة التاريخ هي آلية فكريـــة عقلية تأميلية ومنطقية، تحاول تكوين منظور معقلن شامل وكلي حول مسار التاريخ والروح التي تحركه اعتمادا على النقد والتحليل والمقارنة، لضبط حركية التاريخ وكيفية سيره. فالعلاقة بين الفلسفة والتاريخ يتداخل فيها الموضوع والمنهج والوسائل والآليات المستعملة كالفهم والتفسير والتحليل (الزيدي، ب س، صفحة 24 و 25).

- لا شك ان فلسفة التاريخ شأنها شأن الفلسفة وباقي العلوم والمعارف استغرقت ردحا من التطور الزمني حتى تصل الى مرحلة النضج العقلي والمعرفي المسعى العلمي لفلسفة التاريخ هو ايجاد اليات وميكانيزمات لتفسير التاريخ لا يوصفه تركيبة كلية شاملة.

ان الاستقراء التاريخي لمختلف المراحل التي مر بها البحث الفلسفي التاريخي تبين ان البدايات الأولى كانت مع المحاولات الفلسفية القديمة التي ارتبطت بالأسئلة الكبرى: كيف؟ ولماذا؟ والى اين؟ وماهي حقيقة الحياة والوجود؟ وماهي الحياة والموت؟ وما هو مصير الإنسان بعد الموت؟ هل هناك حياة انتقالية ام هناك عدم مطلق؟ وارتبطت هذه الاسئلة بإنسان الحضارات الشرقية القديمة وتساؤلاته واستفهاماته الممزوجة بالخرافة والأسطورة والكهانة والعرافة. غير أن البدايات الفعلية حسب بعض مؤرخي التاريخ الفلسفي – يرجعونها إلى القديس "أوغسطين " في كتابه "مدينة الله " الذي حاول إيجاد تحليل علمي وفكري وروحي للكيفية أو الآلية التي تحصل على النموذج السياسي الراشد والناجح لتدبير دولة ومجتمع روما؟ واستند "القديس أوغسطين" في تحليلاته الفلسفية الى مرجعية دينية متداخلة مع الفلسفة. ولهذا يعتبر أول الشخصيات الفلسفية للتاريخ التي حاولت إيجاد تفسيرا فلسفيا دينيا للتاريخ.

بخلاف ما سبق يرجع البعض، أصل المصطلح الى عصور متأخرة، كانت بداياتها مع المفكر الفرنسي "فرانسوا فولتير" الذي استعمل مصطلح (فلسفة التاريخ) في احدى مقالاته الموسومة بـ" التأملات الفلسفية في تاريخ الإنسانية (الزيدي، ب س، صفحة 25 و 26).

لقد حاول "فرانسو فولتير" إعطاء تفكيرا فلسفيا تاريخيا، يقوم على التحليل والنقد والمقارنة، والبعد عن التفسيرات اللاواقعية والروحية التفويضية والتجرد بقدر الامكان من الأهواء والعواطف والتفسيرات السطحية. الى جانب هذا هناك من يعتقد ان المؤرخ وفيلسوف الحضارة "جون باتيستا فيكو "كان الرائد في إرساء فلسفة للتاريخ والتفسيرات الفلسفية العقلية والمنطقية للتاريخ،

من خلال تفسيره اللولبي للتاريخ، علاوة على خدمات "جيوهان هيردر" الألماني الذي يرى أن للتاريخ قوانين خاصة مثـل قوانين الطبيعة (الزيدي، ب س، صفحة 26).

ولقد كان للفيلسوف الألماني "هيجل " الأثر الجلل في العصر الحديث من خلال المحاضرات والدروس التي كان يلقيها في جامعة برلين، وفي إرساء قواعد فلسفة التاريخ والآلية الجدلية المثالية، التي بين من خلالها، أن التاريخ هو مسار صراع حامي الوطيس لأجل الحرية والتقدم والتجسيد الفعلي لمفهوم الدولة (المرجع نفسه، نفس الصفحة).

ويعتبر "ابن خلدون" من أهم الشخصيات العلمية والتاريخية التي تركت بصماتها في مجال التاريخ. بل هناك من اعتبره "مونتسكيو الشرق" ويعد "ابن خلدون" أكبر ناقد للتاريخ ومنهاجه، وأكبر مؤسس للمنظومة المنهجية للتعامل مع الحوادث والوقائع التاريخية. ولقد كان يميز بين المنظور الظاهري والباطني الحقيقي للتاريخ. ويعتبر أول من تحدث عن التفسير العلمي والمنهجي للتاريخ القائم على السببية والحتمية والقـانون (الزيدي، ب س، صفحة 26).

3 - غايات و أبعاد فلسفة التاريخ:

الخصائص العامة الشمولية، الكلية، الفهم والتحليل والمقارنة هي نفس المواصفات التي تحمل على البحث الفلسفي التاريخي ومنه فلسفة التاريخ لها غايات مهام تتمثل فيما يلي:

- الفهم الكلي الشامل للحوادث التاريخية ومسار التاريخ، بالنظر اليه من خلال الابعاد الثلاثة: الماضي، الحاضر، المستقبل وتحديد مدى تفاعلها في صنع الحادثة التاريخية (الزيدي، ب س، صفحة 27 و 28).

- التفسير العميق ظاهريا وباطنيا وماديا وروحيا.

- التجريد والتعميم في استخراج النظريات النسقية العامة في تحديد تحولات التاريخ وصيرورتها.

- ربط التاريخ بالأبعاد الثقافية، الروحية، السياسية والتربوية لإيجاد نظريات متكاملة لتفسير علاقة التأثير والتأثر بين التاريخ ومختلف الميادين الفاعلة.

4 - مفهوم الايديولوجية وتعريفاتها :

أ - لغة: هي كلمة: مصطلح دخيل الى اللغة العربية مؤلف من مقطعين: ايديو بمعنى: الافكار. ولوجيا: بمعنى دراسة او علم. ومنه فالأيدولوجية: هي علم او دراسة الافكار.

ب - اصطلاحا: يعرفها "لوي التوسير" بأنها: "نسق من التمثلات، يتمتع داخل مجتمع ما .بوجود ودور تاريخيين. وهي تنتمي الى منطقة الوعي وعلاقة المعاناة التي تربط الناس بعالمهم" (سبيلا و بن عبد العالي، 2006، صفحة 08 و 09) وتعرف الايدولوجية بأنها مجموعة منظمة من الأفكار وهي تعني: علم الافكار في أصلها الفرنسي. وتحمل الايدولوجية عدة مفاهيم منها يلي:

- في مجال السياسة: يتحد مفهوم الايدولوجية في مجال السياسي بمدى فعاليتها باعتبار تمثل عقيدة تتضمن معاني وطنية سامية تقوم على الاخلاص والوفاء والتضحية ويرى في ايدلوجية الخصوم أقنعه تتستر ورائها نوايا خفية.

- في المجال الاجتماعي: تتحد الايدولوجية بأفكار والاعمال والنسق والاعتقاد والفكري للأفراد والجماعات بتفاعلهم الواعي واللاوعي حيث يتفق جميع اعضائه في الولاء لقيم مشتركة ويستعملون منطقا واحدا (العروي، 2012، صفحة 09).

- هناك مفهوم عام ومشترك يتداخل فيه الجانب السياسي والاجتماعي والبيئي والثقافي (العروي، 2012، صفحة 11).

بحيث يحوي مفهوم الايديولوجية مجموعة من الأبعاد تعبر عن المشهد العام في مختلف تجلياته: السياسية، الاجتماعية الثقافية، البيئية، بحيث تتداخل كل هذه الميادين لتعبر عن منظور متكامل و مشترك يحدد النسق العام لتوجه مجتمع ما .أو ثقافة ما .

ومن خلال مما سبق تبيين أن مفهوم الأدلوجة مفهوما مزدوجا وصفيا من جهة، ونقديا من جهة اخرى، بمعنى مفهوم ايجابي مستحسن ومفهوم سلبي مستهجن ينم عن النظرة الريبية غير الواثقة في نوايـــا الخصـــوم (العروي، 2012، صفحة 12).

على غرار ما سبق يتحدث "عبد الله العروي" على عدة مفاهيم متداخلة ومتشابكة، حيث يبين أن الأدلوجة معنى رؤية كونية نظرا لكونها تحتوي على جملة من التصورات والمفاهيم والأفكار والمنظومات القيمية حول الكون والمجتمع. وهي تستعمل في اجتماعات الثقافة لإدراك دور من أدوار التاريخ وهي بالرجوع الى التاريخ (العروي، 2012، صفحة 14).

الى جانب ما ورد أعلاه، نجد تعاريف متنوعة للإيديولوجية أو علم الافكار أو الفكرانية، حيث يشير "ريمون آرون" في "أفيون المثقفين" الى وجه ممن ظاهرة أعم، تهم من بين ما تهم علم النفس المرضي والطابع التمركزي للإيديولوجية حول الأنا، ما هو الا النتيجة المنطقية لدورها كأداة كفاح. أو لوحة فكرية متجانسة. ومنه فالإيديولوجية منظومة من الأفكار المرتبطة اجتماعيًا بمجموعة اقتصادية أو سياسية أو عرقية أو غيرها

(سبيلا و بن عبد العالي، 2006، صفحة 18 و 19).

إن الحديث عن الايدولوجية هي مرتبط ارتباطا وثيقا بالفلسفة من جهة، والتاريخ من جهة اخرى، نظرا للعلاقة المفصلية التي تشدهما. فلا يمكن أن نتصور الايدولوجية بمعزل عن الفلسفة والتاريخ، وتاريخ الفلسفة وفلسفة التأريخ.

من وظائف الايدولوجية التجمع حول مشروع او فلسفة معينة. والتبرير لمختلف الاقوال والتصرفات في مختلف الميادين. الى جانب تبطين النوايا والغايات والمصالح. علاوة على التعيين لمختلف الخيارات والقرارات. وأخيرا تحوير الادراك وتحديد مرجعيـــة تبريرية (سبيلا و بن عبد العالي، 2006، صفحة 52 و 53 و 54).

وخلال ما سبق يتبين لنا، وجود علاقة وثيقة و متداخلة بين الفلسفة و التاريخ و الإيديولوجية الى درجة لا يمكن فصل احدهما عن الآخر في تكوين منظومة فكرية او فكرانية متكاملة.

إن الاستقراء الكرونولوجي والتكويني حول مفهوم الايديولوجيا، يبين أن أول استخدام للإيديولوجيات كان من قبل " دستوت دتراسي" Destutt Detracy (1754 -1836). وهي مصطلح مركب من مقطعين: Idea - فكرة – وLogos بمعنى علم أو دراسة. والهدف من المفهوم الجديد: ان الايديولوجيا تحل محل الميتافيزيقا و المرجعية الدينية المسيحية، التي استهدفتها الثورة الفرنسية سنة 1789 م، تحت شعار: "اشنقوا أول ملك بأمعاء آخر قسيس" والمراد منها (اي الايديولوجية).هو القضاء على الاقطاع والحكم الكنسي. ويعرفها "دي تراسي": الايديولوجية: "هي العلم الذي يرمي الى دراسة الافكار على أنها وقائع وعي، ويكشف خصائصها وقوانينها وعلاقتها بالإشارات التي تعبر عنها (صعب، 1997، صفحة 39 و 42) ". وكان هدف مشتغلي هذا العلم، هو تأسيس علم الأفكار، بدراسة وفهم وتحليل وتمحيص الافكار والمفاهيم بمختلف انواعها. وحتى يتسنى لهم الارتقاء الى مستوى من الدقة واليقينية والمصداقية المعرفية العلمية، لمختلف الافكار المتداولة وخاصة المجردة والروحية منها.

ومن أهم التعاريف -على غرار ما ذكر سلفا - الايديولوجية: هي نظام من القيم والمعتقدات بشأن مختلف مؤسسات المجتمع، التي يتم قبولها كحقيقة من خلال مجموعة من الناس. كما يعرفها آخرون: "بأنها مجموعة من العقائد والافكار والتصورات والمشاعر والتقاليد والآمال والظروف الزمانية المكانية، التي تؤثر في أنماط السلوك للأمة والجماعة".

في حين يحدد لها" كارل مانهايم" 1893 - 1947. معنين للإيديولوجيا وهي المعنى الجزئي الذي مفاده: الموقف المتشكك من افكار وتصورات الخصوم، والمعنى الكلي الذي مؤداه: توضيح سمات وخصائص تركيب البناء الكلي لعقلية هذه الجماعة (مانهايم ، 1980، صفحة 129).

وبالتالي فالمراد من مصطلح الايديولوجيا، تحديد المبادئ والخصائص والمميزات التي يتميز بها، اطار فكري لبيئة ثقافية او اجتماعية، الذي تتكلف النخبة المفكرة او الانتليجانسية بترويجه و تبريره، والذي يتجسد في التوجهات الضمنية او الصريحة لعموم الجماعة التي تتبني هذه الأفكار و تقتنع بها بل تصل الى درجة التضحية من أجلها في أحيان أخرى.

ج - إشـكالية نهاية الإيديولوجيا:

كل من "فرانسيس فوكوياما" و" صامويل هنتجتون" يتحدث عن نهاية الايديولوجية مع سقوط الايدولوجية الشيوعية. والانتصار السياسي والاقتصادي والحضاري للإيديولوجيا الليبرالية. ولكن وقبل هذا، سبق أن أعلن" هابرماس " ان الافكار والايدولوجيات انحصر مجالها وضاق، حيث أصبحت التقنية والعلم يأخذان في زمننا، وظيفة شرعيات السيطرة (هيبرماس ، 2003، صفحة 45 و 55).

لقد قامت دعوات لفلاسفة ومفكرين وسياسيين من خلال مؤتمرات ومؤلفات بنهاية عصر الايديولوجيا. بسبب التقنية والتكنولوجيا ونهاية الصراعات السياسية والحروب. وإحلال الأحادية مكان الثنائية القطبية. وبنهاية الحرب الباردة بين المعسكرين (الشرقي والغربي) وتلاشي الصراع المحموم، ما بين الاشتراكية والرأسمالية، وسقوط جدار برلين. كلها أسباب وعوامل عملت على تسريع نهاية الايديولوجيا.

ولكن مهما يكن، من أدلة وبراهين على نهاية الايدولوجية. فهناك الكثير من الطروحات والتحليلات والدراسات. ترى بالرغم من، التقدم الصناعي والعلمي والتكنولوجي. لم يقض على الايديولوجيا. بل عَمل على تأسيس منظومات ايديولوجية جديدة. تقوم على مرجعيات تقنية واقتصادية. كالشركات المتعددة الجنسيات، العولمة والأمركة.

ب - القراءة الايديولوجية للتاريخ واستعمالاتها:

المقصود بالقراءات الإيديولوجية للتاريخ: هي جملة التصورات والنزعات الفكرية والفلسفية والسياسية وغيرها، التي تستعمل أو توظف التاريخ ومفاهيمه وآلياته لإضفاء طابع المصداقية لأنساقها المفهومية والتبريرية، لبناء فكري أو فلسفي أو معرفي أو سياسي معين.

ومما لا ريب فيه ان الايديولوجية نوع من انواع الفكر العقيدي. غير أنه يستند مرجعيا الى التاريخ وحوادثه ووقائعه وأفكاره. فنظرا للتداخل بين الحقائق التاريخية والاجتماعية والفكرية (نصار ، 1986، صفحة 159).

إن تموقع الايديولوجية بالنسبة للتاريخ بمثابة حجر الزاوية في بنية الفكر التاريخي الذي يتحدد بوظيفتين:

أولا: ليس من مهام الايديولوجية تطوير الوعي التاريخي وتنميته، بخلاف دور العلم والفلسفة.

ثانيا: النظرة الايديولوجية للتاريخ تعبر عن منظور جمعي للمجتمع أو لفئات كبيرة للشعب. تمتزج بالحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية، أكثر من النظرة العلمية والفلسفية التي تنحصر في فئة اجتماعية مثقفة (نصار ، 1986، صفحة 190). ومهما يكن فإن العلاقة بين الفلسفة والايديولوجية أحد المحاور الرئيسية في الاهتمامات الفكرية الراهنة، بحكم الأهمية القصوى للإيديولوجية في توجيه وترشيد الرأي العام والانتليجانسية، والفئات العريضة للشعب والمجتمع، الذي يقتضي حد أدنى من القناعات الفكرية. التي تحدد بناء أو تركيبة توجيهية للعقل والسلوك على حد سواء.

فلو أخذنا على سبيل المثال، لا الحصر، الايديولوجية الليبيرالية أو الاشتراكية. لكل جملة من المبادئ والمرجعيات التي من خلالها تحدد الإطار الفكري والمفهومي النسقي، المبني على ترتيبات منهجية ومنطقية، تكون في نهاية المطاف المنظومة العقلانية، التي تربط مختلف الميادين: السياسة، الاقتصاد، الثقافة، الفكر، التربية، والمبررات التي تربط كل ميدان بالآخر وفق منهجية محددة وسلسة.

الايديولوجية: أو بالأحرى القراءات الايديولوجية لها، أهمية كبيرة في فهم وتفسير التوجهات العامة للفكر والتاريخ الانساني بغض النظر عن مرجعيتها ومشاربها ومنطلقاتها. ومما هو جذير بالذكر في هذا السياق ان الايديولوجية والفكر التاريخي يختلف على ثقافة الى اخرى ومن بيئة الى أخرى. فالإيديولوجية والفكر التاريخي، يختلف في الثقافة العربية والاسلامية، تختلف في طرق وآليات التعاطي والتفاعل. إلا أن هذا يزيد من اهتمام الفكر الانساني بضرورة الاهتمام المتزايد بالدور التحليلي والنقدي للتصور الايديولوجي للتاريخ مجلات استعمالاته (نصار ، 1986، صفحة 162).

الخصائص النظرة الايديولوجية للتاريخ ترتبط ضمنيا مع المميزات العامة للفكر الايديولوجي. فمن المميزات العامة: الميزة الجماعية والابعاد السوسيولوجية للنظرة الأيديولوجية (نصار ، 1986، صفحة 165 و 166). الى جانب خاصية التبرير والتعيين والتوظيفات الموجهة والعملية. ولما كانت السياسة بطبيعتها تهتم بحفظ الأمن والتلاحم الداخلي والتعبئة العامة، وحفظ الامن العام والسكينة العامة. فهي تستند بشكل أساسي الى الوعي الايديولوجي الموجه، الذي يستعمل الفكر والتاريخ في بناء وتوجيه وترشيد الضمير الجمعي ووعي الشعوب.

لقد كانت للإيديولوجية أهمية قصوى، وخاصة في ظل الايديولوجية الماركسية في ربط الواقع المادي والاقتصادي، بأشكال الوعي الايديولوجي والبناء الفوقي (جعفر عبد الوهاب، 2014، صفحة 237). الذي يحدد مختلف المنظومات السياسية، الفكرية، الثقافية، التعليمية والتربوية. التي توظف في تحديد المسارات الأساسية للوعي الجماهيري.

1 - استعمالات القراءات الأيديولوجية:

يرى "عبد الله العروي" في كتابه: "مفهوم الأيديولوجيا" هناك خمسة استعمالات رئيسية لمفهوم الأيديولوجية:

أولا: تعني الادلوجة: الأفكار المسبقة الموروثة عن عصور الاستعباد والجهل والاستغلال يضاف في هذا الاستعمال الوعي او العقل الكاشف عن الحقيقة.

ثانيا: استعمال الفلاسفة الالمان، خاصة التيار الهيجيلي الرومانسي. حيث تعني الأدلوجة منظومة فكرية تعبر عن الروح او اللوغوس الذي يسعى الى تحقيق رسالة معينة.

ثالثا: الاستعمال المادي والماركسي، حيث ان الايديولوجية هي المنظومة الفكرية التي تنعكس بنية النظام الاجتماعي. فالبنية التحتية هي التي تحدد البنية الفوقية للوعي.

رابعا: الاستعمال النيتشوي الذي يرى ان الايديولوجية هي مجموع الاوهام والتعليلات والحيل التي يعاكس بها الانسان الضعيف قانون الحياة.

خامسا: استعمال فرويد سيجمند، الذي يعتقد أن الأدلوجة هي مجموع الأفكار الناتجة عن التعاقل الذي يبرر السلوك المعاكس لقانون اللذة.

وما هو يلاحظ خلال استعراض الاستعمالات الخمسة: التمايز واللا تجانس في توصيف الادلوجة بين (التقليد، الروح، بنية، وهم، تعاقل) وتختلف ايضا من ناحية المنطلقات المرجعية (عقل فردي، تاريخ عام، مجتمع انساني، حياة، حيوان) (العروي، 2012، صفحة 129 و 130).

2 -الأيديولوجية رؤية كونية أم واجهة لخلفية مرجعية ؟:

مما هو جدير بالتنويه، أن الفكر الأيديولوجي فكر جماعي أو نظرة جماعة بشرية تترابط بمصلحة جماعية كالايديولوجية القومية. وبالتالي هي تفكير جماعي انحيازي انتقائي يقوم على منطق التفسير البشري، مستعملا التاريخ ومقولاته. والفكر وقوالبه. والتبرير من هذه الناحية هو استرجاع انتقائي للماضي بحثا عن تبرئة الجماعة من أي اتهام، أو توجيه السهم للخصم. وهو يتحرك بين الحاضر والماضي، كما أنه فكر أو عملية إسقاطيه، على غرار استعماله للعبرة، والنموذج الامثل الذي يمثل الحكمة العملية التي يسعى العقل

أو الفكر الايديولوجي من استخراجها من تجارب الماضي (نصار ، 1986، صفحة 165 و 171).

أ) ماركس والمصلحة الطبقية:

يرى "ماركس" ان الايديولوجية ترتبط بمصالح الطبقات، خاصة الطبقة البرجوازية. وحتى يتسنى تحويل هذا، يقتضي تغيير الظروف المادية والاقتصادية المرتبطة بالنشاط الاقتصادي، والقوي العاملة. ويستعمل "ماركس" كلمة مصلحة في معنى خاص، لا يعني بها مصلحة الفرد بل يعبر بها عن قوى كامنة في بنية العلاقات الانتاجية تكشفها الممارسة (العروي، 2012، صفحة 42)

ب) نيتشة وغل المستضعفين:

من خلال كتابه ذائع الصيت "هكذا يكلم زرادشت" يعبر "نيتشة" عن فلسفة القوة باعتبار الاخلاق قيد أبدعه الضعفاء لتكبيل وتصفيد الاقوياء وكان يدعو ويبشر بالقوة والقسوة. ويحتقر ويحط من أخلاق الشفقة والرحمة (العروي، 2012، صفحة 46).

ولقد كان لكتاب "هكذا تكلم زرادشت" وكتاب "جينيالوجيا الأخلاق" للفيلسوف" فردريك نيتشة" دستور الأقوياء والعنصريون النازيون، واستثمره "هتلر" في بناء روح النازية واختلاق ما يسمى بالمواطن النازي الخارق والممتاز والمتميز

ج - فرويد ومنطق الرغبة:

يقيم "فرويد سجيمند" ايديولوجيته على الرغبة الجنسية والقوى الرئيسية للنفس البشرية كالهو، والأنا والأنا الأعلى. معبرا بقوله: علينا نحن بني الانسان ان لا نهمل الجانب الحيواني في طباعنا. وبالتالي فان الرؤية الفرويدية الايديولوجية ماهي الا أوهام تصورها لنا رغبتنا المكبوتة في الهو أو الجانب الحيواني. هذا الأخير الذي يكون مراقب باستمرار من طرف الأنا الأعلى.

د - مانهايم و الايديولوجية السياسية:

يرى "مانهايم" ان للايديولوجية اثر كبير في عالم السياسة والاجتماع والثقافة (العروي، 2012، صفحة 51 و 61).

وهو يفرق بين الايديولوجية والطوباوية. فمهما ادعت الايديولوجية (اشتراكية أو ليبرالية من مبادئ سامية) فهي لا تعبر في نهاية المطاف، الا عن مصالح فئة سياسة معينة.

ج - جانب من الأطروحات الفلسفية المفسرة لإشكالية هذه النهاية التلازمية:

1 - هل هو تسارع أم نهاية للتاريخ أم تقارب لسيرورة الزمن و صيرورته؟

قال "هيغل" يوما" رأيت الإمبراطور -روح العالم - يخرج من المدينة في مهمة استكشاف إنه بالفعل إحساس رائع، أن أرى مثل هذا الشخص ممتطيًا حصانه فوق العالم ويسيطر عليه". وكانت هذه المقولة توصيفا للإمبراطور "نابليون بونبارت" في معركة "ييينا" سنة 1806م.

إن شخص "نابليون" ما هو إلا وسيلة لتجسيد روح التاريخ والعقل والفكر التنويري والثورة الفرنسية. بهذا أعطى دفعا لعجلة التاريخ وتسارعه. لقد لمح "هيغل" الى حقيقة التسارع في صياغة عقلانية مثالية نظرية. إن المراد بالتسارع هو تداخل مجموعة من العوامل: منها الثورة التكنولوجية وطغيان الفكر الليبيرالي الفيزيوقراطي وانحطاط منظومة الحوار والتضامن لصالح نزعة القوميات والهويات، وانتصار الديمقراطية الليبرالية.

إن نظرية نهاية التاريخ تهاجم تسارع التاريخ. ومن خلال إطلاق اسم التسارع على الحركة الماضية، في حين هو الحركة المنتظمة للتاريخ باعتباره تحقيقا ذاتيا للعقل. فحسب المفهوم الهيجيلي، فالتسارع كمركز لنموذج غيبي، يدعو لنهاية تاريخ بلا نهاية. ويمكننا التساؤل حول إمكانية توصل الوعي الى المعرفة المطلقة، ووجود إمكانية للتنبؤ التاريخي (روكوت ، 1992، صفحة 94 و 95).

الوحيد الذي كان ندًا لهذا التساؤل: هو "كارل بوبر" الذي وضع للبحث العلمي والفلسفي خطوطا، تسري على العلم كما تسري على حركية التاريخ

وقدرته على التنبؤ بالمستقبل. ولقد تميزت افكار "بوبر" بالثورة في المفاهيم و المناهج، عندما أرسى منهجه النقدي المتعلق أساس بمدى المصداقية العلمية لمنهج الاستقراء ومدى توازنه بين مبدأ التصديق من جهة ومبدأ التكذيب من جهة أخرى. ولقد وضع جملة من القواعد في هذا السياق للاختبار المنصب على الاستقراء الى درجة التصريح بمقولته المشهورة: "نحن لا نعرف بل نخمن".

2 - هل هي تلازمية نهاية التاريخ أم انقلاب ضد التاريخ:

في منتصف القرن 20، وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية، كان الصراع الايديولوجي بين الاشتراكية والليبرالية في أعلى مستوياته، بحيث أصبح شبح الشيوعية يقلق على العالم الحر. ولقد علل "فوكوياما" نهاية هذا الصراع الايديولوجي في الربع الأخير من القرن المذكور. بسقوط الايديولوجية الشيوعية، بالنقطة النهائية للتطور الايديولوجي للبشرية، وتعميم الديمقراطية الليبرالية الغربية كشكل نهائي للحكم البشري.

إن أمام القرن 21 الروسي، يمكن -كما يعتقد "فوكوياما" تأنيا للتاريخ وتاريخا بعديا. فبعد سقوط الايديولوجية الشيوعية أمام الديمقراطية الليبرالية، خرجت الأفكار والمفاهيم من سياقاتها الأصلية، بحيث لم يصبح الصراع الطبقي كمحرك للتاريخ في المنظور الجيل الروسي ما بعد الانفتاح. وهاهم يندلفون الى استعادة ماضيهم القيصري وشعاراته واسمائه وعاداته. حتى كلمة ثورة فقدت معناها؟ (سايدز ، 1986، صفحة 116 و 118).

ومع تقدم هذا الفتور التاريخي كما يرى "دي توكفيل" يرافق انتصارات الديمقراطية، وتتكاثر على العكس الاضطرابات المعبرة عن رغبتها بالتاريخ في مجتمعات اخرى من العالم. كالعالم النامي، هذا الاخير الذي يعتبر أن الأزمات التي أنهكته لا تعبر إلا عن أزمات العالمين الآخرين.

إن سقوط الايديولوجية الاشتراكية وانتصار الديمقراطية الليبرالية، ما هو إلا انقلاب للتاريخ، بل اعتباره نهاية للتاريخ، بل بالعكس قد يعتبر نقطة بداية جديدة للتاريخ في عوالم عانت وأنهكت من الصراعات الايديولوجية للقوى

والايديولوجيات الكبرى في العالم. فنهاية الحرب العالمية الثانية، كنت حدثا مفصليا لحقبة شهدت تطاحنا وصراعا ايديولوجيا محموما بين القوى الشرقية والغربية، ولقد ساهم هذا الأمر في تسريع العجلة التاريخية، ليس على مستوى الشرق والغرب، بل حتى على مستوى العوالم الصغرى التابعة لها، والتي كانت تتحمل التبعات الفكرية، الثقافية، السياسية والاقتصادية. مما جعل هذه العوالم متورطة ضمنيا.

3 - هل يمكن تفريغ الفلسفة من الايديولوجية للحيلولة والنهاية التلازمية الشرطية:

لقد كان موضوع تفريغ الفلسفة من الايديولوجية من المواضيع المحورية لدى الفلاسفة وعلم الاجتماع ومفكرين سياسيين، هذا الموضوع الذي يرتبط بمسألة العلاقة التلازمية بين الايديولوجية والفلسفة (فاديه ، 2006، صفحة 102).

حيث ترى فئة من الفلاسفة أنه لا يتسنى للفلسفة الحديثة النجاة، إلا عن طريق تحريريها من الايديولوجية تماما، وتستند هذه الفئة الا تبرير عقلاني ناتج عن التقدم العلمي والتقني بحكم نهاية الايديولوجية، بخلاف توجه آخر، يرى أن تفريغ الفلسفة من الايديولوجية هو حل تناقضات بين الرأسمالية والاشتراكية والصراع الفكري الايديولوجي بينهما.

إن الايديولوجية في نظر "ماركس" مجرد "وعي زائف" لأنها لا تغير عن المعطيات الواقعية بشكل واضح ومحدد، بل هي تمييع للواقع. إن الاستغناء عن الفلسفة أمر غير ممكن، لكن بخلاف ذلك يمكننا الاستغناء عن الايديولوجية، نظرا لكونها المسبب الرئيسي للاختلافات الفكرية.

الى جانب هذا، هناك تيار من الفلاسفة. يرى بضرورة تواجد الايديولوجية بجانب الفلسفة، لأن التعارض والتناقض قانون طبيعي ووجودي لا يمكن الاستغناء عنه بأي حال من الأحوال (فاديه ، 2006، صفحة 103).

ومنه يجب الاستغناء عن التفريغ الايديولوجي، بحكم أن الايديولوجية هي التي تعطي الحيوية والاستمرارية للفن والثقافة والفلسفة بحكم والعلوم الاجتماعية برمتها. وبالتالي تعزز من امكانيات التصدي للإيديولوجيا التي تشكل خطرا على المنظومات الفكرية والحضارية التي نتبناها وندافع عنها ونقتنع بها (فاديه ، 2006، صفحة 103).

اذن مسألة تفريغ الفلسفة والفكر من الايديولوجية، امر خلافي، يتراوح بين رافض له رفضا تاما، وبين من يستحسنه، بل يراه من الأمور الضرورية، بحيث لا يكون للفلسفة روح وحيوية، دون وجود منظومة ايديولوجية توجهها وتدعمها.

إن الايديولوجية القائمة على أساس علمي رصين، والقوانين الموضوعية، لها انعكاسات ايجابية على المنظومة العلمية والمصالح البشرية، بل تدفع بدواليب التقدم العلمي الاجتماعي قدما. ومن الضروري على الايديولوجية الحرص الشديد على الأساس العلمي والتزود بالإنجازات العلمية (فاديه ، 2006، صفحة 104 و 105).

المتطورة باستمرار، حتى يتسنى لها تقديم خدمات معرفية وإنسانية وروحية للجنس البشري.

في حين إن التجاهل المقصود للقوانين الموضوعية لتطور الواقع من طرف الايديولوجية، واكتفاء هذه الأخيرة بمجرد الحرص على المصالح التي تخص فئة معينة أو طبقة معينة، لاريب يؤدي الى نتائج سلبية. وبالتالي فهي تسبح ضد التيار التقدم العلمي والقوانين الموضوعية التي تسير الواقع. وعليه نجدها تخوض صراع -في هذه الحالة -مع الآليات الموضوعية. وعليه يكون الخروج عن الجادة الصحيحة لمسارها أمرا حتميا.

4 - هل نهاية الايديولوجية الحبلى بالتاريخ والفلسفة، حقيقة أم اسطورة؟

الايديولوجية بصفة عامة هي نظام من التصورات والمفاهيم، ومن الصور والأفكار وحتى الأساطير يتميز بخصوصية معينة. فللإيديولوجية أثر فعال في منظومة الوعي الاجتماعي وتوجهاته بحكم ارتباطها بالواقع الاجتماعي، بخلاف

المنظومات النظرية التي تتناقص تأثيرا بحكم طبيعتها النظرية حتى ولو كانت علمية (فاديه ، 2006، صفحة 92 و 93).

هناك طروحات تعتقد بإمكانية الاستغناء عن الإيديولوجية، إذا ما استطعنا استبدالها بالعلم الموضوعي، أو تصبح الايديولوجية علمية باي شكل من الأشكال. بيد أن هذا الأمر يتطلب اجتهادات على كافة المستويات والميادين ."هنتجتون" على سبيل المثال، يعتقد بإمكانية نهاية الايديولوجية والصراع الايديولوجي، بسبب تقوض اركان الايديولوجية الاشتراكية الشيوعية، وأصبحت الايديولوجية الليبرالية الواقعية أكثرا قبولا ومصداقية، ولهذا لم يصبح هناك داعي للصراع الايديولوجي، الذي –في نظره - يحل محله الصراع الحضاري او الثقافي، الذي تجلى في الهويات الحضارية او بالأحرى الهويات الثقافية التي تصبح الممثلة او المجسدة الفعلية للأنا و الآخر، ومن نحن و من الآخر ولكن مهما كانت المحاولات الممكنة في هذا الاتجاه ،فإن هذا لا يمكن أن يتحقق بسهولة على المدى القريب أو المتوسط. كون الإيديولوجية بناء أساسي للحياة التاريخية للمجتمعات، ولا يمكن إنهائها باعتبارها أداة واعية للعقل في التاريخ (فاديه ، 2006، صفحة 94).

5 - هل هي نهاية الفــلسفة التلازمية و لواحقها أم فلسفة النهايات العدمية الشاملة :

الفلسفة أم العلوم والمعارف حقيقة علمية وتاريخية، نظرا إلى الخدمات الفكرية والمعرفية والعلمية، والتي قدمتها الفلسفة منذ بدايات الحضارة البشرية. الى درجة وصل بـــ "أرسطو" الى وصفها العلم بالوجود من حيث هو موجود أو معرفة العلل والأسباب القصوى للموجودات، بل هي النظر في الموجودات وأسبابها وعللها بقدر الطاقة البشرية، كما يقول "أبو يوسف الكندي". بيد أن هذا التموقع المعرفي التقليدي السامي للفلسفة، أصيب بضربات قاسية ومتوالية منذ بداية النهضة الأوروبية، وانفصال العلوم عنها تباعا. لكن مهما يكن أمر فإن لبداية القرن 20 والتطور العلمي التجريبي الكبير. المحطة

الحاسمة في طرح الاشكاليات والتساؤلات حول أهمية ودور الفلسفة. إلى درجة الاعلان عن موتها الشبه الرسمي مع المدارس الفكرية الوضعية، بداية مع "أوغست كونت" وصولا الى الوضعية المنطقيـــــة (حلقة فينا) وآراء " رودولف كارناب" و "موريس شليك" والظاهراتي "آرنست ماخ". هذه التيارات التي أعلنت موت الميتافيزيقا. من ثمة انحصار دور الفلسفة في مجرد التحليل اللغوي للمصطلحات العلمية. وهذا ما جعل أحد أقطاب الوضعية المنطقية "رودولف كارناب" يصرح بقوله: بضرورة استبدال الفلسفة بمنطق العلم أي بالتحليل المنطقي لمفاهيم العلوم (الحاج حسن، 2001، صفحة 101).

ولقد كانت للمذاهب الوضعية بصفة عامة، و خاصة الوضعية المنطقية محاولات جادة في سبيل تصيير الفلسفة الى علم وضعي، يتماشى وتطور المعرفة الانسانية نحو العلمية الرصينة، الى جانب الاجتهادات المقدمة من طرف " أوغست كونت" الذي قام بتصنيف العلوم الى العلوم الرئيسة الأساسية و تحويل العلوم الانسانية المرتبطة بالفلسفة الى علوم وضعية، الى درجة تسمية علم الاجتماع بالفيزياء الاجتماعية. ومحاولة ارساء فلسفة علمية لا تؤمن الا بما طابق الواقع وقام عليه الدليل القاطع المبني على التجربة والخبرة.

إن الحديث عن النهاية أو خطابات النهاية، لم ينحصر في التساؤل عن مهمة الفلسفة ووظيفتها تزامنا وتطور العلم التجريبي وسيادة العلم التطبيقي في العصر الحديث، بل تجاوزت هذه المحطة إلى تأسيس خطابات ليس لنهاية الفلسفة فحسب، بل نهاية التاريخ والايديولوجية بل حتى الوجود برمته. وفي سياق الحديث عن فلسفة النهايات، نجد أن خطاب النهاية في الفلسفة يحيل إلى تأسيس ما يسمى بالقيامة الحديثة أو "الأبوكاليبس" كموت الإنسان وموت الايديولوجيا، بل حتى موت التاريخ (بوفلو ، ب س، صفحة 18).

ولقد كانت خطابات فلسفة النهاية ممهدات من طرف شخصيات فلسفية ذات ثقل فكري وتاريخي، كـ: "ماركس" "نيتشة"، "هايدجر"، "دريدا" وغيرهم. حيث تحدث "مارتن هايدجر" عن نهاية الفلسفة ونهاية الميتافيزيقا كأحد

المباحث الأساسية التي تقوم عليها. ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل انتشرت عدوى خطاب النهاية إلى الايديولوجية والتاريخ مع "فرنسيس فوكوياما" ونهاية عصر الايديولوجيا (سبيلا ، الايديولوجية، نحو نظرة تكاملية، 1992، صفحة 200).

من خلال ما تقدم يبدو أن خطاب النهايات في الفلسفة، التاريخ والايديولوجية يبين وجود علاقة تداخل وتلازم بين هذه المعطيات الثلاثة (الفلسفة، التاريخ والإيديولوجية) من ناحية النهاية التلازمية مما سيؤدي إلى ظهور مباحث وتخصصات فكرية تتركز بشكل أساسي على دراسة مسائل النهايات واشكالياتها، ضمن منظومة بحثية تسمى بالاسكاثولوجية أو علم القيامة و المسائل الأخروية على كافة المستويات: المستوى السياسي و العلمي وحتى البيوتكنولوجي مع "فرانسيس فوكوياما" على غرار نهاية التاريخ الايديولوجي المصاحب لتحقيق الاعتراف و إشباع الثيموس ونيل الاعتراف.

إن الفلسفة شكل من أشكال الإيديولوجية، هذه الأخيرة تحمل في ذاتها روح فلسفية. مما يعني أن الايديولوجية والفلسفة كلاهما متجدر في الوعي الاجتماعي وتاريخ هذا الوعي، ولهذا يأبى "هيجل" أن يكون تاريخ الفلسفة مجرد سرد لأفكار ذاتية يطبعها الجواز، بل هي العلم الموضوعي الذي يبحث عن الحقيقة. ويلتقي "هيجل" مع "هايدجر" اعتبار تاريخ الفلسفة ليس من صنع الفكرين فحسب، بل من صنع الوجود (بن عبد العالي، 1991، صفحة 41).

6 - هل هي نهاية الـــتاريخ و لواحقه أم هي إيديولوجـــية تسارع التاريخ وإنعكاساتها:

يقول "كولنجوود" : "التاريخ لا يفترض وجود العقل ككيان سابق له، وإنما هو حياة العقل ذاتها،.... الى الحد الذي تعيش في نسيج هذه العملية التاريخية وتدرك أنها تعيش فيها (كولنجوود، 1968، صفحة 394).

فلقد كان للفكر الهيجلي في حقول الفلسفة والتاريخ أهمية كبرى منذ نشأته. فالتفسير المثالي العقلاني جسد بصماته في كل المنظومات الفكرية الفلسفية

التي تتحدث عن العلاقة بين الفلسفة والتاريخ وتفاعلهما اجتماعيا سياسيا وزمانيا.

بيد أن الجدل الهيجلي أبى الا الوقوف على رجليه بعد ما كان يمشي على راسه، مع قدوم الفكر الماركسي ذي النزعة المادية في تفسير آليات حركة الوعي والتاريخ والايديولوجية. هذان الاطروحتان اعتمد عليهما صاحب نظرية نهاية التاريخ في تبرير نسقه الفكري والايديولوجي في إعلان نهاية الايديولوجية وانتصار الفلسفة الليبرالية الامريكية في كل ميادين الحياة. غير أن التساؤل: هل نحن بصدد نهاية للتاريخ و لواحقه(الايديولوجية والفلسفية) أم هي توظيف لإيديولوجية تسارع التاريخ و آثره على بقية اللواحق التبعية؟

إن علاقة الانسان بالزمان والمكان تغيرت من زاويتين من ناحية زاوية محيطة الحياتي المعتاد. ومن ناحية قدراته على التنقل. ولقد ساهم التطور التقني والعلمي في تقليص إدراك الانسان للمكان الهندسي، والزمان الطبيعي. فالإنسان الراهن يستقبل عددًا وكمًا هائلاً من المعلومات. مما حول الكرة الارضية الى قرية صغيرة، بحيث غير الانسان من مفاهيمه الفكرية والفلسفية وتصوراته حول العالم والكون. وبالتالي فالثورة التكنولوجية والثورة الهائلة في عالم الاتصالات زادت من تسارع الأحداث والحوادث في التاريخ الى اقصى الحدود. إن تضخم الذات يجعلها تستوعب التاريخ فيما يسمى بـ (أنا –التاريخ) والتاريخ الجماعي لن يعود اذ ذلك الا تراكمًا. وبالتالي فتسارع التاريخ لن يعود سوى محيط الفرد المستهلك (شابو، 1992، صفحة 119 و 122).

هذا ويمكن النظر الى القضية المطروحة من جهتين: جهة نهاية التاريخ من ناحية، ومن ناحية أخرى تسارع التاريخ، بحكم التداخل بين المفهومين، والسعي لاستجلاء التوصيف أو التحليلي الحقيقي للوضعية الوجودية المطابقة للعقل والواقع، فيما يخص هذه الوضعية.

خاتمة:

من خلال المقال أعلاه حاولنا الاجابة عن العلاقة بين الفلسفة والتاريخ والأيديولوجية، وماهية مفهوم العلاقة التلازمية التي تربط بينهم، وتبين أن هذه العلاقة التلازمية مرتبطة بسياقات التداول المفهومي والتصوري حسب التيارات والنظريات الايديولوجية والفلسفية من ناحية ومن ناحية أخرى حسب المرجعيات الثقافية والسياسية.

ومن أبرز النظريات المعاصرة التي تمثل نموذجا لهذه الاستعمالات وتعبر عن هذه العلاقة المتداخلة بين الفلسفة والتاريخ والايديولوجيا، نجد "نظرية نهاية التاريخ والانسان الأخير "للمفكر والفيلسوف السياسي الأمريكي" فرنسيس فوكوياما " ، ومختلف النظريات التي تصب في توجه فلسفة النهايات ونظريات الأبوكاليبس الفلسفي والأيديولوجي والتاريخي .

قائمة المراجع:

أفلاطون) .د س .(الجمهورية، تعريب حنا خباز .لبنان :دار القلم.

الحاج حسن ,و .(2001) .ردولف كارناب ونهاية الوضعية المنطقية .المغرب :المركز العربي.

الزيدي ,م) .ب س .(المدخل الى فلسفة التاريخ .عمان، الاردن :دار المناهج للنشر والتوزيع.

العروي ,ع .(2012) .مفهوم الايديولوجيا .الدار البيضاء، المغرب :المركز الثقافي العربي.

بن عبد العالي ,ع .(1991) .أسس الفكر الفلسفي المعاصر –مجاوزة الميتافيزيقا .الدار البيضاء :دار توبقال للنشر.

بوبر ,ك .(1992) .بؤس الايديولوجيا .بيروت،لبنان :دار الساقي.

بوفلو ,م .ا) .ب س .(نهاية الفلسفة .القاهرة، مصر :مركز الانماء القومي.

جعفر عبد الوهاب ,ع .(2014) .في فلسفة التاريخ .الاسكندرية، مصر :دار الوفاء للطباعة و النشر.

حنفي ,ح .(1987) .دراسات فلسفية .القاهرة :مكتبة الأنجلو مصرية.

خضر ,ع .ع .(1995) .المسلمون وكتابة التاريخ .المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

روكوت ,إ, 1992) .جانفي، فيفري .(هل هو تسارع أم نهاية للتاريخ .العدد .p ,95–94 106و .109

سايدز ,ي .ا .(1986) .إنقلاب ضد التاريخ .العدد 116 .p ,41و .118

سبيلا ,م .(1992) .الايديولوجية، نحو نظرة تكاملية .بيروت، لبنان :المركز الثقافي العربي.

سبيلا ,م & .,بن عبد العالي ,ع .(2006) .الايديولوجيا (.L. Althusser, Éd) .الدار البيضاء، المغرب :دار توبقال للنشر.

شابو ,ج .(1992) .ايديولوجية تسارع التاريخ .العدد.95–94 :

صعب ,ح .(1997) .علم السياسة .بيروت، لبنان :دار العلم للملايين.

فاديه ,م .(2006) .الايديولوجية، وثائق من الأصول الفلسفية .بيروت، لبنان :دار الفارابي.

فوكوياما ,ف .(1993) .نهاية التاريخ وخاتم البشر .مصر :مركز الأهرام للترجمة والنشر.

كولنجوود ,ر .(1968) .فكرة التاريخ .القاهرة، مصر.

مانهايم ,ك .(1980) .الايديولوجيا واليوتوبيا .الكويت :شركة المكتبات الكويتية.

محمود زكي ,ن .(1980) .هموم المثقفين .بيروت، لبنان :دار الشروق.

نصار ,ن .(1986) .الفلسفة في معركة الايديولوجية .بيروت، لبنان :دار الطليعة.

هيبرماس ,ي .(2003) .العلم و التقنية كأيديولوجيا .سوريا :منشورات الجمل.

مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ر ت م د: 7163 -1112 ر ت م د إ:1892-2588
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2

نظريّة التّعريف المنطقي بين أرسطوطالس وابن سينا

Logic (reason) theory definition between Aristotle Thales and Ibn Sina

عبد القادر بن عامر[1] ، سليمان بن سمعون[2]

1- مخبر التّراث الثّقافي واللّغوي والأدبي بالجنوب الجزائري،جامعة غرداية
abdelkader.benameur@univ-ghardaia.dz

2- مخبر التّراث الثّقافي واللّغوي والأدبي بالجنوب الجزائري،جامعة غرداية
dr_bslimane@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2020/05/06 تاريخ القبول: 2021/07/04

ملخّص -

يحاول هذا المقال،أن يتبيّن أصالة الإبداع المنطقي في نظريّة التّعريف الأرسطي عند الفيلسوف والمنطقي العربي،أبو علي الحسين ابن سينا،من خلال النّظر في الإضافات النّوعيّة على مختلف مستويات النّظريّة، بدايةً من الانتقادات التّأسيسيّة الموجّهة إلى أرسطوطالس، مروراً بالتّجديد المصطلحي والتّباين المنهجي التّحليلي في التّفريق بين مكوّنات التّعريف.

ووصولاً إلى الرّؤية الإبستمولوجيّة والعَقَديّة التي وجّهت هذا التّميّز المعرفي مع عدم إغفال عطاءات المعلّم الثاني؛أبو نصر الفارابي،لكونها استمداداً أصيلا للمنطق السينوي في عمومه،ولنظريّة التّعريف المنطقي على وجه الخصوص.

الكلمات الدّالّة:

التّعريف المنطقي, المصطلح, المنهج, أرسطوطالس, ابن سينا.

المؤلف المرسل: عبد القادر بن عامر:dr_bslimane@yahoo.fr

Abstract:

This articles tries to show the originality of logical innovation in Aristocratic definition theory for the philosopher Abu Ali Al Hussein Ibn Sina and Arabic logic ,in which it focuses on the specific additions at the different levels of theory ,starting with founding critiques (critics) that is directed at Aristotle Thales, moving on the terminological renewal and analytical rationale for differentiating the components of the definition.

to the epistomological and dogmatic vision which has directed this cognitive distinction ,bearing in mind and without forgetting the second scientist ,Abu Nasr al-Farabi ,a being inherent in the sino-logic in general and the theory of logic definition in particular .

Key words:

Approach , Aristotle Thales , Ibn Sina , Term ,Lgic (reason) definition.

- مقدّمة:

يتوزّع الاشتغال على "التّعريف" ضمن سياقات معرفيّة متعدّدة،فهو في الدّراسات الفلسفيّة القديمة ينضوي تحت مباحث المنطق الأرسطي الخاصّة بالاستدلال،أمّا في الدّراسات المعجميّة القديمة أو الحديثة على السّواء،فالتّعريف فيها:«هو لُبُّ المعجم والغاية من وجوده» .[1]

ولكنّنا اليوم في الدّراسات المصطلحيّة الحديثة،نجد أنّ التّعريف يشكّل بؤرة الاهتمام المصطلحي، وزبدته، وغايته، التي بها يتقوّم ، ويسترشد ، ويثمر.

وعليه ارتأينا في هذه الورقة البحثيّة،الإبانة عن أصالة المساهمة الفلسفيّة العربيّة في نظريّة التّعريف الأرسطيّة عند ابن سينا دون أن ننسى إسهامات أستاذه المعلّم الثاني؛أبو نصر الفارابي،مركّزين على الانتقادات الموجَّهَة لأرسطوطاليس في طبيعة وغايات ومشكلات نظريّة التّعريف الأرسطيّة،مبرزين الجديد المنهجي في توجيه نظريّة التّعريف السينوي إلى أصول البحث العلمي الحديث.

وقد تحدّدت خطّة الورقة،على النّحو التّالي:

1 – سياقات نظريّة التّعريف المنطقي في التّداول العربي الإسلامي.

2 – مصطلحيّة نظريّة التّعريف المنطقي (مُصطَلَحَيْ الحدِّ والرَّسم).

3 – مكوّنات التّعريف المنطقي (الجنس،والنّوع، والفصل،والخاصّة،والعرض العام).

4 – أخطاء وأنواع التّعريف المنطقي عند ابن سينا.

5 – الأصالة السينويّة في نظريّة التّعريف المنطقي (المنهج،والمصطلح،واللّغة).

6 – خاتمة.

1 – سياقات نظريّة التّعريف المنطقي في التّداول العربي الإسلامي:

من أولويّات البحث الأصيل،أن يضع النّقاط على الحروف في التّفريق بين مفردات البحث ومصطلحاته،ثم وضعها في سياقها التّخصصي العام أو الخاص لتُؤتِي أُكُلَهَا على تمامها منهجيًّا ومعرفيًّا،وهذا ما أشار إليه محمّد علي التهانوي فيما أسماه " اشتباه الاصطلاح" معلِّلاً ذلك بقوله: «لكلِّ علم اصطلاحًا خاصًّا إذا لم يُعْلَم بذلك لا يتيسّر للشّارع فيه الاهتداء إليه سبيلاً،وإلى انفهامه دليلاً».[2]

مع العلم بأنّ المنطق الأرسطي ذو خصوصيّة تميّزه،كونه "الآلة" الضّروريّة في شتّى المعارف والعلوم،إذ عُدَّ في سياق التّداول العربي الإسلامي عمومًا،وعند الفلاسفة المسلمين خصوصًا: « الصِّناعة التي تشتمل على الأشياء[الآليّات] التي تُسدِّد القوّة النّاطقة [العقل] نحو الصّواب في كل ما يمكن أن يُغلَط فيه،وتُعرِّفُ ما يُتَحرّزُ به من الغلط في كل ما من شأنه أن يُستنبَط بالعقل»[3] ،و بهذا فكلُّ المعقولات آلة صحّتها هو المنطق.

وقد نَوَّهَ ابن سينا إلى الثّمرة من المنطق، بقوله: « المراد من المنطق أن يكون لدَى الإنسان آلة قانونيّة تعصمه مراعاتها من أن يضِلَّ في فكره»[4] ، فالمنطق إذن ضرورة أوليّة لكل تخصّص،وإرهاص صحيٍّ لأيّة ممارسة علميّة – عقليّة.

أمّا نظريّة التّعريف المنطقيّة؛فهي المثابة الأساس في المنطق الأرسطي،حين نعلم أنّ أُسَّ العلم هو ايقاع التّصوّرات والتّصديقات في الذّهن واضحة لا التباس فيها،وذلك للولوج بها في مناهج البرهان المختلفة تحصيلاً وتدقيقاً وتقويمًا.

وعليه يمكن بداية أن نُدرِجَ "التّعريف" ضمن "نظريّة"،لا أن ننظر إليه بوصفه إجرائيّة توضيحيّة للمفاهيم فقط.وذلك لسببين:

- الأوّل منهما أنّ النّظريّة:«هي تركيب عقلي مؤلّف من تصوّرات متّسقة تهدف إلى ربط النّتائج بالمبادئ ...[ف] إذا أُطلِقَتْ على ما يقابل الحقائق العلميّة الجزئيّة دَلَّت على ترتيب عقلي واسع يهدف إلى تفسير عدد كبير من الظّواهر يقبله أكثر العلماء في وقته من جهة ما هو فرضيّة قريبة من الحقيقة» [(5)]، وهذا السّياق الذي نورد فيه " التّعريف" نراه متوافقاً مع سياق إطلاقها "فيما يقابل الحقائق العلميّة الجزئيّة".

-أمّا السّبب الثاني؛فهو كون مسائل التّعريف قسيمة علم المنطق،وهو ما أشار إليه ابن سينا، بقوله:« المنطق هو الصّناعة النظريّة التي تُعرّفنا من أيّ الصّور والمواد يكون الحَدُّ الصّحيح الذي يُسمّى بالحقيقة حَدّاً،والقياس الصّحيح الذي يُسمّى بالحقيقة برهانًا ،ومعنى ذلك [ربط النّتائج بالمبادئ] أنّنا إذا وصلنا إلى التّعريف التّام بواسطة الحَدّ،وصلنا أولى درجات العلم،وإذا وصلنا إلى القياس البرهاني وصلنا إلى غاية العلم نفسه.» .[(6)]

فالتّعريف المنطقي الأرسطي؛نظريّة تترابط فيها المبادئ بالنّتائج،إذ المبدأ هو تكوين التّعريف الصّحيح (التّام) للوصول إلى النّتيجة؛وهي القياس البرهاني (غاية العلم نفسه)،وذلك عبر قواعد وشرائط الانتقال من المعلومات إلى المجهولات،وهو ما يؤكّد النّظر إلى التّعريف المنطقي،بوصفه "نظريّة".

ولئن كان المنطق لا يدرس جميع الأقوال البشريّة،وإنّما "القضايا" (الأقوال الجازمة) فقط،أي؛التي تقبل الصّدق أو الكذب،فإنّه يركّز على "مادّة" القضايا إلاّ وهي؛المعاني،وقد اختلف الفلاسفة المسلمون في مفهومات مصطلح "المعنى" على حسب سياقات وُرُوده.

وفي هذا الصّدد يقول الشّريف الجرجاني في تعريفاته: « المعاني هي الصّور الذهنيّة من حيث أنّه وُضِعَ بإزّائها الألفاظ والصّور الحاصلة في الذّهن، فمن حيث أنّها تقصد باللّفظ سُمِّيت معنًى، ومن حيث أنّها تحصل من اللّفظ في العقل سُمِّيت مفهومًا،ومن حيث أنّه مقول في جواب "ما هو؟" سُمِّيت ماهية،ومن حيث ثبوته في الخارج سُمِّيت حقيقة،ومن حيث امتيازه عن الأغيار سُمِّيت هويّة.» .[7]

ولا ننسى في هذا السّياق،أن نؤكّد على الصّراع الدّائر في تراثنا المعرفي في مختلف ميادينه وقطاعاته وعلومه (النّقد،والأصول،والبلاغة،و المنطق،والفلسفة...إلخ)، بين المدرسة الاسميّة اللفظيّة،والمدرسة المعنويّة الدّلاليّة، في النّظر إلى العلاقة القائمة بين الألفاظ ودلالاتها (المصطلحات ومفاهيمها)،إذ ترى المدرسة المعنويّة الدّلاليّة أنّ للمعنى أفضليّة في الدّلالة على الحقائق،وهي المدرسة التي راجت ورفت ظلالها على الفكر العربي الاسلامي آنئذٍ،خاصّة في وضع المصطلحات (الحدود،والرّسوم).

ويمكن التّأكيد على ذلك،بما عرضه التّوحيدي في كتابه "المقابسات" عن شيخه أبي سليمان السِّجِسْتَانِي في محتوى رسالة "في حدود الأشياء ورسومها" استنصح التّوحيدي شيخه في وضعها،فقال له شيخه:«إذا استقام لك عمود المعنى في النّفس بصورته الخاصّة فلا تكترث ببعض التقصير ... وليس هذا مِنِّي تساهل في تصحيح اللّفظ واختلاف الرّونق وتخيُّر البيان،ولكن أقول متى جمح اللّفظ ولم يُوات،واعتاص ولم يسمح،فلا تفت نفسك حقائق المطلوبات،وغايات المقصودات، فلأن تخسر صحّة اللّفظ الذي يرجع إلى الاصطلاح، أولى من أن تعدم حقيقة الغرض الذي يرجع إلى الإيضاح.» .[8]

فللمعنى أولويّة على اللّفظ في بنية التّفكير العربي الإسلامي آنذاك،لذلك اكتسب المنطق هذه الحظوة والمزيّة عندهم،والمنطق في أساسه ميزان للمعاني في الأذهان،ونظريّة التّعريف فيه؛قاعدة الميزان،فلنتبّين معًا، ما لون؟ ومن أيّة مادّة صُنِعَتْ قاعدة الميزان؟.

2 - مصطلحيّة نظريّة التّعريف المنطقي:

لا يتأتّى لنا الاجتياز إلى مكوّنات نظريّة التّعريف المنطقي،دون المرور على شباك الحاجة المنهجيّة والضّرورة المعرفيّة،ألا وهي؛ تبيان العائلة المصطلحيّة للتّعريف بوصفها:«المجال الاشتغالي للمصطلح؛ أي المرجعيّة المنهجيّة والمعرفيّة التي تدور المصطلحات في فلكها،وتستمدّ أصولها منها، وتتحرّك ضمن إطارها بحيث إن وُظِّفَت خارجها فقدَت الكثير من فعاليّتها».[9]

لكن رغم الانسياق داخل هذا النّسق المصطلحي المغلق،لابدّ من ضرورة الإشارة إلى مرونة المصطلح المنطقي بالنّظر إلى المنطق على أنّه "آلة العلوم"، التي تبيح لكل علم مصطلحاتها بكل يسر وسهولة وانسجام ،ومن أكثر المصطلحات دورانًا في نظريّة التّعريف على ألسنة الفلاسفة من أرسطوطالس إلى فورفوريوس مرورًا بالفارابي، وصولاً إلى ابن سينا، نجد مصطلحين يدلان على نوعين من التّعريف؛ وهما: "الحدّ" و"الرّسم"، أمّا بقيّة المصطلحات فكلّها تَبَعٌ لها،والتي منها: "القول الشّارح"،"المعرَّف"،وهي تدور في فلك التّعريف،أو في مداراته الوصفية لمصطلحاته، وهي على النّحو التالي:

1.2 - مصطلح الحدِّ:

1.2.أ - الحَدُّ لغةً:

عند تقليب النّظر في المعاجم اللغويّة يمكن أن ينحصر معنى "الحدّ "في اللّغة العربيّة،حول معنيين أصليين،وهما كما نَصَّ عليهما صاحب المقاييس،بقوله: « الحاء والدّال أصلان:الأوّل المنع،والثاني طرف الشّيء.».[10]

ويتناسل عن هذين الأصلين بعض المعاني الثانويّة التي تشير إلى الحيلولة بين الشّيئين،أو الحاجز الفاصل بينهما،من ذلك ما يُورِده الخليل بن أحمد بقوله:« فصل ما بين كلّ شيئين حدٌّ بينهما» [11]،وابن منظور في اللسان بقوله:« الحدّ؛ الفصل بين الشّيئين لئلا يختلط أحدهما بالآخر أو لئلا يتعدّى أحدهما على الآخر،وجمعه حدود.»[12].

فهذا "الفصل" مؤدّاه إلى التّمييز الذي يُضفي على الشّيء الخصوصيّة والاستقلاليّة، وهو ما أبرزه صاحب القاموس المحيط بقوله:« و[هو] تميُّزُ الشّيء عن الشّيء» .[13]

فمجمل المعاني اللغويّة للحدّ تدور حول معنى التّمييز، بما يشوبه من دلالة المنع والفصل والحاجز،وهي المعاني التي تنبثق على جنباته وهوامشه لتصنع توليفة دلاليّة مع مركز المعنى،مُشكِّلةً عبرهما مساحة دلاليّة تتغاير حسب سياقات الاستعمال.

1.2.ب - الحدُّ اصطلاحًا:

لا يهمّنا من الاصطلاح إلا ما يتوافق مع مقصود البحث الذي يعالج ميدان الفلسفة في عمومه،والمنطق في خصوصه،من جهة ما قُدِّمَ في ميدان "نظريّة التّعريف".

لذا سنحاول النّظر إلى مفهوم الحَدّ في أصوله الأرسطيّة أولاً،ثم عند الفارابي باعتبار ابن سينا امتدادًا مدرسيًّا له، لنَخْلُصَ إلى خصوصيّة الإضافة السّينوية وأصالتها في نظريّة التّعريف المنطقي.

يعرّف أرسطوطالس "الحدَّ" في كتابه "الطوبيقا"، بقوله:« هو قَولٌ دالٌّ على ماهية الشّيء»[14]؛ فالدّلالة على ماهية الشّيء لا اللّفظ، هي أبرز ما يحاول الوصول إليه أرسطوطالس عن طريق "الحدّ"،وإذ:«لا يوجد تعريف بلا ماهية» [15]، والماهية هي:« ذكر جوهره [الشّيء] الذي يتألف من الجنس،وجنس الشّيء يشتمل على ماهيته،بالإضافة إلى صفاته الأساسيّة أو الجوهريّة دون العرضيّة» . [16]

فإنّ التّعريف بالحدّ التّام عند أرسطوطالس هو أكمل صورة لمعرفة ماهية الأشياء من حولنا؛أمّا الحدّ غير التّام فلا يشير إليه أرسطوطالس في مؤلّفاته فضلاً عن "الرَّسم".

ولما ننتقل إلى أبي نصر الفارابي فإنّنا نجده يعرِّف "الحدّ" بقوله:«هو تلخيص الأجزاء التي بها يتجوهر الشّيء،ليس بقول تام،وأجزاؤه كثيرة» .[17]

فالحدّ يصل إلى جوهر الشّيء من خلال أجزائه،لكن دون أن تتم الاحاطة التّامّة بكل أجزائه لكثرتها؛ بل يُكْتَفَى فيها بما يُحَصِّل التّصوّر من خلال ذاتيات الشّيء،ويُقرِّب الفارابي لنا ذلك عندما يعطينا مثالاً، بقوله:« هو ما أُلِّفَ من جنس وفصل، كما يقال: الإنسان حيوان ناطق،فيكون الحيوان جنسًا والنّاطق فصلاً» .[18]

أمّا عند ابن سينا فلا نجد كثير تغيير في تعريفه "للحدّ"، عند قوله:« فحدُّ الحدِّ - ما ذكره الحكيم في كتاب طوبيقا - أنّه القول الدَّال على ماهية الشّيء أي على كمال الشّيء ووجوده الذّاتي،وهو ما يتحصّل له من جنسه وفصله» .[19]

وهنا نلاحظ توافقاً تامًّا لابن سينا وأستاذه الفارابي في تعريف الحدّ التام مع أرسطوطاليس،ويتعزّز هذا عندما يشير ابن سينا إلى الهدف من التّعريف بالحدّ التام قائلاً:«الهدف من التّعريف هو معرفة حقيقة ماهية الشّيء» .[20]

ولقد ميّز ابن سينا للحدّ جملة من الصّفات،توضح تفرده ،و هي كالتالي:«

أ) - إنّ الحدّ لا يُكتَسَب بقياس شرطي؛يوضع فيه حدّ أحد الضدّين،فيستنتج حدّ الضّد الآخر؛ لأنّ في هذا مصادرة على المطلوب (تحصيل الحاصل).

ب) - إنّ الحدّ لا يقتنص بالاستقراء.

ج) - إنّ الحدّ لا يُبيَّن بقياس؛لأنّ الذي يعلم الحدّ،يعلم وجود الشيء المحدود، فإذا فرضنا أنّ الحَدَّ يُبيَّن بالبرهان،فهل يبرهن وجود الشّيء في الوقت نفسه ونحن نعلم أنّ وجود الشّيء ليس جزءً من ماهيته.

د) - قد يتّفق أن يكون لبعض البراهين منفعة في حدس بعض الحدود وبالعكس وأنّ البرهان قد يكشف طبيعة الشّيء الذي له علل غير ذاتيّة» .[21]

والحَدُّ عندما يَرِدُ مجرّدًا من الإضافة في عموم كتابات الفلاسفة، يُقصَدُ به "الحدّ التّام" وإلا أُضيف ما يخصّصه،ونقصد بالتّخصيص إضافة كلمَتَيْ:"التّام" أو"النّاقص"،والحدّ النّاقص؛ هو ما كان بالذّاتيات لكن دون شروط الحدّ التام التي تكون بالجنس القريب والفصل النّوعي.

ورغم مركزيّة الحدّ في البحث عن المفاهيم الكليّة للشيء المعرّف،في دقّة الضّبط،وصرامة الشّروط،لكنّه لا يستوعب دلالة مفهوم "التّعريف "كلّها،لذلك يقرّر المناطقة أنّ:«كُلُّ حَدٍّ تعريف وليس كُلَّ تعريف حدٌّ» [22]، لذا نجد مصطلحًا آخرًا في نظريّة التّعريف المنطقي؛ ألا وهو مصطلح "الرَّسم".

2.2 - مصطلح الرّسم:

2.2.أ - الرَّسم لغةً:

تدور مادّة "الرّسم" في المعجميّة العربيّة على معنيين متقاربين، كما سطَّر ذلك صاحب المقاييس، بقوله:« الرّاء والسّين والميم أصلان: أحدهما الأثر،والآخر ضربٌ من السّير»[23]؛فمعاني الرّسم تتمحور حول "مخالفة الأصل،فيما يتبقّى منه"،فـ:« الرّسْم:بقيّة الأثر،وقيل ما ليس له شخص [الأصل] من الأثار»[24]،أمّا بقيّة المعاني الجزئيّة الأخرى،فتتعلّق أغلبها بشيء من الاصطلاح في ترك الأثر، فـ:« الرّاسِم: الماء الجاري...وثوبٌ مُرسَّمٌ:مخطّط» .[25]

وقد أكّد ذلك صاحب القاموس المحيط، بقوله:« رَسَمَ الغيث الديار:غفّاها وأبقى أثرها لاصقًا بالأرض» .[26]

وعلى هذا يمكننا حصر الدّلالة اللغويّة لـ "الرّسم" في الأثر الذي ينوب عن الأصل،وهو ما يتوافق ويتناسب مع المدلول الاصطلاحي؛إذ الحَدّ هو الأصل والرّسم أثر له،لكونه أقل منه درجة في التّعريف المنطقي.

2.2.ب - الرَّسم اصطلاحًا:

لا نجد لهذا المصطلح حضورًا في المنطق الأرسطي،لكون أرسطوطالس يقسِّم التّعريف إلى نوعين فقط،هما: التّعريف بالحدّ الحقيقي، والتّعريف بالحدّ اللّفظي.

وقد نوّه إلى ذلك علي سامي النشار،بقوله:« أمّا أنواع التّعريف عند أرسطو فهي: تعريف يفيد ماهية الشّيء،وتعريف لا يفيد،ولكن يعيّن علاقة لفظية بين المحدود والحَدّ الذي يشير إليه،وعلى هذا الأساس أقيم التّقسيم[الثنائي] المشهور: التّعريف بالحدّ الحقيقي والتّعريف بالحدّ اللّفظي» .[27]

ويوضّح أرسطوطالس وظيفة كُلٍّ من التّعريفين، بقوله:« فالتّحديد هو إمّا إظهار ماهية الشّيء،وإمّا ما يدل عليه اسمه»[28]،ثم يعكف أرسطو إلى إلغاء القسم الثاني المتعلّق بالتّعريف بالحدّ اللّفظي،إذ يعتبره من باب" شرح مفردات اللّغة".

ويعمّق في الفرق بين وظيفة التّعريف الباحثة عن ماهية الأشياء وحقيقتها وبين وظيفة التّسمية ودلالاتها، بقوله:«فالتّعريف إذا لم يُثبت بشكل قطعي؛ما هو الشّيء؟ فلا يكون إلاّ خطابًا [لسانيًّا شارحًا] له نفس دلالة الاسم» .[29]

وعليه يمكننا القول بأنّ التّعريف عند أرسطوطالس ينحصر في التّعريف بالحدّالحقيقي(التام) فقط.

ولئن غاب مصطلح الرّسم عن نظريّة التّعريف الأرسطيّة،فهذا لا يعني ألبتّة أنّه كان نتاجًا عربيًّا إسلاميًّا خالصًا،إذ لا يمكن التّغافل عن إسهامات شرّاح أرسطوطالس ومنتقديه،خاصّة المدرسة الرّواقيّة التي يعزو البعض إليها إبداع هذا المصطلح:« ففكرة الرّسم لم يضعها أرسطو ولكن وضعها جالينوس متأثرًا بالرّواقية» .[30]

وبذلك صار التّقسيم الثلاثي هو الشّائع:« وهذا التّقسيم لا يوجد عند أرسطو،ومن المرجّح أن يكون الإسلاميّون أخذوه من شرّاح الإسكندريّة»[31]،لذا نجده حاضرًا عند أبي نصر الفارابي،إذ يعرّف الرّسم بأنّه:« قول يُعبِّر عن الشّيء بما يقوّم ذاته خاصّة [أو] من جنس وعرض»[32]؛فالرّسم يُعرّف الشّيء بأعراضه أو بخصائصه المميّزة له،بعيدًا عن النّظر إلى الماهية التي يتقوّم بها،ويُقسّم الفارابي الرّسم إلى: تّامٍ وناقصٍ في جلِّ كتبه المنطقيّة.

أمّا عند ابن سينا فنلاحظ أنّ مصطلح "الرّسم" قد تحقّق نظريًّا وعمليًّا في كتبه الطبيّة؛خاصّة القانون؛حين يعمد إلى تعريف الأدوية والأغذية،ويعرّف ابن سينا الرّسم،بقوله:« إذا عُرّف الشّيء بقول مؤلّف من أعراضه وخواصه التي تختصّ جملتها بالاجتماع،فقد عُرّف ذلك الشّيء برسمه»[33] فلا يشترط في الرّسم حضور الذّاتيّات (الجنس،والنّوع،والفصل)،فهو:« قول يُعرّف الشّيء تعريفًا

غير ذاتي،ولكنّه خاص، أو هو قول مميّز للشّيء عمّا سواه لا بالذّات». [34] فالوظيفة الأساسيّة للرّسم،ليس الإحاطة بماهية الشّيء وحقيقته،بل بتمييزه عمّا يتداخل معه،حصرًا للدلالة إلى حدّ المساواة مع المحدود.فيكون تامًا،أو قد تنعدم المساواة مع المحدود ؛فيكون ناقصًا،فالرّسم التّام:« هو القول المؤلّف من جنس الشّيء وأغراضه اللازمة له حتّى يُساويه»[35]،فتمام الرّسم في مساواة المحدود مع الرّسم،أمّا انتفاء المساواة،فهو الرّسم الناقص الذي يوفّر تمييزًا جزئيًّا في جانب من الجوانب لا في كلّها.

وقد أشار إلى ذلك نصير الدّين الطوسي في هوامش كتاب الإشارات والتنبّيهات لابن سينا، بقوله:« الرّسم منه تامّ،يفيد التمييز عن كل ما يغاير المرسوم،ومنه ناقص يفيد التمييز عن بعض ما يغايره»[36]،فالرّسم النّاقص دون مرتبة المساواة التّامة بين الحدّ والمحدود،ممّا يوسّع من دائرة التّحديد الدّلالي فتكون الدّلالة أعم من الشّيء،فلا يَفي الرّسم النّاقص بغرض التّعريف.

وعليه فإنّ التّعريف يحوي مصطلحَي"الحَدّ"و"الرّسم" معًا،بالإضافة إلى التّوضيح اللّفظي والاسمي،لكنّنا قد نجد من يجعل مصطلحَي "التّعريف" و"الحَدّ" مترادفين بمفهوم واحد،وهو ما نلحظه في مختلف التّخصّصات المعرفيّة في التّداول المعرفي العربي الاسلامي في مجال الاستعمال والممارسة التحليليّة. [37]

ولكنّ الحدّ عند المناطقة والمحقّقين من العلماء،على قول حلاّم الجيلالي: « قد خُصَّ في الدّراسات الفلسفيّة والمعرفيّة عند العرب بالتّعريف الحقيقي الأرسطي» .[38]

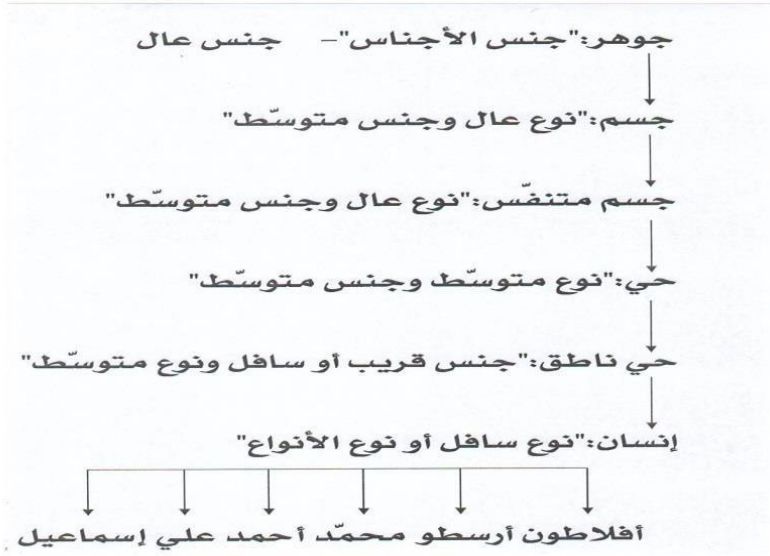
وبعد النّظر في الجهاز المصطلحي لنظريّة التّعريف في حيِّزه التّفصيلي،نوجّه البحث إلى حيّزه التّكويني بحثًا عن المكوّنات التي يشتمل عليها التّعريف المنطقي.

3 - مكونات التّعريف المنطقي:

هي جملة من المكوّنات اصطلح على تسميتها بـ "الكليّات الخمسة"،والتي تُقسَّم إلى "الذّاتي" بوصفه عنصر أصيل في تعريف الشّيء لا يمكن أن يقوِّمَ بدونه،باعتباره سابق عنه وجودًا،أو هو ماهية للشّيء وجوهره،وإلى "العرضي" بوصفه عنصر مكمل للشّيء،يمكن أن يقوَّمَ بدونه،ولا يدخل في وجود الشّيء وماهيته،ولم تكن مع أرسطوطالس خمسًا؛ بل:« ذكر أربعًا منها؛وهي الجنس والخاصّة والتّحديد والعرض» .[39]

لكنّ الذي أوصلها إلى خمسٍ،هو فورفوريوس أشهر شرّاح المنطق الأرسطي ومنتقديه في كتابه "إيساغوجي"،حينما استدرك "النّوع" على أرسطوطالس وضمّن ذلك في شجرته المشهورة باسمه،وهي على الشّكل التالي:[40]

شكل رقم (01): شجرة فورفوريوس.



أمّا ابن سينا فقد فصّلها لنا في عبارة مختصرة،بقوله:« الكليّات المحمولة،إمّا ذاتيّة لموضوعاتها،إمّا عرضيّة،والذّاتيّة؛إمّا مقولة في جواب "ماهو" على مختلفات الحقيقة وهي الجنس،أو على متفقاتها وهي النّوع،إمّا ليست بمقولة وهي الفصل

والعرضيّة؛إمّا مُختصّة بموضوعاتها وهي الخاصّة،أو غير مُختصّة وهي العرض» .[41]

3.أ - الذّاتيّات:

1.أ.3 - الجنس:

يُعرِّف أرسطوطاليس الجنس في مؤلّفه المعنوَن بالطوبيقا،بأنّه:« المحمول على كثيرين مختلفين في النّوع،مثال: الحيوان جنس للإنسان والثور والكلب والأسد» [42]،أو هو:« المحمول على كثيرين مختلفين بالنّوع من طريق ما هو»[43]،ويعتبر أنّ:« الأجناس مبادئ التّعريفات» [44]،التي لابدّ أن تؤسّس عليها.

وقد أضاف الشّرّاح:« أنّ الجنس عند أرسطو ثلاث مراتب وهي: الجنس العالي والجنس المتوسّط والجنس الأسفل»[45]،وهذا بالنّظر إلى القسمة المنطقيّة التي بُنِيتْ عليها شجرة فورفوريوس.

أمّا عند الفارابي فلا نجد كثير تغيير إلاّ لمسات توضيحيّة بسيطة،فهو يعرِّف الجنس،بقوله:« هو الكلّي المحمول على كثيرين مختلفين بالنّوع من طريق ما هو ... وهو أعمّ من النّوع»[46]،وفي عبارة أخرى يشير إلى مراتب الجنس الآنفة الذِّكر كما هي - عند أرسطوطالس - غير أنّه ينوّه إلى حقيقة الجنس في خاصيّته الجامعة للمختلفات،بقوله:« وحقيقته أنْ يعقل معاني مختلفة تكون لها لوازم يشترك الجميع في بعض تلك اللّوازم،والوازم المشتركة تسمّى جنسًا» [47]،فنلحظ بصورة واضحة جليّة استيعاب الفارابي للمنطق الأرسطي بدقّة وتبصرة واقتداء.

وعندما ننتقل إلى ابن سينا في تعريفه للجنس،لا نراه يبتعد كثيرًا عن سابقيه، فهو عنده :« المقول على كثيرين مختلفين بالحقيقة في جواب ما هو»[48]،لكنّ الجديد عند ابن سينا في هذا الباب هو العلاقات القائمة بين الجنس والنّوع،وبين الجنس والأجناس التي تعلوه في شجرة فورفوريوس؛إذ يصطنع لنفسه وللمدقّقين من أمثاله تفريقات دقيقة بمصطلحات مستحدثة في المنطق،من ذلك على سبيل المثال لا الحصر، نجد مصطلَحَي"الذّاتي"

و"الأوّلي"؛وهي مصطلحات سينويّة خالصة تبيّن الدقّة المنطقيّة والصّرامة المنهجيّة في ضبط المصطلح مع فعاليّة مفهومه داخل تقسيمات الشّجرة الفورفوريوسية؛فالذّاتي هو:« ما كان [من الأجناس] مقوّمًا لذات المعرَّف،وإن بَعُدَ» [49]،أمّا الأوّلي؛فهو "مقوِّم"،لكن هو:« ما كان أقرب إلى المعرَّف [من الأجناس]» .[50]

ويفرّق ابن سينا كذلك بين الذّاتي والمقول في جواب ما هو:« فالذّاتي هو الجنس وحده؛وهو جزء الماهية وكذلك الفصل،لكن المقول في جواب ما هو؛ هو الجنس والفصل معًا لتحصيل ماهية الشّيء التامّة،ولم يكن هذا مذكورًا لا عند أرسطو ولا عند الفارابي» .[51]

ولذلك نرى اهتمامًا خالصًّا بالجنس عند ابن سينا حتى في تعريف للجزئيّات؛لكونه (الجنس) يرشد إلى ذات الشّيء ويُعين على تمثّلها وتصوّرها حتّى وإن بَعُدَ الجنس وعَلا.

2.أ.3 - النّوع:

يتحدّد النّوع في شجرة فورفوريوس دومًا بالنّسبة للجنس،فالحي نوع للجسم والجسم جنس للحي والجسم نوع للجوهر،وجنس للذي تحته؛ وهو الحي ويشترط أرسطوطالس في مكوّنات التّعريف المنطقي هذا "التّراتب" و"التّرتيب" بقوله:« الأجناس المختلفة التي ليس بعضها مرتبا تحت بعض فإن فصولها أيضا في النّوع مختلفة»[52]،فإن لم يتوفّر هذا التّراتب والتّرتيب لا يتوفّر الانعكاس في إقامة الحدود.

ويعرّفه أرسطوطالس في "التّرجمة العربيّة "،بقوله: « النّوع؛وهو المحمول على كثيرين مختلفين بالعدد في جواب ما هو الإنسان بالنّسبة لـ (زيد وعمرو)» [53] ،فالنّوع في الإنسان واضح المثال لكن في أصناف أُخرى كالحيوان مثلا يكون أخص من الجنس؛إذ يدخل تحته،فالنّعامة "حيوان طائر"،فالطّائر ليس نوعًا لكونه يحمل تحته أنواعًا وأفرادًا.

ولذا نجد أبا نصر الفارابي يساوي بين الجنس والنّوع في الحمل على الكلّي عند الأشخاص فقط،ويضيف الفرق بينهما (الجنس والنّوع) في التّخصيص،فهو يعرّف النّوع من هذه الزّاوية،بقوله: « هو أبدًا أخصّ من الأجناس والأجناس أعم ...النّوع يُحمَل على الشّخص ويليق أن يُجاب به في جواب (ما هو)» [54]،ثم يردف تخصيص النّوع إلى أعداده لينتهي التّخصيص إلى اعتبار (الأشخاص) التّعداد لا الصّفات بقوله: «وهو الأخص الذي لا أخصّ منه بالإطلاق».[55]

ويسير ابن سينا على هذا المنوال في تعريف النّوع إذ يعتبره مشتركًا مع الجنس في جواب ما هو؟ والفارق أنّ النّوع في الحقائق ما تحته مختلفة بالعدد [56]،كما أنّه تراتبيّة في الأجناس بقوله:« ومن عاداتهم أيضا أن يُسَمُّوا كل واحد من مختلفات الحقائق...نوعًا له والقياس إليه»[57] ويمكن لذلك تصنيف النّوع إلى:« (أ) نوع أدنى لا يوجد تحته نوع،ولا جنس متوسّط (ب) نوع عالٍ يكون تحت جنس والأجناس الذي ليس بنوع (ج) نوع متوسّط،هو نوع وجنس وجنسه نوع».[58]

ولقد نوّه ابن سينا في هذا الباب بقصور القسمة في شجرة فورفوريوس،خاصّة فيما يخص النّوع قائلا:« فإنّ هذه القسمة لم يُفرّق فيها بين الخاصّة وبين الفصل الذي لا يكون إلاّ للنّوع،وفاتها الخاصّة التي خاصّة نوع متوسّط بالقياس إليه فلم يوردوا الخاصّة بما هي خاصّة للنّوع،بل بما هي خاصّة لنوع أخير، كما لم يوردوا إلاّ نوعًا أخيراً».[59]

وانتقد ابن سينا هذه التّداخلات في المعنى بين النّوع والجنس،وعدَّها من غوامض التّقسيمات المنطقيّة عند فورفوريوس،فهو يقول:«ولا تلتفت إلى ما يقوله صاحب "إيساغوجي" في باب رسم الجنس بالنّوع»[60] ،لذلك نراه يعمد إلى عميق الدقّة حين يضع بين أيدينا "المباينات" و"المشاركات"؛وهي الاختلافات والاتّفاقات بين الكليّات الخمس؛ ليفسّر غامضها ويبسّط عويصها، فهذه الملاحظات الدّقيقة التي أشار إليها ابن سينا في تحليله، تَنِمُّ عن تعمّقه في

الدّرس المنطقي في جوانب مكوّنات التّعريف،وذلك طلبًا للدّقة في التّعريف من خلال لغته في ضبط مصطلحاتها ومدلولاتها.

3.أ.3 -الفصل:

هي ميزة فاصلة بين الأجناس والأنواع في شجرة فورفوريوس،ويمثّل في الحَدّ جزء الماهية، فبالجنس القريب تتمّ الماهية باجتماعهما معًا،ويرى أرسطوطالس أنّ علاقة الأجناس مع الأنواع قائمة على الفصول؛إذ يوضّح قائلا: « وتوصف الأشياء بأنّها واحدة بالذّات عندما تنتمي إلى جنس واحد ولو اختلفت في الفصل،ويُقال عن الموجودات إنّها واحدة لأنّ الجنس واحد حتّى لو اختلفت الفصول،فالإنسان والحصان والكلب واحد بمعنى ما،من حيث أنّهما جميعًا حيوان» .[61]

فالأجناس قائمة بالوحدة في ذاتها مهما اختلفت الفصول،لكون الفصول أوصاف،وهو ما صرّح به أرسطوطالس بقوله:« ليس من الممكن للجنس أن يُحْمَل على الفصل بمعزل عن النّوع ولا أن يحمل نوع من جنس ما على الفصل الخاص بالجنس» .[62]

والحمل في المنطق يُقارب معنى الإسناد (التّركيب) في النّحو،أي أنّه لا يُكتَفَى في تحديد الجنس بالفصل دون إضافة النّوع.أمّا عند أبي نصر الفارابي،فنراه يُعرّف الفصل بقوله:« إنّه المحمول على كليٍّ من طريق "أي شيء هو" ويقال أنّه هو الذي يميّز بين ما تحت جنس واحد بعينه،ويقال أنّه هو الذي تختلف به الأشياء التي لا تختلف بالجنس»[63]،فالتّمييز والاختلاف هو وظيفة "الفصل" ومنطلق عمله ووجوده، أمّا في مجال الحدّ (التّعريف) فـ:«هو المتمّم لحدّ النّوع وهو المقوّم له،إذ كان يُعرِّفه بما يخصّه في جوهره [و] به يفضّل النّوع على الجنس» [64].

فالمفاضلة والمفاصلة قائمة بين الجنس والنّوع بالفصل،ولهذا نلاحظ تقسيم الفصل الذّاتي إلى:فصل ذاتي للجنس وفصل ذاتي للنّوع فالفصل الذّاتي للجنس يعرّفه الفارابي، بقوله:« متى كان الكليّ المحمول على الشّخص هو الجنس

وشاركه كلّي آخر بهذه الصّفة؛فإنّ ذلك الكلّي فصل ذاتي لذلك الجنس،وهذا مطّرد في كل جنس متوسّط إلى أن يُرتقَى إلى الجنس العالي» .[65]

كما يعرّف الفارابي الفصل الذّاتي للنّوع،بقوله:« متى كان الكليّ المحمول على الشّخص هو النّوع،وشاركه في الحمل على الشّخص كليّ آخر،وكان على الصّفة التي وصفناها،فإنّ ذلك الكليّ هو فصل ذاتي النّوع»[66]،ولهذا فإنّ الفصول:« تفيد تميّزه الشّيء عن غيره في ذاته لا في أحواله» .[67]

ومن هذا نستطيع القول بأنّ أبا نصر الفارابي لم يخرج عن ما سطّره أرسطوطالس من خلال ما تركه شُرّاحه خاصّة فورفوريوس،وهو ما مهّد الطريق للشّيخ الرّئيس "ابن سينا" الذي يعتبر الفصل قسيم الماهية مع الجنس،ويفرّق به بين الذّاتي والمقوَّل في جواب ما هو، كما يعتبر الفصل؛مقوِّمًا ومقسِّمًا للأجناس المتراتبة في شجرة فورفوريوس،فالتّقويم في النّوع مع جنسه كقولنا:الإنسان حيوان ناطق؛ فالنّطق مقوّم للنّوع،وتقسيم في الجنس،إذ تنقسم الأجناس بتفاصيلها وتمايزها من خلال الفصل كقولنا:إنّ الجسم منه حسّاس ومنه غير حسّاس.

وقد صرّح ابن سينا بهذا قائلا:«وكل فصل فإنّه بالقياس إلى النّوع الذي هو فصله مقوّم وبالقياس إلى جنس ذلك النّوع مقسّم»[68] فهذه الوظيفة للفصل مزدوجة بإعتبارين؛الجنس والنّوع،فهي تجعل للفصل حركيّة تقسيميّة وتقويميّة صانعة للجنس وللنّوع معًا، كما تمثّل بؤرة التّفكير المنطقي في خصوصيّة الضّبط التّعريفي للوصول إلى ماهية الشّيء وحقيقته بهذه النّظرة العلويّة المرتكزة على الكليّ،دون النّظر إلى الجزئي المتغيّر والمتبدّل وغير المستقر.

ويعرِّف ابن سينا الفصل من زاوية النّظر هذه، بقوله:« وأمّا الذّاتي الذي ليس يصلح أن يقال في جواب ما هو؛فلا شكّ في أنّه يصلح للتّمييز عمّا يشاركها في الوجود أو في جنس ما»[69] فالفصل؛هو كل ذاتي لا يصلح في جواب ما هو [الجنس أو النّوع] لذلك يصلح في التّمييز النّوعي،لكونه من الذّاتيّات،وهو نوعان:

1 - فصل خاص للجنس: مثلما يقال: الحسّاس للنامي،وهو يفصله عمّا يشاركه في الوجود.

2 - فصل خاص للنّوع: مثلما يُقال: ناطق للحيوان،وهو يفصله عمّا يشاركه في الجنس.

ولهذا فإنّ الفصل هو الذي يجعل:« الجنس إنّما يتحصّل ويتقوّم به نوعًا وذلك النّوع إنّما يمتاز بذلك الفصل»[70]،وبعد هذه التّفصيلات لا نرى ابن سينا يخرج عن أستاذه الفارابي،إلاّ في هذا التّدقيق والتّفريع الذي يوضّح تداخل مفاهيم "الوجود" و"الماهية" و"الجنس" في شجرة فورفوريوس.

3.ب - العرضيّات:

3.ب.1 - الخاصّة:

يُعرّفها أرسطوطالس،بقوله:«هي ما لم يدل على ماهية الشّيء،وكان موجودًا للأمر وحده وراجعًا عليه في الحمل»[71]؛أي ليست من الذّاتيّات لكونها ليست مما يدل على ماهية الشّيء، كما أنّها "صفة" لا تتوفّر إلا في الشّيء لا خارجه فهي تميزه تميزًا انفراديًا مخصوصًا معيّنًا لا توجد في غيره،لذلك فهي"صفة" منعكسة (جامعة مانعة)،مثال قولنا الإنسان:حيوان ناطق ضاحك فيمكننا في هذا الحدّ أن ينعكس "يرجع في الحمل"فنقول: كل ضاحك إنسان وكل إنسان ضاحك،لذلك يقول أرسطوطالس:«ليس أحد يقول إنّ الخاصّة يمكن أن توجد لغير ما هي له خاصّة».[72]

ثم يتوسّع أرسطوطالس بعد ذلك في دلالة "الخاصّة" فيقول:« إذا ألقي [وُجِدَ] إنسان جالسًا وحده،صار الجلوس له في ذلك الوقت "خاصّة"،وإذا لم يكن جالسًا هو وحده،فالجلوس له خاصّة بالإضافة إلى ما ليس جالسًا»[73]،فهذا الانحصار الدّلالي للخاصّة قد يكون مرتبطًا بالوقت،إذ لم يتّسِعْ حصول الخاصّة فيما جاوره،ولما تصبح متوفّرة وحاصلة في غيره،ينظر فمن لم تحصل ولم تتوفّر عنده،فتكون المقارنة بالمخالفة سبيل تحقيق الخاصّة،وبهذا نستطيع القول إنّ

الخاصّة قد تتّسع إلى أن تصبح عرضًا عامًا،لكنّها في هذا الاتّساع الدّلالي تفقد خصيصة مهمّة في تعريفها وهي أنّها "راجعة عليه في الحمل"(منعكسة).

ولا نكاد نجد بعيد أثر للتّرجمة في تحصيل المعاني "الخاصّة" عند الفارابي إلاّ في تغاير الألفاظ فهو يعرّفها،بقوله:« وهي الكليّ المفرد الذي يوجد لنوع ما وحده ولجميعه ودائما من غير أن يُعرف ذاته وجوهره،إنّ الخاصّة تساوي النّوع الذي هي له خاصّة،ويُنعكس عليه في الحمل» .[74]

فالخاصّة تمتاز في نظر الفارابي بالدّيمومة رغم أنّها عرضيّة،ولعرضيّتها يزيحها من التّعريف الذي لا يكون إلاّ بالمحمولات الذّاتيّة ثم ينصّ على مساواة الخاصّة للنّوع مع خاصيّته،وهذه المساواة مكتسبة من الانعكاس في الحمل،ثم يوضّح أنّها سبب التّباين بين الأشياء لخصوصيّتها الدّائمة اللازمة المميّزة، بقوله:« هي ما يتباين به شيء آخر لا في جوهره »[75]،ثم يزيدنا توضيحًا بمثال آخر قائلا:« هي ما تكون لشيء واحد كالضّحك والصّهل...» .[76]

فبعد هذا لا يسعنا القول إلاّ بأمانة الفارابي في فهم وترجمة أرسطوطالس وشرّاحه مع بعض الاختلافات البسيطة في الأمثلة والشّواهد.

أمّا عند ابن سينا،فيعرّف الخاصّة بأنّها:« كُليَّة تُقال على ما تحت حقيقة واحدة فقط،قولا غير ذاتي»[77]،فهي تمتاز من حيث اطلاقها على حقيقة واحدة ؛ أي أنّها "صفة" تطلق على معنى كليّ مشترك متعيّن وموجود خارج الفكر،والذي تُكْسِبه من خلالها "الخصوصيّة المميّزة"،دون أن تصل إلى مرتبة الذّاتيّات،ويرى ابن سينا أنّها متوافرة في كل تقسيمات شجرة فورفوريوس،من أعلى جنس (جنس الأجناس) إلى أدنى نوع (نوع الأنواع) بل هي الدّركة الأخيرة التي تربط بين الكليّات والجزئيّات،فهي تعمدُ إلى تخصيص أدنى الأنواع،فتنزل به إلى جزئيّاته المتحقّقة في الأعيان ثم يدقّق ابن سينا في الخاصّة من خلال مكوّناتها ووظيفتها قائلا:« أمّا الخاصّة [فهي] ما كان من اللّوازم والعوارض الغير [كذا وردت] المقوِّمة لكلّيٍّ ما واحد من حيث أنّه ليس بغيره»[78]

فالخاصّة تكون لموضوع كلّي لا جزئي،وهي على نوعين:من جهة اللّزوم والافتراق ومن جهة العموم والخصوص فـ:« قد تكون لازمة كذي الزّوايا الثلاث للمثلث ومفارقة كالماشي للحيوان» .[79]

وقد « تكون عامّة لأشخاص موضوعاتها كالضّحك بالطّبع للإنسان وخاصّة بالبعض كالكاتب بالفعل له»[80] كما يوّسع ابن سينا من دلالة الخاصّة حين يطلق من نطاقها أو يقيّده بمصطلح "بالقياس إلى" أو "بالنّسبة إلى"،من جهة التّقييد وبمصطلح "على الإطلاق" من جهة التّوسيع.

ثم يلتفت ابن سينا إلى الخاصّة في صورتها المثلى قائلاً:« وأفضل الخواص ما عمّ النّوع واختصّ به،وكان لازمًا لا يفارق الموضوع،وأنفعها في تعريف الشّيء ما كان بيِّن الوجود له،مثال "الخاصّة" الضّحك للإنسان،وكون الزوايا مثل القائمتين للمثلث»[81]،فشموليّة الخاصّة لأشخاص الموضوع ولزومها له،مع بينونة وجودها يكسب التّعريف المنطقي جودة وامتياز،لكونه يتوفّر بهذين الشّرطين في "الخاصّة" على الوضوح والتّخصيص.وهو ما بات متاحًا بصورة جليّة عند ابن سينا مع هذه التّدقيقات والتّقسيمات المعمِّقة لمدلول ووظيفة "الخاصّة".

3.ب.2 -العرض العام:

يعرّفه أرسطوطالس،بقوله:« هو المقول على كثيرين متّفقين بالحقيقة في جواب أيّ شيء هو ذاته،كمتحرّك للإنسان»[82] فالعرض صفة مشتركة في النّوع كما في الجنس،وهي من جهة الموضوع لا من جهة المحمول،لكن إلحاقها يكون من جهة الذّات،لذا نجد أرسطوطالس يقول في مقالة الدّال في كتابه الميتافيزيقيا إنّ العرض:« هو ما يلحق بكل شيء بفضل ذاته لكن ليس من جوهره،مثل ما للمثلث من زوايا قائمة»[83] فالعرض ليس من الذّاتيّات (الجنس،والنّوع،والفصل)؛ بل من العرضيّات (الخاصّة،والعرض العام)،وهذه الخمسة - كما أسلفنا -هي التي تشكّل مكوّنات التّعريف عند أرسطوطالس.

ولما نلقي نظرة عند "المعلم الثاني" أبي نصر الفارابي،نجده ثاقب النّظر،واسع الفِكر،فيما ينقله عن أرسطوطالس بهذا الخصوص،فهو يعرّف العرض العام بقوله هو:«كل صفة وُصِفَ بها أمرٌ ما،ولم تكن الصّفة محمولاً حُمِلَ على الموضوع،أو لم يكن المحمول داخلا في ماهية الأمر الموضوع أصلا،بل كان يُعرّف منه ما هو خارج عن ذاته وماهيته»[84]،فالصّفة إذا لم تتموضع محمولا أو تموضعت محمولا، لكنها غير ذاتية نستطيع تسميتها حسب الفارابي - عرضًا عامًا.

وهذا ما يؤكّده في تعريف آخر،بقوله:« هو الكلّي المفرد الذي يوجد لجنس نوع،إمّا أعم منه أو أخص،من غير أن يُعرفَ في شيء منها ذاته أو جوهره» .[85]

لكن نلاحظ في هذا التّعريف عموميّة في سياق المصطلح،فالعرض العام قد حوى معه الخاصّة،إلاّ من جهة التّخصيص بقوله "أو أخص"،ثم يلفت الفارابي النّظر إلى استيعاب العرض العام،وتوسّعه إلى أكثر من واحد تمييزًا له عن الخاصّة،بقوله:«[العرض] هو الذي به تشابه اثنان أو أكثر لا في جوهرهما» .[86]

كما أنّ هذا التّشابه إذا تحقّق في الجنس والنّوع معًا،كونهما اثنين مختلفين في المرتبة، تحقّق معهما العرض العام في نوعيه؛العرض الجنسي والنّوعي،

وهو ما عرّفه الفارابي،بقوله:« هو الذي متى شارك النّوع أو الجنس كلّيُ آخر أعم من ذلك النّوع أو من ذلك الجنس،وكان يليق أن يؤخذ في الجواب (أي شيء هو) في حاله لا في ذاته» .[87]

وبهذا صار العرض العام مرتقيًا إلى الكليّات في الأجناس المتوسّطة والعليا من جهة حاله لا ذاته،واكتسب شيئًا من تقسيمها في شجرة فورفوريوس في الأعراض لا في الذّوات.

ونرى الفارابي يُقسِّمُ العرض العام في هذا السّياق إلى: عرض ذاتي وغير ذاتي وعرض لازم ومفارق،فهو فيعرّف العرض الذّاتي،بقوله:«هو الذي يكون موضوعه ماهيته أو جزء ماهيته،أو تُوجب ماهية موضوعه أن يوجد له عرض ما» .[88]

فهذا الارتباط المتلازم للعرض مع الماهية وجوبًا ووجودًا مكّن للعرض أن يُنسب ويُضاف إلى الذّات،وقد يبتعد العرض على الذّات فيكون غير ذاتي؛وهو ما عرّفه الفارابي،بقوله:«هو الذي لا يدخل موضوعه في شيء من ماهيته،وماهية موضوعه لا توجب أن يوجد له ذلك العرض» .[89]

ثم يُقسِّمُ الفارابي العرض العام بعد ذلك إلى اللازم والمفارق، فيعرّف العرض اللازم، بقوله هو:« ما يُحمل على النّوع أو على الجنس حملاً مطلقاً»[90] أمّا العرض المفارق فيعرّفه بأنّه:« ما يُحمَل على النّوع أو على الجنس حملاً غير مطلق،ومنه ما شأنه أن يُحمل على شخص ما دائمًا ومنه ما شأنه أن يُحمَل عليه حينًا،ولا يُحمَل عليه حينًا» .[91]

فاللّزوم هو ما يوافق الصّفة اللازمة بالقوّة وبالفعل وفي كل الأوقات، كالمتحرّك للإنسان، أمّا المفارقة؛فهي ما يتوافق مع الصّفة غير اللازمة لزومًا بالقوّة؛بل بالفعل فقط،كالكاتب للإنسان فهو عند البعض دون كلهم (يُحمل حينًا،ولا يُحمل حينًا آخر).

أمّا العرض العام عند ابن سينا؛ فهو:« ما كان موجودًا في كليّ وغيره عمّ الجزئيّات كلّها أو لم يعمّ» [92]فالعموم؛مطلق ومقيّد،فكلّما كان أقرب إلى التّقييد اقترب من الخاصّة،وكلما كان أقرب إلى الإطلاق تباين وافترق عنها،إذ أنّهما عرضيان، كما عرّفه ابن سينا،بقوله:« العرض العام يرسم بأنّه كلّيُ يُقال على ما تحته حقيقة واحدة وعلى غيرها قولا غير ذاتي» .[93]

فشرط "الكلّي" رغم كونه "عرضي" مرتبط بالمنطق في عمومه والتّعريف في خصوصه،إذ أنّ التّعريف المنطقي ينظر ويهتم بالكليّات والماهيّات لكونه يبتغي الاحاطة بالمعقولات المجرّدة،دون أن يغفل المحسوسات المتعيّنة المشخّصة،لذلك فالعرض العام في شجرة فورفوريوس في نظر ابن سينا:« قد يكون... للجنس العالي كالوحد للجوهر وللنّوع الأخير كالأبيض للإنسان،وقد يكون لازما كالزّوج للاثنين ومفارقًا كالنّائم للإنسان،وقد يكون عامًّا للجزئيّات كالمتحرّك للإنسان وغير عام كالأبيض له» .[94]

فهذا الحضور على مستويات التّقسيم في شجرة فورفوريوس يكسب لكل خطوة تقسيمة،فوارق عرضيّة تميزيّة،تعمل على دقّة تعريف كل جنس أو نوع على حدّه،رغم اشتراك العرض العام في عموم الجزئيّات الدّاخلة تحته.

أمّا أقسام العرض العام فهي "عشرة" باحتساب الجوهر،ثم: الكم،و الكيف، والأين،والوضع،والملك،والاضافة،ومتى،والفعل،و الانفعال و:«يدعونها جميعا بالأجناس العالية أو المقولات»[95]،وقد جمعها أحد الشّعراء بقوله:

«زَيْدُ الطَّوِيلُ الأَزرَقُ ابْنِ برمَكِ في دَارِهِ بِالأَمْسِ كَانَ مُتَّكِئ
في يَدِهِ سَيْفٌ لَـــوَاهُ فَالْتَوَى فَهَذِهِ العَشْرُ المقُولاتُ سَوَا»[96]

وقد يتبادر للوهلة الأولى إلى أذهان الباحثين أنّ الفلاسفة المسلمين في اهتمامهم بالكليّات مَالُوا مَيلَةً واحدة في تأييد أرسطوطالس برأيه أن لا علم إلاّ بالكليّات،وانتهجوا منطق أرسطوطالس وتبنَّوه بصورة مطلقة،وهو ما تؤيّده العبارة المشهورة التي تصفهم بـ "المشّائين العرب" نسبة إلى الفلسفة المشائيّة الأرسطيّة،لكن المدقّق في نسقهم الفلسفي يلمح لفتات تُقِرُّ بأنّ الكليّ ليس ادراكه من قدرة البشر،من ذلك ما أورده أبو نصر الفارابي،بقوله:« ليس في قدرة البشر الوقوف على حقائق الأشياء [الماهيّة الكليّة]،نحن لا نعرف من الأشياء إلاّ الخواص واللّوازم والأعراض،لا نعرف الفصول المقوّمة...» .[97]

غير أنّ بيت القصيد في نظرة أرسطوطالس للكلّي؛إذ أنّ الكليّ عنده لا يمكن أن يوجد خارج الجزئي،في ثنائيّته المسمّاة بـ "المادّة والصّورة"؛بل لا يمكن أن نجد مفاضلة بينهما عند أرسطوطالس وهذا خلافا لما يراه أستاذه أفلاطون،في أنّ الكليّات مقرها ومنبعها في عالم المثل،وأنّ الجزئيّات صور ناقصة لها.

وهذا ما حدَا بابن سينا إلى أن يرى في "المقولات" مباحث وجوديّة خالصة ويبحثها بحثًا ميتافيزيقيًّا صِرفًا،فهو حين يفصلها عن المنطق يُفْصِحُ عن رؤيته لها بكونها مَعَانٍ عقليّة لها مدلولات واقعيّة (خارج الذّهن)،وهو ما قام به عندما أزاحها من منطقة "الوجود"إلى منطقة "اللّغة"فغيّر مصطلح "الكليّات الخمس" إلى "الألفاظ الخمس".

ولم تكن هذه الإزاحة من مبحث الوجود إلى مبحث المنطق (اللغة)،بالتي تمـرّ على شيخ الإسلام ابن تيمية دون أن يبني عليها مرتكـزًا نقديًّا صلبًا للمنطق الأرسطي،فقد اعتبر بداية بأنّ :« الحدّ من باب الألفاظ [لا من باب المقولات العقليّة]،واللّفظ لا يدل المستمع على معناه إن لم يكن قد تصوّر اللّفظ المعني بغير اللفظ» .[98]

فهذه الكليّات الخمس في نظريّة التّعريف المنطقي أو "الألفاظ الخمس" - حسب تعبير ابن سينا - تُعَدُّ مراتب وجوديّة تصوريّة تحدّد مناطق ماهويّة في ذهن القارئ،تتراتب من أعلى الموجودات كليّة،إلى أدنى الموجودات الجزئيّة،وذلك لحصر حيّز التّصوّر الكليّ للمعرفة، التي يُعَدُّ التّعريف فيها المدخل الرّئيس في بنائها،وقد احتدم صراع منهجيّ في التّأسيس المعرفي لهذا التّقسيم منذ المدرسة الرّواقيّة التي رفضت فكرة الكليّات واعتماد هذه القسمة[99]،إلى يومنا هذا مرورًا بالفلاسفة المسلمين.

وقد رأى بعض المؤيّدين لهذه القسمة،أنّها تتساوق مع تمايز المجتمع الإنساني في طرائق عيشه،ومظاهر حياته،مُقِرًّا :«أنّ وجود المجموعات الاجتماعيّة وتمايزها وتسلسلها،هي التي أوحت للإنسان أفكار الجنس والنّوع وبصورة أعم النّظام المنطقي والتّنسيقي» .[100]

وعليه فإنّ مكوّنات نظريّة التّعريف المنطقي عند ابن سينا على ضوء هذا التّفصيل،تتّضح أنّها تجريبيّة الطّابع،اسلاميّة الرّؤية،ذات أصالة وفهم عميقين للمنجز المنطقي الأرسطي،وممّا يعمّق هذا الكلام،الخطوة التالية الباحثة في تنويع التّعريف من خلال التّدقيق في أخطائه.

4 - أخطاء وأنواع التّعريف المنطقي عند ابن سينا:

ومن امتيازات ابن سينا في نظريّة التّعريف،أنّه حاول التّطرّق إلى الممارسة التّطبيقيّة للتّعريف بما يعتورها من ملابسات وأخطاء،وعالجها أوّل الأمر في "كتاب الجدل"،ثم توضّحت في كتاب "الإشارات والتّنبيهات"،لتكتمل صورتها

في كتابه القيّم "منطق المشرقيّين"وسنحاول استيضاحها في صورة مختصرة قدر الإمكان على النّحو التالي:

1.4 -غموض لغة التّعريف:

يقول ابن سينا :« ومن القبيح أن يُستعمل في الحدود،الألفاظ المجازيّة والمستعارة والغريبة والوحشيّة،بل يجب أن يستعمل فيما الألفاظ المناسبة النّاصّة المعتادة»[101]،فابن سينا يستعمل في هذا الموضع مصطلح "الحدود" بمعناه العام؛أي التّعريفات،فالمجاز هو نقيض الحقيقة،ممّا يتنافى واللّغة العلميّة المطلوبة في التّعريف،والغرابة والوحشيّة في اللّفظ لابدّ أن يحتاج القارئ بدوره إلى شرح وبيان لهما.

أمّا الألفاظ النّاصّة؛فهي المباشرة في القصد،الصّريحة في الدّلالة،البعيدة عن الالتباس والاشتباه،وإذا تعذّر تحقيق هذا في اللّغة العلميّة المتاحة عند المعرِّف: «فليخترع له لفظ من أشد الألفاظ مناسبة،وليدل على ما أُريدَ به ثم يستعمل فيه»[102]،فمواضع الغموض في الجديد والمستحدث من المعارف والعلوم سبيلها مصطلحات جديدة مناسبة لها.فاللّغة في التّعريف شرطها المكين هو الوضوح.

2.4 - التّعريف بالمساوئ:

وهو تعريف ردئ لكونه لا يقدّم جديد يُستوضَح به الشّيء المعرَّف،ويُرجِع ابن سينا هذا وغيره من الأخطاء إلى السّهو ترفقًا بالمعرِّفين في قوله:« وقد يسهو المعرّفون في تعريفهم فربّما عرّفوا الشّيء بما هو مثله في المعرفة والجهالة كمن يُعرّف الزّوج بأنّه العدد الذي ليس بمفرد».[103]

فلغة التّعريف تبيان وشرح للمعرَّف،وليست مماثلة للفظ معرفةً أو جهالةً فهذا الصّنيع لا يؤدّي إلى الغرض:« فإنّك لست تطلب في التّحديد إلاّ المفهوم»[104]،لذلك يجب أن يكون تعريف الشّيء:« بما هو أعرف من الشّيء فإنّ الجاري مجرى الشّيء في الجهالة لا يعرِّفُهُ».[105]

وعليه فإنّ الألفاظ في التّعريف تكون معروفة؛واضحة التّصوّر، قبل الشّيء المعرَّف،فليس يُعقل أن تحتاج هي إلى تعريف،وإلا وقعنا في الدّور.

3.4 -التّعريف العدمي (السّلبي):

وهو تعريف الشّيء بضدّه،في تقابل للألفاظ دون الخوض في ماهيتها ؛جنسًا أو نوعًا أو فصلاً،وهو أقرب إلى الشّرح اللّفظي للمفردات، لذلك لا يعدّه ابن سينا تعريفاً "منطقيًا"،ويكثر هذا التّعريف في الأعدام (الصّفات السّلبيّة المنعدمة)،وهي صفات بسيطة وليست ذواتًا:«وذلك أنّ البسيطة لا تجد لها دالاً على الماهية تقتضي أجزاؤه اختلاف دلالات بمقوّمات،بل عسى أن تجد له لفظًا مفردًا أو تجد له رسمًا ينقل الذّهن إلى تصوّرات على بساطته» .[106]

وعليه فإنّ التّعريف في مثل هذه الحالة ليس يمكن بالحدود التامّة أو النّاقصة لأنّ الأعدام:«ليست هي بالحقيقة ذواتًا ولا أمورًا موجودة» .[107]

فاللّغة التّعريفيّة في مثل هذه التّعريفات ترتكز على قياس" بالنّسبة إلى" فإن: « العمى ليس إلاّ لنسبة مخصّصة بالبصر؛فلا تعقل [تُفهم] إلاّ بتركيب وذلك التّركيب هو تركيب بمَلَكَة تقابلها وتخصّصها، كالعمى بالبصر والسّكون بالحركة والظّلمة بالنّور،ومقابلاتها معقولة في أنفسها» .[108]

وعليه يرفضه ابن سينا لكونه لا يتوفّر على مقوّمات الشّيء في ضوابط التّعريف "حدًّا" أو"رسمًا"،وعدّه ابن سينا من التّفريط والتّقصير في إدراك الشّيء بالتّعريف والاحاطة به.[109]

4.4 -التّعريف بالسبب:

وهو أن يكتفي المعرِّف بذكر سبب الشّيء في تعريفه،سواء أكان السّبب ماديًّا أو غائيًّا،دون النّظر إلى الماهية أو خواصه المميّزة له عن غيره،ويضرب ابن سينا مثالاً لذلك،قائلاً:« من ذلك أن تأخذ بدل الشّيء سببه مثل أن تقول: (إنّ الوجع يُفرِّق الاتّصال) وإنّما يُفرِّق الاتّصال بسبب الوجع» .[110]

وقد يكون السّبب "غائيًّا" كأنْ يقول المعرِّف:« الاستيلاد هو النّكاح،أو تقول: أنّ المُلْكَ هو العدل»[111]،وقد يكون السّبب "ماديًّا":«كمن يقول: إنّ الإنسان هو لحم وعظم،وأنّ الكرسيّ هو العمود (الخشب)» .[112]

ويستطرد ابن سينا في هذا التّعريف من جهة أنواع سببه،ثم من جهة مسبّبه (معلوله) ثم من جهة الاطلاق والتّقييد في الحكم، ويعترض ابن سينا على هذا التّعريف في كونه لا يحقّق ماهية الشّيء ولا يحقّق التّمييز له عن غيره،فتنتفي فيه وظيفة التّعريف بالمرّة،إذ يجب على المعرِّف في تعريفه أنْ يُحصِّلَ للشيء المعَرَّف فهمًا بيِّنًا متعلّقًا بذاتيّاته و فصوله المقوِّمة أو المميّزة له.

5.4 -التّعريف بالتّمثيل أو بالمثال:

وهذا التّعريف يدخل في الخطأ الأول من غموض لغة التّعريف،حين يَعْمدُ المعرِّف إلى إعطاء مثالٍ للشّيء المعرّف للإفهام بالمثال،وهو من اللّغة المجازيّة (التّشبيه) القبيحة في التّعريف،ويشير ابن سينا إلى ذلك بمثالٍ قائلاً:« الحيوان هو مثل الفرس والإنسان والطائر»[113]،ثم يردف مفنِّدًا هذا النّوع من التّعريف، بقوله:«أمّا التّمثيل فليس بتعريف حقيقي،بل هو كتعريف،وقد يقع فيه الغلط كثيرًا... ربَّما أوهم أنّ الحيوان لا يكون إلاّ ذا رِجلَين أو أرجُل وأنّ عديم الرِّجل ليس بحيوان» .[114]

فالوهم من عدم الدِّقّة في ضبط طبيعة مكوّنات التّعريف،وفي ترتيبها من جهة اعتبار ما ينبغي في هذا التّعريف،أمّا من جهة ما هو واقع فيه؛فهو في جملة الصّفات المشتركة أو المتفرّقة في المثال تقييدًا أو إطلاقًا،ولذلك عَدَّه ابن سينا مظنّة للوهم والخطأ وليس بالتّعريف المُعْتَـدِّ به.

6.4 -التّعريف المكرّر أو (التّكرار في التّعريف):

يقصد بالتّكرار في التّعريف؛إعادة المعنى بلفظه أو بمفرداته،دون حاجة إلى ذلك ولا ضرورة،وقد أورد ابن سينا لهذا مثالا، بقوله:« ومثال هذا الخطأ قولهم أنّ العدد كثرة مجتمعه من آحاد والمجتمعة من الآحاد هي الكثرة بعينها،ومثل من يقول:إنّ الإنسان حيوان جسماني ناطق والحيوان مأخوذ في حَدِّهِ الجسم،حين يُقال:أنّه جسم ذو نفس حسّاس متحرّك بالإرادة،فيكونون قد كـرَّووا» .[115]

فهذا قد عـدَّهُ ابن سينا من التّعريفات الرّديئة التي لا تقدّم جديدًا في زيادتها اللّغويّة؛إذ أنّ اللّغة مقاسات للمعنى تتساوق معه طرديًّا فكلّما زادت اللّغة في

مفرداتها ضمن التّعريف،ازدادت دقّة وصرامة الضّبط والتّقييد والخصوصيّة،لكن هذا ما نجده غائبًا في هذا النّوع من التّعريف.

7.4 -التّعريف بالخفيِّ المُعَمَّى:

وهو التّعريف الذي يزيد الشّيء المعرَّف غموضًا وإبهامًا،حين يستعمل المعرِّف في التّعريف ألفاظ أخفى وأغمض من الشّيء المراد تعريفه،وقد بيَّنَهُ ابن سينا بقوله:«وربما تخلّطوا ذلك فعرّفُوا الشّيء بما هو أخفى منه؛كقول بعضهم إنّ النّار هي الأسطقس الشّبيه بالنّفس والنّفس أخفى من النّار» .[116]

فالتّمثيل في التّعريف ردئ لاتّساع أوجه المشابهة بين المشبَّه والمشبَّه به،فضلا على استعمال اللّغة المجازيّة الغامضة،ثم إنّ التّمثيل بالمشبَّه به الأخفى من المشبَّه،هو زيادة تعمية وإغماض،فاجتمع في هذا المثال الذي طرحه ابن سينا المحذورين معًا،ولم يؤدّ التّعريف مهمّته في البيان والإيضاح،فانتفت الجدوى منه.

وإنّ هذه المعالجة التطبيقيّة لنظريّة التّعريف المنطقي عند ابن سينا لا نلاحظها عند أرسطوطالس،وأبي نصر الفارابي،وهو ما يوضّح أنّ التّعريف كان موضوعًا أثيرًا ومهمًّا في نظر ابن سينا،مارسه نظريًّا في رؤيته المنطقيّة وعمليًّا في تعريفاته العديدة للأدوية والأمراض،وهو ما يؤكّد الإضافات النّوعيّة التي تُمدُّنا بها الممارسة التطبيقيّة،فتساعدنا على إضافة تحسينات وتغييرات تزيد من مصداقيّة وجودة هذه الآلة (المنطق)،ممّا أفرز أصالة سينوية جليّة في نظريّة التّعريف المنطقي ذات ميزات خاصّة وأبعاد عميقة.

5 - الأصالة السينوية في نظرية التّعريف المنطقي:

تتعدّد زوايا النّظر إلى الأصالة السّينوية في نظريّة التّعريف المنطقي حسب السّياقات الثقافيّة والدّينيّة والحضاريّة التي امتاز بها عصر ابن سينا،والتي مهّدت لرؤية أكثر عمقًا واختلافًا في الآن نفسه،كما ساهمت الاهتمامات المعرفيّة المتنوّعة لابن سينا في بلورة ديناميّة تفاعليّة لهذه النّظريّة في فلسفة ابن سينا عامّة،وفكره المنطقي على وجه الخصوص،وعلى ضوء ما تقدّم يمكننا أن نُعنصِرَ نقاط هذه الأصالة فيما يلي:

1.5 - المنهج:

إنّ المنهج الذي اتّبعه ابن سينا في عمليّة التّعريف يختلف تمامًا عن ذاك المتّبع عند أرسطوطالس،وهذا يعود إلى اختلاف الرّؤية الإبستمولوجيّة بينهما؛إذ أنّ أرسطوطالس كان يرى إدراك الكليّات مقدرة عقليّة إنسانيّة متحصّلة بالبحث وأنّ الوصول إلى ماهيات الأشياء ضرورة معرفيّة لمعرفة حدود المعرّفات التي يكون بها حصول التّصوّرات،والتّصوّر قسيم التّصديق؛اللذين يشكّلان بمقاصدهما المنطق الأرسطي في جملته،أمّا ابن سينا فكان يرى إدراك الكليّات خصيصة إلهيّة تماشيًا مع عقيدته الاسلاميّة من جهة،ومع رأي أستاذه أبي نصر الفارابي، فالعلم الكليّ نور يقذف به الله ما يشاء على من يشاء،وفق حكمته البالغة وقدرته النّافذة وعدله المطلق،وعلى هذا كان الوصول إلى ماهيات الأشياء في نظره غير مستطاع إلاّ بتأييد ربّاني وحكمة إلهيّة،فقد كان يرى عمليّة "التّعريف"من الأمور البعيدة المنال،العصيّة عن الضّبط والإحكام،فهو يقول في بداية رسالة الحدود:« ... علمًا بأنّه كالأمر المتعذّر على البشر سواء كان تحديدًا أو رسمًا ».[117]

وغنيّ عن البيان أنّ اختلاف الرّؤية يتّبعه اختلاف المنهج،الذي يفصح عن تباين في النّتائج والمحصّلات،فقد كان منهج أرسطوطالس في بناء التّعريف منهجًا تحليلاً يُعتمد فيه على الكليّات (الجنس،والنوع،والفصل،والخاصّة، والعرض العام) وعنده أنّ الكليّ سابق عن الجزئيّ،وأن معيار الحقيقة يتأسّس على المعقول المجرّد.[118]

أمّا منهج ابن سينا في التّعريف المنطقي،فهو فيما يخصّ الحدّ التام،فقد وافق فيه أرسطوطالس بوصفه "دالّ على ماهية الشّيء"وأنّه مؤلّف من جنس قريب وفصل نوعي،إلاّ أنّه خالف أرسطوطالس في بناء الأنواع الأخرى من التّعاريف متّخذًا المنهج التّركيبي سبيلا إلى ذلك،فهو يبدأ بالخصائص المحسوسة المميّزة للوصول إلى الماهية،وما كان له ذلك لولا ممارسته لمهنة الطب القائمة على الملاحظة والتّجربة،فكان الجزئيّ عند ابن سينا سابق على الكليّ،فصار بذلك معيار الحقيقة عنده يتأسّس على المحسوس العيني المشاهد،لا على المعقول

المجرّد،ولذلك فقد مهّد لطرائق جديدة في بناء التّعريف تنطلق من الواقع الملموس،وهو ما أكّده في كتابه" منطق المشرقيّين" الذي يُعد حصيلة التأمّل الطويل العميق والمثمر لمنطق اليوناني،والذي أراد أن ينسج فيه "منطقاً مشرقيًّا" على غرار كتابه "الحكمة المشرقيّة".

وفي هذا الصّدد يقول فؤاد الأهواني:«ونجد ابن سينا يعتمد على التّعريف باللّوازم واللّواحق،ذلك التّعريف الذي لا يبلغ جوهر الشّيء وذاته،بل الأسباب الخارجيّة عنه ولا سبيل إلى هذا الضّرب من التّعريف إلاّ بالاستقراء ممّا يختلف عن التّعريف الأرسطي الذي الذي يعتمد القسمة والتّركيب...».[119]

فالاستقراء بات عند ابن سينا مجالاً تطبيقيًّا تُستخلص به التّعريفات المنطقيّة،ممّن لم يكن متاحًا لا عند أرسطوطالس ولا عند أبي نصر الفارابي فخُصَّ هذا النّوع من التّعاريف بـ "التّعريف السِّينوي" الذي امتاز بخاصيّتين هما:«1 - الدقّة في استخدام الألفاظ. 2 - الوجود الفعلي للأشياء فلا يكتفي بالجنس والفصل بل هناك لوازم الشّيء ولواحقه».[120]

2.5 -المصطلح:

تبدأ حركيّة انتاج المصطلح الجديد في نظريّة التّعريف المنطقي عند ابن سينا،من جملة الانتقادات الموجّهة لنظريّة التّعريف الأرسطيّة على وجه الخصوص،حين نتلمس اجرائيّة التّدقيقيّة فيما يسمّى بـ" المباينات" و"المشاركات" في التّفريق بين الكليّات الخمس،وهو ما يتبيّن حينما يصطنع ابن سينا لنفسه مصطلحات سينويّة خالصة،من ذلك؛مصطلحات: الألفاظ الخمس واللّوازم،واللّواحق...إلخ،أو أنّه يَضبط مفاهيم مصطلحات أخرى كمصطلحات: التّصوّر،والماهية،والجوهر،أو أنّه يُوضّحُ فروقاً دقيقةً كانت تُعَدُّ قبله (عند غيره) من قبيل المشترك المصطلحي؛ كمصطلحَي: اللّزوم والتّضمّن الذّاتي وعلاقته بالأوّلي.

كما أنّه تنبّه إلى وظيفة التّعريف المختلفة بين أطوار النّشأة والبدايات وبين طور النّضج،والاكتمال للعلوم والمعارف،فأقرَّ بأنّ:« التّعريف يقتضي

التّخصيص لا غير»[121]،لكون جهازه المصطلحي قد توفّر على منظومة متكاملة،ومتناسقة،ولا يلزم الجديد من مصطلحاتها إلاّ أن يتباين عن غيره لا كما نجده في بدايات العلم وإرهاصاته الأولى التي تتطلّب توضيحًا تأسيسيًّا بيِّنًا لقواعد العلم الجديد.

وممّا يجدر الاهتمام به،ويتّسع المقام لبسطه على وجه المثال لا الحصر في سياق أصالة نظريّة التّعريف المنطقي عند ابن سينا فيما يخصّ إنتاجيّة المصطلح الجديد،المصطلحات السِّينويَّة الخالصة،ونقصد على وجه التّعيين مصطلحَي: اللّوازم واللّواحق.

2.5.أ - مصطلح اللّوازم:

أشار ابن سينا إلى هذا المصطلح في حديثه عن الغاية من التّعريف بالرّسم حين يقول:« الغاية من الرّسم باللّوازم هو تقديم الشّيء أحسن من ماهيته،ليس كما هو في الحقيقة، هو في الواقع معرفة تبيِّن خصائص الشّيء...»[122]، فالأنفع عند ابن سينا في التّعريف بالرّسم هو الخصائص المميّزة للشيء،لا توضيح ماهيته،وقد تطوّر هذا المصطلح من كتاب "الإشارات والتّنبيهات" إلى كتاب" منطق المشرقيّين".

فقد قسّم ابن سينا "اللازم" في كتابه الأوّل إلى:اللازم المُقَوِّم،وهو جنس الشّيء،واللازم غير المقوّم،وهي اللّوازم،والتي وضّحها بقوله:« اللّوازم تلزم الشّيء وليست مقوّمة له»[123]،ففي قولنا: الإنسان حيوان ضاحك،يكون الحيوان؛ اللازم المقوِّم،ويكون الضّاحك؛اللازم غير المقوِّم،لأنّه ليس من الذّاتيّات.

أمّا في الكتاب الثاني فقد أثبت مصطلح؛اللازم غير المقوّم (ضاحك في المثال السّابق) وغيّر مصطلح؛اللازم المقوّم إلى لفظ واحد وهو: المقوِّم[124]،وهو ما يتناسق مع نظريّته في التّعريف المنطقي التي بسطها في كتابه"منطق المشرقيّين".

2.5.ب - مصطلح اللّواحق:

يكاد يتلازم هذا المصطلح مع سابقه في سياقات الحديث عن التّعريف بالرّسم بصفة مطّردة،لكنّه في الوقت نفسه يتقاطع مع مصطلح "العرض العام" بصورة شبه تامّة،ففي سياق توضيحه لمفهوم اللّواحق يقول ابن سينا:« اعلم أنّ كل معنى لا يقوّم الشّيء،وهو قد يوجد له ولغيره،فإنّه قد جرت العادة بأن يسمّى (عرضًا عامًّا) سواء كان لازمًا أو مفارقًا».[125]

غير أنّنا نلمس خصوصيّة وتمايز مصطلح "اللّواحق" عن مصطلح "العرض العام"،في كون اللاحق للشيء لا يكون إلاّ على الجزئيّ وحده دون الكليّ،ولذلك فـ:« اللاحق لا يكون إلاّ في زمان ما ولشخص ما»[126]،وعليه فإنّ سياقات الحديث عن (الواقع المحسوس) الجزئي تستلزم مصطلح "اللّواحق"،أمّا سياقات الحديث عن الكليّ (العقلي المجرّد) فتستلزم مصطلح "العرض العام"وهذا مخصوص بنظريّة التّعريف المنطقي عند ابن سينا فقط،وقد قسّم ابن سينا بدوره مصطلح "اللّواحق"إلى: اللاحق اللازم،واللاحق العارض،ثم اللازم إلى:لازم للشيء كلّه ويكون لغيره؛ كالحركة تكون للإنسان (الشيء) ولغيره وهو الأنثى عن الحيوان،ولازم لبعض الشّيء قد يكون لغيره كالأنثى (الزّوجة) لبعض الإنسان (الشّيء) وقد يكون لغيره وهو الأنثى عند الحيوان كالفرَس مثلا،أمّا اللاحق العارض،فقد قسّمه كذلك إلى: العارض للشيء كلّه وقد يكون لغيره كالحركة والسّكون،والعارض لبعض الشّيء وقد يكون لغيره، كالمشي والجلوس عند الإنسان،وقد يكون لغيره من الحيوان الذي يستطيع المشي والجلوس كالقرد مثلا.[127]

وقد يطول بنا المقام في هذه التّقسيمات التي تبدو قليلة الإفادة،لكنّها في مغزاها العام تشحذ الذّهن للتوغّل والتّدقيق في خصائص الشّيء المراد تعريفه بل تفيد أيضًا فائدة عمليّة خاصّة في ميدان الطب،بما يلزم معرفته من تدرُّجٍ في الاحاطة بخواص النّباتات والأدوية وأعراض الأمراض،ممّا له عظيم الأثر في

تحصيل نوع المرض وكيفيّة علاجه،وهو المجال الأثير عند ابن سينا الذي برع ونبغ فيه حتّى اشتهر به.

3.5 -اللّغة:

تُعَدُّ اللّغة جسم الفكر وروحه،فلا ظهور ولا جلاء له بدونها،ولا يُستطاع معرفة تفكير أيّ إنسان إلاّ من خلال لغته،والذي نرصده على مستوى لغة التّعريف المنطقي عند ابن سينا،أنّها كانت عويصة المنال،فجّة لم تنضج إلا في وقت متأخّر من حياته العلميّة وذلك لأنّنا نجد:« أنّ كُتُبَهُ الأولى أقل وضوحًا من كتبه المتأخّرة» .[128]

ويرجع هذا إلى أنّه:« درس الأدب العربي في ما بين 414هـ، وعمره ناهز الخامسة والأربعين»[129]،وهذا يفسّر لنا تطوّر لغته؛إذ أنّه:«هذّب أسلوبه واتقنه،وتشهد الكتب التي أُلِفَتْ في الفترة الأخيرة من حياته،وخاصّة الاشارات والتّنبيهات على ذلك التطوّر» .[130]

وعليه فإنّ العطاءات المتميّزة لابن سينا في نظريّة التّعريف المنطقيّة لم تثمر إلاّ بعد استواء اللّغة الفلسفيّة،أسلوبًا ومعجمًا ومصطلحًا وبما أنّ اللّغة في تكوينها؛ معجم وقواعد تُحْكِمُ التّركيب،فإنّ معجميّة ابن سينا كان لها أثر واضح على تدقيقاته المصطلحيّة من جهة،وعلى آليّته التّوضيحيّة الشّارحة التي بسط بها مسائل نظريّة التّعريف المنطقي من جهة أخرى.

ومن الدّراسات الجادّة في بحث معجميّة ابن سينا أعمال الباحثة الفرنسيّة غواشون،فقد أصدرت سنة1938م "معجما للّغة الفلسفيّة عند ابن سينا" وبعدها بسنة نشرت بحثًا بعنوان " ألفاظ مقارنة بين أرسطوطاليس وابن سينا" كما نشرت رسالة الحدود لابن سينا بنصّها العربي سنة1933م.

وخلاصة ما وصلت إليه في تميُّزِ وأصالة معجميّة ابن سينا مقارنة بأرسطوطاليس سطّرته بقولها:«وقد سمح غنى النّصوص الفعليّة للّغة العربيّة في عمومها في هذا النّحو، بقيام تحديدات كثيرة للمعجميّة اليونانيّة،ولا شكّ أنّني كوّنت هذه الفكرة بعد أن درست معجميّة أرسطو، ومن المؤكّد أنّ الشّرّاح

والفلاسفة المتأخّرين عنه قد أضافوا زيادات عرفها المترجمون العرب؛أي استعملوها،وعلى هذا، فإنّ من المدهش حقًّا أن نجد عندما ننظّم سلسلة الكلمات الفنيّة [المصطلحات] لأرسطو وابن سينا،أنّ ثلث التّحديدات السّينويّة مفقودة عن أرسطو» .[131]

فالباحثة غواشون ترى أنّ اللّغة العربيّة قد منحت ابن سينا إمكانيّات التّعبيريّة والتّفسيريّة لبسط القول معجمًا ومصطلحًا لتبيان منطق أرسطوطالس أوضح مما كان عليه،مع عدم إغفال ما أضافه الشّرّاح والفلاسفة المتأخّرين،فكان المنطق في عمومه بنسخته العربيّة نتاجًا بديعًا وفريدًا في تميّزه وخصوصيّته، فضلا عن نظريّة التّعريف المنطقي التي أفرد لها ابن سينا مؤلّفا يكاد يكون مخصوصًا لها،إلاّ وهو" منطق المشرقيّين" الذي أبان فيه عن مقدرة فرديّة للعقل العربي الإسلامي النّاقد المتفحّص،في استيعاب الموروث المنطقي والفلسفي اليوناني في نصاعة العبارة ووضوح الإشارة ودقّة التّجريب.

- خاتمة:

من خلال هذا التّحليل لجوانب نراها مهمّة من نظريّة التّعريف المنطقي بين أرسطوطالس وابن سينا،نحاول أن نستخلص بعض النّقاط الأساسيّة الجامعة لمتفرّقات هذا البحث،بما تُشعِّه من أبعاد وآفاق معرفيّة،وهي كالتّالي:

- المثاقفة القائمة على النّديّة لا الانهزاميّة،تثمر معارف حيّة وأصيلة ومتجدّدة لا تتوقّف عند حدود الاستهلاك السّلبي المنبهر بالآخر، كما هو حالنا اليوم.

- الرّؤية العقديّة؛أرضيّة إبستيمولوجيّة صلبة تمكّن الباحث من غربلة علوم الآخر،في عميق دلالاتها وبواطن مكنوناتها،فتكون بذلك من موجّهات التّجديد ومنابعه الأولى.

- بداية كلّ الجديد هي قتل القديم بحثًا،وهو ما عَمِل عليه ابن سينا في نظريّة التّعريف المنطقي نظريًّا وعمليًّا (تجريبيًّا)،فالاستقراء في مجالات عديدة على رأسها الطب،فتح باب الإبداع في نظريّة التّعريف المنطقي السّينويّة.

- المدخل المصطلحي في التّجديد،أساس ضروري ومكين،يؤكّد أصالة وخصوصيّة علوم الأُمَّة المنتجة بين المعارف الإنسانيّة المختلفة.

- للّغة العربيّة بالغ الأثر في الامدادات التّعبيريّة والتّصوّريّة،ممّا مكّن ابن سينا من التّدقيق في عديد التّداخلات والملابسات التي توزّعت بين ثنايا مكوّنات نظريّة التّعريف الأرسطيّة.

- الرّؤية السّينويّة لنظريّة التّعريف الأرسطيّة فتحت آفاق النّقد للمنجَز المنطقي الارسطي،عند علماء ومفكّرين آخرين؛مسلمين وغربيّين، من أبرزهم ابن تيمية.

-المراجع:

أ -المراجع العربيّة:

1 -ابن تيمية تقيّ الدِّين أحمد (1951م)، نقض المنطق؛ تح: محمّد بن عبد الرزّاق حمزة وسليمان بن عبد الرّحمان الصّنيع،ط01، مطبعة السُّنَّة المحمديّة،القاهرة - مصر.

2 -ابن سينا أبو علي الحسين بن عبد الله (1910م)، منطق المشرقيّين والقصيدة المزدوجة في المنطق، د ط، المكتبة السّلفيّة،القاهرة - مصر.
3 -ـــــــــــــ (1952م)، الشفاء "المدخل".
4 -ـــــــــــــ (1956م)، كتاب البرهان؛ تح: أبو العلا عفيفي،د ط، القاهرة - مصر.
5 -ـــــــــــــ (1960م)،الإشارات والتّنبيهات؛ شرح:نصير الدّين الطوسي؛ تح:سليمان دنيا، ج01،ط03، دار المعارف،القاهرة - مصر.
6 -ـــــــــــــ (2006م)، رسالة الحدود والرّسوم، ضمن كتاب المصطلح الفلسفي عند العرب؛ تح: الأعسم، عبد الأمير،د ط، الهيئة المصريّة للكتاب، القاهرة - مصر.
7 -ابن فارس أحمد بن زكريا (1979م)، معجم مقاييس اللّغة؛ تح: عبد السّلام هارون، ج02 ،د ط ، دار الفكر، بيروت - لبنان.
8 -ابن منظور محمّد بن مكرَّم (1999م)، لسان العرب، مج03، مج05، ط03، دار إحياء التّراث العربي، بيروت - لبنان.
9 -أرسطو طاليس (1980م)، منطق أرسطو (التّرجمة العربيّة)؛ تح: بدوي عبد الرّحمان، ج03، ط01، وكالة المطبوعات، الكويت،ودار القلم،بيروت - لبنان.
10 -آل ياسين جعفر (2012م)، الفارابي في حدوده ورسومه،ط01، دار مكتبة البصائر،بيروت، -لبنان.
11 -ـــــــــــــ (2012م)، المنطق السّينوي "عرض ودراسة للنظريّة المنطقيّة عند ابن سينا"، ط01، دار مكتبة البصائر،بيروت - لبنان.
12 -الأهواني أحمد فؤاد (د ت)، ابن سينا، سلسلة نوابغ الفكر العربي،ع22، د ط،دار المعارف، مصر.
13 -بخيت محمّد حسن مهدي (2013م)، المنطق المفاهيم والتّصوّرات،ج01،ط01، عالم الكتب الحديث،إربد - الأردن.
14 -بن يوسف حميدي (2019م)، التّعريف بين التّراث العربي والفكر الغربي "دراسة مقارنة" ،ط01، دار عالم الكتب الحديث،إربد -الأردن.
15 -التّهانوي محمّد علي الفاروقي (1963م)، كشّاف اصطلاحات الفنون؛ تح:لطفي عبد البديع، د ط، المؤسّسة المصريّة العامّة،القاهرة -مصر.
16 -التّوحيدي أبو حيان علي بن محمّد (1992م)، المقابسات؛ تح: حسن السندوبي،ط02، دار سعاد الصباح،الصّفا - الكويت.
17 -حلام الجيلالي (1999م)، تقنيّات التّعريف في المعاجم العربيّة المعاصرة،د ط، منشورات اتّحاد الكتّاب العرب،دمشق - سوريا.
18 -الشّريف الجرجاني على بن محمّد (1998م)، التّعريفات؛ تح: ابراهيم الأبياري،ط04، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

19 -شطوطي محمّد (2007م)، النّظريّة المنطقيّة عند الشّيخ الرّئيس ابن سينا،ط01، دار صقليّة،ودار قرطبة، الجزائر.
20 -شيخ الأرض تيسير (1962م)، ابن سينا،ط01، دار الشّرق الجديد،بيروت - لبنان.
21 -صليبا جميل (1973م)، المعجم الفلسفي،ج02،ط01، دار الكتاب اللّبناني،بيروت - لبنان.
22 -العجم رفيـق (1985م)، المنطق عند الفارابي،ط01، دار المشرق،بيروت - لبنان.
23 -غواشون. أ. م (1950م)، فلسفة ابن سينا وأثرها في أوروبة خلال القرون الوسطى؛ تر: رمضان لاوند،ط01، دار العلم للملايين،بيروت - لبنان.
24 -الفجر محمّد خالد (2007م)، أسس المعجم المصطلحي التّراثي،ط01، دار كنوز المعرفة،عمّان -الأردن.
25 -الفراهيدي الخليل بن أحمد (1981م)، العين؛ تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السّامرّائي، ج03،د ط، دار الرّشيد،العراق.
26 -فضل الله مهدي (1985م)، مدخل إلى علم المنطق،ط03، دار الطّليعة،بيروت - لبنان.
27 -الفيروزآبادي محمّد بن يعقوب (2005م)، القاموس المحيط، ج01،ط08،مؤسّسة الرّسالة، بيروت - لبنان.
28 -الكيلاني محمّد جمال(2019م)،معجم المصطلحات الأرسطيّة مفهومها ودلالتها للألفاظ العربيّة والانجليزيّة واليونانيّة القديمة،د ط، دار الوفاء، الاسكندريّة - مصر.
29 -مفتاح محمّد (2016م)، مجهول البيان،ط01، دار رؤية،القاهرة - مصر.
30 -الميداني عبد الرّحمان حسن حبنّكة (2018م)، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، ط15، دار القلم، دمشق -سوريا.
31 -النشار علي سامي (1984م)، مناهج البحث عند مفكّري الإسلام واكتشاف المنهج العلمي في العالم الإسلامي،ط03، دار النّهضة العربيّة،بيروت - لبنان.
32 - ـــــــــــــ (2000م)، المنطق الصوري منذ أرسطو حتى عصورنا الحاضرة،ط05، دار المعرفة الجامعيّة،القاهرة - مصر.
33 -نصر سيد حسين (1986م)، ثلاث حكماء مسلمين؛ تر: صلاح الصّاوي، مراجعة: ماجد فخري، ط02، دار النّهار،بيروت - لبنان.
34 -و.بودون وف.بوريكو (2008م)، المعجم النّقدي لعلم الاجتماع؛ تر: سليم حداد،ط02، المؤسّسة الجامعيّة للدّراسات والنّشر والتّوزيع،بيروت - لبنان.
35 -وغليسي يوسف (2009م)، إشكاليّة المصطلح في الخطاب النّقدي العربي الجديد،ط01، منشورات الاختلاف، الجزائر.

ب -المراجع الأجنبيّة:

36 - Arisote,Seconds Analytiques, Publication:Livres & Ebooks,p64.

37 - Ibn sina,livre de science (logique, Mètaphysique), tome,1,Traduit par, Mohammd Achena et Henri Masse, Sociètè D'èdition (les belles lettres) Paris,1955,P32.

-الهوامش:

(1) محمّد خالد الفجر (2007م)، أسس المعجم المصطلحي التّراثي،ص153.

(2) محمّد علي التّهانوي (1963م)، كشّاف اصطلاحات الفنون،ص01.

(3) رفيق العجم (1985م)، المنطق عند الفارابي،ص15.

(4) ابن سينا (1960م)،الإشارات والتّنبيهات،ص117.

(5) جميل صليبا (1973م)، المعجم الفلسفي،ج02،ص.ص477 - 478.

(6) علي سامي النشار (2000م)، المنطق الصّوري منذ أرسطو حتى عصورنا الحاضرة،ص05.

(7) الشّريف الجرجاني (1998م)، التّعريفات،ص92.

(8) أبو حيان التّوحيدي (1992م)، المقابسات ،ص375.

(9) يوسف وغليسي (2009م)، إشكاليّة المصطلح في الخطاب النّقدي العربي الجديد،ص45.

(10) ابن فارس (1979م)، معجم مقاييس اللّغة، ج02،ص03. (مادة حدّ).

(11) الخليل بن أحمد الفراهيدي (1981م)، العين،ج03،ص19.

(12) ابن منظور (1999م)، لسان العرب،مج03،ص79.

(13) الفيروزآبادي (2005م)، القاموس المحيط، ج01،ص93.

(14) محمّد جمال الكيلاني (2019م)،معجم المصطلحات الأرسطيّة مفهومها ودلالتها للألفاظ العربيّة والانجليزيّة واليونانيّة القديمة،د ط،ص147.

(15) المرجع نفسه،ص193.

(16) المرجع نفسه،ص143.

(17) جعفر آل ياسين (2012م)، الفارابي في حدوده ورسومه،ص154.

(18) المرجع نفسه،الصفحة نفسها.

(19) ابن سينا (2006م)، رسالة الحدود والرّسوم،ص122.

(20) Ibn sina,livre de science (logique, Mètaphysique), tome,1,Traduit par, Mohammd Achena et Henri Masse,Sociètè D'èdition (les belles lettres) Paris,1955,P32.

نقلا عن: محمّد شطوطي (2007م)، النظريّة المنطقيّة عند الشّيخ الرّئيس ابن سينا،ص128.

(21) ينظر: ابن سينا (1956م)، كتاب البرهان،ص42.

(22) عبد الرّحمان حسن حبنّكة الميداني (2018م)، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة،ص62.

(23) ابن فارس، معجم مقاييس اللّغة، مرجع سبق ذكره،ص393. (مادة :ر س م).

(24) ابن منظور، لسان العرب، مرجع سبق ذكره، مج05،ص213. (مادة :ر س م).

(25) المرجع نفسه،الصفحة نفسها.

(26) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مرجع سبق ذكره،ص1113. (مادة : ر س م).

(27) علي سامي النشار (1984م)، مناهج البحث عند مفكري الإسلام واكتشاف المنهج العلمي في العالم الإسلامي،ص62.

(28) Arisote,Seconds Analytiques, Publication:Livres & Ebooks,p64.
نقلا عن: حميدي بن يوسف (2019م)، التّعريف بين التّراث العربي والفكر الغربي "دراسة مقارنة"،ص45.

(29) المصدر نفسه،الصفحة نفسها.

(30) علي سامي النشار ، مناهج البحث عند مفكري الإسلام واكتشاف المنهج العلمي في العالم الإسلامي، مرجع سبق ذكره،ص62.

(31) المرجع نفسه،ص63.

(32) جعفر آل ياسين، الفارابي في حدوده ورسومه، مرجع سبق ذكره،ص192.

(33) ابن سينا، الإشارات والتّنبيهات، مصدر سبق ذكره،ص255.

(34) ابن سينا، رسالة الحدود والرّسوم، مصدر سبق ذكره،ص122.

(35) المصدر نفسه،الصّفحة نفسها.

(36) ابن سينا، الإشارات والتّنبيهات، مصدر سبق ذكره،ص210.

(37) ينظر: محمّد شطوطي ، النّظريّة المنطقيّة عند الشيخ الرئيس ابن سينا، مرجع سبق ذكره،ص71.

(38) الجيلالي حلام (1999م)، تقنيات التّعريف في المعاجم العربيّة المعاصرة، ص43.

(39) محمّد مفتاح (2016م)، مجهول البيان،ص20.

(40) محمّد حسن مهدي بخيت (2013م)، المنطق المفاهيم والتّصوّرات،ج01،ص197.

(41) ابن سينا، الإشارات والتّنبيهات، مصدر سبق ذكره، ص174.

(42) محمّد جمال الكيلاني ، معجم المصطلحات الأرسطيّة، مرجع سبق ذكره،ص299.

(43) أرسطو طاليس (1980م)، منطق أرسطو، ج03، ص1060.

(44) محمّد جمال الكيلاني ، معجم المصطلحات الأرسطيّة، مرجع سبق ذكره،ص162.

(45) المرجع نفسه،ص.ص 232 - 233.

(46) جعفر آل ياسين، الفارابي في حدوده ورسومه، مرجع سبق ذكره،ص143.

(47) المرجع نفسه،الصفحة نفسها.

(48) ابن سينا، الإشارات والتّنبيهات، مصدر سبق ذكره،ص266.

(49) محمّد شطوطي ، النظريّة المنطقيّة عند الشّيخ الرئيس ابن سينا، مرجع سبق ذكره، ص158.

(50) المرجع نفسه،الصفحة نفسها.

(51) المرجع نفسه،ص155.

(52) محمّد جمال الكيلاني ، معجم المصطلحات الأرسطيّة، مرجع سبق ذكره،ص229.

(53) أرسطو طاليس، منطق أرسطو، مصدر سبق ذكره،ص1061.

(54) جعفر آل ياسين، الفارابي في حدوده ورسومه، مرجع سبق ذكره،ص446.

(55) المرجع نفسه،الصّفحة نفسها.

(56) ينظر: ابن سينا، الإشارات والتّنبيهات، مصدر سبق ذكره،ص159.

(57) المصدر نفسه،الصفحة نفسها.

(58) جعفر آل ياسين (2012م)، المنطق السينوي "عرض ودراسة للنّظريّة المنطقيّة عند ابن سينا"، ص45.

(59) ابن سينا (1952م)، الشفاء "المدخل"،ص.ص58 - 59.

(60) ابن سينا،الإشارات والتّنبيهات، مصدر سبق ذكره،ص193.

(61) محمّد جمال الكيلاني ،معجم المصطلحات الأرسطيّة، مرجع سبق ذكره،ص162.

(62) المرجع نفسه،ص163.

(63) جعفر آل ياسين ، الفارابي في حدوده ورسومه، مرجع سبق ذكره،ص286.

(64) المرجع نفسه،الصفحة نفسها.

(65) المرجع نفسه،ص287.

(66) المرجع نفسه،الصّفحة نفسها.

(67) المرجع نفسه،الصّفحة نفسها.

(68) ابن سينا،الإشارات والتّنبيهات، مصدر سبق ذكره،ص.ص169 - 170.

(69) المصدر نفسه،ص161.

[70] المصدر نفسه،ص167.

[71] محمّد جمال الكيلاني ،معجم المصطلحات الأرسطيّة، مرجع سبق ذكره،ص374.

[72] المرجع نفسه،الصّفحة نفسها.

[73] المرجع نفسه،الصّفحة نفسها.

[74] جعفر آل ياسين ، الفارابي في حدوده ورسومه، مرجع سبق ذكره،ص172.

[75] المرجع نفسه،الصّفحة نفسها.

[76] المرجع نفسه،الصّفحة نفسها.

[77] ابن سينا،الإشارات والتّنبيهات، مصدر سبق ذكره،ص175.

[78] المصدر نفسه،ص171.

[79] المصدر نفسه،الصفحة نفسها.

[80] المصدر نفسه،الصفحة نفسها.

[81] المصدر نفسه،ص172.

[82] أرسطو طاليس، منطق أرسطو، مصدر سبق ذكره،ص1061.

[83] محمّد جمال الكيلاني ،معجم المصطلحات الأرسطيّة، مرجع سبق ذكره،ص15.

[84] جعفر آل ياسين ، الفارابي في حدوده ورسومه، مرجع سبق ذكره،ص253.

[85] المرجع نفسه،الصفحة نفسها.

[86] المرجع نفسه،الصّفحة نفسها.

[87] المرجع نفسه،الصّفحة نفسها.

[88] المرجع نفسه،ص254.

[89] المرجع نفسه،الصّفحة نفسها.

[90] المرجع نفسه،الصّفحة نفسها.

[91] المرجع نفسه،الصّفحة نفسها.

[92] ابن سينا،الإشارات والتّنبيهات، مصدر سبق ذكره،ص.ص171 - 172.

[93] المصدر نفسه،ص175.

[94] المصدر نفسه،ص172.

[95] جعفر آل ياسين ، المنطق السينوي "عرض ودراسة للنّظريّة المنطقيّة عند ابن سينا"، مرجع سبق ذكره،ص51.

[96] مهدي فضل الله (1985م)، مدخل إلى علم المنطق،ص29.

(97) جعفر آل ياسين ، الفارابي في حدوده ورسومه، مرجع سبق ذكره،ص165.

(98) ابن تيمية (1951م)، نقض المنطق،ص187.

(99) ينظر: محمّد حسن مهدي بخيت ، المنطق المفاهيم والتّصوّرات، مرجع سبق ذكره، ص109.

(100) و.بودون وف.بوريكو (2008م)، المعجم النّقدي لعلم الاجتماع،ص529.

(101) ابن سينا،الإشارات والتّنبيهات، مصدر سبق ذكره،ص186.

(102) المصدر نفسه،ص188.

(103) المصدر نفسه،الصّفحة نفسها.

(104) ابن سينا (1910م)، منطق المشرقيّين والقصيدة المزدوجة في المنطق،ص45.

(105) المصدر نفسه،ص42.

(106) المصدر نفسه،ص41.

(107) المصدر نفسه،ص40.

(108) المصدر نفسه،الصّفحة نفسها.

(109) ينظر: المصدر نفسه،ص55.

(110) ابن سينا ، منطق المشرقيّين والقصيدة المزدوجة في المنطق، مصدر سبق ذكره،ص47.

(111) المصدر نفسه،الصفحة نفسها.

(112) المصدر نفسه،الصّفحة نفسها.

(113) المصدر نفسه،ص31.

(114) المصدر نفسه،الصّفحة نفسها.

(115) ابن سينا،الإشارات والتّنبيهات، مصدر سبق ذكره،ص190.

(116) المصدر نفسه،ص188.

(117) ابن سينا، رسالة الحدود، مصدر سبق ذكره،ص231.

(118) ينظر: محمد شطوطي ، النّظريّة المنطقيّة عند الشّيخ الرّئيس ابن سينا، مرجع سبق ذكره،ص.ص125 -127.

(119) ينظر: أحمد فؤاد الأهواني (د ت)، ابن سينا، ص45.

(120) محمّد شطوطي ، النّظريّة المنطقيّة عند الشّيخ الرئيس ابن سينا، مرجع سبق ذكره، ص128.

(121) ابن سينا ، منطق المشرقيّين والقصيدة المزدوجة في المنطق، مصدر سبق ذكره،ص30.

(122) Ibn sina,livre de science (logique, Mètaphysique), tome,1,Traduit par, Mohammd Achena et Henri Masse,Sociètè D'èdition (les belles lettres) Paris,1955,P32.

، نقلا عن: محمّد شطوطي ، النظريّة المنطقيّة عند الشّيخ الرّئيس ابن سينا، مرجع سبق ذكره،ص167.

(123) ابن سينا ، منطق المشرقيّين والقصيدة المزدوجة في المنطق، مصدر سبق ذكره،ص17.

(124) ينظر: محمّد شطوطي ، النّظريّة المنطقيّة عند الشّيخ الرئيس ابن سينا، مرجع سبق ذكره،ص145.

(125) ابن سينا ، منطق المشرقيّين والقصيدة المزدوجة في المنطق، مصدر سبق ذكره،ص17.

(126) محمّد شطوطي ، النظريّة المنطقيّة عند الشّيخ الرئيس ابن سينا، مرجع سبق ذكره،ص146.

(127) للمزيد من التوسّع ينظر: محمّد شطوطي ، النظريّة المنطقيّة عند الشيخ الرئيس ابن سينا، مرجع سبق ذكره،ص.ص147 -151.

(128) تيسير شيخ الأرض (1962م)، ابن سينا،ص179.

(129) ابن سينا، رسالة الحدود، مصدر سبق ذكره،ص65.

(130) حسين نصر سيد (1986م)، ثلاث حكماء مسلمين،ص37.

(131) غواشون. أ. م (1950م)، فلسفة ابن سينا وأثرها في أوروبة خلال القرون الوسطى، ص70.

مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ر ت م د: 7163 -1112 ر ت م د إ :1892-2588
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2

الكفاءة الذاتية و علاقتها بآليات التعامل لدى مرضى السكري

Self-efficacy and its relationship to coping mechanisms in patients with diabetes

حمادي خولة[1] ، مزاور نسيمة[2]

1. مخبر الارشاد النفسي و تطوير أدوات القياس في الوسط المدرسي.
hamadi.khaoula@univ-ghardaia.dz
2 -جامعة غرداية: mezaour.nassima@gmail.com.

تاريخ الاستلام: 2020/05/04 تاريخ القبول: 2021/03/12

الملخص:

هدفت الدراسة إلى محاولة الكشف عن العلاقة بين آليات التعامل و الكفاءة الذاتية لدى مرضى السكري بنوعيه،شملت العينة 54 مريض من الجنسين بمستشفى تريشين ابراهيم بولاية غرداية،وتطبيق مقياس آليات التعامل لفولكمان و لازاروس (Lazarus et Folkman)،مقياس الكفاءة الذاتية العامة لرالف شفارتزر(Ralf Schwarzer).و بالاعتماد على الأساليب الإحصائية المناسبة لطبيعة الاسئلة و فرضيات الدراسة،تم التوصل إلى أن مستوى الكفاءة الذاتية منخفض لدى عينة الدراسة و آليات التعامل المستخدمة من طرف العينة موجهة نحو الانفعال و انه لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين الكفاءة الذاتية و آليات التعامل لدى أفراد العينة.

الكلمات الدالة:

الكفاءة الذاتية،آليات التعامل ،مرضى السكري.

المؤلف المرسل:خولة حمادي hamadi.khaoula@univ-ghardaia.dz

Abstract:

The study aimed to attempt to reveal the relationship between coping mechanisms and self-efficacy in both types of diabetes patients. The sample included 54 patients of both sexes Trishin Ibrahim Hospital in Ghardaia, and the application of the scale of coping mechanisms for Folkman and Lazarus et folkman, the measure of general self-efficacy of Ralf Schwitzer (Ralf Schwarzer).

After adopting the statistical methods appropriate to the nature of the questions and hypotheses of the study, it was concluded that the level of self-efficacy is low among the study sample and the coping mechanisms used by the sample are directed towards emotion and that there is no statistically significant relationship between self-efficacy and coping mechanisms of the individuals of the sample.

Key words:
self-efficacy, coping mechanisms, diabetics.

مقدمة

إن حياة الإنسان لا تخلو من الأحداث و المواقف التي تتجاوز إمكانياته خاصة مع التغيرات السريعة و المتنوعة التي يشهدها العالم في مختلف المجالات من بينها المجال الصحي حيث عرفت السنوات الأخيرة زيادة ملحوظة في نسبة الإصابة بالأمراض المزمنة و على سبيل المثال الإصابة بداء السكري ،و الذي يعتبر من أكثر التحديات الصحية لكونه يغير و بشكل شامل أسلوب الحياة المعتمد من طرف المصاب.

و في هذا السياق فان من بين أساليب الحياة الصحية هو تبني آلية تعامل مثلى للتصدي و التكيف مع داء السكري،حيث تختلف آليات التعامل من شخص لأخر و هذا نظرا لتعددها فمنهم من يتبنى آلية التخطيط لحل المشكل و آخر يمتلك روح المواجهة و ثالث يأخذ مسافة بينما رابع يقوم بإعادة التقييم الايجابي و آخر يهرب من خلال النوم و عدم التفكير أو يقوم بالبحث عن السند الاجتماعي داخل محيطه كما تختلف آليات التعامل تبعا لاختلاف خصائص الشخصية و نوعية الموقف وكذلك تبعا لتنوع مصادر المواقف الضاغطة سواء كانت داخلية أو خارجية.

و عليه يقوم المصاب بتطوير آليات متنوعة للتعامل مع الأحداث المتتالية لتعديل شدة الضيق الناتج عنها معتمدا في ذلك على الكفاءة الذاتية و التي من

شأنها هي الأخرى التأثير على طريقة التعامل مع الداء،فسلوك الإنسان وتصرفاته تقترن بتصوراته للحياة ونظرته إلى الأشياء والأمور التي تحيط به،فعلى ذلك تكون أعماله وردود أفعاله.

1. **اشكالية الدراسة:**

الصحة الجسمية و الصحة النفسية وجهان لعملة واحدة و لا يمكن التنازل عن احدهما و ذلك لوجود علاقة متبادلة تكمن في التأثير و التأثر ،يقول عبد العزيز القوصي "الصحة الجسمية هي التوافق التام بين الوظائف الجسمية المختلفة،مع القدرة على مواجهة الصعوبات العادية المحيطة بالإنسان،و مع الإحساس الايجابي بالنشاط و القوة و الحيوية " (عبدالعزيز، 1952، صفحة 4)

و على اعتبار أن الخلل الوظيفي في الجسم له تأثيرات على مختلف الجوانب فانه من بين الإختلالات ما يسمى بداء السكري حيث يعتبر هذا الأخير من أكثر التحديات الصحية في العالم ،و هذا لما يخلفه من مضاعفات كأمراض القلب و الأوعية الدموية،الاعتلال العصبي السكري ،بتر الأعضاء،الفشل الكلوي و العمى.

و لأن علاج مرض السكري لا يتوقف فقط على أخذ الأدوية بل يتعداه إلى تبني أسلوب حياة يومي،و هذا من خلال استخدام آليات التعامل و الاعتماد على الكفاءة الذاتية للمصاب لتحقيق التكيف،والجدير بالذكر أن أي إنسان عندما يحاول التعامل مع بعض الأحداث الضاغطة بأساليب متنوعة فإن ذلك يعتمد على خصائصه النفسية،وطبيعة الأحداث ذاتها،فمن الأفراد من يستطيع التعامل مع الحدث بمرونة وروية،يتحمل،يتكيف ،ويحسن إدارته،ومنهم من يتعامل معه على نحو متصلب وسلبي،ويدركه كأنه تهديد وخطر،وقد أكدت دراسات الطب للأمراض المزمنة أن إدراك الفرد لإصابته بمرض مزمن يتطلب إجراء موائمات نفسية عميقة،وهنا تعد آليات التعامل أكثر تأثيرا من غيرها. (YONG & all, 1998, p. 30)

و قد عرفها لازاروس و فولكمان من خلال النظرية التفاعلية 1984 بأنها المساعي و الجهود المعرفية و السلوكية الدائمة التبدل للتعامل مع المطالب أو

المقتضيات النوعية الخارجية و الداخلية أو الداخلية و الخارجية معا و التي تستنزف احتياطات الفرد أو تتجاوزها. (رضوان، 2002، صفحة 165)

إذن فمفهوم التعامل مع المرض يصف الطريقة التي يتلائم بها المرضى مع مرضهم والكيفية التي يواجهونها به،وتهدف جهود المواجهة إلى تخفيض الضغط النفسي الناجم عن المرض كما أنها تعكس طرق التعامل مع الأهداف والتحديات.

هذا من جهة و من جهة أخرى فان للكفاءة الذاتية أيضا القدرة على التأثير في طريقة تعاملنا مع الاضطرابات النفسية إضافة إلى تأثيرها على الجانب الحيوي الوظيفي للانفعالات و جهاز المناعة فكلما كان الاعتقاد قوي في الكفاءة استطاع الفرد تجاوز التحديات التي تواجهه كالإصابة بمرض ما ،و عملية استمرار نجاح التعامل تتوقف على مدى التعزيز و التدعيم الذي يتلقاه الفرد،فالكفاءة الذاتية لا تتوقف عند سن معين بل هي في تطور مادام الفرد يقوم بالتجارب لاكتساب مهارات جديدة.

حيث يرى باندورا أن كفاءة الذات هي الحكم على قدرة انجاز نموذج سلوكي محدد ،كما انه طور هذا التعريف باقتراحه مفهوم معتقدات الكفاءة الذاتية (Self efficacy beliefs) و التي تعبر عن ما يعتقده الفرد عن قدراته و إمكانياته و تظهر في جهده و مثابرته على أداء المهام. (Merhan, 2010, p. 137)

و الإحساس بكفاءة الذات يعد محددا مهما لنجاح الفرد أو فشله في مختلف المهام التي يضطلع بها،و في غياب إحساس كهذا،فإن البرامج التأهيلية لن تحقق أي نجاح يذكر،و عليه فالإحساس بالكفاءة الذاتية يعتبر من الأمور الحساسة،خاصة فيما يتعلق بالشفاء و العلاج و التقيد بمرحلة التأهيل،إذ أنه أصبح واضحا أن معتقدات المريض حول المرض ترتبط بدرجة عالية من الثقة بمدى نجاح العلاج. (Bandura, 2003, p. 259)

فالكفاءة الذاتية أو الفاعلية الذاتية هي صفة شخصية يمتلكها الفرد بخصوص اعتقاداته حول قدراته واستعداده لتطبيق المهارات المعرفية والسلوكية والاجتماعية التي لديه من اجل التعامل مع الصعوبات في كافة مجالات الحياة بشكل عام والصحي منها بشكل خاص.

وبناء على ما سبق، تتحدد اسئلة الدراسة كالآتي:

- ✓ ما هي مستويات الكفاءة الذاتية لدى المصابين بداء السكري؟
- ✓ ما هي طبيعة آليات التعامل المستخدمة من طرف المصابين بداء السكري؟
- ✓ هل توجد علاقة بين الكفاءة الذاتية و آليات التعامل التي يعتمد عليها المصابين بداء السكري؟

2. فرضيات الدراسة:

- ✓ هناك ارتفاع في مستوى الكفاءة الذاتية لدى المصابين بالسكري.
- ✓ يستعمل المصابون بالسكري آليات التعامل الموجهة نحو الانفعال.
- ✓ توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين الكفاءة الذاتية و آليات التعامل التي يعتمد عليها المصابين بداء السكري.

3. أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة الحالية في أنها تتناول فئة مرضى السكري و باعتباره مرض مزمن و ملازم لحياة المصاب فان له تأثيرات من شانها أن تعيق مسار حياته و عليه فان الدراسة تساهم في:

- ✓ المساهمة و لو جزئيا في البحث عن العوامل التي تنمي القدرات الذاتية و المهارات السلوكية و كذا تغيير الاعتقادات نحو الموضوع بطريقة ايجابية من خلال تبني انسب آليات التعامل.
- ✓ يمكن الاستفادة من هذا البحث في إعداد برامج إرشادية تساعد مرضى السكري في تبني آليات تعامل أكثر فائدة لمواجهة الضغوط النفسية المتعلقة بمرضهم.
- ✓ فتح المجال لتحسين التصور النظري والعملي للمعالجين بتطوير وسائل التشخيص وتقنياًت التعامل مع الحالات و الوضعياًت المرضيةً لضمان تكفل شامل و فعال.

4. أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة الحالية إلى:

- معرفة مستويات الكفاءة الذاتية لدى المصابين بالسكري.
- معرفة طبيعة آليات التعامل المستخدمة من طرف المصابين بداء السكري .
- معرفة العلاقة بين الكفاءة الذاتية واستراتيجيات المواجهة التي يعتمد عليها المصابين بداء السكري.

5. التعريف الإجرائي:

❖ الكفاءة الذاتية: معتقدات مرضى السكري حول قدراتهم على التكيف مع المرض من خلال تبني آليات التعامل المناسبة لتحسين جودة حياتهم رغم العوائق التي يفرضها المرض،و يعبر عنها من خلال الدرجة التي يتحصل عليها في مقياس الكفاءة الذاتية. (لرالف شوارزر)

❖ آليات التعامل: جميع الآليات و النشاطات النفسية و المعرفية التي يستعملها المصاب للتكيف مع الوضعيات الضاغطة و يعبر عنها من خلال الدرجة التي يتحصل عليها في مقياس آليات التعامل. (للازاروس وفولكمان)

❖ مرضى داء السكري: هم الأفراد الذين تم تشخيصهم،وتصنيفهم على أنهم مصابون بالسكري (النوع الأول و الثاني)،من قبل أطباء معتمدين،وثبتت إصابتهم بهذا المرض إكلينيكيا، ممن تتراوح أعمارهم بين 20 -60 سنة.

6. الدراسات السابقة:

أ -الدراسات السابقة المتعلقة بالكفاءة الذاتية لدى مرضى السكري:

❖ دراسة كاثرين و اخرون 2013 (Kathryn & all):

قامت بمراجعة للتراث النظري حول العوامل المتعلقة بتحسين الإدارة الذاتية لمرضى السكري، وخلصت إلى أن الرفع من الكفاءة الذاتية لمريض السكري عن طريق تعليمه المهارات اللازمة للتكيف سلوكهم للسيطرة على الإدارة الذاتية للمرض يحسن من مستوى إدارة الفرد لمرضه. (KATHRYN & all, 2013, p. 63)

❖ دراسة (Gill 2013) :

يرى بأن إرتفاع مستوى الكفاءة الذاتية لدى مرضى السكري من شأنه أن يؤدي لتحسين سلوك الرعاية الذاتية ويرفع من مستوى مراقبة السكر في الدم فالكفاءة الذاتية لا تتوقف عند سن معين،بل هي في تطور مستمر عند الفرد مادام يقوم بتجارب لاكتساب مهارات جديدة ، فالرفع من معتقدات الكفاءة الذاتية من شأنه أن يحسن من السيطرة على نسبة السكر في الدم و إدارة الرعاية الذاتية ، وقد يكون هذا ما يعلل ارتفاع مستوى الالتزام الصحي لدى العينة. (Gill, 2013, p. 53)

ب - الدراسات السابقة المتعلقة بآليات التعامل لدى مرضى السكري:

❖ دراسة نورمان و زملائه 1982 (Norman):

هدف الدراسة الكشف عن العلاقة بين آليات التعامل والضبط المدرك لدى عينة من 115 بالغا(65 إناث و 50 ذكور)من المصابين بالنوع الثاني من السكري ،و دلت النتائج أن المواجهة الذاتية مؤشر تنبؤي بانخفاض نسبة الاكتئاب،وأن الضبط المدرك متغير معدل بين الاستجابة وكل من القلق ومستوى ارتفاع الأنسولين. (رمضان، 2005، صفحة 18)

❖ دراسة غرافيل و وندل السويد 2012 (Gravels & Wandell) :

بعنوان آليات التعامل عند مرضى السكري من كلا الجنسين المصابين بالنوع الثاني من السكري ،هدفت الدراسة إلى معرفة مهارات التعامل عند مرضى السكري من كلا الجنسين المصابين بالنوع الثاني من السكري ،تكونت عينة الدراسة من 232 مريضا بالسكري تتراوح أعمارهم من 35 -64 سنة،منهم 121 ذكر و 111 أنثى،جرى تطبيق مقياس مهارات المواجهة والاستعانة بالتقارير الطبية الخاصة بأفراد المجموعة بينت نتائج الدراسة ما يلي:كانت آليات التعامل ضعيفة لدى النساء أكثر من الرجال،ولوحظ انتشار الانعزالية والانطوائية والاستسلام لديهن أكثر من الرجال (GRAVELS & Wandell, 2006, p. 26)

أ -الدراسات السابقة المتعلقة ب آليات التعامل و علاقتها بالكفاءة الذاتية:

❖ دراسة سندامونغ (Sindamong 2004) :

هدف الدراسة فحص العلاقة بين الكفاءة الذاتية و سلوك المواجهة الم المخاض أثناء فترة المخاض لدى 89 أم لأول مرة،و محاولة التعرف عن العلاقة بين متغيري السن و المستوى التعليمي والكفاءة الذاتية و سلوك مواجهة الم المخاض،أسفرت النتائج عن العلاقة إحصائية بين السن والمستوى التعليمي ومتغيري الدراسة ،وأوضح 14.9 من التباين لسلوك مواجهة الألم،في حين اعتبرت الكفاءة الذاتية دلالة إحصائية بالتنبؤ بسلوك المواجهة الألم خلال فترة المخاض. (اسمهان، 2014، صفحة 49)

❖ قام نورمان و زملائه 2002 (Norman & all) :

باستكشاف الفروق في آليات التعامل و الكفاءة الذاتية و الضبط المدرك لدى فئتين من المرضى ،فئة تعاني من أمراض مزمنة مكونة من 137 مريض،و فئة مصابة بأمراض حادة مكونة من 134 مريضا،و تدل النتائج على أن المصابين بأمراض حادة مرتفعو الكفاءة الذاتية مقارنة بالمزمنين،و يستعمل المرضى المزمنين استراتيجيات مختلفة في التكيف مع المرض سواء الانفعالية التجنبية،و الأدائية المركزة حل المشكلة ،كما أن هناك ارتباط دال بين الكفاءة الذاتية و استراتيجيات المواجهة. (زعطوط، 2014، صفحة 123)

7. التعليق على الدراسات السابقة :

يتضح من الدراسات السابقة أهمية موضوع استراتيجيات المواجهة و الكفاءة الذاتية حيث تم التطرق إلى كلا المتغيرين منفصلين و متصلين و كذا الربط بينهما لدى عينة المصابين بالسكري وعليه سنحاول أن نبرز أهم النقاط التي استخلصت من هذه الدراسات :

- من حيث الهدف :يلاحظ في الدراسات التي اهتمت بموضوع استراتيجيات المواجهة كانت تهدف إلى معرفة العلاقة التي تربطها بمتغيرات أخرى وكذا التطرق إلى عينة السكري بشكل خاص .و يلاحظ في الدراسات التي اهتمت بموضوع الكفاءة الذاتية كانت تهدف إلى معرفة العلاقة التي تربطها

بمتغيرات أخرى وكذا التطرق إلى عينة السكري بشكل خاص .أما بالنسبة للدراسات التي اهتمت بموضوع الكفاءة الذاتية و استراتيجيات المواجهة فيلاحظ أنها كانت تهدف إلى معرفة العلاقة بينهما .والدراسة الحالية تهدف للكشف عن طبيعة الاستراتيجيات و مستوى الكفاءة الذاتية لدى مرضى السكري .

- من حيث العينة :اختلفت العينات في الدراسات السابقة من دراسة إلى أخرى سواء من حيث العدد، الجنس، السن، نوع المرض ودرجته، وقد تراوح عدد العينة في الدراسات من 32 كحد ادني إلى 580 كحد أقصى .و في الدراسة الحالية استخدمنا عينة قوامها 54 مصاب بداء السكري بنوعيه .

- من حيث المنهج و الأدوات :استخدمت معظم الدراسات المنهج الوصفي و تعددت المقاييس المستخدمة في الدراسات وهذا طبقا لهدف الدراسة و عدد العينة فبالنسبة لاستراتيجيات المواجهة معظم الدراسات استخدمت مقياس استراتيجيات المواجهة ولكن بنسخ تخدم الدراسة،أما بالنسبة لمقياس الكفاءة الذاتية فاستخدم هو الأخر بنسخ تخدم الدراسة و الدراسة الحالية استخدمنا مقياس:آليات التعامل لفولكمان و لازاروس (Lazarus et Folkman)،مقياس الكفاءة الذاتية العامة لرالف شفارتزر(Ralf Schwarzer)و هذا لمعرفة طبيعة استراتيجيات المواجهة و مستوى الكفاءة الذاتية لدى المصابين بداء السكري.

الجانب التطبيقي:

1. **منهج الدراسة:**تم استخدام المنهج الوصفي الارتباطي،وذاك باعتبار أن طبيعة موضوع الدراسة هي التي تحدد المنهج الملائم.

2. **عينة الدراسة:** تكونت عينة الدراسة الأساسية من 52 مصاب ومصابة بمرض السكري،يتراوح سن أفراد العينة بين 23 سنة إلى 60 سنة،ما يشير إلى أن الأفراد بلغوا سن الرشد الذي يتميز بمستوى نضج عقلي معين يسمح للفرد باتخاذ القرار وتحمل مسؤولية الاختيار.

وتجدر الإشارة إلى أن الدراسة لم تقتصر على المرضى المصابين بنوع محدد من السكري،بل شملت النوع الأول والنوع الثاني.و قد اعتمدنا على الطريقة العمدية المقصودة في اختيار المفحوصين.

عينة الدراسة الاستطلاعية:

تمت بالمستشفى تريشين إبراهيم بولاية غرداية، إذ تم الإطلاع على الحالات الموجودة في المصلحة في تلك الفترة،حيث تعرفنا على المرضى،و عرفناهم على دورنا،و الهدف من العمل معهم،ومن ثم تم اختيار الحالات.حيث تم اختيار 26 فرد من الجنسين،تراوح المدى العمري بين 23 و 55 سنة حيث هدفت الدراسة الاستطلاعية إلى تحقيق ما يلي:

- ✓ التعرف على صعوبات الميدان،و الاستعداد للقيام بالدراسة الأساسية من خلال الاحتكاك المباشر مع عينة الدراسة .
- ✓ التأكد من وضوح التعليمات الخاصة بأدوات الدراسة و دقتها.
- ✓ تطبيق مقياس الكفاءة الذاتية.
- ✓ حساب الكفاءة القياسية لأدوات القياس.

3. أدوات الدراسة:

مقياس الكفاءة الذاتية العامة لرالف شفارتزر (Ralf Schwarzer).

مقياس استراتيجيات المواجهة لفولكمان و لازاروس (Lazarus et folkman).

4. الخصائص السيكومترية لأدوات الدراسة:

1.4. مقياس الكفاءة الذاتية

1.1.4 الصدق:صدق الاتساق الداخلي بين درجات البنود والدرجة الكلية لمقياس.

الجدول (01):يبين نتائج صدق الاتساق الداخلي لمقياس الكفاءة الذاتية.

الرقم	البند	معامل الارتباط	مستوى الدلالة
1	عندما يقف شخص ما في طريقي	0.673**	0.01
2	إذا ما بذلت من الجهد كفاية	0.783**	0.01
3	من السهل عليا تحقيق أهدافي	0.692**	0.01
4	اعرف كيف أتصرف مع المواقف	0.756**	0.01
5	اعتقد باني قادر على التعامل	0.816**	0.01
6	أتعامل مع الصعوبات بهدوء	0.774**	0.01
7	مهما يحدث فاني استطيع التعامل	0.654**	0.01
8	أجد حلا لكل مشكلة	0.732**	0.01
9	إذا ما واجهني أمر	0.783**	0.01
10	امتلك أفكارا متنوعة	0.701**	0.01

يتضح من خلال الجدول أن جميع معاملات الارتباط لفقرات مقياس الكفاءة الذاتية كانت دالة إحصائيا عند مستوى 0.01،إذ تراوحت ما بين 0.65و 0.81 مما يدل على أن المقياس يتسم بصدق مقبول.

2.1.4 الثبات:ألفا كرومباخ.

الجدول (02):يبين نتائج الثبات(ألفا كرومباخ) لمقياس الكفاءة الذاتية.

عدد البنود	معامل ألفا كرومباخ
10	0.854

نلاحظ من خلال الجدول رقم (08) أن معامل الثبات ألفا كرونباخ للكفاءة الذاتية بلغ 0.854 وهي قيمة دالة تعكس ثبات المقياس.

2.4. مقياس آليات التعامل:

1.2.4 الصدق:صدق الاتساق الداخلي بين درجات الأبعاد والدرجة الكلية لمقياس.

الجدول (03):يبين نتائج صدق الاتساق الداخلي لمقياس آليات التعامل.

الرقم	البعد	معامل الارتباط	مستوى الدلالة
1	التخطيط	0.585**	0.01
2	روح المواجهة	0.460**	0.01
3	اخذ المسافة	0.524**	0.01
4	إعادة التقييم	0.727**	0.01
5	التحكم في الذات	0.325**	0.01
6	الهروب	0.296**	0.01
7	تأنيب الذات	0.337**	0.01
8	البحث عن السند	0.367**	0.01

من خلال الجدول يتضح لنا بان معاملات الارتباط بين كل بعد و الدرجة الكلية للمقياس دالة عند 0.01 حيث تراوحت بين 0.296 و 0.585. نستنج ان الاستبيان يتميز بصدق مرتفع يمكن الوثوق به.

2.2.4 الثبات : ألفا كرومباخ.

الجدول (04): يبين نتائج الثبات(الفا كرومباخ) لمقياس آليات التعامل.

عدد البنود	معامل ألفا كرومباخ
67	0.792

نلاحظ من خلال الجدول أن معامل الثبات ألفا كرونباخ لآليات التعامل بلغ 0.792 كما أظهرت النتائج،وهي قيمة دالة على ثبات المقياس.

5. الأساليب الإحصائية المستعملة في الدراسة:

لقد تم معالجة النتائج الإحصائية للدراسة باستعمال الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية الإصدار SPSS19 لحساب العلاقات و قد استخدمت الاختبارات التالية لما يتناسب مع فرضيات البحث:

- **التكرار والنسبة المئوية** :من اجل تقسيم عينة الدراسة بحسب المعلومات الشخصية ،وكذا حساب فرضية مستوى الكفاءة الذاتية.
- **المتوسط الحسابي والانحراف المعياري**:من اجل تحليل نتائج عينة الدراسة على مقياس آليات التعامل ومقياس الكفاءة الذاتية.
- **معامل الارتباط بيرسون**:لحساب صدق الاتساق الداخلي ولحساب فرضية العلاقة .
- **معامل ألفا كرونباخ** :لقياس الثبات.

6. عرض و تحليل و مناقشة النتائج:

❖ <u>عرض و تحليل و مناقشة نتائج الفرضية الأولى</u> :هناك انخفاض في مستوى الكفاءة الذاتية لدى المصابين بالسكري.

و للتحقق من الفرضية قمنا بحساب درجة القطع ومتوسط درجات عينة الدراسة على مقياس الكفاءة الذاتية وهذا بعد استرجاع الاستبيانات من الميدان والمتمثلة في:

- حساب درجة القطع:يقوم الباحث بأخذ نسبة 75 % من نتائج عينة الدراسة للحكم على الدرجات المرتفعة لدى عينة الدراسة كما يلي:
- عدد البنود × درجة البديل الأكبر = $10 \times 4 = 40$
- ضرب الحاصل في 0,75 (75 %) = $40 \times 0,75 = 30$

إذن المرضى الذين تحصلوا على درجات أكبر من 30 يتمتعون بكفاءة ذاتية مرتفعة و المرضى الذين تحصلوا على أقل من 30 فهم يعانون من كفاءة ذاتية منخفضة وهذا ما يوضحه الجدول:

الجدول (05):يبين نتائج المتوسط الحسابي و الانحراف المعياري لمقياس الكفاءة الذاتية.

العينة	التكرار	النسبة المئوية	درجة القطع	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
كفاءة مرتفعة	11	% 20.73	30	16.12	4.81
كفاءة منخفضة	43	% 79.62			
المجموع	54	100%			

التعليق على الجدول (05):من خلال النتائج الملاحظة يتبين لنا أن مستوى الكفاءة الذاتية لدى عينة الدراسة منخفضة إذ بلغ عددهم 43 مصاب بنسبة 79.62%،في حين أن نسبة قليلة من العينة تمتعت بكفاءة ذاتية مرتفعة و قد بلغ عددهم 11 مصاب بنسبة 20.73%.

و للتأكد من صحة النتائج فقد تم حساب المتوسط الحسابي و الانحراف المعياري لمستويات الكفاءة الذاتية حيث نجد المتوسط الحسابي بلغ 16.12 والانحراف المعياري بلغ 4.81,و منه نصل إلى أن الفرضية تحققت.

<u>جاءت نتائج الدراسة تختلف مع الدراسات:</u>

دراسة نورمان (Norman,1982)، دراسة اليستر و اخرون Alastair & al, (1991)،دراسة نيكول كيدي (Nicole Keedy,2009) .

يمكن تفسير هذه النتيجة إلى طبيعة المرض و متطلباته،فمرض السكري يعد من الأمراض الخطيرة القابلة للتطور، حيث يعتبر المريض هذا الداء مصدر تهديد لكيانه و بالتالي عدم القدرة على التعامل معه بسبب تعقيدات الداء التي من شانها أن تخفض من درجات الكفاءة الذاتية للمصاب.

و بما أن الهدف من الدراسة هو محاولة معرفة مستويات الكفاءة الذاتية لدى المصابين بالسكري فانه حسب النتائج قد تبين مستواها و بالاستناد إلى التوجه النظري للكفاءة الذاتية "لبنادورا"فان المستوى منخفض عند المصابين

حيث تعتبر العقبات الصحية التي يواجهونها تعزى إلى نقص في قدراتهم و ضعف جهودهم في المواقف الصعبة.

❖ عرض و تحليل و مناقشة نتائج الفرضية الثانية :نتوقع أن آليات التعامل الأكثر ظهورا عند عينة الدراسة موجهة نحو الانفعال.

و للتحقق من الفرضية فقد تم حساب المتوسط الحسابي و الانحراف المعياري للأبعاد.

الجدول (06): يبين نتائج المتوسط الحسابي و الانحراف المعياري لمقياس آليات التعامل.

آليات التعامل	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الرتبة
التخطيط	11,20	4,393	3
روح المواجهة	9,78	2,400	5
اخذ المسافة	7,74	2,103	6
إعادة التقييم	7,59	2,499	7
التحكم في الذات	12,30	3,775	2
الهروب	11,06	4,553	4
تأنيب الذات	7,24	2,495	8
البحث عن السند	14,43	3,668	1

التعليق على الجدول(06):من خلال النتائج الموضحة نجد أن اكبر متوسط حسابي ذو المرتبة الأولى هو لبعد البحث عن السند حيث بلغ 14.43 و بانحراف معياري بلغ 3.66،يليه في المرتبة الثانية بعد التحكم في الذات حيث بلغ المتوسط الحسابي 12.30 و بانحراف معياري بلغ 3.77،يليه في المرتبة الثالثة بعد التخطيط حيث بلغ المتوسط الحسابي 11.20 و بانحراف معياري بلغ 4.39،يليه في المرتبة الرابعة بعد الهروب حيث بلغ المتوسط الحسابي 11.06،و بانحراف معياري بلغ 4.55،يليه في المرتبة الخامسة بعد روح المواجهة حيث بلغ المتوسط الحسابي 9.78 و بانحراف معياري بلغ 2.40،يليه في المرتبة

السادسة بعد اخذ المسافة حيث بلغ المتوسط الحسابي 7.74 و بانحراف معياري بلغ 2.10،يليه في المرتبة السابعة بعد إعادة التقييم حيث بلغ المتوسط الحسابي 7.59،و بانحراف معياري بلغ 2.49 و في المرتبة الأخيرة بعد تأنيب الذات حيث بلغ المتوسط الحسابي 7.24 و بانحراف معياري بلغ 2.49.

و بما أن السلميين التحتيين الأولين يشيران إلى الآليات المركزة حول المشكل و الآليات الباقية تشير إلى آليات مركزة حول الانفعال فان بعد البحث عن السند يندرج ضمن الآليات المركزة حول الانفعال،و عليه نستنتج أن الفرضية محققة.

جاءت نتائج الدراسة تتفق مع العديد من الدراسات :

دراسة بيرلان و شولر Pearlin & Schooler,1978 اللذان توصلا إلى كون المواجهة الانفعالية تكون متبناة أكثر في حالة ما إذا كان الحدث غير متحكم به كالمرض المزمن "السكري" للتقليل من ضغطه. (Schweitzer, 2001, p. 68)

و في دراسة لفولكمان و لازاروس 1984 بينت النتائج أن الذين لديهم مشكلات صحية من الجنسين استخدموا آلية التعامل المركزة على الانفعال. (Lazarus & Folkman , 1984, p. 99)

و في السياق نفسه اكد كل من اندلر و باركر و الدوين (1994) أن المواجهة المركزة على المشكل أكثر فعالية في المواقف المتحكم بها في حين المواجهة المركزة على الانفعال هي اكثر فعالية في حالة المواقف الغير متحكم بها كالمرض المزمن. (Shankland, 2009, p. 94)

يمكن تفسير النتيجة من خلال تقييم الفرد للوضعية المعاشة ،فعملية التقييم هي الأساس في تبني الفرد لآلية على حساب آلية أخرى فهي تتأثر بالعوامل البيئية كطبيعة التهديد و القابلية للتحكم في الموقف.

و بما أن الهدف من الدراسة الحالية هو محاولة معرفة طبيعة آليات التعامل المستخدمة من طرف المصابين بداء السكري فانه حسب النتائج قد تبين طبيعتها و بالاستناد إلى الدراسات السابقة والتي تؤكد على أن صعوبة المعاش النفسي للمريض تساهم في لجوئه إلى تقييم حالته الصحية بتبنيه آلية انفعالية

لتنظيم ردود أفعاله و من اجل الشعور بالتحسن دون حاجته للبحث عن حل جذري للمشكلة و هنا نتحدث عن المرض و تعقيداته فالمريض يلجا إلى المواجهة الانفعالية لتخفيف الحالة النفسية الصعبة من خلال استخدام آليات التعامل المركزة على الانفعال في المواقف الغير متحكم بها.

❖ عرض و تحليل و مناقشة نتائج الفرضية الثالثة:توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين الكفاءة الذاتية و آليات التعامل التي يعتمد عليها المصابين بداء السكري.

لحساب نتائج هذه الفرضية قمنا بحساب معامل الارتباط بيرسون بين الدرجة الكلية لآليات التعامل والدرجة الكلية للكفاءة الذاتية وبين الدرجة الكلية للكفاءة الذاتية ودرجات آليات التعامل كل على حدى.

الجدول (07): يبين معامل الارتباط بين آليات التعامل والكفاءة الذاتية.

العلاقة	معامل بيرسون	مستوى الدلالة
استراتيجيات المواجهة/ الكفاءة الذاتية	0.006	0.964

التعليق على الجدول(07):من خلال النتائج الموضحة نجد أن معامل الارتباط بين آليات التعامل والكفاءة الذاتية هو 0.006 و هي قيمة غير دالة عند 0.96 و بالتالي فالفرضية غير محققة.

الجدول (08): يبين معامل الارتباط بين الكفاءة الذاتية و آليات التعامل كل على حدى.

	آليات التعامل	معامل الارتباط	مستوى الدلالة
الكفاءة الذاتية	التخطيط	0.035	0.80
	روح المواجهة	-0.129	0.35
	أخذ المسافة	0.064	0.64
	إعادة التقييم	0.064	0.64
	التحكم ف الذات	-0.005	0.96
	الهروب	0.023	0.86
	تأنيب الذات	0.013	0.92
	البحث عن السند	-0.090	0.51

التعليق على الجدول (08):من خلال النتائج الموضحة نجد أن معامل الارتباط بين الكفاءة الذاتية و آلية التخطيط بلغ 0.03 و هي قيمة غير دالة عند 0.8 ،أما معامل الارتباط بين الكفاءة الذاتية و آلية روح المواجهة بلغ 0.12 - و هي قيمة غير دالة عند 0.3 ,و بالنسبة لمعامل الارتباط بين الكفاءة الذاتية و آلية اخذ المسافة بلغ 0.06 و هي قيمة غير دالة عند 0.6 و معامل الارتباط بين الكفاءة الذاتية و آلية إعادة التقييم بلغ 0.06 و هي قيمة غير دالة عند 0.6،معامل الارتباط بين الكفاءة الذاتية و آلية التحكم في الذات بلغ 0.005 - و هي قيمة غير دالة عند 0.9، كما أن معامل الارتباط بين الكفاءة الذاتية و آلية الهروب بلغ 0.02 و هي قيمة غير دالة عند 0.86، معامل الارتباط بين الكفاءة الذاتية و آلية تأنيب الذات بلغ 0.01 و هي قيمة غير دالة عند 0.9،معامل الارتباط بين الكفاءة الذاتية و آلية البحث عن السند بلغ 0.09 - و هي قيمة غير دالة عند 0.5. و عليه نستنج أن الفرضية غير محققة وان نتائج الدراسة هذه تختلف مع العديد من الدراسات اهمها دراسة دراسة نورمان

Norman 2002 ،دراسة سندامونغ Sindamong 2004 و دراسة شانتال Chantal,2009.

يمكن تفسير هذه النتيجة بالرجوع إلى طبيعة العينة فجميع الدراسات اختلفت عينتها منها من اهتم بالطلبة ومنها من ركز على المصابين بالأمراض الحادة و كذا على النساء الحوامل و النساء اللواتي كن ضحايا للعنف ألزواجي ،إلا أن عينة السكري تتمتع بخصائص تجعلها تفصل بين الكفاءة الذاتية للمصاب و الإستراتيجية التي يتبناها و هذا حسب نمط السكري و كذا مدة الإصابة به.

و بما أن الهدف من الدراسة هو محاولة معرفة ما إذا كانت توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين الكفاءة الذاتية واستراتيجيات المواجهة التي يعتمد عليها المصابين بداء السكري فانه حسب النتائج قد تبين عدم وجودها و هذا راجع حسب رأي الباحثة لطبيعة نمط الداء و مدته و كذا لطبيعة خصائص العينة.

الاستنتاج العام:

تهدف الدراسة الحالية الى التعرف على مستوى الكفاءة الذاتية لديهم و كذا معرفة طبيعة آليات التعامل التي يلجؤون إليها.

كما هدفت الدراسة إلى معرفة ما إذا كانت هناك علاقة ذات دلالة إحصائية بين الكفاءة الذاتية و آليات التعامل لدى أفراد عينة الدراسة.

وتم الاعتماد على المنهج الوصفي في الدراسة لملائمته موضوع الدراسة،و اختيار(54)مصاب بداء السكري بطريقة قصدية،حيث تم تطبيق مقياس آليات التعامل لفولكمان و لازاروس (Lazarus et folkman) ،و مقياس الكفاءة الذاتية العامة لرالف شفارتزر (Ralf Schwarzer)،ثم تم إجراء بعض التحليلات الإحصائية.

ولقد خلصت الدراسة إلى ان:

- مستوى الكفاءة الذاتية منخفض لدى عينة الدراسة.
- آليات التعامل المستخدمة من طرف عينة الدراسة موجهة نحو الانفعال.
- لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين الكفاءة الذاتية و آليات التعامل.

المراجع

أولا: المراجع العربية:

القوصي عبدالعزيز. (1952). أسس الصحة النفسية،ط4. مصر: مكتبة النهضة.

رمضان زعطوط. (2014). نوعية الحياة لدى المرضى المزمنين و علاقتها ببعض المتغيرات. جامعة ورقلة: اطروحة دكتوراه.

زعطوط رمضان. (2005). علاقة الاتجاه نحو السلوك الصحي ببعض المتغيرات النفسية و الاجتماعية لدى المرضى المزمنين. جامعة ورقلة: رسالة ماجستير.

سامر جميل رضوان. (2002). الصحة النفسية،ط1. الأردن: دار المسيرة للنشر و التوزيع.

عزوز اسمهان. (2014). مصدر الضبط الصحي و علاقته باستراتيجيات المواجهة لدى مرضى القصور الكلوي المزمن. باتنة: رسالة ماجستير.

ثانيا:المراجع الأجنبية.

KATHRYN & all. (2013). Increased Risk of Cognitive Impairment, in Patients With Diabetes Is Associated With Metformin. DIABETES CARE, VOL 36.

Bandura, A. (2003). auto efficacité le sentiment d'efficacité personnelle, traduit par lecomte jaque, 1er édition. France: Boeck.

Gill, W. P. (2013). Self-efficacy : A tool for people with, diabetes managed by continuous, subcutaneous insulin infusion. Journal of Diabetes Nursing Volume 17 N 1.

GRAVELS & Wandell. (2006). Coping strategies in men and women with type II diabetes in Swedish primary care. sweden: Diabetes Research and clinical practice, 71(3).

Lazarus & Folkman . (1984). stress , appraisal ,and coping. New York: Springer.

Merhan, F. (2010). psychologie positive et personnalité, activations des ressources,. Paris, France.: Masson Elsevier.

Schweitzer, M. B. (2001). personnalité et maladies, stress, coping et ajustement. paris: Dunod.

Shankland, R. (2009). Pédagogies nouvelles et compétences psychosociales del'apprentissage a l'école a l'entrée dans l'enseignement superieur. Paris, France: Harmattan.

YONG & all. (1998). Against all odds positive life experiences of people with advanced lateral sclerosis. Health social Work.

مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ر ت م د: 7163 -1112 ر ت م د إ :1892-2588
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2

اللعب وتأثيره على السمات الابتكارية لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية بولاية تلمسان.

Playing and its affects on the innovative traits of primary school pupils In tlemcen.

مسعد محمد[1]، عمومن رمضان[2]

1 - جامعة عمار ثليجي الأغواط، مخبر الصحة النفسية.
mohammed_messaad@yahoo.fr

2-جامعة عمار ثليجي الأغواط، مخبر الصحة النفسية.
r.amoumen@lagh-univ.dz

تاريخ الاستلام: 2020/05/07 تاريخ القبول: 2021/09/26

ملخص الدراسة:

تهدف الدراسة إلى معرفة تأثير مضامين الألعاب التربوية في تنمية السمات الابتكارية لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية، حيث أجريت الدراسة على عينة متكونة من (15) تلميذ وتلميذة بابتدائية عدل الجديدة بولاية تلمسان، والكشف عن طبيعة التأثير ونوع ومحتوى اللعبة والسمة الابتكارية المستهدفة المتمثلة في الطلاقة والمرونة والأصالة والحساسية للمشكلات لدى التلاميذ، وبتطبيق المنهج التجريبي ذو المجموعة الواحدة، وباستخدام برنامج تدريبي للألعاب التربوية ومقياس السمات الابتكارية، لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية. حيث توصلت الدراسة إلى ما يلي: ميل التلاميذ إلى حب الاستكشاف وزيادة الدافعية للتعلم وزيادة الثقة بالنفس، والتكيف مع الوضعيات الجديدة، والقدرة

المؤلف المرسل: مسعد محمد: mohammed_messaad@yahoo.fr

على حل المشكلات واكتشاف طرق بديلة. تتمثل في المرونة وعدم الاضطراب أمام المشكلات وكسر الروتين، والخروج عن المألوف عن طريق التخلص من الضغوطات، وإيجاد فضاء للتعبير عن النفس، واستثارة الوظائف التنفيذية للدماغ.

الكلمات الدالة:

مضامين اللعب - اللعب التربوي - السمات الابتكارية - تلاميذ المرحلة الابتدائية.

Abstract:

Study Aims To Know The Effect Of The Educational Games Contents On Developing The Innovative Traits Of Primary Pupils, The Fore A Study Was Conducted On A Sample Consisting Of (15) Pupils, In The New Primary School In Tlemcen AADL. And To Highlight The Nature Of The Impact Type And Content Of The Game And The Target Innovative Traits Which Is In Originality And Sensivity To Pupils' Problems By Applying The One Group Experimental Approach And Using A Training Program For Educational Games, And A Scale Of Innovative Traits For Primary School Pupils. As The Study Found The Following: The Pupils' Tendency To Love Exploration, Increase Motivation To Learn, Increase Self-Confidence, Adapt To New Situations, And The Ability To Solve Problems And Discover Alternative Methods. It Is Represented In Flexibility, And Not Being Disturbed In Front Of Problems And Breaking The Routine, Departing From The Ordinary By Eliminating Pressures, Creating A Space For Self-Expression, And Stimulating The Executive Functions Of The Brain.

Key Words:

Playing Contents-Educational Playing-Innovative Traits-Primary School Pupils.

1 - مقدمة:

تعد دراسة السمات الابتكارية أساسية في الوسط التربوي، وعلى الرغم من تعدد النظريات والاتجاهات التي حاولت تفسير الابتكار على أسس علمية وعملية ،حيث تبقى السمات الابتكارية قدرة عقلية متميزة في السلوك الذي يحدد شخصية التلميذ ويعتبر اللعب احد البرامج والاستراتيجيات التي يستخدمها واضعي البرامج والمناهج التربوية لإنماء شخصية التلميذ من مختلف جوانبها ،ولاسيما في المرحلة الابتدائية حيث يؤدي إلى استغلال النمو المعرفي لما يتميز به التلميذ من إمكانيات كالقدرة على الابتكار ،الخيال والتفكير وتذهب في هذا الاتجاه نظريات النمو المعرفي على أن اللعب في مرحلة الطفولة عموما هو السبيل الأول والأنجع للولوج إلى عالم الطفل الخاص والتأثير عليه نظرا للمرونة التي يتسم بها في هذه المرحلة ، فاللعب يستثير حواس الطفل ومجاله النفسي ويعمل على نمو شخصيته من كل الجوانب الجسمية والمعرفية والنفسية الوجدانية والاجتماعية والحركية كما يكتسب عن طريقه المفاهيم العلمية والرياضية وقدراته الابتكارية(جابر،2003،ص:65)،ويعمل على تنمية السمات الابتكارية من خلال الأنشطة اللاصفية التي يقوم بها من العاب فنية وتمثيلية وخيالية وحركية معبرا عن عالمه الداخلي وميولاته الابتكارية(رحمة محمد احمد،2010،ص:26).فالتلميذ أثناء قيامه باللعب تظهر لديه السمات الابتكارية والخيال والمرونة والطلاقة وحساسيته للمشكلات (krasnr et pepler,1980) .

وتماشيا مع الحركة السريعة للمجتمع والتقدم التكنولوجي، فإن توجيه الاهتمام إلى دراسة ظاهرة الابتكار لدى التلاميذ ضرورة تمليها التغيرات الاجتماعية والتكنولوجية. وقد ذكر "جيلفورد Guilford" أن الدراسات في مجال الإبتكار من شأنها المساعدة في التعرف على المبتكرين، الذين ينبغي إحاطتهم بالرعاية والتشجيع وخاصة في المراحل المبكرة من حياتهم (جيلفورد، 1950، ص:444).

وتعتبر السمات الابتكارية من أهم الأهداف التربوية التي تسعى المجتمعات إلى تحقيقها وتوفير كل الوسائل والتجهيزات والإمكانات اللازمة لرعايتها، ومن

بينها توفير المدارس الابتدائية تكون مجهزة بكل الوسائل اللازمة لإبراز ابتكارات التلاميذ. ويذكر تورانس Torrance (1965) بأن قدرات التفكير الإبتكاري تتزايد من سن ثلاث سنوات إلى خمس سنوات كما أكد أيضا على أن الإبتكار ينمو أسرع من الذكاء خلال فترة الطفولة المبكرة، وذلك لأن الأطفال تنقصهم الذخيرة اللغوية الكافية، فيجدون أنفسهم مضطرين إلى أن يتعلموا بواسطة التخمين والاستكشاف والتجريب (تورانس، 1964، ص:72). وتذكر أمال صادق (1991) أن الإبداع هو أكثر القدرات الإنسانية حاجة إلى بيئة مدعمة، وأن مثل هذه البيئة لا بد وأن تسعى للتخلص من العوامل التي تعيق الإبداع الإنساني، وتعمل على تهيئة الفرص لتنشيط العوامل الميسرة للإبداع (عويس ،1980، ص:45) ودراسة "نرجس زكري وشهرزاد نور" في نشاط اللعب وعلاقته بتنمية التفكير الابتكاري لدي طفل الروضة أن اللعب له دور ايجابي في تنمية التفكير الابتكارية وتأثيره على شخصية التلميذ. ويرى دي بونو ,De Bono) (1990بان الابتكار عملية يمكن تعلمها والتدرب عليها وأنها ليست موهبة موروثة، ويمكن أن ينمّى كما تنمّى أية مهارة من مهارات التفكير، بالمقابل يعرف (Stermberg,2003)الابتكار بأنه عملية تنطوي على شيء جديد يتميز بالجدة والفائدة.

وتوصلت العديد من الدراسات إلى أهمية تنمية القدرات الابتكارية للعب في حياة الطفل وفي تطوير قدراته الابتكارية ، حيث ذكرت دراسة(berrete et privette,1990)التي استهدفت دراسة العلاقة بين لعب الأطفال و التفكير الابتكارية على عينة مكونة من 184 طفل ، توصلت نتائج الدراسة إلى أن الأطفال ذوي اللعب المرن أظهروا مرونة و أصالة أكثر من الأطفال ذوي اللعب الغير المرن ، و أن اللعب المرن له تأثير مباشر على التفكير الابتكاري ، وتوصلت دراسة سلوت (2010) إلى ضرورة توظيف الألعاب التعليمية في تدريس الفصول الدراسي بشكل عام، تدريب المعلمين على استخدام الألعاب التربوية في التدريس(ابوعكر2009،ص:23). وذكرت دراسة الالوسي (1991) إلى وجود أثر ايجابي بعض الأنشطة والألعاب الإبتكارية في تنمية السلوك الإبتكاري لدى

تلاميذ المرحلة الابتدائية. وكذلك دراسة عبد الرحمن (1993) التي توصلت إلى أن اللعب بالألعاب التركيبية والتي تعتمد على الفك والتركيب ينمي القدرات الإبتكارية لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية، بالإضافة إلى دراسة مكاوي (2003) التي أكدت على الدور الذي يؤديه اللعب التمثيلي لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية في النمو اللغوي (صوالحة، 2004، ص:142). وتوصلت دراسة (Dansky et Silverman ,1973)إلى أن نشاط اللعب له تأثير دال على طلاقة التداعي لدى الأطفال في سن ما قبل المدرسة كما توصلت دراسة "حنان الملاحة (1994)إلى وجود تأثير ايجابي للتدريب على برنامج للعب التخيلي على تنمية الأداء الإبتكاري لدى أطفال ما قبل المدرسة (صوالحة ، 2004 ، ص:28)،وكذلك في دراسة عزوز (2008)في دراسته فاعلية الأنشطة المقترحة في تنمية قدرات التفكير الابتكاري لدى أطفال الروضة إلى تشجيع التلاميذ على تنمية التفكير ألابتكاري وكدا دراسة "نرجس زكري و شهر زاد نور" سنة (2016)جامعة ورقلة حول نشاط اللعب وعلاقته بالتفكير الابتكاري لدى عينة متكونة من 85 تلميذ وتلميذة حيث توصلت الدراسة إلى مساهمة اللعب في تنمية القدرات الابتكارية لدى التلاميذ.

ونستنتج من الدراسات السابقة التي تم عرضها أهمية اللعب كنشاط موجه وغير موجه في حياة الطفل، وفي تنمية جوانب حياته المعرفية على وجه الخصوص.

من خلال ما تم عرضه من دراسات وأبحاث حول استخدام نشاط اللعب في العملية التعليمية والتربوية في المرحلة الابتدائية نطرح التساؤل التالي:

ما مدى تأثير اللعب على تنمية السمات الابتكارية لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية؟

2 - فرضية الدراسة:

للألعاب التربوية تأثير ايجابي على تنمية السمات الابتكارية لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية.

3 - أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في ماهية نشاط اللعب لدى التلاميذ والسمات الابتكارية لديهم حيث يعتبر من العوامل الأساسية في تنمية وتطوير السمات الابتكارية لدى التلاميذ واكتشاف المواهب وتحسين المهارات المعرفية.

توجيه المهتمين بالمجال التربوي في تبني الألعاب التربوية في إعداد البرامج والمناهج التعليمية.

-أهمية موضوع السمات الابتكارية الذي يحتل الصدارة في البحوث التربوية المعاصرة.

-الاستثمار في مهارات التفكير الابتكاري لتحقيق التقدم والتطور.

-أهمية أنشطة اللعب التربوي التي تنمي السمات الابتكارية.

4 -أهداف الدراسة:

-معرفة تأثير اللعب على السمات الابتكارية لدى تلاميذ الصف الثالث ابتدائي

- معرفة نمو السمات الابتكارية وتأثرها بالوسائل التعليمية (الألعاب التربوية نموذجا).

- التعرف على تأثير الألعاب التربوية في تنمية السمات الابتكارية (طلاقة، مرونة، أصالة حساسية للمشكلات).

-الكشف عن طبيعة التأثير لنوع اللعبة والسمة الابتكارية المستهدفة.

-بناء برنامج قائم على الألعاب في تنمية السمات الابتكارية (أصالة، مرونة، حساسية للمشكلات).

5 -مصطلحات الدراسة:

5 -1 -اللعب إجرائيا: بأنه استجابة تلقائية وعفوية للتلميذ اتجاه الألعاب والنشاطات الترفيهية التي نقدمها له، والتي تشعره بالاستمتاع والحيوية وتنمية مواهبه وقدراته وخبراته ووسيلة للتعبير عن الذات، والكشف عن قدراته ومواهبه

وإمكاناته، وهو يعكس العمليات النفسية والعقلية الجيدة واستكشاف نفسه وعالمه الخاص به، وهو ما يستطيع التلاميذ تحقيقه بعد تطبيق البرنامج التدريبي المتمثل في لعبة المكعبات، ولعبة الزهور ثلاثية الأبعاد ولعبة المتاهة واختيار الكلمات.

كما يعرفه المنصوري (1990، ص:180): هو النشاط الذي يعمل على النمو العقلي للتلميذ ويعتمد على الحركة والتمثيل الرمزي الخيالي والتصور الذهني والرسم ويعتبر عملية أساسية لتنمية العقل والذكاء لدى التلاميذ.

5 -2 -**اللعب التربوي**: ويقصد به أسلوب التعلم باللعب باستغلال أنشطة اللعب في اكتساب المعرفة وتقريب مبادئ التعلم للتلاميذ وتوسيع أفاقهم المعرفية ويتم بطريقة منظمة ومنطقية تهدف لتحقيق أغراض محددة وواضحة في ضوء قوانين وقواعد معينة موضوعة مسبقا.

5 -3 -**السمات الابتكارية**: هي صفة أو خاصية ثابتة نسبيا يتميز بها المبتكرون بصورة أعلى من العاديين مثل (المرونة، الطلاقة، الأصالة) عبادة :1992، ص135) وتتشكل من مجموعة من العوامل الذاتية والموضوعية التي تمثل وحدة متكاملة والتي تعود إلى إنتاج جديد وأصيل ذي قيمة للفرد والمجتمع.

5 -4 - **الطلاقة**:

هي قدرة التلميذ على إنتاج أكبر عدد من الأفكار والاستجابات في مدة زمنية محددة ويتم تنميتها لدى التلاميذ من خلال مجموعة من الأنشطة.

كما يعرفها تورانس: بأنها القدرة على إعطاء أكبر عدد ممكن من الاستجابات المناسبة إزاء مثير معين في. (touranceM1966M88 مدة زمنية محددة.

5 -5 -**الأصالة**: هي قدرة التلميذ على خلق وإنتاج مجموعة من أفكار جديدة غير مستهلكة بالنسبة لأفكار أقرانه داخل الصف الدراسي وبالتالي لديه تفكير أصيل لا يكرر نفس أفكار أقرانه ويتم تنميتها من خلال مجموعة من الأنشطة من خلال مجموعة من الأنشطة متعلقة بالبرنامج الدراسي.

كما يعرفها جيلفورد: بأنها القدرة على إنتاج أفكار غير مألوفة وحل للمشكلات بطرق غير متوقعة وتتضمن الانفراد والتجديد في الأفكار (ابراهيم1987:349).

5 -6 - **المرونة**: ويقصد بها قدرة التلميذ على الانتقال بين وضعيات إدراكية مختلفة ومتزامنة وفقا لما تمليه المتطلبات وتعتبر من الوظائف التنفيذية للدماغ ويستطيع التلميذ الخروج عن التصلب ويتكيف مع مواقف ووضعيات جديدة.

5 -7 -**الحساسية للمشكلات**: يقصد بها قدرة التلميذ على مدى إدراكه بان موقف معين ينطوي على عدد من مشكلات تتطلب حلول معينة، فالتلميذ الذي لديه سمة الحساسية للمشكلات يرى عدة مشكلات في موقف واحد ويدرك نواحي النقص وأوجه القصور فيها ولديه إدراك لا ما يراه أقرانه من عدة زوايا.

ويعرفها نشواتي (1985): بأنها القدرة على إدراك مواطن الضعف أو النقص أو الفجوات في الموقف المثير.

5 -8 -**المدرسة الابتدائية:**

تعتبر المرحلة الأولى التي يدخل إليها التلاميذ للتعلّم، وهي مرحلةٌ إلزاميّة، وتتكون عادةً من خمسة إلى ستة صفوف، حسب الدولة كما وتعتبر من أهم المراحل في حياة التلاميذ، لها أهمية كبيرة في تأسيس التلاميذ وهذه الأهمية، وفيها يبدؤون بتعلّم أصول القراءة والكتابة الصحيحة، وهي عمليّة تراكمية وبنائيّة، وكل العمليات الأكاديمية.

5 -9 -**البرنامج**: هو مجموعة من الإجراءات والخطوات المحددة والمنظمة من اجل تحقيق أهداف محددة. كما يعرفه (عبد الهادي 1999، ص:35) هو التصور الذي يضعه الباحث من اجل تحقيق بعض التغيرات والأهداف مستقبلا.

5 -10 -**برنامج الألعاب التربوية**: مجموعة من المواقف والإجراءات والتدريبات الصفية واللاصفية التي تؤدي إلى إكساب التلاميذ خبرات قائمة على أنشطة منظمة.

5 -11 برنامج الألعاب التربوية إجرائيا: ويقصد به مجموعة الألعاب المتمثلة في لعبة المتاهة لعبة الزهور الثلاثية، لعبة المكعبات، لعبة اختيار الكلمات، لعبة البيع والشراء وهي التي تضمنها البرنامج التدريبي وتتبع مدى تأثيرها على السمات الابتكارية لدى افراد العينة. كما تعتبر نوع من الأنشطة المحكمة الإطار، لها مجموعة من القوانين التي تنظم سير اللعب وعادة ما يشترك فيها اثنان أو أكثر للوصول إلى أهداف سبق تحديدها.

6 -حدود الدراسة:

ا -**مكان إجراء الدراسة**: أجريت الدراسة بابتدائية عدل الجديدة ولاية تلمسان.

ب -**مدة إجراء الدراسة**: تم الشروع في تطبيق البرنامج ابتداء من شهر اكتوبر2019الى غاية شهر مارس من سنة 2020.

7 - المنهج المستخدم:

استخدم المنهج التجريبي في الدراسة، وهو المنهج الدي يتناسب مع طبيعة متغيرات الدراسة وأهدافها، حيث تم انتقاء العينة وتم تطبيق اختبار مقياس السمات الابتكارية كقياس قبلي ثم تطبيق برنامج الألعاب التربوية مع ضبط المتغيرات داخل غرفة الدراسة وهدا ما اشتمل عليه البرنامج المطبق.

12 - عينة الدراسة:

تكونت عينة الدراسة من (15) تلميذ وتلميذة تم اختيارهم من المدرسة الابتدائية عدل الجديدة بولاية تلمسان السنة الثالثة ابتدائي حيث تكونت من (06) ذكور و(09) بنات تم اختيارهم بطريقة مقصودة، وذلك للاعتبارات التالية:

مستوى التكيف مع البيئة المدرسية مرتفع.

التحكم في المهارات الأكاديمية.

تقارب التجانس من حيث العمر الزمني والجنس والمستوى الدراسي.

الجدول رقم (01) يمثل توزيع أفراد العينة حسب الجنس والنسبة المئوية

أفراد العينة		العدد	النسبة المئوية
الذكور		09	60
الإناث		06	40
المجموع		15	100

8 -التصميم التجريبي:

تم الاعتماد على المنهج التجريبي بالاستناد إلى التصميم التجريبي داخل المجموعة الواحدة مع المعالجة الإحصائية لبيانات الدراسة ودلك بهدف التحقق من مدى فعالية البرنامج التدريبي القائم على الألعاب التربوية لتنمية السمات الابتكارية لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية حيث قدرت عينة الدراسة من (15) تلميذ وتلميذة من تلاميذ المرحلة الابتدائية حيث تم التقييم القبلي لأفراد العينة ن=15تلميد وتلميذة وفي يلي عرض لمسار التجربة.

العينة الإجمالية ن=15القياس القبلي/ البرنامج التدريبي عن طريق الألعاب/ القياس البعدي.

9 -إجراءات الضبط التجريبي:

من اجل ضبط سير التجربة تم إتباع الإجراءات اللازمة، حيث تم الاتفاق مع مدير المؤسسة لتخصيص قاعة مناسبة وقت مناسب لإجراء التجربة مع تجانس أفراد العينة من حيث العمر الزمني ومستوى التحصيل الدراسي والجنس، بالإضافة إلى حضور الباحث مع المجموعة أثناء الحصة بدون حضور المعلمة لإعطاء فرصة أكثر حرية للتلاميذ.

10 -الأسلوب الإحصائي المناسب للدراسة: تم استخدام مقاييس النزعة المركزية والتشتت (المتوسط الحسابي والانحراف المعياري) والاختبارات الاستدلالية المتمثلة في اختبار دراسة الفروق بين القياس القبلي والبعدي لأفراد العينة المدروسة.

11 -أداة الدراسة:

تم استخدام مقياس السمات الابتكارية لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية الذي قام بإعداده الباحث عطيات مظهر محمد موسى وأعاد تكييفه على البيئة الجزائرية الباحث والذي يتكون من (24) فقرة موزعة على (04) أبعاد رئيسية: وهي الطلاقة والأصالة والمرونة والحساسية للمشكلات وتم حساب الصدق والثبات. والجداول التالية، حيث تبين حساب الصدق والثبات بعد تكييف المقياس على البيئة الجزائرية.

12 - الخصائص السيكوميترية للمقياس:

12 -1 -الصدق التلازمي: تم حساب الصدق التلازمي للمقياس بحساب معامل ارتباط بيرسون بين أداء عينة من (30) تلميذ وتلميذة على مقياس السمات الابتكارية لتلاميذ المرحلة الابتدائية ومقياس تقدير السمات السلوكية للأطفال الموهوبين.

جدول رقم (02) يوضح الصدق التلازمي لمقياس السمات الابتكارية لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية

السمات الابتكارية	مقياس تقدير السمات السلوكية للأطفال الموهوبين			
	الطلاقة	المرونة	الأصالة	الحساسية للمشكلات
الطلاقة	0.57	0.37	0.68	0.67
المرونة	0.51	0.53	0.54	0.71
الأصالة	0.61	0.44	0.61	0.59
الحساسية للمشكلات	0.49	0.53	0.51	0.51

والدرجات على أبعاد مقياس السمات الابتكارية للأطفال الموهوبين تراوحت بين 0.71 -0.53وهي مؤشر دال على صدق المقياس.

12 -2 -ثبات المقياس:

تم حساب معامل ثبات المقياس بطريقة إعادة تطبيقه على عينة الدراسة مرتين بفاصل زمني شهر واحد كما هو موضح في الجدول التالي:

جدول رقم (03) يبين ثبات مقياس السمات الابتكارية بعد إعادة تطبيقه.

أبعاد مقياس السمات الابتكارية	معامل الثبات بعد إعادة تطبيق المقياس
الطلاقة	0.71
المرونة	0.73
الأصالة	0.81
الحساسية للمشكلات	0.74

من خلال حساب معاملات الثبات، تراوحت القيم بين (0.71 -081) وهي مؤشر دال على ثبات مقياس السمات الابتكارية لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية.

12 -3 -برنامج الألعاب التربوية: حيث شمل مجموعة من الألعاب متمثلة في لعبة المكعبات، العاب البيع والشراء لعبة الزهور ثلاثية الأبعاد، لعبة المتاهة، لعبة اختيار الكلمات، ووصل عدد الجلسات إلى (47) جلسة تدريبية على الألعاب المقترحة بمعدل حصتين أسبوعيا.

13 - تقديم البرنامج:

يهدف هذا البرنامج إلى التعرف على تأثير الألعاب التربوية على السمات الابتكارية لدى تلاميذ الصف الثالث ابتدائي من خلال مجموعة من الأنشطة المختلفة للألعاب، حيث تكون لكل لعبة هدف محدد يحقق مهارة من المهارات التالية: الطلاقة، المرونة، الأصالة، الحساسية للمشكلات وذلك للاعتبارات التالية:

مستوى التكيف مع البيئة المدرسية مرتفع ومناسب.

المستوى المعرفي والدراسي والتحكم في المهارات الأكاديمية.

مستوى التجانس من حيث العمر الزمني والجنس والدراسي والبيئي.

13 -1 -تحديد أهداف البرنامج:

لكل برنامج تدريبي هدف يسعى إلى تحقيقه من خلال إتباع الإجراءات المنظمة وصياغة الأهداف في صورة قابلة للقياس والتقييم والتعديل حيث تمثلت فيما يلي:

-أن يتعرف التلاميذ على نوع اللعبة.

-أن يتعرف التلاميذ على القوانين التي تحكم اللعبة.

-أن يختار التلاميذ نوع اللعبة التي يريدونها.

-أن يحفظ التلاميذ أنظمة وقوانين اللعبة.

-أن يتعرف التلاميذ على المدة الزمنية التي تستغرقها اللعبة.

-أن يقوم التلاميذ بتشكيل أفواج والتشاور فيما بينهم.

13 -2 -محتوى البرنامج:

يشمل مضمون البرنامج مجموعة من الأنشطة الخاصة بالألعاب التعليمية التي تهدف إلى تنمية السمات الابتكارية لديهم وقد تم تحديدها في ضوء الأهداف بما يتناسب ومستواهم المعرفي والدراسي:

الوحدة الأولى: التقديم والتعارف

الوحدة الثانية: الألعاب التركيبية

ا -**لعبة المكعبات**: وهي عبارة عن مكعبات بلاستيكية ملونة، مختلفة الحجم يختلف طول ضلعها من واحدة إلى عشرة، يكون منها التلاميذ أبراجا مرتفعة تتدرج من العشرة إلى واحد، فيجد التلاميذ متعة اللعب ويدركون الفروقات بين الكبير والصغير.

ب -**لعبة الزهور ثلاثية الأبعاد**: حيث تؤخذ مساحات مختلفة من الورق الملون في شكل مربع،حيث يمكن عمل كل مربع زهرة ثلاثية الأبعاد ثم تطوى إحدى المساحات الورقية المربعة على نصفين متتاليين وتقص من الخارج لإعداد الدائرة،ثم تشقق الحافة الدائرية على أبعاد متساوية بعمق مناسب والتي يمكن تلوينها بألوان مختلفة مناسبة لألوان الزهور، ويقص من الخارج إلى المركز لثنيه واحدة فقط ،وتترك الثنيات الثلاث الأخرى ويمكن استخدام عيدان

الأسنان كعنق للزهور، يقوم التلميذ بتداخل احد الجوانب فوق الأخرى وتلصق، ويعبا صندوق صغير بعد تلوينه بالرمل وتثبت فيه الزهور

ج -**لعبة البيع**: تتكون من مجموعة من التلاميذ من (4الى10) ويعطى لكل تلميذ رقمه الخاص به فيتكلم المشارك الأول بكم تبيع فيرد صاحب الرقم الموالي بالرقم الذي يريده من المجموعة ماعدا رقمه أو رقم خارج الم المجموعة سوف ينسحب من اللعبة ثم يكمل باقي التلاميذ اللعبة والى أن يبقى الفائز الأخير.

الهدف منها: تنمية مهارات التركيز والانتباه واليقظة والحساسية للمشكلات.

د -لعبة المتاهة:

أن يحدد التلاميذ الفصيلة التي ينتمي إليها الحيوان من خلال تتبع صفاته.

الهدف منها: تنمية التذكر والتفكير والذاكرة.

المواد المستخدمة:

ورقة مرسوم عليها متاهة وعدد من الطرق ومكتوب في كل طريق صفة من صفات الحيوانات الحية، مغلفة ومثبت خلفها لاصق من الجهتين.

خطواتها:

-توزع اللعبة بأجزائها على مجموعة من التلاميذ.

- يختار كل تلميذ إحدى الصور وينقلها عبر طرقات المتاهة مهتدي بصفات الكائن الحيواني الموجود في الصورة إلى أن يصل إلى تحديد فصيلته.

ه -لعبة اختيار الكلمات:

يطلب من التلاميذ أن يكتبوا أي كلمة تخطر ببالهم تبدأ بأحد الحروف وتعطيهم وقت معين ثلاث دقائق ونرى من الذي يستطيع أن يكتب أكبر عدد من الكلمات ونرى من الذي يستطيع أن يكتب أكبر عدد من الكلمات.

الهدف منها: تنمية مهارة التذكر وتوليد الأفكار.

13 -3 -تحديد الأنشطة:

يقصد بالأنشطة التعليمية جميع الإجراءات والمواد والتفاعلات التي تعطي للتلاميذ لتساعدهم على التعلم ويقوم بها التلاميذ أثناء دراستهم لمضمون موضوع معين.

وقد تم تنفيذ الألعاب التربوية على النحو التالي:

-توزيع المواد والأشكال والأدوات للعبة المقترحة.

-شرح وتفسير قوانين اللعبة.

-التوجيه والإرشاد أثناء عملية اللعبة.

-تفعيل ادوار جميع التلاميذ أثناء تنفيذ اللعبة.

التشجيع والتحفيز.

-المناقشة والحوار بعد الانتهاء من النشاط.

13 -4 -تطبيق البرنامج:

اشتمل البرنامج التدريبي على مجموعة من الألعاب والتي تم تقديمها على عدة أشكال مختلفة، ومناسبة لأعمار التلاميذ وجذابة ومثيرة لاهتمامات التلاميذ، واستخدم بطاقات تشجيعية كمعزز بعد تنفيذ التلاميذ النشاط، كما تم مراعاة الأنشطة المستخدمة في بيئة التلاميذ وتحت توجيه وأشرف الباحث. أثناء القيام بالأنشطة.

ويتكون البرنامج من 47 جلسة تدريبية بمعدل حصتين (02) كل أسبوع مدة الحصة التدريبية ساعة واحدة ويتضمن البرنامج التدريبي من ثلاثة مراحل أساسية تشمل كل منها عدد من الحصص التدريبية تعمل كل مرحلة على تحقيق هدف محدد أو مجموعة من أهداف جزئية تساهم في تحقيق الهدف العام للبرنامج.

المرحلة الأولى: وتضم أربعة حصص تدريبية تهدف إلى تكوين علاقة الألفة والتعارف مع التلاميذ داخل غرفة الدراسة وفي فناء المدرسة مع تخصيص وقت مناسب لهم والقيام بألعاب تدريبية الهدف منها تنظيمي وتحضيري وعرفة اهتمامات وميولات التلاميذ.

المرحلة الثانية: وتضم ستة حصص يتم فيها القيام ببعض الأنشطة الخاصة بالألعاب المقترحة في البرنامج التدريبي الهدف منها زيادة الألفة وكسر الروتين، ويتم في هذه المرحلة القياس القبلي لدى أفراد العينة للسمات الابتكارية من خلال تطبيق مقياس السمات الابتكارية لدى التلاميذ والذي يقيس سمة (الطلاقة والمرونة، والأصالة والحساسية للمشكلات).

المرحلة الثالثة: تقديم البرنامج التدريبي للتلاميذ يتمثل في عدة العاب مختلفة تتمثل في العاب فردية وأخرى جماعية الهدف منها تنمية السمات الابتكارية لدى التلاميذ تتمثل في العاب تركيبية وألعاب تمثيلية والعاب خيالية يتم في كل حصة تدريبية القيام بلعبة معينة الهدف منها تدريب التلاميذ على تنمية مهاراتهم الابتكارية وملاحظته استجاباتهم أثناء اللعب وتسجيل مختلف الملاحظات والتفاوت بين التلاميذ أثناء القيام بالمهمة مع إدخال التعزيز المعنوي والمادي عند إكمال كل حصة تدريبية.

14 -المرحلة الرابعة: عرض النتائج.

من خلال تطبيق البرنامج التدريبي القائم على مجموعة من الالعاب التي تهدف الى تنمية السمات الابتكارية والمتمثلة في (الطلاقة والمرونة والاصالة والحساسية للمشكلات) تبين انه توجد فروق ذات دلالة احصائية في القياس القبلي والبعدي لدى افراد العينة والنتائج كما هي مبينة في الجدول التالي.

الجدول رقم(04) يمثل القياس القبلي والبعدي لأفراد العينة.

الاختبار	عدد أفراد العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة "ت"	مستوى الدلالة الإحصائية
القبلي	15	12.36	5.89	63.983	دالة إحصائيا عند مستوى0.005
البعدي	15	46.31	6.91		

15 -تفسير ومناقشة النتائج:

بعد تطبيق البرنامج التدريبي الخاص بالألعاب تبين وجود تأثير لمضمون الألعاب المقترحة في البرنامج على السمات الابتكارية على تلاميذ المرحلة الابتدائية حيث توصلت الدراسة إلى وجود فروق في القياس البعدي بعد تطبيق البرنامج على أفراد العينة وهذا راجع إلى أن اللعب فضاء حر لا يشعر معه التلاميذ بالضغط والملل ويؤدي إلى الحوار والمناقشة وتوليد الأفكار والمنافسة فيما بنهم وخلق جو من التفاعل وهذا ما توصلت إليه دراسة سميرة سليمان

الحاف (2013) في تأثير الألعاب التعليمية في تنمية التفاعل الاجتماعي لدى الأطفال.

تنوع الأنشطة الخاصة باللعب، يزيد من رفع مستوى الدافعية لدى التلاميذ ويشجعهم على المنافسة والمشاركة الفعالة وهذا دعت إليه دراسة البابيدي وخلايلية (1998) أن اللعب يساعد في تقريب التعليم لمواجهة الفروق الفردية ومراعاة قدرات التلاميذ في التعلم.، وتنشيط القدرات العقلية وتحسين الموهبة الإبداعية لدى التلاميذ.

كما يتصف التلاميذ دوي المرونة المعرفية بمعدل أسرع في عملية التعلم والقدرة على معالجة أكبر عدد من المعلومات والقدرة على التركيب والتحليل وتوليد الأفكار والتكيف مع الوضعيات الجديدة وزيادة القدرة على التحمل والانتباه ولتركيز وإيجاد الحلول للمشكلات وهدا ما توصلت إليه دراسة جان (2009) في دراسته حول المرونة المعرفية لدى التلاميذ.

توجد علاقة قوية من حيث نشاط اللعب والتفكير الابتكاري لدى التلاميذ لأنهم يجدون الحرية في التفكير والخروج عن الروتين العادي والضغط الذي يعانون منه فيبتكرون ويعبرون عن أفكارهم وهدا استجابة لاستثارة الألعاب لاهتماماتهم وهدا ماتوصلت إليه دراسة "نرجس زكري وشهرزاد نور"(2016) حول مساهمة اللعب في تنمية التفكير الابتكاري لدى التلاميذ.

زيادة مستوى الدافعية للتعلم وارتفاع مستوى التحصيل الدراسي لدى أفراد العينة من خلال تنمية المرونة وأصبح التلاميذ لا يضطربون أمام المشكلات التي تواجههم ويعملون على إيجاد الحلول. وهدا ما تطرقت إليه دراسة عبد الهادي (2004) بان سلوك اللعب هو ليس مجرد وسيلة لتمضية الوقت لكنه بعد دو أهمية في عملية التربية والاستكشاف والتعبير الذاتي ويؤكد "بياجيه" بان اللعب والمحاكاة جزء لايتجزا من عملية النمو المعرفي.

خلاصة الدراسة:

من خلال تطبيق برنامج الألعاب التربوية المقترحة في تنمية السمات الابتكارية لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية المتمثلة في الطلاقة والمرونة والأصالة والحساسية للمشكلات تبين أن للألعاب التربوية دور هام في عملية النمو بشكل عام وعلى السمات الابتكارية بشكل خاص فاللعب الذي ينظر إليه بشكل سلبي من طرف الراشدين ليس كذلك وبالتالي وجب استثارة التلاميذ عن طريق الألعاب التربوية من اجل تنمية قدراتهم المعرفية وزيادة تحصيلهم الدراسي.

-اقتراحات:

-إجراء دراسات تسعى إلى ابتكار أساليب تدريسية مختلفة تشمل مهارات مختلفة لدى التلاميذ.

-إثراء الحصص التدريسية باستراتيجيات التعلم عن طريق اللعب.

-توفير الألعاب داخل المدارس الابتدائية.

-إدراج الألعاب التعليمية والتربوية من طرف واضعي البرامج والمناهج الدراسية

قائمة المراجع:

1 -المراجع باللغة العربية:

- أسامة البطانية وآخرون (2005)، **صعوبات التعلم النظرية والممارسة**، دار المسيرة للنشر والتوزيع.

-جابر عبد الحميد جابر (1999)، **استراتيجيات التدريس والتعلم**، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر.

-محمد رحمة احمد (2010)، **التفكير الإبداعي عند الأطفال**، ط1، دار البداية للنشر والتوزيع، عمان.

-نرجس زكري وشهرزاد نور (210)، **نشاط اللعب وعلاقته بتنمية التفكير الابتكاري لدى أطفال الروضة**، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 26، جامعة ورقلة، الجزائر. ص ص 91 – 98.

-سميرة سليمان عبد الحميد الحايق (2013)، **أثر توظيف الألعاب التعليمية في تنمية التفاعل الاجتماعي لدى أطفال الرياض (5 -6) سنوات غزة**، رسالة ماجستير في المناهج وطرق التدريس كلية التربية، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين.

-سلطانة بنت قاسم الفالح (2001)، **فاعلية برنامج مقترح في تنمية مهارات تدريس التفكير الإبداعي والاتجاه نحو تعليم التفكير لدى معلمات العلوم بالمرحلة المتوسطة بالمملكة العربية السعودية**، مجلة العلوم التربوية والدراسات الإسلامية، الرياض. ص ص 327 – 363.

-شبيب احمد (2012)، **فاعلية برنامج علاجي باستخدام الألعاب التركيبية في تنمية مستوى الانتباه لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية ذوي صعوبات التعلم**، مجلة الطفولة والتربية، الإسكندرية. ص ص 381 – 456.

-عطيات مظهر محمد موسى وآخرون (2009)، **تطوير مقياس لتقدير السمات السلوكية للأطفال الموهوبين في مرحلة الروضة**، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، الأردن. ص ص 41 – 76.

2 -المراجع باللغة الأجنبية:

– Best. (1995). **cognitive** :thed new york west published.4 **psychology**

-Torrance, E. (1998) **The nature of Creativity as manifest in testing**. In R. J. Sternberg (Ed).

مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ر ت م د: 7163 -1112 ر ت م د إ :1892-2588
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2

بناء إختبار تحصيلي محكي المرجع في مادة الرياضيات وفق نموذج راش

Building a achievement Refrence Criterion test in mathematics according to the Rasch model

الورعادي فاتح[1]، بن نابي نصيرة [2]

1- جامعة الجزائر2، fetahlouaraadi16@gmail.com

2- جامعة الجزائر2، benabi_67@hotmail.fr

مخبر التربية والصحة النفسية جامعة الجزائر2

تاريخ الاستلام: 2020/05/02 تاريخ القبول: 2021/04/18

ملخص -

هدف هذا البحث إلى توظيف نموذج راش في بناء إختبار تحصيلي محكي المرجع في مادة الرياضيات، ومن أجل تحقيق ذلك قمنا ببناء إختبار تحصيلي في مادة الرياضيات، تكون من 20 بند من الإختيار من المتعدد بثلاثة بدائل، بحث تم تطبيقه على عينة مكونة من (250) تلميذ وتلميذة من تلاميذ السنة الثالثة ثانوي شعبة علوم تجريبية، وقد تم إستخدام البرمجة الإحصائية (Winsteps) من أجل تحليل البيانات، بحيث تم التحقق من مطابقة الإختبار التحصيلي لإفتراضات النموذج، تم حذف (02) أفراد لعدم مطابقتهم للنموذج، وقد بلغ معامل ثبات الأفراد (0.71)، وثبات الفقرات (0.96) ،ومن خلال دراستنا تم تحقق إفتراض أحادية البعد، ومطابقة الفقرات للنموذج، وتحقق إفتراض تدريج

المؤلف المرسل: الورعادي فاتح: fetahlouaraadi34@gmail.com

البنود والذي تراوحت قيم جميع المفردات (20) مفردة ضمن قيمة إحصائي الملائمة لنموذج راش بين(1.57 - ،1.72).

الكلمات الدالة:

إختبار تحصيلي، إختبارمحكي المرجع، نموذج راش

Abstract:

The aim of this research is to employ a Rasch model in building an achievement Criterion test in mathematics, in order to achieve this we have built an achievement test in mathematics, consisting of 20 items of multiple choice with three alternatives, research applied to a sample of (250) Male and female student from the third year secondary school students, experimental sciences division. Statistical programming (Winsteps) was used to analyze the data, so that the achievement test of the model assumptions was verified, (02) individuals were deleted because they did not match the model, and the coefficient of stability of individuals (0.71), the stability of paragraphs (0.96), and through our study, a hypothesis was fulfilled Unidimesionality, matching the paragraphs of the model, and fulfilling the assumption of gradualization of items, which ranged for the values of all items (20) within a statistical value appropriate to the Rasch model between (-1.57, 1.72).

Key words:

Achievement test , Refrence Criterion test , Rasch Model.

- مقدمة

يعتبر القياس والتقويم التربوي عنصران أساسيان في تطوير العملية التعليمية لما نجده من إهتمام يوليه الباحثين في مجال تطوير أساليب التقويم والامتحانات وبناء الاختبارات، ونتيجة لوجود العديد من المشكلات التي تنتج عن القياس التقليدي والتي تتسبب في عدم دقة النتائج التي تسفر عنها أساليب وأدوات القياس والتقويم.

ويؤكد منظرو التقويم المعاصر ضرورة الاعتماد على "تشكيلة" واسعة من أدوات القياس والتقويم، تأكيدا لمبدأ شمولية التقويم والاستخدام

الأمثل لأدواته كافة، ويرتبط الالحاح على التعدد والتنويع في أدوات التقويم بتعدد أغراض التقويم الحديث واتساع مجالاته بصورة لم يسبق لها مثيل، ويعود في إحدى صوره إلى تعقد الخصائص النفسية والظواهر التربوية لا موضع التقويم، كما يعود في صورته الأخرى إلى التطورات التي تشهدها حركة التقويم والتي تؤدي إلى ظهور أدوات لم تكن معروفة في السابق، أو تعديل أدوات معينة "وتكيفها" لتؤدي أغراضا معينة تنسجم مع الاتجاهات التربوية الحديثة.(أمطانيوس،2016،ص147)

و تمثل الاختبارات التحصيلية عنصرا فاعلا في العملية التعليمية التعلمية، وذلك لما لها من أهمية في اصدار الحكام على مدى نجاح العملية التربوية أو فشلها.

لذلك تعد الاختبارات التحصيلية من أكثر ادوات القياس شيوعا واستخداما في تقويم الطلبة، في معظم البلدان العربية والعالمية، وقد نالت عملية بنائها وتطويرها اهتماما بالغا من التربويين وصناع القرار في المجال التربوي، وذلك لما يمكن أن تقدمه من بيانات يمكن الاعتماد عليها في صنع القرارات التربوية السليمة، والتي تهدف إلى تحسين عمليتي التعلم والتعليم. (أبو جراد، 2011،ص 68)

و تعتبر الاختبارات محكية المرجع أكثر أنواع الاختبارات التحصيلية ملاءمة لقياس وتقويم تحصيل الطلاب، وذلك لأنها تقوم على تحديد المهارات والكفايات المطلوب اتقانها بدقة فائقة لكي يتمكن المعلم من قياسها وملاحظتها بشكل مباشر ومن ثم تقدير مدى ما حققه الطالب من تلك الأهداف، بناء على مستوى أداء محدد وهذا مما يساعد المعلم على عملية التشخيص، حيث يتم تصنيف الطلاب إلى فئتين متقنة وغير متقنة للمهارات والكفايات المحددة، يلي ذلك تحديد نقاط الضعف والقوة في مستوى تحصيل الطالب ومعرفة المهارات التي اتقنها والتي لم يتقنها، وبذلك يستطيع المعلم وضع البرامج المناسبة لذلك، وتعتبر خطوة تحديد درجة قطع الاختبار محور ارتكاز بناء الاختبارات محكية المرجع، فمن خلالها تتحقق الافتراضات الأساسية التي يقوم عليها القياس محكي المرجع فهي تزود المعلم بتقديرات كمية لتحديد مدى

تمكن الطالب من المهارات والحكم على ادائه ومن ثم اتخاذ القرارات المناسبة (علام، 1986،ص 15)

بحيث أصبحت الاختبارات من الوسائل الضرورية التي تعتمد عليها المؤسسات التربوية بشكل عام والمعلمين بشكل خاص في تقويم التلاميذ لمعرفة مواطن القوة وتعزيزها والكشف عن مواطن الضعف لمعالجتها، من خلال ما تم عرضه جاءت دراستنا المتحورة حول بناء اختبار تحصيلي محكي المرجع في مادة الرياضيات لتلاميذ السنة الثالثة ثانوي شعبة علوم تجريبية، وذلك باستخدام نموذج راش الذي يتميز بدلالات صدق وثبات مقبولة والذي سيساعدنا في تحليل البيانات.

حيث تناولنا في هذا المقال إشكالية البحث والتساؤلات، ونوضح فيه أهداف البحث ثم قمنا بتحليل النتائج الخاصة بتساؤلات البحث ، ثم انهينا المقال باستنتاجات عامة وتوصيات.

الجانب النظري

1. - الاشكالية:

إن الحديث عن أدوات القياس في علم النفس يصرف الذهن مباشرة إلى الإختبارات التي تستخدم عادة في قياس الذكاء والقدرات العقلية الأخرى، وكذلك الأسئلة التي يمكن عن طريقها معرفة إتجاهات الناس نحو قضايا معينة أو الاستدلال على خصائصهم الشخصية، والحقيقة أن أداة القياس في ميدان علم النفس كعلم سلوكي يمكن أن تعرف على أنها مجموعة من البنود أو الأسئلة (أو المواقف) التي تمثل القدرة أو السمة أو الخاصية المطلوب قياسها وعلى هذا فإنه يمكن القول بأن هذه الأداة إنما تمثل عينة من مكونات هذه القدرة أو الخاصية أو السمة، وكلما كانت العينة قادرة على تمثيل المجتمع الأصلي الذي أخذت منه (مكونات القدرة) كانت هذه الأداة جيدة وصالحة ويمكن الاعتماد على نتائجها، فأداة القياس المكونة من خمسة أسئلة أو خمسة بنود ليست جيدة بنفس القدر الذي يميز أداة أخرى مكونة من عشرين سؤالا أو عشرين بندا.(سعد عبد الرحمان،1998،ص 159)

وفي معظم الاختبارات كان يعتمد على النظرية الكلاسيكية في بناء الاختبارات وتقنينها، والتي تعرضت لمجموعة من الانتقادات وفق ما أشار هامبلتون وسواميناثان (Hambleton and Swaminathan,1985)، بالإضافة لمعاناتها من عيوب وجوانب ضعف محددة,(322 p ,1999 Stocking). ومن أهم تلك الجوانب أن الخصائص السيكومترية للاختبار تحدد بالنسبة لمجموعة من الأفراد، كما إن خصائص الأفراد تحدد بالنسبة إلى إختبار معين وليس بشكل مطلق، وتفترض أيضا أن الخطأ المعياري في القياس متساوي لكل الأفراد وهذا يفتقر إلى الدقة، زيادة على أنها لا تبين مدى تحصيل الفرد على مستوى الفقرة، وإنما على الاختبار ككل (Hambleto, Swaminathan and Rogers,1999).

بحيث تمثل الاختبارات التربوية عنصرا حيويا في العملية التعليمية، لما لها من أثر فعال على العملية التربوية كلها، فعن طريقها تصدر الأحكام القيمية على مدى نجاح العملية التربوية أو فشلها في تحقيق الأهداف المرجوة، بحيث تعتبر الاختبارات من الوسائل الضرورية التي تعتمد عليها المؤسسات التربوية بشكل عام والمعلمين بشكل خاص في تقويم التلاميذ، كل هذا يمر عبر بناء الاختبارات التحصيلية والتي نقيس بها قدرة كل تلميذ داخل المؤسسة التربوية، وكل ما تحتاجه العملية التعليمية التعلمية من تقيم لفعالية البرامج التعليمية، ومساعدة المعلمين في تحديد المستوى الفعلي لقدرات وسمات الطلاب، ومراعاة المعلمين للفروق الفردية بين التلاميذ، كل هذا كان له أثر في الحاجة إلى بناء وتقنين الاختبارات والمقاييس التربوية بما يحققه لنا هذا البناء من صلاحية في أداة القياس ودقة وثبات في قدرات وسمات الأفراد ودقة وموضوعية في القياس هذا ما أظهرته النظرية الحديثة التي أطلق عليها نظرية الاستجابة للمفردة.

فنظرية الاستجابة للمفردة جاءت كنتيجة لمحاولات المهتمين بالقياس النفسي والتربوي لتطوير مقاييس أكثر دقة في قياسها للسمات النفسية والتربوية، كمحاولة لحل المشكلات التي تعاني منها الطرق التقليدية، وقد شجع توفر برامج الكومبيوتر على تطبيق النماذج

المختلفة لهذه النظرية في مجال الاختبارات والمقاييس ، وتتلخص فكرة هذه النماذج في ربطها بين خصائص الفقرات بمعلم (parameter) أو بأكثر، ومقدار السمة التي يمتلكها الفرد وإحتمال إجابته عن مفردة محددة بمستوى معين من الاجابة حسب نوع المفردة كونها ثنائية الاجابة أو من عدة فئات ويقوم هذا الربط أساسا على تحديد موقع الفرد على مقياس السمة الكامنة بصرف النظر عن مجموعة المفردات التي يجيب عنها.(Masters & Wright, 1984,p 529).

وقد أشارت أنستازي (Anastasi ,1982) إلى أن نظرية الاستجابة للفقرة تشكل إطارا للتوجيه الحالي والمستقبلي لاختبار الفقرات، وأنها تعالج كثيرا من القضايا بشكل أكثر فاعلية من النظرية الكلاسيكية (Hambelton and Jonse,1993)، حيث تفترض أنه يمكن التنبؤ بأداء الأفراد، أو يمكن تفسير أدائهم في اختبار نفسي أو تربوي، في ضوء خاصية مميزة لهذا الأداء تسمى السمة، وتحاول هذه النظرية تقدير درجات الأفراد في هذه السمات، وبالطبع تعصب ملاحظة هذه السمات ملاحظة مباشرة، لذلك يتم تقديرها من أداء الفرد الذي يمكن قياسه من خلال فقرات المقياس، ولهذا يطلق عليها السمات الكامنة، وقد انبثقت عن هذه النظرية مجموعة من النماذج، التي تعرف بنماذج السمات الكامنة، وتهدف جميعها إلى تحديد العلاقة بين أداء الفرد على المقياس، وهو ما يمكن ملاحظته مباشرة، وبين السمات أو القدرات التي تكمن وراء هذا الأداء وتفسره (الشريفين، 2009،ص 20)

وللتغلب على المشكلات التي ظهرت في النظرية الكلاسيكية ظهرت النظرية الحديثة في القياس وتعددت نماذج النظرية الحديثة ومنها نموذج راش الذي يتسم بأحادية القياس أي أن صعوبة المفردات تتدرج بحيث تعرف فيما بينها متغيرا واحد وتكون هذه المفردات هي التعريف الاجرائي لهذا المتغير ويتضمن هذا صدق تدريج المفردات وصدق قياسها لهذا المتغير(vanalphen, 1994, p 199)، كما يتسم أيضا باستقلالية القياس أي تحرر القياس من عينة التدريج حيث لا يختلف تقدير كل من معلم قدرة الفرد ومعلم صعوبة المفردة باختلاف عينة التدريج طالما

أنها عينة ملائمة، وتحرر القياس من معلمي قدرة الفرد وصعوبة المفردة باختلاف مجموعة المفردات المستخدمة في القياس طالما أنها بنود مناسبة وتعرف متغير واحد أي هناك تقارب بين مستوى صعوبة المفردات ومستوى قدرة (knowles,E.and condon,2000, p24)

كما جاءت دراسة للباحث محمد دبوس حول "استخدام نظرية الاستجابة للفقرة في بناء فقرات اختبار محكي المرجع في الرياضيات بمفردات ثنائية التدريج ومتعددة التدريج وفق النموذج اللوجستي ثنائي المعلم" هدفت الدراسة إلى استخدام نظرية الاستجابة للفقرة في بناء فقرات اختبار محكي المرجع في الرياضيات وفق النموذج اللوجستي ثنائي المعلم، ولتحقيق هذا الهدف تم إعداد تجمع من الفقرات ثنائية التدريج مكون من (50) فقرة، وتجمع من الفقرات متعددة التدريج مكون من (10) فقرات وروعي في بناء هذه الفقرات أن تقيس تحصيل الطالب في الرياضيات في المعرفة المفاهيمية والمعرفة الاجرائية وحل المشكلات، وقد تكونت عينة الدراسة من (502) طالبا أجابوا عن جميع الفقرات، وقد أظهرت النتائج تحقق افتراضات نظرية الاستجابة للفقرة كما بينت نتائج التحليل فيما يتعلق بمطابقة الفقرات الثنائية التدريج للنموذج الثنائي المعلم أن جميع الفقرات كانت مطابقة للنموذج ثنائي المعلم.ويشير الباحث الطراونة، (2018ص154)، أن للإختبارات التحصيلية أنواع عديدة منها: الاختبارات الشفوية، الاختبارات العملية، اختبارات الأداء، الاختبارات المقالية، الاختبارات الموضوعية، ورغم هذا التنوع إلا أن هذه الاختبارات تشترك بكونها أدوات تستخدم لقياس التحصيل، وطبيعة المادة وأهدافها هي التي تحدد نوع الاختبار، ونتيجة للعيوب التي أحاطت بالاختبارات المقالية حاول التربويون البحث عن وسيلة أخرى أكثر موضوعية ودقة في تقويم تحصيل الطلبة، وكانت نتيجة جهودهم التوصل إلى الاختبارات الموضوعية، ففيها لا مجال لتأثير العوامل الشخصية على أداء المفحوص، ومن أمثالها اختبارات الصواب والخطأ، واختبارات المطابقة واختبارات الاختيار من متعدد. كما أنه تتعدد ايجابيات فقرة الاختبار من متعدد؛ فالفقرة المحكمة

البناء تتميز بكفاءتها، وتتعدد استعمالاتها وقياسها للأهداف البسيطة والمركبة في المباحث والمراحل التعليمية المختلفة، بالإضافة إلى إمكانية استخدامها في قياس العمليات المعرفية العليا على الرغم من صعوبة استخدامها لقياس مستويي التركيب والتقويم، يضاف إلى ذلك كله أنها تسمح بمعاينة قدر كبير من المجال السلوكي، في المقابل هناك ضعف لفقرة الاختيار من متعدد؛ فقد تستغرق الفقرة المحكمة البناء وقتا في إعدادها كما أنها تتصف بصعوبة توفير البدائل الجذابة وعدم امكانية استخدامها في الغالب في قياس القدرة على التعبير عن الأفكار وتنظيمها.

و في دراسة للباحثة رفيقي محمود والباحث سائد أحمد صباح ، هدفت هذه الدراسة الى بناء اختبار تحصيلي في الهندسة لطلبة الصف الخامس باستخدام نموذج راش، وتشخيص فهم الطلبة للمفاهيم الهندسية، ثم بناء اختبار تحصيلي مكون من (30) فقرة من نوع الاختيار من متعدد، طبق الاختبار على (216) طالبا وطالبة، وأظهرت النتائج أن الاختبار ثابت، حيث بلغ معامل الثبات للفقرات (0.98) ومعامل ثبات للأفراد (0.78)، وأن فقرات الاختبار غطت مدى الصعوبة بشكل جيد، فتراوحت قيمة الصعوبة للفقرات ما بين (3.29 - 2.69) لوجيت، وظهر أن معظم الفقرات تقع ضمن إحصائيات الملاءمة لنموذج راش. وأظهرت النتائج أيضا وجود أخطاء متنوعة في المفاهيم الهندسية منها: خصائص متوازي الأضلاع، مفهوم المحيط، مفهوم الشبكات، والربط بين الأشكال الهندسية، وفي المقابل هناك مجموعة من المفاهيم الهندسية التي أجاب عليها الطلبة بنسبة أكبر من (88%) منها: مفهوم المضلع المنتظم، ومفهوم الزاوية وقياسها باستخدام المنقلة.

بحيث جاء بحثنا هذا يتمحور حول بناء اختبار تحصيلي محكي المرجع في مادة الرياضيات لتلاميذ السنة الثالثة ثانوي وفق نموذج راش، وكانت التساؤلات على النحو التالي:

- هل تحقق فقرات الإختبار التحصيلي في مادة الرياضيات لتلاميذ السنة الثالثة ثانوي ميزة أحادية البعد كما يتطلبه نموذج راش؟

- هل فقرات الإختبار التحصيلي في مادة الرياضيات لتلاميذ السنة الثالثة ثانوي مطابقة لنموذج راش وذلك بإستعمال برنامج الحاسب الآلي winsteps؟

- هل فقرات الإختبار التحصيلي في مادة الرياضيات لتلاميذ السنة الثالثة ثانوي تحقق تدريج الفقرات على متصل الصعوبة وفق نموذج راش؟

2. - أهداف البحث:

- الكشف عن ما مدى تحقيق فقرات الإختبار التحصيلي في مادة الرياضيات لتلاميذ السنة الثالثة ثانوي ميزة أحادية البعد كما يتطلبه نموذج راش.

- معرفة ما إذا كانت فقرات الاختبار التحصيلي في مادة الرياضيات لتلاميذ السنة الثالثة ثانوي مطابقة لنموذج راش وذلك بإستعمال برنامج الحاسب الآلي Winsteps .

- معرفة ما إذا كانت فقرات الاختبار التحصيلي في مادة الرياضيات لتلاميذ السنة الثالثة ثانوي تحقق تدريج الفقرات على متصل الصعوبة وفق نموذج راش.

3. - التحديد المفاهيمي

1.3 - الإختبار التحصيلي:

يعرفه العبادي على أنه مجموعة من المفردات(الأسئلة) التي تعطى للطالب ليجيب عنها شفويا، أو تحريريا، وقد تكون موضوعية، أو مقاليه، أو رسوما، أو أشكالا تستعمل للمقارنة والقياس (العبادي، 2006)

ويرى شيز (Chase,1974) أن الإختبار يمكن تعريفه بأنه إجراء منظم لموازنة أداء الفرد بمستوى أداء محدد مسبقا. أما ساكس (sax,1974) فيرى أن الإختبار يمكن تعريفه بأنه مهمة أو سلسلة من المهام تستخدم في الحصول على ملاحظات منظمة يفترض أنها تكون ممثلة لسمات أو خصائص تربوية أو نفسية. (محمود علام،2019)

اجرائيا: هو مجموعة من البنود أعدت لتقيس أهداف إجرائية بما يحقق دقة وموضوعية تحصيل تلاميذ السنة الثالثة ثانوي شعبة علوم تجريبية

في مادة الرياضيات، و لكي يكون تحديد موقع هذا التلميذ دقيقا لابد من أن تكون الأسئلة تتوفر على:

- ملائمة البنود للنموذج المعمول به راش (Rasch)؛ وذلك بحدوث إتساق بين الإستجابات الملاحظة للأفراد على البند وبين إحتمال نجاحهم كما يتوقع من النموذج.

- أن تقيس الأسئلة سمة مشتركة واحدة (تحقق افتراض أحادية البعد).

- أن تكون الأسئلة مستقلة عن عينة البحث (مجموع التلاميذ) أي لا تؤثر إستجابة تلميذ معين على سؤال ما بإستجابته على سؤال آخر من الإختبار، و من هذا المنطلق يكون تحديد موقعه على أساس إستجابته على كل سؤال على حدا.

- أن يكون التلاميذ مستقلين عن عينة أسئلة الإختبار بحيث لا تتأثر الأسئلة بتغير الأفراد المستجيبين عليه.

- أن تكون للبنود قوة تمييز مناسبة؛ وذلك عندما يقترب المنحنى الملاحظ المميز للبند من المنحنى الأمثل المحتمل للنموذج.

2.3 - التحصيل الدراسي:

يعرف فريد جبرائيل نجار التحصيل على أنه: المعلومات والمهارات المكتسبة في المواضيع المدرسية وتقاس عادة بالإمتحانات أو العلامات التي يضعها المعلمون.(نجار، 1990)

كما عرفه نصر الله (2004) بأنه ذلك النوع من التحصيل الذي يتعلق بدراسة أو تعلم العلوم والمواد المدرسية المختلفة.

ويعرف الباحث التحصيل **إجرائيا**: هو مجموع الدرجات التي يتحصل عليها تلاميذ السنة الثالثة ثانوي في مادة الرياضيات وفق الإختبار التحصيلي المبني من طرف الباحث.

3.3 - نموذج راش:

يعد نموذج راش من أهم نماذج الاستجابة للمفردة، حيث يمكن أن تتوفر متطلبات الموضوعية عندما تستوفي فروض النموذج، وهي أحادية البعد، إستقلالية القياس، توازي المنحنيات المميزة للمفردات، ويقوم هذا

النموذج على نتائج تفاعل قدرة الفرد مع صعوبة المفردات، وتتمثل نتائج هذا التفاعل في شكل إستجابات ملاحظة يمكن التوصل إلى تدريجات المفردات، وتقديرات الأفراد، التي تتحقق بها مطالب الموضوعية في القياس. (كاظم، 1988)

- ويعرف أيضا بأنه النموذج الذي إقترحه راش Rasch؛ سمي بأحادي المعلم لأنه يشتمل على بارامتر واحد فقط هو بارامتر صعوبة البنود (علام، 2005)

إجرائيا: يعتبر من أبسط نماذج الإستجابة للمفردة ذو معلم واحد، يعمل على تقدير إحتمالية إجابة التلميذ عن فقرة ما إجابة صحيحة بدلالة قدرته (θ) ومعلم صعوبة الفقرة (bi)، وذلك بتحقيق أحادية البعد ومطابقة التلاميذ للنموذج مع التدريج لإحصائي للبنود والتلاميذ المطبق عليهم الاختبار التحصيلي على متصل السمة، وفق نموذج راش أحادي البارامتر.

4. - الإجراءات المنهجية

تم إعتماد العينة العرضية من طرف الباحث وتقدر عينة البحث ب250 تلميذ (ة) لكون أداة الإختبار التحصيلي موجه لتلاميذ السنة الثالثة ثانوي شعبة علوم تجريبية، هذا وقد تكونت عينة البحث من عشر ثانويات من أربع ولايات وهي برج بوعريريج، الجزائر العاصمة، بومرداس، المسيلة، للموسم الدراسي 2019/2018، بحيث تكون الاختبار التحصيلي من خمس محاور وهي: الدوال العددية (الاشتقاقية والاستمرارية)، الدالتان الأسية واللوغاريتمية، الدوال العددية (النهايات)، التزايد المقارن ودراسة الدوال، المتتاليات العددية.

5. - عرض نتائج البحث مناقشتها

* النتائج المتعلقة بالسؤال الأول الذي ينص على:

5 -1 - عرض وتحليل ومناقشة نتائج الدراسة المتعلقة بالسؤال الأول: هل تحقق فقرات الاختبار التحصيلي في مادة الرياضيات لتلاميذ السنة الثالثة ثانوي ميزة أحادية البعد كما يتطلبه نموذج راش؟

❖ **تم إعتماد طريقة التحليل العاملي للمكونات الأساسية للبواقي باستخدام نموذج راش وقد تم استخراجها باستخدام Winsteps**

Table of STANDARDIZED RESIDUAL variance (in Eigenvalue units)		-- Empirical --			Modeled
Total raw variance in observations =		**26.3**	**100.00%**		**100.00%**
Raw variance explained by measures =		**6.3**	**%23.9**		**%24.2**
Raw variance explained by persons =		**2.6**	**%0.10**		**%1.10**
Raw Variance explained by items =		**3.7**	**%13.9**		**%14.1**
Raw unexplained variance (total) =		**20.0**	**%76.1**	**100.00%**	**%75.8**
Unexplned variance in 1st contrast =		**2.4**	**%9.0**	**%11.1**	
Unexplned variance in 2nd contrast =		**3.2**	**%8.7**	**%4.11**	
Unexplned variance in 3rd contrast =		**6.1**	**%6.0**	**%9.7**	
Unexplned variance in 4th contrast =		**51.**	**%5.7**	**%6.7**	

يوضح الجدول رقم(1) التحليل العاملي للمكونات الأساسية للبواقي

باستخدام نموذج راش وقد تم استخراجها باستخدام (Winsteps) .

حجم تباين البواقي المعيارية	الجذر الكامن	الملاحظ	المتوقع
التباين الكلي في الاستجابات	26.3	100	100
التباين الذي فسره العامل الرئيسي	6.3	23.9	24.2
التباين المفسر بواسطة الافراد	2.6	10.0	10.1
التباين المفسر بواسطة المفردات	3.7	13.9	14.1
مجموع التباين غير المفسر	20.0	76.1	100
التباين الذي فسره العامل الأول	2.4	9.0	11.1
التباين الذي فسره العامل الثاني	2.3	8.7	11.4
التباين الذي فسره العامل الثالث	1.6	6.0	7.9
التباين الذي فسره العامل الرابع	1.5	5.7	6.7

نلاحظ من الجدول رقم (1) أن قيمة التباين الكلي غير المفسر بواسطة (Raw unexplained variance) أكبر أو يساويي 20 % هذا مؤشر يعد مقبولا لأحادية البعد و نجد قيمته قد بلغت 76.1% ، و يسمى ببعد راش الأول البعد الأول يفسر (2.9%) من التباين و الذي يشار إليه من القيمة (Unexplned contrast variance in1st)، و بما أن قيمته أقل من 10% فهذا مؤشر آخر على أحادية البعد.

و نعتمد على محك آخر و هو قيم الجذر الكامن لنسبة التباين الذي يفسره العامل الثاني (Unexplned variance in 2nd contrast) إذ يجب ألا تتعدى قيمته (3) أو تكون أقل من ذلك و قد بلغت (2.3) وفق ما ورد في دليل استخدام برنامج Winsteps.

5 -2 - عرض وتحليل ومناقشة نتائج الدراسة المتعلقة بالسؤال الثاني الذي ينص على: هل فقرات الاختبار التحصيلي في مادة الرياضيات لتلاميذ السنة الثالثة ثانوي مطابقة لنموذج راش وذلك بإستعمال برنامج الحاسب الآليwinsteps؟

من أجل الإجابة عن هذا السؤال، تم التحقق من افتراضات نموذج راش، حيث قام الباحث بإدخال البيانات إلى برنامج الحاسب الآلي (Winsteps)، و المتعلقة باستجابات أفراد العينة والبالغ عددهم(250) تلميذ و تلميذة عن فقرات الاختبار التحصيلي والمكون من (20) بند وذلك وفق تصحيح الإجابات الصحيحة والخاطئة التي اعتمدت علامة صفر(0) للإجابة الخاطئة تماما، و واحدة (1) للإجابة الصحيحة تماما ، وقد تم استخراج نتائج الدراسة للسؤال الأول حسب الخطوات الآتية:

أ - مؤشرات حسن المطابقة الخاصة بأفراد عينة البحث Persons : Fit

من أجل التعرف إلى مؤشرات مطابقة أفراد عينة البحث، تم تحديد قدرة كل فرد من أفراد العينة، كما تم حساب الخطأ المعياري في قياس قدرة أفراد العينة، كذلك قام الباحث بحساب إحصائي المطابقة الداخلية INFIT ويُعدّ هذا المؤشر مؤشراً إحصائياً لسلوك أفراد العينة

غير المتوقع الذي يؤثر في الاستجابات عن الفقرات التي تكون قريبة من مستوى معين، كما تم حساب مؤشر إحصائي المطابقة الخارجية OUTFIT وذلك لكل تقدير من هذه التقديرات؛ و إحصائي المطابقة الخارجية يعد مؤشرا أكثر حساسية للسلوكيات غير المتوقعة من الأفراد عن الفقرات التي تبتعد عن مستوى قدراتهم، غير أنّ له مؤشرات مشابهة من إحصائي المطابقة الداخلية INFIT ونتائج الجدول (02) توضح المتوسط الحسابي والانحراف المعياري والخطأ المعياري لكل تقدير من تقديرات قدرات أفراد عينة البحث، في قياس قدراتهم، وكذلك متوسطات المربعات لإحصائي المطابقة الخارجية والداخلية وقيم إحصائيات المطابقة ZSTD لإحصائي المطابقة الداخلية والخارجية.

جدول رقم(2) يبين المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لكل تقدير من تقديرات قدرات الأفراد والخطأ المعياري في قدرة الأفراد، ومتوسطات المربعات MNSQإحصائي المطابقة الداخلية والخارجية وقيم إحصائيات المطابقة ZSTD لإحصائي المطابقة الداخلية(INFIT) والخارجية (OUTFIT)

PERSON	234 INPUT		234 MEASURED		INFIT		OUTFIT	
	TOTAL	COUNT	MEASURE	REALSE	IMNSQ	ZSTD	OMNSQ	ZSTD
MEAN	11.3	20.0	.35	.55	.99	-.1	.98	-.1
S.D.	3.8	.1	1.04	.10	.20	1.0	.32	1.1
REAL RMSE	.56	TRUE SD	.88	SEPARATION	1.56	PERSON RELIABILITY		.71

	القدرة	الخطأ المعياري	إحصائي المطابقة الداخلية (INFIT)		إحصائي المطابقة الخارجية (OUTFIT)	
			متوسط المربعات (MNSQ)	قيمة الاحصائي (ZSTD)	متوسط المربعات (MNSQ)	قيمة الاحصائي (ZSTD)
المتوسط الحسابي	0.35	0.55	0.99	0.1	0.98	0.1
الانحراف المعياري	1.04	0.10	0.20	1.0	0.32	1.1

يلاحظ، من خلال البيانات الواردة، في الجدول رقم (2)، أن المتوسط الحسابي لمتوسطات المربعات (MNSQ) المطابقة الداخلية، والخارجية فقد كانت على الترتيب (0.99) و(0.98)، وهذه القيم تساوي الواحد صحيح، كما أن الانحراف المعياري قد بلغت قيمته (1.04) فهو في الوضع المثالي الذي قيمته (0،1) ،كما نلاحظ أيضا من خلال البيانات الواردة في الجدول السابق، أن متوسط قيم إحصائي المطابقة الداخلية والخارجية للإحصائي (ZSTD) قد بلغت (0.32،0.20) ، وهذه القيمة أيضا تقترب من القيم المثالية التي يفترضها النموذج وهي (صفر،1) على الترتيب، وبعد تفحص قيم إحصائي المطابقة الخارجية الموزون للأفراد فقد تبين أن (02) تلاميذ من أفراد عينة البحث غير مطابقين للنموذج، وذلك حيث تجاوزت قيم المطابقة الداخلية والخارجية لهم(+2) أو (-2)، فقد قام الباحث باستبعادهم من التحليل، وهذا مؤشر للباحث أن قيم متوسط المربعات المناظرة لقدراتهم تزيد عن الواحد صحيح أو أن قيم إحصائي المطابقة الخارجية المقابلة لقدراتهم تزيد عن (+2)، لذلك فان هؤلاء الأفراد غير مطابقين للنموذج، ويجب استبعادهم. والجدول (3) يوضح بيانات التلاميذ الغير مطابقين للنموذج:

جدول (3) يوضح إحصائي المطابقة الداخلية والمطابقة الخارجية للأفراد الغير مطابقين مع نموذج راش

رقم التلميذ	القدرة	الخطأ المعياري	إحصائي المطابقة الداخلية (INFIT)		إحصائي المطابقة الخارجية (OUTFIT)	
			متوسط المربعات (MNSQ)	قيمة الاحصائي (ZSTD)	متوسط المربعات (MNSQ)	قيمة الاحصائي (ZSTD)
214	-0.96	0.51	1.51	2.10	2.21	2.90
169	-0.24	0.48	1.67	3.8	1.94	3.8

يلاحظ، من خلال البيانات الواردة، في الجدول السابق، أن قيم المطابقة الداخلية (INFIT) للتلميذ رقم 169،214، غير مطابقة مع بيانات نموذج راش قد تراوحت قيمة متوسط المربعات في احصائي المطابقة الداخلية والخارجية (1.51 -3.8) كما نلاحظ أيضا، من خلال الجدول السابق، قيم إحصائي المطابقة الخارجية للأفراد غير المطابقين مع بيانات نموذج راش فقد تراوحت ما بين (2.21– 1.94) و قيمة الإحصائي (ZSTD) عليها ما بين (2.90 -3.8) ، و بناء على قيم متوسطات المربعات تم استبعاد الأفراد غير المطابقين و الواقعين خارج حدود المطابقة.

ب - مؤشرات حسن المطابقة الخاصة بمعالم صعوبة الفقرات Fit – Item بعد استبعاد الأفراد غير المطابقين للنموذج:

لقد تم استبعاد التلميذ رقم (169،214)، وهم التلاميذ الذين لم تتطابق استجاباتهم مع توقعات النموذج فقد قام الباحث بإعادة

التحليل الإحصائي مرة أخرى لمعرفة مدى مطابقة فقرات القائمة للنموذج Item-Fit، قد جرى تقدير معلم الصعوبة لكل فقرة والخطأ المعياري في قياس هذا المعلم، كما تم استخراج إحصائي المطابقة الداخلية، وإحصائي المطابقة الخارجية، وذلك لكل معلم من معالم الصعوبة، والجدول(4) يوضح المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لكل من تقديرات معالم الصعوبة والخطأ المعياري في قياس هذه التقديرات، بالإضافة إلى إحصاءات المطابقة الداخلية والخارجية للفقرات.

جدول رقم (4) يبين المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لكل تقدير من تقديرات معالم الصعوبة والخطأ المعياري في معالم صعوبة فقرات الاختبار التحصيلي، ومتوسطات المربعات (MNSQ) لإحصائي المطابقة الداخلية والخارجية وقيم إحصائيات المطابقة (ZSTD) لإحصائي المطابقة الداخلية والخارجية.

ITEM	20 INPUT		20 MEASURED		INFIT		OUTFIT	
	TOTAL	COUNT	MEASURE	REALSE	IMNSQ	ZSTD	OMNSQ	ZSTD
MEAN	132.4	233.8	.00	.16	1.00	.0	.98	-.2
S.D.	34.5	.4	.78	.01	.12	2.1	.17	1.8
REAL RMSE	.16	TRUE SD	.76	SEPARATION	4.86	ITEM	RELIABILITY	.96

	القدرة	الخطأ المعياري	احصائي المطابقة الداخلية infit		احصائي المطابقة الخارجية outfit	
			متوسط المربعات MINSQ	قيمة الاحصائي ZSTD	متوسط المربعات MINSQ	قيمة الاحصائي ZSTD
المتوسط الحسابي	0.0	0.16	1.00	0.0	0.98	-0.2
الانحراف المعياري	0.78	0.01	0.12	2.1	0.17	1.8

يلاحظ، من خلال البيانات الواردة، في الجدول السابق، أن المتوسط الحسابي لمتوسطات المربعات، كانت تقترب من الواحد، وهذا هو الوضع المثالي كما يتوقعه النموذج، كما نلاحظ أن متوسط قيم إحصائي المطابقة الداخلية بلغ (0.0،1.0)، والانحراف المعياري (0.78) وهذه القيمة مثالية ، وتبين أيضا من خلال الجدول السابق، أن متوسط قيم إحصائي المطابقة الخارجية، بلغ(0.98) والانحراف المعياري لها بلغ (0.17)، وتعد هذه القيم مثالية لأنها تقترب من القيم التي يفترضها النموذج. وبعد تفحص قيم إحصائي المطابقة الداخلية والخارجية، لفقرات الاختبار التحصيلي، بصورته الأولية البالغة (20) فقرة، تبين أن كل الفقرات تحقق فيها شرط المطابقة.

5 -3 - عرض وتحليل ومناقشة نتائج الدراسة النتائج المتعلقة بالسؤال الثالث الذي ينص على: هل فقرات الاختبار التحصيلي في مادة الرياضيات لتلاميذ السنة الثالثة ثانوي تحقق تدريج الفقرات على متصل الصعوبة وفق نموذج راش؟

من أجل القيام بالتحليل الاحصائي تم حذف الأفراد الذين أجابوا اجابة كاملة على الفقرات غير أنه تم الحفاظ على كل الفقرات الاختبار ثم قمنا بالتحقق من المطابقة الداخلية والمطابقة الخارجية للأفراد والمفردات، لقد تم استبعاد التلميذ رقم (169،214)، وهم التلاميذ الذين لم تتطابق استجاباتهم مع توقعات النموذج فقد قام الباحث بإعادة التحليل الإحصائي مرة أخرى لمعرفة مدى مطابقة فقرات القائمة للنموذج .

حيث تم حذف الأفراد الغير ملائمين للنموذج، ويتمثل في التلميذ رقم (214،169) بحيث بلغت قيمة متوسط المربعات لإحصائي المطابقة الداخلية والخارجية (MNSQ) (1.51 -2.21) على التوالي وهي قيم تفوق حدود ملائمتهم لبيانات النموذج .

جدول رقم (5) يوضح الأفراد الغير ملائمين للنموذج

رقم التلميذ	القدرة	الخطأ المعياري	إحصائي المطابقة الداخلية (INFIT)		إحصائي المطابقة الخارجية (OUTFIT)	
			متوسط المربعات (MNSQ)	قيمة الاحصائي (ZSTD)	متوسط المربعات (MNSQ)	قيمة الاحصائي (ZSTD)
214	-0.96	0.51	1.51	2.10	2.21	2.90
169	-0.24	0.48	1.67	3.8	1.94	3.8

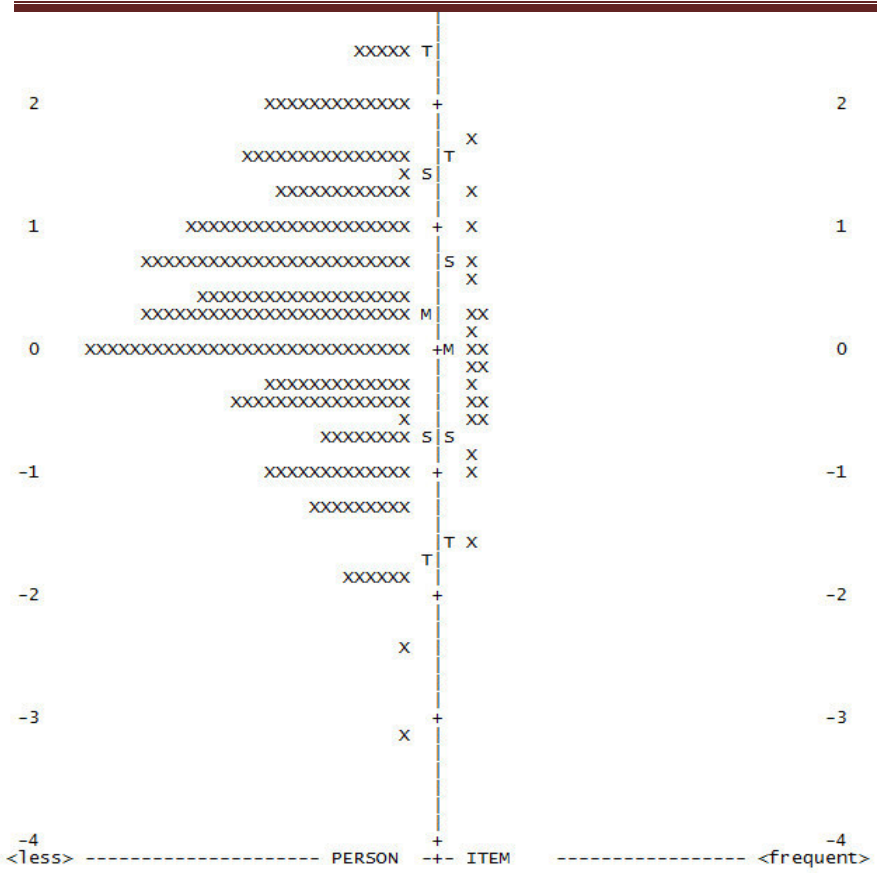
و بعد حذف الأفراد غير الملائمين تم إعادة تدريج الفقرات على متصل الصعوبة حيث تحصلنا على القيم التالية:

الجدول رقم (6) يبين تدريج البنود حسب الصعوبة

رقم البند	الصعوبة بالوجيت	الخطأ المعياري	إحصائي المطابقة الداخلية (INFIT)		إحصائي المطابقة الخارجية (OUTFIT)	
			متوسط المربعات (MNSQ)	قيمة الاحصائي (ZSTD)	متوسط المربعات (MNSQ)	قيمة الاحصائي (ZSTD)
20	0.59	0.14	1.32	5.5	1.41	4.4
15	1.28	0.15	1.18	2.5	1.24	2.0
6	-0.01	0.15	1.09	1.7	1.18	2.0
16	0.98	0.15	1.15	2.4	1.15	1.5
1	-1.01	0.17	1.10	1.1	1.13	0.9
3	0.25	0.14	1.09	1.7	1.07	0.8
14	1.72	0.17	1.05	0.6	1.07	0.5
19	0.20	0.14	1.03	0.6	1.07	0.8
2	-0.57	0.15	1.06	0.9	1.00	0.1
4	-0.45	0.15	1.02	0.4	0.95	-0.5
5	-1.57	0.19	1.00	0.1	0.89	-0.5
8	-0.33	0.15	0.91	-1.5	0.96	-0.4
11	-0.16	0.15	0.93	-1.15	0.96	-0.4
12	-0.86	0.16	0.90	-1.3	0.82	-1.3

7	-0.52	0.15	0.90	-1.6	0.79	-2.0
18	0.76	0.15	0.88	-2.2	0.83	-2.0
10	-0.03	0.15	0.88	-2.3	0.81	-2.2
13	-0.12	0.15	0.86	-2.3	0.81	-2.3
9	-0.32	0.14	0.86	-2.90	0.79	-2.7
17	-0.47	0.15	0.86	-2.4	0.79	-2.1

من خلال الجدول رقم (6) نستنتج أن قيمة صعوبة البند باستعمال وحدة اللوجيت تقع ضمن حدود (-2،2)، ومن خلال البرنامج المستعمل في دراستنا والمتمثل في Winsteps، فان مجال قبول صعوبة البنود تتراوح بين (-2،2)، أما من خلال دراستنا فتراوحت بين(1.57 -،1.72)، فكانت أقل قيمة لصعوبة البند رقم (5) بحيث بلغت الصعوبة باللوجيت (1.57 -)، وأعلى قيمة لصعوبة البند رقم (14) بحيث بلغت (1.72)



الشكل رقم (01) يمثل خارطة رايت Wright لتدريج الأفراد ومفردات الاختبار

- يظهر من خلال خارطة رايت Wright لتدريج الأفراد ومفردات الاختبار التحصيلي الخاص بتلاميذ السنة الثالثة ثانوي شعبة علوم تجريبية، أن مفردات الاختبار متسلسلة ،كما يلاحظ أن الاختبار جاءت كل مفرداته متسلسلة تقيس مجال قدرة متوسط بانحراف معياري ضئيل و هو مؤشر على مدى دقة القياس و صدقه.

6 - إستنتاجات عامة:

من خلال ما تم عرضه يمكن أن نستخلص مجموعة من الإستنتاجات والتي تتمثل في:

- **أن قيمة التباين الكلي غير المفسر بواسطة** (Raw unexplained variance) **أكبر أو يساوي** 20% **هذا مؤشر يعد مقبولا لأحادية البعد و نجد قيمته قد بلغت** 76.1% ، **و يسمى ببعد راش الأول البعد الأول يفسر** (2.9%) **من التباين و الذي يشار إليه من القيمة** (Unexplned variance in 2st contrast)، **و بما أن قيمته أقل من** 10% **فهذا مؤشر آخر على أحادية البعد.**

و نعتمد على محك آخر و هو قيم الجذر الكامن لنسبة التباين الذي يفسره العامل الثاني (Unexplned variance in 2st contrast) **إذ يجب ألا تتعدى قيمته** (3) **أو تكون أقل من ذلك و قد بلغت** (2.3) **وفق ما ورد في دليل استخدام برنامج** Winsteps.

- **لقد تم استبعاد التلميذ رقم** (214،169)، **وهم التلاميذ الذين لم تتطابق استجاباتهم مع توقعات النموذج فقد قام الباحث بإعادة التحليل الإحصائي مرة أخرى لمعرفة مدى مطابقة فقرات القائمة للنموذج**-Item Fit، **قد جرى تقدير معلم الصعوبة لكل فقرة والخطأ المعياري في قياس هذا المعلم، كما تم استخراج إحصائي المطابقة الداخلية، وإحصائي المطابقة الخارجية، وذلك لكل معلم من معالم الصعوبة**

- **من خلال خارطة رايت** Wright **لتدريج الأفراد ومفردات الإختبار التحصيلي الخاص بتلاميذ السنة الثالثة ثانوي شعبة علوم تجريبية، أن مفردات الاختبار متسلسلة ،كما يلاحظ أن الاختبار جاءت كل مفرداته متسلسلة تقيس مجال**

قدرة متوسط بانحراف معياري ضئيل و هو مؤشر على مدى دقة القياس و صدقه.

المراجع باللغة العربية

1. أبو جراد، حمدي ،(2011)، مدى التزام المعلمين بتحليل نتائج الاختبارات التحصيلية وعلاقته باتجاهاتهم نحوها، غزة: مجلة جامعة الزهر، سلسة العلوم الانسانية ، مجلد (13)، العدد (02).
2. امطانيوس، نايف مخائيل ،(2016)، القياس والتقويم في التربية وعلم النفس، ط1، الأردن: دار الاعصار العلمي للنشر والتوزيع.
3. سعد، عبد الرحمان ،(1998)، القياس النفسي النظرية والتطبيق، ط3، القاهرة: دار الفكر العربي.
4. الطراونة، صبري حسن خليل ،(2018)، أثر مموهات الاختبار من متعدد على تقدير الخصائص السيكومترية للفقرات وفق نظرية الاستجابة للفقرة، جامعة مؤتة، الأردن: مجلة جامعة الحسين بن طلال للبحوث، المجلد (4)، العدد (1)
5. علام، صلاح الدين ،(1986)، تطورات معاصر في القياس النفسي والتربوي، الكويت: مطابع التجارية.
6. علي معمر، عبد المؤمن ،(2008)، مصر: المجموعة العربية للتدريب والنشر.
7. نضال، كمال الشريفين ،(2009)، أثر نمط صياغة الفقرة في مقياس اتجاه الخصائص السيكومترية للفقرات وللمقياس وتقديرات القدرة للأفراد وفق نظرية الاستجابة للفقرة، العراق: مجلة العلوم التربوية والنفسية، جامعة اليرموك، المجلد(10)، العدد(4).

المراجع باللغة الاجنبية:

8. Masters, G. & Wright, B. (1984), The essential process in a family of measurement models , psychometrika: Vol.

9. Stocking .M . (1999) ,Item response theory, In G. Masters , & J. Keevs. Eds, Advances in Measurement in Educational Research and Assessment, The Boulevard: UK. Pergamon.

10. Hambleton R. K & Swaminathan, H.(1985), Item response theory principles and applications, Boston: Publishing Nijhoff .

11.Hambleton, K & Swaminathan, H. & Rogers, H. (1999), Fundamentals of item response theory. Newbury park: CA.Sag Publication.

مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ر ت م د: 7163 -1112 ر ت م د إ:2588-1892
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2

تأثير الضغوط النفسية على الأداء الوظيفي للعاملين بديوان الترقية والتسيير العقاري بسكيكدة

The Effect of Psychological Stress on the Job Performance of Employees in Skikda Property Development and Management Office

أمـال يـوب[1] ،إكرام بودبزة[2]
1 -جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة (الجزائر)، مخبر ECOFIMA
a.youb@univ-skikda.dz
2 -جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة (الجزائر)، مخبر ECOFIMA
i.boudebza@univ-skikda.dz

تاريخ الاستلام: 2019/03/07 تاريخ القبول: 2021/08/22

ملخص:

هدفت الدراسة إلى التعرف على مستوى الضغوط النفسية وأثرها على الأداء الوظيفي للعاملين بديوان الترقية والتسيير العقاري بولاية سكيكدة، ولتحقيق هذا الهدف تم إعداد استبيان يحتوي على (60) فقرة موزعة على محورين (الضغوط النفسية والأداء الوظيفي) كأداة رئيسية لجمع البيانات الأولية، وطبقت الدراسة على عينة من مجتمع الدراسة، تم من خلالها استرجاع (103) استبانات صالحة للتحليل. وقد خلصت الدراسة إلى وجود موافقة بدرجة متوسطة بخصوص المستوى العام للأداء الوظيفي والضغوط الشخصية كونها أكثر الضغوط التي يتعرض لها العاملون؛ يوجد أثر ذو دلالة إحصائية للضغوط النفسية على الأداء الوظيفي للعاملين ويتجسد هذا الأثر في الضغوط الأسرية، الضغوط الشخصية والضغوط الاجتماعية.

الكلمات الدالة:

الضغوط النفسية، الأداء، الأداء الوظيفي، ديوان الترقية والتسيير العقاري لولاية سكيكدة.

المؤلف المرسل: أمال يوب: amalyoub@yahoo.fr

Abstract:
The study aims to identify the level of psychological pressures and their impact on job performance of employees in Skikda property development and management office, To achieve this objective, a questionnaire containing (60) paragraphs, distributed in two axes (psychological pressures and job performance) was prepared as a key tool for collecting initial data, The study was applied to a sample of workers from the community of study, through which (103) valid questionnaires were retrieved for analysis. The study concluded that there was a moderate degree of approval regarding the general level of job performance and personal pressures as it is the most pressure on employees; there is a statistically significant effect on the employees' job performance, and this effect is reflected in family pressures, personal pressures and social pressures.

Key words:
Psychological Pressure, Performance, Job Performance, Skikda Property Development and Management Office.

1.مقدمة

تعتبر الضغوط ظاهرة إنسانية قديمة لقوله سبحانه وتعالى (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ)، تظهر نتيجة لمجموعة من الظروف والمواقف اليومية المختلفة التي يتعرض لها الأفراد وتؤثر على حياتهم الصحية والنفسية وكذا المهنية.

ونظرا لأن بيئة عمل المؤسسات المعاصرة تتسم بالتغير والمنافسة الشديدة باعتبار أننا نعيش في عصر السرعة والتطور التكنولوجي والانفتاح على العالم الخارجي، الأمر الذي يدفع المؤسسات إلى ضرورة تحسين أدائها وباعتبار العامل أساس نجاح أي مؤسسة من خلال الجهد الذي يبذله فإن الأمر يتطلب منه بذل قصارى جهده لتحقيق أهدافه وأهداف المؤسسة التي ينتمي إليها، ومن هنا أصبحت الضغوط النفسية من أبرز التحديات التي يتعرض لها العاملون في أي مؤسسة، وازداد اهتمام الباحثين في السنوات الأخيرة بدراستها نظرا لما تسببه من آثار سواء على المستوى الفردي، الجماعي، وحتى على مستوى المؤسسات، ويعتبر الأداء الوظيفي للعامل المؤشر الأول على مدى نجاح المؤسسة لذا وجب عليها الاهتمام بالعامل ومتابعة أدائه ومعرفة الضغوط التي يتعرض لها والحفاظ على

مستوى متوسط من الضغوط يساهم في تحفيز العاملين ورفع دافعيتهم نحو الانجاز وبالتالي رفع مستوى أدائه بصفة خاصة وأداء المؤسسة بصفة عامة.

إشكالية الدراسة: يعتبر الأداء الوظيفي من المتغيرات المهمة في أي مؤسسة فهو ينعكس مباشرة على مستوى أدائها وجودة منتجاتها وقدرتها على تحقيق الأهداف المسطرة، وهو ما دفع المؤسسات لمواكبة مختلف التطورات العلمية والتكنولوجية لتحسين أدائها، وذلك انطلاقا من تحسين أداء عمالها الذين يواجهون ضغطا نفسيا كبيرا نتيجة للتطورات والتحولات الاقتصادية، السياسية، الاجتماعية والثقافية التي تشهدها بيئة الأعمال المعاصرة إضافة إلى متطلبات الحياة المتزايدة التي ساهمت في زيادة مستويات الضغط النفسي لدى الأفراد. وقد أكدت العديد من الدراسات وجود علاقة بين الضغط النفسي والأداء الوظيفي، هذه الضغوطات ليست دائما سلبية فأحيانا تكون ايجابية وتساهم في تحسين انتباه الفرد وبذل جهود أكبر لتحقيق الأهداف المسطرة.

ويعتبر ديوان الترقية والتسيير العقاري لولاية سكيكدة من بين المؤسسات التي تهدف إلى تحسين الحالة الاجتماعية للأفراد، وتحقيق احتياجاتهم وتطلعاتهم، وفي إطار ذلك يتعرض عماله للعديد من المشاكل والضغوط اليومية المختلفة الشخصية، أو المهنية. وبما أن أداء المؤسسة مرتبط بالأداء الوظيفي للعامل الذي يخضع لمجموعة من الضغوط النفسية التي تؤثر عليه سلبا. فقد جاءت هذه الدراسة لتحديد الضغوط النفسية التي يتعرض لها العاملون بالمؤسسة محل الدراسة، ومدى تأثيرها على أدائهم الوظيفي. ومن أجل ذلك تم طرح الإشكالية التالية: إلى أي مدى تؤثر الضغوط النفسية التي يتعرض لها العاملون بالديوان الوطني للترقية والتسيير العقاري لولاية سكيكدة على مستوى أدائهم الوظيفي؟. وللإجابة على الإشكالية قمنا بصياغة التساؤلات الفرعية التالية:

-ما مستوى الضغوط النفسية التي يتعرض لها العاملون بالديوان محل الدراسة؟

-ما واقع الأداء الوظيفي للعاملين بالديوان محل الدراسة؟

-ما أثر الضغوط النفسية على الأداء الوظيفي للعاملين بالديوان محل الدراسة؟

فرضية الدراسة: تأسيسا على ما تقدم؛ وللإجابة على أسئلة الدراسة قمنا بصياغة الفرضية الرئيسية التالية: **يعاني العاملون بديوان الترقية والتسيير العقاري من ضغوط نفسية كان لها أثر على مستوى أدائهم الوظيفي.** تم تجزئتها إلى ثلاث فرضيات فرعية وهي:

-يعاني العاملون بالديوان محل الدراسة من ضغوط نفسية ذات مستوى عال.

-يتميز الأداء الوظيفي للعاملين بالديوان محل الدراسة بمستوى عال.

-يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.05) للضغوط النفسية على مستوى الأداء الوظيفي للعاملين بالديوان محل الدراسة.

أهمية الدراسة: تستمد الدراسة أهميتها من أهمية متغيراتها، وذلك من جانب علمي وآخر عملي. فمن الجانب العلمي تتضح أهمية الدراسة من أهمية الأداء الوظيفي الذي يعتبر ركيزة أساسية لنجاح المؤسسة، حيث أن تحسين مستوى الأداء الوظيفي مطلب أساسي لبقاء المؤسسة واستمراريتها، ونظرا لأن الأداء الوظيفي للموارد البشرية يتأثر بمجموعة من المتغيرات التي تحد من جودته، فإن الضغوط النفسية تعتبر من أهم العراقيل التي تتسبب في ذلك، كما تنعكس أهميتها العلمية في توضيح مفهومي الضغوط النفسية والأداء الوظيفي وتحديد أثر الضغط النفسي على الأداء الوظيفي، وبالتالي المساهمة في فتح المجال لدراسات أخرى في هذا المجال نظرا لأهميته بالنسبة للمؤسسات.

وتنعكس الأهمية العملية لهذه الدراسة في المساهمة بإيضاح أهمية الأداء الوظيفي للعاملين في تحسين أداء المؤسسة، نظرا لكون جودة أداء العامل تؤدي إلى الاستجابة لتطلعات المسيرين وجميع الأطراف التي لها علاقة بالمؤسسة مما يساهم في نجاحها، إضافة إلى تشخيص أي من الضغوط النفسية الأكثر انتشارا بين العاملين بديوان الترقية والتسيير العقاري لولاية سكيكدة، ومدى تأثيرها على مستوى أدائهم، خاصة وأن الضغط النفسي يشكل عائقا كبيرا أمام الفرد لأداء مهامه في ظل بيئة الأعمال المعاصرة التي تتميز بالديناميكية والتعقيد الشديد، وذلك بهدف البحث عن الحلول اللازمة للحد من الضغوط النفسية التي تعترض العمال بالمؤسسة نحل الدراسة وتحسين وتطوير أدائهم.

أهداف الدراسة: نسعى من خلال الدراسة الحالية لتحقيق الأهداف التالية:

-إلقاء الضوء على الضغوط النفسية في الأوساط المهنية، والكشف عن الضغوط الأكثر انتشارا بين العاملين بالديوان محل الدراسة؛

-تقييم مستوى الأداء الوظيفي للعاملين بالديوان محل الدراسة؛

-الكشف عن مدى تأثير الضغوط النفسية للعاملين بالديوان محل الدراسة.

المفاهيم الإجرائية:

-الضغوط النفسية: الضغوط النفسية هي عملية نفسية واجتماعية، تشير إلى إدراك الفرد لعدم قدرته على إحداث استجابة مناسبة للمواقف التي يواجهها في بيئته، وتهدد أمنه وسلامته وتسبب له ضعفا وتوترا (منى، 2014).

ويمكن تعريفها إجرائيا بأنها هي مجموعة من المثيرات الخارجية التي يتعرض لها العاملون بديوان الترقية والتسيير العقاري لولاية سكيكدة، والتي تؤثر على حالتهم النفسية نتيجة العراقيل المهنية والمشاكل الشخصية وبعض المشاكل الصحية التي يتعرضون لها.

-الأداء الوظيفي: هو الأثر الصافي لجهود الفرد التي تبدأ بالقدرات وإدراك الدور أو المهام والذي يشير إلى درجة تحقيق وإتمام المهام المكونة لوظيفة الفرد (أسعد أحمد، 2008)

هو مدى قدرة أحد الأفراد العاملين بديوان الترقية والتسيير العقاري على أداء المهام المنوطة بوظيفته، ويظهر هذا الأداء من خلال النتائج والأهداف المحققة بكفاءة وفاعلية.

2. الإطار النظري للدراسة:

1.2. الضغط النفسي:

1.1.2. مفهوم الضغط النفسي: لقد تعددت التعاريف المقدمة لمفهوم الضغط نظرا لتعدد وجهات نظر الباحثين ومجالات استخدامه. ويشير "Williams" أن مصطلح الضغوط من أكثر المصطلحات المعرضة لسوء الاستخدام من قبل الباحثين، حيث يتم استخدامها للتعبير عن السبب والنتيجة في نفس الوقت وذلك نتيجة للخلط بين مفهوم الضغط والضواغط(فاتح، 2008).

وباعتبار الضغط النفسي من المواضيع الهامة في شتى مجالات الحياة، فقد أدى هذا إلى تعدد التعاريف حول هذا المفهوم، فنجد من يعرفه بأنه "عبارة عن مزيج من ثلاثة عناصر أساسية وهي البيئة المحيطة بالفرد أو التي يعمل بها، والمشاعر ذات الطابع السلبي، بالإضافة إلى الاستجابات البدنية الصادرة من الفرد، وهذه العناصر تتفاعل مع بعضها البعض بطرق خاصة مما يثير في ذات الفرد القلق والغضب والاكتئاب"(سليمان، 1994). وينظر إليه أنه "مجموعة من المثيرات في البيئة الداخلية أو الخارجية بدرجة من الشدة والدوام، بما يثقل القدرة التكيفية للكائن الحي إلى حده الأقصى، والتي في ظروف معينة قد تؤدي إلى اختلال السلوك أو عدم التوافق أو الاختلال الوظيفي الذي يؤدي إلى المرض، وبقدر استمرار هذه الضغوط بقدر ما يتبعها من استجابات جسمية ونفسية وصحية تنعكس على الفرد"(عبد الله، علي، و مسعد، 2010). يعرف أيضا بأنه "حالة فيزيولوجية تؤدي إلى انخفاض الإنتاجية أو الكفاية أو القدرة على الاستمرار في العمل بسبب استمرار بدل الطاقة في انجاز العمل، هذا بالنسبة للعمل أما بالنسبة للفرد فيؤدي الأحاسيس والمشاعر المعقدة التي تضايق الفرد وتؤلمه"(فاتح، 2008).

يتضح أن الضغط النفسي هو مجموعة من المثيرات في البيئة الداخلية والخارجية التي تنتج عن بعض المواقف والمشاكل التي يتعرض لها، وتؤثر على صحته النفسية والجسمية، الأمراض الذي ينعكس على سلوكياته الشخصية وعلاقاته الإنسانية إضافة إلى علاقات العمل ومستوى أدائه الوظيفي.

2.1.2. أبعاد الضغط النفسي:

أ. الضغوط المهنية: وهي "مجموعة من المثيرات التي توجد في بيئة عمل الأفراد وينتج عنها مجموعة من ردود الأفعال تظهر في سلوك الأفراد في العمل أو في حالتهم النفسية والجسمانية أو في أدائهم لأعمالهم نتيجة تفاعل الأفراد مع بيئة عملهم التي تحوي الضغوط"(عبد القادر، 2007). أي أنها ناتجة عن ممارسة الأفراد للمهام والأنشطة الموكلة لهم في بيئة العمل، نتيجة للمتغيرات والمواقف والمشاكل المهنية كغموض المهام وعدم وضوح الأوامر، والعلاقات الإنسانية بين العاملين.

ب. الضغوط الأسرية: تعتبر الأسرة كيانا اجتماعيا فهي المسؤولة عن تكوين كائن اجتماعي قادر على التفاعل مع المجتمع والانخراط فيه والتأثير والتأثر به، مما يجعله قادرا على مواجهة ضغوط الحياة، غير أن الجو السائد داخل الأسرة كالخلافات الأسرية، صراع الأدوار الأسرية وغيرها تسبب الضغط والشعور بانعدام الأمان والطمأنينة، خاصة ما يتعلق بفقدان الحب والإحساس بإمكانية الفقد أو الخسارة مستقبلا(فاطنة و أمحمد، 2017).

ج. الضغوط الاجتماعية: هي مجموعة من الضغوط والمثيرات الخارجية التي تؤثر على الفرد وترتبط عادة بعلاقة الفرد بالمجتمع الذي يعيش فيه، فهي نتيجة لتجربة ذاتية يعيشها الفرد قد ينجح في مقاومتها والتغلب عليها أو يفشل فيتعرض للعديد من المشاكل والأمراض التي تنعكس عليه سلبا وتؤثر على علاقته بالمجتمع المحيط به(فاطنة و أمحمد، 2017).

ه. الضغوط الصحية: وهي ضغوط ترتبط بالصحة الجسمية الفيزيولوجية كالصداع وارتفاع ضغط الدم، أمراض القلب، الغثيان، الدوخة، صعوبات في النوم، العادات السيئة واختلال النظام الغذائي(ريمة، 2012).

2.2. الأداء الوظيفي:

1.2.2. مفهوم الأداء الوظيفي: قدم الباحثون عدة تعاريف للأداء، ويتضح وجود اختلاف بينهم في تحديد مفهوم موحد للأداء فهناك من ركز على أن الأداء هو درجة تحقيق الفرد للأهداف المنشودة، وهناك من ركز على مستوى المجهود الذي يبذله الفرد في المؤسسة. وقد ركزنا على دمج هذين البعدين في تعريف الأداء على أنه "المجهود الذي يبذله كل فرد في المؤسسة، وفي نفس الوقت يعبر عن مستوى ما يحققه كل فرد من الناحية الكمية وجودة العمل المطلوب والوقت المحدد للقيام به"(راوية، 2008).

ويعرف الأداء الوظيفي بأنه "عبارة عن سلوك يساهم به الفرد في التعبير عن مدى مساهمته في تحقيق الأهداف الموضوعة من طرف المؤسسة وبمستوى مرتفع من الجودة"(مصطفى و عبد السلام، 2017). فهو يشير إلى "كيفية انجاز أو إحراز نشاط ما، وتحديد الطريقة التي تم تنفيذه بها ، بمعنى أنه يشير إلى كفاية المؤسسة في إحراز أهدافها وكيفية استخدامها لمواردها في ضوء معايير الفعالية والكفاية، أي أن الأداء الوظيفي هو ما يمكن أن يتخذ من إجراءات

وتصرفات لتحقيق نتيجة محددة لعمل معين"(سهام، 2014). كما يعرف أيضا بأنه "قدرة الفرد على تحقيق التوقعات الوظيفية في نواحي عديدة مثل: كمية الإنتاج، جودة الإنتاج، والتخطيط والتعاون والاعتمادية، والجهد والعناية في العمل والابتكار والإبداع"(عمر محمد، 2008).

مما تقدم من تعاريف؛ يمكن القول أن الأداء الوظيفي هو مجموعة من السلوكيات والمجهودات الذهنية والبدنية التي يبذلها العاملون أثناء ممارسة مهامهم، كأداء مهامهم في الوقت المحدد، الالتزام باللوائح والقوانين، إدراك أهداف المؤسسة، العمل على تحسين أدائه لتحقيق الجودة والإنتاجية المطلوبة لنجاح المؤسسة.

2.2.2. معايير الأداء الوظيفي: ويمكن إبراز هذه المعايير في النقاط التالية (خالد نظمي، 2018):

أ. المعرفة بالعمل: وتشمل المعارف العامة والمهارات الفنية والمهنية عن الوظيفة والأهداف الواجب تحقيقها واللوائح والقوانين التي تضبط العمل.

ب.جودة العمل: وتتمثل في مدى إدراك العاملين للعمل الذي يقومون به، وما يمتلكون من رغبة وقدرات ومهارات وبراعة للاستفادة منها في أداء مهامهم.

ج. الإنتاجية: أو ما يطلق عليه كمية العمل المنجز أي المقدار الذي يستطيع الفرد انجازه في الظروف العادية ومقدار سرعة أداء المهام الرئيسية والإضافية(زكريا و عمر، 2018).

د. تخطيط وتنظيم العمل: وتتعلق بقدرة العامل على التخطيط للمهام المنوطة به وتنظيمها، وقدرته على المشاركة في اتخاذ القرارات الإدارية المتعلقة بعمله.

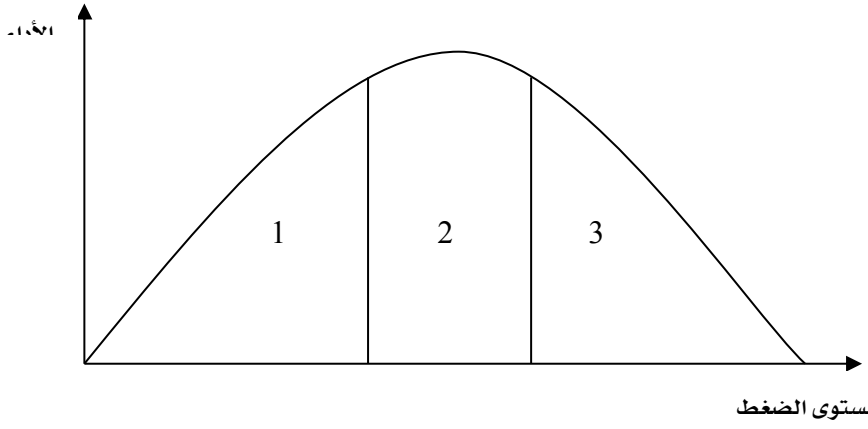
ه. علاقات العاملين: وهي العلاقة التي تنشأ بين الزملاء في العمل والتي ينشأ عنها تحسين الأداء الوظيفي، وكذا العلاقة مع الرؤساء والتي لها أهمية كبيرة في نجاح المؤسسة من خلال سعي الرئيس إلى التطوير والتحسين المستمر لأداء العاملين(محمد، 2011).

3.2. علاقة الضغط بالأداء الوظيفي للعاملين:

إن آثار الضغط النفسي وانعكاساته سواء الايجابية منها أو السلبية لا تقتصر على الفرد بحد ذاته وإنما تتجاوزه لتنعكس على المنظمة التي يعمل بها

باعتباره العنصر الأهم في العملية الإدارية لأي منظمة، وهذا بالتأكيد سيؤثر على الأداء الوظيفي. يعتبر الضغط النفسي سلاحا ذو حدين للمنظمة، فالعلاقة بين الأداء والضغط هي علاقة معتدلة فلابد من وجود الضغط لتحقيق الانجاز ورفع مستوى دافعية الأفراد نحو العمل ويحفزهم على أداء المهام الموكلة إليهم بكفاءة وهو ما يطلق عليه بالضغط الايجابي، غير أن تجاوز الضغط النفسي للمعدل المتوسط (المعتدل أو الطبيعي) يفقده قيمته وفائدته ويتحول إلى طاقة مدمرة يترتب عليها عجز وعدم قدرة الفرد على مواجهة الظروف ومن ثم الاستسلام والتراجع والفتور، وتظهر آثار الضغوط النفسية على أداء العاملين في شكل تكرار تغيب العاملين، الأخطاء المهنية، إصابات العمل، انخفاض الإنتاجية، عدم جودة الإنتاج، كثرة الخلافات مع الزملاء وعدم القدرة على الانسجام معهم(سليمان، 1994). وقد وصفت منظمة الصحة العالمية الضغط النفسي بأنه الوباء الصحي للقرن الحادي والعشرين، وقد أكدت الإحصائيات أن الشركات الأمريكية تحملت تكاليف تصل قيمتها إلى 300 مليار دولار أمريكي سنويا نتيجة للآثار السلبية والمدمرة للضغط على الصحة النفسية والجسمية للعاملين، وقد أكدت دراسة أمريكية حديثة أن أكثر التكاليف التي تتحملها المؤسسات هي ناتجة عن التأثير السلبي للضغط على أداء الفرد في العمل وإنتاجيته وهذا ما أكده 50% من الأفراد الذين أجريت عليهم الدراسة(George، 2017). والشكل التالي يوضح ذلك:

شكل 1: العلاقة بين الضغط والأداء



المصدر: الطريري عبد الرحمن بن سليمان (1994)، الضغط النفسي (مفهومه، تشخيصه، طرق علاجه ومقاومته)، على الرابط: https://www.psyco-dz.info، ص 92.

نلاحظ من خلال الشكل أن الضغط النفسي قد تكون له آثار ايجابية أو سلبية على مستوى الأداء الوظيفي، وهذا ما سيتم تفسيره فيما يلي:

-تشير المنطقة (1) إلى وجود علاقة طردية بين الضغط والأداء فكلما ارتفع مستوى الضغط رافقه ارتفاع في مستوى الأداء الوظيفي للفرد، وفي هذه الحالة يكون الضغط الذي يتعرض له العاملون ضغطا ايجابيا، أي أن هذه الضغوط تعمل كحافز يعزز دافعية الأفراد نحو الانجاز.

-تشير المنطقة (3)إلى وجود علاقة عكسية بين الضغط والأداء، فنلاحظ أنه كلما ارتفع مستوى الضغط عن مستواه الطبيعي انخفض مستوى الأداء، وفي هذه الحالة الضغط الذي يتعرض له العامل هو ضغط سلبي يؤثر سلبيا على مستوى الأداء، ويعمل كمثبط (عائق) يستنزف قدرات الفرد تجاه العمل ويخلق نحو من التوتر وعدم الرغبة في العمل فتنخفض مستوى دافعية الأفراد للإنجاز.

- أما المنطقة (2) فتشير إلى وجود علاقة متوازنة بين الضغط والأداء، وهذا يدل على وجود مستوى معتدل من الضغوط يساهم في تحسين أداء العامل ويصل إلى ذروته نتيجة إلى ارتفاع مستوى دافعيته للعمل.

مما سبق؛ يتضح أنه لا يجب القضاء على الضغوط النفسية التي يتعرض لها العاملون بصفة كلية، وهذا ما أكدته العديد من الدراسات أي أن العامل يجب أن يعمل تحت مستوى معين (معتدل) من الضغط الذي يسمح له بتقديم أداء أفضل ويشجعه على الانجاز وتحسين أدائه الوظيفي(سحراء، 2013).

3. الدراسة الميدانية وتحليل النتائج:

1.3. إجراءات الدراسة:

1.1.3. حدود الدراسة:

-الحدود الموضوعية: ركزت هذه الدراسة على تحديد علاقة التأثير بين الضغوط النفسية للعاملين والتي تم الاعتماد فيها على الأبعاد المتمثلة في (الضغوط المهنية، الضغوط الأسرية، الضغوط الشخصية، الضغوط الاجتماعية

والضغوط الصحية)، والأداء الوظيفي للعاملين والذي تم الاعتماد فيه على الأبعاد الممثلة في (المعرفة بالعمل، جودة العمل، الإنتاجية، تخطيط وتنظيم العامل، توقيت العمل، وعلاقات العاملين)؛

-الحدود المكانية: تم اختيار ديوان الترقية والتسيير العقاري لولاية سكيكدة كدراسة حالة ممثلة للمؤسسات الناشطة في نفس مجالها، بما أنه يتلاءم مع موضوع الدراسة؛

-الحدود الزمنية: تمت المعالجة التطبيقية لموضوع الدراسة خلال شهر جوان 2020؛

-الحدود البشرية: شملت الدراسة الميدانية عينة من العاملين بديوان الترقية والتسيير العقاري لولاية سكيكدة، وعددهم 167 عامل.

2.1.3. منهج الدراسة: فيما يتعلق بالجانب النظري للدراسة؛ اعتمدنا المنهج الوصفي والذي يسمح بوصف الظاهرة محل الدراسة، وذلك بالاستناد إلى أهم ما جاء به الأدب النظري من كتب ورسائل جامعية ودوريات علمية حول الضغوط النفسية والأداء الوظيفي للعاملين. **أما** في الجانب الميداني؛ فقد تم الاعتماد على الاستمارة كأداة رئيسية لجمع المعلومات من العاملين، وكذلك المنهج الوصفي للربط بين متغيرات الدراسة وتحليل النتائج وتفسيرها للوصول إلى أهم النتائج والتوصيات التي نأمل أن تساهم في تطوير الواقع وتحسينه.

3.1.3.مجتمع وعينة الدراسة: تمثل مجتمع الدراسة في العاملين بالديوان محل الدراسة والبالغ عددهم (394) عاملا. والعينة يجب أن تكون ممثلة للمجتمع، ومن هذا المنطلق فقد اخترنا عينة عشوائية معبرة وذلك اعتمادا على نموذج رابطة التربية الأمريكية وفقا للمعادلة التالية:

$$n = \frac{\mathrm{X}^2.N.P(1-P)}{\mathrm{D}^2(N-1)+\mathrm{X}^2.P(1-P)}$$

حيث:

n: حجم العينة؛

X^2: إحصائية كاي مربع عند درجة ثقة (95%) ودرجة حرية واحدة، وتقدر X^2= 3.841؛

N: حجم المجتمع وهو 394 عامل؛

P: النسبة المقدرة للدراسة وقد تم اختيار نسبة (25%) التي تتعلق بتجانس المجتمع، بحيث كلما كان المجتمع متجانس كلما قلت هذه النسبة والعكس صحيح؛

D^2: نسبة الخطأ المسموح به وقد حددت ب 0.05، أي 0.0025 =D^2.

وبعد تطبيق النموذج على مجتمع الدراسة تم الحصول على عينة قدرها 167 عاملا.

تم توزيع الاستمارة على عينة الدراسة البالغ عددها (167)، واسترجع منها (110) استمارات فقط، حيث استبعدت (7) استمارات لعدم استكمال بعضها لشروط ملئها، ليصبح المجموع الكلي للاستمارات القابلة للدراسة (103) أي بنسبة استجابة قدرها (61.67%) من مجموع العينة المستهدفة.

4.1.3. أداة الدراسة: تم اعتماد الاستبانة كأداة للدراسة بغرض تحديد مدى تأثير الضغوط النفسية التي يتعرض لها العاملون بديوان الترقية والتسيير العقاري لولاية سكيكدة على مستوى أدائهم الوظيفي. وقد تم تصميمها بعد الاطلاع على الأدب النظري والعديد من الدراسات السابقة التي تناولت موضوع الدراسة.

ومن بين الدراسات السابقة التي تم الاعتماد عليها لبناء أداة الدراسة نجد: دراسة (جبالي صباح، 2012) حول الضغوط النفسية واستراتيجيات مقاومتها والتي ركزت على أبعاد الضغوط العضوية، الانفعالية، الصحية، الاجتماعية، الوظيفية والمادية. دراسة (تنهيد عادل فاضل البيرقدار، 2011) حول الضغط النفسي وعلاقته بالصلابة النفسية، والتي ركزت على الضغوط الأسرية، الضغوط المالية، الضغوط الدراسة، الضغوط الشخصية والاجتماعية. ودراسة (وداد بلكرمي، 2013) حول أثر الأنماط القيادية على الأداء الوظيفي والتي ركزت على القدرة على العمل، الرغبة في العمل، فرص النمو والتقدم الوظيفي، بالإضافة إلى دراسة (قرواني نظمي، 2018) حول درجة تأثير الصراع التنظيمي في الجامعات الفلسطينية على الأداء الوظيفي، التي ركزت على المعرفة بمتطلبات العمل، نوعية العمل، كمية العمل المنجز، المثابرة والوثوق، تحمل المسؤولية وعلاقات العاملين.

وقد تضمنت الأداة ثلاثة محاور أساسية:

- **المحور الأول:** يتضمن البيانات الشخصية لأفراد عينة الدراسة (الجنس، العمر، المؤهل العلمي، الخبرة)؛
- **المحور الثاني:** يتضمن المتغير المستقل (الضغوط النفسية) موزعة على خمسة أبعاد جزئية:
  - الضغوط المهنية: وتتكون من 14 عبارة؛
  - الضغوط الأسرية: وتتكون من 07 عبارات؛
  - الضغوط الاجتماعية: وتتكون من08عبارات؛
  - الضغوط الشخصية: وتتكون من 07عبارات؛
  - الضغوط الصحية: وتتكون من 04عبارات.
- **المحور الثالث:** يتضمن المتغير التابع (الأداء الوظيفي) موزعة على ستة أبعاد جزئية:
  - المعرفة بالعمل: يضم03 عبارات؛
  - جودة العمل: يضم 04عبارات؛
  - الإنتاجية: يضم هذا البعد عبارتين (02)؛
  - تخطيط وتنظيم العمل: يضم 04عبارات؛
  - توقيت العمل: يضم 03 عبارات؛
  - علاقات العاملين: ويضم04 عبارات.

وذلك وفق مقياس "**ليكرت الخماسي**" كما يوضحه **الجدول1**

جدول1: درجات مقياس الدراسة "ليكرت الخماسي"

التقدير	غير موافق تماما	موافق	محايد	غير موافق	غير موافق تماما
الدرجات	1	2	3	4	5
الفئة	1.80 -1	2.60 - 1.81	3.40 -2.61	4.20 -3.41	5 -4.21
المستوى	منخفضة جدا	منخفضة	متوسطة	مرتفعة	مرتفعة جدا

المصدر: عز حسن عبد الفتاح (2008)، مقدمة في الإحصاء الوصفي والاستدلالي باستخدامSPSS، ط 1، دار الخوارزم العلمية للنشر، السعودية، ص ص 540 -541.

بعد جمع الاستبانات وتفريغها في برنامج SPSSV.19، تم إخضاعها لمجموعة من الأساليب الإحصائية لغرض الإجابة عن إشكالية الدراسة وفرضياتها.

5.1.3. صدق وثبات أداة الدراسة: يعد الصدق من أهم الشروط التي ينبغي أن تتوفر في الأداة، وتكون صادقة إذا قاست فعلا ما وضعت لقياسه.

أ. الصدق البنائي: يبين مدى ارتباط كل بعد من أبعاد الدراسة بالدرجة الكلية للاستبانة، كما هو موضح في الجدولين 2 و3:

جدول 2: معامل ارتباط "بيرسون" بين أبعاد الضغوط النفسية والدرجة الكلية للمحور

	الضغوط المهنية	الضغوط الأسرية	الضغوط الاجتماعية	الضغوط الشخصية	الضغوط الصحية
مستوى الدلالة	.0000	.0000	.0000	.0000	.0000
معامل الارتباط	.816**0	.435**0	.667**0	.780**0	.704**0

المصدر: من إعداد الباحثين اعتمادا على برنامج (SPSS)

** معاملات ارتباط دالة عند مستوى دلالة (0.01)

جدول3: معامل ارتباط "بيرسون" بين أبعاد الأداء الوظيفي والدرجة الكلية للمحور

	المعرفة بالعمل	جودة العمل	الإنتاجية	تخطيط وتنظيم العمل	توقيت العمل	علاقات العاملين
مستوى الدلالة	.0010	.0000	.0000	.0000	.0000	.0000
معامل الارتباط	0 .466**	.709**0	.768**0	.715**0	.762**0	.717**0

المصدر: من إعداد الباحثتين اعتمادا على برنامج (SPSS)

** معاملات ارتباط دالة عند مستوى دلالة (0.01)

من خلال الجدولين 2 و3نلاحظ أن جميع محاور أداة الدراسة معاملات ارتباطها موجبة، حيث تراوحت بين (0.435 و0.816) أي بين متوسطة وقوية جدا، وهي دالة إحصائيا عند مستوى دلالة (0.01) ما يؤكد أن جميع محاور الدراسة صادقة لما وضعت لقياسه.

ب. ثبات أداة الدراسة: للتأكد من ثبات أداة الدراسة تم الاستعانة بمعادلة

"**كرونباخ ألفا**"، وجاءت النتائج موضحة في الجدول 4 كما يلي:

جدول 4: قيم معاملات الثبات لأداة الدراسة

محاور أداة الدراسة	عدد الفقرات	معامل " كرونباخ ألفا"
محور الضغوط النفسية	40	0.86
محور الأداء الوظيفي	20	0.83
معدل ثبات الأداة ككل	**60**	**0.80**

المصدر: من إعداد الباحثتين اعتمادا على برنامج(SPSS)

يوضح الجدول 4 أن قيم معاملات "كرونباخ ألفا" لمحاور أداة الدراسة تراوحت بين (0.80 و0.86) وهي قيم مرتفعة وأكبر من النسبة المقبولة 60٪ ، ما يدل على وجود ثبات عال وهذا ما يؤكد صلاحية الأداة للدراسة التطبيقية.

6.1.3. أساليب المعالجة الإحصائية: بعد الانتهاء من جمع البيانات وتفريغها، تمت معالجة البيانات إحصائيا باستخدام برنامج (SPSSV.19) وفقا لأسئلة الدراسة على النحو التالي: التكرارات والنسب المئوية لوصف عينة الدراسة؛ معاملات الارتباط "بيرسون" للتأكد من صدق الاتساق الداخلي بين الفقرات والمجال التابعة له؛ معادلة "كرونباخ ألفا" لحساب معاملات الثبات لأداة الدراسة؛ للإجابة على السؤالين الأول والثاني تم استخدام الإحصاء الوصفي المتمثل في المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية؛ للإجابة على السؤال الثالث تم استخدام الإحصاء الاستدلالي المتمثل في تحليل الانحدار المتعدد والتوزيع الطبيعي.

2.3. تحليل نتائج الدراسة واختبار الفرضيات:

1.2.3. وصف خصائص عينة الدراسة من حيث المتغيرات الشخصية:

تشير نتائج الدراسة أن ما نسبته 57.3% من أفراد العينة هم ذكور والباقي 42.7%هم إناث والذين يتوزعون عدديا: 59، 44 على التوالي، أي أنه يوجد تقارب في التوظيف بين الجنسين على مستوى ديوان الترقية والتسيير العقاري. في حين نجد أن ما نسبته 52.4% تتراوح أعمارهم بين 26 و35 سنة وما نسبته 33.0% من الفئة العمرية 36 و45 سنة في حين النسبة الباقية 14.6%لأقل من 25 سنة، أي أنه يوجد تركيز على الفئات الشابة لأجل الاستفادة من قدراتهم في أداء

مختلف وظائفهم. أما توزيعهم من حيث المؤهل العلمي فنجد أن ما نسبته 59.2% لهم مستوى جامعي ويمثلون 61 عاملا، تليها النسبة 20.4% لهم مؤهل ثانوي والذين يمثلون عدديا 21 عاملا، تليها نسبة 09.7% من حاملي شهادة الدراسات العليا، بينما تمثل نسبة 10.7%من ذوي المؤهل المتوسط والذين يمثلون عدديا 11 عاملا، أي التركيز على الكفاءات. أما من حيث الخبرة فنجد أن الفئة أقل من 5 سنوات تحتل الصدارة بنسبة 43.7% وهذا يدل على سياسة التشبيب المتبعة من خلال استقطاب الفئات الشابة وأصحاب الكفاءات، و31.1%من أفراد عينة الدراسة تتراوح خبرتهم بين 11 و15 سنة، والنسبة الباقية تتوزع بين الفئتين من 6 إلى 10 سنوات وأكثر من 16 سنة 20.4% و4.9%على التوالي.

2.2.3. النتائج المتعلقة بالإجابة عن السؤال الأول: ينص السؤال الأول على: **"ما مستوى الضغوط النفسية التي يتعرض لها العاملون بالديوان محل الدراسة؟"**. للإجابة تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات أفراد عينة الدراسة، وجاءت النتائج موضحة في الجدول 5.

جدول 5: المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمستوى الضغوط النفسية للعاملين بالديوان محل الدراسة

الضغوط النفسية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الدرجة	الرتبة
الضغوط المهنية	3.05	0.56	متوسطة	02
الضغوط الأسرية	3.01	0.48	متوسطة	03
الضغوط الاجتماعية	2.86	0.79	متوسطة	04
الضغوط الشخصية	3.10	0.60	متوسطة	01
الضغوط الصحية	2.84	0.06	متوسطة	05
المستوى العام للمحور	**2.99**	**0.45**	**متوسطة**	-

المصدر: من إعداد الباحثتين اعتمادا على برنامج (SPSS)

توضح نتائج الجدول 5 أن المستوى العام لمعاناة العاملين بالديوان محل الدراسة من الضغوط النفسية باختلاف مصادرها بلغ (2.99) بانحراف معياري (0.45). وقد تراوحت المتوسطات الحسابية لتقديرات أفراد عينة الدراسة حول

درجة معاناة العاملين بالديوان محل الدراسة من الضغوط النفسية ما بين (2.84 و3.10)أي بدرجة متوسطة، حيث أنه:

جاءت الضغوط الشخصية في المرتبة الأولى وبأعلى متوسط حسابي بلغ (3.10) بدرجة متوسطة، وهذا يدل على المشكلات والصفات الشخصية التي تميز الأفراد عن بعضهم البعض هي الأكثر تسببا في الضغوط النفسية التي يعاني منها العمال، ويتضح ذلك من خلال استجابات أفراد عينة الدراسة وهذه الضغوط ترتبط بالغضب السريع وغير المبرر والمزاج المتقلب بمتوسطات حسابية (3.90)، (3.71) على التوالي بدرجة عالية.

وفي المرتبة الثانية، جاءت الضغوط المهنية بمتوسط حسابي (3.05) بدرجة موافقة متوسطة، وهذا يدل على أن المشاكل والمواقف التي تعترض العاملين أثناء أداء مهامهم تعتبر مصدرا أو مسببا رئيسيا للضغط النفسي، ويتضح كذلك أن أكثر ما يسبب الضغط للعاملين هو قلة البرامج التدريبية، عدم الرضا عن المرتب وبطء إجراءات الترقية الوظيفية بمتوسطات حسابية (4.11)، (3.64)، (3.69) على التوالي بدرجة موافقة عالية.

أما الضغوط الأسرية في المرتبة الثالثة بمتوسط حسابي (3.01) وبدرجة متوسطة كذلك، وهذا يدل على أن أفراد عينة الدراسة يعانون من بعض المواقف الأسرية التي تنغص عليهم حياتهم النفسية كالخلافات الأسرية، فقدان الأمان، الإحساس بإمكانية الفقد، وهذا ما أكدته النتائج حيث أن فقدان أحد أفراد العائلة، الخلافات الأسرية، فقدان العمل والتي جاء بدرجة موافقة عالية بمتوسطات حسابية (4.90)، (3.80) و(4.00) على التوالي.

لتأتي الضغوط الاجتماعية في المرتبة الرابعة بمتوسط حسابي (2.86) وبدرجة موافقة متوسطة، وهي ضغوط ناتجة عن علاقات الشخص مع الآخرين ومع البيئة التي يتعامل معها، وقد أكدت النتائج أن أغلب هذه الضغوط تنجم عن حب الذات والرغبة في التفوق على الجميع، التوتر نتيجة اختلاف الآراء مع الآخرين، عدم اعتراف الآخرين بإنجازاتهم والتي جاءت بمتوسطات حسابية (3.33)، (3.25)، (3.21) على التوالي.

وأخيرا الضغوط الصحية بمتوسط حسابي (2.84) بدرجة موافقة متوسطة، والتي تدل على أن المشاكل الصحية التي تعترض العاملين تتسبب في ضغوط

نفسية، وترتكز هذه المشاكل الصحية في التعب والإرهاق، والصداع أثناء أداء المهام بمتوسط حسابي (3.45)، (3.36) على التوالي.

مما سبق؛ يمكن القول أن الفرضية الأولى **غير محققة** والتي تنص على: **"يعاني العاملون بالديوان محل الدراسة من ضغوط نفسية ذات مستوى عال"**. وبالتالي قبول الفرضية البديلة التي تنص على أنه: يعاني العاملون بديوان الترقية والتسيير العقاري بسكيكدة من ضغوط نفسية ذات مستوى متوسط.

3.2.3. النتائج المتعلقة بالإجابة عن السؤال الثاني: ينص السؤال الثاني على: **"ما واقع الأداء الوظيفي للعاملين بالديوان محل الدراسة؟"**. للإجابة على هذا السؤال تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية، وجاءت النتائج كما هي موضحة في الجدول 6:

جدول 6: المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للأداء الوظيفي للعاملين بالديوان محل الدراسة

الأداء الوظيفي	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الدرجة	الرتبة
المعرفة بالعمل	3.33	0.53	متوسطة	02
جودة العمل	3.75	0.45	مرتفعة	01
الإنتاجية	3.05	0.71	متوسطة	05
تخطيط وتنظيم العمل	3.15	0.72	متوسطة	04
توقيت العمل	3.16	0.60	متوسطة	03
علاقات العاملين	3.07	0.52	متوسطة	06
المستوى العام للمحور	**3.27**	**0.40**	**متوسطة**	-

المصدر: من إعداد الباحثتين اعتمادا على برنامج (SPSS)

توضح نتائج الجدول رقم6 أن المستوى العام لتقديرات أفراد عينة الدراسة لأدائهم الوظيفي بلغ (3.27) بانحراف معياري (0.40). وقد تراوحت المتوسطات الحسابية لتقديرات أفراد عينة الدراسة حول درجة الأداء الوظيفي ما بين (3.75 و3.05) أي بدرجة موافقة متوسطة وعالية. وقد جاءت الأبعاد مرتبة كالتالي:

بُعدجودة العمل جاء في المرتبة الأولى بدرجة موافقة عالية بلغ فيها المتوسط الحسابي (3.75)، حيث تدل آراء أفراد عينة الدراسة على أنهم يمتلكون مهارات وإمكانيات يستخدمونها في أداء مهامهم بجدية وتفاني.

بُعد المعرفة بالعمل جاء في المرتبة الثانية بدرجة موافقة متوسطة بلغ فيها المتوسط الحسابي (3.33)، وتدل على إدراك أفراد عينة الدراسة لمتطلبات العمل والأهداف التي تسعى المؤسسة لتحقيقها وكذا إدراكهم لكافة اللوائح والقوانين التي تضبط أداء المهام.

بُعد توقيت العمل جاء في المرتبة الثالثة بدرجة موافقة متوسطة بلغ فيها المتوسط الحسابي (3.16)، وهذا يدل على أن أفراد عينة الدراسة يستثمرون وقتهم في أداء المهام المنوطة بهم والاستمتاع بوقت العمل وعدم التغيب عن العمل إلا للضرورة.

بُعد تخطيط وتنظيم العمل جاء في المرتبة الرابعة بدرجة موافقة متوسطة بلغ فيها المتوسط الحسابي (3.15)، وهذا يدل على امتلاك العاملين القدرة على التخطيط لأداء المهام وتنفيذها بانتظام.

بُعد الإنتاجية جاء في المرتبة الخامسة بدرجة موافقة متوسطة بلغ فيها المتوسط الحسابي (3.07)، وهذا يدل على أن العاملين ينجزون أعمالهم في الوقت المحدد كما يقومون بإنجاز بعض المهام الإضافية.

بُعد علاقات العاملين جاء في المرتبة الأخيرة بدرجة موافقة متوسطة بلغ فيها المتوسط الحسابي(3.05)، وهذا يدل على أن علاقات العاملين فيما بينهم ومع المسؤولين تتميز بالتفاهم والاحترام ولو بشكل نسبي.

مما سبق؛ يمكن القول أن الفرضية الثانية غير **محققة** والتي تنص على: "يتميز الأداء الوظيفي للعاملين بالديوان محل الدراسة بمستوى عال". وبالتالي يتم قبول الفرضية البديلة والتي تنص على أنه يتميز الأداء الوظيفي للعاملين بديوان الترقية والتسيير العقاري بسكيكدة بمستوى متوسط.

4.2.3. النتائج المتعلقة بالإجابة عن السؤال الثالث: ينص السؤال على: "ما أثر الضغوط النفسية على الأداء الوظيفي للعاملين بالديوان محل الدراسة؟". للإجابة عليه تم استخدام "تحليل الانحدار المتعدد" للكشف عن مدى وجود علاقة تأثير للضغوط النفسية على الأداء الوظيفي للعاملين بالديوان محل الدراسة، وجاءت النتائج موضحة في الجدول 8. وقبل البدء في تحليل اختبار الانحدار المتعدد تم التأكد أولا من أن البيانات تتبع التوزيع الطبيعي، وهو ما يوضحه الجدول 7:

جدول 7: اختبار التوزيع الطبيعي لأداة الدراسة (كولمنجروف سيمرنوف)

محتوى المحاور	قيمة Z	حجم العينة	مستوى الدلالة SIG
الأداة ككل	0.803	103	0.540

المصدر: من إعداد الباحثتين اعتمادا على برنامج (SPSS)

يوضح الجدول 7 أن قيمة مستوى الدلالة الإحصائية (**SIG**) المرتبطة بمحاور الدراسة ككل أكبر من (0.05) وهو ما يؤكد أن البيانات الخاصة بأداة الدراسة تتبع التوزيع الطبيعي.

جدول رقم8: اختبار تحليل الانحدار المتعدد لأثر الضغوط النفسية على الأداء الوظيفي للعاملين بالديوان محل الدراسة

	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	قيمة (F)	مستوى الدلالة	معامل التحديد (R^2)	معامل الارتباط (R)
الانحدار	9.099	5	1.820	23.275	0.000	0.545	0.739
الخطأ	7.584	97	0.078	-	-		
المجموع	16.683	102	-	-	-		

المصدر: من إعداد الباحثتين اعتمادا على برنامج (SPSS)

يلاحظ من خلال الجدول 8 أنه توجد علاقة ارتباط موجبة بين الضغوط النفسية والأداء الوظيفي للعاملين بالديوان محل الدراسة وهذا من خلال معامل الارتباط "بيرسون" الذي بلغت قيمته (**R=0.739**)،وتفسر الضغوط النفسية ما مقداره (54%.5) من التباين الكلي في الأداء الوظيفي، وذلك بالاعتماد على قيمة (R^2) وهي قيمة مرتفعة تدل على أن ما مقداره (54%.5) من التراجع في الأداء الوظيفي للعاملين يعود للضغوط النفسية التي يتعرضون لها أما النسبة المتبقية (45.5%) فتعزى لعوامل أخرى أو تعزى للخطأ.

كما يتضح أنه يوجد أثر ذو دلالة معنوية عند مستوى دلالة (0.05) للمتغيرات المستقلة (الضغوط النفسية) على الأداء الوظيفي للعاملين وذلك بالنظر إلى قيمة (**SIG**)التي بلغت (0.000) وهي أقل من مستوى الدلالة (0.05) ما يعني أنه يوجد أثر للضغوط النفسية مجتمعة أو لأحدها على الأداء الوظيفي للعاملين وهو ما سيتم التعرف عليه من خلال الجدول 9:

جدول 9: تحليل الانحدار المتعدد لقوة تأثير الضغوط النفسية على الأداء الوظيفي للعاملين بالديوان محل الدراسة

المتغيرات المستقلة	المتغير المعتمد	المعاملات غير المعلمية		المعاملات المعلمية	قيمة T	مستوى الدلالة
		B	Std.Error	قيمة Beta		
الثابت (constant)		3.519	0.264	-	13.322	0.000
الضغوط المهنية	الأداء الوظيفي	0.025	0.083	0.035	0.305	0.761
الضغوط الأسرية		0.431	0.073	0.516	5.921	**0.000**
الضغوط الاجتماعية		-0.319	0.047	-0.624	-6.750	**0.000**
الضغوط الشخصية		-0.320	0.122	-0.442	-2.614	**0.010**
الضغوط الصحية		0.101	0.055	0.267	1.856	0.066

المصدر: من إعداد الباحثتين اعتمادا على برنامج (SPSS)

❖❖دالة عند مستوى دلالة (0.05)

يتضح من الجدول 9مدىتأثيركل بعد من أبعاد الضغوط النفسية على الأداء الوظيفي للعاملين بالديوان محل الدراسة، وقد أظهرت نتائج الجدول أنه ومن بين المتغيرات المستقلة الخمس يوجد أثر ذو دلالة إحصائية لثلاثة أبعاد وهي "الضغوط الأسرية" و"الضغوط الاجتماعية" و"الضغوط الشخصية" التي كان لها تأثير ايجابي في المتغير التابع (الأداء الوظيفي)وذلك بالنظر إلى القيمة الاحتمالية(**SIG**)التي بلغت (0.000)، (0.000)، (0.010) على التوالي وهي أقل من مستوى الدلالة (0.05). بينما لا يوجد أثر لكل من "الضغوط المهنية" و"الضغوط الصحية" إذ بلغت قيمة الدلالة لهذين البعدين على التوالي (0.761) و (0.066) وهي غير دالة إحصائيا. ويمكن تفسير ذلك أن الضغوط النفسية التي يتعرض لها العاملون أثرت على مستوى الأداء الوظيفي للعاملين،

لكن على الرغم من الضغوط التي يتعرض لها العمال إلا أنهم يحرصون على تقديم وبذل قصارى جهدهم لتحسين جودة المهام المقدمة.

مما سبق؛ يمكن القول أن الفرضية الثالثة محققة والتي تنص على: **"يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.05) للضغوط النفسية على مستوى الأداء الوظيفي للعاملين بالديوان محل الدراسة"**. وبالتالي فإنه يتم رفض الفرضية البديلة التي تنص على أنه لا يوجد أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.05) للضغوط النفسية على مستوى الأداء الوظيفي للعاملين بالديوان محل الدراسة.

4. خاتمة

تناولنا في هذه الدراسة موضوعين مهمين في بيئة الأعمال، الأول يتعلق بالضغوط النفسية ممثلة في الضغوط المهنية، الأسرية، الشخصية، الاجتماعية وأخيرا الضغوط الصحية، والثاني الأداء الوظيفي للعاملين. فالموظفون يتعرضون للعديد من المثيرات التي تؤثر على نفسيتهم وتنعكس على مستوى أدائهم ونظرا لكون نجاح المؤسسة مرتبطا بقدرة موظفيها ونجاحهم وكفاءتهم، وتطور مستواها مرتبط بالأداء الوظيفي للعاملين. وقد حاولنا من خلال هذه الدراسة الكشف عن مدى تأثير الضغوط النفسية على مستوى الأداء الوظيفي للعاملين بديوان الترقية والتسيير العقاري بولاية سكيكدة، ومن خلال التحليل النظري والجانب التطبيقي توصلت الباحثتين إلى أن العاملين بالديوان محل الدراسة يتعرضون لمجموعة من الضغوط والتي تؤثر على مستوى أدائهم الوظيفي، وهو ما يؤكد صحة الفرضية المطروحة.

1.4. النتائج:

-للضغط النفسي علاقة معتدلة مع الأداء، فالضغط المعتدل يُعد دافعا ومحفزا للفرد لتحقيق الانجازات وتطوير مستوى أدائهم (الضغط الايجابي). في حين الضغط العالي يعد عائقا ومثبطا لجهود الفرد ويدفعه للفتور وانخفاض الرغبة في تحقيق التفوق؛

-يُعد أداء العاملين المحرك الأساسي لنجاح المؤسسة وتحقيق أهدافها المسطرة في الوقت المحدد؛

-كشفت نتائج الدراسة أن مستوى الضغوط النفسية التي يتعرض لها العاملون بالديوان محل الدراسة جاءت بدرجة موافقة متوسطة بمتوسط حسابي (2.99) وانحراف معياري (0.45)؛

-أظهرت النتائج أن الضغوط الشخصية هي الأكثر انتشارا بين العاملين بالديوان محل الدراسة بمتوسط حسابي (3.10)، والتي تتعلق غالبا بشخصية الفرد ومزاجه المتقلب وعدم تحكمه في تصرفاته والغضب السريع؛

-الضغوط المهنية بمتوسط حسابي (3.05) وتتعلق أغلبها بعدم مواكبة أفراد عينة الدراسة لمتغيرات بيئة العمل والتطورات التي تمس وظائفهم بسبب قلة البرامج التدريبية المستمرة وعدم اهتمام المؤسسة بتحسين المسار الوظيفي للعامل؛

-الضغوط الأسرية بمتوسط حسابي قدره (3.01) وتتجلى هذه الضغوط في الخلافات الأسرية والغياب النسبي للأمان الأسري؛

-الضغوط الاجتماعية بمتوسط حسابي قدره (2.86) والناجمة عن العلاقات الاجتماعية وما يعتريها من حب الذات والرغبة في التفوق على الآخرين وعدم الاعتراف بما يقدمونه مهما كانت درجة جودته وأهميته؛

-جاءت الضغوط الصحية في المرتبة الأخيرة بمتوسط حسابي (2.84)وقد ركز أفراد عينة الدراسة على أن أغلب المشاكل الصحية التي يعانون منها ناجمة عن الضغوط المهنية اليومية؛

-أفادت نتائج الدراسة أن مستوى الأداء الوظيفي للعاملين بالديوان محل الدراسة جاء بدرجة موافقة متوسطة بمتوسط حسابي (3.27).

-العاملون بالديوان محل الدراسة يولون اهتماما أكبر لبُعد جودة العمل في أداء مهامهم إذ حصل هذا البُعد على أعلى متوسط حسابي بلغ (3.75)، حيث يتمتع أفراد عينة الدراسة بمهارات وقدرات تسمح لهم بالإبداع وتقديم مهامهم بأفضل شكل. يليهبُعد المعرفة بالعمل بمتوسط حسابي (3.33)، أي مساهمة المعرفة بالعمل من أداء المهام في الوقت المناسب وبالكيفية الصحيحة،

-بُعدي"توقيت العمل" و"تخطيط وتنظيم العمل" بمتوسط حسابي (3.16) و (3.15) على التوالي، وهذا ما يؤكد قدرة العاملين على التخطيط لأداء مهامهم واستغلال الوقت اللازم لذلك لتقديم مهامهم في الوقت المناسب، وأخيرا

بُعد الإنتاجية بمتوسط حسابي (3.05). وجاء أخيرا بُعد علاقات العاملين بمتوسط حسابي (3.05) مما يدل على أن العلاقة فيما بين العاملين جيدة نسبيا.

-أوضحت النتائج أنه يوجد أثر للضغوط النفسية على الأداء الوظيفي للعاملين بالديوان محل الدراسة، ويتجسد الأثر في الضغوط الشخصية والأسرية والاجتماعية، بينما لا يوجد أثر معنوي للضغوط المهنية والضغوط الصحية.

2.4. توصيات الدراسة: في ضوء نتائج الدراسة يمكن تقديم التوصيات التالية:

-توعية المسؤولين بأهمية تحديد مستوى أداء العاملين ومتابعته، وتحديد الضغوط التي من شأنها أن تؤثر على مستوى أدائهم والتعامل معها؛

-ضرورة تفويض جزء من الصلاحيات للمرؤوسين وفق مهامهم ومنحهم فرصة المشاركة في اتخاذ القرارات المتعلقة بمهامهم؛

-توفير البرامج التدريبية اللازمة وبشكل مستمر لتطوير مهارات العاملين ورفع كفاءتهم؛

قائمة المراجع:

المراجع باللغة العربية:

أسعد أحمد محمد عكاشة (2008)، أثر الثقافة التنظيمية على مستوى الأداء الوظيفي، رسالة ماجستير، كلية التجارة، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، ص 33.

بن رحمون سهام (2014)، بيئة العمل الداخلية وأثرها على الأداء الوظيفي، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، ص 65.

بياض مصطفى، مخلوفي عبد السلام (2017)، تطبيقات إدارة الجودة الشاملة ودورها في تحسين أداء العاملين: المركز الجامعي تندوف نموذجا، مجلة مجاميع المعرفة، الجزائر، المجلد 3، العدد 5، ص 84.

حسن سحراء أنور (2013)، قياس تأثير ضغوط العمل على مستوى الأداء الوظيفي، مجلة كلية بغداد للعلوم الاقتصادية الجامعة، العراق، العدد 36، ص 214.

محمد بوقليع (2011)، العدالة التنظيمية وأثرها في تحسين أداء العاملين، رسالة ماجستير، كلية إدارة الأعمال، جامعة الشرق الأوسط للدراسات العليا، الكويت، 09.

راوية محمد حسن (2008)، إدارة الموارد البشرية، الدار الجامعية، مصر، ص 209.

صديق زكريا. بن جيمة عمر(2018)، دور القيادة الإدارية في التأثير على أداء العاملين بالمؤسسة الاقتصادية، مجلة البشائر الاقتصادية، الجزائر، المجلد 6، العدد 14، ص 147.

صندلي ريمة (2012)،الضغوط النفسية واستراتيجيات المواجهة المستعملة لدى المراهق المحاول للانتحار، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة فرحات عباس، سطيف، الجزائر، ص 47.

الطريري عبد الرحمن بن سليمان (1994)، الضغط النفسي (مفهومه، تشخيصه، طرق علاجه ومقاومته)، على الرابط: https://www.psyco-dz.info، ص ص 10 - 90 -91.

عبد القادر أحمد سالم (2007)، مصادر الضغوط المهنية وأثارها في الكليات التقنية في محافظة غزة، رسالة ماجستير، كلية العلوم المهنية والتطبيقية، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، 09.

عبد الله الضريبي، نحيلي علي، مسعد النجار (2010)، أساليب مواجهة الضغوط النفسية المهنية وعلاقتها ببعض المتغيرات، مجلة جامعة دمشق، سوريا، المجلد 26، العدد 4، ص 678.

العبودي فاتح(2008)، الضغط النفسي وعلاقته بالرضا الوظيفي، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، ص ص 4 - 13.

عمر محمد درة (2008)، العدالة التنظيمية وعلاقتها ببعض الاتجاهات الإدارية المعاصرة، دار الرضوان للنشر والتوزيع، مصر، ص 125.

فاطنة بومدين، دلاسي أمحمد (2017)، الضغوط الاجتماعية والعوامل الوراثية وعلاقتها بالأمراض المزمنة، مجلة العلوم الاجتماعية، الجزائر، المجلد 6، العدد 24، ص ص 176 -179.

قرواني خالد نظمي (2018)، درجة تأثير الصراع التنظيمي في الجامعات الفلسطينية على الأداء الوظيفي للعاملين فيها من وجهة نظرهم، مجلة دراسات وأبحاث، الجزائر، المجلد 8، العدد 25، ص420.

منى بنت عبد اله بن نبهان العامرية (2014)، أبعاد مفهوم الذات لدى العاملات وغير العاملات وعلاقته بمستوى الضغوط النفسية والتوافق الأسري بمحافظة الداخلية، رسالة ماجستير، كلية العلوم والآداب، جامعة نزوى، عمان، الأردن، ص 27.

المراجع باللغة الأجنبية:

George Fink (2017), Stress: Definition and History, Reference Module in Neuroscience and behavioral Psychology, Elsevier, P 01.

الملاحق:

الضغوط النفسية	
الضغوط المهنية	الضغوط الاجتماعية
أشعر بالعزلة المهنية في مكان عملي	أعاني من عدم اعتراف الآخرين بإنجازاتي
أشعر بالضيق لتجاهل المسؤولين لآرائي	ليس لدي القدرة على الاعتراف بأخطائي
أشعر بعدم تقبل من زملائي عند تفوقي	أجهد نفسي لكسب ثقة الآخرين
لا يقدر المسؤولين عملي مهما كان متميزا	يتدخل الآخرين في شؤوني الخاصة
يقيد المسؤولين حريتي أثناء أداء مهامي	أعاني من صعوبة إقامة علاقات اجتماعية
عدم امتلاك القدرة لحل المشاكل المهنية	أعاني من التوتر عند اختلاف الآراء
أعاني من ضغوط تتعلق ببطء الترقية	أتمسك بآرائي ولا أتقبل النقد
أعاني من قلة البرامج التدريبية	يجب أن أكون دائما أفضل من الجميع
أفتقر إلى روح العمل الجماعي مع زملائي	**الضغوط الشخصية**
أعاني من نقص الدافعية للقيام بعملي	أعاني من المزاج المتقلب غير المستقر
أتقاضى مرتبا أقل مما أستحق	أعاني من الغضب السريع وغير المبرر
أشعر بالغيرة من تفوق زملائي	سوء الحظ يلازمني دوما
ليس لدي علاقات خارج نطاق العمل	أعاني من قلة الصبر
أعاني من نقص التركيز عند ممارسة مهامي	أعاني من الوحدة في غالب الأحيان

الضغوط الأسرية	أعاني من التردد وعدم الثقة في قدراتي
تزعجني فكرة فقدان أحد أفراد عائلتي	لا أجيد الحوار والانتقاد البناء
أعاني من الضيق بسبب خلافات عائلية	**الضغوط الصحية**
تزعجني فكرة فقدان أحد أفراد أسرتي لعمله	أعاني من مشاكل صحية تسبب لي الضيق والاكتئاب.
يزعجني الوضع الاقتصادي السيئ لعائلتي	أشعر بعدم الرضا عن مظهري الخارجي.
أختلف مع أفراد عائلتي بسبب إهمالهم آرائي	أعاني من الصداع أثناء أداء مهامي
أفتقد للأمان وسط عائلتي	أعاني من الشعور المتكرر بالإرهاق والتعب
تنتابني هواجس تفكك عائلتي	
الأداء الوظيفي	
المعرفة بالعمل	أمتلك القدرة على التخطيط لنجاح عملي
لدي معلومات كافية لمتطلبات أداء عملي	أدائي يوصف من قبل المسؤولين بالكفاءة
أدرك أهداف مؤسستي وأعمل على تحقيقها	أشارك في اتخاذ القرارات المتعلقة بعملي
ألتزم باللوائح والقوانين أثناء أداء مهامي	غالبا أجد حلولا مناسبة لمشكلاتي المهنية
جودة العمل	**توقيت العمل**
أبذل قصارى جهدي لأداء وظائفي	لا أتغيب عن عملي إلا للضرورة
قدرتي على إنجاز مهامي جيدة	أقوم بإنجاز المهام الموكلة إلي في وقتها
أستفيد من خبرتي لأبدع في العمل	الوقت يمر بسرعة نظرا لاستمتاعي عند أداء العمل
أتناقش مع زملائي في مسائل العمل لتحسين الأداء	**علاقات العاملين**
الإنتاجية	علاقتي بالمسؤولين تتسم بالثقة والاحترام
أنجز جزءا كبيرا من مهامي اليومية	أستطيع تنسيق أنشطتي مع أنشطة زملائي
أنجز بعض المهام الإضافية	يستشيرني زملائي في الأمور التي يجهلونها نظرا لخبرتي وإلمامي بالعمل
تخطيط وتنظيم العمل	أتعاون مع زملائي لأداء المهام في مختلف المستويات الإدارية

مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ر ت م د: 7163 -1112 ر ت م د إ:1892-2588
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2

أنشطة منهاج التربية الإيمانية وانعكاساتها على القيم الروحية والنظرية للمتعلم دراسة على عينة من متعلمي السنة الأولى متوسط

The activities of the "Faith Education curriculum" and their effect on the spiritual and theoretical values of the learner: A study on a sample of first year -Middle school- learners.

إبراهيم تامتلت

1- [1] جامعة غرداية ، مخبر الجنوب الجزائري للبحث في التاريخ والحضارة الإسلامية، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، tamehim@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/03/15 تاريخ القبول: 2021/06/21

الملخص –

يهدف البحثُ إلى مَعْرِفَةِ انعكاسات القيم المتضمنة في أنشطة منهاج التربية الإيمانية "السنة الأولى متوسط أنموذجا" على القيم الروحية والنظرية للمتعلم، انطلاقا من مكانة الإيمان ومستوى رسوخه في وجدان المتعلم تَتَحدّد مستوى القيم العلمية وشدّتها، حيث نتوقع أنها عاملا مهما في نجاح المتعلم في تحصيله العلمي خلال مساره الدراسي ونجاحه في مواقف الحياة –الآنية منها والمستقبلية –، على هذا يُقدّم الموضوع دراسة ميدانية عن توجيه الإيمان للقيم النظرية المتمثلة في العلمية والتفكير الموضوعي والاستدلال.. وذلك على عينة من طلبة السنة الأولى متوسط، بالتالي إبراز مكامن الأثر الذي يتركه هذا المنهاج على قيم طفل المرحلة الثالثة من مراحل الطفولة.

تمّ استخدام المنهج الوصفي في دراسة متغيرات الدراسة، مستخدمين في ذلك بطاقة تحليل مضمون القيم في المنهاج الدراسي ومقياس مستوى القيم الروحية والنظرية لقياس مستوى القيم لدى المتعلم، والأداتان من إعداد الباحث،

المؤلف المرسل: إبراهيم تامتلت: tamehim@gmail.com

وخلصت الدراسة إلى أنّ منهاج التربية الإيمانية يضم عددا معتبرا من القيم كما يترك أثرا إيجابيا على قيم المتعلم.

الكلمات الدالة-

أنشطة المنهاج، التربية الإيمانية، القيم الروحية، القيم النظرية.

Abstract-

The aim of the research is to know the implications of the values included in the activities of the "Faith Education curriculum" -The First Year of middle school as a sample- on the spiritual and theoretical values of the learner. Based on the position of faith and the level of its anchoring in the consciousness of the learner, the level and intensity of scientific values are determined, as they are the basis for the learner's success in his educational attainment during his academic career and for his good dealing with life situations - both immediate and future ones-; Accordingly the research presents a field study on the faith's guiding of the theoretical values which are scientificity, objective thinking and inference .. and that on a sample of the first year -middle school students , thus highlighting the points of impact that this curriculum leaves on the values of the third stage child.

Both content analysis and the test of the level of spiritual and theoretical values were used. The study concluded that the "Faith Education curriculum" has a positive impact on the values of the learner.

Key words-

curriculum activities; faith education; spiritual values; theoretical values.

1. - مقدمة

تُشكل القيم الروحية اللَّبِنات الأساسية للأفرد والمجتمعات، حيث تعد المبادئ والأحكام والأصول الثابتة التي تقوم بضبط تصديق المؤمن وإقراره بالله تعالى، فهي تمثل الميثاق والنظام الذي يقوم على أساسه مرضاته تعالى وسعادة الإنسان دنيا وأخرى، تستند هذه القيم على عبادة قلبية عميقة تتمثل في وحدانية الله تعالى وما يتبع ذلك من أركانها، تَتَّسم بكونها حساسة باطنية سرّية لا معلنة، قد تخفى على الناس لكنها عند الله واضحة جلية، عليها يحاسب العبد يوم الجزاء، من جهة أخرى يظهر الإيمان في سلوك الفرد متمثلا في قيم صحيحة أو قيم خاطئة، تتدرج في عمقها من الخفيف إلى الراسخ، وهو ما يُطلق عليه بـ"بُعْدِ الشدة في القيمة، سواء في الاتجاه الموجب أو الاتجاه السالب، وفي ضوء ذلك تتحدد درجة الأداء الفعلي للنشاط اليومي.

في هذا البحث سنتعرض إلى مفهوم التربية الإيمانية وإلى القيم الروحية والنظرية (العلمية)، كما سنركز على انعكاسات أنشطة التربية الإيمانية على القيم الروحية والقيم النظرية (العلمية) حيث تظهر في دافعية المتعلم وفاعليته.

1. الإشكالية:

يعد بلوغ النواة الداخلية للمتعلم أمرا شاقا وصعب المنال، لذا ساهم العديد من الباحثين بدراسات في الموضوع خاصة ما تعلق منها بتقدير الذات والدافعية ونظريات التعلم.. أمام هذه المساهمات الجادة؛ نجد ضرورة ملحة للمساهمة بشق هام في الموضوع؛ يتعلق هذا بجوهر الإنسان من خلال مفهومي الإيمان والقيم.

تناولت الفلسفات المختلفة مسألة القيم بوجهات نظر متعددة، وتجسدت كل وجهة منها في الواقع في صيغة برامج وتطبيقات، حيث رأت الفلسفة الوجودية أن القيم حرية شخصية، فالإنسان هو من يحدد القيمة التي يسلكها وفقا لقناعاته وأفكاره "حرية مطلقة"، وفي شبيه بهذا التوجه تحدث الاتجاه الفوضوي أن لا قيم

في المنظومة البشرية ولا تعني شيئا بالنسبة للإنسان، فكل مخير فيما اختاره وحدده وفق آرائه واتجاهاته، بينما تحدث "أوجست كونت" في ضوء فلسفة الاجتماع عن أن القيم نواة المجتمع في ضوئه تتحدد شخصية الفرد، عن طريق امتزاج بين قيم الواقع الاجتماعي والقيم الأخلاقية المتداولة، ويعد هذا حديث عن أهمية المجتمع لا الفرد، وفي مسار آخر ذهب ديوي في إطار الفلسفة البراجماتية إلى أن القيم هي ما تحققه لنا من منفعة، بعيدا عن أهميتها أو جوهرها السامي، فما يحقق لنا مقصدا نفعيا يعد قيما مرغوبة فيها؛ وما لا يحقق ذلك يعد غير مرغوب فيها، وفي زاوية أخرى رأت الفلسفة الطبيعة أن لا داع من تقديس القيم على أساس جوهرها أو مكمنها اللاهوتي، ودعت إلى ضرورة اعتبار القيمة قيمة عند ممارستها وعيشها في الواقع، إذ هي من صلب ما نحياه ونرغب فيه.

مقابل ذلك تأتي التربية الإيمانية لتحقيق سعادة المتعلم في الدارين بما تغمر به قلبه ووجدانه من سكينة على النفس والأمن على الممتلكات لقوله تعالى "الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمْ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ" (سورة الأنعام، الآية 82)، وبما تحققه من طهارة للقلب من الحسد والأحقاد وتثبيت له عند الأزمات، مقابل سواد المحبة والأخوة وسمو النفس عن الماديات، حيث يقي بذلك نفسه من المعاصي والمهلكات ليكون له ذلك سببا في النجاة من الشقاء دنيا ومن العذاب أخرى.

تبرز القيم في فلسفة التربية الإسلامية فيما تسعى إليه المناهج التربوية في مختلف مجالات المواد العلمية منها والأدبية والشرعية والإنسانية والاجتماعية والفنية والرياضية، نخص في هذا البحث محرك ما سبق متمثلا في أنشطة مواضيع مناهج التربية الإيمانية، حيث تهدف إلى تكوين متعلم فاعل؛ مؤثر في أقرانه بصورة خاصة وفي البيئة بصورة عامة، ذلك من خلال غرس مفهوم التقويم الذاتي لدى المتعلم، حتى يستشعر الرقابة الإلهية في كل مكان وزمان، وذلك بالمفاهيم الروحية المتضمنة فيه؛ للرجوع إليه -الخالق - في

السراء والضراء في السر والعلن في القول والفعل، وإلى غرس قناعات داخلية للاهتمام بالعلم والتعلم؛ لتركيزه على صورة غائية بعيدة عن الأهداف الآنية.. بالتالي تصحيح تصورات نتج عنها اضطرابات ومشكلات تربوية لدى أبنائنا وصعب علاجها؛ كاعتبار الشهادة غاية، الغش في الاختبارات، عدم الاهتمام بالتعلم واللامبالاة.

من خلال ما سبق نصل إلى تحديد التساؤلات الآتية:

1.1 تساؤلات الدراسة -

- ما مفهوم التربية الإيمانية ومبرراتها؟ وما أسس مناهج الاستقامة للمناهج الشرعية؟
- ما مدى تضمين القيم الروحية والنظرية في أنشطة منهاج التربية الإيمانية للسنة الأولى متوسط؟
- ما مستوى القيم الروحية والنظرية لدى طلبة السنة الأولى متوسط انطلاقا من أنشطة منهاج التربية الإيمانية؟

1.2 أهداف البحث: يهدف البحث إلى:

- تحديد مفهوم التربية الإيمانية والإحساس بضرورتها انطلاقا من مبرراتها، مع التعرف على أسس مناهج الاستقامة للمناهج الشرعية.
- حصر القيم الروحية والنظرية المتضمنة في أنشطة منهاج التربية الإيمانية للسنة الأولى متوسط.
- إبراز أثر الدافع الروحي للتعلم بعيدا عن ما تداولته نظريات التعلم وركزت عليه، سواء ما تعلق منها بالجانب السلوكي أو المعرفي، حيث يعد التفكير في الجانب الروحي أساس منظومة التربية الإسلامية وحقيقتها "اقرأ باسم ربك الذي خلق، وهذا ما نقف عليه في مستوى القيم لدى عيّنة من طلبة السنة الأولى متوسط.

1.3 أهمية البحث -

- **الاهتمام بجوهر المنظومة التربوية متمثلا في المناهج التعليمية، وبالخصوص الأنشطة التعليمية كونها الترجمة الحقيقية للمنظومة، فتعلم التلميذ لا يتم من خلال جودة صياغة الأهداف أو الغايات أو صياغة الكفاءات، بقدر ما يكون من واقع الأنشطة التي يتجاوب معها يوميا في بيئة الصف.**
- **الاهتمام بجوهر الفرد باعتبار اهتمام الدراسة بناتج المنظومة القيمية من خلال فعالية أداء الجانب الإيماني للفرد، ومدى تشبعه بمفاهيمه باعتبارها النواة الداخلية المحركة له.**

1.4 المفاهيم الإجرائية:

- **منهاج التربية الإيمانية إجرائيا: مجموعة من الخبرات المتكاملة، تمّ عرضها في شكل أنشطة تعليمية تعلمية وتقويمية، موجهة لطلبة السنة الأولى متوسط، تتعلق بتنشئة المتعلم على الإيمان تنشئة صحيحة متوازنة، تجمع بين معرفة المتعلم لأركان الإسلام والإقرار بها كقناعة راسخة في قلبه، وبين تجلي الإيمان سلوكا سويا إيجابيا في حياته اليومية؛ من أداءٍ أمثلَ للفرائض وحسنٍ للتصرف تُجاه الآخرين، ويتمّ تحديد القيم المتضمنة في المنهاج ببطاقة تحليل محتوى تضم 14 قيمة موزعة على مجالين (للقيم الروحية 07، 07 للقيم النظرية)**
- **ارتقاء القيم: مجموعة محددات ومعايير تستند على تفضيلات أو حاجات أو رغبات معيّنة تقوم بتحديد سلوك الفرد واتجاهه نحو مختلف مواضيع الحياة، تعطي لها مكانتها لدى المتعلم حسب حاجته لها واهتمامه بها، وفي هذا المقال سنركز على القيم الروحية والقيم النظرية، التي يتمّ قياسها باختبار يتكون من ثمانية قيم موزعة على مجالين (05 للقيم الروحية، 03 للقيم النظرية)، حيث تمّ تحديد الإجابة على القيمة المختارة بطريقة الاختيار من متعدد، أي كل قيمة لها ثلاثة عبارات كل عبارة تشكل مستوى معين (الإلزام، التفضيل، المثال)، يختار المتعلم العبارة التي تتوافق معه.**

- القيم الروحية: ميل المتعلم الشديد لمعرفة حقيقة ما وراء الطبيعة، ومعرفة أصل الإنسان وخالقه ومصيره، والإيمان بوجود قوة عظيمة تسيطر وتتحكم في العالم وتوجهه فيسعى باستمرار إلى معرفتها أو إلى الارتباط بها والتقرب منها.
- القيم النظرية: اهتمام المتعلم بالمعرفة واكتشاف الحقيقة والسعي نحو التفوق والإنجاز العلمي، وتجسد نمط المتعلم ذا الاهتمام بالمطالعة والبحث والإبداع مع تحلي سلوكه بالتفكير العلمي والموضوعية والاتزان.

2. الجانب النظري:

2.1 التربية الإيمانية -

- مفهوم التربية الإيمانية:

- "تربية الطفل منذ نشأته على الارتباط بالله عز وجل في كل حركاته وسكناته، ومعرفة أركان الإيمان، وتعويده على أركان الإسلام، وتعليمه ما يناسب سنه من مبادئ الشريعة السمحة، وهذه التربية هي الأهم بل وأول ما يبدأ به المربي مع ولده في تعليمه، لأنها تمثل قاعدة الانطلاق، والأساس لما بعدها من مجالات تربية الطفل"

(شريف، سبتمبر 2018، https://www.alukah.net/social)

- تربية الطفل على أمرين؛ على الإيمان بالله واليوم الآخر وأركان الإيمان الأخرى باعتبارها مبعث الصفات الإنسانية والاجتماعية الأمثل، على الالتزام بآداب الإسلام وأداء فرائضه والتمسك بأحكامه، باعتباره نظاما شاملا لكافة مجالات الحياة، ليكون بذلك الأمر الأول غرس للبذور والثاني رعاية لها"(مصطفى، 2006، ص47 -48)
- من المفهومين السابقين يتجلى لنا مفهوم التربية الإيمانية على أنها تنشئة المتعلم على الإيمان تنشئة صحيحة متوازنة، تجمع بين معرفة المتعلم لأركان الإسلام والإقرار بها كقناعة راسخة في قلبه، وبين تجلي الإيمان سلوكا سويا إيجابيا في حياته اليومية؛ من أداءٍ أمثلَ للفرائض وحسنٍ

للتصرف تُجاه الآخرين، اعتبارا للخلفية الروحية الراسخة التي على أساسها تتوهج الدافعية نحو الموضوعات الأخرى؛ بداية بقيمة العلم والعمل.

- التربية الإيمانية؛ مبرراتها، ضرورتها وأهميتها:

- مبررات التربية الإيمانية: يؤدي الاهتمام بالتربية الإيمانية إلى تحريك ضمير الفرد الداخلي، كونها الدافع الرئيس في الحركة والعمل، بل لابد أن يربط كل ما يقوم به الإنسان بتحقيق رضا الله تعالى، حتى يصير فردا حكيما في مواجهة المشاق والتحديات التي يعيشها في واقعه، كما لا يصح أن تكون تربية مهمشة أو ثانوية في إطار الكماليات؛ لأن اعتبار ذلك يؤدي بانحراف الفرد وفقدانه لدافع الحياة "حياة بلا طعم" ولو كان إنسانا ناجحا في ميدان من ميادين الحياة الأحرى؛ الميدان الاقتصادي مثلا، ومن هذا المنطلق لا يمكن للتربية أن تكون ناجحة تؤدي مهامها المنوطة بها من رعاية للفرد وتوجيهه؛ دون أن تقوم على قاعدة صلبة متمثلة في "التربية الإيمانية"، وفي هذا الصدد أورد أويس (2020) مجموعة مبررات منها:
- تولد التربية الإيمانية طاقة للفرد ودافعية داخلية حتى يقوم بواجباته في الحياة؛ قاصدا غاياته المنشودة دون كلل أو ملل.
- تنمية الوازع الداخلي للمتعلم حتى يحرص على السلوك السوي ويجد في الحفاظ عليه؛ مراعيا ذلك بالتقويم الذاتي ومحاسبة النفس، والاعتراف بالتقصير والخطأ حال حدوثه.
- تعمل على الرقي بسلوك المتعلم واصطفائه عن دنايا الأمور إلى أعاليها، لا أقول يصير معصوما -باعتبار بني آدم جبلوا على الخطأ -، غير أني أقول المسارعة إلى التوبة والاستغفار حال صدور خطأ عنه "عمدا أو غير عمد".
- الحرص على التفكير الإيجابي لدى الأفراد تجاه مواضيع الحياة "الحلوة منها والمرة" من منطلق قرآني (قُل لَّنْ يُّصِيبَنَآ إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُومِنُونَ(51)) التوبة. الآية 51.

- العمل على وضوح المقصد والغاية في الأمور الدنيوية بخلفية روحية، فما من إنسان يخرج ساعيا وراء رزقه مراعيا في ذلك أمر الله ونواهيه.. إلا ومات شهيدا، وما من متعلم درس الرياضيات والعلوم واللغات الأجنبية بقصد ابتغاء رضوان الله والتزاما بأمره في التعلم؛ إلا وكان في مصاف الصديقين والنبيئين والشهداء، من هذا ينطلق المتعلم مندفعا شغوفا بما ينجز من أعمال.
- تعد شحنة في الصبر على المحن والشدائد، بل الاستثمار فيها وتحويلها إلى إنجازات وانتصارات، فأزمة الاحتلال والمحاولات الجادة في تنصير الشعب الجزائري باءت بالفشل أمام صلابة أصول المجتمع ومتانة مبادئه حفاظا على موروثه ومعتقده السليم الرفيع، وقد كان للمدارس القرآنية والزوايا دورا بارزا في مواجهة المخططات التي سعت لمحو الشخصية الوطنية الإسلامية.
- إقناع الآخرين والتأثير فيهم؛ بطهارة القلب وصفاء السريرة ووضاءة الوجه.. صفات أكرم الله بها من يخش الله ويتقه مظهرا وجوهرا.
- ضرورة التربية الإيمانية وأهميتها: أمام معطيات واقعية متجددة، نجد أنفسنا أمام ضرورة ملحة للتركيز على الجانب الوجداني للمتعلم آخذين بعين الاعتبار المرجعية الدينية كموروث حضاري له، يتجلى في ضرورة إعادة النظر في تدريس التربية الإيمانية للمتعلم، بعد أن تزاحمت في النفوس مجالات أخرى تحتاج في عمقها للجوهر الإيماني، حتى يندفع المتعلم بتلقائية مستثمرا وراسخا فيها، وفي هذا نذكر مجموعة عناصر لضرورة التربية الإيمانية للفرد:
- توارد الفتن والانفتاح الفضائي وتكاثر الشبهات وضعف التدين وتردي العملية التربوية وغياب دور الأسرة والمدرسة تربويا وغيرها، لا يمكن تعويضها وسد فراغها إلا بوجود حافز داخلي ووازع ذاتي، لا يتأتى إلا بالتركيز على التربية الإيمانية.

- انتشار مشكلات تربوية وانحرافات سلوكية واضطرابات نفسية في مواقع وبرامج تربوية نفسها "سيطرة حظوظ النفس، التعلق بشهوة، عدم القيام بالواجبات الشرعية.."
- تعد التربية الإيمانية؛ حصن المؤمن أمام المحن، وفي ذلك فرض قيام الليل على المؤمنين "في بدء الإسلام" كجرعة إيمانية في خلوة المسلم.. وذلك في زمن لا يستطيع أحد الجهر بإسلامه، فضلا عن تطبيق تعليماته.
- دفع الإنسان نحو أعلى مستوى من الثقة بنفسه، ارتباطا منه بمحور الوجود الحقيقي، وهو الله واجب الوجود ومنبع الفيض في كل ما هو حق وصدق وخير.
- إخلاص العبودية لله ليكون على قاعدة متحرّرة من كل ما يضغط على إرادته، سواء من نوازعه وغرائزه الذاتية، أو من القوى الخارجية المحيطة به.
- مفهوم منهاج التربية الإيمانية وتسميتها:
- مفهوم منهاج التربية الإيمانية: من منطلق نظرة مؤلفي المنهاج وفلسفة المادة العلمية المقررة، تمّ تعريف المنهاج بـ: النظامٌ التربويّ الذي يهتم بإعداد القاعدة الإيمانية التي تقف وراء كل تصور وفعل وسلوك للشخصية المسلمة، وفق ما جاء في رسالة محمد ﷺ"(بابهون وآخرون، 2012، ص07)
- تسمية المنهاج بالتربية الإيمانية: بعد قراءات في الموضوع، توصلنا إلى عدم التعارض بين مصطلحي التربية الإيمانية والعقيدة وتداخلهما إلى حد جعل مؤلفي بعض المعاجم يعتبرهما مترادفين، إضافة إلى أن كلمة الإيمان هي التسمية القرآنية لمصطلح العقيدة التي هي موضوع التأليف، ومن العلماء من لم يفرق في المعنى الاصطلاحي بين الكلمتين "الإيمان والاعتقاد"، غير أن استعمال مصطلح التربية الإيمانية يعد جديدا في الحقل الإسلامي عامة، ومؤلفات العلماء المسلمين بشكل خاص، وقد لا نجانب الصواب إذا قلنا أن عمره لا يتجاوز الخمسين سنة في أبعد تقدير، ولم يكن علماء المسلمين يعنون بتعريف المصطلح بقدر ما عنوا بالمواضيع

الإيمانية العقدية في مختلف الأزمنة والعهود، لذلك فالمصطلح لا يزال غضا طريا قابلا للاجتهاد والضبط، وتقليب وجهات النظر"(مرجع سابق، 2012، ص06)، **وقد تمّ اعتماد تسمية التربية الإيمانية لاعتبارات هامة منها: طبيعة المرحلة العمرية -البناء والتنمية -، الابتعاد عن الصورة النمطية لمصطلح العقيدة بأنه علم الكلام والدخول في متاهات المدارس والصراعات بينها، العمل على إشراك الجانب الوجداني والسلوكي في أنشطة المنهاج لا الاكتفاء بالجانب المعرفي فقط.**

2.1 مناهج تنسيقية المعاهد الثلاثة "الحياة، عمي سعيد، الإصلاح": تعتمد المعاهد الثلاثة بواد مزاب على تدريس المواد العلمية والاجتماعية والإنسانية واللغات على المناهج الرسمية، في حين تعتمد على تدريس المواد الشرعية بمناهج خاصة لها، تمّ إعدادها وصياغتها بجهود مجموعة من الأساتذة المتخصصين في العلوم الشرعية من خريجي أقسام الشريعة بالمعاهد الحرة أو كليات العلوم الإسلامية للجامعة الجزائرية أو خارجها "الأردن، عمان، ماليزيا.."، حيث يستندون في عملية التخطيط والتأليف على منطلقات وثيقة الأسس المرجعية للمعاهد الثلاثة وغاياتها التربوية، وفيما يلي عرض لتلك الأسس والغايات":

- **أسس بناء المناهج الشرعية للمعاهد الثلاثة:**

ترتكز المعاهد الثلاثة في تحديد غاياتها التربوية وبناء مناهجها الدراسية على مجموعة من الأسس المرجعية، هي ثوابت وقيم دينية وحضارية ينبني عليها المجتمع المزابي؛ الذي هو جزء لا يتجزأ من المجتمع الجزائري، والذي يمثل بدوره جزءا هاما من الأمة الإسلامية. ومن هذا المنظور تتلخص هذه الأسس فيما يأتي:

- **الإسلام منهج الحياة الكامل، وهو نظام شامل لا يقبل التجزئة، واتباعه أساس الفلاح، وهو المصدر الأول للقيم الإنسانية العليا.**
- **الإيمان بوحدة المسلمين مسيرا ومصيرا.**

- المذهب الإباضي مدرسة من المدارس الإسلامية العريقة التي أثَّرت إيجابيًّا في مسار الحضارة الإسلاميَّة، وامتازت بربط الصلة بين التعاليم الشرعيَّة والواقع المعيش.
- مزاب قطعة أصيلة من الوطن الجزائري، الذي هو رقعة من العالم الإسلامي.
- اللسان العربي هو وعاء العلوم والمعارف الإسلامية باعتباره لغة الوحي.
- النظم الاجتماعية، والمؤسَّسات العرفية بوادي مزاب تنظيمات حضارية أثبتت نجاعتها، وحافظت على مميزات الشخصية الوطنية الإسلامية.
- التعليم القرآني الحر بمزاب خيار استراتيجي يحقق استمرارية المجتمع ويضمن بقاء نظمه ومؤسَّساته، ويحصِّنه من الغزو الفكريِّ والانسلاخ الدينيِّ والخلقيِّ.
- الأصالة ومواكبة العصر أمران مطلوبان وفق الشرع والعقل؛ لتحقيق الوسطية بينهما.
- العلمية مطلب أساسي في بناء المناهج، وضابط ضروري لتحري الحقيقة وتحسين الأداء.
- فلسفة المنظومة التربوية الوطنية مصدر ثري لا يمكن الاستغناء عنه.

- منهاج التربية الإيمانية"(2018):

- إعداد المنهاج: المنهاج من تأليف صالح بن سعيد بابهون، رستم بن موسى بوكرموش، إلياس بن حمو أزغار، يونس بن صالح علواني، إشراف: إدراة المناهج الشرعية.
- وثائق المنهاج: يتكون المنهاج من كتاب المتعلم ودليل الأستاذ؛ يشتمل كل منهما على:
- دليل المعلم: يتكون دليل المعلم من أربعة أقسام:

القسم الأول: الأهداف والحجم الساعي.

القسم الثاني: الإجابات النموذجية لأنشطة البحث والاكتشاف.

القسم الثالث: الإجابات النموذجية لأنشطة الاستثمار والتقويم.

القسم الرابع: الإجابات النموذجية لأنشطة المشروع.

كتاب المتعلم: يضم الكتاب ثلاثة عشر موضوعا مع ثلاثة مواضيع إثرائية للمطالعة:

- **الأسس المنهجية في التأليف:**

الأسس التربوية:

المرجعية: اعتمد في التأليف على الأسس المرجعية لبناء المناهج الشرعية المعتمدة من قبل تنسيقية المعاهد الثلاثة وبشكل خاص؛ تجنب التركيز على مصطلحات علم الكلام، وخلافات المتكلمين.

الأهداف: تمّ تقرير المادة العلمية للكتاب وفق الأهداف المحددة في المنهاج المدرسي لمادة التربية الإيمانية "أهداف عامة، أهداف المرحلة، أهداف المستوى".

- **أسس أخرى:**
- **التركيز على المتعلم باعتباره محور العملية التعليمية التعلمية.**
- **اعتماد المنهج البنائي الذي يعتمد على تحريك وتنشيط موارد المتعلم السابقة من أجل بناء موارد جديدة، وكذا توظيف موارده في وضعيات الحياة المختلفة التي تعترضه.**
- **اعتماد المذهب النفعي في التربية، والذي يرى أن قيمة المعرفة إنما تتحدد بما تحققه من فائدة ومنفعة على الفرد والمجتمع؛ وهو ما يبرز بشكل واضح في استثمار المعرفة، وإدماج مكوناتها في الحياة العامة.**
- **اقتراح أنشطة هادفة تخدم أهداف التعليم، وتحقق مخرجاته.**
- **مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين، خاصة ما تعلق بموضوع الأنشطة ومستوياتها وصيغها.**

- المقاربة التعليمية: تمّ الاعتماد على "المقاربة البنائية"، إلا أن النشاط البنائي المخصص للفقرة الواحدة لا يمكن أن يحيط بكل جوانب الفكرة المراد تبليغها، أو التصور الذي أريد بناءه، كما لا يمكن برمجة أكثر من نشاط في الفقرة الواحدة، فتمّ إضافة فقرة للتوسع والإحاطة، تجنبا للثغرات التي قد تنجر عن قصور نشاط أو محدوديته، كما تمّ التنويع فيها مراعاة للفروق الفردية، وتشجيعا لمختلف مستويات التلاميذ للمشاركة والتفاعل مع الدرس.

- خطوات بناء الدرس:

وضعية الانطلاق: تشمل العناصر الآتية:

- أهداف الدرس: ربط التلميذ بما ينبغي أن يتحقق من خلال هذا الدرس.
- إشكال أو سؤال تمهيدي (أفكر وأتأمل): جلب انتباه التلميذ وإثارة الدافعية لديه.
- نشاط تمهيدي (مدخل للبحث والاكتشاف): تهيئة التلميذ وربطه بمجمل الدرس، أو بالفكرة الرئيسة فيه.

وضعية بناء التعلمات: تشمل على عنصرين:

-نشاط بنائي (للبحث والاكتشاف): يبني التلميذ من خلاله معارفه، ويكتشف الفكرة الرئيسة للفقرة.

-فقرة للتوسع والتعمق: يوسّع التلميذ من خلالها الفكرة الرئيسة المكتشفة في النشاط البنائي، ويعمّق معرفته بها من خلال الدليل.

-وضعية التقويم والاستثمار: أنشطة ختامية (للاستثمار والتقييم): يوظف التلميذ فيها مكتسباته ويقيّم تحصيله، يكشف الأستاذ من خلالها قصورا في فهم فكرة، أو فهما خاطئا، فيحدد الخلل، ويستدرك.

3. القيم.

3.1 مفهوم القيم لغة واصطلاحا:

- القيم لغة: "القِيمُ مشتاقة من كلمة القِيام وهو نقيض الجلوس، قام يقُومُ قَوْمًا وقِيامًا وقَوْمة وقامةً"(كرم، 1988، ص633)، لذا فعلماء اللغة قد توصلوا إلى عدّة دلالات للقِيم يمكن حصرها فيما يلي:
- العزم: وذلك في قوله تعالى: "إذ قاموا فقالوا ربّنا ربّ السموات والأرض" (الكهف، الآية:14) أي عزموا.
- المحافظة والإصلاح: ومنه قوله تعالى: "إلاّ ما دمت عليه قائما" (سورة آل عمران، الآية:75) أي ملازما محافظا.
- الثبات والاعتدال: ومنه قوله تعالى: "وإذا أظلم عليهم قاموا" (سورة البقرة، الآية: 20 أي ثبتوا في مكانهم؛ "أمسكوا عن المشي"(امحمد، 1996، ص13). وفي الاعتدال قوله تعالى: (إنّ الذين قالوا ربّنا الله ثمّ استقاموا) فصلت، الآية:30 أي الاستقامة على الطاعة.
- القيمة: واحدة القِيَم، وأصله الواو لأنّه يقوم مقام الشيء. والقيمة: ثمن الشيء بالتَّقويم. تقول: تقاوموه فيما بينهم، وإذا انْقاد الشيء واستمرت طريقته فقد استقام لوجهه. وقَوَّمَ السلعة واسْتَقامها: قدَّرها."(ياسر ومجدي، 2009، ص373)
- قوَّم:" المتاع جعل له قيمةً معلومة. والقيمة:(ج) قِيَم: الثمن الذي يعادل المتاع. القَيِّم: كلّ ذي قيمة. يقال -كتاب قيّم - أي ذو قيمة."(كرم، 1988، ص664)
- هذا من ناحية معنى القيم في اللغة العربية، أمّا من ناحية اللغات الأجنبية، فإن "كلمة قيمة باللغة الإنجليزية Value وباللغة الفرنسية Valeur وباللغة اليونانية Axios تشير إلى الاعتدال والاستواء وبلوغ الغاية، فهي مشتقة أصلا من الفعل قام بمعنى وقف واعتدل وانتصب واستوى."(عادل، 1986، ص 25)

- **القيم اصطلاحا: شهد مصطلح القيم ثراء واسعا في مفهومه؛ يرجع لفاعليتها في بناء الأخلاق ودقتها في بناء الروح لدى الفرد بما يتوافق والرؤية الدينية للناشئة، من هذا نذكر تعاريف لفلسفات اهتمت بموضوع القيم وتعاريف لمفكرين وباحثين؛ يتضح ذلك في الآتي:**

- **يرى زهران أن القيم "عبارة عن تنظيمات لأحكام عقلية انفعالية معممة نحو الأشخاص والأشياء والمعاني وأوجه النشاط، والقيم تعبير عن دوافع الإنسان وهي تمثّل الأشياء التي تواجه رغباتنا واتجاهاتنا نحوها"**(زينب، 2015، ص20)
- **ترى "لوميتيس Lemétais" (1997) أن القيم مجموعة من المثل يجب تبنيها، وتقوم على اعتقادات لا تحتاج إلى الحقائق أو البراهين، إلا أن القضايا المعرفية يمكن أن تدعم القيمة أو تتحداها، والقيم الأساسية هي تلك التي تسعى للتطلع إلى المثل العليا والحفاظ عليها ضمن النظام في كليته، وقد تتضمن تلك القيم الحرية والعدالة، وقيمة الفرد الاستثنائي والجماعة والعائلة والدفاع عن المجتمع والعدالة الاجتماعية"**
(Lemétais. 1997. https://www.semanticscholar.org/paper/Values-and-Aims-in-Curriculum-and-Assessment)
- **يعرفها تالكوت بارسونز** Talkolt Parsons(1991) **بأنها عنصر في نسق رمزي مشترك يعتبر معيارا، أو مستوى للاختيار بين بدائل التوجيه التي توجد في الموقف، كما يعرفها على أنها المعايير التي نحكم بها على كون الشيء مرغوبا فيه أو غير مرغوب فيه"**(Talkolt. 1991. P126)
- **يرى إميل دوركايم E.Durkhiem أن القيم إحدى آليات الضبط الاجتماعي المستقلة عن ذوات الأفراد الخارجة عن تجسيداتهم الفردية"**(معتوق، شماخي، 2019 ص59)
- **عرف "ديتريش فون هيلدبرند** Ditritch Von Hildebrand**" القيمة بأنها "ما يملك أهميته في ذاته بصرف النظر عن آثاره علينا أو فينا"**(محمد، 2014، ص18)

- عرفها "كرتيش Krich" بأنها معتقد يتعلق بما هو جدير بالرغبة، ذلك المعتقد الذي يملي على الفرد مجموعة من الاتجاهات المجسمة لقيمة ما"(اليماني، 2009، ص37)
- عرفها عيسى وحنورة "حكم تفضيلي، وإطار مرجعي يحكم تصرفات الإنسان؛ الخاصة والعامة"(طاهر ومحمد، 2009، ص40)
- عرف الجلاد القيم بأنها "مجموعة من المعتقدات والتصورات المعرفية والوجدانية والسلوكية الراسخة؛ يختارها الإنسان بحرية بعد تفكر وتأمل، ويعتقد بها اعتقادا جازما، تشكل لديه منظومة من المعايير يحكم بها على الأشياء بالحسن أو بالقبح، وبالقبول أو الرد، ويصدر عنها سلوك منتظم يتميز بالثبات والتكرار والاعتزاز"(ماجد، 2013، ص33)
- عرفها "المرضي" بأنها مجموعة معايير واتجاهات ومثل عليا تتوافق مع عقيدة الفرد الذي يؤمن عن قناعة بما لا يتعارض مع السلوك الاجتماعي، بحيث تصبح تلك المعايير خلقا للفرد يتضح في سلوكه وتجاربه الظاهرة منها والضمنية"(محمد، 1991، ص19)

من التعريفات السابقة نجد أن هناك تناول متعدد لمفهوم القيمة، بين معتبر لها على أنها تنظيمات عقلية ومحددات لدوافع الإنسان ورغباته في الحياة، مقابل من اعتبرها معتقدات تقوم على تطلعات نحو مثل عليا، مقابل ذلك من اعتبرها أنساقا مشتركة توفر مجموعة خيارات لكل من يريد اتباع نهج معين في الحياة يتحدد في ضوئه المرغوب من غير المرغوب، في حين أن هناك من اعتبرها ضوابط اجتماعية مستقلة تقوم بعملية توجيه الفرد إلى ما تراه مناسبا له، وليس من حقه التصرف أو الاختيار وفق أهوائه، بل هو متطبع ضمن مجتمع له سياق معين، من جهة أخرى للمجتمع هناك من ذهب إلى أنها معتقد يقوم بتحديد ما على الفرد تتبعه والالتزام به، ويعد الخروج عنه خروجا عن ما أمر للالتزام به، مقابل من رآها تفضيلات خلقية يختارها الفرد وفقا لآرائه ورغبته في الحياة، حيث في ضوء ذلك يترتب

الأفراد، وكجامع لما سبق اعتبرها آخرون بأنها معايير واتجاهات ومثل عليا ذات مصدر غيبي، غير أنها تشكل معتقدا لدى الفرد ولا تخرج من انسجامها وتوافقها مع بيئة المجتمع، وبصيغة أخرى يمكننا القول بأنها مجموعة من المبادئ والمعايير التي وضعها المجتمع الذي يعيش فيه الفرد، حتى تكون موجهات لسلوك الأفراد متوارثة عبر مراحل التنشئة الاجتماعية.

3.2 ارتقاء القيم:

- مفهوم ارتقاء القيم: تأخذ القيمة مكانتها لدى الفرد حسب حاجته لها واهتمامه بها، فيعطي أهمية ضعيفة للقيمة إذا لم يكن قد بلغ مستواها المطلوب، حيث أوضح "وودروف Woodruff" أن القيم تمضي في ارتقائها على متصل الوسيلة -الغائية في ضوء ثلاثة مستويات:

- المستوى الأول: الأهداف مباشرة بمواضيع وأشياء واقعية (الغذاء، الراحة، التحصيل).
- المستوى الثاني: الأهداف غير مباشرة، غير اجتماعية، وتتصل بالمستقبل (الحصول على وظيفة، السعي نحو الشهرة).
- المستوى الثالث: الأهداف الغائية، حيث التعامل مع القيم الغائية مباشرة (الحرية، الجمال)

كما أن ارتقاء القيمة واستيعابها يمر بمراحل مختلفة حددها كراثول Krathool وزملاءه في ثلاثة مستويات:

- المستوى الأول: مستوى التقبل Acceptance Level ويتضمن الاعتقاد في أهمية قيمة معينة؛ وهو أدنى درجات اليقين.
- المستوى الثاني: مستوى التفضيل Preference Level ويشير إلى تفضيل الفرد لقيم معينة وإعطائها أهمية.

- **المستوى الثالث: مستوى الالتزام** Commitment Level **وهو أعلى درجات اليقين، حيث الشعور بأن الخروج عن قيمة معينة سوف يخالف المعايير السائدة.**

مع نمو الفرد وتقدمه في العمر تتغير المعايير والقواعد التي تحكم تصرفاته وسلوكاته وأحكامه على ما هو صواب او خطأ، وما هو أخلاقي أو غير أخلاقي ويخالف المعايير السائدة في المجتمع.

في ضوء ما سبق يتضح أن هناك عددا من الخصائص أو الملامح العامة التي يتفق عليها الباحثون في الميدان، حول معنى ارتقاء القيم؛ من هذه الخصائص الآتي: القيم تمضي في ارتقائها من الطفولة المبكرة وحتى نهاية العمر، إذ ليست محدودة بفترة أو مرحلة عمرية معينة دون غيرها، ومع نمو الفرد تزداد المعايير التي يحتكم إليها وضوحا وكفاءة في تحديد قيمه، كما يتغير المرغوب فيه والمفضل مع اكتساب خبرات جديدة، وذلك في ضوء مستويين: حيث يكون الإطار العام للغايات المرغوبة غير محددة في الأول، اما الثاني حيث يحدث نوع من التغيير في هذا الإطار، فتصبح الغايات أكثر تحددا وتميزا. (الخليفة، 199، ص 55 -56)

- **هناك مستويات مختلفة في استيعاب القيمة، حيث تبدأ من مجرد التقبل لها ثم التفضيل ثم الشعور بالوجوب أو الإلزام نحوها.**
- **مع نمو الفرد يزداد عدد القيم التي يتبناها في نسقه القيمي، وبمجرد انضمام قيمة جديدة إلى النسق يحدث نوع من إعادة الترتيب أو التوزيع لهذه القيم حسب أهميتها بالنسبة للفرد.**
- **يعد اهتمام بعض الباحثين في المجال بترتيب القيم على أنه مؤشر لارتقائها، أصبح غير قادر وحده للكشف عن ذلك، فيجب أن نأخذ في الاعتبار المظاهر النوعية للقيم وتمايزها عبر العر، ومدى تفاعلها وانتظامها داخل النسق العام للقيم.**

- ارتقاء المنظومة القيمية يمضي في اتجاهه من العيانية إلى التجريد، ومن البساطة إلى التركيب ومن الخصوصية إلى العمومية ومن الوسيلية إلى الغائية.
- ارتقاء منظومة القيم هو محصلة التفاعل بين الفرد بمحدداته الخاصة، وبين ممثلي الإطار الحضاري الذي يعيش فيه.

4. الدراسة الميدانية:

4.1 منهج الدراسة: تمّ توظيف المنهج الوصفي بهدف:

- تحليل الأنشطة التعليمية التعلمية لمناهج مستوى السنة الأولى متوسط، حسب ما تمّ تحديده في عيّنة الدراسة.
- قياس مستوى القيم لدى الطلبة الدارسين لهذا المنهاج، وذلك بالإجابة على اختبار أعدت لذات الغرض.

4.2 عيّنة الدراسة: تمّ تحديد العيّنة بطريقة عشوائية، حيث شملت عينتين:

- عيّنة أنشطة منهاج التربية الإيمانية للسنة الأولى متوسط: تمّ تحديد نشاطين من كل موضوع بمجموع 26 نشاطا.
- عيّنة طلبة السنة الأولى متوسط: تمّ تحديد 60 طالبا من مستوى السنة الأولى متوسط بمتوسطة عمي سعيد.

4.3 أدوات الدراسة: تمثلت أداتي الدراسة في:

- بطاقة تحليل أنشطة منهاج التربية الإيمانية: انظر الملحق رقم (03) ص25.
- اختبار مستويات القيم الروحية والنظرية: انظر الملحق رقم (04) ص27.

5. مناقشة النتائج وتفسيرها -

- عرض نتائج التساؤل الأول وتفسيره: ينص التساؤل الأول على "ما مفهوم التربية الإيمانية ومبرراتها؟ وما أسس مناهج الاستقامة للمناهج الشرعية؟

حددت لجنة تأليف منهاج التربية الإيمانية بأنها النظامٌ التربويّ الذي يهتم بإعداد القاعدة الإيمانية التي تقف وراء كل تصور وفعل وسلوك للشخصية المسلمة، وفق ما جاء في رسالة محمد ﷺ"، وعلى هذا فهي تنشئة المتعلم على الإيمان تنشئة صحيحة متوازنة، تجمع بين القناعة والإقرار والسلوك، كما تتجلى مبرراتها في أنها تولد للمتعلم طاقة ودافعية داخلية، ترقى بسلوكه من دنايا الأمور وأبسطها إلى أسماها وأعلاها، وتؤهله للتصرف بحكمة تجاه مختلف المواقف، بما يضمن له تحقيق السعادة دنيا وأخرى، من خلال تنمية الوازع الديني كضمير يقوم بتوجيه المتعلم توجيها ذاتيا، مستندا على وضوح المقصد والغاية في أموره الدنيوية والأخروية، بهذا يتأتى له الصبر في المحن والشدائد، بل استثمار ذلك إلى ما فيه الخير والصلاح، مستلهما العبر والدروس بالتأمل في بديع صنع الخالق في مخلوقاته، ليصفو قلبا ويضيء وجها.

تستند مناهج الاستقامة على منطلقات أساسية تعتبر مبادئ وأسس لها -تمّ عرضها في الجانب النظري لهذا المقال - تعتبر امتدادا لفلسفة المنظومة التربوية الجزائرية وأسسها، تتلخص في الإسلام، اللسان العربي، طبيعة المنطقة الجغرافية، الأصالة ومواكبة العصر، العلمية في تناول مختلف القضايا والأفكار..

- عرض نتائج التساؤل الثاني وتفسيره: ينص التساؤل الثاني على "ما مدى تضمين القيم الروحية والنظرية في أنشطة منهاج التربية الإيمانية للسنة الأولى متوسط؟"

الجدول رقم "01" عرض للقيم الواردة في أنشطة منهاج التربية الإيمانية مع مستويات المعالجة (انظر الملحق ص23) (المصدر: انجاز الباحث 2021)

في الجدول رقم 01 نقف على حصر القيم الروحية والنظرية في أنشطة منهاج التربية الإيمانية للسنة الأولى متوسط، كما نلاحظ أن هناك ثلاثة

مستويات في المجال الوجداني تمّ فيها معالجة الأنشطة، في حين هناك غياب تام للمستوى الرابع والخامس "التنظيم، الوسم" فهذا يدعو للتفكير أكثر في أنشطة تأخذ بعين الاعتبار هذين المستويين، على أساس أنهما درجة الاطمئنان التي يمكن الارتياح إليها في تحقق القيمة وبلوغها لدى المتعلم، من زاوية تساؤل الدراسة فنجد أن مجموع القيم التي تمّ أخذها بعين الاعتبار بين المجالين (الروحي والنظري) متقارب؛ 207 في القيم الروحية و213 في القيم النظرية، وهذا يدل على أنّ القيم الروحية تساهم في تجسيد القيم النظرية في الواقع، وهذا ما ثَمَّنَته صفية مقدم (2005) في دراستها عن مدى تأثير برنامج التربية الإسلامية على سلوك الطفل في مرحلة التعليم الأساسي، إلى أن برنامج التربية الإسلامية يُلِمُ بشكل واسع بمجال السلوك والآداب العامة مقارنة مع المجالات الأخرى، كما أن اتجاهات المعلمين والمعلمات الإيجابية نحو برنامج المادة تعكس تأثيرها الإيجابي على سلوك الطفل، ويعد هذا دليلا مهما في أهمية القيم الروحية الإيمانية في توجيه المتعلم وضبطه، وللقدوة ظَاهِرَةً في الاتجاهات إيحاءات دالة للمتعلم، كما يظهر أهمية الاهتمام به في ما أشار إليه نورمان وفوزان Nuriman & Fauzan (2017) بأن "الإيمان يقوم ببناء نظام أخلاقي أعلى، يمكن للبشرية بموجبه تحقيق أكبر إمكاناته؛ ينقي الروح من الأنانية الساعية إلى الاستبداد والطغيان وعدم الانضباط... إلى اللطف والكرم والرحمة والتعاطف، والسلام وحسن النية والإنصاف الدقيق والصدق؛ تجاه كل الخلق في جميع الحالات".

- عرض نتائج التساؤل الثالث وتفسيره: ينص التساؤل الثالث على "ما مستوى القيم الروحية والنظرية لدى طلبة السنة الأولى متوسط انطلاقا من أنشطة منهاج التربية الإيمانية ؟"

الجدول رقم "02" عرض مستويات القيم للطلبة والفروق بينها (انظر الملحق 02 ص24) المصدر: انجاز الباحث 2021

نقرأ في الجدول رقم 02 أن المستوى القيمي السائد لدى الطلبة تمثل في مستوى التفضيل بنسبة 63.33% بينما مستوى الإلزام والمثال سجلنا فيهما مستويات متقاربة تمثلت في 21.66% للإلزام و15% للمثال، كما نلاحظ أن هناك دلالة واضحة في الفروق في مستوى 0.00 بقيمة 42.346 كاف تربيع.

ركّز جاردنر Gardner (2000) على أهمية الذكاء الروحي والوجودي في الوعي بالذات؛ حيث معرفة المتعلم بمعتقده وموقعه في الوجود ودوافعه العميقة، يؤدي ذلك إلى إدراك العالم المادي الذي يعيش فيه بأنه جزء من حقيقة أكبر، وعلى الإنسان التسامي عن تلك المفاهيم المادية الضيقة إلى مستوى أرقى وأسمى، انطلاقا من التفكير المستمر في المجال المعرفي الغائي، والقدرة على بلوغ إجابات واضحة تتسم بالعمق والشمولية لا السطحية والغموض، فالحياة تتجسد في المبادئ والعقائد والمُثل التي تُعْتَبَرُ أساس التعامل اليومي، عند تحلي المتعلم بها؛ كسمة ظاهرة راسخة تحفظ له قناعات؛ وتملكه منها تجاه مواضيع الحياة، وإن اختلف مع غيره في إطار قبول الآخر وتقديم المساعدة المناسبة لهم، شرط عدم تجانبها المنهج الصواب في التفكير محاطا بنفاذ البصيرة وقوة الحدس.. بهذا يتحقق إدراك الحجم الحقيقي للفرد في عالمه، متجسدا في الاستقامة الأخلاقية والتمسك بالعفة والطهارة مع الشعور بالسعادة النابعة من الداخل؛ لا الإنجاز العلمي أو المادي.

استندت المقاربة بالكفاءات على أسس النظرية البنائية، حيث ركز بياجيه Piajet على أهمية الاستيعاب والمواءمة في بناء نموذج المعرفة، مراعيا في ذلك "النضج العقلي"، من جهة أخرى ركز جانيه على أن التعلم عملية تراكمية تبدأ من الأنماط البسيطة إلى الأنماط المعقدة، فالخبرة السابقة تعد خبرة بسيطة في بناء خبرة جديدة تعد معقدة لدى المتعلم، من هنا ف "بياجيه" ربط التعلم بالمراحل العمرية فهو تعلم كَيْفِي ينطلق من كيفية حدوث التعلم "مشكلة/ استيعاب/ مواءمة... نضج"، أمام هذا رأى جانيه إمكانية تسريع التعليم

نتيجة التراكم، فالتعلم كمي يعتمد على مدى توفر خبرات سابقة في ذلك الموضوع، فتعلم القيمة يعتمد على نضج المتعلم عقليا في قدرته على استيعابها وتمثلها ومواءمتها، كما يعتمد على الخبرات السابقة لها "الأرضية التي تغرس فيها"، غير أن ارتقاءها وتطورها يعتمد على استثمار الخبرات المتراكمة لها، وعلى هذا تأخذ اتجاه الانحلال والذوبان، أو اتجاه الارتقاء والتطور في اتجاه الزيادة والتحسن الإيجابي لا النمو فقط.

(حنافي، 2020، https://www.alukah.net/web/hanafijawad/11195)

ركز منهاج التربية الإيمانية على استراتيجية التعلم بالاستكشاف أو الاكتشاف، أي أن الخبرات المتضمنة فيه لا يبلغها المتعلم إلا بتوظيفٍ كاملٍ لقدراته؛ في استقصاء الأدلة المقدمة له، دون تقديم معلومات صريحة جاهزة في خلاصات، فالكتاب اعتمد الأنشطة البنائية في بناء الدرس مع عدم إدراج خلاصات عن المواضيع، بهدف تكوين قناعة لدى المتعلم بأهمية جميع ما تمّ تضمينه في المنهاج، بالتالي اكتساب قيم نظرية مهمة في مساره العلمي.

تثمينا لنتيجة الدراسة تعرّض اليماني وبن هدية إلى مكانة الإيمان في منظومة القيم حيث أشار اليماني (2009) إلى أن الإيمان بالله يعد "المرتكز الأول في النظام القيمي الإسلامي، وهو القيمة الأعلى والأسمى التي تنبثق منها القيم الأخرى، ويستدعي الإيمان به الإيمان بكل ما أمر الله أن نؤمن به (الملائكة، الرسل، الكتب..) فإذا اختل الإيمان بأحدهما اختل الإيمان بكامله بوصفه كلا متكاملا كما يختل البناء القيمي الإسلامي، فهي تمثل الأحكام العملية التي تنظم شؤون الجميع الأساسية كالصلاة والبيوع.."(اليماني، 2009، ص273)، كما أشار بن هدية (2019) إلى أن الدين "يعتبر المرجع الأساس والمصدر الأكثر أهمية لقيم كثيرة في المجتمعات، حيث تتشكل منه اتجاهات وقناعات يلبسها الأفراد عن قناعة تامة، ولا يمكن تغييرها أو يصعب علينا تجريدها، حيث يتشبع الأفراد بالقيم عن طريق ممارسة الشعائر الدينية" (بن هدية، 2019، ص64)،

وفي نفس السياق أورد الراميني قوله بأن القيم "ترتبط بمنظومة فكرية وعقائدية مطلقة تتمثل في الإسلام، تستمد قوتها ورسوخها في النفس منه" (فواز، 2010، ص79)، من هذه الإشارات الثلاثة نقف على قوة الإيمان ودوره العميق في قيم الفرد بصورة عامة؛ المتعلم بصورة خاصة.

الخاتمة-

توصلت الدراسة الميدانية إلى أن:

- للتربية الإيمانية أثرا مهما في توجيه قناعات المتعلم نحو تكوين بنية سوية من خلال التشبع بالقيم التي تعدّ أساس نجاحه وتميّزه متمثلة في القيم النظرية، غير أنّ فاعليتها لا تتأتى إلا بطاقة داخلية دافعة تتمثل في القيم الروحية.
- هناك تضمين معتبر للقيم الروحية والنظرية تمثل في 207 قيمة روحية و213 قيمة نظرية، وذلك في 26 نشاطا موزعا على 13 موضوعا من مواضيع منهاج التربية الإيمانية للسنة الأولى متوسط.
- هناك مستوى تفضيل في القيم الروحية والنظرية لدى طلبة السنة أولى متوسط بمتوسطة عمي سعيد بنسبة 63.33% وبفارق دال إحصائيا عند مستوى دلالة 0.00.

من هذا نقول بأن القيم الروحية تعد محور القيم الأخرى، فمجتمعاتنا بحاجة إلى قراءة متأنية شاخصة لواقعها حتى تستطيع الخروج من أزماتها، فخلو القلب من الإيمان ينتج عنه سلوك متذبذب عشوائي بعيد عن إطاره القيمي الديني الذي يدعم النفس على الارتقاء ما أمكن في سلم القيم (فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ(16)) (سورة التغابن، الآية:16)، من هذا المنطلق فالإيمان يدعو للمجاهدة في سبيل بلوغ السعادة الأخروية والارتقاء في درجات الآخرة، كما أن للقيم الإيمان الأثر البليغ في الطمأنينة والراحة النفسية للمتعلم في مساره

التعليمي، فالكثير من المشكلات يعيش فيها الإنسان توترا وقلقا وغضبا، يرجع سببها إلى ضعف الإيمان في القلب، في حين أن المتشبع بالإيمان يرى الأمر ابتلاء لا عقابا ويتصرف من منطلق قرآني ((قُل لَّنْ يُصِيبَنَآ إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُومِنُونَ)) (سورة التوبة، الآية:51). بذلك تصفو النفس ويهدأ الفؤاد ويسلم الجسم، كما أن الخلفية الإيمانية للعلم والعمل تدفع المتعلم لتغيير قناعاته نحوهما، فيتغير من انتظار المكافأة أو العقاب، إلى القناعة في الأداء ابتغاء الأثر الطيب، وهذا ما دعت إليه النظريات المعرفية الحديثة وتسعى جاهدة في سبيل بلوغه.

المراجع باللغة العربية:

- ابن منظور، تحقيق ياسر سليمان أبو شادي، مجدي فتحي السيّد (2009)، لسان العرب، دار التوفيقية، القاهرة: مصر، د.ط، الجزء14، (630 -711ه)،
- أمحمد بن يوسف اطفيش تيسير التفسير، المطبعة العربية، غرداية: الجزائر، د.ط، ج1، 1996.
- أويس عثمان، الاهتمام بالتربية الإيمانية.. من هنا نبدأ، موقع بصائر تربوية. 2021/02/20، 20:15 https://basaer-online.com
- بابهون صالح وآخرون، وثيقة تعريفية بمنهاج التربية الإيمانية، مؤسسة الشيخ عمي سعيد، غرداية، الجزائر، 2012.
- بابهون صالح وآخرون، كتاب التربية الإيمانية للمتعلم، السنة الرابعة متوسط، إدارة المناهج الشرعية، غرداية: الجزائر، معتمد من تنسيقية المعاهد الثلاثة الحرة (الحياة، عمي سعيد، الإصلاح)، 2018.
- زينب حسن زيود، البناء القيمي للأهداف التربوية، دار الإعصار العلمي، عمان الأردن، ط1، 2015.
- شريف عبد العزيز الزهيري (سبتمبر 2018)، التربية الإيمانية للطفل، 2021/02/08. 19:45 https://www.alukah.net/social/0/129191.
- صفية مقدم، مدى تأثير برنامج التربية الإسلامية على سلوك الطفل في مرحلة التعليم الأساسي -الطور الأول والثاني -، قسم علم النفس وعلوم التربية والارطفونيا، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، رسالة ماجستير جامعة الجزائر، رسالة غير منشورة، 2005.

- صليحة رحالي، القيم الدينية والسلوك المنضبط؛ الكشافة الإسلامية الجزائرية أنموذجا، مذكرة ماجستير، قسم علم الاجتماع الديني، جامعة الحاج لخضر، باتنة: الجزائر، 2008.
- طاهر عبد الكريم سلوم، محمد جهاد جمل، التربية الأخلاقية: القيم مناهجها وطرائق تدريسها، دار الكتاب الجامعي، العين الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2009.
- عادل العوا ، الفكر التربوي العربي الإسلامي، الأصول والمبادئ، المنظمة العربية للثقافة والعلوم، إدارة البحوث التربوية: تونس، 1987.
- عبد الكريم علي اليماني، فلسفة القيم التربوية، دار الشروق، عمان: الأردن، ط2، 2009.
- عبد اللطيف محمد خليفة، إرتقاء القيم دراسة نفسية، عالم المعرفة، سلسلة كتب شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1992.
- عبد الله بن صالح القصيّر (ماي 2016)، تعريف الإيمان بالله لغة واصطلاحا، 2021/02/08. 19:00. https://www.alukah.net/sharia/0/102420/ .
- حنافي جواد، نظريات التعلم، شبكة الألوكة www.alukah.net 10/09/2020، 11:30، بتصرف. https://www.alukah.net/web/hanafijawad/11195/ موقع صاحب الكتاب ضمن شبكة الألوكة.
- عبد الله عزام، العقيدة وأثرها في بناء الجيل، دار ابن حزم، بيروت: لبنان، ط2، 1996.
- فواز بن فتح الله الراميني، تعليم الاتجاهات والقيم في المجتمع المدرسي: المنهج الخفي في التدريس، دار الكتاب الجامعي، العين الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2010.
- كرم البستاني وآخرون، المنجد في اللغة والأعلام، المطبعة الكاثوليكية - دار المشرق، بيروت: لبنان، ط30، 1988.
- لجنة تألف مناهج التربية الإيمانية، دليل الأستاذ إلى كتاب التربية الإيمانية، السنة الرابعة متوسط، إدارة المناهج الشرعية، 2018.
- لجنة من الأساتذة، وثيقة الأسس والغايات التربوية لمناهج المعاهد الثلاثة "الحياة، عمي سعيد، الإصلاح"، مصادق عليها ومعتمدة من مديري المعاهد، 2012.
- ماجد زكي الجلاد، تعلم القيم وتعليمها، دار المسيرة، عمان الأردن، ط4، 2013.
- محمد أحمد إبراهيم سمغان، التعلم الاجتماعي الوجداني؛ الطريق لتحقيق جودة الحياة، دار الكتاب الحديث، القاهرة: مصر، ط1، 2011.
- محمد الشيخ، المؤنس في القيم، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، 2014.

- محمد علي محمد المرضي، بعض القيم التربوية والمدرسة في إكسابها للطفل، المؤتمر السنوي العربي، الطفل المصري وتحديات القرن الحادي والعشرين، ج3، 17 -20 أفريل، القاهرة: مصر، 1991.
- مصطفى محمد الطحان، التربية ودورها في تشكيل السلوك، دار المعرفة، بيروت لبنان، ط1، 2006.
- معتوق جمال، شماخي موسى إسماعيل، مدخل للقيم الاجتماعية في المجتمع الجزائري، كتاب لمجموعة مؤلفين بعنوان القيم الأخلاقية في المجتمع العربي بين التنظير والممارسة، الجزء الأول، دار الأيام، عمان الأردن، ط1، 2019.
- مفتاح بن هدية (2019)، القيم الوطنية في المناهج التعليمية، دار الأيام، عمان: الأردن، ط1، 2019.
- موقع عمران، المقومات الإيمانية "الإيمان بوصلة الحضارة الرشيدة"، 2021/02/17، 17:00. https://omran.org/ar/
- النور محمد أحمد (ماي 2018)، تعريف الإيمان بالله لغة واصطلاحا، 2021/02/17. 19:32 https://www.alukah.net/sharia/0/102420/

المراجع باللغة الأجنبية:

- H. Morgan and A. Houghton, Inclusive Curriculum Design in Higher Education:Considerations for effective practice across and within subject areas: Principles, Policy & Practice, 2011.
- Lemaitais Joanna (1997). Values and Aims in Curriculum and Assessment Frameworks. Corpus ID: 150942663/ Sociology.
Nuriman & Fauzan(2017) : The Influence of Islamic Moral Values on the Students' Behavior in Aceh State Institute of Islamic of Lhokseumawe, DINAMIKA ILMU Vol. 17 2017 ، 2 رقم P-ISSN: 1411-3031, Indonesia.
- Talcott Parsons (1991). The social System. Published by routledge. London Vol 11. P126.
- Gardner, H. (2000). "The Giftedness Matrix: A Developmental Perspective". Talents Unfolding. American Psychological Association.

الملاحق

مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ر ت م د: 7163 -1112 ر ت م د إ :2588-1892
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2

الجدول رقم "01" بطاقة تحليل أنشطة منهاج التربية الإيمانية: انظر الملحق رقم (01) عرض للقيم الواردة في أنشطة منهاج التربية الإيمانية مع مستويات المعالجة

المجال	القيمة	تكرارات مستوى معالجة القيمة في النشاط ونسبها								المجموع	النسبة%
		الاستقبال	النسبة %	الاستجابة	النسبة%	التقييم	النسبة %	تنظيم القيم	الوسم		
قيم روحية	المحافظة والامتثال	4	6.15	--	--	18	19.35	--	--	22	10.62
	الاقتناع والدعوة	11	16.92	15	30.61	13	13.97	--	--	39	18.84
	الاستسلام والرضا	18	27.69	12	24.48	22	23.65	--	--	52	25.12
	المراقبة والخشية	10	15.38	02	4.08	11	11.82	--	--	23	11.11
	الالتجاء والدعوة	5	7.69	07	14.28	8	8.6	--	--	20	9.66
	التوكل والاعتماد	8	12.30	--		4	4.3	--	--	12	5.79
	الطمأنينة والراحة	9	13.84	13	26.53	17	18.27	--	--	39	18.84
مج القيم الروحية		65	31.4	49	23.67	93	44.92	--	--	207	100
قيم نظرية	العقلانية والموضوعية	14	18.42	10	16.94	18	23.07	--	--	42	19.71
	التدرج والاستقراء	10	13.15	13	22.03	13	16.66	--	--	36	16.90

	التفكير النقدي والاستدلال	8	10.52	9	15.25	12	15.38	--	--	29	13.61
	المبادرة والاكتشاف	7	9.21	4	6.77	7	8.97	--	--	18	8.45
	الفضول والاطلاع	22	28.94	7	11.86	17	21.79	--	--	46	21.59
	الترشيد والتطوير	4	5.26	--		3	3.84	--	--	7	3.28
	الرسوخ والتوظيف	11	14.47	16	27.11	8	10.25	--	--	35	16.43
مج القيم النظرية		76	35.68	59	27.69	78	36.61	--	--	213	100

الجدول رقم "02" استبانة مستويات القيم الروحية والنظرية: انظر الملحق رقم (02) عرض مستويات القيم للطلبة والفروق بينها (انظر الملحق ص

الدرجة	ن	متوسط التكرارات	%	ترتيب الدرجات	متوسط رتب المجموعة	الانحراف المعياري للمجموعة	درجة الحرية	قيمة كا^2	مستوى الدلالة
الإلزام	13	35.4	21.66	2	2.56	1.78	2	42.346	0.00
التفضيل	38	48.67	63.33	1					
المثال	09	59.1	15	3					

المصدر:من إنجاز الباحث (2019)

مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ر ت م د: 7163 -1112 ر ت م د إ :1892-2588
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2

الملحق رقم "03" بطاقة تحليل أنشطة منهاج التربية الإيمانية سنة أولى متوسط.

المجال	القيمة	مفهومها	مستوى القيمة ومؤشراتها
قيم روحية		ميل المتعلم الشديد لمعرفة حقيقة ما وراء الطبيعة، ومعرفة أصل الإنسان وخالقه ومصيره، والإيمان بوجود قوة عظيمة تسيطر وتتحكم في العالم وتوجهه فيسعى باستمرار إلى معرفتها أو إلى الارتباط بها والتقرب منها	اعتماد مستويات كراثول في تحديد مستوى القيمة، وذلك من خلال طريقة تبليغ القيمة للمتعلم أو أدائه لها، وهذه المستويات تتمثل في: *الاستقبال: الوضعية التعليمية التعلمية التي ينتبه فيها المتعلم للقيمة. *الاستجابة: الرغبة في التفاعل والمشاركة في القيمة. *التقييم: التزام المتعلم بالقيمة، نتيجة استيعابه لها، أي الاشتراك العفوي للمتعلم في القيمة والانسياب تجاهها. *تنظيم القيم: بناء منظومة تفاعلية لدى المتعلم من القيم، نتيجة دمج مجموعة متكاملة من قيم في نشاط واحد. *الوسم: تميز المتعلم بقيمة عن غيرها،
01	المحافظة والامتثال	تمسك المتعلم بواجباته من فرائض وسنن ونوافل إيمانا منه بتقربه بها إلى الخالق، مع الالتزام المتواصل والمتناهي بها في جميع الظروف والأمكنة، وتلبية ذلك بتلقائية دون تردد أو تكلّف.	
02	الاقتناع والدعوة	أَخْذُ المتعلم للموضوع والارْتِياحُ إِلَيْه عَلَى أَنَّه الصَّوابُ وَالحَقِيقَةُ، بالتالي إذعانه النفسي لما يجده من أدلة توجهه في عمله،إضافة لحث الآخرين على فعل الخير واجتناب الشر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتحبيب الفضيلة والتنفير من الرذيلة، واتباع الحق ونبذ الباطل.	
03	الاستسلام والرضا	خضوع المتعلم وإذعانه لأمر الله وواجباته دون خوف أو إكراه، مع سكون القلب لما اختاره الله عن قناعة باعتباره الأمثل بين الخيارات.	
04	المراقبة والخشية	عملية رصد المتعلملسلوكه الذاتيبصورة دائمة؛ يقينا منه باطلاع الخالق على ظاهره وباطنه، مستعينا في ذلك بانجماع وانقباض وسكون للجوارح، وسكينة وخضوعا وتألما للقلب.	
05	الالتجاء والدعاء	قصد المتعلم لله والاحتماء به شعورا بالضعف والهوان أمام عظمته، مع الخضوع والاستكانة له طلباللعناية واستمداداللمعونة، ورغبة فيما عنده من الخير.	
06	التوكل والاعتماد	صدق المتعلم في الاعتماد على الله عز وجل والثقة به والاطمئنان له، وطلب الكفاية منه وحده طمعا في الحصول على إجازة الله بعد التزامه بما أمره به ونهاه عنه.	

07	الطمأنينة والراحة	سكينة قلب المتعلم ووجدانه واستقراره على منهج الله تعالى، مع الشعور بالارتياح الداخلي التام والرضى النفسي المتوازن.	نتيجة التركيز العميق لها في نشاط معين.
قيم نظرية		اهتمام المتعلم بالمعرفة واكتشاف الحقيقة والسعي نحو التفوق والإنجاز العلمي، وتجسد نمط التلميذ ذا الاهتمام بالمطالعة والبحث والإبداع مع تحلي سلوكه بالتفكير العلمي والموضوعية والاتزان.	***من مؤشرات ما سبق: – عرض القيمة كعنوان للنشاط. – عرض صورة أو مشهد يعبر عن القيمة مع التوجيه إليها – التعريف بقيمة معينة. – يهتم بقيمة معينة "إصغاء، متابعة، يسرد قصة، آية قرآنية أو حديث، مثل أو شعر". – يستجيب بردة قول عن القيمة. – الدفاع عن قيمة معينة. – يستجيب بردة فعل عن القيمة – يمارس القيمة كنشاط. – الاستجابة لقيم عديدة في نشاط واحد. تفضيل قيمة معينة والتحلي بها.
08	العقلانية والموضوعية	تصرف المتعلم بروية وتعقل بعد فهم الأمر على حقيقته، والابتعاد عن الانسياق وراء سطحية الأمور والمواقف... ويصل الإنسان إلى ذلك بالتجرد المطلق عن الذات ووضع الموضوع محل الشك والاختبار.	
09	التدرج والاستقراء	تتبع المتعلم لأجزاء موضوع معين مع تحديده في خطوات علمية متسلسلة، بها يصل إلى النتيجة الكلية بعد استيفاء جميع الجزئيات وحصرها وفق منهج واضح وأدوات دقيقة.	
10	التفكير النقدي والاستدلال	فحص المتعلم للمادة بكفاءة وفعالية في ضوء الشواهد التي تؤدّيها والحقائق المتصلة بها؛ بدلًا من الحكم عليها بالقبول أو الرفض أو الاستحسان أو الاستهجانمن النتائج مباشرة، بالتالي توظيف العَقْلِ في دراسة الحجة وَالدليلِ والبراهين في الإثبَاتِ.	
11	المبادرة والاكتشاف	مسارعة المتعلم إلى فعل شيء بهدف التغيير، هذا الشيء قد يكون فكرة أو عمل أو أي شيء آخر مفيد، منها رصد ظواهر وإجراءات أو أحداث جديدة، حتى يصل إلى توفر منطق وتفسير جديد يشرح معرفة تجمعت من خلال دمج ملاحظات بمعارف مكتسبة سابقا مع خلاصة الفكر والتجارب اليومية.	
12	الفضول والاطلاع	رغبة المتعلم المفرطة في معرفة أمرٍ ما، مستكشفا له حتى يحصل على الإجابات والأدلة الكافية في فهمه، ويكون ذلك بدافع الاكتشاف والاطلاع.	
13	الترشيد والتطوير	استخدام المتعلم للتفكير بالشكل الأمثل، من خلال الاعتماد على تقنياتٍ وإجراءاتٍ علمية دون إرهاق أو قصور، مع التغيير التدريجي في البنية العامة وأدواتها.	
14	الرسوخ والتوظيف	سعي المتعلم للتمكن والثبات في ما يدرسه من علوم متعددة؛ واتخاذها جزءا من كيانه، يقوم بتوظيفها واستخدامها بيسر وسلاسة وعن قناعة وابتهاج في مواقف أخرى باعتبار قيمتها لديه، حتى يخرج بخبرات جديدة.	

المصدر : انجاز الباحث 2021

ملحق رقم "04" استبانة مستويات القيم الروحية والنظرية.

إيمانا منا بأهمية الدراسات الميدانية في معالجة المواضيع الاجتماعية والإنسانية، نتقدم إليك أخي الطالب بمجموعة أسئلة حياتية؛ حتى نأخذ رأيك فيها، دون مجاملة أو تفكير مثالي، آملين منك أن تخصص لنا وقتا كافيا في الإجابة دون عجلة أو استهتار، وفيما يلي خطوات العمل.

معلومات عامة: ضح إشارة (×) أمام الجواب الصحيح في المعلومات العامة:

-**المستوى الدراسي:** ..... -**العمر:** ..... -**المتوسطة التي أدرس فيها:** .....

-**الجنس:** ذكر (.....)، أنثى (.....) -**أدرس كتاب التربية الإيمانية لمتوسطة عمي سعيد:** نعم (.....)، لا (.....)

الاستبيان: أجب على الآتي؛ وفق المثالين الآتيين:**مثال توضيحي: أخي الطالب/ أختي الطالبة:** أضع بين يديك مثالا توضيحيا للإجابة عليه قبل الشروع في الإجابة على عبارات الجدول.

التعليمة: أَقْرَأُ العبارات الثلاثة الواردة في الجدول قراءة جيدة، **واكتب رقم العبارة** التي تنطبق عليَّ تلقائيا في خانة ((**تحديد الاختيار**)).

مثال موجه للذكور

المجال	القيمة	رقم العبارة	العبارة	تحديد الاختيار
قيمة نظرية	الحكمة والاتزان	01	ألتزم دائما بوضع خوذة الدراجة النارية (Casque) على رأسي؛ سلامة لصحتي وأمانا لنفسي دون اعتبار لشيء آخر "رقابة أمنية أو غيرها".	02
		02	أضع خوذة الدراجة النارية (Casque) وفق هواي والطريق التي أسلكها. "أحيانا أضعها وأحيانا لا"	
		03	أضع خوذة الدراجة النارية (Casque) عندما يكون أمامي حاجز أمني؛ وعندما أعبره أنزعها وأضعها جانبا.	

مثال موجه للإناث

المجال	القيمة	رقم العبارة	العبارة	تحديد الاختيار
قيم جمالية	الانتقاء والإبداع	01	أقوم بتنظيف غرفة الضيافة وأرتبها على ذوقي إيمانا مني بأهمية النظافة في الحياة، فالغرفة جاهزة في كل وقت للاستقبال.	03
		02	تدفعني زيارة الضيوف لنا في المنزل، لتنظيف غرفة الضيافة وترتيبها وهذا واجب الاستقبال.	
		03	أقوم بتنظيف قاعة الضيافة بسبب أوامر والدي وتسلطهم علي، ولا يهمني طريقة ترتيبها، المهم أنهي العمل وأدفع نظراتهم عني.	

ملاحظة هاااامة: بعد التأكد من أنك فهمت المثال السابق فهما صحيحا، وأجبت إجابة دقيقة؛ أجب على عبارات الجدول الآتي، علما أن الغرض من إجابتك هو الوقوف على واقع القيم في مجتمعنا، لذا كلما تحليت **بالصدق والتركيز** في الإجابة، تكون قد ساهمت مساهمة **جادة** في نتائج البحث، بالتالي بلوغ التشخيص الصحيح وتحقيق التغيير المنشود، لذا فلتكن على ثقة أن ما أجبت به؛ سيحظى بسرية تامة ولا يُستخدم إلا لغرض البحث العلمي لا سواه.

المجال	القيمة	رقم العبارة	العبارة	تحديد الاختيار

قيم إنسانية	الاستسلام والرضا	01	كل ما أصابني من الله، فأنا مستسلم لقضائه وقدره –خيره وشره–، فالله حكيم عليم فيما اختاره لي.	
		02	أتزعزع أحيانا عندما أجد القدر ينتزع مني أشياء لا أملك غيرها؛ في حين لا ينتزعها من أشخاص يملكون العديد منها.	
		03	أتقبل القدر لأني لا أستطيع تغييره، فأنا أشعر بأني مظلوم وليس لدي حق التصرف.	
	المراقبة والخشية	01	طمعا في رحمة الله ومحبته واصطفائه لي؛ أقوم بالفرائض "صلاة، صوم..." ولو كان ذلك صعبا وفي ظروف شاقة.	
		02	أقوم بالفرائض "صلاة، صوم..." لأني ولدت في مجتمع يقوم بها؛ فكل يتبع ما هو في مجتمعه.	
		03	أقوم بالفرائض"صلاة، صوم..." عندما أجد من يراقبني ويدفعني لذلك مثل الوالدين أو أفراد الأسرة والمجتمع.	
	الالتجاء والدعاء	01	ألجأ إلى الله وأدعوه في جميع حركاتي وسكناتي باستمرار دون توقف سواء في الشدة أو الرخاء.	
		02	أدعو الله وألجأ إليه عندما أعيش وضعا صعبا حتى ينقذني منه؛ ولا أشعر بضرورته عندما أكون في حال جيدة.	
		03	عادة ما أدعو الله في الشدة فلا أجد إجابة، لذلك أعتمد على نفسي في الخروج منها.	
	التوكل والاعتماد	01	أجد الله ملهمي وسندي في كل مواقف الحياة منها الاختبارات الفصلية، فبعد التحضير الجيد ألجأ إليه وأتوكل عليه.	
		02	عادة ما أعتمد على توصيات الآخرين ونصائحهم في مجابهة الاختبارات الفصلية ومشكلات الدراسة.	
		03	دائما ما أدخل اختباراتي الفصلية دون تحضير مسبق، سوى ما أقوم به من تحضيرٍ ليلة الاختبار.	
	الطمأنينة والراحة	01	إيماني بالله وحقيقة المصير يجعلني أرى الأمور لا تبعث على القلق مهما كانت.	
		02	تحتاج مواقف الحياة إلى الغضب والمواجهة حتى أضمن لنفسي نتائج مرضية.	
		03	تعقيدات الحياة جعلتني أعيش في ترقب دائم لما ينتظرني من نتائج.	
قيم نظرية	التفوق والامتياز	01	أسعى مجدا في الدراسة طلبا للعلم محوا للجهل بمبدأ اقرأ باسم ربك (الحيوية والنشاط في العمل)	
		02	أجدُّ وأجتهد بهدف الحصول على وظيفة راقية لا أكثر (الاعتماد على قوة الإرادة في تحقيق الأهداف)	
		03	أجدُّ وأجتهد لتحقيق مكانة اجتماعية واقتصادية بين العموم (الحرص والانتباه وتحيين الفرص)	
	التفكير العلمي	01	أعتبر العلماء مصدر علمي وإلهامي، أقدرهم وأعتبرهم رمزا... رغم أنهم يخطئون أحيانا.	
		02	تربطني بأستاذي علاقة أستفيد فيها من معارفه لا أكثر، وعلي بحفظ كل ما يدلي به وإرجاعه له في الاختبار.	
		03	لا تهمني قيمة أستاذي فهو مجرد متسلط لإجبارنا على طاعته.	

	الحكمة والاتزان	01	أعالج الموضوعات بحكمة وإنصات دون تعصب في الرأي أو إصرار ولو كان الموضوع في عرضي وخاصتي.	
		02	عندما يتعلق الموضوع بشخصي أنتفض من دون اعتبار للقواعد أو المعايير.	
		03	لا أبالي بتفكير المجتمع وموضوعاته، بل أرى المجتمع يُقيِّد حرية الفرد من خلال عاداته وتقاليده.	

المصدر : انجاز الباحث2021

مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ر ت م د: 7163 -1112 ر ت م د إ :1892-2588
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2

أهمية ممارسة النشاط الرياضي الترويحي لدى الطلاب الجامعيين خلال أوقات الفراغ –دراسة نظرية.

The importance of the practice of recreational sports activity among university students during free time -a theoretical study.

زموري بلقاسم

جامعة بسكرة .الجزائر. zemmouri.2010@hotmail.fr

تاريخ الاستلام: 2020/04/05 تاريخ القبول: 2021/02/16

ملخص :

هدفت هذه الدراسة الى توضيح أهمية ممارسة الطلاب للأنشطة الرياضية الترويحية في الوسط الجامعي حيث تعتبر الحياة الجامعية مرحلة مهمة في بناء شخصية الطالب، ففي هذه الفترة يتزود بالرصيد المعرفي والعلمي خلال دراسته ومن خلال مشاركته في مختلف الانشطة ، العلمية، الثقافية، الرياضية المنظمة على مستوى الكليات أو الاقامات الجامعية. ومن بين هذه النشاطات النشاط الرياضي الترويحي، الذي له أهمية كبيرة حيث أصبحت مؤسسات مجتمعات العصر الحديث تضعه ضمن أولوياتها التنظيمية في كافة المستويات (التربوية، التعليمية، الاجتماعية، الإصلاحية وغيرها)، ومن هذا سنتناول في هذا المقال أهمية ممارسة النشاط الرياضي الترويحي لدى الطلبة الجامعيين وانعكاساته الايجابية على الطالب بدنيا، صحيا، نفسيا، وعقليا واجتماعيا وتربويا ...

الكلمات الدالة :

النشاط الرياضي ، الترويح ، الطلاب الجامعيين.

المؤلف المرسل: زموري بلقاسم : zemmouri.2010@hotmail.fr

Abstract :

This study aimed to clarify the importance of students practicing recreational sports activities because university life is an important step in building the personality of a student, during this period, he is endowed with knowledge and balance scientist during his studies and through his participation in various scientific, cultural and sporting activities organized at the level of colleges or university residences. . Among these activities is recreational sports activity, which is of great importance because the institutions of modern societies have placed it among its organizational priorities at all levels (educational, educational, social, reformer, etc.), and from This, we will discuss in this article the importance of recreational sports activity among university students and its positive repercussions on the student physically, healthily, psychologically, mentally, socially and pedagogically ..

Key words:
sporting activity, leisure, undergraduate students.

مقدمة:

إن الاستفادة من وقت الفراغ قد أصبح إحدى المشكلات الهامة والملحة في حياة الشعوب والمجتمعات بوجه عام وفي حياة الشباب بوجه خاص وذلك في وقتنا الحاضر. ولذا فإنه لأهمية وقت الفراغ في حياة المواطنين وفي حياة المجتمعات فإن الدول المتقدمة حضاريا لا تهتم بتوفير وقت الفراغ لأبنائها فحسب ، بل تهتم في المقام الأول بالتخطيط العلمي لطرق ولأشكال استثماره ، حتى لا يتحول هذا الوقت الى وقت ترتكب خلاله الجرائم أو يتم في أثنائه القيام ببعض الانحرافات و المناشط غير التربوية التي تضر بحياة الفرد والمجتمع.

ولأهمية وقت الفراغ في حياة الإنسان و كيفية استثماره في بناء شخصية الفرد و في تنمية المجتمع ، فإن الرسول (ص) قد أشار في حديث الى أنه لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه؟ وعن شبابه فيما أبلاه؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه ؟ وعن علمه ماذا عمل به؟ (محمد محمد الحماحمي، عايدة عبد العزيز مصطفى، 2004 ، ص17).

لهذا اهتمت جميع المؤسسات السياسية والتربوية والاجتماعية والاقتصادية والدينية والترويحية بدراسة وقت الفراغ وكيفية استثماره خاصة في الأنشطة الرياضية الترويحية.

وفي هذا المجال نطرح إشكالية تتمثل في مدى أهمية ممارسة النشاط الرياضي الترويحي لدى الطلاب الجامعيين خلال أوقات الفراغ ؟

للبحث في هذا الموضوع اعتمدنا على المنهج الوصفي التحليلي وهذا بقصد التوصل الى معرفة اكثر دقة.

وللإجابة على الإشكالية المطروحة ، اعتمدنا على ثلاثة محاور رئيسية:

المحور الأول: المذاهب الفلسفية ونظرتها للترويح.

المحور الثاني: الترويح الرياضي، انواعه وأهدافه.

المحور الثالث: النشاط الرياضي بالمرحلة الجامعية.

-أهمية الدراسة :

-يمكن الاستفادة من الجانب العلمي لهذه الدراسة في إعطاء الأهمية اللازمة لممارسة الطلاب للأنشطة الرياضية في الوسط الجامعي و الاطلاع على الوسائل و المناهج الحديثة في هذا المجال.

-إعطاء صورة واضحة حول خصائص النشاط الرياضي الترويحي لدى فئة الطلاب حتى يتم التحسيس بالآثار الإيجابية الناجمة عن الممارسة الرياضية في هذه المرحلة.

-اهداف الدراسة :

-التعرف على اهم النظريات المتعلقة بالنشاط الرياضي الترويحي.

-التعرف على أنواع و خصائص النشاط الرياضي الترويحي.

-التعرف على أسس ومتطلبات ممارسة الطلاب للنشاط الرياضي الترويحي.

-التعرف على مميزات النشاط الرياضي والعوامل المؤثرة على الممارسة.

-دور الجامعة في تنمية ميول واتجاهات الطلاب لممارسة الأنشطة الرياضية.

-تحديد المصطلحات :1

- الترويح : إن كلمة الترويح بالإنجليزية تعني التجديد والخلق، والابتكار وهناك نظريات وتفسيرات لكلمة الترويح ومفهوم الترويح تفوق اصطلاح "اللعب" في نظريات وتفسيرات، علما بان هناك من يفسرون اللعب والترويح تفسيرا واحدا، ويفسر الترويح على أنه رد فعلي عاطفي او حالة نفسية وشعور يحسه الفرد قبل واثناء ممارسة لنشاط ما سلبيا او إيجابيا هادفا، ويتم اثناء وقت الفراغ وان يكون الفرد مدفوعا برغبة شخصية ويتصف بحرية الاختيار وغرضه في ذاته، اما الغاية فهي ذلك التغيير في الحالة الانفعالية و العاطفية والاحساس بالغبطة والسعادة .(تهاني عبد السلام محمد، 2001، ص104).

ويعرف بأنه : "نشاط اختياري يحدث أثناء وقت الفراغ، ودوافعه الأولية هي الرضا أو السرور الناتج عن النشاط". (عطيات محمد خطاب ، 990،ص19).

-التعريف الاجرائي : ومن خلال هذه التعاريف نرى ان الترويح هو احد الانشطة التي يختارها الفرد خلال اوقات فراغه ويمارسها بدافع شخصي من اجل تحقيق رغباته وميوله، واكتساب كفاءات متعددة، بدنية، نفسية، اجتماعية .....

-وقت الفراغ : يعرف كل من جيست Gist و فافا Fava وقت الفراغ بأنه الوقت الذي يكون فيه الفرد حرا من ارتباطات العمل أو من أية التزامات أخرى، وبحيث يمكن الاستفادة من هذا الوقت في الراحة أو الاسترخاء أو في ممارسة أنواع من النشاط التي تؤدي إلى تطوير ذاته . (كمال درويش ، محمد الحماحمي ، 2004، ص27).

كما يعرف بأنه الوقت الذي يقضيه الإنسان في ممارسة نشاطات تقع خارج نطاق العمل الوظيفي الذي يعتمد على معيشته. (حسين عبد الحميد، أحمد رشوان ، 2011 ، ص127).

-التعريف الاجرائي : وقت الفراغ هو الوقت الذي يخلو من أي نشاط سواء كان عملا او دراسة.

2 - المحور الأول: المذاهب الفلسفية ونظرتها للترويح:

2 -1 نظرة الفلسفة المثالية :

يتميز الاتجاه المثالي بالثنائية اي التفريق الواضح بين البدن و العقل كما يتميز بإعلاء شان العقل، فالمثالية هي المذهب الذي يرجع كل وجود الفكر، ومبحث القيم في المثالية يتناول قضايا الحق والخير والجمال، لذا فإن اتجاهات الترويح في المثالية إنما هي اتجاهات اخلاقية وجمالية، ومنطقية فيرى افلاطون أبو المثالية اهمية التربية البدنية والموسيقى كنشاط تربوي اساسي.

2 -2 نظرة الفلسفة الواقعية:

ينظر الاتجاه الواقعي إلى استغلال وقت الفراغ اخذا في الاعتبار طبيعة الاهتمامات والقدرات الإنسانية، حسبما تسمح به ظروف التسهيلات الازمة، واهداف الترويح في الفلسفة الواقعية هي الاستفادة من واقع الحياة الفعلي في نمو الشخصية الإنسانية بشكل متوازن و متجدد ويفسرون اللعب على اعتبار انه طاقة زائدة، ويؤكد "جون لوك" ان الطفل يولد وعقله صفحة بيضاء وان مصدر كل أفكارنا هي خبراتنا الحسية في إدراك الظواهر بالفهم.

2 -3 نظرة الفلسفة البراغماتية :

يتحدد الاتجاه البراغماتي او العملي في الترويح من خلال مفهوم (المنفعة العملية) حيث لا يمكن القول بان المناشط الترويحية وبرامجها إنما يتحقق صدق قيمتها من خلال نتائجها الفعلية والعائد او المردود منها، يرجع الفضل في انتشار هذا المذهب وربطه بالتربية إلى "جون ديوي" حيث ينبذ هذا المذهب كافة الأفكار والمبادئ و المقولات الشكلية عديمة الفائدة الفعلية.

حيث يرى البراغماتيون ضرورة ان تضل التربية صورة صادقة لطبيعة الترويح بوصفها مكرسة لقيم جوهرية قابلة للاستهلاك، وبذلك تصبح برامج الترويح والتربية البدنية ذات صبغة عملية من خلال:

- تتميز الانشطة والبرامج بانها (نفعية، تكيفية، وظيفية)

- الاهتمام بالترويح البدني من خلال زيادة جرعات الالعاب لإضفاء التفاعل والنشاط. (كمال درويش، امين الخولي ، 2001، ص125).

2 -4 -الترويح في الإسلام :

لم يقتصر اهتمام الإسلام على ممارسة مختلف مظاهر الرياضة، وإنما اهتم أيضا بالأنشطة الترويحية ، وخير دليل على ذلك مقولة علي كرم الله وجهه : "روحوا القلوب ساعة من بعد ساعة فإن القلوب إذا ملت عميت وإذا عميت لم تفقه شيئا".

ومن أهم المظاهر الترويحية في صدر الإسلام هي ألعاب التصويب، ثم لعبة البندق وهي عبارة عن كرة في حجم الرصاصة، صنعت من الطين أو الحجر، وكانوا يرمونها على الطير، ثم صنعت لها شعبة لتطلق منها.

أما ألعاب الكرة فلم تمارس إلا بعد العصر الأموي، وكانت الكرة تسمى (الطبطابة) وكانت هناك لعبة تشبه الغولف في عصرنا الحالي، كما أنه الرقص الانفرادي كان مظهرا من مظاهر النشاط الترويحي لكل من الرجل و المرأة، فالرقص بالسيف أو العصا كان من أبرز مظاهر الرقص لدى الرجال، وهي عبارة عن حركات توافقية فيها رجولة وعنف ، أما بالنسبة للمرأة فقد مارست الرقص الانفرادي بين النساء فقط.(يوسف محمد زامل، 2011، ص174).

ومن خلال استعراض المذاهب الفلسفية ونظرتها للترويح، فإن الباحث يرى أن نظرة الفلسفة البراغماتية من اكثر المذاهب التي تؤمن بالمشاركة الفعلية والتي فسرت ظاهرة الترويح بشكل جيد وفعال وهذا ما يشجع ويدفع الأفراد الى ممارسة النشاط الترويحي ، وهذا من أجل التخلص من الضغوط النفسية وروتين الحياة اليومية، و إشباع حاجاتهم ورغباتهم خلال الممارسة.

3 - هدف الترويح وأنشطة الفراغ :

المشاركة الترويحية من خلال الأنشطة البدنية تتيح قدرا من الخبرات و القيم النفسية و الاجتماعية التي تثري حياة الفرد و تضيف لها الأبعاد البهيجة المشرفة و النظرة المتفائلة للحياة.

ان ممارسة النشاط الرياضي يصاحبه إحساس بالتسلية والمتعة، ويشيع روحا من التفاؤل والانشراح بين الممارسين ويشغل أوقات فراغهم مما يعود عليهم بالنفع بدنيا ونفسيا ومن خلال هذه الممارسة يكتسب الفرد مهارات ويتحصل على معارف تتصل بهذه الأنشطة ، كما يحس الممارس بالرضى وتذوق طعم الإجادة والإنجاز والفوز والقيم الذاتية.

ومن نتائج ممارسة النشاط الرياضي من اجل الترويح تحسين اللياقة البدنية والأجهزة الحيوية وإشاعة البهجة وتدعيم الاستقرار الانفعالي، ومن خلال هذه الممارسة تنمو العلاقات والصداقات بين الممارسين مما يسهم في تطوير النضج الاجتماعي لديهم ويشيع حب الاستطلاع واحترام البنية وتذوق الأبعاد الجمالية وتوافر القبول الاجتماعي والانتماء. (محمد سعد زغلول وآخرون ، 2002 ، ص45).

وتقف التمرينات والألعاب الرياضية في مقدمة وسائل الترويح التي يقبل الناس عليها في كل مكان لما تحتويه من حركة ونشاط ، وما يسود أجوائها من مرح وسرور وعفوية تنعكس ايجابيا على العقل والجسم على حد سواء.(إسماعيل خليل ابراهيم ، 2010 ، ص98).

4 - المحور الثاني: الترويح الرياضي، انواعه وأهدافه.

يعتبر الترويح الرياضي من الأركان الأساسية في برامج الترويح لما يتميز به من أهمية كبرى في المتعة الشاملة للفرد ، بالإضافة إلى أهميته في التنمية الشاملة للشخصية من النواحي البدنية والعقلية والاجتماعية، وكذلك بتحسين عمل كفاءة اجهزة الجسم المختلفة كالجهاز الدوري والتنفسي والعضلي والعصبي. (إبراهيم رحمة، 1998، ص09).

الترويح الرياضي يدخل في إطار التطور الكبير الذي عرفه المجتمع مع نهاية هذا القرن، وهذا من خلال زيادة الوقت الحر، حيث ان الترويح الرياضي يستجيب لاحتياجات النشاط البدني، ويتكيف حسب حاجيات كل فرد اي

حسب رغباته وطموحاته، وتمارس الانشطة الرياضية في النوادي، في المجتمعات، في المؤسسات وكذلك ضمن إقامات او تجمعات ذات طابع رياضي، وان الممارسون غير مقيدون بالقانون والوقت. (Corinne,et al, 1996,p20)

كما يتميز النشاط الرياضي الترويحي بحفظ واستقرار وتقوية الصحة، قوة المقاومة للجسم بصفة عامة والبحث عن المتعة في الحياة، وهذا بواسطة مختلف الانشطة الرياضية من اجل تنمية التواصل والتعاون الاجتماعي.) Habil., 1993,P 09)

و يرى الباحث أن الترويح الرياضي هو ذلك النشاط البدني الرياضي الذي يمارسه الفرد بمحض إرادته خلال أوقات الفراغ بصفة فردية او جماعية ، من أجل تنمية قدراته البدنية و الصحية و كذلك من أجل الترويح عن النفس.

4 -1 -أهمية فلسفة الأنشطة الرياضية الترويحية :

تشير الجمعية الأمريكية للصحة والتربية البدنية والترويح (AAHPER) إلى إسهامات الترويح في حياة المجتمعات المعاصرة، في النقاط التالية:

-تحقيق الحاجات الإنسانية للتعبير الخلاق عن الذات.

-تطوير الصحة البدنية والصحة الانفعالية والصحة العقلية للفرد.

-التحرر من الضغوط والتوتر العصبي المصاحب للحياة العصرية.

-توفير حياة شخصية وعائلية زاخرة بالسعادة والاستقرار.

-تنمية ودعم القيم الديمقراطية.(مصطفى السايح محمد وآخرون ،2007، ص131).

4 -2 - أنواع الأنشطة الرياضية الترويحية :

يمكن تقسيم مناشط الترويح الرياضي إلى المجموعات الرئيسية التالية:

4 -2 -1 الرياضات المائية: تعتبر الرياضات المائية افضل انواع الرياضة الترويحية، كما انها تناسب جميع المراحل العمرية من سن المهد وحتى الشيخوخة، واهمها : السباحة و الغطس ، والتجديف و التزلج على الماء ومسابقات القوارب.

4 -2 -2 الرياضات الفردية: وبالأخص التنس الارضي، وتنس الطاولة والتمرينات البدنية، والريشة الطائرة ن وركوب الدراجات، والجولف ، وركوب الخيل، والمشي والجري الخفيف (Joging) والبولو واليوجا والجمباز.

4 -2 -3 الالعاب الجماعية: وهي الكرة الطائرة، كرة القدم، كرة السلة، وكرة اليد للمراحل العمرية المختلفة.

4 -2 -4 الالعاب الشتوية: مثل التزلج على الجليد والقفز من المنصة الجليدية وهوكي الانزلاق وحركات الباليه على الجليد.

وبرامج الرياضات الترويحية، إما ان تكون فردية، وعلى مستوى الاسرة، او انها من خلال مؤسسات تربوية مثل المدارس والجامعات او من خلال مؤسسات رياضية مثل المراكز والاندية والجمعيات الرياضية" (محمد إبراهيم شحاته ، 2004 ، ص15).

4 -3 -التأثيرات الايجابية للترويح الرياضي:

تتمثل التأثيرات الناتجة من الممارسة الترويحية للمناشط البدنية في :

- الصحة واللياقة البدنية وكفاية الاجهزة الحيوية.
- البهجة والسعادة والاستقرار الانفعالي.
- مفهوم إيجابي للذات وتحقيق الذات ونمو الشخصية.
- نمو العلاقات الاجتماعية والنضج الاجتماعي.
- إتاحة فرص الاسترخاء وإزالة التوتر والتنفس المقبول
- إشباع حب الاستطلاع والمعرفة والفهم وزيادة الوعي
- احترام البيئة الطبيعة والحفاظ عليها
- تقديم الخبرات والقيم الجمالية وتذوقها

إشباع الحاجة على القبول والانتماء. (امير الخولي ، 1996، ص155).

4 -4 -أهداف الترويح الرياضي :

إن للترويح الرياضي العديد من الاهداف التي يسعى الى تحقيقها للمشاركين في مناشطه المختلفة، والتي من اهمها :

4 -4 -1 - الاهداف الصحية: وهي الاهداف المرتبطة بوجه عام بصحة الممارس بانتظام لمناشطها، وتتضمن الاهداف التالية:

- تطوير الحالة الصحية للفرد.
- الوقاية والاقلال من فرص التعرض للإصابة بأمراض القلب والدورة الدموية.
- زيادة المناعة الطبيعية للجسم و ومقاومته للأمراض.

- الحد من الآثار السلبية للتوتر النفسي وللقلق وللتوتر العصبي.
- التغذية الجيدة والمناسبة وفقا لنوع الجهد المبذول في ممارسة النشاط.
- المحافظة على الوزن المناسب للجسم.

4 -4 -2 الاهداف البدنية: وتشمل الاهداف التي تهتم بالحالة البدنية للممارس بانتظام لمناشطها وهي:

- تنمية اللياقة البدنية.
- تجديد نشاط وحيوية الجسم.
- المحافظة على الحالة البدنية الجيدة.
- الاحتفاظ بالقوام الرشيق.
- الوقاية من بعض انحرافات القوام.
- الاسترخاء العضلي والعصبي.
- مقاومة الانهيار البدني في سن الشيخوخة.

4 -4 -3 الاهداف المهارية: وهي الاهداف المرتبطة بتعليم وتنمية المهارات الحركية بوجه عام، وتشمل اهم الاهداف التالية:

- تنمية الحس الحركي منذ الصغر.
- تعليم المهارات الحركية للألعاب وللرياضات المختلفة منذ الصغر.
- تنمية المهارات الحركية للفرد.
- تعليم طريق اداء التمرينات الحديثة كالتمرينات الهوائية.
- الارتقاء بمستوى اداء الموهوبين رياضيا.

4 -4 -4 الاهداف التربوية: وهي تلك الاهداف التي تهتم بالفرد الممارس لمناشطها من الجانب التربوي، وتتضمن اهم الاهداف التالية:

- تشكيل وتنمية الشخصية المتكاملة للفرد.
- تزويد الفرد بالعديد من الخبرات الحياتية.
- استثمار اوقات الفراغ.
- التفاؤل والنظر الى الحياة بنظرة طموحة للمستقبل.
- تنمية قوة الارادة.
- التفوق على الذات.

- التعود على احترام مواعيد الممارسة للنشاط بين الافراد، او بين الجماعات.

4 -4 -5 الاهداف النفسية: وهي الاهداف التي تهتم بالفرد الممارس لمناشطها من الجانب النفسي، وتحتوي على اهم الاهداف التالية:

- تنمية الرغبة واستثارة دافعية الفرد نحو ممارسة النشاط الحركي.
- تحقيق السعادة لحياة الفرد والترويح عن ذاته.
- إشباع الميل للحركة او اللعب او لهواية الرياضة.
- التعبير عن الذات وتفريغ الانفعالات المكبوتة.
- الحد من التوتر النفسي والعصبي الناتج عن ظروف الحياة في المجتمعات المعاصرة.
- تحقيق الاسترخاء والتوازن النفسي للفرد.

4 -4 -6 الأهداف الاجتماعية: وهي تلك الاهداف التي تهتم بالجانب الاجتماعي للفرد الممارس بانتظام لمناشطها، وتتضمن ما يلي:

- التغلب على ظاهرة العزلة الاجتماعية التي تسود المجتمع المعاصر بتكوين علاقات وصداقات مع الآخرين من الافراد والجماعات.
- إشباع الحاجة للالتقاء مع الآخرين من ذوي الميول والاهتمامات المشتركة.
- تحقيق التوافق الاجتماعي للأفراد والجماعات الممارسين لمناشط الرياضة للجميع.
- المشاركة في الاحتفالات والمهرجانات الرياضية والتعاون بين الجماعات في تنظيمها.
- تنمية مهارات التواصل والتفاوض بين الجماعات وبعضها لدعم العمل الجماعي.
- تهيئة الفرص لممارسة التخطيط الجماعي للنشاط والتدريب على اتخاذ القرارات الجماعية وكيفية التوفيق في حل المشكلات التي تواجه ممارسة مناشط الرياضة للجميع.

4 -4 -7 الاهداف الثقافية: وتشمل الاهداف المرتبطة بتزويد الفرد بالعديد من انواع المعرفة وتشمل اهم الاهداف التالية:

- تزويد الفرد بالثقافة الرياضية وذلك بتزويده بالعديد من انواع المعرفة والاتجاهات والعادات المرتبطة بمجال الرياضة للجميع.

- تشكيل وتنمية مدركات الفرد بأهمية الرياضة للجميع في الحياة العصرية.

- التعرف على العديد من مناشط وقت الفراغ ومناشط الخلاء و استيعاب طرق تنظيمها.

- التعرف على الالعاب الشعبية المتأصلة في التراث الثقافي للمجتمع.

- إدراك الفرد لقدرات ولحاجات الجسم للحركة.

- التعرف على عوامل الامان والسلامة المرتبطة بممارسة وبطبيعة مناشط الرياضة للجميع.

- تعلم الفرد الممارس لمناشط الرياضة للجميع لكيفية الوقاية من الاصابة وطرق معالجتها في حالة حدوثها.

4 -4 -8 - الاهداف الاقتصادية : وهي تعبر عن الاهداف التي ترتبط بإنتاجية الافراد والجماعات الممارسين لمناشط الرياضة للجميع، وتتضمن اهم الاهداف التالية:

- زيادة الرغبة والتحفيز للعمل

- زيادة الكفاءة الانتاجية للفرد

- تحسين نوعية الحياة للأفراد او الجماعات الممارسين لمناشط الرياضة للجميع.

- التقليل من النفقات العلاجية او من النفقات الصحية نظرا لما تسهم به الرياضة للجميع في الوقاية من العديد من الامراض المرتبطة بزيادة الوزن او نقص الحركة او بالتوتر النفسي او العصبي.

التقليل من الفاقد الانتاجي للمجتمع و الناتج عن خفض معدلات الجريمة وتقليص وانتشار تعاطي المخدرات بين الافراد، وذلك بفضل استثمار وقت الفراغ في المشاركة في مناشط الرياضة للجميع واثر ذلك على الانتاج. (محمد محمد الحماحمي، عايدة عبد العزيز، 2004، ص90 -95).

المحور الثالث: النشاط الرياضي بالمرحلة الجامعية.

4 -5 - مميزات النشاط الرياضي الترويحي بالمرحلة الجامعية:

يتميز النشاط الرياضي الترويحي في المرحلة الجامعية بما يلي:

- يعتبر حقلا لتنمية المهارات التي سبق وان تعلمها الطالب في المراحل الدراسية السابقة ومنه فرصة لاختيار الطالب ما يتناسب مع ميوله من انشطة وتحسين من مستواه فيها.

- يساعد الاشتراك في الانشطة الرياضية الترويحية على حسن استغلال اوقات الفراغ لأنها لا تحتاج الى مستوى عالي من المهارة وعن طريقها يمكن للطالب إجادة اللعبة التي يحبها.

- يتيح النشاط الرياضي للطلاب فرصا لاكتشاف مجالات جديدة و اكتساب خبرات لم يسبق لهم ان مارسوها.

- يتيح المشاركة في النشاط الرياضي التدرب على القيادة وتنفيذ الانشطة الرياضية.

4 -6 - برامج النشاط الرياضي بالمرحلة الجامعية:

اتجهت الدولة الى انشاء مرافق خاصة برعاية الشباب في الجامعات ، المؤسسات التعليمية وإعداد البرامج المفيدة بحيث يستطيع الفرد ان يمارس مختلف حقوقه المدنية ويصبح قادرا على تحمل المسؤولية. فالشباب هو العنصر البشري الاساسي في أي مجتمع يجب ان يهتم بهم وذلك من خلال تهيئة الظروف والحياة الدراسية والانشطة الطلابية المختلفة لتنميتهم علميا و اجتماعيا وبدنيا وانفعاليا بما يتماشى مع خصائصهم وميولهم واتجاهاتهم.(زهران ليلى عبد العزيز، 1998، ص157).

وهذا ما يوضح اهمية ممارسة الانشطة الرياضية الترويحية في الجامعات كمجال لاستثمار وقت الفراغ والتنمية البشرية، كما ان الاعتمادات المالية لممارسة هذه الانشطة من ادوات واجهزة ومنشآت وغيرها ماهي إلا استثمار في العنصر البشري، حيث ان الاستثمار في العنصر البشري كما يذكر أسامة احمد الفيل هو نشاط مخصص لتنمية مهارات و معارف وقدرات الموارد البشرية العاملة والمنتظرة بالكيفية التي تسمح بتحقيق اهداف التنمية الاقتصادية والاجتماعية في المجتمع . إلا ان هناك بعض المعوقات التي قد تحول دون تنفيذ البرامج الرياضية الترويحية نذكر منها :

- عدم توفير الإمكانات المادية والبشرية بما يتناسب مع أعداد الطلبة.

- عدم توفير الوقت المناسب لممارسة الانشطة الترويحية حيث تعمل الجامعات في الغالب طوال اليوم لزيادة عدد الطلاب.

- عدم اهتمام بعض الكليات بالأنشطة.

-اهتمام الجامعات بالأنشطة التنافسية.(طه عبد الرحيم طه ، 2006، ص81).

4 -7 - دور الجامعة في تنمية ميول و اتجاهات الطلاب نحو المشاركة في الانشطة الترويحية :

للجامعات دور حيوي في تنمية ميول و اتجاهات الطلاب نحو المشاركة في المناشط الترويحية و في اشباع احتياجاتهم البدنية و النفسية و العقلية و المعرفية و الاجتماعية و ذلك من خلال :

-الاعلان و الدعاية لبرامج الترويح المختلفة و ذلك في موعد مبكر عن بدء النشاط، مما يتيح فرص الممارسة او المشاهدة لمناشطها من قبل الطلاب .

-توفير المنشآت و الادوات و الاجهزة المرتبطة بالمناشط المختلفة للترويح و ذلك من قبل المسؤولين عن الجامعة، مما يتيح الفرص للطلاب من ممارسة اوجه النشاط التي يميلون الى ممارستها.

-التنويع في برامج النشاط الرياضي و الثقافي و الفني و الاجتماعي و ذلك لمراعاة الفروق الفردية بين الطلاب.

-توجيه الطلاب الى نوع النشاط المناسب لميولهم و استعدادهم و قدراتهم، و ذلك حتى يقبلون على ممارسته و يتحقق لهم الرضا عن المشاركة.

-توفير الحوافز لاشتراك الطلاب في المناشط المختلفة للترويح و ذلك من قبل ادارة النشاط بالجامعة بغرض زيادة الطلب على المشاركة في تلك المناشط.

-توفير المشرفين المتخصصين في كافة مناشط الترويح للإشراف التربوي على الممارسين من طلاب الجامعة.

-اختيار الاوقات المناسبة لتنفيذ برامج الترويح بالجامعة وبما لا يتعارض مع مواعيد محاضرات الطلاب او المناشط العلمية الاخرى. (محمد محمد الحماحمي ، عايدة عبد العزيز مصطفى، 2004، ص204).

4 -8 - فلسفة تطوير النشاط الرياضي :

إن الفرق بين الدول المتقدمة والدول النامية كبير، والفجوة تتسع ، واللحاق بالركب يكاد يكون مستحيلا ما لم نغير في كثير من أمورنا وسلوكنا وتصرفاتنا في كل شأن من شؤون حياتنا وقطاعنا الرياضي والشبابي ، فقد قال الله سبحانه وتعالى (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم). فعوامل التقدم واضحة ومعلومة لدى المتخصصين في دراسة التنمية ، ومن أهمها:

-وضع الاستراتيجيات المستقبلية لتطوير النشاط الرياضي وتحديد الأهداف.

-التخطيط السليم والبرمجة المستقبلية للمشروعات الشبابية والرياضية وفقا للاستراتيجيات والأهداف العامة والمحددة.

-اصلاح الإدارة الرياضية وحسن التنظيم .

-المتابعة وتقويم الأداء والمراقبة.

-الحوافز المعنوية والمادية.(مصطفى السايح محمد، محمد حسن عبد المنعم ، 2007، ص130).

من خلال عرض اهم النظريات المتعلقة بموضوع دراستنا ، يجب الاهتمام بطرق ووسائل استثمار الوقت حتى لا يتحول هذا الوقت الى وقت ضائع ، وتجسيد ثقافة الممارسة الرياضية الترويحية خاصة لدى الطلبة الجامعيين في الوسط الجامعي ولأجل الوصول الى ذلك نلخصها فيما يلي:

-ضرورة توفير المنشآت و الوسائل الرياضية اللازمة للممارسة الرياضية الترويحية.

-عرض العديد من أنواع الأنشطة الرياضية الترويحية وهذا حسب ميول و رغبات الطلبة وحسب متطلباتهم.

- ضرورة توظيف مختصين في النشاط الرياضي.

- تنظيم دورات رياضية في جميع الأنشطة الرياضية لإعطاء الفرصة لكل الطلبة لاستثارة دافعيتهم نحو ممارسة النشاط الرياضي خلال أوقات الفراغ.

- تنظيم ملتقيات وأيام دراسية لصالح الطلبة على مستوى الكليات والاقامات الجامعية بأهمية ممارسة النشاط الرياضي خلال أوقات الفراغ وفوائده من جميع الجوانب البدنية والنفسية والاجتماعية والصحية...

-الاستنتاجات:

من خلال ما سبق نستنتج ان لممارسة النشاط الرياضي الترويحي لدى الطلاب الجامعيين له أهمية بالغة من جميع الجوانب، ولا يتحقق الا بادراك النقاط التالية:

-معرفة اهم النظريات المتعلقة بالترويح الرياضي واستخدام الاحسن والانسب.

-ادراك اهداف ممارسة النشاط الرياضي الترويحي من الناحية البدنية والنفسية والاجتماعية والصحية والفكرية.

-التعرف على أنواع الأنشطة الرياضية الترويحية التي يمكن ان يمارسها الطلاب.

-ادراك مميزات النشاط الرياضي الترويحي بالمرحلة الجامعية.

- معرفة دور الجامعة في تنمية ميول واتجاهات الطلاب نحو المشاركة في الانشطة الترويحية.

خاتمة:

إن الطلبة الجامعيين لا تقتصر حياتهم على الدراسة و البحث العلمي فقط، بل لا بد من ممارسة الأنشطة الرياضية، حيث يلتقون بزملائهم الطلبة في الممارسات الرياضية و المنافسات التي يتعلمون من خلالها التعاون في جو تسوده الألفة والمحبة عند ممارستهم مختلف الانشطة الترويحية الرياضية، التي تعمل على تخفيف التوتر و الشد العصبي التي اصبحت تلازمهم في الحياة اليومية، كما ان للنشاط الرياضي الترويحي إسهامات في التأثير الايجابي على العديد من جوانب نمو الطلبة المشاركين في ممارسة العديد من النشاطات وهذا من اجل الوقاية وإلى زيادة المردود لهؤلاء المشاركين، ولهذا يجب على المشرفين على مستوى الجامعات (معاهد ، كليات، إقامات جامعية) تدعيم حركة النشاط الرياضي الترويحي لما لها من فوائد من مختلف الجوانب، الصحية، النفسية، الاجتماعية... حتى يمكنهم توفير الفرص لأكبر عدد من الطلبة لممارسة هذه الأنشطة وذلك من خلال العمل على بناء استراتيجية لنشر الرياضة الترويحية لتوفير الظروف المناسبة لكل الطلبة، وترسيخ فلسفة ممارسة النشاط في استثمار اوقات الفراغ والتخطيط العلمي لبرامج هذه الانشطة وهذا من اجل تحفيز واستثارة الطلبة للمشاركة في برامج الأنشطة الرياضية .

-قائمة المراجع :

-إسماعيل خليل إبراهيم (2010)، أسس فلسفة التربية الرياضية . ط1 . دار دجلة، الأردن.
- إبراهيم رحمة(1998)، تأثير الجوانب الصحية على النشاط البدني الرياضي. دار الفكر للطباعة والنشر، عمان، الأردن.
- امين، الخولي (1996)، أصول التربية والرياضة، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة ،مصر.
- تهاني، عبد السلام محمد (2001)، الترويح والتربية الترويحية ، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر.
- حسين عبد الحميد، أحمد رشوان (2011)، الرياضة البدنية، مدخل اجتماعي - نفسي ، جامعة أسيوط، المكتب الجامعي الحديث، مصر.
- زهران، ليلى عبد العزيز (1998)، الاصول العلمية والفنية لبناء المناهج في التربية البدنية، حورس للطباعة والنشر، القاهرة ، مصر.
- طه عبد الرحيم، طه (2006) ، مدخل الى الترويح، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر.
- عطيات محمد خطاب (1990)، اوقات الفراغ والترويح، ط2، دار المعارف، القاهرة، مصر.
- كمال درويش، امين الخولي (2001)، الترويح واوقات الفراغ، ط2، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر.
- محمد إبراهيم شحاته(2004)، التربية الرياضية والمهنية، المكتبة المصرية، الإسكندرية، مصر.
- محمد سعد، زغلول وآخرون (2002)، مدخل التربية والرياضة، مركز الكتاب للنشر، القاهرة ، مصر.
- محمد محمد الحماحمي، عايدة عبد العزيز مصطفى(2004)، الترويح بين النظرية و التطبيق، ط3، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، مصر.
- مصطفى السايح محمد، محمد حسن عبد المنعم (2007) ، فلسفة التربية الرياضية، ط1 ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر.
- مصطفى السايح محمد (2007)، الرياضة والتربية الاجتماعية، دار الوفاء الطباعة والنشر، الإسكندرية ،مصر.
- يوسف محمد زامل (2011)، الثقافة الرياضية ، ط1، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، مصر.
- كمال درويش، محمد الحماحمي (2004)، رؤية عصرية للترويح و اوقات الفراغ، ط2، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، مصر.

-Corinne lacost, et al(1996) , la pratique du sport. Mathou. paris . France,.
- Habil, DORNHOFF, martin(1993) , l'éducation physique et sportive. O.P.U. Alger. Algérie,.

مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ر ت م د: 7163 -1112 ر ت م د إ :1892-2588
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2

التغير الثقافي وعلاقته بمنهاج التربية البدنية والرياضية في الطور الثانوي

Cultural change and its relationship to the curriculum of physical education and sports in the secondary stage

بن شاعة سعد [1]، شريط محمد الحسن المأمون [2]

1 - جامعة أمحمد بوقرة بومرداس، مخبر العلوم الحديثة للأنشطة البدنية والرياضية (STAPS) جامعة البويرة، s.benchaa@univ-boumerdes.dz

2 - جامعة أمحمد بوقرة بومرداس، مخبر علوم وتقنيات النشاطات البدنية و الرياضية (SPAPSA) جامعة الجزائر3 ، h.cheriet@univ-boumerdes.dz

تاريخ الاستلام: 2020/07/20 تاريخ القبول: 2021/03/21

ملخص :

تهدف هذه الدراسة إلى أهمية وفعالية منهاج التربية البدنية والرياضية للطور الثانوي ، ومدى انعكاس التغير الثقافي على مخرجات الأقسام النهائية من التعليم الثانوي ، من حيث الأهداف المعرفية والنفس حركي والوجداني في ظل بيداغوجية المقاربة بالكفاءات، ولتحقيق ذلك اعتمد الباحث على دراسة آراء و تقديرات أساتذة المادة من الطور الثانوي ، في ما يخص جوانب التعلم الثلاثة والمحددة في المنهاج الرسمي، مستعملا المنهج الوصفي التحليلي. تم اختيار عينة بواقع الإمكانيات المتاحة و بصفة مقصودة بأسلوب المسح الشامل من اساتذة التربية البدنية والرياضية من الطور الثانوي لولايتي الاغواط و بومرداس موزعين على90 ثانوية، وكان عددهم 186 مبحوثاً.

الكلمات الدالة:

المنهاج ؛ التربية البدنية والرياضية ؛ التغير الثقافي.

المؤلف المرسل: بن شاعة سعد: s.benchaa@univ-boumerdes.dz

Abstract: This study aims at the importance and effectiveness of the curriculum of physical education and sports for the secondary stage, and the extent of the cultural change on the outcomes of the final sections of secondary education, in terms of cognitive and psychomotor and emotional goals in the light of pedagogy approach competencies, and to achieve this researcher relied on the study of the views and estimates of teachers The secondary phase, in terms of the three aspects of learning identified in the formal curriculum, using the descriptive analytical approach. A sample was selected according to the available possibilities and intentionally by means of a comprehensive survey of the teachers of physical education and sports from the secondary phase of the provinces of Laghouat and Boumerdes distributed on 90 secondary, and the number of 186 respondents.

Key words: Curriculum; Physical and Sports Education; Cultural Change.

I - مقدمة:

تعمل المناهج التربوية على معالجة وتوجيه التغيرات الثقافية والاجتماعية المصاحبة لتطور المجتمعات حيث تسمح بالحفاظ على التراث والموروث الثقافي المرغوب فيه اجتماعيا من جهة ، والعمل على مسايرة التطورات والتحديات التي تصاحب هذه التغيرات من جهة أخرى ، والمجتمع الجزائري كغيره من المجتمعات العربية الأخرى عرف تغيرات ناجمة عن احتكاك بين ثقافتين مختلفتين هما الثقافة الجزائرية التقليدية والثقافة الغربية الحديثة ، أي انه تعرض لاحتكاك ثقافي الذي يعد نوعا من التثاقف اللام تكافئ والمفروض (cuche, 1998, p. 16) أو صدام بين ثقافتين لهما أصول تاريخية وتقاليد وتصورات ورؤى للحياة مختلفة ومتعارضة وان إحدى هاتين الثقافتين تعتقد أنها تملك من المقومات ما يؤهلها لفرض الهيمنة على الثقافة الأخرى (زيد ا.، 2003) ويتميز التغيير والتحديث في الجزائر بعدة خصائص أهمها نشأته في ظل الهيمنة الأجنبية وهي بذلك لم تكن نابعة من الذات ، أي من التطور الذاتي

للمجتمع (sari, 1993, p. 291) وهذا ما تسبب في اضطراب كبير وعدم التوازن في تكوين مفاهيم الناس السيكولوجية والاجتماعية (الرفاعي، 2001)

من هنا اهتم التربويون بفكرة التغير الثقافي وانعكاسه على المناهج التربوية وخاصة مناهج التربية البدنية باعتبارها من أهم الوسائل التي تؤدي إلى إكساب المتعلمين القيم والاتجاهات الايجابية وتربيتهم عليها لتكون جزءا أساسيا من شخصيتهم.

وتعد مناهج التربية الرياضية من أكثر وأخصب المناهج التي تنمي قيم الهوية الثقافية المتعلقة بتعزيز روح الجماعة والروح الرياضية واحترام الخصم والإقدام والتسامح والتعاون والتضحية والأمانة واحترام الذات وتقدير الآخرين والسعي نحو الانجاز وتقبل النقد والإبداع وتحقيق الذات وتقبل الفوز والخسارة، وغيرها من القيم والمعايير الايجابية ، ولا تتكون هذه القيم الايجابية والحميدة إلا من خلال تنشئة اجتماعية يهدف منهاج التربية البدنية على وجه الخصوص غرسها وتنميتها في أبنائنا ، بما يسمح بتحقيق البقاء والاستمرار للأجيال (حسام، 2008، صفحة 100)

ويعتبر منهاج التربية البدنية عملية لضبط المعرفة التعليمية والاجتماعية والثقافية والبدنية ، كما يتيح حياة اجتماعية تخضع للتنظيم والتوجيه مميزة بمواقف وتفاعلات اجتماعية بناءة ، مما يشكل تدريبا على الحياة الاجتماعية الناجحة وتدعيما لها ، كما يساعد على التفتح والنمو الاجتماعي السليم لشخصية الممارس داخل المؤسسات التربوية والتي تهيئ الفرص لتحقيق النمو المتكامل للنشء ، وفي هذا الصدد قام إميل دور كيم بدراسة استطاع من خلالها إبراز دور وأهمية المناهج التربوية في العملية التعليمية وذلك في سبيل إنشاء تنشئة اجتماعية مثلى عن طريق التحكم في نوعية ومحتوى المناهج والمقررات في مناهج التربية البدنية ، باعتبارها الأكثر تأثيرا على التلاميذ. واستنتج أن التنشئة الاجتماعية تتأثر بنوعية ومحتوى المنهاج في توجيه متطلبات التلاميذ الفردية والجماعية (Durkheim, 1989, p. 108)

وانطلاقا من التغيرات الثقافية التي يشهدها المجتمع الجزائري وتأثير هذه التغيرات على المناهج التربوية وخاصة منهاج التربية البدنية والرياضية ودورها في التنشئة الاجتماعية للتلاميذ تبرز أهمية هذا البحث في مواجهة التأثيرات والتطورات غير المرغوب فيها والمصاحبة لمظاهر التغير الثقافي والاجتماعي التي حدثت في المؤسسات التربوية حاليا. كما يهدف هذا البحث إلى دراسة أهم التأثيرات الناتجة عن مظاهر التغير الثقافي المميزة لتلاميذ حاليا على تنفيذ منهاج التربية البدنية وتحقيق أهدافه .

وعلى هذا الأساس أردنا تسليط الضوء من خلال دراستنا لهذا الموضوع على معرفة عملية التأثير والتأثر بين المنهاج الحالي والتغير الثقافي ، وانطلاقا مما سبق ذكره تم طرح إشكالية الدراسة في تساؤل رئيسي كالآتي:

1 - ما هي العلاقة الموجودة بين منهاج التربية البدنية والرياضية في ظل المقاربة بالكفاءات والتغير الثقافي؟.

وقد تفرع عن هذا التساؤل العام تساؤلين جزئيين هما:

2 - هل يحقق منهاج التربية البدنية والرياضية الأهداف التعليمية من جانبها المعرفي توجد علاقة ارتباطية بين منهاج التربية البدنية والرياضية في ظل المقاربة بالكفاءات و التغير الثقافي؟

وللإجابة على هذا التساؤلين قام الباحث بوضع فرضيات الدراسة كالتالي:

- ✓ يحقق منهاج التربية البدنية والرياضية الأهداف التعليمية من جانبها المعرفي يحقق منهاج التربية البدنية والرياضية الأهداف التعليمية من جانبها المعرفي حسب تقديرات أساتذة المادة.
- ✓ يحقق منهاج التربية البدنية والرياضية الأهداف التعليمية من جانبها النفس حركي حسب تقديرات أساتذة المادة.
- ✓ يحقق منهاج التربية البدنية والرياضية الأهداف التعليمية من جانبها الوجداني حسب تقديرات أساتذة المادة.

II - الطريقة وأدوات:

1 - إجراءات الدراسة :

1 -1 - المنهج المتبع في الدراسة:

يعرف المنهج الوصفي التحليلي بأنه "يساهم في الوصول إلى المعرفة الدقيقة والتفصيلية لعناصر المشكلة أو الظاهرة للوصول إلى فهم أفضل وأدق، ويهدف هذا المنهج إلى توفير البيانات والحقائق عن المشكلة موضوع البحث لتفسيرها والوقوف على دلالاتها" (الرفاعي حسين، 1996، صفحة 122)

وعليه اعتمد الباحث على المنهج الوصفي التحليلي الذي يتضمن الأسلوب المسحي بجمع البيانات بواسطة الاستبيانات والعمل على تحليلها إحصائيا بالإجابة على أسئلة الدراسة وهذا من خلال التحليل الذي يساهم في الكشف عن وجود علاقات ارتباطية ذات دلالة.

2 - مجتمع الدراسة وعينته:

2 -1 - **مجتمع الدراسة:** يتكون مجتمع بحثنا من جميع أساتذة التربية البدنية والرياضية قي المرحلة الثانوية التابعين لقطاع التربية الوطنية لمدينتي الأغواط و بومرداس، بحيث كان العدد الإجمالي للأساتذة 205، خلال الفترة الزمنية الممتدة من نهاية 2018م إلى 2019م

2 -2 - **العينة:** تم اختيار عينة بواقع الإمكانيات المتاحة و بصفة مقصودة بأسلوب المسح الشامل من اساتذة التربية البدنية والرياضية من الطور الثانوي لولايتي الاغواط و بومرداس موزعين على90 ثانوية، وكان عددهم 204 استاذا وأستاذه موزعين على مدينتي (الأغواط و بومرداس) وبعد استبعاد العينة الاستطلاعية 16 مفردة وامتناع (02) استاذين من ابداء رأيهم، تم التحصل على العينة الفعلية 186 مفردة مستوفية للشوط ومكتملة البيانات.

2 -3 - **العينة الاستطلاعية:** اشتملت عينة الدراسة على 08 أساتذة من مدينة الأغواط، و08 أساتذة من مدينة بومرداس ، أي بإجمالي 16 استاذا ، وقد تم اختيارهم بطريقة عشوائية بغرض التأكد من صلاحية أداة الدراسة وكذلك لاستخدامها في حساب الصدق وثبات المقياس.

4 – مجالات البحث:

4 –1 – المجال البشري: أساتذة التربية البدنية والرياضية من الطور الثانوي.

4 –2 – المجال المكاني: تمت الدراسة الميدانية على مستوى ثانويات ولايتي الأغواط، وبومرداس.

4 –3 – المجال الزماني: تم تقسيم هذا الأخير إلى فترتين، الأولى خصصت للدراسة النظرية وقد تمت ما بين نهاية سنة 2019م وبداية 2018م، أما الثانية والتي خصصت للدراسة الميدانية فقد أجريت من منتصف سنة 2018م إلى أواخر سنة 2019 .

5 – متغيرات الدراسة:

المتغير المستقل: التغير الثقافي.

المتغير التابع: منهاج التربية البدنية والرياضية.

6 – أداة الدراسة و الأسس العلمية:

6 –1 – أداة الدراسة: بعد الاطلاع على أدبيات الدراسة والدراسات السابقة ذات الصلة بموضوعنا والتي كان من بينها دراسة كل من: (بن عقيلة كمال، 2007) ، (مصطفى، 2017) ، (مجادي مفتاح، 2008)، (الصادق، 2014)، (لزرق أحمد، 2018) ، قام الباحث بتصميم استبانة في شكل مقياس ليكرت موجهة إلى الأساتذة للتعرف على آرائهم نحو تقييم أهداف منهاج التربية البدنية والرياضية في ظل المقاربة بالكفاءات.

6 –2 – الأسس العلمية للأداة:

– ثبات الأداة: تم احتساب تقدير ثبات الدراسة (الاستمارة) باستخدام طريقة التجزئة النصفية (Splif half) للتأكد من ثبات الاستمارة، وهذا باختباره على عينة استطلاعية قوامها (16) مبحوث. وبعد تطبيق طريقة التجزئة النصفية ثم حساب المعامل التصحيحي تحصلنا على النتائج الموضحة في الجدول التالي:

الجدول رقم (01) :" يبين معامل ثبات الدراسة التجزئة النصفية لأهداف منهاج التربية البدنية والرياضية

الرقم	عبارات الاستمارة	عدد العبارات	معامل الارتباط	معامل الارتباط بعد التصحيح بأسلوب جوتمان
1	النصف الأول	18	0.892	0.959
2	النصف الثاني	18	0.847	

❖❖: دالة إحصائيا عند مستوى الدلالة (0.05)

أوضحت بيانات الجدول رقم (01) معامل ارتباط لتقدير ثبات الاستمارة أن معامل الارتباط للنصف الاول من الاستمارة قد بلغ 0.892 أما معامل الارتباط للنصف الثاني من الاستمارة قد بلغ 0.847 وهو دال إحصائيا عند مستوى الدلالة 0.05، وبعد حساب معامل الارتباط التصحيحي باستخدام أسلوب جوتمان Guttman بلغ معامل الارتباط التصحيحي 0.959 وهذه القيمة المرتفعة شجعت على اعتماد الاستمارة وتوزيعها بشكل نهائي لإمكانية ثبات النتائج التي يمكن الاعتماد عنها كأداة للدراسة عند تطبيقها.

- **صدق الاتساق الداخلي للاستمارة:** جرى التحقق من صدق الاتساق الداخلي على عينة استطلاعية مكونة من (16 استاذا) لمدينتي (الأغواط و بومرداس) وتم حساب معامل ارتباط سبيرمان بين درجات كل محور من محاور الاستمارة و الدرجة الكلية للاستمارة، وكذلك تم حساب معامل ارتباط سبيرمان بين كل فقرة من فقرات المحور والدرجة الكلية للمحور التي تنتمي إليه وذلك باستخدام الحزمة الإحصائية (SPSS.22) .

الجدول رقم (02) : يبين معامل الاتساق الداخلي كل محور من محاور (الاستمارة) المنهاج مع الدرجة الكلية له.

المتغيرات	البعد المعرفي	بعد الحس حركي	بعد الحس حركي	أهداف المنهاج
البعد المعرفي	1			
بعد الحس حركي	❖R=0.833 ❖	1		
	Sig=0.000			
البعد الوجداني	❖R=0.681 ❖	R= ❖❖0.803	1	
	Sig=0.004	Sig=0.000		
أهداف المنهاج	R= - ❖❖0.908	❖R=0.956 ❖	❖R=0.872 ❖	1
	Sig=0.000	Sig=0.000	Sig=0.000	
	N=16			

❖ : دال إحصائي عند مستوى الدلالة (0.05)

❖❖ : دال إحصائي عند مستوى الدلالة (0.01)

يبين الجدول (02) مصفوفة معامل الارتباط "سبيرمان" بين متغيرات منهاج التربية البدنية والرياضية (البعد المعرفي، البعد الحس حركي، البعد الوجداني) وباستعراض قيم معاملات الارتباط نجد أن كل القيم تدل على ووجود ارتباط قوي بين المتغيرات .

7 – **أساليب المعالجة الإحصائية:** بعدما تم جمع بيانات الدراسة عن طريق إجابات أفراد العينة على عبارات الاستمارة، وإدخال هذه البيانات في الحاسب الآلي، تمت معالجتها باستخدام البرنامج الإحصائي (SPSS)، " Statistical Package for Social Sciences".

III – النتائج :

الجدول رقم(03): يبين معامل الانحدار الخطي البسيط بين متغير (التغير الثقافي) والجانب المعرفي لأهداف منهاج التربية البدنية والرياضية

المتغير المستقل	المتغير التابع x1	معامل الارتباط (R)	معامل التحديد (R2)	معامل التجديد المعدل (R2-)	اختبار جودة النموذج (F.test)	اختبار التأثير (T.test)	sig
التغير الثقافي y	الجانب المعرفي	.0050	0.000	-0.005	.0080	.0080	.9300
نموذج المعادلة: y =71.884+0.020x							

❖❖دال إحصائيا عند مستوى الدلالة(0.05)

1 – تحليل نتائج تأثير التغير الثقافي على الجانب المعرفي:

بعد ان قمنا بحساب معاملات الارتباط بين المتغير المستقل (التغير الثقافي) و المتغير التابع (الجانب المعرفي) لأهداف منهاج التربية البدنية والرياضية، ثم حساب النسبة التي تفسر كل متغير مستقل في التغير الحاصل على الجانب المعرفي ، وذلك باستخدام معامل التجديد المعدل الذي قدرت بـ :

(R2-) = (-0.005)، ثم حساب اختبار جودة العلاقة باستخدام اختبار فيشير (F.test) الذي قدر بـ : 0.008 ، ثم التأكد من معنوية تأثير التغير الثقافي على الجانب المعرفي باستخدام اختبار (T.test)، فقد جاءت هذه القيم أقل من الدلالة الاحصائية (sig) التي تقدر بـ : (0.930).

وبالنظر الى الجدول رقم(03) يتضح الاتي:

لا توجد علاقة ارتباطية احصائية عند مستوى معنوي 0.01 او 0.05 بين التغير الثقافي والجانب المعرفي للمنهاج، حيث كان معامل الارتباط (R)= 0050. وهو غير دال احصائيا على وجود علاقة ارتباطيه طردية تبين أنه كلما ازدادت درجة التغير الثقافي تزداد درجة الاهداف المعرفية للمنهاج أو العكس.

الجدول رقم(04): يبين معامل الانحدار الخطي البسيط بين متغير (التغير الثقافي) والجانب الحس حركي لأهداف منهاج التربية البدنية والرياضية .

المتغير المستقل	المتغير التابع x2	معامل الارتباط (R)	معامل التحديد (R2)	معامل التجديد المعدل(-R2)	اختبار جودة النموذج (F.test)	اختبار التأثير (T.test)	sig
التغير الثقافي y	الجانب الحس حركي	.0050	0.000	-0.005	0.015	0.127	0.889
نموذج المعادلة: y =71.718+0.020x							

◆◆دال إحصائيا عند مستوى الدلالة(0.05).

2 - تحليل نتائج تأثير التغير الثقافي على الجانب الحس حركي:

بعد ان قمنا بحساب معاملات الارتباط بين المتغير المستقل (التغير الثقافي) و المتغير التابع (الحس حركي) لأهداف منهاج التربية البدنية والرياضية، ثم حساب النسبة التي تفسر كل متغير مستقل في التغير الحاصل على الجانب الحس حركي ، وذلك باستخدام معامل التجديد المعدل الذي قدرت بـ : (-R2)= (-0.005) ، ثم حساب اختبار جودة العلاقة باستخدام (F.test) الذي قدر بـ : 0.015 ، ثم التأكد من معنوية تأثير التغير الثقافي على الجانب المعرفي باستخدام اختبار (T.test) الذي قدر بـ : 0.127، فقد جاءت هذه القيم أقل من الدلالة الاحصائية (sig) التي تقدر بـ : (0.889).

وبالنظر الى الجدول رقم(04) يتضح الاتي:

لا توجد علاقة ارتباطية احصائية عند مستوى معنوي 0.01 او 0.05 بين التغير الثقافي والجانب الحس حركي للمنهاج، حيث كان معامل الارتباط (R)=0.005 وهو غير دال احصائيا على وجود علاقة ارتباطيه طردية تبين أنه كلما ازدادت درجة التغير الثقافي تزداد درجة الاهداف الحس حركية للمنهاج او العكس.

الجدول رقم(05): يبين معامل الانحدار الخطي البسيط بين متغير (التغير الثقافي) والجانب المعرفي لأهداف منهاج التربية البدنية والرياضية

المتغير المستقل	المتغير التابع x3	معامل الارتباط (R)	معامل التحديد (R2)	معامل التجديد المعدل (R2-)	اختبار جودة النموذج (F.test)	اختبار التأثير (T.test)	Sig
التغير الثقافي y	الجانب الوجداني	.0050	0.000	-0.005	0.037	0.017	0.982
نموذج المعادلة: y =73.029+0.032x							

◆◆دال إحصائيا عند مستوى الدلالة(0.05).

3 - تحليل نتائج تأثير التغير الثقافي على الجانب الوجداني:

بعد ان قمنا بحساب معاملات الارتباط بين المتغير المستقل (التغير الثقافي) و المتغير التابع (الجانب الوجداني) لأهداف منهاج التربية البدنية والرياضية، ثم حساب النسبة التي تفسر كل متغير مستقل في التغير الحاصل على الجانب الوجداني ، وذلك باستخدام معامل التجديد المعدل الذي قدرت بـ : (R2-)= (-0.005) ، ثم حساب اختبار جودة العلاقة باستخدام (F.test) الذي قدر بـ : 0.037 ، ثم التأكد من معنوية تأثير التغير الثقافي على الجانب المعرفي باستخدام اختبار (T.test) الذي قدر بـ : 0.017، فقد جاءت هذه القيم أقل من الدلالة الاحصائية (sig) التي تقدر بـ : (0.982).

وبالنظر الى الجدول رقم(05) يتضح الاتي:

لا توجد علاقة ارتباطية احصائية عند مستوى معنوي 0.01 او 0.05 ارتباط بين التغير الثقافي والجانب الوجداني للمنهاج، حيث كان معامل الارتباط (R)=0.005 وهو غير دال احصائيا على وجود علاقة ارتباطيه طردية تبين أنه كلما ازدادت درجة التغير الثقافي تزداد درجة الاهداف الوجدانية للمنهاج او العكس.

الجدول رقم(06): يبين معامل الانحدار الخطي البسيط بين متغير (التغير الثقافي) ومنهاج التربية البدنية والرياضية

المتغير المستقل	المتغير التابع x	معامل الارتباط (R)	معامل التحديد (R2)	معامل التجديد المعدل (R2-)	اختبار جودة النموذج (F.test)	اختبار التأثير (T.test)	Sig
التغير الثقافي. Y	المنهاج	0.002	0.000	-0.005	0.003	0.052	0.924
نموذج المعادلة:		y =72.093+0.003x					

❖❖دال إحصائيا عند مستوى الدلالة(0.05)

4 - تحليل نتائج تأثير التغير الثقافي على منهاج التربية البدنية والرياضية:

بعد حساب معاملات الارتباط بين المتغير المستقل (التغير الثقافي) و المتغير التابع (منهاج التربية البدنية والرياضية)، ثم حساب النسبة التي تفسر كل متغير مستقل في التغير الحاصل على المنهاج ، وذلك باستخدام معامل التجديد المعدل الذي قدرت بـ :

(R2-)= (0.002) ، ثم حساب اختبار جودة العلاقة باستخدام (F.test) الذي قدر بـ : 0.003 ، ثم التأكد من معنوية تأثير التغير الثقافي على المنهاج باستخدام اختبار (T.test) الذي قدر بـ : (0.052)، فقد جاءت هذه القيم أقل من الدلالة الاحصائية (sig) التي تقدر بـ : (0.924)، وبالنظر الى الجدول رقم(06) يتضح الاتي:

لا توجد علاقة ارتباطية احصائية عند مستوى معنوي 0.01 او 0.05 ارتباط بين التغير الثقافي و منهاج التربية البدنية والرياضية ، حيث كان معامل الارتباط (R)=0.002 وهو غير دال احصائيا على وجود علاقة ارتباطيه طردية تبين أنه كلما ازدادت درجة التغير الثقافي تزداد درجة اهداف منهاج التربية البدنية والرياضية او كلما انخفضت الاولى تنخفض الثانية. وبالتالي لا يمكن قبول الفرضية العامة التي مفادها:

"توجد علاقة ارتباطية موجبة بين التغير الثقافي ومنهاج التربية البدنية والرياضية".

ونقبل الفرضية البديلة القائلة: " لا توجد علاقة ارتباطية موجبة بين التغير الثقافي ومنهاج التربية البدنية والرياضية".

VI – المناقشة:

1 - مناقشة النتائج المتعلقة بالفرضية الاولى (يحقق منهاج التربية البدنية والرياضية الأهداف التعليمية بفعالية من جانبها المعرفي):

و من خلال ما تم عرضه في الجدول رقم (03) اتضح أنه لا توجد علاقة ارتباطية بين التغير الثقافي والجانب المعرفي للمنهاج يمكن إرجاع هذه النتائج التي تعبر على النقص الواضح للجانب المعرفي لدى تلاميذ الطور الثانوي في التربية البدنية والرياضية إلى ضيق الوقت المخصص للحصة حيث أن حصة واحدة فقط في الأسبوع لمدة ساعتين لا تكفي لإكساب التلميذ بعض المعارف المتعلقة بالنشاط (قوانين، تواريخ،....)، وأيضا عدم اهتمام الأستاذ بالجانب المعرفي لان معظم الأساتذة يعتمدون في تدريسهم للتربية البدنية والرياضية على تنمية الجانب المهاري والحركي للتلميذ، على حساب الجانب المعرفي .

هذا ما اتفقت عليه دراسة: بوشيبة مصطفى(2017) بعنوان: " تقييم أهداف منهاج التربية البدنية و الرياضية في ظل الحاجيات النفسية لدى تلاميذ المرحلة الثانوية" حيث أظهرت النتائج أَن معظم أساتذة التربية البدنية والرياضية في الطور الثانوي لا يهتمون بالجانب النفسي. وان معظمهم ليست لهم دراية بأهداف منهاج التربية البدنية والرياضية.

على عكس ما أظهرته - دراسة لزرق أحمد(2018) بعنوان: " دور منهاج الجيل الثاني من الإصلاحات في التربية البدنية والرياضية في بلوغ الكفاءات المستهدفة للمنظومة التربوية في مرحلة التعليم المتوسط"، حيث كانت وجهة نظر أساتذة التربية البدنية والرياضية نحو دور الجيل الثاني من الاصلاحات في التربية البدنية و الرياضية في بلوغ الكفاءات المستهدفة للمنظومة التربوية لدى تلاميذ مرحلة المتوسط انها دالة وموجبة احصائيا.

2 - مناقشة النتائج المتعلقة بالفرضية الثانية (يحقق منهاج التربية البدنية والرياضية إلى تحقيق الأهداف التعليمية بفعالية من جانبها الحس حركي):

و من خلال ما تم عرضه في الجدول رقم (04) اتضح أنه لا توجد علاقة ارتباطية بين التغير الثقافي والجانب الحس حركي رغم الجهد المبذول من طرف الاساتذة والسعي الجاد لتحقيق اهداف منهاج التربية البدنية والرياضية ، وهذا القصور يعزى ربما الى ضيق الوقت المخصص للحصة ، قلة الوسائل و الإمكانيات ، صعوبة تحديد الاهداف النفس حركية.

ويمكن إرجاع هذه النتائج التي تعبر على ضعف تلاميذ النهائي من الناحية النفس حركية إلى عدم مراعاة محتوى منهاج التربية البدنية والرياضية لقدرات التلاميذ في هذه المرحلة بدقة وهذا ما يصعب من مأمورية الأستاذ في تحقيق هذه الأهداف المسطرة في المنهاج، و نظرا لأن الوقت المخصص غير كافي، فمن غير المعقول تقييم التلاميذ في مادة التربية البدنية و الرياضية و تنمية مهاراتهم الحركية في ظل الظروف و الوسائل والامكانيات من جهة والكثافة العددية.

هذا ما اتفقت عليه دراسة: د.إبراهيم خليفة وآخرون (1992) بعنوان: تقويم بعض نواتج التعليم لمناهج التربية الرياضية المطور بالمرحلة الابتدائية بدولة قطر" حيث هدفت إلى التعرف على اثر منهاج التربية الرياضية المطور للمرحلة الابتدائية - المطبق حاليا - على بعض نواتج التعليم الحس حركية التالية، وقد أظهرت الدراسة انحرافات قوامية باجسام تلاميذ المرحلة الابتدائية بدولة قطر في كل قياسات المرحلة القبلية عام 1984 والمرحلة البعدية عام 1991 وأيضا هناك اختلاف في ترتيب ظهور الانحرافات لدى العينة في القياسين القبلي والبعدي.

وتعارض مع دراسة دراسة زيتوني عبد القادر (2001) بعنوان: "تقييم فاعلية منهاج التربية البدنية والرياضية على طلبة التعليم الثانوي في تحقيق بعض الأهداف التعليمية".

- أظهرت معايير بطارية الاختبارات الحس -حركية ببعدها (البدني والمهاري) كفاءة عالية في تقييم نتائج التعلم للقدرة أو درجة المهارة كما وكيفا.

3 - مناقشة النتائج المتعلقة بالفرضية الثالثة (يحقق منهاج التربية البدنية والرياضية إلى تحقيق الأهداف التعليمية بفعالية من جانبها الوجداني):

و من خلال ما تم عرضه في الجدول رقم(05) يتضح أن منهاج التربية البدنية والرياضية يؤدي إلى تحقيق الأهداف التعليمية بفعالية من جانبها الوجداني لان معظم عبارات هذا المحور جاءت بدرجة مقبولة باتجاه درجة متوسطة يعنى أن الصفات و القيم الايجابية وما يرتبط بها من حركة ونشاط يعزى الى طبيعة المادة وخصوصيتها على غرار باقي المواد والتي تتسم بالمرح والحيوية والنشاط ، بعيدا عن قاعات و حجرات التدريس ساهم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في تنوع ألوان السلوك حسب تنوع المواقف العديدة.

ولما كان مناهج التربية الرياضية من أكثر وأخصب المناهج التي تنمي قيم الهوية والثقافة المتعلقة بتعزيز روح الجماعة و الروح الرياضية واحترام الخصم والإقدام والتسامح والتعاون والتضحية والأمانة واحترام الذات وتقدير الاخرين والسعي نحو الانجاز وتقبل النقد والإبداع وتحقيق الذات وتتقبل الفوز و الخسارة وغيرها من القيم والمعايير الايجابية ، ولا تتكون هذه القيم الايجابية والحميدة إلا من خلال تنشئة اجتماعية يهدف منهاج التربية البدنية على وجه الخصوص غرسها وتنميتها في أبناءنا مما يسمح بتحقيق البقاء والاستمرار للأجيال. (هشام حسام، 2008، 100)

4 - مناقشة النتائج المتعلقة بالفرضية العامة (توجد علاقة ارتباطية موجبة بين التغير الثقافي ومنهاج التربية البدنية والرياضية):

و من خلال ما تم عرضه في الجدول رقم(06) يتضح أنه لا توجد علاقة ارتباطية موجبة بين التغير الثقافي ومنهاج التربية البدنية والرياضية، وحسب تصريحات الاساتذة ان منهاج التربية البدنية و الرياضية من الجيل الثاني رغم تعديله وتطويره وما جاءت به الإصلاحات كضرورة تنموية فرضتها التغيرات

الإجتماعية والثقافية والتكنولوجية وهذا ابتداء من الموسم الدراسي 2002 – 2003م في مرحلتي الابتدائي و التعليم المتوسط ، اما التعليم الثانوي فقد شرع تطبيقه ابتداء من الموسم الدراسي 2004 – 2005م ، إلا انه لم يكن واضح بالشكل الذي يجعله سهل التطبيق، فهذه الاصلاحات وان كثرت تبقى حسب تصريحات اساتذة المادة شكلية لم ترق الى مواكبة التغيرات الجديدة، بينما تتوجه عملية تطوير المناهج نحو كيفية تشييد المنهج أي التطبيق الفعلي، ولا يكتفي بمجرد وضع المنهج موضع التنفيذ الصوري في المدارس، فيلزم أن يكون هناك تحسين للمنهج بعد اسقاطه على الواقع ثم تقييمه أي هندسة المنهاج Curriculum engineerning والذي يتضمن التشييد والتطبيق والتحسين لجعل المنهج كنظام يؤدي وظيفة معينة لدى المتعلم . وإذا ما تطلعنا إلى واقع التربية والتعليم في الجزائر، نجده يتعرض كغيره من البلاد العربية لانتقادات وتتهمه بالفشل والعجز عن مسايرة ما هو مطلوب على الساحة العملية والتنموية، والسبب الرئيسي فيها يعود إلى سوء التخطيط التربوي، وعدم وضع إستراتجيات تربوية مستقبلية، في حين اننا نجد عدة تحديات تواجه بالمنظومة التربوية الجزائرية، وأهم هذه التحديات هي:

❖ – **التحديات العلمية والتكنولوجية:** إن أهم خصائص القرن الحادي والعشرين أنه عصر الثورة التكنولوجية الثالثة، عصر التغيير السريع و المتسارع، عصر الانفتاح الثقافي والإعلامي، عصر تغيرت فيه كل مفاهيم القوة وعلاقات الإنتاج.

إن الثورة التكنولوجية الثالثة تعتمد على الاستخدام الأمثل للمعلومات الغزيرة والمتدفقة في جميع المجالات ويقدر خبراء الدراسات المستقبلية أن حجم المعرفة العلمية سيتضاعف كل سبع سنوات وتعتمد هذه الثورة التكنولوجية الثالثة أساسا على العقل البشري، وقدراته في استخدام وتشغيل الأجهزة الإلكترونية، وتطويرها، وتخزين المعلومات، وتنظيمها والاستفادة منها، ولأن العقل البشري هو أساس هذه الثورة فإن السبق والتقدم لن يكون حكرا على الدول الغنية بمواردها المادية، أو القوية بجيوشها التقليدية، ولكنها فرصة

لجميع الشعوب، إذا ما أحسنت إعداد أبنائها، وبناتها تربويا وتعليميا، واهتمت بتربية قدراتهم العقلية والفكرية (كوثر كوجك، 2001، صفحة 74).

❖ - **التحديات الاقتصادية:** إن التحدي الأساسي أمام المناهج الدراسية اليوم هو إيجاد طرق، وخطط، وبرامج تعليمية، تستطيع أن تحول المعلومات المدرسية إلى كفاءات ومهارات عملية، وتنمية قيمة العمل واحترامه، والقدرة على حل المشكلات وتنمية الفكر. وبالتالي فوظيفة التربية هي مساعدة الفرد على امتلاك روح المبادرة، والثقة بالنفس، التي تساهم في نجاحه عمليا، ولهذا يجب على المدارس أن تنتج منتجين للعمل، بدلا من أن تنتج طالبي عمل، ولعل الآخذ بهذا الاتجاه هو مفتاح حل مشكلات البطالة في عصرنا، ومفتاح التنمية الاقتصادية كلها. (كوثر كوجك، 2001، صفحة 74)

و هكذا فالتربية تساهم في خلق ثروة بشرية فعالة قادرة على أن تلعب دورا كبيرا في التنمية، فأساس المدرسة هو تخريج طلاب يملكون الرغبة والقدرة والاستعداد للتعلم المستمر.

❖ - **التحديات الثقافية والاجتماعية:** المجتمع الجزائري على غرار باقي المجتمعات، تحكمه مجموعة من النظم السياسية، والاقتصادية، والتشريعية، والثقافية، والطبيعية، والأسرية...الخ وتتعرض العلاقات الاجتماعية للأفراد داخل المجتمع لعوامل ومؤثرات داخلية وخارجية، تؤثر على طبيعة العلاقات، حيث تحول العالم إلى قرية كبيرة بفضل عوامل الاتصال، وسرعة الانتقال، ومن أبرز العوامل الاجتماعية المؤثرة في التنمية والتطور: معدلات النمو السكاني، وشكل وبنية الأسرة وأدوارها والتركيبة العمرية لأفراد المجتمع، ونوعية القيم الاجتماعية السائدة . ومن أهم التحديات الاجتماعية التي سنواجهها في السنوات المقبلة هو التغيير الواضح في منظومة القيم في المجتمعات الصناعية المتقدمة، وتأثير ذلك على منظومة، القيم في المجتمعات النامية، بين الآخذ بهذه القيم الوافدة، ورفضها، افتقدنا هويتنا وضيعنا معالم الطريق. أمّا بالنسبة للتحديات الثقافية التي سنواجهها مستقبلا بل بدأنا معايشتها فعليا، حيث نواجه تحدي ثقافي غربي كبير حيث أنّ الثقافة ليست شيئا يصنعه الإنسان

فحسب، ولكنها هي التي تصنع الإنسان نفسه. (كوثر كوجك، 2001، صفحة 74).

وعليه فالثقافة هي التي تصنع المجتمع، والمجتمع المتخلف هو مجتمع ثقافته متخلفة، وما نلحظه أن ثقافتنا العربية في حالة تفسخ، وتميع، وتضارب وهي لم تصل بعد إلى خلق وحدة قومية لنظامها الثقافي، وبالتالي: كيف يمكن للتربية والتعليم من خلال المناهج الدراسية أن تتصدي لجميع هذه التحديات، وكيف لها أن تضمن مواكبة المجتمع الجزائري للركب الحضاري العالمي المعاصر؟ ومن هنا تلعب المدرسة دورا كبيرا على المستوى الثقافي حيث تجمع بين الموروث التراثي، والحاضر المعاصر مع نقد وتحليل الثقافات الوافدة، وإثارة الوعي لدي المواطن بضرورة المشاركة في صنع الحضارة العالمية في إطار من الديموقراطية والتفاهم، والتعاون، والسلام العالمي.

وبالتالي فلمواجهة التحديات الراهنة المرتبطة بعصر العولمة، على الجزائر أن تعيد برمجة إستراتجياتها التربوية وفق مخططات مستقبلية من شأنها تغيير طرق التربية والتعليم وجعلها أكثر معاصرة، من أجل مواكبة التعليم العالمي، القائم على خلق وإنتاج فرد متعلم تعليما معاصرا، وحامل لفكر متطور قادر على إقامة نهضة وتغيير.

وعليه فأن التغيرات الثقافية التي أصبحت تميز تلاميذ الثالثة ثانوي كزيادة الاستقلالية وارتفاع العنف المتبادل سواء من طرف التلاميذ أو الأساتذة والانحلال الخلقي، وتدني مستوى العلاقات الاجتماعية وتحمل المسؤوليات عند التلاميذ لا يسمح للأساتذة بتنفيذ المنهاج على ارض الواقع وبالتالي على تحقيق الأهداف المعلنة لمنهاج التربية البدنية الخاص بالسنة الثالثة ثانوي.

V – خاتمة:

هدفت الدراسة الى التعرف على تقييم منهاج التربية البدنية والرياضية في ظل التغير الثقافي وإيجاد العلاقة بينهما ، وبذلك وظف الباحث استبيان يقيس ما وضع من أجله، وزع على عينة من اساتذة التربية البدنية والرياضية من التعليم الثانوي قوامها 186 استاذا موزعين على ولاية الاغواط وبومرداس مطلع مارس 2018 وعولجت البيانات إحصائيا باستخدام الحمة الاحصائية SPSS22 وتوصلت الدراسة الى العديد من النتائج أهمها:

- ✓ لا يحقق منهاج التربية البدنية والرياضية الأهداف التعليمية بفعالية من جانبها المعرفي.
- ✓ لا يحقق منهاج التربية البدنية والرياضية إلى تحقيق الأهداف التعليمية بفعالية من جانبها الحس حركي.
- ✓ يحقق منهاج التربية البدنية والرياضية إلى تحقيق الأهداف التعليمية بفعالية من جانبها الوجداني.
- ✓ لا توجد علاقة ارتباطية موجبة بين التغير الثقافي ومنهاج التربية البدنية والرياضية.

وفي ضوء هذه النتائج تقدم الباحث ببعض الاقتراحات وهي على النحو التالي:

- ⇦ الاهتمام باكتساب التلاميذ مقدار من المعرفة والحقائق والمفاهيم والمعلومات المتصلة بكافة الانشطة الرياضية التي تحتويها مناهج التربية البدنية والرياضية المطورة.
- ⇦ التركيز على الجانب المعرفي والصحي في مناهج التربية البدنية والرياضية.
- ⇦ إعادة صياغة الاهداف الخاصة بالجال المعرفي، الحس حركي والوجداني لكل مراحل التعليم بأطواره الثلاثة صياغة اجرائية تتناسب ومتطلبات الفرد والمجتمع.

VI – المراجع:

✓ المراجع باللغة العربية:

الرفاعي حسين أحمد .(1996) .مناهج البحث العلمي تطبيقات اقتصادية .عمان :دار وائل.

كوثر كوجك. (2001). اتجاهات حديثة في المناهج وطرق التدريس - التطبيقات في مجال التربية الاسرية (الاقتصاد المنزلي). القاهرة: عالم الكتب

محمد الحماحمي, أمين أنور الخولي .(1999) . أسس بناء برامج التربية الرياضية .القاهرة :دار الفكر العربي.

هشام حسين .(2008) .مدخل الى علم الاجتماع التربوي .مصر :مطبعة النقطة.

ليلى عبد العزيز زهران .(2002) .الاصول العلمية والفنية لبناء المناهج في التربية الرياضية .مصر : دار زهران للنشر والتوزيع.

✓ رسائل الماجستير و الدكتراه:

بوبكر الصادق .(2014) .دور الاسرة الجزائرية في تحفيز الأبناء على ممارسة النشاط البدني الرياضي "دراسة ضمن التغير الاجتماعي (رسالة دكتراه منشورة) .جامعة الجزائر.

بن عقيلة كمال .(2007) .تطوير منهاج التربية البدنية والرياضية في ظل المقاربة بالكفاءات وانعكاسه على تدريس النشاطات البدنية والرياضية على مستوى مرحلة التعليم المتوسط(رسالة دكتراه منشورة). جامعة الجزائر.

بوشيبة مصطفى .(2017) .تقييم أهداف منهاج التربية البدنية والرياضية في ظل الحاجيات النفسية لدى تلاميذ المرحلة الثانوية(رسالة دكتراه منشورة) .مستغانم ,الجزائر.

مجادي مفتاح .(2008) .اختبار مادة التربية البدنية والرياضية في التعليم الأساسي والبكالوريا بين الواقع والأفاق (رسالة ماجستير منشورة) .جامعة الجزائر.

✓ المجلات والدوريات العلمية:

لزرق أحمد .(2018) (مارس) .دور منهاج الجيل الثاني من الاصلاحات في التربية البدنية والرياضية في بلوغ الكفاءات المستهدفة للمنظومة التربوية في مرحلة التعليم المتوسط (مقال) .مجلة الباحث في العلوم الانسانسة والاجتماعية .العدد(33) .مستغانم.

✓ المراجع باللغة الاجنبية:

cuche, d. (1998). la notion de la culture dans les sciences sociales. alger : casbah.

sari, d. (1993). l'ompleur de l'orbanisation et ses rèpercussion sur la famil. alger: OPU.

مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ر ت م د: 7163 -1112 ر ت م د إ :1892-2588
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2

التكفل بذوي صعوبات التعلم: بين التنظير و الواقع

take charge of people with learning difficulties : between theory and reality

سميّة حربوش

1- جامعة محمد لمين دباغين - سطيف2 -psy_harbouche@yahoo.fr،

تاريخ الاستلام: 2020/05/07 تاريخ القبول: 2021/02/25

الملخص

تهدف هذه الورقة إلى إلقاء الضوء على ماهية صعوبات التعلم و طرق تشخيصها و التكفل بها؛ بين ما هو النظري و الواقع؛ و ذلك من خلال عرض الجوانب المعرفية التي في الغالب يلمسها الغموض و يزيد من صعوبة القيام بالتشخيص و التكفل المناسبين. و من خلال النظرة التحليلية للمحتوى تم التوصل إلى أن التكفل بذوي صعوبات التعلم في الجزائر يكتنفه العديد من العراقيل، بالرغم من توافر الأدوات المساهمة في التشخيص و تعددها و كذا تنوع المداخل العلاجية و الاستراتيجيات التكفلية و لعلّ أهمها: عدم الإلمام المعرفي بالصعوبة، نقص الخبرة في تشخيص هذه الفئة و كذا عدم التحكم التام في أدوات القياس و التشخيص و أيضا ضعف التأهيل الأكاديمي و المهني للمختصين القائمين على التكفل بذوي صعوبات التعلم.

الكلمات الدالة:

صعوبات التعلم، التشخيص، الاستراتيجيات التكفلية، واقع التكفل بذوي صعوبات التعلم

المؤلف المرسل: سميّة حربوش: psy_harbouche@yahoo.fr

Abstract

This paper aims to identify the difficulties of learning and the ways to diagnose and caring them; between what is theoretical and reality; by presenting the cognitive aspects that are often touched by ambiguity and increases the difficulty of making the appropriate diagnosis and caring.

Through an analytical view of the content, it was concluded that caring people with learning difficulties in Algeria is shrouded in many obstacles, despite the availability of tools that contribute to diagnosis and their multiplicity, as well as the diversity of treatment approaches and caring strategies for people with learning difficulties ,perhaps the most important of them: lack knowledge familiarity with difficulty , Lack of experience in diagnosing this category, as well as the complete lack of control in the measuring and diagnostic tools, as well as the weak academic and professional qualification of specialists based on caring people with learning difficulties.

Keywords :
Learning difficulties, diagnosis, caring strategies, the reality of caring

1. مقدمة

مما لا شك فيه تواجد مفاهيم مشوشة ومتداخلة حول صعوبات التعلم وكذا حول الجهة الوصية المتكفلة بها، من أجل ذلك فنجن بحاجة ماسة لتوضيح مصطلح صعوبات التعلم بشكل رسمي، وإلى التنويه بأن ذوي صعوبات التعلم فئة متميزّة تختلف عن باقي الفئات التي يستلزمها تعلم علاجي وذلك لطبيعة خصائصها المنفردة وكذا تعدد النماذج والنظريات المفسرة والتي أكدت ضرورة تكييف وتنمية مهارات وقدرات واستعدادات ذوي عصوبات التعلم مع المادة التعليمية الموجودة ضمن إطار تعليمي تكفلي علاجي، فيخلق بذلك توجه منفرد يهتم بهذه الفئة ويُولد من مجال التربية الخاصة ألا وهو البيداغوجيا العلاجية التي تمثل فئة صعوبات التعلم محط إهتمامها.

وبذلك تعد صعوبات التعلم أكثر فئات البيداغوجيا العلاجية إنتشارا، لتواجدها الكثير والواضح بين تلاميذ المدارس، بالرغم من عدم تصنيفها وتشخيصها بالشكل الدقيق، فهي إضطراب يرافق الفرد مدى الحياة، ويصحبها بعض المشكلات ، مما يجعله تهديدا يقف مانعا أمام نجاح العملية التعليمية

التعلمية، ومن ثم تؤدي بشكل أو بآخر إلى كثير من الفاقد في مخرجات العملية التعليمية.

فما هي صعوبات العلم، والفئة التي تعاني، وما هو واقع تشخيصها والتكفل بها في المؤسسات الجزائرية؟

2. ماهية صعوبات التعلم

يعتبر مفهوم صعوبات التعلم من المفاهيم التي حظيت باهتمام العديد من التخصصات العلمية التي كانت في مقدمتها التخصص الطبي الذي يرجع صعوبات التعلم إلى خلل دماغي بسيط أو إصابة دماغية ومن ثم حاز مصطلح صعوبات التعلم على اهتمام كل من علماء النفس وعلماء التربية، ونتيجة لتعدد التخصصات التي اهتمت بصعوبات التعلم ظهرت مصطلحات عديدة منها الإعاقة الخفية والخلل الوظيفي الدماغي البسيط والإصابات الدماغية، ولكن لم يظهر مصطلح صعوبات التعلم إلا في الستينات من القرن الماضي نتيجة نقاش طويل بين المختصين في مجال الطب ومجال علم النفس ومجال التربية، وكان أوّل من استخدم مصطلح صعوبات التعلم هو العالم صموئيل كيرك Kirk عام 1962

وقبل ظهور مصطلح صعوبات التعلم فقد مر بعدة مراحل قبل أن يظهر كمفهوم مستقل، فأولى هذه المراحل كانت مرحلة الإصابة الدماغية، والتي بدأت بأعمال شتراوس وزملائه، والمرحلة الثانية كانت نتيجة الجهود التي قام بها كليمنز وتعرف بمرحلة القصور الوظيفي الطفيف، وأما المرحلة الثالثة والأخيرة والتي ظهر فيها مصطلح صعوبات التعلم نتيجة لجهود كيركKirk **(محمد عودة و ناهد فقيري، 2016 ص 147)**، ومع ذلك فقد اكتنف مصطلح صعوبات التعلم الكثير من الجدل والمناقشة، مما أدى إلى تشكّل لجان فنية وفيديرالية بغرض التوصل إلى تحديد تعريف يقبله عامة الناس على اختلاف توجهاتهم.

في الواقع؛ إنّ صعوبات التعلم مصطلح عام يصف مجموعة من التلاميذ في الفصل الدراسي العادي يظهرون انخفاضاً في التحصيل الدراسي عن زملائهم العادين مع أنهم يتمتعون بذكاء عادي فوق المتوسط، إلا أنهم يظهرون صعوبة في بعض العمليات المتصلة بالتعلم: كالفهم، أو التفكير، أو الإدراك، أو الإنتباه،

أو القراءة، أو الكتابة، أو التهجي، أو النطق، أو إجراءات العمليات الحسابية أو في المهارات المتصلة بكل من العمليات السابقة ويستبعد من حالات صعوبات التعلم ذوو الإعاقة العقلية والمضطربون إنفعاليا أو المصابون بأمراض وعيوب السمع والبصر وذوو الإعاقات المتعددة، ذلك أن إعاقتهم قد تكون سببا مباشرا للصعوبات التي يعانون منها. **(مثال غني،2010)**

يُعرفها **كيرك Kirk (1962)** في **(هالاهان، كوفمان، لويد و ويس ،2007 ص 51)**: تشير صعوبات التعلم إلى تأخر، أو إضطراب، أو تعطل النمو في واحدة أو أكثر من عمليات التحدث والتخاطب، أو اللغة، أو القراءة، أو الكتابة أو الحساب، أو أي مادة دراسية أخرى ينتج عن إعاقة نفسية تنشأ عن كل من أو واحد على الأقل من هذين العاملين، وهما اختلال الأداء الوظيفي للمخ، والاضطرابات السلوكية أو الإنفعالية، ولا تنج صعوبات التعلم في الواقع عن التخلف العقلي، أوالإعاقة الحسية، أوالعوامل الثقافية، أو التعليمية أو التدريسية.

3. الأسباب و العوامل المساهمة في ظهور صعوبات التعلم

يعتبر تحديد أسباب صعوبات التعلم من الأمور المهمة في تقديم الخدمات المناسبة لذوي صعوبات التعلم سواء من الناحية التربوية أو الطبية، وأن دراسة مسببات الصعوبة في التعلم ما تزال قيد البحث وغير واضحة تماما وتحتاج إلى مزيد من الدراسات والبحوث لإثبات صحتها، ومع ذلك فقد أجمعت هذه الدراسات والبحوث التي أجريت في الميدان على ارتباط صعوبات التعلم بإصابة المخ المكتسبة أو الخلل الوظيفي المخي البسيط **(عواد، 2009 ص 71 في ريم الجهني،2013 ص 34)**

3. 1. إختلال الأداء الوظيفي النورولوجي:

من الجدير بالذكر أن الجانب الاكبر من الأساس المنطقي الذي نستند إليه في اعتبار أن إختلال الأداء الوظيفي النورولوجي يعد سبباً رئيسياً لحدوث صعوبات التعلم يعتبر من الناحية التاريخية إستدلالياً أي أننا قد وصلنا إليه عن طريق الإستدلال حيث لاحظ علماء وأطباء الأعصاب وغيرهم من المختصين وجود معظم السلوكات التي يبديها الأفراد الذين يعانون من إصابات المخ ومشكلات التعلم التي تصادفهم لدى ذوي صعوبات التعلم بمعنى أن أنماط

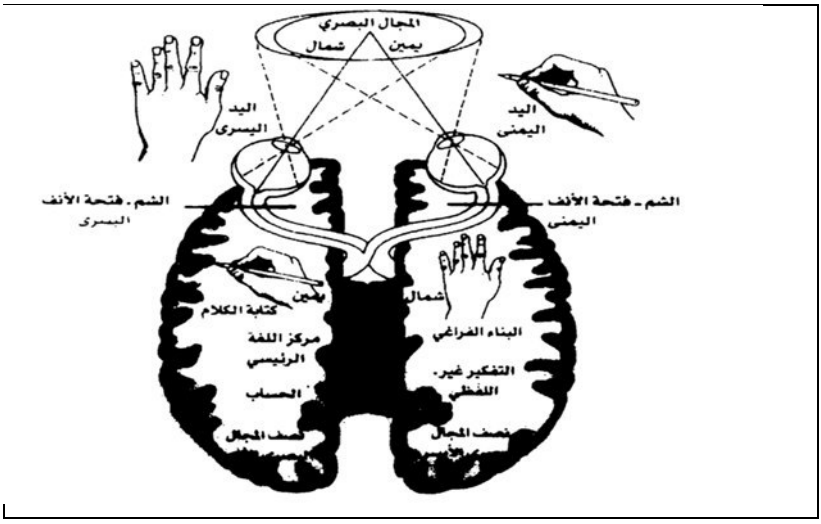
التعلم والإنحرافات السلوكية التي تحدث من جانب أولئك الأفراد الذين يعانون من إصابات المخ، أو السكتة الدماغية، أو الجروح النافذة في الرأس توجد أيضا لدى بعض الأطفال ذوي صعوبات التعلم. وفي هذا الإطار فإننا نلاحظ على سبيل المثال أن جميع السلوكيات التي لوحظ أنها ترتبط في الواقع بذلك التلف الذي يصيب المخيخ والقشرة المخية قد اتضحت أيضا لدى بعض الاطفال ذوي صعوبات التعلم. وتتراوح مثل هذه السلوكات بين مشكلات الحركة التي ترتبط بتلف المخيخ إلى مشكلات الإنتباه، واللغة، والذاكرة التي ترتبط بذلك التلف الذي يلحق بالفصوص الصدغية (**هالاهان، لويد، كوفمان و ويس، 2007 ص 114**)

كما وتوصلت العديد من الفرق البحثية المستقلة إلى وجود فروق دالة في تركيب المخ وأدائه الوظيفي بين أولئك الأشخاص الذين يعانون من صعوبات في التعلم وأقرانهم الذي لا يعانون منها. وعلى الرغم من أن هؤلاء الباحثين لا يجدون دائما أن نفس هذه المناطق من المخ بالتحديد هي التي تؤدي إلى ذلك فإن هناك درجة كافية من الإتساق والثبات بين هذه البحوث وما توصلت إليه من نتائج بحيث يمكننا بموجبها أن نحدد ما يلي:

– أن النصف الكروي الأيسر من المخ غالباً ما يكون هو موضع اختلال الأداء الوظيفي، ومع ذلك وجد بعض الباحثين أيضا فروقاً دالة تتعلق بالنصف الكروي الأيمن للمخ بين أولئك الأفراد الذين يعانون من صعوبات التعلم وأقرانهم الذين لا يعانون منها.

– مواضع اختلال الأداء الوظيفي هي: منطقة بروكا Broca والسطح الصدغي، ومنطقة فيرنيك Wernicke، والتلافيف الدماغية الزاوية (البارزة على شكل زاوية).

– و كانت نتائج البحوث أقل ثباتاً فيما يتعلق بإشارتها إلى المناطق التالية على أنها من المواضع التي تتسم باختلال الأداء الوظيفي الذي يؤدي إلى حدوث صعوبات التعلم: الفصوص القفوية occipital والفصوص الجدارية Pariétal والجسم الجاسئ (والذي يعد بمثابة مجموعة من الألياف العصبية تربط بين النصفين الكرويين للمخ مما يسمح بحدوث الإتصال بينهما على أثر ذلك) (**هالاهان، لويد ، كوفمان و ويس ، 2007 ص 116**)



شكل توضيحي للتخصص الوظيفي للنصفين الكرويين بالمخ

(شاكر عبد الحميد،2005 ص52 في سليمان ابراهيم،2010 ص 78)

3. 2. ما هي العوامل التي تسهم في حدوث اختلال الأداء الوظيفي النورولوجي

توجد مجموعة من الأسباب من شأنها أن تؤدي إلى اختلال الأداء الوظيفي النورولوجي للفرد؛ وهي:

3. 2. 1. العوامل الوراثية

حيث أشارت دراسات أن ما نسبته 20٪ إلى 35٪ من صعوبات التعلم تكون موجودة بين الاخوة، وترتفع هذا النسبة من 65٪ إلى 100٪ في حالة التوائم المتماثلة (**عبد الصبور منصور، 2003 في سليمان إبراهيم ، 2010 ص 57**)، وفي أبحاث ودراسات أخرى تم التوصل إلى أن حوالي 35٪ إلى 45٪ من الأقارب من الدرجة الأولى للأطفال ذوي صعوبات التعلم كانوا يعانون أيضا من صعوبات في التعلم، ومن جهة أخرى فقد وجد بيتشمان وأخرون (1992) ولويس (1992) أدّلة أخرى تؤكد على حدوث نفس الدرجة تقريبا من الإنتقال الأسري لاضطرابات اللغة والتخاطب. (**هالاهان، لويد ، كوفمان و ويس ، 2007 ص 120**).

3. 2. 2. العوامل التي تؤذي إلى تشوه التكوين

تعد العوامل التي تؤدي إلى تشوهات التكوين بمثابة تلك العوامل التي يكون من شأنها أن تؤدي إلى حدوث نمو غير عادي وشاذ للجنين أو حدوث تشوهات مختلفة في تكوينه، وبذلك فكثير من الادوية التي تتناولها الأم أثناء الحمل تصل إلى الجنين مباشرة، بما في ذلك استخدام الأم للسجائر والكحول وتعاطي المخدرات أثناء مدة الحمل والتي من شأنها أن تؤدي إلى تلف نورولوجي للجنين **(مثال غني،2010 ص 153)**

3. 2. 3. العوامل البيئية

وجد الباحثين في المجال أن التلوث البيئي من الممكن أن يؤدي إلى صعوبات التعلم بسبب تأثيره الضار على نمو الخلايا العصبية كالتلوث بالرصاص، ومادة الكانديوم **(تيسير مفلح، 2004 في مثال غني، 2010 ص 154)**

كما وأن سوء التغذية أو عدم الحصول على الرعاية الصحية المطلوبة يمكن أن يؤديا إلى صعوبات أو معوقات عصبية ينتج عنها صعوبات تعليمية، وهذا ما أكدّته باكرمان (2004) بأن سوء التغذية الشديدة في السنوات المبكرة من حياة الأطفال تجعلهم يعانون من صعوبات في تعلم المهارات الأكاديمية**(سليمان ابراهيم، 2010 ص 57)**

كما وأن زيادة أن نقصان معدل العناصر الكيميائية الحيوية التي تحفظ توازن الإنسان ونشاطه، تؤثر على خلايا المخ مثلما هو الحال بالنسبة لتناول الأطعمة التي تحتوي على روائح وألوان صناعية ومواد حافظة، وكذا الزيادة أو النقص بالفيتامينات

فضلا عن بعض الإصابات التي يتعرض لها الطفل إما قبل الولادة أو أثناءها أو بعدها:

- عوامل ما قبل الولادة: كالخداج، النزيف، التسمم وانخفاض في الوزن
- عوامل أثناء الولادة: كالولادة القيصرية، والولادة العسيرة باستخدام الملاقط، ونقص الأوكسجين
- عوامل ما بعد الولادة: كالتعرض للحوادث والأمراض وإصابات الرأس

4. خصائص ذوي صعوبات التعلم

لقد نالت معرفة خصائص الأفراد ذوي صعوبات التعلم اهتماما كبيرا من قبل العديد من الباحثين و المهتمين بالمجال ، حيث ساهمت هذه المعرفة في

وضع محكات للتشخيص و وسائل للتعرف على ذوي صعوبات التعلم ، و كذا وضع برامج التدخل العلاجي الملائمة للتغلب على العراقيل التي تزيد من حمل صعوبة التعلم ثقلا

وقد اتفقت أغلب المصادر على الخصائص السلوكية، العقلية المعرفية، اللغوية والحركية.

✍ **الخصائص السلوكية (الإجتماعية والانفعالية والنفسية)**

من الجدير بالذكر أن إفتراض معاناة التلاميذ ذوي صعوبات التعلم من مشكلات اجتماعية أو إنفعالية أو سلوكية يقوم جزئيا على البحوث في مجال نمو الطفل التي امتدت لعدّة عقود والتي أوضحت نتائجها كما يرى كوفمان Kauffman (2005)، أنّ هناك في الواقع مشكلات سلوكية يبديها الأطفال في المنزل، أوفي المدرسة، أو في كلتا البيئتين وذلك في وقت ما خلال مضمار نموهم، وهناك حقيقتان إضافيتان تعدان في درجة عالية من الأهمية؛ تتمثل الأولى كما يشير فورنيس و كافيل Forness & Kavale (1997) و كوفمان Kauffman (2005) في أن الإضطرابات الإنفعالية والسلوكية عادة ما تصاحبها مشكلات أكاديمية خطيرة، أمّا الثانية فتتمثل في أن العديد من الدراسات التي اجريت على التلاميذ ذوي صعوبات التعلم قد أسفرت نتائجها كما يرى فورنيس و كافيل Forness & Kavale (1997) و هاجير و فون Haager & Vaughn (1997) و بيرل و باي Pearl & Bay (1999) و سيريدهار و فون Sridhar & Vaughn (2001) و ونج و دو ناهيو Wong & Donahue (2002)؛ عن أن الأطفال ذوي صعوبات التعلم يبدون مشكلات سلوكية في المدرسة ، أو تواجههم مشكلات في تنشئتهم الإجتماعية مع أقرانهم، أو يعانون من اضطرابات إنفعالية أو سلوكية.(**هالاهان، كوفمان، لويد و ويس، 2007ص 303)**

و فيما يلي أهم الخصائص: **(محمد الديب،2000 ص 183 -184) (هالاهان، كوفمان، لويد و ويس، 2007ص 305) (ريم الجهني،2013 ص 25)**

- الإندفاعية والتهور.
- صعوبات في تكوين علاقات اجتماعية سليمة.
- انخفاض مفهوم و تقدير الذات.

- قصور في التعامل مع المواقف الجديدة في البيئة المحيطة به.
- الإنسحاب الاجتماعي لصعوبة الإندماج مع الاصدقاء.
- مشكلات في الكفاءة الإجتماعية.
- العدوان، نوبات الغضب، العناد واحتمال الكذب والسرقة.
- القلق والاكتئاب، الإحباط وتقلب المزاج.
- الاتكالية وانخفاض الدافعية للإنجاز وانخفاض مستوى الطموح.

الخصائص العقلية والمعرفية:

تعتبر الخصائص المعرفية والعقلية من الخصائص المهمة المميزة لذوي صعوبات التعلم حيث تتجلى هذه الخصائص بوضوح في الصعوبات الأكاديمية التي يواجهها هؤلاء وفي التوافق الإجتماعي والسلوكية والانفعالي كذلك، وقد أشارت العديد من الدراسات إلى أنّ ذوي صعوبات التعلم يتفاوتون فيما بينهم من حيث طبيعة ونوعية هذه الخصائص المعرفية والعقلية.

وفيما يلي أهم الخصائص: **(سيف عبدون،1990 ص 132 -133) (سليمان إبراهيم،2010 ص 146) (ريم الجهني،2013 ص 24)**

- صعوبة في الفهم و الإستيعاب.
- صعوبة في الإسترجاع.
- صعوبة في اكتساب واستخدام المعلومات والمهارات الأساسية لحل المشكلة.
- استخدام أساليب معرفية غير ملائمة.
- قصور في الذاكرة والانتباه والتفكير،...
- مشكلات في الإدراك والإدراك الحسي.
- عجز واضح في القدرة على تحويل وتشفير وتخزين المعلومات.
- تبني أنماط معالجة المعلومات غير مناسبة لمتطلبات المهام الدراسية.

الخصائص اللغوية

يعاني الكثير من التلاميذ ذوي صعوبات التعلم من واحدة أو اكثر من مشاكل الكلام واللغة، فقد يقع هؤلاء في أخطاء تركيبية ونحوية، وعدم وضوح الكلام نتيجة حذف أو الإضافة، وصعوبة في بناء جمل مفيدة، و غيرها،...

و فيما يلي أهم الخصائص: **(سليمان إبراهيم،2010 ص 147 -148)**

- تأخر ظهور الكلام وسوء تنظيم و تركيب الكلام.
- صعوبات في اللغة الإستقبالية واللغة التعبيرية.
- عدم وضوح بعض الكلام نتيجة حذف أو إبدال أو تشويه أو إضافة أو تكرار لبعض أصوات الحروف.
- فقدان القدرة المكتسبة على الكلام وذلك بسبب وجود اضطراب بالنصف الكروي الأيسر للمخ و المسؤول عن اللغة.

الخصائص الحركية

أشارت نتائج العديد من الدراسات في مجال صعوبات التعلم إلى أن الأطفال ذوي صعوبات التعلم يظهرون مشكلات في الجانب الحركي ويسجلون أداءً حركياً منخفضاً، وعدم القدرة على التآزر الحركي العام.

وفيما يلي أهم الخصائص: **(سليمان إبراهيم،2010 ص 148) (أحمد عواد،2009 ص 88) (عادل العدل، 2011 ص98)**

- مشكلات التوازن العام (المشي، الرمي، الإمساك والقفز)
- صعوبة في الحركات الصغيرة (استخدام اليد أثناء الرسم والتلوين، الكتابة، إستخدام أدوات الطعام،...)
- فقدان الحساسية اللمسية والتميز اللمسي.
- ضعف في حساسية حركات العضلات والشعور العضلي.
- الإرتباك في حركات الجسم والنشاط الزائد.
- عدم الوعي بإدراك موضع الجسم (التخطيط الجسدي).

5. التشخيص و خطواته لذوي صعوبات التعلم

1.5. ماهية التشخيص

يمثل التشخيص سواء كان تربوياً أو طبياً، الخطورة الأولى في العلاج والتأهيل، وهو الخطوة الأولى كذلك في التعامل تعاملا صحيحاً مع أي الصعوبة أو الإضطراب يعاني منه الطفل؛ كما ويؤكد لوندن (London,2007 p 410) بأن التشخيص عملية أساسية تسبق تحديد أساليب التدخل العلاجي، وأنه كما أجري التشخيص في وقت مبكر من عمر الطفل كان العائد من عملية التدخل ذا تأثير فعال على سلوك الطفل، وبأن

هذا التشخيص يقوم على السلوك وليس السبب. (**مسعد أبو الديار،2012 ص 20**)

وعادة تكون بداية التعرف وتشخيص صعوبات التعلم خلال سنوات المدرسة الإبتدائية عندما يطلب من الاطفال تعلم القراءة، والهجاء، الكتابة وتعلم الرياضيات، ومع ذلك فإن العلامات التحذيرية مثل التأخر أو العجز اللغوي، الصعوبات في النظم والعد، أو الصعوبات في المهارات الحركية الدقيقة، عادة تحدث في مرحلة الطفولة المبكرة قبل بداية التعليم النظامي. و يشير **روبنسن (Robinson,1995 p 35)** في (**أمنية هارون،2018 ص 53**) إلى أن الغاية الرئيسية من التعرف المبكر بأسرع وقت على الأطفال الذين ينحرف نموهم أو يتأخر بشكل ملحوظ ليس تشخيص بقدر ما هو التنبؤ بالمشكلة التي من المحتمل أن تترك تأثيرا كبيرا على نمو الطفل ومستقبله.

وقد قدم **كيرك و كالفانت (1988 ص 83 -89)** في (**مسعد أبو الديار،2012 ص 70**) خطة مكونة من ست مراحل تهدف إلى التعرف إلى الأطفال ذوي صعوبات التعلم وهي:

- التعرف إلى الأطفال ذوي الأداء المنخفض؛ ويمكن أن تتم تلك العملية داخل المنزل أو المدرسة.
- ملاحظة السلوك ووصفه: مثل كيف يقرأ؟ ومهارات القراءة.
- إجراء تقييم غير رسمي و يستبعد بعض الحالات مثل: الحرمان البيئي والثقافي.
- قيام فريق التقييم بإجراء تقييم ، وتعد هذه العملية بمثابة التشخيص المبني على تعدد المحكات.
- كتابة نتائج التشخيص.
- تخطيط برنامج علاجي.

6. أساليب و أدوات تشخيص صعوبات التعلم

لابد من أن يقوم بعملية التشخيص فريق متعدد التخصصات يستخدم الإختبارات التحصيلية والعقلية والنفسية الرسمية منها وغير الرسمية، وهذه الادوات تهتم بقياس وتشخيص أكثر من عرض بحيث تقدم صورة تشخيصية شاملة لذوي صعوبات التعلم ومنها ما يأتي:

6. 1. مقياس إلينوي للقدرات السيكولغوية:

يهدف هذا المقياس إلى قياس مظاهر الإستقبال والتعبير اللغوي وتشخيصها، ولا سيما لدى الاطفال ذوي صعوبات التعلم، ويطبق على الأطفال من سن 2 - 10 سنوات، حيث يعد هذا المقياس من المقاييس المقننة والمشهورة في مجال صعوبات التعلم.

ويتألف هذا المقياس من 12 إختبارا فرعيا تغطي طرائق الإتصال اللغوية ومستوياتها، والعمليات النفسية التي تتضمنها تلك الطرائق.

6. 2. إختبار مايكل بست للكشف عن الأطفال ذوي صعوبات التعلم

يهدف هذا الإختبار إلى التعرف على التلاميذ ذوي صعوبات التعلم، ويطبق على من هم في الفئة العمرية 6 إلى 12 سنة، حيث يعطي الإختبار عند تطبيقه الدرجة الكلية، ودرجة الإختبارات اللفظية، ودرجة الإختبارات غير للفظية؛ ويتألف هذا الإختبار في صورته الأصلية 24 فقرة موزعة على خمسة إختبارات فرعية وهي:

1. إختبار الإستيعاب السمعي وعدد فقراته أربعة.
2. إختبار اللغة وعدد فقراته خمسة.
3. إختبار المعرفة العامة وعدد فقراته أربعة.
4. إختبار التناسق الحركي وعدد فقراته ثلاثة.
5. إختبار السلوك الشخصي والاجتماعي وعدد فقراته ثمانية.

6. 3. بطارية مقاييس التقدير التشخيصية لصعوبات التعلم (الزيات، 2007)

غالبا ما يتم إستخدام هذه البطارية من أجل الكشف والتشخيص المبكر لذوي صعوبات التعلم من الصف الثالث حتى الصف التاسع، وهي تتكون من 16 مقياساً مستقلاً؛ خمسة منها تتناول اضطرابات العمليات المعرفية (الإنتباه، الإدراك السمعي، الإدراك البصري، الإدراك الحركي والذاكرة)، وثلاثة أخرى تتناول صعوبات التعلم الأكاديمية (القراءة، الكتابة و الرياضيات)، والثمانية المتبقية تتناول صعوبات السلوك الإنفعالي والاجتماعي.

6. 4. إختبار المسح النورولوجي السريع (عبد الوهاب كامل،1998)

هو من الأساليب الفردية المختصرة للتعرف إلى ذوي صعوبات التعلم، ويستغرق 20 دقيقة في تطبيقه، وهو وسيلة لرصد الملاحظات الموضوعية عن التكامل النورولوجي، ويتضمن الإختبار سلسة من المهام المختصرة، والتي تبلغ 15 مهمة مشتقة من الفحص النورولوجي للأطفال، وهذه المهام طوّرت وعدّلت المقاييس المستخدمة في الفحوص النورولوجية والنمائية للأطفال في مراحل العمر المختلفة، وهذه المهام هي: مهارة اليد، تعرف الشكل وتكوينه، تعرف الشكل براحة اليد، تتبع العين لمسار حركة الأشياء، نماذج الصوت، التصويب بإصبع على الانف، دائرة الأصابع والإبهام، الإثارة المتزامنة المزدوجة لليد والخد، العكس السريع لحركات اليد المتكررة، مد الذراع والأرجل، المشي بالترادف والوقوف على رجل واحدة والملاحظات السلوكية غير المنتظمة.

والدرجة الكلية المتحصل عليها، إمّا أن تكون مرتفعة أكبر من 50 وتدل على إرتفاع معاناة الطفل صاحب الصعوبة، أو درجة عادية 25 فأقل فتشير إلى السواء النورولوجي، أمّا الدرجة التي تقع بين 25 و 50 فتدل على إحتمال تعرض الطفل لاضطرابات نورولوجية في الدماغ.

6. 5. إستبانة الكشف المبكر عن صعوبات التعلم النمائية لدى طفل مرحلة الروضة (5 - 6) سنوات (إسماعيل الفرار،2005)

تشتمل الإستبانة على صعوبات التعلم النمائية لدى طفل الروضة وتظهر تلك الصعوبات في أربع مجالات وهي:

1. صعوبات حركية.
2. صعوبات معرفية.
3. صعوبات في النمو اللغوي.
4. صعوبات اجتماعية نفسية (التفاعل الاجتماعي السليم).

تطبق الإستبانة على معلم الطفل في الروضة، ويعطى للطفل درجات وفق تسلسل مستويات الإجابة؛ ويكون مجموع الدرجات النهائي لفقرات الإستبانة 220، فإذا ما حصل الطفل على أقل من 60٪ أي 122 درجة يكون لديه صعوبات تعلم نمائية، وإذا حصل الطفل على 60٪ من درجات كل مجال يعد لديه صعوبة في هذا المجال من مجالات الإستبانة.

7. الإستراتيجيات التعليمية التعلمية المستخدمة في التكفل بذوي صعوبات التعلم

يحظى مجال التكفل بذوي صعوبات التعلم بعدد لا بأس به من الإستراتيجيات التي من شأنها أن تساعدهم على أن يصبحوا قادرين على التعلم بفعالية وبكفاءة؛ وقد تنوعت ما بين استراتيجيات معرفية وأخرى تعليمية وكذا استراتيجيات تَعَلُّمِيَّة. **(الزيات، 2007 ص 35 -36)**

سوف نعرض لأهم الإستراتيجيات التربوية العلاجية لذوي صعوبات التعلم:

7. 1. إستراتيجية التدريب على العمليات النفسية

يفترض مقترحوا هذا الأسلوب أنه يمكن تحديد العمليات المتضمنة في موضوعات التعلم، وحينئذٍ يتم تدريب الأطفال لتحسين العمليات نفسها، على افتراض أن التدريب على هذه العمليات سيزيد من سعة اكتساب المهارات الأكاديمية، ويعتمد على تشخيص وعلاج صعوبات التعلم في هذه الحالة على تحديد وتحليل أوجه القدرة وأوجه القصور لدى المتعلم في مهارة التعلم. **(سليمان إبراهيم،2010 ص 153 - 154)**

7. 2. الإستراتيجيات المعرفية لتعليم و تعلم ذوي صعوبات التعلم

تكتسب الإستراتيجيات المعرفية أهميتها من حقيقة أن الكثير من المهام المعرفية تؤدى بأكثر من طريقة، اعتماداً على التكوينات العقلية المعرفية المتباينة للأفراد، فالأفراد المختلفون يسلكون سلوكاً متبايناً عند أدائهم لنفس المهمة، معتمدين على الأساليب المتباينة لكل منهم في الوصول إلى الحلول المتمايزة، التي تعتمد على خبراتهم الماضية، وقدراتهم ومعارفهم الحالية.

ويقرر كل من بزانز و كيل (Bisanz & Kail , 1982) في **(الزيات،2007 ص 33)** أنّ تحديد الإستراتيجية الفعالة في مجال ما يعتمد على الغايات المستهدفة من استخدامها، حيث تعبر الإستراتيجية عن:

- وصف الآليات المعرفية الأكثر فعالية لإنجاز المهام المعرفية المعقدة.
- الخصائص الكمية والكيفية للبناء المعرفي للقائم بالحل، وما ينطوي عليه من خبرات ومهارات ومعارف.

وبالتالي تشير الإستراتيجيات المعرفية إلى القدرة على ضبط إيقاع المعالجة التنفيذية للعمليات المعرفية عند الأداء على المهام أو المشكلات المختلفة.

وقد تنوعت الإستراتيجيات المعرفية بتنوع متطلبات المهام موضوع المعالجة، وأشار(**فتحي الزيات،2007 ص 38 -41**) إلى مجموعة من أنماط الإستراتيجيات المعرفية المستخدمة مع ذوي صعوبات التعلم، والمتعلقة بالتدريس العلاجي لهم:

7. 2. 1. الإستراتيجيات المعرفية المتعلقة بالإنتباه

ويقصد بها الآليات المعرفية التي من خلالها يمكن إستثارة إنتباه الفرد و استمرار تركيزه على الجوانب المتعلقة، وتجنبه للعوامل غير المتعلقة خلال الأداء على مختلف المهام.

7. 2. 2. الإستراتيجيات المعرفية المتعلقة بالترميز

تتأثرعمليات الترميز على اختلاف أنماطه (الترميز البصري، الترميز السمعي، الترميز المنطوق، الترميز السيمانتي، الترميز الحركي والترميز اللفظي) لدى ذوي صعوبات التعلم بدرجة حدة صعوبات الإدراك البصري، والسمعي ، والحركي أو شدّتها ومدى تكامل النظم الإدراكية، حيث يمكننا تقرير أن هذه الصعوبات النمائية المنشأ تقف خلف صعوبات الترميز.

وتتمايز إستراتيجيات الترميز في نمطين من الإستراتيجيات، كما وضحها (**الزيات، 2007 ص 39 - 40**)

أ -**إستراتيجية التركيز**: وفيها يتم البحث عن جميع الخصائص المشتركة المكونة للمفهوم.

ب - **إستراتيجية المسح**: وفيها يتم مسح خاصية واحدة للمفهوم عبر خصائصه المطروحة.

7. 2. 3. الإستراتيجيات المعرفية للإسترجاع

يشير مفهوم الإسترجاع إلى محاولة الفرد تذكر أو إسترجاع المعلومات التي سبق حفظها، والاحتفاظ بها في الذاكرة قصيرة المدى أو السابق تعلمها وتخزينها والاحتفاظ بها في الذاكرة طويلة المدى؛ ويتم الإسترجاع بطريقتين، هما:

أ -**الإستدعاء**: و هو إسترجاع المعلومات والخبرات أو الذكريات، مع ما يصاحبها من ظروف الإستدخال أو المكان أو الزمان أو الإحتفاظ، التي تأخذ مجراها بحيث تتداعى في غياب المثير الأصلي.

ب - التعرف: يختلف التعرف وظيفيا عن الإستدعاء، فكلاهما يعتمد على الخبرة السابقة والتعلم المقصود وغير المقصود، إلاّ أن التعرف يبدأ من الموضوع المتعرف عليه، بينما ينتهي الإستدعاء بالموضوع المستدعى.

7. 3. إستراتيجية تحليل المهمة

تعد هذه الاستراتيجية من الإستراتيجيات العلاجية الهامة لدى القائمين بالتكفل بذوي صعوبات التعلم، والتي يقصد بها تحليل المهمة التعليمية التدريسية إلى وحدات أو مهارات ثانوية قابلة للتدريب، فبعض المختصين في المجال قد وسعوا مفهوم تحليل المهمة لكي يشمل وصف الإجراءات التعليمية المستخدمة للتدريب على المهارة، في حين أن آخرين قد قصروا المصطلح أو التعريف على تحليل المحتوى الذي سيُدرس

وهناك إتجاهات أكثر حداثة للتعامل مع المتعلمين ذوي صعوبات التعلم مثل الجمع بين أسلوبي التدريب على العمليات النفسية وتحليل المهمة. **(سليمان إبراهيم،2010 ص 154)**

7. 4. استراتيجية التدريب المباشر للمخ

تعد هذه الاستراتيجية من أساليب العلاج المعرفي القائم على معالجة المعلومات المستعملة في علاج صعوبات التعلم، وقد قامت العديد من الدراسات باستعمال هذا الأسلوب و الذي يعتمد على نموذج التوازن بمعنى تقديم مثيرات لتنشيط نصف المخ غير المسيطر لدى الأطفال ذوي صعوبات التعلم كل حسب نصف المخ المسيطر لديه. هناك مثال يوضح كيف أن المعرفة بالمخ ووظائفه تسهل ابتكار وتصميم خطة علاجية للإستفادة بالجانب الصحي لكلا من النصفين الكرويين للمخ عند الطفل فمثلا أن بعض الأطفال ذوي الصعوبات الحادة في تعلم حروف الهجاء قد يتعلمونها بسهولة عن طرق الغناء أولا ثم يتعلون كيف يكتبونها ثانيا. (**سليمان إبراهيم،2010 ص 155 في عباس عبد الواحد، 2015)**

7. 5. إستراتيجية التدريس البنائي القائم على أساسيات اللغة واستخدام الحواس المتعددة

تعوذ جذور هذه الإستراتيجية إلى منتصف القرن العشرين، وقد اكتسبت مصداقيتها من البحوث الكثيرة التي تقوم عليها، وهذه الإستراتيجية قائمة على مجموعة من المبادئ الأساسية:

- إستعمال الحواس المتعددة بطريقة متزامنة.
- تدريس منظم و منهجي و تراكمي.
- التعليم المباشر.
- التعليم التشخيصي.
- التدريس التركيبي والتحليلي. **(عبد الستار محفوظي و آخرون، 2010 ص 35)**

7. 6. إستراتيجية تحليل الخصائص الدلالية

هي إستراتيجية تستخدم في سبيل زيادة المفردات اللغوية للتلميذ حيث تعمل في الواقع على زيادة مخزونه من المفردات اللغوية، وترتبط تلك الكلمات بالمفاهيم، وتحسن من قدرته على فهم النص، وتعمل على تكوين مخطط عقلي أو صورة عقلية للذاكرة. وتعتبر هذه الإستراتيجية من الإستراتيجيات ذات الاهمية بالنسبة للتلاميذ ذوي صعوبات التعلم نظرا لأن مفرداتهم اللغوية تكون محدودة مما يجعلهم يواجهون مشكلات جمّة في المجالات الدراسية المختلفة.

ويمكن استخدام هذه الإستراتيجية قبل أو بعد نشاط القراءة، ولكنها إذا ما استخدمت قبل نشاط القراءة يجب ان يقوم المعلم بتعليم التلاميذ مقدماً المفردات اللغوية والمفاهيم الهامة، أمّا عندما يتم استخدامها بعد نشاط القراءة فيجب القيام بتحليل يوضح المصطلحات والمفاهيم المتضمنة. **(هالاهان، كوفمان، لويد و ويس، 2007 ص 511)**

7.7. التعليم العلاجي بمساعدة الكمبيوتر

تتيح برامج التدريس الحاسوبي قدرا كبيرا من التفاعلية بين المتعلم و البرنامج كما إنها تجيب عن تساؤلات المتعلم و استفساراته جميعها، وتقدم له مساعدات متنوعة، وتنبه إلى أخطائه، وتتميز أيضا بالبساطة وعدم التعقيد في

الإستخدام، ولهذه البرامج القدرة على توليد الأسئلة والمسائل تلقائيا وبأعداد غير محدودة وبدجات صعوبة مختلفة وفق قدرة المتعلم **(محمد غنيم، 2003)**

وقد قام Thurman بدراسة مسحية حول مدى إنتشار استخدام الحاسوب الآلي في مدارس التربية الخاصة في عدد من ولايات الولايات الأمريكية، حيث أظهرت النتائج أن 37٪ من المدارس كانت تستخدم الحاسوب الآلي في التمارين والتدريبات والنمذجة بالإضافة إلى إستخدامه لتخزين المعلومات عن التلاميذ وأن 70٪ من معلمي التربية العلاجية يعتبرون الكمبيوتر محفزا عاليا للتلاميذ و40٪ قالو أنه يرفع من مفهوم الذات لدى التلاميذ **(الحماد، 1994 في محمود و النهدي ، 2014)**

ويضيف أيمن محمود وغالب النهدي أن من مزايا استخدام الكمبيوتر في العلاج:

- أداة مناسبة لجميع فئات التلاميذ، حيث يتعلم كل منهم وفقا لقدراته وسرعته.
- تشجيع التلاميذ على العمل لفترة طويلة دون ملل.
- يتيح فرصة التفاعل المباشر مع التلاميذ عن طريق عرض معلومات وتوجيه أسئلة ومن ثم إستقبال الإجابات وتقديم التغذية الراجعة الفورية والتعزيز دون أن تعرض التلميذ للحرج أو الخجل أو السخرية من جانب أقرانه بسبب إجابته الخاطئة.
- التخفيف من الاعباء الروتينية للمعلم.
- تفريد التعلم.
- يزيد من إنتباه وتذكر التلميذ نتيجة استخدام الصوت والحركة والألوان.

ويرى سعيد اليمامي وآخرون 2010، أنّ الكمبيوتر يمكن أن يعمل على تقديم الكم الهائل من التدريبات الازمة لتنمية مهارات معينة وإعطاء الإهتمام الفردي للمتعلم وتقديم التغذية الراجعة بمختلف الصور والأشكال والمستويات وتغيير طريقة عرض التمرينات من موضوع إلى آخر ومتابعة تقدم التلميذ وتشخيص نقاط الضعف لديه ومن ثم الإحتفاظ بذلك كسجل يستفيد منه المعلم في علاج الضعف لدى التلميذ. **(أيمن محمود و غالب النهدي ، 2014)**

8. واقع التكفل بذوي صعوبات التعلم بالجزائر

أدركت الجزائر منذ استقلالها أهمية التعليم في دفع عجلة التنمية، فسارعت إلى الاهتمام به، وبذلت مجهودات كبيرة لتطويره. ومع ذلك فإن شواهد الواقع تؤكد إخفاق القائمين على شؤون النظام التعليمي في كثير من المجالات؛ كان أهمها: سياسات التخطيط للتكفل بالمتأخرين دراسيا، بيداغوجيا التعليم، التقويم التربوي والفروق الفردية وكذا المعرفة بصعوبات التعلم وتطوير إستراتيجيات التكفل بها...وغيرها

وبالنظر إلى واقع التكفل بذوي صعوبات التعلم، فيبدو أنه لم يرتقي بعد إلى مستوى تطلعات الأولياء والمعلمين للحد من تداعيات الصعوبة التعليمية، فحسب رأي (علاوي،2018) يرجع هذا للغموض الذي لازال يكتنف موضوع صعوبات التعلم في ما يخص المفهوم، الأسباب والتشخيص وآليات العلاج. **(محمد علاوي (أ)، 2018 ص 254)**

والذي يزيد تأكيداً لضعف وفشل مخططات واستراتيجيات التكفل بذوي صعوبات التعلم مجموعة من الدراسات المحلية التي تناولت واقع التكفل ومعيقاته لذوي صعوبات التعلم؛ كدراسة محمد علاوي (2018) التي توصلت إلى :

- ضعف مستوى التحكم في أدوات الفحص المتعلقة بالمقاييس والاختبارات والإلمام المعرفي بالمحكات التشخيصية لذوي صعوبات التعلم
- ضعف مستوى التأهيل الأكاديمي والإلمام المعرفي بمفهوم صعوبات التعلم
- غياب الظروف الملائمة ونقص الوسائل المادية والتي تعبر عن غياب الوعي اتجاه الممارسة النفسية في الوسط المدرسي من طرف الجهات الوصية.
- ضعف وضبابية الرؤية من طرف المعلمين فيما يتعلق بإنجاح إجراءات الفحص النفسي لمشكلات ذوي صعوبات التعلم.
- من جهة أخرى لازالت إجراءات التنسيق الواجب القيام بها من طرف المختص النفساني مع المعلمين تفتقر للرؤية الأكاديمية التي تدعمها، ويعود هذا بالأساس لضعف إن لم نقل انعدام الإلمام المعرفي بمقتضيات التكفل بفئة صعوبات التعلم لما تتطلبه النفسية في الوسط المدرسي

ويفسر الباحث ذلك بانعدام الثقة من طرف الوسط الإجتماعي تجاه فاعلية وظائف المختص النفساني، الذي في الغالب لا يقوم بإبراز مكانته ودوره كمساهم في ترقية الصحة النفسية للتلميذ، بسبب ضعف تأهيله العلمي والمهني في هذا المجال، مما يؤدي إلى إستحالة تحقيق غايات الفحص النفسي للمشكلات السلوكية والانفعالية في الوسط المدرسي، بسبب غياب الإلتزام الواعي من طرف كل الجهات التي لها صلة بالموضوع.

من جهة أخرى تجلى الفشل في التكفل بذوي صعوبات التعلم من خلال انعدام الرؤيا التكاملية للمؤسسات الإجتماعية التي لها صلة بالعملية التعليمية التعلُّمية في بلادنا، و التي يقع على عاتقها السعي لضمان تكفل نفسي - بيداغوجي متعدد الاختصاصات لفئة ذوي صعوبات التعلم (**محمد علاوي (ب)** ، **2018ص 59)**

9. خاتمة:

نحن نعلم أن عمليتي القياس والتشخيص التربويين، تزودانا بمعلومات هامة تساعد في اتخاذ القرارات المتعلقة بجوانب العملية التربوية جميعها، وكذا التخطيط لها وكيفية متابعتها؛ كما ويسهم التشخيص الدقيق لفئة صعوبات التعلم، والذي يمثل البوابة الرئيسية التي ندخل من خلالها للتعرف إلى ذوي صعوبات التعلم والوقوف على أعراضهم، في بناء البرامج العلاجية الفعالة لهم.

بناءً عليه، تبرز الأهمية القصوى لعملية التكفل بذوي صعوبات التعلم، من خلال الحصول على مقاربة تشخيصية مبنية على الوصف والتفسير السليمين و الدقيقين لمظاهر الصعوبة التي تعاني منها هذه الفئة ، ويتوقف تحقيق ذلك على مدى توفر شروط الخبرة في القائمين على التكفل، والدقة والموضوعية والسهولة في تطبيق الاختبارات والمقاييس التشخيصية وكذا زيادة الوعي العام والتربوي بضرورة توفير جميع امكانات المادية والظروف الملائمة للتكفل وعلاج ذوي صعوبات التعلم.

من أجل ذلك؛ وجب التفكير في آليات تضمن التنسيق بين جميع الهيئات القائمة على التكفل بذوي صعوبات التعلم من أجل ضمان تأهيل المختصين على المستوى الاكاديمي والمهني في هذا المجال .

10. قائمة المراجع:

1. إبراهيم، سليمان عبد الواحد يوسف (2010). **المرجع في صعوبات التعلم "النمائية و الأكاديمية و الإجتماعية و الإنفعالية"**، الطبعة الاولى. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية
2. أبو الديار، مسعد (2012). **الذاكرة العاملة و صعوبات التعلم**. الطبعة الاولى، الكويت: مركز تقويم و تعليم الطفل.
3. الجهني، ريم (2012 -2013). فاعلية برنامج تدريبي في تنمية مهارات التواصل الإجتماعي و مفهوم الذات لدى التلامذة ذوي صعوبات التعلم، **أطروحة دكتوراه منشورة**، جامعة دمشق: كلية التربية.
4. الزيات، فتحي (2007). **بطارية مقاييس التقدير التشخيصية لصعوبات التعلم**، القاهرة: دار النشر للجامعات.
5. الزيات، فتحي مصطفى (2007). **صعوبات التعلم؛ الإستراتيجيات التدريسية و المداخل العلاجية**. الطبعة الأولى. مصر : القاهرة: دار النشر للجامعات.
6. العدل، عادل محمد (2011) . **صعوبات التعلم و التدريس العلاجي**، دار الكتاب الحديث.
7. الفرار، إسماعيل (أفريل 2015). التشخيص المبكر لصعوبات التعلم لدى طفل الروضة من وجهة نظر التربية الخاصة؛ **مؤتمر التربة الخاصة العربي: الواقع و المأمول**؛ 26 - 2015/4/27. الجامعة الأردنية: كلية التربية، الأردن
8. عبد الواحد، عباس فاضل (2015). صعوبات التعلم - دراسة نظرية - **مجلة دراسات في التاريخ و الآثار**، ملحق العدد 50 ، ص ص 407 - 436
9. عبدون، سيف الدين يوسف (1990). دراسة مقارنة لصعوبات التعلم لدى الجنسين من تلاميذ المرحلة الإبتدائية الأزهرية و غير الازهرية؛ **مجلة للأبحاث التربوية**، العدد 18،ص ص 121 - 160، جامعة الأزهر: كلية التربية.
10. علاوي، محمد (أ) (ماي 2018)، واقع التكفل النفسي لذوي صعوبات التعلم في الوسط المدرسي، **مجلة تطوير**، المجلد 5، العدد1، ص ص 235 - 255
11. علاوي، محمد (ب) (جوان 2018)، عوائق الفحص النفسي لذوي صعوبات التعلم في الوسط المدرسي، **مجلة تطوير العلوم الإجتماعية**، المجلد 11، العدد1، ص ص 45 - 62
12. عواد، أحمد (مارس 2005). صعوبات التعلم لدى البالغين: التقويم و استراتيجيات التدريس العلاجي؛ **مؤتمر التربية و أفاق جديدة لتعليم و رعاية ذوي الإحتياجات و المعاقون و الموهوبون في الوطن العربي**، 14/13 مارس 2005،جامعة حلوان، كلية التربية.
13. عودة، محمد محمد و فقيري، ناهد شعيب (2016). **الدليل التشخيصي للإضطرابات النمائية العصبية**، القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية.

14. غنيم، محمد أحمد (2003). **الإتجاهات الحديثة في بحوث مشكلات تقويم التحصيل الدراسي**، مصر: جامعة بنها: كلية التربية.
15. غني، مثال عبد الله (2010). صعوبات التعلم لدى الأطفال، **دراسات تربوية**، العدد العاشر، ص ص 143 -165
16. محفوظي، عبد الستار و آخرون (2010) ، **إستراتيجيات نموذجية لتدريس مهارة القراءة**. الطبعة الأولى، الكويت: مركز تقويم و تعليم الطفل.
17. محمود، أيمن الهادي و النهدي، غالب بن حمد (2014). **فعالية التعليم العلاجي بمساعدة الكمبيوتر في تنمية بعض مهارات الإدراك البصري للتلاميذ ذوي صعوبات التعلم بالصف الثاني الإبتدائي**. جامعة سلمان بن عبد العزيز :كلية التربية. https://platform.almanhal.com/files/2/77733 (زيارة الموقع 2018/12/31)
18. هارون، أمنية محمد محمد (2017 -2018). فعالية برنامج للتعليم العلاجي قائم على الإستراتيجيات الذاكرية في تنمية الذاكرة السمعية - البصرية و أثرها على المهارات قبل الأكاديمية لدى أطفال الروضة المعرضين لخطر صعوبات التعلم؛ **دكتوراه فلسفة منشورة**، جامعة الزقازيق، كلية التربية: قسم الصحة النفسية.
19. هالاهان دانيال ، كوفمان جيمس ، لويد جون و ويس مارجريت (2007). **صعوبات التعلم؛ مفهومها -طبيعتها - التعلم العلاجي**؛ ترجمة: عادل عبد الله محمود، الطبعة الاولى، الأردن، عمان: دار الفكر.

مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ر ت م د: 7163 -1112 ر ت م د إ :1892-2588
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2

التفكير الايجابي وعلاقته بمهارة حل المشكلات لدى المقبلين على امتحان شهادة البكالوريا

Positive thinking and its relationship to problem-solving skill for those coming to the baccalaureate exam

الحطاح زبيدة،[1] باشن سلمى[2]
1- جامعة يحي فارس "المدية"،Zoue66@gmail.com
2- جامعة يحي فارس "المدية"، selma.bchn@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/02/14 تاريخ القبول: 2021/09/21

ملخص -

هدفت الدراسة الحالية التعرف على العلاقة بين التفكير الايجابي ومهارة حل المشكلات لدى عينة من الطلبة المقبلين على امتحان شهادة البكالوريا، وتكونت العينة من (92) طالب وطالبة، اختيروا بطريقة عشوائية من مدينة المدية، واعتمدت الدراسة على مقياس التفكير الايجابي الذي اعدته نادية سالم ميلود عبد العزيز -2016)، ومقياس القدرة على حل المشكلات من تأليف حمدي عبد الله عبد العظيم (2013)، وأسفرت النتائج على وجود علاقة ارتباطية دالة احصائيا بين التفكير الايجابي ومهارة حل المشكلات لدى المقبلين على امتحان شهادة البكالوريا، كما توصلت النتائج إلى عدم وجود فروق بين الطلبة النظاميين والطلبة الأحرار على مقياس التفكير الإيجابي، في حين أن الدراسة توصلت إلى وجود فروق بين الطلبة النظاميين والطلبة الاحرار على مقياس مهارة حل المشكلات، كما توصلنا من خلال النتائج إلى عدم وجود فروق بين الطلبة المعيدين والطلبة غير المعيدين في مقياس التفكير الايجابي وعدم وجود الفروق أيضا بين الطلبة المعيدين والطلبة غير المعيدين على مقياس مهارة حل المشكلات.

المؤلف المرسل: الحطاح زبيدة: zoue66@gmail.com

الكلمات الدالة: التفكير الايجابي، مهارة حل المشكلات ، الطلبة، امتحان شهادة البكالوريا.

Abstract:

This study aimed to identify the relationship between positive thinking and the problem-solving skill with a sample of 92 students coming to the baccalaureate exam, chosen randomly from the city of Medea. The study relied on the scale of positive thinking prepared by Nadia Salem Miloud Abdel-Aziz (2016). The measure of the ability to solve problems written by Hamdi Abdullah Abdel-Azim (2013). It resulted in a statistically significant correlation between positive thinking and the problem-solving skill of the two coming to the baccalaureate exam. There was no differences between formal and free students on the scale of positive thinking. Also there were differences between regular and free students on the scale of problem-solving skill, no differences between the repeating students and the students who are not repeaters in the scale of positive thinking and the lack of differences between repeaters and non-repeaters on the scale of problem solving skill.

Key words:

positive thinking, problem solving skill, students, baccalaureate exam.

1. - مقدمة

تعد مهارة حل المشكلات من المهارات الفاعلة في التعلم، لأنها تساعد الطلبة المقبلين على امتحان شهادة البكالوريا على إيجاد الحلول بأنفسهم قبل و ساعة الامتحان و من خلال البحث والتنقيب والتساؤل والتجريب.

ولقد بدأ الاهتمام بموضوع حل المشكلات في بدايات القرن العشرين من خلال أعمال العديد من علماء النفس أمثال ثورندايك وكوهلر، ثم تواصل الاهتمام بهذا الموضوع لأنه يشكل جانبا رئيسيا من المهمات المدرسية التي يتعرض لها الطلبة إذ أصبح تطوير مهاراتهم في حل المشكلات من أهم غايات المدارس.

ولما كان حل المشكلات عملية تفكيرية يستخدم فيها الطالب ما لديه من معارف مكتسبة سابقة ومهارات من أجل الاستجابة لمتطلبات موقف غير مألوف له، لذا يعد التفكير عاملا من العوامل الأساسية في حياة الإنسان فهو الذي يساعد على توجيه الحياة وتقدمها وكلما كان هذا التفكير إيجابيا كلما أدى إلى حل فاعل للمشكلات التي تواجه الطالب، وكلما كان هذا التفكير سلبيا كلما أدى إلى التعامل مع المشكلات بأساليب سطحية وخاطئة.

وحسب النظرية المعرفية فإن أفكار الفرد ومعارفه تلعب دورا مهما في تشكيل سلوكه وبناء شخصيته، ويعد ألبرت إليس Ellis من رواد هذه النظرية، وهو يرى أنه يجب الاعتماد على العقل في تقرير الحقيقة، فهو المصدر الموثوق به والقادر على جعل الإنسان قادرا على فهم ذاته، فأفكار المرء ومعتقداته هي المسؤولة عن تصرفاته تبعا لما يدركه في الواقع الذي يعيشه.

وهنا تبرز أهمية التفكير الإيجابي من خلال تنمية أساليب التفكير السليمة لدى المتعلمين مما يساعدهم على حل المشكلات ومواجهة مختلف المواقف التي تتطلب من المتعلم (طالب البكالوريا) أن يضع حلولا أو بدائل مناسبة يتم تقييمها في ما بعد واختيار أفضلها ليكون حلا إيجابيا للمشكلة، سواء كان ذلك في حياته الدراسية أو في حياته العامة، وبالتالي نضمن قدرته في نقل خبراته التي اكتسبها من هذا التعلم عندما يعمم حلوله لبعض المشكلات على مواقف أو مشكلات مشابهة قد تواجهه.

إشكالية:

إن مواجهة الإنسان للمشكلات أي كانت طبيعتها تشكل عقبة دون تحقيقه لأهدافه، مما يحتم عليه التعامل معها وإيجاد حل لها وفي المقابل نجد الكثير من طلاب اليوم يقعون في حيرة أمام المشكلات التي تواجههم خصوصا وأن حل المشكلات ليس بالعملية العقوية. (جابر، 2008، ص 228).

ويرى علماء النفس المعرفي إن حل المشكلات هي عملية تفكير لأنها تتصل بتطبيق المعرفة، فحاجة الفرد إلى حل المشكلة تبدو عندما يكون لحل غير متيسر، فحل المشكلة يتمثل في تطبيق المعرفة وانتقال أثر التعلم. (دياب، 2000، ص 52).

كما تنطوي تعلم مهارات حل المشكلات عموما على وضع تعلمي يقوم فيه المتعلم باكتشاف حل لمشكلة معينة تواجهه ويسمح هذا الوضع عادة بتوافر

استجابات أو حلول بديلة عديدة، يمكن القيام بها، وقد تؤدي واحدة من هذه الاستجابات أو أكثر إلى الحل المقبول. (نشواتي، ،2003، ص452).

وإن الاهتمام باكتساب الطلاب المتعلمين مهارات حل المشكلات ليس من أجل تمكينهم من إيجاد حلول والحصول على درجات جيدة فقط، بل من أجل التدريب على ممارسة التفكير والمهارات العقلية التي تتطلبها مهارة حل المشكلات. (الحسن وعبد العزيز، 2016، ص 340).

وفي ذلك يقول سلافن Slavin (1994) أن حل المشكلات هو المدخل الرئيسي لتشغيل العقل، وهذا يعني أن مهارة حل المشكلات تعتبر بمثابة المنبه الذي يثير العقل. (بوضياف ومخلوفي، 2010، ص 173).

من هذا المنطلق يصبح التعلم الفعال لمهارة حل المشكلات حاجة ملحة أكثر من أي وقت مضى، لأن العالم أصبح أكثر تعقيدا، والنجاح في مواجهة مشكلات هذا العالم لا يعتمد على الكم المعرفي بقدر على كيفية استخدام المعرفة وتطبيقها. (محمد، 2009، ص 109).

إلا أن اكتساب هذه المهارة يعتمد بشكل رئيسي على ردة فعل الشخص نفسه تجاه المشكلة وكيفية تعامله معها ومدى شعوره بآثارها السلبية في نشاطاته، الأمر الذي سيؤدي به بكل تأكيد إلى اتخاذ القرار بالتعامل مع المشكلة لإيقاف تبعاتها السلبية للوصول إلى مرحلة التوازن. (الشراح والعجمي، 2016، ص2).

ولا يتم ذلك إلا إذا تميز الطالب بالتفكير الايجابي الذي يرفع من قدرة الفرد على التركيز والانتباه إلى جوانب القوة في كل من المشكلة، وأيضا في القدرات التي يمتلكها الفرد كالقدرات النفسية والمثابرة، والقدرة على تحمل المشاق، والتوافق النفسي، كما تشمل أيضا قدرات عقلية ترتبط بأساليب وإستراتيجيات متنوعة وحل المشكلات والقدرة على التعلم. (النجار والطلاع، 2015، ص211).

والطالب الذي يفكر بطريقة ايجابية يستطيع التغلب على الصعاب أو المشكلات التي تقابله، ويأخذها ببساطة مهما كانت آراء الآخرين، أو المؤثرات الخارجية أو الداخلية حتى يصل إلى حل المشكلة. (بدوي،2019).

ويعلمك التفكير الايجابي امتلاك القدرات الخارقة التي تجعلك تسمو فوق المصاعب وقهرها، بالإيمان بالله والثقة بالنفس. (سليمان، 2011، ص 158)

والايجابية هي بداية الطريق للنجاح، فحين يفكر (الطالب) ايجابيا فإنه في الواقع يبرمج عقله ليفكر إيجابيا، والتفكير الايجابي يؤدي إلى الأعمال الايجابية في معظم شؤون الحياة، ويرى الكثير من العلماء أن من صفات الشخصية الايجابية هو تركيزهم على الحل عند مواجهة المشكلات والاستفادة من التحديات والصعوبات. (السلطاني، 2010، ص104).

وإن تميز الطالب بالتفكير الايجابي يصاحبه انخفاض في مستويات القلق والخوف من مواجهة المشكلات الضاغطة. (النجار والطلاع، 2015، ص211).

وهذا ما يحدث لدى المقبلين على الامتحانات الرسمية وأهمها امتحان البكالوريا حيث تظهر زيادة حالات القلق عند كثير من الطلبة بكثرة الشكوى العضوية خاصة الصداع والإحساس بالإنهاك مع صعوبات في التركيز واضطرابات النوم والخوف من الفشل في الامتحان، أو عدم الحصول على معدل مرتفع يسمح لهم بالالتحاق بالتخصص المرغوب فيه، وخاصة إذا عرفنا أن هذا الامتحان يتزامن مع فترة المراهقة عند الطالب وما يصاحبها من تغيرات فيزيولوجية ونفسية، ويعد القلق المتزايد الذي يؤثر سلبا على المهارات الدراسية وعلى الأداء أثناء الامتحانات، وعلى الإدراك والسلوك لدى طلاب البكالوريا، كما يؤدي إلى أداء المتطلبات المعرفية. (عبدوني، صياد، 2013،ص245)

وهنا تبرز أهمية التفكير الايجابي الذي يخرج الطالب المقبل على امتحان البكالوريا من حالة التوتر إلى التفاؤل ليصل به إلى حالة الهدوء والسكينة مع النفس، حيث يساعده على رؤية الأمر (الامتحان) من منظور ايجابي. (سليمان وإسماعيل، 2018،ص35)

ويقبل على الإجابة على الأسئلة بكل أريحية حيث نمط التفكير الايجابي يزيد من التقييم الذاتي ومن فاعلية الفرد نحو ادراك جوانب المشكلة والثقة في حلها. (النجار والطلاع، 2015،ص212)

وفي هذا الصدد أشارت دراسة تيلروفاسو tylru , vasu (1995) إلى تقصي العلاقة بين التفكير الايجابي والتوجه نحو حل المشكلات، وكشفت نتائج الدراسة عن وجود علاقة ارتباطية بين تقدير التلاميذ لذاتهم من خلال تفكيرهم الايجابي والقدرة على التوجه نحو حل المشكلة، كما اتضح أن التفكير الايجابي يرتبط إيجابيا بكل من إدراك السيطرة على الضغوط ومواجهتها واستخدام

المواجهة الفعالة، وإعادة التفسير الايجابي للموقف، وحل المشكلات بنجاح والبحث عن الدعم الاجتماعي، والنظرة الإيجابية للمواقف الضاغطة. (خليل، 2012، ص3).

كما قامت الخولي (2014) بدراسة هدفت إلى إعداد برنامج تدريبي قائم على تحسين التفكير الايجابي والتعرف على أثر هذا البرنامج في مهارات اتخاذ القرار ومستوى الطموح الأكاديمي لدى طالبات الجامعة المتأخرات دراسيا، وأسفرت النتائج على وجود فروق بين المجموعتين التجريبية والضابطة في الأداء البعدي على مقياس مهارات اتخاذ القرار لصالح التجريبية كما أنه يوجد فروق بين متوسطات رتب درجات المجموعة التجريبية والضابطة على مقياس الطموح الأكاديمي لصالح المجموعة التجريبية. (سليمان وإسماعيل، 2018، ص 44).

وفي ضوء الدراسات السابقة المشار إليها نلاحظ عدم وجود دراسة في حدود علمنا ناولت التفكير الايجابي ومهارة حل المشكلات لدى المقبلين على امتحان شهادة البكالوريا ومن هذا المنطلق جاءت تساؤلات الدراسة الحالية كالتالي:

1. هل توجد علاقة ارتباطية ذات دلالة احصائية بين متوسط درجة التفكير الايجابي ومتوسط درجة مهارة حل المشكلات لدى المقبلين لى امتحان شهادة البكالوريا؟

2. هل توجد فروق ذات دلالة احصائية بين متوسط درجات الطلبة النظامين ومتوسط درجات الطلبة الاحرار المقبلين على امتحان شهادة البكالوريا في التفكير الايجابي؟

3. هل توجد فروق ذات دلالة احصائية بين متوسط درجات الطلبة النظاميين ومتوسط درجات الطلبة الأحرار المقبلين على امتحان شهادة البكالوريا في مهارة حل المشكلات؟

4. هل توجد فروق ذات دلالة احصائية بين متوسط درجات الطلبة المعيدين ومتوسط درجات الطلبة غير المعيدين المقبلين على امتحان شهادة البكالوريا في التفكير الايجابي؟

5. هل توجد فروق ذات دلالة احصائية بين متوسط درجات الطلبة المعيدين ومتوسط درجات الطلبة غير المعيدين المقبلين على امتحان شهادة البكالوريا في مهارة حل المشكلات؟

فرضيات الدراسة: والتي تنص على:

- توجد علاقة ارتباطية ذات دلالة احصائية بين متوسط درجة التفكير الايجابي ومتوسط درجة مهارة حل المشكلات لدى المقبلين على امتحان شهادة البكالوريا.
- توجد فروق ذات دلالة احصائية بين متوسط درجات الطلبة النظاميين ومتوسط درجات والطلبة الأحرار المقبلين على امتحان شهادة البكالوريا في التفكير الايجابي.
- توجد فروق ذات دلالة احصائية بين متوسط درجات الطلبة المعيدين ومتوسط درجات الطلبة غير المعيدين المقبلين على امتحان شهادة البكالوريا في التفكير الايجابي.
- توجد فروق ذات دلالة بين متوسط درجات الطلبة النظاميين ومتوسط درجات الطلبة الأحرار المقبلين على امتحان شهادة البكالوريا في مهارة حل المشكلات.
- توجد فروق ذات دلالة احصائية بين متوسط درجات الطلبة المعيدين ومتوسط درجات الطلبة غير المعيدين المقبلين على امتحان شهادة البكالوريا في مهارة حل المشكلات.

أهمية الدراسة: تستمد الدراسة أهميتها في كونها:

- التفكير الإيجابي ومهارة حل المشكلات هي متغيران إيجابيات في علم النفس والتربية والتعليم يجب أن يحظيا بالاهتمام لما لهما من أهمية في تحسين مستوى في أداء الأفراد وزيادة فاعليتهم وشعورهم بالرضا بما يعكس على زيادة الانتاجية.
- يعد التفكير الإيجابي أحد طرق التفكير التي تفتح الآفاق لمستخدميها وتساعد على إيجاد الكثير من الحلول في معالجة الكثير من المشاكل التعليمية.
- كما تكتسب الدراسة الحالية أهميتها كونها تتناول متغيرات نفسية لدى شريحة هامة في المستويات التعليمية، ألا وهي الطلبة المقبلين على امتحان شهادة البكالوريا.
-

أهداف الدراسة: والتي تستهدف إلى ما يلي:

- الكشف عن العلاقة بين التفكير الايجابي ومهارة حل المشكلات لدى المقبلين على امتحان شهادة البكالوريا.
- محاولة معرفة الفروق بين الطلبة النظاميين والأحرار المقبلين على امتحان شهادة البكالوريا في التفكير الايجابي.
-

اولة معرفة الفروق بين الطلبة المعيدين وغير المعيدين المقبلين على امتحان شهادة البكالوريا في التفكير الإيجابي.

- محاولة معرفة الفروق بين الطلبة النظاميين والأحرار المقبلين على امتحان شهادة البكالوريا في مهارة حل المشكلات.
-

اولة معرفة الفروق بين الطلبة النظاميين والأحرار المقبلين على امتحان شهادة البكالوريا في مهارة حل المشكلات.

-

اولة الوقوف على العوامل المؤدية للرسوب في امتحان البكالوريا.

مصطلحات الدراسة:

-

لتفكير الايجابي:

اصطلاحا: تعرفه اماني سعيدة سيد إبراهيم (2005): بأنه قدرة الفرد الإرادية على تقويم أفكاره ومعتقداته، والتحكم فيها، وتوجيهها اتجاه تحقيق ما توقعه من النتائج الناجحة، وتدعيم حل المشكلات.

ومن خلال تكوين أنظمة وأنساق عقلية منظمة ذات طابع تفائلي تسعى إلى الوصول لحل المشكلة، أو أن التفكير الإيجابي يمثل الأنشطة والأساليب التي يستخدمها الفرد لمعالجة المشكلات باستخدام قناعات عقلية بناءة، وباستخدام استراتيجيات القيادة الذاتية للتفكير، ولتدعيم ثقة الفرد في النجاح من خلال تكوين أنظمة وأنساق عقلية منظمة ذات طابعه تفائلي.

(أولاد هدار، 2017، ص 77).

إجرائيا: هو الدرجة التي يحصل عليها الطلبة المقبلين على امتحان شهادة البكالوريا من خلال استنتاجاتهم على مقياس التفكير الايجابي المعد من طرف "نادية سالمة ميلود عبد العزيز" (2016) بأبعاده الفرعية وهي: (الايجابية والتفاؤل، تقبل الذات، السماحة والأريحية، التفتح المعرفي الصحي، الضبط الانفعالي، التقبل الايجابي للاختلاف مع الآخرين).

-

هارة حل المشكلات:

اصطلاحا: يشير إليها أندرسون (1995، anderson) بأنها موقف تفكير وتأمل، يستحضر فيها الفرد خبراته السابقة، ويجري فيها الكثير من العمليات المعرفية والمعالجة المتعمقة للأبنية المعرفية التي تصبح نشطة، وفي حالة تغير مرن إلى أن يصل الفرد إلى الحل الذي يعيده إلى حالة من التوازن.

ويرى أوزبل أن حل المشكلات بحد ذاته عملية تعلم استكشافي في ذي معنى أي أن للمتعلم بحد ذاته دورا ايجابيا في تحقيقها، فهو لا يلتقي الحل من غيره، وإنما يبذل جهدا فكريا لانجازه ثم يقوم بدمجها في بنائه المعرفي. (السليتي ومفضي، 2012، ص13).

إجرائيا: هو النتيجة التي يحصل عليها الطلبة المقبلين على امتحان شهادة البكالوريا وذلك من خلال استجابتهم على مقياس القدرة على حل المشكلات المعد من طرف "حمدي عبد الله عبد العظيم" (2013) بأبعاده الفرعية وهي: (التوجه العام، تعريف المشكلة، توليد البدائل، اتخاذ القرار، التقييم).

2. إجراءات الدراسة الميدانية:

1.2. - **منهج الدراسة:**

اعتمدنا في دراستنا على المنهج الوصفي التحليلي بهدف الوصول إلى تحقيق أهدافه والتحقق من الفرضيات التي تمت صياغتها، لأنه يدرس العلاقة بين التفكير الايجابي ومهارة حل المشكلات، كما يدرس الفروق بين النظاميين والأحرار والفروق بين المعيدين وغير المعيدين للقسم النهائي في كل من متغير التفكير الايجابي ومهارة حل المشكلات.

2.2. - **عينة الدراسة وطريقة اختيارها:**

يتمثل المجتمع الأصلي في الطلبة المقبلين على اجتياز امتحان شهادة البكالوريا من مدينة المدية، واعتمدنا في اختيار العينة على الطريقة القصدية ، وقد تحصلنا على عينة قدرها 92 طالب وطالبة(37 ذكور، 55 إناث) موزعين حسب نوع الدراسة (82 نظاميين، 10 أحرار) وحسب الإعادة في إمتحان شهادة البكالوريا (16 معيدين و 76 غير معيدين) شملت الطلبة المتواجدين في مكتبة بلدية المدية ومكتبة مركز التسلية لمدينة المدية أيضا.

3.2. - **أداوت الدراسة:**

استخدم في الدراسة الحالية الأدوات التالية:

- مقياس التفكير الايجابي:

مستوحى من رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الآداب "لنادية سالم ميلود عبد العزيز" تحت عنوان برنامج إرشادي تكاملي لتنمية استراتيجيات التفكير الايجابي كمدخل لتحسين جودة الحياة لدى مصابي الثورة" (2016).

يتكون المقياس من (64) فقرة موزعة على ستة أبعاد وهي:

1. البعد الأول الايجابية والتفاؤل (15 فقرة).
2. البعد الثاني تقبل الذات (12 فقرة).
3. البعد الثالث السماحة والأريحية (11 فقرة).
4. البعد الرابع التفتح المعرفي الصحي (11 فقرة).
5. البعد الخامس الضبط الانفعالي (10 فقرات).
6. البعد السادس التقبل الايجابي للاختلاف مع الآخرين (10 فقرات).

طريقة تصحيح مقياس التفكير الايجابي، حيث أعطي لكل فقرة وزن مدرج وفق السلم المتدرج الثلاثي، (دائما – أحيانا – نادرا "لا يحدث") الأوزان التالية (3، 2، 1) بالترتيب والدرجة المرتفعة تدل على ارتفاع مستوى التفكير الايجابي بالنسبة للعبارات الموجبة، أما العبارات السالبة فتصحح بطريقة عكسية.

الفقرات الموجبة: 1 -3 -4 -5 -8 -10 -11 -12 -14 -15 -17 -19 -20 -24 -26 -28 -32 -33 -35 -37 -39 -42 -44 -46 -48 -50 -52 -53 -55 -56 -58 -59 -60 -62 -64 -65 -69.

الفقرات السالبة: 2 -6 -7 -9 -13 -16 -18 -21 -22 -23 -25 -27 -29 -30 -31 -34 -36 -38 -40 -41 -43 -45 -47 -49 -51 -54 -57 -61 -63 -66 -67 -68.

- **مقياس القدرة على حل المشكلات:**

المقياس المشار إليه مأخوذ من كتاب موسوعة الاختبارات والمقاييس القسم الأول من تأليف "حمدي عبد الله عبد العظيم" مكتبة أولا الشيخ للتراث "ط1" (2013).

عدد فقرات المقياس (40) فقرة.

- **الاوزان في حالة الفقرات ذات الاتجاه الموجب:**

لا تنطبق أبدا (1) – تنطبق بدرجة بسيطة (2) – تنطبق بدرجة متوسط (3) – تنطبق بدرجة كبيرة (4).

الاوزان في حالة الفقرات ذات الاتجاه السالب:

– لا تنطبق أبدا (4) – تنطبق بدرجة بسيطة (3) – تنطبق بدرجة متوسطة (2) – تنطبق بدرجة كبيرة (1).

الفقرات السالبة على المقياس هي:

(5، 8، 9، 10، 14، 16، 18، 21، 24، 26، 27، 30، 30، 31، 32، 35، 36، 37، 40).

بقية الفقرات هي الفقرات الموجبة على المقياس

تحسب الدرجات الفرعية على المقياس على النحو التالي:

1. **التوجه العام: تقيسه الفقرات:** 1، 6، 11، 16، 21، 26، 31، 36.
2. **تعريف المشكلة: تقيسه الفقرات:** 2، 7، 12، 17، 22، 27، 32، 37.
3. **توليد البدائل: تقيسه الفقرات:** 3، 8، 13، 18، 23، 28، 33، 38.
4. **اتخاذ القرار: تقيسه الفقرات:** 4، 9، 14، 19، 24، 29، 34، 39.
5. **التقييم: تقيسه الفقرات:** 5، 10، 15، 20، 25، 30، 35، 40.

– **تتراوح الدرجة الكلية على المقياس بين** (40 -160).

- تتراوح كل درجة فرعية بين (8 -22).

تفسير العلامات على المقياس كالتالي:

- (40 -80) مؤشر على نقص في مهارة حل المشكلات.
- (80 فما فوق) كفاءة في حل المشكلات.

خصائص السيكومترية لأدوات الدراسة:

الصدق التمييزي أو صدق المقارنة الطرفية لمقياس التفكير الايجابي:

تبين لنا وجود فروق ذات دلالة احصائية عند مستوى (0.01) بين متوسط درجات الطلبة الذين تحصلوا على درجات مرتفعة في مقياس التفكير الايجابي ومتوسط درجات الطلبة الذين تحصلوا على درجات منخفضة في المقياس وذلك لصالح مرتفعي الدرجة على المقياس و ظهر ذلك من خلال متوسط الثلث الاعلى (168.80)، وانحراف معياري صغير (6.71) مقارنة بقيم الانحراف المعياري للطلبة الذين ينتمون إلى فئة الثلث الادنى الذي قدر بـ (8.38) وهذا يعني أن تشتت الدرجات عند طلبة الذين حصلوا على درجات منخفضة في المقياس وابتعادها عن المتوسط كان كبيرا، أما قيمة "ت" المحسوبة فقد كانت دالة عند مستوى (0.01) حيث بلغت (14.27) بدرجة حرية (56)، وعند مستوى دلالة (0.00)، وهو مستوى دلالة أقل من مستوى الدلالة المعنوية (0.05) وعليه فالمقياس يميز بين مرتفعي الدرجات ومنخفضي الدرجات وبذلك نطمئن إلى صدقه.

- ثبات مقياس التفكير الايجابي:

تم التحقق من ثبات مقياس التفكير الايجابي باستخدام الثبات وطريقة التجزئة النصفية (فردي – زوجي) وقد استخرج معامل الثبات بهذه الطريقة باستخدام معادلة "سبيرمان براون"، حيث بلغت قيمة معامل الثبات (0.87) وهو معامل ثبات عال، وبالتالي الارتباط قوي جدا بين الدرجات على الأسئلة الفردية والدرجات على الأسئلة الزوجية.

- الصدق التمييزي لمقياس حل المشكلات:

تبين لنا وجود فروق ذات دلالة احصائية عند مستوى (0.01) بين متوسط درجات الطلبة الذين تحصلوا على درجات مرتفعة في مقياس حل المشكلات ومتوسط درجات الطلبة الذين تحصلوا على درجات منخفضة في المقياس وذلك

لصالح مرتفعي الدرجة على المقياس و ظهر ذلك من خلال متوسط الثلث الاعلى (111.86)، وانحراف معياري صغير (12.02) مقارنة بقيم الانحراف المعياري لطلبة الذين ينتمون إلى فئة الثلث الادنى الذي قدر بـ (10.67) وهذا يعني أن تشتت الدرجات عند طلبة الذين حصلوا على درجات منخفضة في المقياس وابتعادها عن المتوسط كان كبيرا، أما قيمة "ت" المحسوبة فقد كانت دالة عند مستوى (0.01) حيث بلغت (-3.61) بدرجة حرية (56)، وعند مستوى دلالة (0.00)، وهو مستوى دلالة أقل من مستوى الدلالة المعنوية (0.05) وعليه فالمقياس يميز بين مرتفعي الدرجات ومنخفضي الدرجات وبذلك نطمئن إلى صدقه.

- ثبات مقياس مهارة حل المشكلات:

تم استخراج معامل ألفاكرونباخ للمقياس وقد بلغ (0.72) وهو معامل مرتفع يدل على الاتساق الداخلي للفقرات وثباتها.

- المعالجة الاحصائية:

حللت البيانات باستخدام برنامج الحزم الاحصائية للعلوم الاجتماعية "SPSS" ومن خلاله تم استخدام تم استخدام أساليب الاحصاء الوصفي المتوسطات الحسابية، الانحرافات المعيارية، وأساليب الاحصاء الاستدلالي معامل ارتباط بيرسون – اختبارات "t-test".

3. نتائج الدراسة ومناقشتها:

- نتائج الفرضية الأولى: والتي تنص على أنه:

"توجد علاقة ذات دلالة احصائية بين متوسط درجة التفكير الايجابي ومتوسط درجة مهارة حل المشكلات لدى المقبلين على امتحان شهادة البكالوريا".

جدول 1. بين العلاقة الارتباطية بين متغير التفكير الايجابي ومتغير مهارة حل المشكلات لدى المقبلين على امتحان شهادة البكالوريا.

اسم المتغير	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة الارتباط	مستوى الدلالة
التفكير الايجابي	92	150.17	12.991	0.50	0.00
مهارة حل المشكلات		105.38	11.662		

يبين الجدول رقم (03) درجات المتوسط الحسابي للتفكير الايجابي الذي يبلغ (150.17) بانحراف معياري (12.991) اما فيما يخص مهارة حل المشكلات فإن المتوسط الحسابي قدر بـ (105.38) بانحراف مكعياري يساوي (11.662) ومنه بلغت قيمة الارتباط بين المتغيرين (0.50) ومنه قبول الفرضية البديلة التي مقادها وجود علاقة ارتباطية دالة احصائيا بين متغير التفكير الايجابي ومتغير مهارة حل المشكلات حيث أن المتغيران يؤثران في بعضهما البعض.

وقد يعتبر متغير التفكير الايجابي بأبعاده ومتغير مهارة حل المشكلات بأبعاده أحد العوامل النفسية المؤدية إلى النجاح.

وقد يعزى هذه النتيجة إلى أن تفكير الطالب المقبل على امتحان شهادة البكالوريا ايجابيا يجعله أكثر إيمانا بالله سبحانه وتعالى والاستعانة به والتوكل عليه، ويجعله أكثر تركيز وانتباه إلى جوانب القوة لديه كالقدرات النفسية مثل الاعتماد على نفسه والثقة بإمكانياته، والقدرة على تحمل اعباء الدروس المكثفة، كما ان النظرة الايجابية والمتفائلة نحو هذا الامتحان تزيد من القدرات العقلية التي ترتبط بأساليب واستراتيجيات متنوعة لحل المسائل والاشكاليات التربوية، إضافة إلى هذا فإن الطالب صاحب التفكير الايجابي لغته ومفرداته تتمتع بالمرونة قادر على الحوار والمناقشة العلمية ولديه حوارات مثيرة ومفيدة له وللآخرين.

- نتائج الفرضية الثانية: والتي تنص على أنه:

"توجد فروق ذات دلالة احصائية بين متوسط درجات الطلبة النظاميين ومتوسط درجات الطلبة الأحرار المقبلين على امتحان شهادة البكالوريا في التفكير الايجابي".

جدول رقم 2. يبين الفروق والدلالة الاحصائية بين الطلبة النظاميين والأحرار في التفكير الايجابي.

العينة	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	مستوى الدلالة	درجة الحرية	قيمة T
فئة النظاميين	82	150.93	12.966	0.112	90	1.606
فئة الأحرار	10	144	13.492			

يبين الجدول رقم (04) درجات المتوسط الحسابي الذي قدر بـ (150.93) بانحراف معياري قدره (12.966) لفئة النظاميين من طلبة البكالوريا، كما يظهر المتوسط الحسابي الذي قدر بـ 144) بانحراف معياري قدره (13.492) لفئة الأحرار حيث بلغت قيمة "T" (1.606) وهي قيمة غير دالة إحصائيا وبالتالي لا توجد فروق بين النظاميين والأحرار المقبلين على امتحان شهادة البكالوريا في التفكير الايجابي.

وقد تعزى هذه النتيجة إلى أنه يمكن أن يكون الطلاب الأحرار ممن درسوا 5سنوات في الجامعة وأرادوا إعادة البكالوريا للالتحاق بتخصص آخر من غير الذي درسوه من قبل، أو قد يكونوا قد لم يوفقوا في شهادة البكالوريا لسنوات وقد يكون هذا الاخفاق راجع لظروف صحية أو اقتصادية او اجتماعية، ولولا أن الطلبة الأحرار لا يملكون تفكيرا ايجابيا لما أقبلوا على إعادة أو القبول على امتحان شهادة البكالوريا.

- نتائج الفرضية الثالثة: والتي تنص على أنه:

توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات الطلبة النظاميين ومتوسط درجات الطلبة الأحرار المقبلين على امتحان شهادة البكالوريا في مهارة حل المشكلات.

جدول 3. يبين الفروق والدلالة الاحصائية بين الطلبة النظاميين والأحرار في مهارة حل المشكلات

العينة	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	كمستوى الدلالة	درجة الحرية	قيمة T
النظاميين	82	106.23	11.398	0.11	90	2.039
الأحرار	10	98.40	13.299	0.01		

يبين الجدول رقم (05) درجات المتوسط الحسابي لمهارة حل المشكلات لفئة النظاميين الذي يقدر بـ: (106.23) بانحراف معياري قدره (11.398) أما فيما يخص المتوسط الحسابي لمهارة حل المشكلات لفئة الاحرار يساوي (98.40) بانحراف معياري يساوي (13.269)، بينما بلغت قيمة t (2.039) وهي دالة عند مستوى الدلالة (0.01) وبالتالي وجود فروق دالة احصائيا بين الطلبة النظاميين والطلبة الاحرار في مهارة حل المشكلات.

وتعزى هذه النتيجة إلى أن الطلبة النظاميين يزاولون دراستهم بشكل يومي في إطار منظم وفق إشراف أساتذة أكفاء أي مخيرين لتدريس القسم النهائي ولديهم خبرة مع تلك الأقسام، حيث يقدمون هؤلاء الأساتذة الدروس بحرصهم على الفهم، كما يقدمون التمارين ونماذج لبكالوريا لأعوام سابقة وهذا ما يكسب الطلبة مهارة في حل المشكلات بغض النظر عن التوجيهات والارشادات المقدمة من طرف المرشد التربوي وحتى الطاقم الإداري وهذا ما يفتقدونه الطلبة الأحرار.

- نتائج الفرضية الرابعة: والتي تنص على أنه:

توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات الطلبة المعيدين ومتوسط درجات الطلبة غير المعيدين المقبلين على امتحان شهادة البكالوريا في التفكير الايجابي.

جدول 4 . يبين الفروق والدلالة الاحصائية بين الطلبة المعيدين وغير المعيدين في التفكير الايجابي

العينة	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	كمستوى الدلالة	درجة الحرية	قيمة T
فئة المعيدين	16	149.19	8.615	0.50	90	0.333
فئة غير المعيدين	76	150.38	13.269	0.05		

يبين الجدول رقم (06) درجات المتوسط الحسابي للتفكير الايجابي لفئة المعيدين يقدر بـ: (149.19) بانحراف معياري قدره (8.615) أما فيما يخص المتوسط الحسابي للتفكير الايجابي لفئة غير المعيدين يقدر بـ (150.38) بانحراف معياري قدره (13.269)، بينما بلغت قيمة t (0.333) وهي نتيجة غير دالة احصائيا وبالتالي عدم وجود فروق دالة احصائيا بين الطلبة المعيدين والطلبة غير المعيدين في التفكير الايجابي.

تعزى هذه النتيجة إلى ان الطالب المعيد أو الراسب في امتحان شهادة البكالوريا لديه تفكير ايجابي وهذا عند اتخاذه القرار لإعادة السنة وعدم تخليه عن الدراسة ومزاولته لها رغم الفشل والإحباط الذي أحاط به عند الرسوب.

- نتائج الفرضية الخامسة: والتي تنص على أنه:

توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات الطلبة المعيدين ومتوسط درجات الطلبة غير المعيدين المقبلين على امتحان شهادة البكالوريا في مهارة حل المشكلات.

جدول 5 . يبين الفروق والدلالة الاحصائية بين الطلبة المعيدين وغير المعيدين في مهارة حل المشكلات.

العينة	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	كمستوى الدلالة	درجة الحرية	قيمة T
فئة المعيدين	16	106.94	7.121	0.05	90	-0.558
فئة غير المعيدين	76	105.05	11.849			

يبين الجدول رقم (07) درجات المتوسط الحسابي لمهارة حل المشكلات لفئة المعيدين يقدر بـ: (106.94) بانحراف معياري يساوي (7.121) أما فيما يخص فئة غير المعيدين فإن المتوسط الحسابي قدر بـ (105.05) بانحراف معياري قدره (11.849)، بينما بلغت قيمة t (0.585-) وهي نتيجة غير دالة احصائيا وبالتالي عدم وجود فروق دالة احصائيا بين الطلبة المعيدين والطلبة غير المعيدين في مهارة حل المشكلات.

وتعزى هذه النتيجة إلى أن الطالب المعيد أو الراسب في امتحان شهادة البكالوريا قد لا يمثل له الرسوب في هذا الامتحان إعاقة عن الاستمرار في الدراسة والنجاح فيها فهو قد يتعلم من فشله ويثابر في العام الذي أعاده وخبرته في هذا الامتحان ومعرفته للدروس المقدمة في القسم النهائي هذا قد يولد لديه مهارة في حل المشكلات.

- **التوصيات:**

- التدريب على استخدام استراتيجيات التفكير الايجابي ومهارة حل المشكلات لدى المقبلين على امتحان شهادة البكالوريا.
- ضرورة الاهتمام بالطلبة الأحرار من خلال توفير مراكز خاصة مع إحضار أساتذة متطوعين لتنمية مهارة حل المشكلات.
- توسيع الدراسات إلى شرائح أخرى خصوصا الذين يتعرضون لضغوطات اجتماعية ونفسية مع القيام ببرامج قائمة على التفكير الايجابي ومهارة حل المشكلات لمساعدتهم على تخطي المشكلات النفسية والمعرفية.

4. الخاتمة:

إن مهارة حل المشكلات من مهارات الحياة. و من بين أساليب التوافق النفسي الإجتماعي بصفة عامة و التميز بالتفكير الإيجابي أيضا من متطلبات النجاح خاصة في المجال الدراسي. حيث يوظف التلميذ كل قدراته بسلاسة و بمتعة سهلة دون ضغوطات. و من خلال هذه الدراسة تم الكشف عن العلاقة بين التفكير الايجابي و مهارة حل المشكلات لدى عينة البحث من المقبلين على شهادة البكالوريا و كانت العلاقة دالة احصائيا بين المتغيرين. كما أشارت الدراسة أن إلى عدم وجود فروق بين الطلبة النظاميين و الطلبة الأحرار على مقياس التفكير الإيجابي حيث نظام التدريس لا يؤثر في هذا المتغير. و منه قد يعود إلى

بناء شخصية التلميذ. و أشارت كذلك إلى وجود فروق بين الطلبة النظاميين و الطلبة الأحرار على مقياس مهارة حل المشكلات حيث الطلبة الأحرار ملزمون بتنظيم أوقاتهم أكثر. كما توصلت الدراسة إلى عدم وجود فروق بين الطلبة المعيدين و الطلبة غير المعيدين. على مقياس التفكير الإيجابي و على مقياس مهارة حل المشكلات. حيث أن الرسوب لا يؤثر على تفكيره و حل مشكلاته.

المراجع:

- السلطاني، عظيمة عباس (2010). تأثير منهج ارشادي لتنمية التفكير الايجابي على التصور الذهني للاعبين الشباب بكرة السلة، مجلة علوم التربية الرياضية، العدد الثالث، المجلد الثالث ص45، 93 -147.
- السليتي، فراس. مفضي خال. (2012). أثر استراتيجيات الذكاءات المتعددة وحل المشكلات والقبعات الست في تنمية مهارات التفكير العلمي لدى طلبة الصف الثامن الأساسي في الأردن، مجلة الدراسات الثانوية والنفسية، جامعة السلطان قابوس الأردن. العدد 6. ص 19، 80 -98.
- السيد، شيماء محمد كمال محمد بدر. (2016). التفكير الايجابي وعلاقته بدافعيته الانجاز لدى طلاب المرحلة الثانوية الفنية التجارية. دراسة ارتباطية تنبؤية، مجلة كلية التربية جامعة بورسعيد. العدد العشرون. ص 774 -799.
- النجار، يحي. الطلاع، عبد الرؤوف. (2015). التفكير الايجابي وعلاقته بجودة الحياة لدى العاملين بالمؤسسات الأهلية بمحافظات غزة. مجلة جامعة النجاح للأبحاث (علوم إنسانية). المجلد 29 (2) جامعة الأقصى فلسطين. ص 210 -246.
- أولاد هدار، زينب. (2017). سمات الشخصية لدى طلبة الجامعة وفق قائمة العوامل الخمسة الكبرى للشخصية لكوستا وماكري، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة غرداية. الجزائر. العدد 30 . ص 73 -88.
- بدوي، زينب عبد الحليم. (2019). التفكير الايجابي. ط1. القاهرة. دار الكتاب الحديث.
- الزغلول، رافع النصير. الزغلول، عماد عبد الرحيم. (2012). علم النفس المعرفي. ط1. دار الشروق. الأردن.
- جابر، علي صكر. (2008). محددات أداء مهام حل المشكلات لدى طلبة الجامعة من ذوي الانغلاق المعرفي (الدوجماتية). مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية. المجلد (7). جامعة القادسية. العددان (1 -2). ص 227 -256.

- خليل، ولاء. حسن حسن. (2012). الخصائص النفسية والمعرفية الفارقة للطلاب المراهقين ذوي التفكير الايجابي والتفكير السلبي. رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير. جامعة القاهرة.

- سليمان، سناء محمد. إسماعيل، منال محمد. (2018). فعالية برنامج لتنمية بعض مهارات التفكير الايجابي لدى طلبة الجامعة.

- محمد، صفاء أحمد محمد (2009). فاعلية حقيبة تعليمية في تنمية مهارات حل المشكلات لدى أطفال الروضة، دراسات عربية في التربية وعلم النفس (ASEP)، المجلد الثالث، العدد الرابع. ص 109 -150.

- نشواتي، عبد المجيد(1982).علم النفس التربوي، دار الفرقان،الأردن.

- عبدوني، عبد المجيد.صياد ،نعيمة(2013). برنامج إرشادي لتعديل خصائص نمط سلوك (أ) في خفض قلق الإمتحان لدى عينة من طلاب البكالوريا، مجلة العلوم الإنسانية والإجتماعية، العدد العاشر، ص245 -259، جامعة باتنة، الجزائر.

مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ر ت م د: 7163 -1112 ر ت م د إ :1892-2588
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2

تحليل مستوى الانغماس الوظيفي لدى أساتذة التعليم الثانوي – دراسة ميدانية ببلدية الرويسات بولاية ورقلة –

Analyse du niveau d'immersion professionnelle des professeurs de l'enseignement secondaire - une étude de terrain dans la commune de Ruwaisat dans l'état de Ouargla

بالفار علي[1]، بقادير عبد الرحمان[2]

1 -جامعة غرداية belfar.ali@univ-ghardaia.dz

bakadir.abderrahman@univ-ghardaia.dz

تاريخ الاستلام: 2021/03/14 تاريخ القبول: 2021/06/29

ملخص –

سعت الدراسة الى التعرف على مستوى الانغماس الوظيفي لدى أساتذة التعليم الثانوي ببلدية الرويسات بورقلة ،و معرفة ما إذا كانت هناك فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الانغماس الوظيفي وفقا للمتغيرات الشخصية (الجنس، السن ، سنوات الخدمة) ، و تكونت العينة من (100) أستاذ و أستاذة تعليم ثانوي ، كما تم انجاز هذه الدراسة في مدة ثلاثة أشهر، واستخدم الباحث المنهج الوصفي.

كما تم تبني مقياس الانغماس الوظيفي الذي اعتمده الباحث خالد عوض عبدالله مؤنس في دراسته (2018) و الذي يحتوي على (15) بندا ، و توصلت الدراسة الى ان مستوى الانغماس الوظيفي لدى افراد العينة جاء بدرجة منخفضة ، كما أظهرت النتائج وجود فروق ذات دلالة إحصائية لدى افراد بين متوسطات استجابات افراد العينة تعزى لمتغير الجنس لصالح الاناث وتعزى لمتغير السن، كما أظهرت كذلك عدم و وجود فروق ذات دلالة إحصائية لدى افراد أفراد العينة وفقا لمتغير سنوات الخدمة .

كلمات دالة : الانغماس الوظيفي .

المؤلف المرسل: بالفار علي: belfar.ali@univ-ghardaia.dz

Abstract -

The study sought to identify the level of job immersion among the teachers of secondary education in the municipality of Rouissat in Ouargla, and to find out whether there are statistically significant differences in the level of job immersion according to personal variables (gender, age, years of service), and the sample consisted of (100) teachers. and this study was completed in a period of three months .

and the researcher used the descriptive curriculum, and the job immersion scale adopted by the researcher Khaled Awad Abdullah Mu'nis in his study (2018), which contains (15) items, and the study concluded Indicating that the level of job immersion among the sample members was low, and the results also showed that there are statistically significant differences between the averages of the responses of the sample members due to the gender variable in favor of the females and attributed to the age variable, as well as the absence of statistically significant differences among the members of the sample. According to the variable years of service.

Key words -
job immersion

1. - مقدمة :

تواجه العديد من المنظمات في السنوات الأخيرة صعوبات جمة ، نتيجة للتطورات المتسارعة في مختلف المجالات ، الإدارية ، الاقتصادية ، الاجتماعية و السياسية و غيرها ، مما أدى الى اشتداد المنافسة بين المنظمات من اجل تحقيق الكفاءة و الفاعلية و القدرة على المنافسة و الاستمرارية . و لتحقق المنظمة ما ذكر أنفا، أضحت الكثير من المنظمات تولي اهتماما بليغا بالمورد البشري الذي يعتبر القلب النابض في المنظمة ، ويكون هذا الاهتمام بجميع الجوانب المادية، الاجتماعية ، النفسية و المعنوية بغية تحقيق الجودة في العمل و زيادة الإنتاج و شعور الفرد المنتمي لهذه المنظمة بالرضاء و الولاء و الانتماء للمنظمة . فمن خلال هذا الاهتمام يمكن للفرد من اشباع حاجاته الفردية في العمل ، و بالتالي يتحقق ما يسمى حديثا بمفهوم الانغماس الوظيفي .

و يعتبر مفهوم الانغماس الوظيفي من المفاهيم الأساسية في منظومة السلوك التنظيمي ، حيث تتداخل مؤشراته مع مفاهيم أخرى مثل : الاستغراق الوظيفي، الانتماء المهني ، الولاء الوظيفي .

و" برز هذا المفهوم حديثا في التسعينات من قبل عالم النفس " kan" عام 1990، عندما لاحظ ظاهرة الانغماس الوظيفي تقوم على أساس نظرية المكافآت و الحوافز من خلال اشباع الحاجات الفردية للموظف " . (عامر علي الحسن ، ص 117) .

"فالانغماس الوظيفي هو شعور العامل بمدى حصول التوأمة النفسية مع العمل طالما يكون للعمل القدرة على اشباع الحاجات البارزة و المتوقعة للعامل. ".(عامر علي ،ص 117).

لذا يعد الانغماس الوظيفي عامل من اكثر العوامل تأثيرا في حياة الافراد في عالمنا المعاصر ، خاصة و ان أنشطة العمل المتنوعة في مختلف المنظمات تستهلك نسبة كبيرة من ساعات عمر الانسان ، هذا بالإضافة الى شتى الانعكاسات الحيوية و المتنوعة التي تتركها الأنشطة التنظيمية على مختلف ابعاد حياة الفرد المهنية و الخاصة .(Steven, Brown. 1996.p .235)

و يعود سبب الاهتمام المتزايد بموضوع الانغماس الوظيفي الى أهمية ذلك المتغير لفهم السلوك التنظيمي للأفراد داخل بيئة العمل . (الفضلي،2001،ص100). فمن هنا جاءت دراستنا الميدانية هذه لتسلط الضوء على هذا المفهوم و مدى أهميته بالنسبة للفرد في بيئة العمل و المنظمة بصفة عامة ، و هذا نظرا لاعتبار ان الفرد يمثل نقطة القوة في جميع المنظمات .

2. - مشكلة البحث :

إن نجاح أي منظمة عامة او خاصة كانت يعتمد في الأساس على فاعلية العنصر البشري و مستوى أدائه للعمل المنوط به و تتوقف هذه الفعالية على مهارة العاملين و رضاهم عن العمل و ذلك من خلال توفير بيئة عمل مشجعة و محفزة و خالية من التوتر و القلق و التهديد و الصراعات الداخلية بين العامل و زملائه و مرؤوسيه ، وغيرها من المظاهر التي يكون لها في

مجملها انعكاسات في انخفاض مستوى انغماس العامل في وظيفته ، و ارتباطه بمنظمته و نفوره منها.

و من الملاحظ أن اهتمام بإنغماس الأفراد داخل المنظمة و في بيئة العمل ، اصبح موضع عناية من قبل الباحثين بصفة عامة و المنظمات بصفة خاصة .

"والانغماس الوظيفي هو خلق بيئة عمل تمكن الموظفين من أن يكون لهم تأثير على القرارات والإجراءات التي تؤثر على وظائفهم. وانغماس او مشاركة الموظفين هو إدارة وفلسفة القيادة حول كيفية تمكين العاملين من المساهمة في التحسين المستمر والنجاح المستمر للمنظمة التي يعملون فيها."(محمد شفيق ، 2015، ص10).

"ويظهر الانغماس الوظيفي أهمية الوظيفة في حياة الفرد، فالفرد المنغمس بدرجة عالية يعطي اهتماما عظيماً لمهماته الوظيفية في المنظمة، ويرى نجاحه في العمل كمؤشر من تقدير الذات، والنجاح في الحياة ككل، وفي المقابل، الموظف المنغمس بدرجة اقل يشعر بان هناك أشياء أخرى في الحياة اهم من الوظيفة." (أسيل صبار، 2016، ص 122).

لذا نحاول في دراستنا الحالية أن نسلط الضوء على مستوى الانغماس الوظيفي لدى أساتذة التعليم الثانوي ببلدية الرويسات بورقلة ، و من ثم الإجابة على التساؤلات التالية :

- ما مستوى الانغماس الوظيفي لدى أساتذة التعليم الثانوي ببلدية الرويسات بورقلة ؟

- هل توجد فروق ذات دلالة احصائية في مستوى الانغماس الوظيفي باختلاف مدة العمل لدى أساتذة التعليم الثانوي ببلدية الرويسات بورقلة.

- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الانغماس الوظيفي باختلاف الجنس لدى أساتذة التعليم الثانوي ببلدية الرويسات بورقلة.

- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين العمال في مستوى الانغماس الوظيفي باختلاف السن لدى أساتذة التعليم الثانوي ببلدية الرويسات بورقلة.

2._فرضيات الدراسة :

– مستوى الانغماس الوظيفي لدى أساتذة التعليم الثانوي ببلدية الرويسات بورقلة مرتفع .

– توجد فروق ذات دلالة احصائية في مستوى الانغماس الوظيفي باختلاف مدة العمل لدى أساتذة التعليم الثانوي ببلدية الرويسات بورقلة.

– توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الانغماس الوظيفي باختلاف الجنس لدى أساتذة التعليم الثانوي ببلدية الرويسات بورقلة.

– توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين العمال في مستوى الانغماس الوظيفي باختلاف السن لدى أساتذة التعليم الثانوي ببلدية الرويسات بورقلة.

4._اهداف الدراسة:

يمكن تلخيص اهداف الدراسة في النقاط التالية: تحديد مستوى الانغماس الوظيفي لدى أساتذة التعليم الثانوي ببلدية الرويسات بورقلة.

– تحديد مستوى الانغماس الوظيفي تبعا لعامل الجنس و السن و مدة الخدمة لدى أساتذة التعليم الثانوي ببلدية الرويسات بورقلة .

– التعرف على الفروق بين إجابات المبحوثين فيما يتعلق بمستوى الانغماس الوظيفي لدى أساتذة التعليم الثانوي ببلدية الرويسات بورقلة تعزى الى للمتغيرات الديموغرافية (الجنس ، السن ، مدة الخدمة).

أهمية الدراسة :

– تكمن أهمية الدراسة من الناحية النظرية والتطبيقية على النحو التالي:

- تضيف هذه الدراسة علما جديداً لعالم المعرفة في بعد الانغماس الوظيفي والاهتمام والرقي بالمورد البشري و كفاءته . من خلال تطوير مستوى الانغماس الوظيفي لدى أساتذة التعليم ببلدية الرويسات بورقلة.

- لظاهرة الانغماس الوظيفي تأثيراتها المتعددة على المنظمة بصفة عامة وعلى الأساتذة بصفة خاصة ، بالتالي فإن دراسة هذه الظاهرة قد يسهم في

تحسين الأوضاع النفسية للأساتذة ، وزيادة توافقهم مع المحيطين بهم، و تحسين مستوى الانغماس الوظيفي الأستاذ في المنظمة .

- تسهم في زيادة الوعي لدى إدارة المؤسسة بأهمية مستوى الانغماس الوظيفي لدى الأستاذ .

- تضيف هذه الدراسة الى رصيد المكتبة دراسة تطبيقية متخصصة في بعد مستوى الانغماس الوظيفي لدى أساتذة التعليم الثانوي ببلدية الرويسات بورقلة

تفيد هذه الدراسة في توجيه انظار أصحاب القرار و المشرفين في هذه المؤسسة الى ظاهرة الانغماس الوظيفي ليساهموا في تحسين ظروف العمل للأستاذ .

الحدود الزمانية والمكانية للدراسة : تتحدد الدراسة الحالية بالمميزات الآتية: اقتصرت الدراسة على أساتذة التعليم الثانوي ، نظرا لأهمية ومكانة الأستاذ في المجتمع و ما يقدمه من خدمة لقطاع التربية بصفة مباشرة. و قد أجريت الدراسة على مستوى بلدية الرويسات بمدينة ورقلة لسهولة التواصل بأفراد العينة و نظرا لإقامة الباحث في هذه المدينة .كما تتحدد الدراسة زمنيا بالموسم الدراسي 2021 -2020 .

و تتحدد نتائج هذه الدراسة بحسب بطبيعة الأداة المعتمدة في قياس الانغماس الوظيفي لدى أساتذة التعليم الثانوي ببلدية الرويسات بورقلة، وبمدى وعي أفراد العينة لما هو مطلوب منهم وجديتهم في الإجابة عن بنود المقياس .

5._المفهوم الاجرائي :

الانغماس الوظيفي : هو اندماج الموظف في بيئة العمل بدرجة عالية بحيث يكون الموظف مندمج و منغمس بكل جوارحه بصفة عامة و عمله بصفة خاصة .

مفهوم الانغماس : رغم محاولة بعض الكتاب تسليط الضوء على مصطلح الانغماس الوظيفي إلا أنهم لم يقدموا منظورا او مفهوما ذا معنى لهذا المصطلح، بحيث يمكن تعميمه عبر الثقافات المختلفة ، و هذا ما جعل بعض الباحثين إلى وصف مفهوم الانغماس الوظيفي بأنه مفهوم يتسم بعدم الوضوح والغموض ، فيرى صباح الفضلي " أن نزوع الفرد للالتصاق بالعمل والمنظمة قد يكون جزءاً من عملية انتماء اجتماعي أكبر تكمن جذورها في محاولة الفرد غرس قيم واتجاهات الآخرين في ذاته " (الفضل ،2001، ص100).

في حين يرى (Chughtai 2008) أن الانغماس الوظيفي يمثل الدرجة التي يندمج فيها الفرد مع الوظيفة التي يمارسها ويستشعر أهميتها , ولهذا فالأمر هنا مرتبط بالنواحي العقلية والعاطفية معا, إذ يتأثر الانغماس بالعديد من المؤثرات منها المستوى العاطفي ويتضح ذلك من آثاره الإيجابية على الفرد مثال ذلك مشاعر السعادة والرضا والتقدير العالي للذات , وعكس ذلك صحيح عندما ينخفض مستوى الاستغراق , فيتضح التأثير السلبي على مشاعر الفرد مثال ذلك القلق والضيق والكآبة والإحساس باليأس. فكثير من الباحثين يتفقون مع هذه الرؤية للانغماس " فهم فهم يرون أن أحد العوامل الرئيسة التي تحدد الانغماس الوظيفي هي التوجهات القيمة للفرد تجاه العمل, والتي تكتسب في مرحلة مبكرة من مراحل عملية التطبيع الاجتماعية له" (قاسم,2012،ص 32) ويعبر يوسف عن هذا التوجه حين يشير إلى أن العلاقات الاجتماعية السليمة والودية تشكل شرطاً لا غنى عنه للانغماس الوظيفي لأنها تساعد على تشكيل اتجاه الفرد تجاه العمل.(محمد شفيق، 2015ص10). وقد نحى المغربي المنحى ذاته حين " ذكر أن درجة التباين في مستوى الانغماس الوظيفي يمكن أن ترجع إلى اختلاف توجهات القيم نحو العمل , والتي تم تعلمها منذ الصغر كما وصفه كتاب آخرون بأنه يفتقر إلى إطار فكري دقيق "(محمد شفيق، 201ص10).

6._ أبعاد الانغماس الوظيفي

أشارت نتائج البحوث السابقة أن هناك ثلاثة إبعاد أساسية للانغماس الوظيفي:.

" البعد الأول : النشاط ويقصد به بأنه مزيج من المشاعر الإيجابية والتي تحد ضمن سياق الوظيفة والتي تتألف من(المشاعر أو المزاج) وتتمثل بأعلى مستويات الطاقة عند أداء الوظيفة والحيوية الإدراكية وهي الشعور بالنشاط العقلي .كما يعرف بأنة المستويات العالية من الطاقة لد العامل والتي تسبب الرغبة في أداء المهام حتى وان كانت هنا صعوبات فيها ,البعد الثاني : التفاني ويقصد به الالتزام القوي من قبل العاملين على أداء المهام في الوقت المحدد مع استثمار الوقت الإضافي وأساليب المبادرة حتى مع الصعوبات الموجودة .إي المشاركة بقوة في العمل والشعور بالحماس والإلهام والفخر. البعد الثالث :الحماس هو القوة

الدافعة التي تساعد على تحقيق أهداف ألمنظمة كما هو الطريق المؤدي إلى القوة المشتعلة التي تفجر القدرات اللامحدودة ".(عامر ،زينة،2018،ص117).

كما اشارت كذلك دراسة رند خالد عبدالله الشبل أنه يمكن تصنيف ابعاد الانغماس الوظيفي الى :

-الانغماس العاطفي : و هو مدى قوة استمتاع الفرد بوظيفته أو مدى حبه لها .

-الانغماس المعرفي : هو مدى قوة مشاركة الفرد في اتخاذ القرارات المتعلقة بوظيفته، أو مدى أهمية الوظيفة في حياته

-الانغماس السلوكي : هو مدى اتخاذ الموظف لأدوار اضافية كأن يستثمر الفترة المسائية في تنمية مهاراته المتعلقة بوظيفته, أو التفكير في عمله بعد مغادرته منه.(رند ،2019،ص 75)

7._الدراسات السابقة :

تناولت الدراسات السابقة موضوع الانغماس الوظيفي و علاقته ببعض المتغيرات الأخرى و لم يكن تناولها لهذا المصطلح منفردا سواء كانت دراسات عربية او اجنبية ، و نتناول منها ما يلي :

دراسة Dehal & Kumar 2017 :

بعنوان : مستوى الانغماس الوظيفي لدى هيئة التدريس في كليات هيماشال براديش في الهند . هدفت هذه الدراسة للكشف عن مستوى الانغماس الوظيفي لدى هيئة التدريس بكليات هيماشال براديش ، و كانت عينة الدراسة مكونة من (564) عضو من أعضاء هيئة التدريس ،و اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي مع استخدام مقياس (Dhar & Srivastava) لجمع البيانات و كانت أهم النتائج المتوصل اليها ان مستوى الانغماس الوظيفي لدى أعضاء الهيئة التدريسية بالنسبة للذكور اعلى من الاناث ،الانغماس الوظيفي لدى أعضاء الهيئة التدريسية في الكليات العامة في المناطق الريفية اعلى من مستوى الانغماس الوظيفي لدى أعضاء الهيئة التدريسية في الكليات الخاصة في المدن . و الملاحظ من هذه الدراسة انها تطرقت الى مستوى الانغماس الوظيفي لدى

أعضاء هيئة التدريس في الكليات في المناطق الريفية و المناطق الحضرية في المدن و التطرق الى الفروق بين الجنسين .

دراسة خالد عوض عبدالله مؤنس2018 :

بعنوان: الانغماس النفسي و علاقته بالاحتراق النفسي لدى معلمي المرحلة الأساسية الأولى في محافظة الوسطى – غزة –

هدفت هذه الدراسة الى التعرف على مستوى الانغماس و مستوى الاحتراق النفسي و العلاقة بينهما لدى معلمي المرحلة الأساسية الأولى ، حيث تكونت عينة الدراسة من (256) معلم و معلمة ، و تم اعتماد المنهج الوصفي المسحي ، و استخدم الباحث اداتي جمع البيانات مقياسي الانغماس الوظيفي و الاحتراق النفسي و أظهرت الدراسة النتائج التالية : أن مستوى الانغماس الوظيفي لأفراد العينة كان بدرجة متوسطة، كما بينت الدراسة وجود علاقة بين الانغماس الوظيفي و الاحتراق النفسي مع عدم وجود فروق في مستوى الانغماس الوظيفي و الاحتراق النفسي تعزى للمتغيرات الشخصية (الجنس ، الخبرة) . بخلاف الدراسة السابقة تطرقت هذه الدراسة الى مستوى الانغماس الوظيفي و علاقته بمستوى الاحتراق النفسي لدى معلمي المرحلة الأساسية الأولى ، و التعرف هل هناك فروق في مستوى الانغماس الوظيفي تعزى للمتغيرات الشخصية (الخبرة ، الجنس).

دراسة رند خالد عبدالله الشبل 2019 :

بعنوان: مستوى الانغماس الوظيفي لدى معلمات المدارس الثانوية في محافظة عنيزة .

هدفت هذه الدراسة الى التعرف على مستوى الانغماس الوظيفي لدى معلمات المدارس الثانوية و ما اذا كانت توجد فروق ذات دلالة إحصائية وفقت للمتغيرات الشخصية (التخصص – سنوات العمل – الحالة الاجتماعية) ، و طبقت هذه الدراسة على عينة مكونة من (207) معلم و معلمة ، و اعتمد الباحث على المنهج الوصفي المسحي في دراسته مع استخدام أداة الاستبانة ، وكانت نتائج الدراسة تتمثل في وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الانغماس الوظيفي بين افراد العينة تعزى لسنوات العمل ، ولا توجد فروق ات

دلالة إحصائية تعزى للتخصص و الحالة الاجتماعية ، كما أن مستوى الانغماس الوظيفي لدى المعلمات كان بدرجة متوسطة .

هذه الدراسة اختلفت على ما سبق بإضافة متغيرات شخصية أخرى و هي (التخصص و الحالة الاجتماعية) و التعرف ان كانت هناك فروق في مستوى الانغماس الوظيفي تعزى لهذين المتغيرين إضافة الى متغير الجنس و سنوات العمل .

دراسة عامر علي حسين، زينة فالح حميد 2019 :

بعنوان : دور الانغماس الوظيفي في تفسير العلاقة بين موارد الوظيفة و جودة الحدمة المصرفية.

سعت هذه الدراسة الى التعرف على تأثير موارد الوظيفة في جودة الخدمة المصرفية و الانغماس الوظيفي لدى عينة من عمال مصارف محافظة المثنى بلغ عددها (133) عاملا مع اختلاف مستواهم العلمي و مناصبهم الإدارية، و قد اعتمد الباحثان على المنهج الوصفي التحليلي ، كما استخدما عدة أدوات تمتاز بالمصداقية و الثبات ، و أظهرت نتائج الدراسة صحة اغلب فرضيات الدراسة و التي تنص على ان موارد الوظيفة تؤثر في جودة الخدمة المصرفية من خلال الدور الوسيط للانغماس الوظيفي .

هذه الدراسة اختلفت عن سابقاتها من الدراسات بالتطرق الى دور الانغماس الوظيفي في تفسير العلاقة بين موارد الوظيفة في جودة الخدمة المصرفية و عدم التطرق الى المتغيرات الشخصية .

8._الإجراءات المنهجية للدراسة:

تناول هذا الجانب منهج الدراسة و وصف مجتمع الدراسة و العينة و كذلك الأداة المستخدمة للدراسة ، و حساب الخصائص السيكومترية للأداة ، و أخيرا المعالجة الإحصائية التي أعتمد عليها الباحث في تحليل نتائج هذه الدراسة .

المنهج :نظرا لأهداف هذه الدراسة وطبيعتها الاستكشافية تم اعتماد المنهج الوصفي الاستكشافي الذي يتم فيه القيام بالدراسة في ظروفها الطبيعية كما هي في الواقع وتحليلها وتفسيرها.و الذي يعرف بأنه "طريقة في البحث تتناول

أحداث وظواهر وممارسات موجودة متاحة للدراسة و القياس كما هي دون تدخل الباحث في مجرياتها ويستطّع الباحث أن يتفاعل معها فيصفها ويحللها، وهو أحد أشكال التحلّيل و التفسير العلمي المنظم لوصف ظاهرة أو مشكلة محددة، وتصويرها كميا عن طريق جمع بيانات و معلومات مقننة عن الظاهرة أو المشكلة، وتصنيفها وتحلّيلها وإخضاعها للدراسات الدقيقة "(ملحم، 2000، ص324)

- عينة الدراسة الاستطلاعية :

شملت عينة الدراسة الاستطلاعية ثلاثون أستاذا (30) ثانوي ، من مختلف التخصصات حيث تم اختيارهم بطريقة عشوائية من أجل التأكد من الخصائص السيكومترية للأداة .

- عينة الدراسة الأساسية :

"استعمل الباحث الحصر الشامل (resencesment complet) و هو جمع البيانات من جميع المفردات المشمولة بالبحث ، و هذه طريقة تعطي بيانات متكاملة و نتائج دقيقة الا أنها تحتاج الى جهد و وقت و مال كثير ." (حمامة ،2019،ص 63)

حيث أن عدد الأساتذة العاملين في الثانويات الواقعة ببلدية الرويسات بورقلة (109) أستاذ وأستاذة . و في ما يلي جدول يوضح توزيع أفراد عينة الدراسة

الجدول 01 : يوضح تمثيل عينة الدراسة حسب المتغيرات الوسيطية الجنس و السن و الخبرة .

المتغير الوسيطي / الثانوية	الجنس		السن			سنوات الخدمة		
	ذ	أ	25-33	33-40	40أكثر من	10أقل من	10-20	20أكثر من
ثانوية مالك بن نبي	19	24	15	16	12	13	16	14
ثانوية بن الشحم محمد	15	18	08	10	15	09	15	09
ثانوية العربي بن سليمان	14	9	17	05	11	10	14	09
المجموع	48	55	40	31	38	32	45	32

حيث بعد استرجاع استمارات استبيان الدراسة من افراد العينة تم استبعاد تسعة (09) استمارات لعدم استفائها شروط الإجابة المطلوبة على اسئلتها .

-أداة الدراسة :

"تعد صحيفة الاستبيان Questionnair Shedule هي الأداة الرئيسية التي اعتمد عليها الباحث لجمع البيانات التي يتطلبها البحث ، و صحيفة الاستبيان هي عبارة عن مجموعة من الأسئلة المكتوبة يتم توجيهها للمبحوثين و أسئلتها على درجة عالية من التقنين و لا يتطلب الاستبيان وجود الباحث حيث يملأ المبحوث الاستبيان بنفسه ".(عبد الله ،2017، ص805). و في دراستنا هذه و بعد الاطلاع على التراث النظري و الدراسات السابقة و مجموعة من المقاييس تم تبني المقياس الذي اعتمده الباحث (خالد عوض عبدالله مؤنس) في دراسته المعنونة بالانغماس الوظيفي و علاقته بالاحتراق النفسي لدى معلمي المرحلة الأساسية الأولى في محافظة الوسطى – غزة – و هذا نظرا لتشابه بيئة الدراسة و يتكون المقياس من (15) فقرة مع إستخدام مقياس ليكرت الخماسي في تقدير و تصحيح استجابة العينة.

الخصائص السيكومترية للاداة:

الثبات : معادلة الفا كرونباخ Cronmbach-ALPHA **:** بلغت قيمة معامل الثبات الاجمالي للمقياس ككل (ر:0 78.) وهي قيمة تطمئن على ثبات الأداة حيث يؤكد احمد عبد الخالق " بأنه بوجه عام يعد معامل الثبات الذي يساوي أو يزيد عن (0.70) مقبولا في المقاييس الشخصية (*) 0.01>p "(أحمد عبد الخلق, 1996,ص81).

طريقة التجزئة النصفية :كذلك تم حساب ثبات المقياس بطريقة التجزئة النصفية و ذلك بحساب معامل الارتباط "سيبرمان براون" بين درجات أفراد العينة علة الفقرات الفردية و الزوجية المكونة للمقياس و كانت قيمته

(ر= 7280,) و هي دالة إحصائيا عند مستوى الدلالة

(010,) مما يؤكد أيضا على ثبات المقياس .

الصدق : من الصفات الواجب توافرها في أداة جمع البيانات الصدق الذي يعتبر من أهم الخصائص السيكومترية لادلة الدراسة ، و في بحثنا هذا سوف نعتمد على صدق المقارنة الطرفية (الصدق التمييزي) .

صدق المقارنة الطرفية:

" أثبتت أبحاث(كيللي - T .L.kelley) على أن أكثر التقسيمات تميزا لمستويات لامتياز والضعف ،هي التي تعتمد على تقسيم الميزات إلى طرفين علوي والسفلي، حيث يتكون القسم العلوي من الدرجات التي تكون نسبة (27٪) من الطرف الممتاز وفي مراجع أخرى نسبة (33٪) ، ويتألف القسم السفلي من الدرجات التي تكون نسبة (27% أو 33%) من طرف الضعيف.(فؤاد البهي السيد.1978 . ص459) . من خلال ذلك تم ترتيب درجات أفراد العينة تنازليا، وأخذت نسبة (33%) لذوي الدرجات العليا و(33%) لذوي الدرجات السفلى للمقياس المكون من (15) عبارة، بعدما تم حساب الفرق بين متوسطي العينتين باستخدام اختيار" ت" لدلالة الفروق بين متوسطي العينتين ، وكانت النتيجة مثلما ماهي موضحة في الجدول التالي:

الجدول 02 : يوضح صدق المقارنة الطرفية لمقياس الانغماس الوظيفي.

التقنية الإحصائية / الدرجات	ن	المتوسط	الانحراف	"ت" المحسوبة	درجة الحرية	مستوى الدلالة
الدرجات العليا	9	.44457	.203	.2887	16	.0130
الدرجات الدنيا	9	.00039	.896			

نلاحظ من خلال الجدول السابق أن قيمة (ت) المحسوبة بلغت (.2887) عند درجة الحرية 16 بمستوى دلالة قدره (,0130) ، مما يؤكد على القدرة التمييزية للمقياس أي أن المقياس يميز تميزا واضحا بين المجموعتين ، وبالتالي فهو على درجة عالية من الصدق.

9._ اختبار الفرضيات :

الفرضية الأولى :تنص هذه الفرضية أن مستوى الانغماس الوظيفي لدى أساتذة التعليم الثانوي ببلدية الرويسات بورقلة مرتفع . لاختبار هذه الفرضية تم استخدام اختبار "ت" لعينة واحدة بحساب الفروق بين متوسط درجات مستوى الانغماس الوظيفي لأفراد العينة والمحك المستخدم المقدر بـ 75%، وكانت النتائج كما هو موضح في الجدول التالي :

الجدول 3:يوضح الاختلاف بين متوسطات درجات أفراد العينة على المقياس والمتوسط النظري للمقياس

عدد أفراد العينة	درجة الحرية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المحك	قيمة (ت)	الدلالة الإحصائية
100	99	47.72	9.10	60	-13.493	0.000

من خلال الجدول السابق تبين أن متوسط درجات افراد العينة على المقياس بلغ (47.72) وهو متوسط أقل من المحك المستخدم والمقدر بـ (60)، وباستخدام اختبار (ت) لعينة واحدة لاختبار الفروق بين المتوسطات التي بلغت (13.493 -) بمستوى دلالة قدره (0.000) وهو أقل من (0.05)، وبالتالي هي قيمة دالة إحصائياً وهذا يدل أن مستوى الانغماس لدى أساتذة التعليم الثانوى ببلدية الرويسات بورقلة منخفض ، و ذلك ان الأساتذة يحاولون تقديم الاحسن و الأفضل في حين يرجع الباحث عدم ارتفاع الانغماس الوظيفي للأساتذة الى وجود معيقات تحد من درجة انغماسهم تتمثل في كثرة الأعباء و الضغوط الوظيفية زد على ذلك أسلوب الاشراف المتبع من طرف الإدارة العليا و المشرفة على الأستاذ و الذي يقلل من انغماس الأستاذ في عمله كما ان قلة الحوافز المادية و المعنوية و عدم اشراك الأستاذ في التخطيط و اتخاذ القرارات و عدم استقرار المنظومة التربوية (البرامج و المقررات) يمكن ان يكون لها تأثير كبير على الانغماس ، و إختلفت دراستنا هذه مع دراسة كل من الشبل (2019) و مؤنس (2018) اللتين اتفقتا على ان مستوى الانغماس الوظيفي كان متوسطا

لدى افراد العينتين ، و كذلك دراسة كل من عموش (2018) ، الزيدي (2017) ، التلباني (2015)، الوحيدي (2014) و قاسم (2012) حيث أظهرت نتائجهم أن مستوى الانغماس الوظيفي مرتفع لدى أفراد العيينات . و ارجع الباحث سبب انخفاض مستوى الانغماس الوظيفي لدى أساتذة العليم الثانوي الى كثرة الأعباء التدريسية و الضغوط الوظيفية بالإضافة الى قلة الحوافز المادية و المعنوية وعدم المشاركة في اتخاذ القرارات

الفرضية الثانية : توجد فروق ذات دلالة احصائية في مستوى الانغماس الوظيفي باختلاف مدة العمل لدى أساتذة التعليم الثانوي ببلدية الرويسات بورقلة. تم استخدام اختبار تحليل التباين Anova، والنتائج مبينة في الجدول الآتي:

الجدول4 : يبين نتائج اختبار تحليل التباين للمقارنة بين المستويات العمرية في الانغماس

مصدر التباين العينة	مجموع المربعات	د رجة الحر د	متوسط المر بعات	قيمة اختبار ف	الدلالة الإحصائية
بين المجموعات	321.387	2	160.693	1.978	0.144
داخل المجموعات	7878.773	97	81.224		
المجموع	8200.160	99			

من خلال الجدول أعلاه السابق تبين من خلال الجدول أعلاه يتضح أن قيمة اختبار – ف – بلغت: (1.978) بمستوى دلالة (0.144) وهي أكبر من (0.05)، وهذا يدل أنه لا توجد فروق دالة إحصائياً في الانغماس تبعاً لمتغير سنوات الخبرة. و اتفقت هذه الدراسة مع كل من الوحيدي (2014) و دراسة المغربي (2004) و قاسم (2012) و Khalid & Rehma(2011) الذي أفضت دراساتهم الى عدم وجود فروق ذات دلالة احصائية في مستوى الانغماس الوظيفي تعزى لمتغير سنوات الخدمة ،و اختلفت هده الدراسة مع كل من دراسة الفضلي (2011) و ماضي (2014) و نصار (2013) اللذين توصلوا في دراساتهم الى وجود

فروق ذات دلالة احصائية في مستوى الانغماس الوظيفي تعزى لمتغير سنوات الخدمة.

الفرضية الثالثة : توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الانغماس الوظيفي باختلاف الجنس لدى أساتذة التعليم الثانوي ببلدية الرويسات بورقلة . ولاختبار هذه الفرضية تم استخدام اختبار "ت" لعينتين مستقلتين، وجاءت النتائج على النحو التالي :

جدول 5: يوضح نتائج اختبار (ت) لدلالة الفروق بين الذكور والإناث على المقياس

المؤشر الإحصائي / المقياس	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة "ت" المحسوبة	درجة الحرية	مستوى الدلالة
الذكور	45	45.68	8.58	-2.051	98	0.043
الإناث	55	49.38	9.25			

يتبين من الجدول أعلاه أن المتوسط الحسابي للذكور المقدر بـ(45.68) أقل من المتوسط الحسابي للإناث المقدر بـ(49.38))، كما يلاحظ أن قيمة "ت" المحسوبة تقدر بـ (2.051 -) عند درجة الحرية 98 وبمستوى دلالة قدره (0.043) وهي قيمة أقل من (0.05) ومنه نستنتج أنه توجد فروق دالة إحصائياً بين الذكور والإناث في الانغماس لصالح الاناث، و قد ارجع الباحث هذه الفروق لصالح الاناث الى وجود متغيرات أخرى مثل الالتزام التنظيمي ، أي التزام الاناث من الناحية الوظيفية اكثر من الذكور ، كما يكون لمستوى المواطنة التنظيمية دور في هذه الفروق بمعنى ان مستوى المواطنة التنظيمية قد يكون مرتفع لدى الاناث اكثر منه لدى الذكور ، إضافة الى ذلك الولاء التنظيمي قد يكون له دور بمعنى ان الاناث اكثر ولاءا للمنظمة من الذكور،

و اتفقت هذه الدراسة مع دراسة كل من نصار (2013) و الساعدي (2015) و Danich (2015) الذين توصلوا في دراساتهم الى وجود فروق ذات دلالة إحصائية

في مستوى الانغماس الوظيفي لدى أساتذة التعليم الثانوي وفقا لمتغير الجنس لصالح الاناث .

مصدر التباين العينة	مجموع المربعات	د رجة الحرية	متوسط المربعات	قيم ة اختبار ف	الدلالة الإحصائية
بين المجموعات	635.777	2	317.888	4.076	0.020
داخل المجموعات	7564.383	97	77.983		
المجموع	8200.160	99			

الفرضية الرابعة : توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الانغماس الوظيفي باختلاف السن لدى أساتذة التعليم الثانوي ببلدية الرويسات بورقلة . تم استخدام اختبار تحليل التباين

Anova، والنتائج مبينة في الجدول الآتي :

الجدول 6 : يبين نتائج اختبار تحليل التباين للمقارنة بين المستويات العمرية في الانغماس

خلال الجدول أعلاه يتضح أن قيمة اختبار - ف - بلغت: (4.076) بمستوى دلالة (0.020) وهي أقل من (0.05)، وهذا يدل أنه توجد فروق دالة إحصائياً في الانغماس تبعاً لمتغير السن. ولمعرفة الفروق لصالح أي مستوى تعليمي، تم استخدام اختبار شيفي (Scheffe) للمقارنات البعدية وكانت النتائج في الجدول الآتي:

الجدول 7: نتائج إختبار شيفيه Scheffe Test للمقارنات البعدية

السن	العدد	المتوسط	المقارنات الثنائية	متوسط الفرق	مستوى الدلالة	النتيجة
25-32	40	50.25	(32-25) و (33-40)	2.41	0.524	لا توجد فروق
33-40	31	47.83	(40-33) وأكثر من40	3.73	0.267	لا توجد فروق
أكثر من 40	29	44.10	(32-25) وأكثر من40	6.14	0.020	توجد فروق لصالح الفئة 25-33

من خلال الجدول أعلاه يتبين لنا أنه لا توجد فروق بين المستويين (25 -32) **و** (33 -40) **ولا توجد فروق بين المستويين** (33 -40) **وأكثر من** (40)، **والفروق الموجودة كانت بين المستويين** (25 -32) **وأكثر من**(40)**كانت لصالح الفئة** (25 -33). **و تتفق هذه الدراسة مع دراسة كل من عبدالله محمد حمزة** (2017)، **و مازن فارس** (1993) **و فضل صباح الفضلي** (2001) **في تأثير السن على درجة الانغماس الوظيفي لدى أساتذة التعليم الثانوي ، كما اختلفت الدراسة مع دراسة كل من الوحيدي**(2014) **و المغربي**(2004) **و**(2012) UEDA **الذي توصلوا في دراساتهم الى عدم تأثير متغير السن على درجة الانغماس الوظيفي لدى عينات الدراسة .و ارجع الباحث الفرق في مستوى الانغماس الوظيفي في هذه الدراسة لصالح الفئة العمرية** (25 -33) **الحالة الاجتماعية و بداية السنوات الأولى للالتحاق بالعمل و القدرة على التحمل و البحث عن مكانة في المجتمع و اثبات الوجود .**

10._الخلاصة :

من خلال دراستنا التحليلية لمستوى الانغماس لدى أساتذة التعليم الثانوي لبلدية الرويسات بورقلة فإنه تم التوصل الى النتائج التالية : ان مستوى الانغماس الوظيفي لدى أساتذة التعليم الثانوي ببلدية الرويسات بورقلة متوسط ، في حين أكدت الدراسة الى وجود فروق في مستوى الانغماس الوظيفي تعزى الى متغير الجنس و كانت لصالح الاناث ، و توجد فروق كذلك تعزى الى متغير السن لصالح الفئة العمرية (25 -33) ،كما اثبتت هذه الدراسة عدم وجود فروق بالنسبة لمتغير سنوات العمل، و بناءا على ما سبق من دراسة و تحليل لمستوى الانغماس لدى أساتذة التعليم لبلدية الرويسات بورقلة ، فإنه يمكننا صياغة التوصيات التالية :

الاهتمام بالبيئة التعليمية و أستاذ التعليم الثانوي اكثر وذلك بتهيئة مناخ مناسب للعمل مما يجعل الأستاذ اكثر انغماسا في عمله ، و تقليل الضغوظ و الأعباء الوظيفية عن الأستاذ حتى يكون في أريحية و تركيز اكبر في عمله . و الاهتمام بالحوافز المادية و المعنوية للأستاذ مع إعادة الاعتبار له و لمجهوداته المقدمة لتربية النشئ ، مما ينجم على ذلك مزيدا من البذل و العطاء، كما يمكن اجراء دراسات و أبحاث مستقبلية في هذا المجال، بحيث تتطرق الى هذا المفهوم و علاقته بمتغيرات أخرى سواء كانت متغيرات شخصية او وظيفية متعلقة ببيئة العمل من اجل تحديد صورة أوضح لهذا المفهوم .

قائمة المراجع:

الكتب:

-احمد عبد الخالق، قياس الشخصية ، مطبوعات جامعة الكويت، مجلس النشر ، لجنة التعريف و التأليف و النشر، الكويت،1996.

- فؤاد البهي السيد، علم النفس الاحصائي وقياس العقل البشري ،دار الفكر العربي، القاهرة،1979.

- ملحم ،سامي، مناهج البحث في التربية النفسية، دار الميسرة للنشر والتوزيع ،عمان، الأردن، 2000.

المقالات :

- أسيل صبار، الانغماس الوظيفي و علاقته بالثقة بالنفس لدى المرشدين التربويين، مجلة الارشاد، المجلد 2 العدد 217، جامعة الانبار، كلية التربية للعلوم الإنسانية، العراق، 2016.

- رند خالد عبدالله الشبل ، مستوى الانغماس الوظيفي لدى معلمات المدارس الثانوية في محافظة عنيزة ،المجلة العلمية ، المجلد 35 ،العدد 10 ،ج2،جامعة أسيوط ،2019.

- عبد الله محمد حمزة امين ، الثقة التنظيمية و الانغماس الوظيفي – دراسة ميدانية بجامعة بني سويف، مجلة كلية الآداب ، جامعة طنطا ، المجلد 2 العدد30،مصر، 2017.

- عمار حمامة ، علاقة جودة الحياة الوظيفية بالاستغراق الوظيفي – دراسة ميدانية على عينة من أساتذة جامعة الوادي - رسالة دكتوراة في علم النفس العمل و التنظيم ، جامعة ورقلة ،2019 .

- عامر علي حسن ، زينة فالح ، دور الانغماس الوظيفي في تفسير العلاقة بين موارد الوظيفة و جودة الخدمة المصرفية – دراسة تحليلية لآراء عينة من العاملين في المصارف التجارية الحكومية في محافظة المثنى ،مجلة المثنى للعلوم الإدارية و الاقتصادية ،المجلد 9 العدد 1، العراق، 2019.

- فضل صباح الفضلي ، تأثير المتغيرات الديمغرافية و التوجهات القيمية على الانغماس الوظيفي في القطاع الحكومي بدولة الكويت ، مجلة جامعة الملك عبد العزيز للاقتصاد ة الإدارة ، المجلد 15 ، العدد 1،الكويت، 2001.

- محمد شفيق سعيد المصري ، الانغماس الوظيفي و علاقته بسلوك المواطنة التنظيمية – دراسة ميدانية على المستشفيات الحكومية في قطاع غزة - رسالة ماجستير في إدارة الاعمال جامعة الازهر ،غزة ، 2015.

- Leong, L. , Huang,S. Y. & Hsu, j.. An empirical study on professional commitment, organizational commitment and job involvement in Canadian accounting firms, Journal of American Academy of Business ,vol, 2, (2) ,p 360- 370, (2003) .

- Steven ,Brown ,Ameta-analysis and review of organizational ,Research on job involvement psychological,Bulletin,vol120, 2,1996

مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ر ت م د: 7163 -1112 ر ت م د إ :1892-2588
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2

أثر التدريب الميداني بأقسام علوم المكتبات في تقليص الفجوة بين الفصول الدراسية والممارسات الوظيفية

The impact of field training in library science departments in reducing the gap between classrooms and job practices

سليمة سعيدي[1] ، بلال حجاز[2]

1- جامعة عبد الحميد مهري قسنطينة ، salima.saidi@univ-constantine2.dz

2- جامعة عبد الحميد مهري قسنطينة ، bilel.hadjez@univ-constantine2.dz

تاريخ الاستلام: 2020/05/07 تاريخ القبول: 2021/01/22

ملخص

تهدف الدراسة الى إبراز أثر قضاء جزء من فترة التعليم الجامعي في الميدان على مستوى المكتبات بكافة أنواعها أو مراكز الأرشيف على مهارات المتدربين، حيث تتعاون المؤسسات التعليمية مع المكتبات ومراكز الأرشيف من أجل تدريب الطلاب قبل تخرجهم؛ وإعدادهم لمجابهة متطلبات الوظيفة المستقبلية.

كما تسعى الدراسة لمحاولة معرفة أهم مخرجاتها العملية التدريبة (المهارات الفنية والمهارات التواصلية والمهارات العامة) والتي من شأنها تقليص الفجوة بين الممارسات الوظيفة على أرض الميدان والمقررات الدراسية داخل الصفوف التعليمية.

توصلت الدراسة إلى ضعف مخرجات العملية التدريبية التي اكتسبتها عينة الدراسة، والنقص الواضح في المهارات العملية المكتسبة سواء على مستوى المهارات العامة المتعلقة بالمهنة والاتجاهات نحوها؛ وعلى مستوى المهارات التقنية والتي يفترض أن يكون مكان التربص الحاضنة التي تصهر المعارف النظرية لإعادة تشكيلها في ممارسات عملية، كما توصلت الدراسة إلى المستوى المتدني

المؤلف المرسل: سليمة سعيدي saidi.salima2007@gmail.com

للمهارات الاتصال المكتسبة أو المطورة من خلال التربص الميداني الذي خضعت له عينة الدراسة.

الكلمات الدالة: **التربصات الميدانية، مؤسسات المعلومات، المهارات التقنية، المهارات الاتصالية، المهارات العامة**

Abstract:

The study aims to highlight the effect of spending part of the university education period on the level of all kinds of libraries or archive centers, where educational institutions cooperate with libraries and archives In order to train students before graduation; and prepare them to meet the requirements of the future job. The study also seeks to find out the most important practical outputs of the training (Technical, Communication and General Skills) that reduce the gap between job practices in reality and courses within the classroom.

The study found; The weakness of the training process outputs gained by the study sample, and the apparent lack of practical skills acquired, both at the level of general skills related to the profession and trends towards it; or at the level of technical skills , which is supposed to be the place of the incubator who fuses theoretical knowledge to reshape it in practical practices .The study also reached the low level of communication skills acquired or developed through the field training, to which the study sample was subjected.

Key words:

Field Training, Information institutions, Technical skills, Communication skills, General skills

مقدمة الدراسة:

يعد التدريب الميداني في مجال المكتبات والتوثيق في الحقيقة البوتقة التي يفترض أن تنصهر فيها كل ما حصله الطلاب من معارف في كل المقررات الدراسية النظرية في تفاعلها مع الخبرات الحياتية والوظيفية، في إطار ما تتيحه مؤسسات المعلومات من تطبيق المعرفة النظريّة التي اكتسبها الطلاب خلال فترة الدراسة تطبيقاً عملياً، ممّا يجعلهم يحصلون على فهم أكبر وأوسع لتخصصاتهم، بحيث يكونون أكثر إبداعاً وإتقاناً لها، حيث تحدث العملية التدريبية التكامل ليس فقط بين هذه المواد النظرية مع بعضها البعض، وإنما من المتوقع أن تحدث التكامل في شخصية الطالب ككل، إذ يمتص هذه المعارف والقيم ويتمثلها بحيث تصبح جزءا لا يتجزأ من كيانه المهني من تفكيره ومشاعره وقيمه واتجاهاته وسلوكه المهني والشخصي.

إن طلاب أقسام المكتبات والمعلومات خلال فترة التعليم الجامعي وبالموازاة مع المقاييس المدرسة بحاجة ماسة إلى فترة من التدريب الميداني سواء على شكل زيارات أو بحوث ميدانية أو تربصات عملية، تعمل على تأهيلهم وإكسابهم المهارات العملية والتواصلية الضرورية التي تمكنهم من الانخراط في سوق الوظيفة والاستجابة لمتطلبات العمل.

و تتمحور إشكالية الدراسة الحالية في تنامي الشكوى من ضعف تأهيل خريجي أقسام المكتبات والتوثيق (حسب العديد من الدراسات) واتساع الفجوة بين الدراسة النظرية والتطبيق، ارتأينا إجراء هذه الدراسة من أجل الوقوف على الواقع الفعلي لبرامج التدريب الميداني المبرمجة بمعهد علم المكتبات التوثيق بجامعة عبد الحميد مهري قسنطينة2 ، ومدى قدرتها على تقليص الفجوة بين الممارسات الوظيفة على أرض الميدان والمقررات الدراسية داخل الصفوف التعليمية.

وتكمن أهمية الدراسة في إبراز أثر قضاء جزء من فترة التعليم في الميدان على مستوى المكتبات بكافة أنواعها أو مراكز الأرشيف حيث تتعاون المؤسسات التعليمية مع المكتبات ومراكز الأرشيف من أجل تدريب الطلاب قبل تخرجهم؛ وإعدادهم لمجابهة متطلبات الوظيفة المستقبلية.

حيث تهدف الدراسة إلى محاولة معرفة جانب من برامج التدريب الميدانية المبرمجة بمعهد علم المكتبات التوثيق بجامعة عبد الحميد مهري قسنطينة2 ، وابراز أهم مخرجاتها العملية (المهارات الفنية والمهارات التواصلية والمهارات العامة) والتي من شأنها تقليص الفجوة بين الممارسات الوظيفة على أرض الميدان والمقررات الدراسية داخل الصفوف التعليمية.

من خلال دراستنا اعتمدنا على المنهج الوصفي المعتمد على تجميع البيانات عن الظاهرة المدروسة وتحليلها وقد وقع اختيارنا على هذا المنهج باعتباره أكثر مناهج البحث ملائمة لموضوع الدراسة حيث نسعى من خلالها إلى الوقوف على الواقع الفعلي لبرامج التدريب الميداني المبرمجة بمعهد علم المكتبات التوثيق بجامعة عبد الحميد مهري قسنطينة2، ومدى قدرتها على تقليص الفجوة بين الممارسات الوظيفة على أرض الميدان والمقررات الدراسية داخل الصفوف التعليمية .

2. الإطار النظري للدراسة .

1.2. مفهوم التدريب الميداني:

1. تعددت المصطلحات التي تشير إلى التدريب الميداني ومنها: والتربصات الميدانية، والدارسات الميدانية، والخبرة الميدانية، والخبرات القائمة على تجربة، وكل هذه المصطلحات تدل على نفس المصطلح وهو التدريب الميداني، ويمكن تعريف التدريب الميداني بأنه الجهد المشترك بين الوحدات التعليمية (كليات، أقسام معاهد، مدارس عليا...) وقطاع العمل الموافق والمناسب الذي يتيح للمتدرب تطبيق ما اكتسبه خلال فترة تدريبه في

الوحدة من معارف ومهارات في منشآت قطاع العمل وهو العملية المستمرة التي يتم من خلالها تزويد المتدرب المهارات كي يكون قادرا على اداء مهام محددة بشكل أفضل، هذا ويسهم التدريب الميداني في رفع من الروح المعنويّة لدى الطلاب، ويكسر لديهم حاجز الرهبة والخوف من مواجهة المستقبل بعد التخرّج؛ فهو تمهيد حقيقي لحياة مستقبليّة كاملة؛ فالتدريب الميداني بذلك عبارة عن فترة للتعلم والتطوير في إحدى المؤسسات الحكومية أو الخاصة خلال إطار زمني محدد ووفق شروط وقوانين متفق عليها من طرف المؤسسة المكونة (جامعة ، معهد،..) وصاحب العمل .(STAGE DE FORMATION)

كما يعرف التدريب الميداني "بأنه المقررات والتدريبات والبرامج التى تقدمها أو تنظمها مؤسسات المستقبلة بهدف مساعدة الطلاب على التعرف على الجوانب التطبيقية للمهن من جهة وتدريبهم على توظيف المعلومات المهنية فى مواقف العمل الواقعية من جهة أخرى"(طارق عبد الرؤوف عامر،2008.ص29). في حين يعرفه مصطفى عبد السميع ، وسهير حوالة التدريب الميدانى على أنه برنامج تدريبي علمي تقدمه المؤسسات والإدارات الحكومية والخاصة على مدى فترة زمنية محددة وتحت إشرافها يهدف إلى إتاحة الفرصة للطلاب لتطبيق ما تعلموه من معلومات وأفكار ومفاهيم نظرية، تطبيقا عمليا فى أثناء قيامهم بمهامهم المهنية، وهذا يعمل على تحقيق الألفة بينهم وبين العناصر البشرية والمادية لبيئة العمل ويكسبهم الخبرات المتنوعة فى الجوانب المهارية والانفعالية.(مصطفى عبد السميع محمد وسهير حوالة، 2005.ص120).

ويشير مفهوم التدريب الميداني إلى ما يتعلق بالاستعمالات اليدوية للمواد وأدوات العمل على مستوى الواقع المحسوس من خلال الاتصال المباشر ببيئة العمل فالغاية والهدف لا تكمن في الإنتاج وإنما في التعلم، وهذا التعريف يوحي بان الطالب في مرحلة التربص او التدريب الميداني وعلى الرغم من أن العديد من الاعمال المتعلقة بالوظيفة أو العمل قد توكل إليه غير أن الغرض الأساسي هو التعلم بالممارسة وليس الإنتاج في حد ذاته؛ وأما Lagendre فيرى أن التدريب الميداني تكوين عملي ويكون غما أثناء الدراسة وأو بين نهاية

الدراسة او بداية النشاط المهني أو أن يكون تكملة لتكوين وهو ما يسمى بالرسكلة.(Legendre ، 1988.ص520).

وحتى يحقق التدريب الميداني الأثر الإيجابي منه لا بد من تحقق مقتضيين رئيسيين هما (بلقاسم، يخلف.2007):

المقتضى الكمي: ويقصد به حساب أعباء العمل التي يجب ان تكون كافية حتى تشكل لدى الطالب المتدرب تصور واضح وواقعي للمهنة وأعبائها ومتطلباتها.

المقتضى الكيفي: وهو خلق فضاء من أجل إعطاء ديناميكية للتجربة (التدريب الميداني) وتحويلها إلى فرصة للتكوين (الإفادة الحقيقية) .

أما التدريب الميداني في مجال علم المكتبات والتوثيق فقد عرفته الدراسة كما يلي " كافة الجهود المبذولة من طرف أقسام أو معاهد علوم المكتبات من جهة و مختلفة مؤسسات ومراكز المعلومات من جهة ثانية والذي يتيح للمتدرب تطبيق وتجريب ما اكتسبه من معارف ومعلومات نظرية خلال فترته الدراسية بالجامعة وتجسيده بشكل محسوس في احدى المكتبات أو أحد مراكز المعلومات خلال فترة زمنية محددة ووفق شروط واضحة ومتفق عليها، فهو بمثابة حلقة وصل بين الحياة العلمية والحياة العملية للطالب أين يتم خلاله تزويده بالمهارات التطبيقية والممارسات العملية والاتجاهات السلوكية اللازمة كي يكون قادرا على اداء مهامه كأخصائي معلومات متمرس وعنصرا فعال في بيئته.

ويمكن أن تأخذ التربصات الميدانية شكل الزيارات الميدانية والتي تعد من أهم الأساليب التي تصقل خبرة المتدرب وتنمي معرفته وتتح له الاطلاع على خبرات الآخرين وتجاربهم، وتُعد المكتبات حقل خصب لتطبيق هذا الأسلوب، وحتى تجني الزيارات الميدانية ثمارها بشكل إيجابي يجب الإعداد السليم والمسبق للزيارات الميدانية والتنسيق بين المكتبات المختلفة.

التربصات الميدانية أو أسلوب الممارسة العملية: وهذا الأسلوب شبيه بالسابق ولكن الأسلوب يكون أطول من حيث الفترة الزمنية، حيث يقوم المتدرب بزيارة أقسام المكتبة والعمل في كل قسم فترة زمنية معينة حتى يتعرف على طبيعة

العمل في هذا القسم ، ويمارس الأعمال بنفسه حتى يتقنها، وبعدها يقدم تقريراً في نهاية التربص.

2.2. أهداف التدريب الميداني:

إن طلاب أقسام المكتبات والمعلومات خلال فترة التعليم الجامعي وبالموازاة مع المقاييس المدرسة بحاجة ماسة إلى فترة من التدريب الميداني سواء على شكل زيارات أو بحوث ميدانية أو تربصات عملية، تعمل على تأهيلهم وإكسابهم المهارات العملية والتواصلية الضرورية التي تمكنهم من الانخراط في سوق الوظيفة والاستجابة لمتطلبات العمل ويمكن ان نلخص أهم أهداف وغايات التدريب الميداني في مجال المكتبات والمعلومات في النقاط التالية:

تهيئة الطلاب المتدربين لسوق العمل وإعداد الكوادر البشرية المدربة والمؤهلة وتطوير مهارتهم وقدراتهم للعمل في مختلف أنواع مراكز ومؤسسات المعلومات.

اتاحة الفرصة للطالب (تخصص المكتبات والمعلومات) لمعايشة بيئة العمل الحقيقة في مراكز المعلومات والتي يتوقع عمله بها بعد تخرجه ، حيث يتعرف المتدرب من خلال هذا التدريب على الفرص المتاحة له و بالإضافة الى الالمام بالمشاكل الصعوبات المحيطة بمواقع العمل وكيفية مواجهتها و وإيجاد الحلول المناسبة لها.

معرفة حاجيات سوق العمل وإتاحة الفرصة لتداول الخبرات وفتح قنوات التعاون بين الجامعات والمعاهد وجهات التدريب.

ممارسة العمل التطبيقي الحقيقي داخل المكتبات ومراكز الارشيف والذي يعد ضرورة لاستكمال إعداد الطالب.

إتاحة الفرصة للطالب للاطلاع على التجهيزات الموجودة في مواقع العمل وإتاحة الفرصة للمتدرب لكسب الخبرة العملية والتدريب على استعمالها قبل التخرج.

تعميق فهم المتدرب للتخصص الذي اختاره في مجال دراسته.

تعويد المتدرب على تحمل المسؤولية والتقيد بالمواعيد وحسن التعامل مع الاخرين.

تمكين مؤسسات ومراكز المعلومات من التعرف على مهارات المتدرب واستقطابه.

3.2. مبررات إدماج التدريبات الميدانية في المسار الدراسي:

إن دمج التدريبات أو التربصات الميدانية مع المساقات الدراسية النظرية هو أمر في غاية الأهمية لأنه يجمع بين أصحاب المصلحة الطالب، ومكان العمل مسؤولة (وتسمى المشرف) ومنسق التدريب(Isabelle Dion)

ويمكننا أن نحصر مبررات الاهتمام بالتربصات الميدانية لكل من الطلبة والوحدات التعليمية والمؤسسات المستقبلة في النقاط كما التالية:

بالنسبة للطالب المتدرب

- يساعد الطالب في التعرف على المجالات التطبيقية في مجال تخصصه.
- يساعد الطالب في التعرف على المجالات الوظيفية المتاحة له بعد تخرجه .
- يهيئ الطالب على تحمل المسؤولية والانضباط في العمل وتنمية مهارات الاتصال مع الاخرين

بالنسبة للمعاهد والكليات:

- يساعد المعاهد/الكليات في التعرف على مرئيات جهات العمل حول مستوى الطالب المتدرب
- يساعد المعاهد/الكليات في معرفة متطلبات سوق العمل مما يساعدها في تقويم برامجها الدراسية بصفة مستمرة لكي تكون أكثر ملائمة لتلك المتطلبات.
- تبادل الخبرات بين المعهد وجهات العمل مما يسهم في فتح قنوات تعاون بينهما.

بالنسبة لجهات التدريب :

- إتاحة الفرصة للمسولين في قطاعات العمل للتعرف على إمكانية الطلاب ومستوى إعدادهم العلمي والتطبيقي .

- إتاحة الفرصة لقطاع العمل بالمشاركة في عملية تطوير مناهج المعهد.
- المساعدة في اختيار الكفاءات المناسبة من خريجي الكلية خلال تعامل هذه الجهات مع الطلاب أثناء التدريب .

4.2. متطلبات التدريب:

هناك عدد من المتطلبات التي تساعد على نجاح برامج التدريب وتتمثل فيما يلي(عبد الرشيد بن عبد العزيز حافظ.):

ينبغي إتاحة الفرصة للطالب لتحقيق الاستفادة القصوى من البرنامج التدريبي ويستلزم ذلك أن لا يسجل الطالب في أي مادة أخرى غير مادة التدريب حتى يمكنه التفرغ التام للتدريب العملي وأن لا تحول أي ارتباطات أخرى دون التزامه بالمواظبة في الحضور إلى مقر التدريب والانصراف منه في الموعد المقرر.

أن يتم الاتصال بالجهات المرشحة لتدريب الطلاب قبل وقت كاف من بداية الفصل الدراسي لمعرفة الفرص التدريبية المتاحة لدى كل جهة تدريب.

ينبغي أن يلتحق المتدربون في نشاطات فعلية تؤدي إلى إكسابهم مهارات ومعارف جديدة.

ينبغي أن يتيح التدريب الفرصة للمتدربين لمعرفة العلاقات الجزئية والكلية للمهام التي يتدربون عليها .

ينبغي أن تتاح الفرصة للمتدربين للتفاعل مع العاملين المختصين والمشرفين بالإضافة إلى جمهور المستفيدين.

ينبغي أن تتوفر إرشادات واضحة ومفصلة بالمهام التي يتعين على المتدرب القيام بها ، كما ينبغي أن يكون متاحا للمتدرب لقاء مشرف التدريب بسهولة وكذلك الأشخاص ذوي العلاقة الذين يمكنهم مساعدة المتدرب وتذليل الصعاب التي قد تواجهه في تنفيذ المهام المنوطة به على النحو المطلوب.

أن يمثل عمل المتدرب فائدة حقيقية يمكن أن تلمسها جهة التدريب.

تحقيق الاتصال الفعال بين الأطراف المعنية بالتدريب وهم المتدرب، مدرس التدريب، ومشرف التدريب.

3. الجانب الميداني للدراسة

1.3. حدود الدراسة ومجالاتها:

تمهد الدراسات الميدانية عادة بذكر مجالات وحدود معينة ترسم المعالم الأساسية لها، وهذه الحدود تدور في مجملها بين الحدود الجغرافية (المكانية)، الحدود البشرية والحدود الزمنية باعتبارها العناصر الأساسية التي تكفل التحكم الجيد في موضوع الدراسة وفيما يلي سنوضح كل منها:

الحدود الجغرافية: تمت الدراسة بمعهد علم المكتبات والتوثيق بجامعة عبد الحميد مهري قسنطينة2

الحدود البشرية: تتجلى الحدود البشرية في مجموعة المبحوثين الذين ستطبق عليهم أداة البحث داخل المجال المكاني، وتشمل عينة طلبة السنة الأولى ماستر تخصص المكتبات للعام 2016/2017.

الحدود الزمنية: تتمثل في الوقت الذي استغرقته الدراسة بشقيها النظري والميداني، بدءا باختيار لموضوع الدراسة ومن ثم توزيع أداة الاستبانة على المبحوثين وانتهاء بتفريغ البيانات تحليلها وصياغة النتائج المتوصل إليها والتوصيات التي خرجنا بها من الدراسة، وقد امتدت حولي شهر (شهر مارس2017)

2.3. مجتمع الدراسة وعينتها:

بما أن الدراسة الحالية تهدف على قياس أثر التدريب الميداني خلال فترة التعليم الجامعي بأقسام علوم المكتبات في تقليص الفجوة بين الفصول الدراسية والممارسات الوظيفية، فقد قمنا بإختيار مجتمع يمكنه من الإفادة في الموضوع والمثمثل في طلبة السنة الأولى ماستر تخصص المكتبات والبالغ عددهم 46 طالب موزعين على قسمين وقد قمنا بمسح للمجتمع الكلي لهؤلاء الطلبة وقد وقع الإختيار عليهم على وجه التحديد بإعتبارهم قاموا بإجراء تربصات ميدانية في العام السابق 2015/2016 في نهاية إتمامهم لمرحلة الليسانس تخصص علم المكتبات والتوثيق وبالتالي فمعلوماتهم حول التربصات الميدانية ماتزال حديثة وقت إجراء الدراسة.

3.3. أساليب تجميع البيانات:

إن أهم الأساليب التي لا يمكن تجاوزها في أي دراسة ذات طابع ميداني هي تلك التي يعمل من خلالها الباحث على وضع الدراسة في إطارها الصحيح وتوفير كافة البيانات التي تخدم القسم الميداني بكل موضوعية، وتختلف الدراسات باختلاف استيعابها لوسيلة أو أكثر من وسائل جمع البيانات ونظرا لطبيعة موضوع الدراسة فقد قمنا باستخدام الاستبانة كأداة لجمع البيانات حيث قسم إلى أربع محاور رئيسية تدور في مجملها حول أهم المهارات الوظيفية، الفنية والاتصالية والتي يمكن ان يكتسبها الطالب مما تفضي إلى توضيح بيئة العمل للطالب وبالتالي تقليص الفجوة بين الفصول الدراسية ومحيط العمل .

4.3. تحليل البيانات المتحصل عليها:

تحليل بيانات المحور الأول: المهارات الوظيفية العامة المكتسبة من التربصات الميدانية وأثرها في تقليص الهوة بين الدراسة النظرية والممارسات العملية:

حاولت الدراسة من خلال عبارات المحور الأول قياس مدى تحقق بعض المهارات الوظيفية العامة المكتسبة من قبل العينة وتأثيرها على تقليص الفارق بين الدراسة النظرية والممارسات العملية وكانت النتائج ممثلة في الجدول التالي:

الجدول 1. المهارات الوظيفية العامة المكتسبة خلال فترة التربص

العبارة	نعم		إلى حد ما		لا	
	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
أصبحت بعد التربص الميداني أكثر اقتناعا بمهنة المكتبي وأكثر تحمسا لممارستها	23	%50	11	%23.91	12	%26.08
سمحت لي فترة التربص من اكتساب عادات العمل المكتبي بما يفيدني في وظيفتي مستقبلا	10	%21.73	8	%17.39	28	%60.86
سمحت لي فترة التربص بالاطلاع على اللوائح والقوانين الداخلية المسيرة للعمل بالمكتبة	20	%43.47	19	%41.30	7	%15.21
تمكنت من خلال التربص الميداني من صهر معارفي النظرية في قالب ممارسات عملية	11	%23.91	00	%00.00	35	%72.08

المصدر :إعداد الباحثين

تتوزع أراء العينة حول كون التربص الميداني الذي خضعت له أدى إلى زيادة وترسيخ قناعتها حول التخصص والمهنة من عدمه بين مؤيد ومعارض ومحايد ، حيث ترى 44% من العينة أن فترة التربص لم يؤدي إلى تغيير يذكر على مستوى القناعات بأهمية المهنة ورسالتها بينما أكد 26 % من أفراد العينة أن المعايشة الحقيقة والفعلية للمهنة على أرض الواقع من خلال التربص الميداني رفع من حالة الوعي لديهم بمهنة المكتبي وبالتالي زيادة حماسهم حيالها ، والتزمت ما نسبته 30% الحياد حول العبارة أي أن التربص لم يترك أي انطباع لديها لا بالسلب ولا بالإيجاب على مستوى القناعات الشخصية ، ونرجع التشتت في إجابات العينة إلى التنوع في المكتبات مكان التربص وإمكانياتها وسياساتها ناهيك عن القناعات الشخصية والرؤى المسبقة حول المهنة والتي ليس من السهل تغييرها.

هذا ويعبر التعرف على بيئة العمل المستقبلية من بين أهم الأهداف المسطرة لبرامج التدريب الميداني ، وترى غالبية العينة المبحوثة حوالى 67% أن الوقت الذي تم قضاءه في المكتبة المستضيفة لم يكن كافيا لفهم القوانين واللوائح التي تنظم عملها واستعاب السياسات الداخلية والأطر الحاكمة بها، أما مانسبته 26 % فترى أن الوقت الذي قضته بالتربص كان كافيا لتعرف على بعض المبادئ المسيرة لمكتبات التي أجري التربص بها ويتعلق الأمر ببعض الأفراد الذي كان تربصهم على مستوى مكتبات بلدية أو عامة صغيرة والتي لا تمتلك سياسات واضحة بالأساس.

كما ترى غالبة العينة أن فترة تجربة التربص التي خضعوا لها، لم تكن سانحة بالقدر الكافي للتعرف على أصول العمل المكتبي واكتساب العادات الوظيفية الضرورية للعمل المستقبلي ويعود السبب إلى ضيق الوقت الممنوح للتربص والمقدرة ب15 يوم، والذي يوزع بدوره بما يعادل 3 ثلاث أو أربعة أيام لكل مصلحة الأمر يجعل مسألة التأقلم غير واردة .

المحور الثاني: المهارات التقنية المكتسبة من التربصات الميدانية وأثرها في ردم الهوة بين الدراسة النظرية والممارسات العملية.

حاولت الدراسة من خلال عبارات المحور الثاني قياس تحقق بعض المهارات التقنية المكتسبة من قبل العينة وتأثيرها على تقليص الفارق بين الدراسة النظرية والممارسات العملية وكانت النتائج ممثلة في الجدول التالي:

الجدول 2. المهارات التقنية المكتسبة خلال فترة التربص

العبارة	نعم		إلى حد ما		لا	
	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %
أتاح لي التربص الميداني فرصة ترجمة معارفي النظرية إلى ممارسات عملية تطبيقية	5	10.86	25	54.34 %	16	34.78 %
بعد فترة التربص تعمق لدي الفهم العملي الدقيق لسيرورة السلسلة الوثائقية.	6	13.04 %	22	47.82 %	18	39.13 %
مكنني التربص من التعرف على إجراءات تقديم خدمات الإعارة والإرجاع والقوانين المسيرة لهما.	32	%69.56	08	%17.39	06	%13.04
الممارسة العملية لوظائف الفهرسة والتصنيف بشكل مكثف مكنني من تعميق الفهم حولهما.	9	%19.56	10	%21.73	27	%58.69
قيامي بتكشيف مقالات الدوريات سمح لي بمعرفة الطرق العملية لذلك.	5	%10.86	10	%21.73	31	%67.39
تعودت من خلال التربص على التعامل بسهولة مع مختلف التقنيات التكنولوجية المستعملة.	10	%21.73	20	%43.47	16	%34.78

المصدر :إعداد الباحثين

من المنتظر أن يسمح التدريب الميداني للطلاب بمعهد علم المكتبات والذي تم إجرائه في عدد من المكتبات بصهر المعارف النظرية والمفاهيم العلمي التي تلقاها الطلاب في قالب عملي وممارسة تطبيقية غير أن الملاحظ من نتائج المحور الثاني أن هذا التربص لم يخرج بالنتائج المتوخاة حيث عارضة ما نسبته 34.78% من أفراد العينة الفكرة كما أعرب عن موافقتهم المتحفظة ما يدل على عدم توافق الميدان مع ما كان متوقعا من قبلهم، كم أكدت ما يقارب نصف العينة (47%) على ضعف التتبع الميداني لسيرورة الوعاء في سلسلته الوثائقية لوجود بعض الحلقات الناقصة وبعض المصالح التي لم تتح الفرصة لزيارتها ، كما نفت غالبية العينة كون الممارسة العملية لوظائف الفهرسة والتصنيف بشكل مكثف مكنت من تعميق الفهم حولهما بنسبة (58%)، وتبقى الخدمة الوحيدة التي قضى الطلبة الوقت الكافي في ممارستها هي خدمة الإعارة ويرجع الأمر إلى الضغط الدائم على هذه المصلحة وبتالي يجد المسؤولين طلبة التربص بدائل لتغطية هذا العجز. وتوافق هذه النتائج مع دراسة نعيمة حسن رزوقي(نعيمة حسن رزوقي،1423) حيث توصلت الدراسة إلى انه تم إجراء تعديلات أساسية في برنامج علم المكتبات والمعلومات في جامعة السلطان قابوس مع التركيز على التدريب الميداني وزيادة الأيام المخصصة للتدريب من يوم واحد أسبوعيا على مدى فصل دراسي واحد إلى يوم أسبوعيا على مدى فصلين دراسيين مع تحديد موعد التسجيل في مادة التدريب بحيث يكون خلال الفصلين السابع والثامن من البرنامج ، وأشارت الدراسة إلى أنه يتم توزيع الطلاب على مكتبات المعاهد والكليات بإشراف أعضاء هيئة التدريس ويشترك في تقييم المتدربين مسئولو المكتبات بإعداد تقارير مفصلة ، وأكدت الدراسة على أن التعديلات التي أجريت على برنامج قسم المكتبات والمعلومات في جامعة السلطان قابوس جاءت نتيجة طبيعية لحرص الجامعة على تأهيل الدارسين حتى يتمكنوا من التفاعل مع سوق العمل واحتياجات الوظيفة خصوصا فيما يتعلق بمسايرة عصر المعرفة والرغبة في تعزيز قدرات الخريجين وتزويدهم بمهارات تصميم قواعد البيانات .

المحور الثالث: المهارات الاتصالية المكتسبة من التربصات الميدانية وأثرها في ردم الهوة بين الدراسة النظرية والممارسات العملية.

تعد مهن المكتبات والتوثيق من أهم المهن التي ترتكز بشكل كبير على مهارات الاتصال والتواصل لارتباطها الوثيق بخدمات ومنتجات مقدمة إلى فئات مختلفة ومتنوعة من المستفيدين من جهة ولصلتها الوثيقة بشريحة عريضة من المتعاملين كالناشرين والموزعين والمؤلفين ومؤسسات المجتمع المحلي والمؤسسات الشقيقة من جهة ثانية وارتباطها الوثيق بعالم المعرفة الواسع والأطراف الفاعلة في صناعة المعلومات بشكل عام، ويعد اكتساب وتنمية وتطوير هذه المهارات من أهم مقومات المكتبي أو أخصائي المعلومات الناجح والفاعل في بيئته وتنمو هذه المهارات خلال مراحل الإنسان المختلفة خصوصا في مرحلة الدراسة الجامعية وتتطور وتنضج من خلال ممارسة المهنة والخبرة، ولقد حاول الباحثان من خلال عبارات المحور الثالث الوقوف على أهم المهارات الاتصالية والتي يُمكن اكتسابها أو تطويرها أثناء فترة التربص من تقليص الفارق بين الدراسة النظرية والممارسات العملية وكانت النتائج ممثلة في الجدول التالي:

الجدول3: المهارات الاتصالية المكتسبة من التربصات الميدانية،

المصدر : إعداد الباحثين

من خلال المحور الثالث تبين أن نسبة الإفادة من تطوير أو اكتساب كانت ضعيفة في العديد من المهارات على غرار مهارات العمل الفريقي وشروط العمل الجماعي والتي بلغت نسبة رفض العبارة (60.86%)، وكذلك مهارة توثيق الأنشطة والفعاليات اليومية بشكل مستمر والتي فاقت نسبة المعارضة عليها (72%) وكذلك كيفية التعامل مع الرؤساء والإجراءات الإدارية الصحيحة لذلك والتي أعرب الطلبة عن ضعف ترضهم للتعامل مع الرؤساء

العبارة	نعم		إلى حد ما		لا	
بعد التربص الميداني تعززت معرفي بالاتجاهات السلوكية الواجب توافرها في أخصائي المعلومات.	23	%50	11	23.91 %	12	26.08 %
تعلمت من تجربتي العملية القصيرة من خلال مهارات العمل الفريقي وشروط العمل الجماعي.	10	21.73 %	8	17.39 %	28	60.86 %
كان التربص الميداني فرصة سانحة لمعرفة فئات المستفيدين من خدمات المكتبة وكيفية التواصل معهم	20	%43.47	19	%41.30	7	%15.21
تعودت أثناء التربص على توثيق الأنشطة والفعاليات اليومية التي أنفذها بشكل مستمر.	11	23.91 %	00	%00.00	35	72.08 %
كان التربص فرصة لتعلم تقنيات الاتصال الكتابي وكتابة التقارير .	12	26 .08 %	10	21 .73 %	25	.34
تعودت من خلال فترة التربص كيفية التعامل مع الرؤساء والإجراءات الإدارية الصحيحة لذلك .	5	%10.86	11	%23.91	30	%65.21

المباشرين أو حتى مدراء المكتبات. بينما تعد مهارة التعرف والاحتكاك المباشر مع مختلف فئات المستفيدين من خدمات المكتبة وكيفية التواصل معهم هي المهارة الوحيدة التي أغرب غالبية الطلبة باستفادتهم منها بشكل لا بأس به وهذا راجع كما سبق الإشارة إليه للفترة المعتبرة التي قضوها في بنك الإعارة، وتتفق هذه النتائج مع نتائج دراسة السالم والتي توصلت إلى أن غالبية البرامج التدريبية تفتقر إلى تلبية الاحتياجات الحقيقية لمهنة المعلومات الأمر الذي يتطلب الخروج عن المواضيع التقليدية والعمل على تقديم مواد لها علاقة بالتطورات الحديثة، وكشفت الدراسة أن هناك جهودا مبعثرة من قبل المؤسسات المسئولة عن تقديم البرامج التدريبية ولا توجد جهة تتولى التنسيق والمتابعة وأوصت الدراسة بضرورة تكثيف الجانب العملي المتمثل في البرامج التدريبية والابتعاد بها عن الجوانب النظرية التي لا تمثل إضافة حقيقية للمتدرب كما أوصت بالقيام بدراسات علمية تقويمية شاملة للبرامج التدريبية بحيث يشمل التقويم المحتوى الموضوعي والتنظيم وأسلوب التعليم ونوعية البرامج وذلك بغرض التعرف على جوانب القوة والضعف فيها ومن ثم معالجة السلبيات وتحسين مستوى تلك البرامج.

4. نتائج الدراسة:

توصلنا من خلال هذه الدراسة إلى ضعف مخرجات العملية التدريبية التي خضعت لها العينة المبحوثة والنقص الواضح في المهارات العملية المكتسبة سواء على مستوى المهارات العامة المتعلقة بالعمل المكتبي والاتجاهات نحو المهنة المكتبية ورسالتها أو على مستوى المهارات التقنية والتي يفترض أن يكون مكان التربص الحاضنة التي تصهر المعارف النظرية لإعادة تشكيلها في ممارسات عملية كما توصلت الدراسة إلى المستوى المتدني للمهارات الاتصال المكتسبة أو المطورة من خلال التربص الميداني الذي خضعت له عينة الدراسة.

وخلاصة القول أنه يجب إعادة الاعتبار للتربصات الميدانية والنظر في المساواة بينها وبين المقررات النظرية، وإعادة بناء خطة واضحة المعالم للارتقاء بها وتطويرها وفق ما يتماشى والقواعد المعمول بها على مستوى الدول الرائدة.

قائمة المراجع :

- بلقاسم، يخلف(2007)، المدارس العليا للأساتذة :دراسة وصفية لمدى مساهمة التدريب الميدانية في تكوين الطالب - الأستاذ، دكتوراه منشورة على الخط المباشر، متاحة على الرابط :
bu.umc.edu.dz/theses/psychologie/AYAK2456.pdf (زيارة يوم 2017/06/12)
- طارق عبد الرؤوف عامر(2008)، التربية العملية نظم معاصرة، القاهرة، دار السحاب. (بتصرف)
- عبد الرشيد بن عبد العزيز حافظ، خطة مقترحة لتدريب طلاب أقسام المكتبات والمعلومات، على الخط المباشر ،متاح على الرابط:
aahafez.kau.edu.sa/GetFile. (زيارة يوم :2017/06/12)
- مصطفى عبد السميع محمد وسهير حوالة(2005)، إعداد المعلم تنميته وتدريبه. عمان: دار الفكر. (بتصرف)
- نعيمة حسن رزوقي (1423)، برنامج علم المكتبات والمعلومات في جامعة السلطان قابوس: دراسة تحليلية، مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية، مج 8 ، ع 2 ،
- stage de formation: stage formation professionnelle et formation continue.http://www.stagedeformation.com/
- isabelle dion .guide de stage cours : arv1057 stage, programme : certificat en archivistique. école de bibliothéconomie et des sciences de l'information. version électronique : http://www.ebsi.umontreal.ca/ressources-services/stages/.
- legendre ; r.dictionnaire actuel de l'education .paris : larousse ;1988.p520.

مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ر ت م د: 7163 -1112 ر ت م د إ:1892-2588
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2

المعوقات الإعلامية و الإدارية لتجربة المرافقة البيداغوجية في الجامعة الجزائرية _ دراسة ميدانية على عينة من طلبة السنة الأولى جامعي بجامعة قاصدي مرباح ورقلة_

Media and administrative obstacles to the experience of pedagogical escort at the Algerian University _ Field study on a sample of first-year university students at the University of KassadiMurbah and Ouargla

أسماء جعني[1] ، عاشورة نفنوف[2]

1- جامعة قاصدي مرباح ورقلة،asmaasma0511@gmail.com
2- جامعة غرداية، achouranef1980@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/05/10 تاريخ القبول: 2021/02/16

ملخص بالغة العربية:

تهدف هذه الدراسة إلى معرفة أهم معوقات المرافقة البيداغوجية لطلبة السنة الأولى جامعي المتعلقة بالجانب الإعلامي والإداري ، وبيان اختلاف المعوقات بكل من الجنس، والتخصص .

وقد اتبعنا المنهج الوصفي الاستكشافي في دراستنا، حيث شملت العينة 660 طالب بجامعة قاصدي مرباح ورقلة ، واختيروا بطريقة عشوائية وطبقت على هذه العينة أداة لجمع البيانات (الاستبيان) والمتكون من 11 بندا و توصلنا إلى النتائج التالية:

على أنه توجد معوقات في الجانب الإعلامي و الإداري بدرجة متوسطة ، وقد بينت النتائج أيضا على عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في معوقات الجانب الإعلامي و الإداري تعزى إلى متغير الجنس و التخصص.

الكلمات المفتاحية:

معوقات الإعلامية و الإدارية – المرافقة البيداغوجية - الجامعة الجزائرية - طلبة السنة الأولى

المؤلف المرسل: عاشورة نفنوف، achouranef1980@gmail.com

Abstract:

This study aims to know the most important obstacles to firstyear university students' pedagogical accompaniment related to the media and administrative aspect, and to show the difference in the obstacles in both gender and specialization.

We followed the exploratory descriptive approach in our study. The sample included 660 students from kasdi Merbah University Ouargla, and they were randomly selected and applied to this sample The data collection tool was a questionnaire which consists of 11 items, and we reached the following results:

Although there are obstacles in the media and administrative aspects of a moderate degree, the results also showed that there are no statistically significant differences in the media and administrative obstacles due to the variable of gender and specialization.

Key words:

Media and Administrative Obstacles - Teaching Accompaniment - Algerian University - First Year Students

1 - مقدمة:

أدرجت الجامعة الجزائرية بعض الإصلاحات في إطار تحقيق التكامل بين نظامنا التعليمي، و بقية الأنظمة التعليمية الأخرى التي تطبقها العديد من البلدان، فقد أبرزت اللجنة الوطنية لإصلاح المنظومة التربوية معظم العوائق التي تعاني منها الجامعة، بالإضافة إلى ايجاد بعض الحلول التي يجب إدخالها و استغلالها لتمكين الجامعة بالقيام بدورها.

وعليه كان النظام الجديد ليسانس ماستر دكتوراه (LMD) يندرج ضمن هذا المسعى الذي يستجيب لأهداف الإصلاح و يحقق تناغم التعليم الوطني للتعليم العالي في العالم، هذه الهيكلة الجديدة لنظام التعليم أوجد بما يسمى بالمرافقة البيداغوجية التي أقرها المرسوم التنفيذي رقم 09 -03 مؤرخ في 06 محرم عام 1430 الموافق لـ3 يناير سنة 2009 من خلال المادة 01 : يهدف هذا المرسوم إلى توضيح مهمة الإشراف و تحديد كيفيات تنفيذها.

2 -مشكلة الدراسة:

الحياة الجامعية هي نقطة تحول جديدة، و مغايرة للإنسان حيث يرى من خلالها الكثير من الأمور، خصوصا عند مواجهته لتجارب جديدة سواء عن طريق الانفتاح الاجتماعي أو عن طريق زيادة الوعي المعرفي ،فيقضي الطالب عدة سنوات في الجامعة يتعرض من خلالها للعديد من الصعوبات و التحديات و خاصة في السنة الدراسية الأولى ، حيث تعد تحديا صعبا لمعظم الطلبة وهذا لكونها مرحلة انتقالية من الحياة المدرسية إلى الحياة الجامعية؛ مما يجعله يعيش صراعات بين الاحتياجات و الصعوبات التي يواجهها في التكيف الاجتماعي و الأكاديمي و ينتج عنها أزمات نفسية.

لذلك يعتبر التعليم الجامعي أحد أهم ركائز التنمية البشرية، و ذلك أنه يهتم بإعداد الكفاءات المتخصصة في مختلف المجالات، وكلما كان التعليم الجامعي ذا جودة كلما كانت الكفاءات ذات جودة ،و التدريس الجامعي باعتباره أحد الأهداف الأساسية للجامعات و المعاهد العليا بحيث يرتبط بمجموعة من العوامل تتمثل في الأستاذ الجامعي، و الطلبة و المناهج الجامعية و إدارة الجامعات وهذه العوامل تتداخل مع بعضها لتؤثر على نوعية وجودة التدريس الجامعي سلبا أو إيجابا . وبقدر توفر متطلبات الجودة في كل هذه العوامل تكون جودة التدريس الجامعي.(محمد الطاهر طبعلي، شعبان بالقاسمي،2013،ص9)

ولمجابهة كل التحديات السالف ذكرها و أملا في تحقيق جودة التعليم العالي تحاول الجزائر الاستفادة من التجارب الناجحة التي أثبتت نجاعة اعتماد إصلاحات عميقة في منظومة التعليم و التكوين الهادفة إلى ضمان الجودة الشاملة و تطوير الاهتمام بالبحث العلمي، ومن هذا المنظور جاء إصلاح النظام الجامعي الجديد المدرج من قبل وزارة التعليم العالي و البحث العلمي إلى جعل الشهادات و طلبات التكوين و التخصصات أكثر وضوح ،حيث انه يحدث انسجام محكم في المسارات الجامعية، مع التسهيل في مقارنة الإجراءات و محتويات التكوين على المستوى الوطني و الدولي إن هذا الإصلاح المبني أساسا على نظام ل م د (ليسانس . ماستر. دكتوراه) .

ولقد أولى هذا النظام الجديد اهتماما كبيرا بالطالب باعتباره احد المكونات الثلاثية التعليم (أستاذ، إدارة ،طالب) ومن بين مظاهر هذا الاهتمام نجد إرساء ما يسمى بالمرافقة البيداغوجية فالمرافقة البيداغوجية هي مساعدة الطلبة في نظام ل م د أثناء تكوينهم الجامعي من طرف أستاذ يشرف عليهم يسمى المرافق أو الوصي leTuteur حيث تكون عملية الإشراف على مجموعة من بداية تكوينهم إلى تخرجهم (بن زعموش ، عمروني ، 2013،ص460)

ففكرة مرافقة الطالب أو الإشراف عليه هي من الضروريات و المستجدات التي فرضتها الإصلاحات التعليمية الجديدة و بذلك أصبحت مرافقة الطلبة أمر ملحا، ومهمة واجبة، وذلك بغية تحقيق مردودية عالية في التعليم العالي ، و التي تعتبر خدمة مؤسساتية instutionnel تقدم في الجامعة و لكن توجد بعض الصعوبات التي تعرقل السير الجيد لمهمة المرافقة البيداغوجية وخاصة في ظل الإصلاحات التي عرفتها الجامعة الجزائرية و بالضبط مع ظهور نظام ل م د

وبناءا مما سبق ارتأت الدراسة إلى معرفة ماهي معوقات الإعلامية و الإدارية لتجربة المرافقة البيداغوجية في الجامعة الجزائرية وعليه تطرح جملة من التساؤلات سعت هذه الدراسة للإجابة عن التساؤلات التالية:

-هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في معوقات الإعلامية و الإدارية لتجربة المرافقة البيداغوجية في الجامعة الجزائرية باختلاف الجنس عند طلبة السنة أولى جامعي؟

-هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في معوقات الإعلامية و الإدارية لتجربة المرافقة البيداغوجية في الجامعة الجزائرية باختلاف التخصص عند طلبة السنة أولى جامعي؟

1.2 -أهداف الدراسة: تهدف الدراسة الحالية إلى:

-الكشف عن أهم معوقات الإعلامية و الإدارية لتجربة المرافقة البيداغوجية في الجامعة الجزائرية بغية التركيز عليها في وضع بعض المقترحات و التقليل من الوقع في هذه المعوقات مستقبلا، لتحقيق و اطمئنان على السير الجيد لحصص المرافقة

-محاولة الكشف فيما إذا كانت هناك فروقا في معوقات الإعلامية و الإدارية لتجربة المرافقة البيداغوجية في الجامعة الجزائرية باختلاف الجنس و التخصص.

2.2 -التعريف الإجرائي لمتغير الدراسة:

المرافقة البيداغوجية: هي استقبال الطلبة (السنة الأولى جذع المشترك) بعد الأوقات البيداغوجية الرسمية المسطرة من طرف الإدارة لغرض تقديم مساعدات تعليمية.

-معوقات الإعلامية و الإدارية: ونقصد بها في هذه الدراسة هي الصعوبات التي تعترض طالب السنة أولى عند التحاقه بمقاعد الجامعة تشمل استقبال و التوجيه و الوساطة التي يقوم بها المشرف لخلق علاقة جيدة بين الطالب و المصالح الإدارية وهو الدرجة التي يتحصل عليها المفحوص في الاستبيان المعد من طرف الباحث.

- الطلبة السنة أولى الجامعي: و نقصد بيهم الطلبة الذين يزولون دراستهم الجامعية في السنة الأولى جامعي.

3.2 -حدود الدراسة: تتحدد نتائج الدراسة الحالية بحدودها الموضوعية المتمثلة في متغير المعوقات الإعلامية و الإدارية لتجربة المرافقة البيداغوجية وعينتها المتمثلة في طلبة السنة الأولى جامعي.

3 -الجانب النظري:

1.3 - مفهوم المرافقة البيداغوجية: هي استقبال الطلبة (السنة الأولى جذع المشترك) بعد الأوقات البيداغوجية الرسمية المسطرة من طرف الإدارة لغرض تقديم مساعدات تعليمية تخص المحاضرات ، الأعمال التطبيقية أو الأعمال الفردية التي يجب القيام بها، كما تهدف إلى تلقين المعلومات و المعارف وزيادة مدارك الطلبة في ميادين شتى منها اللغات و الوسائل التكنولوجية و غيرها. (بن زعموش، عمروني،2013،ص460)

-هي عملية تتبنى بيداغوجية القرب، و تعتمد على تأطير و مصاحبة بيداغوجية فردية لطالب أو مجموعة صغيرة من الطلبة تعاني من صعوبات تواصلية و معرفية تعيق المسار الدراسي وهي آلية تيسر عمليات التواصل و التعلم

و الاندماج دون أن يعني ذلك أنها تعوض الدروس المنتظمة التي يتلقاها الطالب في فصل دراسي بل تدعمها حسب مقتض الحالات .

(زهية بعلي، مريامة بريش،2013،ص287)

تعتبر المرافقة من الوسائل العملية ضد الفشل في الجامعة، تعتمد على شكل من مصاحبة المتعلم الذي يحتاج إلى مساعدة مكيفة.

(Magali danner et al.1999.p247)

2.3 -مبادئ المرافقة البيداغوجية:

تتمثل المبادئ الأساسية التي يجب أن تبنى عليها آلية الوصاية في:

الثقة و الاحترام المتبادل: ثقة الطالب بالمشرف و ثقة المشرف بأن للوصاية فائدة على الطالب و التكوين ، و احترام قدرات و إمكانيات الطالب التي تنتظر أحسن الفرص لترتقي.

التعاقد: الوصاية التزام ووعد يقطعه المشرف على نفسه أولا و على الطالب و الجامعة باحترام مواعيد اللقاءات و جعلها ضمن أولويات الأستاذ و ثانيا بأنه موجود لتقديم العون و التوجيه و الإرشاد للوصول بالطالب إلى أكبر قدر ممكن من الاستقلالية و تنمية المبادرة و الحد من الإحباطات التي تعتري الطالب في المواقف الضاغطة.

على كل المعطيات الشاملة المساعدة على وضع استراتيجيات مواجهة **الواقعية و الموضوعية:** و يعني هذا المبدأ ضرورة اعتماد النظرة الواقعية و الموضوعية حيث ينظر إلى الصعوبة أو المشكلة برزانة للأحداث و بدون إهمال واقع الحياة الجامعية و متطلباتها وعدم التسرع في إصدار الأحكام و الاستنتاجات قبل الحصول متطلبات الحياة الجامعية.

المرونة و الدينامكية: المرونة في العلاقة بين المشرف و الطالب وفي الطرق و الوسائل المعتمدة لتقديم الدعم بكل أشكاله للطالب.

الاستشارة: و نقصد بها أن اللقاءات و المواضيع و محتوياتها تبرمج وتقدم بعد الاتفاق و التشاور مع الطالب، والتي تبرز من وراءها الاحتياجات الآنية و الفعلية له، فيعزز لدى الطالب الإحساس بأهميته لدى المشرف ومدى استعداده للتكفل الفعلي بمشكلاته.

الإصغاء: وهو الاهتمام بكل الرسائل المرسلة من الطالب بشكل لفظي أو غير لفظي وهي فرصة لتحقيق الأهداف و تركيز كل الجهود حول احتياجات الطالب في المجال الإداري أو البيداغوجي أو المنهجي أو النفسي.

(بن زعموش، عمروني،2013،ص462)

3.3- أسباب ودواعي المرافقة:

جاء الإحساس بوجوب توفر هذا النشاط المتمثل في المرافقة والوصاية نظرا للعديد من الصعوبات والعراقيل التي تواجه الطالب الجامعي في مختلف مراحل تكوينه سيما:

- عند الدخول الجامعي.
- أثناء اختيار التكوين.
- الحاجة للدعم البيداغوجي.
- الحاجة للمساعدة من أجل القيام بالأعمال الشخصية
- الحاجة إلى الدعم والمساعدة من أجل معرفة أفضل لعالم الشغل وجاء اندماج الفعال فيه. (حماش الحسين،2012،ص1)

4.3 -أهداف المرافقة البيداغوجية:

يسعى نظام الوصاية الذي تم تشريعه من قبل وزارة التعليم العالي و البحث العلمي للنهوض بقطاع التعليم الجامعي عبر مختلف جامعات الوطن إلى تحقيق الأهداف التالية:

- إدماج الطالب في المحيط الجامعي و تسهيل حصوله على المعلومات حول عالم الشغل
- تقليص نسبة الإخفاق و التسرب.
- متابعة الطلبة في مسارهم البيداغوجي ببعض نقائصهم المحتملة.
- دعم الطلبة في اكتساب مناهج العمل الضرورية لنجاحهم.
- تعريف الطلبة بالمناهج الحديثة في البحث المكتبي و التحكم في استعمال التقنيات متعددة الوسائط.
- تعريف و شرح نظام LMD المعتمد بالجامعات و مختلف المسارات و التخصصات، نظم الانتقال و التقويم، العروض.

- مساعدة الطلبة على تنظيم أعمالهم الشخصية(مراجعة المحاضرات، تحضير التمارين إعداد البحوث و الإطلاع على المراجع)
- الاستماع للطلبة لخلق و بناء علاقة وجو من الثقة بينهم وبين الأستاذ الوصي من خلال تقديم الدعم و النصائح.
- التقليص من حجم الشعور بالانطوائية و الإحباط لدى بعض الطلبة بمحاولة تشجيعهم.
- مساعدة الطالب المستجد على تخطي مشكلاته الدراسية و الشخصية.
- توجيه الطالب و إرشاده من جميع النواحي الأخلاقية و الاجتماعية و المهنية وذلك لخلق فرد بناء له دور فعال في بناء المجتمع.
- بحث المشكلات التي قد توجه الطالب في دراسته و العمل على إيجاد الحلول المناسبة لها.
- العمل على اكتشاف المواهب و القدرات الطلابية و الاستفادة منها لتنمية مهارات الطالب و تدعيم ثقته بنفسه و مساعدته على التعرف على جوانب القوة و الضعف في شخصيته.
- إرشاد الطالب إلى طرق الاستذكار المناسبة.
- تعليم الطالب كيفية الاستفادة من أوقات الفراغ.
- توعية الطالب بقواعد و تعاليم الجامعة.
- تأسيس قدرة الطالب على مواجهة التحديات المجتمعية.

(بن زيان و بوطبة،2013،ص359)

5.3 - أهمية المرافقة البيداغوجية:

- إن الوصاية سيرورة معقدة تستدعي التكوين للوصي أولا لتحقيق فعالية الوصاية في الجامعة بهدف الوصول إلى:

بالنسبة للطالب الوصي:

- تقدير أكبر للذات
- استثمار للمكتسبات المنقولة
- ثراء الكفاءات اللغوية
- تحفيز لتعمق المعارف

- تعزيز التقييم الذاتي(مقارنة وضعيته بمكتسباته) ونقل المعرفة إلى الطالب تحت الوصاية

بالنسبة للطالب تحت الوصاية:

- اكتساب المعارف في ظل شروط تعلم العلاقة مع الآخر و تقييمها

بالنسبة للأستاذ الوصي:

- تقييم أحسن للطلبة من خلال التواصل و الملاحظة
- رد فعل اتجاه الاستراتيجيات البيداغوجية.(قريصات الزهرة،2013،ص281)

4 -الإجراءات المنهجية للدراسة:

1.4 -عينة الدراسة :

شملت هذه الدراسة عينة من طلبة السنة الأولى جامعي، تم اختيارهم بطريقة عشوائية، وتكونت العينة من (660) طالب، موزعين حسب متغيرات الدراسة (الجنس - التخصص)

2.4 -أداة الدراسة :

لقد تم الاعتماد لجمع البيانات حول المعوقات الإعلامية و الإدارية لتجربة المرافقة البيداغوجية على استبيان من إعداد الباحثان والمتكون من 11فقرة.

5 -الخصائص السيكومترية لأداة الدراسة:

1.5 -صدق الأداة:

تم عرض الأداة 07على محكمين، و قد أسفرت قبل التصحيح نتائج التحكيم على تعديل مجموعة من البنود التي بلغ عددها 04 بنود وقد تم تعديلها بما أشار به المحكمين و لأن صدق المحكين لا يمكن الاعتماد عليه كمؤشر وحيد للتحقق من صدق البناء قام الباحثان باستخدام صدق الاتساق الداخلي لأجل التأكد من صدق درجات الاستبيان وقد كانت نتائج معاملات ارتباط كل فقرة بالمحور الذي ينتمي إليه دالة هذه النتائج تدل على أن الأداة صادقة في ما تقيسه .كما يوضحه

الجدول(01) يوضح معاملات صدق الاتساق الداخلي لاستبيان المعوقات الإعلامية و الإدارية لتجربة المرافقة البيداغوجية

من أجل معاينة صدق درجات الاستبيان قام الباحثان بحساب معاملات صدق الاتساق الداخلي و نرى انها كل دالة عند مستوى دلالة 0,01 حيث تتراوح معاملات الارتباط ما بين 0,65 إلى 0,31 وهي تعتبر درجة كافية لأغراض الدراسة.

المحاور	معاملات الارتباط	البنـــود	
معوقات الاعلامية و الادارية	تتراوح ما بين 0,65 إلى 0,31	مستوى الدلالة 0,01	مستوى الدلالة 0,05
		11،10،9،8،7،6،5،،3،2،1	/

ثبات الأداة:

من أجل معاينة ثبات درجات الاستبيان قام الباحثان بحساب معامل ألفا كرونباخ، وقد بلغ 0,67 وهي تعتبر درجة كافية لأغراض الدراسة.

- الجدول رقم2:يمثل معامل الثبات لاستبيان معوقات الإعلامية و الإدارية لتجربة المرافقة البيداغوجية

معوقات الإعلامية و الإدارية	قيمة ألفا كرونباخ
عدد البنود (11)	0,67

يتضح من الجدول أن قيمة الثبات تقدر ب (0,67) وهي قيمة عالية تعبر عن ثبات المقياس.

7 -الاساليب المستعملة في الدراسة الأساسية :

اعتمد الباحثان في عملية تحليل البيانات على الأساليب التالية : المتوسطات و النسب المئوية و الوزن النسبي لتحديد استجابات أفراد العينة على فقرات الأداة.

تصحيح الاستجابات: من أجل تصحيح و مناقشة و تفسير نتائج التساؤل الأول اعتمدت المعايير التقويمية الآتية باعتماد معيار القياس هو: الحد الأعلى – الحد الأدنى \ 3 أي 3 -1 \3 = 0,67

- **يكون الاتجاه منخفضا، إذا كان المتوسط الحسابي أقل من (1,67)**

-يكون الاتجاه متوسطا، إذا كان المتوسط الحسابي يتراوح ما بين (1,67 -2,34)

- **يكون الاتجاه مرتفعا، إذا كان المتوسط الحسابي أكثر من (2,34).**

(عز عبد الفتاح،2008،ص538)

وفي مايلي عرض و تحليل و تفسير لنتائج استجابات الأفراد العينة حول التساؤل حسب أبعاد الدراسة

8 - عرض و تفسير نتائج الدراسة:

عرض و تفسير نتائج التساؤل الأول:ماهي المعوقات الإعلامية و الإدارية لتجربة المرافقة البيداغوجية في الجامعة الجزائرية؟

الجدول رقم(03) يوضح المعوقات الإعلامية و الإدارية لتجربة المرافقة البيداغوجية في الجامعة الجزائرية

الرقم الترتيبي	العبارة	مجموع الاستجابات	المتوسطات	الانحراف المعياري	التقويم
01	أجد صعوبة في معرفة المكان المخصص لحصة المرافقة	1400	2,121	0.789	متوسطة
02	توجد رزنامة خاصة بأوقات المرافقة البيداغوجية مسطرة من طرف الإدارة	1484	2,248	0.847	متوسطة
03	توفر لي إدارة القسم معلومات كتابية ومطبوعةعن الهياكل التنظيمية للجامعة كمدير الجامعة و الكليات و الأقسام و المكتبات و الخدمات الجامعية لكل الطلبة	1379	2,089	0.833	متوسطة
04	يتم إعلامي بشكل كاف عن عملية المرافقة البيداغوجية و أهميتها في مسار التكويني و في نظام LMD.	1402	2,124	0.778	متوسطة
05	توفر لي إدارة القسم فضاءات ملائمة لعملية المرافقة البيداغوجية	1541	2,334	0.746	متوسطة
06	أجد صعوبة في التحصل على معلومات خاصة بالشعب المرافقة لتخصصي	1349	2,043	0.833	متوسطة
07	يصعب علي التواصل مع أستاذ مرافق من أجل للحصول على أي استشارة توجيهية	1357	2,056	0.795	متوسطة

08	يتم إعلامي بشكل كاف عن المتطلبات المرافقة لمراحل التكوين(الليسانس و الماستر و الدكتوراه	1314	1,990	0.780	متوسطة
09	يتم إعلامي بشكل كاف عن ضرورة حضور حصص المرافقة البيداغوجية	1313	1,989	0.817	متوسطة
10	أجهل بعض الواجبات و خاصة على صعيد السلوك داخل الحرم الجامعي	1407	2,131	0.812	متوسطة
11	ينقل المشرف على المرافقة انشغالاتي إلى الإدارة	1432	2,169	0.819	متوسطة
المجال الكلي و المتوسطات الحسابية و النسب المئوية و معيار التقويم للمعوقات الإعلامية و الإدارية		2.021	4.189	متوسطة	

- **من خلال الجدول يتضح بأن طلبة السنة الأولى يواجهون معوقات تتعلق بالجانب الإعلامي و الإداري:**

بدرجة متوسطة: نجد ذلك في العبارات التي تقع متوسطاتها الحسابية في المجال (1.98 -2.33)؛ وهي أجد صعوبة في معرفة المكان المخصص لحصص المرافقة البيداغوجية بمتوسط حسابي قدره (2.12)، وانحراف معياري قدره (0.789)، توجد رزنامة خاصة بأوقات المرافقة البيداغوجية مسطرة من طرف الإدارة بمتوسط حسابي قدره (2.248) و انحراف معياري قدره (0.847). توفر لي إدارة القسم معلومات كتابية ومطبوعةعن الهياكل التنظيمية للجامعة كمدير الجامعة و الكليات و الأقسام و المكتبات و الخدمات الجامعية لكل الطلبة بمتوسط حسابي قدره (2,089)، وانحراف معياري قدره (0.833). يتم إعلامي بشكل كاف عن عملية المرافقة البيداغوجية و أهميتها في مسار التكويني و في نظام LMD بمتوسط حسابي قدره (2,124) ، وانحراف معياري قدره (0.778).

توفر لي إدارة القسم فضاءات ملائمة لعملية المرافقة البيداغوجية بمتوسط حسابي قدره(2,334)، وانحراف معياري قدره (0.746) .أجد صعوبة في الحصول على معلومات خاصة بالشعب المرافقة لتخصصي بمتوسط حسابي قدره(2,043)، وانحراف معياري قدره(0.833). يصعب علي التواصل مع أستاذ مرافق من أجل للحصول على أي استشارة توجيهية بمتوسط حسابي قدره(2,056)، وانحراف معياري قدره(0.795). يتم إعلامي بشكل كاف عن المتطلبات المرافقة لمراحل التكوين(الليسانس و الماستر و الدكتوراه) بمتوسط حسابي قدره(1,990)، وانحراف معياري قدره(0.780). يتم إعلامي بشكل كاف عن ضرورة حضور حصص المرافقة البيداغوجيةبمتوسط حسابي قدره(1,989)، وانحراف معياري قدره (0.817). أجهل بعض الواجبات و خاصة على صعيد السلوك داخل الحرم الجامعي بمتوسط حسابي قدره (2,131)، وانحراف معياري قدره (0.812). ينقل المشرف على المرافقة انشغالاتي إلى الإدارةبمتوسط حسابي قدره(2,169)، وانحراف معياري قدره (0.819)

أما المتوسط العام للبعد يساوي مجموع العبارات مقسوم على عدد العبارات.

و بما أن قيمة المتوسط الحسابي العام للبعد (2.02)، فهذا يعبر عن درجة متوسطة لحدة المعوقات المرافقة البيداغوجية لطلبة السنة الأولى متعلقة بالجانب الإعلامي و الإداري.

ويفسر ذلك بعدم إعلام الطلبة بشكل كاف عن عملية المرافقة و أهميتها في مسار التكويني في نظام ل م د و بضرورة حضور حصص المرافقة البيداغوجية يؤدي إلى عزوف الطلبة عن حضور حصة المرافقة وعدم إعلام الطلبة بشكل كافي عن المتطلبات المرافقة أهميتها بالنسبة لمراحل التكوين القادمة (الليسانس و الماستر و الدكتوراه) ، بالإضافة إلى انعدام قاعات خاصة بهذه الحصة يجعل الإدارة تهمل برمجة الحصص مع تحديد القاعات مما يوفر عن الأستاذ و الطالب البحث عن قاعات من اجل تطبيق هذه الحصة.

و تتفق دراستنا مع دراسة(بودوح محمد و أحمد فاضلي) وانطلاقا من نتائج الدراسة الميدانية التي قام بها يتضح أن نسبة 74,9٪ من الطلبة لم يتلقوا أي معلومات عن سير نظام الجامعة بما في ذلك حقوق وواجبات الطالب،

والمكافآت والعقوبات، طرق و قنوات التظلم و الشكوى، آليات التكوين و عمل اللجان البيداغوجية....الخ . فقلة الإعلام في الأوساط الطلابية عن نظام ل.م.د يجعلهم لا يعرفون شيئا عنه و لا عن مستقبلهم التعليمي.

(بودوح محمد و أحمد فاضلي ، 2013،ص254)

وزيادة على عدم التوافق بين تكوين الحائز على شهادة البكالوريا و متطلبات مواصلة تكوين جامعي، فإن استقبال الطالب لا يتم بطريقة جيدة، ولا يتم إعلامه بالقدر الكافي بالتكوينات و قواعد الجامعية و الفضاءات البيداغوجية. (الندوة الوطنية للقطاع الاقتصادي و الاجتماعي و المخصصة لتقييم نظام ل.م.د ،2016، ص42 -44)

عرض و مناقشة نتائج التساؤل الثاني:

-هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في معوقات الجانب الإعلامي و الإداري من وجهة نظر الطلبة تعزى لمتغير الجنس؟

-الجدول رقم(04)يوضح دلالة الإحصائية في معوقات الجانب الإعلامي و الإداري من وجهة الطلبة تعزى لمتغير الجنس.

عينة الطلبة سنة أولى(اناث) ن= 510		عينة الطلبة سنة أولى (ذكور) ن= 150		"ت" المحسوبة	درجة الحرية	مستوى الدلالة
م	ع	م	ع			
23,409	3,930	22,926	3,789	1,334	658	غير دال عند 0,05

يتضح من خلال الجدول أن عدد الطالبات في السنة الأولى يساوي 510 أكبر من عدد الطلبة السنة الأولى الذكور الذي يساوي 150 أما بالنسبة للمتوسط الحسابي لعينة الطالبات الإناث الذي يقدر ب 23,409 أكبر من المتوسط الحسابي لعينة الطلبة الذكور و الذي يقدر ب 22,926 و الانحراف المعياري بالنسبة لعينة الطالبات الإناث و الذي يقدر ب 3,930 أكبر من الانحراف المعياري لعينة الطلبة الذكور و الذي يقدر ب 3,789 و قيمة ت المحسوبة التي تساوي 1,334 في درجة الحرية التي تساوي 658.

إذن فهي غير دالة عند مستوى 0,05، أي لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في معوقات الجانب الإعلامي و الإداري من وجهة نظر الطلبة تعزى لمتغير الجنس. ويتفق كل من الذكور و الإناث على وجود معوقات في الجانب الإعلامي والإداري بنفس الدرجة حيث أكد كل من الطلبة الذكور و الإناث أنهم يعانون من عدم ووجود إعلام كاف يبرز أهمية حضور حصة المرافقة. فنرى أن كل من الطلبة الذكور و الإناث لهم نفس الحاجات الإرشادية، فالطالب عند دخوله الأول

إلى الجامعة سواء كان ذكر أو أنثى فهو محتاج إلى نفس الإرشادات التي تخص الجانب الإعلامي و الإداري فهذا الجانب مهم بدرجة كبيرة بالنسبة للطلبة الجدد فغياب دور الأستاذ الوصي يعرقل سير عملية الاستقبال و التوجيه و الوساطة فنجد المشرف على المرافقة لا يبلغ المهام الموكلة إليه للطالب وبالمقابل عدم نقل انشغالاته بالإضافة إلى عدم تقديم يد المساعدة لإيجاد حلول للمشاكل و المعوقات التي تصادفه لأول مرة . فلا يوضح له معنى مصطلحات نظام ل.م.د و كيفية التقييم و الانتقال مع العلم أنه يجهل هياكل الجامعة و كيفية تنظيمها و أدائها .

عرض نتائج التساؤل الثالث:

-هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في معوقات الجانب الإعلامي و الإداري من وجهة نظر الطلبة تعزى لمتغير التخصص؟

-الجدول رقم(05)يوضح دلالة إحصائية في معوقات الجانب الإعلامي و الإداري من وجهة الطلبة تعزى لمتغير التخصص.

العينة	مصدر التباين		درجة الحرية		ف المحسوبة	دلالة الاحصائية	مستوى الدلالة
660	بين المجموعات	داخل المجموعات	بين المجموعات	داخل المجموعات	1,802	0,83	غير دالة عند 0,05
	81,988	9950,12	3	656			

يتضح من الجدول أن حجم العينة لطلبة السنة الأولى بلغ (660) تقدر نسبة التباين بين المجموعات بلغ (81,988) في حين بلغ نسبة التباين داخل المجموعات ب(9950,612)، حيث قدرت درجة الحرية بين المجموعات ب(3) أما داخل المجموعات ب(656) وقدرت (ف) المحسوبة ب(1,802) أما ف المجدولة تم التوصل إلى عدم وجود فروق في معوقات الجانب الإعلامي و الإداري حسب متغير التخصص، وهذا يرجع إلى أن معوقات الجانب الإعلامي و الإداري لا يتأثر بنوعية التخصص؛ و هذا لأن كل طلبة السنة الأولى عند التحاقهم بالجامعة مهما كان التخصص الذي سجلوا فيه سوف يواجهون نفس المعوقات والصعوبات. فالطلبة لم يتلقوا أي شروحات أو معلومات عن سير نظام الجامعة بما في ذلك حقوقهم وواجباتهم، المكافآت و العقوبات، و الشروحات الكافية عن إجراءات التقويم و الانتقال في نظام ل.م.د (الأرصدة، القروض، الديون، تغيير التخصص).

ومن بين المشاكل الإدارية التي يعاني منها طلبة ل.م.د حسب نتائج الاستبيان : البيروقراطية و صعوبة الاتصال مع المسؤول، تهميش الطلبة و عدم الإنصات لمشاكلهم و تأخر تسليم الوثائق الخاصة بالطلبة (الشهادات ، كشوف النقاط، البطاقات...الخ)كما لا يتم إعلامه بكل المستجدات و التغيرات الخاصة بالنظام ال.م.د في الوقت المناسب مما يعيق مواكبتهم للتطورات الحاصلة و التي لها علاقة بتكوينهم الأكاديمي مما أدى في الأخير وحسب نتائج استطلاع أراء الطلبة إن النسبة الكبيرة منهم (66٪) متشائمين تماما بخصوص مستقبلهم المعرفي و المهني في ظل نظام ل.م.د(مستقبل غامض). (بودوح محمد، أحمد فاضلي،2013،ص257)

خاتمة:

مقترحات الدراسة:

على ضوء النتائج التي تحصلنا عليها من خلال الدراسة نقترح مايلي :

-إعلام الطلبة بأسباب برمجة حصة المرافقة البيداغوجية و أهميتها من خلال القيام بأيام إعلامية و تحسسية .

-برمجة حصص المرافقة البيداغوجية مثلها مثل حصص الأعمال الموجهة مع الحث على إلزامية حضورها.

-ربط حضور الطلبة للمرافقة بالحصول على تقييم أو نقطة تساعده في حالة تعثره في مساره الدراسي.

-تخصيص قاعات مناسبة لعملية المرافقة البيداغوجية .

-برمجة حصص المرافقة بالتوافق مع الفراغات الموجودة في برامج الأساتذة المرافقين .

خاتمة:

انطلاقا من النتائج المتحصل عليها في هذه الدراسة، وفي ضوء ما تم عرضه في الخلفية النظرية و أدبيات الدراسة، وكل ما يتعلق بمرافقة البيداغوجية و معوقاتها و نظام ل. م. د و انطلاقا من إشكالية الدراسة و تساؤلات الدراسة الحالية، وبعد تطبيقينا لاستبيان المعوقات الإعلامية و الادارية لتجربة المرافقة البيداغوجية في الجامعة الجزائرية و بعدما قمنا بتحليل الإحصائي توصلنا إلى ووجود معوقات في الجانب الإعلامي و الإداري بدرجة متوسطة ، وعدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في معوقات الجانب الإعلامي و الإداري تعزى إلى متغير الجنس و التخصص فنقص الاعلام و الاتصال في الوسط الجامعي يبقي الطالب في حالة جهل تام بنظام التعليم و ثمة عدم إدراكه لما ينتظره في مساره الجامعي وما يتوافق مع مستقبله المهني

المصادر و المراجع العربية:

1. الجريدة الرسمية(2009)، رقم 09 -03 مؤرخ في 3 يناير ،2009
2. الندوة الوطنية للقطاع الاقتصادي و الاجتماعي و المخصصة لتقييم نظام ل.م.د، 2016
3. مد بودوح و أحمد فاضلي(2013)، واقع التعليم العالي في ظل تطبيق نظام ال:ل.م.د ، مداخلة بالملتقى حول إشكالية التقويم و أساليبه في منظومة التعليم الجامعي في ظل نظام ل.م.د
4. الحسين حماش(2012)، المرافقة منهجية عمل في نظام ل.م.د، مداخلة بيوم دراسي حول نظام المرافقة
5. زهية بعلي و مريامة بريشي(2013)،المرافقة البيداغوجية من وجهة نظر الطلبة و الأساتذة الواقع و التطلعات، مداخلة بالملتقى حول إشكالية التقويم و أساليبه في منظومة التعليم الجامعي في ظل نظام ل.م.د
6. التقويم و أساليبه في منظومة التعليم الجامعي في ظل نظام ل.م.د
7. بن زعموش و عمروني(2013)،المرافقة البيداغوجية في نظام ل.م.د خطوة نحو جودة التعليم العالي، مداخلة بالملتقى حول إشكالية التقويم و أساليبه في منظومة التعليم الجامعي في ظل نظام ل.م.د .
8. عز عبد الفتاح(2008)، مقدمة في الإحصاء الوصفي و الاستدلالي باستخدام spss ،ط1، دار خوارزم العلمية، السعودية.
9. بن زيان إيمان و بوطبة نور الهدى(2013)، نحو تفعيل نظام المرافقة بالجامعة الجزائرية في ظل نظام ل.م.د، مداخلة بالملتقى حول إشكالية التقويم و أساليبه في منظومة التعليم الجامعي في ظل نظام ل.م.د

المراجع الاجنبية:

- Magali danner et al, le tutorat dans les universités françaises , revue des sciences de l’education ,vol 25,n°2 ,1999

مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ر ت م د: 7163 -1112 ر ت م د إ :1892-2588
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2

دولة القانون بين الوظيفة والشرعية

The rule of law between function and legality

هدى بلقماري[1]، نادية بن ورقلة[2]
1 -جامعة الجلفة (الجزائر) houda.belek@gmail.com
2 -جامعة الجلفة (الجزائر)nadiscott82@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/10/23 تاريخ القبول: 2021/10/25

ملخص:

إن دولة القانون ليست بالضرورة متميزة بممارسة سلطة مقيدة بمقتضى نصوص دستورية طالما أنها تتعمد سلبية مريبة، لا تستهدف إلا خدمة الصراعات الطبقية والفيئية(القوى الضاغطة) وتتنصل من تجمل مسؤولية تقليص التباين الاجتماعي، لتحقيق حد أدنى من التكافؤ الاجتماعي . بل إن دولة القانون متميزة بممارسة سلطة شرعية تستند إلى إرادة الشعب صاحب السيادة و تعبر عن المشيئة الاجتماعية الواعية، لذا سنهدف في هذا المقال إلى إبراز فكرة أن دولة القانون مفهوما يساوي العدل الاجتماعي والعدل الاجتماعي كهدف مشروع يناشده الجميع، لا يتأتى إلا بوسائل مشروعة. بحيث أن القانون هو أحد الوظائف الأساسية للدولة، بل إنها الوظيفة التي تجسد شرعية الدولة وشرعية مؤسساتها وشرعية ممارستهم للسلطة. وهذا ما سنقف عليه من خلال تقديم قراءات فاحصة، والتركيز على البنى والمحددات مع مراعاة المبادئ القائمة على احترام الحريات الشخصية، وضمان الحريات الفردية، والتشبث بقيمة الإنسان وكرامته.

كلمات دالة:

القانون، سلطة شرعية . إرادة الشعب، العدل الاجتماعي، وسائل مشروعة

المؤلف المرسل: نادية بن ورقلة: nadiscott82@gmail.com

Abstract:

The State Of Law Is Not Necessarily Privileged By The Exercise Of A Power Restricted By Constitutional Provisions Insofar As It Deliberately Is A Suspicious Negative, Aimed Only At The Service Of Class And Physical Conflicts (Powers Of Pressure) And Avoids The General Responsibility Of Reducing Social Inequality. To Achieve Minimum Social Parity. Indeed, The Rule Of Law Is Distinguished By The Exercise Of Legitimate Authority Based On The Will Of The Sovereign People And Expressing The Conscious Social Will. We Will Therefore Aim To Highlight In This Article The Notion That The Rule Of Law Is A Concept Equal To Social Justice And Social Justice As A Legitimate Objective That Is Appealed To All, Only By Legitimate Means. So That The Law Is One Of The Basic Functions Of The State, Rather, It Is The Function That Embodies The Legitimacy Of The State, The Legitimacy Of Its Institutions And The Legitimacy Of Their Exercise Of Power. This Is What We Will Stand For By Providing Careful Readings, Focusing On Structures And Determinants While Respecting Principles Based On Respect For Personal Freedoms, Guaranteeing Individual Freedoms And Upholding Human Worth And Dignity.

Key Words: Law, The Legitimate Power Of The Will Of The People, Social Justice, Legitimate Means.

مقدمة :

إن مفهوم دولة القانون، الذي كثيرا ما يعني سيادة القانون أو سيادة الشرعية القانونية، يقتضي مفهومها أن ينظم القانون كل المجتمع بأفراده و مؤسساته ، و حتى الدولة منتجة القانون يجب عليها التقيد به بل إن المجلس التشريعي ذاته و هو مصدر القوانين ملزم باحترامها بمجرد التصويت عليها وإصدارها، ولقد أثبتت التجارب أن دولة القانون و رغم ما تتيحه من ضمانات لممارسة الحقوق والحريات إلا أنها كثيرا ما تتحول إلى دولة بوليسية بمجرد وقوع اضطرابات داخلية تتسع أو تضيق وربما لا تبرر التدابير المأخوذة ، بل إن التوفيق بين ممارسة الحقوق والحريات من جهة وبين ممارسة السلطة من جهة ثانية يظل هم الجميع و هذا ما سنأتي إلى توضيحه في هذه الورقة البحثية . إن حديثنا على دولة الحق، والقانون يحيلونا إلى طرح سؤال جوهري يراود أي شخص يريد أن يفهم مفهوم هذه الدولة . قد يتساءل الكثيرون : ما هي دولة الحق والقانون ؟

في اعتقادي تحديد هذا المفهوم يختلف من دولة إلى أخرى، ومن وعي مجتمع إلى أخر، ولكن يمكن أن نسجل عدة نقاط للتلاقي وهي بمثابة نقاط ثابتة ذات صبغة كونية فمثلا يمكن أن نقول:

-أنها دولة فيها حق وفيها قانون يسيران المنتسبون إلى -احترام القوانين الموضوعة لتسيير الأفراد، والجماعات قصد تمكينهم من العيش وفق منهج يسود فيه العدل الاجتماعي، وحمايتهم في كل ظرف قد تمس كرامتهم أو يلحق أذى بإنسانيتهم بغض النظر عن الأيديولوجية.

العمل بمقتضيات الحق والقانون في مبدأ فصل السلطة، وتحديد ماهية ومهمة كل سلطة بشكل منفرد حتى لا تتحول ممارسة السلطة إلى فوضى حيث يحظى فيها القانون بالوظيفة التقويمية حتى يكون ميثاق التعامل بين الحاكم والمحكوم دون جواز التصرفات التي لا يرخص بها القانون.

إن تحليل التراث القانوني الذي قدمه علماء وفقهاء القانون كأحد المداخل المميزة لدراسة السلطة القانونية وطبيعة المراكز المهنية للفئات القانونية وأيضا طبيعة المؤسسات القانونية والتي أصبحت جميعها من نطاق اهتمامات كافة العلوم التي تدرس النظام القانوني.

هذا وقد اهتم المختصين بمعرفة كيفية نشأة، تطور وتغير القانون ومواطن الضعف والقوة للروح البشرية وغيرها من القضايا الأخرى التي يتكون منها النظام القانوني وديناميكية بناءه ومؤسساته الاجتماعية.

إن طبيعة اهتمامات الباحثين قد توسعت خاصة بعد أن اعترفت الكثير من الأوساط القانونية لاسيما فقهاء القانون وعلماؤه بأهمية التعاون بين مختلف التخصصات من أجل تحديث الأساليب البحثية والأطر التصورية المتبادلة وتحليل المشاكل، المظاهر والمؤسسات القانونية في المجتمع الحديث كما أدى الصراع الأكاديمي بين علماء النظريات العلمية إلى خلق مظاهر متعددة انعكست في تطوير كل من هذه النظريات. حيث نجد أن دراسات القانون ذات بعد اجتماعي، وأن دراسة القانون من خلال تناوله من طرف مختلف التخصصات الاجتماعية السياسية والاقتصادية يشمل عددا من مجالات المعرفة بها وأن جذور علم الاجتماع القانوني تكمن بصفة رئيسية في فلسفة التشريع، وبالتالي ظهرت

الحاجة إلى النظرة الاجتماعية للثقافة القانونية، والقانون لا يمكن فهمه ودراسته في ذاته بل من النظر إليه كجزء من الوعي الاجتماعي.

بل يتحدد ويكتسب معالمه بارتباطه بالعوامل الاقتصادية والحضارية والاجتماعية التي يعبر عنها، بمعنى ما يقوم به من دور في الحياة الاجتماعية والكشف عن مغزاها الاجتماعي الاقتصادي وعن مكانتها في التنظيم القانوني لعلاقات اجتماعية محددة.

ولقد عقد بمدينة فينا (سويسرا) بتاريخ 12 الى 16 ديسمبر 1978 مؤتمر دولي أشرفت عليه منظمة اليونسكو، حول تدريس حقوق الإنسان ورعايتها وقد عاين المؤتمرين استهتار دول العالم بحقوق الإنسان، وقد تضجروا لذلك. وحتى الدول المتزعمة للديمقراطية، وأحدث التقنيات القانونية والأنماط القانونية، لم تفلت من ذلك، ولئن سعت للتظاهر ببعض الشعارات إزاء مواطنيها المميزين فإنها لا تتحرج من اشفاء غليلها فيما عداهم. وقد رجع المؤتمرون هذه الظواهر المؤسفة الى سببين رئيسيين:

أولهما، أن أغلبية دول العالم تعتبر حقوق الإنسان وحرياته متعارضة مع ممارسة السلطة، شأنها شأن المعلم الذي تعوزه المناهج النفسانية البيداغوجية لإقناع تلاميذه فيلوذ إلى اتهامهم بالجهل والكسل، بل يبادر بضربهم.

وثانيهما، يتأتى من صعوبة إدراج حقوق الإنسان ضمن برامج التعليم لعدم وجود مهن متخصصة متعلقة مباشرة بهذا النوع من القانون ما عدا، ما يناشده أو يبادر به بعض المحامين الملتزمين والشجعان .

-مفهوم دولة القانون:

كانت اهتمامات المثقف عامة والحقوقي خاصة، منغمسة في تفكير مجرد، استهدفت بلورة نظريات مشبعة بالشعارات والزخرفة اللغوية قياسا على السلوك المثالي للفرد المثالي والمجتمع المثالي، ولكنها بعيدة الصلة عن الواقع المعاش، خالية من أدنى رغبة في معرفة المعطيات الاجتماعية والاقتصادية والبنى المؤسسية وبذلك طوقها الكساد لعدم جدواها. ولقد تنبه الحقوقيون منذ زمن ليس ببعيد، إلى أن الظاهرة القانونية ليست تقنيات مجردة. وإنما هي مرتبطة بالمعطيات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فمحورها الأساسي هو الإنسان وموضوعها العلاقات الإنسانية بما تحمله من رواسب تاريخية وما تناشده من

تطلعات آفاقية، إذ أن قيمة أي نمط سياسي يتحدد بمدى تكيفه مع العلاقات الاجتماعية المعقدة. كما أن الدولة هي المنتجة للقانون وهي التي تتكفل بضمان تطبيقه وبذلك فهي تملك الوسائل التي تأثر مباشرة على الحياة الاجتماعية مما يطرح مسألة الأسلوب والكيفية التي تمارس بها السلطة وما تقتضيه من فعالية وصرامة ومدى التوفيق بين ممارسة الحقوق والحريات وما تستلزمه من حصانة. وبذلك تتميز مواصفات دولة القانون بممارسة سلطة دون إكراه ولا ترهيب من جهة، وبين ممارسة الحقوق والحريات دون استهتار ولا تعنت من جهة ثانية. كما أن القانون ليس بالضرورة وسيلة تبجيل حيث يلعب دورا مضادا للتبجيل باعتباره أحد العناصر الموضوعية للتعامل الاجتماعي وتقديرها كمعطيات حقيقية فحقوق الدفاع مثلا ليست عراقيل لمكافحة الإجرام وإنما هي ضمانات حتى لا تعذب عشرات الأبرياء لضبط مجرم واحد والشعب الذي يجد في متناوله وسائل قانونية تمكنه من تقييد فعالية من تسلط عليه يتجاوز مجرد التآوهات والتظلمات التي لا تجد في الوجود وجودا.

إن الدولة ملزمة باحترام القانون بمجرد التصويت عليه وإصداره فيكون بذلك القانون ميثاق الثقة والطمأنينة المتبادلة بين الشعب والسلطة باحترام صيغة الحقوق والواجبات المتقابلة فيعرف الفرد مسبقا ماله وما عليه وتتقيد السلطة بصلاحياتها وحدود اختصاصها، بل ولا تتمتع بالعصمة* في ممارستها للسلطة مما يجعل تصرفاتها تخضع للتحليل والتعليل، ولا تحتكر تقدير الأغراض المستهدفة والتدابير الضرورية، بل يشاركها الشعب في تسيير الشؤون العمومية ويراقبها مباشرة وعن طريق ممثليه. فليس القانون ترجمة لإرادة القوة التي تتمتع بسلطة الإكراه لتمويه الواقع المشؤوم وإنما القانون تعبيرا عن المشيئة الاجتماعية الواعية في مفهومها الايجابي بحيث لا يفرض على السلطة العمومية المواقف السلبية أمام التعنت والاستهتار والتناقضات الاجتماعية ولكن يقيد مسعاها يعدم تجاوز حدود الشرعية. فالقانون ليس مجرد تبرير لممارسة السلطة وإنما ميثاق تعامل تتحصن به القيم الإنسانية والاجتماعية ويحتمي به الفرد ضد التعسف وضد القهر.

إن مواصفات دولة القانون لا تتوفر بمجرد إعلان الحقوق و الحريات والشرعية القانونية وإنما تتوفر بكفالة ضمانات ممارستها و فعالية تقيد

السلطة بمقتضياتها الشيء الذي يحتم وجود مؤسسات عمومية تحرس الحقوق و الحريات و تراقب كيفية ممارسة السلطة، و مدى تقيدها بالقانون، كما يحتم وجود مؤسسات عمومية أخرى (مستقلة عن الأولى و لكنها مكملة لها) تضطلع بالدفاع عن الحقوق والحريات والاعتصام بالشرعية القانونية بل ترتبط بها وجودا و انعداما، إنها مؤسسة الدفاع (المحاماة) .

إن قداسة الحقوق و الحريات، وسيادة الشرعية القانونية و موضوعية العدالة، وجلال المحاماة، لهي عناصر مترابطة سياسيا و قانونيا، ومتكاملة حيث لا يستغني بعضها عن بعض، ومتلازمة مفهوما ومدى إنها لمواصفات الدولة العادلة المصطلح عليها بدولة القانون [7].

-القانون كأداة للتغير الاجتماعي:

تشير العديد من الشواهد التاريخية إلى أن التشريعات القانونية و مشتملات القوانين قد استخدمت بهدوء للحث على إحداث تغيرات اجتماعية واسعة في المجتمع، فمع مجيء القضاة الرومان أصبحت فكرة القانون كأداة للتغير الاجتماعي مفهوما والحراك كانت تشتمل غالبا على استخدام القانون وعلى الرغم من أفكار ماركس وانجلز ولنين بأن القانون هو ظاهرة مصاحبة للطبقة البرجوازية وأنه محكوم عليه بالزوال أو التلاشي ، ومع مجيء الثورة نجح الاتحاد السوفياتي في إحداث تغيرات ضخمة في المجتمع عن طريق استخدام القوانين، و في اسبانيا أثناء فترة الثلاثينات قد استخدم القانون في إصلاح العمل الزراعي و علاقات العمل.

ولقد حاول النازيين الألمان ومن بعدهم في بلدان أوروبا الشرقية إحداث تغيرات اجتماعية في التجارة من خلال استخدام القوانين وذلك عن طريق تأميم الصناعة واستصلاح الأراضي والمزارع الجماعية وتوفير التعليم الحر والصحة العامة وهذا يوضح فاعلية القانون في إحداث التغير الاجتماعي ومن الممكن أن يقدم القانون مداخلات مؤثرة أو فعالة للتغير الاجتماعي، تختلف وفقا للظروف الموجودة في موقف معين، ويرى وليام ايفان أن القانون من المحتمل أن يكون ناجحا في إحداث التغير إذا ما توافرت فيه الشروط الآتية:

1. يجب أن ينبثق من مصدر سلطوي.
2. يجب أن يقدم القانون أسسه المنطقية من خلال مصطلحات يمكن فهمها وأن تكون متوافقة مع القيم الموجودة.
3. أن المؤيدين أو المدافعين للتغير يجب أن يشيروا إلى المجتمعات أو البلدان الأخرى التي كان فيها القانون مؤثرا.
4. أن تنفيذ القانون يجب أن يهدف إلى إحداث التغير في فترة قصيرة نسبيا.
5. أن أولئك القائمون على تنفيذ القانون أنفسهم ينبغي أن يكونوا متوافقين مع التغيرات التي يعتزمون إحداثها عن طريق تطبيق القانون.
6. إن مشتملات القانون ينبغي أن تنطوي على جزاءات ايجابية بالإضافة إلى الجزاءات السلبية.
7. إن منفذي القانون أو القائمون على تنفيذه ينبغي أن يكونوا متعقلين ليس فقط في ضوء استخدام الجزاءات و لكن أيضا في حماية حقوق أولئك الذين انتهكوا القانون.

ومن كل ما سبق نجد أن فاعلية القانون كأداة للتغيير الاجتماعي يحكمه مجموعة من العوامل وأهم العوامل هو كمية المعلومات المتاحة عن جزء معين من التشريع والقرار وعندما تكون هذه المعلومات غير كافية فيما يتعلق بهذه الموضوعات، حينئذ سيكون القانون غير قادرا على إحداث التأثير المطلوب [٢]

-الاتجاه نحو الدراسات الاجتماعية للقانون:

إن مفاهيم القانون ذات نوعية ثقافية وتاريخية خاصة لكن النظريات القانونية غالبا ما تدعي لنفسها عالمية ليست لها وعندما يدرس رجال القانون القوانين والمؤسسات القانونية الثقافات المختلفة فإنهم يبحثون عن معايير ومؤسسات مشابهة في الشكل والوظيفة للمؤسسات الموجودة في بلادهم.

وسواء أكان أساس القانون يفسر أحيانا كتغير عن القيم الثقافية وأحيانا أخرى كإطار منطقي للسلطة، وفي الحقيقة يشمل القانون كلا النوعين وقد قال Friedman أن وظيفة النظام القانوني تتمثل في توزيع القيم التي يشعر المجتمع أنها حق، والتوزيع الذي يحظى بالإحساس بالحق هو ما يشار

إليه عامة بالعدالة وعلى ذلك فإن المجتمع يعرف بأنه كيان اجتماعي ذو قيم مشتركة[سم]

ومن الواضح أن مناقشة فريدمان الموسعة تبين وعيا واضحا بالتقسيم الطبقي الاجتماعي والاختلافات الحادة في المصلحة والسلطة ويحاول أسلوبه الاجتماعي ان يضم الاجتماع والسيطرة في نفس التحليل.

نجد أن أصحاب الاتجاه البنائي الوظيفي قد عدلوا كثيرا من اهتماماتهم المحافظة وتبنو المداخل النقدية كما سعت المادية التاريخية أو الماركسية في تحديث أفكارها النظرية ومعالجتها للقضايا السوسيولوجية والقانونية وهذا ما جاء في تحليلات ما يعرف بالماركسية المحدثة.

بالإضافة لتطور المداخل التنظيمية أثر بالغ في تحديث علم الاجتماع القانوني خلال النصف الأخير من القرن الحالي حيث انعكس هذا الأثر في استخدام هذه المداخل لدراسة السلوك القانوني الذي يعرف بالفئات المهنية القانونية وتحليل السلوك المهني للمحلفين والقضاة و فئة الإداريين العاملين بالمحاكم، كما تعمقت الاهتمامات بصورة أكثر عن طريق استخدام دراسة الحالة للمحاكم سواء لعدد من المحاكم أو القضايا القانونية، وتدخل علماء الاجتماع لتحليل مناقشات وإدعاءات جميع الفئات المهنية القانونية، والتي تندرج في الوقت الحالي تحت ما يعرف بسوسيولوجيا الفئات المهنية القانونية مستخدمة في ذلك أحدث وسائل الدراسة السوسيولوجية التي يمكن عن طريقها دراسة التغير القانوني.

إسهامات و توجهات علماء القانون :

مساهمات علماء الاجتماع في دراسة القانون:

نجد أن روسكوباوندRoscoc Poound (أستاذ فقه القانون و العميد الأسبق لكلية الحقوق بجامعة هارفار بأمريكا) حينما قدم لكتاب جورفتش Gurvitch علم الاجتماع القانوني، أكد هذا الاختلاف وقال إن هذا العلم يعرف في أمريكا باسم:" فقه القانون الاجتماعي " " Sociological jurisprudence "، ذلك أنه إذا كان علم الاجتماع القانوني قد وجد أرضه الخصبة في القارة الأوربية التي يقترن مفهوم القانون في نظرها بما يشير إليه القانون الطبيعي من مثل العدالة و الحق، فإن أمريكا البلد الذي تنمو نموا

عمليا في تناول مشاكل الحياة بطبيعة نشأتها المستحدثة لتأكيد كيانها المستقبل، فالدنيا الجديدة تهتم اهتماما أعظم بفقه القانون الاجتماعي، لأنه أكثر عناية بمشاكل القانون في الحياة العملية.

وتشير الكتابات المتراكمة في التراث القانوني إلى الاختلافات العديدة القائمة بين العلماء في تحديدهم للقانون. فعلى الرغم من شيوع لفظ (القانون) وتداوله على كل لسان باعتبار أن وجوده في المجتمع يعد أمرا واقعيا وملموسا استتبعته طبيعة الحياة الاجتماعية ذاتها من حيث أن هذه الحياة تفترض وجود نظام، أي وجود ضوابط أو قواعد ترسم للأفراد ما يجب أن يكون عليه سلوكهم في المواقف المختلفة، فإن العلماء لم يتفقوا بعد على تعريف واحد له، وإنما يحاول كل منهم أن يعرفه من وجهة نظره الخاصة، ومن هنا نجد أنفسنا أمام عدد هائل من التعريفات التي تتفاوت في البساطة و التعقيد.

- **مساهمة مونتسكيو Montesquieu:**

هناك اتفاق يكاد عاما بين معظم العلماء على أن الدراسة التي قام بها Montesquieu في كتابه "روح القوانين" تعتبر بمثابة أول محاولة في دراسة المجتمع والقانون فهو لم يستمد مبادئه من علم اللاهوت كما فعل فقهاء القانون في العصور الوسطى، أو من العقل الخالص كما فعل فقهاء القانون في القرنين السابع عشر والثامن عشر، أو من الميتافيزيقا كما فعل مؤرخو القانون و فلاسفته في القرن التاسع عشر وإنما استقاها من الوقائع التي قام بجمعها ودراستها في الوقت الذي كان يكتب فيه كتابه هذا، وقد نظر Montesquieuإلى القانون بوصفه جزءا من الحياة الاجتماعية يقف على قدم المساواة مع بقية الأجزاء الأخرى التي تحكم الناس وتوجه سلوكهم، والقانون يتشكل عن طريق المجتمع، وهو نفسه يقوم أيضا بتشكيل المجتمع، فهناك علاقة متبادلة بين القانون والمجتمع، وليست الصلة بينهما من جانب واحد، أي أن القانون لا يفرض على المجتمع فرضا، وإنما هو من صنع المجتمع.

وللتعميق أكثر في هذا الطرح نقدم السؤال الآتي: ماذا يقصد "مونتسكيو Montesquieu" بروح القوانين؟

أولا : القوانين في أوسع معناها:

هي العلاقة الضرورية المشتقة من طبيعة الأشياء، ولجميع الموجودات قوانينها من هذه الناحية، فللألوهية قوانينها وللعالم المادي قوانينه، وللمفاهيم التي هي أسمى من الإنسان قوانينها، وللحيوانات قوانينها، وللإنسان قوانينه[ش].

والإنسان موجودا مدرك، ينقض بلا انقطاع ما شرع الله من القوانين، وهو يغير القوانين التي يضعها بنفسه، وعلى الإنسان أن يدبر نفسه، ومع ذلك فهو كائن محدود الإدراك، فهو عرضة للجهل والخطأ كجميع المفاهيم القاصرة، وما لديه من معارف ضعيفة يفقده أيضا، أي يكون موضعا لألف من الأهواء مثل مخلوق حساس، وأمكن موجودا كهذا أن يغفل عن نفسه في كل حين، فأيقظته الفلاسفة بقوانين الأخلاق، وأمكن الإنسان المفطور على العيش في المجتمع أن ينسى الآخرين فيه، فرده المشرعون إلى واجباته بالقوانين السياسية والمدنية [ك].

والناس إذ هم شعوب مختلفة بحكم الضرورة، تكون لهم قوانين سائدة لصلة هذه الشعوب فيما بينها، وهذه هي حقوق الأمم والناس إذ هم عائشون في مجتمع يجب حفظه، وتكون لهم قوانين سائدة لصلة الأحكام بالرعية، وهذه هي الحقوق السياسية، ويكون للناس أيضا من القوانين ما يسود صلة جميع "الأفراد" فيما بينهم، و هذه هي الحقوق المدنية.

ثانيا: الروح العامة

تسيطر على الناس أشياء كثيرة: الإقليم والدين والقوانين ومبادئ الحكومة، والأمثال الماضية والعادات والأطوار، فيتألف من ذلك روح عامة تنشأ عنه[ك].

يجب أن تكون القوانين –في نظر مونتسكيو - خاصة بطبيعة البلد، خاصة بالإقليم البارد أو الحار أو المعتدل، وبطبيعة الأرض وموقعها واتساعها، وبجنس حياة الأمم، ويجب أن تناسب درجة الحرية التي يمكن أن يبيحها النظام، و دين الرعية وعواطفهم وغناهم وعددهم وتجارتهم وطبائعهم ومناهجهم، ثم يوجد لتلك القوانين صلات فيما بينها، صلات بأصلها وبمقصد المشرع و بنظام الأمور التي قامت عليها، فيجب أن ينظر إليها من جميع هذه الأغراض[ك].

فعلى المشرع أن يتبع روح الأمة إذا لم تناقض مبادئ الحكومة، وذلك لأننا لا نصنع ما هو أصلح مما نصنع عن رضا متبعين ذكائنا الطبيعي.

ولهذا فإن مونتسكيو :

استطاع أن يقول عن القانون، وكان في هذا أكثر من كل من سبقوه فصاحة ومنطقا، "إنه الذي يعبر عما هو كائن فعلا، وليس عما يجب أن يكون" يقدم تبريرا لسلوك الناس ولكنه يفسره [illegible] .

دوركايم Durkheim وأنواع القانون:

يعتبر E. Durkheim رائدا في مجال علم اجتماع القانون فبفضله تغيرت نظرة الباحثين إلى مفهوم القانون وكذا تحددت معه الطرق المنهجية الكفيلة بدراسة القوانين كظواهر اجتماعية.

يبدأ دوركايم تصوره من اعتبار أن الفرد حين يؤدي واجبه كمواطن، وحين ينجز العهود التي أبرمها يقوم بأداء واجبات خارجية حددها العرف والقانون، وعلى الرغم من أنه يشعر بحقيقتها شعورا داخليا، فإن هذه الحقيقة تظل خارجة عن شعوره بها وذلك لأنه ليس هو الذي ألزم نفسه بها ولكنه تلقاها عن طريق التربية[illegible] .

إذن نحن حيال نوع من الظواهر التي تنطوي على صفات ذاتية من جنس خاص جدا، وتنحصر هذه الظواهر في ضروب من السلوك والتفكير والشعور وهي توجد خارج الفرد، وقد زودت بقوة قهر تمكنها من فرض نفسها عليه.

يطرح دوركايم في كتابه "تقسيم العمل الاجتماعي" فكرة مهمة تقربنا أكثر من نظرته للقانون إذ يؤكد أن "التضامن الاجتماعي ظاهرة محض معنوية، وهي في ذاتها لا تنقاد للملاحظة الدقيقة ولا للقياس خاصة، فإذا أردنا هذا التصنيف وهذه المقابلة فلابد إذن من استبدال الحادث الداخلي الذي لا ندركه، بحادث خارجي يرمز إليه... وهذا الرمز المنظور إنما هو القانون، والحق أنه حيث يوجد التضامن الاجتماعي، وبالرغم من صفته اللامادية، فإنه لا يبقى في حالة الإمكان المجرد، بل إنه يعبر عن وجوده بآثار محسوسة".

وعلى ذلك كما يرى دوركايم فإن طريقتنا تبدو مخططة تماما، و لما كان القانون يبرز الصور الأساسية للتضامن الاجتماعي، فما علينا إلا أن نصنف مختلف أنواع القوانين لكي نرى بعد ذلك أية صور للتضامن توافقها... و لا يمكننا أن نستخدم التمييزات المستعملة لدى رجال القانون، و لما كانت هذه

التمييزات قد أنشئت لحاجات علمية، فإنها قد تكون ملائمة جدا من هذه الناحية، و لكن العلم لا يستطيع الاكتفاء بهذه التصنيفات الاختيارية أو التقريبية .

و أشهر هذه التصنيفات ذلك التصنيف الذي يقسم القانون إلى قانون عام و قانون خاص، فالأول ينظر إليه على أنه ينظم علاقات الأفراد بالدولة، و أما الثاني فينظر إليه على أنه ينظم علاقات الأفراد فيما بينهم، و لكن عندما نحاول أن نحدد الألفاظ بشكل أدق، فإن خط الفصل الذي كان يبدو واضحا جدا للوهلة الأولى، يعود فيمجي، إن كل قانون هو خاص، بمعنى أننا دوما و حينما كان اتجاه أفراد يتقابلون و يعملون، و لكن كل قانون بوجه خاص هو قانون عام، بمعنى أنه وظيفة اجتماعية و أن كل الأفراد على اختلافهم في الصور و الأشكال هم موظفون لدى المجتمع [1].

لكننا نلاحظ أن دوركايم اهتم بدراسة نوعية الوظيفة العامة للقانون في المجتمعات البشرية و كيف تطورت هذه الوظيفة في صور شتى من المؤسسات القضائية، و أيضا تحليله للمحاكم العليا أو القضاة العليا في بعض المجتمعات البشرية، وخاصة عندما درس بصورة تحليلية تاريخية و قانونية مقارنة لوظيفة العدالة الرادعة في كثير من المجتمعات القديمة و البسيطة، كما سعى لدراسة العلاقة بين القانون والجزاءات والشؤون المدنية في المجتمع الروماني القديم التي كان يهتم بها بعض القضاة والمتخصصين، أما الشؤون الجنائية فكان يتولاها مجموعة من رجال القضاة أو ما يطلق عليهم بلجنة أو هيئة الشيوخ الرومانية، ثم ناقش دروكايم طبيعة المحاكم والقوانين والتشريعات القضائية التي ظهرت أيضا في المجتمعات اليونانية القديمة، كما اهتم بتحليل نوعية القوانين والتشريعات والمؤسسات القضائية التي كانت توجد في المجتمعات أو الشعوب اللاتينية الألمانية، حيث ظهرت هيئة المحلفين، ولعبت دورا في الحياة القضائية في هذه المجتمعات بالإضافة إلى مناقشته لنوعية العلاقة بين هذه الهيئات القضائية والسلطة السياسية ودور الدولة بصورة خاصة، وإلى أي حد تميزت بعض الطبقات الاجتماعية عن غيرها من الطبقات الأخرى في تطبيق الأحكام والجزاءات .

والتضامن الاجتماعي عند دوركايم قد يكون تضامنا آليا وقد يكون تضامنا عضويا وينشأ التضامن الآلي عادة عن اشتراك الناس في حاجات معينة فيتعاونون للحصول عليها كما يحدث بين أفراد الجماعات أو المجتمعات الصغيرة والمتجانسة، بينما ينشأ التضامن العضوي عن اختلاف الناس في حاجاتهم وقدرتهم على تحصيل الحاجات، فيقسم العمل فيما بينهم على أساس التخصص ويسود هذا النوع من التضامن غالبا المجتمعات المتقدمة نظرا لاتساع وتشعب حضارتها وتعقد حياتها الاجتماعية وتنوع أنشطتها الاقتصادية.

ويقابل هذين النوعين من التضامن الاجتماعي نوعان من القانون هما القانون الرادع والقانون التعويضي، ويقصد دوركايم بالقانون الرادع قانون العقوبات الذي يكون هدفه قمع كل ما من شأنه مخالفة نظام المجتمع والتأثير على التوازن الاجتماعي عن طريق فرض العقوبات الرادعة، ويقصد بالقانون المعوض القانون المدني وهو ذلك القانون الذي يقرر أنواعا من التعويضات والجزاءات لمعالجة الأضرار التي حدثت نتيجة الانحراف عن الضوابط الاجتماعية.

كما يحفظ القانون المعوض أجزاء المجتمع المتباينة في وظائف وفي جماعات فرعية وفي مختلف النشاطات الفردية الشخصية، فالقانون المعوض إذن يتضمن التقسيم الحر للعمل الاجتماعي، وكلما ساد التضامن العضوي في المجتمع تقلص نفوذ قانون العقوبات، وعلى هذا الأساس ينسب دوركايم التضامن الآلي والقانون الرادع إلى المجتمعات البدائية.

ولكي يدلل على صحة رأيه نجده يضرب أمثلة من التاريخ القانوني فيؤكد أنه كلما كان المجتمع تقليديا سادت العقوبات الرادعة ذات الصبغة المتغالية في العنف و كلما كان المجتمع أكثر تطورا كانت العقوبات أخف حتى يكاد يحل التعويض محلها أو محل الردع تماما، ومن هذا العرض المختصر يتضح لنا أن دوركايم قد اهتم بدراسة العلاقة بين المجتمع والقانون على مستويين أولهما المستوى الأفقي أي العلاقة بين نوع القانون و نوع التضامن الاجتماعي الذي يرتبط بدرجة تمايز الأفراد أو عدم تمايزهم على أساس تقسيم العمل في مجتمع ماو هذا المستوى هو التحليل السوسيولوجي للوحدات الصغرى (ميكروسوسيولوجي) .

وثانيهما المستوى الرأسي أو التطوري الذي عالج فيه نشأة وتطور أنماط أنواع القوانين في ارتباطها بنشأة وتطور أنماط المجتمعات أي سوسيولوجيا الوحدات الكبرى (ماكروسوسيولوجي).

هناك فكرة أخرى يطرحها دوركايم وهي أنه لا يمكن أن يدرس المرء النظام السياسي لمجتمع ما إلا إذا درس القانون العام، وذلك لأن هذا القانون هو الذي يحدد ذلك النظام السياسي كما أنه هو الذي يحدد علاقتنا الأسرية والمدنية.

ماكس فيبر Max Weberالقانون وعلاقته بمقولة الفهم:

اتصف ماكس فيبر Max Weberبسعة معلوماته الأكاديمية وبذكائه الثاقب، وشملت معارفه الميادين المختلفة، الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية والقانونية والتاريخية لبلدان أوربا ولبلدان أخرى عديدة.

إن اهتمامات فيبر بدراسة القانون تعد من أولى الاهتمامات العلمية و المهنية التي أتاحت له الفرصة لأن يطلع على كثير من مناهج و طرق البحث الأكاديمي ليس فقط في مجال القانون و لكن العديد من العلوم الأخرى، والتعرف على كيفية تطبيق النظريات العلمية المختلفة درسها بصورة علمية و أكاديمية لطلاب العلم في الجامعات الأوربية، علاوة على ذلك أدى شغله للقانون في إحدى المحاكم الألمانية ليتعرف بوضوح على عمليات تطبيق القانون وتدريسه ونوعية المؤسسات الشرعية التي تقوم بالتنفيذ الفعلي، ونوعية المعايير القانونية للفئات المهنية في مجال القانون.

وفي نظر فيبر لم ينشأ القانون بذاته، وإنما كان استجابة لمشاغل سياسية أو اقتصادية (ليس إطلاقا كما اعتقد بعضهم).

ولاسيما الدينية فكل تجمع إنساني كائنا ما يكون يتطلب لاستمراره أن يتطابق سلوك أعضائه مع القواعد المشتركة، مع احتمال قسرهم على ذلك، إذ اقتضى الأمر، وقد ركز على عرض الأطوار والعوامل التي أدت إلى عقلنة القانون الحديث، في سياق العقلنة الخاصة بالحضارة الغربية [1].

ففي نظر علم القانون، يكون أحد المعايير ذا قيمة منذ تقريره أو مثوله في مدونة قانونية، حيث يكون الأمر ذا علاقة بالتحقق من أهميته أو أثره، في أثناء الفعالية الاجتماعية للأفراد، لأن الفرق كبير بين تقرير القانون ومراعاته [2]

يبدي فيبر بعض الشك في سلامة النظام القانوني الدولي، وهذا لغياب سلطة إلزامية فيه وفي جميع الأحوال هناك مجال للكلام على القانون كلما وجدنا أنفسنا أمام جهاز للقسر.

القانون السلطة والتنظيم الاجتماعي:

إن الأنماط المثالية للسلطة التي اقترحها فيبر هي كالتالي: -السلطة القانونية المنطقية:

وتوافق بالتقريب الوضعية في معظم الدول العصرية حيث تجد شرعية السلطة قوامها في مجموع القواعد القانونية المنسقة منطقيا، ونجد هنا بأن كل صاحب سلطة مكلف بمجال اختصاصي معين و يكمن مصدر السلطة أساسا في طبيعة النظام الذي هو في حد ذاته شرعي و ليس في ذوات الأشخاص، إلا من حيث انشغالهم بوظيفة معترف بها معينة تحدد مجال اختصاصهم، و لا يكونون إلا مجرد أشخاص خارج إطارها.

السلطة التقليدية:

وتقوم على أساس مغاير ألا وهو التقليد الذي يقضي باعتبار النظام على أنه كان دوما موجودا، فمقاومة التغير في هذه الحالة شديدة، أما المستحدثات التي يفرضها تطور المجتمع فتبرر على أساس أنها كانت دائما موجودة وكل ما في الأمر أنه "أعيد اكتشافها".

والتطابق المنطقي والعقلي للقواعد التقليدية لا يمثل مقياسا لشرعيتها، فالتقليد وحده كاف لتبريرها، ولا نجد في هذا الصنف من القواعد وظائف وإنما مكانات شخصية تحدد أصحاب السلطة الشرعيين، تربط هؤلاء صلة خضوع الأشخاص لرؤسائهم، وبما أنه لا يوجد اختصاص معين فإن لصاحب النفوذ سلطة تعسفية.

السلطة القائمة على قوة التأثير لدى الزعيم:

وتقوم على الاعتراف بسلطة الحاكم الشخصية من طرف أتباعه، وهذا الرضا يختلف من الرضا الذي نجده عادة في الديمقراطية من حيث كونه لا يعبر عن إرادة الموكلين وإنما عن خضوعهم.

فالعلاقة بين الحاكم وأتباعه لا تقوم على أساس اتفاق الطرفين وإنما على أساس الاعتراف المطلق بشرعية سلطته، ونجد بأن الأشخاص الذين

يحيطون بالقائد لا يشغلون وظيفة إدارية ولا مكانة تقليدية إنهم مجرد أتباع شخصيين يتصرفون بحماس من أجل القضية، أو من أجل إخلاصهم لشخص القائد سم .

عموما نجد أن فيبر قد حرص على تحليل هذه الأنماط الثلاث من السلطة موضحا نسق الشرعية القانونية التي تقدم عليها هذه السلطات والتي لا يمكن فهمها أو تفسيرها بعيدا عن النسق الاجتماعي وبناءاته السياسية والاقتصادية والاجتماعية والقانونية من ناحية ومن ناحية أخرى إن هذه الأنماط الشرعية القانونية توضح كيفية التطور من المجتمعات اللاعقلانية إلى العقلانية وتعكس عملية التحول نحو المجتمعات البيروقراطية الحديثة والمعقدة.

ويعتقد بارسونز أن كلا من السياسة والدين يقوم بدور هام فيما يتعلق بمسألة التوجيه القيمي.

ومعنى ذلك إذن، أن هناك مجالات تزداد فيها فاعلية القانون ودوره، ومجالات أخرى تحتاج إلى ميكانيزمات غير القانون، وعلى أية حال، فإن فاعلية القانون نفسه لا تعتمد على استخدام القهر الفيزيقي، أو التهديد باستخدام هذا القهر، بقدر ما تعتمد على التأييد الأخلاقي للقانون بوصفه وسيلة لتحقيق العدالة في المجتمع.

هذا يؤكد بارسونز أهمية الوضع الذي يمثله القانون بالنسبة لميكانيزمات الضبط الاجتماعي الأخرى، في حالتين مختلفتين تماما، بل و متعارضتين، الأولى هي حالة الصراع بين القيم، فحيثما يكون هناك صراع حاد و عميق بين قيم معينة في مجتمع واحد، يجدر بالقانون أن يحل المشكلات التي تنجم عن هذا الصراع، أما الحالة الثانية فهي الصراع من أجل القيم، أي اتفاق أعضاء المجتمع على أهمية الوصول إلى قيم معينة، وتحقيق مصالح بالذات، ولكنهم يتصارعون لسبب أو لآخر من أجل التوصل إلى تلك القيم أو المصالح، و تكون وظيفة القانون في الحالة الثانية تحقيق التوازن بين تلك المصالح التي يرغب الكثيرون في الحصول عليها .

الخاتمة :

إن ابسط وأدق تعريف لدولة القانون، أنها عكس الدولة البوليسية، أين تبرر فيها الغاية الوسيلة، وهذا ما اصطلح عليه بالفعالية وحيث يسع الإدارة أن تقيد الحقوق والحريات بما تشاء وكيفما تشاء. وأما دولة القانون فتقترن فيها الغاية المشروعة بالوسيلة المشروعة وبذلك تتقيد الفعالية بالمشروعية، ولا يبرر تجاوز القانون وانتهاك الحقوق والحريات إلا رغبة التسلط ونزوة القمع وكلاهما مرفوض.

إن مواصفات دولة القانون تعتمد على مفاهيم سيادة الشعب والحقوق والحريات والشرعية القانونية وحقوق الدفاع وهي عناصر مترابطة سياسيا وقانونيا ومتلازمة وجودا ومتكاملة بحيث لا يستغني بعضها عن بعض. وإن الاعتداد بترابط وتلازم وتكامل الأركان التأسيسية لدولة القانون إنما يجعل سن القوانين العادلة أمرا ميسورا بل يوفر للفرد الطمأنينة و الاستقرار ويكفل لمؤسسات الدولة التوازن والانسجام.

كما أن سن قواعد قانونية عادلة في شموليتها ليس حسما قاطعا للموقف وفقط بل هي بادرة حسنة يتوقف مآلها على إرادة حسنة في التفسير والتطبيق.

إن القانون ليس بالضرورة وسيلة تبجيل حيث يلعب دورا مضادا للتبجيل باعتباره أحد العناصر الموضوعية للتعامل الاجتماعي، وتقديرها كمعطيات حقيقية، كما أن دولة القانون ليست بالضرورة متميزة بممارسة سلطة مقيدة بمقتضى نصوص دستورية طالما أنها تتعمد سلطة مريبة، لا تستهدف الا خدمة الصراعات الطبقية والفيئية (القوى الضاغطة) وتتنصل من تحمل مسؤولية تقليص التباين الاجتماعي، لتحقيق حد أدنى من التكافؤ الاجتماعي. بل إن دولة القانون متميزة بممارسة سلطة شرعية تستند الى إرادة الشعب صاحب السيادة وتعبر عن المشيئة الاجتماعية الواعية، حيث يحظى فيها القانون بالوظيفة التقويمية حتى يكون ميثاق التعامل بين الحاكم والمحكوم دون جواز التصرفات التي لا يرخص بها القانون.

فدولة القانون مفهوما يساوي العدل الاجتماعي والعدل الاجتماعي كهدف مشروع يناشده الجميع لا يتأتى الا بوسائل مشروعة.

-قائمة الهوامش :

[1] لوران ريشار :حقوق الإنسان و المواطن، مطبعة أكونوميا طبعة 1982 باريس ،ص 5

[2] العصمة ، معناها عدم التعرض لارتكاب الزلل.

[3] شريف علي : **المحامون و دولة القانون في التطبيقات الديمقراطية و النظام الإسلامي** ،ديوان المطبوعات الجامعية،الطبعة الثانية ،1992، بن عكنون ،الجزائر ، ص 96 .

[4] 1.Steven (V),lawand societyprentice hallEnglewood , cliffs, new jersey,usa, 1991,pp219-223

[5] Friedman (M), **the legal system social science** , perspective , new York 1975,p13 .

[6] مونتسكيو: **روح الشرائع** ، تر: عادل زعيتر، دار المعارف ، القاهرة ، 1953، ص 11.

[7] نفس المرجع ، ص 14.

[8] نفس المرجع ، ص 16 -17.

[9] نفس المرجع ، ص 19

[10] نفس المرجع ، ص 436.

[11] Emile Durkheim : les règles de la méthode sociologique, Paris, 1967, P20

[12] إميل دوركايم ، **في تقسيم العمل الاجتماعي**، تر: حافظ الجملي، اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع، بيروت، 1982، ص 80 -85.

[13] جوليان فرويد ، **علم الاجتماع عند ماكس فيبر**، تر: تسير شيخ الأرض ، مطبعة وزارة الثقافة ، دمشق، 1976، ص 134 .

[14] Max Weber : **économie et société**, Plon, Paris, 1997, P4

[15] جان بياركوت ، جان بيارموني ، **من أجل علم اجتماع سياسي** ، تر : محمد هناد ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، دون سنة النشر ، ص 236 -238

قائمة المصادر والمراجع:

1. لوران ريشار :حقوق الإنسان و المواطن، مطبعة أكونوميا طبعة 1982 باريس .
2. العصمة ، معناها عدم التعرض لارتكاب الزلل.
3. شريف علي : **المحامون و دولة القانون في التطبيقات الديمقراطية و النظام الإسلامي** ،ديوان المطبوعات الجامعية،الطبعة الثانية ،1992، بن عكنون ،الجزائر ، .
4. .Steven (V),lawand societyprentice hallEnglewood , cliffs, new jersey,usa, 1991.
5. Friedman (M), **the legal system social science** , perspective , new York 1975.
6. مونتسكيو: **روح الشرائع** ، تر: عادل زعيتر، دار المعارف ، القاهرة ، 1953..
7. Emile Durkheim : les règles de la méthode sociologique, Paris, 1967.
8. إميل دوركايم ، **في تقسيم العمل الاجتماعي**، تر: حافظ الجملي، اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع، بيروت، 1982.
9. جوليان فرويد ، **علم الاجتماع عند ماكس فيبر**، تر: تسير شيخ الأرض ، مطبعة وزارة الثقافة ، دمشق، 1976.
10. Max Weber : **économie et société**, Plon, Paris, 1997.
11. جان بياركوت ، جان بيارموني ، **من أجل علم اجتماع سياسي** ، تر : محمد هناد ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، دون سنة النشر .

مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ر ت م د: 7163 -1112 ر ت م د إ :1892-2588
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2

مستوى مرونة الأنا لدى الطالب الجامعي (دراسة ميدانية على عينة من طلبة السنة الثانية علوم التربية بجامعة سعيدة)

The ego-resilience Level of the university's student

سنوسي بومدين[1] ، ضراب فتيحة[2] ، جلولي زينب[3] ،ورغي سيد أحمد[4]

1 - جامعة أبو القاسم سعد الله، senouci.boumediene20@gmail.com

2 - جامعة د. مولاي الطاهرسعيدة، darab@yahoo.fr

3 - جامعة محمد بن احمد وهران 2، zinebdjellouli20@gmail.com

4 - جامعة د. مولاي الطاهرسعيدة، ourghi_k@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2020/03/25 تاريخ القبول: 2021/04/15

ملخص باللغة العربية

تهدف الدراسة إلى التعرف على مستوى مرونة الأنا لدى الطلبة الجامعيين ممثلة في (75) طالبا جامعيا، والتحقق من إمكانية وجود فروق دالة إحصائيا فيما بينهم تعزى لجنسهم، تم اختيارهم بطريقة قصدية، وتم تطبيق مقياس مرونة الأنا لـ"دافيدسون وكونور" الذي قامت بترجمته "سامية ياحي" بعد تقدير خصائصه السيكومرية، واعتمد الباحثون في تحليلهم لمعطيات الدراسة على المنهج الوصفي، وتم التوصل إلى النتائج التالية:

- مستوى مرونة الأنا لدى الطالب الجامعي مرتفع.

عدم وجود فروق دالة إحصائيا في مستوى مرونة الأنا بين الطلبة الجامعيين تعزى لجنسهم.

الكلمات الدالة: مرونة الأنا ,الطالب الجامعي.

المؤلف المرسل: ورغي سيد أحمد: ourghi_k@yahoo.fr

Abstract:

The study aims to know the level of Ego-resilience of the university's student and to identify the statistical significance differences between them in their Ego-resilience that can attribute to their sex. The sample is (75) students, were choose intentionally.

"Connor and Davidson" Ego-resilience 'scale is applies with translation of "Samiya Yahi" after estimating its psychometric properties, the researchers use in their study descriptive method, and show the following results:

-Level of ego-resilience to university student higher.

- There are no significant differences in level of Ego-resilience between students of Second year of education sciences attribute o their sex.

Key words:

Ego-resilience, Students of University.

1. مقدمة

تعد المرحلة الجامعية من المراحل الهامة في حياة الفرد، فهي مجال لتحقيق أهدافه وطموحاته، ووضوح شكل حياته المستقبلية، ولكي يتخطى الطالب هذه المرحلة، لابد له من الاجتهاد والمثابرة، لأنها مرحلة قد لا تخلو من الضغوط التي تفرض نفسها على الطالب ما ينعكس سلبا على صحته النفسية. وفي المقابل، على الطالب أن يتمتع بالمرونة والقدرة على التأقلم بما أنه في عملية تطور ديناميكية ومستمرة، ويعد مصطلح **مرونة الأنا** من المفاهيم النفسية المتولدة عن البحوث والدراسات العلمية النفسية وهذا ما يحاول الباحثون في هذه الدراسة الوقوف عليه.

1. الإشكالية:

يتزايد الاهتمام بالمشكلات السلوكية بشكل مستمر، إذ ظهرت العديد من الاضطرابات السلوكية مع التقدم العلمي والتكنولوجي الذي مس مختلف المجالات، فالفرد يواجه في حياته الكثير من الصعوبات والضغوط، ما جعل هذا العصر يعرف بـ "عصر الضغوط"، وكي يتمكن من تجاوز هذه الضغوط لا بد له من أن يتمتع بمرونة الأنا، في جزء مهم من الأجزاء المكونة لشخصيته.

تمس الضغوط كل فئات المجتمع بمختلف مراحلها، ويعد الطالب الجامعي من بين هذه الفئات، إذ يتعرض إلى أنواع مهمة منها أثناء مرحلة تعليمه في الجامعة، كالضغوط الاقتصادية، والاجتماعية، والشخصية، والأسرية... مما يؤثر على توازنه، وصحته النفسية والتي تؤثر بدورها على مرونة الأنا لديه.

نظرا لأهمية "مرونة الأنا" في تشكيل الصحة النفسية والشخصية المتوازنة لدى الفرد بصفة عامة والطالب بصفة خاصة، فقد تناولته العديد من الدراسات كدراسة "علي صكر جابر" (2008) التي جاءت بعنوان "مرونة الأنا وعلاقتها بحيوية الضمير لدى طلبة الجامعة" والتي أقيمت على (400)طالب(ة) من الصف الرابع في جامعة "القادسية"، وأفرزت بعض نتائجها تدني نسبة مرونة الأنا، مع وجود فروق تعزى للجنس بين الطلبة (صكر، 2008).

ودراسة "ولاء اسحق حسان" (2009) بعنوان "فاعلية برنامج إرشادي مقترح لزيادة مرونة الأنا لدى طالبات الجامعة الإسلامية بغزة" التي أقيمت على (116)طالب(ة) من المستوى الأول، وخرجت بأن مستوى المرونة هو (72٪) وهو ما اعتبرته الباحثة غير كافٍ أن يتمتع الفرد بهذه النسبة باعتبار أن مرونة الأنا من مكونات الشخصية (اسحاق، 2009).

من خلال هاتين الدراستين، نلاحظ أن كلاهما قد اتفقتا على انخفاض مستوى مرونة الأنا لدى الطالب، على الرغم من اختلاف البيئة والعينة التي أقيمت فيها الدراستين.

وفي دراسة قريبة لـ"ربيعة مانع زيدان الحمداني" و"صباح مرشوذ منوخ" (2013) جاءت بعنوان "مستوى المرونة النفسية لدى طلبة المرحلة الإعدادية وعلاقتها بالجنس والتخصص" أقيمت على (300) طالب(ة) من طلاب المرحلة الإعدادية بمدينة "تكريت"، كان من بين ما توصلت إليه: وجود ضعف في مستوى المرونة النفسية وعدم وجود فروق بين الطلبة تعزى للجنس (صباح مرشوذ منوخ، 2013).

وأشارت دراسة أخرى لـ" اسماعيل هالة خير سنار " (2017) جاءت بعنوان "المرونة النفسية وعلاقتها باليقظة العقلية لدى طلاب كلية التربية"، أقيمت على (223) طالب(ة) بالفرقة الثالثة بكلية التربية "بقنا" جامعة "جنوب الوادي"، إلى أن طلاب كلية التربية لا يمتلكون مستوى مرتفع من المرونة النفسية (اسماعيل، 2017).

من خلال هاتين الدراستين، نلاحظ استمرار تدني مستوى المرونة النفسية رغم اختلاف خصائص العينة ومكان الدراسة.

رغم مكانة مرونة الأنا في تشكيل شخصية الفرد، وأمام ندرة الدراسات السابقة عمومًا (حسب علم الباحثين وجهدهم) - يسعى الباحثون للقيام بدراسة "مستوى مرونة الأنا لدى طلبة الجامعة سنة ثانية بشعبة علوم التربية"، إذ شكلت هذه الظروف حافزا قويا لمعرفة مستوى مرونة الأنا أمام ندرة الدراسات المحلية التي لم تتناول هذا الموضوع، وانطلاقا مما سبق يصيغ الباحثون الإشكال التالي:

- ما مستوى مرونة الأنا لدى الطلبة الجامعيين؟

2. تساؤل الدراسة:

- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى مرونة الأنا بين الطلبة الجامعيين تعزى لجنسهم؟

3. الفرضيات:

1.3 الفرضية العامة:

يتوقع الباحثون مستوى متدني لمرونة الأنا لدى الطالب الجامعي.

2.3 الفرضية الجزئية:

- توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى مرونة الأنا بين الطلبة الجامعيين تعزى لجنسهم.

4. أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى:

-قياس مستوى مرونة الأنا لدى الطالب الجامعي (تحديدا السنة الثانية علوم التربية).

-قياس دلالة الفروق في مستوى مرونة الأنا بين الطلبة الجامعيين التي قد تعزى للجنس.

5. أهمية الدراسة:

- ندرة الدراسات المتعلقة بموضوع "مرونة الأنا" وقلة تناوله من قبل الباحثين المختصين، وخاصة في المجتمع المحلي.

- يمكن الجزم بأن موضوع "مرونة الأنا" من المفاهيم الحديثة، وعليه فهو جدير بالتناول.

- يعد موضوع مرونة الأنا الأول من نوعه – على حسب علم الباحثين - بجامعة الدكتور مولاي الطاهر بسعيدة.

6. حدود الدراسة:

1.6 الحدود الزمانية: من 20 -02 -2018 إلى 03 -03 -2018

2.6 الحدود المكانية: جامعة الدكتور مولاي الطاهر كلية العلوم الاجتماعية بسعيدة.

3.6 الحدود البشرية: طلبة السنة الثانية علوم التربية وعددهم (75) طالب.

7. التعاريف الإجرائية:

1.7مرونة الأنا: يقصد بها قدرة الأنا في شخصية الطالب على مواجهة ضغوطه بكيفية سليمة، ويتم الحكم عليها من خلال محصلة استجابات العينة على الأداة التي تقيس "مرونة الأنا"، ويتحدد السقف النظري كمايلي:

- **القيمة الدنيا أقل من (50٪) أي مرونة أنا منخفضة لدى الطالب.**
- **القيمة القصوى أكبر من (50٪) أي مرونة أنا عالية لدى الطالب.**
- **القيمة المعتدلة تساوي (50٪) أي مرونة أنا متوسطة لدى الطالب.**

وأقل من (50٪) مرونة منخفضة، بينما أكثر من (50٪) مرونة عالية.

2.7 الطالب الجامعي: هو كل طالب يزاول دراسته بالجامعة في مستوى السنة الثانية شعبة علوم التربية، قسم العلوم الاجتماعية، بجامعة الدكتور مولاي الطاهر سعيدة خلال السنة الجامعية (2018/2017).

الإطار النظري للدراسة:

1. - مرونة الأنا:

يعرفها روتر Reutter (1990) **بأنها: "القطب الموجب للظاهرة الفريدة** Ubiqition **للفروق الفردية في استجابات الأفراد للضغوط والمحن".**

أما مكتبة ويلسون للتعلم (2005): فتنظر لها بأنها مهارة وهي تبدأ بالعمل عندما يتم إدراك الاختلاف في العلاقة الإنسانية، وعندما يتم التصرف بطريق مخالف لتحسين العلاقة، وبهذا تكون المرونة هي الاستعداد والقدرة على إجراء التعديلات المؤقتة في الاستجابة السلوكية، وعندما تصل إلى الحسم في بناء العلاقة مع الآخرين.(صكر،2008: 262).

كما تعرفها أيضا بأنها "قدرة الفرد على التوافق الجيد والمواجهة الإيجابية للشدائد أو الصدمات أو النكبات أو الضغوط النفسية العادية، والتعافي من التأثيرات السلبية التي تحدثها في الفرد.(اسحق،2009: 26).

وعرفها (جيرمني Germany) بأنها: "القدرة على إعادة بناء الشخصية والقدرة على التشفي من المحنة".

أما فيرنر (Werner): "التكيف الناجح الذي يتبع التعرض للأحداث الحياتية المؤلمة". (مبارك،2016: 120)

وقد عرّف ويلن ويلن (Wolin Wolin,1993) مرونة الأنا بأنها: "السمات الشخصية المميزة للأشخاص ذو المرونة العالية".(جواد، 2010: 556).

وعرفها Block (1993) بأنها القدرة على تعديل مستوى التحكم في الذات للتكيف مع مطالب البيئة.(Lynn, 2013: 21)

يمكن أن تعرف أيضا على أنها تكييف مع مستوى الضغوط، تكون نتيجته أن يصبح للفرد مستوى عالٍ من المرونة، وأن تكون لديه القدرة على مواجهة التحديات، بمستوى عالٍ من الثقة بالنفس، بالإضافة إلى التكيف النفسي. (Let zing & Block & Funder, 2004 : 4)

من خلال هذه التعاريف، يمكن القول بأن مرونة الأنا هي مقدرة الفرد على مواجهة إحباطات الحياة المختلفة والضغوطات التي تصادفه في مختلف مراحل عمره والتغلب عليها والتكيف معها.

2. - المرونة كإطار مرجعي:

لقد تولدت دراسة مرونة الأنا في مجال علم النفس المرضي التطوري للإجابة على السؤال التالي:

لماذا يبدي بعض الأشخاص من الذين لديهم مستوى عال من القدرة على المخاطرة أو ممن لديهم خلفية تتعلق بمجال المخاطرة، كفاحا ونضالا مريرًا في الحياة، بينما يفشل الآخرون؟ فمرونة الأنا إطار مفيد يكشف عن مفتاح

الشخصية من خلال معرفة وكشف طبيعة المهارات والاتجاهات والقدرات الخاصة لدى الأفراد، وتقوي قدرة الفرد على مواجهة الأحداث الحياتية بمختلف أنواعها.(عمر، 2016: 26 -27).

3. - عوامل مرونة الأنا:

- القدرة على احتفاظ الفرد بسعادته من خلال إحساسه بأنه سيحقق الهدف الذي يسعى إليه.

- قدرة الفرد على العمل المنتج وعلى أنه سعيد بالسيطرة على بنيته النفسية.

- قدرة الفرد على الحفاظ على أمنه النفسي.

- تقبل الفرد لذاته ومعرفتها وإدراكها.

- قدرة الفرد على تكوين علاقات واقعية مع الآخرين في بيئته والحفاظ عليها.

- قدرة الفرد على الاحتفاظ بكينونته الشخصية وثقافته وروحانيته (جواد، 2007: 13).

ثانيا: الإطار التطبيقي للدراسة:

إجراءات الدراسة الاستطلاعية:

1. عينة الدراسة الاستطلاعية :

تتمثل عينة الدراسة الاستطلاعية في(30)طالبا(ة) من جامعة الدكتور مولاي الطاهر بسعيدة بكلية العلوم الاجتماعية تم اختيارهم بطريقة قصدية تتوزع من خلال مواصفاتها كما يلي:

أ - من حيث الجنس:

جدول 01. يبين توزيع أفراد العينة من حيث الجنس

العينة	التكرار	النسبة المئوية
الذكور	14	%46.66
الإناث	16	%53.33
المجموع	30	%100

من خلال الجدول نلاحظ أن نسبة الذكور (46.66%) ، أما الإناث (53.33%) مما يدل على أن نسبة الإناث في العينة الاستطلاعية أعلى من الذكور.

2. - أداة الدراسة :

للحصول على المعلومات قام الباحثون بالاعتماد على مقياس مرونة الأنا لـ "دافيدسون وكونور" 2003، الذي قامت بترجمته الباحثة "ياحي سامية"2008. (وهيبة، 2016: 61 -62)

1.2 الخصائص السيكومترية:

لتجريب الأداة وتقدير خصائصها السيكومترية تم استعمال الصدق عن طريق الاتساق الداخلي والمقارنة الطرفية والصدق الذاتي، أما الثبات فقد تم حساب الثبات عن طريق ألفا كرو نباخ والتجزئة النصفية.

أ - صدق الاتساق الداخلي:

تم تطبيق معامل ارتباط "بيرسون" لتحديد مدى ارتباط كل فقرة مع الدرجة الكلية للمقياس وأظهرت النتائج التالية:

جدول 2. يبين نتيجة صدق الاتساق الداخلي

رقم الفقرة	معامل الارتباط	مستوى الدلالة	رقم الفقرة	معامل الارتباط	مستوى الدلالة
1	0.363	0.05	16	0.501	0.01
2	0.314	غير دال	17	0.253	غير دال
3	0.061	غير دال	18	0.460	0.05
4	0.323	غير دال	19	0.498	0.01
5	0.327	غير دال	20	0.487	0.01
6	0.377	0.05	21	0.417	0.05
7	0.575	0.01	22	0.494	0.01
8	0.217	غير دال	23	0.471	0.01
9	0.532	0.01	24	0.429	0.05
10	0.410	0.05	25	0.471	0.01
11	0.278	غير دال	26	0.225	غير دال
12	0.545	0.01	27	0.645	0.01
13	0.477	0.01	28	0.514	0.01
14	0.691	0.01	29	0.113	غير دال
15	0.467	0.01	30	-0.017	غير دال

من خلال الجدول نلاحظ أن قيم معامل بيرسون لمعظم فقرات مقياس مرونة الأنا دال عند 0.05 أو0.01 وهي قيم متوسطة تدل على ارتباط الفقرات بمجموعها الكلي، أما الفقرات (2 ، 3 ، 4 ، 5 ، 8 ، 11 ، 17 ، 26 ، 29 ، 30)

ب - طريقة المقارنة الطرفية:

تم حساب صدق المقارنة الطرفية عن طريق ترتيب استجابات الأفراد تصاعديا وباستخدام البرنامج الإحصائي SPSS تم حساب T-test وتم تدوين هذه النتائج

جدول 3. يبين نتائج صدق المقارنة الطرفية

العينة	متوسط حسابي	انحراف معياري	ت المحسوبة	درجة الحرية	ت الجدولية	مستوى الدلالة
العينة العليا ن=9	93.44	4.003	11.910	16	2.921	0.01
العينة الدنيا ن=9	68.56	4.825				

من خلال الجدول نلاحظ أن قيمة (ت) المحسوبة تساوي (11.910) عند مقارنتها بقيمة (ت) الجدولية التي تساوي (2.921) عند درجة حرية (16) ومستوى الدلالة (0.01)، وعليه يمكن القول أن مقياس مرونة الأنا صادق، وقد أعطى الصدق الذاتي (0.86).

ج - الثبات:

جدول 4. يبين نتيجة الثبات عن طريق ألفا كرو نباخ والتجزئة النصفية

الفقرات	ألفا كرو نباخ	معامل التجزئة النصفية
20	0.74	0.83

نلاحظ من الجدول أن قيمة معامل الثبات لألفا كرو نباخ قد بلغت (0.74) وعن طريق التجزئة النصفية بلغت (0.83) وهي قيم مرتفعة تشير إلى ثبات الأداة

ثانيا: الدراسة الأساسية:

1. **المنهج المتبع:** إن طبيعة الدراسة "مرونة الأنا لدى الطلبة الجامعيين" تقتضي اتخاذ المنهج الوصفي الملائم لطبيعتها وأغراضها وأهدافها.

2. **عينة الدراسة:**

تمثل مجتمع الدراسة في طلبة السنة الثانية شعبة علوم التربية بكلية العلوم الاجتماعية والإنسانية بجامعة الدكتور مولاي الطاهر بسعيدة، وقد تم اختيار (75) طالبا(ة) بطريقة قصدية تتوزع حسب مواصفاتها كما يلي:

الجدول رقم (05): يبين توزيع عينة الدراسة الأساسية من حيث الجنس

العينة	التكرار	النسبة المئوية
الذكور	14	%20
الإناث	60	%80
المجموع	75	%100

من خلال الجدول نلاحظ أن عدد الذكور هو (15) بنسبة مئوية تقدر بـ(20%) في مقابل الإناث اللواتي قد بلغ عددهن (60) بنسبة مئوية تقدر بـ(80%) ما يدل على وجود تباين في العينة.

3. - أداة الدراسة:

أداة الدراسة النهائية تتكون من (20) فقرة معدة لقياس "مستوى مرونة الأنا" كلها سالبة بالأوزان (0، 1، 2، 3، 4)، أمامها بدائل هي (مطلقا، نادرا، أحيانا، غالبا، دائما)، ويتقدم الأداة تعليمات تشرح للمفحوص طريقة الإجابة.

4. - إجراءات التطبيق:

تم تطبيق الدراسة على عينة من الطلبة وعددهم (75) بجامعة سعيدة، شعبة علوم التربية كلية العلوم الاجتماعية خلال العام الدراسي 2017 -2018 بتاريخ

20 -02 -2018 إلى غاية 03 -03 -2018 وتم استرجاع (75) استمارة.

5. - الأساليب الإحصائية:

التكرارات

النسبة المئوية

اختبار "سميرنوف كولمجروف" للتوزيع الاعتدالي

اختبار الفروق T-test

اختبار الذيلين

6. عرض نتائج الدراسة ومناقشتها:

1.6. - عرض نتائج الفرضيات ومناقشتها:

الفرضية العامة: نصت على

- يتوقع الباحثون مستوى متدني لمرونة الأنا لدى الطالب الجامعي.

لاختبار هذه الفرضية تم حساب المتوسط الحسابي والانحراف المعياري والتكرارات والنسب المئوية لمجموع استجابات أفراد العينة باستخدام البرنامج الإحصائي SPSS بنسخته (22) وتم الحصول على البيانات الموضحة في الجدول التالي:

جدول 6. يبين نتيجة الفرضية العامة للدراسة

العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	التكرارات	الوزن النسبي	مستوى المرونة
75	61.1467	7.66123	4586	%80	مرتفع

من خلال الجدول نلاحظ أن مجموع المتوسط الحسابي لأفراد العينة قد بلغ (61.1467) بانحراف قدر بـ(7.66123) ومجموع الاستجابات قد بلغ (4586) بوزن نسبي (80٪) ما يدل على أن مستوى مرونة الأنا لدى طلبة السنة الثانية بشعبة علوم التربية مرتفع.

يمكن أن يرجع هذا إلى تميز الطلبة بقيم الصبر والتحمل لمختلف الضغوطات التي تواجههم، بالإضافة إلى حبهم لروح التحدي في تحقيق أهدافهم وقدرتهم على التكيف مع مختلف المواقف الضاغطة والتغيرات التي تواجههم سواء كانت متعلقة بالجانب الأكاديمي أم الاجتماعي.

وهذه النتيجة جاءت مختلفة عما جاءت به دراسة (علي صكر جابر، 2008) التي كشفت على أن مستوى الأنا ضعيف لدى طلبة الجامعة. وهذا ما جاءت به الدراسة القريبة من هذه الدراسة التي قامت بها (هالة خير سناري اسماعيل، 2017) التي جاءت بعنوان "المرونة النفسية وعلاقتها باليقظة العقلية لدى طلاب كلية التربية" التي كشفت عن عدم امتلاك طلاب كلية التربية لمستوى مرتفع من المرونة النفسية. أما دراسة (يحي عمر شعبان شقورة، 2012) بعنوان " المرونة

النفسية وعلاقتها بالرضا عن الحياة لدى طلبة الجامعات الفلسطينية بمحافظات غزة" فقد جاءت نتيجتها دالة على مستوى فوق المتوسط لمرونة الطالب.

هذا الاختلاف في النتائج يرجع إلى اختلاف البيئة التي يدرس فيها الطلبة، وأيضا لاختلاف العينة، ضف إلى ذلك الاستقرار الذي تعيشه البيئة الجامعية.

يفسر الباحثون نتيجة هذه الدراسة "المستوى المرتفع لمرونة الأنا لدى الطالب" إلى أن قدرة الطالب على تقبل ذاته وإدراكه الحقيقي لها، يعد من العلامات المؤدية لمرونة الأنا، بالإضافة إلى تكامل الوظائف النفسية والميل إلى القدرة على العيش والاستمتاع، وثقة الطالب بنفسه وارتباطها بالعلاقات الاجتماعية كل ذلك دعم هذه المرونة، لكونها تعبر عن استقلالية الفرد وقيمه الخلقية، إذ أن الفرد يدرك أنه الصانع للأحداث والمؤثر في الوقائع وأنه سيحقق الهدف الذي يسعى إليه، وسعيه للسيطرة على بنيته النفسية من خلال تكيفه مع هذه الضغوط التي تواجهه جعل مستوى المرونة لديه يرتفع. من جانب آخر، النظرة الإيجابية للحياة تجعل الطالب أكثر إيجابية في تعامله مع ما يدور من حوله، وكثرة تعرضه لنفس الضغوط جعلته يتكيف معها ويحافظ على كينونته الشخصية والثقافية والخلقية، وهذه ستجعله أكثر قدرة على الحفاظ على أمنه النفسي وكفايته التواصلية البيئية الشخصية والمحافظة على علاقاته مع الآخرين في بيئته.

2.6. – عرض ومناقشة نتيجة الفرضية الجزئية للدراسة:

نصت الفرضية على:

توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى مرونة الأنا بين الطلبة الجامعيين تعزى لجنسهم.

قبل التأكد من صحة هذه الفرضية قمنا بالتأكد من التوزيع الطبيعي لمفردات العينة، من خلال اختبار سميرنوف -كولمجروف للطبيعة، للتأكد من اعتدالية التوزيع والجدول التالي يوضح:

جدول 7. يبين دلالة اختبار الطبيعة (التوزيع الطبيعي)

القيمة الاحتمالية	درجة الحرية	مستوى الدلالة
0.099	75	0.069

الفرض الإحصائي:

- الفرض الصفري: البيانات تخضع للتوزيع الطبيعي

- الفرض البديل: البيانات لا تخضع للتوزيع الطبيعي

بما أنا قيمة (0690.) > (0.05) نقبل الفرض الصفري القائل أن البيانات تخضع للتوزيع الطبيعي.

وعلى هذا الأساس تم حساب دلالة الفروق T-test لعينتين مستقلتين وأوضحت النتائج التالية:

جدول8. يبين نتيجة اختبار دلالة الفروق T-test

عينة	اختبار ليفين		متوسط حسابي	انحراف معياري	قيمة "ت"	DF	Sig	الفارق	مجال الثقة95٪	
	F	Sig							أدنى	أعلى
ذكر 14	0.001	0.97	58.714	7.7700	1.41	72	0.16	3.246	7.647	1.309
أنثى 60			61.883	7.5241						

الجزء الأول: يبين اختبار ليفين للحكم على تجانس التباين

- الفرض الصفري: تبيان التجانس
- الفرض البديل: تباين غير متجانس

من خلال الجدول نلاحظ أن قيمة ليفين (0.001) ومستوى الدلالة (0.975) وهي أكبر من (0.05) وعليه نقبل الفرض الصفري القائل أن التباين متجانس.

الجزء الثاني: يبين دلالة الفروق بين عينيتين مستقلتين.

- الفرض الصفري: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى مرونة الأنا بين طلبة الجامعة بشعبة علوم التربية تعزى لجنسهم.
- الفرض البديل: توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى مرونة الأنا بين طلبة الجامعة بشعبة علوم التربية تعزى لجنسهم.

قبل تفسير نتائج دلالة الفروق، لابد من الإشارة إلى أن الفرضية غير موجهة وعليه سنقوم بتطبيق اختبار الذيلين: $0.163 \div 2 = 0.0815$

من خلال الجدول نلاحظ أن المتوسط الحسابي للذكور (58.7143) بانحراف معياري قدره (7.77005)، في حين أن الإناث قد بلغ المتوسط الحسابي لديهن (61.8833) بانحراف قدره (7.52418) أما قيمة "ت" فقد بلغت (1.411) عند درجة حرية (72) ومستوى دلالة (0.0815) نلاحظ أن مستوى الدلالة أكبر من (0.05) وبالتالي نقبل الفرض الصفري القائل لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى مرونة الأنا بين طلبة الجامعة بشعبة علوم التربية تعزى لجنسهم.

رغم قلة عدد الذكور إلا أن ذلك لم يبرز وجود فروق بينهم وبين الإناث، وقد يرجع ذلك للوازع الديني لدى الطلبة، والصبر والدعاء أثناء مواجهتهم للضغوطات، كما أنهم يدرسون في بيئة واحدة ويواجهون نفس الظروف خاصة المقيمين بالإقامات الجامعية، بالإضافة إلى عدم استسلامهم بسهولة وثقتهم بقدراتهم على تحقيق أهدافهم، وهذا عكس ما توصلت إليه دراسة (علي صكر جابر،2008) التي توصلت إلى وجود فروق في مستوى مرونة الأنا بين طلبة الجامعة لصالح الذكور.

كما أن دراسة (يحي عمر شعبان شقورة، 2012) بعنوان " المرونة النفسية وعلاقتها بالرضا عن الحياة لدى طلبة الجامعات الفلسطينية بمحافظات غزة أشارت إلى وجود فروق في مستوى المرونة النفسية تعزى لمتغير الجنس.

أما دراسة (كنان إسماعيل الشيخ، 2017) الموسومة بـ" المرونة النفسية وعلاقتها بالرضا عن الحياة" دراسة ميدانية لدى عينة من طلبة جامعة دمشق" فكشفت عن عدم وجود فروق ذات دلالة احصائية في مستوى المرونة النفسية تعزى لمتغير الجنس.

ويفسر الباحثون نتائج هذه الدراسة إلى أن مرونة الأنا تتشكل من مكنونات الفرد الداخلية، والدعم الاجتماعي، والعلاقات الإنسانية مع الآخرين، والثقة بالنفس والأمل والتواصل مع الذات والآخرين، بالإضافة إلى ارتفاع المستوى المعرفي للطلاب، سواء الذكور أم الإناث، فإنهم يتقاسمون ظروفا متشابهة ومن خلال التجارب أصبحت جزءا من حياتهم وهذا ما مكنهم من التوافق مع المحيط الذي يعيشون فيه، وتوافقهم مع أنفسهم ونمو وعيهم بذاتهم. يضاف إلى ذلك، رؤيتهم للأزمات على أنها مشكلات عادية ساعد في إمكانية التخلص منها أو على الأقل التخفيف منها.

7. - خاتمة:

بعد القيام بالدراسة، وتحليل النتائج تبين أن مستوى مرونة الأنا لدى طلبة السنة الثانية علوم التربية مرتفع، وعدم وجود فروق تعزى للجنس وانطلاقا من هذه النتائج خرج الباحثون ببعض التوصيات منها:

- تدعيم الندوات التوعوية للطلبة بأهمية مرونة الأنا لديمومة التوازن النفسي.

- - إجراء العديد من الدراسات حول المرونة النفسية مثل:

مرونة الأنا وعلاقتها بمستوى الطموح لدى الطالب الجامعي

تأثير المناخ الجامعي على مستوى مرونة الأنا للطالب الجامعي

علاقة مرونة الأنا بالضغط النفسي للطالب الجامعي

مدى فاعلية الذات الأكاديمية وتأثيرها في مرونة الأنا للطالب الجامعي.

المراجع باللغة العربية :

1. أحمد، سلمى مبارك (2016)، مرونة الأنا وعلاقتها بالنشاط التدريسي لدى أعضاء الهيئة التدريسية في جامعة البعث، مجلة البعث،المجلد38 العدد32.

2. اسماعيل، هالة خير سناري (2017)، المرونة النفسية وعلاقاتها باليقظة العقلية لدى طلاب كلية التربية، مجلة الإرشاد النفسي، العدد50 الجزء 1.

3. جابر، علي صكر (2008)، مرونة الأنا وعلاقتها بحيوية الضمير لدى طلبة الجامعة، مجلة العلوم الإنسانية.

4.جواد الخطيب، محمد (2007)، الاحتراق النفسي وعلاقته بمرونة الأنا لدى المعلمين الفلسطينيين بمحافظات غزة، بحث مقدم إلى المؤتمر التربوي الثالث الجودة في التعليم الفلسطيني "مدخل للتميز"، الدامعة الإسلامية غزة.

5. خان، ولاء اسحق (2009)، فاعلية برنامج إرشادي مقترح لزيادة مرونة الأنا لدى طالبات الجامعة الإسلامية بغزة، رسالة ماجستير، كلية التربية، غزة.

6. الخطيب، محمد جواد، (2010)، دور التربية المدنية في تنمية مرونة الأنا في الشخصية الفلسطينية، مجلة جامعة الأزهر بغزة، المجلد 12 العدد2.

7. زيدان، الحمداني، وربيعة، مانع، ومنوخ، صباح مرشود (2013)، مستوى المرونة النفسية لدى طلبة المرحلة الإعدادية وعلاقتها بالجنس والتخصص، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، المجلد 20 العدد6.

8. شقورة، يحي عمر شعبان (2012)، المرونة النفسية وعلاقتها بالرضا عن الحياة لدى طلبة الجامعات الفلسطينية بمحافظات غزة، رسالة ماجستير، جامعة الأزهر، غزة.

9. الشيخ، كنان إسماعيل (2017)، المرونة النفسية وعلاقتها بالرضا عن الحياة دراسة ميدانية عمى عينة من طلبة جامعة دمشق، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعموم الإنسانية المجلد 39 العدد 2.

10. وهيبة، بن عمر (2016)، فاعلية الذات ومرونة الأنا وعلاقتها بمصدر الضبط الصحي، رسالة ماستر، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة.

المرجع باللغة الأجنبية:

11. D. Let zing, Tera & Block, Jack & C. Funder, David (2004), Ego-control and ego resiliency: Generalization of self-report scales based on personality descriptions from acquaintances, clinicians, and the self, Journal of Research in Personality, California, USA.
12. Lynn, Seaton, Cherise (2013), THE ROLE OF POSITIVE EMOTIONS AND EGO-RESILIENCE IN PERSONAL STRIVINGS, Published Heritage Branch, Canada.

مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ر ت م د: 7163 -1112 ر ت م د إ :1892-2588
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2

المجتمع الشبكي كآلية لإرساء مجتمع المعرفة

Network society as a mechanism to establish a knowledge society

بلحميتي أمال[1] ، بوحادة سارة[2]

1- المدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية، ammeell@hotmail.com

2- المدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية، sarra-b@hotmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/05/05 تاريخ القبول: 2021/09/24

ملخص باللغة العربية:

تتعدى المعرفة –وتسبق - مفهوم جمع المعلومات إلى مفهوم التفاعل التام بين الإنسان وكل ما يحيط به، ومن خلال ما تعيشه المجتمعات الحالية بعالم يتميز بسرعة الفعل ورد الفعل إيجابا وسلبا. وذلك بفعل التغيرات الحاصلة خصوصا في مجال الإتصال جراء الثورة المعرفية التي عمقت التجليات السياسية، الإقتصادية، الثقافية والإتصالية للعولمة؛ فأصبح العالم متصلا ببعضه على مستوى الدول والحكومات والشعوب وحتى الأفراد. هذا التشابك يعزز من إرساء ضوابط لمجتمع المعرفة الذي أصبح حاجة ملحة لتطور المجتمعات، ويشكل النظام الشبكي أحد المداخل ذات الأهمية بمكان ضمن هذا النظام؛ إذ يعمل على إرساء دعائمه بالشكل الذي يدفع بتبني ثقافة وأداء مجتمع المعرفة، لكن واقع الحال –وخصوصا في الدول العربية - يستوقفنا أمام عدة عوائق تحول أمام تسهيل الأمر، وهو ما يدفع بالتأكيد على ضرورة خلق قنوات ومضامين شبكية تسهل عمل الوسائط فيما بينها خدمة للفرد والمجتمع في بيئة تسعى للإرتقاء إلى درجة المجتمع المعرفي.

المؤلف المرسل: بلحميتي أمال، ammeell@hotmail.com

الكلمات الدالة: الثروة الرقمية -الثورة المعرفية - الإستراتيجيات الإتصالية - التفاعل المجتمعي.

Abstract:

Knowledge extends - and precedes - the concept of information gathering to the concept of complete interaction between man and everything around him, through what current societies live in a world characterized by rapid action reaction positively and negatively. And this is due to changes happening especially in the field of communication due to the knowledge revolution which has deepened political economic, cultural and communicative globalization manifestations. so fot that the, World became interconnected at countries, governments, peoples levels and even individuals one. This tangle reinforces the establishment of knowledge society criteria that became an urgent need to societies development. And the network system represents one of the most important approaches this system, as it works to lay its foundations in way to adopt the performance knowledge society culture. But the real situation - especially in Arab countries - stops us in front of several obstacles wich hold us back to facilitate the question , which certainly underscores the need to create networked channels and content that facilitate media's work among themselves serving the individual and society in an environment that seeks to rise to knowledge society level.

Keywords :
Digital Wealth - Knowledge Revolution - Communication Strategies - Community interaction

مقدمة:

تشكل المعرفة قاعدة أساسية لإنجاز مشروعات التنمية الإنسانية، فهي وسيلة ضرورية لتيسير وتنويع الخيارات المتاحة أمام الأفراد لتنمية قدراتهم وطاقاتهم وإمكاناتهم. خاصة مع ظهور الثورة التكنولوجية التي تعطي الإنسان آفاقاً أوسع ومجالات أكبر في التفكير، وبالتالي المساهمة في التطوير، البناء، والتنمية. ويتوقف الفرق بين مجتمع معرفي في دولة ما والمجتمع المعرفي في دولة أخرى على مستويات ومعدلات النشاطات المعرفية الموجودة في كل منهما، وإمكانيات الحصول على المعلومات والقدرة على استخدامها بكفاءة لتحقيق أهداف معينة ومحددة، إضافة إلى التحديات التي تقف أمامها في كل دولة ومدى تكيف الدولة مع هذه العقبات لتحقيق مجتمع معرفي متكامل والذي يعتمد في أساسه على نظام الشبكات الذي أنشأ ما يصطلح عليه بـ « المجتمع الشبكي. ومن هنا نطرح **إشكالية أساسية** مفادها البحث في طبيعة المجتمع الشبكي ومدى فعاليته كآلية للدفع بتأسيس لمجتمع المعرفة فكرا وممارسة.

وتفرع عن هذه الإشكالية التساؤولات التالية:

- ماهو مجتمع المعرفة؟ وما هي أبعاده؟
- ماهو المجتمع الشبكي؟
- كيف ساهم المجتمع الشبكي في إرساء مجتمع معرفي ناجح؟

وللإجابة عن الإشكالية اقترحنا **فرضية أساسية:**

- يرتبط تحقيق مجتمع معرفي فعال بمدى نجاعة المجتمع الشبكي.

كما قسمنا الورقة البحثية إلى ثلاثة محاور رئيسية كالتالي:

1. مجتمع المعرفة المسار والأبعاد.
2. المجتمع الشبكي –الوسائط والمضامين -

3. نحو تجسيد فعال لمجتمع المعرفة من خلال النظام الشبكي: التحديات والأفاق.

1 - مجتمع المعرفة -المسار والأبعاد

1 -1. تفحص لمسار مجتمع المعرفة ضمن سياقه التاريخي:

تعود الإرهاصات الأولى لظهور مجتمع المعرفة لسبعينيات القرن العشرين أثناء المناقشات التي دارت حول التناقضات والعيوب التي تواجه المجتمع الصناعي. وفي عام 1973 قدم عالم الاجتماع الأمريكي **دانيل بيل** مجتمع المعرفة كمفهوم يهدف به التحول في الاقتصاد العالمي من اقتصاد صناعي قائم على إنتاج السلع وتسويقها، إلى اقتصاد معرفي قائم على المعرفة ويركز على إنتاجها وتطبيقها. وهو ما يناقض المقاربات الماركسية والرأسمالية في فكرة أن تقدم المجتمع مرهون بالمعطيات الاقتصادية المادية وحدها. ومن هنا بدأ التركيز على المعطيات الاقتصادية غير المادية من خلال الاستثمار العقلاني في قطاعات التعليم، التربية، والصحة والإعلام والمعلوماتية (مسفر بن جيران معيض أل رفعة 2014، ص12). إلا أنه مند منتصف الثمانينيات أثبتت التجارب أهمية الموارد البشرية ودورها في تحقيق النمو الاقتصادي الأمر الذي يعتبر حرص المجتمعات الأوروبية على التوافق من التحكم في المعلومة وحسن إعداد الرأسمالي البشري (عبد الرحمان عبد السلام جامل، محمد عبد الرزاق ابراهيم ويح، 2016، ص04).

ومجتمع المعرفة يعتبر المرحلة الثالثة من مراحل تطور الحضارة الإنسانية بعد مرحلتي الزراعة والصناعة، فهي مرحلة ما بعد الصناعة، وهناك من يطلق عليها الموجة الثالثة أمثال السوسيولوجي الأمريكي **ألفين توفلر** كونها تقوم على المعرفة، والعقل البشري واكتسابه الالكترونيات الدقيقة، والهندسة الحيوية والذكاء الصناعي والاتصالات، كما أصبح في هذه المرحلة

الانتقال من المعرفة العلمية إلى تطبيقاتها التكنولوجية أمر أكثر سهولة بزمن أقل وبمردودية اقتصادية أعلى، فضلا عن الاندماج بين تكنولوجيا معالجة المعلومات الكومبيوتر تطبيقاته وبين ثورة الاتصالات الرقمية تطبيقا لشبكات الانترنت (عبد الرحمان عبد السلام جامل، محمد عبد الرزاق ابراهيم ويح، ، 2016، ص04). مما أدى لظهور انفجار معرفي غير مسبق من حيث الكم والكيف نتج عنه تكوين بنية تحتية معلوماتية تقوم على تكنولوجيا المعلومات والاتصال، وأجهزة الحاسوب وشبكة الانترنت، التي حققت تقدما في الإبداع المعرفي الأمر الذي ساهم في إنشاء مجتمع معرفي (صبرينة بويحياوي، 2018، ص528).

1 -2. التعريف بمجتمع المعرفة:

بحسب تقرير المعرفة العربي 2009 فإن مفهوم المعرفة يمتد ليشمل مجمل المخزون المعرفي والثقافي من منظور كون المعرفة تعد ناظماً رئيساً لمجمل النشاطات الإنسانية، ترمى إلى توسيع خيارات وفرص تقدم الإنسان العربي، وبذلك تصبح المعرفة – اكتساباً وإنتاجاً، وتوطيناً وتوظيفاً – أداة وغاية للمجتمع ككل، ومن ثم فإن التغيرات في المشهد الاجتماعي أفضت إلى مجتمعات أضحت فيها المعرفة أداة أساسية للإنتاج والابتكار والتقدم وزيادة القدرة التنافسية. وبهذا تعتبر المعرفة أداة بالغة الأثر في تنمية المجتمع، وفى قدرة أفراده على إدراك حقوقهم وواجباتهم ومسئولياتهم تجاه مجتمعاتهم.

وتأسيساً على ما تقدم، يعد مفهوم مجتمع المعرفة من المفاهيم متعددة المضامين والدلالات، حيث يستخدم مصطلح مجتمع المعرفة بمعان متعددة، ويرجع ذلك إلى أن المعرفة في حد ذاتها عملية جدلية معقدة، من حيث اكتسابها واستيعابها ونشرها وتطبيقها، وكذلك لارتباط المعرفة بالعديد من المتغيرات الاجتماعية المتصلة بالجوانب الإنتاجية والتنموية في المجتمع، ويمكن

تحديد دلالات هذا المفهوم من خلال تقرير التنمية الإنسانية العربية الذي عرف مجتمع المعرفة بأنه: " المجتمع الذي يقوم أساسا على نشر المعرفة وإنتاجها وتوظيفها بكفاءة في جميع مجالات النشاط المجتمعي: الاقتصادي والمجتمع المدني، السياسية، الحياة الخاصة وصولا للارتقاء بحالات إنسانية باطراد لإقامة التنمية الإنسانية (united nation development programme 2003).

كما يعرف حسب منظمة اليونيسكو هو:"المجتمع الذي لديه قدرات على إنتاج المعلومات ومعالجتها ونقلها واستخدامها من أجل التنمية الإنسانية" (Unisco–towardsknowledgesocieties ,2005 ,p27,).

وهو ما يدفع بالقول أننا نشهد مرحلة انتقال من مجتمع المعلومات إلى مجتمع المعرفة. فالجيل الأول لمجتمع المعلومات هو المجتمع الذي يستعمل تكنولوجيا المعلومات في مختلف النشاطات البشرية. أما الجيل الثاني فيهدف إلى تشييد مجتمع مبدع من خلال التفاعل الشبكي الذي يمزج بين العوامل التكنولوجيا والبشرية الفكرية سواء على المستوى الفردي أو الجماعي(سمير الفتح علي، 2014،ص357). من خلال التموقع ضمن دورة المعرفة التي تمر بثلاثة مراحل كالتالي(زيد أبوزيد،2012): بدء بتوليد المعرفة: تقوم على البحث العلمي والإبداع والابتكار، وتتم من خلال التفاعل بين الحقائق والمعارف المتوفرة من جهة وبين عقل الإنسان وقدرته على التفكير والإبداع من جهة أخرى، تنتج عنه أفكار جديدة تسهم في التميز المعرفي. ثم نشر المعرفة: تقوم على التعليم، التدريب والثقافة تقوم به كل مؤسسات المجتمع المدني وسائل الإعلام والاتصال مما يسهم في تعزيز الثقافة وتطويرها. ومن ثمة استخدام المعرفة: أي توظيفها بكفاءة على كافة شؤون الحياة، لما يحقق الارتقاء كما يمكننا الإشارة إلى أنه للبيئة دور في حيوية دور المعرفة (عبد الرحمان عبد السلام جامل، محمد عبد

الرزاق ابراهيم ويح، 2016، ص06)، حيث تستفيد هذه النشاطات من المهارات الإنسانية ومن مخرجات البحث العلمي، فهو نتاج عن توليد ونشر المعرفة فبدورها تبقى المعرفة جامدة غير مفتعلة بعيدة على أرض الواقع.فاستخدام المعرفة وترويجها ينشأ مجتمع متكامل مبني على المعرفة قادر على العطاء والمنافسة واستغلال طاقاته ومن تم تحقيق ناتج قومي وتنمية مستدامة للأجيال القادمة(سعد علي الحاج بكري، د.ت.ن، ص21).

ومن هنا؛ يمكن بلورة تعريف لمجتمع المعرفة على أنه:المجتمع الذي تنشر فيه المعرفة باستخدام تقنيات المعلومات والاتصال وتوظيفها بكفاءة في جميع الميادين مما يحقق رفاهية الفرد.

ولمجتمع المعرفة متطلبات من إجراءات وضوابط حتى تمكن من إرسائه، فهناك عدة مراحل يمر بها المجتمع ليصل إلى مجتمع معرفي بدءا بوجود رأسمال الطاقم القائم على نشر مجتمع المعرفة، وتشمل:

- ✓ كفاءات معرفية وتقنية ومهنية.
- ✓ كفاءات الاتصال والتواصل الجماعية والاجتماعية.
- ✓ استخدام الانترنت للبحث والتعامل مع البريد الالكتروني.
- ✓ إعداد أدوات التقويم والموارد التعليمية وإجراء البحوث واحترام العمل الجماعي، نبد العنف وإرساء ثقافة التفاهم بين أبناء المجتمع (هواري عامر، هواري عبد القادر، 2014، ص ص05 -06)
- ✓ تكثيف الإصلاحات واستخدام العلم والتكنولوجيا المتاحة مما يشكل أرضية خصبة لمجتمع المعرفة، تشمل شبكة اتصالات قوية وحديثة في خدمات الاتصال (بنية تحتية عالية الجودة والاتصالات، أجهزة حديثة،

عالية السعة، ومتطورة)أي خلق إنسان قادر على استخدام تكنولوجيا معلومات والاتصال والتحكم فيها، وهذا من خلال ثلاثة مستويات(عبد الرحمان عبد السلام جامل، محمد عبد الرزاق ابراهيم،2016، ص09):

- تربوي: بتعلم الإنسان كيفية برمجة المعلومات في إطار المعرفة.
- بحثي:من خلال استكشاف القوانين واستخدام المفاهيم.
- تجريبي: فالعمل التجريبي يؤدي لتحول المعلومة إلى معرفة وهذه الأخيرة إلى ابتكار.

1 -3. أبعاد مجتمع المعرفة:

- البعد الاقتصادي: يشير التقرير العالمي لليونسكو (منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة 2005) إلى أن اقتصاد المعرفة يقوم على التكامل بين إمكانات تشفير وتخزين ونقل المعلومات التي أتاحتها التكنولوجيا والرأسمال البشرى للعمال القادرين على استعمال هذه التكنولوجيا، والاستغلال الأمثل للقدرات الإنتاجية بفضل التقدم في إدارة المعرفة، وفى ظل اقتصاد المعرفة أخذت بعض الأنشطة غير المادية المرتبطة بالبحث والتربية تنزع إلى احتلال مكان متنام في الاقتصاد العالمي. أي يمكن تحويل المعرفة إلى عنصر مولد للقيمة الاقتصادية وأصبح اقتصاد المعرفة مصدرا أساسيا للثروة في مجتمع المعرفة حيث تعتبر المعرفة المصدر الأساسي للقيمة المضافة وإنشاء فرص عمل اقتصاد وترشيده مما يجعل المجتمع قادرا على المنافسة الاقتصادية.

- **البعد الدولي: الطابع الدولي لمجتمع المعرفة ساهم في تحقيقه التقدم المتنامي لتكنولوجيا المعلومات والاتصال، من خلال قدرتها الفائقة على تخطى الحواجز المكانية والزمنية، وتيسير نقل وتداول المعارف والمعلومات بين المجتمعات، وأدى التقدم في هذه التكنولوجيا إلى ظهور أشكال جديدة لتوفير المعرفة حول العالم من خلال التعليم عن بعد والتعليم الافتراضي، وأدى إلى تزايد حراك الطلاب والبرامج التعليمية عبر الحدود.**
- **البعد الاجتماعي: سيادة درجة معينة من الثقافة المعلوماتية في المجتمع وزيادة مستوى الوعي بتكنولوجيا المعلومات وأهمية المعلومة ودورها في الحياة اليومية للإنسان.**
- **البعد التكنولوجي: يعني توفير البنية للازمة من وسائل اتصال وتكنولوجيا الاتصال وجعلها في متناول الجميع وسيادتها وتطبيقها في مختلف المجالات مما بفرض ضرورة الاهتمام بالوسائط الإعلامية والمعلوماتية وتكييفها وتطويعها(علي بن صالح الشايع، 2011، ص ص 416 -417).**

وبامتزاج البعدين الأخيرين يحيلنا الأمر لتشخيص متغير المجتمع الشبكي الذي يشكل آلية للتحرك وفق هذا النمط الجديد للعلاقات بين الأفراد والمجموعات. وهو ما سنوضحه في المحور الموالي.

2 - المجتمع الشبكي - الوسائط والمضامين

2 -1. مفهوم المجتمع الشبكي:

أفرزت العولمة نوعا من التداخل والتشابك في الطبيعة العلائقية للأفراد والجماعات من خلال إعتماد التقانة المتطورة وتطبيقها في مختلف الهياكل والمؤسسات والتنظيمات بما يحقق أهداف هذه المنظمات ويخدم الصالح العام ضمن منظومة شبكية.

عرف مانويل كاستلز (Manuel Castells) المجتمع الشبكي بأنه "مجتمع حيث يتم تنظيم الهياكل والأنشطة الإجتماعية الرئيسية حول شبكات المعلومات المجهزة إلكترونيا يتم فيها معالجة وإدارة المعلومات بإستخدام التكنولوجيات القائمة الإلكترونية الدقيقة". (نيك كولدري، 2014، ص170) وقد أحدث منطق الشبكات لكاستلز تعديلا كبيرا في عمليات الإنتاج، الخبرة، الطاقة، والثقافة؛ فأصبحت الشبكات هي الوحدات الأساسية للمجتمع الحديث. وبهذا؛ فقد أبرز كاستلز دور الشبكة كأحد وسائط الإتصال الجديدة من خلال الدور الكبير والهام الذي بدأت تلعبه تقانة المعلومات فيرسم مع المجتمع الألفية الثالثة، كونها تمتاز بتأثير متزايد على جميع عناصر منظومة المجتمع بحيث أن جميع هذه العناصر مرتبطة مع تقانة المعلومات؛ إن لم تكن محركا رئيسيا للمجتمع والأفراد ككل، بعد أن استقرت في قلب المنظومات الثقافية، الاقتصادية والسياسية. إضافة لكونها في قلب التحولات السريعة والمفاجئة، مما يجعل من الصعوبة بمكان فك الإرتباط بين الثقافة والتقانة.

في حين حدد جان فان دايك Jan van Dijk فكرة" مجتمع الشبكات "كشكل من أشكال تنظيم المجتمع على نحو متزايد؛ حيث أن علاقاتها في الشبكات الإعلامية تحل تدريجيا محل–أو تكمل –الشبكات الإجتماعية للتواصل وجها لوجه؛ فيتم إستبدال الإتصالات الشخصية عن طريق التكنولوجيا الرقمية. وبذلك؛ يصف فاندايك مجتمع الشبكات فيما هو عليه وما قد يكون عليه في المستقبل؛ أي عملية التحول في العلاقات الشخصية والتنظيمية والإتصال الجماهيري إلى مجتمع الشبكات. لقد أكد فاندايك على ضرورة إستخدام الإتصال الشبكي من قبل أكبر شريحة من السكان

وأصحاب المصالح الخاصة في الإقتصاد والسياسة والثقافة. وأن ورقة وسائل الإتصال التقليدية ستصبح خارج التاريخ (الأشكال القديمة لنشر المعلومات).

يشكل المجتمع الشبكي فضاء لا متناهيا ؛هو بدوره وطن جديد لا ينتمي لا للجغرافيا ولا للتاريخ؛ وطن بلا حدود ولا ذاكرة ولا تراث. هو الوطن الذي تبنيه شبكات الإتصال المعلوماتية الإلكترونية التي أصبح لها تأثيرا متزايدا على الأفراد والدول وكذا على بنية الحركات الإجتماعية.

وقد درس "باري ويلمان" (Barry Wellman) مجتمع الشبكات، ويرى أن المجتمعات بأي مقياس من الأفضل أن ينظر إليها على أنه الشبكات، و"شبكات الشبكات؛ وليس كمجموعات يحدها في الهياكل الهرمية. وقد ساهمت دراسة ويلمان لنظرية تحليل الشبكات الإجتماعية مع التركيز على شبكات فردية، والمعروفة أيضا بإسم" النزعة الفردية المتصلة بالشبكة." ويركز ويلمان على ثلاث نقاط رئيسية للمجتمع الشبكي والمتمثلة في ثلاثية المجتمع، العمل، والمنظمات. ويذكر أنه يمكن للمنظمات أن تستفيد أيضا من توسيع الشبكات في أن وجود علاقات مع أعضاء منظمات مختلفة يمكن أن تساعد في قضايا محددة.

كان أول ظهور للشبكات من خلال موقعclassmates.com في منتصف التسعينات للربط بين زملاء الدراسة،(Frédéric Santos2017) وكذا موقع sixdegrees.com عام 1997 والذي ركز على الروابط المباشرة بين الأفراد، ورغم تمتع تلك الشبكات بنفس خصائص الشبكات الحالية من خلال خدمات الملفات الشخصية وكذا الرسائل بين الأصدقاء إلا أنه تم إغلاقها. وظهرت عام 2002 شبكةfriendster التي حققت نجاحا مما دفع القائمين على محرك البحث "قوقل" إلى محاولة شرائها عام 2003 إلا أنه لم يتم الإتفاق على

شروط الإستحواذ، وظهرت عام 2003 في فرنسا شبكة skyrock كمنصة للتدوين والتي تحولت إلى شبكة إجتماعية عام 2007، وتمكنت بسرعة من تحقيق إنتشار واسع لتصل بذلك في العام الموالي إلى المركز السابع في ترتيب الشبكات الإجتماعية وفق مؤشر عدد المشتركين (علي حجاز ابراهيم، 2017، ص72).

وتصنف الشبكات وفق الإمتداد وسائلها المادية لثلاث أصناف: شبكات محلية، شبكات المدن، شبكات النطاق المتسع؛ والتي تنقسم بدورها إلى ثلاث شبكات؛ وهي: شبكة الأنترانت، شبكة الإكسترانت، وشبكة الأنترنت؛ والتي تحوي بدورها نظام معلوماتي عالمي مؤلف من كم هائل من النصوص والصور والعينات الصوتية ولقطات الفيديو، متصلة ومرتبطة محليا وعالميا بدرجات وتنسيق متفاوتين بشكل يشبه نسيج العنكبوت، وكذا خدمة البحث والتي تتم من خلال محركات البحث والتي تشكل أدوات للبحث تمكن من العثور على المعطيات المهمة بالنسبة للمستخدم أشهرها قوقل، وأخيرا الشبكات الإفتراضية والتي تشكل فرعا أساسيا للنظام الشبكي؛ فهي شبكات عنكبوتية متخصصة نوعا ما؛ والتي تم توظيف خصائصها لتلائم سرية نقل البيانات والحفاظ على أمن المعلومات، حيث تتم حماية البيانات بشكل عام عادة بتشفيرها فيصعب فهمها إذا ما تمت سرقتها، وأحيانا لا يكفي تشفير المعلومات إذا وضعنا بعين الاعتبار وجود أنواع كثيرة من آليات التشفير، والتي يمكن كسرها بطريقة أو بأخرى؛ لذا كان لابد دائما من إتباع أنظمة قوية ومؤكدة من شركات كبيرة وذات إسم لا معفي عالم التشفير كنقطة مبدئية للعمل على هذه الشبكات الإفتراضية. وبذلك؛ هي شبكات لا وجود لها في الواقع ولكنها تؤدي واجبها على أكمل وجه كأكثر أنواع الشبكات أمانا وأكثرها شيوعا وحتى إستخداما بين الشركات الكبيرة. ولكونها شبكات إفتراضية يتطلب الأمر وجود داعم حقيقي يحمل هذه

الإفتراضية لأرض الواقع، ولا بد لهذا الداعم أن يكون مستيقظا كل الوقت؛ جاهزا ومستعدا في أي لحظة.

ويتسم المجتمع الافتراضي بمجموعة من السمات؛ كالمرونة وانهيار فكرة الجماعة المرجعيّة بمعناها التقليدي،فالمجتمع الافتراضي لا يتحدّد بالجغرافيا بل الاهتمامات المشتركة التي تجمع معاً أشخاصا لم يعرف كلٌ منهم الآخر بالضرورة قبل الالتقاء إلكترونياً(سفيان ساسي ، 2016). والجدير بالذكر؛أن هذه المجالات لا تقوم على الجبر أو الإلزام بل تقوم في مجملها على الإختيار. وتتميز هذه المجتمعات الافتراضيّة بوسائل تنظيم وتحكّم وقواعد لضمان الخصوصيّة والسريّة. ومع ذلك تبقى بمثابة فضاءات رحبة مفتوحة يساعدها في ذلك الدرجة العالية للامركزية والتي تنتهي بالتدريج لتفكيك مفهوم الإنتماء التقليدي.

2 -2. **تفاعلات الوسائط الشبكية ضمن المنظومة المجتمعية:**

ومع أن مواقع التواصل الإجتماعي لا تشكل في ذاتها العامل الأساس للتغيير في المجتمع،إلا أنها أصبحت عاملا مهما في تهيئة متطلبات التغيير عن طريق تكوين الوعي في نظرة الإنسان إلى مجتمعه والعالم إنطلاقا من معارفه التي تأخذ طابعا جديدا في تلقيها ومشاركتها وحتى المبادرة بالقيام بالفعل والترويج له بالوسائل الحديثة للإعلام. فالمضمون الذي تتوجّه به عبر رسائل معينة لا يؤدي بالضرورة إلى إدراك الحقيقة فقط،بل إنه يسهم في تكوين الحقيقة، وحل إشكالياتها. فالمكان الافتراضي أعطى نهاية لفوبيا المكان،لذلك وصفت شبكة الأنترنت كفضاء افتراضي بأكثر الأمكنة تحررية. كما أنه يصيغ المعادلة الزمنيّة التي تجمع في الوقت ذاته، السّرعة اللّحظيّة، وسرعة الطّواف، وهذا ما عبر عنه البعض بالزّمن العالمي الذي هو بمثابة الزّمن

العابر" للحدود بين القارّات والمجتمعات واللّغات، التي تنقل المحتوى بالسّرعة القصوى من أيّ نقطة في الأرض إلى أيّ نقطة أخرى.

تجاوز إحتكار المعلومة من طرف السلطة الحاكمة بحيث أصبحنا نلمس القوة في القدرة على بث أكبر قدر ممكن للمعلومات ضاربي بعرض الحائط كل الحدود والحواجز التي كانت تقف في وجه الراغب بالحصول على المعلومة. لكن؛من جانب آخر؛أصبح التلاعب بالمعلومة يغطي جانبا أكبر من الحقائق في ظل تسيير الأنترنت والمواقع الإلكترونية لسياسات الدول وضبط حركياتها في مجالات.فمن منظور إيجابي نجد بدون أدنى شك أن تكنولوجيا الشبكات أضفت بعدا ايجابيا جديدا على حياة الملايين من البشر من إحداثها لتغييرات ثقافية واجتماعية وسياسية واقتصادية في حياة مجتمعات بأكملها؛فهي نافذة مطلة على العالم. فالمجال المفتوح جعل مواقع التواصل الإجتماعي أداة قوية للتعبير عن الميول والاتجاهات والتوجهات الشخصية تجاه قضية الأمة المصيرية (جمال معتوق، شريهان كريم، 2012)، ففي حالات عدة تم تجاوز جميع وعدم السماح بالتحكم في سيرورة مجتمعه وتحولاتها.

وبهذا؛ عزز نظام الشبكات من ظاهرة العولمة الثقافية، وذلك من خلال ثقافة التواصل المشتركة بين مستعملي تلك الوسائط، بما يخدم المصالح في وقت قياسي وعلى وجه أحسن. ولكن؛ رغم نجاح التجربة الشبكية في حالات عدة؛ إلا أنها في حالات أخرى ومواطن أخرى كانت سببا لعدم نجاعة هذا التأثير واتخاذه منحى كارثيا في حالات عدة.

كل هذا وذاك؛ يدفع بالمنظومة المجتمعية إلى هوة ناجمة عن الفجوة الرقمية بين الدول المتطورة التي تعرف كيفية إستخدام والتعامل مع المعطيات الإفتراضية ونظيراتها المتخلفة والتي لا تزال تدور في فلك التعارف. وكل هذا

يفسح مجالا أكبر لصناع القرار بالتحكم في مصير الشعوب المغيبة -إن صح التعبير - والتلاعب بمستقبلهم كمواطنين لهم رأيهم تجاه ما يحدث من حولهم؛ لهم ثقافة سياسية مكتسبة من طبيعة النظام والتفاعلات الحاصلة بداخله، وحتى سلوكه الخارجي النابع عن عقيدة معينة ومبادئ يتبعها ويحترمها رغم تغير صناع القرار فيه. وهذه الثقافة المكتسبة تدفع بتعميق الوعي والإدراك بما يجري في البيئة المحيطة مما يسمح بالتفاعل معها من خلال التأثير فيها على الوجه الذي يدعم سيرورتها ويوجهها للأحسن. وهو ما اصطلح عليه في إطار ظاهرة حديثة للديمقراطية وهي الديمقراطية الرقمية؛ والتي يتشعب دورها ويمتد من فتح الحوار المباشر بين الناس وصولاً لصناعة الرأي العام إلى التأثير المباشر على صياغة القرار السياسي؛ وهو قرار باتت تفرضه أكثر فأكثر هذه الجماهير الرقمية على المؤسسات الحاكمة والسلطات القائمة.

لذا؛ نرى كيف يحتاط صناع القرارات في بعض دول العالم الثالث القمعية بشكل معاكس لهذه الهجمة الديمقراطية الرقمية الصريحة عليها، فلا تتوانى أنظمة من ملاحقة بعض المدونين، ناهيك عن العمل على تعطيل هذه الشبكات تخوفا من تصاعد هذه المستجدات وإتخاذها منحى كارثيا وهو ما يؤكد صدقية فكرة الفجوة الرقمية بين المجتمعات المتطورة ونظيراتها النامية بما يكون له الأثر السلبي على البنية المجتمعية ككل. والجدير بالذكر؛ أن هذا التقليص الممنهج للحريات عادة ما تكون له نتائج عكسية (فضل الله وائل مبارك خضر، 2011، ص20). وهو ما يحيلنا للتأكيد على ضرورة تبني المدخل الشبكي للتفاعل وفق معطيات العصر الحالي الذي يعرف ثورة رقمية وتوجيهها خدمة

للإرتقاء وفق معطيات مجتمع المعرفة الذي لا يزال يعرف لا تحديات تقف أمام تطوره في عدة مناطق من العالم، وهو ما سنورده في المحور الموالي.

3 - نحو تجسيد فعال لمجتمع المعرفة من خلال النظام الشبكي: التحديات والآفاق

3 -1. تحديات إرساء دعائم مجتمع المعرفة:

ورد في تقرير العربي الأول للتنمية الثقافية 2008 بخصوص التهديدات التي تشكل عوائق حقيقية نحو تفعيل لمجتمع المعرفة أن هذه العوائق تقف عقبة أمام محاولات التطوير للبنى والوظائف (تركماني،2009)، والتي من أهمها:

- ✓ تزايد معدلات الأمية في استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصال.
- ✓ ضعف البنية التحية لتحقيق مجتمع معرفي.
- ✓ تخلف برامج التعليم والتربية.
- ✓ ضعف نوعية التعاليم العالي من منظور دولي.
- ✓ الكثافة الطلابية التي لا تتناسب مع القدرات الاستيعابية للجامعات.
- ✓ افتقدا الأقطار العربية للخبرات والاستراتيجيات والخطط الفعالة للتوجه إلى مجتمع معرفة.
- ✓ محدودية الاهتمام بتكنولوجيا المعلومات وغياب الثقافة العلمية التكنولوجية.
- ✓ غياب مراكز البحث وتزايد معدلات هجرة الأدمغة.
- ✓ ضعف حجم صناعة الالكترونيات وتكنولوجيا المعلومات والاتصال.

والفاحص لهذه العقبات -والتي يمكن القول أنها تشكل تحديات حقيقية تقف عائقا أما تحقيق مجتمع معرفي فعالا خاصة في المجتمعات العربية - يمكنه أن يلاحظ تنوعها ما بين السياسة، الاقتصاد، الاجتماع والثقافة (محمد

خليفة صديق، 2016، ص32). وهذا الأمر يمكن أن يكون مبررا لأسباب أخرى تقف أمام تجاوز هذه العقبات، والتي من أهمها:

- ✓ انعدام حريات الرأي والتعبير، والتنظيم، والانفتاح على الثقافات الأخرى.
- ✓ نقص المعلومات وغيابها في قرارات المجتمعات -العربية خصوصا -، مما يؤدي لضعف الشفافية ينجر عنه عزوف الشباب عن المشاركة السياسية الفعالة.
- ✓ تضييق الخناق على الوسائل والمشاريع الالكترونية.
- ✓ سيطرة البيروقراطية على البحث العلمي والمؤسسات الجامعية.
- ✓ ضعف البعد الاستراتيجي والاستشرافي في العديد من الدول العربية.

هذه التحديات مجتمعة تدفعنا للتأكيد على ضرورة تبني نمط المجتمع الشبكي كضرورة وآلية لتحقيق مجتمع المعرفة(أحمد عبد المجيد، 2012)، والتي تتمثل فيما يلي:

- الانفجار المعرفي: من خلال تزايد المعرفة والأفكار والتجديد والتطوير، وكذا الاحتفاظ بالأشكال المختلفة للمعرفة في بنوك المعلومات وإمكانيات صياغتها وتحويلها إلى خطط جديدة تفيد المجتمع.
- سرعة الاستجابة للتغيير: من خلال تحول مؤسسات المجتمع من المؤسسات التقليدية إلى مؤسسات حديثة ذكية وناجحة تكشف عن الاتجاهات السلبية في المجتمع بشكل دقيق وسريع. إضافة إلى ظهور مفاهيم جديدة تتميز بالجودة العالية كالجامعة الافتراضية والتعلم عن بعد، والتجارة الالكترونية.
- إزالة الفواصل الجغرافية والتنافس في الوقت: وهي السمة البارزة للأنظمة الشبكية التي تلغي الحدود الزمنية والمكانية، وتسمح بتوفير

الخدمات والمنتجات التي أصبح الناس في تنافس مفتوح عليها محفزين بعاملي الفاعلية والوقت.

- التطور التكنولوجي: الذي يدفع لاكتشاف القدرات والمعارف الجديدة وتوفير جودة الأداء وبأرخص ثمن، وأكثر تقدما وتعقيدا من سابقتها. كما أن المعرفة والمعلومات اللازمة لإنتاجها أكثر كثافة وتتطلب ارتفاعا متزايدا للقدرات البشرية من علماء ومطورين وتقنيين.

وفي هذا السياق؛ ركز تقرير التنمية الإنسانية العربية على خمس أركان أساسية تمثل متطلبات رئيسة لتأسيس مجتمع المعرفة في العالم العربي (united nation development programme, 2011,p11.)، يمكن إيجازها فيما يلي:

- إطلاق حريات الرأي والتعبير، فهي العتبات المؤدية إلى سبل إنتاج المعرفة، والمفتاح لأبواب الإبداع والابتكار، ولحيوية البحث العلمي والتطوير.والتطوير التكنولوجي.
- النشر الكامل للتعليم، وترقية جودة النوعية في جميع مراحل التعليم، وإعطاء اهتمام خاص بالنهوض بالتعليم العالي، والتعليم المستمر مدى الحياة.
- توطين العلم وبناء قدرة ذاتية في البحث والتطوير في جميع النشاطات المجتمعية، من خلال تشجيع البحث الأساسي، وإقامة نسق عربي للابتكار.
- التحول الحثيث نحو نمط إنتاج المعرفة في البنية الاجتماعية والاقتصادية، من خلال تطوير الموارد القابلة للتجدد، اعتماداً على القدرات التكنولوجية والمعرفية الذاتية.

- تأسيس نموذج معرفي عربي عام أصيل منفتح ومستنير، يعتمد على صحيح الدين، مع النهوض باللغة العربية، والاعتزاز بالتراث المعرفي العربي، والانفتاح على الثقافات الإنسانية الأخرى، من خلال تحفيز التعريب والترجمة، وتعظيم الاستفادة من المنظمات الإقليمية والدولية فى هذا المجال. وفي هذا السياق نؤكد على ضرورة اعتماد النظام الشبكي كمدخل لتثبيت دعامة صلبة لمجتمع المعرفة من خلال الضوابط الواردة في العنصر الموالي.

3 -2. محورية تحقيق المجتمع الشبكي لتثبيت دعامة مجتمع المعرفة:

لتحقيق مجتمع معرفي قادر على تحقيق متطلبات التنمية البشرية ومستعد للدفع بالمنظومة المجتمعية ككل نحو بلوغ مستويات معتبرة من المعرفة لابد من العمل على إحداث قفزة نوعية تعتمد على القدرة والرغبة في تحقيقها (جبريل بن حسن العريشي، 2016، ص ص 296 -297)، وهذا من خلال:

- توفير بنية تحتية لتكنولوجيا المعلومات وتطبيقاتها وخدماتها وفق متطلبات الأنظمة الشبكية، أي إنشاء البني الأساسية لمجتمع المعرفة والمتمثلة في الموازنات المعتبرة، ومراكز الأبحاث والتدريب، وشبكات الاتصال، والقوى العاملة. وكل يعمل في نطاقه مع التنسيق من خلال المنظومة الشبكية التي تحوي شبكات فرعية تحترم خصوصية كل قطاع أو منظمة مع فتح قنوات للتواصل وتبادل المعلومات وحتى التشاور بين هذه الشبكات في حقلها الكلي.
- تطوير المعدات والبرمجيات المحلية والابتعاد عن التبعية. من خلال الإعتماد على الشبكات المحلية المبتكرة ذاتيا والإبتعاد عن شراء قواعد

البيانات لما للأمر من هشاشة المقاومة للإختراقات والمساومات التي تليها أو حتى الخسائر التي يمكن إيقاعها بالشخص المسؤول عن الشبكة. ومن جهة أخرى؛ فإن المعرفة سرعان ما تتقدم لتحل مكانتها معرفة من نوع أرقي،مما يؤدي إلى زيادة حاجة المجتمعات إلى منتجين ومخترعين لأن اليوم أصبحت المعلومات والمهارات ضرورة ملحة لبقاء المجتمعات، وأصبحت هي رأس مال الأمم ولم يعد السوق العالمي هو سوق المنافع والخدمات فقط بل سوق الأفكار والمعلومات(مسفر بن جبران معي ضال رفعة، 2014، ص14). وبالتالي فإنه من يتحكم في المعلومة يمتلك القوة.

- النجاح في الاستثمار الأمثل للتكنولوجيا بهدف تحسين نوعية التربية والتعليم وتوسيع انتشاره وتحقيق تعميم المعرفة دون أن يكون ذلك على حساب نوعية التعليم.فالتعليم ضرورة وحاجة ملحة، مما يدع بالعمل على تبسيط الحصول على المعلومات والبيانات لإختزال الوقت والمكان. من خلال العمل على تبني الطرق الجديدة للتعليم (التعليم الالكتروني – التعليم عن بعد).
- تحقيق استقرار سياسي وتزويد المواطنين بالمعلومات في جميع الميادين. فحجب المعلومة يؤدي لبناء عدم الثقة بين المواطنين والهيئات القائمة على هذه المعلومات مما يكرس التباعد ضمن المنظومة المجتمعية وهو ما يقف عائقا أمام تأسيس لمجتمع المعرفة.
- حرية الصحافة، والرأي والتعبير وحق الفرد في الحصول على المعلومة. وهذا من خلال تسهيل ولوج المستخدمين إلى المضامين التي تخدمهم دون التذرع بالخصوصية ووجوب احترامها إلا في الحالات الضرورية.

- مشاركة المواطنين في صناعة القرار خاصة فئة الشباب. فهي الفئة الأكثر استيعابا للثورة الرقمية ومضامينها وكيفية عملها وهي الفئة التي بمقدورها التأثير في المجالات المختلفة إسجابا وسلبا بحسب الثقافة المستقاة من البيئة والإعتبارات الشخصية.
- ضرورة إشراك مراكز الأبحاث والجامعات والمعاهد العليا في صناعة المعرفة لمواكبة العصر. وهذا لتأسيس معرفة تسهم في تكامل المجالات والإهتمامات من خلال تقاطع وتفاعل الرؤى والإنجازات بما يخدم تطور المجتمع وتنمية قطاعاته.
- غرس قيم وثقافة في المجتمع تتماشى والعصر الجديد وتزويد الأفراد والمؤسسات بالمعلومات والبيانات اللازمة دون مغالطات للحصول على نتائج ايجابية في جميع المجالات.فالمعرفة اليقينية تختلف عن المغالطات وتنم عن إدراك لواقع الحال مما يدفع بالتفكير في الحلول التي من شأنها رفع مستوى الأداء وتحسين المنظمات سواء كانت هيكلية موجودة على الواقع أو رقمية من خلال الشبكات.
- القيام بدورات تدريبية للتعرف على طرق استخدام التكنولوجيا الحديثة. فالأمر من شأنه أن يرفع مستوى الإعتماد على الأنظمة الشبكية مما يكسر الحاجز بين المستخدم والنظام ويعمل على تسهيل القدرة على استيعاب معطيات هذه الأنظمة والتفاعل معها ومن خلالها لتعزيز القدرات والأداء.

خاتمة:

نستنتج من خلال ما سبق أن المعرفة اليوم أصبحت موردا اقتصاديا وأساس تطور المجتمعات، وذلك نتيجة للثورة التكنولوجية الهائلة التي أدخلت تغيرات على مختلف المجالات وعلى كل المستويات سواء الدولية، المحلية، وحتى الفردية، فالمجتمع المعرفي يساهم في تطور المجتمعات التي استطاعت التكيف مع التطور التكنولوجي. لكن على الرغم من كل أهميته إلا انه يواجه عدة تحديات تقف أمام تطوره خاصة في العالم العربي إن لم يتم البحث عن إستراتيجية متكاملة وفعالة للتكيف مع هذه التطورات.ويعد المجتمع الشبكي النظام البديل لنظيره التقليدي الذي في زمن تداخلت فيه الأنساق وتشابكت مما جعل المنظومة الكونية ككل متناسق على إختلافات فروعه وتناقضاتها؛إلا أنها تجد وحدات وقنوات للتواصل والتوافق تباعا للأهداف الذاتية أو الموضوعية على حد السواء بالشكل الذي يسهم في تحقيق المصالح الفردية والجماعية؛وهو ما برز يدفع لتكوين وعي وممارسة لنمط مجتمع المعرفة الذي يجدر به تحويل وتطوير الحياة الفردية والمجتمعية زمن يتحدى الجغرافيا والسياسة. مما يدفع بالتأكيد على ضرورة الإستثمار في القوة الحقيقية للدول وثروتها غير الناضبة وهي الفرد كإنسان فاعل في مجتمعه؛بمقدوره إحداث التغيير والتأثير في طبيعة النظام الحاكم بغض النظر عن طبيعته. ومن هنا يتسنى توجيه هذا النمط الجديد للإعلام بما يخدم الصالح العام ويحقق الرشادة؛ فالفرد المواطن والفاعل في بيئته هو الثروة الحقيقية للأمة.

قائمة المراجع:

أولا: المراجع باللغةالعربية.

01 - الكتب:

- بن الحسن العريشي جبريل، (2016)، بنت خلف مددين سحر، مجتمع المعرفة في العالم العربي الأردن :دار المنهجية.
- بكري سعد على الحاج، منظومة مجتمع المعرفة في عيون تتأمل وعقول تأمل. السعودية:د.د.ن،د.ت.ن.
- فضل الله وائل مبارك خضر، (2011)،أثر الفيسبوك على المجتمع. الخرطوم: المكتبة الوطنية للنشر، 2011.
- كولدري نيك، (2014)، شبكات التواصل الإجتماعي والممارسة الإعلامية، تر. هبة ربيع، القاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيع.
- ابراهيم علي حجاز، (2017)، التكامل بين الإعلام التقليدي والجديد، (القاهرة: دار المعتز للنشر والتوزيع، ط01.

2 - المجلات :

- أل رفعة مسفر بن جبران معيض، (2014أبريل) " تجديد دور المعلم السعودي للتوائم مع مجتمع المعرفة "دارسة تحليلية ""، مجلة العلوم التربوية ع:02.ج2 .
- بويحياوي صبرية ، (2018مارس)،"المعالم الأساسية لمجتمع المعرفة في ظل التنمية المستدامة "مجلة المفكر، ع.11.
- الشايع علي بن صالح، (2011)، "التحديات التي تواجه الجامعات السعودية للتحول نحو مجتمع المعرفة ".مجلة كلية التربية جامعة الإسكندرية، المجلد 21، ع.02.
- صديق محمد خليفة، (2016)، إفريقيا والتحول إلى متجمع المعرفة التحديات والرهانات. مجلة ذوات، ع.18.
- الفتح علي سمير، "مجتمع المعلومات والفجوة الرقمية في الدول العربية "،مجلة جامعة دمشق، مجلد03، ع.01، 2014.

3 - المداخلات:

- جامل عبد الرحمان عبد السلام، ويح محمد عبدالرزاق إبراهيم، "التعليم الالكتروني كآلية لتحقيق مجتمع المعرفة (دراسة تحليلية) " محاضرة مقدمة في المؤتمر والمعرض

الدولي الأول1 لمركز التعليم الالكتروني بعنوان التعليم الالكتروني حقبة جديدة في التعليم والثقافة 19/17 أبريل 2016 جامعة البحرين.

- معتوق جمال، كريم شريهان، "دور شبكات التواصل الإجتماعي في صقل سلوكيات وممارسات الأفراد في المجتمع"، محاضرة ألقيت ضمن فعاليات الملتقى الدولي حول شبكات التواصل الإجتماعي والتغير الإجتماعي، ، 10/9 ديسمبر 2012. جامعة بسكرة.
- عامر هواري، عبد القادر هواري، "تفعيل دور الجامعة للمساهمة في البناء المعرفي للمجتمع"، مداخلة في ملتقى دولي أنظمة الابتكار والدور الجديد للجامعات نظم الابتكار والإقليم،2014 جامعة بورج بوعريريج.

4 - مواقع الأنترنت:

- عبدالله تركماني (2009)، مجتمع المعرفة وتحدياته في العالم العربي، الحوار المتمدن، ع.2554 من الموقع http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=162514 تم تصفحه يوم 2016/11/16 على الساعة 20:20.
- أحمد عبد المجيد، (أبريل 2012)،"المدارس الذكية تعليم مبني على العقل "مجلة التدريبة التقنية، من الموقع :http://altadreeb.net/printArticle.php?id=602 تم تصفحه يوم 2016/11/16 على الساعة 08:13
- أبوزيد زيد، (2012) "مجتمع المعرفة واقتصاد المعرفة"، من الموقع : http://al3loom.com/?p=3909 تم تصفحه يوم 2016/11/15 على الساعة 09:03
- ساسي سفيان، (2016) "تكوين الهوية الرقمية للشباب الجزائري -مقاربة سوسيولوجية لإستخدام شبكات التواصل الإجتماعي"، من الموقع: www.aranthropos.com تم تصفحه يوم 2020/03/30 على الساعة 20:20

ب - المراجع باللغات الأجنبية:

- Santos Frédéric, « Quel A Eté Le Premier Réseau Social ? »,12/09/2017 Vu Le: 302020/03/, A : 10 :15, Au Site : Http://Www.Memoclic.Com/1593-Reseau-Social/15754-Premier-Reseau-Social.Html#Ixzz4kmpy2acz
- United Nation Development Programme ،Arab Human Development Report 2003Building A Knowledge Society.
- Unisco-Towards Knowledge Societies ,Paris. Unisco Publishing 2005.

ElWahat pour les Recherches et les Etudes Vol.**14** (N°**2**)/ (**2021**) :1391-**1412**

El-Wahat for Research and StudiesReview
ISSN : 1112 -7163 E-ISSN: 2588-1892
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2

A **System of the Division of Social Work in the Maghreb Mountain Society: A Sociological Approach.**

منظومة تقسيم العمل الاجتماعي في مجتمع الجبل المغاربي: مقاربة سوسيولوجية

Noureddine Boulares

Associate professor in the University of Ghardaia, Algeria
univer1995@yahoo.fr
Boulares.noureddine@univ-ghrdaia.dz

Reçu le: 27/03/2020 Accepté le: 04/07/2021

Abstract:

From a sociological point of view, the mountain, apart from being a physical area, ecologically and topography, is also a unique social, cultural and economic world, as the people of Mountain communities organize their community and work to manage their daily pension, thereby giving identity and community specificity Different from other worlds. The Papers of this Article are an Analytical Sociological Attempt of the Maghreb Mountain Community Component in its Interview with other Worlds. It is inspired by the idea of the Division of Social Work in the Sociological Field, the Most Important of its Theoretical and Empirical Dimensions. So it will represent the Durkheim's Reading; and Ibn Khaldun's Reading of the Conceptual Framework Governing this Analytical Attempt.

Keywords:

Mountain Society; Mountain Maghreb; community; Social Work Division; Sociological approach.

authorcorespondant@mail.com :Noureddine Boulares

ملخص:

من وجهة نظر سوسيولوجية، يعتبر الجبل والى جانب كونه مجالا فزيائيا، بيئيا وطوبوغرافيا، فهو يمثل كذلك عالما اجتماعيا وثقافيا واقتصاديا متفردا، فإنسان المجتمعات الجبلية ينظم موطنه أو مجتمعه المحلي هذا ويعمل على تدبير معاشه اليومي فيه، مانحا بذلك هوية وخصوصية مجتمعية مختلفة عن عوالم أخرى.

ان أوراق هذا المقال هي محاولة سوسيولوجية تحليلية للمكون المجتمعي الجبلي المغاربي في مقابلته بعوالم أخرى، تستلهم من مقولة تقسيم العمل الاجتماعي في الحقل السوسيولوجي أهم أبعادها النظرية والامبيريقية، لذا سوف تمثل القراءة الخلدونية والدوركايمية الاطار المفاهيمي المنظم لهذه المحاولة التحليلية.

الكلمات المفتاحية: مجتمع الجبل - الجبلية المغاربية - المجتمع المحلي - منظومة تقسيم العمل الاجتماعي - مقاربة سوسيولوجية.

Problematic entrance:

As an area of common survival, the mountain is an exciting case for research and study, especially when the approaching of this reality is a closer and more socioaffective. As a very complex social and cultural arrangement, the administrative approaches based on a branching approach to the field cannot be sufficient for the researcher to discover these worlds, such as those bilateral geographical branching that corresponds to the countryside of the city, the mountains on the plains, or the deserts With hills and others, or even like those silent statistical monografes.

The discussion of the system of dividing social work within the community of Mountain Maghreb is part of an effort to understand the identity of this community. Therefore, we believe that the subject matter of this article is within the domain of the identity of social areas, which divides social work as one of the basic methodological approaches to its approach and understanding.

Accordingly, we will ask ourselves, in the context of this interest, how the Maghreb community resumes, and through its own system, the division of Social Work and its social existence.

What are the visible and latent societal functions that can be performed by the social division of labour within the social group grouped by the reality of the mountainous social sphere?

1. Mountain community, Mountain Maghreb, community, division of Social Work: conceptual, theoretical and procedural definition

1.1. Mountain Society:

The metaphysical, physical, and topographical dimensions are transformed into meanings related to community identity. The people of the mountainous communities organize their home or community and work on their day-to-day life, thus giving them a different identity and privacy from other worlds.

1.2. Maghreb Mountains:

> Refers to the socio-spatial grassroots concept rooted in the valley, countryside and villages of what is known geographically in Maghreb societies: Algeria, Tunisia, Libya, and Morocco.

1.3. Local community:

> The concept of the "mountainous Maghreb" or the "mountain community" in its procedural dimension is based on

the concept of "the mountainous Maghreb" or "mountain society".Living on the rhythm of collective life and its social coordination in its different dimensions, which is the catalyst for social action in the local community, is the one that imprints life in it with a special and unique emotional and social character.

1.3. Division of Social Work:

A concept that refers to that division of labor forces, where individuals specialize in specific tasks, as well as the tendency to further fragmentation of complex tasks in order to increase the efficiency of its implementation ... while assuring E. Kont and Dorkaim that this new concept, The cohesion of modern societies ... while Marx considers that the phenomenon of the division of labor is one of the direct excretions of private property, which multiplied the alienation of labor, predicted the disappearance of this phenomenon and its professional effects on after social transformation to socialism. "(Steve, B.and Steven, Y. 2006, P76.)In this context we can read two semantics about the division of labor, so that the accumulation of knowledge about them in sociology would help us to avoid the trouble of deciphering them.The social division of labor corresponds to a technical division of labor.This last sense is that part of the sociological heritage has been concerned under many headings, most notably those brought by the pioneers of the scientific organization of work, in the context of their concern to raise the productive efficiency of the economic institution from the division of functions and the assignment of intellectual and manual.

The first meaning (the division of social work) was exposed to some of the pioneers of sociology, especially Emile Durkheim, so that the latter sought to extend the semantic field of division of labor, beyond the meaning given by the organizational and economic field confined to institutional, to link it with patterns of social organization, and how the simplicity and complexity of the division of labour in a society determines the features of social construction in it,Therefore, we consider that this reading and the approach are the conceptual and

procedural background of the question of the system of division of social work in the society of the mountain Maghreb.

2- Méthods and setting:

This article was adopted and given the nature of its field data:

Firstly: on the researcher's personal experience and his observations, there is no doubt that there is a commonality and similarity in the social structures of the Maghreb (Tunisia-Algeria-Morocco) especially those traditional ones, the mountain community in these geographical and cultural areas defines rural, Bedouin and peasant builders many cultural intersections and social, and it has passed almost on the same historical conditions that were adopted within these structures and gave it a very similar movement and dynamism, for that and as one of the inhabitants of these regions, our social experience allowed us to codify a series of observations and indicators, which was for us a tributary A backdrop that helped us build an empirical analytical model for the mountain community, in line with the problematic and default context of this article. The following observation network guide illustrates the elements and indicators of this process and its analytical elements (See Table 1):

Table 1 Elements and indicators of network guide

Dimensions:	**Indicators:**
What do I notice?	-Division of Social Work in relation to the gender variable: at home; in agricultural activity; in the market. -The Division of Social Work in relation to t-The Division of Social Work in relation to the variable of the role of solidarity.he security role variable.
How do I notice?	-Through indirect sampling, as many of the structures and their associated roles in this system are known to be dynamic transformations, which we will clarify through subsequent analysis.
When do I notice?	-The nature of the indirect sampling dictates that there are no specific time periods for observation, but that in such cases the observation is open to the historical time of the research community.

Source: Researcher Prepare.

Second: There is no doubt that there are sociological and anthropological researches and studies that have been done around the Maghreb society at different stages, its pioneers from Moroccan researchers, or in the context of foreign, colonial and non-colonial approaches, whose topics, problems and motivations, have differed, but we can say that this approaching Theory and imperialism allowed

the formation and elaboration of the problematic background and inquiry on the subject: The system of dividing social work in the community of Mountain Maghreb, and this approaching has allowed us to organize our analytical field elements on the issue of this article and its assumptions as previously stated.

Table 2 Conceptual analysis of the procedural concepts of research in this article

Concept:	**Dimensions:**	**Indicators:**
The Division of Social Work in the Maghreb mountain Society	- Gender professional roles and social division of Labour	-At the level of the Akham (home); -At the level of agricultural activity ; -At the level of the market space.
	-Security roles and the system of social division of Labour	-Choice of location and location of residence; -The relationship of the peasant of the mountain Society to the land; – Architecture of the Akam (home).
	-Solidarity roles and the System of social division of Labour	-Creation of cooperation mechanisms such as "al-twiza" and associated areas of social solidarity

Source: Researcher Prepare.

3. The mountain community and the Social Work Division system: macro-and microsociological intake

3.1. Macro sociological conceptualization:

The division of social work and as one of the most central concepts in the cognitive system of Ibn Khaldon, is a structural and functional variable, thanks to which the generations of human civilization distinguish between Bedouin and urban.In his Mokkadima, Ibn khaldoun (1332 - 1406) included his ideas about the sociology of the economy in general and the concepts of division of labor, especially in the second and fifth chapters of this book, so that we can distinguish between two types of human gathering , each one is unique in the specificity of its production style, and the resulting work, activities, occupations, .. etc

This takes the character of the natural attribute in any generation of human civilization. When Ibn Khaldun said in his book: "Man is the son of his returns and his familiarity, he is not the son of his nature and temperament, which he created in the circumstances until he became a a natural attribute ..." (Ibn Khaldun, p. , P. 16).He was aware of the impact of the structural factors of human civilization-whether Bedouin or urban - on the temperaments and the nature and skills of individuals and groups, including the impact of environmental factors such as the impact of climate from heat and cold, mountains and deserts ... etc.

They are phenomenon in which the philosophical and social tackled after Ibn Khaldun was fought for several centuries, such as "the Influential nature" by Baruch Spinoza (1632-1677) and Charles de Montesquieu's "Uniting Nature in Society" (1689-1755), in which society is determined by climate factors, soil quality and area.

Ibn Khaldun said: "We see through the frequent news that the first and second of the regions of the globe (the equator) less Inhabited than all what is after it, even what is an habited is drown in sand and emptiness and the Indian Sea in the east, and the populations of these territories are not very large, And its cities as well, and the third and

fourth (the temperate region) and beyond them otherwise, there are as empty as the latter and the sand is fewer , and its nations exceeded the limit of abundance, and its cities exceeded the limit number and construction in it is ranked between the third and sixth, and the south is all empty . "(Al-Jabri, 1984: 213-214).

The division of labor is a feature of the Bedouin and urban human strata, but in this latter type it is more intensive and more complex, ie, doubling in size and quantity. The reason for Ibn khaldoun is: The structural and functional factors that form urban areas:: "... the division of labor into a social and technical division can only exist in a city with a sufficient population ..." (Maghribi, p. 176. p. 178.)Demographic variables lead to an increase in the division of labor. Perhaps these variables are the same as Emile Durkheim (1857-1917), used to treat the phenomenon of division of labor in modern industrial society.Ibn Khaldun says: "... one of the human beings is not independent in collecting his needs in his pension and they are cooperating in all of them on that ...". (Ibn Khaldun, p. 328: p. 399).This is what Durkheim calls "organic solidarity".

Permanent support for wealth accumulation is achieved through the division of businesses and activities into skilled individuals and groups:"Our brilliant social world confirms a clear emphasis on the application of scientific principles to work - by allocating business - inevitably generates an increase in productivity and thus an increase in wealth. Furthermore, supporters of the Thai doctrine can not deny such assertion ..." (Maghribi, p. Without a year: p. 178-p. 179).

The division of labor, ways of living and earning for a generation in a human community, will make it deffirantthan another generation and the reason, as mentioned earlier, is the functional structural factors that make up the dispersed human gethering and contribute to the formulation of the pattern of urbanization and the methods of earning and division of labor.

..."the forms of this gethering and the patterns of this cooperation vary according to the method or means imposed by natural conditions on the human beings to obtain their livelihood." (Al-Jabri, 1948: p.

217.) The ease of living and its simplicity in Bedouin area life create a division of labor from the level of this pattern in life,So it is not surprising that the methods of production and its means are simple, such as the work of individuals and groups of this life style of agricultural work using simple methods , or preoccupation with grazing and raising camels and cattle ... etc. Even if they find other works, activities and occupationin the Bedouin community that we have mentioned, they are not nearly as dense, diverse and stylized as they are in urban urbanization.

The urbanization level of a country reflects the quality of the goods and its elegance So that there is a sense of luxury and wealth, and Bedouin urbanization requires no trades except the simple,especially the necessities of carpenter or blacksmith or tailor or a weaver or butcher, and if these exist they wouldn't be luxurious. "(Ibn Khaldun, p. Without a year: p. 444).Since the Bedouin lifestyle is characterized by a special psychology and certain natures, their abrupt and non-gradual transformation into urbanization is not easy to adapt and integrate.

Perhaps the life of the Algerian cities which is witnessing a big ruralizationcontinues to prove the validity of Ibn Khaldun's opinion, when he goes on to emphasize that human civilization is reflectedin its members, which forces us as an associate to the field of sociology, to alert to the seriousness of violating the privacy of human civilization, whether rural or urban, because any distortion or violation of the privacy of these structures is paid by both rural and urban comunities,I will summarize this characteristic in a rational statement: human civilization in its nomadic and urban style. It is a different rationalism, but it is integrated and supportive.SoCan the competitive energy of an economy continue, without taking into account the peasantry and its rationality? Or that the peasantry and the system of division of labor remain closed, without paying attention to the mechanization and technical and technological development that industrial rationalism poses,and then it becomes even more dangerous if we undergo a developmental experiment in a pattern, with actors carrying anotherrationality !This is certainly what happened in Algeria in the

1970s when industrial experimentation was carried out by rural and rationally semi-peasant actors.

In sum, the ideas of Ibn khaldoun on the division of social work, have come in line with the concepts of his book,such as the concept of Bedouin urbanism and urban construction, and the concept of the essential and nonessential in the pension of living and earning ...,But more than that goes to emphasize the relationship between the division of labor and the need to specialize in it based on three fundamental variables in this process: physiological variables, psychological variables and sociological variables.

- The first variables: related to the ability to performonly the physical functions and professions.

- The second variables relate to the desire and inclination to start these jobs.

- The third variables: represented in the satisfaction and success and integration and belonging to the business and professions,Ibn Khaldun says: "... you rarely find a workman masters two occupations keeping the same proficiency in both '" ((Ibn Khaldun,: p. 449.)

All of these concepts are strongly practiced by sociologists concerned with organization and work.This rule from Ibn khaldoun in the need to divide the work and specialization of it is a rule of the full range of all kinds of activities; muscular and intellectual:"... Even the scholars who have intellectual professionare under this rule". (Ibn Khaldun, p. Without year: p. 449).

This fact has become more consecrated after the death of Ibn khaldounfor several centuries, especially the transformations that accompanied the European Renaissance and the associated the change in the methods and styles of production in the economic field,and the division of work and the allocation of technical and social more after passing through the production format and style, from the style of work in the small workshops to the factory system, and parallel with this, the movement of scientific separation from philosophy has achieved its objectives in specialization and independence.In addition

to all this, one can speak at present about the division of labor and its separateness in both muscular and intellectual types.

3.2. Micro sociological conceptualization:

3.2.1. "Mountain Maghreb ": Gender professional roles and the Social Work Division system:

gender roles and the system of division of social work:

First, there is a conceptual distinction between gender and sex. Gender is shaped by the social and cultural nature, while sex is shaped by biological nature. Therefore, the discussion of professional roles and the system of division of social work within the Maghreb society is a discussion that touches on the social and cultural context in this component. thus, we can say through the observations and experiences in the field, that professional roles in this type of society are linked to the system of division of social work with distinct characteristics of gender:

The "home" or the "grossness" of the Maghreb society, and when linked to the system of division of social work, it is said to be a largely feminine world, since "the proper functioning of domestic organization depends heavily on women: preparing food, washing clothes, caring for livestock, ….etc, the tasks are infinitely more numerous than the vegetative areas ... "(Descloitres, R.etDebzi, L: 1963.P43.).

Professional roles, activities and empowerment in this space are the responsibility of women. It is so culturally divided that some of its spaces -and forcultural considerations - are prohibited for men in the Maghreb mountain community. The kitchen, for example, and the (woven) as expressed in the Badia, the countryside and the Algerian villages: a wing dedicated inside the house to practice the textile industry, which we find involved in the work and solidarity of some women in the region.

These spaces and others in the world of the house, which is prohibited for males, especially couples, is considered to be the opposite of the masculinity of these men. Thus, their intervention in these spaces is a social and cultural system, in which men only provide logistical support for the basic materials that are used for daily management of these spaces. The areas of masculine authority in the home outside professional contexts are another matter,, "The head of the family is responsible for the distribution of tasks, fieldwork, grazing ... etc"Descloitres, R.) et Debzi, L.1963: P32.)

The house as a "production unit, in its field women produce,In the same time, the artisanal activity is also divided according to gender roles : so, the tool's role is for males role, while the expressionist role is for women,. The artisanal activity is also divided according to gender : women belong to the industry of tools and means related to the agriculture therefore we can say that the authority of management and ownership of this area and the disposal of the power of decision therein is subject to the culture of the group and its representations on the management of the common denominator..

In addition to the culture of work and production, consumption also has its own cultural standards in these patterns. The house is "an area of consumption as well. By gender, this unit divides family members into consumption and distributes them during production."So one can talk about gender consumption versus gender production. Many Maghreb mountain social groups still retain their consumer habits to this day; This is exemplified by eating habits. For example, as men gather around a single dish, women and children gather around one another.

This is also the embodiment of gender bias in another form. It is about the function of producing the sex that is framed for the dynamic process of marriage in this social context. Reproduction as a marriage project and goal and the various domestic care required is also defined according to

sociocultural norms. The earlier it is expressed, the more virulent the man, the safety and ability to reproduce in women, Which is often attributed to the delay or lack of it.

The transition to the second example (the peasant world) is a gender transition as well.In this world within the community of the Maghreb Mountain, the family is mobilized for the planting and harvesting, but this mobilization is also done according to the gender, tasks and duties are defined according to gender and age variables. Tasks and duties are defined according to gender and age variables, for example, the plowing of the land and the climbing of olive trees are the roles of men especially in their presence, while women are assigned logistical roles related to the process, such as food preparation and provision, where children share that with them.In this social pattern many children start working at a very early age, such as bringing water and firewood or doing some logistic roles such as those mentioned earlier.

This child labor is the result of cultural and social considerations of the family. The latter believes that work is a key element in shaping the child's personality, avoiding dependence, and then preparing and training him in this age is aspiring to become its economic aid in the future. The division of labor here is more like the kind of manifacture or family contracting, where the wage system is weak or non-existent, this is because the work that women and children share is not often paid to them, especially when it is for the benefit of the big family. The household group, called a family, is a social and economic entity that depends on the dependency ratios

Relatives as a family social association are those who allow the building and continuation of intimate domestic relations,And the overall operations of reliability and solidarity in the areas of symbolic and physical, under the concept of the family crystallize the three conceptsof as follows:

"The legal basis for the relationship between parents and children, expressed through a range of rights and duties of a cultural and religious nature; Organization of the group led by a responsible person thanks to their kinship ties; Economic Associationis guaranteed by respect for the Community's obligations

As for the real estate system in these formats and methods and methods of exploitation, they are diverse as we moved from one mountain region to another,despite their similarities, they are characterized by an undivided family ownership, where direct exploitation is dominant, with cases in which farmers develop different methods of producing and harvesting their lands, such as the five-fold production method, which is an oral contract between the owner of the land and the fiver ,In general, it appears that the pattern of indirect land exploitation is rooted in the Maghreb situation.All types of land sharing are often based on a kind of oral contract between the landowner or the beneficiary on the one hand and the working peasant on the other hand, in the presence of witnesses from the neighbors of the land, and a reading of Al-fatihaconfirming the originality and reliability of the contract. "(Otri, 2009: 29).

The sociological question of the reasons for the sovereignty of this type of real estate in the Maghreb mountain society and its forms of exploitation can be explained by an explanatory attempt accompanied by experience and field observation. In spite of the quantitative and qualitative disparities in the size of this dominance and this continuity, within the region or whenever we move from one region to another, there is a similar case.In Algeria, for example, the continuation of this kind of property can be considered a result of the concern of a generation of parents for its permanence in the fulfillment of the division of the grandparents and the recognition of them. Moreover, these properties do not represent a great economic value which leads to the temptation of the grandchildren to share or dispute them (if compared to property in the flat

regions) As evidenced by the state of cultural and non-economic connection to the land by parents in these mountainous areas,After leaving it forcibly under penalty of the security situation during the nineties of the last century.

As for the continuation of some forms of methods of exploitation of property, it is similar to the historical phenomenon of the fiver mentioned previously, but it has declined in some regions if not disappeared as indicated by the Algerian case, for example. This continuation and this disappearance are both justified by the sociological, socio-economic aspects, In some of these regions, the fifth phenomenon can lead to a hierarchical social function, where landlords resort to presenting themselves as a kind of social nobility in these patterns.However, this desire may clash with the decline in the economic return of the land, which does not permit the continuation of the practice of this social differentiation, or the factors related to sociocultural changes within these patterns, which have resulted in many traditions of the production of the land and the total practices associated with it.There is a change in the "economic function of the family, which has undergone profound transformations, beginning with the change in the professional activity of the grandchildren and the change in the agricultural activity of the land" (Atari, 2009: p. 99).

As for the market in the Maghreb, it is a world of males, for the most part, since trade is a masculine specialty. In order to dedicate this reality, the society works to produce its ideals and its evolutionary proverbs and cynicism, warning against the possibility of sharing this field as they say“Women’s market "or" children’s market " and many others that reflect the logic of the social group and its representations about this space and its actors, knowing that the semantic field of the concept of the market in the previous parables is a vast and symbolic field, the feminist community according to these proverbs can not be reduced to what is material.

3.2.2. The Maghreb Mountains: Security roles, manifestations of solidarity and the System of social division of Labour:

a- in the security roles and the system of division of labour in the community of Maghreb Mountain:

The mountain group that brought together its members is the domain of the spatial sphere. It is one of the most estranged groups of ibn khaldoun rule: "It is necessary to assemble abig number of people of his race (man) to get them and his sustenance for them, and get enough cooperation from the need for more than doubles, and each of them also need to defend himself to the use of the sons of his sex ..." (Ibn Khaldun, P. 137).

Perhaps what motivates the most to this need is the peculiarity on which the topography of this field is distinguished, characterized by stolidity, rudeness and fragility.The discussion of the mountain from a physical point of view indicates the difference between the high points and the very low points ... "(Cote, M. 2011: P10).Therefore, the housing sites in this area were a security situation allowing the group to exercise its security control roles, as the foot of the mountain was often a strategic option for them, as reflected in the case of the Algerian villages, for example, a double security location in the end achieves two main goals:

The first is to protect the geographical and social sphere from the potential dangers to it. This is an easy way for the collective defense to defend the area from the risk of being attacked by any part. The second is related to the preservation of the limited agricultural real estate container. Therefore, living on arable land constitutes a direct food security threat for this social group, therefore, it is chosen as a residence of this vessel the more rugged and fragile from the agricultural point of view. The entry into the urban area, shows that its construction method contains many of the security symbols, as the analysis of the home morphology as a unit of residence is respected. As the large house is isolated from the surrounding area, there is one

exit to the outside, and moreover the experience of construction prevents the intruders pass their gaze inside ... "(Descleritres, R. et Debzi, L. 1963. P 30).The home morphology reflects the group's representations in these patterns of the concept of honor and its mechanisms in safeguarding and defending it.

In general, the security function in these formats is controlled by specific variables such as gender, because the role of security is the responsibility of men and not women, because of cultural and religious considerations related to the safety of men and the impossibility of empowering women in this role, especially in the presence of men,in order to avoid any potential social stigma such as cowardice, the second role concerns the protection of the family's wealth, especially the animal, from banditry and the targeting of the target monsters, while women assume the role of managing the security stock of the various foods prepared specifically to counteract the protection of family honor. Particularly harsh environmental conditions in the winter. The security function of the Badia communities, rural areas and mountain villages in exceptional cases is exemplified by the security situation in Algeria during the 1990s. This function was characterized by a semi-independent and defensive nature.

b - in the roles of solidarity and the system of division of labor in the mountain community of the Maghreb:

The environmental pressures and privacy on which the mountain communities are socially and morphologicly responsible have led to the creation of several forms and methods to counter this reality. The Eltweiza is the most common phenomenon in the history of this group,In practice, they reflect a multidisciplinary activity: In agriculture, construction, marriage, and in the face of all emergencies, "It means joint cooperation to perform a service to those who need it, a purely charitable duty and without charge ..."(Jafari, A. Without a year: p. 161).In order to ensure the continuity of the survival of this function they worked on the codification and institutionalization of it at the same time, It is not only a muscle activity performed by

members of the group, but an activity that reflects many aspects of humanization of the banquet on the occasion of any activity, The participants are fed in this process. The activity also ensures entertainment, which is often accompanied by singing and praises accompanying the activity, and may end up organizing competitions at the end of each activity, the end-of-activity competitions may sometimes end, as shown by cavalry competitions in some mountainous Maghreb regions. Accordingly, the differentiation in accordance with these particulars becomes a complex social phenomenon in which economic, cultural and sports overlap.

As for institutionalization, its aspects can be seen in what the phenomenon reflects in some ways, as in the case of Morocco,where some of the tribes in Morocco managed to manage their local daily affairs away from the authority of the state, taking from the territory of the "Cyba" in the mountainous areas of the property, in front of the land of the reservoir of economic and strategic value. The Twiza, which represents in the culture of these tribes an obligatory activity for all male males in the tribe, has been created for institutions that guarantee its effectiveness and continuity. The group is the cornerstone of social solidarity ... It works to help those in need in difficult situations, then Al-Masharta, which is an organization in relation to the Faqih and the Mosque, And brotherly cooperative alliances between groups even those that are more remote, and livestock organizers in the framework of supply and food or travel, And Agadir, which means a collective storehouse for storing food resources and other products "(Mahjoub, A. 2018: 306).

As the social group finds itself in these solidarity mechanisms and means of its operation and continuity, its law is deterrent and intolerant of those who fail to obey it,in these cases, "all those who fail to provide assistance should justify this to the group" (Mahjoub, A. 2018: 306).This exclusionary condition is shared by all the Maghreb social groups in this format to maintain the interaction and continuity of the individual with the group, or to deprive him of this intimacy that develops in cases of repeated disobedience to the point

of final boycotting, a decision taken by the group in a session similar to the disciplinary hearing for the individual

Concluding remarks:

• We can see through these examples of the system of division of social work and the associated professional, security and solidarity roles in the Maghreb society, it is deeply influenced by the cultural and social structures in this context. The gender of the professional role is the role of the two areas of control. Provided for by cultural rules and contents.The gender of the professional role is the role of the articular areas controlled by a semi-concrete rule: each one should submit to the provisions of the rules and cultural contents.

• The division of social work in the Maghreb mountain society is very much related to the mechanical type discussed in the theory Emile Durkheim,or that Ibn Khaldun discussed in Bedouin community. It is controlled by cultural and social institutions based on customs, customs, traditions and community rules, simple and uncomplicated built and structured according to the basis of the collection of tasks is not fragmented, controlled by a collective interest fueled by the network of relations, this made the phenomenon of solidarity in this format very special.

• The division of social work conceptually refers to many functions and roles, but it remains more relevant to the concept of the field of power with all the coercive force it implies obligatory obediencewere not known to a number of sociological and anthropological studies carried out in earlier periods of movement and transformation,the hypothesis of slow-moving structures and structures has often been replaced by research and studies on the nomadic, rural and mountainous Maghreb worlds,Which has made it the most important starting point of differentiation of other worlds, is currently undergoing profound transformations, the causes of which are many and varied. Perhaps education, migration, technology and

governmental institutions are one of the most powerful and directed variables for these transformations in these formats.

- The prevailing belief that the mountain communities as closed entities and solid social and cultural structures should be reviewed especially in the light of structural transformations and deep functionalities defined by these formats, which has made it the most important starting point of differentiation of other worlds, is currently undergoing profound transformations, the causes of which are many and varied. Perhaps education, migration, technology and governmental institutions are one of the most powerful and directed variables for these transformations in these formats.For example, migration is considered to be a change in the direction of urban areas, which has had a wide impact on the Badia, rural and Maghreb villages, The most important of which is the privatization of certain activities such as agricultural work, and other changes affecting the economic function of the family.In a study on mobility in the Algerian coastal mountains of Jijel, the study revealed unexpected statistics. "Women's movement is a new and realistic element ... because of its educational and vocational level, rural women are moving more than ever in a mountainous environment. Their share is up to 45.9%https://journals.openedition.org/insaniyat/12889

- The motive for this movement is surprising: "Contrary to what one may expect, work is not a major motivation, as the main destination is entertainment or sports as reasons for this family mobility. Rural society in Morocco,He says: "In front of the grumbling of grandchildren from farming, cows are no longer important as long as women refuse to enter the" stable "to milk and take care of them ..." (Al-Otri, 2009: p. 99)

- the system of social division of labor in these formats is a system whose cultural demarcation varies from one mountain to another.As the sociological and historical conditions experienced by each field is a factor in determining the parameters in terms of degree of stability and change. The Algerian situation during the colonial period and during the nineties of the last century, led to the disruption

of many of the traditions and culture of this system in this area, which often passed from an independent society itself to a society related to an other one.

Footnotes:

- Safi Jafari Ahmed. (Without a year), the Algerian dialect: its lexicon, its rhetoric, its proverbs, its judgment, the eyes of its poems, the publications of civilization for publishing, distribution and printing, Algeria.
-Ibn Khaldoun Abdul Rahman. (Without a year), introduction, Dar al-Jeel, Beirut.
-Ibn Khaldoun Abdul Rahman. Investigation: Darwish Abdallah. (2004), Introduction Ibn Khaldoun, vol. 1, c 2, Jacob's house, Damascus.
-Alaaitri Abdul Rahim. I 1, (2009), Morocco's rural transformations: Deferred development questions, letter and question books, Salé, Rabat.
-Jabiri Mohammed Abed. (1984), Ibn Khaldoun thought: Alaasabia and state..., Moroccan publishing House, Morocco.
-Magharbi Abdelghani. (2006), the sociological thought of Ibn Khaldoun, Tre: Muhammad Sharif bin Dali Hussain, Dar al-Kasaba Publishing, Algeria.
-Bruce Steve and Yearly Steven. (2006), the Sage Dictionary Of Sociology, First Publication, London.
-Cote Marc. (2011) Le fait montagnard: petite mise au point, Insaniyat, 53, 6p (11-16).
-Descloitres Rebert et Debz Laid. (1963): Système de Parenté et Structure Family in Algeria in A.N.N.
- Mahjoube Aziz. (2018), « Social and Solidarity Economy in Maroco »: fromTraditionnel Formes to Modern Organisations (the Cooperatives As a Model) :
Quoting the Journal of Social Sciences, the German-Arab Democratic Center, Issue 3, March 2018, number of pages: 16 (300-316).
http/JournalsOpenedition.Org/Insaniyat/12197.

ElWahat pour les Recherches et les Etudes Vol.**14** (N°**2**)/ (**2021**) :**14**13-**14**36

El-Wahat for Research and StudiesReview
ISSN : 1112 -7163 E-ISSN: 2588-1892
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2

The determinants of subjective well-being in rural Algeria

محددات الرفاهية الذاتية في الريف الجزائري

Elagag Mustapha [1] Mokhtari Fayçal [2]

1.- Phd student University of Tlemcen-Algeria, Local Government Management and Local Development (LGMLD), mustapha.elagag1988@gmail.com,
2.- Professor University of Mascara- Algeria, Local Government Management and Local Developement (LGMLD), mokhtarifaycal@gmail.com,

Received:10/05/2020 Accepted: 23/08/2021

Abstract.

- It is reasonable to accept that a poor person is a person with low well-being; thus, poverty depends on the specific notion of human well-being. It is therefore imperative to study human well-being before measuring poverty and policy development for its reduction. What makes us happy? Here is a question often asked in international surveys. Subjective well-being is a central theme in society and is at the centre of public policy debates.
This study aims to explore the subjective determinants of well-being and provide answers to the essential question of the nature and causes of happiness among households in the rural world in Algeria.

Key words:

subjective well-being, quality of life, public policies, rural households, Algeria.

الملخص:

ومن المعقول قبول أن يكون الشخص الفقير شخصاً من ذوي العافية المتدنية؛ وبالتالي فإن الفقر يعتمد على المفهوم المحدد لرفاه الإنسان. ولذلك لا بد من دراسة رفاه الإنسان قبل قياس الفقر ووضع السياسات من أجل الحد منه. ما الذي يجعلنا سعداء؟ هنا هو السؤال الذي كثيرا ما يطرح في الدراسات الاستقصائية الدولية. والرفاه الذاتي موضوع رئيسي في المجتمع وهو محور مناقشات السياسة العامة. تهدف هذه الدراسة إلى استكشاف المحددات الذاتية للرفاه وتقديم إجابات على السؤال الأساسي للطبيعة وأسباب السعادة بين الأسر الريفية في الجزائر.

الكلمات الدالة: **الرفاه الذاتي، نوعية الحياة، السياسات العامة، الأسر الريفية، الجزائر.**

1. Introduction

The search for the well-being or happiness of individuals has always been at the centre of the concerns of international organizations and states. These concepts are currently the subject of the greatest number of studies, discussions, conferences and are at the centre of public policy debates. For a long time, happiness has captured, and continues to capture, the interest of so many people. They never doubted that happiness is very important; it should be noted immediately, that the terms “subjective happiness” and “well-being” are often used as synonyms.

The issue of well-being remains a topical topic that is addressed in particular by psychologists, philosophers, sociologists and economists. Most studies on the subject are part of a much broader field of

research, commonly referred to as "quality of life." (Veenhoven, 1997) Thus, well-being appears to be a new economic, social questioning in line with politics. It depends not only on the level of income or consumption but also on other factors. Lucie Davoine has focused particularly in the empirical literature on the question of the determinants of subjective well-being "What makes us happy? Love? The wedding? Going out with friends? Going on vacation? Get a pay promotion? Feeling like you've done your job well? To be healthy? » (Davoine, 2012).

Since the emergence of this field more than five decades ago, the literature of the SWB has progressed. Recent surveys by economists and other social scientists have taken enormous steps in understanding the factors that influence people's subjective well-being. Rural households have the difficulty of finding adequate solutions to the various problems that arise in socio-economic life such as food, clothing, comfort of feasts, marriage, etc. Unlike households in the urban area who do not find it very difficult to cope with its problems.

The objective of this study is to analyze the factors that influence the well-being of rural households. The methodological approach used is arranged as follows: the theoretical foundations on the theme of subjective well-being and the basic concepts to better conceive the problem. As a result, experiments and research carried out on subjective well-being in the rural world. Finally, the empirical study (survey), which describes the history and overall situation of rural households in Algeria and in order to give value to our research we did a local study in a well-defined and detailed area of all components (official, shepherd, etc.) with their well-being.

2.- Concepts and theoretical basis of subjective well-being.

Before we begin our study, we must distinguish between objective and subjective well-being so as not to confuse the two concepts.

2.1.- Definition of objective well-being

According to Breda-Goyverts, the notion of objective well-being is linked to the notion of prosperity, abundance, development and wealth. The overview of prosperity draws mainly the material aspects of life. The concept of objective well-being is explained as having "sufficient resources to achieve satisfactory living conditions according to one's own preferences. Here, well-being is therefore seen as a situation of positive freedom: it is the possibilities that everyone has to make choices about the organization of their life." This is to say that the concept of objective well-being studies not only "the material aspects of life but also the non-material aspects" such as autonomy and participation in economic, political and environmental life.

After seeing the definition of objective well-being, we must see that of the SWB explained by some authors.

2.2.- Definition of subjective well-being

According to the OECD, "Subjective being refers to the notion of satisfaction with life, the presence of positive experiences or feelings, and the absence of negative experiences or feelings. Each of these three elements, which constitute a distinct component of subjective well-being, is subject to a whole series of determinants." (OECD, 2011) Also,"The notion of subjective well-being reflects the idea that quality of life depends on the impact of a set of specific circumstances on the need of individuals in their own lives, and presupposes that the

person best placed to judge the quality of a life is the person concerned himself." (OECD, 2011)

Yamamoto believes that Subjective well-being is based on needs that are universal conditions for human functioning and that play a big role on the SWB. (Yamamoto, 2008)

We conclude that SWB can be defined as the satisfaction process that must take into account personal, cultural and contextual conditions.

3.- History of subjective well-being theory.

The happiness economy is a branch that emerges from the economy and bases its analyses on subjective well-being (happiness) not on objective well-being, which differentiates it from the economy of well-being. As Lucie Davoine confirms in her report "Can the Economy of Happiness Renew the Economy of Well-being?": "The branch of the economy that studies subjective well-being is now called the economy of happiness that should not be confused with the economy of well-being." (Centre d'études de l'emploi, 2007) And to go to the front of the search; take the perception of economists Frey and Stutzer, who is quoted by Carlo Klein and Monique Borsenberger, that subjective well-being, happiness and satisfaction are considered synonyms. (Borsenberger, 2010) An ancient philosophical thought considers that it is the individuals themselves who are best placed to judge their own situation. Only in economics, this approach is closely linked to the utilitarian tradition which is with the idea that the quality of life is indicated only in the subjective situations of each. To have a human existence, there is a common goal that is to give everyone the opportunity to be "happy" and "satisfied" in life. (Pierre, 2009)

In traditional times, economists think that more wealth equals more well-being which means more happiness. According to Davoine quoted by Gaucher, at present, the economy of happiness is a

fundamentally experimental approach that seeks to "measure happiness and estimate the determinants of satisfaction or declared well-being." (Gaucher, 2014)

4.- The determinants of subjective well-being.

4.1.- The explanatory factors of subjective well-being

Subjective well-being is not only determined by income level, knowing that if there is an increase in income, it does not lead to an increase in the level of happiness. Other areas help determine subjective well-being such as health, education, employment, etc. as Gaucher quotes in his book "Happiness and Economy": "If happiness were only money, then it would be enough to have more and more money to be ever happier. However, the factors that influence happiness are many and diverse: love, friendship, family, culture in which we live, personality, leisure, work and many others. ». (Gaucher R. , 2009) There are several areas on the determinants of subjective well-being used in several reports of the Organisation for Economic Development Cooperation (OECD). These areas are: income and wealth; Jobs and wages; Housing work/family life balance Education and skills social connections; civic commitment and governance; environmental quality and personal security. (Boarini, 2012)

4.2.- Recent debates about the relationship between income - the SWB

According to Andrew E. Clark and Claudia Senik, the relationship between income and happiness is one of the most important, but also the most criticized, questions of literature based on subjective well-being. (Clark, 2011) In this field of research, there is a very broad consensus (Herrera, 2006) on three striking 'stylized facts'.

4.2.1.- Easterlin paradox

Regarding the correlation between subjective well-being and income levels, a lot of probabilities were highlighted. The one that is generally most chosen is that subjective well-being is not only determined by the level of income, knowing that in 1974, Richard Easterlina gave birth to a paradox that bears his name today (Easterlin Paradox): the happiness of all, is not done in relation to the growth of the economy. (Davoine, 2012) Giving the example of Frey and Stutzer cited by Gaucher the increase in wealth of the United States, Japan and the countries of the European Union, in recent decades, has not increased happiness. (Gaucher R. , 2011) Other areas help to determine subjective well-being such as health, education, employment, etc. This list is not exhaustive: other studies such as those of Frey and Stutzer cited by Javier Herrera, Mireille Razafindrakoto and François Roubaud, also include family situation such as divorce and widowhood, governance, democracy and social capital. (Herrera, 2006)

4.2.2- The comparison

The second stylized fact is the fact of comparing to each other, It tries to explain that: when individuals compare their income to that of others. That is, when an individual's income increases, but the income of other people around him also increases, so he will not be happier than before. As a result, income will no longer be correlated with subjective well-being or there will be a decline in this correlation. (Herrera, 2006) After Claudia Senik and Andrew Clark quoted by Pauline Gandré analyzed the question: Who is compared to in particular? This study led them: that each compares or refers to a group that belongs to its environment. It turns out that money has an impact on the well-being of the individual only if it has more than his neighbor.

4.2.3- Addiction or adaptation

The third fact stylized, is the fact that at the end of a new situation, everything becomes usual and loses its power of novelty; this phenomenon tries to explain why individuals look to the past and view it with bitterness and the future with optimism. (Herrera, 2006) With this phenomenon Andrew Clark quoted by Pauline Gandré understands that the person quickly gets used to having a high income, thus there is a provocation of a drop in satisfaction after a certain time than in the early years. (Gandré, 2009)

5.- Democracy and subjective well-being.

The relationship between democracy and subjective well-being has been explored in depth, and at first glance may seem to be a direct relationship: the creation and maintenance of democratic institutions promotes well-being. According to Diener et al quoted by Amitava Krishna Dutt and Benjamin Radcliff, people in democratic societies have higher levels of happiness than those in authoritarian societies. As Inglehart and Klingemann argue, dutt and Radcliff argue, "adopt democratic institutions and live happily ever after." (Dutt, 2009)

This is the case with the Tavits study cited by Dutt and Radcliff, using data from the European Survey which finds that voters are significantly happier than non-voters, regardless of their choice. Frey and Stutzer in "Happiness prospers in democracy" have an influential piece that illustrates this approach, which the authors focus on the sake of 'direct democracy', for example, the process by which citizens decide on political issues through initiatives and referendums. According to the authors, direct democracy gives the power to "verify and challenge the political class" to the citizens themselves, and may be leading to "political decisions more in line with preference voters" than in "representative democracy" alone. In turn, quite simply, this should lead to a higher level of subjective well-being of citizens.

Using an analysis of survey data from 6,000 citizens in 26 cantons of Switzerland, the authors note that such measures, such as direct democratic rights meetings and citizens, have a powerful and positive effect on life satisfaction regardless of wealth levels and education.

Two of the additional findings of interest stand out: foreign residents who do not have the same participatory benefits also show lower levels of subjective well-being even where direct democracy is more widespread. In addition, the procedure as well as the usefulness of the results of direct democracy is shown to positively influence life satisfaction. (Frey, 2000) In his article « Quality of Life and its impact on alienation expatriate teachers in some educational govenorates in the sultanate of Oman », Saud bin Mubarak al-Badri stated that quality of life is a multidimensional and relative concept, different from one person to another in theory and in practice according to the criteria adopted by individuals to assess life and its requirements, which are often influenced by many factors that control the determination of the elements of life ability to think and make decisions. And the ability to control, to manage the surrounding conditions, physical and psychological health and economic conditions, religious beliefs, cultural values, through which individuals determine the important things that give them life happiness. (albadri, 2019)

The clear implication here is that the very act of participating in a democratic process, whatever the outcome, increases levels of subjective well-being. This joins the broader question of the quality of democracy, rather than whether a list of democratic institutions is sufficient to increase individual and societal happiness.

6.- Literature review on subjective well-being in the rural world.

Subjective well-being was the focus of several global researches in urban and rural areas, knowing that our study focuses on the rural

area, which is designated as the set of cultivated spaces inhabited by a small population; its concepts are quite the opposite of the city or the urban environment.

The word "rural" has been applied almost in every country in the world for a long time to determine distributional agglomerations or agrarian social organizations. The concept was and remains in part the important fractional foundation in the social sciences such as history, geography, sociology or economics; rural area is an image of social facts that is widely present in political debates and in public action for the development of the territory.

According to Mathieu N. The rural environment, also called the countryside or rural environment, refers to all inhabited cultivated spaces; its concepts are quite the opposite of the city or the urban environment.

Responses to an OECD rural data survey and an assessment of other sources led to the following observations:

- Typically rural areas are defined as those with low population density and small settlements; not to mention agricultural areas that are often rural.
- An official definition of "rural" does not always exist. The definitions used vary considerably. In most cases, they treat rural as a residual category. In this case, it is defined negatively in the sense of not being "urban" or "aggregated," rather than being explicitly specified by its own properties.

Several essays and theological literatures have been interested in this thorny subject; major global experiences have looked at the well-being of several different world populations. also studies and research on subjective well-being have been carried out, we mention the most important:

6.1.- Experience the impact of rural electrification programmes in sub-Saharan Africa

According to Tanguy Bernard, 27% of the world's population in 2002 or 1.6 billion people live without electricity, the majority of these people who mean 80% live in rural poor countries. The rate of rural electrification (ER) is a problem in sub-Saharan Africa, a shutdown has been observed for more than thirty years, at less than 10%, while developing countries reach the average of 50%. Africa's rural environment contains 226 million people without access to electricity. Knowing that electricity is considered fundamental to have an opening to the developed world. The non-existence of electricity includes the absence of several services and comforts. (Bernard., 2010) According to Tanguy Bernard, rural electrification programmes are very important to improve the well-being of connected households. The household-level analysis of electrification "measured indicators such as the income or educational achievement of household children, so it made it possible to differentiate between the wealth category of rural households." Because the cost of connecting electricity in housing is high, the wealthiest households come first. Taking the example of Benin, studied by Wantchekon, which shows that children in households connected to electricity do better in school because they are more advantaged than their peers. This may have affected their academic success, without calling for other factors such as better nutrition or easier access to books. (Bernard., 2010)

6.2.- Study of "Subjective well-being and its determinants in rural China

A survey of rural Chinese households in 2007 by John Knight, Lina Song and Ramani Gunatilaka who wondered Why people living in rural areas in China seem to be relatively happy despite their modest poverty and socio-economic status? More than 60% of the rural

population say they are "happy" or "very happy", which is why the authors proposed to explore the determinants of subjective well-being in rural China. They found evidence that public property, the possession of a phone, the satisfaction of the village clinic, and the view that its spokesmen who represent the interest of the village increase happiness. (Knight, 2009)

6.3.- Study of "Subjective well-being in rural India: The cursor of conspicuous consumption"

Using data on the 697 people from 375 low-income rural households in India, the authors test the effects of relative income and ostentatious consumption on subjective well-being. The results show that people who report ostentatious consumption have moved to lower levels of subjective well-being. Surprisingly, an individual's relative income position does not affect a sense of well-being. Motivated by positional concerns, people do not accept their relative rank, instead of consuming visible goods, they consume more than their needs, in order to make their neighbours believe that they have a high social status. (Linssen, 2011)

6.4.- Study of "The Determinants of Household Monetary Well-being in Lower Kabylia: A Regression Analysis."

A study of households in lower Kabylia between April and May 2005 examined the determinants of household monetary well-being in Lower Kabylia in relation to per capita spending. Author Abdoune Benallaoua has tried to assess monetary poverty in Lower Kabylia, analyze its contours and profiles, and identify its determinants in a survey on household living standards. According to Abdoune Benallaoua, the results show that "the food line is in the order of 17796.55 DA for rural areas. The upper line, on the other hand, reaches 25775.92 DA in rural areas." However, the study showed that there are results that highlight the importance of poverty in rural

areas, in large households and with a low-educated, unemployed or manoeuvring householder. The most important factors in well-being were identified by the decline in per capita spending. The result showed that, on the one hand, household size and residence in rural areas have negative effects on living standards. Other shares, the possession of physical assets, the source of transfers from abroad, and the occupation of members, contribute to the improvement of the standard of living. (Benallaoua, 2008)

7.- The determinants of subjective well-being in rural households (Case Study).

Algeria's rural population has declined since independence and ceased to be predominantly rural in 1987, in contrast to the rapidly growing urban populations. This was done in relation to the attractiveness of the city and the emergence of phenomena that marked the history of Algeria as the throes of terrorism that destroyed society in general and rural people in particular resulting in an exodus of rural populations. Thus, terrorism has led to the destruction of a way of life of a society that only wanted peace and well-being. According to the ONS quoted by Zaghib Mohamed "The share of sparse populations in the total population rose from 44% in 1966 [41.5% (1977) to 29.2%(1987)] to 19.2% in 1998. In 2004, Algeria had 32.3 million inhabitants, the rural population was about 13 million people, of whom 6.5 million (50%) living in isolated and scattered dwellings (mainly hamlets, mechta, douars, ksours). and 6.5 million (50%) live in clumped environments."

In recent years, the State has highlighted a policy of agricultural development programme of rural areas to promote social stability in these areas, the State has put various development programmes namely the FNDA, the PNDA and the PPDRI to which are granted huge investments in the strengthening of collective and individual facilities (health, schools, rural housing, infrastructure, roads, water,

energy and sanitation). Through these programmes, rural populations move less to establish themselves in urban areas by finding improvements in quality of life and well-being within households. In addition, we will do a study on the determinants of subjective well-being among rural households in Algeria (Case: County of Mascara) to mark the theoretical approach with results.

7.1.- Research field

The County of Mascara is part of the Beni Chougrane mountains, it is located in the northwestern region of Algeria.According to Souidi Zahira and Bessaoud Omar, the County of Mascara "has a rural rate of around 70% (32 rural communes out of 46), a rate higher than the national average." (Souidi, 2011) The data are from a survey of rural households in fourteen municipalities in the County of Mascara between January and October 2015. Two in Zone 1 (the Sig and Habra plains to the north), three in Zone 2 (the Beni Chograne Mountains upstream), four in Zone 3 (the high plains in the centre) and five in Zone 4 (the Saida Mountains to the south). We wanted to reach 250 questionnaires but we only reached 150 households, because we had difficulties with heads of households especially with women (compared to conservatism).

Figures

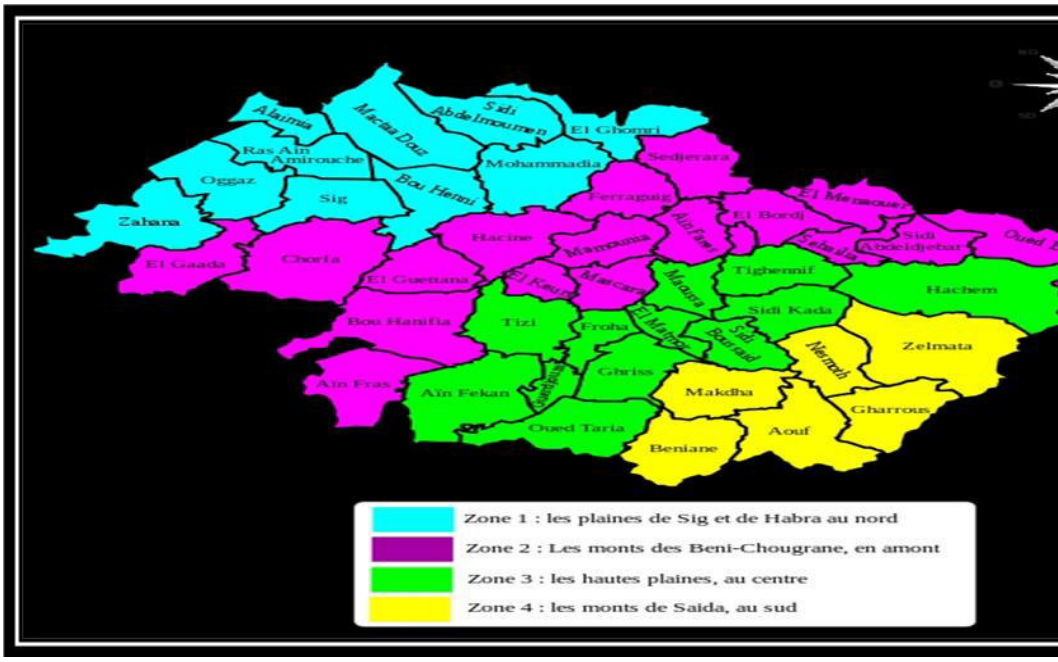


Fig1. The map of the Mascara County (bendenia)
Source: http://habib-bendenia.e-monsite.com/medias/images/wla-mascara-2.jpg, consulted in 05/02/2015.

7.2.- Questionnaire structure

The content of the questionnaire can be divided into five categories of information:

7.2.1.- The first category: the socio-demographic characteristics of the head of household

The household is a group of individuals who live together and put in common all or part of their resources to meet their basic needs. We have established in the first category: the commune whose household resides, the age, the sex, the marital status of the head of household,

the number of members of the household and the level of education (none, primary, middle, secondary and university).

7.2.2.- The second category: standard of living

We identified in the second category: the activities of the head of household (active, non-active, occupation, industry), the household manager's savings (income adequacy, duration of income relative to month, estimate of minimum monthly income/family needs, and amount of savings).

7.2.3.- The third category: quality of life

We have established in the third category: housing (housing type, occupancy status, room number, running water supply, drinking water supply, electrical connection, type of fuel and rural subsidy in development). In relation to the quality of education our concern was that of the problems that troubled the head or household members in the institutions attended. In relation to the quality of health (type of illness of household members, type of facility for treatment, provision of insurance). Finally, we discussed access to public services by assessing the quality of services offered by public institutions (Hospitals), the evaluation of the services offered by (The Town Hall, The Department, The County...), estimating the problems of administration (human, material, etc.), participation in elections, knowledge and evaluation of the elected representatives of the commune of residence and the satisfaction of the management of (tarring or asphalting) lighting, security, etc.

7.2.4.- The fourth category: property ownership indicators

In the fourth category, we discussed the goods and their values that the household possesses such (a refrigerator, television, stove, computer, private telephone, sewing machine, means of transport). We challenged in the possession of urban land the layout and the area, the

same was for agricultural land but adding the value of production (annual average/hectare), the quality of the land and the satisfaction of irrigation. Also the possession of country animals (disposition, type and quantity).

7.2.5.- The fifth category: subjective well-being

In this category, we addressed the problems of the daily life of the household, the satisfaction of life, the source of the household, the importance of a few factors and the determination of four of these factors that change the perception of life of the head of household and by ending our questionnaire with the concern of increasing income if it has a relationship in the change of life towards the best or the worse.

8.- Definition of the purpose of the investigation.

We conducted a questionnaire survey on the theme "Determining Factors of Subjective Well-being in Rural Households (Case Study)" and addressed the defining characteristics of the standard of living, quality of life and subjective well-being of the target population.

9.- Population and sample determination.

We chose the random sampling method to give the public an equal opportunity to participate in our survey. A sample of 150 households was selected (men, women, with/without dependent children, with/without income...).

10.- Conducting the survey.

In terms of how the questionnaire is administered, we have been responsible for writing down the answers provided to us by the subjects, in order to make it easier for them (some people do not understand the French language) in addition so as not to lose the

questionnaires knowing that we have no relationship with the subjects. The data processed was done by the "SPSS" version 20 software.

11.- Descriptive analysis.

The purpose of this study is to provide a quantified picture of the characteristics of survey respondents residing in the County of Mascara. The questionnaire was to be completed by the person who is the main financial support of the household (head of the household). In addition, if there were several individuals who were supporting the household financial support, the oldest individual had to complete the questionnaire.

Figures

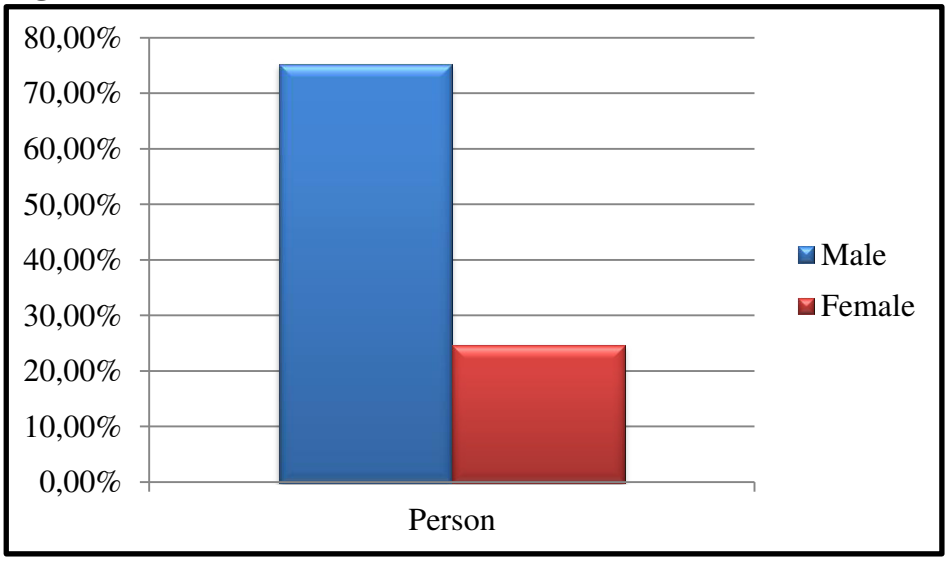


Fig2.- The sex of the head of the household.

Source: Made by authors.

Analysis of the figure above shows that more than 3/4 (75.3%) respondents are male, a quarter (24.7%) only is female, this accurately reflects the reality of a conservative society, protective of the female gender leaving a very limited field to women's freedom of expression.

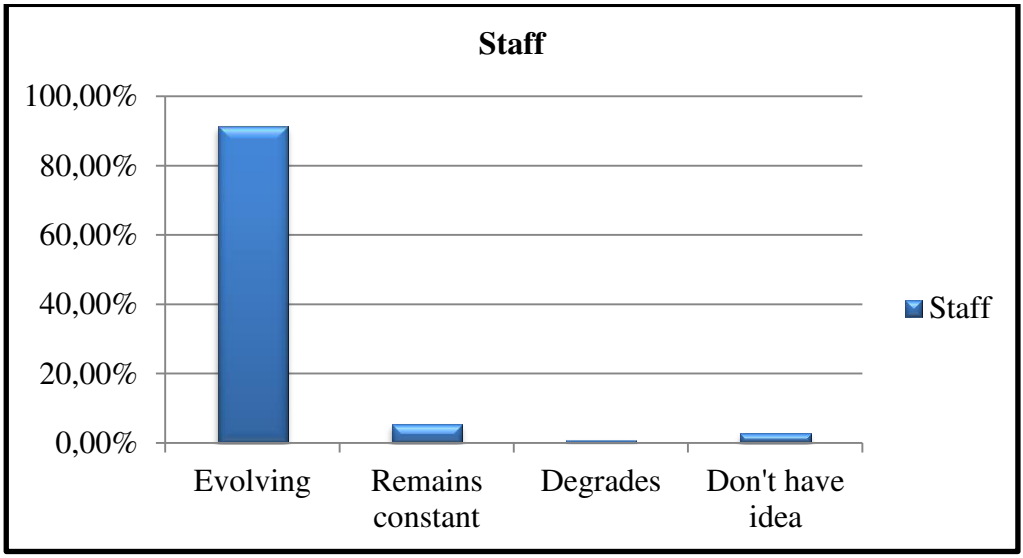


Fig3.- Changing the life of the head of the household in relation to the increase in income.

Source: Made by authors.

91.3% of respondents say that income has a direct influence on their life changes, they are convinced that if their income increases, their lives will also change, it has a bilateral relationship between the two points, the change of life following the change (increase) of income.

12.- In-depth analysis.

Figures

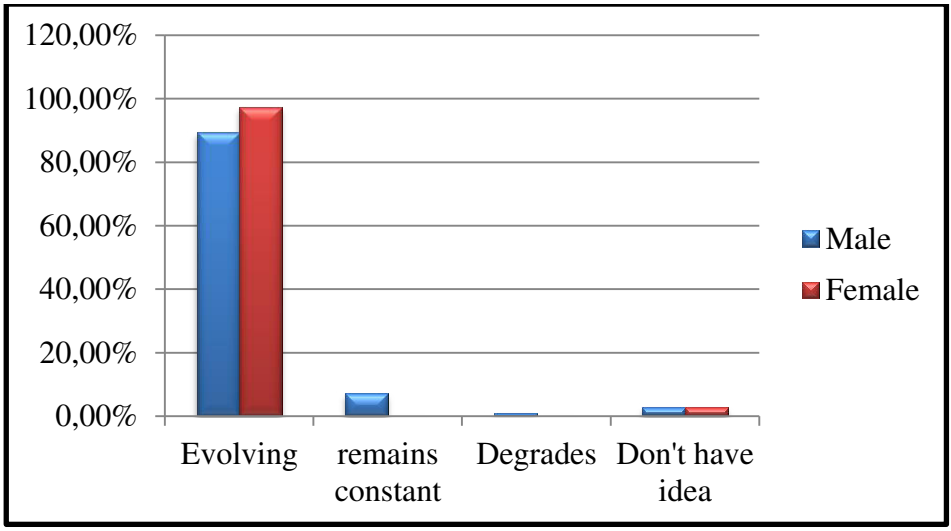


Fig4.- Relationship between "The change in the life of the head of the household versus the increase in income - The sex of the head of the household".

Source: Made by authors.

It is remarkable that a natural parity stands out in this picture, indeed whether the head of household is male or female, the observation is obvious, they both have almost the same attitudes and certainties (almost percentage), regarding the change of life following the increase in income!! For 97.3% of women and 89.4% of men their lives change if their incomes increase, however no woman has said that the life of her household remains constant if their income is revised upwards, unlike 7% of men who say that it will not disturb their lives in any way. No man or woman has claimed that rising incomes are hurting their lives quite the opposite, for a male and female category (2.7% equal) they have no idea about the impact of

rising income on changing their lives. Income plays a prominent and linear role in the standard of living of men and women. As income increases, their lives evolve.

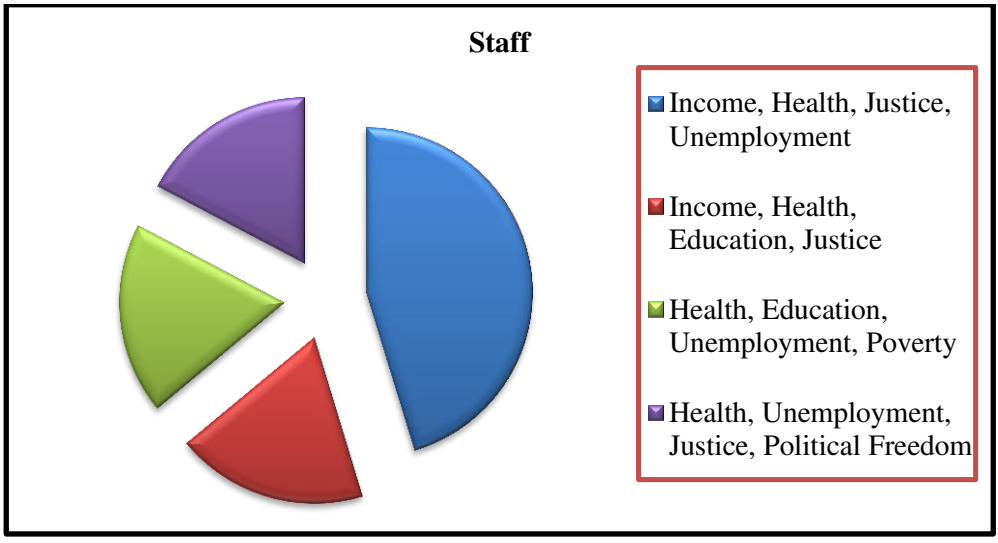


Fig5.- The four factors that change the perception of life

Source: Made by authors.

This figure shows that 45.3% of citizens say that the four determinants of their perceptions of life are: income, health, justice and unemployment. Income and health are the most basic factors in their lives.

13.- Conclusion

The pursuit of happiness is the ultimate goal of every being on earth, where every human being has his own vision of happiness which led us to the reflection and elaboration of this modest work. After analyzing the data, the study reveals that the subjective well-being of rural households in the County of Mascara is correlated with income level, which means that the higher household income, the more their

subjective well-being increases; this leads us to infer that there is a strong and positive influence between income and subjective well-being. The results also indicate that there are other factors that create positive emotions in rural households in the County of Mascara. According to the latter we were able to observe and list the factors that positively influence the subjective well-being of the households surveyed (men and women), we cite: work, education, marital status, housing and health.

14.- Reference

Books:

- Davoine, L. (2012). Économie du bonheur. La Découverte. p 03/p 29.
- Gaucher, R. (2009). Bonheur et économie: le capitalisme est-il soluble dans la recherche du bonheur? Editions L'Harmattan, p 41.
- Gaucher, R. (2011). Psychologie de l'argent et économie: abolirons-nous la pauvreté dans les pays riches? Editions L'Harmattan., p 126.

Journal article :

- Benallaoua, A. (2008). Les déterminants du bien-être monétaire des ménages en Basse Kabylie: une analyse de régression. Document de travail, 145.
- Boarini, R., Comola, M., Smith, C., Manchin, R., & De Keulenaer, F. (2012).Whatmakes for a better life? : The determinants of subjective well-being in OECD Countries–Evidence from the Gallup World Poll (No. 2012/3). OECD Publishing, p 10.
-
- Centre d'études de l'emploi (France). (2007). L'économie du bonheur peut-elle renouveler l'économie du bien-être? L. Davoine (Ed.). Centre d'études de l'emploi, p 05.

- Clark, A. E., &Senik, C. (2011). La croissance du PIB rendra-t-elle les habitants des pays en développement plus heureux? Revue d'économie du développement, 19(2), p 117.
- Dutt, A. K., & Radcliff, B. (Eds.). (2009). Happiness, economics and politics: towards a multi disciplinary approach. Edward Elgar Publishing, p 232.
- Gandré, P. (2009). Le Bonheur: économie et vie quotidienne. Idées économiques et socials, 156(2), p10.
- Gaucher, R. (2014), Bonheur au travail et performance financière : de l'étude quantitative de la relation au modèle prédictif, p 05.
- Herrera, J., Razafindrakoto, M., & Roubaud, F. (2006). Les déterminants du bien-être subjectif: une approche comparative entre Madagascar et le Pérou., Pp 05-06.
- Knight, J., Lina, S. O. N. G., & Gunatilaka, R. (2009). Subjective well-being and its determinants in rural China. China EconomicReview, 20(4), 635-649.
- Linssen, R., van Kempen, L., &Kraaykamp, G. (2011). Subjective well-being in rural India: The curse of conspicuous consumption. Social IndicatorsResearch, 101(1), 57-72.
- OCDE, (2011), « Bien-être subjectif », dans Panorama des statistiques de l'OCDE 2010 : Economie, environnement et société, Éditions OCDE, p 240.
- OCDE, (2011), Comment va la vie ? : Mesurer le bien-être, Éditions OCDE, p 291.
- Saoud ben barak albadri, (2019), Quality Of Life And Its Impact On Alienation Expatriate Teachers In Some Educational Governorates In The Sultanate Of Oman, Revue elwahat» pour les recherches et les etudes, Volume 12, Numéro 1, Pages 108.
- Souidi, Z., &Bessaoud, O. (2011). Valorisation des espaces ruraux en Algérie: une nouvelle stratégie participative. New Medit, p 18.

- Tanguy Bernard. (janvier 2010). Etudes d'impact des programmes d'électrification rurale en Afrique subsaharienne, série d'analyses d'impacts, (3), p 05/p 18.
- Veenhoven, R. (1997). Progrès dans la compréhension du bonheur. Revue québécoise de psychologie, 18, p 29.
- Yamamoto, J., Feijoo, A. R., &Lazarte, A. (2008). Subjective wellbeing: An alternative approach. Wellbeing and development in Peru: Local and universalviewsconfronted, p 63.

Seminar article :

- Carlo Klein et Monique Borsenberger, AICESIS Cour des comptes européenne, (11-15 juillet 2010), p05.
- Extrait du rapport de la CMPEPS (Rapport de la Commission sur la mesure des performances économiques et du progrès social); mis au format html le 21/09/2009 par Pierre Ratcliffe.

PhD thesis:

- Mohamed, Z. A. G. H. I. B. Effets des PPDR sur le développement rural durable local: Le cas des zones montagneuses de la wilaya de Sétif (Doctoral dissertation, Université Ferhat Abbas de Sétif 1), p 34.

Internet websites:

- http://habib-bendenia.e-monsite.com/medias/images/wla-mascara-2.jpg, consulted in 05/02/2015.

ElWahat pour les Recherches et les Etudes Vol.**14** (N°**2**)/ (**2021**) :**14**37-**14**50

El-Wahat for Research and StudiesReview
ISSN : 1112 -7163 E-ISSN: 2588-1892
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2

ROLE OF REGIONAL MINIMUM WAGES, SALARY PER SESSION TEACHING, BPJS PROGRAMS ON IMPROVING PERFORMANCE OF PRIVATE LECTURERS IN THE EAST BANDUNG AREA

دور الحد الأدنى للأجور الإقليمية و المرتب لكل دورة تدريس و برامج هيئة الضمان الاجتماعي على تحسين أداء المحاضرين من القطاع الخاص في منطقة باندونج الشرقية

Ahmed Benyahia Rabia [1] and Drajat Sulistiyono, S, E, M, M[2] and Ela Elliyana, S, E, M, M[3]

1.- University of djillali bounaama khemis miliana, faculty of economy, laboratory of Digital economy in Algeria, rabiebenyahia33@yahoo.com
2.- Polytechnic of Piksi Ganesha Bandung (West Java), sulistyo.drajat683@gmail.com
3.- University of Indonesia Timur Makassar (South Sulawesi), faculty of economy, elaelliyana82@gmail.com

Received: 09/05/2020 Accepted: 18/04/2021

Abstract.- The purpose of this study is to find out and analyze the role of regional minimum wages, salaries per session teaching, and BPJS programs on improving the performance of lecturers in the area of East Bandung. The results of the study illustrate that the regional minimum wage and salary per session teaching and BPJS program have a significant effect on the performance improvement of lecturers, then it should be that Private Campuses in the eastern Bandung area increases salary per session teaching more, and further increases the

provision of the BPJS Program this can be used as a reference for the progress of the campuses private sector in the area of East Bandung.

Keywords: Regional Minimum Wage, Salary per session teaching, BPJS Program, Performance Improvement.

الملخص:

تهدف هذه الدراسة الى معرفة و تحليل أثر كل من الحد للأجور الإقليمية و المرتب لكل دورة تدريس و برامج هيئة الضمان الاجتماعي في تحسين أداء المحاضرين من القطاع الخاص في منطقة باندونج الشرقية، فأوضحت نتائج الدراسة أن متغير الحد الادنى للأجور الاقليمية و الرواتب لكل دورة تدريسية و برامج هيئة الضمان لها تأثير كبير على تحسين أداء المحاضرين و أن على المؤسسات الجامعية الخاصة في منطقة باندونج الشرقية تحسين أجور الدورة التدريسية مع رفع سقف توقعات برامج هيئة الضمان الاجتماعي ما ينعكس على تحسين مستوى قطاع المؤسسات الجامعية الخاصة في المنطقة.

الكلمات الدالة: **الحد الأدنى للأجور الاقليمية، مرتب الدورة التدريسية، برامج هيئة الضمان الاجتماعي، تحسين الأداء.**

1. Introduction.

(Suryadi, 2012) Private lecturers need to live and prosper, because to become a lecturer requires a very large cost, both the education required at least an S2, journal preparation that uses a lot of costs, the cost of various seminars that are not small anyway, based on surveys there is a lecturer who is only paid per hour of teaching or paid with a very little basic salary which is very incompatible with the regional minimum wage of an area, for example, the regional minimum wage in Bandung in 2020 **is 229.65$,** lecturers are only paid with a basic salary of 76$ - this is very far from the word prosperous. (Perbanas, 2007)

To obtain a word of prosperity a lecturer must be diligent in seeking grant funds or must be diligent in writing textbooks, and looking for other work jobs than teaching a phenomenon that cuts the heart. (Suryadi, 2012)

The performance of a lecturer is influenced by commitment. Organizational commitment is a fundamental strength of a Private Lecturer in identifying his involvement in the organization. This is marked by three things, namely (Perbanas, 2007):

1). Acceptance of organizational values and goals,

2). Readiness and willingness to strive earnestly on behalf of the organization,

3). Desire to maintain membership in the organization.

1.1.-FORMULATION OF THE PROBLEM.

Based on the description of the background of the above problems, the formulation of the problem in this study is as follows:

- How is the influence of regional middle wages on improving the performance of Private Lecturers?
- What is the effect of hourly basic salary on improving the performance of Private Lecturers?
- How is the influence of the BPJS program on improving the performance of Private Lecturers?

1.2.-Hypothesis Formulation is: The research hypothesis is the researcher's assumption of a problem being studied. The hypothesis of this research is: Regional minimum wages, Salary per Session Teaching, and BPJS Programs have no significant effect on the Increase of Private Lecturer Work in East Bandung.

1.3.-RESEARCH PURPOSES.

- Analyze and describe the effect of regional middle wages on improving the performance of private lecturers.
- Analyze and describe the effect of hourly basic salary on improving the performance of Private Lecturers.
- Analyze and describe the effect of the BPJS program on improving the performance of Private Lecturers.

2.- THEORETICAL REVIEW.

2.1.-REGIONAL MINIMUM WAGES.

(Deliarnov, 2003) the Regional Minimum Wage is a minimum standard used by employers or industry players to provide wages to workers, employees, or laborers in the business or work environment. The minimum wage is the lowest nominal wage standard that must be used as a guide for employers in the payment of workers' wages in the company. The purpose of setting minimum wages by the government is to create a wage system that can meet the needs of decent living for workers and their families.

The minimum wage does not apply singularly to all regions of Indonesia. Each region has a different wage standard, for example, the DKI Jakarta minimum wage is greater than the Yogyakarta minimum wage, or Karawang's minimum wage is higher than Surabaya's minimum wage. In other words, in each region, a Regional Minimum Wage (UMR) applies.

2.2.- SALARY PER-HOURS.

An hourly basic salary is a form of payment when a lecturer teaches per session without any additional salary. Such as someone per session at a salary of 3.17$ times a month is not very prosperous at all especially if the campus concerned gives a very minimal teaching schedule.

2.3.- BPJS PROGRAM.

BPJS or Social Security Organization Body is a public legal entity that organizes social programs. BPJS itself consists of BPJS Health and BPJS Employment. Both are held as a form of service from the government to guarantee health and ease of accessing health services. While JKN or National Health Insurance is a health service that uses an insurance system. All Indonesian citizens are required to have this health insurance and pay contributions every month. So health insurance contributions will be paid by the government. That way, everyone has the same right to enjoy health services and facilities. While BPJS is an insurance company that was previously named PT Askes. Whereas BPJS Employment is a transformation of Social Security or Workers' Social Security. From this explanation, it can be seen the difference between BPJS and JKN. All Indonesian citizens are required to become health insurance participants managed by BPJS. Including foreign nationals who have lived in Indonesia and worked for at least six months.

2.4.- PERFORMANCE IMPROVEMENT.

(Dessler, Human Resource Management, 2006) The target of the company, (in this case is the campus) is determined based on careful and accurate calculations. A comparison between production volume and labor capacity will be the main reference in determining targets. To be able to meet this target, employee performance must be maintained in the best conditions. In addition to achieving the target, the company's production may increase and improve its quality. The human factor in the company itself cannot be compared to the machine and software factors of the company. The treatment given must humanize every employee. Indeed, one time there will be one or two employees who experience a decrease in performance. But

companies can take strategic steps to overcome this. Companies through the HR department need to monitor employee performance at all times to know the dynamics that occur. The goal is clear, to maintain employee performance in the best condition. If it is very good, it must be known what causes it, and if it falls in the worst conditions, it also needs to know the cause so that it can be addressed wisely. To address the decline in the quality of performance of employees who are owned, the company can do the following steps. Of course, the application will be different and adjust to the circumstances and work culture of the company, but in general, here are seven ways to improve employee performance:

1. Give employee rights.
2. Implement effective performance appraisals.
3. Apply a clear career path
4. Promote employees
5. Freeing creativity
6. Provide soft loans
7. Give a bonus.

3.- Research methods.

This study used the causal method, to determine the effect of discipline and motivation on employee performance.

3.1.-Population and Sample.

The population in this study were lecturers in the east Bandung area, amounting to 40 people.

The sample used is saturated sampling, so the entire population is used as a sample in this study.

3.2.-METHOD OF COLLECTING DATA.

The study was conducted by distributing questionnaires to all respondents.

Table 1.- Variables and Measurements

Variable	Indicator
Regional minimum wage **(Variable X1)**	1. Lecturer manages and organizes work on time. 2. The lecturer completes work without an error. 3. Lecturers carrying out their duties can place themselves as part of the campus system.
Salary Per Session-Teaching **(Variable X2)**	1. The lecturer knows all technical activities related to the scope of his work. 2. The lecturer can carry out all managerial tasks that are his responsibility. 3. The lecturer can expect the emergence of life difficulties so that he is better prepared to deal with it.
BPJS **(Variable X3)**	1. Lecturers will be more confident in working without doubts. 2. Lecturers work calmly because they have high self-confidence. 3. Lecturers will respond more quickly to signs of an accident.
INCREASING LECTURER PERFORMANCE **(Variable Y)**	1. Lecturers can carry out tasks efficiently and effectively. 2. Lecturer Work Results achieved exceed the average work results specified. 3. Lecturers can solve problems related to their work. 4. Lecturers look for new work procedures in achieving university goals. 5. The lecturer obeys all conditions of working hours in an organization.

Source: prepared by researchers

The scale used is an ordinal measurement based on ranking and sorted at a higher level to the lowest level or vice versa. Riduan (2004: 82), the answer category consists of 5 levels, namely:

5 = Strongly Agree
4 = Agree
3 = simply agree
2 = Disagree
1 = Disagree
The data obtained were then analyzed to test the hypothesis using multiple regression analysis techniques. Data processing was carried out with the SPSS (Statistical Product and Service Solution) version 22.

3.3.-Definition of Variable Operations.

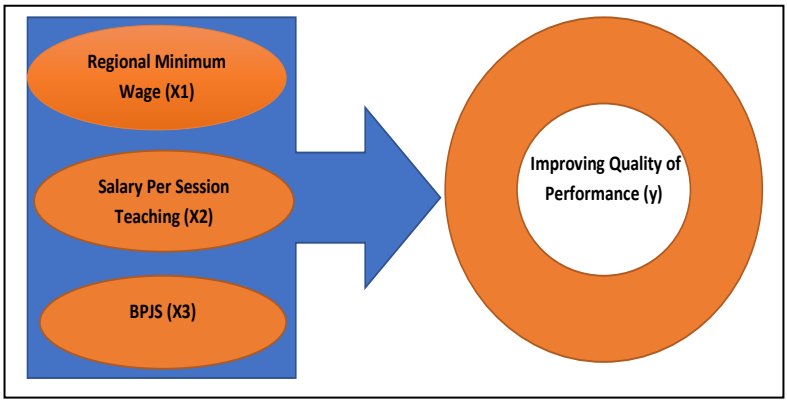


Fig 1. Definition of Variable Operations

Source: prepared by researchers.

$$(1)\quad Y = a + b_1X_1 + b_2X_2 + b_3X_3$$

Where Y = Performance Improvement
a = Constant
$b_1b_2b_3$ = Regression Coefficient
X_1 = Regional Minimum Wage
X_2 = Salary Per Session Teaching
X_3 = BPJS

4.-Discussion and analysis of results

(Ghozali, Application of Multivariate Analysis with the SPSS Program, 2005) In this chapter, we discuss the results of the data that the authors have collected from respondents of 40 lecturers in the east Bandung area. The results of this analysis will be used to determine the effect of regional minimum wages, salaries per session teaching and BPJS program on improving lecturer performance in East Bandung. The analysis is carried out as follows:

Table 2.- The Model

Model Summary[b]

Model	R	R Square	Adjusted R Square	Std. Error of the Estimate	Change Statistics					Durbin-Watson
					R Square Change	F Change	df1	df2	Sig. F Change	
1	,889[a]	,791	,773	,03269	,791	45,395	3	36	,000	2,062

a. Predictors: (Constant), BPJS PROGRAMS , ROLE OF REGIONAL MINIMUM WAGES, SALARY PER SESSION TEACHING

b. Dependent Variable: IMPROVING PERFORMANCE OF PRIVATE LECTURERS

Source: prepared by researchers according to the output of spss.

The regression between regional minimum wage variable, salary per session teaching and BPJS program to improve lecturer performance can be described in data processing with SPSS software version 22.

R^2 (coefficient of determination) = 0.791, This is shown that RMW, salary per session teaching and BPJS explain 79.1% from changes in lecturer performance while 20.9% is influenced by other factors not examined.

The value of the F test (45.395) is significant at the 0.05 level, which means we accept the model after excluding the non-significant variables which affect the credibility of our results.

Table 3.- The equation

Coefficients[a]

Model		Unstandardized Coefficients		Standardized Coefficients	t	Sig.	Correlations		
		B	Std. Error	Beta			Zero-order	Partial	Part
1	(Constant)	-,815	,450		-1,813	,078			
	ROLE OF REGIONAL MINIMUM WAGES	,385	,139	,367	2,776	,009	,803	,420	,212
	SALARY PER SESSION TEACHING	,484	,176	,422	2,745	,009	,854	,416	,209
	BPJS PROGRAMS	,402	,190	,212	2,118	,041	,640	,333	,161

a. Dependent Variable: IMPROVING PERFORMANCE OF PRIVATE LECTURERS

Source: prepared by researchers according to the output of spss.

Regional Minimum Wage Variable and Performance Improvement Variable

According to the table, the calculated value of t reached at B_1 (2.776) with a level of significance less than 0.05 which means the RMW affect the variable of performance improvement by 0.385 per unit.

Salary Per Session Teaching Variable and Performance Improvement Variable

Upon the results, the calculated value of t reached at B_2 (2.745) with a level of significance less than 0.05 which means the salary per session teaching affect the variable of performance improvement by 0.484 per unit.

BPJS Program Variable and Performance Improvement Variable

The calculated value of t reached at B_3 (2.118) with a level of significance less than 0.05 which means the BPJS program affect the variable of performance improvement by 0.402 per unit.

By referring to the results above we can create the following regression equation:

$$(2) \quad Y = 0.385\ X_1 + 0.484\ X_2 + 0.402\ X_3$$

This equation shows us that all independent variables are significantly influencing the dependent variable between these values (0.385 and 0.484)

This means we refuse the hypothesis of this study and confirm the relationship between RMW, salary per session teaching, BPJS program and the performance improvement of lecturers.

5.- Conclusion

Performance Improvement of lecturers is an important thing because it can develop The Learning System; therefore, we should not look at the role of lecturers as a routine process serving certain targets in the light of this study we conclude a set of Results:

-We have a positive and significant effect of RMW on performance Improvement

- We have positive and significant effect of salary per teaching on performance Improvement

-We have positive and significant effect BPJS program on performance Improvement

-The value of R square was shown that the independent variables explain 79.1% from the change in literature performance.

Basing on the findings that stemmed from this study we exhibit the following recommendations:

- The Indonesian government must make provisions for every organization that employs the lecturer and pay regional minimum wages.
- The Indonesian government must make provisions for every organization that employs the lecturer and pay wages per teaching session.

- The Indonesian government must make provisions for every organization that employs the lecturer and pay BPJS insurance wages.

- The minimum wage value determined annually by Indonesia's national wage policy, with taking account of productivity, performance, and economic growth.

- Per session teaching wages must be explained when signing a lecturer employment contract, per session teaching wages should be based on lecturer productivity.

- The government should determine the minimum wage per session teaching to avoid abusing the lecturer.

- BPJS insurance paid by the foundation must be guaranteed by labor inspectors.

- BPJS insurance must cover the technical protection of lecturers.

6.- References

Dessler, Gary. (2006). Human Resource Management, Tenth Edition. J Jakarta: PT INDEKS, p274.

Ghozali, Imam, (2005). Application of Multivariate Analysis with SPSS Program., Third Edition, Diponegoro University Publishing Board, Semarang.

Suryadi, A. (2012). Education, HR Investment, and Development: Issues, Theories, and Applications for the Development of Indonesian Education and Human Resources. Bandung: Widya Aksara.

Adi Susilo Jahja (2007), Academic Integrity in Building Professional HR in Higher Education (Case of Dishonesty STIE Perbanas Academic), Journal of Educational Sciences, Volume 14 Number 1,pp 49-61.

Deliarnov (2005). Development of Economic Thought. Jakarta: PT Raja Grafindo persada.

Mankiw N,Gregory. (2009). Macroeconomics, 7th Edition. New York: Worth Publishers.

Bernadetta (2019), Langkah Perhitungan Gaji Karyawan yang Masuk Tengah Bulan Berikut Rinciannya Pada Slip Gaji detailed website : https://sleekr.co/blog/langkah-perhitungan-gaji-karyawan-yang-masuk-tengah-bulan-berikut-rinciannya-pada-slip-gaji/ (03/04/2019).

UMP/UMK Jawa Barat (2020), detailed website : https://gajimu.com/garmen/gaji-pekerja-garmen/gaji-minimum/ump-umk-jawa-barat (05/01/2020).

Mengintip UMK/UMP Jawa Barat 2020, detailed website : https://www.liputan6.com/regional/read/4117310/mengintip-daftar-umk-2020-di-jabar-tertinggi-kabupaten-karawang (05/01/2020).

Yasrin Zabidi (2007), PERANCANGAN SISTEM PENILAIAN KINERJA DI STT ADISUTJIPTO SEBAGAI PENDUKUNG SISTEM PENJAMINAN MUTU, Journal of Ilmiah Teknik Industri Vol. 5 No. 3 April 2007,pp 144 – 152.

Mohammad Fauzan (2012), The Improvement of Lecturers' Performance Based on Social Capital and Organizational Support in Private Universities in Semarang, Journal of Bisnis dan Ekonomi (JBE), vol19, n02, pp 188-202.

ElWahat pour les Recherches et les Etudes Vol.**14** (N°**2**)/ (**2021**) :**14**51-**14**67

El-Wahat for Research and StudiesReview
ISSN : 1112 -7163 E-ISSN: 2588-1892
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2

The role of information technology in electronic commerce: case study AMAZON

دور تكنولوجيا المعلومات في التجارة الالكترونية دراسة حالة :امازون

KOUACHE SARA [1]، CHICHA NAWEL [2]

1. - university djilaly bounama khmis meliana,sarakoudoc18@gmail.com
2. - university djilaly bounama khmis meliana,Chichanawel@gmail.com

Received:10/05/2020 Accepted: 31/01/2021

Abstract.

- information technology has the power to develop the industry and transform how business is run and with the development of technology, e-commerce is attracting more attention from governments, business and individuals, which is one of the major reasons for amazon quick, The study involves assessment of the best Management Information Systems practices in place for Amazon throughout its value chain activities. Uniqueness of MIS is being highlighted in the report through assessment of technology, process and the systems that Amazon use right from the initiation of the end user with the website till the payment and delivery mode is being selected

Key words:

information technology, electronic commerce, Amazon, businesses leading, decision making,

kouache sara: Email: sarakoudoc18@gmail.com

الملخص:

تتمتع تكنولوجيا المعلومات بالقدرة على تطوير الصناعة وتحويل طريقة إدارة الأعمال ومع تطور التكنولوجيا اصبحت التجارة الإلكترونية تجذب مزيداً من الاهتمام من الحكومات والشركات والأفراد ، وهو أحد الأسباب الرئيسية لسرعة الأمازون ، وتتضمن الدراسة تقييم أفضل ممارسات نظم المعلومات الإدارية المعمول بها لأمازون طوال أنشطة سلسلة القيمة الخاصة بها. يتم تسليط الضوء على تفرد نظم المعلومات الإدارية في التقرير من خلال تقييم التكنولوجيا والعملية والأنظمة التي تستخدمها أمازون منذ بدء المستخدم النهائي مع موقع الويب حتى يتم اختيار وضع الدفع والتسليم.

الكلمات الدالة: **تكنولوجيا المعلومات, التجارة الالكترونية, امازون, ريادة الاعمال, اتخاذ القرار.**

1. Introduction

The expansion of globalization has led to the emergence of the digital economy. New concepts have emerged, such as electronic business (e-Business) or electronic commerce (e-Commerce), as the electronic alternative to the traditional way of doing business or trade. Operating in a highly competitive economy based on information technologies and telecommunication, required firms to adopt new business models. Under these conditions, e-commerce became a reality in today's business world and the prerogative of obtaining success in the market for any company. E-commerce has known during the last decades a significant growth, becoming more and more important for the companies worldwide. Nowadays due to globalization, technology is evolving at a very fast speed, forcing all the companies to adopt new technologies. E-commerce plays and it will play a key role in the economy in the future, and

more and more companies will have to change their business strategies. The e-commerce industry contains important retailers, e.g. Amazon.com and eBay, information service companies, e.g. Google and Yahoo, online versions of traditional brick-and-mortar stores. In 2004 Amazon was on top in what online service meant with: 6 website servers, 32 million customers in 150 different countries, 900,000 associate programs linked with Amazon or having contents of Amazon. Because of his tremendous importance in the e-commerce industry, Amazon has the power to influence the entire industry, but it can also be influenced

Research Problem and Research Question:

This paper focuses on the retail business the introduction of E-commerce and the role of information technology as a critical success factor. IN this context, Amazon is analyzed as a representative company. The main research question therefore is formulated as "what's the role of information technology in order to reap the benefits of e-commerce and how Amazon is able to differentiate itself from its competitors?"

Hypothesis:

-Information technology is a medium or a tool for facilitating online transactions and the delivery of online goods and services within the twinkle of an eye

-Companies need to enhance the integration between e-commerce capability and information technology infrastructure in order to reap the benefits to E-commerce.

-More customers moved from traditional purchase to e-commerce because it is often faster and cheaper.

-Amazon for their e-commerce activities uses number of information systems in order to gain competitive advantage over its competitors.

The aim of the study:

The aim of the study is to determine the impact of information technology on e-commerce. The other objective of the study was to determine how traditional retail differs from e-commerce.

2. - E-commerce: As the term suggests, e-commerce refers to various online commercial activities focusing on commodity exchanges by electronic means, Internet in particular, by companies, factories, enterprises, industrial undertakings and consumers. A large number of well-known organizations and corporations also have their own definitions on e-commerce. For example, ISO defines e-commerce as: it is the general term for exchange of information among enterprise and between enterprise and customers; the Global Information Infrastructure Committee defines it as the economical activities using electrical communications, with which people can purchase products, advertise goods and settle. The following are definitions given by transnational corporations Intel, IBM and HP respectively. Intel: E-commerce electronic market electronic trade electronic service IBM: E-commerce information technology web business HP: E-commerce is to accomplish commercial business by electronic means. Since e-commerce is a brand new science, it is not at all surprising that there are various definitions about it. In addition, a premature uniform definition of e-commerce may slow the development of e-commerce. E-commerce shall be social, economic activities between social principal parts by taking advantages of computers and network.

2.1. - benefits of e- commerce:

The main benefit from the customers' point of view is significant increase and saves of time and eases access from anywhere in the globe Customer can place a purchase order at any time. The main benefits of ecommerce for customers are as follows:

• Reduced transaction costs for participating exchange in a market

• Increased comfort - transactions can be made 24 hours a day, without requiring the physical interaction with the business organization.

• Time saving- Customer can buy or sell any product at any time with the help of internet

•Quick and continuous access to information Customer will have easier to access information check on different websites at the click of a button.
• Convenience-All the purchases and sales can be performed from the comfort sitting at home or working place or from the place a customer wants to.
• Switch to others companies-Customer can easily change the company at any time if the service of a company is not satisfactory.
• Customer can buy a product which is not available in the local or national market, which gives customer a wider range of access to product than before.
• A customer can put review comments about a product and can see what others are buying or see the review comments of other customers before making a final buy.

The main benefits of e-commerce from sellers' point of view is increasing revenue and reducing operation and maintenance costs through internet. These include as follows:
• Increases revenue.
• Reduces operation and maintenance costs.
• Raises customer loyalty and retention.
• Reduces transportation costs.
• Develops customer and supplier relationships.
• Improves speed of the process of selling.
• Improves internal and external communication and Develops the company image and brand.

2.2.- types of e-commerce:

Today companies are using different forms of e-commerce to offer their products and services online. E-commerce can be subdivided into many categories. Broadly, it is divided into four main categories. B2B, B2C, C2B, and C2C

-B2B (Business-to-Business): here companies will be doing business with each other. For example manufacturers are selling to distributors and wholesalers selling to retailers. Pricing is based on quantity of order and is often negotiable**.**

-B2C (Business-to-Consumer): In this case selling of goods or services to the general public typically through catalogs utilizing shopping cart software.

-C2B (Consumer-to-Business): In this case consumer posts his project with a set of budget online and concerned companies review that consumer's requirements and bid on the project. The consumer reviews the bids and selects the company that will complete the project. Elance- a company connects talented developers, designers, writers, marketers, support reps; administrators etc and provide platform and meeting ground to empower consumers around the world**.**

C2C(Consumer-to-Consumer) : There are number of online sites offering free classifieds, auctions, and forums for individuals to buy and sell. For example eBay's auction service is a great example of where person-to-person transactions take place every day since 1995. PayPal popular online payment systems through which people can send and receive money online with ease.

E-commerce- now days operate in all four of the major market segments- Business to Business, Business to Consumer, Consumer to Consumer and Consumer to Business. Recently, critical challenges remain to be overcome before e-commerce would become an asset for common people**.**

3. - Information technology:

Before we go any further and in order to understand the revolution that information technology has brought to our lives, it is very important to clarify and understand what the term information technology means. In 1995, information technology was defined as computer software and hardware solutions that provide support of

management, operations, and strategists in organizations Thong and Yap (1995) state that the goal of having information technology (with all computer applications like MRP/EDI, CAM/CAD) is increasing productively of cooperation. Two years later, Boar (1997) defines information technology as "those technologies engaged in the operation, collection, transport, retrieving, storage, access presentation, and transformation of information in all its forms…" Daft (1997) has written a simple definition of information technology. He stated that: "Information technology can be defined as the hardware, software, telecommunications, database management, and other information-processing technologies used to store, process, and deliver information.

Carter (1991) presented another definition. He wrote that information technology is: "...The use of modern technology to aid the capture processing, storage, and retrieval, and communication of information, whether in the form of numerical data, text, sound, or image." Based on many definitions presented in the current literature and for the purpose of this research, the term information technology refers to the developed and the advanced technology which uses microprocessor-based machines: microcomputers, automated machines, telecommunication equipment to collect, process, store, generate, disseminate, rearrange and exploit of information.

3.1. - information technology and competitive advantage

Although the objective of any Information IT business unit is the enhancement of modern firm's performance - through the improvement of the quality of managerial decisions - in the absence of an adequate alignment between IT and Business objectives, the attainment of the firm's agility status is jeopardized, and consequently, the chances of achieving the IT-Business competitive advantage are reduced.

The strategic role of information systems involves using information technology to develop products, services, and capabilities that give a

company strategic advantages over the competitive forces it faces in the global marketplace

This creates strategic information systems, information systems that support or shape the competitive position and strategies of an enterprise. So a strategic information system can be any kind sentence of information system that helps an organization:

1) Gain a competitive advantage
2) Reduce a competitive disadvantage
3) Meet other strategic enterprise objectives

Information technology emerges as an essential asset of modern firms' competitive advantage, because it connects all business functions and supports managerial decision processes - both essential conditions for the attainment of the organization agility level.

In any company, IT has a dominant effect on competitive advantages in either cost or differentiation. The technology also affects value activity themselves or allows companies to gain competitive advantage by utilizing changes in competitive scope. Porter (1996) stated; the IT is affecting competition in three fundamental ways:

-It changes industry structure and, in so doing, alters the rules of competition

-It creates competitive advantage by giving companies new way to outperform their rival

-It spawns whole new business, often from within a company's existing operations

In the last decade many scholars were trying to develop the idea of IT as a source of competitive advantage have been focusing on IT capabilities as a source of competitive advantage. Overview indicates on four different relationships:

1) IT has a direct and positive effect on firm performance/competitive advantage
2) IT has a direct and negative effect on firm performance/competitive advantage

3) There is no connection and no effect between IT and firm performance/competitive advantage
4) IT has a contingent effect on firm performance/competitive advantage

IT as a resource can contribute to improved growth and productivity. However, the question of whether IT can be a source of competitive advantage remains unresolved since they discovered that IT spending was not correlated with competitive advantage

IT capabilities have greater overall profitability (firm performance)

3.2. - Effects of Information Technology on Electronic Commerce

Information technology is vital for a modern firm's optimal performance today, as it aug-ments the firm's capability to coordinate business transactions within the firm, but also among firms such as between buyers and suppliers. In this context, Malone et al. (1987) identified three effects of information technology, to which Wigand (1996) added a fourth one. All four effects may lead to reduced transaction and coordination costs:

1) The communication effect- Advances in information technology allow for more information to be communicated in the same unit of time, thus reducing transaction costs
2) The electronic integration effect-A tighter electronic linkage between buyer and seller is enable

3) The electronic brokerage effect- An electronic marketplace where buyers and sellers come together to compare offerings
4)The electronic strategic networking effect- Information technology (including networks) enables the design and deliberate strategic deployment of linkages and networks among cooperating firms intended to achieve joint, strategic goals to gain competitive Thus the $4 billion to $5 billion home shopping market that McKinsey and other consulting firms have predicted in the United States in 2003

will involve not new retail spending, but a switch of customers from shops and catalogues to computers and interactive television. An additional built-in dilemma here is that these new services not only need to cover their basic costs in terms of actual service provision, but they also need to be priced such that they can recover the cost of building the network that delivers them in the first place. In essence then, the entertainment that many expect to be beamed into people' s homes some day must not only replace the trip to the local video store, but it also must persuade customers to spend more on those pleasures than they are now. However, in the Florida video-on-demand market trials by Time ± Warner, customers were unwilling to allocate additional funds to their entertainment budget. It appears that this behavioural change will come in time, especially when completely new services are being offered and applications are possible that we still have not dreamed of and when users realize the added value achieved via these services and new applications. The same was true with other technologies in history such as the steam engine

4-Amazon:

Amazon became a public company in May of 1997 with an initial public offering of three million shares of common stock. The IPO provided growth funding to develop their distribution capabilities and website features. The company's investment activities were heavily scrutinized. Analysts were doubtful regarding the company's ability to produce a return on investment. Bezos explained the company's goals in his first letter to shareholders in 1997: Our goal remains to continue to solidify and extend our brand and customer base. This requires sustained investment in systems and infrastructure to support outstanding customer convenience, selection, and service while we grow

By 1998, Amazon was fast becoming one of the world's leading Internet start-ups. They conducted business with over one and half million customers, reaching both the United States and 160 countries

This outreach made them the third largest bookseller in the U.S. without the brick and mortar presence its competitors had outstanding success as an e-commerce bookseller influenced the development of new services, products and additional markets to enter. Amazon acquired the "Internet Movie Database" (IMDB) in April of 1998, purchasing their way into the online media market Bezos realized IMDB's capability to vertically integrate as an information asset. IMDB aligned with his vision of distributing media and entertainment products, made evident when he promoted movie sales acquisition through it shortly after the two other acquisitions in 1998 eliminated potential competitors in the book e-commerce industry. "Book pages" and "Tele book" based in the United Kingdom and Germany were acquired for a total of $55 million. This decision was Amazons first transnational horizontal growth, adapting their business model to cultures that valued different books than their domestic consumers Information Systems utilized for internet activity

1.4.-information systems:

In 1995 Amazon used website system and order fulfillment system separately in order to improve security. By 1995 amazon has huge database running on Digital Alpha Servers. Amazon renovated the entire system in the year of 2000. Company spent $200 million on the New systems, these systems include analysis software from "Epiphany", logistics from "manugistics" and new DBMS from oracle For communication with supplies amazon seal deal with Exelon for business-to-business integration system. Amazon Web Service (AWS) and Simple Storage Service (SS) are the main system developed by amazon. Through this system amazon can maintain its vast number of products and millions of active customers

Amazon web service has become a global platform for individual to retailers to sell their products. Through reliable, Scalable, and robust web service amazon creates a global domination. The challenges of amazon.com web services are very prominent every second thousands

of customers are searching. For products and ordering products, the systems have to be fast, reliable and secured. Every second CRM (Customer Relation Management) system is taking customer information though their searching, data mining, wish list and so on. Whatever customer buys or not they are providing information about them. Systems are smart enough to analysis the information and provide service accordingly for tracking fraudsters amazon.com built a system known as SAS (Smart Analysis Search).This system decrease and detect fraud in the web site by analyzing behavioural pattern. SAS allows amazon.com to measure and personalize customer and help to serve customer effectively

Amazon.com is information system based on Service Oriented Architecture (SOA). SOA is fully distributed and decentralized service platform enables amazon's information system to be robust and scalable. SOA concentrates in multiple application rather than bigger process

1.4.1-Shopping and Track the order: Amazon has got a personalized content to customers who are helpful for tracking the current actions of the customers. Since it is an online shopping, the customer are entitled to add any number of products as per they want. Although, the customer can save the product in their website; which they had created in Amazon web site They can save the products and do trading in future as per they want. All this information is get stored in an Infomediary model of the Management Information System Along with that Amazon has created a platform of the social network within their own website which offers more interactivity. The customer can go through the history what they have been searched and also track the order which they had purchased. Along with that, when the new user is coming for the online shopping in website, the Amazon tries to collect the new user information, which will directly link to the same Infomediary Model. So, that when the next time the user enters into the website, they will recommend the products as per his taste and as per

his/her last searched products. And Amazon also provide a discount and bumper sale offers at the time of festivals and certain occasion, and also do a bumper offer period at very low price of the products for consumer. This is a part of the marketing to attract the customers much more as they can

1.4.2- **Shipping Address of the Products**: Website solicitations with offer those shipping deliver of the purchaser for the item will be should make sent. The customer can send the products to another person while adding their shipping address. But by default, the website at first shows the authorized person address for the time saving. If a person wants to purchase products for himself only, then the address is already being saved in the website at the time of registration. If he wants to send goods to another person, then he can modify or add a different address of the person.

1.4.3-Payment process offer to the Customer: The Amazon offer the payment process in a convenient way to their customer. The customer can do the online payment which is using by the Debit Card and the Credit Card or can do offline which is called as Cash on Delivery. This is being made when the customer receives their goods in their hand. The customer can purchase the goods in an EMI form also, where they can pay the amount in an installation bases under some certain banks. While having the payment process, the customers fills their information, by which the Information System stores their data for the further usage. While having the payment process the website also provides a tracking number, by which customer can track their order status that where it has reaches and when they will get. The Amazon also provides a specific estimated date of receiving the goods to the customer while purchasing the product

At the time of payment of products the Amazon Information System is being considered in this manner that the website will show the advertisement of the related goods which a customer is being purchasing. Amazon uses the Virtual storefronts to attract the huge number of customers to the website. Through this, Amazon is being able to hold their exciting customer as well as also able to attract the

new customers also because of their wide approach, while increasing the marketing strategy and the by gaining the customer loyalty With the payment process, the website also contains the various offers and gift vouchers for their regular customers. It is all being done in the Management Information System of the Amazon. The system stores the information that how many times a person purchases the products from the Amazon site and on those bases the system only evaluates the regular customer and irregular customer. It is already being set up in the software that what the system is supposed to do for the regular customer and irregular customer. The site will offer new products to the irregular customer while various offers. And for the regular customer sometimes they offer the gift voucher and special offer etc …

1.4.4-Customer Relationship: Amazon is focusing mush more on maintain the valuable relation among the customers. Because for the E commerce industry, the customers plays a vital role for the success of the business. To maintain a better relationship with their customers Amazon updates their customer's information system, and tries to do a connection with the customers by some sort of offers with the help of the customer's data. Amazon keeps on updating the customer's data, because customer is rational and their taste and behaviour gets changes as per the wants and needs. So, Amazon keeps on updating that what consumer is buying and suggest them to give ratings and feedback. So, that they can work on those queries and make the customers feels important to them. In this also, the Amazon uses the Information System, because they have to keep on updating the information of the customer data in the system and have to record in that

1.4.5-Innovation of the Information System: Now Amazon is working more on innovating their software's and their Information System. The Amazon has opened a new Physical Store Shop in New York, where they tries to provide all the sufficient products to their customers. But the main point is little bit different. The customer doesn't needs to pay while purchasing

Yes, it is true. the Amazon have created a software in which the customer have to register and install the Amazon app, and have to link it with the bank account of the customers. So while entering into the shop, the customer should access the app and keep it open, then the app will provide a bar code which will access the customer to get inside. Whatever products the customer pickup, it will automatically added to the cart of their list through the sensor of the app. If the person put back those things, then it will automatically get remove from the cart. The person doesn't have to worry about anything. He doesn't have to do anything, just pick the product and can move out, it will automatically added to the cart. When the person comes out from the shop, his bar code will automatically shows that he comes out, and the price of the product will deduct from the bank account automatically. The customer can check their account at any point of time, they can check immediately or later on. So, this kind of innovation is doing by the Amazon in their system and software to make the customers comfortable and to attract the consumers

5-Recommendation for amazon:

Amazon.com is the ultimate online retailer around the world. Its nearest but not even close competitors are e-bay and best buy. But the competition is growing day by day

Competing in the market:

Like past, amazon in future will have to come up with special something. The global market changing day by day. Business competitors are investing large to take amazon down. There is no room for relaxation. It is very challenging and has to be consistent in the market to be number one retailer shop

Innovation of new Product:

It is essential for amazon to think out of the box and bring new products to satisfy and retain customer to be loyal to amazon.com. Amazon always offered its customer better quality and better service.

But in future it may not be the same. People in today‟s world ask for Amazon has to be smart enough to understand the customer .more need before even customers know about it Integration of New Technology Technology is making progress like the spread of light. Company like „amazon‟ needs to be adaptive and technology friendly to retain its domination in the market. Amazon's new technology of Drone delivery system indicates it is planning and investing significant amount of money in technology for near future.

Customer Loyalty

For a upward revenue stream customer loyalty is essential. Amazon's most of the buyers are its repeat customers who are loyal to amazon. But growing competition can be a risk to amazon's loyal customer

Global Expansion

Amazon is expanding its business around the world. But this may cause significant strain in number of sectors like management, inventory, supply system and more over to amazon's market place We may not be successful in our efforts to expand into international market segment" (annual report 2013).International market is very challenging because of political and economic conditions Upgrading e-CRM and investing more towards customer information for better understanding the customer needs and behaviour is essential

5.- Conclusion

The report thus examines the current infrastructure and process behind the management information systems of Amazon. It is evident from the report that there is plenty of scope for Amazon to enhance the customer relationship management through its Enterprise resource planning.

6. - References

- Alshouaibi Ahmed Abdullah (1989),the impact of information technology organisation ,university of st.undrews.p02
- Choo Wou Onn(2013), Mini Literature Analysis on Information Technology Definition, information and knowledge, malaysia,3,2,p139
- DONICI Andreea Nicoleta , Andreea MAHA (2012), E-Commerce across United States of America: Amazon.com , Economy Transdisciplinarity Cognition , ROMANIA ,15,1,p252
- Dr.ravi.b(2017),E- commerce :problems and prospects,international research journal commerce arts science, bangluru,8,6,pp194,195
- Khan Abdul Gaffar (2016), Electronic Commerce: A Study on Benefits and Challenges in an Emerging Economy, Global Journal of Management and Business Research B: Economics and Commerce, USA, 16, 1, pp20, 21.
- Krume Nikoloski(2012), The Role of Information Technology in the business sector, International Journal of Science and Research, Macedonia, 3,12,p306
- M. Berryman Reid, Amazon.com, Inc.: a case study analysis, on conference,telecommunication and information technology,2014,p3
- Miss. Ayse Demir(2017), Management Information System: Case Study of Amazon.Com, Journal of Research in Business and Management, University of Wales,4,11,p16
- Prashant Bhat, Anandhu Bose(2018), Application of Information System in Amazon: Issue and Prespectives , International Journal of Advance Research in Computer Science and Management Studies 6,1,pp 25,26
- Wigand - Rolf T(2014), Electronic Commerce: Definition, Theory, and Context, the information society , newyork,16,1,pp3,4

ElWahat pour les Recherches et les Etudes Vol.**14** (N°**2**)/ (**2021**) :**14**68-**14**85

El-Wahat for Research and StudiesReview
ISSN : 1112 -7163 E-ISSN: 2588-1892
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2

PROSECUTING CRIME OF GENOCIDE AND CRIMES AGAINST HUMANITY BY THE AD HOC TRIBUNALS

تجربة المحاكم الجنائية الدولية في تجريم الإبادة والجرائم ضد الإنسانية

Salem Haoua

1.- Full affiliation University of Ghardaia , Email address, salem.haoua@gmail.com

Received:28/07/2020 Accepted: 26/06/2021

Abstract:

The Creation Of International Criminal Law Is The Fruit Of A Historical Process In Which Real Experiences Such Us; The International Ad-Hoc Criminal Tribunals Of Ex-Yugoslavia And Rwanda Have Facilitated The Establishment Of The International Criminal Court. This Research Paper Aims To Tackle The Matter Of Prosecuting The Heinous International Crimes: The Crimes Against Humanity And Crime Of Genocide By Defining Their Constituent Elements.

The International Criminal Tribunals Are An Evidence Of The Possibility Of Establishing An International Criminal Judiciary That Meets The Formal And Objective Specifications Of National Criminal Judiciary. Moreover It Is A Proof Of The Effective Role Of International Criminal Justice In Achieving Respect Of Human Rights By Fighting Impunity.

Key Words:

International Criminal Law, International Ad-Hoc Criminal Tribunals, International Crimes, Crimes Against Humanity, Genocide.

Corresponding author Full name: Salem Haoua **Email**: salem.haoua@gmail.com

الملخص:

جاء إنشاء قانون دولي جنائي ثمرة مسار تاريخي لعبت فيه التجارب الواقعية ممثلة في المحاكم الجنائية الدولية الخاصة بيوغسلافيا السابقة ورواندا دورا محوريا لإنشاء المحكمة الجنائية الدائمة، لكن بقي تفعيل عمل المحكمة يطرح تحد كبير خاصة فيما تعلق بمسألة المتابعة الجنائية للجرائم الدولية الداخلة في اختصاص المحكمة، تهدف هذه الورقة البحثية إلى معالجة الإشكالية السابقة عبر توضيح كيف أسهم عمل المحاكم الخاصة في توضيح أركان جريمة الإبادة والجرائم ضد الإنسانية

لقد حققت المحاكم الجنائية الدولية إضافة نوعية تمثلت؛ أولا التأسيس لاختصاص جنائي دولي يماثل القضاء الجنائي الوطني ويحقق المحاكمة المنصفة والسريعة، ثانيا تحقيق احترام لحقوق الإنسان عبر القضاء على ظاهرة الإفلات من العقاب.

الكلمات الدالة: القانون الدولي الجنائي، المحاكم الجنائية الدولية الخاصة، الجرائم الدولية، جريمة الإبادة، الجرائم ضد الإنسانية.

1. Introduction

The creation of the International Criminal Tribunals (hereinafter referred to as ICT) in the 1990 s by the United Nations Security Council sparked a heated debate both at the official level and among the doctrine. This debate has had the merit of shedding light on two key points: First, the legal foundations of this first one.Then, the need to adopt the conventional approach for the creation of the future International Criminal Court. The work of the Rome Diplomatic Conference resulted in the signature of the Rome statute.

Today, as the ad hoc tribunals has concluded their mandates. We believe that the experience of the courts has presented a golden opportunity for the development of international criminal law. This article is not intended to evaluate the work of the ICTY, far from it; it seeks to shed light on their contribution to the crime of genocide and crimes against humanity.

2.- The crime of Genocide

Throughout its long history humanity suffer several times from mass destruction, which has inflicted great loses even in the twentieth century[1]. This crime remains unnamed until the prominent polish jurist "Raphael Lemkin" proposed the concept of genocide"[2]. But this crime did not appear in the Nuremburg charter or judgments .The general assembly of the United Nations (hereinafter UNAG) played a key role in the evolution of the crime of the genocide. First, by adopting a resolution stating that genocide is an international crime[3]. Then, the preparation of an international convention, the convention of the prevention and punishment of the crime of the genocide (hereinafter convention of genocide), which was adopted in 12/9/1948[4].

The establishment of the international criminal tribunal for ex – Yugoslavia (hereinafter ICTY) and the international criminal tribunal for Rwanda (hereinafter ICTR) in the 1990's was a golden opportunity to develop the crime of genocide[5], because it was the first time where the perpetrators of genocide will be prosecuted by an international criminal tribunal[6]. So this article will discuss the most important evolution brought by the jurisprudence of these tribunals concerning the crime of genocide.

2.1.- The accuracy of the elements of the crime of genocide

Before the trial of Jean Paul Akayesu, there was no international jurisprudence concerning the crime of genocide. This jurisprudence participated in the clarification of the essential elements of this crime: (1) the notion of protected group, (2) the requisite mens rea and (3) the modalities of criminal involvement.

2.1.1.- The concept of protected group

A criminal act cannot be considered as a crime of genocide unless the victim belongs to a national, an ethnical, a racial or a religious group. Consequently the identification of this group is one of the main concerns of the crime of the genocide.

The trial chamber I of the ICTR in Akayesu case tried to fill this gap by proposing a definition to the four protected groups. So the national group is "a collection of people who are perceived to share a legal bond based on common citizenship, coupled with reciprocity of rights and duties "[7]. This definition was inspired from the jurisprudence of the international court of justice (hereinafter ICJ) in the case of "Nottebohm" in 1955. An ethnical group is "a group whose members share a common language and culture[8]. A racial group is distinguished from other racial groups by hereditary physical traits frequently identified with geographical areas, irrespective of linguistic, cultural, national or religious factors[9]. Finally a religious group is a group "whose members share the same religion, denomination or mode of worship or common beliefs"[10].

Unfortunately this audacious jurisprudence has been criticized even by other trials chambers. The critics were based upon the following arguments: There are no clear definitions generally and internationally accepted on concepts such as nation, ethnicity, race and religion. Moreover these concepts must be defined in the lights of political, social, and cultural context. Thus the assessment has to be made on a case by case basis taking in the account the relevant evidence and the political and cultural context of the society concerned[11]. It is also possible to determine objectively the membership to a group through a number of objective indicators, for instance a trial chamber stated that the Tutsis population is an ethnic group with distinct identity, because every Rwandan required to carry an identity card showing his ethnic identity being either Hutu, Tutsi or Twa and the Rwandan constitution and laws in force at that time also identified Rwandans by reference to their group ethnic[12]. Furthermore the membership to a group is a subjective concept, the victim is perceived by the perpetrators of the genocide as belonging to a group slated for destruction and in some circumstances the victim may perceive himself as belonging to the sad group[13].

So to determine whether the victim falls within one of the four enumerated group, we may adopt an objective or subjective approach: In the first one the perpetrator excludes individuals from the group of which he considers to have its own national, ethnic, racial or religious characteristics distinct from that of the group to which such individuals belong[14]. In the second the perpetrator distinguishes a group by reason of what he considers to be its national, ethnic, racial or religious characteristic pertaining to that group[15].

As a conclusion the crime of the genocide is committed in all times[16], from the moment where the perpetrator has the requisite intent to destroy in whole or part a protected group. This group can be determined objectively or even subjectively.

2.1.2.- The stability of the protected group

The trial chamber I of the ICTR in the case of Akayesu held that "it is particularly important to respect the intention of the drafters of the genocide convention which is according to the travaux préparatoire, was patently to ensure the protection of any stable and permanent group"[17]. The victim of the crime of the genocide is the group itself and not the individual and the common criterion in the four types of groups protected by the convention of genocide is that "membership in such groups would seem to be normally not changeable by its members, who belong to it automatically by birth, in continuous and often irremediable manner"[18]. So the more "mobile" groups which one joins through individual voluntary commitment such as political or economic groups are excluded from this category of crime[19].

The chambers' interpretation should be flexible and progressive to meet evolving exigencies, so the chambers miss a golden opportunity to include political and cultural groups by omitting the necessity of stability and permanence of the group protected especially the UNGA adopted a resolution 96 / 1946 affirming that genocide was a crime under international law committed on religious, racial, political or any other grounds. Moreover the national group is not necessarily stable, we can acquire or even lose the nationality by choice, and this is also true for religious groups. Furthermore the drafter's intention was not to make stability and permanence as necessary

conditions to each protected group, but their intention was to exclude all stable group not enumerated in the convention of the genocide[20].

As a conclusion it is highly advisable to avoid considering stability and permanence as necessary criteria for the definition of a protected group.

2.1.3.- The mental element of the crime of genocide

The crime of the genocide need not involve the actual extermination of a protected group. It is committed once any one of the enumerated acts above is committed with the requisite mens rea[21]. It is in fact the mens rea which give genocide its specialty and distinguish it from an ordinary crime and crimes against international humanitarian law. This specific intention (dolus specialis) is to destroy, at least in part a national, ethnic, racial or religious group as such, or psychological nexus between the physical result and the mental state of the perpetrator, or even that the accused had at least the clear knowledge (conscience Claire) that he was participating in the genocide[22]. But how to prove that specific intention especially it is a mental factor, so difficult if not impossible to identify with certainty.

2.1.3.1- The appreciation of the mental element

In absence of a confession from the accused, the specific intention may be referred from a number of facts such as words or deeds or pattern of purposeful action that deliberately, consistently, and systematically targets victims on account of their membership of a particular group while excluding the members of other groups. Circumstantial evidence that may be useful includes the general context of the commission of other criminal acts committed by the same offender or by others that were systematically directed against that same group or their property the use of derogatory language towards members of the group, the weapons used and the extent or bodily injury, the methodical way of planning, the systematic way of killing[23]. So the accused Akayesu was found that he had the requisite mens rea to commit genocide through the systematic rape of the Tutsi women, the sexual violence was a step toward the destruction of the group by destroying its spirit, will to live, or will to procreate[24]. The accused Ruggui – a Belgian national employed in the radio and television libre des Milles colines (RTLM) – was declared to have the requisite mens rea through broadcasting

messages inciting genocide against Tutsi. The trial chamber held that a person who incites another to commit genocide must himself have specific intent to commit genocide[25].

Last but not least, the trial chambers of ICTY and ICTR concluded that due to the magnitude of genocide, it is virtually impossible to carry out it without a plan or organization, even with some or indirect involvement on the part of state[26].

2.1.3.2 - The interpretation of the various modalities of criminal involvement in the genocide

The five forms of participation in the crime of genocide set in the article II of the genocide convention which is: direct perpetrator, the conspiracy, public incitement, attempt and complicity. So if the drafters of the status of ad hoc tribunals have adopted this provision this will facilitate the work of judges. But unfortunately this was the not the case because they have introduced two articles. The trial chambers defined the direct perpetrator of genocide and thee accomplice.

The ICTR chambers of trial have affirmed that a person is convicted of genocide as a direct perpetrator if he is proved to have participated in the conspiracy or to attempt or to incite directly and publicly. The commission of the genocide is defined as committing the acts listed in the statue, with the specific intention to destroy at least in part a protected group[27].

Conspiracy of genocide is defined as a resolution to act on which at least two people have agreed to commit genocide, it does not matter here the realization of the genocide. The conspiracy can be proved by objective criteria for instance, the prime minister of the Rwandan government in 1994 Jean Kambanda was declared guilty of conspiracy on the base of the meetings of his cabinet[28].

The direct and public incitement is defined as provoking the perpetrator to commit the genocide, whether through speeches threats uttered in public places or meetings or through written or printed material sold, distributed or exhibited in public places or meetings, or by any other means of audiovisual communication[29]. The trial chamber held that incitement must be punished

severely because the inciter is animated with the specific intent, which is the destruction of a protected group. The genocide clearly falls within the category of crimes which is so serious that the direct and public incitement to commit genocide must be punished as such; even in cases the desired result is not reached[30].

The trial chamber of the ICTR held that an accused is considered to be an accomplice if he knowingly and intentionally helped or assisted or even caused one or more persons to commit genocide. The chamber added that proving the specific intention to destroy a protected group in the case of the accomplice is not necessary[31]. So why do the chambers punish severely the accomplice even the specific intention is not proved and even no genocide is committed. The severity is due to the extreme dangerousness of the crime of the genocide.

3.- Crimes against humanity

Crimes against humanity is a new terminology[32].It was used for the first time by Russia, France and Great Britain in 1915 denouncing the massacres of the Armenian population by the Turkey as "a crime against humanity and civilization". The first definition of the concept of crimes against humanity was contained in the London agreement on the statue of the Nuremberg military tribunal. The provision enumerated the following acts as crimes against humanity: murder, extermination, enslavement, deportation and other inhuman acts committed against any civilian population, before or during the war, or prosecution on political, racial, or religious grounds in the execution of or in connection with any crime within the jurisdiction of the tribunal, whether or not in violation of the domestic law of the country where perpetrated[33]. Nowadays it is a settled rule of customary law that the crimes against humanity are international crimes[34], and their perpetrators incur individual responsibility[35].

3. 2.- Clarification of the concept of crimes against humanity

The concept of crimes with the concept against humanity is frequently confused with the concept of genocide and war crimes. So the experience of the international criminal tribunal of ex-Yugoslavia (hereinafter ICTY) and

the international criminal tribunal of Rwanda (hereinafter ICTR) represented a golden opportunity to enrich the concept of crimes against humanity[36].The trial chambers gave rise to interesting development concerning: (1) the relationship that should exist between crimes against humanity and an armed conflict. (2) The definition of the context in which crimes against humanity are committed; the massive and systematic attack and the civilian population. (3) The requisite intent or mens rea.

3.2.1.- The nexus with an armed conflict

Both statues of the hereinafter ICTY and ICTR requires that the crimes against humanity must be committed during an armed conflict. The type and nature of such conflict be it international or internal is not important[37].The trial chambers stated that this expression requires the existence of an armed conflict at the time and place. So the armed conflict is a jurisdictional element that defines the ratione materiae of the ICTY, and not a legal ingredient of the subjective element of crimes against humanity[38]. Consequently there is no need to prove a nexus between the specific acts allegedly committed by the accused and the armed conflict[39]. As a result, crimes against humanity can be committed in peacetime as well as in armed conflict[40]. This progressive view point will be benefic to the protection of human rights by prosecuting massive violation of human rights committed by governments as crimes against humanity.

3.2.2.- Appreciation of the mental element

Crimes against humanity like other crimes falling in the jurisdiction of the international ad hoc tribunals require a mental element which is the knowledge. The perpetrator must knowingly commit the crime in the sense that he must understand the overall or broader context in which his act occurs. He must have actual or constructive knowledge that his act or acts is or are part of a widespread or systematic attack on a civilian population pursuant to a policy or a plan[41].

It must be proved that the perpetrator knew that his crimes were related to the attack on a civilian population in the sense of forming part of a context of mass crimes or fitting into such a pattern[42]. Otherwise he would have the mens rea for an ordinary crime.

The task of proving knowledge is an easier one because it is not necessary to prove that the accused must know exactly what will happen to the victim[43]. It is not also necessary to prove that the accused knows the criminal policy or plan, it suffices that he deliberately takes the risk that the crime might be committed, even with the hope that the risk would not lead to any damage or harm[44]. Knowledge can be examined on an objective level; it can also be inferred from circumstances. For instance, the historical or political circumstances in which the acts occur, the function of the accused at the time of the crime in question, his responsibilities in the political or the military hierarchy, the direct or indirect relationship between the military hierarchy and the political hierarchy, the widespreadness and seriousness of the act committed, and the nature of the crimes committed as well as their notoriety[45]. Therefore, a person who voluntarily assumes political or military functions and exercises his functions by collaborating periodically with the author of the plan, policy or organization and by participating would in all probability take place will be declared to have the requisite knowledge[46].

It is not necessary to prove the accuser's motive because the motive is generally irrelevant in criminal law, except in the sentencing stage when it might be relevant to mitigating or aggravation of the sentence. But an accused who committed a crime with purely personal motives is not exonerated from being guilty of crimes against humanity if his act fits into the pattern of crimes against humanity as described above[47].

3.2.3.- The material element of crimes against humanity

Crimes against humanity must be related to widespread or systematic attacks, and not just a random act of violence, against a civilian population, pursuant to or in furtherance of a state or organizational policy to commit such attack[48]. The trial chambers tried first to define the attack. One trial chamber held that an attack " it is an unlawful act that may be violent or non-violent in nature, like apartheid or existing pressure on the population to act in a particular manner" or " it is the event in which the enumerated crimes (for instance murder, extermination, enslavement … etc) within a single attack[49]. The attack may happen in pursuant to or furtherance of a state or organizational policy to commit such attack[50].

The attack may be an act or an omission. The trial chambers found that the accused Jean Kambanda was guilty of crimes against humanity for having omitted to fulfill his duty as a prime minister of Rwanda to protect the children and the population from the massacres which eventually took place, especially after he had been personally asked to do so[51]. The trial chambers noted that the crimes against humanity derives its specificity from the means implemented to achieve it (massive), and the context in which the acts are committed (systematic), and the quality of victims (civilian population).

3.2.3.1- The massive and systematic attack

According to the jurisprudence of the trial chambers of the ad hoc tribunals an attack can be described as massive or widespread if:

- It is directed against a multiplicity of victims[52].

- The cumulative effect of a serious inhumane acts or the singular act effect of great magnitude[53].

An attack is systematic when it is carried without pursuant to a preconceived policy or plan which means with some kind of planning and organization[54].This can be stated in the following cases:

- The existence of a goal of political nature to weaken or to destroy a community.

- The commission of crimes of great magnitude against a group of civilians or the repeated commission of inhumane and continued acts with a link between them.

- The use and implementation of important public or private means.

- The involvement of political authorities or high level military authorities in the preparation of the plan.

It is important to note that the trial chambers of the ad hoc tribunals adopted the jurisprudence of the Nuremburg tribunal which stressed that crimes against humanity need to be committed as a part of the policy of terror in many cases organized and systematic[55]. Consequently, crimes

against humanity may be committed in pursuance of a policy of either a state or a non-state actor. Such policy need to be conceived at the highest level of the state organs: formalized, expressed and precisely pronounced[56]. The denial by the the relevant authorities or apparatus of that policy does not matter because the policy can be inferred from the manner in which the acts took place, the creation and implementation in the territory in question of autonomous political institutions of whatever level of power, the general tenor of a political program as evidence in writings by the its authors and their speeches, media propaganda, creation and implementation of autonomous military institutions, mobilization of armed forces, repeated and coordinated military offensives in the relevant time and case, connection between the military hierarchy and the political institutions and its program, modification of the ethnic composition of the populations, discriminatory measures, be they administrative or otherwise (such as banking restrictions and a requirement of a travel pass), and the scoop of the executions carried out, in particular, deaths and other forms of physical violence, thefts, arbitrary detentions, deportations and expulsions, or destruction of non-military property, especially religious edifices[57].

It is so important to note that the requirement of the policy is intended to exclude the situation where an individual commits an inhumane act on his own initiative pursuant to his own criminal plan and without any encouragement or direction from either a government or a group or an organization[58].

As a conclusion an act could be qualified as crimes against humanity when it is related to widespread or systematic attack. The act can be part of either one of them and need to be part of both[59]. Thus one single act against a single victim or a limited number of victims must be qualified as a crime against humanity as long as there is a link with the widespread and systematic attack against a civilian population, or where its effect is widespread in scope[60].

3.2.3.2- The definition of the civil population

Crimes against humanity must be committed as a part of an attack against any civilian population, so proving a nexus between the accused and the attack on civilian population is a necessary condition[61]. Before doing so, it is

vital to give the definition of the civilian population. A trial chamber held that "civilian must be given a broad definition in armed conflicts to cover not only the general population, but also members of the armed forces and resistance forces who are hors combat by sickness, wounds, detention, or any other cause. It is the situation faced by the victim at the time of the commission of the crime that must be taken into account to determine whether they have the civilian status or not. For example, a head of a family does not lose his civilian status when he is compelled to use arms to defend his family[62]. A trial chambers observes that there is no reason for protecting only civilians but not combatants under the rules against crimes against humanity, particularly rules proscribing prosecution[63].Where there is no armed conflict or where there is a relative peace, the definition of civilian population includes all persons except those who have the duty to maintain public order and legitimate means to exercise force[64].

Moreover, the term population does not mean that the entire population of a given state or territory must be targeted; it is intended to indicate the collective nature of crimes against humanity that exclude single or isolated acts punishable as war crimes. Even the targeted population must be predominantly civilian in nature although the presence of certain non-civilian in their midst does not change the character of that population[65]. Last but not least, the words "any" "before" civilian population make it clear that the crimes against humanity can be committed against stateless persons or civilians of the same nationality of the perpetrator as well as against foreign citizens[66].

5.- Conclusion

The experience of the international criminal ad hoc tribunals whether the ICTY or the ICTR was very fruitful, because not only they made international criminal prosecution for committing international crimes and violations of international humanitarian law possible and successful but also was have contributed significantly towards the clarification of the concept of the crime of genocide and crimes against humanity as well. We can sum up this valuable contribution in the following points.

- The clarification of the concept of a protected group and even developed a subjective test which will make the identification of the membership of a protected group easier.

- The easily inference of the specific intent to destroy a protected group from a set of facts which will certainly facilitate the task to the prosecutor.

- The ad hoc tribunals have given the example that prosecuting the genocide by an international criminal tribunal is not only possible but very fruitful as well.

- Crimes against humanity can be committed in armed conflict as well as in peacetime, but in both cases they must be related to whether a widespread attack or a systematic one directed against a civilian population. A civilian may be an ordinary person or even a combatant who is hors combat.

- Crimes against humanity may be committed in pursuance of a policy of either a state or a non-state actor such as political entities without international recognition, terrorist group or even criminal gangs. They need the knowledge of the perpetrator that his act or acts is or are a part of a widespread or a systematic attack directed against a civilian population pursuant to a policy or plan.

- Qualifying mass violation of human rights by government and rebellions groups as crimes of genocide and crimes against humanity and prosecuting them by international tribunals offer more protection to human.

6.- References

[1] - The killing of Armenians by the ottoman in the first world war, the killing of millions by Nazi in the second world war. The killing of millions of Cambodian by the Khmer rouge regime in the 1970's. The killing of a million of Tutsis by Hutus in Rwanda in the 1990's.

[2] - The word genocide is a combination of the Greek word ' genos (race or tribe) and the Latin word 'cide ' (killing) .see also : Herve . Ascencio, Alain . Pellet , Emanuel . Decaux , Droit International Pénal ,Paris , Pedon , 2003 . Paul . Tavernier , un siecle de droit international humanitaire , Bruxelles , Bruylant , 2001 . Kriangsak . Kittichaisareé , International Criminal Law , Oxford , Oxford university press , 2005 .

[3] - United Nation General Assembly, UNGA. Res 96 (1) of 11 Dec 1946 .

[4] - William Shabas, Le génocide in Droit International pénale ,sous la direction de H . Ascension, A. Pellet, E. Decaux, Paris, Phédon, 2003, p 319.

[5] - The ICTY in article 4 and TPIR in article 2 replicated the provision given in aricle II of the genocide convention : ' any of the following acts committed with intent to destroy , in whole orin part , a national , ethnical , racial or religious group , as such :

- Killing members of the group.
- Causing serious bodily or mental harm to members of the group.
- Deliberately infecting on the group conditions of life calculated to bring about its physical destruction in whole or part ;
- Imposing measures intended to prevent births within the group ;
- Forcibly transferring children of the group to another group.

[6] - The crime of genocide appeared in the indictments of the judgments of Nuremburg but genocide was prosecuted under the heading of crimes against humanity.

[7] - Procutor V Akayesu , TPIR , 94-4 , jugement , trial chambre I , 12/9/1998 , para 571 .

[8] - Prosecutor V Akayesu , ibid. , para 513 .

[9] - Prosecutor V Akayesu , ibid. , para 514 . Prosecutor V Clément Kayishema and Obed Ruzindana , ICTR , 95- 1, judgment , trial chambre II , 21 /5/1998, para 98 .

[10] - Prosecutor V Akayesu , ibid. , para 515 . Prosecutor V Kayishema and Ruzindana , ibid , para 98 .

[11] - Prosecutor V Rutaganda, ICTR , 96-3, judgment , Trial chambre I , 6/12/1999, para 57 .

[12] - Prosecutor V, Rutaganda op.cit. , para 57 .

[13] - Prosecutor V, Rutaganda, ibid. , para 54.

[14] - Prosecutor V Akayesu ,op.cit. , paras 702 – 703.

[15] - K . Kittichaisareé , opcit. , p 70 – 71.

[16] - Case concerning application of the convention of the genocide (Bosnia – Herzegovina V Yugoslavia), ICJ judgment, 11/5/1996, para 31 .
[17] - Prosecutor V Goran Jelesic, ICTY , 95 - 10, judgement , Trial chambre I , 19/10/1999, para 60 .
[18] - Prosecutor V Akayesu , ibid., para 511 .
[19] - Prosecutor V Akayesu , ibid. , paras 511 – 521 . Prosecutor V Kayishema and Ruzindana, opcit. , para 118.
[20] - The most obvious stable group is the cultural group such as indigenous people and minorities with permanent membership brought automatically by birth and which can be subject to cultural genocide which is more dangerous than physical genocide .
[21] - Prosecutor V Akayesu , opcit., para 497 . Prosecutor V Jelisic ,opcit. , para 62.
[22] - Prosecutor V Akayesu , ibid., para 497 . Prosecutor V Jelisic, ibid. , para 62 .
[23] - K . Kittichaisareé , opcit. , p 74.
[24] - Prosecutor V Akayesu , ibid., para 732.
[25] - Prosecutor V Ruggui, ICTR , 97 - 32, judgement , Trial chambre I , 1/06/2000, para14 .
[26] - Prosecutor V Kayishema and Ruzindana , opcit. , para 94 .
[27] - See article 2 paragraph 6 of the statue of the ICTR .
[28] - Prosecutor V Akayesu , opcit., para 73.

[29] - Prosecutor V Musema , opcit. , para 191 – 193 .
[30] - Prosecutor V Kambanda , ICTR , 93 – 23 S , Trial chamber , 4/9/1998 , para 40

.

[31] - Prosecutor V Akayesu , ibid., para 559 – 560 .
[32] - The expression ¨ humanity ¨, ¨ laws of humanity¨ or ¨dictates of humanity¨ were used for the first time in the preamble of 1907 of the Hague convention IV respecting the laws and customs of war on land. Paragraph 2 of the preamble states that the contracting parties desire to serve even in the case of war the interest of humanity and the ever – progressive needs of civilization. Paragraph 8 of the preamble provides that they declare among other things, the inhabitants and belligerents remain under the protection and governance of the principles of the law of nations, derived from the usages established among civilized peoples, from laws of humanity, and from the dictates of the public conscience. see also : Herve . Ascencio, Alain . Pellet , Emanuel . Decaux, Droit International Pénal ,Paris , Pedon , 2003 . Paul . Tavernier, un siècle de droit international humanitaire , Bruxelles , Bruylant ,

2001 . Kriangsak. Kittichaisareé , International Criminal Law , Oxford , Oxford university press , 2005 .

[33] - Article 6 of the statue of the military tribunal of Nuremberg. Article 5 of the military tribunal of Tokyo enumerated the same acts as enumerated in Nuremberg statue except the omission of religious grounds for persecution.

[34] - United nations general assembly resolution 95 of 11 / 12 / 1946 on the affirmation of the principles of international law recognized by the charter of the Nuremberg tribunal.

[35] - Principle VI of the principles of international law recognized by the charter of the Nuremberg tribunal.

[36] - Article 5 of the ICTY statue stipulates that the ICTY have the power to prosecute persons responsible for the following crimes: murder, extermination, enslavement, imprisonment, torture, rape, prosecution on political, racial and religious grounds, other inhumane acts when these acts are committed in armed conflict, whether international or internal in character, and directed against any civilian population. Article 3 of ICTR statue enumerates the same crimes but when committed as a part of a widespread or systematic attack against civilian population on national, political, ethnic, racial or religious grounds.

[37] - Prosecutor V Kupreskic and others, ICTY, IT 95 – 16 T, Trial chamber II, 14 / 01 / 2000, para 545.

[38] - Prosecutor V T
adic , ICTY ,IT 94 – 1 A, Appeal chamber , 15 / 7 / 1999 , para 249 .

[39] - Prosecutor V Tadic , ibid. , para 272.

[40] - Prosecutor V Tadic , ibid. , para 251.

[41] - Prosecutor V Tadic , ibid. , para 635.

[42] - Prosecutor V Kupreskic , op.cit. , para 556.

[43] - Prosecutor V Blaskic , op.cit. , para 244.

[44] - Prosecutor V Tadic , op.cit. , paras 657 - 659.

[45] - Prosecutor V Blaskic , ibid. , para 251.

[46] - Prosecutor V Blaskic, ibid. , para 259.

[47] - The accused Blaskic was found to be part of a design whose purpose was the prosecution of the Muslim population because of his political will to get involved in the Croat defense council known as the HVO which had military and civilian structures. The HVO took decisions on the organization of life in the town, and as such, the accused, who was deemed to be perfectly aware that the scope of his activities was not and could not be a strictly military one, and to be aware of the policy of discrimination against Muslims to systematically exclude them from the organs of political life.

[48] - Prosecutor V Tadic , ibid. , para 271.

[49] - Prosecutor V Akayesu, ICTR, IT 96 – 4, Trial chamber, 02 / 09 / 1998, para 581.
[50] - Prosecutor V Rutaganda, ICTR, IT 96 – 3, Trial chamber, 06 / 12 / 1999, para 68.
[51] - Prosecutor V Kambanda, ICTR, IT 97 – 23, Trial chamber, 24 / 09 / 1998, paras 39 - 40.
[52] - Prosecutor V Blaskic , ICTY ,IT 95 –14 T, Trial chamber , 03 / 03/ 2000 , para 71 .
[53] - Prosecutor V Tadic , ibid. , para 648.
[54] - Prosecutor V Blaskic , op.cit. , para 206.
[55] - Prosecutor V Blaskic , ibid. , para 207.
[56] - Prosecutor V Tadic , op.cit. , para 648.
[57] - Prosecutor V Kupreskic, op.cit. , para 573.
[58] - Prosecutor V Blaskic, ibid. para 206.
[59] - Prosecutor V Rutaganda, op.cit. , para 124.
[60] - Prosecutor V Tadic , op.cit. , para 648. Prosecutor V Akayesu, op.cit. , para 579.
[61] - Prosecutor V Blaskic, op.cit. , para 206.
[62] - Prosecutor V Kupreskic, op.cit. , para 586.
[63] - Prosecutor V Tadic , ibid. , paras 636 - 643.
[64] - Prosecutor V Kupreskic, ibid. , para 547.
[65] - Prosecutor V Blaskic, ibid. , para 214.
[66] - Prosecutor V Rutaganda, op.cit. , para 70.

ElWahat pour les Recherches et les Etudes Vol.**14** (N°**2**)/ (**2021**) :**14**86-**14**99

El-Wahat for Research and StudiesReview
ISSN : 1112 -7163 E-ISSN: 2588-1892
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2

L'ESPACE ET L'EXIL DANS SI DIABLE VEUT DE MOHAMMED DIB

SPACE AND EXILE IN IF THE DEVIL WANTS BY MOHAMMED DIB

Mériem BENRAHAL

Maître de conférences B, faculté des lettres et des langues, département des langues étrangères, Laboratoire de l'analyse de discours et les études lexicales et comparées,

benrahalmeriem@gmail.com

Reçu le: 16/03/2021 Accepté le: 26/09/2021

RÉSUMÉ :

Dans cet article, nous nous intéressons à étudier l'espace et l'exil dans l'œuvre romanesque de Mohammed Dib en choisissant comme exemple *Si diable veut*. Cet auteur se trouve façonné, comme la majorité des écrivains maghrébins à cette période, par la prise en charge de l'espace dans le développement des événements relatés. La composante spatiale vêtit une fonction capitale dans ses œuvres où l'objectif prioritaire de l'écrivain est de définir le rapport que le personnage entretient avec son espace dans lequel il vit.

***Si diable veut* est un roman qui représente deux espaces, deux cultures, deux modes de vie contradictoires. Il raconte l'histoire du retour d'un jeune exilé au pays de ses origines et les difficultés qui le rencontrent, où les deux pays le considèrent comme un étranger. Nous nous proposons d'étudier, les espaces représentés**

dans ce roman, en montrant que l'espace est indispensable à l'évolution du personnage.

MOTS-CLÉS : ESPACE, EXIL, ETRANGER, ORIGINES, DIFFICULTES

ABSTRACT:

In this article, we are interested in studying space and exile in the fictional work of Mohammed Dib, choosing *If devil wills* as an example. This author finds himself shaped, like the majority of Maghreb writers during this period, by taking charge of space in the development of the events related. The spatial component plays a major role in his works where the writer's priority objective is to define the relationship that the character has with his space in which he lives.

***If devil wants* is a novel that represents two spaces, two cultures, two contradictory ways of life. It tells the story of the return of a young exile to the country of his origins and the difficulties he faces, where both countries consider him a foreigner. We propose to study the spaces represented in this novel, showing that space is essential to the evolution of the character.**

KEYWORDS: SPACE, EXILE, FOREIGNER, ORIGINS, DIFFICULTIES.

La littérature nous offre toute une série d'œuvres où l'espace est un thème préféré, assorti de multiples connotations et sens où les structures spatiales de l'univers imaginaire sont essentielles à la construction du sens.

L'utilisation de la notion d'espace en littérature est une pratique ordinaire. Maurice Blanchot dans *L'Espace littéraire* souligne que :

> *« [l]'artiste[…] ne se sent pas libre du monde, mais privé du monde, non pas maître de soi, mais absent de*

> *soi,et exposé à une exigence qui, le rejetant hors de la vie et de toute vie, l'ouvre à ce moment où il ne peut rien faire et où il n'est plus lui-même » (Blanchot 1955 : 54).*

L'espace dans la littérature n'est pas considéré comme un simple décor ou un arrière-plan où se déroulent les événements de l'histoire. Mais, il est un agent structurant et moteur de l'histoire.

Pour Weisgerber, *« [l]'espace romanesque est un espace vécu par l'homme tout entier, corps et âme, et dès lors voisin de ceux que représentent le peintre et le sculpteur, qu'invoquent les prêtres, qu'étudient sociologues, linguistes, géographes, psychologues et ethnologues* » (Weisgerber 1978 : 11-12). L'espace romanesque s'allie avec celui qu'étudient les sciences humaines. Weisgerber considère l'espace au même degré qu'un personnage.

Mitterand présente, lui aussi, l'espace comme le *« champ de déploiement des actants et de leurs actes, comme circonstant, à valeur déterminative, de l'action romanesque* » (Mitterand 1980 :190). Il affirme la fonction essentielle de l'espace :

> *« Quand l'espace romanesque devient une forme qui gouverne par sa structure propre, et par les relations qu'elle engendre, le fonctionnement diégétique et symbolique du récit, il ne peut rester l'objet d'une théorie de la description, tandis que le personnage, l'action et la temporalité relèveraient seuls d'une théorie du récit. Le roman, depuis Balzac surtout, narrativise l'espace, au sens précis du terme : il en fait une composante essentielle de la machine narrative. »* (Mitterand 1980 : 211-212)

Là Mitterand certifie que l'espace organise l'histoire, dirige les liens entre les personnages et agit sur leurs actes. Sa représentation ne relève pas seulement de la description mais provient d'une alliance entre nombreux éléments (narration, personnages, temps, actions).

Les écrivains de la littérature algérienne d'expression française définissent leur existence et leur écriture par rapport à la terre algérienne. La terre devient le thème privilégié de toute une production relative à l'Algérie. Elle est constamment présente dans les textes considérée comme décor ou comme un véritable personnage, contemplée ou décrite, objet de regard ou sujet d'action. C'est une interaction de l'espace imaginaire et de l'espace réel, *« Le lieu romanesque est […] une particularisation d'un "ailleurs" complémentaire du lieu réel où il est évoqué »* (Butor 1964 : 43).

Si Diable veut, est l'un des derniers romans de Mohammed Dib paru en 1998. Sachant que le roman auquel nous nous baserons est publié à une période singulière de l'histoire du pays natal de l'auteur, l'Algérie, et de sa vie. Période repérée par le terrorisme qui a ruiné le pays pendant une dizaine d'années.

Nous remarquons clairement que des raisons politiques ont poussé les écrivains de cette époque à faire appel à leurs plumes afin de les utiliser comme armes de lutte contre ce mal.
Dans le présent article, nous nous intéressons à la représentation de l'espace et à l'exil dans *Si diable veut* de Mohammed Dib.

Le roman s'écrit en moment singulier de la création littéraire de Mohammed Dib, moment où lui-même fait un retour à un réalisme similaire à celui qui l'a fait avec sa fameuse trilogie Algérie, afin de défendre sa nation. Dans ce sens Naget Khadda affirme que :

> *« D'un genre à l'autre, d'une forme à l'autre, circule un même flux de pensées et d'émotions, le même onirisme verbal construit d'édifice commun. Toutes les œuvres de l'auteur sont en communication intense les unes avec les autres, se lisent dans leur interaction »* (Naget Khadda 2003 : 151).

L'écrivain révèle à travers son œuvre sa culture, ses idées, sa vision envers les choses et le monde qui l'entoure. Il reflète dans son texte les problèmes de son peuple et de son pays.

Si diable veut est une reproduction des liens problématiques entre tradition et modernité où l'auteur met en scène un pays pris dans une série de colonisations aussi bien spatiale que spirituelle.
Mohammed Dib met en scène un personnage principal, Ymran, qui vit dans les villages berbères déchiré entre deux mondes contradictoires, deux espaces, deux cultures, deux mémoires, la première celle de ses souches algériennes, la seconde celle de la France, son pays de naissance.

Si l'espace est une création sociale, les gens qui investissent cet espace informent sur le mode de vie de cette communauté, il nous reflète l'image de cette société. Nous pouvons dégager une opposition des mœurs entre ces deux sphères géographiques et culturelles. Car l'espace et la culture maghrébine sont nettement différents de l'espace et la culture française.

En constatant que ces deux espaces répondent chacun à un mode de vie. La société maghrébine est communautaire et plus communicative par contre la société occidentale est individualiste, indifférente et matérielle.

Les événements du *Si diable veut* de Mohammed Dib se déroule à l'ouest de Tlemcen à un village berbère qui s'appelle Tadart circonscrit dans la région de Béni Snous.
« *Hadj Merzoug dit: l'hiver n'en finit pas d'hiverner. L'Azru Ufernane, de ma place, me paraît enveloppé d'une cuirasse de froid. Tel il s'exhibe et tel il domine le pays.* » (Mohammed Dib 1998 : 7)
Nous repérons que l'utilisation explicite de L'Azru Ufernane nous envoie dans un village perdu de Béni Snous de l'Algérie profonde, sachant que ce lieu, est parmi les escarpements rocheux des montagnes qui domine l'espace décrit dans le roman.

La maison de Hadj Merzoug est décrite dans *Si Diable veut* comme l'une des maisons des berbères de Béni Snous mais modernisée.

> « *Aussi aimerais-je le voir rester, remplir cette maison ! Rester, remplir cette cour, remplir ces quelque huit pièces qui ne dépareraient pas en ville, qui soutiendraient peut-être même la comparaison à leur avantage !*
> *Ni l'eau courante ni l'électricité n'y manque, pas même un hammam !* » (Mohammed Dib 1998 : 28.29)

Ymran évoque dans ses souvenirs, aussi, la banlieue parisienne quand il a essayé à fuir l'incompréhension des étranges habitudes *« sinistre banlieue »* (Mohammed Dib 1998 : 91) deux termes sans aucun commentaire ou description qui résume tout.

Dans *Si diable veut*, Mohammed Dib *«explore les recoins obscurs de cet espace 'ensauvagé'- les replis les plus archaïques de l'âme – où se joue le drame de l'improbable réinsertion d'un enfant de banlieue française dans l'immobilisme d'un village d'Algérie pétrifié dans la référence islamique »* (Naget Khadda 2003 : 18).

En mettant en opposition deux espaces, l'un phare de culture occidentale et l'autre de la culture maghrébine, nous voulons montrer que l'espace est indispensable à l'évolution de chaque personnage, et de ce fait de chaque quête.
Signalons qu'Ymran joue un rôle primordial dans la vie de cet espace, malgré son prénom spécifique, il quitte la France et il ne sait rien des traditions et la culture de sa terre d'origine car il est né en France et qui ne connait de la société maghrébine que le modèle de sa famille et le milieu dans lequel il est né et a grandi.

C'est une disjonction physique et temporelle entre ce qu'il a vécu, ce qu'il vit et ce qu'il espère pour plus tard.

Le retour de Ymran à son pays d'origine se sublimerait en une densification de l'accomplissement de soi, une deuxième vie, une deuxième création mais en accord avec les aspirations profondes de la première vie, la première création.

1. Maison / montagne/ forêt

Les lieux évoqués dans ce roman sont la montagne d'Azru Ufernan, la forêt et la maison familiale d'où Hadj Merzoug la considère comme une de ses nombreuses chambres. Dans ce sens Gaston Bachelard déclare que, *« il y a un sens à dire qu'on « lit une maison », qu' « on lit une chambre », puisque chambre et maison sont des diagrammes de psychologie qui guident les écrivains et les poètes dans l'analyse de l'intimité. »* (Gaston Bachelard 2009 : 50)

Mais, si la dureté de l'hiver affermis la familiarité et l'intimité de la maison comme le dit Hadj Merzoug, aux les occupants de Tadart, l'enfermement est une contrainte *« Protégé par ma djellaba de laine brute, face à la porte ouverte, je me borne à regarder. J'y passe des heures. Elles ne me servent à rien ces heures. »* (Mohammed Dib 1998 : 7.8).
La djellaba est portée contre le froid qui arrive de la porte ouverte, en fait, la réelle protection est celle de la maison. Cette porte ouverte qui fait en objection le personnage central de, *Si Diable veut*, qui ne se ferme que de nuit, et ce songeur qui *« pour calfeutrer le logis entouré par l'hiver, demande encore « de lourds rideaux ondoyant jusqu'au plancher » »* (Mohammed Dib 1998 : 21).
Et quand le temps ne servent à rien pour Hadj Merzoug c'est du à la période que l'enfermement imposé est vécu pratiquement comme un apaisement.

La montagne de l'Azru Ufernane et le froid sont décrits de deux sortes différentes. La première selon une vision masculine qui raconte son univers:

> *« L'Azru Ufernane, de ma place, tel que je suis assis, me paraît enveloppé d'une cuirasse de froid.[…] les couettes délavées des nuages, toutes ces couettes que l'Azru Ufernane soulève de son chef enturbanné de neige.[…]protégé par ma djellaba de laine brute, face à la porte ouverte, je me borne à regarder. »* (Mohammed Dib 1998 : 7).

La seconde concerne une vision féminine :

> *« Les montagnes, blanches sous leur haïk de neige, n'ont pas l'air de bouger et sans doute rêvent-elles des caftans verts qui leur manquent. Mais qu'elles attendent un peu, […]…Pour revenir, noires, efflanquées, Des femelles impudiques, des ogresses.[…]la pluie […] elle a semé ses aiguilles d'argent, mais elle a retroussé vite ses jupes, jusqu'au ciel.» (*Mohammed Dib 1998 : 9

La montagne est considérée par les habitants de ce village comme un espace d'existence.

> *« Cela est, et cela nous vaudra une première générosité du ciel : pouvoir conduire nos troupeaux sur les pâturages. Certes, pas trop tôt, en fin de matinée seulement, pour les faire rentrer, non plus trop tard, avant que sur le soir ne reviennent les gelées. »* (Mohammed Dib 1998 : 16).

Un autre espace présent dans *Si diable veut* est la forêt. La forêt, c'est le lieu où Ymran fuit quand il a compris le sens du rite, il dit :
« - Toi, les autres, n'attendez pas ça de moi ! Après lui avoir signifié son refus, Ymran, perplexe, l'interroge : Pourquoi ce massacre ? Je ne comprends pas ? » (Mohammed Dib 1998 : 112).

La forêt est un espace de libération des contraintes recueillies d'habitudes anciennes spécifiques aux pays du Maghreb, elle réfugie Ymran et l'apprend à comprendre son identité.

Le retour de Ymran en Algérie est pour réaliser les promesses de sa mère morte, en pensant à l'espace où il à vécu depuis sa naissance, la

banlieue parisienne, face à l'incompréhension des villageois et de leurs traditions qui lui paraissent bizarres et étrangères.

2. Exil

Le thème de l'exil dans l'écriture de Mohammed Dib se distingue par l'importance qu'il accorde à l'espace dans la narration. Nous abordons l'écriture de l'exil par le fait que *Si diable veut* est un récit qui s'inscrit par rapport à l'ensemble de la littérature maghrébine d'expression française celle dont le thème majeur est l'évocation de l'Algérie face à la France.

Si diable veut est un roman qui représente l'exil et les difficultés qui rencontrent ceux qui ont abandonné leurs pays pour une raison ou une autre. Cette histoire met l'accent sur le retour surprise d'Ymran parmi ses siens, Hadj Merzoug, le décrivant :
«*Nous l'avons accueilli. Pas son père, pas sa mère, pas les autres enfants. Eux, ils sont restés en cette terre étrangère où ils resteront d'éternels étrangers, guère très aimés, à ce qu'on dit. »* (Mohammed Dib 1998 : 20). Ymran a vécu avec sa famille la banlieue parisienne, espace où ils sont exilés, un espace qui n'est représenté qu'en opposition avec des espaces luxueux. Ces derniers sont des espaces interdits d'accès pour l'exilé. Mohammed Dib évoque la double échappée d'Ymran, comme :

> *« Les pavillons avaient de proche en proche fait place à des maisons de plaisances, villas, gloriettes, qui régnaient sur des jardins tout débordants de verdure, d'inflorescences, vers la rue. Un monde onirique s'ouvrait à Ymran. Il se baladait dans un rêve. Quasiment. Oui, mais, s'il ne faisait, venant de sa sinistre banlieue, que s'évader d'un autre rêve, d'un cauchemar, pour remettre pied sur la vraie terre ? »* (Mohammed Dib 1998 : 91.92).

Ce passage montre qu'il existe deux espaces opposés de l'exil, un espace véridique, *« la sinistre banlieue »* qui reçois l'immigré et qui étouffe tous ses ambitions, et un espace *« onirique »,* l'espace espéré pour lequel on fuit toutefois qui reste perpétuellement un songe. Il s'agit d'un double exil, double échappée.

Effectivement, se retrouvant enfermé pour la énième fois dans le sanctuaire, face à une Safia dont le revenant Ymran n'arrive pas à cerner la personne, pas plus qu'il ne comprend le rite qu'il doit accomplir, s'évade dans ses souvenirs pour retrouver cette fille étrangère, Cynthia qu'il avait accompagnée loin de sa banlieue, dans les quartiers chics, afin d'assister à un spectacle de musique classique. Il est possible de dire que Dib fait allusion à l'amère réalité des jeune de son pays : on fuit une société qui ne veut pas sortir de son ignorance et ses pratiques insensées pour un monde meilleur, on fuit la femme de son pays, mère, sœur, promise ou épouse, pour suivre une femme étrangère afin d'échapper aux dures conditions qui nous accueillent.

3. Ici et ailleurs

Cette histoire fictive exprime à quel point Mohammed Dib est soucieux de représenter l'espace qu'il transcrit au sein de son texte. Ainsi, il reste fidèle à sa vocation de départ qui consiste à mettre en valeur son espace à travers le texte par des procédés narratifs assez subtils.

Si on devait présenter l'œuvre de Mohammed, on pourrait dire qu'elle se construit à partir d'un thème majeur autour duquel s'articule son itinéraire de romancier, ce thème est la représentation de l'espace dans le cadre de la fiction.
L'écriture du *Si diable veut* était en 1998pendant le séjour de son auteur à Paris où il a longtemps résidé. En Algérie, cette période correspond aux années sanglantes que le pays traversait. Le récit de

son roman est révélateur d'un destin qui s'est construit en rupture dans des espaces géographiquement, historiquement et culturellement très distincts. Le thème de l'exil devient dans la trame narrative fictive de son œuvre, un concept qui conditionne la gestion.

Ce roman met essentiellement l'accent sur deux formes de l'exil. Le premier concerne les personnages qui demeurent à la marge de la société sans pouvoir bénéficier d'aucune reconnaissance morale. Ces gens sont aliénés par rapport à ce que devrait être leur vraie valeur humaine et individuelle, dépourvus de toutes gratitudes morales de la part de leur société accueillante. Ils sont refusés, leurs statut est fragile, à l'intérieur d'un système communautaire qui possède des valeurs pré-établies. L'image en est, dans *Si diable veut*, celle de (la rencontre de Ymran avec la femme).

La seconde forme de l'exil concerne la condition de l'être humain dans ce récit : femme, homme, et enfant. Les personnages représentés sont exclus de leur propre monde, pour une raison ou pour une autre.
Le personnage principal est condamné de changer de vie et d'espace. L'exil semble inévitable dans *Si diable veut* où tous les personnages sont aliénés dans le but de définir le rapport que l'individu entretient avec le système communautaire et l'ensemble des valeurs véhiculées par la société dans laquelle il vit.

Le héros de ce roman se trouve face à deux pays, (la France / l'Algérie), deux cultures, deux modes de vie qui s'objectent en tout. Mais les deux pays le perçoivent un étranger, même au pays de ses origines où il n'arrive pas à saisir ce qui se passait autour de lui.

> *« Perdu de vue, ou plutôt d'ouïe, dans l'intervalle, si court cet intervalle a-til été, le tumulte dehors, chants, clameurs d'allégresse, piétinement, resurgit, déferle entre eux et, rebondissant plus haut, s'abat, torrent dans sa brutale impétuosité qui jette Ymran sur une rive et Safia sur l'autre et tout espoir s'enfuit que les deux rives se rapprochent, se joignent. »* (Mohammed Dib 1998 : 85).

La quête identitaire de Ymran le périple parmi les gens de son village et le souvenir de sa vie de l'autre rive poussent Ymran à faire son choix, à se reconnaitre dans l'un des deux lieux et à prendre des distances par rapport à l'autre.

> *« Ils sont bien sympathiques, les gars qui m'ont choisi, mais il y a erreur sur la personne. J'étais d'ici, je ne le suis plus. Je le redeviendrai sans doute. Il y a longtemps que nous sommes partis, des gens comme beaucoup d'autres que leur terre n'a su ni protéger, ni suffisamment aimer pour ça.*» (Mohammed Dib 1998 : 45).

Une comparaison qui met en évidence le choix de la raison face à l'appel du cœur, un choix que confirme la réflexion de Hadj Merzoug dans les dernières pages du roman.

> *« Ainsi va la vie, tandis que vous en êtes à vous demander : « Que s'est-il passé qu'il n'est pu en être autrement ? » Ymran aussi est parti et les jours ont passé. Sa route ne devait pas finir chez nous. Et il est reparti. Ce n'est pas la première fois que nous nous trompons d'espoir. »* (Mohammed Dib 1998 : 224).

Dib livre, à travers son jeune personnage, à qui il endosse le rôle représentatif de l'immigré de deuxième génération, un discours sur les jeunes de banlieue d'origine maghrébine. Pour lui, la France est leur patrie naturelle, ils n'ont pas de choix à faire, leur culture, leurs études et leur avenir font d'eux des français à part entière.

En guise de conclusion, la littérature est d'une véritable manière attachée à la réalité et participe aussi à la production d'espaces qu'elle évoque. En ce sens Mikhaïl Bakhtine souligne que :

> *« En dépit de l'impossibilité de confondre le monde représenté et le monde représentant, en dépit de la présence immuable de la frontière rigoureuse qui les sépare, ils sont indissolublement liés l'un à l'autre, et se trouvent dans une action réciproque constante […]. L'oeuvre et le monde dont elle donne l'image pénètrent*

> *dans le monde réel et l'enrichissent. Et le monde réel pénètre dans l'oeuvre et dans le monde qu'elle représente […].* » (Bakhtine 1978 : 394)

Dans son roman *Si diable veut,* Mohammed Dib montre l'inadéquation de l'espace aux souhaits primordiaux de l'être humain. À cette espace, le personnage central Ymran souhaite vivre, près de ses origines, une expérience qui le conduira à la connaissance de soi. Mais, Ymran trouve un village marqué par une vie traditionnelle à laquelle il ne se reconnaît pas. Par conséquent, Ymran n'accepte pas d'intégrer la société, il préfère s'éloigner.

L'auteur de *Si Diable veut*, se focalise sur la réalité du pays déchiré par le terrorisme durant les années 90. Son roman est inspiré par les problèmes les plus actuels, les plus urgents.

Référence

Bachelard Gaston, (2009), *La poétique de l'espace*, PUF, 9èmeédition.

Bakhtine Mikhaïl, (1978), *Esthétique et théorie du roman*, Gallimard, Paris.

Blanchot Maurice, (1955), *L'Espace littéraire*, Gallimard, Paris.

Butor Michel, (1964), « L'Espace du roman », *Essais sur le roman*, Gallimard, Paris, 48-55.

Dib Mohhamed, (1998), *Si diable veut,* A. Michel, Paris.

Khadda Nadjet,(2003), *Mohammed Dib, cette intempestive voix recluse*, Edisud, aix-en-Provence.

Mitterand Henri, (1980), *Le Discours du roman,* Presses Universitaires de France, Paris,.

Weisgerber Jean, (1978), *L'Espace romanesque*, L'Âge d'homme, Lausanne.

ElWahat pour les Recherches et les Etudes Vol.**14** (N°**2**)/ (**2021**) :**15**00-**15**24

El-Wahat for Research and StudiesReview
ISSN : 1112 -7163 E-ISSN: 2588-1892
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2

L'entreprise industrielle face aux enjeux de la responsabilité sociétale en Algérie. Comment communiqué l'environnement?

The industrial company facing the challenges of social responsibility in Algeria. How to communicate the environment?

Tighedine Hassina

1-Département des sciences sociales، faculté des sciences Humaines et Sociales، Université de Bejaia، Bejaia 06000، Algérie.

Reçu le : 11/05/2020 Accepté le : 22/01/2021

Résumé :

Les enjeux de développement durable à l'échelle mondiale ont promulguées plusieurs politiques à savoir celles relatives à l'environnement et l'activité économique sous la nomination de la responsabilité sociétale. En effet, l'Algérie un pays qui répond aux exigences internationales pour la protection de l'environnement et la promotion des piliers de développement durable, a ratifié et adoptés plusieurs lois porteuses sur le développement de secteur économique et le maintien de la responsabilité sociétale et qui exigent que l'entreprise industrielle en particulier devienne une entreprise citoyenne et responsable. En réponse aux directives nationales et régionales, l'entreprise se trouve face aux enjeux de la responsabilité sociétale. Face à une contradiction entre ses activités classées comme polluantes et le devoir de communiquer l'environnement. Dans cet article, nous focaliserons notre réflexion sur la communication environnementale responsable des entreprises industrielles en Algérie entre démarches et exigences.

TIGHEDINE Hassina, Email: tighedine@hotmail.com

Mots-Clés : Entreprise industrielle, Communication environnementale responsable, Responsabilité sociétale, Algérie, Environnement. .

Abstract:
The challenges of sustainable development on a global scale have promulgated several policies, namely those relating to the environment and economic activity under the name of social responsibility. Indeed, Algeria, a country that meets international requirements for the protection of the environment and the promotion of the pillars of sustainable development. Has ratified and adopted several promising laws on the development of the economic sector and the maintenance of social responsibility in the economic sector that require that the industrial company in particular become a responsible and responsible company. In response to national and regional directives, the company is faced with the challenges of social responsibility. Faced with a contradiction between these activities classified as polluting and the duty to communicate the environment. In this article, we will focus our thinking on responsible environmental communication for industrial companies in Algeria between requirements.

KEYWORDS : industrial Company, Responsible environmental communication, Social responsibility, Algeria, Environment.

1. Introduction

L'Algérie s'est engagée dans les années 1980 dans des programmes d'ajustement structurel pour réduire leur déséquilibre économique et accroître, à moyen terme, les capacités de production de leur économie. (Kerzabi A. , 2009) Cet engagement classé de rapide, brusque a était en réponse aux exigences de la période postcoloniale relancer après une période coloniale surexploitant de tout ressources naturel. L'Algérie a fait submerger un secteur industriel industrialisant en développant les activités en relation avec la première source de PIB[1] plusieurs activités. Durant deux décennies, la préoccupation de l'Algérie était la production destinée pour la fabrique et la

[1] Produit Interne Brut.

consommation. Cependant, la question de l'environnement et l'exploitation énergétique était rangé dans les derniers rangs des préoccupations des politiques publiques. Bien que l'Algérie est lancée dans la protection de l'environnement depuis 1974 et l'a promulgué en 1983, mais c'est jusqu'au l'an 2000 que le pays est doté d'un ministère de l'environnement. À partir de cette année, l'Algérie s'est engagé pour plusieurs engagements internationaux. En effet, elle a ratifié plusieurs lois et protocoles internationaux relatif à l'environnement et le maintien des piliers de développement durable. L'entreprise industrielle considérée comme étant acteur pollueur s'est trouvé dans l'obligation de faire face à ses propres intérêts et activités, c'est-à-dire l'entreprise industrielle doit faire face à *l'ensemble de facteurs physiques et sociaux potentiellement pertinents pour l'établissement de la réalisation des objectifs de l'entreprise*. (Melbouci, 2006). Cette équation entre l'entreprise et l'environnement naturel est déchainé mais avec l'adoption des lois internationales relatives aux maintiens des chartes, normes et rapports liés à la responsabilité sociétale de l'entreprise (RSE). L'émergence de cette représentation chez les dirigeants de l'entreprise industrielle a pu la conduire vers une nouvelle image soit disant culture protectrice de l'environnement. Depuis lors, l'entreprise industrielle a concurrencée ses responsabilités pour être classée au rang de l'entreprise responsable et citoyenne. Néanmoins, face à la vitesse des changements dans le secteur économique et l'ampleur de phénomène de challenge, l'entreprise industrielle se trouve dans une obligation de répondre aux exigences internationale tout en maintenant celui de local et de régional. Pour cela, notre réflexion est sociologiquement liée aux engagements de l'entreprise industrielle en Algérie face aux enjeux de la responsabilité sociétale et les exigences de cette dernière. Les indicateurs de l'environnement projetés que l'entreprise industrielle disposé comme acteur pollueur seul est parmi les facteurs causés par les rejets industriels, ainsi le manque d'une communication environnementale responsable. Cet ensemble de facteurs, nous ont poussés davantage à effectuer une recherche pour montrer la mise en

pratique de la responsabilité sociale y compris environnementales duquel communication environnementale responsable auprès des entreprises industrielles en Algérie. Par voie de conséquence, suite au développement qu'a connu l'entreprise industrielle en Algérie (le taux d'évolution des (PME) et (PMI) qui coïncide l'évolution de concept de développement durable et la ratification des normes internationales d'ISO 26000 et 14001 ont suscité notre curiosité scientifique, ce qui nous mène à établir une recherche auprès de quelques entreprises industrielle afin de pouvoir évaluer le degré d'application des engagements et les attentes observés. Cette étude est basée davantage sur les politiques internes et ses reflets externes sur la société y compris l'environnement en tant qu'acteur socialement responsable. Dans la réalisation de notre étude, nous avons consacré notre recherche sur un questionnement qui s'expose sur les stratégies adoptées par les entreprises industrielles en Algérie en matière de la RSE pour devenir acteur de l'environnement et de développement durable. Deux réponses probables forment le cheminement et le processus de recherche : l'une proclame que l'entreprise algérienne adopte les normes internationales avec une volonté préalable et par connaissance des avantages et des inconvénients de l'adoption, l'autre préconise que les entreprises ont adoptés des politiques d'ISO mais sans rendre en compte sur cette culture d'entreprise c'est-à-dire d'une façon impulsif et latente. Pour la vérification empirique Nous avons focalisé notre recherche sur une question principale qui s'étale sur : - **Quelles sont les stratégies adoptées par les entreprises industrielles en Algérie pour répondre aux enjeux de la RSE ?**

La réponse à la question fondamentale reflète des réponses probables et anticipées qui serviront et qui orienteront le chemin d'accès à notre réflexion sociologique. De ce fait, nous avons supposé quelques hypothèses de recherche à savoir la première qui proclame que l'entreprise industrielle algérienne est un acteur responsable et citoyen qui est doté d'une responsabilité sociétale d'une manière traditionnelle et culturelle représenté d'une manière latente. La deuxième suppose

que l'entreprise industrielle peut communiquer l'environnement à travers les démarches propres aux contextes sociaux et politiques nationaux et internationaux en l'usage les moyens de bords qui lui semble utile. Pour chaque recherche scientifique, la vérification et la confirmation des hypothèses de recherche constitue une démarche indispensable, pour cela nous avons opté pour une méthode quantitative afin de répondre aux exigences de notre échantillon caractérisé par la largeur (entreprises industrielles algériennes). Notre échantillon s'étale sur 350 entreprises répartis sur le territoire national de différents domaines d'activités. La méthode utilisée pour le choix d'échantillonnage est celle de l'échantillonnage spatial probabiliste d'une façon aléatoire, On l'appelle aussi méthode d'échantillonnage spatiale aléatoire indépendante. C'est une méthode élémentaire de tirage au hasard où les sujets ou les unités spatiales sont extraits d'une base de sondage. Chacune des entités a une chance de figurer dans l'échantillon (Gumuchian & Claude , 2000). Donc, le choix de cet échantillonnage a pour objectif d'obtenir des résultats rigoureux et fiables permettant l'inférence statistique. A base de la méthode quantitative, la technique conforme avec, est le questionnaire. Ce dernier nous permet de quantifier, sonder et mesurer les données à obtenir ainsi élargir notre champ qui permet la représentativité et la généralisation des résultats de recherche.

I. Approche théorique de la responsabilité sociétale de l'entreprise (RSE)

I.1. La théorie des parties prenante

La théorie des parties prenantes, depuis son apparition jusqu'à nos jours n'a jamais cessé d'être une base cruciale de l'entreprise. D'ailleurs, ses activités y compris ses fins ne peuvent être réalisées qu'à l'intervention de leurs différentes parties prenantes. Carroll propose une typologie comprenant deux catégories de parties prenantes, les primaires et les secondaires. Les parties prenantes primaires sont celles qui sont directement impliquées dans le

processus économique et ont un contrat explicite avec la firme : actionnaires, salariés, client, fournisseurs. Les parties prenantes secondaires sont celles qui ont des relations volontaires ou non avec la firme, dans le cadre d'un contrat plutôt implicite ou morale : associations de riverains, collectivités territoriales, les associations, ONG, etc.

De ce fait, l'entreprise se trouve dans une responsabilité de répondre aux exigences des parties prenantes et d'assurer la continuité et l'épanouissement de son activité économique. *Ces développements permettent de ne plus envisager l'entreprise comme un monde clos et de mettre fin à la vision actionnariale de la firme – selon laquelle seule la satisfaction des actionnaires compte – puisque celle-ci est désormais envisagée comme une entité ayant des relations avec son environnement au cours desquelles se nouent des liens avec et entre les parties prenantes* (Mullenbach, 2007). Dans ce cas, l'entreprise qu'est conçu comme élément producteur et consommateur dans la société, elle doit faire face aux enjeux de développement durable ainsi qu'à la responsabilité sociétale de l'entreprise. Cela, commence lorsque l'entreprise légitime ses activités via la ratification des lois et l'adoption des normes et rapports nationaux et internationaux. Ce qui lui permettra de donner une bonne image par rapport à son activité et compris ses produit vis-à-vis du public.

I.2. la théorie de fonctionnalisme relativisé de Robert King Merton:

A base de la pensée de Carroll, nous pouvons ressortir une autre approche théorique applicable sur la RSE, qui est celle de fonctionnalisme relativisé de Robert King Merton. En effet, l'entreprise industrielle est pratiquement confronté aux changements multiplies soit de l'intérieur soit de l'extérieur. Pour cela, elle est fonctionnel vis-à-vis son organisation interne et sa quête de profil mais parfois dysfonctionnel vis-à-vis son environnement via sa pollution. Aussi son statut comme acteur sociale lui donne un rôle de

protecteur. Le changement de son statut active automatiquement son rôle. Le chercheur en entreprise peut voir une idée sur ce que l'entreprise présente pour la protection de l'environnement et l'adoption de la RSE d'une manière manifeste ou indirect ou d'une manière latente direct. De ce fait, notre intérêt dans cette recherche se focalise sur les concepts (latent et manifeste). A ce moment, l'entreprise et ses parties prenantes sont qualifiés d'engagement manifeste dans l'adoption des chartes et rapports liés à l'environnement soit disant réglementaire, comme l'adoption de la norme ISO 26000 et qui concerne (la RSE) ainsi que l'ISO 14001 pour le management environnementale. Dans ce cas, l'entreprise est consciente par rapport aux avantages et aux risques qui peuvent tenir à l'entreprise. En outre, son engagement latent est observable chez plusieurs entreprises sous un angle indirect. Cet engagement en fait, peut s'avérer a des résultats remarquable mais indirecte. Par exemple, l'implication de l'entreprise dans les subventions des activités d'associations environnementale ou celle des écoles des inadaptés. L'engagement manifeste acceptent (en général contractuellement) d'être exposées à certains risques car ayant investi une forme de capital humain ou financier. Elle entre dans la politique d'assumer les feedback mais dans le style latent la responsabilité tombe directement au détriment de son activité.

II. L'entreprise industrielle face à son image sociétale

II.1. La promotion de l'image de l'entreprise via les relations publiques

La pratique des relations publiques consiste donc à investir des efforts planifiés et permanents pour établir et maintenir des rapports de bonne volonté et de compréhension mutuelle entre une organisation et ses publics. Dans ce sens, les relations publiques sont synonymes de communication des organisations et englobent autant les communications internes qu'externes, la communication d'image et Corporate et sont utilisées pour faire connaître, pour favoriser une attitude positive et pour provoquer des comportements attendus du

citoyen/consommateur (DAGENAIS, 2006). C'est dans ce contexte, que l'entreprise industrielle développe ses outils et moyens de communication externe y compris environnementale via la performance des relations publique de l'entreprise. Cela, dans son objectif principale de garantir son image sociale et environnementale. Par voie de conséquence, la responsabilité sociétale de l'entreprise se base essentiellement sur la communication environnementale soutenir par la pratique des relations publiques. Ce qui renforce la confiance mutuelle entre l'entreprise et son public concernant la protection environnement, donc favoriser la communication environnementale responsable.



Figure n° 1 : Outils et méthodes utilisés en relations publique de l'entrepris

Source : résultats d'enquête réalisée par nos soins.

Selon le schéma ci-dessus, nous constatons qu'il existe plusieurs moyens et méthode que l'entreprise besoin dans ses relation avec son public, d'ailleurs cette dernière exploite différentes démarches et stratégie afin qu'elle défend et garantit son image au même temps. Donc, ces méthodes représentent les différents réseaux de communication à savoir les réseaux de liens (désigne toute relation des individus entre eux de manière informelle et conviviale), les

réseaux de contrôles (sont caractérisés par un échange économique entre des partenaires qui peuvent exercer un contrôle les uns sur les autres) et ceux de transactions consistent sur des activités des partenaires avec leurs riverains qui les alentours. Cette théorie des réseaux est intéressante parce qu'elle met en relations et intérêts entre toutes les parties prenantes au niveau social et sociétale.

De ce fait, les relations publiques doivent construire une certaine réalité, soit par la forge d'une opinion publique favorable ou contrer une opinion défavorable. Ceci est considéré comme stratégie fiable permettant l'épanouissement de son activité en garantissant sa continuité à travers la prise en considération de triangle de développement durable et celui de la RSE (économie équitable, société vivable, environnement viable).

I. L'entreprise industrielle en Algérie et la perception de la responsabilité sociétale de l'entreprise (RSE) :

Dans un temps ou l'entreprise algérienne essaye de sortir du traditionnel dans sa gestion, elle a rencontré un management engagé et renoncer à une lutte contre l'aspect ancien de la gestion avec une volonté du changement en réponse à l'international et cela dès le début des années 2000. Mais, l'évolution dans le secteur économique ne connais pas de repos ou de recul parce que d'un jour à l'autre un nouveau concept apparaitra et actuellement c'est celui de la responsabilité sociétale.

Avec cette cadence, l'entreprise industrielle en Algérie, rencontre plusieurs difficultés à entreprendre ces politiques internes et externes. Le responsable dans l'entreprise cherche une adéquation entre les capacités de l'entreprise et les exigences de la RSE pour cela, il essaye d'aménager l'organisationnel et le managérial. En effet, l'entreprise industrielle ne reste pas en retard dans ces réponses mais ils essayent de s'engager à travers quelques bases et quelques perceptions du sujet.

Chaque entreprise enquêté donne une perception pour la responsabilité sociétale (RS), nous avons résulté que chaque acteur économique rencontré prévoir une perception logique ce concept. C'est à base des perceptions que nous pouvons analyser la volonté des entreprises algérienne de changer leur culture pour l'adoption de la RSE. En effet, nous avons conclues qu'une variante de conception relative à la RSE ont été observé chez les enquêtés. En effet entre une menace et une opportunité chaque entreprise répond avec des représentations qu'elle avait construites sur le concept de la responsabilité sociétale.

La prise en considération de ce concept dans leurs cultures internes et à cause d'un manque flagrant des connaissances de bases d'une part ainsi le manque des formations initiative à la nouvelle politique de RSE de l'autre part. Pour s'engager dans une nouvelle aventure chaque entreprise prend des nouvelles mesures, ces dernières sont penchées plus vers les mesures de risque de la nouvelle procédure.

Le caractère de l'entreprise industrielle algérienne surtout celle exerçant leurs tâches depuis une décennie trouve une manœuvre de mieux suivre son rythme sans prendre des risques inutile qui vont ensuite retomber sur son profil ou son image. Par contre les entreprises créer nouvellement, cherche avec toute nouvelle politiques de se positionner dans le marché national avec l'adoption de leurs politiques de protectrice de l'environnement et la santé de la population.

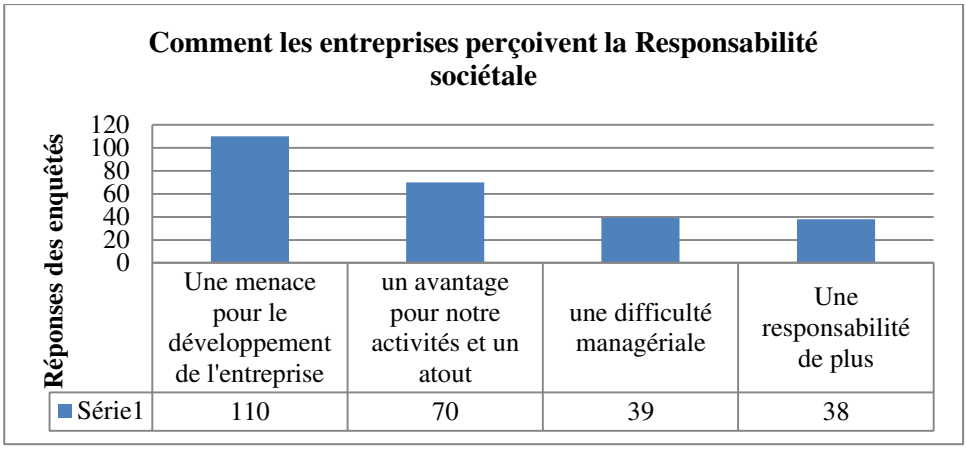


Figure n° 2 : la perception des entreprises sur la responsabilité sociétale.

Source : résultats d'enquête réalisée par nos soins.

L'acteur enquêté révèle que la responsabilité sociétale est une menace pour le développement de l'entreprise. A partir de la conception que la RSE établera un changement au sein de l'entreprise 31,42% la trouve que affrontera le changement développera le portefeuille de risque de l'entreprise et peut engendrer des répercussions sur l'image et la marque de l'entreprise. L'explication sur cette perception était observée après avoir posé d'autres questions sur les principales causes de refus d'une adoption de la RSE, les propos de l'un des chefs de l'entreprise de fabrication « *L'entreprise se fragilise avec les nouvelles procédures à entreprendre, c'est pour cela que nous essayons de suivre notre rythme de production et de gestion que nous avons l'habitude de faire.* » [Chef d'entreprise, 57 ans, 17 ans d'expérience dans la comptabilité]

Mais, une réalité chez les entreprises trouve que la RSE sera un avantage et un atout pour les activités de l'entreprise. En effet, sur les 70 entreprises, celles qui ont répondus que c'est un avantage nous avons observé que 53 parmi elles sont nouvellement créer ce qui représente soit 75,71%, Parmi ces 53 entreprise 37 sont créer par les dispositifs étatique entre ANSEJ et CNAC et une prise en considération sur les politiques de l'investissement par l'agence

ANDI. L'Algérie a un arsenal juridique sur la prise en considération de la question environnementale et la responsabilité sociétale des entreprises, en effet les résultats obtenus ne déclare pas que les entreprises anciennes ne s'adhèrent pas à l'ISO 26000 normes international sur la RSE. Nous avons trouvé dans ce cas des grandes entreprises telles que Groupe CEVITAL, Condor, CETIM de Boumerdes est cela depuis 2013. Cependant, depuis le lancement du programme RS MENA, les entreprises adopte volontairement les normes de RSE.

Pour synthétiser, l'entreprise industrielle la perception de la responsabilité sociétale est relative à sa compréhension globale des enjeux de l'entreprise internationale. Pour entrer dans la compétitivité territoriale ou régional, il faut prendre des mesurer de développement l'entreprise comme un agent producteur et protecteur de la société. Certes c'est une équation socio-environnementale difficile à compléter mais réalisable. Plusieurs entreprises lance dans le défis de mieux service la société sans le savoir. En effet, plusieurs initiatives créer d'une manière formelle ou informelle par les entreprise reflète que le degré de la perception de la RSE chez les entreprise algérienne est en développement et ne cesse d'augmenter des opportunités pour suivre les routes des autres entreprises au niveau magrébin ou international.

L'entreprise est l'avenir de sa compréhension envers sa culture et l'environnement qui l'entoure et sa formation sur les enjeux internationaux, elle se développe en suivant un parcours d'une entreprise agent ou d'une entreprise porteuse des incitatives. Elle se développe grâce aux analyses systémiques qu'elle peut développer ou poursuivre durant son parcours. En effet, elle est faite comme étant un aspect socialement reconnu. L'image et la marque, actuellement, sont associées à ses activités extra-entreprise. En d'autre terme, elle se développe en répondant à son entourage social et environnemental.

2. l'entreprise industrielle et les enjeux de la responsabilité sociétale

Les entreprises ne peuvent pas *prendre en compte les questions d'équité intergénérationnelle, de préservation des ressources naturelles ou de protection de l'environnement, et de développement social. La non-prise en compte de ces questions engendre des inégalités sociales résultant en général de la mauvaise répartition des richesses, des famines ou déséquilibres alimentaires, l'insécurité alimentaire, des cataclysmes naturels (réchauffement de la planète, les sécheresses, etc.), des conflits sociaux, des maladies, etc*. (Bampoky, 2015) Établir un équilibre entre l'activité de production qui nécessite l'exploitation des ressources et la protection de l'environnement c'est une gestion difficile pour les entreprises en Algérie. Le management environnemental avec l'ISO 14001 est une nouvelle politique qui devrait s'ajouter à la gestion interne de chaque entreprise industrielle.

Cependant, les préparatifs de la corporation économique en Algérie pour ce genre de management ne sont pas encore développés. Déjà à ce niveau l'environnement est récemment considéré comme une préoccupation des politiques publiques, il est considéré à une époque non loin comme un accessoire pour le développement. Mais, actuellement avec l'ajustement de plusieurs politiques d'investissement, l'entreprise est dans l'obligation de porter dans son cahier des charges l'activité environnementale et sa protection. Néanmoins, *Les dommages environnementaux et la plupart des maux sociaux sont, pour l'essentiel, la conséquence des activités incontrôlées de recherche et de création de richesses dont principalement prennent part les entreprises. Le concept de responsabilité renvoie à l'obligation de remplir une charge, et cette charge est, dans ce cas précis, l'exigence sociale ou sociétale en termes de bien-être des générations présentes et futures*. (Bampoky, 2015). L'entreprise industrielle algérienne développa une stratégie

pour répondre aux normes internationales. En Effet, elle s'est trouvée entre son activité néfaste et la protection de l'environnement. *Les normes étant définies comme l'ensemble des règles du jeu qui structurent la stratégie des entreprises et des organisations.* (Ghozzi-Nekhili, Chiraz, & Labaronne, 2015) Nos enquêtés ont divulgués leurs stratégie pour intégrer et adapter les politiques internationales de gestion environnement et le respect de la responsabilité sociétale. Les stratégies des entreprises pour répondre aux enjeux de la responsabilité sociétal et la protection de l'environnement nous les présenté dans le tableau suivant :

Tableau n ° 1 : L'entreprise, l'enjeu et la stratégie d'engagement en Algérie

Enjeux de la RSE	**Stratégies des entreprises**	**Objectifs**	**Fréquence de réponses**	
Enjeux de notoriété	Implication de l'entreprise dans les activités humanitaires et associatives en relation avec l'environnement.	Redonner l'image sociale de l'entreprise	Effectif	%
			187	50,85
Enjeux de durabilité	Adoption des normes internationales comme ISO 14001 et participation aux actions environnementale SALON	Devenir un acteur responsable et citoyen.	67	19,14
Enjeux de compétitive	Reconfiguration des politiques internes à la base de l'adhésion aux normes internationales.	Prendre une place de compétition entre les grandes entreprises, augmenté le profil économique	147	42
Enjeux de participation	Participations aux sponsorings environnementaux et au parrainage avec les parties prenantes	Mise en avant de la marque de l'image.	213	60,85
Enjeux de responsabilité	Prendre une rationalité dans l'usage des ressources, produire écologique.	Intégration l'entreprise citoyenne et responsable	53	15,14

Source : résultats d'analyse réalisée par nos soins.

L'entreprise algérienne est engagée dans la responsabilité sociétale avec une prise de consciences des enjeux qui seront associé à la gestion. Pour cela, elles ont développé des stratégies en réponse aux objectifs de leurs entreprises mais avec des degrés de fréquences et d'implication différents de l'enjeu à l'autre. L'enjeu de participation comporte de vraies préoccupations chez les entreprises grâce à ses feed back important pour le profil de l'entreprise, soit sur l'image et la marque de l'entreprise avec l'usage du sponsoring environnementale et parrainage pour les projets associatifs. En effet, cette stratégie très répondus chez les entreprises parce que cette dernières bénéfice d'une petit exonération d'impôt et des avantages sociaux ainsi elle essaye de présenté son produit sans passer des procédures publicitaires qui sont couteuse. Suivi ensuite par l'enjeu de notoriété c'est à dire présenté plus mon entreprise avec l'adoption de la stratégie une implication en collaboration avec le mouvement associatif tout en essayant de redonner l'image sociale pour l'entreprise avec un pourcentage de 50,85%. Cette stratégie a permet à quelques entreprises enquêtés de repositionner socialement. En effet, l'étiquetage social des entreprises dans des régions en Algérie à donner son effet grâce à la préservation de l'entreprise de sa notoriété et plusieurs entreprises ont perdu leurs places à cause de ces enjeux.

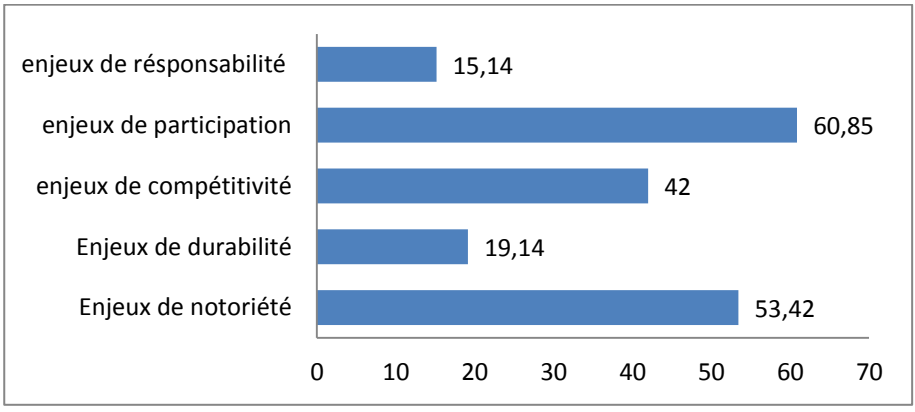


Figure n° 3 : fréquences des entreprises en réponses aux enjeux de la RSE.

Source : résultats d'enquête réalisée par nos soins.

3. communiquer autour de la responsabilité sociétale :

La mise en place d'une démarche RSE doit s'accompagner d'actions de communication. L'entreprise algérienne est mise à l'épreuve pour communiquer sa responsabilité sociétale. Parmi les entreprises qui jugent que la responsabilité est une opportunité pour le développement, la majorité ne sait pas comment communiqué cette RSE. Aujourd'hui, seules les plus grandes entreprises sont légalement tenues de communiquer sur leurs actions RSE. Par un manque d'information sur la RSE et dans le but de ne pas tomber dans un terrain non maitrisé, les petites et les moyennes entreprises préfèrent de ne pas communiquer leurs responsabilité. Toutefois, il faut bien comprendre que la RSE est une démarche éthique qui a pour ambition de repositionner l'entreprise au cœur de la société. Sa mise en place sera donc bien plus efficace si elle s'accompagne d'actions de communication.

Ces dernières commencent par un aménagement interne d'un service de communication en premier lieu, choses qui ne sont pas fréquent dans les entreprises industrielles en Algérie. Cet aménagement sera d'abord interne et destinées à sensibiliser l'ensemble des collaborateurs, à les impliquer davantage dans la démarche et dans l'adoption de bonnes pratiques.

Mais elles seront également externes dans le but, cette fois, de faire savoir que votre entreprise est inscrite dans une dynamique de développement durable.

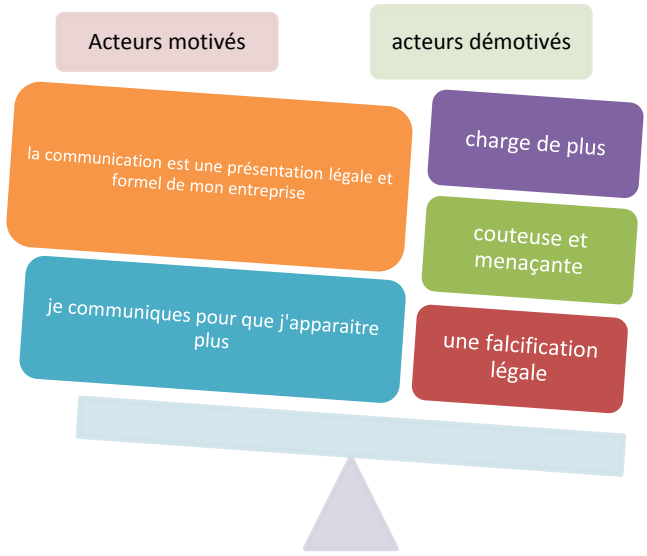
3.1. La communication traditionnelle au service de la RSE : une fonction latente chez les entreprises industrielles

L'entreprise algérienne est maintenue par un système de gestion traditionnel mais rien n'empêche qu'il existe un style de communication sur la responsabilité sociétale. De ce fait, l'entreprise industrielle diffuse un style de communication sur la responsabilité sociétale mais avec une manière latente. Autrement dit, l'entreprise n'a pas planifier cette communication, mais dans son discours une

communication destiné a sa responsabilité est établi. Nous avons pris quelques exemples de cette communication.

En effet, les entreprises essayent de présenter les actions menées dans le cadre de la démarche RSE. Nous avons trouvé que l'entreprise algérienne par timidité managérial communique sa responsabilités mais d'une manière isolé. Exemple de l'entreprise des emballages et art graphique sise à bordj Bouararedj dans sa présentation mentionne qu'elle possède une matière polluante qui est l'ancre d'impression. Avoir une responsabilité c'est premièrement d'éviter toutes vertus qui n'existent pas. Une communication sur la RSE devra assurer une véracité des propos, une crédibilité, une authenticité, une garantie du respect des engagements dans les pratiques. En conséquence, les outils de communication de la RSE ne seront surtout pas de type publicitaire, considéré par le grand public comme de la communication au service du marketing. Le choix des outils devra conforter un positionnement tourné vers la crédibilité, la transparence et la véracité des propos. L'analyse d'une communication sur la responsabilité sociétale nous reflète que communiquer la RSE nécessite une planification et connaissance de base sur ce que nous devrons dire, quand et comment le dire. L'entreprise industrielle se maintien avec quelques communication latente mais qui ont un impact sur la notoriété de l'entreprise. D'ailleurs, pratiqué la communication déjà est l'une des obstacles de l'entreprise industrielle. En effet, 83% des entreprises ne possèdent pas un service de communication. Toutes leurs tâches communicationnel sont inclues dans la gestion des ressources humaine. Mais, avec quelques initiatives individuelles, il existe d'autre entreprise qui adapte un service de relation qui prend en charge cette tâche. Devant, une société d'information, l'entreprise industrielle algérienne est dans une obligation de développer son communicationnel avec l'organisationnel. Elles commencent de l'intérieure arrivant à mieux communiquer à l'extérieure. La mise en place des démarches pour communiquer la RSE est liée à la volonté de l'entreprise et les chefs de l'entreprise. En effet, les chefs de

l'entreprise sont divisés en quatre catégories par rapport à la communication de la RSE à savoir :



Figue n° 4 : attente des chefs d'entreprise sur la communication à propos de la RSE.

Source : résultats d'enquête réalisée par nos soins.

Mais l'entreprise digne de sa responsabilité compte sur le potentiel interne de transmettre le message pour les parties prenantes. Ces derniers participes dans l'établissement d'une communication efficace.

II. Communiquer l'environnement dans l'entreprise industrielle en Algérie :

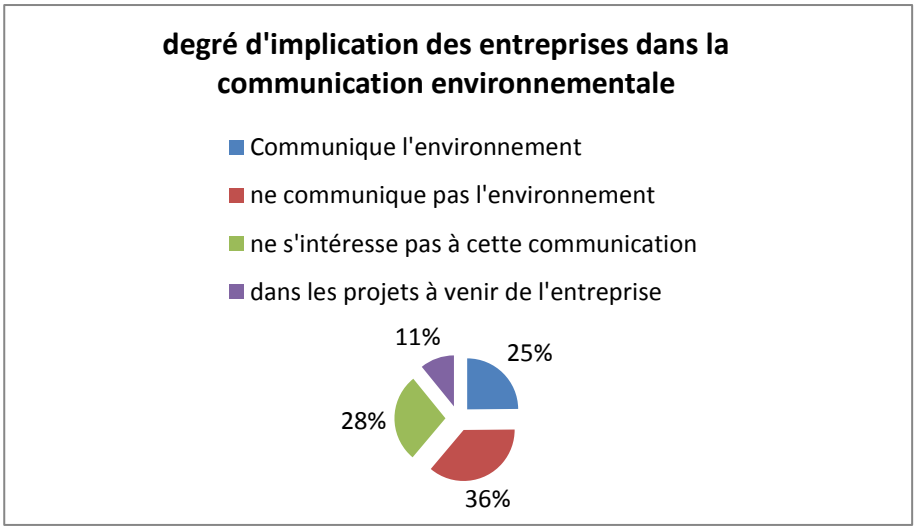
Communiquer d'une manière contradictoire est une culture difficile a adapté. En effet, l'entreprise industrielle classé premier vecteurs de la pollution en intégrant dans les normes internationales iso 14001 est obligé de communiquer l'environnement et sa protection. L'une retombe dans le green Waching et l'autre dans les pénalités des taxes environnementales. Les engagements de l'entreprise en Algérie vers l'environnement est beaucoup moins important par rapport a ce qu'il devrait d'être fait. En fait, la culture traditionnelle que possède l'entreprise et qui se base sur un management traditionnel empêche l'apparition de communication environnementale. *L'industrie algérienne a connu un important développement tant par sa diversité que par sa capacité, mais le processus d'industrialisation s'est effectué dans des conditions qui n'ont pas respecté les préoccupations environnementales.* (Bouzidi, 2005) Il est nécessaire d'adapter la loi relative à la protection de l'environnement afin de mieux articuler environnement et développement durable, d'introduire les principes d'action préventive, de précaution et du pollueur-payeur, de développer les instruments économiques et financiers et de favoriser l'information et la participation du public. Dans notre cas, la connaissance sur l'environnement et le développement durable semble être un obstacle pour la communication environnementale. *Concrètement, pour qu'elle soit viable, responsable, voire citoyenne, une entreprise doit élargir son périmètre de responsabilités au-delà du modèle friedmanien selon lequel « les entreprises n'ont d'autre responsabilité que celle de gagner de l'argent » et tenter d'opter pour le freemanisme axé sur la considération de plusieurs demandes qui ne sont pas forcément complémentaires et qui ne font pas toujours l'objet d'un consensus.* (Khelladi, 2003). La perception de la communication environnementale chez les chefs de l'entreprise est devenue un complexe managérial. C'est- à-dire d'après un interlocuteur « c'est une hypocrisie gestionnaire, nous disons ce que nous ne Faisons pas »

l'entreprise algérienne garde une éthique déontologique pour la gestion de son Enterprise surtout celle qui sont familiale.

IV.1. Les démarches de communication environnementale chez les entreprises industrielle en Algérie

Pour se lancer dans la communication environnementale, plusieurs démarches sont entreprises pour les permettre son établissement. En effet, suite à quelques initiative individuelle sur la communication environnementales, nous avons analysé les démarches des entreprises qui leurs permet davantage d'effectuer une communication environnementale.

Nos résultats de recherche ont démontré l'existence de quelques initiatives individuel mais isolé pour communiquer l'environnement.



Figue n° 5 : L'implication des entreprises industrielle dans la communication environnementale.

Source : résultats d'enquête réalisée par nos soins.

D'après les résultats de notre recherche nous avons trouvé que 25% de nos entreprises communiquent l'environnement. Par une volonté et un engagement individuel et latent pour quelques une de ces entreprises. Et 11% le planifie dans les projets à venir pour leurs entreprises. Certes, pour se lancer dans la communication, l'entreprise doit suivre quelques démarches

opérationnelles. Nous avons décortiqué ces démarches dans le schéma suivant :

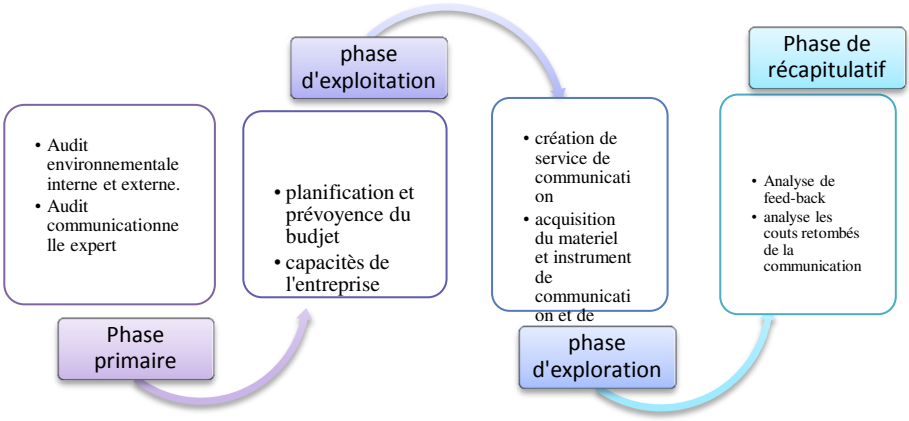


Figure n° 6 : les démarches pour une communication environnementale.

Source : résultats d'enquête réalisée par nos soins.

IV.2. Les moyens de communication environnementale dans les entreprises industrielles :

Le développement des moyens de technologies d'information et de communication ont contribués au développement de la communication environnementale dite responsable en Algérie. Mais, les NTIC seul ne peuvent garantir une communication éthique de la communication. Les entreprises communiquent avec les moyens de bord disponibles. Sur les 87 entreprises qui communiquent, nous avons obtenus les résultats suivants :

Tableau n° 2 : Les moyens de communication au sein de l'entreprise industrielle

Moyens de communication	**Effectif /62 confirme leurs communication**
Journal d'entreprise : le journal interne d'activités	**07**
Séminaire et colloques, forum	**16**
Salon, portes ouvertes, foire	**25**
Presse écrite et audio-visuelle	**07**
Magazine de l'entreprise	**04**
Revue scientifique	**03**
Panneaux d'affichage	**07**
Site internet	**17**

Source : Résultats d'enquête réalisée par nos soins.

L'entreprise industrielle a 29% préfère de communiquer sa protection de l'environnement dans les salons et les portes ouvertes organisé par les ministères. Un moyen de communication moins couteux par rapport aux passages publicitaires sur les chaines télévisés ou les journaux. La stratégie de l'entreprise a toujours penché vers les solutions les moins couteuses. 19% communique dans les colloques et séminaires organisés par de différents organismes étatiques et privé à savoir les universités, les festivités, les forums. Cet outil de communication est représenté dans la stratégie de sponsoring et les

avantages accordés pour ces manifestations.

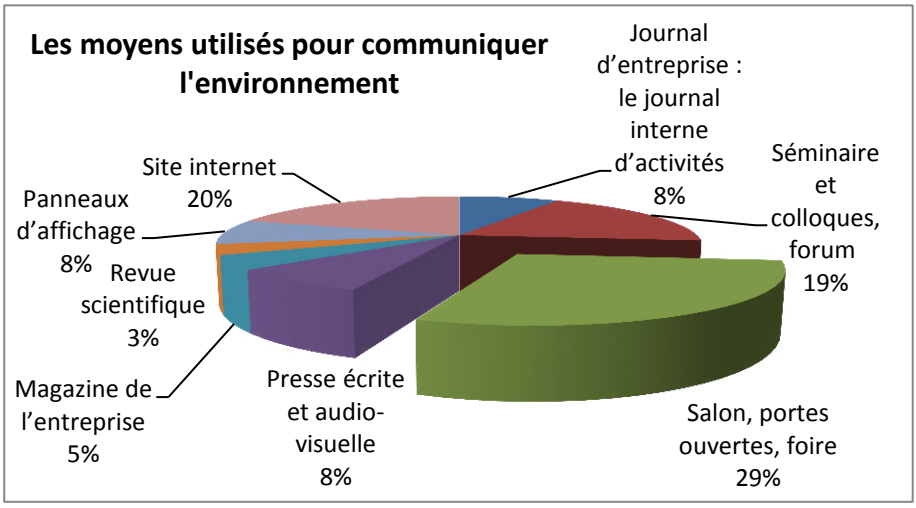


Figure n° 7 : Les moyens utilisés par les entreprises pour communiquer.
Source : résultats d'enquête réalisée par nos soins.

Les sites internet sont à 20% de la communication des entreprisses. L'entreprise industrielle modernise sa conception sur la communication. Cette procédure peut être aussi l'une des stratégies d'éviter tout contact qui aura un impact important sur l'entreprise et son développement. Une procédure pour communiquer virtuellement, mais en réalité nos analyses sociologiques prouve que l'entreprise avec cette procédures et plus visible que les autres. Pour cela, les analystes et experts en environnement peuvent trouver des failles entre les images de l'internet et la réalité. Le recours à ce type de communication sera utile lorsque l'entreprise présente l'image réelle de sa responsabilité sur l'environnement. Pour le magazine de l'entreprise est validé à 5% de nos entreprises qui ont confirmés leurs communications. Ce type nécessite des efforts en plus pour l'entreprise, c'est pour cela que nous l'avons trouvé juste auprès de 04 grandes entreprise à savoir CEVITAL, Condor, Amimer énergie. D'autre entreprises ne manifeste pas leurs comportements communicationnels et protecteur de l'environnement prouve avec d'autre moyen sa communication. Nous avons trouvé des entreprises qui communiquent avec des éco-geste tels que l'usage des matières

recyclées pour la production, d'autre recycle leurs déchets pour avoir zéro déchet, comme celles de l'emballage.

En synthèse, la communication environnementale des entreprises industrielle, latentes quelles soit ou manifesté, nécessite une marge de responsabilité sociale. L'engagement est le fruit d'une volonté organisationnel, législative et opérationnelle. Pour rétablir une communication efficace, l'entreprise doit en premier planifier sa protection de l'environnement qui l'entoure puis penser et intégré dans les objectifs de développement sur ces trois piliers.

Conclusion

L'entreprise industrielle en Algérie est lancée dans la révision de ces politiques de gestion et ses stratégies de management, avec l'intégration de l'aspect environnemental et responsable dans ces politiques internes. Plusieurs démarches à entreprendre dans l'avenir, mais le processus parcouru par les entreprise prouve la maturité managériale des décideurs dans les entreprises. En effet, des tentatives individuelles ont marqués leurs présences dans le champ de la communication environnementale. Mais, un engagement sérieux sera établi par une révision législative et sa pratique entrera en vigueur d'une manière divisée. La réalité sociologique de notre analyse prouve que l'entreprise industrielle en Algérie est conscient des procédures qui l'entendre dans l'avenir qui sera proche que pensée, pour cela, la préparation pour la confrontation une nouvelle ère de management sociétale est indispensable parce qu'elle est inévitable.

Bibliographie

Gumuchian, H., & Claude , M. (2000). Initiation à la recherche en géographie, aménagement, développement terroitoriale et environnement. *Chapitre 6: Les méthodes d'échantillonnage et la détermination de la taille de l'échantillon*. Montréal, CANADA: Presses de l'Université de Montréal.

Bampoky, B. (2015). Enjeux et perspectives du pilotage de la RSE pour les entreprises d'une économie en développement. *Revue Congolaise de Gestion, 20*(01), 99-125.

Bouzidi, B. A. (2005). La politique environnementale en Algérie : réalités et perspectives. *DECEHTS-REVUE FRANCOPHONE D'ÉCOLOGIE INDUSTRIELLE*(38).

DAGENAIS, B. (2006). Des modèles utile mais ignorés ; le cas des relations publiques. *communication et organisation, 30*, 148-162.

Ghozzi-Nekhili, Chiraz, E. G.-O., & Labaronne, D. (2015). Normalisation et Responsabilité Sociétale des Entreprises en Tunisie : le rôle des certifications internationales. *recherche en sciences de gestion, 109*(04), 101-124.

Kerzabi, A. (2009). Entreprises, développement et développement durable : Le cas de l'Algérie. *Marché et organisations, 8*(I), 61-77.

Kerzabi, A. (2009). Entreprises, développement et développement durable : Le cas de l'Algérie. *Marché et organisations, 08*(01), 61-77.

Khelladi, M. A. (2003). Les eco-stratégies en Algérie, entre institutions et ressources : essai d'analyse. *Vie et sciences de l'entreprise, 194*(02), 48-71.

Melbouci, L. (2006). L'entreprise algérienne face à quel genre d'environnement ? *Revue des Sciences de Gestion, 234*(06), 75-83.

Mullenbach, A. (2007). L'apport de la théorie des parties prenantes à la modélisation de la responsabilité sociétale des entreprises. *223*(1), 109-120.

ElWahat pour les Recherches et les Etudes Vol.**14** (N°**2**)/ (**2021**) :**15**25-**15**49

El-Wahat for Research and StudiesReview
ISSN : 1112 -7163 E-ISSN: 2588-1892
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2

Les antécédents de la vraie fidélité à la marque : étude empirique sur l'effet des variables relationnelles

The Antecedents of True Brand Loyalty: An Empirical Study on the Effect of Relational Variables

Akkarene Rim[1], Bouda Nabil [2] et Chitti Mohand[3]

1-Faculté des Sciences économiques‹ Commerciales et de Gestion‹ Université de Bejaia‹ r. akkarene@hotmail.fr
2-Faculté des Sciences économiques‹ Commerciales et de Gestion‹ Université de Bejaia, boudanabil@gmail.com
3- Faculté des Sciences économiques, Commerciales et de Gestion, Université de Bejaia, cmohand@hotmail.com

Reçu le: 07/05/2020 Accepté le: 17/12/2020

Résumé :

La présente étude a pour objectif de déterminer les antécédents directs de la fidélité attitudinale, représentée par la notion d'engagement envers la marque. Afin de réaliser ce principal objectif, nous nous sommes penchés sur les variables relationnelles, qui sont déterminées par la littérature marketing à travers la satisfaction, l'attachement et la confiance dans la marque. L'analyse exploratoire et confirmatoire atteste de la fiabilité et la validité des échelles de mesure, et les analyses descriptives et explicatives des résultats, à travers la méthode de la régression nous ont permis de déterminer que c'est la confiance et la satisfaction qui sont les antécédents directs de l'engagement des consommateurs envers l'achat du produit smartphone.

Auteur correspondant Akkarene Rim, rym.akaren@hotmail.com

Mots clés : Fidélité comportementale, engagement, satisfaction, attachement, marque.

Abstract:

The purpose of this study is to determine the direct antecedents of attitudinal fidelity, represented by the notion of brand commitment. In order to achieve this main goal, we looked at relational variables, which are determined by the marketing literature through satisfaction, attachment and trust in the brand. The exploratory and confirmatory analysis attests to the reliability and validity of the scales of measurement, and the descriptive and explanatory analyzes of the results through the regression method, allowed us to determine that it is the trust and the satisfaction, which are the direct antecedents of consumer commitment in the purchase of a smartphone product.

Keywords: behavioral loyalty; commitment; satisfaction; attachment; brand.

1. – Introduction

La fidélité à la marque est un concept qui a toute sa place dans la littérature marketing, il a suscité et suscite toujours de l'intérêt de la part des chercheurs. Depuis 1950, certains auteurs s'y intéressent (Cunningham, 1956), et tentent de comprendre, d'expliquer, de définir et de mesurer la fidélité.

Le grand nombre d'études et de définitions effectuées par les chercheurs fait que, à nos jours, il n'y a pas de consensus sur sa définition et sa mesure. Plusieurs courants de pensée se sont enchaînés afin de clarifier ce concept et d'enrichir encore plus la littérature sur la fidélité à la marque.

En marketing, les auteurs se sont basés sur différentes variables pour expliquer la fidélité à la marque ; Oliver à travers la satisfaction, Morgan et Hunt à travers le concept de confiance et d'engagement, Lacoeuilhe sur la base de la notion d'attachement à la marque. De

cette importance du concept de fidélité, nous nous sommes intéressés au cours de cette étude d'essayer d'apporter des éléments de réponse à la problématique suivante :

Quels sont les déterminants de la fidélité des consommateurs envers la marque ?

Dans cet article, nous allons aborder la fidélité à la marque dans une approche relationnelle, où l'entreprise vise à établir une relation privilégiée entre le client et la marque sur le long terme. La volonté du consommateur de poursuivre cette relation dans le long terme est expliquée par l'engagement, ce concept qu'on trouve partout dans les branches marketing et représente un concept important et capital dans l'explication de la fidélité.

L'objectif de cette étude est de proposer sur la base de la littérature marketing, un modèle théorique mettant en relation l'engagement avec le rachat de la marque. Afin de réaliser cet objectif, nous avons mené une étude quantitative à travers une enquête par sondage sur un échantillon de consommateur, l'objet de cette enquête est le produit smartphone, en utilisant le logiciel SPSS pour l'analyse statistiue des données.

2. Cadre conceptuel de la recherché

L'intérêt des chercheurs pour la fidélité des consommateurs envers une marque est ancien et date du début des années 20. Copeland, sans toutefois utiliser explicitement le terme de fidélité, décrit en 1923 dans Harvard Business Review sous le titre *« Relation of Consumer's Buying Habits to Marketing Methods »* un phénomène qu'il qualifie d'insistance pour une marque (Copéland, 1923). Il est ainsi, le premier à envisager qu'une attitude forte envers une marque puisse influencer le comportement du consommateur.

2.1.- Définitions

Jusqu'à 1960, la fidélité a été étudiée à travers le comportement d'achat du consommateur. Dans son article « *A two – dimensional concept of brand loyalty* » (Day, 1969) insiste sur l'importance du comportement d'achat répété dans la définition de la fidélité, mais en même temps, de son insuffisance pour parler de fidélité à la marque ; il a soulevé la dimension attitudinale de la fidélité et précise que la vraie fidélité existe avant même que l'acte d'achat soit effectué. Autrement dit, la fidélité selon cette auteur existe dans l'esprit du consommateur avant même qu'il l'exprime ;

(Tucker, 1964) dans sa définition de la fidélité à la marque insiste sur la séquence d'achat, et qu'il faut en moins quatre achats consécutifs de la marque pour qu'il y ait fidélité.

En 1973, Jacoby et Kyner donnent la première définition de la fidélité la plus complète de la manière suivante (Waarden, 2001) :

« L*a fidélité est définie comme une réponse comportementale biaisée (car non aléatoire) exprimée dans le temps par une entité de décision, considérant une ou plusieurs marques prises dans un ensemble, en fonction d'un processus de décision* »

Cette définition, qui date de plus de quarante ans, exprime la fidélité comme la réponse comportementale (l'achat) par la notion de choix entre plusieurs alternatives. Elle est aussi expliquée par le processus décisionnel ou le processus psychologique par lequel passe le consommateur afin d'effectuer son évaluation entre les marques et prendre sa décision d'achat.

On peut aussi constater de cette définition qu'un comportement d'achat répété et une attitude positive doivent être observés afin de parler de fidélité.

Dans ce contexte, le comportement d'achat répété est non aléatoire donc biaisé, qui nécessite un contrôle et une observation afin de constater une fidélité.

La réponse comportementale observable (l'achat) ne peut exister que dans un cadre concurrentiel, lorsque le client a le choix entre plusieurs possibilités.

Pour Jacoby et Chesnut, la fidélité est caractérisée par trois conditions (Lichtlé & Plichon, 2008) :

a-Au niveau cognitif, le consommateur a des informations qui démontrent que la marque choisie est bien supérieure à ses concurrentes.

b-Au niveau affectif, le consommateur doit clairement préférer cette marque

c-Au niveau conatif, il doit avoir l'intention de la racheter.

2.2 Les antécédents de la fidélité à la marque

Avant de présenter les différents facteurs expliquant la fidélité à la marque, il est primordial de préciser et de montrer le rôle du concept d'engagement dans l'explication de la fidélité à la marque dans une approche relationnelle.

L'engagement est considéré comme une composante essentielle du marketing relationnel, qui a été introduit pour la première fois dans la littérature scientifique avec les travaux de Berry en 1983 (Durif, Graf, & Ricard, 2009).

Le concept d'engagement est apparu et s'est développé avec la transition d'une approche béhavioriste à une approche cognitiviste. Cette notion trouve son origine dans la psychologie sociale et a été traitée dans plusieurs champs de recherche : la théorie de l'échange social, la théorie des organisations et la théorie des relations interentreprises. Cette abondante littérature conceptualisait généralement l'engagement comme une intention et un désir de continuité de la relation.

L'engagement est décrit comme étant « *le désir de développer des relations stables et une bonne volonté de faire des sacrifices à court terme pour le maintien et la stabilité de la relation* » (Anderson & Weitz, 1989)

Le principal théoricien de l'engagement Kiesler le définit en 1971 comme « *le lien qui existe entre un individu et ses actes* » (Kiesler, Collins, & Miller, 1989). Cette définition intuitive nous permet de constater que d'une part, seuls nos actes nous engagent et que d'autre part, on est engagé à des degrés différents par ses actes.

Dans le contexte de la marque, Gurviez a défini l'engagement comme suit : *« l'engagement du point de vue du consommateur est défini comme l'intention implicite ou explicite de maintenir une relation durable »*.
Il est l'attitude du consommateur envers une marque, sa volonté de poursuivre la relation avec cette marque dans le temps, tout en acceptant de consentir certains efforts

Dans le présent article, l'engagement envers la marque est considéré comme la condition attitudinale de la fidélité, il représente sa mesure attitudinale et l'intention de comportement.

De ce fait, expliquer la fidélité tout en intégrant la notion d'engagement envers la marque a permet de mieux la comprendre à travers ses antécédents cognitifs et affectifs, avec l'influence des variables relatives aux produits. Nous allons aborder dans les paragraphes suivants, les différentes variables qui sont considérées par la majorité des chercheurs comme antécédents de la fidélité du consommateur envers une marque.

2.3.1 La satisfaction

Depuis les travaux d'Oliver (1980), la satisfaction est généralement considérée comme le résultat d'un processus de comparaison entre la performance perçue par le consommateur et ses attentes préalables.
Suivant les recherches antérieures, la satisfaction du consommateur est un état final du processus psychologique. Ses attributs sont définis par les quatre points de vue suivants : 1) un état cognitif, 2) une réaction émotionnelle, 3) une évaluation sur le processus de consommation et 4) un jugement sur la satisfaction constituée en un jugement cognitif et une réaction émotionnelle.

Le concept a été défini comme : « un état affectif provenant d'un processus d'évaluation affectif et cognitif qui survient lors d'une transaction spécifique » (Plichon, 1999). L'auteur avait démontré que

l'introduction des états affectifs ressentis par le consommateur dans le point de vente améliore l'explication du processus de motivation.
Dans une perspective relationnelle, la satisfaction représente « un construit abstrait et cumulatif qui décrivent l'expérience totale de consommation d'un produit ou d'un service » (Jhonson, Anderson, & Fornell, 1995)

La satisfaction et la fidélité à la marque sont inséparables, de nombreuses recherches ont mis en avant la relation qualité-satisfaction-fidélité à la marque. Elle est une condition préalable à l'intention de rachat, qui se traduit par la fidélisation du consommateur et par un bouche-à-oreille favorable à l'entreprise.
La fidélité du consommateur à la marque est censée être plus forte et plus durable lorsqu'elle est due à un engagement affectif, beaucoup plus stable que lorsqu'elle découle d'un engagement cognitif du consommateur, de cette base, le lien entre satisfaction et engagement envers la marque semble être fragile, du fait que la satisfaction semble ne pas empêcher les clients de changer de marque selon Morgan et Hunt, Dufer et moulin en 1989. Ce qui montre que la seule satisfaction ne produit pas d'engagement, mais elle représente une condition nécessaire, mais pas suffisante pour produire une fidélité à long terme selon (Oliver R. , 1999) et Frisou. Nous pouvons ainsi, proposer l'hypothèse suivante :

*H1 : il existe une relation positive entre la satisfaction du consommateur envers la marque et son engagement envers cette marque***.**

2.3.2 La confiance dans la marque

La confiance a été largement étudiée dans les échanges inter organisationnels et a acquis une importance dans le maintien et la flexibilité des échanges relationnels.

La confiance est définie comme : « l'ensemble des activités dont l'objectif est d'établir, de développer et de maintenir des échanges relationnels performants » (Morgan & Hunt, 1994)

Cette variable est considérée aussi dans les travaux de (Berry, 1995) comme *« le fondement de la fidélité* »

Selon (Chouk, 2005), la première conception explique la confiance comme *« une attente cognitive ou un sentiment affectif », de cette définition, on peut distinguer deux composantes de la confiance envers la marque : une composante cognitive qui* représente l'évaluation des informations dont dispose le consommateur, afin de juger la marque sur ses performances et de sa capacité à le satisfaire.

Selon (Gurviez & Korchia, 2002), cette conception consiste en un état psychologique qui apparait en amont de l'intention, qui peut aussi se traduire par une présomption, ou une attente, d'une manière générale, elle reflète la crédibilité perçue de la marque.

La composante affective est exprimée à travers un état émotionnel représenté par la bienveillance, c'est-à-dire la prise en compte des intérêts et du bien-être de l'autre partie (Ganesan, 1994). Elle représente une dimension plus relationnelle que la crédibilité. C'est l'estimation faite par le consommateur des motivations de la marque envers lui. Cette composante est représentée dans les recherches marketing par la bienveillance, il est plus facile d'attribuer la notion de loyauté et d'honnêteté à une marque par rapport à la notion de bienveillance.

Parlant de la relation confiance-engagement, ce dernier peut être considéré comme une conséquence directe de la confiance, la relation entre les deux variables est devenue depuis les travaux de (Morgan &

Hunt, 1994), le modèle cognitif de référence du marketing relationnel, modèle qui a été repris et enrichit par plusieurs chercheurs. Son apport dans l'explication et la compréhension du comportement du consommateur se résume dans le fait que la variable confiance encourage l'engagement du consommateur dans une relation durable avec la marque, réduit son incertitude et favorise son comportement d'achat, d'où est tirée notre deuxième hypothèse :

H2 *: il existe une relation positive envers la confiance dans la marque et l'engagement du consommateur envers celle-ci.*

2.3.3L'attachement à la marque

L'attachement à la marque se définit comme une variable psychologique qui traduit une relation affective durable et constante envers la marque et qui exprime une relation de rapprochement psychologique avec celle-ci (Lacoeuilhe & Bélaid, 2007).

On peut expliquer l'existence d'un attachement à la marque par le rôle de celle-ci dans le maintien de l'identité du consommateur, car la marque peut être décrite comme un système identitaire et considérée comme un moyen de communication avec les autres. Aussi, elle constitue un repère par rapport à soi-même, à travers la marque le consommateur communique et exprime son concept de soi et réponds à travers elle à un besoin d'équilibre, dont la mesure où elle exprime des valeurs en cohérence avec celle du consommateur.

Selon (Lacoeuilhe, 2000) l'attachement peut être considérée comme «*une variable psychologique qui traduit une réaction affective durable et inaltérable (la séparation est douloureuse) envers la marque, et qui exprime une relation de proximité psychologique avec celle-ci* ».

Pour (Fournier, 1998) l'attachement est l'une des trois composantes-clefs de la qualité de la relation à la marque (brand relationship quality, BRQ), il montre à travers des interviews en profondeur avec

les consommateurs que la qualité de la relation à la marque BRQ détermine la stabilité et la durabilité de la relation avec la marque.

Aussi, Lacoeuilhe dans sa recherche teste la validité prédictive de l'échelle de mesure du concept d'attachement dans le but d'estimer l'aptitude de ce dernier à prédire la valeur de l'engagement. Il a démontré que l'attachement à la marque n'a pas d'effet direct sur le comportement répétitif d'achat à l'égard de celle-ci. Il n'agit sur la fidélité qu'à travers l'engagement, ce qui nécessite de vérifier l'hypothèse suivante :

H3 : *l'attachement à la marque influence positivement l'engagement du consommateur envers celle-ci.*

À la lumière de ces considérations théoriques, qui prennent en considération le concept d'engagement dans l'explication de la fidélité à la marque, la fidélité du consommateur envers la marque est considérée lors de cette recherche comme l'engagement du consommateur envers la marque et la confirmation de cette intention de fidélité par un comportement effectif et répétitif d'achat.

À cette issue, nous pouvons formuler une quatrième hypothèse testant le lien entre l'aspect intentionnel de la fidélité (engagement) et la vraie fidélité comme suit :

H4 : l'engagement du consommateur influence positivement le comportement répétitif d'achat de la marque (rachat de la marque)

Les différents antécédents de la fidélité à la marque, qui sont retenus dans cette recherche, à travers le modèle suivant :

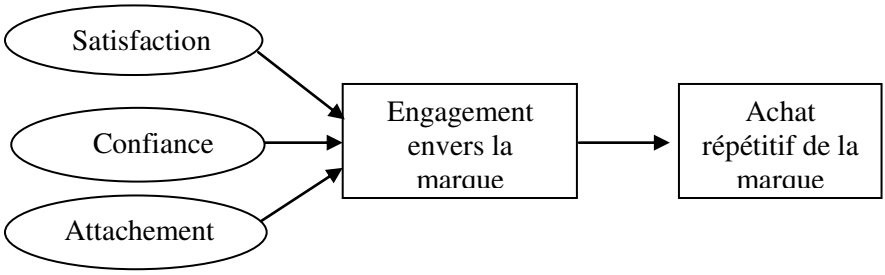


Figure I : modèle représentant les antécédents de la fidélité à la marque

3- Méthodologie de la recherche :

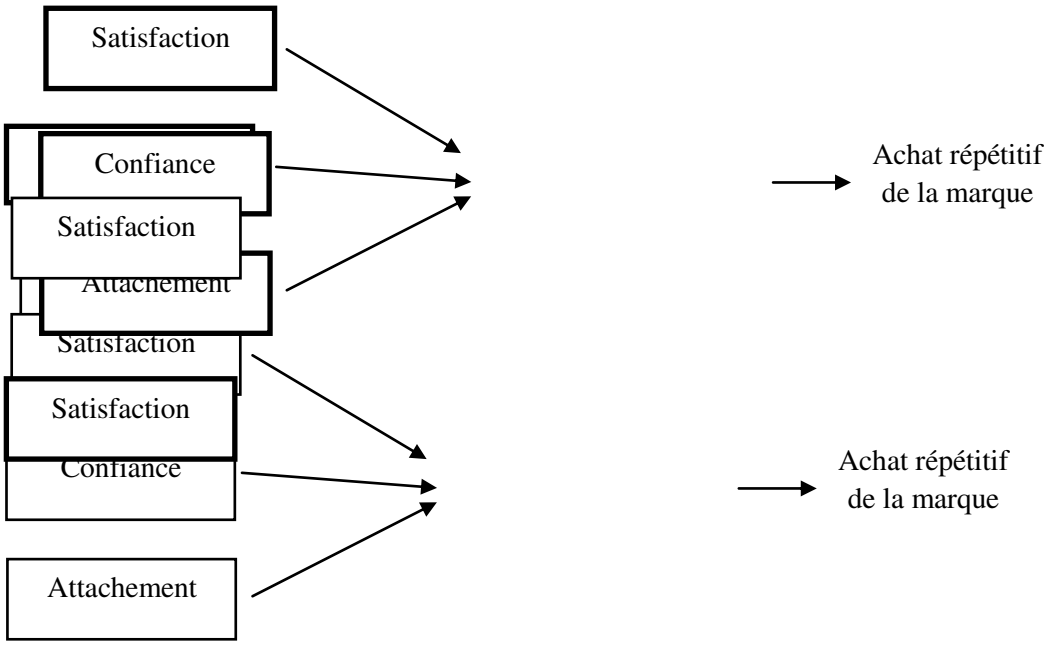
Afin d'expliquer l'effet des différentes variables sur l'engagement et sur la fidélité comportementale, nous avons suivi la méthodologie suivante :

3.1 La mesure des variables de l'étude

Les variables de notre modèle, telles qu'elles étaient présentées et expliquées, ont été mesurées à travers différentes échelles développées par les chercheurs et selon l'échelle de Lickert à 5 points.

Pour la fidélité à la marque, nous avons utilisé une mesure comportementale à travers la fréquence d'achat de cette marque. La deuxième mesure de la fidélité à la marque est relationnelle, à travers la notion d'engagement.

Le concept d'engagement a été mesuré à travers ses conséquences, en utilisant l'échelle développée par (Terasse, 2006) dans sa recherche, cette échelle englobe la résistance du consommateur à la hausse des prix de la marque, l'effort consenti afin de se procurer la marque, ainsi que la réaction de ce dernier à la présence ou à la disparition de la marque (7items).



Concernant les autres variables, la satisfaction a été mesurée par l'échelle (Oliver R. L., 1980) à 4 items, pour la confiance à la marque, nous avons utilisé l'échelle de (Gurviez & Korchia, 2002) à trois dimensions : la crédibilité avec 3items, la bienveillance à travers deux items et l'intégrité comportant 3 items.

L'échelle utilisée pour mesurer le concept d'attachement, qui représente l'antécédent affectif de la fidélité à la marque, est celle développée par (Lacoeuilhe, 2000). Il s'agit d'une échelle unidimensionnelle à 4 items.

3.2 Échantillon et déroulement de l'expérimentation

Notre enquête a été effectuée à l'aide d'un questionnaire comportant trois parties correspondant à trois thèmes : le premier décrit d'une manière générale l'achat du produit télephone intelligent, la qualité et

le prix lors de cet achat, la dernière marque qui a été achetée, ainsi que la notoriété des marques existantes sur le marché.

Le deuxième thème traite uniquement la description de l'achat de la marque possédée par le consommateur, et comporte les items mesurant l'engagement du consommateur, sa confiance, attachement, satisfaction envers cette marque, le troisième thème comporte la fiche signalétique, afin de décrire notre échantillon.

Nous avons administré le questionnaire à un échantillon de 300 consommateurs qui ont déjà effectué l'achat d'un smartphone, au niveau de la Wilaya de Bejaia. Nous avons eu recours à un échantillon non probabiliste de convenance, vu la difficulté d'opter pour un échantillon probabiliste (par manque de moyens et de temps nécessaire). L'étude était réalisée au cours du dernier trimestre de l'année 2019.

4.- Discussion et analyse des résultats

4.1 Validation des échelles de Mesure

La première étape du traitement des données était d'abord le test des échelles mesurant les différentes variables de notre modèle théorique, et ce, à travers une analyse factorielle en composante principale (ACP), suivie du calcul du coefficient de l'alpha de Cronbach pour vérifier la fiabilité de ces différentes échelles.

Pour l'échelle de mesure de la confiance à la marque, tous les items de cette dernière sont conservés pour l'analyse, suite à une variance expliquée à 64,798 %. L'indice KMO qui indique dans quelle proportion les variables retenues forment un ensemble cohérent et mesure de manière adéquate un concept est calculé à 0,723, ainsi que le coefficient alpha de Cronbach à 0,776, qui permet de garder tous les items de cette échelle.

Pour l'attachement, l'échelle unidimensionnelle à quatre items, avec une variance expliquée à 63,509 %, un indice KMO à 0,672 et un

alpha de Cronbach à 0,799, donc cette échelle présente une fiabilité de cohérence interne acceptable.

Pour la satisfaction, nous avons effectué deux analyses factorielles vu que les variables n'arrivaient pas à expliquer la variance totale à plus de 50 %, le résultat est une échelle unidimensionnelle à deux items, avec indice KMO à 0,682, variance totale expliquée à 79,474 %, et une fiabilité estimée à 0,741.

Pour l'échelle de la variable à expliquer (l'engagement), nous avons procédé à la purification de l'échelle, qui est utilisé avec 7 items, indice KMO à 0,687, une variance totale expliquée à 58,429 %, et une fiabilité estimée à 0,590.

4.2 Analyse descriptive

Nous allons commencer par décrire notre échantillon selon la variable sexe, âge, revenu des consommateurs.

- ✓ D'après l'analyse descriptive des données qu'on a pu récolter, nos interviewés sont partagés entre 62 % de sexe masculin et 38 % consommateur de sexe féminin, pour l'âge, 85 % font partie des tranches d'âge entre 31 ans et 45 ans, et plus de 45 ans, et 25 % pour les moins de 30 ans. D'autre part, l'échantillon a été dominé par les consommateurs qui perçoivent un salaire de plus de 50 000 DA avec un pourcentage de 33 %, 29 % pour la tranche de revenu entre 15000 DA et 35000 DA, 26 % et 12 % pour les tranches de revenu entre 36000 DA et 50000 DA et moins de 15000 DA respectivement.

- ✓ Pour les marques de smartphone que le consommateur possède, nous avons constaté que 30 % pour la marque Samsung, 18 % pour la marque Huwewi, la marque Condor et Wiko à égalité avec 15,3 %, même résultat pour les deux marques Apple et Oppo avec un pourcentage de 11,7 %, suivie par Lenovo 9,3 % et Sonny à 6,7 %. Le pourcentage restant est partagé entre d'autres marques qui existent sur le marché.

✓La notoriété spontanée qui est si importante, et qui représente pour l'entreprise une source d'information sur le taux de notoriété de sa marque sur le marché, car, le premier souci de chaque entreprise est de faire connaître ses produits avant toute autre action.

La marque de smartphone qui a obtenu le plus de fréquence ou le taux de notoriété le plus élevé est la marque Samsung avec un taux de 87,80 %, suivie par la marque LG à 71,10 %.

À la 3^{e} place se trouve la marque Apple à 61,50 % de taux de notoriété, suivie par le Chinois Huawei à 55,7 %. Un bon score de notoriété, surtout spontanée, est le gage d'une bonne connaissance des produits de la marque par son consommateur, ce n'est pas une preuve ou un gage automatique d'achat, mais plutôt une condition nécessaire du succès de la marque.

À la 5^{e} place se trouve la marque nationale Condor (52,60 %), suivi par Wiko et Oppo avec des taux de notoriété de 47,90 et 43,50 % respectivement. La marque nationale Iris avec a obtenu le score le plus faible avec 15,60 %, ce qui montre que cette marque nécessite des efforts de la part ses managers et de l'équipe marketing afin de la faire mieux connaître auprès des consommateurs et qu'elle puisse intégrer, en premier lieu, l'ensemble des marques connues par ces derniers. Car, la notoriété s'acquiert par la puissance d'exposition qui s'obtient généralement par la publicité dans les médias, et la durée d'exposition.

✓Concernant les facteurs influençant l'achat de ce type de produit, nous avons proposé six possibilités de réponses avec choix multiple aux consommateurs, qui ont enregistré les réponses suivantes :

Tableau I : facteurs influençant la décision d'achat du consommateur

Désignation	Effectifs	Pourcentage
l'expérience	144	48
La qualité	174	58
La publicité et les médias	78	26
La marque	205	68
Conseils de l'entourage	151	50
Autres facteurs d'influence	47	16

Source : traitement SPSS

D'après analyse de ces résultats, l'importance du rôle de la marque se confirme dans ce type d'achat, elle représente un repère dans ce marché, donc, elle doit faire partie de la démarche stratégique de l'entreprise. Ce premier facteur d'influence a été suivi par la qualité comme deuxième facteur, ce qui représente une certaine logique dans les réponses des consommateurs, puisque la qualité fait partie des valeurs tangibles de la marque et qui se concentrent autour du produit.

✓Les conseils provenant de l'entourage du consommateur et aussi son expérience avec la marque et le produit ont enregistré une influence moyenne lors de ses achats et le choix des marques. L'expérience personnelle de l'individu avec le produit ou la marque joue un rôle très important dans ses futurs achats et dans la formation de ses opinions, jugements et attitudes. Ces dernières qui représentent le meilleur moyen de prédiction du comportement futur des consommateurs, et une source d'information dans l'élaboration des stratégies marketing de l'entreprise, dans la conception de ses produits ainsi que l'élaboration de son mix-marketing.

✓Cependant, la publicité et les médias n'ont pas une grande influence sur la décision du consommateur d'acheter ou non telle ou telle marque de smartphone, car, la publicité est un moyen d'éveil du besoin, et vu que l'achat d'un smartphone est un achat avec une implication relativement

élevée, cela veut dire que le consommateur cherche beaucoup plus d'information avant de prendre la décision d'achat ;

✓En dernier, nous constatons que les autres facteurs, par exemple, ce qui a était cité par les consommateurs : l'avis des vendeurs, la promotion faite par les commerces, n'ont pas beaucoup d'importance en termes d'influence et d'orientation du choix des consommateurs, ce qui montre que ces derniers prennent leurs temps avant de passer à l'acte d'achat.

4.3 Corrélations et modèle de régression

4.3.1 Explication de l'engagement par ses antécédents

Le calcul du coefficient de corrélation permet de donner une mesure synthétique de l'intensité de la relation entre deux variables, il nous donne ainsi, des informations sur l'existence d'une relation linéaire (sous forme d'une droite) entre les deux variables considérées.

Tableau II : Les coefficients de corrélation entre les variables de l'étude

	Engagement	Confiance	Attachement	Satisfaction
Engagement	1	, 755	, 342	, 761
Confiance	, 755	1	, 510	, 674
Attachement	, 342	, 510	1	, 605
Satisfaction	, 761	, 674	, 605	1

Source : traitement SPSS

À travers cet examen des corrélations effectué au-dessus, nous pouvons accepter les hypothèses qui supposaient que la satisfaction, l'attachement et la confiance ont une relation positive avec le concept d'engagement (Valider H1, H2et H3). Ce qui peut être observé, aussi, à partir du tableau, c'est la relation entre l'engagement et la satisfaction, qui est plus fort en comparant la relation existante entre la variable dépendante et la confiance et surtout avec l'attachement (coefficient de corrélation le plus faible)

Afin de déterminer qu'elle variable indépendante détermine le plus, ou, participe le plus dans la formation du concept d'engagement envers la marque, nous allons essayer dans une deuxième étape, d'effectuer une régression multiple, le type de régression utilisée est la régression multiple hiérarchique.

Les variables sont entrées une à une ou par groupe de variables. La variance commune à plusieurs variables est attribuée séquentiellement selon l'ordre d'entrée des variables.

Grâce à cette méthode, on cherche à estimer si et jusqu'à quel point une variable indépendante ou un groupe de variables indépendantes ajoute à la prédiction, au-delà des autres variables déjà dans l'équation (Durand, 1997).

Ce type de régression permet de connaître la contribution ajoutée d'une ou de plusieurs variables.

Nous avons fait entrer en premier les deux variables possédant les coefficients de régression les plus élevés (satisfaction et confiance), ensuite, nous avons en deuxième étape fait entrer l'attachement avec la satisfaction, et en dernier les trois variables à la fois, au même moment, une vérification des conditions d'application de la régression a été faite[i].

Les caractéristiques du modèle sont présentées dans le tableau suivant :

Tableaux III : Explication de l'engagement par ses antécédents directs

Modèle	R	R deux	R deux ajusté	Erreur standard de l'estimation	Variation du R deux
1	, 790	, 665	, 662	, 52369	, 665
2	, 687	, 601	, 590	, 50896	, 064

Source : Traitement SPSS

Tableau IV : Variable exclue selon la régression hiérarchique

Modèle	Bêta in	T	Sig.	Corrélation partielle
Attachement	, 150	5,695	, 000	, 128

Source: Traitement SPSS

D'après les résultats affichés dans le premier tableau qui résume les indicateurs de qualité du modèle et les coefficients de régression des deux modèles, nous pouvons

dire que le coefficient de régression pour le modèle incorporant la confiance dans la marque et la variable satisfaction envers la marque est 0,790 et il est de 0,687 pour le modèle qui englobe les trois variables.

Pour le coefficient de détermination le R - deux, il est de 0,665 pour le premier modèle et d'une valeur de 0,601 pour le deuxième modèle, avec une variation de 0,064 entre le deuxième et le premier.

L'analyse des données selon cette méthode a suggéré d'exclure la variable attachement du modèle d'explication de l'engagement envers la marque par ses déterminants directs, ceci, en raison de sa corrélation partielle[ii] qui est faible (0,128) et malgré que le p<5 %.

Ce qui veut dire finalement que, l'introduction de l'attachement comme variable explicative dans le modèle a une faible influence sur cette corrélation.

Donc, l'engagement est expliqué par deux antécédents directs, qui sont présentés dans l'équation suivante :

$$Engagement = f\,(satisfaction, Confiance)$$

4.3.2 Explication du rachat de la marque par l'engagement

Afin de valider ou non la 4^{e} hypothèse formulée pour répondre à notre problématique, nous avons testé cette relation entre engagement du consommateur et sa fidélité comportementale. Les résultats de la régression sont les suivants :

Tableau V : Indicateurs de qualité du modèle

Modèle	R	R deux	R deux ajusté	Erreur standard de l'estimation	Variation du R deux
1	, 495	, 328	, 327	, 74439	, 167

Source : Traitement SPSS

À travers ces indicateurs (R deux = 0,328) nous pouvons préciser que l'engagement envers la marque possède une force d'explication moyenne, autrement dit, l'engagement explique 32,8 % des variations dans le comportement répétitif d'achat d'une marque par le consommateur. Si l'engagement varie d'une unité, la fidélité béhavioriste du consommateur vis-à-vis de la marque varie avec 0,328 unité. Ceci est expliqué également par le coefficient de corrélation estimé à 0,495, ce qui montre la relation positive entre la variable dépendante (le rachat de la marque) et la variable explicative (engagement), qui valide la dernière hypothèse émise. Le pourcentage restant est expliqué par la participation d'autres variables dans l'explication de cette fidélité comportementale.

5. – Conclusion

À l'issue de cette étude, et afin d'expliquer la fidélité et l'engagement envers la marque, nous avons pu valider le modèle théorique de l'étude et tester les hypothèses proposées.

Cette validation s'était faite à travers le test de la relation du concept d'engagement, qui représente la facette relationnelle de la fidélité à la marque, avec trois attitudes reconnues par la littérature marketing comme antécédents directs de l'engagement.

La première analyse des corrélations a confirmé l'existence de ces liens positifs, sauf que la méthode explicative a proposé un modèle composé des deux antécédents directs qui sont la satisfaction et la confiance, et a écarté l'attachement de cette formation directe de l'engagement envers la marque. Ceci peut être expliqué par la nature du produit étudié ; le smartphone est un produit à forte implication vu sa valeur ainsi que sa fréquence d'achat. Autrement dit, lors de l'achat de ce type de produit, le consommateur tentera de choisir le produit offrant une valeur perçue la plus élevée, son choix dépend de la qualité des offres existantes sur le marché et des différentes alternatives qui s'offre à lui, lorsque les produits des concurrents sont plus avantageux, le consommateur changerait de marque ou d'entreprise. Néanmoins, si aucune offre ne semble lui offrir plus de bénéfices, le consommateur est contraint de continuer dans sa relation avec la marque bien qu'il ne ressent pas un attachement et un fort lien affectif.

6. – Références

- Anderson, E., & Weitz, B. (1989). determinants of continuity in conventional industrial channel dyads. *Marketing science, 8*(4), p310-321.
- Berry, L. L. (1995). Relationship marketing of services —growing interest, emerging perspectives. *Journal of the Academy of marketing science*(23), 236-245.
- Chouk, I. (2005). *les déterminants de la confiance en marketing : panorama, questions en suspens et pistes de recherche.* Université Paris Dauphine. centre de recherche DMSP.
- Copéland, M. (1923). *Relation of consumer's buying habits to marketing method.* Harvard Business Review 1.
- Cunningham, R. M. (1956). Brand loyalty-what, where, how much? *Harvard Business Review, 34*(1), pp. 116-128.
- Day, G. S. (1969). A two dimensional concept of brand loyalty. *Journal of advertising research;, 9*(3), p 29-35.
- Derbaix, C., & Brée, J. (2000). *Comportement du consommateur : présentation de textes choisis.* Paris: Economica.
- Durand, C. (1997). *Analyse de la régression multiple.* (D. d. sociologie, Éd.) Récupéré sur Université de Montréal: http://www.mapageweb.umontreal.ca/durandc/Enseignement/Methodes Quantitatives/REGRES.pdf
- Durif, F., Graf, R., & Ricard, L. (2009). Twenty five years after Berry, where does relationship marketing stand? *Actes de la 38ème conference de l'European marketing Academy EMAC.*
- Fournier, S. (1998, June). Consumers and Their Brands : Developping Relationship Theory in Consumer Research. *Journal of Consumer Research, 24*, 343-373.
- Frisou, J. (2005). Une approche tendantielle du comportement de fidélité : du concept à sa mesure. *Recherche et Application en Marketing, 20*(2), p. 104-125.
- Ganesan, S. (1994). Determinats of long-term orientation in buyer-seller relationship. *Journal of Marketing, 58*(2), p.1-19.
- Gurviez, P., & Korchia, M. (2002). Proposition d'une échelle de mesure multidimensionnelle de la confiance dans la marque. *Recherche et application en marketing, 17*(3).
- Jhonson, M. D., Anderson, E. W., & Fornell, C. (1995). Rational and adaptative performance expectations in a customer satisfaction Framework. *journal of consumer research, 21*, 695-707.
- Kiesler, C. A., Collins, B. E., & Miller, N. (1989, Mars 27). Attitude Change: a critical analysis of theoritical approaches. *This Week's Citation Classic, 13*. New York: Academic Press. Consulté le Janvier 13, 2018, sur http://garfield.library.upenn.edu/classics1989/A1989T669600001.pdf

- Lacoeuilhe, J. (2000). L'attachement à la marque: Proposition d'une échelle de mesure. *Recherche et Application en Marketing, 15*(4), p. 61-77.
- Lacoeuilhe, J., & Bélaid, S. (2007). Quelle mesure pour l'attachement à la marque ? *Revue française du marketing, 213*(3/5), 8.
- Lichtlé, M. C., & Plichon, V. (2008). Mieux comprendre la fidélité des consommateurs. *Recherche et application en marketing, 23*(4), p. 126.
- Lutz, R. J. (1991). the role of Attitude theory in marketing. Dans T. S. Robertson, & H. H. Kkassarjian, *in perspectives in consumer behavior* (éd. 4, p. 317-339).
- Morgan, M. R., & Hunt, D. S. (1994). The commitment trust theory of relationship marketing. *journal of marketing, 58*(3), p.20-38.
- Oliver, R. (1999). Whence Consumer Loyalty? (F. I. Marketing, Éd.) *Journal of marketing, 63*, p.33-44.
- Oliver, R. L. (1980). Acognitive Model of the antecedents and consequences of Satisfaction Decisions. *Journal of Marketing Research, 17*(4), p.460-469.
- Plichon, V. (1999, Janvier). Analyse de l'influence de la satisfaction des états affectifs sur le processus de satisfaction dans la grande distribution. *thèse de doctorat en sciences de gestion*. (U. d. Bourgone, Éd.)
- Terasse, C. (2006). L'engagement envers la marque, Proposition d'un modèle théorique et application à la comparaison de la fidélité aux marques nationales et aux marques de distributeurs. *thèse de doctorat*. Paris: École des hautes études Commerciales.
- Tucker, W. T. (1964). The Development of Brand Loyalty. (A. m. association, Éd.) *Journal of marketing research, 1*(3), p.32-35.
- Waarden, L. M. (2001). *la fidélisation client, stratégies, pratiques et efficacité des outils du marketing relationnel.* Paris: Vuibert.

Annexes

Annexe N° 1 : Échelles de mesure des variables de l'étude

Confiance dans la marque (Gurviez et Korchia, 2002)
Les produits de cette marque m'apportent de la sécurité (Crédi1)
J'ai confiance dans la qualité des produits de cette marque (Crédi2)
Acheter des produits de cette marque est une garantie (Crédi3)
Cette marque est sincère vis-à-vis des consommateurs (INTG1)
Cette marque est honnête vis-à-vis de ses clients (INTG2)
Cette marque montre de l'intérêt pour ses clients (INTG3)
Je pense que cette marque renouvelle ses produits pour tenir compte des progrès de la recherche (BIENV1)
Je pense que cette marque cherche continuellement à améliorer ses réponses aux besoins des consommateurs (BIENV2)
Attachement à la marque (Lacoeuilhe, 2000)
J'ai beaucoup d'affection pour cette marque
Je suis très lié et attaché à cette marque
Cette marque me procure beaucoup de joie et de plaisir
Je trouve un certain réconfort à acheter ou à posséder cette marque
Satisfaction (Oliver 1980)
Je suis satisfait du smartphone que j'ai acheté
Choisir ce smartphone fut un bon choix
Je me sens coupable d'avoir acheté cette marque
Acheter cette marque de smartphone, c'était ce qu'il fallait faire.
Engagement (Terrasse, 2006) (fidélité relationnelle)
C'est important de savoir que je peux toujours acheter cette marque
Si cette marque disparaissait, ça m'embêterait beaucoup
Si je ne trouvais pas cette marque dans mon magasin habituel, j'essayerais de la trouver dans un autre magasin
Imaginons maintenant que la marque augmente ses prix (…) Je changerais immédiatement de marque
Je suis prêt à payer un peu plus cher pour cette marque
Si cette marque disparaissait, ça me laisserait indifférent
Si je ne trouve pas cette marque, je préfère en général attendre plutôt que d'acheter une autre marque
Fidélité comportementale
Lors de mon prochain achat, je suis sûr(e) que je rachèterai cette marque
Globalement on peut dire que je suis fidèle à cette marque

Renvois :

[i]Les conditions d'application d'une régression sont : la linéarité du phénomène mesuré, la variance constante du terme d'erreur ou homoscédasticité, l'indépendance des termes d'erreur et en fin, la normalité de la distribution du terme d'erreur.

[ii] La corrélation semi-partielle dans la régression standard représente la contribution unique d'une variable à l'explication de la variable dépendante, compte tenu des autres variables présentes.

ElWahat pour les Recherches et les Etudes Vol.**14** (N°**2**)/ (**2021**) :**15**50-**15**74

El-Wahat for Research and StudiesReview
ISSN : 1112 -7163 E-ISSN: 2588-1892
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/2

La stratégie de libération du pétrole en Algérie, de l'indépendance à la nationalisation 1962-1971

The petroleum liberation strategy in Algeria from independence to nationalization 1962-1971

HIMED Messaoud [1], BELIL Mohamed [2]

1- Faculté des sciences humaines et sociales, Département d'histoire, Laboratoire d'études historiques et archéologiques en Afrique du Nord**,** universite Ibn khaldoun **,**Tiaret **,** messaoud.himed@univ-tiaret.dz
2- Faculté des sciences humaines et sociales, Département d'histoire, Laboratoire d'études historiques et archéologiques en Afrique du Nord**,** universite Ibn khaldoun **,**Tiaret**,** belilmed2@gmail.com

Reçu le: 10/05/2020 Accepté le: 03/10/2021

Résumé :

L'étude vise à mettre en évidence la stratégie algérienne dans la libération du pétrole depuis l'indépendance de l'Algérie jusqu'à l'objectif de la nationalisation du pétrole le 24 février 1971. Nous abordons également les mesures prises par le gouvernement algérien dans la gestion de son conflit pétrolier contre la France, et les défis auxquels l'Algérie est confrontée depuis l'adhésion à l'Organisation des pays exportateurs de pétrole et le transfert du différend pétrolier à la Cour internationale de justice.les résultats de cette recherche se résument dans le succès de la stratégie algérienne dans la gestion du conflit pétrolier grâce à l'activité diplomatique et le rôle pionnier joué par l'Algérie dans l'Organisation des pays exportateurs de pétrole(O.P.E.P). Et en se dressant face à la domination occidentale des

richesses des pays en développement, la France a finalement succombé aux décisions souveraines de l'Etat algérien**.**

Mots-Clés : la strategie Alerienne, le conflit petrolier , France , domination , nationalisation

Abstract: The study aims to highlight the Algerian strategy in the liberation of petroleum since the independence of Algeria until the objective of the nationalization of petroleum on February 24, 1971. We also discuss the measures taken by the Algerian government in the management of its oil conflict against France, and the challenges that Algeria has faced since joining the Organization of the Petroleum Exporting Countries and the transfer of the oil dispute to the International Court of Justice. research can be summed up in the success of the Algerian strategy in managing the oil conflict thanks to diplomatic activity and the pioneering role played by Algeria in the Organization of the Petroleum Exporting Countries (OPEC) and standing up against the Western domination of the wealth of the developing countries, France finally succumbed to the sovereign decisions of the Algerian State .

KEYWORDS: France ,Petroleum conflict , Algerian strategy , nationalization , domination

1.- Introduction :

L'indépendance de l'Algérie en 1962 d'un colonialisme français qui a duré 132 ans a eu une répercussion qui a laissé son empreinte sur les affaires de la vie algérienne en général et sur l'aspect économique en particulier, car la France tenait dans les accords d'indépendance "Accords d'Evian" à perpétuer l'hégémonie française sur les aspects économiques et militaires de l'Algérie en particulier, ce qui l'a déstabilisé. En ce qui concerne le secteur pétrolier algérien, même après l'indépendance, à une époque où ce secteur était l'épine dorsale des plans et des programmes de construction et de développement économiques que l'Algérie avait prévus dans les premières années de l'indépendance, ces années qui ont vu le contrôle français du secteur pétrolier algérien ont été marquées par les tentatives algériennes de récupérer cette richesse de grande importance pour l'Algérie et de parvenir à une

indépendance politique complète avec une indépendance économique totale par rapport à la société coloniale française,

D'où l'importance de cette recherche, qui s'inscrit dans le cadre de la stratégie de libération du pétrole en Algérie, de l'indépendance à la nationalisation. Il ne fait aucun doute que l'indépendance de l'Algérie a donné l'occasion au gouvernement français de s'occuper de ses problèmes internes, surtout après qu'il se soit débarrassé de la guerre d'Algérie, qui lui a coûté cher, tout en maintenant la présence française dans le même temps. En Afrique, en liant les pays africains aux relations politiques, économiques et militaires avec la France, d'où la vision française de l'indépendance de l'Algérie, il veut geler l'indépendance dans la mesure où il lui est permis de dominer l'économie algérienne. La France considère l'Algérie comme un pays ayant une position stratégique dans les pays africains. Ces données ont donc eu un impact pour pousser la France à changer son ancien style colonial en un nouveau style à la hauteur de la situation en Algérie. D'une part, De Gaulle, le président français a vu la nécessité de préserver les intérêts français en Algérie comme une clé pour le succès de la politique française envers les pays du monde, donc la politique française visant à lier l'Algérie à la France économiquement et politiquement, à un moment où l'Algérie soulignait l'importance de se débarrasser des restrictions imposées par les "accords d'Evian", en particulier en ce qui concerne la richesse pétrolière où la politique actuelle n'était pas clair dans les années suivant l'indépendance politique.

Et après que les responsables algériens aient réalisé que les promesses qu'ils avaient faites concernant les processus de développement et d'aménagement sont devenues une impasse à laquelle on ne peut plus échapper, ce qui explique que la taille des responsables algériens dans la prise de toute décision à cet égard a été affectée par les promesses que la France s'est faite sur elle-même de contribuer à la développement du pays et de lui permettre d'obtenir des prêts adéquats pour cela, et ces promesses n'étaient qu'un calme temporaire destiné à localiser les blessures et les douleurs qu'elles ont laissées dans le corps et la conscience du peuple algérien. En outre, la France, même dans le domaine de la recherche, de l'exploration et de la prospection pétrolière, a complètement cessé et est devenue une politique de Saignée continue du pétrole algérien, profitant des

conflits politiques internes, alors que le pétrole était de la plus haute importance pour le développement économique de l'Algérie après l'indépendance, Assurer la poursuite de la commercialisation du pétrole algérien sur le marché mondial était l'une des considérations nécessaires de l'économie nationale à la veille de l'indépendance, et ce n'était pas alors un marché ouvert pour l'Algérie à commercialiser le pétrole en France et en Europe occidentale en général, la question du pétrole avait donc le plus grand poids dans les calculs de la politique française envers l'Algérie à l'indépendance, surtout depuis que le gouvernement algérien, s'est abstenu d'accorder de nouveaux contrats de concession et nous pouvons ici découvrir l importance du pétrole après l'indépendance, et à travers ce que nous avons mentionné, notre recherche vise à mettre en évidence les défis économiques que l'Algérie a dû relever au lendemain de l'indépendance, en particulier dans le domaine du pétrole, et les plans qu'elle a mis en place pour faire face aux pressions françaises et les incarner sur le terrain, et de traiter en fin de compte les résultats du conflit pétrolier franco-algérien .Sur la base de ce que nous disions, nous présentons la problématique principale suivante :

Comment la stratégie algérienne s'est-elle concrétisée dans la libération du pétrole des restrictions françaises ? Et quels sont les mécanismes que le gouvernement algérien a utilisés pour récupérer ses richesses pétrolières ? Comment c'est terminée la crise pétrolière franco-algérienne?

Et pour aborder la question, nous nous sommes appuyés sur les méthodologies historiques et descriptives que nous avons utilisées pour décrire et présenter les faits, et les événements historiques, une description chronologique croissante depuis l'indépendance de l'Algérie jusqu'à l'objectif de nationalisation de sa richesse pétrolière, et nous avons utilisé la méthode analytique pour étudier diverses questions liées au sujet et les analyser objectivement et ajouter l'approche statistique ceci est cohérent avec les caractéristiques économiques du sujet. nous avons également utilisé les documents d'archives du ministère français des Affaires étrangères servant le sujet et les avons ajoutés à la fin de l'étude en annexes .

Quant au plan général de la recherche, il se présente comme suit:

1. Introduction à la recherche .

2 Les premières découvertes du pétroles en Algérie .
3-les mécanismes et les moyens utilisés par la France pour l exploitations du pétrole en Algérie .
4- La stratégie algérienne pour mettre fin à la domination pétrolière française .
4.1.- Fondation et expansion de la société So.na.tra.ch .
4. 2.- Règlement des contentieux pétroliers devant la Cour internationale de justice .
4.3.- une intense activité au sein de l'0.P.E.P.
5.- Nationalisation du pétrole algérien .
6.- Conclusion .

2-Les premières découvertes du pétroles en Algérie :

Les premières tentatives de recherche de pétrole en Algérie remontent au 19e siècle, alors que la France commença en 1870 à rechercher la possibilité de la présence de pétrole en Algérie, et ces tentatives se concentrèrent dans les régions du nord où des poussées de pétrole apparurent au-dessus de la surface. de la terre, cependant ces efforts n'ont abouti qu'à l'extraction de petites quantités de pétrole, c'est le manque de sérieux et de régularité de ces efforts qui ont été faits pour trouver du pétrole, car ils n'étaient pas soutenus par des moyens techniques modernes, en plus du manque de capacités financières nécessaires à de tels efforts, malgré cela, de petits gisements de pétrole ont été découverts, et en 1895, le champ Ain Al Zaft a été découvert à Relizane ouest de l'Algérie (rabeh, 1974, p. P10), qui a continué à produire environ 50000 tonnes par an jusqu'en 1920, suivi par la découverte de géologues "Strabon" et "Leon African", Qui est situé dans le nord-ouest de l'Algérie, qui a commencé sa production en 1914 et produisait près de 30000 tonnes jusqu'à son épuisement en 1940. La période qui a suivi la Première Guerre mondiale a également été marquée par des tentatives de la Talionet Oil Company, qui a obtenu en 1932 les autorisations nécessaires pour rechercher du pétrole. Cependant, ces tentatives n'ont pas réussi à trouver des quantités de pétrole qui permettraient son utilisation commerciale. (rabeh, 1974, p. 107) ère de la question de l'exploration pétrolière et de la restriction des efforts d'exploration aux régions côtières et occidentales, et les nombreuses difficultés naturelles qui ont empêché le succès de ces efforts, la

difficulté des transports et le manque de moyens nécessaires. (rabeh, 1974, p. 106) .

Après la Seconde Guerre mondiale, l'attention du gouvernement français s'est tournée vers le Sahara algérien de manière plus sérieuse et avec de grandes capacités technologiques et financières, y trouvant peut-être du «pétrole», car il en a plus que jamais besoin d'urgence. auparavant, parce que la France souffre de nombreux problèmes pour subvenir à ses besoins en pétrole et en produits pétroliers. Elle dépendait principalement de sources extérieures, du processus de reconstruction de ce qui avait été dévasté par la Seconde Guerre mondiale et du processus de progrès de l'économie française, et exerçant plus d'efforts pour sécuriser les ressources pétrolières pour répondre à la demande croissante, et le gouvernement français a dû payer ses besoins en pétrole et ses dérivés en devises étrangères fortes, ce qui a accru la pression sur la balance des paiements française, et par conséquent, le Sahara algérien a devenir un espoir pour les financiers, économistes et politiques français de trouver des sources de pétrole pour répondre à leurs besoins. (mazri, 1975, p. 45). Aux yeux de beaucoup de ceux qui s'intéressent aux affaires énergétiques, l'Algérie semble être plus sûre que toute autre région, alors la France a réaffirmé que l'Algérie fait partie de la France et que les Algériens sont des citoyens français (charle, 1974, pp. 89-93) .

La France a concentré ses travaux au début dans le nord, et là s'est terminée par la découverte de deux champs pétrolifères, le champ "Wadi al-Qattran" situé près de la région de Sour al-Ghazlan, à 100 km au sud d'Alger, en 1948, et ce champ était connu des habitants de la région car ils utilisaient son pétrole Flottant à la surface de la terre à des fins médicales, et ce champ a commencé sa production en 1949, soit un an après sa découverte à raison de 84 000 tonnes par an. le deuxième champ est le champ de Jabal al-Anq situé à la frontière tunisienne et a été découvert en 1960, et d'autres tentatives de recherche ont été faites dans la région orientale de Constantine, cependant, les résultats n'étaient pas encourageants et les recherches se sont poursuivies dans ces régions du nord en raison de la la facilité de production, de transport et de commercialisation par rapport aux régions désertiques qui, jusqu'à la fin des années quarante, ne disposaient pas des conditions les plus élémentaires d'investissement telles que les routes, les réseaux de

communication et la disponibilité de l'eau. Cependant, ces efforts combinés n'ont permis à la France de couvrir que 6 58 % de ses besoins en pétrole jusqu'en 1956, date à laquelle le premier investissement pétrolier dans le nord de l'Algérie s'est arrêté. (brogini, 1973, p. 131).

En 1955, le premier champ pétrolifère a été découvert dans le désert algérien, qui est le champ d'Agila dans le sud-est de l'Algérie par la société française de CREPS , et il est situé dans ce qu'on appelle les champs du bassin "Polinac" dans le désert oriental. Pour la recherche pétrolière dans ses colonies, et à partir de 1955, il a été affecté à la recherche préliminaire et à l'exploration dans l'est du désert algérien (claude, 1966, p. 39). la compagnie de recherche et d'exploitation des pétroles au Sahara. (CREPS) a été le premier à déclarer la victoire le 5 janvier 1956. Dans le bassin d'Illizi, du pétrole coulait du puits Edjeleh, situé a Tihemboka, près de la frontière libyenne. (combaz, 2002) .

3-les mécanismes et les moyens utilisés par la France pour l exploitations du pétrole en Algérie :

La France a utilisé des moyens juridiques et techniques pour exploiter le pétrole algérien, et dans ce domaine, elle a mené des recherches pour le pétrole et l'a transporté depuis les villes côtières, et elle a également promulgué des lois qui lui permettent d'exploiter le pétrole, et en 1954 le premier gisement de gaz a été découvert dans le désert algérien, qui est le champ de Barqa (braudel inga, 1981, p. 66) et deux ans plus tard, la France annonce la découverte du gisement de pétrole (malti houcine, 2010, p. 151) d'Ajila. le gouvernement français tenait à préserver ce secteur vital et à y investir par lui-même (affrido gean, 1973, p. 23), la politique de la France était basée sur le séjour en Algérie, afin que le désert ne soit pas perdu, et a travaillé pour empêcher l'internationalisation du désert algérien afin que l'Algérie ne soit pas perdue. (braudel inga, 1981, p. 66) Pour ces raisons, l'Algérie a commencé sa difficile bataille pétrolière. Il a commencé à signer les accords d'Evian en 1962, puis les accords de 1965 et a finalement pris fin avec la nationalisation du pétrole le 24 février 1971 (allaoui fadhila, 2016/20127, p. 26) Nous pouvons considérer l'année 1965 comme le point de départ de la crise des relations économiques algéro-françaises du côté des

hydrocarbures. Cette année, deux événements importants que le monde a connus doivent être signalés. Le premier événement est la création de l'Organisation des pays exportateurs de pétrole(O-P-E-P) Le deuxième événement est l'accord algéro-français du 29 juillet1969 (albert fitte, 1972, pp. 36-48) .

Les dispositions des accords consacrés à la stratégie française en matière d'hégémonie économique, notamment dans le domaine pétrolier, car les accords conclus entre les deux parties prévoient de garantir les intérêts français (voir annexe 1), mais plutôt de leur donner la préférence pour l'exploitation et la production, comme le prévoit le code pétrolier (archives.m.a.e, 1957-1966))saharien que la France a émise avant l'indépendance pour garantir ses t pour exporter du pétrole vers la France, il a donc choisi certaines villes côtières afin d'établir des raffineries de pétrole (archives m.a e, 1957-1966) Quant à l'objectif du code pétrolier saharien que la France a promulguée en 1958 sous le n ° 58/1111, ainsi qu'aux dispositions des accords d'Evian pour éclairer la fin de la révolution de libération, sur la base desquelles s'est construit l'espace de partenariat franco-algérien. La valeur de l'Algérie a donné la priorité aux entreprises françaises et leur a accordé des licences de recherche et d'exploration pour une durée de six ans (voir annexe 1) .

4.-La stratégie algérienne pour mettre fin à la domination pétrolière française :

4.1.- Fondation et expansion de la société So.na.tra.ch :

Et en raison de la politique française adoptée envers l'Algérie, le gouvernement algérien a commencé à préparer les principes de sa politique énergétique, car la France a adhéré à la loi algérienne sur le pétrole et aux accords d'Evian afin de maintenir la situation (malti houcine, 2010, p. 151) .

Apres que la situation politique relative se soit stabilisée, l'Algérie a commencé à rechercher l'extension de son contrôle sur la richesse pétrolière en établissant des plans et des programmes, ce qui s'est traduit par la création de la société So.na.tra.ch (Voir commentaire 1) fin décembre 1963. Cette nouvelle société a initialement prévu le transport et la commercialisation des

hydrocarbures, afin que l'outil par lequel l'Algérie puisse contrôler la gestion de sa richesse pétrolière En outre, un important projet de transport, qui est la ligne de transport d'hydrocarbures du bassin de l'Alhamra au port d'Arzew, a été établi en coopération avec la société anglaise et avec un financement arabe, grâce auquel l'Algérie a lancé un nouveau système dans le domaine du développement de son secteur pétrolier. (mustapha mekideche, 2008, p. 208) .

L'accord de 1965 lui a donné l'occasion d'acquérir une expérience directe sur les champs, en devenant opérateur tant dans la recherche que dans l'exploitation ,durant ces cinq années, la société nationale a pris un essor rapide et a progressivement étendu ses activités. Elle s'est équipée en matériel de forage et grâce à des sociétés de services, elle est à même dès 1970 d'accomplir toute la gamme des opérations requises par la prospection et l'exploitation. Elle s'est dotée en 1967-68 d'un réseau de distribution en Algérie. L'algérianisation du personnel a été préparée et enfin, les intérêts (nicole grimaud, 1972, pp. 1276-1307) autres que français ont été progressivement repris en mains par divers moyens. En particulier, profitant du prétexte offert par la guerre des six jours, l'Etat a placé sous son contrôle les sociétés anglosaxonnes avec qui il était en conflit et les a finalement nationalisées en 1970, mis à part les deux indépendants El Paso et Getty avec qui un accord a pu être trouvé. L'accord conclu avec Getty en 1968, dont la presse a abondamment souligné qu'il était plus favorable pour le pays producteur (nicole grimaud, 1972, pp. 1276-1307) .

4.2.- Règlement des contentieux pétroliers devant la Cour internationale de justice :

Les accords d'Evian dans le domaine de la coopération économique, sous l'aspect lié à l'exploitation des richesses pétrolières trouvées dans les profondeurs du désert, prévoyaient la possibilité d'un litige devant la Cour internationale de Justice (voir commentaire 7) en cas de problèmes liés à l'exploration et à l'exploitation(voir annexe 2.3.4) et c'est ce qui s'est produit lorsqu'une compagnie pétrolière française a voulu prolonger un gazoduc à partir de la ville de Hassi messaoud à la ville de Bejaia 'et lorsque la société a demandé la coopération et l'approbation du gouvernement algérien, la demande a été rejetée, ce qui a provoqué un différend juridique en la

renvoyant par le gouvernement algérien à la Cour internationale de Justice, (allaoui fadhila, 2016/20127, p. 262) afin de statuer sur la base de ce qui était déclaré dans les accords d'Evian (voir annexe 2.3.4) et après que l'arbitrage a annoncé la victoire de l'Algérie dans ce dossier, et ici l'intelligence du gouvernement algérien apparaît dans le traitement du chantage des entreprises françaises et grâce à cette stratégie le gouvernement algérien a contraint son homologue français à l'impliquer dans le projet en signant l'accord d'Alger le 29 juillet 1969 entre la So.na.tra.ch et la compagnie pétrolière(E-R-A-P), qui est Un groupe coopératif pour le pétrole composé d'entreprises de FINA et TOTAL et de ELF (paul balta, 1973, p. 68) .

4.3.-une intense activité au sein de l'0.P.E.P :

L'Algérie n'a pas eu de difficulté à être à l'avant-garde des pays en développement, grâce à la grande résonance laissée par la victoire de la révolution algérienne, notamment dans les pays du tiers monde. De ce point de vue, l'Algérie est passée au niveau de l'Organisation des pays exportateurs de pétrole O.P.E.P (Voir commentaire 2) .

afin de se coordonner face aux compagnies pétrolières internationales. Cela monopolise l'industrie et le commerce pétroliers et, dans ce contexte, le 23 mai 1970, l'Algérie a reçu des représentants des pays de la Libye et de l'Iraq, ils ont donc répudié la consultation et élaboré une stratégie pour faire face au cartel des compagnies pétrolières. (albert fitte, 1972, pp. 36-48) Et peu de temps s'est écoulé depuis cette réunion, jusqu'à ce que l'Organisation des pays exportateurs de pétrole organise sa vingtième réunion à Alger au mois de juin 1970, à condition que les chefs de gouvernement se réunissent en octobre à Vienne, la capitale de l'Autriche. Quant à la réunion la plus importante à laquelle l'Algérie a participé, elle s'est tenue dans la capitale du Venezuela Caracas de Du 9 au 13 décembre 1970, qui est la vingt et unième réunion de l'organisation. Le conflit a donc commencé à s'intensifier entre les pays exportateurs et les pays consommateurs de pétrole, qui n'ont pas accepté la résolution n ° 120 émise par la réunion de Caracas, qui comprend les points suivants: (albert fitte, 1972, pp. 36-48) .

- Adoption d'un taux minimum d' imposition de 55 % sur le revenu net des Sociétés opérant dans les pays membres de l'O.P.E.P.

- Relèvement général de l'ensemble des prix postés et des prix de référence qui servent de base de calcul pour l' impôt.

- Harmonisation des niveaux des prix postés, compte tenu des différences de qualité et de localisation géographique, afin d'éliminer les disparités introduites par les sociétés de façon arbitraire.

- Indexation du niveau des prix postes du pétrole afin de remédier à la baisse de la valeur réelle des revenus fiscaux des pays membres, due soit à la dévaluation de la monnaie de

compte et des monnaies des principaux pays industrialisés, soit à l'érosion monétaire, et tout particulièrement celle du dollar. (albert fitte, 1972) .

- Contrôle plus étroit de la politique des sociétés concessionnaires en matière de production et d'investissements de recherche et de développement. (albert fitte, 1972, pp. 36-48) .

- Prime de localisation géographique pour tenir compte de l'avantage de fret dont bénéficient les pétroles de la méditerranée.

- Participation des pays membres aux intérêts des sociétés concessionnaires (albert fitte, 1972, pp. 36-48) .

En réponse à la réunion de l'Organisation de l'OPEP à Caracas, les plus grands pays consommateurs de pétrole se sont réun nvier 1971 pour répondre à la décision prise par la réunion de Caracas, célèbre pour la décision n° 120, et les superpuissances ont envoyé un message à l'Organisation de l'OPEP déclarant leur rejet de ses récentes décisions au Venezuela, ce qui a accru la gravité La crise pétrolière mondiale (albert fitte, 1972, pp. 36-48) .

A la fin du mois de janvier 1971, le conflit mondial pétrolier n'est pas résolu, mais les deux camps ont fait connaitre leur position. Si, à l'intérieur

du cartel la cohésion n'est pas parfaite, l'0.P.E.P. elle non plus ne semble pas totalement unie.

Cette organisation se compose de "durs", "maximalistes", (Algérie, Libye, Irak) et de modérés dont le leader est le Chah d'Iran. Leurs positions respectives au sein du cartel et de l'0.P.E.P. placent dont la France et l'Algérie légèrement en retrait du champs de bataille de Téhéran (murcier, 1971). A Alger et à Paris la négociation se poursuit sans avancer pour autant, de même que la réunion O.P.E.P.-Cartel de Téhéran est reculée au 28 janvier 1971. La presse nationale algérienne et notamment El Moudjahid,(voir commentaire 3) mène une vive campagne dirigée essentiellement contre la France et son esprit néocolonialiste.

A Alger, on réclame avec insistance le paiement des arriérés d'impôts dus par les sociétés françaises qui décident de s'exécuter dès la fin janvier .de son côté L'O.P.E.P. réclame une augmentation du prix posté de 125 cents par baril. Le 2 février, le Président Boumeienne demande une rapide conclusion des négociations algéro-françaises ; le lendemain, il déclare : "le pétrole existant dans notre propre sous-sol est un pétrole algérien ..... Nous n'accepterons jamais que nos richesses soient exploitées par des Les étrangers (albert fitte, 1972, pp. 36-48) .

5.-Nationalisation du pétrole algérien :

A Paris et à Alger les négociations piétinent et après cinq heures de conversations dans la capitale française, M. Ortoli(voir commentaire4) et Bouteflika annoncent la suspension des négociations entre Alger et Paris qui demande un délai de réflexion. Radio Téhéran diffuse l'ultimatum adressé par les pays du golfe arabe au cartel (voir commentaire 5) qui expire le 15 février et se trouve assorti d'une menace d embargo. (albert fitte, 1972, pp. 36-48) .

Le 14 février 1971 est enfin signé à Téhéran un accord entre le cartel et les pays du golfe un accord quinquennal qui procure annuellement un supplément de recette de 55 milliards de francs pour les pays du Golfe. Cet accord, base de référence utile pour les autres pays, ne semble pas relancer la négociation franco-algérienne qui porte en fait sur la moitié environ de la

consommation pétrolière française (qui était de 95 millions de tonnes en 1970) (albert fitte, 1972, pp. 36-48) En Algérie, cet accord apparait comme une grande victoire du tiers monde qui a obligé l'occident à accepter ses conditions "cet accord est un contrat qui assure à ces pays industrialisés un apport de matières premières vitales pour leur survie mais l'Algérie fait passer au second plan le problème des rentrées fiscales pour accorder plus d'importance à l'accroissement de sa participation aux sociétés françaises l'Algérie est prête à payer très cher pour recouvrer la propriété de ses ressources pétrolières". et elle anime la concertation des pays pétroliers méditerranéens.

Les français transmet à l'Algérie leur position concernant l'accord de Téhéran et ses répercussions sur la négociation franco-algérienne Et les événements s'accélèrent. le 22 février Tripoli accueille Algérie, Irak et Arabie Saoudite pour une nouvelle concertation, tandis que le président Boumedienne déclare : " il est temps de trancher la question et de trouver une solution définitive ", le 24 février, la crise franco-algérienne atteint son point culminant, à l'occasion du 15e anniversaire de l'U.G.T.A. (albert fitte, 1972, pp. 36-48) Le Président Boumedienne (voir commentaire 6) annonce:

- Nationalisation du transport terrestre,

-Nationalisation du gaz naturel

- Contrôle à 51 % des sociétés françaises. (nicole grimaud, 1972, pp. 1276-1307)

Après la décision de nationaliser le pétrole, le président français Georges Pompidou protesta avec véhémence, déclarant que l'Algérie aurait dû reporter la décision du 20 février 1970, relative à l'augmentation des prix du pétrole, qui conduisit à la suspension des négociations le 4 février 1970 du côté français, et que la décision de nationalisation du 24 février 1971 ne pouvait être appliquée car La question pétrolière concerne les relations entre les deux pays, (allaoui fadhila, 2016/20127, p. 265) la décision de nationaliser a été une surprise et contredit les lois et accords internationaux conclus entre les deux pays (charle., 1982, p. 158) .

les Français n'ont pas réussi à les menacer, ce qui a conduit à leur échec dans les négociations, et ils ont décrit le pétrole algérien comme rouge et ils faisaient référence à la domination communiste soviétique du pétrole algérien, (saint-prot charle, 1982, p. 158) mais les Français ont appelé leurs compagnies pétrolières à négocier directement avec les algériens pour préserver leurs intérêts et aussi pour maintenir la ligne de retour. Si nécessaire (charle., 1982, p. 158).

Si l'opinion publique algérienne se passionne pour le nouvel aspect que prennent les relations franco-algériennes, la presse française se montre peu surprise du dénuement de la crise, tandis que les pays arabes accordent aux décisions du 24 février une place relativement modeste (murcier, 1971).

La discrétion du monde arabe s'explique en particulier par la divergence de vue entre Alger et le Caire sur le règlement du problème palestinien. Dans le monde occidental, la décision du Président Boumedienne est jugée comme assez brutale. L'attitude temporatrice de la France est mise en évidence, tandis que l on constate son échec politique en Algérie. "L'Europe doit moins dépendre de sources énergétiques politiquement instables". Telle est encore la réaction du capitalisme industriel européen.

Les mots clés que l'on retrouve sans cesse dans la presse algérienne sont d'abord le mot "victoire" ; les mesures du gouvernement sont présentées partout comme une victoire de l'Algérie dans la "bataille" du pétrole. Les mesures de nationalisation représentent de plus une "consolidation de l'avance révolutionnaire de l'Algérie". Les "décisions historiques du pouvoir révolutionnaire" s'étalent sur des pages entières de la presse Algérienne (albert fitte, 1972, pp. 36-48) .

Au final, la France s'est soumise aux décisions souveraines algériennes et a été contrainte de revenir pour discuter de la construction de relations bilatérales qui servent les intérêts des deux parties, et c'est parce que les Français n'ont pas trouvé d'alternatives à l'énergie présente en Algérie, notamment le gaz naturel. (balta & claudin, (1981), p. 158) .

6.- Conclusion :

Bien que l'Algérie soit sortie d'une guerre dévastatrice et des problèmes internes qui ont épuisé le pays, elle a su gérer la crise pétrolière conformément à une stratégie interne et externe, et le gouvernement algérien a profité de l'impact positif de la révolution national au niveau international et de l'adhésion de l'Algérie à l'Organisation des pays exportateurs de pétrole- O.P.E.P- à une date rapprochée En tant que membre fondateur et grand rôle qu'elle a joué face aux grands pays consommateurs de pétrole et aux sociétés internationales contrôlant l'industrie pétrolière mondiale, la création de So.na.tra.ch a également conduit l'Algérie à contrôler sa richesse pétrolière grâce à la main-d'œuvre algérienne qualifiée. Malgré les difficultés et les défis, tout comme la stratégie algérienne a réussi professionnellement à gérer le conflit au niveau de la Cour internationale de Justice et elle est sortie victorieuse, ce qui a donné du crédit à la diplomatie algérienne au niveau mondial. De là, nous concluons que la stratégie de libération du pétrole a réussi à débarrasser l'Algérie de la domination française et a pu dans le dernier Ceux qui récupèrent leurs richesses pétrolières par la décision historique du président Houari Boumediene, qui a conduit les relations algéro-françaises à franchir une nouvelle etape ,sur le plan économique, l'Algérie a pu augmenter ses revenus financiers grâce aux revenus pétroliers, ce qui a eu un impact positif sur l'aspect social du peuple algérien, notamment dans le domaine de la santé et de l'éducation. Quant à la proéminence politique, l'Algérie a su imposer sa présence aux niveaux continental et régional et est devenue le leader des pays du tiers monde après son succès. En accueillant la Conférence des pays non alignés en 1973 .

Commentaires :

1-**S.O.N.A.T.R.A.C.H** société national de transport et de commercialisation des hydrocarbures créer par un décret du 31 décembre 1963 publier le 10ganvier 1964 au journal officielle de la république algérienne. Pour plus d'informations, veuillez consulter journal officielle de la république algérienne du 31 décembre 1963 publier le 10ganvier 1964.

2-O-P-E-P Organisation des Pays Exportateurs de Pétrole (OPEP) :

L'OPEP a été créée en 1960 à Bagdad par cinq (05) pays producteurs; l'Arabie Saoudite, l'Iran, l'Irak, le Koweït et le Venezuela. Son siège est à Vienne (Autriche).

Appelé en anglais opec organisation of petroleum Exporting countries.

L'objectif de l'OPEP est de coordonner et unifier les politiques pétrolières entre les pays membres, afin de garantir des prix justes et stables pour les producteurs de pétrole; un approvisionnement efficace, économique et régulier de pétrole pour les pays consommateurs, et un juste retour sur capital pour ceux qui investissent dans l'industrie.

L'Algérie a adhéré à l'OPEP en 1969. Dès son adhésion, notre pays a joué un rôle très actif au sein de l'Organisation veuillez consulter : https://www.energy.gov.dz/?article=cooperation-avec-les-organisations-international Consulté le 02/04/2021 a $17^{h}37$

3- **El moujahid** : journal algérien nait en juin 1956 a Alger est édite a Tétouan (Maroc) puis (Tunis) Pour plus d'informations, veuillez consulter albert fitte. (1972). la crise petroliere franco-algerienne de 1970-1971.les hydrocarbures migration et acceuille. cahier de meditiranee , pp. 36-48.

4- **François-Xavier Ortoli** : président de la Commission européenne et ministre de 1967 à 1972

Plusieurs fois ministre sous la présidence de De Gaulle puis de Pompidou, il fut aussi le premier Français à présider la Communauté européenne. Il participa notamment à la création du système monétaire européen. veuillez consulter https://www.lemonde.fr/disparitions/article/2007/12/06/francois-xavier-ortoli-president-de-la-commission-europeenne-et-ministre-de-1967-a-1972_986571_3382.html Consulté le 02/04/2021 a 18h55

5-**Cartel** : (Exxon, Mobil, Chevron, Gulf Oil, Texaco, BP et Shell) : Les compagnies pétrolières internationales, ont certes une puissance financière considérable dans un secteur très gourmand en capital, puisqu'elles comptent parmi les premières capitalisations boursières dans le monde.

Elles disposent aussi d'un pouvoir d'influence considérable. Notamment aux Etats-Unis, où le "lobby pétrolier" – très proche du Parti républicain – pèse sur la politique énergétique depuis des décennies. Mais dans un secteur où l'accès aux réserves de pétrole et de gaz est essentiel, cette puissance est toute relative.

Autrefois baptisées les "sept sœurs", les majors occidentales (Exxon, Mobil, Chevron, Texaco, Gulf, Royal Dutch Shell, BP) s'étaient partagées les régions pétrolières, en 1928, dans le cadre des "accords d'Achnacarry". Jusqu'à ce que les pays producteurs d'or noir – le Mexique dès 1938 – nationalisent le secteur dans les années 1950 à 1970.

ExxonMobil, né en 1911 de l'éclatement de la Standard Oil ("Esso") décidé par la Cour suprême des Etats-Unis après la loi antitrust, est la première capitalisation mondiale (279 milliards de dollars). Une multinationale présente dans l'exploration-production, le raffinage, les stations-services, la chimie et la pétrochimie... L'anglo-néerlandais Shell est la deuxième compagnie pétrolière privée (160 milliards de dollars de capitalisation), suivie de Chevron (145 milliards), de BP (116 milliards) et de Total (107 milliards). veuillez consulter https://www.lemonde.fr/economie/article/2010/06/02/les-compagnies-petrolieres-ont-une-puissance-relative_1366865_3234.ht Consulté le 02/04/2021 a 18h19

6- Mohamed Ben Brahim Boukharouba, dit Houari Boumediène, est né le 23 août 1932 dans la localité d'Aïn Hesseinia à 15 km de Guelma, dans le Constantinois, à l'est de l'Algérie, au sein d'une famille pauvre. Il suit des

études d'arabe à l'école coranique, et de français à l'école primaire. Il connaît, très jeune, les événements sanglants du 8 mai 1945 à Guelma. En 1949, il s'inscrit à la madrasa d'El-Kettania, à Constantine. Durant cette période, il adhère au Parti du peuple algérien (PPA). Il se rend ensuite clandestinement à Tunis à l'université de la Zaïtouna, et enfin au Caire à la prestigieuse l'université Al-Azhar.

En 1955, il se retrouve dans la wilaya 5 (Oranie), à la tête de laquelle il est nommé en 1957. Elevé au rang de colonel, il se voit confier le commandement de la région d'Oujda, puis celui de tout l'Ouest, et enfin la direction de l'état-major de l'Armée de libération nationale.

Il est élu vice-président du Conseil et ministre de la défense dans le premier gouvernement de l'Algérie indépendante présidée par M. Ahmed Ben Bella en 1962. Ne partageant pas les memes orientations politiques de celui-ci, il le destitue à la suite d'un coup d'Etat le 19 juin 1965, et devient président du Conseil de la Révolution et nouveau président de l'Algérie.

Il réussit, en 1967, à faire évacuer la dernière base militaire française, Mers El-Kébir, près d'Oran. Il opte pour le modèle socialiste, et lance une réforme agraire et un vaste programme de construction d'usines et d'écoles. Le 24 février 1971, il décide de nationaliser les hydrocarbures et les moyens de transport.

Cela lui confère une dimension internationale qui se manifeste deux ans plus tard, en septembre 1973, à l'occasion du Sommet des non-alignés qui regroupe à Alger les plus grands dirigeants du tiers-monde. Il apporte un soutien très actif aux différents mouvements de libération d'Afrique, d'Asie et d'Amérique latine.

C'est en tant que leader du tiers-monde que Boumediène se déplace en 1974 à New York pour prendre part à la 29e session de l'Assemblée générale de l'ONU, présidée par l'Algérie. Il y expose une véritable doctrine économique, appelant à la nécessité d'un nouvel ordre économique international. En 1975, il accueille à Alger le premier sommet de l'Organisation des pays exportateurs de pétrole (OPEP), et permet aux membres du cartel de définir une politique pétrolière concertée.

Dans le sillage de cette réunion, il parvient à sceller la paix entre l'Iran du Chah et l'Irak de M. Saddam Hussein. Sur le plan intérieur, il fait voter en 1976 une charte qui crée une Assemblée législative ainsi que le poste de

président de la République, soumis au suffrage universel. A partir de l'année 1978, ses apparitions publiques se font rares. Il meurt le 27 décembre 1978. veuillez consulter https://www.monde-diplomatique.fr/ Consulté le 02/04/2021 a 18^{h}06

7-**La Cour internationale de Justice ou CIJ** La Cour internationale de justice (CIJ) est l'organe judiciaire principal de l'ONU. Elle a été instituée en juin 1945 par la Charte des Nations Unies et est entrée en activité en avril 1946. Composée de quinze juges élus pour neuf ans par l'Assemblée générale et le Conseil de sécurité des Nations unies, elle siège à La Haye (Pays-Bas). Sa mission est de régler, conformément au droit international, les différends d'ordre juridique qui lui sont soumis par les Etats et de donner des avis consultatifs sur les questions juridiques que peuvent lui poser les organes et les institutions spécialisées de l'Organisation des Nations unies.

veuillez consulter / https://www.monde-diplomatique.fr/ Consulté le 02 /04/2021 a 18^{h}25

7.- Références :

. murcier, a. (1971, 03 03). *https://www.lemonde.fr/archives/article/1971/03/03/les-compagnies-petrolieres-jouent-leur-avenir_2471532_1819218.html*. Consulté le 03 01, 2021, sur https://www.lemonde.fr/archives/article/1971/03/03/les-compagnies-petrolieres-jouent-leur-avenir_2471532_1819218.html

affrido gean. (1973). *l algerie avec ou sans la france.* la france: fayard.

albert fitte. (1972). la crise petrqliere franco-algerienne de 1970-1971.les hydrocarbures migration et acceuille. *cahier de meditiranee* , pp. 36-48.

allaoui fadhila. (2016/20127). *les relation algero-francaise a travers l archives francases 1958-1972.* alger: universite alger 2.

archives m.a e . (1957-1966). ministere des affaires etrangere francaise boite qo 29 dossier 2.2.1.

Archives.m.a.e. (1957-1966)). servise de laison avec la lgerie.boite qo 29 1957-1966.dossier 10-1-1. Archives.m.a.e(1957-1966).Ministere.des.affaires.etrangere francaise.boite qo 29 dossier2.2.1

balta, p., & claudin, r. ((1981)). *l algerie des algerien vint ans apres* . , paris, France: edition ouvriere.

braudel inga. (1981). *les rapports franco-algerienne depuis 1962du petrole et des hommes.* france: Laharmatan.

brogini, m. (1973). *l exploitation des hydrocarbure en Algerie.* nice: fayard.

charle, d. g. (1974). *memoires despoir.* paris: editeur plon.

charle., s.-p. (1982). *la france et le nouveau arab de charle de gaul a valery gescard d estang.* france: edition copernic .

claude, t. (1966). *Sahara 1956-1962.* paris: les belles letters.

combaz a. (2002, juin 19). *Les premières découvertes de pétrole au Sahara dans les années 1950 :*. Consulté le mars 01, 2021, sur http://www.annales.org/archives/cofrhigeo/sahara.html

malti houcine. (2010). *histoire du petrole algrien.* france: .la decouverte.poche.

mazri, H. (1975). *les hydrocarbures dans l economie algerienne.* alger: snd.

mustapha mekideche. (2008). *secteure petrolier algerien a la croises des chemains.* alger: edition dahleb.

nicole grimaud. (1972). conflit petrolier franco-algerien. *revue francaise de siences politique* , pp. 1276-1307.

paul balta claudin rulleau. (1981). *l algerie des algerien vint ans apres.* paris: edition ouvriere.

paul balta. (1973). *la politique arab de la france e de gaule a george pompidau.* france: bibliotheque arab .sindibade.

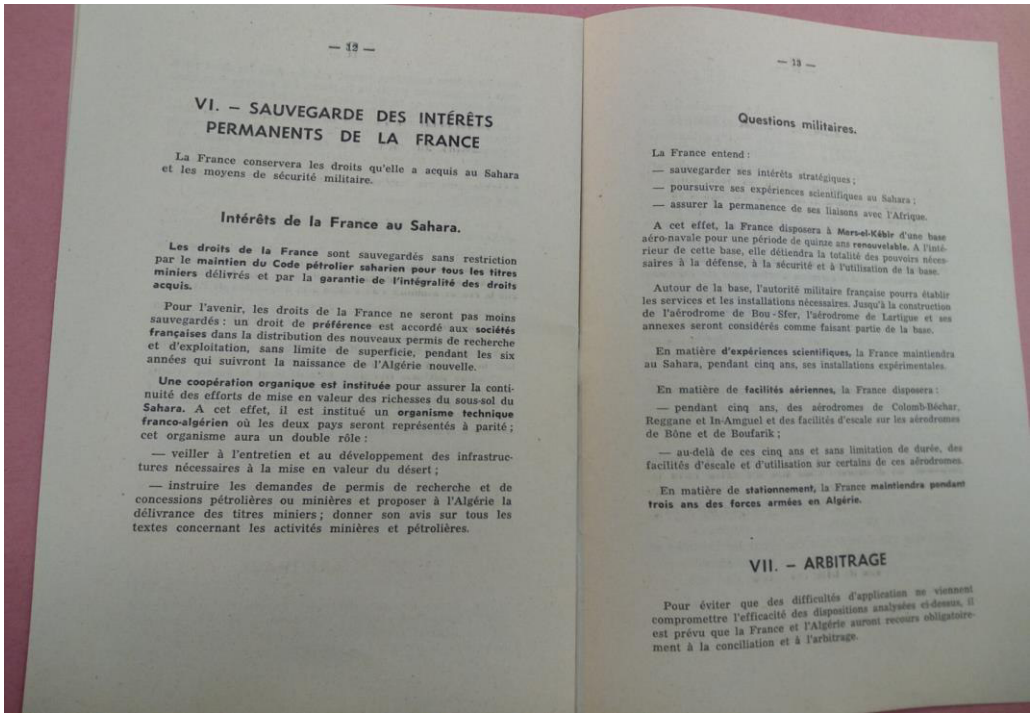
rabeh, N. (1974). *le petrole algerien.* Alger: ENAP.

saint-prot charle. (1982). *la france et le nouveau arab de charle de gaul a valery gescard d estang.* france: edition copernic.

Annexe 1 : Source Archives ministère des affaires étrangères et européennes. ministère d état chargée

des affaires algérienne .boite29qo dossier 2-2-1 les accords d evian. Textes et commentaires

Un document des archives du ministère français des Affaires étrangères confirmant la garantie des intérêts français en Algérie.



— 12 —

VI. – SAUVEGARDE DES INTÉRÊTS PERMANENTS DE LA FRANCE

La France conservera les droits qu'elle a acquis au Sahara et les moyens de sécurité militaire.

Intérêts de la France au Sahara.

Les droits de la France sont sauvegardés sans restriction par le **maintien du Code pétrolier saharien pour tous les titres miniers** délivrés et par la **garantie de l'intégralité des droits acquis.**

Pour l'avenir, les droits de la France ne seront pas moins sauvegardés : un droit de **préférence** est accordé aux **sociétés françaises** dans la distribution des nouveaux permis de recherche et d'exploitation, sans limite de superficie, pendant les six années qui suivront la naissance de l'Algérie nouvelle.

Une coopération organique est instituée pour assurer la continuité des efforts de mise en valeur des richesses du sous-sol du **Sahara.** A cet effet, il est institué un **organisme technique franco-algérien** où les deux pays seront représentés à parité ; cet organisme aura un double rôle :

— veiller à l'entretien et au développement des infrastructures nécessaires à la mise en valeur du désert ;

— instruire les demandes de permis de recherche et de concessions pétrolières ou minières et proposer à l'Algérie la délivrance des titres miniers ; donner son avis sur tous les textes concernant les activités minières et pétrolières.

— 13 —

Questions militaires.

La France entend :

— sauvegarder ses intérêts stratégiques ;

— poursuivre ses expériences scientifiques au Sahara ;

— assurer la permanence de ses liaisons avec l'Afrique.

A cet effet, la France disposera à **Mers-el-Kébir** d'une base aéro-navale pour une période de quinze ans **renouvelable.** A l'intérieur de cette base, elle détiendra la totalité des pouvoirs nécessaires à la défense, à la sécurité et à l'utilisation de la base.

Autour de la base, l'autorité militaire française pourra établir les services et les installations nécessaires. Jusqu'à la construction de l'aérodrome de Bou-Sfer, l'aérodrome de Lartigue et ses annexes seront considérés comme faisant partie de la base.

En matière **d'expériences scientifiques,** la France maintiendra au Sahara, pendant cinq ans, ses installations expérimentales.

En matière de **facilités aériennes,** la France disposera :

— pendant cinq ans, des aérodromes de Colomb-Béchar, Reggane et In-Amguel et des facilités d'escale sur les aérodromes de Bône et de Boufarik ;

— au-delà de ces cinq ans et sans limitation de durée, des facilités d'escale et d'utilisation sur certains de ces aérodromes.

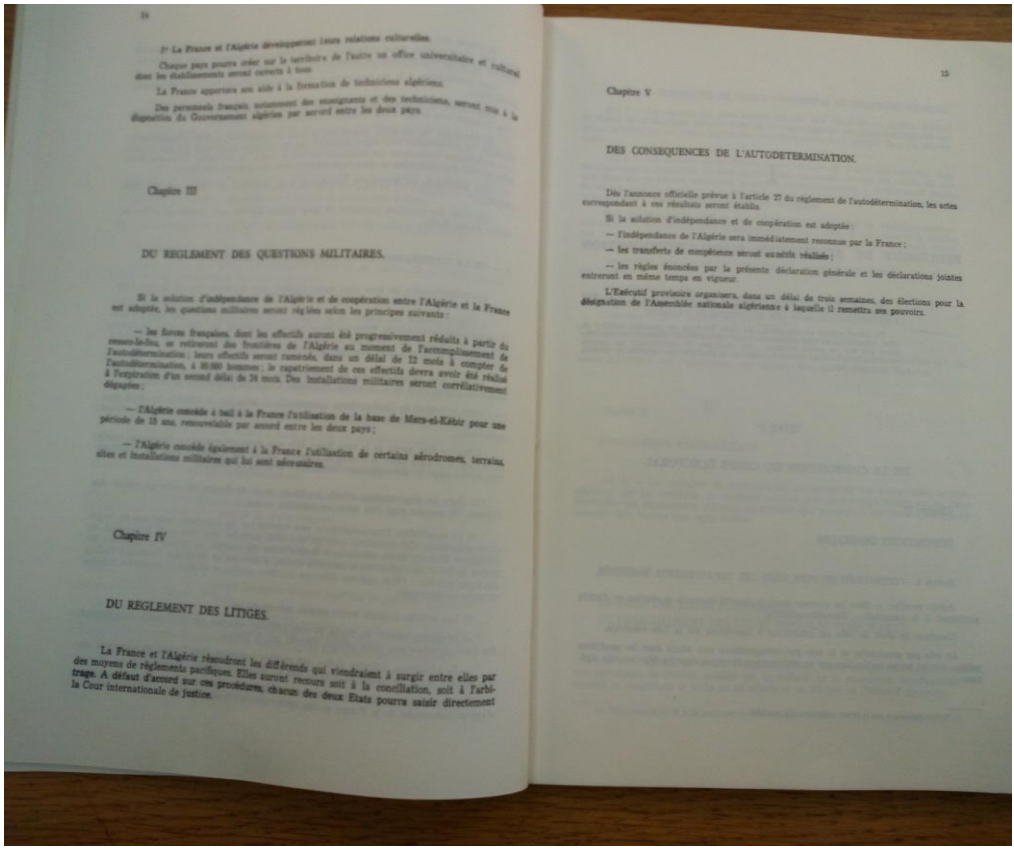
En matière de **stationnement,** la France **maintiendra pendant trois ans des forces armées en Algérie.**

VII. – ARBITRAGE

Pour éviter que des difficultés d'application ne viennent compromettre l'efficacité des dispositions analysées ci-dessus, il est prévu que la France et l'Algérie auront recours obligatoirement à la conciliation et à l'arbitrage.

Annexe 2 :sourse Archives ministère des affaires étrangères et européennes. ministère d état chargée des affaires algérienne .boite29qo dossier 2-2-1 les accords d evian. Textes et commentaires.

Un document des archives du ministère français des Affaires étrangères expliquant comment régler les litiges.



14

3° La France et l'Algérie développeront leurs relations culturelles.

Chaque pays pourra créer sur le territoire de l'autre un office universitaire et culturel dont les établissements seront ouverts à tous.

La France apportera son aide à la formation de techniciens algériens.

Des personnels français notamment des enseignants et des techniciens, seront mis à la disposition du Gouvernement algérien par accord entre les deux pays.

Chapitre III

DU REGLEMENT DES QUESTIONS MILITAIRES.

Si la solution d'indépendance de l'Algérie et de coopération entre l'Algérie et la France est adoptée, les questions militaires seront réglées selon les principes suivants :

— les forces françaises, dont les effectifs auront été progressivement réduits à partir du cessez-le-feu, se retireront des frontières de l'Algérie au moment de l'accomplissement de l'autodétermination ; leurs effectifs seront ramenés, dans un délai de 12 mois à compter de l'autodétermination, à 80.000 hommes ; le rapatriement de ces effectifs devra avoir été réalisé à l'expiration d'un second délai de 24 mois. Des installations militaires seront corrélativement dégagées ;

— l'Algérie concède à bail à la France l'utilisation de la base de Mers-el-Kébir pour une période de 15 ans, renouvelable par accord entre les deux pays ;

— l'Algérie concède également à la France l'utilisation de certains aérodromes, terrains, elles et installations militaires qui lui sont nécessaires.

Chapitre IV

DU REGLEMENT DES LITIGES.

La France et l'Algérie résoudront les différends qui viendraient à surgir entre elles par des moyens de règlements pacifiques. Elles auront recours soit à la conciliation, soit à l'arbitrage. A défaut d'accord sur ces procédures, chacun des deux Etats pourra saisir directement la Cour internationale de justice.

15

Chapitre V

DES CONSEQUENCES DE L'AUTODETERMINATION.

Dès l'annonce officielle prévue à l'article 27 du règlement de l'autodétermination, les actes correspondant à ces résultats seront établis.

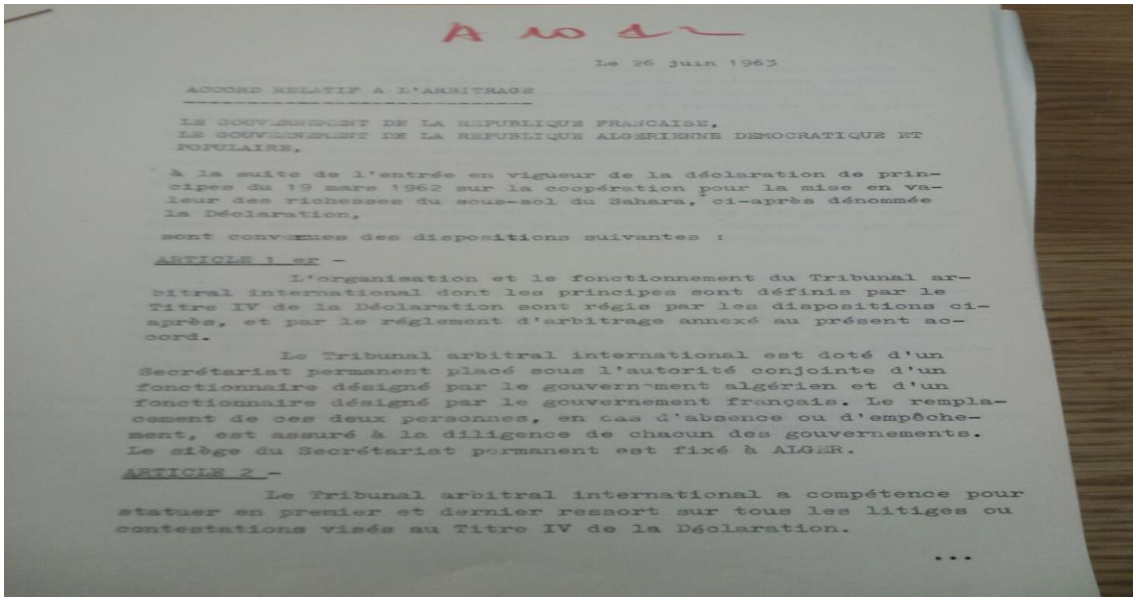
Si la solution d'indépendance et de coopération est adoptée :

— l'indépendance de l'Algérie sera immédiatement reconnue par la France ;

— les transferts de compétences seront aussitôt réalisés ;

— les règles énoncées par la présente déclaration générale et les déclarations jointes entreront en même temps en vigueur.

L'Exécutif provisoire organisera, dans un délai de trois semaines, des élections pour la désignation de l'Assemblée nationale algérienne à laquelle il remettra ses pouvoirs.



A 10 d~

Le 26 juin 1963

ACCORD RELATIF A L'ARBITRAGE

LE GOUVERNEMENT DE LA REPUBLIQUE FRANCAISE,
LE GOUVERNEMENT DE LA REPUBLIQUE ALGERIENNE DEMOCRATIQUE ET POPULAIRE,

A la suite de l'entrée en vigueur de la déclaration de principes du 19 mars 1962 sur la coopération pour la mise en valeur des richesses du sous-sol du Sahara, ci-après dénommée la Déclaration,

sont convenues des dispositions suivantes :

ARTICLE 1 er -

L'organisation et le fonctionnement du Tribunal arbitral international dont les principes sont définis par le Titre IV de la Déclaration sont régis par les dispositions ci-après, et par le réglement d'arbitrage annexé au présent accord.

Le Tribunal arbitral international est doté d'un Secrétariat permanent placé sous l'autorité conjointe d'un fonctionnaire désigné par le gouvernement algérien et d'un fonctionnaire désigné par le gouvernement français. Le remplacement de ces deux personnes, en cas d'absence ou d'empêchement, est assuré à la diligence de chacun des gouvernements. Le siège du Secrétariat permanent est fixé à ALGER.

ARTICLE 2 -

Le Tribunal arbitral international a compétence pour statuer en premier et dernier ressort sur tous les litiges ou contestations visés au Titre IV de la Déclaration.

...

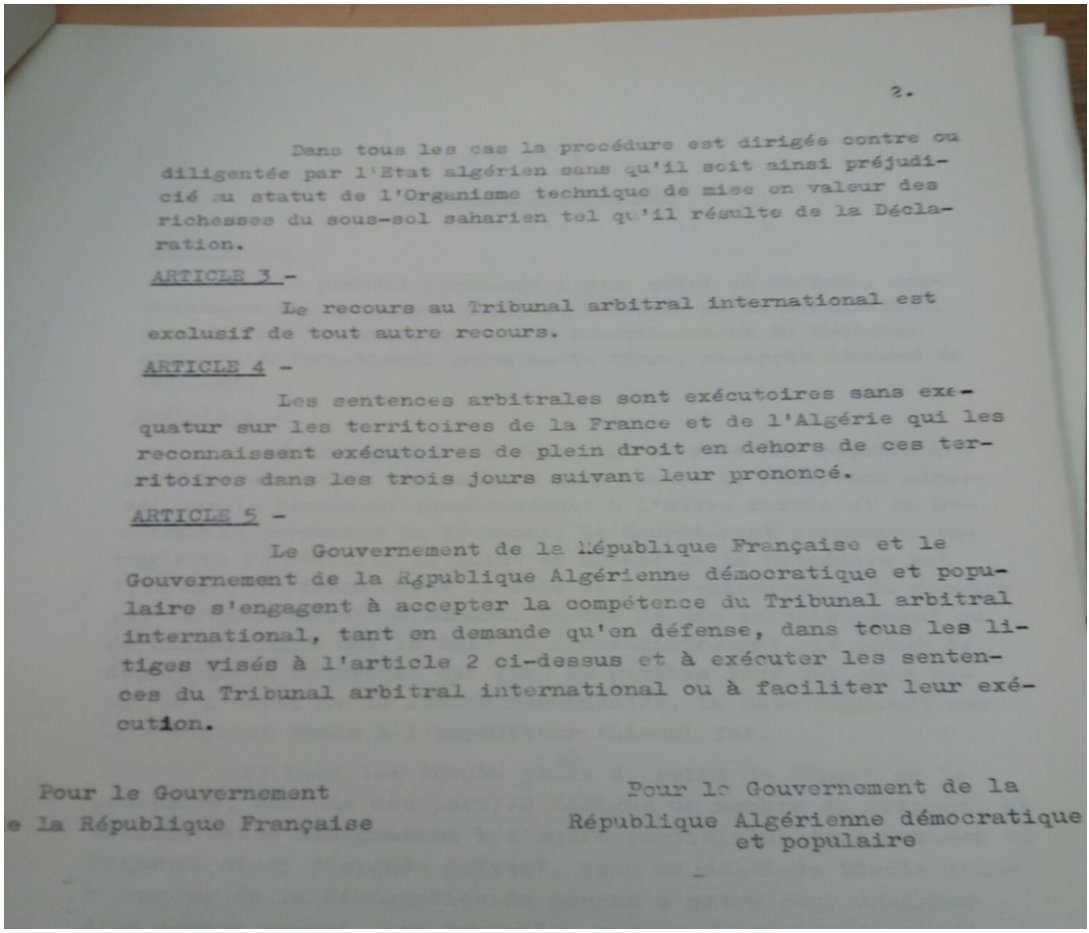
Annexe 3 : Un document des archives du ministère français des Affaires étrangères clarifiant les procédures d'arbitrage international en cas de litige

Source Archives.m.a.e(1957-1966).Ministere.des.affaires.etrangere francaise.servise de laison avec la lgerie.boite qo 29 1957-1966.dossier A-10-1-2

Annexe 4 : Un document des archives du ministère français des Affaires étrangères clarifiant les procédures

d'arbitrage international en cas de litige

Source Archives.m.a.e(1957-1966).Ministere.des.affaires.etrangere francaise.servise de laison avec la lgerie.boite qo 29 1957-1966.dossier A-10-1-2



2.

Dans tous les cas la procédure est dirigée contre ou diligentée par l'Etat algérien sans qu'il soit ainsi préjudicié au statut de l'Organisme technique de mise en valeur des richesses du sous-sol saharien tel qu'il résulte de la Déclaration.

ARTICLE 3 -

Le recours au Tribunal arbitral international est exclusif de tout autre recours.

ARTICLE 4 -

Les sentences arbitrales sont exécutoires sans exequatur sur les territoires de la France et de l'Algérie qui les reconnaissent exécutoires de plein droit en dehors de ces territoires dans les trois jours suivant leur prononcé.

ARTICLE 5 -

Le Gouvernement de la République Française et le Gouvernement de la République Algérienne démocratique et populaire s'engagent à accepter la compétence du Tribunal arbitral international, tant en demande qu'en défense, dans tous les litiges visés à l'article 2 ci-dessus et à exécuter les sentences du Tribunal arbitral international ou à faciliter leur exécution.

Pour le Gouvernement
e la République Française

Pour le Gouvernement de la
République Algérienne démocratique
et populaire